

الجزء السادس

أخبار الصمة القشيري

نسبه

هو الصمة بن عبدالله بن الطفيل بن قرّة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخيرين قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار. شاعر إسلامي بدوي مقل، من شعراء الدولة الاموية. ولجده قرّة بن هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم واله.

وفد جده قرّة على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم: أخبرني بخبره عبيد الله بن محمد الرازي. وعمي قالاً حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي وابن دأب وغيرهما من الرواة قالوا: وفد قرّة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخيرين قشير بن كعب بن ربيعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وقال له: يا رسول الله، إنا كنا نعبد الآلهة لا تنفعنا ولا تضرنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، "نعم ذا عقلاً".

وقال ابن دأب: وكان من خبر الصمة أنه هوي امرأة من قومه ثم من بنات عمه دنية يقال لها العامرية بنت غطيف بن حبيب بن قرّة بن هبيرة، فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها، وخطبها عامر بن بشر بن أبي براء بن مالك بن ملاعب الأسنة بن جعفر بن كلاب، فزوجه إياها. وكان عامر قصيراً قبيحاً، فقال الصمة بن عبدالله في ذلك:

إليه يدهدكم برجليه عامر

فإن تتكحوها عامراً لاطلاكم

شبهه بالجعل الذي يدهده البعرة برجليه.

قال: فلما بنى بها زوجها، وجد الصمة بها وجداً شديداً وحزن عليها، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها جيرة بنت وحشي بن الطفيل بن قرّة بن هبيرة، فأقام عليها مقاماً يسيراً، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه، وخلف امرأته فيهم، وقال لها:

خطامك ماتدرين ما اليوم من أمس

كليم التمرحتى تهرم النخل واضفري

وقال فيها أيضاً:

بكم مثل ما بي إنكم لصديق

لعمرى لئن كنتم على النأى والقلی

رددن ولم تنهج لهن طريق

إذا زفرات الحب صعدن في الحشى

وقال فيها أيضاً:

إذا ما أتننا الريح من نحو أرضكم
أتننا بريح المسك خالط عنبراً
أتننا برياًكم فطاب هبوبها
وريح الخزامى باكرتها جنوبها

وقال فيها أيضاً:

هل تجزيني العامرية موقفي
مررن بأسباب الصبا فذكرنها
على نسوة بين الحمى وغضى الجمر
فأومأت إذ ما من جواب ولا نكر

وقال ابن دأب: وأخبرني جماعة من بني قشير أن الصمة خرج في غزي من المسلمين إلى بلد الديلم فمات بطبرستان.

قال ابن دأب: وأنشدني جماعة من بني قشير للصمة:

ألا تسألان الله أن يسقي الحمى
وأسأل من لاقيت هل مطر الحمى
بلى فسقى الله الحمى والمطاليا
فهل يسألن عني الحمى كيف حالها

الغناء في هذين البيتين لإسحاق، ولحنه من الثقل الأول بالوسطى، وهو من مختار الأغاني ونادرها. أخبرني محمد بن خلف وكيع وعمي قالوا حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال قال عبدالله بن محمد بن إسماعيل الجعفري حدثنا عبدالله بن إسحاق الجعفري عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال حدثني رجل من أهل طبرستان كبير السن قال: بينا أنا يوماً أمشي. في ضيعة لي فيها ألوان من الفاكهة والزعفران وغير ذلك من الأشجار، إذ أنا بإنسان في البستان مطروح عليه أهدام خلقتان، فدنوت منه فإذا هو يتحرك ولا يتكلم، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خفي:

تعز بصبر لا وجدك لا ترى
كأن فؤادي من تذكره الحمى
بشام الحمى أخرى الليالي الغواير
وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

قال: فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه، فسألت عنه فقبل لي: هذا الصمة بن عبدالله القشيري. كان ابن الأعرابي يستحسن شعراً له: أخبرني عمي قال حدثنا الخراز أحمد بن الحارث قال: كان ابن الأعرابي يستحسن قول الصمة:

أما وجلال الله لو تذكريني
فقال بلى والله ذكراً لو أنه
كذكرك ما كفكفت للعين مدمعا
يصب على صم الصفا لتصدعا

غنى في هذين البيتين عبيد الله بن أبي غسان ثاني ثقل بالوسطى. وفيهما لعريب خفيف رمل:

ولما رأيت البشر قد حال بينن
وجالت بنات الشوق في الصدر نزعا

تلفت نحو الحي حتى وجدنتي وجعت من الإصغاء ليتاً وأدعا

أخبرني أبو الطيب بن الوشاء قال: قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزدي: لو حلف حالف أن أحسن أبيات قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل قول الصمة القشيري ما حنت:

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعباكما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعا وتجزع أن داعي الصباية أسمعا

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني على كبدي من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا

غنت في هذين البيتين قرشية الزرقاء لحناً من الثقل الأول عن الهشامي. وهذه الأبيات التي أولها "حننت إلى ريا تروى لقيس بن ذريح في أخباره وشعره بأسانيد قد ذكرت في مواضعها، ويروى بعضها للمجنون في أخباره، بأسانيد قد ذكرت أيضاً في أخباره. والصحيح في البيتين الأولين أنهما لقيس بن ذريح وروايتهما له، أثبت، وقد تواترت الروايات بأتهما له من عدة طرق، والآخر مشكوك فيها أهى للمجنون أم للصمة.

أنشدنا محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم للصمة القشيري قال: وكان أبو حاتم يستجيدهما، وأنشدنيهما عمي عن الكراني عن أبي حاتم، وأنشدنيهما الحسن بن علي عن ابن مهيويه عن أبي حاتم:

إذا نأت لم تفارقني علاقتها وإن دنت فصدود العاتب الزاري

فحال عيني من يوميك واحدة تبكي لفرط صدود أونوى دار

أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال حدثنا عبيد الله بن إسحاق بن سلام قال حدثني أبي عن شعيب بن صخر عن بعض بني عقيل قال: مررت بالصمة بن عبد الله القشيري يوماً وهو جالس وحده يبكي ويخاطب نفسه ويقول: لا والله ما صدقتك فيما قالت، فقلت: من تعني. ويحك! أجننت! قال: اعني التي أقول فيها:

أما وجلال الله لو تذكريني كذكريك ماكفكت للعين مدمعا

فقال بلى والله ذكراً لو أنه يصب على صم الصفا لتصدعا

أسلي نفسي عنها وأخبرها أنها لو ذكرتني كما قالت لكانت في مثل حالي. أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العبدي عن موسى بن عبد الله التيمي قال:

خطب الصمة القشيري بنت عمه وكان لها محباً، فاشتط عليه عمه في المهر فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال

فلم يعنه بشيء فسأل عشيرته فأعطوه، فأتى بالإبل عمه، فقال: لا أقبل هذه في مهر ابنتي، فاسأل أباك أن يدها لك فسأل ذلك أباه فأبى عليه، فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عقلها وخلاها، فعاد كل بعير منها إلى ألفه. وتحمل الصفة راحلاً. فقالت بنت عمه حين رآته يتحمل: تالله ما رأيت كاليوم رجلاً باعته عشيرته بأبيرة. ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر فقال وقد طال مقامه واشتاقتها وندم على فعله:

مزارك من ريا وشعباكما معا

أتبكي على ريا ونفسك باعدت

وتجزع أن داعي الصبابة أسمعاً

فماحسن أن تأتي الأمطائعا

وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي: أن الصمة خطب ابنة عمه هذه إلى أبيها فقال له: لا أزوجهك إلا على كذا وكذا من الإبل، فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك وشكا إليه ما يجد بها فساق الإبل عنه إلى أخيه فلما جاء بها عدها عمه فوجدها تنقص بعيراً، فقال: لا آخذها إلا كاملة، فغضب أبوه وحلف لا يزيده على ما جاء به شيئاً. ورجع إلى الصمة، فقال له: ما وراءك. فأخبره، فقال: تالله ما رأيت قط ألام منكما جميعاً وإني لألام منكما إن أقمت بينكما ثم ركب ناقته ورحل إلى ثغر من الثغور، فأقام به حتى مات. وقال في ذلك:

بها عاصفات الصيف بدءاً ورجعا

أمن ذكر دار بالرقاشين أصبحت

مزارك من ريا وشعباكما معا

حننت إلى ريا ونفسك باعدت

وتجزع أن داعي الصبابة أسمعاً

فماحسن أن تأتي الأمر طائعا

ولم ترشعبي صاحبين تقطعا

كأنك لم نشهد وداع مفارق

عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها

به أهل ليلي حين جيد وأمرعا

تحمل أهلي من قنين وغادروا

بلومي إلا أن أطيع وأسمعاً

ألا يا خليلي اللذين تواليا

يمانية شتى بها القوم أو معا

قفا إنه لا بد من رجع نظرة

حياء يكف الدمع أن يتطلعا

لمغتصب قد عزه القوم أمره

دنا الليل أو أوفى من الأرض ميفعا

تبرض عينيهِ الصبابة كلما

إليك ولكن خل عينيك تدمعا

فليست عشيات الحمى برواجع

وانظري أن تزودي منك زادا

قل لأسماء أنجزى الميعادا

م وجاورت حميراً أو مرادا

إن تكوني حللت ربعاً من الشأ

أوتناعت بك النوى فلقد قد

ت فؤادي لحينه فانقادا

ذاك أني علقت منك جوى الح

ب وليداً فزدت سناً فزادا

الشعر لداود بن سلم. والغناء لدحمان، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالوسطى. وقد كنا وجدنا هذا الشعر في رواية علي بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقش، وطلبناه في أشعار المرقشين جميعاً فلم نجده، وكنا نظنه من شاذ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم، وفي خبر أنا ذاكره في أخبار داود. وإنما نذكر ما وقع إلينا عن روايته، فما وقع من غلط فوجدناه أو وقفنا على صحته أثبتناه وأبطلنا ما فرط منا غيره، وما لم يجر هذا المجرى فلا ينبغي لقارئ هذا الكتاب أن يلزمنا لوم خطأ لم نتعمده ولا اخترعناه، وإنما حكيناه عن روايته واجتهدنا في الإصابة. وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأصلحه، فإن ذلك لا يضره ولا يخلو به من فضل وذكر جميل إن شاء الله.

أخبار داود بن سلم ونسبه

داود بن سلم مولى بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، ثم يقول بعض الرواة: إنه مولى آل أبي بكر، ويقول بعضهم: إنه مولى آل طلحة. وهو مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، من ساكني المدينة، يقال له داود الآدم وداود الأرمك. وكان من أقبح الناس وجهاً. وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله، فرآه ذات يوم يخطر خطرة منكراً فدعا به، وكان يتولى المدينة، فضربه ضرباً مبرحاً. وأظهر أنه إنما فعل ذلك به من أجل الخطرة التي تخايل فيها في مشيته. فقال بعض الشعراء في ذلك وأظنه ابن رهيمة:

ضرب العادل سعد

ابن سلم في السماجه

ففضى الله لسعد

من أمير كل حاجه

أخبرني محمد بن سليمان الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: سألت محمد بن موسى بن طلحة عن داود بن سلم، هل هو مولاهم؟ فقال: كذلك يقول الناس، هو مولانا، أبوه رجل من النبط، وأمه بنت حوط مولى عمر بن عبيد الله بن معمر فانتسب إلى ولاء أمه. وفي ذلك يقول ويمدح ابن معمر:

وإذا دعا الجاني النصير لنصره

وأرنتي الغرر النصيرة معمر

متخازرين كأن أسد خفية

بمقامها مستبسلات تزار

متجاسرين بحمل كل ملمة

متجبرين على الذي يتجبر

عسل الرضا فإذا أردت خصامهم

خلط الشامم بفيك صاب مفقر

إلا تطيب كما يطيب العنبر

لا يطبعون ولا ترى أخلاقهم

جدي وفضلهم الذي لا ينكر

رفعوا بناي بعنق حوْط دتية

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المهلي قالاً حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال: كان داود بن سلم مولى بني تيم بن مرة، وكان يقال له: الآدم لشدة سواده، وكان من أبخل الناس فطرقة قوم وهو بالعقيق، فصاحوا به: العشاء والقرى يابن سقم، فقال لهم: لا عشاء لكم عندي ولا قرى، قالوا: فأين قولك في قصيدتك إذ تقول فيها:

لم أمض منك لباناتي وأوطاري

يا دار هنل! ألا حييت من دار

عقر العشار على يسري وإعساري

عودت فيها إذا ما الضيف نبهني

قال: لستم من أولئك الذين عنيت.

قال: ودخل على السري بن عبدالله الهاشمي، وقد أصيب بابن له فوقف بين يديه ثم أنشده:

استرجعوا خاست الدنيا بعباس

يا من على الأرض من عجم ومن عرب

من ضنء والدهم بالسيد الراس

فجعت من سبعة قد كنت أملهم

قال: وداود بن سلم الذي يقول:

وانظري أن تزودي منك زادا

قل لأسماء أنجزى الميعادا

م وجاورت حميرا أومرا

إن تكوني حللت ربعا من الشأ

ت فؤادي لحينه فانقادا

أوتناعت بك النوى فلقد قد

ب وليداً فزدت سنا فزادا

ذاك أني علقت منك جوى الح

قال أبو زيد: أنشدنيها أبو غسان محمد بن يحيى وإبراهيم بن المنذر لداود بن سلم.

لم أقض منك لباناتي وأوطاري

يادار هند ألا حييت من دار

أخبرنا الطوسي قال حدثنا الزبير قال أخبرني مصعب بن عثمان قال:

دعا الحسن بن زيد إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي أيام كان بالمدينة إلى ولاية القضاء فأبى عليه فحبسه، فدعا مسرقين يسرقون له مغسلاً في السجن، وجاء بنو طلحة فانسجنوا معه. وبلغ ذلك الحسن بن زيد، فأرسل إليه فأبى به، فقال: إنك تلاججت علي، وقد حلفت ألا أرسلك حتى تعمل لي، فأبرر يميني، ففعل، فأرسل الحسن معه جنداً حتى جلس في المسجد مجلس القضاء والجد على رأسه، فجاءه داود بن سلم فوقف عليه فقال:

وفيك أجمعن يا إسحاق

طلبوا الفقه والمروءة والحل

فقال: ادفعوه، فدفعوه، فنخي عنه فجلس ساعة ثم قام من مجلسه، فأعفاه الحسن بن زيد من القضاء فلما سار إلى منزله أرسل إلى داود بن سلم بخمسين ديناراً، وقال للرسول: قل له: يقول لك مولاك: ما حملك على أن تمدحني بشيء أكرهه؟ استعن بهذه على أمرك.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محرز بن سعيد قال: بينما سعد بن إبراهيم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يقضي بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر، ومعه داود بن سلم مولى التميميين، وعليهما ثياب ملونة يجراهما فأوماً أن يؤتى بهما، فأشار إلى زيد أن اجلس، فجلس بالقرب منه، وأوماً إلى الآخر أن يجلس حيث يجلس مثله، ثم قال لعون من أعوانه: ادع لي نوح بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله، فدعي له فجاء أحسن الناس سمتاً وتشميراً ونقاء ثياب، فأشار إليه فجلس ثم أقبل على زيد فقال له: يا بن أخي، تشبه بشيخك هذا وسمته وتشميره ونقاء وبه، ولا تعد إلى هذا اللبس، قم فانصرف. ثم أقبل على ابن سلم وكان قبيحاً، فقال له: هذا ابن جعفر أحتمل هذا له، وأنت لأي شيء أحتمل هذا لك. أللؤم أصلك، أم لساجة وجهك، جرد يا غلام، فجرد فضربه أسواطاً. فقال ابن رهيمة:

ابن سلم في السماجه

جلد العادل سعد

من أمير كل حاجه

فقضى الله لسعد

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون عن يوسف بن الماجشون قال: قال لي أبي - وقد عزل سعد بن إبراهيم عن القضاء - يا بني تعجل بنا عسى أن نروح مع سعد بن إبراهيم، فإن القاضي إذا عزل لم يزل الناس ينالون منه، فخرجنا حتى جئنا دار سعد بن إبراهيم، فإذا صوت عال، فقال لي أي شيء هذا. أرى أنه قد أعجل علي، ودخلنا فإذا داود بن سلم يقول له: أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك، وقد كان سعد جلد داود بن سلم أربعين سوطاً، فأقبل علي سعد وعلى أبي، فقال: لم تر مثل أربعين سوطاً في ظهر لثيم. قال: وفيه يقول الشاعر:

ابن سلم في السماجه

ضرب العادل سعد

من أمير كل حاجه

فقضى الله لسعد

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال الزبير بن بكار قال حدثني أبو يحيى الزهري واسمه هارون بن عبد الله قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال: كان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم مولى بني تميم إذا جاءته غلة من الخانقين أن يصله. فلما مدح داود بن سلم جعفر بن سليمان، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد شديد، أغضب ذلك الحسن، فقدم من حج أو عمرة، ودخل عليه داود مسلماً، فقال له الحسن: أنت القاتل في جعفر:

وكان المنى في جعفر أن يؤمرا

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر

حوى المنبرين الطاهرين
كليهما إذا ماخطا عن منبر أم منبرا
كأن بني حواء صفوا أمامه
فخبر من أنسابهم فتخيرا؟

فقال داود: نعم، جعلني الله فداءكم، فكنتم خيرة اختياره، وأنا الذي أقول:

لعمري لئن عاقبت أوجدت منعماً
بعفو عن الجاني وإن كان معذراً
لأنت بما قدمت أولى بمدحة
واكرم فرعاً إن فخرت وعنصراً
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم
ويدعو علياً ذا المعالي وجعفرأ
وزيد الندى والسبط سبط محمد
ومانال من ذا جعفر غير مجلس
وعمك بالطف الزكي المطهراً
بحقكم نالوا ذراها فأصبحوا
يرون به عزاء عليكم ومفخراً

قال: فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه، ولم يزل يصله ويحسن إليه حتى مات. قال أبو يحيى: يعني بقوله: "وإن كان معذراً أن جعفرأ أعطاه بأبياته الثلاثة ألف دينار، فذكر أن له عذراً في مدحه إياه بجزالة إعطائه. أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال: كنت ليلة عند الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة، حيال ذي الحليفة نصف الليل جلوساً في القمر، وأبو السائب المخزومي معنا، وكان ذا فضل وكان مشغولاً بالسماع والغزل، وبين أيدينا طبق عليه فريك فنحن نصيب منه، والحسن يومئذ عامل المنصور على المدينة، فأنشد الحسن قول داود بن سلم وجعل يمد به صوته ويطربه:

فعرسنا ببطن عريتنا
ليجمعنا وفاطمة المسير
أتنسى إذ تعرض وهو باد
مقلدها كما برق الصبير
ومن يطع الهوى يعرف هواه
وقد ينبيك بالأمر الخبير
على أني زفرت غداة هرشى
فكاد يريبهم مني الزفير

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه للهدلي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة، وأظنه هذا اللحن قال: فأخذ أبو السائب الطبق! فوحش به إلى السماء، فوقع الفريك على رأس الحسن بن زيد فقال له: مالك. ويحك! أجننت! فقال له أبو السائب: أسألك بالله وبقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما أعدت إنشاد هذا الصوت ومددته كما فعلت قال: فما ملك الحسن نفسه ضحكاً، ورد الحسن الأبيات لأستحلفه إياه. قال ابن أبي الزناد: فلما خرج أبو السائب قال لي: يابن أبي الزناد، أما سمعت مده:

ومن يطع الهوى يعرف هواه

فقلت نعم، قال: لو علمت أنه يقبل مالي لدفعته إليه بهذه الثلاثة الأبيات. أخبرني بخبره عبيد الله بن محمد الرازي وعمي قالوا حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن أبي بكر الهذلي. أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت: أرسلني مولاتي فاطمة في حاجة، فمررت برحلة القضاء، فإذا بضبيعة العبسي خليفة جعفر بن سليمان يقضي بين الناس، فأرسل إلي فدعاني، وقد كنت رطلت شعري وربطت في أطرافه من ألوان العهن، فقال: ما هذا؟ فقلت شيء أتملح به فقال: يا حרسي قنعها بالسوط. قالت: فتناولت السوط بيدي وقلت: قاتلك الله! ما أبين الفرق بينك وبين سعد بن إبراهيم سعد يجلد الناس في السماجة، وأنت تجلدهم في الملاحه، وقد قال الشاعر:

ابن سلم في السماجه

جلد العادل سعد

من أمير كل حاجه

فقضى الله لسعد

قالت: فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه، وقال: خل عنها. قالت: فكان يسوم بي، وكانت مولاتي تقول: لا أبيعها إلا أن هوى ذلك، وأقول: لا أريد بأهلي بدلاً إلى أن مررت يوماً بالرحبة وهو في منظره دار مروان ينظر فأرسل إلي فدعاني، فوجدته من وراء كلة وأنا لا أشعر به، وحازم وجري جالسان، فقال لي حازم: الأمير يريدك، فقلت: لا أريد بأهلي بدلاً وكشفت الكلة عن جعفر بن سليمان، فارتعت لذلك فقلت: آه فقال: مالك؟ فقلت:

أخا سقم حتى نظرت إلى هند

سمعت بذكر الناس هنذا فلم أزل

قال: فأبصرت ماذا؟ ويحك! فقلت:

تصدى لقتل المسلمين على عمد

فأبصرت هنذا حرة غير أنها

قالت: فضحك حتى استلقى، وأرسل إلى مولاتي لبيتاعي، فقالت: لا والله لا أبيعها حتى تستيعني، فقلت: والله لا أستبيعك أبداً.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا يونس بن عبد الله عن داود بن سلم قال: كنت يوماً جالساً مع قثم بن العباس قبل أن يملكوا بفنائهم، فمرت بنا جارية، فأعجب بها قثم وتمناها فلم يمكنه ثمنها. فلما ولي قثم اليمامة اشترى الجارية إنسان يقال له صالح. قال داود بن سلم: فكتبت إلى قثم:

أبلغ إذا ما لقينته قثم

يا صاحب العيس ثم راكبها

معارضاً إذ توسط الحرما

أن الغزال الذي أجازبنا

نس وخلي الوحوش والسلما

حوله صالح فصار مع الإ

قال: فأرسل قثم في طلب الجارية ليشتريها، فوجدها قد ماتت.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبدالله بن محمد بن موسى بن طلحة قال حدثني زهير بن حسن مولى آل الربيع بن يونس: أن داود بن سلم خرج إلى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية، فلما نزل به حط غلماناه متاع داود وحلوا عن راحلته، فلما دخل عليه أنشأ يقول:

ولما دفعت لأبوابهم ولاقيت حرباً لقيت النجاحا

وجدناه يحمده المجتدون ويأبى على العسر إلا سماحا

ويغشون حتى يرى كلبهم يهاب الهرير وينسى النباحا

قال: فأجازه بجائزة عظيمة، ثم استأذنه في الخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار. فلم يعنه أحد من غلماناه ولم يقوموا إليه، فظن أن حرباً ساخط عليه، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلماناه، فقال له: سلهم لم فعلوا بك ذلك. قال: فسألهم، فقالوا: إننا ننزل من جاءنا ولا نرحل من خرج عنا. قال: فسمع الغاضري حديثه فأتاه فحدثه فقال: أنا يهودي إن لم يكن الذي قال الغلمان أحسن من شعرك.

وذكر محمد بن داود بن الجراح أن عمر بن شبة أنشده ابن عائشة لداود بن سلم، فقال: أحسن والله داود حيث يقول:

لجبت من حبي في تقريبه وعميت عيناى عن عيوبه

كذاك صرف الدهر في تقلبيه لا يلبث الحبيب عن حبيب

أو يغفر الأعظم من ذنوبه

قال: وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبدالله بن شبيب لداود بن سلم قال:

وما ذر قرن الشمس إلا ذكرتها وأذكرها في وقت كل غروب

وأذكرها ما بين ذاك وهذه وبالليل أحلامي وعند هبوبى

وقد شفنى شوقي وأبعدنى الهوى وأعيا الذى بي طب كل طبيب

وأعجب أنى لا أموت صباة وماكد من عاشق بعجيب

وكل محب قد سلا غير أننى غريب الهوى، ياويح كل غريب

وكم لام فيها من أخ ذي نصيحة فقلت له أقصر فغير مصيب

أتأمر إنساناً بفرقة قلبه أتصلح أجسام بغير قلوب

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال: كان داود بن سلم منقطعاً إلى قثم بن العباس، وفيه يقول:

عتقت من حلي ومن رحلتي	يا ناق إن أدنيتني من قثم
إنك إن أدنيت منه غداً	حالفني اليسر ومات العدم
في وجهه بدر وفي كفه	بحر وفي العرنين منه شمم
أصم عن قيل الخنا سمعه	وماعن الخيربه من صمم
لم يدر ما لا وبلى قد درى	فعافها واعتاض منها نعم

قال أبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أبو زيد عمر بن شبة قال لي إسحاق: لنظم العمياء في هذه الأبيات صنعة عجيبة، وكانت تجسيدها ما شاءت إذا غنتها .

أخبار دحمان ونسبه

دحمان لقب لقب به، واسمه عبد الرحمن بن عمرو، مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. ويكنى أبا عمرو، ويقال له دحمان الأشقر. قال إسحاق: كان دحمان مع شهرته بالغناء رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدل الشهادة مدمناً للحج وكان كثيراً ما يقول: ما رأيت باطلاً أشبه بحق من الغناء. قال إسحاق: وحدثني الزبير أن دحمان شهد عند عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله، بن حنطب المخزومي، وهو يلي القضاء لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق بشهادة، فأجازها وعدله، فقال له العراقي: إنه دحمان، قال: أعرفه، ولو لم أعرفه لسألت عنه، قال: إنه يغني ويعلم الجواري الغناء، قال: غفر الله لنا ولك، وأينا لا يتغنى! اخرج إلى الرجل عن حقه. وفي دحمان يقول أعشى بني سليم:

إذا ما هرج الواد	ي أو ثقل دحمان
سمعت الشدو من هذا	ومن هذا بميزان
فهذا سيد الإنس	وهذا سيد الجان

وفيه يقول أيضاً:

كانوا فحولاً فصاروا عند حلبتهم	لما انبرى لهم دحمان خصيانا
فأبلغوه عن الأعشى مقالته	أعشى سليم أبي عمرو سليمانا
قولوا يقول أبو عمرو لصحبته	ياليت دحمان قبل الموت غنانا

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهدي أنه حدثه عن ابن جامع وزبير بن دحمان جميعاً: أن دحمان كان معدلاً مقبول الشهادة عند القضاة بالمدينة، وكان أبو سعيد مولى فائد أيضاً ممن تقبل شهادته.

وكان دحمان من رواة معبد وغلمانه المتقدمين. قال: وكان معبد في أول أمره مقبول الشهادة، فلما حضر الوليد بن يزيد وعاشره على تلك الهنات وغنى له سقطت عدالته، لا لأن شيئاً بان عليه من دخول في محذور، ولكن، لأنه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المدني قال قال إسحاق: كان دحمان يكنى أبا عمرو، مولى بني ليث، واسمه عبد الرحمن، وكان يخضب رأسه ولحيته بالحناء وهو من غلمان معبد. قال إسحاق: وكان أبي لا يضعه بحيث يضعه الناس، ويقول: لو كان عبداً ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم. وأشبهه الناس به في الغناء ابنه عبدالله، وكان يفضل الزبير ابنه تفضيلاً شديداً على عبدالله أخيه وعلى دحمان أبيه، أخبرني يحيى عن أبي أيوب عن أحمد بن المكي عن عبدالله بن دحمان قال: رجع أبي من عند المهدي وفي حاصله مائة ألف دينار. أخبرنا إسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال: بلغني أن المهدي أعطى دحمان في ليلة واحدة خمسين ألف دينار وذلك أنه غنى في شعر الأحوص:

تري في مشيها خرقا

قطوف المشي إذ تمشي

فأعجبه وطرب، واستخفه السرور حتى قال لدحمان: سلمي ما شئت، فقال: ضيعتان بالمدينة يقال لهما ريان وغالب فأقطعه إياهما. فلما خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد الله وعمر بن بزيع راجعا المهدي فيه وقالوا: إن هاتين ضيعتان لم يملكهما قط إلا خليفة، وقد استقطعهما ولاية العهود في أيام بني أمية فلم يقطعهما فقال: والله لا أرجع فيهما إلا بعد أن يرضى، فصولح عنهما على خمسين ألف دينار.

فبت مسقدا قلقا

سرى ذا الهم بل طرقا

دث التسهيد والأرقا

كذاك الحب مما يح

تري في مشيها خرقا

قطوف المشي إذ تمشي

إذا ولت لتطلقا

وتنقلها عجيزتها

الشعر للأحوص. والغناء لدحمان ثقیل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لابن سريج. سئل عن ثمن ردايه فأجاب: أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال: مر دحمان المغني وعليه رداء جيد عدي، فقال له من حضر: بكم اشتريت هذا يا أبا عمرو؟ قال:

ما ضر جيراننا إذ انتجعوا .

لو أنهم قبل بينهم ربعوا

فهو بهجران بينهم قطع

وما به غير حبها ذرع

أو دمية زينت بها البيع

يفر عني بها وأتبع

ما ضر جيراننا إذ انتجعوا

أحموا على عاشق زيارته

وهو كأن الهيام خالطه

كأن لبني صبير غادية

الله بيني وبين قيمها

أخبرني وكيع عن أبي أيوب المديني إجازة عن أبي محمد العامري الأويسي قال: كان دحمان جماً لا يكرى إلى المواضع ويتجر، وكانت له مروءة، فبينما هو ذات يوم قد أكرى جماله وأخذ، ماله إذ سمع رنة، فقام واتبع الصوت، فإذا جارية قد خرجت تبكي، فقال لها: أملكوك أنت؟ قالت: نعم، فقال: لمن؟ فقالت: لامرأة من قریش، وسمتها له، فقال: أتبيعك؟ قالت: نعم، ودخلت إلى مولاتها فقالت: هذا إنسان يشتريني، فقالت: ائذي له، فدخل، فسامها حتى استقر أمر الثمن بينهما على مائتي دينار، فنقدها إياها وانصرف بالجارية. قال دحمان: فأقامت عندي مدة أطرح عليها وي طرح عليها معبد والأبجر ونظراؤهما من المغنين ثم خرجت بها بعد ذلك إلى الشام وقد حذقت، وكنت لا أزال إذا نزلنا أنزل الأكرياء ناحية، وأنزل معتزلاً بها ناحية في محمل وأطرح على المحمل من أعبية الجمالين، وأجلس أنا وهي تحت ظلها، فأخرج شيئاً فنأكله، ونضع ركة فيها لنا شراب، فنشرب ونتغنى حتى نرحل. ولم نزل كذلك حتى قربنا من الشام. فبينما أنا ذات يوم نازل وأنا ألقى عليها لحي:

لرددت عن عبد العزيز حماما

جاورت يوماً في القبور وهاما

لو رد ذو شفق حمام منية

صلى عليك الله من مستودع

الشعر لكثير يرثي عبد العزيز بن مروان. وزعم بعض الرواة أن هذا الشعر ليس لكثير وأنه لعبد الصمد بن علي الهشامي يرثي ابناً له. والغناء لدحمان، ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر. قال: فرددته عليها حتى أخذته واندفعت تغنيه، فإذا أنا براكب قد طلع فسلم علينا فرددنا عليه السلام، فقال: أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلكم هذا ساعة؟ قلنا نعم، فتزل، وعرضت عليه طعامنا وشرابنا فأجاب، فقدمنا إليه السفرة فأكل وشرب معنا، واستعاد الصوت مراراً. ثم قال للجارية: أتغنين لدحمان شيئاً. قالت نعم. قال: فغنته أصواتاً من صنعتي، وغمزتها ألا تعرفه أي دحمان، فطرب وامتلاً سروراً وشرب أقداحاً والجارية تغنيه حتى قرب وقت الرحيل، فأقبل علي وقال: أتبعيني هذه الجارية؟ فقلت نعم، قال: بكم؟ قلت كالعابث: بعشرة آلاف دينار، قال: قد أخذتها بها، فهلم دواة وقرطاساً، فكتب: ادفع إلى حامل كتابي هذا حين تقرأه عشرة آلاف دينار، واستوص به خيراً وأعلمني بمكانه وختم الكتاب ودفعه إلي، ثم قال: أندفع إلي الجارية أم تمضي بها معك حتى تقبض مالك. فقلت: بل أدفعها إليك، فحملها وقال: إذا جئت البخراء فسل عن فلان

وإدفع كتابي هذا إليه واقبض منه مالك، ثم انصرف بالجارية. قال: ومضيت، فلما وردت البخراء سألت عن اسم الرجل، فدللت عليه، فإذا داره دار ملك، فدخلت عليه ودفعت إليه الكتاب، فقبله ووضعته على عينيه، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إلي، وقال: هذا كتاب أمير المؤمنين، وقال لي اجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك، فقلت له: حيث كنت فأنا عبدك وبين يديك، وقد كان أمر لي بأنزال وكان بخيلاً، فاغتنمت ذلك فارتحلت، وقد كنت أصبت بجملين، وكانت عدة أجمالي خمسة عشر فصارت ثلاثة عشر. قال: وسأل عني الوليد، فلم يدر القهرمان أين يطلبني، فقال له الوليد: عدة جماله خمسة عشر جملاً فأرده إلي، فلم أوجد، لأنه لم يكن في الرفقة من معه خمسة عشر جملاً، ولم يعرف اسمي فيسأل عني. قال: وأقامت الجارية عنده شهراً لا يسأل عنها، ثم دعاها بعد أن استبرئت وأصلح من شأنها، فظل معها يومه، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها: غنيبي لدحمان فغنت، وقال لها: زيديني فزادت. ثم قبلت عليه فقالت: يا أمير المؤمنين، أو ما سمعت غناء دحمان منه؟ قال لا، قالت: بلى والله قال: أقول لك لا، فتقولين بلى والله! فقالت: بلى والله لقد سمعته قال: وما ذاك. ويحك! قالت: إن الرجل الذي اشتريته منه هو دحمان، قال: أو ذلك هو. قالت: نعم، هو هو قال: فكيف لم أعلم؟ قالت: غمزني بألا أعلمك. فأمر فكتب إلى عامل المدينة بأن يحمل إليه دحمان، فحمل فلم يزل عنده أثراً. أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا ابن جامع قال: تذاكروا يوماً كبار الأيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القول، ثم قال بعضهم: إنما يكون كبير أير، الرجل على قدر حر أمه، فالتفت الأمير إلى دحمان فقال: يا دحمان، كيف أيرك؟ فقال له: أيها الأمير، أنت لم ترد أن تعرف كبير أيري، وإنما أردت أن تعرف مقدار حر أمي. وكان دحمان طيباً ظريفاً. أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: أول ما عرف من ظرف دحمان أن رجلاً مر به يوماً، فقال له: أير حماري في حر أمك يا دحيم، فلم يفهم ما قاله، وفهمه رجل كان حاضراً معه فضحك، فقال: مم ضحكك؟ فلم يخبره، فقال له: أفسمت عليك إلا أخبرتني، قال: إنه شتمك فلا أحب استقبالك بما قاله لك، فقال: والله لتخبرني كائناً ما كان، فقال له: قال: كذا وكذا من حماري في حر أمك، فضحك ثم قال: أعجب والله وأغلظ علي من شتمه كنائتك عن أير حماره وتصريحك بحر أمي لا تكني. أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو خالد يزيد بن محمد المهلي قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثنا عبدالله بن الربيع المديني قال حدثني الربيعي المغني قال: قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة: اغدوا على قصري بالعقيق غداً وكنت أنا ودحمان وعطرد، فغدوت للموعد، فبدأت بمزلة دحمان وهو في جهينة، فإذا هو وعطرد قد اجتمعا على قدر يطبخاها، وإذا السماء بغش، فأذكرهما الموعد، فقالا: أما ترى يومنا هذا ما أطيبه! اجلس حتى نأكل من هذه القدر ونصيب شيئاً ونستمتع من هذا اليوم، فقال: ما كنت لأفعل مع ما تقدم الأمير به إلي، فقالا لي: كأنا بالأمير قد انحل

عزمه، وأخذك المطر إلى أن تبلغ، ثم رجع إلينا مبتلاً فتقرع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذ. قال: فلم ألتفت إلى قولهما ومضيت، وإذا جعفر مشرف من قصره والمضارب تضرب والقذور تنصب، فلما كنت بحيث يسمع.

وأستصحب الأصحاب حتى إذا ونوا وملوا من الإدلاج جئتم وحدي

قال: وما ذاك. فأخبرته، فقال: يا غلام، هات مائتي دينار أو أربعمئة دينار الشك من إسحاق الموصلني فانثرها في حجر الربيعي، اذهب الآن فلا تحل لها عقدة حتى تريهما إياها فقلت: وما في يدي من ذلك! يأتيانك غدا فتلقهما بي قال: ما كنت لأفعل، قلت: فلا أمضي حتى تحلف لي أنك لا تفعل، فحلف. فمضيت إليهما، فقرعت الباب فصاحا وقالا: ألم نقل لك إن هذه تكون حالك، فقلت: كلا فأريتهما الدنانير فقالا: إن الأمير لحي كريم، ونأتيه غدا فنعتذر إليه فيدعوه كرمه إلى أن يلحقنا بك، فقلت: كذبتكما أنفسكما، والله إني قد أحكمت الأمر ووكدت عليه الأيمان ألا يفعل، فقالا: لا وصلتك رحم.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن منصور بن أبي مزاحم قال أخبرني عبد العزيز بن الماحشون قال: صلينا يوماً الصبح بالمدينة، فقال قوم: قد سال العقيق، فخرجنا من المسجد مبادرين إلى العقيق، فأنتهينا إلى العرصة، فإذا من وراء الوادي قبالتنا دحمان المعى وابن جندب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو:

أسكن البدو ما سكنت ببدو فإذا ما حضرت طاب الحضور

وإذا أطيّب صوت في الدنيا. قال: وكان أخي يكره السماع، فلما سمعه طرب طرباً شديداً وتحرك وكان لغناء دحمان أشد استحساناً وحركة وارتياحاً فقال لي: يا أخي، اسمع إلى غناء دحمان، والله لكأنه يسكب على الماء زيتاً.

أوحش الجنبذان فالدير منها فقرأها فالمنزل المحذور

أسكن البدو ما أقمت ببدو فإذا ما حضرت طاب الحضور

أي عيش أذه لست فيه أوترى نعمة به وسرور

الشعر لحسان بن ثابت. والغناء لابن مسجح رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن عبد الرحمن عن أبي عثمان البصري قال: قال دحمان: دخلت على الفضل بن يحيى ذات يوم، فلما جلسنا، قام وأوماً إلي فقم، فأخذ بيدي ومضى بي إلى منظره له على الطريق، ودعا بالطعام فأكلنا، ثم صرنا إلى الشراب، فبينما نحن كذلك إذ مرت بنا جارية سوداء حجازية تغني:

كيفما شئت فكوني

ني وإن لم تخبريني

اهجريني أو صليني

أنت والله تحبي

فطرب وقال: أحسنت! ادخلي فدخلت، فأمر بطعام فقدم إليها فأكلت، وسقاها أقداحاً، وسألها عن موالها فأخبرته، فبعث، فاشترها، فوجدها من أحسن الناس غناء وأطيبهم صوتاً وأملحهم طبعاً فغلبتني عليه مدة وتناساني فكتبت إليه:

أخرجت السوداء ماكان في قلبك لي من شدة الحب
فإن يدم ذا منك لأدام لي مت من الإعراض والكرب

قال: فلما قرأ الرقعة ضحك، وبعث فدعاني ووصلني، وعاد إلى ما كان عليه من الأنس. قال مؤلف هذا الكتاب: هكذا أخبرنا ابن المرزبان بهذا الخبر، وأظنه غلطاً لأن دحمان لم يدرك خلافة الرشيد، وإنما أدركها ابنه زبير وعبدالله، فإما أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى.

وإني لآتي البيت ما إن أحبه وأغضي على أشياء منكم تسوءني
وأكثر هجر البيت وهو حبيب وأدعى إلى ماسركم فأجيب
وأحبس عنك النفس والنفس صبة بقربك والممشى إليك قريب

الشعر للأحوص. والغناء لدحمان ثقل أول. وقد تقدمت أخبار الأحوص ودحمان فيما مضى من الكتاب.

حبيا خولة مني بالسلام لا يكن وعدك برقاً خلباً
درة البحر ومصباح الظلام كاذباً يلمع في عرض الغمام
واذكرني الوعد الذي واعدتنا ليلة النصف من الشهر الحرام

الشعر لأعشى همدان. والغناء لأحمد النصبي، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وعروضه من الرمل. والخلب من البرق: الذي لا غيث معه ولا ينتفع بسحابه. وتضرب المثل به العرب لمن أخلف وعده، قال الشاعر:

لا يكن وعدك برقاً خلباً إن خير البرق ما الغيث معه

وعرض السحابة: الناحية منها.

أخبار أعشى دحمان ونسبه

اسمه عبد الرحمن بن عبدالله بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحر بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن نزار بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويكنى أبا المصباح، شاعر فصيح، كوفي، من شعراء الدولة الأموية. وكان زوج أخت الشعبي الفقيه، والشعبي زوج أخته. وكان أحد الفقهاء القراء، ثم ترك

ذلك وقال الشعر، وأخى أحمد النصبي بالعشيرية والبلدية، فكان إذا قال شعراً غنى فيه أحمد. وخرج مع ابن الأشعث، فأتي به الحجاج أسيراً في الأسرى، فقتله صبراً.

أخبرني بما أذكره من جملة أخباره الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحسن بن عليل العتري عن !محمد بن معاوية الأسدي أنه أخذ أخباره هذه عن ابن كناسة عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية وعن غيرهم، من رواية الكوفيين. قال حدثنا عمر بن شبة وأبو هفان جميعاً عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمداني. قال العتري: وأخذت بعضها من رواية مسعود بن بشر عن الأصمعي. وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرته مفرداً.

أخبرني المهلي أبو أحمد حبيب بن نصر وعلي بن صالح قال حدثنا عمر بن شبة وأبو هفان جميعاً عن إسحاق الموصلي عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عياش الهمداني قال: كان الشعبي عامر بن شراحيل زوج أخت أعشى همدان، وكان أعشى همدان زوج أخت الشعبي. فأتاه أعشى همدان يوماً، وكان أحد القراء للقرآن، فقال له: إني رأيت كأني أدخلت بيتاً فيه حنطة وشعير، وقيل لي: خذ أيهما شئت، فأخذت الشعيرة فقال: إن صدقت رؤياك تركت القرآن وقراءته وقلت الشعر فكان كما قال: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحسن بن عليل العتري عن محمد بن معاوية الأسدي عن ابن كناسة، قال العتري وحدثني مسعود بن بشر عن أبي عبيدة والأصمعي قال، رافق روايتهم الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال: كان أعشى همدان أبو المصبح ممن أغراه الحجاج بلد الديلم ونواحي دسيتي، فأسر، فلم يزل أسيراً في، أيدي الديلم مدة. ثم إن بنتا للعلج الذي أسره هويته، وصارت إليه ليلاً فمكنته من نفسها، فأصبح وقد واقعها ثمان مرات، فقالت له الديلمية: يا معشر المسلمين، أهكذا تفعلون بنسائكم. فقال لها: هكذا نفعل كلنا فقالت له: بهذا العمل نصرتم، أفرأيت إن خلصتك، أتصطفيني لنفسك؟ فقال لها نعم، وعاهدها. فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت به طرقاتاً تعرفها حتى خلصته وهربت معه. فقال شاعر من أسرى المسلمين:

فهمدان تقديها الغداة أيورها

فمن كان يفديه من الأسر ماله

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم:

عوم السفين إذا تقاعس مجذف

لمن الظعائن سيرهن ترجف

نخل بيثرب طلعه متضعف

مرت بذى خشب كأن حملها

غنى في هذين البيتين أحمد النصبي، ولحنه خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكي. وفيهما لمحمد الزف خفيف رمل بالوسطى عن عمرو:

وبخر أكسية العراق تحفف

عولين ديباجاً وفاخر سندس

فتل المرافق بالهوادج دلف

وغدت بهم يوم الفراق عرامس

بان الخليط وفاتني برحيله
تجلو بمسواك الأراك منظماً
وكأن ريقته على علل الكرى
وكأنما نظرت بعيني ظبية
وإذا تتوء إلى القيام تدافعت
ثقلت روادفها ومال بخصرها
ولها ذراعاً بكر رحيبة

خود إذا ذكرت لقلبك يشغف
عذبا إذا ضحكت تهلل ينطف
عسل مصفى في القلال وقرقف
"تحنو على خشف لها وتعطف
مثل النزيف ينوء ثم يضعف
كفل كما مال النقا المتقصف
ولها بنان بالخضاب مطرف

وعوارض مصقولة وترائب
ولها بهاء في النساء وبهجة
تلك التي كانت هواي وحاجتي
وإذا تصنك من الحوادث نكبة
ولئن بكيت من الفراق صباة
عجباً من الأيام كيف تصرفت
أصبحت رهناً للعدة مكبلاً
بين القليسم فالقيول فحامن

بيض وبطن كالسبيكة مخطف
وبها تحل الشمس حين تشرف
لو أن داراً بالأحبة تسعف
فاصبر فكل مصيبه ستكشف
إن الكبير إذا بكى ليعنف
والدار تدنو مرة وتقذف
أمسي وأصبح في الأدهم أرسف
فاللهزمين ومضجعي متكف

هذه أسماء مواضع من بلد الديلم تكنفته الهموم بها

فجبال ويمة ما تزال منيفة

ويممة وشلبة: ناحيتان من نواحي الري:

ولقد أراني قبل ذلك ناعماً

واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي

ولقد تضر سني الحروب وإنني

أتسر بل الليل البهيم وأستري

ما إن أزال مقنعاً أو حاسراً

يا ليت أن جبال ويمة تتسف

جذلان آبي أن أضام وأنف

وأنا امرؤ بادي الأشاجع أعجف

ألفى بكل مخافة أتعسف

في الخبت إذ لا يسترون وأوجف

سلف الكتيبة والكتيبة وقف

فأصابني قوم فكنت أصيبهم
 إني لطلاب الترات مطلب
 باق على الحدثان غير مكذب
 إن نلت لم أفرح بشيء نلته
 إني لأحمي في المضيق فوارسي
 وأشد إذ يكبو الجبان وأصطلي
 فلئن أصابتنني الحروب فربما
 ولربما يروى بكفي لهزم
 وأغير غارات وأشهد مشهداً
 وأرى مغانم لوأشياء حويتها
 فإلآن أصبر للزمان وأعرف
 وبكل أسباب المنية أشرف
 لا كاسف بالي ولا متأسف
 وإذا سبقت به فلا أتلّهب
 وأكر خلف المستضاف وأعطف
 حر الأسنة والأسنة ترعف
 أدعى إذا منع الرداف فأردف
 ماض ومطرّد الكعوب مثقف
 قلب الجبان به يطير ويرجف
 فيصدني عنها غنى وتعفف

غنى في هذه الأبيات دحمان، ولحنه ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي. قال الهشامي: فيها لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى، ووافقه في هذا ابن المكي قالوا جميعاً: ثم ضرب البعث على جيش أهل الكوفة إلى مكران، فأخرجه الحجاج معهم، فخرج إليها وطال مقامه بها ومرض، فاجتواها وقال في ذلك - وأنشدني بعض هذه القصيدة اليزيدي عن سليمان بن أبي شيخ:

طلبت الصبا إذ علا المكبر
 وبان الشباب ولذاته
 وقال العواذل هل ينتهي
 وفي أربعين توفيتها
 وموعظة لأمريء حازم
 فلاتأسفن على ما مضى
 فإن الحوادث تبلي الفتى
 فيوماً يساء بما نابيه
 ومن كل ذلك يلقى الفتى
 كأنني لم أرتحل جسرة
 فأجشمها كل ديمومة
 وشاب القذال وما تقصر
 ومثلك في الجهل لا يعذر
 فيقدعه الشيب أو يقصر
 وعشر مضت لي مستبصر
 إذا كان يسمع أو يبصر
 ولا يحزننك ما يدبر
 وإن الزمان به يعثر
 ويوماً يسر فيسبشر
 ويمنى له منه ما يقدر
 ولم أجفها بعد ما تضر
 ويعرفها البلد المقفر

ولم أشهد البأس يوم الوغى
ولم أخرق الصف حتى تميل
وتحتى جرداء خيفانة
أطاعن بالرمح حتى اللبان
وما كنت في الحرب إذ شمريت
ولكنني كنت ذا مرة
فإن أمس قد لاح في المشيب

علي المفاضة والمغفر
دارعة القوم والحسر
من الخيل أو سابح مجفر
يجري به العلق الأحمر
كمن لا يذيب ولا يخثر
عطوفا إذا هتف المحجر
أم البنين، فقد أذكر

رخاء من العيش كنا به
وإذ أنا في عنفوان الشبا
أصيد الحسان ويصطدني
وبيضاء مثل مهاة الكنب
كأن مقلدها إذ بدا
مقلد أدماء نجدية
كأن جنى النحل والزنجبي
يصب على برد أنيابها
إذا انصرفت وتلوت بها
وغض السوار وجال الوشاح
وضاق عن الساق خلخالها
فتور القيام رقيم الكلا
وتتمى إلى حسب شامخ
فتلك التي شفني حبها
فلا تعذلاني في حبها

إذ الدهر خال لنا مصر
ب يعجبني اللهو والسمر
وتعجبني الكاعب المعصر
لا عيب فيها لمن ينظر
به الدر والشذر والجوهر
يعن له شادن أحور
ل والفارسية إذ تعصر
مخالطه المسك والعنبر
رقاق المجاسد والمئزر
على عكن خصرها مضمر
فكاد مخمها ينمر
م يفزعها الصوت إذ تزجر
فليست مجذب إذ تفخر
وحملني فوق ما أقدر
فإني بمعصرة أجدر

ومن ها هنا رواية البيهقي:-

وقولا لذي طرب عاشق:

بكوفية أصلها بالفرا

وأنت تسير إلى مكران

ولم تك من حاجتي مكران

وخبرت عنها ولم اتها

بأن الكثير بها جائع

وأن لحى الناس من حرها

ويزعم من جاءها قبلنا

أعوذ بربي من المخزيا

وحدثت أن مالنا رجعة

إلى ذاك ما شاب أبناؤنا

وما كان بي من نشاط لها

ولكن بعثت لها كارهاً

فكان النجاء ولم ألتفت

هو السيف جرد من غمده

وكم من أخ لي مستأنس

يودعني وانتحت عبرة

فلست بلاقيه من بعدها

وقد قيل إنكم عابرو

إلى السند والهند في أرضهم

وما رام غزوا لها قبلنا

ولا رام سابور غزوا لها

ومن دونها معبر واسع

أشط المزار بمن تذكر؟

ت تبدو هنالك أو تحضر

فقد شحط الورد والمصدر

ولا الغزو فيها ولا المتجر

فما زلت من ذكرها أذعر

وأن القليل بها مقتر

تطول فتجلم أو تضفر

بأننا سنسهم أو ننحر

ت فيما أسر وما أجهر

سنين ومن بعدها أشهر

وباد الأخلاء والمعشر

وإني لذو عدة موسر

وقيل انطلق كالذي يؤمر

إليهم وشرهم منكر

فليس عن السيف مستأخر

يظل به الدمع يستحسر

له كالجداول أو أغزر

يد الدهر ما هبت الصرصر

ن بحر الها لم يكن يعبر

هم الجن لكنهم أنكر

أكابر عاد ولا حمير

ولا الشيخ كسرى ولا قيصر

وأجر عظيم لمن يؤجر

وذكر محمد بن صالح بن النطاح أن هشام بن محمد الكلبي حدث عن أبيه: أن أعشى همدان كان مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي بالري ودستي، وكان الأعشى شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم، فلما قدم خالد من مغزاه خرج جواريه يتلقينه وفيهن أم ولد له كانت رفيعة القدر عنده، فجعل الناس يمرون عليها إلى أن جاز بها الأعشى وهو على فرسه يميل يمينا ويساراً من النعاس فقالت أم ولد خالد بن عتاب لجواريه: إن امرأة خالد لتفاحرن بأبيها وعمها وأخيها، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش! وسمعتها الأعشى فقال: من هذه؟ فقال له بعض الناس: هذه جارية خالد فضحك وقال لها: إليك عني يا لكعاء ثم أنشأ يقول:

وما يدريك ما فرس جرور	وما يدريك ما حمل السلاح
وما يدريك ما شيخ كبير	عداه الدهر عن سنن المراح
فأقسم لو ركبت الورد يوماً	وليلته إلى وضح الصباح
إذا نظرت منك إلى مكان	كسحق البرد أو أثر الجراح

قال: فأصبحت الجارية فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى، فقالت: والله ما تكرم، ولقد اجترى عليك فقال لها: وما ذاك؟ فأخبرته أنها مرت برجل في وجه الصبح، ووصفته له وأنه سبها، فقال: ذلك أعشى، همدان، فأبي شيء قال لك. فأنشدته الأبيات. فبعث إلى الأعشى، فلما دخل عليه قال له: ما تقول. هذه زعمت أنك هجوتها، فقال: أسأت سمعاً، إنما قلت:

مررت بنسوة متعطرات	كضوء الصبح أوبيض الأداحي
على شقر البغال فصدن قلبي	بحسن الدل والحدق الملاح
فقلت من الظباء فقلن سرب	بدالك من ظباء بني رياح

فقالت: لا والله، ما هكذا قال، وأعادت الأبيات فقال له خالد: أما إنها لولا أنها قد ولدت مني لوهبتها لك، ولكنني أفتدي جنائيتها بمثل ثمنها، فدفعه إليه وقال له: أقسمت عليك يا أبا المصبح ألا تعيد في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرط منك.

وذكر هذا الخبر العتري في روايته التي قدمت ذكرها، ولم يأت به على هذا الشرح. وقال هو وابن النطاح جميعاً: وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمينه إياه ويعد به: إن وليت عملاً كان لك ما دون الناس جميعاً، فمتى استعملت فخذ خاتمي واقض في أمور الناس كيف شئت. قال: فاستعمل خالد على أصبهان وصار معه الأعشى، فلما وصل إلى عمله جفاه وتناساه، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه:

تمنيني إمارتها تميم	وما أمني بأمر بشي تميم
وكان أبوسليمان أخاً لي	ولكن الشراك من الأديم

أتينا أصبهان فهزلتنا
 أتذكرنا ومرة إذغزونا
 ويركب رأسه في كل وحل
 وليس عليك إلاطيلسان
 فقد أصبحت في خزوقز
 وتحسب أن تلقاها زمانا
 وكنا قبل ذلك في نعيم
 وأنت على بغيلك ذي الوشوم
 ويعترف في الطريق المستقيم
 نصيبي والإسحق نيم
 تبختر ماترى لك من حميم
 كذبت ورب مكة والحطيم

هذه رواية ابن النطاح، وزاد العتري في روايته -:

وكانت أصبهان كخير أرض
 ولكننا أتيناها وفيها ذوو
 فأنكرت الوجوه وأنكرتني
 وكان سفاهة مني وجهلاً
 فلو كان ابن عتاب كريماً
 وكيف رجاء من غلبت
 لمغترب وصعلوك عديم
 لأضغان والحدق القديم
 وجوه ماتخير عن كريم
 مسيري لا أسير إلى حميم
 سما لرواية الأمر الجسيم
 عليه تتائي الدار كالرحم العقيم

قال ابن النطاح: فبعث إليه خالد: من مرة هذا الذي ادعيت أني وأنت غزونا معه على بغل ذي وشوم؟ ومتى كان ذلك. ومتى رأيت علي الطيلسان والنيم اللذين وصفتهما؟ فأرسل إليه: هذا كلام أردت وصفك بظاهره، فأما تفسيره، فإن مرة مرارة مرة ما غرست عندي من القبيح. والبغل المركب الذي ارتكبته مني لا يزال يعثر بك في كل وعث وجدد ووعر وسهل. وأما الطيلسان فما ألبسك إياه من العار والذم وإن شئت راجعت الجميل فراجعته لك، فقال: لا، بل أراجع الجميل وتراجعه فوصله بمال عظيم وترضاه. هكذا روى من قدمت ذكره. أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: لما ولي خالد بن عتاب بن ورقاء أصبهان، خرج إليه أعشى همدان، وكان صديقه وجاره بالكوفة، فلم يجد عنده ما يحب، وأعطى خالد الناس عطايا فجعله في أقلها وفضل عليه آل عطار، فبلغه عنه أنه ذمه فحبسه مدة ثم طلقه، فقال يهجو:

وما كنت ممن ألجأته خصاصة
 ولكنها الأطماع وهي مذلة
 دنت بي وأنت النازح المتباعد
 تلاحظني شزراً وأنفك عاقد
 فأفانك لاكابي فزارة فاعلمن
 إليك ولا ممن تغر المواعد

ولامدرك ما قد خلا من نداهما
وإنك لو ساميت آل عطار
أبوك ولاحوضيهما أنت وارد
لبذتك أعناق لهم وسواد

ومأثرة عادية لن تنالها
وهل أنت إلا ثعلب في ديارهم
وبيت رفيع لم تخنه القواعد
أرى خالداً يختال مشياً كأنه
تشل فتغسا أو يقودك قائد
وما كان يربوع شبيها لدارم
من الكبرياء نفشل أو عطار
وما عدلت شمس النهار الفراق

قالوا: ولما خرج ابن الأشعث على الحجاج بن يوسف حشد معه أهل الكوفة، فلم يبق من وجوههم وقرائهم أحد له نباهة إلا خرج معه لثقل وطأة الحجاج عليهم. فكان عامر الشعبي وأعشى همدان ممن خرج معه، وخرج، أحمد النضبي أبو اسامة الهمداني المغني مع الأعشى لالفته إياه، وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه، ولا يزال يحرض أهل الكوفة بأشعاره على القتال، وكان مما قاله في ابن الأشعث يمدحه:

يأبى الإله وعزة ابن محمد
أن تأنسوا بمذممين، عروقه
وجدود ملك قبل آل ثمود
كم من أب لك كان يعقد تاجه
في الناس إن نسبوا عروق عبيد
وإذا سألت: المجد أين محله
بجبين أبلج مقول صنديد
بين الأشج وبين قيس باذخ
أخلاق مكرمة وإرث جدود
ماقضرت بك أن تنال مدى العلا
أعراق مجد طارف وتليد
همدان تحت لوائه المعقود
أشد الإباء سمعن زراً أسود
بكهول صدق سيد ومسود
في كل ملحمة بروق رعود
في المكرمات ولا ترى كسعيد

وقال حماد الراوية في خبره: كانت لأعشى همدان مع ابن الأشعث مواقف محمودة وبلاء حسن وآثار مشهورة، وكان الأعشى من أخواله، لأن أم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أم عمرو بنت سعيد بن قيس الهمداني. قال:

فلما صار ابن الأشعث إلى سجستان جى مالا كثيرا، فسأله أعشى همدان أن يعطيه منه زيادة على عطائه فمنعه، فقال الأعشى في ذلك:

هل تعرف الدار عفا رسمها	بالحضر فالروضة من آمد
دار لخود طفلة رودة	بانث فأمسى حبها عامدي
بيضاء مثل الشمس رقراقة	تنسم عن في اشتر بارد
لم يخط قلبي سهمها إذ رمت	يا عجا من سهمها القاصد
يأيها القزم الهجان الذي	ينطش بطش الأسد اللابد
والفاعل الفعل الشريف الذي	ينمى إلى الغائب والشاهد
كم قد اسدي لك من مدحه	تروى مع الصادر والوارد
وكم أجبنا لك من دعوة	فاعرف فما العارف كالجاحد
نحن حميناك وما تحتمي	في الروع من مثني ولا واحد
يوم انتصرنا لك من عابد	ويوم أنجيناك من خالد
ووقعة الري التي نلتها	بجحفل من جمعنا عاقد
وكم لقينا لك من واطر	يصرف نابي حنق حارد
ثم وطنناه بأقدامنا	وكان مثل الحية الراصد
إلى بلاء حسن قد مضى	وأنت في ذلك كالزاهد
فاذكر أبادينا وآلاءنا	بعوده من حلمك الراشد
ويوم الأهواز فلا تنسه	ليس النثا والقول بالبائد
إننا لنرجوك كما نرتجي	صوب الغمام المبرق الراعد
فانفخ بكفيك وما ضمنا	وافعل فعال الشيد الماجد
ما لك لا تعطي وأنت امرؤ	مثر من الطارف والتالد
تجبي سجستان وما حولها	متكئا في عيشك الراغد
لاترهب الدهر وأيامه	وتجرد الأرض مع الجارد
إن يك مكروه تهجنا له	وأنت في المعروف كالراقد

ثم ترى أنا سنرضى بذا
 وحرمة البيت وأستاره
 تلك لكم أمنية باطل
 ما أنا إن هاجك من بعدها
 ولا إذا ناطوك في حلقة
 فأعط ما أعطيته طيباً
 نحن ولدناك فلا تجفن
 إن تك من كندة في بيتها
 شم العرائين وأهل الندى
 كم فيهم من فارس معلم
 وراكب للهول يجتابه
 أو ملأ يشفى بأحلامهم
 لم يجعل الله بأحسابنا
 ورب خال لك، في قومه
 يحتضر البأس وما يبتغى
 والطعن بالرأية مستمكناً
 فارتح لأخوالك واذكرهم
 فإن أخوالك لم يبرحوا
 لم يخلوا يوماً ولم يجبنوا
 ورب خال لك في قومه
 معترف للرزء في ماله
 كلا ورب الراكع الساجد
 ومن به من ناسك عابد
 وغفوة من حلم الراقد
 هيج بآتيك ولا كابد
 بحامل عنك ولا فاقد
 لا خير في المنكود والناكد
 والله قد وصاك بالوالد
 فإن أخوالك هن حاشد
 ومنتهى الضيخان والرائد
 وسائس للجيش أو قائد
 مثل شهاب القبس الواقع
 من سفه الجاهل والمارد
 نقصا وما الناقص كالزائد
 فرع طويل الباع والساعد
 سوى إيسار البطل الناجد
 في الصف في العادية الناهد
 وراحمهم للسلف العائد
 يربون بالرشد على الرافد
 في السلف الغافي ي ولا القاعد
 حمال أثقال لها واجد
 والحق للسائل والعامد

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي، وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي، وذكره العتري عن أصحابه، قالوا جميعاً: خرج أعشى همدان إلى الشام في ولاية مروان بن الحكم، فلم ينل فيها حظاً فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حمص، فشكا إليه حاله، فكلّم له النعمان بن بشير اليمانية وقال لهم: هذا شاعر اليمن ولسانها، واستماحهم له، فقالوا: نعم، يعطيه كل رجل منا دينارين من

عطائه، فقال: لا، بل أعطوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك معجلاً، فقالوا: أعطه إياه من بيت المال واحتسبها على كل رجل من عطائه، ففعل النعمان وكانوا عشرين ألفاً فأعطاه عشرين ألف دينار وارتجعها منهم عند العطاء. فقال الأعشى يمدح النعمان:

ولم أر للحاجات عند التماسها
كنعمان نعمان الندى ابن بشير
إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن
كمدلٍ إلى الأقوام حبل غرور
متى أكفر النعمان لم ألف شاكراً
وماخير من لا يقتدي بشكور
فلولا أخو الأنصار كنت كنزلاً
ثوى ماثوى لم ينقلب بنقير

وقال الهيثم بن عدي في خبره: حاصر المهلب بن أبي صفرة نصيبين، وفيها أبو قارب يزيد بن أبي صخر ومعه الخشبية فقال المهلب: يا أيها الناس، لا يهولنكم هؤلاء القوم فإنما هم العبيد بأيديها العصي. فحمل عليهم المهلب وأصحابه فلقوهم بالعصي فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم. ففسد المهلب رجلاً من عبد القيس إلى يزيد بن أبي صخر ليغتاله، وجعل له على ذلك جعلاً سنياً قال الهيثم: بلغني أنه أعطاه مائتي ألف درهم قبل أن يمضي ووعدته بمثلها إذا عاد فاندس له العبدى فاغتاله فقتله وقتل بعده. فقال أعشى همدان في ذلك:

يسمون أصحاب العصي وما أرى
مع القوم إلا المشرفية من عصا
ألا أيها الليث الذي جاء حانراً
وألقى بنا جرمى الخيام وعرصا
أتحسب غزو الشام يوماً وحربه
كبيض ينظم الجمان المفصصا
وسيرك بالأهواز إذ أنت امنٌ
وشربك ألبان الخلايا المقرصا
فأقسمت لا تجبي لك الدهر درهماً
نصيبون حتى تبتلَى وتمحصا
ولا أنت من أثوابها الخضر لابسٌ
ولكن خشباً شداداً ومشقصا
فكم رد من ذي حاجة لا ينالها
جديع العتيك رده الله أبرصا

وشيد بنياناً وظاهر كسوة
وطال جديع بعد ما كان أوقصا

تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة. والأبيات التي كان فيها الغناء المذكور معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من همدان يقال لها جزلة، هكذا رواه الكوفيون، وهو الصحيح. وذكر الأصمعي أنها خولة، هكذا رواه في شعر الأعشى.

فذكر العتري في أخبار الأعشى المتقدم إسنادها: أنها كانت عند الأعشى امرأة من قومه يقال لها أم الجلال،

فطالت مدتها معه وأبغضها، ثم خطب امرأة من قومه يقال لها جزلة وقال الأصمعي: حولة فقالت له: لا، حتى تطلق أم الجلال فطلقها وقال في ذلك:

تقادم ودك أم الجلال	فطاشت نبالك عند النضال
وطال لزومك لي حقبةً	فرثت قوى الحبل بعد الوصال
وكان الفؤاد بهامعجباً	فقد أصبح اليوم عن ذاك سالي
صحا لا مسيئاً ولا ظالماً	ولكن سلاسوةً في جمال
ورضت خلائفنا كلها	ورضنا خلائفكم كل حال
فأكيببتنا في الذي بيننا	تسومينني كل أمر عضال
وقدتأمرين بقطع الصديق	وكان الصديق لنا غير قالي
وإتيان ما قد تجنبته	وليداً ولمت عليه رجالي
أفالיום أركبه بعد ما	علا الشيب مني صميم القذال
لعمر أبيك لقد خلنتني	ضعيف القوى أوشديد المحال
هلمي أسألي نائلاً فانظري	أأحرمك الخير عند السؤال
ألم تعلمي أنني مغرقٌ	نماني إلى المجد عمي وخالي
وأنني إذا ساعني منزلٌ	عزمت فأوشكت منه ارتحالي
فبعض العتاب، فلاتهلكي	فلا لك في ذاك خيرٌ ولالي
فلما بدا لي منها البذا	ء صبحتها بثلاث عجال
ثلاثاً خرجن جميعاً بها	فخلينها ذات بيتٍ ومال
إلى أهلها غير مخلوعةٍ	ومامسها عندنا من نكال
فأمست تحن حنين اللقا	ح من جزع إثر من لايبالي
فحني حنينك واستيقني	بأنا اطرحناك ذات الشمال
وأن لا رجوع فلا تكذبي	ن ما حنت النيب إثر الفصل
ولا تحسبيني بأني ندم	ت كلا وخالقنا ذي الجلال

فقالت له أم الجلال: بئس والله بعل الحرة وقرين الزوجة المسلمة أنت! ويحك! أعددت طول الصحبة والحرمة ذنباً تسيني وتهجوني به! ثم دعت عليه أن يغضه الله إلى زوجته التي اختارها، وفارقت. فلما انتقلت إلى أهلها

وصارت جزلة إليه، ودخل بها لم يحظ عندها، ففركته وتنكرت له واشتد شغفه بها ثم خرج مع ابن الأشعث فقال فيها:

حبيا جزلة مني بالسلام	درة البحر ومصباح الظلام
لا تصدي بعد ود ثابت	واسمعي يا أم عيسى من كلامي
إن تدومي لي فوصلي دائم	أو تهمني لي بهجر أو صرام
أو تكوني مثل برق خلب	خادع يلمع في عرض الغمام
أو كتحليل سراب مغرض	بفلاة أو طروق في المنام
فاعلمي إن كنت لما تعلمي	ومتى ما تفعلي ذاك تلامي
بعد ما كان الذي كان فلا	تتبعي الإحسان إلا بالتمام
لا تناسي كل ما أعطيتني	من عهود ومواثيق عظام
واذكري الوعد الذي واعدتني	ليلة النصف من الشهر الحرام
فلئن بدلت أو خست بنا	وتجرات على أم صمام

أم صمام: الغدر والحنث:

لا تبالين إذا من بعدها	أبدأ ترك صلاة أو صيام
راجعي الوصل وردي نظرة	لا تلجي في طماح وأثام
وإذا أنكرت مني شيمة	ولقد ينكر ما ليس بدام
فاذكريها لي أزل عنها ولا	تسفي عينيك بالدمع السجام
وأرى حبلك رثا خلقاً	وحبالي جدداً غير رمام

عجبت جزلة مني أن رأيت	لمتي حفت بشيب كالثغام
ورأت جسمي علاه كبرة	وصروف الدهر قد أبليت عظامي
وصليت الحرب حتى تركت	جسدي نضواً كأشلاء اللجام
وهي بيضاء على منكبها	قطط جعد وميال سخام
وإذا تضحك تبدي حبياً	كرضاب المسك في الراح المدام
كملت ما بين قرن فإلى	موضع الخلخال منها والخدام

فأراها اليوم لي قد أحدثت

خلقاً ليس على العهد

أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعيد الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي: أنه أتى البصرة أيام ابن الزبير، فجلس في المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنف بن قيس فتذاكروا أهل الكوفة وأهل البصرة وفاخروا بينهم، إلى أن قال قائل من أهل البصرة: وهل أهل الكوفة إلا حولنا؟ استنقذناهم من عبيدهم! -يعني الخوارج-. قال الشعبي: فهجس في صدري أن تمثلت قول أعشى همدان:

وهزمت مرة آل عزل

أفخرتم أن قتلتم أعبداً

وجمعنا أمركم بعد فشل

نحن سقناهم إليكم عنوة

ما فعلنا بكم يوم الجمل

فإذا فاخرتمونا فاذكروا

وفتي أبيض وضاح رفل

بين شيخ خاضب عثونه

فذبحناء ضحى ذبح الحمل

جاءنا يرفل في سابغة

وكفرتكم نعمة الله الأجل

وعفونا فنسيتم عفونا

قال: فضحك الأحنف، ثم قال: يأهل البصرة، قد فخر عليكم الشعبي وصدق وانتصف، فأحسنوا مجالسته. أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتري قال حدثنا الرياشي عن أبي محلم عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال: بعث بشر بن مروان الزبير بن خزيمة الخثعمي إلى الري فلقية الخوارج بجلولاء، فقتلوا جيشه وهزموه وأبادوا عسكره، وكان معه أعشى همدان، فقال في ذلك:

ثم أوصاهم الأمير بسير

أمرت خثعم على غير خير

س وما تزجرون من كل طير

أين ماكنتم تعيفون للننا

عوغرتكم أمانى الزبير

ضلت الطير عنكم بجلولا

ن على فالج ثقال وعير

قدرنا أتيح لي من فلسطي

ي محل غزامع ابن نمير

خثعمي مغصص جزجمان

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال: سألت الأصمعي عن أعشى همدان فقال: هو من الفحول وهو إسلامي كثير الشعر ثم قال لي: العجب من ابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان قال:

أربح الله تجارته

من دعا لي غزيلي

نم قال: سبحان الله أمثل هذا يجوز على الأعشى؟ أن يجزم اسم الله عز وجل ويرفع تجارته وهو نصب. ثم قال لي خلف الأحمر: والله لقد طمع ابن دأب في الخلافة حين ظن أن هذا يقبل منه وأن له من الحل مثل أن يجوز مثل هذا. قال ثم قال: ومع ذلك أيضاً إن قوله: من دعا لي غزيلي لا يجوز، إنما هو: من دعا لغزيلي، ومن

دعا لبعير ضال.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي قال: أملق أعشى همدان فأتى خالد بن عتاب بن وزقاء فأنشده:

رأيت ثناء الناس بالقول طيباً
عليك وقالوا ماجدٌ وابن ماجد
بني الحارث الساميين للمجد، إنكم
بنيتم بناءً ذكره غير بائد
هنيئاً لما أعطاكم الله واعلموا
بأنّي ساطري خالداً في القصائد

فأن يك عتابٌ مضى لسبيله فما مات من يبقى له مثل خالد فأمر له بخمسة آلاف درهم.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان قال: قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربري ودخل عليه: أنشدني يا سابق شيئاً من شعرك تذكرني به فقال: أو خيراً من شعري؟ فقال: هات قال قال أعشى همدان:

وبينما المرء أمسى ناعماً جذلاً
في أهله معجباً بالعيش ذا أنق
غرا، أتيح له من حينه عرض
فما تلبث حتى مات كالصعق
ثمت أضحى ضحى من غب ثالثة
مقنعاً غير ذي روح ولا رمق

يبكى عليه وأدنوه لمظلمة
تغلى جوانبها بالترب والفلق
فماتزود مما كان يجمعه
إلاحنوطاً وماواراه من خرق
وغيرنفحة أعواد تشب له
وقل ذلك من زاد لمنطلق

قال: فبكى عمر حتى أخضل لحيته.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال: سأل أعشى همدان شجرة بن سليمان العبسي حاجةً فردّه عنها، فقال يهجوّه:

لقد كنت خياطاً فأصبحت فارساً
تعد إذا عد الفوارس من مضر
فإن كنت قد أنكرت هذا فقل كذا
وبين لي الجرح الذي كان قد دثر
وإصبعك الوسطى عليه شهيدة
وما ذاك إلا وخزها الثوب بالإبر

قال وكان يقال: إن شجرة كان خياطاً، وقد كان ولي للحجاج بعض أعمال السواد. فلما قدم على الحجاج قال له: يا شجرة، ارنى إصبعك أنظر إليها قال: أصلح الله الأمير، وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى صفة الأعشىة فخجل شجرة. فقال الحجاج لحاجبه: مر المعطي أن يعطى الأعشى من عطاء شجرة كذا وكذا. يا شجرة، إذا

أتاك امرؤ ذو حسب ولسان فاشتر عرضك منه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد الأزدي قال حدثنا أحمد بن عمرو الحنفي عن جماعة قال المبرد: أحسب أن أحدهم مؤرج بن عمرو السدوسي قالوا: لما اتى الحجاج بن يوسف الثقفي بأعشى همدان أسيراً، قال: الحمد لله الذي أمكن منك، ألسنت القائل:

بالسيد الغطريف عبد الرحمن

لما سفؤنا للكفور الفتان

ومن معد قد أتى ابن عدنان

سار بجمع كالقطا من قحطان

يوماً إلى الليل يسلي ما كان

أمكن ربي من ثقيف هفدان

كذابها الماضي وكذاب ثان

إن ثقيفا منهم الكذابان

أو لست القائل:

دة لا أبالي فيك عتبا

يابن الأشج قريع كن

س وأنت أعلى الناس كعبا

أنت الرئيس ابن الرئي

سف خرمن زلق فتبا

نبئت حجاج بن يو

يجلوبك الرحمن كربا

فانهض فديت لعله

ل يكبهن عليه كبا

وابعث عطية في الخيو

كلا يا عدو الله، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خر من زلق فتب، وحر وانكب، وما لقي ما أحب ورفع بها صوته واربد وجهه واهتز منكبه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمته نفسه وأرتعدت فرائصه. فقال له الأعشى بل أنا القائل أيها الأمير:

ويطفئ نار الفاسقين فتخمدا

أبى الله إلا أن يتم نوره

كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا

وينزل ذلاً بالعراق وأهله

علينا فولى جمعنا وتبددا

ومالبت الحجاج أن سل سيفه

حساما ملقى للحروب معودا

وما زاحف الحجاج إلا رأيته

ومزقهم عرض البلاد وشردا

فكيف رأيت الله فرق جمعهم

إذا ضمونها اليوم خاسوا بهاغدا

بمانكثوا من بيعة بعد بيعة

من القول لم تصعد إلى الله مصعدا

وما أحدثوا من بدعة وعظيمة

وأبرق منا العارضان وأرعدا

ولما دلفنا لابن يوسف ضلة

قطعنا إليه الخندقين وإنما
فصادمنا الحجاج دون صفوفنا
بجند أمير المؤمنين وخيله
ليهنيء أمير المؤمنين ظهوره
وجدنا بني مروان خير أئمة
وخير قریش في قریش أرومة
إذا ما تدبرنا عواقب أمرنا
سيغلب قوماً غالبوا الله جهرة
قطعناوأفضينا إلى الموت مرصدا
كفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
وسلطانه أمسى معاناً مؤيدا
على أمة كانوا بغاة وحسدا
وأعظم هذا الخلق حلماً وسوددا
وأكرمهم إلا النبي محمدا
وجدنا أمير المؤمنين المسددا
وإن كابدوه كان أقوى وأكيدا

كذلك يضل الله من كان قلبه
فقد تركوا الأموال والأهل خلفهم
يناديهم مستعبرات إليهم
وإلاتناولهن منك برحمة
تعطف أمير المؤمنين عليهم
لعلمهم أن يحدثوا العام توبة
لقد شمت يابن الأشعث العام مصرنا
كما شاء الله النجير وأهله
ضعيفا ومن والى النفاق وألحدا
وبيضاً عليهن الجلابيب خردا
ويذرين دمعا في الخدود وإثمدا
يكن سبايا والبعولة أعبدا
فقد تركوا أمر السفاهة والردى
وتعرف نصحا منهم وتوددا
فظلوا وما لاقوا من الطير أسعدا
بجدك من قد كان أشقى وأنكدا

فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها الأمير، فخل سبيله فقال: أتظنون أنه أراد المدح! لا والله! لكنه قال هذا أسفاً لغلبتكم إياه وأراد به أن يخرض أصحابه. ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدو الله أنك تخدعني بهذا الشعر وتنفلت من يدي حتى تنجو! ألسنت القائل! ويحك!.

وإذا سألت: المجد أين محله
بين الأغرويين قيس باذخ
والله لا تبخج بعدها أبداً. أو لست القائل:
وأصابني قومٌ وكنت أصيبهم
كذبت والله، ما كنت صبوراً ولا عروفاً. ثم قلت بعده:
فالمجد بين محمد وسعيد
بخ بخ لوالده وللمولود
فالיום أصبر للزمان وأعرف!

وإذ اتصبتك من الحوادث نكبةٌ

فاصبر فكل غيابة ستكشف

أما والله لتكونن نكبة لا تنكشف غيابتها عنك أبداً! يا حרسي، اضرب عنقه فضرب عنقه.
وذكر مؤرج السدوسي أن الأعشى كان شديد التحريض على الحجاج في تلك الحروب، فجال أهل العراق جولة ثم عادوا، فترل عن سرجه ونزعه عن فرسه، ونزع درعه فوضعها فوق السرج، ثم جلس عليها فأحدث والناس يرونه، ثم أقبل عليهم فقال لهم: لعلكم أنكرتم ما صنعت! قالوا: أو ليس هذا موضع نكير. قال: لا، كلكم قد سلح في سرجه ودرعه خوفاً وفرقاً، ولكنكم سترتموه وأظهرته فحمي القوم وقاتلوا أشد قتال يومهم إلى الليل، وشاعت فيهم الجراح والقتلى، وانهمز أهل الشام يومئذ، ثم عاودوهم من غد وقد نكأهم الحرب وجاء مدد من أهل الشام، فباكروهم القتال وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقتل ابن الأشعث. وقد حكيت هذه الحكاية عن أبي كلدة الشكري أنه فعلها في هذه الواقعة، وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني في أخبار أبي كلدة، وقد ذكر ما حكاه مع أخباره في موضعه من، هذا الكتاب.

النصي هو صاحب الأنصاب. وأول من غنى بها وعنه أخذ النصب في الغناء هو أحمد بن اسامة الهمداني، من رهط الأعشى الأذنين. ولم أجد نسبه متصلاً فأذكره. وكان يغني بالطنبور في الإسلام. وكان، فيما يقال، ينادم عبيد الله بن زياد سرّاً ويغنيه. وله صنعة كثيرة حسنة لم يلحقها أحد من الطنبريين ولا كثير ممن يغني بالعود. وذكره جحظة في كتاب الطنبريين فأتى من ذكره بشيء ليس من جنس أخباره ولا زمانه، وثلبه فيما ذكره. وكان مذهبه عفا الله عنا وعنه في هذا الكتاب أن يثلب جميع من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قدر عليه، وكان يجب عليه ضد هذا، لأن من أنتسب إلى صناعة، ثم ذكر متقدمي أهلها، كان الأجل به أن يذكر محاسن أخبارهم وظريف قصصهم ومليح ما عرفه منهم لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم. فكان فيما قرأت عليه من هذا الكتاب أخبار أحمد النصبي، وبه صدر كتابه فقال: أحمد النصبي أول من غنى الأنصاب على الطنبور وأظهرها وسيرها ولم يخدم خليفة ولا كان له شعر ولا أدب.

وحذثني جماعة من الكوفيين أنه لم يكن بالكوفة أبخل منه مع يساره، وأنه كان يفرض الناس بالربا، وأنه اغتص في دعوة دعي إليها بفالوذجة حارة فبلعها فجمعت أحشاءه فمات. وهذا كله باطل. أما الغناء فله منه صنعة في الثقل الأول وخفيف الثقل والثقل الثاني، ليس لكثير أحد مثلها. منها الصوت الفي تقدم ذكره هو قوله: حيا حولة مني بالسلام ومنها:

سلبت الجواري حفيهن فلم تدع

لسوراً ولا طوقاً على النحر مذهباً

وهو من الثقل الثاني، والشعر للعديل بن الفرخ، وقد ذكرت ذلك في أخباره. ومنها:

يأيها القلب المطيع الهوى

أنى اعتراك الطرب النازخ

وهو أيضا من الثقيل الثاني، وأصوات كثيرة نادرة تدل على تقدمه.
 وأما ما وصفه من بخله وقرضه للناس بالربا وموته من فالودجة حارة أكلها، فلا أدري من من الكوفيين حدثه
 بهذا الحديث، ليس يخلو من أن يكون كاذباً، أو نخل هو هذه الحكاية ووضعها هنا، لأن أحمد النصبي خرج مع
 أعشى همدان وكان قرابته وإلفه في عسكر ابن الأشعث، فقتل فيمن قتل. روى ذلك الثقات من أهل الكوفة
 والعلم بأخبار الناس، وذلك يذكر في جملة أخباره.
 أخبرنا محمد بن يزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، وذكره العتري في
 أخبار أعشى همدان المذكورة عنه عن رجاله المسفين قال: كان أحمد النصبي مواخياً لأعشى همدان مواصلاً له،
 فأكثر غناؤه في أشعاره مثل صنعتته في شعره:

حييا خولة مني بالسلام

ولمن الطعائن سيرهن ترجف

ويأبها القلب المطيع الهوى

وهذه الأصوات فلاتد صنعتته وغرر أغانيه. قال: وكان سبب قوله الشعر في سليم بن صالح بن سعد بن جابر
 العتري وكان منزل سليم ساباط المدائن - أن أعشى همدان وأحمد النصبي خرجا في بعض مغازيهما، فترلا على
 سليم فأحسن قراهما وأمر لدواهما بعلوفة وقضيم، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا، فعرض عليهما
 الشراب فأنعما به وطلباه فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان فقال أحمد النصبي للأعشى: قل في هذا الرجل
 الكريم شعراً تمدحه به حتى أغني فيه فقال الأعشى بمدحه:

أنى اعتراك الطرب النازح

طار شعاعاً قلبك الطامح

يزجرك المرشد والناصح

وقد علاك الشمط الواضح

لم تر إلا أنه كاشح

عني ولا عن كبدي نازح

جداً إذا ما هزل المازح

أسعى وخير العمل الناجح

يصدق في مدحته المادح

يأبها القلب المطيع الهوى

تذكر جملاً فإذا ما نأت

هلا تتاهيت وكنت امرأ

ما لك لا تترك جهل الصبا

فصار من ينهاك عن حبها

يا جمل ما حبي لكم زائل

حملت ودا لكم خالصاً

ثم لقد طال طلابيكم

إني توسمت امرأ ماجداً

ذؤابة العنبر فاخترته
 أبلج بهلو لا وطني به
 سليم ما أنت بنكس ولا
 أعطيت ودي وثنائي معاً
 أراك بالغيب وأهوى لك ال
 إني لمن سالمت سلم ومن
 في الرأس منه وعلى أنفه
 نعم فتى الحي إذا ليلة
 وراح بالشول إلى أهلها
 وهبت الريح شامية
 قد علم الحي إذا أمحوا
 في الليلة القالي قراها التي
 فالضيف معروف له حقه
 والخيل قد تعلم يوم الوغى
 والمرء قهد ينعشه الصالح
 أن ثنائي عنده رابح
 ذمك لي غاد ولا رائج
 وخلة ميزانها راجح
 مرشد وجيبي فاعلمن ناصح
 عاديت أمسي وله ناطح
 من نقماتي ميسم لائح
 لم يور فيها زنده القادح
 مغبرة أذقانها كالح
 فانجر القابس والنابح
 أنك رفاذ لهم مانح
 لا عابق فيها ولا صابح
 له على أبوابكم فاتح
 أنك من جمرتهاناضح

قال: فغنى أحمد النصبي في بعض هذه الأبيات، وجارية لسليم في السطح، فسمعت الغناء، فترلت إلى مولاهما
 وقالت: إني سمعت من أضيافك شعراً ما سمعت أحسن منه فخرج معها مولاهما فاستمع حتى فهم ثم نزل فدخل
 عليهما، فقال لأحمد: لمن هذا الشعر والغناء؟ ومن أنتما. فقال: الشعر لهذا، وهو أبو المصبح أعشى همدان،
 والغناء لي، وأنا أحمد النصبي الهمداني فانكب على رأس أعشى همدان فقبله وقال: كتمتاني أنفسكما، وكدتما
 أن تفارقاني ولم أعرفكما، ولم أعلم خبركما، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسين، وقال: خلفا عندي
 ما كان من دوابكما، وإرجعا من مغزاكما إلي. فمضيا إلى مغزاهما، فأقاما حيناً ثم انصرفا، فلما شارفا منزله قال
 أحمد للأعشى: إني أرى عجباً! قال: وما هو. قال: أرى فوق قصر سليم ثعلباً، قال: لئن كنت صادقاً فما بقي
 في القرية أحد. فدخلا القرية، فوجدا سليما وجميع أهل القرية قد أصابهم الطاعون، فمات أكثرهم وانتقل
 باقيهم. هكذا ذكر إسحاق، وذكر غيره: أن الحجاج طالب سليماً بمال عظيم، فلم يخرج منه حتى باع كل ما
 يملكه، وخربت قريته وتفرق أهلها ثم باعه الحجاج عبداً، فاشتراه بعض أشرف أهل الكوفة، إما أسماً بن
 خارجة وإما بعض نظرائه، فأعتقه.

يأبها القلب المطيع الهوى
 أنى اعتراك الطرب النازح

تذكر جملاً فإذا ما نأت
أعطيت ودي وثنائي معاً
إني تخيرت امرأ مجداً
سليم ما أنت بنكس ولا
نعم فتى الحي إذا ليلة
وراح بالشول إلى أهلها
وهنت الريح شامية
فانحجر القابسي والنابح

الشعر لأعشى همدان. والغناء لأحمد النصبى، ولحنه ثاني ثقليل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر
يونس أن فيه للمالك لحناً ولسنان الكاتب لحناً آخر.

تتكر من سعدى وأقفر من هند
مقامهما بين الرغامين فالفرد
محل لسعدى طالما سكنت به
فأوحش ممن كان يسكنه بعدي

الشعر لحفاد الراوية. والغناء لعبادل، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.
وفيه خفيف ثقيل أول بالوسطى، ذكر الهشافي أنه للهذلي، وذكر عمرو بن بانة أنه لعبادل بن عطية.
هو حماد بن ميسرة، فيما ذكره الهيثم بن عدي، وكان صاحبه وراويته وأعلم الناس به، وزعم أنه مولى بني
شيبان. وذكر المدائني والقحذمي أنه حماد بن سابور، وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها
وأنسابها ولغاتها. وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيوه، فيفد عليهم وينادهم ويسألونه عن أيام العرب
وعلومها ويجزلون صلاته.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي وعمي إسماعيل العتكي قالوا حدثنا الرياشي قال: قال الأصمعي: كان حماد أعلم
الناس إذا نصح. قال وقلت لحما: ممن أنتم. قال: كان أبي من سبي سلمان بن ربيعة، فطرحتنا سلمان لبني
شيبان، فولأؤنا لهم. قال: وكان أبوه يسمى ميسرة، ويكنى أبا ليلى. قال العتكي في خبره: قال الرياشي:
وكذلك ذكر الهيثم بن عدي في أمر حماد.

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن العتيبي والهيثم بن عدي ولقيط قالوا: قال الوليد بن يزيد
لحماد الراوية: بم استحققت هذا اللقب فقل لك الراوية. فقال: بأني أروي لكل شاعر، تعرفه يا أمير المؤمنين أو
سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا
ميزت القدم منه من المحدث فقال: إن هذا لعلم وأبيك كثير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثير، ولكني
أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر
الإسلام! قال: سأمتحنك في هذا، وأمره بالإنشاد. فأنشد الوليد حتى ضجر، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه

عنه ويستوفى عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين، وأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم. أخبرني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال حدثني إسحاق الموصلي عن مروان بن أبي حفصة، وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن مروان بن أبي حفصة قال: دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فرش قد غاب فيها، وإذا رجل عنده، كلما أنشد شاعرٌ شعراً، وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال: هذا أخذه من موضع كذا وكذا، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان، حضى أتى على أكثر، الشعر، فقلت: من هذا. فقالوا: حماد الراوية. فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده قلت: ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لجنة لحانة فأقبل الشيخ علي وقال: يابن أخي، إني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً. فذهب عني الشعر كله إلا شعر ابن مقبل، فقلت له: نعم، شعر ابن مقبل قال: أنشد، فأنشدته قوله:

سل الدار من جنبي حبر فواهب إذا مارأى هضب القلب المضيق

ثم جزت فقال لي: قف فوقفت فقال لي: ماذا يقول؟ فلم أدر ما يقول! فقال لي حماد: يابن أخي، أنا أعلم الناس بكلام العرب. يقال: تراءى الموضعان إذا تقابلا. حدثني عمي قال حدثني الكرائي عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: قلت لحماذ الراوية يوماً: ألق علي ما شئت من الشعر أفسره لك، فضحك وقال لي: ما معنى قول ابن مزا حم الثمالي:

تخوف السير منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعة السفن .

فلم أدر ما أقول، فقال: تخوف: تنقص. قال الله عز وجل: "أو يأخذهم على تخوف" أي على تنقص. قال الهيثم: ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد. كذب الفرزدق في شعر نسبته لنفسه فأقر: حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثني الكرائي محمد بن سعد عن النضر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال: أنشدني الفرزدق وحماد الراوية حاضر:

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

فقال له حماد: أنت تقول. قال: نعم، قال: ليس الأمر كذلك، هذا لرجل من أهل اليمن قال: ومن يعلم هذا غيرك! أفأردت أن أتركه وقد نخلنيه الناس ورووه لي لأنك تعلمه وحدك ويجهله الناس جميعاً غيرك!. حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني الفضل قال حدثني ابن النطاح قال حدثني أبو عمرو الشيباني قال: ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلا قدمه على نفسه، ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه.

حدثنا إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثقفي عن إبراهيم بن عمر والعامري قالا: كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون: حماد عجرد، وحماد بن الزبرقان، وحماد الراوية، يتنادمون على

الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة، وكانوا كأهم نفس واحدة، وكانوا يرمون بالزندقة جميعاً.

أخبرني الحسن بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخل مطيع بن إلياس ويحيى بن زياد على حماد الراوية، فإذا سراجاً على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين، فقال له يحيى بن زياد: يا حماد، إنك لمسرف مبتذل لحر المتاع، فقال له مطيع: ألا تبص هذه المنارة وتشترى أقل ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتسع به؟ فقال له يحيى: ما أحسن ظنك به! ومن أين له مثل هذه. إنما هي وديعة أو عارية، فقال له مطيع: أما إنه لعظيم الأمانة عند الناس! قال له يحيى: وعلى عظيم أمانته فما أجهل من يخرج مثل هذه من داره ويأمن عليها غيره! قال مطيع: ما أظنها عارية ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال، وإلا فمن يخرج هذه من بيته! فقال لهما حماد: قوما عني يابني الزانيتين واخرجا من منزلي، فشر منكما من يدخلكما بيته. حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن عبيد وأبو عبيدة قال حدثني محمد بن عبد الرحمن العبدى عن حميد بن محمد الكوفي عن إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي عن محمد بن أنس، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية، وخبر حماد بن إسحاق أتم واللفظ له.

قال حماد الراوية: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته، فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سراً. فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شرطيان قد وقفا علي فقالا لي: يا حماد، أجب الأمير يوسف بن عمر فقلت في نفسي: من هذا كنت أحذر، ثم قلت للشرطيين: هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه. فقالا: ما إلى ذلك من سبيل. فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر، فسلمت عليه فرد علي السلام، ورمى إلي كتاباً فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا متعنع، وادفع إليه خمسمائة دينار وجمالاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق". فأخذت الخمسمائة الدينار، ونظرت فإذا جمل مرحول، فوضعت رجلي في الغرز وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام، فاستأذنت فأذن لي، فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام، وهو في مجلس مفروش بالرخام، وبين كل رخامتين قضيب ذهب، وحيطانه كذلك، وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحه، فسلمت فرد علي، واستداني فدنوت حتى قبلت رجله، وإذا جارتان لم أر قبلهما مثلهما، في أذني كل واحدة منهما حفتان من ذهب فيهما لؤلؤتان

تتوقدان فقال لي: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين قال: أتدري فيم بعثت إليك.
قلت: لا قال: بعثت إليك لبيتٍ خطر ببالي لم أدر من قاله قلت: وما هو؟ فقال:

قينةٌ في يمينها إبريق

فدعوا بالصبح يوماً فجاءت

قلت: هذا يقوله عدي بن زيد في قصيدة له قال: فأنشدنيها، فأنشدته:

ح يقولون لي ألا تستفيق

بكر العاذلون في وضح الصب

ه والقلب عندكم موهوق

ويلومون فيك يابنة عبد الل

أعدو يلموني أوصديق

لست أدري إذ أكثروا العذل عندي

واثيثٌ صلت الجبين أنيق

ز انها حسنها و فرغ عميم

لاقصار ترى ولاهن روق

وثنايا مفلجات عذاب

قينةٌ في يمينها إبريق

فدعوا بالصبح يوماً فجاءت

ديك صفى سلافها الراووق

قدمته على عقار كعين ال

مزجت لذ طعمها من يذوق

مرة قبل مزجها فإذا ما

ر صغار يثيرها التصفيق

وطفت فوقها فقاقيع كالد

غير ما آجن ولا مطروق

ثم كان المزاج ماء سماء

قال: فطرب، ثم قال: أحسنت والله يا حماد، يا جارية اسقيه، فسقتني شربة ذهب بثلث عقلي. وقال: أعد، فأعدت، فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه، فسقتني شربة ذهب بثلث عقلي. فقلت: إن سقتني الثالثة افتضحت، فقال: سل حوائجك، فقلت كائنة ما كانت؟ قال: نعم قلت: إحدى الجاريتين فقال لي: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتني شربة سقطت معها، فلم أعقل حتى أصبحت فإذا بالجاريتين عند رأسي، وإذا عدة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة، فقال لي أحدهم: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هفه فانتفع بها، فأخذتها والجاريتين وانصرفت. هذا لفظ حماد عن أبيه. ولم يقل أحمد بن عبيد في خبره أنه سقاه شيئاً، ولكنه ذكر أنه طرب لإنشالده، ووهب له الجاريتين لما طلب إحداهما، وأنزله في دار، ثم نقله من غد إلى منزل أعدده له، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لهما وكل ما يحتاج إليه، وأنه أقام عنده مدة فوصل إليه مائة ألف درهم، وهذا هو الصحيح لأن هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكراً، وكان ينكر ذلك ويعيبه ويعاقب عليه.
في أبيات عدي المذكورة في هذا الخبر غناء نسبته:

ح يقولون ما له لا يفيق

بكر العاذلون في وضح الصب

ويلومون فيك يابنة عبد الل

ه والقلب عندكم موهوق

ثم نادوا إلى الصبوح فقامت

قينة في يمينها إبريق

قدمته على عقار كعين الد

يك صفى سلافها الراووق

في البيتين الأولين لحن من الثقليل الأول مختلف في صانعه، نسبه يحيى بن المكي إلى معبد، ونسبه الهشامي إلى حنين. وفي الثالث وهو -ثم نادوا- والرابع لعبدالله بن العباس الربيعي رمل، وفيهما خفيف رمل ينسب إلى مالك وخفيف ثقليل، ذكر حبش أنه لحنين.

أخبرني محمد بن يزيد والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعي قال: قال حماد الراوية: كتب الوليد بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر: احمل إلي حماداً الراوية على ما أحب من دواب البريد، وأعطه عشرة آلاف درهم معونة له، فلما أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إلي، فقلت: السمع والطاعة، فقال: يا دكين بن شجرة، أعطه عشرة آلاف درهم، فأخذتها. فلما كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودعاً، فقال: يا حماد، أنا بالموضع الذي قد عرفت من أمير المؤمنين، ولست مستغنياً عن ثنائك، فقلت: أصلح الله الأمير: إن العوان لا تعلم الخمرة. فخرجت حتى أتيت الوليد بن يزيد وهو بالبخراء، فاستأذنت فأذن لي، فإذا هو على سرير ممهد وعليه ثوبان: إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً، وإذا عنده معبد ومالك وأبو كامل مولاه، فتركني حتى سكن جأشي، ثم قال: أنشدني: أمن المنون وريبها تتوجع فأنشدته إياها حتى أتيت على آخرها. فقال لساقيه: اسقه يا سبرة أكؤساً، فسقاني ثلاث أكؤس خدرت ما بين الذؤابة والنعل. ثم قال: يا معبد غني:

الأهل جاءك الأظعا

ن إذ جاوزن مطلحا

فغناه. ثم قال: غني:

أتتسى إذ تودعنا سليمي

بفرع بشامة، سقي البشام

فغنى. ثم قال: غني:

جلا أمية عنا كل مظلمة

سهل الحجاب وأوفى بالذي وعدا

فغناه. ثم قال: اسقني يا غلام بزب فرعون، فأتاه بقدر معوج فيه طول فسقاه به عشرين قدحاً. ثم أتاه. الحاجب فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، الرجل الذي طلبت بالباب فقال: أدخله، فدخل غلام شاب لم أر أحسن منه وجهها في رجله فدع، فقال: يا سبرة اسقه كأساً، فسقاه، ثم قال له: غني:

وهي إذ ذاك عليها منزر

ولها بيت جوار من لعب

فغناه، فنبد إليه أحد ثوبيه، ثم قال: غني:

طرق الخيال فمرحبا

ألفاً بروية زينبا

فغضب معبد وقال: يا أمير المؤمنين، إنا مقبلون إليك بأقدارنا وأسناننا، وإنك تتركنا بمزجر الكلب وأقبلت على هذا الصبي، فقال: والله يا أبا عباد ما جهلت قدرك ولا سنك، ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطياجن من حرارة غنائه. فسألت عن الغلام. فإذا هو ابن عائشة.

حدثني الحسن بن محمد المادرائي الكاتب قال حدثني الرياشي عن العتي، وأخبرني به هاشم بن محمد عن الرياشي - وليس خبره بتمام هذا - قال: طلب المنصور حماداً الراوية، فطلب ببغداد فلم يوجد، وسئل عنه إخوانه فعرفوا من سألهم عنه أنه بالبصرة، فوجهوا إليه برسول يشخصه. قال الرسول: فوجدته في حانة وهو عريان يشرب نبيذاً من إجانة وعلى سوائته رأس دستجة، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فما رأيت رسالة أرفع ولا حالة أوضع من تلك. فأجاب، فأشخصته إليه. فلما مثل بين يديه، قال له: أنشدني شعر هفان بن همام بن نضلة يرثي أباه فأنشده:

خليل عوجا إنها حاجة لنا	على قبر همام سقته الرواعد
على قبر من يرجى نداه وبيتغى	جداه إذا لم يحمد الأرض رائد
كريم النثا حلو الشمائل بينه	وبين المزجي نفنف متباعداً
إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن	عييا ولاثقلاً على من يقاعد
صبوراً على العلات يصبح بطنه	خميصاً وآتية على الزاد حامد
وضعنا الفتى كل الفتى في حفيرة	بحرين قد راحت عليه العوائد
صريعاً كنصل السيف تضرب حوله	ترائبهن المعولات الفواقداً

قال: فبكى أبو جعفر حتى أخضل لحيته، ثم قال: هكذا كان أخي أبو العباس رضي الله عنه.

أخبرني الحسين بن يحيى المرداسي قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية يستخف مطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعاً إليه وله معه منزلة حسنة، فذكر له حماداً الراوية، وكان صديقه، وكان مطرحاً مجفوفاً في أيامهم، فقال: ائتنا به لنراه. فأتى مطيع حماداً فأخبره بذلك وأمره بالمسير معه إليه فقال له حماد: دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية ومالي عند هؤلاء خير، فأبى مطيع إلا الذهاب إليه، فاستعار حماد سواداً وسيفاً ثم أتاه، ثم مضى به مطيعاً إلى جعفر. فلما دخل عليه سلم عليه سلاماً حسناً وأثنى عليه وذكر فضله فرد عليه وأمره بالجلوس فجلس. فقال جعفر: أنشدني فقال: لمن أيها الأمير. ألساعر بعينه أم لمن حضر؟ قال: بل أنشدني لجرير. قال حماد: فسلخ والله شعر جرير كله من قلبي إلا قوله:

بان الخليط برامتين فودعوا	أو كلما اعتزموا لبين تجزع
---------------------------	---------------------------

فاندفعت فأنشدته إياه، حتى انتهت إلى قوله:

وتقول بوزع قد دببت على العصا

هلا هزئت بغيرنا يابوزع

قال حماد: فقال لي جعفر: أعد هذا البيت، فأعدته فقال: بوزع، أي شيء هو؟ فقلت: اسم امرأة فقال: امرأة اسمها بوزع هو بريء من الله ورسوله ونفي من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولاً من الغيلان تركتني والله يا هذا لا أنام الليلة من فرع بوزع يا غلمان قفاه فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا ثم قال: جروا برجله: فجروا برجلي حتى أخرجت من بين يديه مسحوباً، فتخرق السواد وانكسر جفن السيف ولقيت شراً عظيماً مما جرى علي وكان أغلظ من ذلك كله وأشد بلاء إغرامي ثمن السواد وجفن السيف فلما انصرفت أتاني مطيع، يتوجع لي فقلت له: ألم أحرك أبي لا أصيب منهم خيراً وأن حظي قد مضى مع بني أمية! حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: بلغني أن رجلاً تحدث في مجلس حماد الراوية فقال: بلغني أن المأبون له رحم كرحم المرأة - قال: وكان الرجل يرمى بهذا الداء - فقال حماد لغلامه: اكتب هذا الخبر عن الشيخ، فإن خير العلم ما حمل عن أهله. قال: وكتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال:

لك نفسي فدى من الأوصاب

إن لي حاجة فرأيك فيها

ري ولا يستطيعها في كتاب

وهي ليست مما يبلغهاغي

ك رويداً ألسرها في حجاب

غير أنني أقولها حين ألقا

فكتب إليه الرجل: اكتب إلي بحاجتك ولا تشهري بشعرك فكتب إليه حماد:

ناء عشقاً قد حال دون الشراب

إنني عاشق لجبتك الدك

أتباهي بها على الأصحاب

فاكسنيها فدنك نفسي وأهلي

علها عمرها أمير ثيابي

ولك الله والأمانة أن أج

فبعث إليه بها. وقد رويت هذه القصة لمطيع بن إياس.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني أبو يعقوب الخزيمي قال: كنت في مجلس فيه حماد عجرد وحماد الراوية ومعنا غلام أمرد، فنظر إليه حماد الراوية نظراً شديداً وقال لي: يا أبا يعقوب، قد عزمت الليلة على أن أدب على هذا الغلام فقلت: شأنك به ثم نمنا، فلم أشعر بشيء إلا وحماد ينيكني، وإذا أنا قد غلظت ونمت في موضع الغلام، فكرهت أن أتكلم فينتبه الناس فأفتضح وأبطل عليه ما أراد، فأخذت بيده فوضعتها على عيني العوراء ليعرفني، فقال: قد عرفت الآن، فيكون ماذا وفديناه بذبح عظيم. قال: وما برح علم الله وأنا أعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل.

قال إسحاق: وأهدى حماد إلى صديق له غلاماً وكتب إليه: قد بعثت إليك غلاماً تتعلم عليه كظم الغيظ. قال: واستهدى من صديق له نبياً فأهدى إليه دسيتجة نبذ. فكتب إليه: لو عرفت في العدد أقل من واحد، وفي

الألوان شراً من السواد، لأهديته إلي.

قال: وسمع مغنية تغني:

عاد قلبي من الطويلة عاد

فقال: وثمود، فإن الله عز وجل لم يفرق بينهما. والشعر:

عاد قلبي من الطويلة عيد

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني أبو عثمان اللاحتي، وأخبرني به محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن بشر بن المفضل بن لاحق قال: جاء رجل إلى حماد الراوية فأنشده شعراً وقال: أنا قلته فقال له أنت لا تقول مثل هذا، هذا ليس لك، وإن كنت صادقاً فاهجني. فذهب ثم عاد إليه فقال له: قد قلت فيك:

سيعلم حماد إذا ما هجوته أنتحل الأشعار أم أنا شاعر

ألم تر حماداً تقدم بطنه وأخر عنه ماتجن المآزر

فليس براء خصيتيه ولو جثا لركبته، ما دام للزيت عاصر

فياليتيه أمسى قعيدة بيته له بعل صدق كومه متواتر

فحماد نعم العرس للمرء يبتغي ان كاح وبئس المرء فيمن يفاخر

فقال حماد: حسبنا، عافاك الله، هذا المقدار وحسبك! قد علمنا أنك شاعر وأنتك قائل الشعر الأول وأجود منه، وأحب أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعه فتفضحني فقال له: قد كنت غنياً عن هذا. وانصرف الرجل وجعل حماد يقول: أسمعتم أعجب مما جررت على نفسي من البلاء! حدثني الأسدي أبو الحسن قال حدثنا الرياشي قال حدثنا أبو عبد الله الفهمي قال: عاب حماد الراوية شعراً لأبي الغول فقال يهجو:

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد

هدلت مشافره الدنان فأنفه مثل القدوم يسنها الحداد

وابيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد

لايعجبك بزه وثيابه إن اليهود ترى لها أجداد

حماد يا ضبعا تجر جعارها أخنى لها بالقريتين جراد

سبعاً يلاعبها ابنها وبناتها ولها من الخرق الكباروساد

قال معنى قوله:

أخنى لها بالقريتين جراد

هو مثل قول العرب للضبع: خامري أم عامر، أبشري بجراد عظام و كمر رجال؟ فإن الضبع تجيء إلى القليل وقد استلقى على قفاه، وانتفخ غرموله فكان كالمنعظ، فتحتك به وتحيض من الشهوة، فيثب عليها الذئب حينئذ فتلد منه السم، وهو دابة، لا يولد له مثل البغل. وفي مثل هذا المعنى يقول الشنفرى الأزدي.

تضحك الضبع لقتلى هذيل

وترى الذئب لها يستهل

تضحك: تحيض.

وقال ابن النطاح: كان حماد الراوية في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص، فنقب ليلةً على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفظه، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ. حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل عن أبيه عن جده عن حماد الراوية قال: دخلت على المهدي فقال: أنشدني أحسن أبيات قيلت في السكر، ولك عشرة آلاف وخلعتان كسوة الشتاء والصيف، فأنشدته قول الأخطل:

ترى الزجاج ولم يطمئ يطيف به

كأنه من دم الأجواف مختضب

حتى إذا افتض ماء المزن عذرتها

راح الزجاج وفي ألوانه صهب

تنزرو إذا شجها بالماء مازجها

نزوال الجنادب في رمضاء تلتهب

راحوا وهم يحسبون الأرض في فلك

إن صرعوا وقت الراحة والركب

فقال لي: أحسنت وأمر لي بما شرطه ووعدني به فأخذته.

حدثني اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثني صالح بن سليمان قال: قدم حماد الراوية على بلال بن أبي بردة البصرة، وعند بلال ذو الرقة، فأنشده حماد شعراً مدحه به فقال بلال لذي الرقة: كيف ترى هذا الشعر؟ قال: جيداً وليس له قال: فمن يقوله. قال: لا أثري إلا أنه لم يقله فلما قضى بلال حوائج حماد وأجاره، قال له: إن لي إليك حاجة قال: هي مقضية قال: أنت قلت ذلك الشعر. قال: لا قال: فمن يقوله. قال: بعض شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيري قال: فمن أين علم ذو الرمة أنه ليس من قولك. قال: عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام. قال صالح: وأنشد حماد الراوية بلال بن أبي بردة ذات يوم قصيدة قالها ونخلها الخطيئة يمدح أبا موسى الأشعري يقول فيها:

جمعت من عامر فيها ومن جشم

ومن تميم ومن حاء ومن حام

مستحقات رواياها جحافلها

يسموبها أشعري طرفه سامي

فقال له بلال: قد علمت أن هذا شيء قلته أنت ونسبته إلى الخطيئة، وإلا فهل كان يجوز أن يمدح الخطيئة أبا مرسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه! ولكن دعها تذهب في الناس وسيرها حتى تشتت، ووصله.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخراز يقول سمعت ابن الأعرابي يقول سمعت المفضل الضبي يقول: قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً. فقليل له: وكيف ذلك. أخطيء في روايته أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها، ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الافاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك!.

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني السعيد الراوية وأبو إياد المؤدب - وكان مؤدبي ثم أدب المعتصم بعد ذلك وقد تعالت سته - وحدثني بنحو من ذلك عبدالله بن مالك وسعيد بن سلم وحدثني به ابن غزالة أيضاً، اتفقوا عليه: أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعبسا باذ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب، وآدابها وأشعارها ولغاتها، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب، فدعا بالمفضل الضبي الراوية فدخل، فمكث ملياً ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعاً وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم، وفي وجه المفضل السرور والنشاط، ثم خرج حسين الخادم معهما، فقال يا معشر من حضر من أهل العلم: إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف عرهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل، فسمأنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده: إني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بأن قال:

دع ذا وعد القول في هرم

و لم يتقدم له قبل ذلك قول، فما الذي أمر نفسه بتركه؟ فقال له المفضل: ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أني توهمته كان يفكر في قول يقوله، أو يروي في أن يقول شعراً فعدل محنه إلى مدح هرم وقال دع ذا، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا، أي دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول في هرم، فأمسك عنه. ثم دعا بحماد فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل، فقال ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين، قال فكيف قال؟ فأنشده:

أقوين مذ حجج ومذ دهر

ضفوى أولات الضال والسدر

لمن الديار بقنة الحجر

قفر بمن دفع النحائت من

دع ذا وعد القول في هرم

خير الكهول وسيد الحضرة

قال: فأطرق المهدي ساعة، ثم أقبل على حماد فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبراً لا بد من استحلافك عليه، ثم استحلفه بآمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقته عن كل ما يسأله عنه، فحلف له بما توثق منه. قال له: اصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير، فأقر له حينئذ أنه قائلها، فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه.

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا الأصمعي قال: قال حماد الراوية: أرسل إلي أمير الكوفة فقال لي: قد أتاني كتاب أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرني بحملك. فجملت فقدمت عليه وهو في الصيد، فلما رجع أذن لي، فدخلت عليه وهو في بيت منجد بالأرمني أرضه وحيطانه، فقال لي: أنت حماد الراوية؟ فقلت له: إن الناس ليقولون ذلك، قال: فما بلغ من روايتك. قلت: أروي سبعمائة قصيدة أول كل واحدة منها: بانت سعاد، فقال: إنها لرواية! ثم دعا بشراب فأتته جارية بكأس وإبريق فصبت في الكأس ثم مزجته حتى رأيت له حباباً قال: أنشدني في مثل هذه فقلت: يا أمير المؤمنين، هي كما قال عدي بن زيد:

بكر العاذلون في وضح الصب

يقولون لي ألا تستفيق

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت

قينة في يمينها إبريق

قدمته على سلاف كريح ال

مسك صفى سلافها الراوق

فترى فوقها فقايع كاليا

قوت يجري خلالها التصفيق

قال: فشربها ولم يزل يستعيلني الأبيات ويشرب عليها حتى سكر ثم قام فتناول مرفقة من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى: من يشتري لحوم البقر. ثم قال لي: يا حماد، دونك ما في البيت فهو لك فكان أول مال تأثله.

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: قال خلف: كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها. وكان فيه حمق. أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال حدثني المسور العتري - وكان من رواة العرب وكان أسن من سماك بن حرب عن حماداً قال: دخلت على زياد فقال لي: أنشدني فقلت: من شعر من أيها الأمير. قال: من شعر الأعشى فأنشدته:

بكرت سمية غدوة أجمالها

قال: فما أتممت القصيدة حتى تبينت الغضب في وجهه، وقال الحاجب للناس: ارتفعوا، فقاموا ثم لم أعد والله إليه. قال حماد: فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير تنبعت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة اسم أم

له أو ابنة أو أخت أو زوجة.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: قال الوليد بن يزيد لحماذ الراوية: لم سميت الراوية. وما بلغ من حفظك حتى استحققت هذا الاسم. فقال له: يا أمير المؤمنين، إن كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً، أنا أنشدك على كل حرف منها مائة قصيدة فقال: إن هذا لحفظ! هات، فاندفع ينشد حتى مل الوليد، ثم استخلف على الاستماع منه خليفة حتى وفاه ما قال فأحسن الوليد صلته وصرفه.

أخبرني الحرثي بن أبي العلاء قال حدثني الحسين بن محمد بن أبي طالب الديناري قال حدثني إسحاق الموصلي قال: قال حماد الراوية: أرسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار، وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد. قال فقلت: لا يسألني إلا عن طرفيه قريش وثقيف، فنظرت في كتابي قريش وثقيف. فلما قدمت عليه سألتني عن أشعار بلي، فأنشدته منها ما استحسنته ثم قال: أنشدني في الشراب - وعنده وجوه من أهل الشام - فأنشدته:

في أباريق تحتذى

أصبح القوم قهوة

حبذا تلك حبذا

من كميت مدامة

أرجواناً بها خذا

يترك الأذن شربها

فقال: أعدها، فأعدتها فقال لخدمه: خذوا آذان القوم، فأتينا بالشراب فسقينا حتى ما درينا متى نقلنا قال: ثم حملنا وطرحنا في دار الضيفان، فما أيقظنا إلا حر الشمس. وجعل شيخ من أهل الشام يشتمني ويقول: فعل الله بك وفعل، أنت الذي صنعت بنا هذا.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ قال حدثني أبو عبيدة قال حدثني يحيى بن صبيرة بن الطرماح بن حكيم عن أبيه عن جده الطرماح قال: أنشدت حفاداً الراوية في مسجد الكوفة - وكان أذكي الناس وأحفظهم - قولي:

بان الخليط بسحرة فتبددوا

وهي ستون بيتاً، فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ثم أقبل علي فقال: أهذه لك؟ قلت: نعم؟ قال: ليس الأمر كما تقول، ثم ردها علي كلها وزيادة عشرين بيتاً زادها فيها في وقته فقلت له: ويحك! إن هذا الشعر قلته منذ أيام ما اطلع عليه أحد قال: قد والله قلت أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فعلي وعلي فقلت: لله على حجة حافياً راجلاً إن جالستك بعد هذا أبداً فأخذ قبضة من حصي المسجد وقال: لله علي بكل حصاة من هذا الحصى مائة حجة إن كنت أبالي فقلت: أنت رجل ماجن والكلام معك ضائع ثم انصرفت. قال دماذ: وكان أبو عبيدة والأصمعي ينشدان بيتي الطرماح في هذه القصيدة وهما:

قدداً وأخلف ما سواه البرجد

مجتاب حلة برجد لسراته

يبدو وتضمّره البلاد كأنه

سيفٌ على شرفِ يسلم ويغمد

وكانا يقولان: هذا أشعر الناس في هذين البيتين.

عباد بن عطية مولى قريش، مكّي، مغنٌ محسٌ متقدم من الطبقة الثانية التي منها يونس الكاتب وسياطٌ ودحمان. وكان حسن الوجه، نظيف الثياب ظريفاً، ولم يفارق الحجاز ولا وفد إلى ملوك بني أمية كما وفد غيره من طبقتهم ومن هو فوقها. ويقال إنه كان مقبول الشهادة.

أخبرني الحسن بن علي قال! حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثنا حماد عن ابن أبي جناح قال: كان عبادل بن عطية سرياً نبيلاً نظيفاً ساكن الطرف حسن العشرة، وكان يعاشر مشيخة قريش وجلة أحداثها، فإذا أرادوا الغناء منه غنى فأحسن وأطرب. وكانت له صنعة كثيرة.

منها:

تقول يا عمّتا كفي جوانبه

ويلي بليت وأبلى جيدي الشعر

ومنها:

أمن حذر البين ما ترقد

ودمعك يجري فما يجمد

ومنها:

إني استحييتك أن أفوه بحاجتي

فإذا قرأت صحيفتي فتفهم

ومنها:

قولا لنائل ما تقضين في رجلٍ

يهوى هواك وما جنبته اجتنبا

ومنها:

علام ترين اليوم قتلي لديكم

حلالاً بلا ذنبٍ وقتلي محرم

قال: وكانوا يقولون له: ألا تكثر الصنعة؟ فيقول: بأي أنتم، إنما أحتته من صخر، ومن أكثر أرذل.

أمن حذر البين ما ترقد

ودمعك يجري فما يجمد

دعاني إلى الحين فاقتاندي

فؤادٌ إلى شقوتي يعمد

فلو أن قلبي صحا وارعوى

لكان له عنكم مقعد

يببّد الزمان وحيي لكم

يزيد خبالاً وما ينفد

الغناء لعبادل ثقیلاً أول بالسبابة والوسطى عن ابن المكي. وفيه لإبراهيم خفيف ثقیل.

ومنها:

من التخلق لكن شيمةً خلق

ليست نعم منك للعافين مسجلةً

من دون بوابه للناس يندلق

يكاد بابك من علم بصاحبه

إسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقل الأول بالبنصر عن عمرو. وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أن الشعر لطريح. وذكر يعقوب بن السكيت أنه لابن هزمية. والغناء في اللحن المختار لشهية مولاة العبلات خفيف رمل بالبنصر في مجراها. فمن روى هذه الأبيات لابن هزمية ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سلمان بن عبد الملك ومن ذكر أنها لطريح ذكر أنها من قصيدة له يمدح بها الوليد بن يزيد. والصحيح من القولين أن البيت الأول من البيتين لطريح والثاني لابن هزمية. فبيت طريح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة، يقول في تشبيها:

ألق أنك منا اليوم منطلق؟

تقول والعيس قد شددت بأرحلها

ولا أظن اجتماعاً حين نفترق

قلت نعم فاكظمي قالت وما جلدي

وكيف والقلب رهنٌ عندكم غلق

فقلت إن أحي لا أطول بعادكم

سالي الهموم ولا حبلي لها خلق

فارقتها لا فؤادي من تذكرها

كما تتابع يجري اللؤلؤ النسق

فاضت على إثرهم عيناك دمعهما

واكفف بؤادر دمعٍ منك تستبق

فاستبق عينك لا يودي البكاء بها

ولا الجفون على هذا ولا الحدق

ليس الشؤون وإن جادت بباقية

إسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقل الأول بالبنصر عن عمرو يقول فيها في مدح الوليد:

من التخلق لكن شيمةً خلق

ومانعم منك للعافين مسجلة

وطارقومٌ بل أو الذم فانطلقوا

ساهمت فيها ولافاختصت بها

صفو على الناس لم يخلط بهم رنق

قوم هم شرف الدنيا وسوددها

أو عاقدوا ضمنوا أو حدثوا صدقوا

إن حاربوا وضعوا أو سالموا رفعوا

وأما قصيدة إبراهيم بن هرمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها. ومن أبي أحمد رحمه الله سمعنا ذلك أجمع. ولكنه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق. ولعله لم يتفقد ذلك، أو لعل أحد الشعراء أغار على هذا البيت فانتحلّه وسرقه من قائله. أخبرني يحيى بن علي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة، وحدثني به وكيع قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك عن حماد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة - وخبره أتم - قال: قال العباس بن

الوليد بن عبد الملك - وكان بخيلاً لا يحب أن يعطي أحداً شيئاً - ما بال الشعراء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني. فبلغ ذلك ابن هرمة، وكان قد مدحه فلم يشبهه، فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان:

ومعجب بمدح الشعر يمنعه	من المديح ثواب المدح والشفق
يا آبي المدح من قول يحبره	ذو نيقة في حواشي شعره أنق
إنك والمدح كالعذراء يعجبها	مس الرجال ويثني قلبها الفرق
لكن بمدح من مفضى سويمرة	من لا يذم ولا يشنا له خلق
أهل المدائح تأتيه فتمدحه	والمادجون إذا قالوا له صدقوا

- يعني عبد الواحد بن سليمان -:

لا يستقر ولا تخفى علامته	إذا القنا شال في أطرافها الحرق
في يوم لآمال عند المرء ينفعه	إلا السنان وإلا الرمح والدرق
يطعن بالرمح أحياناً ويضربهم	بالسيف ثم يدانيهم فيعتنق

وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زهير ومن مهلهل جميعاً، فإنهما سبقا إليه. قال مهلهل وهو أقدمهما:

أنبضوا معجس القسي وأبرق	ناكما تواعد الفحول الفحولا
-------------------------	----------------------------

يعني أنهم لما أخذوا القسي ليرموهم من بعيد انتضوا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها.

وقال زهير - وهو أشرح من الأول -:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا	ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا
---------------------------------	-------------------------------

فما ترك في المعنى فضلاً لغيره.

رجع إلى شعر ابن هرمة:

يكاد بابك من جود ومن كرم	من دون بوابه للناس يندلق
--------------------------	--------------------------

ويروى: إذا أطاف به الجادون. ولا العافون أيضاً. ويروى: ينبلق:

إني لأطوي رجالاً أن أزورهم	وفيه عكر الأنعام والورق
طي الثياب التي لو كشفت وجدت	فيها المعاوز في التفتيش والخرق
وأترك الثوب يوماً وهو ذو سعة	وألبس الثوب وهو الضيق الخلق
إكرام نفسي وأني لا يوافقني	ولو ظمئت فحمت المشرب الرنق

قال هارون بن الزيات في خبره: فلما قال ابن هرمة هذه القصيدة أنشدها عبد الواحد بن سليمان وهو إذ ذاك أمير الحجاز فأمر له بثلاثمائة دينار وخلعة موشية من ثيابه، وحمله على فرس وأعطاه ثلاثين لفحة ومائة شاة، وسأله عما يكفيه في كل سنة ويكفي عياله من البر والتمر، فأخبره به، فأمر له بذلك أجمع لسنة، وقال له: هذا لك علي ما دمت ودمت في الدنيا، واقتصعه لنفسه وأنس به، وقال له: لست بمحجك إلى غيري أبداً. فلما عزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة، تصدى للوالي مكانه وامتدحه. ولم يلبث أن ولي عبد الواحد بعد ذلك وبلغه الخبر، فأمر أن يحجب عنه ابن هرمة وطرور وجفاه، حتى تحمل عليه بعبد الله بن الحسن بن الحسن، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبه.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي، وأخبرني به علي بن سليمان الأحمش عن أحمد بن يحيى ثعلب عن الرياشي وخبره أتم قال الرياشي حدثني أبو سلمة الغفاري قال قال ابن ربيع راوية ابن هرمة قال حدثني ابن هرمة قال: أول من رفعني في الشعر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ علي ألا أمدح أحداً غيره، وكان والياً على المدينة، وكان لا يدع بري وصليتي والقيام بمؤنني. فلم ينشب أن عزل وولي غيره مكانه، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب. فدعيتي نفسي إلى مدحه طمعاً أن يهب لي كما كان عبد الواحد يهب لي، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت. ثم قدم عبد الواحد المدينة، فأخبرني أي مدحت الذي عزل به، فأمر بي فحجبت عنه، ورمت الدخول عليه فمنعت، فلم أدع بالمدينة وجهها ولا رجلاً له نباهةً وقدر من قریش إلا سألته أن يشفع لي في أن يعيدني إلى منزلي عنده، فيأبى ذلك فلا يفعله. فلما أعوزتني الحيل أتيت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

- صلوات الله عليه وعليهم - فقلت: يا بن رسول الله، إن هذا الرجل قد كان يكرمني وأخذ علي ألا أمدح غيره، فأعطيته بذلك عهداً، ثم دعاني الشره والكدر إلى أن مدحت الوالي بعده. وقصصت عليه قصتي وسألته أن يشفع لي، فركب معي. فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن حسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه، ثم قال: أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله؟ قال نعم قال: كل حاجة لك مقضية إلا ابن هرمة فقال له: إن رأيت ألا تستثني في حاجتي فافعل قال: قد فعلت قال: فحاجتي ابن هرمة قال: قد رضيت عنه وأعدته إلى منزله قال: فتأذن له أن ينشدك قال: تعفيني من هذه قال: أسألك أن تفعل قال اتوا به فدخلت عليه وأنشدته قولي فيه:

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

قال فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رزه ثم وثب مغضباً، وتجاوزت في الإنشاد ثم لحقته فقلت له: جزاك الله خيراً يا بن رسول الله فقال: ولكن لا جزاك الله خيراً يا ماص بظر أمه، أتقول لابن مروان:

وكان أبوك قادمة الجناح

بحضرتي وأنا ابن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وابن علي بن أبي طالب -عليه السلام- فقلت: جعلني الله فداك، إني قلت قولاً أهدعه به طلباً لدنياه، والله ما قست بكم أحداً قط. أفلم تسمعي قد قلت فيها:

وبعض القول يذهب بالرياح

فضحك عبد الله وقال: قاتلك الله، ما أظرفك.

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبد الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيد شعر ابن هرمة خاصة، أولها:

صرمت حبائلاً من حب سلمى	لهند ما عمدت لمستراح
فإنك إن نقم لا تلق هنداً	وإن ترحل فقلبك غير صاحي
يظل نهاره يهفي بهند	ويأرق ليله حتى الصباح
أعبد الواحد المحمود إني	أغص حذار سخطك بالقراح
فشلت راحتاي وجال مهري	فألقاني بمشجر الرماح
وأقعدني الزمان فبت صفرأ	من المال المعزب والمراح
إذا فخمت غيرك في ثنائي	ونصحي في المغيبة وامتداحي
كأن قصائدي لك فاصطنعني	كرائم قد عضلن عن النكاح
فإن أك قد هفوت إلى أمير	فعن غير التطوع والسماح
ولك سقطت عيبت علينا	وبعض القول يذهب في الرياح
لعمرك إنني وبني عدي	ومن يهوى رشادي أو صلاحي
إذا لم ترض عني أو تصلني	لفي حين أعالجه متاح
وإنك إن حططت إليك رحلي	بغربي الشراة لنو ارتياح
هششت لحاجة ووعدت أخرى	ولم تبخل بناجزة السراح
وجدنا غالباً خلقت جناحاً	وكان أبوك قادمة الجناح
إذا جعل البخيل البخل ترساً	وكان سلاحه دون السلاح
فإن سلاحك المعروف حتى	تفوز بعرض ذي شيم صحاح

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثني إبراهيم بن إسحاق العمري قال حدثني عبد الله بن إبراهيم الجمحي قال: قلت لابن هرمة: أتمدح عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحت به غيره فتقول فيه هذا البيت:

وكان أبوك قادمة الجناح

وجدنا غالباً كانت جناحاً

ثم تقول فيها:

أغص حذار سخطك بالقراح

أعبد الواحد الميمون إني

فبأي شيء استوجب ذلك منك. فقال: إني أخبرك بالقصة لتعذرني: أصابني أزمة بالمدينة، فاستنهضتني بنت عمي للخروج، فقلت لها: ويحك! إنه ليس عندي ما يقل جناحي فقالت: أنا أنهضك بما أمكني، وكانت عندي نابٌ لي فنهضت عليها فوجد النوام ونؤذي السمار، وليس من منزل أنزله إلا قال الناس: ابن هرمة! حتى دفعت إلى دمشق، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذن ثم صلى ركعتين، وتأملته فإذا هو عبد الواحد، فقممت فدنوت منه وسلمت عليه فقال لي: أبو إسحاق! أهلاً ومرحباً، فقلت لبيك، بأبي أنت وأمي! وحياك الله بالسلام وقربك من رضوانه فقال: أما آن لك أن تزورنا فقد طال العهد واشتد الشوق، فما وراءك. قلت: لا تسليني بأبي حأ أنت وأمي فإن الدهر قد أخنى علي فما وجدت مستغاثاً غيرك، فقال: لا ترع فقد وردت على ما تحب إن شاء الله. فوالله إني لأخاطبه فإذا بثلاثة فتية قد خرجوا كأهم الأشرار، فسلموا عليه، فاستدنى الأكبر منهم فهمس إليه بشيء دوني ودون أخويه فمضى إلى البيت ثم رجع، فجلس إليه فكلمه بشيء دوني ثم ولى، فلم يلبث أن خرج ومعه عبد ضابط يحمل عبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يدي، ثم همس إليه ثانية فعاد، وإذا به قد رجع ومعه مثل ذلك، فضرب به بين يدي. فقال لي عبد الواحد: ادن يا أبا إسحاق، فإني أعلم أنك لم تصر إلينا حتى تفارق صدعك، فخذ هذا وارجع إلى عيالك، فوالله ما سللنا لك هذا إلا من أشدنا عيالنا، ودفع إلي ألف دينار، وقال لي: قم فارحل فأغث من وراءك فقممت إلى الباب، فلما نظرت إلى ناقتي ضقت فقال لي: تعال، ما أرى هذه مبلغتك، يا غلام، قدم له جملي فلاناً. فوالله لقد كنت بالجميل أشد سروراً مني بكل ما نلته فهل تلومني أن أغص حذار سخط هذا بالقراح! ووالله ما أنشدته ليلتئذ بيتاً واحداً.

أخبرني محي بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني محمد بن عمر الخرجاني قال حدثني عثمان بن حفص الثقفي قال حدثني محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين - صلى الله عليه - قال: دخلت مع أبي علي المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان، فلما اجتمع الناس قام ابن هرمة فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذن لي في الإنشادة قال هات، فأنشده قوله:

سرى ثوبه عنك الصبا المتخايل على

إذا كرها فيها عقابٌ ونائل

له لحظاتٌ عن حفاقي سريره

وأم الذي خوفت بالثكل تاكل

فأم الذي آمنت آمنة الردى

فقال له المنصور: أما لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عد الواحد بن سليمان تنشده قولك

وكان أبوك قادمة الجناح

وجدنا غالباً كانت جناحاً

قال: فقطع بابين هرمة حتى ما قدر على الاعتذار فقال له المنصور: أنت رجل شاعر طالب خير، وكل ذلك يقول الشاعر، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلاثمائة دينار. فقام إليه الحسن بن زيد فقال: يا أمير المؤمنين، إن ابن هرمة رجل منفاق متلاف لا يليق شيئاً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بما يجرى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتب بذلك إلى صاحب الجاري أن يجريها عليهم فعل فقال: افعلوا ذلك به. قال: وإنما فعل به الحسن لن زيد هذا لأنه كان مغضباً عليه لقوله يمدح عبد الله بن حسن:

إذا القتام تغشى أوجه الهجن

ماغيرت وجهه أم مهجته

حدثني يحيى بن علي بن يحيى، وأخبرنا ابن أبي الأزره وجحظة قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال يحيى بن علي في خبره عن الفضل بن يحيى، ولم يقله الآخرون: دخل ابن هرمة على المنصور وقال: يا أمير المؤمنين، إني قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله وما عسى أن تقول في بعد قول كعب الأشقر في الملهب:

وفجر منك أنهاراً غزاراً

براك الله حين براك بحراً

فقال له: قد قلت أحسن من هذا، قال: هات، فانشده قوله:

إذا كرها فيها عقابٌ ونائل

له لحظاتٌ عن حفاقي سريره

قال: فأمر له بأربعة آلاف درهم. فقال له المهدي: يا أمير المؤمنين، قد تكلف في سفره إليك نحوها فقال له المنصور: يا بني، إني قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك، وهبت له نفسه، أليس هو القاتل لعبد الواحد بن سليمان:

لمعتر فهرٍ ومحتاجها

إذا قيل من خير من يرتجى

بالجامها قبل إسراجها

ومن يعجل الخيل يوم الوغى

إليك به قبل أزواجها

أشارت نساء بنى غالب

وهذه القصيدة من فاحر شعر ابن هرمة، وأولها:

على هائم النفس مهتاجها

أجارتنا روعي نغمة

ولاخير في ود مستكره

يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان:

ولاحاجة دون إنضاجها

زفوف العشيات هداها

كسته الملوك ذر اتاجها

فتلقى الغنى قبل إرتاجها

ك عند التحية ولاجاها

حمول المغارم فراجها

ويوم الشمال وإرهاها

ر انشده بين حجاجها

كأن قنودي على خاضب

إلى ملك لا إلى سوقة

تحل الوفود بأبوابه

بقراع أبواب دور الملو

إلى دار ذي حسب ماجد

ركود الجفان غداة الصبا

وقفت بمدحيه عند الجما

أخبرني محمد بن جعفر النحوي صهر المبرد قال حدثني أبو إسحاق طلحة بن عبد الله الطلحي قال حدثني محمد بن سليمان بن المنصور قال: وجه المنصور رسولا قاصداً إلى ابن هرمة ودفع إليه ألف دينار وخلعة، ووصفه له وقال: امض إليه فإنك تراه جالسا في موضع كذا من المسجد، فانتسب له إلى بني أمية أو مواليهم، وسله أن ينشدك قصيدته الحائية التي يقول فيها يمدح عبد الواحد بن سليمان:

وجدنا غالباً كانت جناحاً

وكان أبوك قادمة الجناح

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقه وجني برأسه وإن أنشدك قصيدته اللامية التي يمدحني بها فادفع إليه الألف الدينار والخلعة، وما أراه ينشدك غيرها ولا يعترف بالحائية. قال: فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور، فجلس إليه واستنشدته قصيدته في عبد الواحدة فقال: ما قلت هذه القصيدة قط ولا أعرفها وإنما نخلها إياي من يعادني، ولكن إن شئت أنشدتك أحسن منها قال: قد شئت فهات فأنشده:

سرى ثوبه عنك الضبا المتخايل

حتى أتى على آخرها ثم قال له: هات ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إلي فقال: أي شيء تقول يا هذا وأي شيء دفع إلي فقال: دغ ذا عنك، فوالله ما بعثك إلا أمير المؤمنين ومعك مال وكسوة إلي، وأمر أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إياها ضربت عنقي وحملت رأسي إليه، وإن أنشدتك هذه اللامية دفعت إلى ما حملك إياه فضحك الرسول ثم قال: صدقت لعمري ودفع إليه الألف الدينار والخلعة. فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما. أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عمي عن جدي قال: لما أنشد ابن هرمة المنصور قصيدته اللامية التي مدحه بها أمر له بألف درهم فكلمه فيه المهدي واستقلها فقال يا بني، لو رأيت هذا بحيث رأيته وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان ينشده:

وجدنا غالباً كانت جناحاً

وكان أبوك قادمة الجناح

لاستكثرت له ما استقللته، ولرأيت أن حياته بعد ذلك القول ربح كثير. والله إني يا بني ما هممت له منذ يومئذ بخير فذكرت قوله إلا زال ما عرض بقلبي إلى ضده حتى أهم بقتله ثم أعفو عنه. فأمسك المهدي. ومما يغني فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قوله من قصيدة أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات، على أن المغنين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره:

ولما أن دنا منا ارتحالٌ

وقرب ناحيات السير كوم

تحاسر واضحات اللون زهر

على ديباج أوجهها النعيم

أتين مودعات والمطايا

لدى أكوارها خوضٌ هجوم

فكم من حرة بين المنقى

إلى أحدٍ إلى ما حاز ريم

ويروى:

فكم بين الأقارع فالمنقى

وهو أجود.

إلى الجماء من خدٍ أسيل

نقي اللون ليس به كلوم

كأنني من تذكر ما ألقى

إذا ما أظلم الليل البهيم

سليمٌ مل منه أقربوه

وأسلمه المداوي والحميم

ذكر الزبير بن بكار أن هذا الشعر كله لأبي المنهال نفيلة الأشجعي. قال: وسمعت بعض أصحابنا يقول: إنه لمعمر بن العنبر الهذلي. والصحيح من القول، أن بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبد الواحد بن سليمان مخفوضة الميم، ولما غني فيها وفي أبيات نفيلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غير إلى ما أوجب رفعها. فأما ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أولها:

أجارتنا بذى نفر أقيمي

فما أبكى على الدهر الذميم

أقيمي وجه عامك ثم سيري

بل أواهي الجوار ولا مليم

فكم بين الأقارع فالمنقى

إلى أحدٍ إلى أكناف ريم

إلى الجماء من خدٍ أسيل

نقي اللون ليس بذى كلوم

ومن عينٍ مكحلة الأماقي

بلا كل ومن كشح هضيم

أرقت وغاب عني من يلوم	ولكن لم أنم أنا للهموم
أرقت وشفني وجعٌ بقلب	ي لزينب أو أميمة أو رعم
أقاسي ليلةً كالحول حتى	تبدى الصبح منقطع البريم
كأن الصبح أبلق في حجول	يشسب ويتقي ضرب الشكيم
رأيت الشيب قد نزلت علينا	روائعه بحجة مستقيم
إذا ناكرته ناكرت منه	خصومة لا ألد ولا ظلوم
وودعني الشباب فصرت منه	كراضٍ بالصغير من العظيم
فدع ما لا يرد عليك شيئاً	من الجارات أو دمن الرسوم
وقل قولاً تطبق مفصليه	بمدحه صاحب الرأي الصروم
لعبد الواحد الفلج المعلى	علاخلق النفورة والخصوم
دعته المكرمات فناولته	خطام المجد في سن الفطيم

وهي طويلة. فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعة أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة وإنما غيرت حتى صارت مرفوعةً، فاتفقت الأبيات وغني فيها. وأما أبيات نفيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له. ويتلو ذلك من أبيات نفيلة قوله:

يضيء دجى الظلام إذا تبدى	كضوء الفجر منظره وسيم
وقائلة ومثنية علينا	تقول وما لها فينا حميم
وأخرى لبها معنا ولكن	تصبر وهي واجمة كظوم
تعد لنا الليالي تحتصيها	متى هوحائنٌ منه قدوم
متى تر غفلة الواشين عنها	تجد بدموعها العين السجوم

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعر ابن هرمة ونفيلة لمعبد، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى عن عمرو ويونس. وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الواصي. وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج.

وهذا الواصي هو الصلت بن العاصي بن وابصة بن خالد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم. كان تنصر ولحق ببلاد الروم، لأن عمر بن عبد العزيز فيما ذكر حده في الخمر، وهو أمير الحجاز، فغضب فلحق ببلاد الروم وتنصر هناك، ومات هنالك نصرانياً.

رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفك الأسرى: فأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرني ابن العلاء أظنه أبا عمرو أو أخاه عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حكيم، وقد جمعت الروايتين، قال اليزيدي في خبره: إن إسماعيل حدث: أن عمر بن عبد العزيز بعث في الفداء. وقال عمر بن شبة: إن إسماعيل حدث قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينية فحدثه قال: بينا أنا أحول في القسطنطينية إذ سمعت رجلاً يغني بلسان فصيح وصوت شج:

فكم من حرة بين المنقى إلى أحدٍ إلى جنبات ريم

فسمعت غناءً لم أسمع قط أحسن منه. فلما سمعت الغناء وحسنه، لم أدر أهو كذلك حسن، أم لغربته وغربة العربية في ذلك الموضع. فدنوت من الصوت، فلما قربت منه إذا هو في غرفة، فتزلت عن بغلي فأوثقتها ثم صعدت إليه فقممت على باب الغرفة، فإذا رجل متسلق على قفاه يغني هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجله على الأخرى، فإذا فرغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء. ففعل ذلك مراراً فقلت: السلام عليكم فوثب ورد السلام فقلت: أبشر فقد فك الله أسرك، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى، هذا الطاغية في فداء الأسارى. ثم سألته: من أنت. فقال: أنا الواصي، أخذت فعذبت حتى دخلت في دينهم فقلت له: أنت والله أحب من أفتديه إلى أمير المؤمنين وإلي إن لم تكن دخلت في الكفر، فقال: قد والله دخلت فيه فقلت: أنشدك الله إلا أسلمت، فقال: أسلم وهذان ابناي وقد تزوجت امرأة منهم وهذان ابناها، وإذا دخلت المدينة قيل لي يا نصراني وقيل مثل ذلك لولدي وأمهما، لا والله لا أفعل. فقلت له: قد كنت قارئاً للقرآن فما بقي معك منه؟ قال: لا شيء إلا هذه الآية "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين". قال: فعاودته وقلت له: إنك لا تعبر بهذا فقال: وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير. فقلت: سبحان الله أما تقرأ: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" فجعل يعيد علي قوله: فكيف بما فعلت ولم يجيني إلى الرجوع. قال: فرفع عمر يده وقال: اللهم لا تميتني حتى تمكيني منه. قال: فوالله ما زلت راجياً لإجابة دعوة عمر فيه. قال جويرية في حديثه: وقد رأيت أبا الواصي بالمدينة.

وقال يعقوب بن السكيت في هذا الخبر. أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أنسيت اسمه قال: نزلنا في ظل حصن من الحصون التي للروم، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن:

فكم بين الأفارع فالمنقى إلى أحد إلى ميقات ريم

إلى الزوراء من ثغر نقي عوارضه ومن دل رقيم

ومن عين مكحلة الأماقي

بلا كحل ومن كشح هضيم

وهو ينشد بلسان فصيح ويكي، فناديته: أيها المنشد، فأشرف فتى كأحسن الناس. فقلت: من الرجل وما قصتك؟ فقال: أنا رجل من الغزاة من العرب نزلت مكانك هذا، فأشرفت علي جارية كأحسن الناس فعشقتها. فكلمتها فقالت: إن دخلت في ديني لم أخالفك فغلب علي الشيطان فدخلت في دينها، فأنا كما ترى. فقلت: أكنت تقرأ القرآن؟ فقال: إي والله لقد حفظته. قلت: فما تحفظ منه اليوم. قال: لا شيء إلا قوله عز وجل: "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين". قلت: فهل لك أن نعطيهم فداءك وتخرج. قال: ففكر ساعة ثم قال: انطلق صحبتك الله.

بعفر ما ورد في شعر ابن هرمة من الأخبار: ومما ورد في الأخبار من شعر ابن هرمة:

في حاضر لجب بالليل سامره

فيه الصواهل والرايات والعكر

وخرد كالمها حور مدامعها

كأنها بين كثنان النقا البقر

الشعر لابن هرمة. والغناء في اللحن المختار لحنين، ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. قال إسحاق: وفيه لأبي همهمة لحن من الثقيل الأول أيضاً. وأبو همهمة هذا مغن أسود من أهل المدينة، ليس بمشهور ولا ممن نادم الخلفاء ولا وجدت له خبراً فأذكره.

بزينت ألمم قبل أن يرحل الركب

وقل إن تملينا فما ملك القلب

وقل في تجنيها لك الذنب: إنما

عتابك من عاتبت فيماله عتب

الشعر لنصيب. والغناء في اللحن المختار لكردم بن معبد، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والمشماني ودنانير. وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأول ذكره المشامي. وقد تقدم من أخبار نصيب ما فيه كفاية، وإنما تأخر منها ما له موضع يصلح إفراده فيه، مثل أخبار هذا الصوت.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن ابن كناسة قال: قال نصيب: ما توهمت أي أحسن أن أقول الشعر حتى قلت:

بزيبن ألمم قبل أن يرحل الركب

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي عن محمد بن معن الغفاري قال أخبرني ابن الربيع قال: مر بنا جميل ونحن بضرية، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول: لأن أكون سبقت الأسود إلى قوله:

بزینب ألمم قبل أن يرحل الרכب

أحب إلي من كذا وكذا - لشيء قاله عظيم.
أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني سعيد بن عمرو عن حبيب بن شاذب الأسدي قال: مر بنا جرير بن الخطفي ونحن بضرية، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول: لأن أكون سبقت العبد إلى هذا البيت أحب إلي من كذا وكذا يعني قوله:

بزینب ألمم قبل أن يرحل الרכب

أخبرنا محمد بن العباس البزدي قال حدثني عمي الفضل عن إسحاق الموصلي عن ابن كناسة قال: اجتمع الكميت بن زيد ونصيب في الحمام، فقال له الكميت: أنشدني قولك:

بزینب ألمم قبل أن يرحل الרכب

فقال: والله ما أحفظها، فقال الكميت: لكني أحفظها، أفأنشدك إياها. قال نعم، فأقبل الكميت ينشده وهو أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلي قالا حدثنا عمر بن شبة قال ذكر ابن أبي الحويرث عن مولاة لهم، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن مولاة لهم قالت: إنا لمبني إذ نظرت إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة، فلم أدر لمن هي، حتى أنيخ بعير، فتزل عنه أسود وسوداء. فألقيا أنفسهما على بعض المتاع، ومر راكب يتغنى غناء الركبان

بزینب ألمم قبل أن يرحل الרכب

فرايت السوداء تخطب الأسود وتقول له: شهرتني وأذعت في الناس ذكري، فإذا هو نصيب وزوجته. قال إسحاق في خبره: وكان الذي اجتاز بهم وتغنى ابن سريج.
كان ابن سريج يغني لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرف بهن: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال محمد بن كناسة عن أبيه قال: قال، نصب: والله إني لأسير على راحلي إذا أدركت نسوة ذوات جمال يتناشدن قولي:

بزینب ألمم قبل أن يرحل الרכب

وإذا معهن ابن سريج، فقلن له: يا أبا يحيى، غننا في هذا الشعر، فغناهن فأحسن، فقلن: وددنا والله يا أبا يحيى أن نصيبا معنا فيتم سرورنا، فحركت بعيري لأتعرف بهن وأنشدن، فالتفت إحداهن إلي فقالت حين رأيته: والله لقد زعموا أن نصيبا يشبه هذا الأسود لا جرم، فقلت: والله لا أتعرف بهن سائر اليوم، ومضيت وتركتهن. قال: وكان الذي تغنى به ابن سريج من شعري:

وقل إن تملينا فما ملك القلب

فما مثل مالقيت من حبكم حب

بزینب ألمم قبل أن يرحل الרכب

وقل إن تتل بالحب منك مودة

عتابك من عاتبت فيماله عتب

وقل في تجنيها لك الذنب إنما

لذي وده ذنب وليس له ذنب

فمن شاء رام الوصل أو قال ظالماً

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إبراهيم بن عبد الله السعدي عن جدته جمال بنت عون عن جدها قال: قلت للنصيب: أنشدني يا أبا محجن من شعرك شيئاً، فقال: أيه تريد. قلت: ما شئت قال: لا أنشدك أو تقترح ما تريد فقلت: قولك:

بزيبب ألمم قبل أن يرحل الركب

قال: فتبسم وقال: هذا شعر قلته وأنا غلام، ثم أنشدني القصيدة. قال الزبير: وهي أجود ما قال. أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبیب بن نصر المهلبی قالوا حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس، ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الرازي عن المدائني عن أبي بكر الهذلي عن أيوب بن شاس وروايته أتم من رواية عمر بن شبة قال أيوب: حدثني عبد الله بن سعيد: أن النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة، فقال له: هيه يا أسود:

وقل إن تملينا فما ملك القلب

بزيبب ألمم قبل أن يرحل الركب

أأنت الذي تشهر النساء وتقول فيهن فقال: يا أمير المؤمنين، إني قد تركت ذلك وتبت من قول الشعر، وكان قد نسك، فأثنى عليه القوم وقالوا فيه قولاً جميلاً فقال له: أما إذ أثنى عليك القوم فسل حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين، لي، بنيات سويداوات أرغب من عن السودان ويرغب عنهن البيضان، فإن رأيت أن تفرض لهن فافعل، ففعل.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن محمد بن المؤمل بن طالوت عن أبيه عن عثمان بن الضحاك الحزامي قال:

خرجت على بعير لي أريد الحج، فترلت في فناء خيمة بالأبواء، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها فاستلها بي حسنهما، فتمثلت قول نصيب:

وقل إن تملينا فما ملك القلب

بزيبب ألمم قبل أن يرحل الركب

فقلت الجارية: أتعرف قائل هذا الشعر. قلت: نعم، ذاك نصيب، قالت: أفتعرف زيبب هذه. قلت: لا قالت: فأنا والله زيبب، وهو اليوم الذي وعدني فيه الزيارة، ولعلك لا ترحل حتى تراه. فوقفت ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريباً منها، ثم نزل فسلم عليها وسلمت عليه فقلت: عاشقان التقيا ولا بد أن يكون لهما حاجة، فقممت إلى راحلتي فشددت عليها؟ فقال: على رسلك، أنا معك؟ فلبث ساعة ثم رحل ورحلت معه؟ فقال لي: كأنك قلت في نفسك كذا وكذا قلت: قد كان ذاك فقال لا، ورب الكعبة البنية المستورة ما جلست معها مجلساً قط هو أقرب من هذا.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو ربيعة: لو لم تكن هذه القصيدة:

بزئيب ألم قبل أن يرحل الراكب

لنصيب، شجر من كانت تشبه. فقلت: شعر امرئ القيس، لأنها جزلة الكلام جيدة. قال: سبحان الله قلت: ما شأنك. فقال: سألت أباك عن هذا فقال لي مثل ما قلت، فعجبت من اتفاقكما. قال هارون وحدثني حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن رجل سمى قال: أتاني منقذ الهلالي ليلة وضرب علي الباب، فقلت: من هذا. فقال: منقذ الهلالي، فخرجت فزعاً، فقلت: فيم السرى أي ما جاء بك تسري إلي ليلاً في هذه الساعة؟ قال: خير، أتاني أهلي بدجاجة مشوية بين رغيفين، فتغذيت بها معهم، ثم أتيت بقنينة نبذ قد التقى طرفها، فشربت وذكرت قول نصيب:

بزئيب ألم قبل أن يرحل الراكب

فأنشدتها فأطربتني، وفكرت في إنسان يفهم حسن ذلك ويعرف فضله فلم أجد غيرك فأتيتك. فقلت: ما جاء بك إلا هذا. قال: لا، وانصرف. قال حماد: معنى قوله: التقى طرفها، أي قد صفت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء في الصفاء. ومما يغني فيه من قصيدة نصيب البائية المذكورة قوله:

بزئيب لا يفقدكما أبداً كعب

خليلي من كعب ألما هديتما

غداة غد عنها وعن أهلها نكب

من اليوم زوراها فإن ركابنا

الغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة.

صوت من المائة المختارة

على رواية جحظة عن أصحابه

نير وأطراف الأكف عنم

النشر مسك والوجوه دنا

رقش في ظهر الأديم قلم

والدار وحش والرسوم كما

نث أحاديث وهتك حرم

لست كأقوام خلائقهم

نث الحديث: إشاعته. والعنم: شجر أحمر، وقيل: بل هو دود أحمر كالأساريع يكون في البقل في أيام الربيع. والأديم: الجلد. وجلد كل شيء أديمه. ورقش: زين الشعر لمرقش الأكبر، والغناء لابن عائشة هزج بالبصر في مجراها.

أخبار المرقش الأكبر ونسبه

المرقش لقب غلب عليه بقوله:

رقش في ظهر الأديم قلم

الدار وحش والرسوم كما

عوف بن مالك المعروف بالبرك

وهو أحد من قال شعراً فلقب به. واسمه فيما ذكر أبو عمرو الشيباني عمرو. وقال غيره: عوف بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. وهو أحد المتيمين. كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك بن ضبيعة، وكان المرقش الأصغر ابن أخي المرقش الأكبر. واسمه فيما ذكر أبو عمرو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك. وقال غيره: هو عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك. وهو أيضاً أحد المتيمين، كان يهوى فاطمة بنت المنذر الملك ويتشبه بها. وكان للمرقشين جميعاً موقع في بكر بن وائل وحروها مع بني تغلب، وبأس وشجاعة ونجدة وتقدم في المشاهد ونكاية في العدو وحسن أثر. كان عوف بن مالك بن ضبيعة عم المرقش الأكبر من فرسان بكر بن وائل. وهو القاتل يوم قضة: يا لبكر بن وائل، أي كل يوم فرارا ومحلوفي لا يمر بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلا ضربته بسيفي. وبرك يقاتل فسمي البرك يومئذ. عمر بن مالك وأسر لهلهل:

وكان أخوه عمرو بن مالك أيضاً من فرسان بكر، وهو الذي أسر مهلهلاً، التقيا في خيلين من غير مزاحفة في، بعض الغارات بين بكر وتغلب، في موضع يقال له نقا الرمل، فانهزمت خيل مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأسره فانطلق به إلى قومه، وهم في نواحي هجر، فأحسن إيساره. ومر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر، وكان صديقاً لمهلهل يشتري منه الخمر، فأهدى إليه وهو أسير زق خمرة فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بكرةً وشربوا عند مهلهل في بيته وقد أفرد له عمرو بيتاً يكون فيه فلما أخذ فيهم الشراب لغنى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب، فسمع ذلك عمرو بن مالك فقال: إنه لريان، والله لا يشرب ماء حتى يرد ربيب يعني جماً كان لعمرو بن مالك، وكان يتناول الدهاس من أجواف هجر فيرعى فيها غبا بعد عشر في حمارة القيط فطلبت ركباً بني مالك ربيباً وهم حراس على ألا يقتل مهلهل، فلم يقدرُوا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً. ونحر عمرو بن مالك يومئذ ناباً فأسرج جلدتها على مهلهل وأخرج رأسه. وكانت بنت خال مهلهل امرأته بنت الحلل أحد بني لغلب قد أرادت أن تأتية وهو أسيرة فقال يذكرها:

ء لعوب لذينة في العناق

ظبية ما ابنة المحلل شنبا

فلما بلغها ما هو فيه لم تأتية حتى مات. فكان هبنقة القيسي أحد بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثروان يقول وكان محمقاً وهو الذي تضرب به العرب المثل في الحمق: لا؟ يكون لي حمل أبداً إلا سميت ربيباً يعني أن ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهلاً. ذكر ذلك أجمع ابن الكلبي وغيره من الرواة. والقصيد الميمية التي فيها الغناء المذكورة بذكر أخبار المرقش يقولها في مرثية ابن عم له. وفيها يقول:

بل هل شجتك الظعن باكرة

كأنها النخيل من ملهم

قال أبو عمرو ووافقه المفضل الضبي: وكان من خبر المرقش الأكبر أنه عشق ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك، وهو البرك، عشقها وهو غلام فخطبها إلى أبيها، فقال: لا أزوجك حتى تعرف بالبأس وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن وكان يعده فيها المواعيد. ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأجازه. وأصاب عوفاً زمان شديدت فأثاء رجل من مراد أحد بني غطيف، فأرغبه في المال فزوجه أسماء على مائة من الإبل، ثم تنحى عن بني سعد بن مالك.

ورجع مرقش، فقال إخوته: لا تخبروه إلا أنها ماتت، فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولفوها في ملحفة ثم قبروها. فلما قدم مرقش عليهم أخبروه أنها ماتت، وأتوا به موضع القبرة فنظر إليه وصار بعد ذلك يعتاده ويزوره. فبينما هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما إذ اختصما في كعب، فقال أحدهما: هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء. فكشف مرقش، عن رأسه ودعا الغلام وكان قد ضني ضناً شديداً فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المرادي أسماء فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من غفيلة كان عسيفاً لمرقش، فأمرها بأن تدعو له زوجها فدعته، وكانت له رواحل فأمره بإحضارها ليطلب المرادي عليها، فأحضرها إياها، فركبها ومضى في طلبه، فمرض في الطريق حتى ما يحمل إلا معروضاً. وإنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران، وهي أرض مراد، ومع الغفلي امرأته وليدة مرقش فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها: اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضراً وجوعاً. فجعلت الوليدة تبكي من ذلك، فقال لها زوجها: أطيعيني، وإلا فإني تاركك وذاهب. قال: وكان مرقش يكتب، وكان أبوه دفعه وأخاه حرمة وكانا أحب ولده إليه إلى نصراني من أهل الحيرة فعلمهما الخط. فلما سمع مرقش قول الغفلي للوليدة كتب مرقش على مؤخرة الرحل هذه الأبيات:

يا صاحبي تلبثا لا تعجلا

إن الرواح رهين ألا تفعل

فلعل لبثكما يفرط سيئاً

أو يسبق الإسراع سيئاً مقبلاً

ياراكباً إما عرضت فبلغن

أنس بن سعد إن لقيت وحرملا

لله دركما ودرأبيكما

إن أفلت العبدان حتى يقتلا

من مبلغ الأقوام أن مرقشاً

أضحى على الأصحاب عبئاً مثقلاً

وكأنما ترد السباع بشلوه

إذ غاب جمع بني ضبيعة منها

قال: فانطلق الغفلي وامرأته حتى رجعا إلى أهلها، فقالا: مات المرقش. ونظر حرمة إلى الرحل وجعل يقلبه فقرأ الأبيات، فدعاها وخوفها وأمرها بأن يصدقاه ففعلا، فقتلها. وقد كانا وصفا له الموضع، فركب في

طلب المرقش حتى أتى المكان، فسأل عن خبره فعرف أن مرقشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تترو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها. فلما بصر به قال له: من أنت وما شأنك. فقال له مرقش: أنا رجل من مراد، وقال للراعي: من أنت؟ قال: راعي فلان، وإذا هو راعي زوج أسماء. فقال له مرقش: أتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك؟ قال: لا، ولا أدنو منها، ولكن تأتيني جاريتها كل ليلة فأحلب لها عتراً فتأتيها بلبنها.

فقال له: خذ خاتمي هذا، فإذا حلبت فألقه في اللبن، فإنها ستعرفه، وإنك مصيب به خيراً لم يصبه راع قط إن أنت فعلت ذلك. فأخذ الراعي الخاتم. ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العتر طرح الخاتم فيه، فانطلقت الجارية به وتركته بين يديها. فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته، وكذلك كانت تصنع، ففرع الخاتم ثنيتها، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته، فقالت للجارية: ما هذا الخاتم. قالت: ما لي به علم، فأرسلتها إلى مولها وهو في شرف بنجران، فأقبل فرعاً فقال لها: لم دعوتني؟ قالت له: ادع عبدك راعي غنمك فدعاه، فقالت: سله أين وجد هذا الخاتم قال: وجدته مع رجل في كهف خبان. قال: ويقال كهف جبار فقال: اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيب به خيراً، وما أخبرني من هو، ولقد تركته بآخر رمق. فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ قالت: خاتم مرقش، فأعجل الساعة في طلبه. فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرقاه من فاحتملاه إلى أهلهم، فمات عند أسماء. وقال قبل أن يموت:

سرى ليلاً خيال من سليمى	فأرقني وأصحابي هجود
فبت أدير أمري كل حال	وأذكر أهلها وهم بعيد
على أن قد سما طرفي لنار	يشب لها بذى الأوطى وقود
حواليها مها بيض التراقي	وآرام وغزلان رقود
نواعم لاتعالج بؤس عيش	أوانس لاتروح ولا تروود
يرحن معاً بطاء المشيء بداً	عليهن المجاسد والبرود
سكن ببلدة وسكنت أخرى	وقطعت الموائق والعهود
فما بالي أفي ويخان عهدي	ومابالي أصاد ولا أصيد
ورب أسيلة الخدين	بكير منعمة لها فرع وجيد
وذو أشر شتيت النبت عذب	نقي اللون براق برود
لهوت بها زماناً في شبابي	وزارتها النجائب والقصيد
أناس كلما أخلقت وصلاً	عناني منهم وصل جديد

ثم مات عند أسماء، فدفن في أرض مراد.

وقال غير أبي عمرو والمفضل: أتى رجل من مراد يقال له قرن الغزال، وكان موسراً، فخطب أسماء وخطبها المرقش وكان مملقاً، فزوجها أبوها من المرادي سراة فظهر على ذلك مرقش فقال: لئن ظفرت به لأقتلنه. فلما أراد أن يهتديها خاف أهلها عليها وعلى بعلمها من مرقش، فتربصوا بها حتى عزب مرقش في إبله، وبني المرادي بأسماء واحتملها إلى بلده. فلما رجع مرقش إلى الحي رأى غلاماً يتعرق عظماً، فقال له: يا غلام، ما حدث بعدي في الحي. وأوجس في صدره خيفةً لما كان، فقال الغلام: اهتدى المراثي امرأته أسماء بنت عوف. فرجع المرقش إلى حيه فلبس لأمته وركب فرسه الأغر، واتبع آثار القوم يريد قتل المرادي. فلما طلع لهم قالوا للمرادي: هذا مرقش، وإن لقيك فنفسك دون نفسه. وقالوا لأسماء: إنه سيمر عليك، فأطلعي رأسك إليه واسفري، فإنه لا يرميك ولا يضرك، ويلهو، بمديثك عن طلب بعلك، حتى يلحقه إخوته فيردوه. وقالوا للمرادي: تقدم فتقدم. وجاءهم مرقش. فلما حاذاهم أطلعت أسماء من خدرها ونادته، فغض من فرسه وسار بقربها، حتى أدركه أخواه أنس وحرملة فعذلاه ورداه عن القوم. ومضى بها المرادي فألقها بحيه. وضي مرقش لفراق أسماء. فقال في ذلك:

تخطط فيها الطير قفر بسابس

أمن آل أسماء الرسوم الدوارس

وهي قصيدة طويلة. وقال في أسماء أيضاً:

وشوقاً إلى أسماء أم أنست غالبه

أغالبك القلب اللجوج صبايةً

كذاك الهوى إمراره وعواقبه

يهيم ولايعيا بأسماء قلبه

بغمز من الواشين وازور جانبه

أيلحى امرؤ في حب أسماء قد نأى

وبادى أحاديث الفؤاد وغائبه

وأسماء هم النفس إن كنت عالماً

يزعز عني قففاف ورد وصالبه

إذا ذكرتها النفس ظلت كأنني

كان مع الجحالد بن ريان في غارته على بني تغلب وقال شعراً: وقال أبو عمرو: وقع الجحالد بن ريان ببني تغلب بجمران فنكى فيهم وأصاب مالا وأسرى، وكان معه المرقش الأكبر، فقال المرقش في ذلك:

فجلى أحاديثها عن بصر

أنتني ليسان بني عامر

بجيش كضوء نجوم السحر

بأن بني الوخم ساروا معا

وكل كميت طوال أغر

بكل خبوب السسرى نهدة

بريق القوانس فوق الغرر

فما شعر الحي حتى رأوا

وأصدرنهم قبل حين الصدر

فأقبلنهم ثم أدبرنهم

فيا رب شلو تخطر فنه

كريم لدى مزحف أو مكر

وكائن بجمران من مزحف

ومن رجل وجهه قد عفر

وأما المرقش الأصغر

فهو على ما ذكر أبو عمرو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة. والمرقش الأكبر عم الأصغر، والأصغر عم طرفة بن العبد. قال أبو عمرو: والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولهما عمراً. وهو الذي عشق فاطمة بنت المنذر، وكانت لها وليدة يقال لها بنت عجلان، وكان لها قصر بكاطمة، وعليه حرس. وكان الحرس يجرون كل ليلة حوله الثياب فلا يطؤه أحد إلا بنت عجلان. وكان لبنت عجلان في كل ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها. فقال عمرو بن جناب بن مالك لمرقش: إن بنت عجلان تأخذ كل عشية رجلاً ممن يعجبها فيبيت معها.

وكان مرقش ترعية لا يفارق إبله، فأقام بالماء وترك إبله ظمأى، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شعراً. وكانت فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر فتتظر إلى الناس. فجاء مرقش فبات عند ابنة عجلان، حتى إذا كان من الغد تجردت عند مولاتها. فقالت لها: ما هذا بفخذيك، وإذا نكت كأثما التين وكأثار السياط من شدة حفزه إياها عند الجماع الت: آثار رجل بات معي الليلة. وقد كانت فاطمة قالت لها: لقد رأيت رجلاً جميلاً راح نحونا بالعشية لم أره قبل ذلك، قالت: فإنه فتى قعد عن إبله وكان يرعاها، وهو الفتى الجميل الذي رأيته، وهو الذي بات، معي فأثر في هذه الآثار. قالت لها فاطمة: فإذا كان غد وأتاك فقدمي له مجمراً ومريه أن يجلس عليه وأعطيته سواكاً، فإن استاك به أوردته فلا خير فيه، وإن قعد على الأحمر أوردته فلا خير فيه. فأتته بالجمر فقالت له: اقعد عليه، فأبى وقال: أدنيه مني، فدخن لحيته وجهته وأبى أن يقعد عليه، وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به. فأتت ابنة عجلان فاطمة فأخبرتها بما صنع، فازدادت به عجباً وقالت: اتيني به. فتعلقت به كما كانت تتعلق، فمضى معها وانصرف أصحابه. فقال القوم حين انصرفوا: لشد ما علقت بنت عجلان المرقش وكان الحرس ينشرون التراب حول قبة فاطمة بنت المنذر ويجرون عليه ثوباً حين تمسي ويحرسونها فلا يدخل عليها إلا ابنة عجلان، فإذا كان الغد بعث الملك بالقافة فينظرون أثر من دخل إليها ويعودون فيقولون له: لم نر إلا أثر بنت عجلان. فلما كانت تلك الليلة حملت بنت عجلان مرقشاً على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب، وأدخلته إليها فبات معها. فلما أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا: نظرنا أثر بنت عجلان وهي مثقلة. فلبث بذلك حيناً يدخل إليها. فكان عمرو بن جناب بن عوف بن مالك يرى ما يفعل ولا يعرف مذهبه. فقال له: ألم تكن عاهدتني عهداً لا تكتمني شيئاً ولا أكتمك ولا نتكاذب. فأخبره مرقش الخبر فقال له: لا أرضى عنك ولا أكلمك أبداً أو تدخلني عليها، وحلف على ذلك. فانطلق المرقش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنت عجلان فأجلسه فيه وانصرف وأخبره كيف يصنع، وكانا متشابهين غير أن عمرو بن جناب كان أشعر، فأتته بنت

عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقش. فلما أراد مباشرتها وجدت شعر فخذه فاستنكرته، وإذا هو يردد، فدفعته بقدمها في صدره وقالت: قبح الله سرا عند المعيدي. ودعت بنت عجلان فذهبت به، وانطلق إلى موضع صاحبه. فلما رآه قد أسرع الكرة ولم يلبث، إلا قليلاً، علم أنه قد افتضح، فعض على إصبعه فقطعها. ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذي كان فيه يعني الإبل التي كان مقيماً فيها حياءً مما صنع. وقال مرقش في ذلك:

ألا يا اسلمى لا صرم لي اليوم فاطما

ولا أبداً ما دام وصلك دائماً

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة

وهن بنا خوص يخلن نعائما

تراعت لنا يوم الرحيل بوارد

وعذب الثنايا لم يكن متراكما

سقاه حباب المزن في متكلل

من الشمس رواه ربابا سواجما

أرنك بذات الضال منها معاصماً

وخدا أسيلاً كالوذيلة ناعما

صحا قلبه عنها على أن ذكره

إذا خطرت دارت به الأرض قائما

تبصر خليلي هل ترى من طعانن

خرجن سراعاً واقتعدن المفائما

تحملن من جو الوريعة بعد ما

تعالى النهار وانتجعن الصرائما

تحلين ياقوتاً وشذراً وصيغة

جزعاً ظفاريادرا توائما

سلكن القرى والجزع تحدى جمالها

ووركن قوا واجتزن عن المخارما

ألا حبذا وجه تريك بياضه

ومنسدلات كالمثاني فواحما

وإني لأستحيي فطيمة جائعاً

خميصاً وأستحيي فطيمة طاعما

وإني لأستحييك والخرق بيننا

مخافة أن تلقى أبا لي صارما

وإني وإن كنت قلوصي لراجم

بها وبنفسي يا فطيم المراجما

ألا يا اسلمى بالكوكب الطلق فاطما

وإن لم يكن صرف النوى متلائما

ألا يا اسلمى ثم اعلمي أن حاجتي

إليك فردي من نوالك فاطما

أفاطم لو أن النساء ببلدة

وأنت بأخرى لا بتغيتك هائما

متى مايشأ ذوالود يصرم خليله

ويغضب عليه لامحالة ظالما

وآلى جناب حلقة فأطعته

فنفسك ول اللوم إن كنت نادما

فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره

ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

ألم تر أن المرء يجذم كفه
ويجشم من لوم الصديق المجاشما
أمن حلم أصبحت تتكت واجما
وقد تعترى الأحلام من كان نائما

من المائة المختارة

إذا قلت تسلو النفس أو تنتهي المنى
أبى القلب إلا حب أم حكيم
منعمة صفراء حلو دلالها
أبيت بها بعد الهدوء أهيم
قطوف الخطا مخطوطة المتن زانها
مع الحسن خلق في الجمال عميم

الشعر مختلف في قائله، فمن الرواة من يرويه لصالح بن عبدالله العبشمي، ومنهم من يرويه لقطري بن الفجاءة المازني، ومنهم من يرويه لعبيدة بن هلال الشكري. والغناء لسياط، وله فيه لحنان: أحدهما، وهو المختار، ثقیل أول بالوسطى، والآخر خفيف ثقیل بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق. ولبعض الشراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية، وفيها ذكر لأم حكيم هذه أيضاً، تنسب إلى هؤلاء الشعراء الثلاثة، ويختلف في قائلها كالاختلاف في قائل هذه. وفيها أيضاً غناء وهو في هذه الأبيات. منها:

لعمرك إني في الحياة لزاهد
وفي العيش ما لم ألق أم حكيم
ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت
طعان فتى في الحرب غير ذميم

ذكر المبرد أن الشعر لقطري بن الفجاءة، وذكر الهيثم بن عدي أنه لعمر القنا، وذكر وهب بن جرير أنه لحبيب بن سهم التميمي، وذكر أبو مخنف أنه لعبيدة بن هلال الشكري، وذكر خالد بن خدّاش أنه لعمر القنا أيضاً. والغناء لمبعد ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس.

خبر الوقعة التي قبل فيها هذا الشعر

وهي وقعة دولاب وشيء من أخبار هؤلاء وأنسابهم وخبر أم حكيم هذه. وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة: هذان الشعراء قيّلا في وقعة دولاب، وهي قرية من عمل الأهواز، بينها وبين الأهواز نحو من أربعة فراسخ، كانت بها حرب بين الإزارقة وبين مسلم بن عبيس بن كرز خليفة عبدالله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، وذلك في أيام ابن الزبير. أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن عمر بن شبة عن المدائني، وأخبرني بها عبيد الله بن محمد الرازي عن الخراز عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خدّاش: أن نافع بن الأزرق، لما تفرقت آراء الخوارج ومذاهبهم في أصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترض الناس، وقد كان متشككاً في ذلك. فقالت له امرأته: إن كنت قد كفرت بعد إيمانك وشككت فيه، فدع نخلتك ودعوتك، وإن كنت قد خرجت من

الكفر إلى الإيمان فاقتل الكفار حيث لقبتهم وأنخن في النساء والصبيان كما قال نوح: "لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً". فقبل قولها واستعرض الناس وبسط سيفه، فقتل الرجال والنساء والولدان، وجعل يقول: إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم. وإذا وطيء بلدًا فعل مثل هذا به إلى أن يجيبه أهله جميعاً ويدخلوا ملته، فيرفع السيف ويضع الجباية فيجي الخراج. فعظم أمره واشتدت شوكته وفشا عفاله في السواد. فارتاع لذلك أهل البصرة ومشوا إلى الأحنف بن قيس فشكوا إليه أمرهم وقالوا له: ليس بيننا وبين القوم إلا ليلتان، وسيرتهم كما ترى، فقال لهم الأحنف: إن سيرتهم في مصر كم إن ظفروا به مثل سيرتهم في سوادكم، فخذوا في جهاد عدوكم. وحرصهم الأحنف، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح. فأتاه عبدالله بن الحارث بن نوفل، وسأله أن يؤمر عليهم أميراً، فاختار لهم مسلم بن عبيس بن كريض بن ربيعة، وكان فارساً شجاعاً ديناً، فأمره عليهم وشيعه. فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال: إني ما خرجت لامتيار ذهب ولا وفضة، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم ورماحهم. فمن كان من شأنه الجهاد فلينهض، ومن أحب الحياة فليرجع. فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه، فلما صاروا بدولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتلى، وتضاربوا بالسيوف والعمدة فقتل في المعركة ابن عبيس وهو على أهل البصرة، وذلك في جمادى الآخرة سنة خمس وستين، وقتل نافع بن الأزرق يومئذ أيضاً، فعجب الناس من ذلك، وأن الفريقين تصابروا حتى قتل منهم خلق كثير، وقتل رئيسا العسكرين، والشراة يومئذ ستمائة رجل، فكانت الحدة يومئذ وبأس الشراة واقعاً ببني تميم وبني سدوس. وأتى ابن عبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الربيع بن عمرو الغداني، وكان يقال له الأجدم، كانت يده أصيبت بكابل مع عبد الرحمن بن سمرة. واستخلف نافع بن الأزرق عبيد الله بن بشير بن الماحوز أحد بني سليط بن يربع. فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يربوع، رئيس المسلمين من بني غدانة بن يربوع، ورئيس الشراة من بني سليط بن يربوع، فاتصلت الحرب بينهم عشرين يوماً. قال المدائني في خبره: وادعى قتل نافع بن الأزرق رجل من باهلة يقال له سلامة. وتحدث بعد ذلك قال: كنت لما قتلت على بردون ورد فإذا أنا برجل ينادي، وأنا واقف في خمس بني تميم، فإذا به يعرض علي المبارزة فتغافلت عنه، وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خمس إلى خمس وليس يزايلني، فصرت إلى رحلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة، فلما كثر خرجت إليه، فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته، ونزلت فأخذت رأسه وسلبته، فإذا امرأة قد رأيتني حين قتلت نافعاً، فخرجت لتثأر به. قالوا: فلما قتل فافع وابن عبيس وولي الجيش إلى ربيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشراة نيفاً وعشرين يوماً، ثم أصبح ذات يوم فقال لأصحابه: إني مقتول لا محالة، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء فاشتعلتني. فلما كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم فقتل يومئذ قال: اشتلاه: أخذه إليه. يقال: اشتلاه واشتلاه قال: فلما قتل الربيع تدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب إذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميري. وقد اقتتل الناس يومئذ وقبله

بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله، تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت، ثم تضاربوا بالسيوف والعمد حتى لم يبق لأحد منهم قوة، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يغني شيئاً من الإعياء، وحتى كانوا يترامون بالحجارة ويتكادمون بالأفواه. فلما تدافع القوم الراية وأبوها واتفقوا على الحجاج بن باب امتنع من أخذها. فقال له كريب بن عبد الرحمن: خذها فإنها مكرمة، فقال: إنها لراية مشئومة، ما أخذها أحد إلا قتل. فقال له كريب: يا أعور تقارعت العرب على أمرها ثم صيروها إليك فتأبى خوف القتل، خذ اللواء ويحك، فإن حضر أجلك قتلت إن كانت معك أو لم تكن. فأخذ اللواء وناهضهم،

فاقتتلوا حتى انتقضت الصفوف وصاروا كراديس والخوارج أقوى عدة بالدروع والجواشن. وجعل الحجاج يغمض عينيه ويحمل حتى يغيب في الشراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يظن أنه قد قتل، ثم يرفع رأسه وسيفه يقطر دماً، ويفتح عينيه فيرى الناس كراديس يقاتل كل قوم في ناحية. ثم التقى الحجاج بن باب وعمران بن الحارث الراسي، فاختلفا ضربتين كل واحد منهما قتل صاحبه، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا، وأصبح أهل البصرة وقد هرب عامتهم، وولوا حارثة بن بدر الغداني أمرهم ليس بهم طرق ولا بالخوارج. فقالت امرأة من الشراة وهي أم عمران قاتل الحجاج بن باب وقتيله ترثي ابنها عمران:

وكان عمران يدعو الله في السحر

الله أيد عمراناً وطهره

شهادة بيدي ملحادة غدر

يدعوه سرا وإعلاناً ليرزقه

وشد عمران كالضرغامة الذكر

ولى صحابته عن حر ملحمة

قال: فلما عقدوا حارثة بن بدر الرياسة وسلموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبتوا، فإذا فتح الله عليهم فللعرب زيادة فريضتين وللموالي زيادة فريضة، فندب الناس فالتقوا وليس بأحد منهم طرق، وقد فشت فيهم الجراحات فلهم أنين، وما تطأ الخيل إلا على القتلى. فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمع من الشراة يقول المكثرون إنهم مائتان والمقلل إنهم أربعون، فاجتمعوا وهم يريجون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبة واحدة، فحملوا على المسلمين. فلما رآهم حارثة بن بدر نكص برايته فانهزم وقال:

وحيث شئتم فاذهبوا

كرنبوا ودولبوا

وقال:

والخصيتان فريضة الأعراب

أير الحمار فريضة لعبيدكم

وتتابع الناس على أثره منهزمين، وتبعتهم الخوارج، فalcقوا أنفسهم في دجيل فغرق منهم خلق كثير وسلمت بقيتهم. وكان ممن غرق دغفل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيان. ولحقت قطعة من الشراة خيل عبد القيس فأكبوا عليهم، فعطفت عليهم خيل من بني تميم فعاونوهم وقاتلوا السراة حتى كشفوهم وانصرفوا إلى أصحابهم. وعبرت بقية الناس، فصار حارثة ومن معه بنهر تيري والسراة بالأهواز، فأقاموا ثلاثة أيام. وكان على الأزد

يومئذ قيصة بن أبي صفرة أخو المهلب، وهو جد هزارد . قال: وغرق يومئذ من الأزرد عدد كثير. فقال شاعر الأزراقة:

يرى من جاء ينظر من دجيل
وقال شاعر آخر منهم:

شمت ابن بدر، والحوادث جمّة،
والموت حتم لامحالة واقع
فلئن أمير المؤمنين أصابه
ريب المنون فمن تصبه يغلق
والظالمون بنافع بن الأزرق
من لا يصبحه نهاراً يطرق

قال قطري بن الفجاءة، فيما ذكر المبرد، وقال المدائني في خبره: إن صالح بن عبدالله العيشي قاتل ذلك، وقال خالد بن خدّاش: بل قاتلها عمرو القنا، قال وهب بن جرير عن أبيه فيما حدثني به أحمد بن الجعد الوشاء عن أحمد بن أبي خيثمة عن أبيه عن وهب بن جرير عن أبيه: إن حبيب بن سهم قاتلها:

لعمرك إني في الحياة لزاهد
من الخفريات البيض لم أر مثلها
لعمرك إني يوم ألطم وجهها
ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت
غداة طفت علماء بكر بن وائل
ومال الحجازيون نحو بلادهم
وكان لعبد القيس أول جدها
فلم أريوماً كان كثر مقعصاً
وضاربة خدا كريماً على فتى
أصيب بدولاب ولم تك موطناً
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم
وفي العيش ما لم ألق أم حكيم
شفاءً لذي بث ولا سقيم
على نائبات الدهر غير حلّيم
طعان فتى في الحرب غير لئيم
وألأفها من حمير وسليم
وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وولت شيوخ الأزدهي تعوم
يمج دماً من فائظ وكليم
أغر نجيب الأمهات كريم
له أرض دولاب ودير حميم
تبيح من الكفار كل حريم
بجنات عدن عنده ونعيم

حدثني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد الأرقط قال: كان الشراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدين وغير ذلك على أمان وسكون فلا يهيج بعضهم بعضاً. فتواقف يوماً عبدة بن هلال اليشكري وأبو حزابة التميمي وهما في الحرب، فقال عبدة: يا أبا حزابة، إني

سائلك عن أشياء، أفترضني في الجواب عنها؟ قال: نعم، إن تضمنت لي مثل ذلك، قال: قد فعلت. قال: سل عما بدا لك. قال: ما تقول في أئمتكم. قال: يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفرج الحرام. قال: ويحك فكيف فعلهم في المال؟ قال: يخبونه من غير حقه، وينفقونه في غير حقه. قال: فكيف فعلهم في اليتيم. قال: يظلمونه ماله، ويمنعونه حقه، وينيكون أمه. قال: ويلك يا أبا حزابة أفمثل هؤلاء تتبع. قال: قد أجبت، فاسمع سؤالي ودع عنك عتايي على رأيي، قال: قل. قال: أي الخمر أطيب: أخمر السهل أم خمر الجبل. قال: ويلك أتسأل مثلي عن هذا؟ قال: قد أوجبت على نفسك أن تحيب، قال: أما إذ أبيت فإن خمر الجبل أقوى وأسكر، وخمر السهل أحسن وأسلس. قال أبو حزابة: فأأي الزواني أفره: أزواني رامهرمز أم زواني أرجان؟ قال: ويلك إن مثلي لا يسأل عن مثل هذا قال: لا بد من الجواب أو تغدر، فقال: أما إذ أبيت فزواني رامهرمز أرق أبشاراً، وزواني أرجان أحسن أبداناً. قال: فأأي الرجلين أشعر: أجريز أم الفرزدق. قال: عليك وعليهما لعنة الله، أيهما الذي يقول:

وطوى الطراد مع القياد بطونها طي التجار بحضرموت برودا

قال: جرير، قال: فهو أشعرهما. قال: وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى توثبوا وصاروا إلى المهلب محكمين له في ذلك، فقال: أردتم أن أحكم بين هذين الكلبيين المتهارشين فيمتضغاني، كنت لأحكم بينهما، ولكني أدلكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سبائهما، عليكم بالشرة فسلوهم إذا تواقفتم. فلما تواقفوا سأل أبو حزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب. أخبرني أحمد بن جعفر جخطة قال حدثني ميمون بن هارون قال: حدثت أن امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة يقال لها أم حكيم، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً وأحسنهم بدنيهم تمسكاً، وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تحب إلى ذلك؟ فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز:

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد مللت دفنه وغسله

ألا فتى يحمل عني ثقله

قال: وهم يقدونها بالآباء والأمهات، فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلها. أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عمي قال: كان عبيدة بن هلال إذا تكاف الناس ناداهم: ليخرج إلي بعضكم، فيخرج إليه فتیان من العسكر، فيقول لهم: أيما أحب إليكم: أقرأ عليكم القرآن أو أنشدكم الشعر؟ فيقولون له: أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك، فأنشدنا، فيقول لهم: يا فسقة، والله قد علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن، ثم لا يزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ثم يفترقون.

أخبار سياط ونسبه

سياط لقب غلب عليه، واسمه عبدالله بن وهب، ويكنى أبا وهب، مكى مولى خزاعة. وكان مقدماً في الغناء رواية وصنعة، ومقدماً في الضرب معدوداً في الضراب. وهو أستاذ ابن جامع وإبراهيم الموصلي، وعنه أخذنا ونقلنا ونقل نظراؤهما الغناء القديم، وأخذه هو عن يونس الكاتب. وكان سيات زوج أم ابن جامع. وفيه يقول بعض الشعراء:

ماسمعت الغناء إلا شجاني
من سيات وزاد في وسواسي
غنني ياسيات قد ذهب اللي
ل غناء يطير منه نعاسي
ما أبالي إذ اسمعت غناء
لسيات مافاتني للرؤاسي

والرؤاسي الذي عناه هو عباس بن منقار، وهو من بني رؤاس. وفيه يقول محمد بن أبان الضبي:

إذا واخيت عباساً
فكن منه على وجل
فتى لا يقبل العذر
ولا يرغب في الوصل
وما إن يتغنى من
يوأخيه من النبل

قال حماد بن إسحاق: لقب سيات هذا اللقب لأنه كان كثيراً ما يتغنى:

كأن مزاحف الحيات فيه
قبيل الصبح آثار السيات

وأخبرني محمد بن خلف قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه، وأخبرني به عبدالله بن عباس بن الفضل بن الربيع الربيعي عن وسوسة الموصلي ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسوسة عن حماد عن أبيه، قال: غنى إبراهيم الموصلي يوماً صوتاً لسياط، فقال له ابنه إسحاق: لمن هذا الغناء يا أبت؟ قال: لمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله، لسياط. قال: وقال المهدي يوماً وهو يشرب لسلام الأبرش: جئني بسيات وعقاب وحبال، فارتاع كل من حضر وظن جميعهم أنه يريد الإيقاع بهم أو بيعضهم، فجاءه بسيات المغني وعقاب المدني وكان الذي يوقع عليه وحبال الزامر. فجعل الجلساء يشتمونهم والمهدي يضحك. أخبرني محمد بن خلف قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: مر سيات على أبي ربحانة المدني في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه ثوب رقيق رث، فوثب إليه أبو ربحانة وقال: بأي أنت يا أبا وهب، غني صوتك في شعر ابن جندب:

فؤادي رهين في هواك ومهجتي
تذوب وأجفاني عليك همول

فغناه إياه، فشق قميصه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجهداً. فقال له رجل: ما أغنى عنك ما غناك من شق قميصك فقال له يابن أخي، إن الشعر الحسن من المغني الحسن في الصوت المطرب أذفاً للمقروور من حمام محمى. فقال له رجل: أنت عندي من الذين قال الله جل وعز: "فما رجحت تجارهم وما كانوا مهتدين". فقال: بل أنا من الذين قال تبارك وتعالى: "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه". وقد أخبرني بهذا الخبر علي

بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه فذكر قريباً من هذا، ولفظ أبي أيوب وخبره أتم.
وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي، المعروف بابن أبي اليسع، قالحدثنا عمر بن شبة: أن سياطاً مر بأبي ريحانة
المدني، فقال له: بحق القبر ومن غني بلحنك في شعر ابن جندب:

لكل حمام أنت باك إذا بكى
ودمعتك منهل وقلبك يخفق
مخافة بعد قرب وهجرة
تكون ولما تأت والقلب مشفق
ولي مهجة ترفض من خوف عتبها
وقلب بنار الحب يصلى ويحرق
أظل خليعاً بين أهلي متيماً
وقلبي لما يرجوه منها معلق

فغناه إياه، فلما استوفاه ضرب بيده على قميصه فشقه حتى خرج منه وغشي عليه. فقال له رجل لما أفاق: يا أبا
ريحانة، ما أغنى عنك الغناء، ثم ذكر باقي الخبر مثل ما تقدم.

أخبرني إسماعيل قال حدثني عمر بن شبة قال: مرت جارية بأبي ريحانة يوماً على ظهرها قرية وهي تغني وتقول:

وأبكى فلا ليلى بكت من صباية
إلي ولا ليلى لذي الود تبذل
وأخنع بالعتبى إذا كنت مذنباً
وإن أذنبت كنت الذي أتصل

فقام إليها فقال: يا سيدتي أعيدي فقالت: مولاتي تنتظري والقربة على ظهري، فقال: أنا أحملها عنك، فدفعتها
إليه فحملها، وغنته الصوت، فطرب فرمى بالقربة فشقتها. فقالت له الجارية: أمن حقي أن أغنيك وتشق قربتي
فقال لها: لا عليك، تعالي معي إلى السوق، فجاءت معه فباع ملحفته واشترى لها بثمانها قرية جديدة. فقال له
رجل: يا أبا ريحانة، أنت والله كما قال الله عز وجل: "فما رحمت تجارتهم وما كانوا مهتدين"، فقال: بل أنا كما
قال الله عز وجل: "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه".

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أبو العيناء قال قال إسحاق الموصلي: بلغني أن أبا ريحانة المدني
كان جالساً في يوم شديد البرد وعليه قميص خلق رقيق، فمر به سياط المغني فوثب إليه وأخذ بلجامه وقال له:
يا سيدي، بحق القبر ومن فيه غني صوت ابن جندب، فغناه:

فؤادي رهين في هواك ومهجتي
تذوب وأجفاني عليك همول

فشق قميصه حتى خرج منه وبقي عارياً وغشي عليه، واجتمع الناس حوله وسياط واقف متعجب مما فعل. ثم
أفاق وقام إليه، فرحمه سياط وقال له: مالك يا مشئوم؟ أي شيء تريد. قال: غني بالله عليك:

ودع أمامة حان منك رحيل
إن الوداع لمن تحب قليل
مثل القضيب تمايلت أعطافه
فالريح تجذب منتنه فيميل
إن كان شأنكم الدلال فإنه
حسن دلالك يا أميم جميل

فغناه إياه، فلطم وجهه ثم خرج الدم من أنفه ووقع صريعاً. ومضى سياط، وحمل الناس أبا ربحانة إلى الشمس. فلما أفاق قيل له: ويحك خرقت قميصك وليس لك غيره فقال: دعوني، فإن الغناء الحسن من المغني المطرب أدفاً للمقرور من حمام المهدي إذا أوقد سبعة أيام. قال: ووجه له سياط بقميص وجبة وسراويل وعمامة.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبو أيوب المدني قال حدثني محمد بن عبد الله الخزاعي وحماد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال: كان سياط أستاذ أبي وأستاذ ابن جامع ومن كان في ذلك العصر. فاعتل علةً، فجاءه أبي وابن جامع يعودانه.

فقال له أبي: أغرز علي بعلتك أبا وهب، ولو كانت مما يفتدى لفديتك منها. قال: كيف كنت لكم؟ قلنا: نعم الأستاذ والسيد. قال: قد غنيت لنفسي ستين صوتاً فأحب ألا تغيروها ولا تتحلوها. فقال له أبي: أفعل ذلك يا أبا وهب، ولكن أي ذلك كرهت: أن يكون في غنائك فضل فأقصر عنه فيعرف فضلك عليم فيه، أو أن يكون فيه نقص فأحسنه فينسب إحساني إليك ويأخذه الناس عني لك؟ قال: لقد استعفيت سن غير مكروه. قال الخزاعي فيب خبره: ثم قال لي إسحاق: كان سياط خزاعياً، وكان له زامر يقال له حبال، وضارب يقال له عقاب. قال حماد قال أبي: أدركت أربعة كانوا أحسن الناس غناء، سياط أحدهم. قال: وكان موته في أول أيام موسى الهادي.

أخبرني يحيى قال حدثنا أبو أيوب عن مصعب قال: دخل ابن جامع على سياط وقد نزل به الموت، فقال له: ألك حاجة. فقال: نعم، لا تزدد في غنائي شيئاً ولا تنقص منه، دعه رأساً برأس، فإنما هو ثمانية عشر صوتاً. أخبرنا محمد بن يزيد قال حدثنا حماد قال حدثني محمد بن حديد أخو النضر بن حديد: أن إخواناً لسياط دعوه، فأقام عندهم وبات، فأصبحوا فوجدوه ميتاً في منزله، فجاءوا إلى أمه وقالوا: يا هذه، إنا دعونا ابنك لنكرمه ونسر به ونأنس بقربه فمات فجأة، وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئت، ونشدناك الله ألا تعرضينا للسلطان أو تدعي فيه علينا ما لم نفعله. فقالت: ما كنت لأفعل، وقد صدقتم، وهكذا مات أبوه فجأة. قال: فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفنته. وقد ذكرت هذه القصة بعينها في وفاة نبيه المغني، وخبره في ذلك يذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى.

أخبرنا يحيى بن علي بن عيسى بن الحسين الزيات واللفظ له، قال حدثنا أبو أيوب قال حدثنا أحمد بن المكي قال: غنيت إبراهيم بن المهدي لسياط:

ضاف قلبي الهوى فأكثر سهوي

فاستحسنه جدا، وقال لي: ممن أخذته؟ قلت: من جارية أبيك قرشية الزباء، فقال: أشعرت أنه كان لأبي ثلاث جوار محسنات كلهن تسمى قرشية، منهن قرشية الزباء وقرشية السوداء وقرشية البيضاء، وكانت الزباء أحسنهن

غناءً يعني التي أخذت منها هذا الصوت، قال: وكنت أسمعها كثيراً تقول: قد سمعت المغنين وأخذت عنهم وتفقدت أغانيهم، فما رأيت فيهم مثل سيات قط. هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصة.

نسبة هذا الصوت

صاف قلبي الهوى فأكثر سهوي

وجوى الحب مفتح غير حلو

لو علا بعض ما علاني ثبيراً

ظل ضعفاً ثبير من ذاك يهوي

من يكن من هوى الغواني خليا

يا ثقتاني فإنني غير خلو

الغناء لسياط ثاني ثقل بالوسطى في مجراها عن إسحاق.

من المائة المختارة

يا أم عمرو لقد طالبت ودمكم

جهدي وأعذرت فيه كل إعدار

حتى سقمت، وقد أصبحت سالمة،

مما أعالج من هم وتذكار

لم يسم قائل هذا الشعر. والغناء للرطاب. والرطاب مدني قليل الصنعة ليس بمشهور. وقيل له الرطاب لأنه كان يبيع الرطب بالمدينة. ولحنه المختار هزج بالوسطى.

تصدع الأنس الجميع

أمسى فقلبي به صدوع

في إثرهم وجفون عيني

مخضلة كلها دموع

لم يسم لنا قائل هذا الشعر ولا عرفناه. والغناء لدكين بن يزيد الكوفي. ولحنه المختار من خفيف الثقل بالوسطى، وهكذا ذكر إسحاق في الألحان المتخارة للوائق. وذكر هذا الصوت في مجرد شجا فنسبه إلى دكين، وجنسه في الثقل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. وذكر أيضاً فيه لحناً من القدر الأوسط من الثقل الأول بالخنصر في مجرى البنصر، فزعم أنه ينسب إلى معبد وإلى الغريض. وفيه بيتان آخران وهما:

فالقلب إن سيم عنك صبراً

كلف ماليس يستطيع

عاص لمن لام في هواكم

وهو لكم سامع مطيع

من المائة المختارة

يأيها الرجل الذي

قد زان منطقته البيان

لاتعتبن على الزما

ن فليس يعتبك الزمان

الشعر لعبدالله بن هارون العروضي. والغناء لنبيه المغني، ولحنه المختار ثقیل أول بالبنصر.
فأما عبدالله بن هارون فما أعلم أنه وقع إلي له خبر إلا ما شهر من حاله في نفسه. وهو عبدالله بن هارون بن السميدع، مولى قريش، من أهل البصرة. وأخذ العروض من الخليل ابن أحمد، فكان مقدماً فيه. وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدب أولادهم، وكان يمدحهم كثيراً، فأكثر شعره فيهم. وهو مقل جداً. وكان يقول أوزاناً من العروض غريبة في شعره، ثم أخذ ذلك عنه ونحاه نحوه فيه رزين العروضي فأتى فيه ببذاءة جمّة، وجعل أكثر شعره من هذا الجنس. فأما عبدالله بن هارون فما عرفت له خبراً ولا وقع إلي من أمره شيء غير ما ذكرته.

ذكر نبيه وأخباره

نسبه وأصله وشعره وسبب تعلمه الغناء: زعم ابن خرداذبه أنه رجل من بني تميم صليبة، وأن أصله من الكوفة، وأنه كان في أول أمره شاعراً لا يغني، ويقول شعراً صالحاً. فهوي قينة ببغداد فتعلم الغناء من أهلها وجعله سبباً للدخول عليها، ولم يزل يتزید حتى جاد غناؤه وصنع فأحسن واشتهر، ودون غناؤه وعد في المحسنين. فمما قاله في هذه الجارية وغنى فيه قوله:

يا رب إني ما جفوت وقد جفت فأليك أشكو ذاك يا رباه
مولاة سوء ماترق لعبدها نعم الغلام وبئست المولاه
يارب إن كانت حياتي هكذا ضرراً علي فما أريد حياه

الغناء لنبيه ثاني ثقیل مطلق في مجرى الوسطى. ومن الناس من ينسب الشعر والغناء إلى عليّة بنت المهدي. أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال: قلت لمخارق، وقد غنى هذا الصوت يوماً:

متى لجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

فسألته لمن هو، فقال: هذا لنبيه التميمي، وكان له أخوان يقال لهما منبه ونبهان، وكان يتزل شهرار سوج الهيثم في محرب الريحان. قال أبو زيد: وسمعت مخارقاً يحدث إسحاق بن إبراهيم قال سمعت أباك إبراهيم بن ميمون يقول، وقد ذكر نبيها: إن عاش هذا الغلام ذهب خبرنا. قال: وكنت قد غنيته صوتاً أخذته عنه، وهو:

شكوت إلى قلبي الفراق فقال لي من الآن فليأس لا أغرك بالصبر
إذا صد من أهوى وأسلمني العزا ففرقة من أهوى أحرمن الجمر

أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهورية قال حدثني ابن أبي سعد عن محمد بن عبدالله بن مالك قال حدثني علي بن المفضل قال: اصطبحنا يوماً أنا ونبيه عند عبيد الله بن أبي غسان، فغنانا نبيه لحنه:

يأيها الرجل الذي قد زان منطقه البيان

فما سمعت أحسن منه، وكان صوتنا عليه بقية يومنا. ثم أردنا الانصراف، فسألنا عبيد الله أن نبيت عنده ونصطبح من غد فأجبناه. وقال لنبية: أي شيء تشتهي أن يصلح لك؟ قال: تشتري لي غزالاً فتطعمني كبده كباباً، ونجعل سائر ما أكله من لحمه كما تحب، فقال: أفعل. فلما أصبحنا جاءه بغزال فأصلحه كما أحب. فلما استوفى أكله استلقى لينام، فحركناه فإذا هو ميت، فجزعنا من ذلك. وبعث عبيد الله إلى أمه فجاءت فأخبرها بخبره. فلما رآته استرجعت ثم قالت: لا بأس عليكم هو رابع أربعة ولدتهم كانت هذه ميتهم جميعاً وميتة أبيهم من قبلهم، فسكننا إلى ذلك. وغسل في دار عبيد الله وأصلح شأنه وصلي عليه، ومضينا به إلى مقابرهم فدفن هناك.

ترقرق في العينين ثم تسيل

وففت على ربع لسعدى وعبرتي

عليه لأصناف الرياح ذيول

أسائل ربعاً قد تعفت رسومه

لم يسم لنا قائل هذا الشعر. والغناء لسليم هزج خفيف بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبار سليم

انقطع إلى إبراهيم المصلي، وهو أمر د فأحبه وعلمه: هو سليم بن سلام الكوفي، ويكنى أبا عبد الله. وكان حسن الوجه حسن الصوت. وقد انقطع وهو أمر د إلى إبراهيم الموصلي، فمال إليه وتعشقه، فعلمه وناصحه، فبرع وكثرت روايته، وصنع فأجاد. وكان إسحاق يهجو ويطن عليه. واتفق له اتفاق سيء: كان يخدم الرشيد فيتفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفليح ابن العوراء وحكم الوادي فيكون بالإضافة إليهم كالساقط. وكان من أبخل الناس، فلما مات خلف جملة عظيمة وافرة من المال، فقبضها السلطان عنه. أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه: أن إسحاق قال في سليم:

أحر غناء من حسين بن محرز

سليم بن لسلام على برد خلقه

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق، وأخبرنا يحيى بن علي عن أبيه عن إسحاق: أن الرشيد قال لبرصوما الزامر وكانت فيه لكنة ما تقول في ابن جامع. قال: زق من أسل، يريد من غسل. قال: فإبراهيم. قال: بستان فيه فاكهة وريحان وشوك. قال: فيزيد حوراء. قال: ما أبيد أسنانه يريد ما أبيض. قال: فحسين بن محرز. قال: ما أهنس خطامه، يريد ما أحسن خضابه. قال: فسليم بن سلام؟ قال: ما أنظف ثيابه.

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شبة عن إسحاق: وغنى سليم يوماً وبرصوما يزم عليه بين يلي الرشيد، فقصر سليم في موضع صيحة، فأخرج برصوما الناي من فيه ثم صاح به وقال له: يا أبا عبد الله، صيحة أشد من هذا، صيحة أشد من هذا، فضحك الرشيد حتى استلقى. قال: وما أذكر أني ضحكت قط أكثر من

ذلك اليوم.

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمد بن الحسن بن مصعب: إنما أخرج سليمان عن أصحابه في الصنعة ولعه بالأهزاج، فإن ثلثي صنعته هزج، وله من ذلك ما ليس لأحد منهم. قال: ثم قال محمد: غنى سليم يوماً بين يدي الرشيد ثلاثة أصوات من الهزج ولأهزاج.

مت على من غبت عنه أسفا

والثاني:

أسرفت في الإعراض والهجر

والثالث:

أصبح قلبي به ندوب

فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم، وقال له: لو كنت الحكم الوادي ما زدت على هذا الإحسان في أهزاجك. يعني أن الحكم كان منفرداً بالهزج.

مت على من غبت عنه أسفا

لست منه بمصيب خلفا

لن ترى قرّة عين أبداً

أوترى نحوهم منصرفا

قلت لما شفتني وجدي بهم

حسبي الله لمابي وكفى

بين الدمع لمن أبصرني

ماتضمنت إذا ما ذرفا

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لسليم، وله فيه لحنان، أحدهما في الأول والثاني هزج بالوسطى، والآخر في الثالث والرابع خفيف رمل بالبنصر مطلق. وفيهما لإبراهيم خفيف ثقیل بالوسطى عن عمرو. ومنها:

أسرفت في الإعراض والهجر

وجزت حد التيه والكبر

الهجر والإعراض من ذي الهوى

سلم ذي الغدر إلى الغدر

مالي وللهجران حسبي الذي

مر على رأسي من الهجر

ودون ما جربت فيما مضى

ما عرف الخير من الشر

الغناء لسليم هزج بالبنصر.

أصبح قلبي به ندوب

أندبه الشادن الريب

تمادياً منه في التصابي

وقدعلا رأسي المشيب

أظنني ذائقاً حمامي

وأن إمامه قريب

إذا فؤاد شجاه حب

فقلما ينفع الطبيب

الشعر لأبي نواس. والغناء لسليم، وله فيه لحنان: خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق، وهزج بالوسطى عن الهشامي. وزعمت بذل أن الهزج لها.

أخبرني عفي قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال: كان سليم بن سلام كوفياً، وكان أبوه من أصحاب أبي مسلم صاحب الدولة ودعائه وثقاته، فكان يكتب أهل العراق على يلي. وكان سليم حسن الصوت جهيره، وكان بخيلاً.

قال أحمد بن أبي طاهر وحدثني أبو الحواجب الأنصاري، واسمه محمد، قال: قال لي سليم يوماً: امض إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادعه ووافياني مع الظهر، فجئناه مع الظهر، فأخرج إلينا ثلاثين جارية محسنة ونبذاً، ولم يطعمنا شيئاً، ولم نكن كلنا شيئاً. فغمر موسى غلامه فذهب فاشتري لنا خبزاً وبيضاً، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل، فدخل علينا، فلما رأنا نأكل غضب وخصمنا وقال: أهكذا يفعل الناس تأكلون ولا تطعموني وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منا حتى فني الخبز والبيض.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي قال حدثني أبي قال: كان سليم بن سلام صديقي وكان كثيراً ما يغشاني. فجاءني يوماً وأعلمني الغلام بمجيئه، فأمرت بإدخاله، فدخل وقال: قد جئت في حاجة، فقلت: مقضية. فقال: إن المهرجان بعد غد، وقد أمرنا بحضور مجلس الخليفة، وأريد أن أغنيه لحناً أصنعه في شعر لم يعرفه هو ولا من بحضرته، فقل أبيتاً أغني فيها ملاحاة فقلت: على أن تقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن، قال: أفعل. فردوا دابته وأقام عندي، وقلت:

أتيتك عائداً بك من

ك لما ضاقت الحيل

وصيرني هواك وبي

لحيني يضرب المثل

فإن سلمت لكم نفسي

فما لاقيته جل

وإن قتل الهوى رجلاً

فإن ذلك الرجل

فغنى فيه وشربنا يومئذ عليه، وغنانا عدة أصوات من غنائه، فما رأيته مذ عرفته كان أنشط منه يومئذ. أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن الجراح قال حدثني عبد الله بن محمد اليزيدي قال حدثني أخي محمد قال: سمعت أبي يقول: ما سرقت من الشعر قط إلا معنيين: قال مسلم بن الوليد:

ذاك ظبي تحير الحسن في الأر

كن منه وجال كل مكان

عرضت دونه الحجال فمايل

قاك ألا في النوم أو في الأمان

فاستعرت معناه فقلت:

يا بعيد الدار موصو

لا بقلبي ولسلني

ربما بأعدك الده

ر فأدنتك الأمانى

الغناء في هذين البيتين لسليم هزج بالبنصر عن الهشامي.

قال: وقال مسلم أيضاً:

متى ماتسمعي بقتيل أرض

فإنني ذلك الرجل القتل

ويروى: أصيب فإنني ذاك القتل فقلت:

أتيتك عائداً بك من

ك لما ضاقت الحيل

وصيرني هواك وبني

لحيني يضرب المثل

فإن سلمت لكم نفسي

فما لاقيته جل

وإن قتل الهوى رجلاً

فإنني ذلك الرجل

وجدت في كتاب علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون بن إسماعيل، ولم أسمع من أحد: أن إبراهيم بن المهدي سأل جماعة من إخوانه أن يصطبخوا عنده قال حمدون: وكنت فيه، وكان فيمن دعا مخارق، فسار إليه وهو سكران لا فضل فيه لطعام ولا لشراب، فاغتم لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع؟ فقال: لا والله أيها الأمير، ما كان آفتي إلا سليم بن سلام فإنه مر بي فدخل علي فغنائي صوتاً له صنعه قريباً فشربت عليه إلى السحر حتى لم يبق في فضل وأخذته. فقال له إبراهيم: فغنناه إملالاً، فغنناه:

إذا كنت ندماني فباكر مدامة

معتقة زفت إلى غير خاطب

إذا عتقت في دنها العام أقبلت

تردى رداء الحسن في عين شارب

الغناء لسليم خفيف ثقیل مطلق في مجرى البنصر قال فبعث إبراهيم إلى سليم فأحضره، فغنناه إياه وطرحه على جواريه وأمر له بجائزة، وشربنا عليه بقية يومنا حتى صرنا في حالة مخارق وصار في مثل أحوالنا.

من المائة المختارة

عنتق الفؤاد من الصبا

ومن السفاهة والعلاق

وحططت رحلي عن قلو

ص الحب في قلص عتاق

ورفعت فضل إزارى ال

مجرور عن قدمي وساقى

وكففت غرب النفس حت

ى ما تتوق إلى متاق

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر. والغناء لابن عباد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل، وقيل: إنه لغيره، بل قيل: إنه لعمره.

أخبار ابن عباد

نسبه وكنيته وصاعته

هو محمد بن عباد، مولى بني مخزوم، وقيل: إنه مولى بني جمح، ويكنى أبا جعفر. مكي، من كبراء المغنين من الطبقة الثانية منهم. وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخذ عنه الغناء، متقن الصنعة كثيرها. وكان أبوه من كتاب الديوان بمكة، فلذلك قيل ابن عباد الكاتب.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن عثمان بن حفص الثقفي عن أبي خالد الكناي عن ابن عباد الكاتب قال: والله إني لأمشي بأعلى مكة في الشعب، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة، فظننت أنهم قالوا له: هذا ابن عباد، فمال إلي فملت إليه، فقال لي: أنت ابن عباد. قلت: نعم، قال: مل معي هاهنا، ففعلت؟ فأدخلني شعب ابن عامر ثم أدخلني دهليز ابن عامر وقال: غني، فقلت: أغنيك هكذا وأنت مالك، وقد كان يبلغني أنه يثلب أهل مكة ويتعصب عليهم فقال: بالله إلا غنيتني صوتاً من صنعتك. فاندفعت فغنيت:

على زبع تقادم بالمنيف

الأياصاحبي قفا قليلاً

وأضحى القلب يخفق ذا وجيف

فأمست دارهم شحطت وبانت

وما غنيت إياه إلا على احتشام. فلما فرغت نظر إلي وقال لي: قد والله أحسنت ولكن حلقك كأنه حلق زانية. فقلت: أما إذ أفلت منك بهذا فقد أفلت. وهذا اللحن من صدور غناء ابن عباد. ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

وفاته ببغداد: أخبرني يحيى بن علي بن يحيى وعيسى بن الحسين قالوا حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثني جماعة من أهل العلم: أن ابن عباد الكاتب توفي ببغداد في الدولة العباسية ودفن بباب حرب. وقال أبو أيوب: أظنه فيمن قدم من مغني الحجار على المهدي. من المائة المختارة:

صوب ربيع صادق الرعد

ياطلاً غيره بعدي

لست كما كنت على العهد

أراك بعد الأئس ذا وحشة

ساءلته عي عن الرد

مالي أبكي طلاً كلما

أحور مطبوع على الصد

كان به ذو غنج أهيف

لم يسم أبو أحمد قائل هذا الشعر. والغناء ليحيى المكي، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى.

أخبار يحيى المكي ونسبه

اسمه وكنيته وكتمانه ولاءه لبني أمية لخدمته الخلفاء من بني العباس: هو يحيى بن مرزوق، مولى بني أمية، وكان يكتسب ذلك لخدمته الخلفاء من بني العباس خوفاً من أن يحتنبوه ويحتشموه، فإذا سئل عن ولاءه انتمى إلى قريش ولم يذكر البطن الذي ولاؤه لهم، واستعفى من سألته عن ذلك. ويكنى يحيى أبا عثمان. وذكر ابن خردادبة أنه مولى خزاعة. وليس قوله مما يحصل، لأنه لا يعتمد فيه على رواية ولا دراية.

أخبرني عبد الله بن الزبيع أبو بكر الربيعي صديقنا رحمه الله قال حدثني وسوسة بن الموصلي وقد لقيت وسوسة هذا، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان معلماً، ولم أسمع هذا منه فكتبته وأشياء أخر عن أبي بكر رحمه الله قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبي: سألت يحيى المكي عن ولاءه، فانتمى إلى قريش فاستردته في الشرح فسألني أن أعفيه.

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ويحيى بن علي بن يحيى قالا حدثنا أبو أيوب المديني قال: كان يحيى المكي يكنى أبا عثمان، وهو مولى بني أمية، وكان يكتسب ذلك ويقول: أنا مولى قريش. ولما قال أعشى بني سليم يمدح دحمان:

كانوا فحولاً فصاروا عند حلبتهم لما انبرى لهم دحمان خصيانا

فأبلغوه عن الأعشى مقالته أعشى سليم أبي عمرو سليمانا

قولوا يقول أبو عمرو لصحبته ياليت دحمان قبل الموت غنانا

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي، ويقال إن ابنه حمدان بن أبان قالها. والأشبه عندي أنها لأبان، وما أظن ابنه أدرك يحيى:

يا مق يفضمل دحماناً ويمدحه على المغنين طرا قلت بهتانا

لو كنت جالست يحيى أوسمعت به لم تمتدح أبداً ما عشت إنسانا

ولم تقل سفهاً في منية عرضت ياليت دحمان قبل الموت غنانا

لقد عجبت لدحمان ومادحه لاكان مادح دحمان ولاكانا

ماكان كابن صغير العين إذ جريا بل قام في غاية المجرى وما داني

بذ الجياد أبو بكر وصيرها من بعد ما قرحت جذعاً وثنيانا

يعني بأبي بكر ابن صغير العين، وهو من معني مكة. وله أخبار تذكر في موضعها إن شاء الله تعالى. منزلته في الغناء.

وعمر يحيى المكي مائة وعشرين سنة، وأصاب بالغناء ما لم يصبه أحد من نظرائه، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل. وكان قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته، فخرج أكثرهم وبقي، يحيى

بالعراق هو وولده يخدمون الخلفاء إلى أن انقرضوا. وكان آخرهم محمد بن أحمد بن يحيى المكي، وكان يغني مرتجلاً، ويحضر مجلس المعتمد مع المغنين فيوقع بقضييب على دواة. ولقيه جماعة من أصحابنا، وأخذ عنه جماعة ممن أدركنا من عجائز المغنيات، منهم قمرية العمرية، وكانت أم ولد عمرو بن بانه. وممن أدركه من أصحابنا جحظة، وكتبنا عنه عن ابن المكي هذا حكايات حسنة من أخبار أهله. وكان ابن جامع وإبراهيم الموصلي وفليح يفزعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه، ويعاين بعضهم بعضاً بما يأخذونه منه ويغرب به على أصحابه، فإذا خرجت لهم الجوائز أخذوا منها ووفروا نصيبه. وله صنعة عجيبة نادرة متقدمة. وله كتاب في الأغاني ونسبها وأخبارها أو أجناسها، كبير جليل مشهور، إلا أنه كان كالمطرح عند الرواة لكثرة تخليطه في رواياته. والعمل على كتاب ابنه أحمد، فإنه صحح كثيراً مما أفسده أبوه، وأزال ما عرفه من تخاليط أبيه، وحقق ما نسب من الأغاني إلى صانعه. وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت.

أخبرني عبدالله بن الربيع قال حدثني وسوسة بن الموصلي قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي قال: عمل جدي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبدالله بن طاهر، وهو يومئذ شاب حديث السن، فاستحسنه وسر به، ثم عرضه على إسحاق فعرفه عواراً كثيراً في نسبه، لأن جدي كان لا يصحح لأحد نسبه صوت البتة، وينسب صناعته إلى المتقدمين، وينحل بعضهم صنعة بعض ضناً بذلك على غيره، فسقط من عين عبدالله وبقي في خزانته، ثم وقع إلى محمد بن عبدالله، فدعا أبي، وكان إليه محسناً وعليه مفضلاً، فعرضه عليه، فقال له: إن في هذه النسب تخليطاً كثيراً، خلطها أبي لضعفه بهذا الشأن على الناس، ولكني أعمل لك كتاباً أصحح هذا وغيره فيه. فعمل له لحد كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه، فوصله محمد بثلاثين ألف درهم. وصحح له الكتاب الأول أيضاً فهو في أيدي الناس. قال وسوسة: وحدثني حماد أن أباه إسحاق كان يقدم يحيى المكي تقديماً كثيراً ويفضله ويناضل أباه وابن جامع فيه، ويقول: ليس يخلو يحيى فيما يرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحداً منكم من أحد أمرين: إما أن يكون محققاً فيه، كما يقول، فقد علم ما جهلتم، أو يكون من صناعته وقد نخله المتقدمين، كما تقولون، فهو أفضل له، وأوضح لتقدمه عليكم. قال: وكان أبي يقول: لولا ما أفسد به يحيى المكي نفسه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلة ثباته على ما يحكيه من ذلك، لما تقدمه أحد. وقال محمد بن الحسن الكاتب: كان يحيى يخلط في نسب الغناء تخليطاً كثيراً، ولا يزال يصنع الصوت بعد

على ما يحكيه من غناءه في ربيع وابن محرز، ويجهل آخره لا يزال يخلط في نسب الغناء تخليطاً كثيراً، ولا يزال يصنع الصوت بعد

أحمد بن سعيد المالكي وكان مغنياً منقطعاً إلى طاهر وولده وكان من القواد قال: حضرت يحيى المكي يوماً وقد غنى صوتاً فسئل عنه فقال: هذا لمالك ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوت ثم غنى لحناً لمالك فسئل عن صانعه فقال: هذا لي، فقال له إسحاق: قلت ماذا؟ فديتك، وتضحك به. فسئل عن صانعه فأخبر به، ثم غنى الصوت. فحجل يحيى حتى أمسك عنه، ثم غنى بعد ساعة في الثقليل الأول، واللحن:

وَأَرَادَ غِيظُكَ بِالَّذِي فَعَلَ

وَالنَّفْسُ مِمَّا تَأْمَلُ الْأَمَلَا

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَ فَاِحْتِمَلَا

فَظَلَلْتَ تَأْمَلُ قَرَبَ أَوْبَتِهِمْ

فسئل عنه فنسبه إلى الغريض. فقال له إسحاق: يا أبا عثمان، ليس هذا من نمط الغريض ولا طريقته في الغناء، ولو شئت لأخذت مالك وتركت للغريض ماله ولم تتعب. فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقية يومه. فلما انصرف بعث إلى إسحاق بالطاف كثيرة وبر واسع، وكتب إليه يعاتبه ويستكشف شره ويقول له: لست من أقرانك فتضادني، ولا أنا ممن يتصدى لمباغضتك ومباراتك فتكايدني، ولأنت إلى أن أفيدك وأعطيك ما تعلم أنك لا تجده عند غيري فتسمو به على أكفائك أحوج منك إلى أن تباغضني، فأعطي غيرك سلاحاً إذا حملة عليك لم تقم له، وأنت أولى وما تختار. فعرف إسحاق صدق يحيى، فكتب إليه يعتذر، ورد الألفاظ التي حملها إليه، وحلف لا يعارضه بعدها، وشرط عليه الوفاء بما وعده به من الفوائد، فوفى له بها، وأخذ منه كل ما أراد من غناء المتقدمين. وكان إذا حز به أمر في شيء منها فزرع إليه فأفاده وعاونته ونصحه، وما عاود إسحاق معارضته بعد ذلك. وحذره يحيى، فكان إذا سئل بحضرته عن شيء صدق فيه، وإذا غاب إسحاق خلط فيما يسأل عنه. قال: وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئاً أعطاه إياه وأفاده وناصحه، ويقول لابنه أحمد: تعال حتى تأخذ مع أبي محمد ما الله يعلم أني كنت أبخل به عليك فضلاً عن غيرك. فيأخذه أحمد عن أبيه مع إسحاق. قال: وكان إسحاق بعد ذلك يتعصب ليحيى تعصباً شديداً، ويصفه ويقدمه ويعترف برياسته، وكذلك كان في وصف أحمد ابنه وتقريظه.

قال أحمد بن سعيد: والاختلاف الواقع في كتب الأغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى. قال أحمد بن سعيد: وكانت صنعة يحيى ثلاثة آلاف صوت، منها زهاء ألف صوت لم يقاربه فيها أحد، والباقي متوسط. وذكر بعض أصحاب أحمد بن يحيى المكي عنه أنه سئل عن صنعة أبيه فقال: الذي صح عندي منها ألف وثلاثمائة صوت، منها مائة وسبعون صوتاً غلب فيها على الناس جميعاً من تقدم منهم ومن تأخر، فلم يقم له فيها أحد. وقال حماد بن إسحاق قال لي أبي: كان يحيى المكي يسأل عن الصوت، وهو يعلم لمن هو، فينسبه إلى غير صانعه، فيحمل ذلك عنه كذلك، ثم يسأله آخرون فينسبه غير تلك النسبة، حتى طال ذلك وكثر منه وقل تحفظه، فظهر عواره، ولولا ذلك لما قاومه أحد.

وقال أحمد بن سعيد المالكي في خبره: قال إسحاق يوماً للرشيد، قبل أن تصلح الحال بينه وبين يحيى المكي: أتحب

يا أمير المؤمنين أن أظهر لك كذب يحيى فيما ينسبه من الغناء. قال نعم. قال: أعطني أي شعر شئت حتى أصنع فيه، واسألني بحضرة يحيى عن نسبته فإنني سأنسبه إلى رجل لا أصل له، واسأل يحيى عنه إذا غنيته، فإنه لا يمتنع من أن يدعي معرفته. فأعطاه شعراً فصنع فيه لحناً وغناه الرشيد: ثم قال له: يسألني أمير المؤمنين عن نسبته بين يديه. فلما حضر يحيى غناه إسحاق فسأله الرشيد: لمن هذا اللحن. فقال له إسحاق: لغناديس؟ المديني. فأقبل الرشيد على يحيى فقال له: أكنت لقيت غناديس المديني؟ قال: نعم، لقيته وأخذت عنه صوتين، ثم غنى صوتاً وقال: هذا أحدهما. فلما خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق ثلاثاً وعتق جواريه: أن الله ما خلق أحداً اسمه غناديس، ولا سمع في المغنين ولا غيرهم، وأنه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره. حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي المرتجل قال: غنى جدي يوماً بين يدي الرشيد:

فاشتقتك إن الغريب الدار معذور

هل هيجتك مغاني الحي والدور

بيض أوانس أمثال الدمى حور

وهل يحل بنا إذ عيشنا أنق

والصنعة له خفيف ثقيل فسار إليه إسحاق وسأله أن يعيده إياه، فقال: نعم، حبا وكرامة لك يابن أخي، ولو غيرك يروم ذلك لبعد عليه، وأعادته حتى أخذه إسحاق. فلما انصرف بعث إلى جدي بتخت ثياب وخاتم ياقوت نفيس.

حدثني جحظة قال حدثني القاسم بن زرزور عن أبيه عن موله علي بن المارقي قال: قال لي إبراهيم بن المهدي: ويلك يا مارق، إن يحيى المكي غنى البارحة بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذكر زينب، وقد كان النبيذ أخذ مني فأنسيت شعره، في استعدته إياه فلم يعده، فاحتل لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك علي سبق. فقال لي المارقي وأنا يومئذ غلامه، اذهب إليه فقل له إنني أسأله أن يكون اليوم عندي، فمضيت إليه فجننته به. فلما تغدرا وضع النبيذ، فقال له المارقي: إنني كنت سمعتك تغني صوتاً فيه زينب وأنا أحب أن أخذه منك وكان يحيى يوفي هذا الشأن حقه من الاستقصاء، فلا يخرج عنه إلا بحذر، ولا يدع الطلب والمسألة، ولا يلقي صوتاً إلا بعوض. قال لي جحظة في هذا الفصل: هذا فديتك، فعل يحيى مع ما أفاده من المال، ومع كرم من عاشره وخدمه من الخلفاء مثل الرشيد والبرامكة وسائر الناس، لا يلام ولا يعاب، ونحن مع هؤلاء السفلى إن جئناهم نكارمهم تغافلوا عنا، وإن أعطونا التزر اليسير منوا به علينا وعابونا، فمن يلومي أن، أشتهمهم. فقلت: ما عليك لوم. قال: فقال له يحيى: وأي شيء العوض إذا ألقيت عليك هذا الصوت. قال: ما تريد، قال: هذه الزرية الأرمنية، كم تقعد عليها، أما ان لك أن تملها. قال: بلى، وهي لك. قال: وهذه الطباء الحرمية، وأنا مكى لا أنت، وأنا أولى بها، قال: هي لك، وأمر بحملها معه. فلما حصلت له، قال المارقي: يا غلام، هات العود، قال يحيى: والميزان والدراهم، وكان لا يغني أو يأخذ خمسين درهماً، فأعطاه إياهة فألقى عليه قوله:

وقل إن تملينا فما ملك القلب

بزينب ألم قبل أن يرحل الركب

ولحنه لكردم ثقیل أول، فلم يشك المارقي أنه قد أخذ الصوت الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجته. فبكر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوت، فقال له: قد جئتكم بالحاجة. فدعا بالعود فغناه إياه، فقال له: لا والله ما هو هذا، وقد خدعك، فعاود الاحتیال علیه. فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً. فلما دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى: قد واليت بين دعواتك لي، ولم تكن برا ولا وصولاً، فما هذا؟ قال: لا شيء والله إلا محبتي للأخذ عنك والاقْتباس منك، فقال: سرّك الله، فمه. قال: تذكرت الصوت الذي سألتك إياه فإذا ليس هو الذي ألقيت علي. قال: فتريد ماذا. قال: تذكر الصوت. قال: أفعل، ثم اندفع فغناه:

ألمم بزینب إن البین قد أفدا قل الثواء لئن كان الرحیل غدا

والغناء لمبعد ثقیل أول فقال له: نعم، فديتك يا أبا عثمان، هذا هو، ألقه علي، قال: العوض قال: ما، شئت. قال: هذا المطرف الأسود قال: هو لك. فأخذه وألقى علیه هذا الصوت حتى استوى له، وبكر إلى إبراهيم؟ فقال له: ما وراءك؟ قال: قد قضيت الحاجة، فدعا له بعود فغناه، فقال: خدعك والله، ليسر هذا هو، فعاود الاحتیال علیه، وكل ما تعطيه إياه ففي ذمتي. فلما كان اليوم الثالث بعث بي إليه، فدعوته وفعلنا مثل فعلنا بالأمس. فقال له يحيى: فمالك أيضاً. قال له: يا أبا عثمان، ليس هذا الصوت هو الذي أردت، فقال له: لست أعلم ما في نفسك فأذكره، وإنما علي أن أذكر ما فيه زينب من الغناء كما التمسيت حتى لا يبقى عندي زينب البتة إلا أحضرتها؟ فقال: هات على اسم الله، قال: اذكر العوض، قلت: ما شئت، قال: هذه الدراعة الوشي التي عليك، قال: فخذها والخمسين الدرهم، فأحضرها. فالتقى علیه والغناء لمبعد ثقیل أول:

لزينب طيف تعتريني طوارقه هدوءاً إذا النجم ارجحت لواحقه

فأخذه منه ومضى إلى إبراهيم، فصادفه يشرب مع الحرم فقال له حاجبه: هو متشاغل، فقال: قل له: قد جئتكم بحاجتكم. فدخل فأعلمه، فقال: يدخل فيغنيه في الدار وهو قائم، فإن كان هو وإلا فليخرج، ففعل؟ فقال:

ودنياك التي أمسيت فيها مزايلة الشقيق عن الشقيق

ومما قاله في مرثية أهله وذكر الموت وغني فيه - وإنما نذكر منها ما فيه غناء لأنها طويلة:

مالك وضاح دائم الغزل ألسنت تخشى تقارب الأجل

صل لذي العرش واتخذ قدماً تتجيك يوم العثار والزلل

يا موت ما إن تزال معترضاً لا مل دون منتهى الأمل

لو كان من فر منك منفلتا إذا لأسرعت رحلة الجمل

لكن كفيك نال طولهما ما كل عنه نجائب الإبل

تتال كفاك كل مسهلة
لولا حذاري من الحتوف فقد
لكنت للقلب في الهوى تبعاً
حرمية تسكن الحجاز لها
علق قلبي ربيب بيت ملو
تفتر عن منطق تضن به
وخوت بحر ومعقل الوعل
أصبحت من خوفها على وجل
إن هواء ربائب الحجل
شيخ غيور يعتل بالعلل
لك ذات قرطين وعثة الكفل
يجري رضاباً كذائب العسل

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدثني سليمان بن أبي أيوب عن مصعب قال: قال وضاح اليمن في حباة جارية يزيد بن عبد الملك، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتصير إليه، وسمع غناءها فأعجب بها إعجاباً شديداً:

يا من لقلب لا يطى
تسلو قلوب ذوي الهوى
تبلت حباة قلبه
وبعين أحور يرتعي
مكحولة بالسحر تن
هيفاء إن هي أقبلت
والردف مثل نقاً تل
في درة الأصداف مع
داوي هواي وأطفئي
وترفقي أمني فقد
في القلب منك جوى الم
هذا يقود برمتي
يا نفس قد كلفتني
إن كنت تائقة ل

ومما قاله في روضة وفيه عناء قوله:

يا لقومي لكثرة العذال
ولطيف سرى مليح الدلال

زائر في قصور صنعاء يسري

كل أرض مخوفة وجبال

والغناء لابن عباد عن الهشامي رمل - وهذه الأبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيدة يقول فيها:

يقطع الحزن والمهامه والبي

د ومن دونه ثمان ليالي

عائب في المنام أحبب بعتبا

ه إلينا وقوله من مقال

قالت أهلاً ومرحباً عدد الق

ر وسهلاً بطيف هذا الخيال

حبذا من إذا خلونا نجيا

قال: أهلي لك الفداء ومالي

وهي الهم والمنى وهوى النفس

س إذا اعتل ذو هوى باعتلال

قست ما كان قبلنا من هوى النا

س فما قست حبها بمثال

لم أجد حبها يشاكله الحب

ولا ونجدنا كوجد الرجال

كل حب إذا استطال سيبل

وهو روضة المنى غير بالي

لم يزدته تقادم العهد إلا

جدة عندنا وحسن احتلال

أيها العاذلون كيف عتابي

بعد ما شاب مفريقي وقذالي

كيف عذلي على التي هي مني

بمكان اليمين أخت الشمال

والذي أحرموا له وأحلوا

بمنى صبح عاشرات الليالي

ما ملكت الهوى ولا النفس مني

منذ علقتها فكيف احتيالي

إن نأت كان نأيها الموت صرفاً

أو دنت لي فثم يبدو خبالي

يا بنة المالكي يا بهجة النفس

س أفي حبكم يحل اقتتالي

أي ذنب علي إن قلت إني

لأحب الحجاز حب الزلال

لأحب الحجاز من حب من في

ه وأهوى حاله من حلال

ومما فيه غناء من شعر وضاح:

أيها الناعب ماذا تقول

فكلانا سائل ومسول

لا كساك الله ما عشت ريشاً

وبخوف بت ثم تقيل

ثم لا أنقفت في العش فرخاً

أبدأً إلا عليك دليل

حين تنبى أن هنذا قريب

يبلغ الحاجات منها الرسول

ونأت هند فخبرت عنها

أن عهد الود سوف يزول

ومنها:

حي التي أقصى فؤادك حلت

علمت بأنك عاشق فأدلت

وإذا رأتك تقلقلت أحشاؤها

شوقاً إليك فكثرت وأقلت

وإذا دخلت فاعلقت أبوابها

عزم الغيور حجابها فاعتلت

وإذا خرجت بكت عليك صبايةً

حتى تبل دموعها ما بليت

إن كنت يا وضاح زرت فمرحباً

رحبت عليك بلادنا وأظلت

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو. وفيها ليحيى المكي ثاني ثقيل بالوسطى، من كتابه. ولابنه أحمد فيها هزج. وذكر حبش أن ليحيى فيها أيضاً خفيف ثقيل.

ومنها:

أتعرف أطلالا بميسرة اللوى

إلى أرب قد حالفتك به الصبا

فأهلاً وسهلاً بالتى حل حبها

فؤادي وحلت دار شحط من النوى

الغناء فيه هزج يمي بالبنصر عن ابن المكي - وهذه أبيات يقولها لأخيه سماعة، وقد عتب عليه في بعض الأمور. وفيها يقول:

أبادر درنوك الأمير وقربه

لا ذكر في أهل الكرامة والنهى

وأتبع القصاص كل عشية

رجاء ثواب الله في عدد الخطا

وأمت بقصر يضرب الماء سوره

وأصبحت في صنعاء ألتمس الندى

فمن مبلغ عني سماعة ناهياً

فإن شئت فاقطعنا كما يقطع السلى

وإن شئت وصل الرحم في غير حيلة

فعلنا وقلنا للذي تشتهي بلى

وإن شئت صرماً للتفرق والنوى

فبعداً، أدام الله تفرقة النوى

ومنها:

طرق الخيال فمرحباً ألفا

بالشاعفات قلوبنا شغفا

ولقد يقول لي الطبيب وما

نبأته من شأننا حرفاً:

إني لأحسب أن داءك ذا

من ذي دمالج يخضب الكفا

إني أنا الوضاح إن تصلي

أحسن بك التشبيب والوصفا

شطت فشف القلب ذكركها

ودنت فما بذلت لنا عرفا

ومنها: ويروى لبشار:-

يا مرحبا ألفا وألفا

بالكاسرات إلي طرفا

رجح الروادف كالظبا

تعرضت حواً ووطفا

أنكرن مركبي الحما

ر وكن لا ينكرن طرفا

وسألنني أين الشبا

ب فقلت بان وكان حلفا

أفنى شبابي فانقضى

حلف النساء تبعن حلفا

أعطيتهن مودتي

فجزينني كذباً وخلفا

وقصائد مثل الرقي

أرسلتهن فكن شغفا

أوجعن كل مغازل

وعصفن بالغيران عصفا

من كل لذات الفتى

قد نلت نائلةً وعرفا

صدت الأوانس كالدمى

وسقيتهن الخمر صرفا

ومنها:- وهذه القصيدة تجمع نسيبه بمن ذكر وفخره بأبيه وجده أبي جمد:-

أغنى على بيضاء تنكل عن برد

وتمشي على هون كمشية ذي الحرد

وتلبس من بز العراق مناصفاً

وأبراد عصب من مهلهلة الجند

إذا قلت يوماً نولينى تبسمت

وقالت لعمر الله لو أنه اقتصد

سموت إليها بعد ما نام بعلها

وقد وسدته الكف في ليلة الصرد

أشارت بطرف العين أهلاً ومرحباً

ستعطى الذي تهوى على رغم من حسد

ألست ترى من حولنا من عدونا

وكل غلام شامخ الأنف قد مرد

فقلت لها إني امرؤ فاعلمنه

إذا ما أخذت السيف لم أحفل العدد

بنى لي إسماعيل مجداً مؤثلاً

وعبد كلال قبله وأبو جمد

تطيف علينا قهوة في زجاجة

تريك جبان القوم أمضى من الأسد

ومنها:

يا أيها القلب بعض ما تجد

قد يعشق القلب ثم يتند

قد يكتم المرء حبه حقاً
ماذا تراعون من فتى غزل
يهددوني كيما أخافهم
وهو عميد وقلبه كمد
قد تيمته خمصانة رؤد
هيهات أنى يهدد الأسد

ومنها:

صدع البين والتفرق قلبي
وتولت أم البنين بلي

ثوت النفس في الحمل لديها
ولقد قلت والمدامع تجري
جزعا للفراق يوم تولت:
وتولى بالجسم مني صحتي
بدموع كأنها فيض غرب
حسبي الله ذو المعارج حسبي

ومنها:

يا بنة الواحد جودي فما
جودي علينا اليوم أو بيني
إني وأيدي قلص ضمير
ما علق القلب كتعليقها
ربة محراب إذا جئتها
إخوتها أربعة كلهم
كيف أرجيها ومن دونها
أسود هتاك لأعراض من
لا منة أعلم كانت لها
بل هي لما أن رأت عاشقاً
لما ارتميني ورأت أنها
أعجبها ذاك فأبدت له
قامت تراءى لي على قصرها
وتعقد المرط على جسرة
إن تصرميني فيما أو لما
فيم قتلت الرجل المسلما
وكل خرق ورد الموسما
واضعة كفا علت معصما
لم ألقها أو ارتقي سلما
ينفون عنها الفارس المعلما
بواب سوء يعجل المشتما
مر على الأبواب أو سلما
عندي ولا تطلب فينا دما
صبارمته اليوم فيمن رمى
قد أثبتت في قلبه أسهما
سنتها البيضاء والمعصما
بين جوار خرد كالدمى
مثل كتيب الرمل أو أعظما

ومنها:

دعاك من شوقك الدواعي
وأنت وضاح ذو أتباع
دعتك ميالة لعوب
أسيلة الخد باللماع
دلالك الحلو والمشهي
وليس سريك بالمضاع
لا أمتع النفس عن هواها
وكل شيء إلى انقطاع

ومنها:

ألا يا لقومي أطلقوا غل مرتهن
ومنوا على مستشعر الهم والحزن
تذكر سلمى وفي نازحة فحن
وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطن
ألم ترها صفراء رؤداً شبابها
أسيلة مجرى الدمع كالشادن الأغن
وأبصرت سلمى بين بردي مراجل
وأراد عصب من مهلهلة اليمن
فقلت لها لا ترتقي السطح إنني
أخاف عليكم كل ذي لمة حسن

الغناء لابن سريج، وله في هذا الشعر لحنان: ثقیل أول بالنصر عن عمرو، ورمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وأول الرمل قوله:

ألا يا لقومي أطلقوا غل مرتهن

وأول الثقیل الأول: تذكر سلمى. وفي هذه الأبيات هزج يعني بالنصر.

ومنها:

أغدوت أنم في الرائحين تروح
أم أنت من ذكر الحسان صحيح
إذ قالت الحسناء ما لصديقنا
رث الثياب وإنه لمليح
لا تسألن عن الثياب فإنني
يوم اللقاء على الكماة مشيح
أرمي وأطعن ثم اتبع ضربة
تدع النساء على الرجال تنوح
يا صاح إنني قد حجج
ت صت وزرت بيت المقدس
وأتيبت لدا عامداً
في عيد مريا سرجس
فرأيت فيه نسوة
مثل الأطباء الكنس

الشعر والغناء للمعلی بن طریف مولى المهدي. ولحنه المختار خفيف رمل بالنصر. وكان المعلی بن طریف وأخوه لیث مملوکین مولدین من مولدی الکوفة لرجل من أهلها، فاشترهما علی بن سلیمان وأهدهما إلى المنصور، فوهبهما المنصور للمهدي فأعتقهما. ونهر المعلی وربض المعلی ببغداد منسوب إلى المعلی - هكذا ذکر

ذلك ابن خرداذبه - وكان ضارباً محسناً طيب الصوت حسن الأداء صالح الصنعة، أخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع وحكم الوادي، وولي أخوه ليث السند، وولي هو الطراز والبريد بخراسان، وقاتل يوسف البرم فهزمه، ثم ولي الأهواز بعد ذلك. فقال فيه بعض الشعراء بمدحه ويمدح أخاه الليث ويهجو علي بن صالح صاحب المصلى:

يا علي بن صالح ذا المصلى أنت تقدي ليناً وتقدي المعلى
سد ليث ثغراً ووليت فاختن ت فبئس المولى وبئس المولى

وعلي بن سليمان هذا الذي أهدى المعلى وأخاه إلى المهدي هو الذي يقول فيه أبو دلالة زند بن الجون الأسدي؛ وكان خرج مع المهدي إلى الصيد، فرمى المهدي وعلي بن سليمان ظبياً سنح لهما، وقد أرسلت عليه الكلاب، بسهمين، فأصاب المهدي الظبي وأصاب علي بن سليمان الكلب فقتلاه. فقال أبو دلالة:

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليما ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل ام رىء يأكل زاده

حدثنا بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب، وعن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن.

ألا طرد الهوى عني رقادي فحسبي ما لقيت من السهاد
لعبدة إن عبدة تيممتني وحلت من فؤادي في السواد

الشعر لبشار.

والغناء المختار في هذين البيتين هزج خفيف بالبنصر، ذكر يحيى بن علي أنه يماني، وذكر الهشامي أنه لسليم.

أخبار بشار وعبدہ خاصۃ

إذ كانت أخباره سوى هذه تقدمت

حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المديني عن حدثه عن الأصمعي هكذا قال، وأخبرني به عمي عن عبد الله بن أبي سعد عن علي بن مسرور عن الأصمعي قال: كان لبشار مجلس يجلس فيه يقال له البردان. فبينما هو في مجلسه ذات يوم وكان النساء يحضرنه، إذ سمع كلام امرأة يقال لها عبدة في المجلس، فدعا غلامه فقال: إني قد علقت امرأة، فإذا تكلمت فانظر من هي وأعرفها، فإذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها وكلمها وأعلمها أنني لها محب وأنشدها هذه الأبيات وعرفها أنني قلتها فيها:

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كان

ما كنت أول مشغوف بجارية

يلقى بلقيانها روحا وريحانا

ويروى: هل من دواء لمشغوف بجارية -:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة

والأذن تعشق قبل العين أحياناً

غنى إبراهيم في هذه الأبيات ثاني ثقل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، عن إسحاق. وفيها لسياط ثقل أول بالوسطى، عن عمرو.

وفيها لإسحاق هزج من جامع أغانيه - قال: فأبلغها الغلام الأبيات، فهشت لها، وكانت، تزوره مع نسوة يصحبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطمعه في نفسها. قال: وقال فيها:

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها

قلبي فأضحى به من حبها أثر

أنى ولم ترها تهذي! فقلت لهم

إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

أصبحت كالحائم الحران مجتنباً

لم يقض ورداً ولا يرجى له صدر

قال: وقال فيها أيضاً - وهو من جيد ما قال فيها -:

يزهدني في حب عبدة معشر

قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتض

فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب

فما تبصر العينان في موضع الهوى

ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا

وألّف بين العشق والعاشق الصب

قال: وقال فيها:

يا قلب ما لي أراك لا تقر

إياك أغني وعندك الخبر

أضعت بين الألى مضوا حرقاً

أم ضاع ما استودعوك إذ بكروا؟

فقال بعض الحديث يشغفني

والقلب راء ما لا يرى البصر

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي قال حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثنا خالد بن يزيد بن وهب عن جرير عن أبيه. بمثل هذه القصة، وزاد فيها: أن عبدة جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحداهن قريب فسألته أن يقول شعرا ينحن عليه به، فوافيه وقد احتجم - وكان له مجلسان: مجلس يجلس فيه غدوة يسميه البردان ومجلس يجلس فيه عشية يسميه الرقيق - وهو جالس في البردان وقد قال لغلامه: أمسك علي بابي واطبخ لي وهىء طعامي وطيبه وصف نبذي.

قال: فإنه لكذلك إذا قرع الباب عليه قرعاً عنيماً؟ فقال: ويحك يا غلام! انظر من يدق الباب دق الشرط؟ فنظر

الغلام وجاءه فقال: خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعرا ينحن فيه؛ فقال: أدخلهن. فلما دخلن نظرن إلى النبيذ مصفى في قنانيه؛ في جانب بيته، فقالت إحداهن: خمر؛ وقالت الأخرى: زبيب، وقالت الأخرى: معسل. فقال: لست بقائل لكن حرفاً أو تطعمن من طعامي وتشربن من شرابي. فتماسكن ساعة، وقالت إحداهن: فما عليكم من ذلك! هذا أعمى، كلن من طعامه واشربن من شرابه وخذن شعره، ففعلن. وبلغ ذلك الحسن البصري فعابه وهتف به. فبلغ ذلك بشاراً، وكان الحسن يلقب القس، فقال فيه بشار:

لما طلعت من الرقي	ق علي بالبردان خمسا
وكانهن أهلة	تحت الثياب زفن شمساً
باكرن طيب لطيمة	رعمسن في الجادي عمسا
فسألنني من في البيو	ت فقلت ما يحوين إنسا
ليت العيون الناظرا	ت طمسن عنا اليوم طمساً
فأصبين من طرف الحدي	ث لذاذة وخرجن ملساً
لو لا تعرضهن لي	يا قس كنت كأنت قسا

أخبرني الأسدي ويحيى بن علي بن يحيى ومحمد بن عمران الصيرفي قالوا حدثنا العتري قال حدثنا علي بن محمد عن جعفر بن محمد النوفلي قال: أتيت بشاراً ذات يوم، فقال لي: ما شعرت منذ أيام إلا بقارع يقرع بابي مع الصبح؛ فقلت: يا جارية، انظري من هذا؛ فقالت: مالك بن دينار؛ فقلت: مالي ولمالك بن دينار! ما هو من أشكالي! ائذني له. فدخل فقال لي: يا أبا معاذ، أتشتم أعراض الناس وتشيب بنسائهم! فلم يكن عندي إلا دفعه عن نفسي بأن قلت: لا أعاود؛ فخرج من عندي. وقلت في إثره:

غدا مالك بلاماته	علي وما بات من باليه
فقلت دع اللوم في حبها	فقبلك أعبيت عذاليه
وإني لأكتمهم سرها	غداة تقول لها الجاليه
أعبدة مالك مسلوقة	وكنت مقرطة حالیه
فقال على رقبة: إنني	رهنت المرعت خلخالیه
بمجلس يوم سأوفي به	وإن أنكر الناس أحواليه

أخبرني وكيع قال حدثني عمرو بن محمد بن عبد الملك قال حدثني الحسن بن جهور قال حدثني هشام بن الأحنف، راوية بشار، قال: إني لعند بشار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت: يا أبا معاذ، عبدة تقررئك السلام وتقول

لك: قد اشتد شوقنا إليك ولم نرك منذ أيام؛ فقال: عن غير مقليّة والله كان ذاك.
ثم قال لراويته: يا هشام، خذ الرقعة واكتب فيها ما أقول لك ثم ادفعه للرسول. قال هشام: فأملئ علي:

عبد إني إليك بالأشواق لتلاق
أنا والله أشتهي سحر عيني
ك وأخشى مصارع العشاق
وأهاب الحرسى محتسب الجن
وكيف لي بالتلاقي
ديلف البريء بالفساق

ومما يغني فيه من شعر بشار في عبدة قوله:

لعبدة دار ما تكلمنا الدار
أسائل أحجاراً ونؤياً مهدماً
تلوح مغانيها كما لاح أسطار
وما كلمتني دارها إذ سألتها
وكيف يجيب القول نؤي وأحجار
وعند مغاني دارها لو تكلمت
وفي كبدي كالنفط شبت به النار
لمكتئب بادي الصباية أخبار

الغناء لإبراهيم ثاني ثقل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثقل أول عن الهشامي. ومن هذه القصيدة:

تحمل جيرانى فعيني لبينهم
بكيت على من كنت أحظى بقربه
تفيض بتهتان إذا لاحت الدار
وحق الذي حاذرت بالأمس إذ ساروا

الغناء ليحيى المكي ثقل أول بالبنصر.

ومن الأغاني في شعره في عبدة:

مسنى من صدود عبدة ضر
ذاك شيء في القلب من حب عب
فبنات الفؤاد ما تستقر
دة باد وباطن يستسر

الغناء لإبراهيم ثاني ثقل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لإسحاق رمل بالبنصر عن عمرو. وفيه لحكم ثقل أول بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم.

وفيه لفريدة خفيف ثقل عن إسحاق. وفيه ليحيى المكي ثقل أول من كتابه. وفيه لحسين بن محرز رمل عن الهشامي.

ومنها:

يا عبد إني قد ظلمت وإنني
وأتوب مما تكرهين لتقبلي
مبد مقالة راغب أو راهب
والله يقبل حسن فعل التائب

الغناء لحكم خفيف ثقيل عن إسحاق.
وفيه ليحيى المكي ثقيل أول من كتابه. وفيه لحسين بن محرز رمل عن الهشامي.
ومنها:

يا عبد حبك شفني شفا
والحب داء يورث الحتفا
والحب يخفيه المحب، لكي
لا يستراب به، وما يخفى
الغناء لسياط خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.
ومنها:

يا عبد بالله فرجي كربى
فقد براني وشفني نصبي
وضقت ذرعاً بما كلفت به
من حبكم والمحب في تعب
فرجي كربة شجيت بها
وحر حزن في الصدر كاللهب
ولا تظني ما أشتكي لعباً
هيهات قد جل ذا عن اللعب
غناه سيات ثقيلاً أول بالبنصر عن عمرو.
ومنها:

يا عبد زوريني تكن منة
لله عندي يوم ألقاك
والله ثم الله فاستيقني
إنني لأرجوك وأخشاك
يا عبد إنني هالك مذنف
إن لم أذك برد ثناياك
فلا تردي عاشقاً مدنفاً
يرضى بهذا القدر من ذاك
الغناء لحكم هزج خفيف بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.
ومنها:

يا عبد قد طال المطال فأنعمي
واشفي فؤاد فتى يهيم متيم
الغناء ليزيد حوراء غير مجنس عن إبراهيم.
ومنها:

يا عبد هل للقاء من سبب
أو لا فادعو بالويل والحرب
الغناء ليزيد حوراء غير مجنس ومنها:
يا عبد هل لي منكم من عائد
أم هل لديك صلاح قلب فاسد

الغناء لا بن عباد عن إبراهيم غير مجنس.
ومنها:

يا عبد حيي عن قريب
وارعي ودادي غائباً
أشكو إليك وإنما
غرضي إليك من الهوى
الغناء لحكم مطلق في مجرى البنصر.
ومنها:

يا عبد بالله ارحمي عبدك
يصبح مكروباً ويمسي به
ماذا تقولين لرب العلا
الغناء لإبراهيم ثاني ثقل بالبنصر عن عمرو.
وفيه لإسحاق هزج من جامع أغانيه. وفيه ليزيد حوراء لحن ذكره إبراهيم ولم يجنسه.
وذكر حبشي أن الثقل الثاني لسياط.
ومنها:

يا عند جلي كروبي
فقد تطاول همي
الغناء لابن سكرة عن إبراهيم ولم يجنسه.
ومنها:

يا عبد أنت ذخيرتي
الله يعلم فيكم
نفسى لنفسك خلة
الغناء لحكم الوادي خفيف ثقل بالوسطى عن عمرو.
ومنها:

يا عبد حبي لك مستور
إن كان هجري سركم فاهجروا
وكل حب غيره زور
إني بما سرّك مسرور

الغناء لحكم هزج بالوسطى عن ابن المكي.
ومنها:

ونفى عني الكرى طيف ألم	لم يطل ليلى ولكن لم أنم
خرجت بالصمت عن لا ونعم	وإذا قلت لها جودي لنا
أنني يا عبد من لحم ودم	رفهي يا عبد عني واعلمي
لو توكأت عليه لانهدم	إن في بردي جسماً ناحلاً
موضع الخاتم من أهل الذمم	ختم الحب لها في عنقي

الغناء لحكم هزج بالسبابة والوسطى عن ابن المكي. وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسبه إلى أحد. وفيه
لعثث الأسود خفيف رمل في الأول والخامس.
وكان بشار ينكر هذا البيت الأخير وهو:

ختم الحب لها في عنقي

أخبرني عمي قال حدثنا الكراي قال حدثني أبو حاتم السجستاني قال حدثني من أنشد بشاراً قوله:

لم يطل ليلى ولكن لم أنم

حتى بلغ إلى قوله:

ختم الحب لها في عنقي

موضع الخاتم من أهل الذمم

فقال بشار: عمن أخذت هذا؟ قلت: عن راويك فلان؛ فقال: قبحه الله! والله ما قلت هذا البيت قط، أما ترى
إلى أثره فيه! ما أقبحه وأشد تميزه عني! فقال له بعض من حضر: نعم، هو ألحقه بالأبيات.
ومنها:

عبد إنني قد اعترفت بذنبي	فاغفري واعركي خطاي بجنب
عبد لا صبر لي ولست فمهلاً	قائلاً قد عتبت في غير عتب
ولقد قلت حين أنصبنني الح	ب فأبلى جسمي وعذب قلبي
رب لا صبر لي على الهجر حسبي	أقلني حسبي لك الحمد حسبي

الغناء لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو.

وفيه لسليم هزج من كتاب ابن المكي.

ومنها:

عبد منى وأنعمى

قد ملكتم قياديه

ابلائي لدائيه

شباب رأسي ولم تشب

الغناء لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لعريب هزج.
ومنها:

فيم يجفى حبيبك المستهام

عبد يا همتي عليك السلام

وله فيه مجلس ومقام

نزل الحب منزلاً في فؤادي

الغناء لأبي زكار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه لعريب هزج.
ومنها:

أنصفي، روعي فداك

عبد يا قرّة عيني

ر ولا هم سواك

عاشق ليس له ذك

الغناء لعريب هزج. وفيه لحن ليزيد حوراء غير مجنس.
ومنها:

أما رحمت المقلّة الدامعه

يا عبد يا جافية قاطعه

يهواك حتى تقع الواقعة

يا عبد خافي الله في عاشق

الغناء لأبي زكار هزج بالبنصر عن عمرو.

ليت شعري بالغيب من ذا دهاها

أرسلت أم جعفر لا تزور

كاذب ما أراد إلا رداها

أأتاها محرش بنميم

روضة من الخفيف - الشعر للأحوص. والغناء لأم جعفر المدنية مولاة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ولحنه من
الثقل الأول في مجرى البنصر عن إسحاق.

وذكر عمرو بن بانه أن فيه لحناً من الثقل الأول بالبنصر، فلا أعلم أهذا يعني أم غيره.

وفيه لابن سريج ثاني ثقل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكي وإسحاق.

وفيه لإبراهيم خفيف ثقل بالوسطى عن عمرو والهشامي.

أخبار الأحوص مع أم جعفر

وقد ذكرت أخبار الأحوص متقدماً إلا أخباره مع أم جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنها أخرجت إلى هذا
الموضع. وأم جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خطمة، وهي أم جعفر بنت عبد الله بن عرفطة بن قتادة بن
معد بن غياث بن رزاح بن عامر بن عبد الله بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس. وله فيها أشعار كثيرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلبى قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني يعقوب بن القاسم ومحمد بن يحيى الطلحي عن عبد العزيز بن أبي ثابت، وأخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أحمد بن زهير عن مصعب، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن الحرز بن جعفر الدوسي، قالوا جميعاً: لما أكثر الأحوص التشييب بأمر جعفر وشاع ذكره فيها توعدده أخوها أيمن وهدده فلم ينته، فاستعدى عليه والي المدينة - وقال الزبير في خبره: فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز فربطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما: تجالدا؛ فتجالدا فغلب أخوها. وقال غير الزبير في خبره: وسلح الأحوص في ثيابه وهرب وتبعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً. وقد كان الأحوص قال فيها:

لقد منعت معروفها أم جعفر وإني إلى معروفها لفقير

وقد أنكرت بعد اعتراف زيارتي وقد وغرت فيها علي صدور

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور

أزور البيوت اللاصقات ببيتها وقلبي إلى البيت الذي لا أزور

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى إذالم يزر لا بد أن سيزور

أزور على أن لست أنفك كلما أتيت عدواً بالبنان

يشير فقال السائب بن عمرو، أحد بني عمرو بن عوف، يعارض الأحوص في هذه الأبيات ويعيره بفراره:

لقد منع المعروف من أم جعفر أخو ثقة عند الجلال صبور

علاك بمتن السوط حتى اتقيته بأصفر من ماء الصفاق يفور

فقال الأحوص:

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه فمن ذا الذي يعفو له ذنبه بعي

أريد انتقام الذنب ثم تردني بد لأدانيه مباركة عندي

وقال الزبير في خبره خاصة: وإنما أعطاهما عمر بن عبد العزيز السوطين وأمرهما أن يتضاربا بهما اقتداء بعثمان بن عفان؛ فإنه كان لما هاجى سالم بن دارة ومرة ابن واقع الغطفاني الفراري لهما عثمان بجبل وأعطاهما سوطين فتجالدا بهما.

وقال عمر بن شبة في خبره: وقال الأحوص فيها أيضاً - وقد أنشدني علي بن سليمان الأخفش هذه الأبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شبة بيتين فأضفتها إليهما:-

وإني ليدعوني هوى أم جعفر
وإني لآتي البيت ما إن أحبه
وأغضي على أشياء منكم تسوءني
هبيني امرأً إما بريئاً ظلمته
فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها
لك الله إني واصل ما وصلنتي
وآخذ ما أعطيت عفواً وإنني
وجاراتها من ساعة فأجيب
وأكثر هجر البيت وهو حبيب
وأدعى إلى ما سركم فأجيب
وإما مسيئاً مذنباً فيتوب
من الحزن قد كادت عليك تذوب
ومثن بما أوليتني ومثيب
لأزور عما تكرهين هيوب

هكذا ذكره الأخفش في هذه الأبيات الأخيرة، وهي مروية للمجنون في عدة روايات؛ وهي بشعره أشبه.
وفي هذه الأشعار التي مضت أغان نسبتها:

أدور ولولا أن أرى أم جعفر
أدور على أن لست أنفك كلما
بأبياتكم ما درت حيث أدور
أتيت عدواً بالبنان يشير

الغناء لمعبد، وله فيه لحنان: ثقیل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن عمرو.
ولإسحاق فيهما وفي قوله:

أزور البيوت اللاصقات ببيتها

وبعده:

أدور ولولا أن أرى أم جعفر

لحن من الرمل. وفي البيتین اللذين فيهما غناء معبد للغريض ثقیل أول عن الهشامي، ولإبراهيم خفيف ثقیل. وفيه
لحن لشارية عن ابن المعتز ولم يذكر طريقته.

إذا أنا لم أغفر لأيمن ذنبه
أريد مكافأة له وتصدني
فمن ذا الذي يعفو له ذنبه بعدي
يد لأدانيه مباركة عندي

الغناء لمعبد ثاني ثقیل بالوسطى عن يحيى المكي، وذكر غيره أنه منحول يحيى إلى معبد.
وفيه ثقیل ينسب إلى عريب ورونق.
ومنها وهو:

وإني لآتي البيت ما إن أحبه
وأغضي على أشياء منكم تسوءني
وأكثر هجر البيت وهو حبيب
وأدعى إلى ما سركم فأجيب

وما زلت من ذكراك حتى كأني
أبتك ما ألقى وفي النفس حاجة
لك الله إني واصل ما وصلتي
وأخذ ما أعطيت عفواً وإنني
فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها
من الحزن قد كادت عليك تذوب

الشعر للأحوص. ومن الناس من ينسب البيت الخامس وما بعده إلى المجنون. والغناء في اللحن المختار لدحمان، وهو ثقیل أول مطلق في مجرى البصر. وذكر الهشامي أن في الأبيات الأربعة لابن سريج لحناً من الثقيل الأول، فلا أعلم ألحن دحمان عنى أم ثقيلاً آخر. وفي:

لك الله إني واصل ما وصلتي
ومثن بما أوليتني ومثيب

لإسحاق ثاني ثقیل بالوسطى عن عمرو. وفيها لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى. أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن حسن؛ قال الزبير وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن محرز: أن أم جعفر لما أكثر الأحوص في ذكرها جاءت منتقبة، فوفقت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها، وكانت امرأة عفيفة؛ فقالت له: اقض ثمن الغنم التي ابتعتها مني؛ فقال: ما ابتعت منك شيئاً. فأظهرت كتاباً قد وضعته. عليه وبكت وشكت حاجة وضرا وفاقة وقالت: يا قوم، كلموه. فلامه قومه وقالوا: اقض المرأة حقها؛ فجعل يحلف أنه ما رآها قط ولا يعرفها.

فكشفت وجهها وقالت: ويحك! أما تعرفني! فجعل يحلف مجتهداً أنه ما يعرفها ولا رآها قط. حتى إذا استفاض قولها وقوله واجتمع الناس وكثروا وسمعوا ما دار وكثر لخطهم وأقوالهم، قامت ثم قالت: أيها الناس، أسكتوا. ثم أقبلت عليه وقالت: يا عدو الله! صدقت، والله ما لي عليك حق ولا تعرفني، وقد حلفت على ذلك وأنت صادق، وأنا أم جعفر وأنت تقول: قلت لأم جعفر وقالت لي أم جعفر في شعرك! فحجل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرئت عندهم.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير، وأخبرني به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ثعلب قال حدثنا الزبير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول الأحوص:

لقد منعت معروفها أم جعفر
وإني إلى معروفها لفقير

فلما انتهيت إلى قوله:

أزور على أن لست أنفك كلما
أتيت عدواً بالبنان يشير

أعجبه ذلك وطرب وقال: أتدري يا بن أخي كيف كانوا يقولون! الساعة دخل، الساعة خرج، الساعة مر، الساعة رجع، وجعل يومئذ بإهماميه إلى وراء منكبيه وبسبابتيه إلى حيال وجهه ويقلبها، يحكي ذهابه ورجوعه.

فانظر ان كنت لائماً

صاح قد لمت ظالماً

قلدوها التمائماً

هل ترى مثل ظبية

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء في اللحن المختار للمالك خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن فيه لعريب رملًا بالبنصر، وهو الذي فيه سحجة. وفيه لابن المكي خفيف ثقيل آخر بالوسطى. وزعم الهشامي أن فيه خفيف رمل بالوسطى لابن سريج، وقد سمعها ممن يغنيه. وذكر حبش أن فيه رملًا آخر للغريض. ولعاتكة بنت شهدة فيه خفيف ثقيل، وهو من جيد صنعتها، وذكر جحظة عن أصحابه أن لحنها الرمل هو اللحن المختار، وأن إسحاق كان يقدمها ويستجيدها، ويرغم أنه أخذه عنها.

وقال ابن المعتز: حدثني أبو عبد الله الهشامي: أن عريب صنعت فيه لحنها الرمل بعد أن أفضت الخلافة إلى المعتصم، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه، ولم أسمع بشراً قط غناه أحسن من خشف الواضحة. وكل أخبار هؤلاء المغنين قد ذكرت، أو لها موضع تذكروا فيه، إلا عاتكة بنت شهدة فإن أخبارها تذكر هاهنا؛ لأنه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكره غير هذا.

وقد ذكر جحظة عن أصحابه أن لحنها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوة غيرها. كانت عاتكة بنت شهدة مدنية. وأما شهدة جارية الوليد بن يزيد، وهو الصحيح. وكانت شهدة مغنية أيضاً. حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا العلاء قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي عن بعض المغنين قال: كنا ليلة عند الرشيد ومعنا ابن جاعم والموصلي وغيرهما، وعنده في تلك الليلة محمد بن داود بن إسماعيل بن علي؛ فتغنى المغنون، ثم اندفع محمد بن داود فغناه بين أضعافهم:

وقتلتنى فتخوفي إثمي

أم الوليد سلبتني حلمي

تخشين في عواقب الظلم

بأن الله يا أم الوليد أما

لطبيبنا بالداء من علم

وتركتني أبغي الطبيب وما

زودته سقما على سقم

خافي إلهك في ابن عمك قد

قال: فاستحسن الرشيد الصوت واستحسنه جميع من حضره وطربوا له. فقال له الرشيد: يا حبيبي، لمن هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، سل هؤلاء المغنين لمن هو. فقالوا: والله ما ندري، وإنه لغريب.

فقال: بحياتي لمن هو؟ فقال: وحياتك ما أدري إلا أنني أخذته من شهدة جارية الوليد أم عاتكة بنت شهدة. هذا الشعر المذكور لابن قيس الرقيات، والغناء لأبن محرز، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو. وفيه لسليم خفيف رمل بالبنصر. ولحسين بن محرز ثقيل أول عن الهشامي وحبش.

أخبرني محمد بن يزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه: أنه ذكر عاتكة بنت شهدة يوماً فقال: كانت أضرب من رأيت بالعود؛ ولقد مكثت سبع سنين أختلف إليها في كل يوم فتضاربني ضرباً أو ضربين، ووصل إليها مني ومن أبي أكثر من ثلاثين ألف درهم بيسي: دراهم وهدايا.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال:

كانت عاتكة بنت شهدة أحسن خلق الله غناء وأرواهم، وماتت بالبصرة. وأمها شهدة نائحة من أهل مكة. وكان ابن جامع يلوذ منها بكثرة الترجيع.

فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له: إلى أين يا أبا القاسم! ما هذا الترجيع الذي لا معنى له! عد بنا إلى معظم الغناء ودع من جنونك. فأضجرت يوماً بين يدي الرشيد فقال لها: إني أشتهي، علم الله، أن تحتك شعرتي بشعرتك. فقالت: احسأ، قطع الله ظهرك! ولم تعد لأذاه بعدها.

أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال: قال لي علي بن جعفر بن محمد: دخلت على جوارى المرواني المغنيات بمكة، وعاتكة بنت شهدة تطارحن لحنها:

أن الهوى يدع الكرام عبيدا

يا صاحبي دعا الملامة واعلما

فجعلت واحدة منهن تقول: يدع الرجال عبيداً. فصاحت بها عاتكة بنت شهدة: ويلك! بNDAR الزيات العاض بظر أمه رجل! أقم الكرام هو!. قال!: فكنت إذا مر بي بNDAR أو رأيته غلبي الضحك فأستحي منه وأخذ بيده وأجعل ذلك بشاشة؛ حتى أورث هذا بيبي وبينه مقاربة؛ فكان يقول: أبو الحسن علي بن جعفر صديق لي. وكان مخارق مملوكاً لعاتكة، وهي علمته الغناء ووضعت يده على العود، ثم باعته؛ فانتقل من ملك رجل إلى ملك آخر حتى صار إلى الرشيد. وقد ذكر ذلك في أخباره.

من الخمر لم تبلى لهاتي بناطل

ولو أن ما عند ابن بجرة عندها

وأقعد في أفيائه بالأصائل

لعمري لأنت البيت أكرم أهله

عروضه من الطويل. الشعر لأبي ذؤيب الهذلي. والغناء لحكم الوادي، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها.

ابن بجرة هذا، فيما ذكره الأصمعي، رجل كان يبيع الخمر بالطائف، وزعم أن الناطل كوز تكال به الخمر. وقال ابن الأعرابي: ليس هذا بشيء، وزعم أن الناطل: الشيء؛ يقال: ما في الإناء ناطل، أي شيء. وقال أبو عمرو الشيباني: سمعت الأعراب يقولون: الناطل: الجرعة من الماء واللبن والنبذ. انتهى.

ذكر أبي ذؤيب وخبره ونسبه

هو خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم فحسن إسلامه. ومات في غزاة إفريقية.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال: كان أبو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غميرة فيه ولا وهن. وقال ابن سلام: قال أبو عمرو بن العلاء: سئل حسان بن ثابت: من أشعر الناس؟ قال: أحيا أم رجلاً؟ قالوا: حيا؛ قال: أشعر الناس حيا هذيل، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب. قال ابن سلام: ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني محمد بن معاذ العمري قال: في التوراة: أبو ذؤيب مؤلف زوراً، وكان اسم الشاعر بالسريانية مؤلف زوراً. فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية، وهو كثير بن إسحاق، فعجب منه وقال: قد بلغني ذاك. وكان فصيحاً كثير الغريب متمكناً في الشعر. قال أبو زيد عمر بن شبة: تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه. يعني قوله:

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يخزع

وهذه يقولها في بنين له خمسة أصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها. وسنذكر جميع ما يغنى فيه منها على أثر أخباره هذه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن مصعب الزبيري، وأخبرني حرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال: كان أبو ذؤيب الهذلي خرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح أحد بني عامر بن لؤي إلى إفريقية سنة ست وعشرين غازياً إفرنجة في زمن عثمان. فلما فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبد الله بن الزبير - وكان في جنده - بشيراً إلى عثمان بن عفان، وبعث معه نفرأ فيهم أبو ذؤيب. ففي عبد الله يقول أبو ذؤيب:

فصاحب صدق كسيد الضرا ء ينهض في الغزو نهضاً نجيحاً

في قصيدة له.

فلما قدموا مصر مات أبو ذؤيب بها. وقدم ابن الزبير على عثمان، وهو يومئذ، في قول ابن الزبير، ابن ست وعشرين سنة؛ وفي قول الواقدي ابن أربع وعشرين سنة. وبشر عبد الله عند مقدمه بخيب بن عبد الله بن الزبير وبأخيه عروة. بن الزبير، وكانا ولدا في ذلك العام، وخيب أكبرهما. قال مصعب: فسمعت أبي والزبير بن

حبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يقولان: قال عبد الله بن الزبير: أحاط بنا جرجير صاحب إفريقية وهو ملك إفريقية في عشرين ألفاً ومائة ألف ونحن في عشرين ألفاً؛ فضاق بالمسلمين أمرهم واختلفوا في الرأي، فدخل عبد الله بن سعد فسطاطه يخلو يفكر. قال عبد الله بن الزبير: فرأيت عورة من جرجير والناس على مصافهم، رأيته على يردون أشهب خفف أصحابه منقطعاً منهم، معه جاريان له تظلاانه من الشمس بريش الطواويس. فجئت فسطاط عبد الله فطلبت الإذن عليه من حاجبه؛ فقال: إنه في شأنكم وإنه قد أمرني أن أمسك الناس عنه. قال: فدرت فأتيت مؤخر فسطاطه فرفعته ودخلت عليه، فإذا هو مستلق على فراشه؛ ففرع وقال: ما الذي أدخلك علي يا بن الزبير؟ فقلت: إيه وإيه! كل أزب نفور! إني رأيت عورة من عدونا فرجوت الفرصة فيه وخشيت فواتها، فخرج فاندب الناس إلي. قال: وما هي؟ فأخبرته؛ فقال: عور لعمرى! ثم خرج فرأى ما رأيت؛ فقال: أيها الناس، انتدبوا مع ابن الزبير إلى عدوكم. فاخترت ثلاثين فارساً، وقلت: إني حامل اضربوا عن ظهرهم فإني سأكفيكم من ألقى إن شاء الله تعالى.

فحملت في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذبوا عني حتى خرقتهم إلى أرض خالية، وتبينته فصمدت صمده؛ فوالله ما حسب إلا أني رسول ولا ظن أكثر أصحابه إلا ذاك، حتى رأى ما بي من أثر السلاح، فثنى بزونه هارباً، فأدركته فطعنته فسقط، ورميت بنفسي عليه، واتقت جاريته عنه السيف فقطعت يد إحداهما. وأجهزت عليه ثم رفعت رأسه في رمحي، وحال أصحابه وحمل المسلمون في ناحيتي وكبروا فقتلوهم كيف شاءوا، وكانت الهزيمة. فقال لي عبد الله بن سعد: ما أحد أحق بالبشارة منك، فبعثني إلى عثمان. وقدم مروان بعدي على عثمان حين اطمأنوا وباعوا المغنم وقسموه.

وكان مروان قد صفق على الخمس بخمسمائة ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك مما تكلم فيه بسببه. فقال عبد الرحمن بن حنبل بن مليل - وكان هو وأخوه كلدة أخوي صفوان بن أمية بن خلف لأمه، وهي صفية بنت معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وكان أبوهما ممن سقط من اليمن إلى مكة -:

أحلف بالله جهد اليمى	ن ما ترك الله أمراً سدى
ولكن خلقت لنا فتنة	لكي نبئلى فيك أو تبئلى
دعوت الطريد فأدنيته	خلاقاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس العبا	د ظلماً لهم وحميت الحمى
وما لا أتاك به الأشعري	من الفياء أعطيته من دنا
وأن الأمينين قد بينا	منار الطريق عليه الهدى
فما أخذاً درهماً غيلةً	ول اقسماً درهماً في هوى

قال: والمال الذي ذكر أن الأشعري جاء به ما كان أبو موسى قدم به على عثمان من العراق، فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبي العيص منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم؛ فأنكر الناس ذلك. أخبرني أحمد بن عبيد الله قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن عبد العزيز - أظنه ابن الدراوردي - قال: ابن بجرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عبيد بن عويج بن عدي بن كعب من قريش، ولم يسكنوا مكة ولا المدينة قط، وبالمدينة منهم وامرأة، ولهم موال أشهر منهم، يقال لهم بنو سحفان. وكان ابن بجرة هذا حماراً. وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حكم الوادي المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة. فمما يغني فيه: منها:

أساءلت رسم الدار أم لم تسائل
عفا غير رسم الدار ما إن تبينه
فلو أن ما عند ابن بجرة عندها
فتلك التي لا يذهب الدهر حبها
عن الحي أم عن عهده بالأوائل
وعفر ظباء قد ثوت في المنازل
من الخمر لم تبلل لهاتي بناطل
ولا ذكرها ما أرزمت أم حائل

غناه الغريض ثقيلًا أول بالوسطى. ويقال: إن لمعبد فيه أيضاً لحناً.

قوله: أساءلت يخاطب نفسه. ويروى: عن السكن أو عن أهله. والسكن. الذي كانوا فيه. وقال الأصمعي: السكن: سكن الدار. والسكن: المنزل أيضاً. ويروى: عفا غير نوى الدار. والنوى: حاجز يجعل حول بيوت الأعراب لئلا يصل المطر إليها. ويروى - وهو الصحيح -:

وأقطاع طفي قد عفت في المعازل

والطفي: خوص المقل. والمعازل: حيث نزلوا فامتنعوا، واحدها معقل. وواحد الطفي: طفية. وأرزمت: حنت. والحائل: الأنثى. والسقب: الذكر. ومنها:

وإن حديثاً منك لو تبذلينه
مطافل أبكار حديث نتاجها
جنى النحل في ألبان عود مطافل
تشاب بماء مثل ماء المفاصل

غناه ابن سريج رماً بالوسطى. جنى النحل: العسل. والعود: جمع عائد، الناقة حين تضع فهي عائد، فإذا تبعها ولدها قيل لها مطفل.

والمفاصل: منفصل السهل من الجبل حيث يكون الرضراض، والماء الذي يستنقع فيها أطيب المياه. وتشاب: تخلط.

وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي: أن أبا ذؤيب إنما عني بقوله: مطافل

أبكار أن لبن الأبكار أطيب الألبان، وهو لبنها لأول بطن وضعت. قال: وكذلك العسل فإن أطيبه ما كاد من بكر النحل. قال: وحدثني كردين قال: كتب الحجاج إلى عامله على فارس: ابعث إلي بعسل من عسل خلار، من النحل الأبكار، من الدستفشار، الذي لم تمسه النار. فأما قصيدته العينية التي فضل بها، فمما يغنى به منها:

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحباً منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً إلا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما لجسمي أنه أودى بني من البلاد فودعوا

عروضه من الكامل. غناه ابن محرز ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالنصر في مجراها. قال الأصمعي: سميت المنون منوناً لأنها تذهب بمنة كل شيء وهي قوته. وروى الأصمعي: وريبه فذكر المنون. والشاحب: المغير المهزول. يقال: شحب يشحب. ابتذلت: امتهنت نفسك وكرهت الدعة والزينة ولزمت العمل والسفر ومثل مالك يغنيك عن هذا، فاشتر لنفسك من يكفيك ذلك ويقوم لك به. ويلائم: يوافق. أقض عليك أي خشن فلم تستطع أن تضطجع عليه. والقضض: الرمل والحصى. قال الراجز:

إن أحياناً مات من غير مرض ووجد في مرضه حيث ارتمض
عساقل وجباً فيها قضض

وودعوا: ذهبوا. استعمل ذلك في الذهاب لأن من عادة المفارق أن يودع. أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أحمد بن عمر النحوي قال حدثني أبي عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: لما مات جعفر بن المنصور الأكبر مشى المنصور في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش، ومشى الناس أجمعون معه حتى دفنه، ثم انصرف إلى قصره. ثم أقبل على الربيع فقال: يا ربيع، انظر من في أهلي ينشدني:

أمن المنون وريبها تتوجع

حتى أتسلى بها عن مصيبي. قال الربيع: فخرجت إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور، فسألتهم عنها، فلم يكن فيهم أحد يحفظها، فرجعت فأخبرته؛ فقال: والله لمصيبي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم في الأدب أعظم وأشد علي من مصيبي بابي.

ثم قال: انظر هل في القواد والعوام من الجند من يعرفها، فإني أحب أن أسمعها من إنسان ينشدها. فخرجت فاعترضت الناس فلم أجد أحداً ينشدها إلا شيخاً كبيراً مؤدباً قد انصرف من موضع تأديبه، فسألته: هل تحفظ شيئاً من الشعر؟ فقال: نعم، شعر أبي ذؤيب. فقلت: أنشدني. فابتدأ هذه القصيدة العينية. فقلت له: أنت بغيتي.

ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشدته إياها.
فلما قال:

والدهر ليس بمعتب من يجزع

قال: صدق والله، فأنشدني هذا البيت مائة مرة ليتردد هذا الصراع علي؛ فأنشده، ثم مر فيها. فلما انتهى إلى قوله:

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

قال: سلا أبو ذؤيب عند هذا القول. ثم أمر الشيخ بالانصراف. فاتبعته فقلت له: أأمر لك أمير المؤمنين بشيء؟ فأراني صرة في يده فيها مائة درهم.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: كان أبو ذؤيب الهذلي يهوى امرأة يقال لها أم عمرو، وكان يرسل إليها خالد بن زهير فخانها فيها، وكذلك كان أبو ذؤيب فعل برجل يقال له عويم بن مالك بن عويمر وكان رسوله إليها. فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرمها. فأرسلت تترضاه، فلم يفعل، وقال فيها:

تريدين كيما تجمعيني وخالدا	وهل يجمع السيفان ويحك في غمد
أخالد ما راعيت مني قرابة	فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي
دعاك إليها مقلتها وجيدها	فملت كما مال المحب على عمد
وكننت كرقراق السراب إذا بدا	لقوم وقد بات المطي بهم يخدي
فأليت لا أنفك أحذو قصيدة	تكون وإياها بها مثلاً بعدي

غناه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر. الغيب: السر.
والرقراق: الجاري. ويروى: أحذو قصيدة. فمن قال: أحذو بالذال المعجمة أراد أصنع، ومن قال: أحذوا أراد أغني.

وقال أبو ذؤيب في ذلك:

وما حمل البختي عام غياره	عليه الوسوق برها وشعيرها
أتى قرية كانت كثيراً طعامها	كرفغ التراب كل شيء يميزها
الرفغ من التراب: الكثير اللين - .	
فقل تحمل فوق طوقك إنها	مطبعة من يأتها لا يضيرها
بأعظم مما كنت حملت خالداً	وبعض أمانات الرجال غرورها

ولو أنني حملته البزل ما مشت
تتلب: تستقيم وتتصب وتمتد وتتابع -:

خليلي الذي دلى لغي خليلتي
يقال: عره بكذا أي أصابه به -:

فشأنكها، إني أمين وإنني
تحال: من الحلاوة. أطورها: أقربها -:

أحاذر يوماً أن تبين قرينتي
الأحراز: الحصون. قريني: نفسي -:

وما أنفس الفتیان إلا قرائن
فنفسك فاحفظها ولا تفش للعدا

وما يحفظ المكتوم من سر أهله
من القوم إلا ذو عفاف يعينه

رعى خالد سري ليالي نفسه
فلما تراماه الشباب وغيه

لوى رأسه عني ومال بوده
تعلقه منها دلال ومقلة

فإن حراماً أن أخون أمانة

فأجابه خالد بن زهير:

لا يبعدن الله لبك إذ غزا

غزا وسافر لبك: ذهب عنك. والعثور: من العثار وهو الخطأ -:

وكنت إماماً للعشيرة تنتهي

لعلك إما أم عمرو تبدلت

الاستخارة: الاستعطاف -:

فإن التي فينا زعمت ومثلها

تجورها. تعرض عنها -:

به البزل حتى تتلئب صدورها

جهاراً فكل قد أصاب عرورها

إذا ما تحالى مثلها لا أطورها

ويسلمها أحرارها ونصيرها

تبين ويبقى هامها وقبور

من السر ما يطوى عليه ضميرها

إذا عقد الأسرار ضاع كبيرها

على ذاك منه صدق نفس وخيرها

توالى على قصد السبيل أمورها

وفي النفس منه فتنة وفجورها

أغانيج خود كان فينا يزورها

تظل لأصحاب الشقاء تديرها

وآمن نفساً ليس عندي ضميرها

وسافر والأحلام جم عثورها

إليك إذا ضاقت بأمر صدورها

سواك خليلاً شاتمي تستخيرها

لفيك ولكني أراك تجورها

ألم تنتقذها من عويم بن مالك وأنت صفي نفسه وسجيرها

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنة من يسيرها

ويروى قد أسرقها، أي جعلتها سائرة. ومن رواه هكذا روى يسيرها لأن مستقبل أفعل أسارها يسيرها. ويسيرها مستقبل سار السيرة يسيرها-.

فإن كنت تشكو من خليل مخانة فتلك الجوازي عقبها ونصورها

عقبها: يريد عاقبتها. ونصورها أي تنصر عليك، الواحد نصر -.

وإن كنت تبغي للظلامه مركباً ذلواً فإنني ليس عندي بغيرها

نشأت عسيراً لا تلين عريكتي ولم يغل يوماً فوق ظهري كورها

متى ما تشأ أحملك والرأس مائل على صعبة حرف وشيك طمورها

فلا تك كالثور الذي دفنت له حديدة حتف ثم أمسى يثيرها

يطيل ثواء عندها ليردها وهيهات منه دارها وقصورها

وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألد من السلوى إذا ما نشورها

نشورها: نحتنيها. السلوى هاهنا: العسل -.

فلم يغن عنه خدعه يوم أزمعت صريمتها والنفس مر ضميرها

ولم يلف جلداً حازماً ذا عزيمة وذا قوة ينفي بها من يزورها

فأقصر ولم تأخذك مني سحابة ينفر شاء المقلعين خيرها

المقلعين: الذين أصابهم القلع وهو السحاب -.

ولا تسبقن الناس مني بخمطة من السم مذرور عليها ذرورها

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا السكن بن سعيد قال حدثنا العباس بن هشام قال حدثني أبو عمرو عبد الله بن الحارث الهذلي من أهل المدينة قال: خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عبيد، حتى قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقال له: أفي العمل أفضل يا أمير المؤمنين؟ قال: الإيمان بالله ورسوله. قال: قد فعلت، فإنه أفضل بعده؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال: ذلك كان علي وإني لا أرجو جنة ولا أخاف ناراً. ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين. فلما قفلوا أخذه الموت؛ فأراد ابنه وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعاً فمنعهما صاحب الساقة وقال: ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول. فقال لهما أبو ذؤيب. اقترعا، فطارت القرعة لأبي عبيد، فتخلف عليه ومضى ابنه مع الناس. فكان أبو عبيد يحدث قال قال لي أبو ذؤيب: يا أبا عبيد،

احفر ذلك الجرف برمحك ثم اعضد من الشجر بسيفك ثم اجررني إلى هذا النهر فإنك لا تفرغ حتى أفرغ، فاغسلني وكفني ثم اجعلني في حفيري وانثل علي الجرف برمحك، وألق علي الغصون والشجر، ثم اتبع الناس فإن لهم رهجة تراها في الأفق إذا مشيت كأنها جهامة.
قال: فما أخطأ مما قال شيئاً، ولولا نعتي لم أهتد لأثر الجيش. وقال وهو يجود بنفسه:

وأقترب الموعد والحساب

أبا عبيد رفع الكتاب

أحمر في حاركه انصباب

وعند رحلي جمل نجاب

ثم مضيت حتى لحقت الناس. فكان يقال: إن أهل الإسلام أبعثوا الأثر في بلد الروم، فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعرف لأحد من المسلمين.

ذكر حكم الوادي وخبره ونسبه

هو الحكم بن ميمون مولى الوليد بن عبد الملك. وكان أبوه حلاقاً يخلق رأس الوليد، فاشتره فأعتقه. وكان حكم طويلاً أحول، يكرى الجمال ينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة. ويكنى أبا يحيى. وقال مصعب بن عبد الله بن الزبير: هو حكم بن يحيى بن ميمون، وكان أصله من الفرس، وكان جماً ينقل الزيت من وادي القرى إلى المدينة.
وذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أنه كان شيخاً طويلاً أحول أجنأ يخضب بالحناء، وكان جماً يحمل الزيت من جدة إلى المدينة، وكان واحد دهره في الحذق، وكان ينقر بالدف ويغني مرتجلاً، وعمر عمراً طويلاً، غنى الوليد بن عبد الملك، وغنى الرشيد ومات في الشطر من خلافته، وذكر أنه أخذ الغناء من عمر الوادي.
قال: وكان بوادي القرى جماعة من المغنين فيهم عمر بن زاذان - وقيل: ابن داود بن زاذان، وهو الذي كان يسميه الوليد جامع لذقي وحكم بن يحيى، وسليمان، وخليد بن عتيك - وقيل: ابن عبيد - ويعقوب الوادي. وكل هؤلاء كان يصنع فيحسن.

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني حماد قال قال لي أبي: أحذق من رأيت من المغنين أربعة: جدك وحكم وفليح بن العوراء وسياط. قلت: وما بلغ من حذقهم؟ قال، كانوا يصنعون فيحسنون، ويؤدون غناء غيرهم فيحسنون. قال إسحاق: وقال لي أبي: ما في هؤلاء الذين تراهم من لمغنين أطبع من حكم وابن جامع، وفليح أدرى منهما بما يخرج من رأسه.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن أحمد بن المكي حدثه عن أبيه قال حدثني حكم الوادي، وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي عن حماد بن إسحاق عن أحمد بن المكي عن أبيه عن حكم الوادي قال: أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد، وهو على حمار، وعليه جبة وشي ورداء وشي وخف وشي، وفي

يده عقد جوهر، وفي كفه شيء لا أدري ما هو. فقال: من غنائي ما أشتهي فله ما في كفي وما علي وما تحي:
فغنوه كلهم فلم يطرب؛ فقال لي: غن يا غلام، فغنيت:

ووجهها فتان

إكليلها ألوان

ليس له جيران

وخالها فريد

كأنها ثعبان

إذا مشيت تثننت

الشعر لمطيع بن إياس. والغناء لحكم الوادي هزج بالوسطى. وفيه لإبراهيم رمل خفيف بالوسطى - فطرب
وأخرج ما كان في كفه، وإذا كيس فيه ألف دينار، فرمى به إلي مع عقد الجوهر؛ فلما دخل بعث إلي بالحمار
وجميع ما كان عليه. وهذا الخبر يذكر من عدة وجوه في أخبار مطيع بن إياس.
وفي حكم الوادي يقول رجل من قریش:

بصير بالثقال وبالخفاف

أبو يحيى أخو الغزل المغني

ويحسن ما يقول على الدفاف

على العيدان يحسن ما يغني

غناه حكم الوادي هزجاً بالبنصر.

قال! هارون بن عبد الملك قال أبو يحيى العبادي قال حدثني أحمد البارد قال: دخلت على حكم يوماً فقال لي: يا
قصافي، إن رجلاً من قریش قال في هذا الشعر:

أبو يحيى أخو الغزل المغني

وقد غنيت فيه، فخذ العود حتى تسمعه مني؛ فأخذت العود فضربت عليه وغنانيه، فكنت أول من أخذ من
حكم الوادي هذا الصوت.

قال أبو يحيى وقال إسحاق: سمعت حكماً الوادي يغني صوتاً فأعجبني، فسألته لمن هو؟ فقال: ولمن يكون هذا إلا
لي وقال مصعب: حدثني شيخ أنه سمع حكماً الوادي يغني، فقال له: أحسنت! فألقى الدف وقال للرجل: قبحك
الله! تراني مع المغنين منذ ستين رمح! سنة وتقول لي أحسنت!.

وقال لي هارون حدثني مدرك بن يزيد قال قال لي فليح: بعث إلي يحيى بن خالد وإلى حكم الوادي، وابن جامع
معنا، فأتيناه. فقلت لحكم الوادي - أو قال لي - إن ابن جامع معنا، فعاوني عليه لنكسره. فلما صرنا إلى الغناء
غنى حكم، فصحت وقلت: هكذا والله يكون الغناء! ثم غنيت ففعل بي حكم مثل ذلك، وغنى ابن جامع فما
كنا معه في شيء. فلما كان العشي أرسل إلى جاريته دنانير: إن أصحابك عندنا، فهل لك أن تخرجي إلينا؟!
فخرجت وخرج معها وصائف لها، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظن أنا لا نسمع: ليس في القوم أنزه نفساً
من فليح، ثم أشار إلى غلام له: أن اتك كل إنسان بألفي درهم، فجاء بها. فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها

فطرحها في كفه، ولحكم مثل ذلك فطرحها في كفه، ودفع إلى ألفين. فقلت: لدنانير: قد بلغ مني النبذ فاحتبسها لي عندك، فأخذت الدراهم مني وبعثت بها إلي من الغد، وقد زادت عليها مثلها، وأرسلت إلي: قد بعثت إليك بوديعتك وبشيء أحببت أن تفرقه على أخواني تعني جوالي.

قال هارون بن محمد قال حماد بن إسحاق قال أبي: أربعة بلغوا في أربعة أجناس من الغناء مبلغاً قصر عنه غيرهم: معبد في الثقل، وابن سريج في الرمل، وحكم في الهزج، وإبراهيم في الماخوري.

قال هارون وحدثني أبي قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال: زار حكم الوادي الرشيد، فبره ووصله بثلاثمائة ألف درهم، وسأله عمن يختار أن يكتب له بها إليه؛ فقال: اكتب لي بها إلى إبراهيم بن المهدي - وكان عاملاً له بالشام - قال إبراهيم: فقدم علي حكم بكتاب الرشيد، فدفعته إليه ما كتب به ووصلته بمثل ما وصله، إلا أنني نقصته ألفاً من الثلاثمائة وقلت له: لا أصلك بمثل صلة أمير المؤمنين.

فأقام عندي ثلاثين يوماً أخذت منه فيها ثلاثمائة صوت، كل صوت منها أحب إلي من الثلاثمائة الألف التي وهبتها له.

وأخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن خرداذبه قال قال مصعب بن عبد الله: بينا حكم الوادي بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون: لو ذهبنا إلى جارية ابن شقران! فلما حسنة الغناء! فمضوا إليها، وتبعهم حكم وعليه فروة، فدخلوا ودخل معهم، وصاحب المنزل يظن أنه معهم وهم يظنون أنه من قبل صاحب المنزل ولا يعرفونه. فغنت الجارية أصواتاً ثم غنت صوتاً ثم صوتاً. فقال حكم الوادي: أحسنت والله! وصاح. فقال له رب البيت: يا ماص كذا وكذا من أمه! وما يدريك ما الغناء! فوثب عليه يتعته وأراد ضربه. فقال له حكم: يا عبد الله، دخلت بسلام وأخرج كما دخلت، وقام ليخرج. فقال له رب البيت: لا أو أضربك. فقال حكم: على رسلك، أنا أعلم بالغناء منك ومنها، وقال: شدي موضع كذا وأصلحي موضع كذا، واندفع يغني. فقالت الجارية: إنه والله أبو يحيى فقال رب المنزل: جعلت فداك! المعذرة إلى الله وإليك! لم أعرفك! فقام حكم ليخرج فأبى الرجل؛ فقال: والله لأخرجن، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك.

ذكر أحمد بن المكي عن أبيه: أن حكماً لم يشهر بالغناء ويذهب له الصوت به حتى صار الأمر إلى بني العباس؛ فانقطع إلى محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور؛ فأعجب به واختاره على المغنين وأعجبته أهزاجه. وكان يقال: إنه من أهرج الناس. ويقال: إنه غنى الأهرج في آخر عمره، وإن ابنه لأمه على ذلك، وقال له: أبعد الكبر تغني غناء المختشين! فقال له: اسكت فإنك جاهل، غنيت الثقل ستين سنة فلم أنل إلا القوت، وغنيت الأهرج منذ سنين فأكسبتك ما لم تر مثله قط.

قال هارون بن محمد وقال يحيى بن خالد: ما رأينا فيمن يأتينا من المغنين أحداً أجود أداء من حكم. وليس أحد يسمع غناء ثم يغنيه بعد ذلك إلا وهو يغيره ويزيد فيه وينقص إلا حكماً. فقليل لحكم ذلك فقال: إني لست

أشرب، وغيري يشرب، فإذا شرب تغير غناؤه.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان خبر حكم الوادي يتناهى إلى المنصور ويبلغه ما يصله به بنو سليمان بن علي، فيعجب لذلك ويستسرفه ويقول: هل هو إلا أن حسن شعراً بصوته وطرب مستمعيه، فماذا يكون! وعلام يعطونه هذه العطايا المسرفة! إلى أن جلس يوماً في مستشرف له، وقد كان حكم دخل إلى رجل من قواده - أراه قال: علي بن يقطين أو أبوه - وهو يراه؛ ثم خرج عشياً وقد حملة على بغلة له يعرفها المنصور، وخلع عليه ثياباً يعرفها له. فلما رآه المنصور قال: من هذا؟ فقيل: حكم الوادي. فحرك رأسه ملياً ثم قال: لأن علمت أن هذا يستحق ما يعطاه. قيل: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه؟ قال: لأن فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يضعه إلا في حقه.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا قعنب بن الحمرز الباهلي عن الأصمعي قال: رأيت حكماً الوادي حين مضى المهدي إلى بيت المقدس، وقد عارضه في الطريق وأخرج دفه ونقر فيه وله شعيرات على رأسه وقال: أنا والله يا أمير المؤمنين القائل:

س فقد طال حبسها

ومتى تخرج العرو

فتسرع إليه الحرس؛ فقال: دعوه، وسأل عنه فآخبر أنه حكم الوادي؛ فوصله وأحسن إليه. لحن حكم في هذا الشعر المذكور هزج بالنصر. وفيه ألحان لغيره، وقد ذكرت في أخبار الوليد بن يزيد. أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهوريه قال حدثنا علي بن محمد النوفلي عن صالح الأضجم عن حكم الوادي قال: كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسط وقل ترجيعه ولم يبلغ أن يستخف جداً؛ فأخرج ليلة ثلاث بدر وقال: من أطربني فهي له. فغناه ابن جامع وإبراهيم الموصلي والزبير بن دحمان فلم يصنعوا شيئاً، وعرفت ما أراد فغنيته لابن سريج:

قمراء تهدي أوائل الظلم

غراء كالليلة المباركة ال

م الله خفيات كل مكنتم

أكني بغير اسمها وقد عل

طيب مشم وحسن مبتسم

كأن فاهها إذا تنسم عن

هيلان أو يانع من العتم

يسن بالضررو من براقش أو

الشعر في هذا الغناء للناطقة الجعدي؛ والصنعة لابن سريج رمل بالنصر فوثب عن فراشه طرباً وقال: أحسنت أحسنت والله! اسقوني فسقي. ووثقت بأن البدر لي، فقامت فجلست عليها. فأحسن ابن جامع المحضر وقال: أحسن والله كما قال أمير المؤمنين، وإنه لحسن مجمل. فلما سكن أمر الفراشين بحملها معي. فقلت لابن جامع: مثلك يفعل ما فعلت في شرفك ونسبك! فإن رأيت أن تشرفني بقبول إحداها فعلت. فقال: لا والله لا فعلت، والله لو ددت أن الله زادك، وأسأل الله أن يهنيك ما رزقك.

ولحقني الموصلي فقال: آخذ يا حكم من هذا؟ فقلت: لا والله ولا درهماً واحداً لأنك لم تحسن المحضر.
ومات حكم الوادي من قرحة أصابته في صدره. فقال الدارمي فيه قبل وفاته:

إن أبا يحيى اشتكى علة
أصبح منها بين عواد
فقلت والقلب به موجد
يا رب عاف الحكم الوادي
فرب بيض قادة سادة
كأنصل سلت من اغماد
نادمهم في مجلس لاهياً
فأصمت المنشد والشادي
غنى فيه حكم الوادي هزجا بالبنصر.

أعارف الدمن القفار توهم
ولقد مضى حول لهن مجرم
ولقد وقفت على الديار لعلها
بجواب رجع تحية تتكلم

عن علم ما فعل الخليط، فما درت
أنى توجه بالخليط الموسم
ولقد عهدت بها سعاد وإنها
بالله جاهدة اليمين لتقسم
إني لأوجه من تكلم عندها
بألية ومخالف من يزعم
فلها لدينا بالذي بذلت لنا
ود يطول له العناء ويعظم

عروضه من الكامل. الشعر لنصيب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان.
والغناء لابن جامع. له فيه لحنان ذكرهما إسحاق، أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. ولإبراهيم
في البيتين الأولين ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى.
ولإسحاق وسياط فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو.

ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة بن سعيد، سعد بن سهم بن
عمرو، بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب.
أخبرني الطوسي عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب، وأخبرنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد
عن سلمة عن ابن إسحاق قالاً جميعاً: مات ضبيرة السهمي وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لحيته شيب.
فقال بعض شعراء قريش يرثيه:

حجاج بيت الله إن ض
بيرة السهمي ماتا

سبقت منيته المشي

ب وكان ميته افتلاتا

فتزودوا لا تهلكوا

من دون أهلكم خفاتا

قال: وأسر أبو وداعة كافراً يوم بدر ففداه ابنه المطلب، وكان المطلب رجل صدق.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث.

ويكنى ابن جامع أبا القاسم. وأمّه امرأة من بني سهم وتزوجت بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن.

فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن حماد عن أبيه عن بعض أصحابه عن عون حاجب معن بن زائدة قال: رأيت أم ابن جامع وابن جامع معها عند معن بن زائدة وهو ضعيف يتبعها ويطأ ذيلها وكانت من قریش، ومعن يومئذ على اليمن.

فقلت: أصلح الأمير، إن عمي زوجني زوجاً ليس بكفء ففرق بيني وبينه.

قال: من هو؟ قالت: ابن ذي مناجب. قال: علي به. قال: فدخل أقبح من خلق الله وأشوهه خلقاً. قال: من هذه منك؟ قال: امرأتی. قال: خل سبيلها، ففعل. فأطرق مغن ساعة ثم رفع رأسه فقال:

لعمري لقد أصبحت غير محبب

ولا حسن في عينها ذا مناجب

فما لمتها لما تبينت وجهه

وعيناً له حوصاء من تحت حاجب

وأناً كأنف البكر يقطر دائباً

على لحية عصلاء شابت وشارب

أتيت بها مثل المهابة تسوقها

فيا حسن مجلوب ويا قبح جالب

وأمر لها بمائتي دينار وقال لها: تجهزي بها إلى بلادك.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرني حماد عن أبيه: أن الرشيد سأل ابن جامع يوماً عن نسبه وقال له: أي بني الإنس ولدك يا إسماعيل؟ قال: لا أدري، ولكن سل ابن أخي يعني إسحاق - وكان يماظ إبراهيم الموصلي ويميل إلى ابنه إسحاق قال إسحاق: ثم التفت إلي ابن جامع فقال: أخبره يا بن أخي بنسب عمك. فقال له الرشيد: قبحك الله شيخاً من قریش! تجهل نسبك حتى يخبرك به غيرك وهو رجل من العجم!..

قال هارون حدثني عبد الله بن عمرو قال حدثني أبو هشام محمد بن عبد الملك المخزومي قال أخبرني محمد بن عبد الله بن أبي فروة بن أبي قراد المخزومي قال: كان ابن جامع من أحفظ خلق الله لكتاب الله وأعلمه بما يحتاج إليه، كان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلّي الصبح ثم يصف قدميه حتى تطلع الشمس، ولا يصلّي الناس الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله.

قال هارون وحدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني صالح بن علي بن عطية وغيره من رجال أهل العسكر

قالوا: قدم ابن جامع قدماً له من مكة على الرشيد، وكان ابن جامع حسن السميت كثير الصلاة قد أخذ السجود جبهته، وكان يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة، ويلبس لباس الفقهاء، ويركب حمراً مريسياً في

فبينما هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتبس الإذن عليه، فوقف على ما كان يقف الناس عليه في القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم، أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهل القلانس؛ فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحدثه، ف وقعت عينه على ابن جامع فرأى سمته وحلاوة هيئته، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال له: أمتع الله بك، تو سمت فيك الحجازية القرشية؟ قال: أصبت. قال: فمن أي قريش أنت؟ قال: من بني سهم. قال: فأبي الحرمين مثلك؟ قال: مكة. قال: ومن لقيت من فقهاءهم؟ قال: سل عمن شئت.

ففاتحه الفقه والحديث فوجد عنده ما أحب فاعجب به. ونظر الناس إليهما فقالوا: هذا القاضي قد أقبل على المغني، وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع. فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه! ثم قالوا: لا، لعله لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم، فلم نغمه. فلما كان الإذن الثاني ليحيى غدا عليه الناس وغدا عليه أبو يوسف، فنظر يطلب ابن جامع فرآه، فذهب فوقف إلى جانبه فحدثه طويلاً كما فعل في المرة الأولى. فلما انصرف قال له بعض أصحابه: أيها القاضي، أتعرف هذا الذي تواقف وتحادث؟ قال: نعم، رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء. قالوا: هذا ابن جامع المغني؛ قال: إنا لله!. قالوا: إن الناس قد شهروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك. فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكبه، وعرف ابن جامع أنه قد أندر به، فجاء فوقف فسلم عليه، فرد السلام عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه. فدنا منه ابن جامع، وعرف الناس القصة، وكان ابن جامع جهوراً فرفع صوته ثم قال: يا أبا يوسف، ما لك تنحرف عني؟ أي شيء أنكرت؟ قالوا لك: إني ابن جامع المغني فكرهت موافقتي لك! أسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئت؛ ومال الناس فأقبلوا نحوهما يستمعون. فقال: يا أبا يوسف، لو أن أعرابيا جلفا وقف بين يديك فأنشذك بجفاء وغلظة من لسانه وقال:

أقوت و طال عليها سالف الأبد

يا دار مية بالعلياء فالسند

أكنت ترى بذلك بأساً؟ قال: لا، قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر قول، وروى في الحديث. قال ابن جامع: فإن قلت أنا هكذا، ثم اندفع يتغنى فيه حتى أتى عليه؛ ثم قال: يا أبا يوسف، رأيته زدت فيه أو نقصت منه؟ قال: عافاك الله، أعفنا من ذلك. قال: يا أبا يوسف، أنت صاحب فتيا، ما زدته على أن حسنته بألفاظي فحسن في السماع ووصل إلى القلب.

ثم تنحى عنه ابن جامع.

قال: وحدثني عبد الله بن شبيب قال حدثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة، ومر به ابن جامع يسحب الخنز، فقال لبعض أصحابه: بلغني أن هذا القرشي أصاب مالا من بعض الخلفاء، فبأي شيء أصابه؟ قالوا: بالغناء. قال: فمن منكم يذكر بعض ذلك؟ فأنشد بعض أصحابه ما يغني فيه:

وأرفع من مئزري المسبل

وأصحب بالليل أهل الطواف

قال: أحسن، هيه! قال:

وأتلو من المحكم المنزل

وأسجد بالليل حتى الصباح

قال: أحسن، هيه! قال:

يسخر لي ربة المحمل

عسى فارح الكرب عن يوسف

قال: أما هذا فدعه.

وحدثني محمد بن الحسن العتابي قال حدثني جعفر بن محمد الكاتب قال حدثني طيب بن عبد الرحمن قال: كان

ابن جامع يعد صبيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن.

وحدث محمد بن الحسن قال حدثني أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سلم عن أخيه أبي معاوية بن عبد

الرحمن قال: قال لي ابن جامع: لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلاني لتركزت المغنين لا يأكلون الخبز.

أخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال: أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً فقال: ما اسمه؟ فقال: لا

أدري، فدعا بدفتر فيه أسماء الكلاب فجعل يدعو بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب.

قال هارون بن محمد حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني محمد بن أحمد المكي قال حدثني حواء مولاة ابن

جامع قالت: انتبه مولاي يوماً من قائلته فقال: علي بهشام يعني ابنه ادعوه لي عجلوه، فجاء مسرعاً. فقال: أي

بني، خذ العود، فإن رجلاً من الجن ألقى علي في قائلتي صوتاً فأخاف أن أنساه.

فأخذ هشام العود وتغنى ابن جامع عليه رماً لم أسمع له رماً أحسن منه، وهو:

هوج الرياح الزعازع العصف

أمست رسوم الديار غيرها

مثل حنين الروائم الشغف

وكل حنانة لها زجل

فأخذه عنه هشام، فكان بعد ذلك يتغناه وينسبه إلى الجن. وفي هذا الصوت للهدلي لحن من الثقيل الثاني بالخنصر

في مجرى الوسطى. وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو، وقيل: إن هذا اللحن

لعبادل. وفيه لابن جامع الرمل المذكور.

هارون وحدثني أحمد بن بشر بن عبد الوهاب قال حدثني محمد بن موسى بن فليح الخزاعي قال حدثنا أبو محمد

عبد الله بن محمد المكي قال: قال لي ابن جامع: أخذت من هارون بيتين غنيته بهما عشرة آلاف دينار:

تكون بين الوصل والصرم

لا بد للعاشق من وقفة

إظهار ما يخفي من السقم

يعتب أحياناً وفي عتبه

وظنه داع إلى الظلم

إشفاقه داع إلى ظنه

راجع من يهوى على رغم

حتى إذا ما مضه هجره

هكذا رويته الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى. وذكر ابن بانة أن هذا اللحن لسليم. وفيه لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى - قال: ثم قال لي ابن جامع: فمتى تصيب أنت بالمروءة شيئاً! وقال هارون حدثني أحمد بن زهير قال حدثني مصعب بن عبد الله قال: خرج ابن أبي عمرو الغفاري وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرهما من القرشيين عماراً يريدون مكة؛ فلما كانوا بفخ نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها. قال: فبينما نحن نغتسل إذ سمعنا صوت غناء، فقلنا: لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم! فأتيناهم، فإذا ابن جامع وأصحاب له يغنون وعندهم فضيخ لهم يشربون منه؛ فقالوا: تقدموا يا فتیان، فتقدم ابن أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسهم، فجلسنا نشرب؛ وطرب ابن أبي قباحة فغنى. فقال ابن جامع: وأبأي وأمي! ابن أبي قباحة وإلا فهو ابن الفاعلة.

فقام ابن أبي عمرو فأخرج من وسطه همياناً فيه ثلثمائة درهم فشرها على ابن أبي قباحة. فقال ابن جامع: امضوا بنا إلى المنزل، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرح ونحن على إحرامنا ذلك.

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدثني علي بن سليمان عن محمد بن أحمد النوفلي عن جارية ابن جامع الحولاء قال: - وكانت تتبناي - فتغنت يوماً وطربت وقالت: يا بني، ألا أغنيك هزجاً لسيدي في عشيقه له سوداء؟ قلت: بلى. فتغنت هزجاً ما سمعت أحسن منه، وهو:

قائمة في لونه قاعده

أشبهك المسك وأشبهته

أنكما من طينة واحده

لا شك إذ لونكما واحد

وقد روي هذا الشعر لأبي حفص الشطرنجي يقوله في دنانير مولاة البرامكة.

ونسب هذا المزج إلى إبراهيم وابن جامع وغيرهما.

قال عبد الله بن عمرو حدثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزهري قال حدثني محمد بن جعفر بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام - وكان يلقب الأبله - قال: قال برصوما الزامر، وذكر إبراهيم الموصلي وابن جامع، فقال: الموصلي بستان تجد فيه الحلو والحامض وطريا لم ينضج، فتأكل منه من ذا وذا. وابن جامع زق عسل، إن فتحت فمه خرج عسل حلو، وإن خرقت جنبه خرج عسل حلو، وإن فتحت يده خرج عسل حلو، كله جيد. أخبرنا يحيى بن علي عن أبيه وحماد عن إبراهيم بن المهدي - وكان إبراهيم يفضل ابن جامع ولا يقدم عليه أحداً، وابن جامع يميل إليه - قال: كنا في مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذ، فغنى صوتاً فأخطأ في أقسامه؛ فالتفت إلي إبراهيم الموصلي فقال: قد خري فيه؛ وفهمت صدقه قال: فقلت لابن جامع: يا أبا القاسم، أعد الصوت وتحفظ فيه؛ فانتبه وأعاده فأصاب. فقال إبراهيم:

فلما اشتد ساعده رمانى

أعلمه الرماية كل يوم

وتنكر لي لميلي مع ابن جامع عليه. فقلت للرشيد بعد أيام: إن لي حاجة إليك. قال: وما هي؟ قلت: تسأل إبراهيم الموصلي أن يرضى عني ويعود إلى ما كان عليه. فقال: إنما هو عبدك، وقال له: قم إليه فقبل رأسه.

فقلت : لا ينفعني رضاه في الظاهر دون الباطن، فسله أن يصحح الرضا. فقام إلي ليقبل رأسي كما أمر، فقال لي وقد أكب علي ليقبل رأسي: أتعوذ؟ قلت لا. قال: قد رضيت عنك رضا صحيحاً. وعاد إلى ما كان عليه. وقال حماد عن أبي يحيى العبادي قال: قدم حوراء غلام حماد الشعرائي وكان أحد المغنين المجيدين قال حدثني بعض أصحابنا قال: كنا في دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنين: من فيكم يعرف.

وكعبة نجران حتم علي ك حتى تتاخي بأبوابها؟

- الشعر للأعشى - فبدرهم إبراهيم الموصلي فقال: أنا أغنيه، وغناه فجاء بشيء عجيب. فغضب ابن جامع وقال لزلزل: دع العود، أنا من جحاش وجرة لا أحتاج إلى بيطار؛ ثم غنى الصوت؛ فصاح إليه مسرور: أحسنت يا أبا القاسم! ثلاث مرات.

وكعبة نجران حتم علي	ك حتى تتاخي بأبوابها
نزور يزيد وعبد المسيح	وقيساً هم خير أربابها
وشاهدنا الجل والياسمي	ن والمسمعات بقصابها
وبربطنا دائم معمل	فأي الثلاثة أزرى بها
تنازعني إذ خلت بردها	معطرة غير جلبابها
فلما التقينا على آلة	ومدت إلي بأسبابها

الشعر للأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة. وهؤلاء الذين ذكرهم أساقفة نجران، وكان يزورهم ويمدحهم، ويمدح العاقب والسيد، وهما ملكا نجران، وقيم عندهما ما شاء، يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومي، فإذا انصرف أجزلوا صلته.

أخبرنا بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن عمه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، وله أخبار كثيرة معهم تذكر في مواضعها إن شاء الله.

والغناء لحنين الحيري خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق في الأربعة الأول. وذكر عمرو أنه لابن محرز. وذكر يونس أن فيها لحناً لملك ولم يجنسه. وذكر الهشامي أن في الخامس والسادس ثم الأول والثاني خفيف رمل بالوسطى ليحيى المكي.

وقال حماد عن مصعب بن عبد الله قال حدثني الطراز وكان يريد الفضل بن الربيع قال: لما مات المهدي وملك موسى الهادي أعطاني الفضل دنانير وقال: الحق بمكة فأتني بابل جامع واحمله في قبة ولا تعلمن بدا أحداً. ففعلت فأنزلته عندي واشترت له جارية، وكان ابن جامع صاحب نساء. فذكره موسى ذات ليلة - وكان هو والحراي منقطعين إلى موسى أيام المهدي فضرهما المهدي وطردهما - فقال لجلسائه: أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع

وقد علمتم موقعه مني! فقال له الفضل بن الربيع: هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلت الذي أردت. وبعث إليه فأتي به في الليل. فوصل الفضل تلك الليلة بعشرة آلاف دينار وولاه حجابته. قال إسحاق عن بعض أصحابه: كنا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة: يا بن جامع، تغن بيت السعدي :

فلو سألت سراة الحي سلمى	على أن قد تلون بي زماني
لخبرها ذو والأحساب عني	وأعدائي فكل قد بلاني
بذبي الذم عن حسبي بمالي	وزبونات أشوس تيجان
وأني لا أزال أخاً حروب	إذا لم أجن كنت مجن جاني

قال: فحرك ابن جامع رأسه - وكان إذا اقترح عليه الخليفة شيئاً قد أحسنه وكملة طار فرحاً - فغنى به؛ فاربذ وجه إبراهيم لما سمعه منه، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل؛ فقال له صاحب الستارة: أحسنت والله يا أميري! أعد فأعاد؛ فقال: أنت في حلبة لا يلحقك أحد فيها أبداً. ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم: تغن بهذا الشعر فتغني؛ فلما فرغ قال: مرعى ولا كالسعدان! أخطأت في موضع كذا وفي موضع كذا. فقال: نفي إبراهيم من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفاً، وقد علمت أني أغفلت في هذين الموضعين. قال إبراهيم: فلما انصرفنا قلت لابن جامع: والله ما أعلم أن أحداً بقي في الأرض يعرف هذا الغناء معرفة أمير المؤمنين. قال: حق والله، هو إنسان يسمع الغناء منذ عشرين سنة مع هذا الذكاء الذي فيه. قال إسحاق: كان ابن جامع إذا تغنى في هذا الشعر:

من كان يبكي لما بي	من طول سقم رسيس
فالآن من قبل موتي	لا عطر بعد عروس
بنيتم في فؤادي	أوكار طير النحوس
قلبي فريس المنايا	يا ويحه من فريس

- الشعر لرجل من قريش، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل - لم يتغن في ذلك المجلس بغيره. وكان إذا أراد أن يتغن سأل أن يزمر عليه برصوما. فلما كثر ذلك سأله فيه فقال: لا والله، ولكنه إذا ابتدأت فغنيت في الشعر عرف الغرض الذي يصلح فما يجاوزه، وكنت معه في راحة؛ وذلك أن المغني إذا تغنى بزمر زامر فأكثر العمل على الزامر لأنه لا يقفو الأثر، فإذا زمر برصوما فأنا في راحة وهو في تعب، وإذا زمر علي غيره فهو في راحة وأنا في تعب. فإن شككتهم فاسألوا برصوما ومنصور زلزل. فسألوهما عما قال، فقالا: صدق. قال وحدثني علي بن أحمد الباهلي قال: سمعت مصعب بن عبد الله يقول: بلغ المهدي أن ابن جامع والموصلي

يأتيان موسى، فبعث إليهما فجاء بهما، فضرب الموصلين ضرباً مبرحاً، وقال له ابن جامع: ارحم أمي! فرق له وقال له: قبحك الله! رجل من قريش يغني! وطرده. فلما قام موسى، وجه الفضل خلفه بريداً حتى جاء به؛ فقال له موسى: ما كان ليفعل هذا غيرك.

قال وحدثني الزبير بن بكار قال قال لي فلانة: تمنى يوماً موسى أمير المؤمنين ابن جامع، فدفع إلي الفضل بن الربيع خمسمائة دينار وقال: امض حتى تحمل ابن جامع، وبعث إليه بما يصلحه، فمضيت فحملته. فلما دخلنا أدخله الفضل الحمام وأصلح من شأنه. ودخل على موسى فغناه فلم يعجبه. فلما خرج قال له الفضل: تركت الخفيف وغنيت الثقيل، قال: فأدخلني عليه أخرى؛ فأدخله فغني الخفيف؛ فقال: حاجتك فأعطاه ثلاثين ألف دينار.

قال وحدثني عبد الرحمن بن أيوب قال حدثنا أبو يحيى العبادي قال حدثني ابن أبي الرجال قال حدثني زلزل قال: أبطأ إبراهيم الموصلين عن الرشيد، فأمر مسروراً الخادم يسأل عنه - وكان أمير المؤمنين قد صير أمر المغنين إليه - فقيل له: لم يأت بعد. ثم جاء في آخر النهار، فقعد بيني وبين برصوما، فغنى صوتاً له فأطربه وأطرب والله كل من كان في المجلس.

قال: فقام ابن جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال: أما والله يا نبطي ما أحسن إبراهيم وما أحسن غيركما. قال: ثم غنى فنسينا أنفسنا، والله لكأن العود كان في يده.

قال وحدثني عمر بن شبة قال حدثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن هنيك قال: دعا أبي الرشيد يوماً، فأثاه ومعه جعفر بن يحيى، فأقاما عنده، وأثاهما ابن جامع فغناهما يومهما. فلما كان الغد انصرف الرشيد وأقام جعفر. قال: فدخل عليهم إبراهيم الموصلين فسأل جعفر عن يومهم؛ فأخبره وقال له: لم يزل ابن جامع يغنيني إلا أنه كان يخرج من الإيقاع - وهو في قوله يريد أن يطيب نفس إبراهيم الموصلين - قال: فقال له إبراهيم: أتريد أن تطيب نفسي بما لا تطيب به! لا والله، ما شرط ابن جامع منذ ثلاثين سنة إلا بإيقاع، فكيف يخرج من الإيقاع! قال وحدثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدثني أبي قال: كان سبب عزل العثماني أن ابن جامع سأل الرشيد أن يأذن له في المهارشة بالديوك والكلاب ولا يحد في النبذ، فأذن له وكتب له بذلك كتاباً إلى العثماني. فلما وصل الكتاب قال: كذبت! أمير المؤمنين لا يحل ما حرم الله، وهذا كتاب مزور. والله لئن ثقتك على حال من هذه الأحوال لأؤدبناك أدبك.

قال: فحذره ابن جامع. ووقع بين العثماني وحماد اليزيدي، وهو على البريد، ما يقع بين العمال. فلما حج هارون، قال حماد لابن جامع: أعني. عليه حتى أعزله؛ قال: أفعل. قال: فابدأ أنت وقل: إنه ظالم فاجر واستشهدني. فقال له ابن جامع: هذا لا يقبل في العثماني، ويفهم أمير المؤمنين كذبنا، ولكني أحتال من جهة أطف من هذه. قال: فسأله هارون ابتداءً فقال له: يا ابن جامع، كيف أميركم العثماني؟ قال: خير أمير وأعدله وأفضله وأقومه بحق لولا ضعف في عقله. قال: وما ضعفه؟ قال: قد أفنى الكلاب. قال: وما دعاه إلى إفنائها

قال: زعم أن كلباً دنا من عثمان بن عفان يوم ألقى على الكناس فأكل وجهه، فغضب على الكلاب فهو يقتلها. فقال: هذا ضعيف، اعزلوه! فكان سبب عزله.

قال هارون بن محمد وحدثني الحسن بن محمد الغياثي قال حدثني أبي عن القطراني قال: كان ابن جامع باراً بوالدته، وكانت مقيمة بالمدينة وبمكة. فدعاه إبراهيم بن المهدي وأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نعي والدته. قال: فجرع لذلك جزعاً شديداً، وجعل أصحابه يعزونه ويؤنسونه؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طعم وشرب، وسألوه الغناء فامتنع. فقال له إبراهيم بن المهدي: إنك ستبذل هذا للأمير المؤمنين، فابذله لإخوانك فاندفع يغني:

كم بالدروب وأرض الروم من قدم ومن جماجم صرعى ما بها قبروا

بقندهار ومن تقدر منيته بقندهار يرجم دونه الخبر

- الشعر ليزيد بن مفرغ الحميري. والغناء لابن جامع رمل. وفيه لابن سريج خفيف رمل جميعاً عن الهشامي - قال: وجعل إبراهيم يسترده حتى صلح له. ثم قال: لا والله ما كان مما خبرناك شيء إنما مزحنا بك. قال: ثم قال له: رد الصوت؛ فغناه فلم يكن من الغناء الأول في شيء. فقال له إبراهيم: خذه الآن على، فأداه إبراهيم على السماع الأول.

فقال له ابن جامع: أحب أن تطرحه أنت على كذا.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهوريه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي بن الحسن الشيباني عن أحمد بن يحيى المكي قال: كان أبي بين يدي الرشيد وابن جامع معه يغني بين يدي الرشيد. فغناه:

خليفة لا يخيب سائله عليه تاج الوقار معتدل

قال: وغنى من يتلوه، وهوم ابن جامع سكرًا ونعاسًا. فلما دار الغناء على أصحابه وصارت النوبة إليه، حركه من بجنبه لنوبته فانتبه وهو يغني:

اسلم وحييت أيها الطلل وإن عفتك الرياح والسبل

- قال: وهو يتلو البيت الأول - فعجب أهل المجلس من ذكائه وفهمه، وأعجب ذلك الرشيد

واسلم وحييت أيها الطلل وإن عفتك الرياح والسبل

خليفة لا يخيب سائله عليه تاج الوقار معتدل

الشعر لأشجع أو لسلم الخاسر يمدح به موسى الهادي. والغناء لابن جامع ثقیل أول بالوسطى، من رواية الهشامي وأحمد بن يحيى المكي.

قال هارون وقد حدثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيوب قال حدثني أحمد بن يحيى المكي قال: كان ابن جامع أحسن ما يكون غناءً إذا حزن صوته. فأحب الرشيد أن يسمع ذلك على تلك الحال، فقال للفضل بن الربيع:

ابعث خريطة فيها نعي أم ابن جامع - وكان باراً بأمه - ففعل. فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه، فقال: يا بن جامع، جاء في هذه الخريطة نعي أمك. فاندفع ابن جامع يغني بتلك الحرقه والحزن الذي في قلبه:

كم بالدروب وأرض السند من قدم ومن جماجم صرعى ما بها قبروا

بقندهار ومن تكتب منيته بقندهار يرجم دونه الخبر

قال: فوالله ما ملكنا أنفسنا، ورأيت الغلمان يضربون برؤوسهم الحيطان والأساطين. - قال هارون: لا أشك أن ابن المكي قد حدث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيوب - قال: ثم غنى بعد ذلك:

يا صاحب القبر الغريب

وهو لحن قدم. وفيه لحن لابن المكي - فقال له الرشيد: أحسنت! وأمر له بعشرة آلاف دينار.

بالشام في طرف الكتيب

يا صاحب القبر الغريب

صم ترصف بالحبوب

بالحجر بين صفائح

تحت العجاجة في القلب

رصفاً ولحد ممكن

ومغيبه تحت المغيب

فإذا ذكرت أنينه

في الصدر دائمة الدبيب

هاجت لواعج عبرة

ولمصرع الشيخ الغريب

أسفاً لحسن بلائه

والموت يعضل بالطبيب

أقبلت أطلب طبه

الشعر لمكين العذري يرثي أباه، وقيل: إنه لرجل خرج بابنه إلى الشام هرباً به من جارية هويها فمات هناك. والغناء لحكم الوادي، رمل في مجرى البنصر. وقيل: إن الشعر لسلامة ترثي الوليد بن يزيد. أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهبويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني الحسن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدثني عبد الله بن علي بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدث: أن أم جعفر بلغها أن الرشيد جالس وحده ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين؛ فأرسلت إليه: يا أمير المؤمنين، إني لم أرك منذ ثلاث وهذا اليوم الرابع. فأرسل إليها: عندي ابن جامع. فأرسلت إليه: أنت تعلم أبي لا أهنأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلا أن تشركني فيه، فما كان عليك أن أشركك في الذي أنت فيه! فأرسل إليها: إني سائر إليك الساعة. ثم قام وأخذ بيد ابن جامع، وقال لحسين الخادم: امض إليها فأعلمها أني قد جئت. وأقبل الرشيد، فلما نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنها قد قامت تستقبله، فوجه إليها: إن معي ابن جامع؛ فعدلت إلى بعض المقاصير. وجاء الرشيد وصير ابن جامع في بعض المواضع التي يسمع منه فيها ولا يكون

حاضراً معهم.

وجاءت أم جعفر فدخلت على الرشيد وأهوت لتتكب على يده؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها اعتنقته.
ثم أمر ابن جامع أن يغني فاندفع فغنى:

لكنها أنشئت لنا خلقة

ما رعدت رعدة ولا برقت

لو يجد الماء مخرقاً خرقة

الماء يجري على نظام له

حتى بدا الصبح عينها أرقه

بتنا وباتت على نمارقها

والدار بعد الجميع مفترقه

أن قيل إن الرحيل بعد غد

- الشعر لعبيد بن الأبرص. والغناء لابن جامع ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه، عن إسحاق. وفيه لابن محرز ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنسه.
وفيه لحكم هزج بالوسطى عن عمرو والهشامي. ولمخارق في هذه الأبيات رمل بالبنصر عن الهشامي. وذكر حبش أن الثقيل الأول للغريض.

وذكر الهشامي أن لمثيم فيها ثاني ثقيل بالوسطى - قال: فقالت أم جعفر للرشيد: ما أحسن ما اشتبهت والله يا أمير المؤمنين!. ثم قالت لمسلم خادمها: ادفع إلى ابن جامع لكل بيت مائة ألف درهم. فقال الرشيد: غلبتنا يا بنت أبي الفضل وسبقتنا إلى بر ضيفنا وجلسنا.
فلما خرج، حمل إليها مكان كل درهم ديناراً.

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثني محمد بن ضوين الصلصال التيمي قال حدثني إسماعيل بن جامع السهمي قال: ضمني الدهر ضمّاً شديداً بمكة، فانتقلت منها بعيالي إلى المدينة، فأصبحت يوماً وما أملك إلا ثلاثة دراهم. فهي في كمي إذا أنا بجارية حمراء على رقبتها حرة تريد الركي تسعى بين يدي وترنم بصوت شجي تقول:

فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا

سراعاً وما يغشى لنا النوم أعينا

وذاك لأن النوم يغشى عيونهم

جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا

إذا ما دنا الليل المضر لذي الهوى

نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما

قال: فأخذ الغناء بقلبي ولم يدر لي منه حرف. فقلت: يا جارية، ما أدري أوجهك أحسن أم غناؤك! فلو شئت أعدت؛ قالت: حباً وكرامة. ثم أسندت ظهرها إلى جدار قرب منها ورفعت إحدى رجليها فوضعتها على الأخرى، ووضعت الجرة على ساقها ثم انبعثت تغنيه؛ فوالله ما دار لي منه حرف؛ فقلت: أحسنت! فلو شئت أعدتية مرة أخرى! ففطنت وكلحت وقالت: ما أعجب أمركم! أحذكم لا يزال يحيي إلى الجارية عليها الضريبة

فیشغلها! فضربت بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتها إليها، وقلت: أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي. قال: فأخذها كالكارهة وقالت: أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألف دينار وألف دينار. قال: وابنعت تغني؛ فأعملت فكري في غنائها حتى دار لي الصوت وفهمته، وانصرفت مسروراً إلى منزلي أردده حتى خف على لساني. ثم إني خرجت أريد بغداد فدخلتها، فتزل بي المكاري على باب محول؛ فبقيت لا أدري أين أتوجه ولا من أقصد. فذهبت أمشي مع الناس، حتى أتيت الجسر فعبرت معهم، ثم انتهيت إلى شارع المدينة، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً؛ فقلت: مسجد قوم سراة؛ فدخلته، وحضرت صلاة المغرب وأقمت بمكاني حتى صليت العشاء الآخرة على جوع وتعب.

وانصرف أهل المسجد وبقي رجل يصلي، خلفه جماعة خدام وحول ينتظرون فراغه؛ فصلى ملياً ثم انصرف؛ فرآني فقال: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل. قال: فمتى كنت في هذه المدينة؟ قلت: دخلتها آنفاً، وليس لي بها منزل ولا معرفة، وليست صناعتي من الصنائع التي يمت بها إلى أهل الخير. قال: وما صناعتك؟ قلت: أتغني. قال: فوثب مبادراً ووكل بي بعض من معه. فسألت الموكل بي عنه فقال: هذا سلام الأبرش. قال: وإذا رسول قد جاء في طلبي فانتهي بي إلى قصر من قصور الخلافة، وجاوز بي مقصورة إلى مقصورة، ثم أدخلت مقصورة في آخر الدهليز؛ ودعا بطعام فأتيته بمائدة عليها من طعام الملوك، فأكلت حتى امتلأت. فإني لكذلك إذ سمعت ركضاً في الدهليز وقائلاً يقول: أين الرجل؟ قيل: هو هذا. قال: ادعوا له بغسول وخلعة وطيب، ففعل ذلك بي. فحملت على دابة إلى دار الخلافة - وعرفتها بالحرس والتكبير والنيران فجاوزت مقاصير عدة، حتى صرت إلى دار قوراء فيها أسرة في وسطها قد ضيف بعضها إلى بعض. فأمرني الرجل بالصعود فصعدت، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوار في جورهن العيدان، وفي حجر الرجل عود. فرحب الرجل بي، وإذا مجالس حياله كان فيها قوم قد قاموا عنها. فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل: تغن، فانبعث يغني بصوت لي وهو:

لم تمش ميلاً ولم تركب على قتب ولم تر الشمس إلا دونها الكلل
تمشي الهوينى كأن الريح ترجعها مشي اليعافير في جياتها الوهل

فغنى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودرساتين مختلفة. ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها: تغني، فغنت أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسن حالا من الرجل، وهو قوله:

يا دار أضحت خلاء لا أنيس بها إلا الظباء وإلا الناشط الفرد
أين الذين إذا ما زرتهم جذلوا وطار عن قلبي التشواق والكد

ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنت به، ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فانبعث تغني بصوت لحكم الوادي وهو:

فوالله ما أدري أيغلبني الهوى
فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى
إذا جد وشك البين أم أنا غالبه
فمثل الذي لاقيت يغلب

قال: ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنت بصوت لحين وهو قوله:

مررنا على قيسية عامرية
فقلت لها أما تميم فأسرني
لها بشر صافي الأديم هجان
فقلت لها أما تميم فأسرني
من آية أرض أو من الرجال
رفيقان ضم السفر بيني وبينه
هديت وأما صاحبي فيمان
وقد يلتقي الشتي فيأتلفان

ثم عاد إلى الرجل فغنى صوتاً فشبه فيه. والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا
بمشرق كشعاع الشمس بهجته
إذا أقول صبا يعتاده عيدا
كأن أحور من غزلان ذي بقر
أعارها شبه العينين والجيدا
ومسبكر على لباتها سودا

ثم عاد إلى الجارية فتغنت بصوت لحكم الوادي:

تعيرنا أنا قليل عديدنا
يقرب حب الموت آجالنا لنا
عزیز وجار الأكثرين ذليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا
إذا ما رأته عامر وسلول
وإنما لقوم ما نرى القتل سبة
وتكرهه آجالهم فتطول

وتغنت الثانية:

وددتك لما كان ودك خالصاً
ولا يلبث الحوض الجديد بناؤه
وأعرضت لما صرت نهياً مقسماً
إذا كثر الورد أن يتهدما

وتغنت الثالثة بشعر الخنساء:

وما كر إلا كان أول طاعن
فيلست أرزا بعده برزية
ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت
فأذكره إذا سلت وتجلت
فيمثل أخي يوماً به العين قرت
فيلست أرزا بعده برزية

وغنى الرجل في الدور الثالث:

لحي الله صعلوكاً مناه وهمه
من الدهر أن يلقي لبوسا ومطعما

ينام الضحى حتى إذا ليله انتهى

تنبه مثلوج الفؤاد مورما

ولكن صعلوكاً يساور همه

ويمضي على الهيجاء ليثاً مقدما

فذلك إن يلق الكريهة يلقها

كريماً وإن يستغن يوماً فربما

قال: وتغنت الجارية:

إذا كنت ربا للقلوص فلا يكن

رفيقك يمشي خلفها غير راكب

أنخها فأردفه فإن حملتكما

فذاك وإن كان العقاب فعاقب

قال: وتغنت الجارية بشعر عمرو بن معد يكرب:

ألم تر لما ضمنى البلد القفر

سمعت نداء يصدع القلب يا عمرو

أغثنا فإننا عصابة مذحجية

نزار على وقر وليس لنا وفر

قال: وتغنت الثالثة بشعر عمر بن أبي ربيعة:

فلما توافقنا وسلمت أسفرت

وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفنني

وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

ولما تنازعن الأحاديث قلن لي

أخفت علينا أن نغر ونخدع

قال: وتوقعت مجيء الخادم إلي، فقلت للرجل: بأبي أنت! خذ العود فشد وتر كذا وارفع الطبقة وحط دستان كذا؛ ففعل ما أمرته. وخرج الخادم فقال لي: تغن عافاك الله؛ فتغنيت بصوت الرجل الأول على غير ما غناه، فإذا جماعة من الخدم يحضرون حتى استندوا إلى الأسرة وقالوا: ويحك! لمن هذا الغناء؟ قلت: لي؛ فانصرفوا عني بتلك السرعة، وخرج إلي الخادم وقال: كذبت! هذا الغناء لابن جامع. ودار الدور؛ فلما انتهى الغناء إلي قلت للجارية التي تلي الرجل: خذي العود، فعلمت ما أريد فسوت العود على غنائها للصوت الثاني فتغنيت به. فخرجت إلي الجماعة الأولى من الخدم فقالوا: ويحك! لمن هذا؟ قلت: لي؛ فرجعوا وخرج الخادم. فتغنيت بصوت لي فلا يعرف إلا بي، وسقوني فتزيدت، وهو:

عوجي علي فسلمي جبر

فيم الصدود وأنتم سفر

ما نلتقي إلا ثلاث منى

حتى يفرق بيننا الدهر

قال: فتزلزلت والله الدار عليهم. وخرج الخادم فقال: ويحك! لمن هذا الغناء؟ قلت: لي. فرجع ثم خرج فقال: كذبت! هذا غناء ابن جامع. فقلت: فأنا إسماعيل بن جامع. فما شعرت إلا وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلًا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم. فقال لي الفضل بن الربيع: هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليك. فلما

صعد السرير وثبت قائماً.

فقال لي: أبن جامع؟ قلت: ابن جامع، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين. قال: ويحك! متى كنت في هذه البلدة؟ قلت: آنفاً، دخلتها في الوقت الذي علم بي أمير المؤمنين. قال: اجلس ويحك يا بن جامع! ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس، وقال لي: أبشر وابسط أملك؛ فدعوت له. ثم قال: غني يا بن جامع. فخطر بقلبي صوت الجارية الحميراء فأمرت الرجل بإصلاح العود على ما أردت من الطبقة، فعرف ما أردت، فوزن العود وزناً وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتين مواضعها، وانبعثت أغني بصوت الجارية الحميراء. فنظر الرشيد إلى جعفر وقال: أسمعت كذا قط؟ فقال: لا والله ما حرق مسامعي قط مثله. فرفع الرشيد رأسه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألف دينار فجاء به فرمى به إلي، فصيرته تحت فخذي ودعوت لأمر المؤمنين. فقال: يا بن جامع، رد على أمير المؤمنين هذا الصوت، فرددته وتزيدت فيه. فقال له جعفر: يا سيدي، أما تراه كيف يتزيد في الغناء! هذا خلاف ما سمعناه أولاً وإن كان الأمر في اللحن واحداً. قال: فرفع الرشيد رأسه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألف دينار، فجاءني به فصيرته تحت فخذي. وقال: تغن يا إسماعيل ما حضرك. فجعلت أقصد الصوت بعد الصوت مما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجواري فأغنيه؟ فلم أزل أفعل ذلك إلى أن عسعس الليل. فقال: أتعبنك يا إسماعيل هذه الليلة بغنائك، فأعد على أمير المؤمنين الصوت يعني صوت الجارية فتغنيت. فدعا الخادم وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألف دينار. قال: فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسمت، ولحظني فقال: يا بن الفاعلة، مم تبسمت؟ فجتوت على ركبتي وقلت: يا أمير المؤمنين، الصدق منجاة. فقال لي بانتهار: قل. فقصصت عليه خبر الجارية. فلما استوعبه قال: صدقت، قد يكون هذا. وقام. ونزلت من السرير ولا أدري أين أقصد. فابتدرني فراشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أمير المؤمنين؛ ففرشت وأعد فيها جميع ما يكون في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم، ومن كل آلة وخول إلى جوار ووصفاء. فدخلتها فقيراً وأصبحت من جلة أهلها ومياسيرهم.

وذكر لي هذا الخبر عبد الله بن الربيع عن أبي حفص الشيباني عن محمد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال: ضمني الدهر بمكة ضمماً شديداً فانتقلت إلى المدينة. فبينما أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدث، إذ قال لي رجل حضرننا! والله لقد بلغنا يا بن جامع أن الخليفة قد ذكرك، وأنت في هذا البلد ضائع! فقلت: والله ما بي هوض. قال بعضهم: فنحن ننهضك. فاحتلت في شيء وشخصت إلى العراق، فقدمت بغداد، ونزلت عن بغل كنت أكثريته. ثم ذكر باقي الحديث نحو الذي قبله في المعاني، ولم يذكر خبر السوداء التي أخذ الصوت عنها. وأحسبه غلط في إدخاله هذه الحكاية هاهنا، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا. قال في هذا الخبر: إن الدور دار مرة أخرى حتى صار إلي؛ فخرج الخادم فقال: غن أيها الرجل! فقلت: ما أنتظر الآن!! ثم اندفعت أغني بصوت لي وهو:

وخلفت قلباً في هواك يعذب

فلو كان لي قلبان عشت بواحد

ولكنما أحيا بقلب مروع فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب
تعلمت أسباب الرضا خوف سخطها وعلمها حبي لها كيف تغضب
ولي ألف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

فخرج الرشيد حينئذ.

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لأن النوم يغشى عيونهم سراعاً وما يغشى لنا النوم أعينا
إذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقى لكانوا في المضاجع مثنا

عروضه من الطويل. وذكر الهشامي أن الغناء لابن جامع هزج بالوسطى، وفي الخبر أنه أخذه عن سوداء لقيها
بمكة.

ومنها:

يا دار أضحت خلاء لا أنيس بها إلا الظباء وإلا الناشط الفرد
أين الذين إذا ما زرتهم جذلوا وطار عن قلبي التشواق والكمد

في هذا الصوت لحن لابن سريج خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية حبش. ولحن ابن جامع رمل.

ومنها:

لم تمش ميلاً ولم تركب على جمل ولم تر الشمس إلا دونها الكلل
أقول للركب في درنا وقد ثملوا شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

الشعر للأعشى. والغناء لابن سريج رمل بالبصر، وقد كتب فيما يعني فيه من قصيدة الأعشى التي أولها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

ومنها:

مررنا على قيسية عامرية لها بشر صافي الأديم هجان
فقالته وألقت جانب الستر دونها من أية أرض أو من الرجلان
فقلت لها أما تميم فأسررتي هديت وأما صاحبي فيماني
رفيقان ضم السفر بيني وبينه وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

غناه ابن سريج خفيف رمل بالبنصر.
ومنها:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا
أجري على موعد منها فتخلفني فما أمل ولا توفي المواعيدا
كأنني حين أمسي لا تكلمني ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى، وله فيه ثقيل أول بالبنصر وذكر عمرو بن بانة أن لمعبد فيه ثقيلاً أول، بالوسطى على مذهب إسحاق.
ومنها:

فوالله ما أدري أيعلبنى الهوى إذا جد وشك البين أم أنا غالبه
فإن أستطع أغلب وإن يغلب الهوى فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

عروضه من الطويل. الشعر لابن ميادة، والغناء للحجبي خفيف! ثقيل بالبنصر من رواية حبش.
ومنها:

تعبرنا أنا قليل عدينا فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
وإنما لقوم ما نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

عروضه من مقبوض الطويل. الشعر للسموئل بن عادياء اليهودي. والغناء لحكم الوادي. ومنها:

وددتك لما كان ودك خالصاً وأعرضت لما صار نهباً مقسماً
ولن يلبث الحوض الجديد بناؤه على كثرة الوراد أن يتهدما

عروضه من الطويل. وفيه خفيف ثقيل قديم لأهل مكة. وفيه لعريب ثقيل أول.
ومنها:

وما كر إلا كان أول طاعن ولا أبصرته الخيل إلا اقشعرت
فيدرك تأراً ثم لم يخطه الغنى فمثل أخي يوماً به العين قرت
فإن طلبوا وتراً بدا بتراتهم ويصبر يحميمهم إذا الخيل ولت

عروضه من الطويل. الشعر للخنساء، والغناء لأبن سريج ثقيل أول بالبنصر وذكر علي بن يحيى أنه لمعبد في هذه الطريقة.

ومنها:

لما الله صعلوكا مناه وهمه	من الدهر أن يلقي لبوساً ومطعماً
ينام الضحى حتى إذا ليله انتهى	تنبه مثلوج الفؤاد مورما
ولكن صعلوكاً يساور همه	ويمضي على الهيجاء ليثاً مصمما
فذلك إن يلق الكريهة يلقيها	كريماً وإن يستغن يوماً فربما

عروضه من الطويل. الشعر يقال إنه لعروة بن الورد، ويقال: إنه لحاتم الطائي وهو الصحيح. والغناء لطويس خفيف رمل بالبنصر.

ومنها:

إذا كنت ربا للقلوص فلا يكن	رفيقك يمشي خلفها غير راكب
أنخها فأردفه فإن حملتكما	فذاك وإن كان العقاب فعاقب

عروضه من الطويل. والشعر لحاتم طيء.

ومنها:

ألم تر لما ضمنى البلد القفر	سمعت نداء يصدع القلب يا عمرو
أغثنا فإننا عصابة مذحجية	نزار على وفر وليس لنا وفر

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن معد يكرب. والغناء لحنين رمل بالوسطى عن حبش. ومنها:

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت	وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما رأييني	وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا
ولما تنازعن الأحاديث قلن لي	أخفت علينا أن نغر ونخدعا
وقربن أسباب الهوى لمتميم	يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

عروضه من الطويل. الشعر لعمرو بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع في عدة ألحان، قد كتبت مع الخبر في موضع غير هذا.

ومنها:

عوجي علي فسلمي جبر	فيم الصدود وأنتم سفر
--------------------	----------------------

حتى يفرق بيننا النفر

ما نلتقي إلا ثلاث منى

ما الدهر إلا الحول والشهر

الحول ثم الحول يتبعه

الشعر للعرجي. والغناء للأبجر ثقيل أول عن الهشامي، ويقال إنه لابن محرز، ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر. وفيه رمل يقال إنه لابن جامع، وهو القول الصحيح، وذكر حبش أنه لابن سريج، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل. ومنها:

وخلفت قلباً في هواك يعذب

فلو كان لي قلبان عشت بواحد

فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرب

ولكنما أحيا بقلب مروع

وعلمها حبي لها كيف تغضب

تعلمت أسباب الرضا خوف هجرها

ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

ولي ألف وجه قد عرفت مكانه

عروضه من الطويل. الشعر لعمرى الوراق. والغناء لابن جامع خفيف رمل، ويقال إنه لعبد الله بن العباس. وفيه لعريب ثقيل أول. وفيه لرذاذ خفيف ثقيل. وفيه هزج يقال إنه لعريب، ويقال إنه لنمرة، ويقال إنه لأبي فارة، ويقال إنه لابن جامع. حدثني مصعب الزيرري قال: قدم علينا ابن جامع المدينة قدمة في أيام الرشيد؛ فسمعتة يوماً يغني في بعض بساتين المدينة:

إذا صدر الرعيان ورد المناهل

وما لي لا أبكي وأندب ناقتي

فسارت بمحزون كثير البلايل

وكننت إذا ما اشتد شوقي رحلتها

وكان رجلاً صيتاً، فكاد صوته يذهب بي كل مذهب، وما سمعت قبله ولا بعده مثله.

إذا صدر الرعيان ورد المناهل

وما لي لا أبكي وأندب ناقتي

فسارت بمحزون كثير البلايل

وكننت إذا ما اشتد شوقي ركبته

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبابة في بحر الوسطى عن الهشامي وابن المكي. أخبرني وكيع قال حدثني هارون بن محمد الزيات قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: كنت في خمسين وصيفاً أهدوا للمنصور، ففرقنا في خدمته، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه. فكنت أراه يفعل شيئاً أعلم أنه خطأ: يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يرح. وقال لي يوماً: كن مكاني في آخر المستراح. فكنت أعطيه الإبريق وأخرج مبادراً، فإذا سمعت حركته بادرت إليه.

فقال لي: ما أخفك على قلبي يا غلام! ويحك! ثم دخل قصرًا من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها. فبينما هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد، فقرأه فإذا هو:

ومالي لا أبكي وأندب ناقتي إذا صدر الرعيان نحو المناهل

وكننت إذا ما اشتد شوقي رحلتها فسارت بمحزون طويل البابل

وتحتة مكتوب: آه آه، فلم يدر ما هو. وفطنت له فقلت: يا أمير المؤمنين، قد عرفت ما هو. فقال: قل؟ فقلت: قال الشعر ثم تأوه فقال: آه آه، فكتب تأوّه وتأسفه. فقال: مالك قاتلك الله! قد أعتقتك ووليتك مكان ياسر.

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرقة في الأخبار

وإنما أفردتها عنها لئلا تنقطع خبر

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا

أخبرني الحسين بن يحيى قال حماد: قرأت على أبي، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكي قال حدثني المخزومي يعني الحارث بن خالد قال: بلغني أن الغريض خرج مع نشوة من أهل مكة من أهل الشرف ليلاً إلى بعض المتحدثات من نواحي مكة، وكانت ليلة مقمرة؛ فاشتقت إليهن وإلى مجالسهن وإلى حديثهن، وخفت على نفسي لجناية كنت أطالب بها، وكان عمر مهيباً معظماً لا يقدم عليه سلطان ولا غيره، وكان مني قريباً؛ فأتيته فقلت له: إن فلانة وفلانة وفلانة - حتى سميتهن كلهن - قد بعثني، وهن يقرآن عليك السلام، وقلن: تشوقن إليك في ليلتنا هذه لصوت أنشدناه فويسقك الغريض - وكان الغريض يغني هذا الصوت فيجيده، وكان ابن أبي ربيعة به معجباً، وكان كثيراً ما يسأل الغريض أن يغنيه، وهو قوله:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان ذي نفر أهدى لها شبه العينين والجيدا

قامت تراءى وقد جد الرحيل بنا لتتكأ القرح من قلب قد اصطيدا

كأنني يوم أمسي لا تكلمني ذو بغية يبتغي ما ليس موجودا

أجرى على موعد منها فتخلفني فما أمل وما توفي المواعيدا

قد طال مطلي، لو ان اليأس ينفعني أو أن أصادف من تلقائها جودا

فليس تبذل لي عفواً وأكرمها من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا

فلما أخبرته الخبر قال: لقد أزعجتني في وقت كانت الدعة أحب فيه إلي؛ ولكن صوت الغريض وحديث النسوة ليس له مترك ولا عنه محيص. فدعا بثيابه فلبسها، وقال: امض؛ فمضينا نمشي العجل حتى قربنا منهم. فقال لي عمر: خفض عليك مشيك ففعلت، حتى وقفنا عليهن وهن في أطيب حديث وأحسن مجلس؛ فسلمنا، فتهيبنا وتخفرن منا. فقال الغريض: لا عليكن! هذا ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكن وغنائين. فقالت فلانة: وعليك السلام يا بن أبي ربيعة، والله ما تم مجلسنا إلا بك، اجلسا. فجلسنا غير بعيد، وأخذن عليهن جلايبهن وتقنعن بأخرتهن وأقبلن علينا بوجوههن وقلن لعمر: كيف أحسست بنا وقد أخفينا أمرنا؟ فقال: هذا الفاسق جاءني برسالتكن وكنت وقيداً من علة وجدتها، فأسرعت الإجابة، ورجوت منكن على ذلك حسن الإثابة. فرددن عليه: قد وجب أجرك، ولم يخب سعيك، ووافق منا الحارث إرادة. فحدثهن بما قلت له، من قصة غناء الغريض؛ فقال النسوة: والله ما كان ذلك كذلك، ولقد نبهتنا على صوت حسن، يا غريض هاته. فاندفع الغريض يغني ويقول:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا

حتى أتى على الشعر كله إلى آخره، فكل استحسنه. وأقبل علي ابن أبي ربيعة فجزاني الخير، وكذلك النسوة. فلم نزل بأنعم ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب، فقمنا جميعاً، وأخذ النسوة طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريض معنا.

وقال عمر في ذلك:

هل عند رسم برامة خبر	أم لا فأي الأشياء تنتظر
قد ذكررتي الديار إذ درست	والشوق مما يهيجه الذكر
ممشى رسول إلي يخبرني	عنهم عشاء ببعض ما ائتمروا
ومجلس النسوة الثلاث لدى ال	خيمات حتى تبلج السحر
فيهن هند والههم ذكرتها	تلك التي لا يرى لها خطر
ثم انطلقنا وعندنا ولنا	فيهن لو طال ليلنا وطر
وقولها للفتاة إذ أرف ال	بين أغاد أم رائح عمر
عجلان لم يقض بعض حاجته	هلا تأنى يوماً فينتظر
الله جار له وإن نزلت	دار به أو بدا له سفر

غناه الغريض ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وفيه لابن سريج رمل بالوسطى. وفيه لعبد الرحيم الدفاف ثقيل أول بالبنصر في البيتين الأولين. وبعدهما:

هل من رسول إلي يخبرني

بعد عشاء ببعض ما ائتمروا

يوم ظللنا وعندنا ولنا

فيهن لو طال يومنا وطر

فلما كانت الليلة القابلة بعث إلي عمر فأتيته وإذا الغريض عنده. فقال له عمر: هات؛ فاندفع يغني:

هل عند رسم برامة خبر

أم لا فأي الأشياء تنتظر

ومجلس النسوة الثلاث لدى ال

خيمات حتى تبجل السحر

فقلت في نفسي: هذا والله صفة ما كنا فيه، فسكت حتى فرغ الغريض من الشعر كله؛ فقلت: يا أبا الخطاب، جعلت فداك! هذا والله صفة ما كنا فيه البارحة مع النسوة. فقال: إن ذلك ليقال. وذكر أحمد بن الحارث عن المدائني عن علي بن مجاهد قال: إن موسى بن مصعب كان على الموصل، فاستعمل رجلاً من أهل حران على كورة باهذرا وهي أجل كور الموصل، فأبطأ عليه الخراج؛ فكتب إليه:

هل عند رسم برامة خبر

أم لا فأي الأشياء تنتظر

احمل ما عندك يا ماص بظر أمه، وإلا فقد أمرت. رسولي بشدك وثاقاً ويأتي بك. فخرج الرجل وأخذ ما كان معه من الخراج فلحق بحران، وكتب إليه: يا عاض بظر أمه! إلي تكتب بمثل هذا!

وإذا أهل بلدة أنكروني

عرفتني الدوية الملساء

فلما قرأ موسى كتابه ضحك وقال: أحسن - يعلم الله - الجواب، ولا والله لا أطلبه أبداً. وفي غير هذه الرواية أنه كتب إليه في آخر رقعة:

إن الخليط الألى تهوى قد ائتمروا

للبين ثم أجدوا السير فانשמروا

يا بن الزانية! والسلام. ثم هرب، فلم يطلبه.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد قال قال أبي: غناي رجل من أهل المدينة لحن الغريض:

هل عند رسم برامة خبر

أم لا فأي الأشياء تنتظر

فسأله أن يلقيه علي، فقال: لا إلا بألف درهم؛ فلم أسمع له بذلك. ومضى فلم ألقه. فوالله يا بني ما ندمت على شيء قط ندمي على ذلك، ولوددت أني وجدته الآن فأخذته منه كما سمعته وأخذ مني ألف دينار مكان الألف درهم.

تعرنا أنا قليل عديدنا

الشعر لشريح بن السموءل بن عدياء. ويقال: إنه للسموءل. وكان من يهود يثرب؛ وهو الذي يضرب به المثل في الوفاء فيقال: أوفى من السموءل.

وكان السبب في ذلك فيما ذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة وحدثني به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان

بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن محمد بن السائب الكلبي قال: كان امرؤ القيس بن حجر أودع السموع بن عاديا أدراعاً؛ فأتاه الحارث بن ظالم - ويقال: الحارث بن أبي شمر الغساني - ليأخذها منه؛ فتحصن منه السموع؛ فأخذ ابناً له غلاماً وناداه: إما أن تسلم الأدراع وإما أن تقتل ابنك؛ فأبى السموع أن يسلم الأدراع إليه؛ فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه اثنين. فقال السموع:

وفيت بأدرع الكندي إني
وأوصى عادياً يوماً بألاً
بنى لي عاديا حصناً حصيناً
إذا ما خان أقوام وفيت
تهدم يا سموعل ما بنيت
وماءً كلما شئت استقيت

وفي هذه القصيدة يقول:

أعاذلتني ألا لا تعذليني
دعيني وارشدي إن كنت أغوى
أعاذل قد طلبت اللوم حتى
وصفراء المعاصم قد دعتني
وزق قد جررت إلى الندامى
وحتى لو يكون فتى أناس
فكم من أمر عاذلة عصيت
كما غويت زعمت ولا تغوى
لو اني منته لقد انتهيت
إلى وصل فقلت لها أبيت
وزق قد شربت وقد سقيت
بكى من عدل عاذلة بكيت

عروضه من الوافر. والشعر للسموع بن عاديا. والغناء لابن محرز في الأول والثاني والرابع والخامس خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى.

وغنى فيها مالك خفيف ثقيل بالبنصر في الأول والثاني.

وغنى دحمان أيضاً في الأول والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى.

وغنى عبد الرحيم الدفاف في الأول والثاني رملاً بالبنصر.

وفي هذه الأبيات لابن سريج لحن في الرابع وما بعده. ثم في سائر الأبيات لحن ذكره يونس، ولم ينسبه.

ولإبراهيم الموصلي فيها لحن غير منسوب أيضاً.

حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد الأموي قال حدثني محمد بن السائب الكلبي قال: هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال:

بنو الشهر الحرام فلست منهم
ولا من رهط جبار بن قرط
ولست من الكرام بني عبيد
ولا من رهط حارثة بن زيد

قال: وهؤلاء كلهم من كلب فقال الكلبي: أنا، لا أبالك، أشرف من هؤلاء. قال: فسيه الناس بعد بهجاء الأعشى، وكان متغيظاً عليه. فأغار الكلبي على قوم قد بات بهم الأعشى فأسر منهم نفرأ وأسر الأعشى وهو لا يعرفه؟ فجاء حتى نزل بشريح بن السموءل بن عادياء الغساني صاحب تيماء بحصنه الذي يقال له الأبلق. فمر شريح بالأعشى، فنأدى به الأعشى بقوله:

شريح لا تتركني بعد ما علقت	حبالك اليوم بعد القد أظفاري
قد جلت ما بين بانقيا إلى عدن	فطال في العجم تردادي وتسياري
فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم	عقدا أبوك بعرف غير إنكار
كالغيث ما استمطروه جاد وابله	وفي الشدائد كالمستأسد الضاري
كن كالسموئل إذ طاف الهمام به	في جحفل كسواد الليل جرار
إذ سامه خطتي خسف فقال له	قل ما تشاء فإنني سامع حار

فقال غدر وثل أنت بينهما	فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له	اقتل أسيرك إني مانع جاري
وسوف يعقبنيه إن ظفرت به	رب كريم وبيض ذات أطهار
لا سرهن لدينا ذاهب هدرأ	وحافظات إذا استودعن أسراري
فاختار أدراعه كي لا يسب بها	ولم يكن وعده فيها بختار

قال: فجاء شريح إلى الكلبي فقال له: هب لي هذا الأسير المضرور؛ فقال: هو لك، فأطلقه. وقال له: أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك؛ فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعك إلي أن تعطيني ناقةً ناجيةً وتخليني الساعة. قال: فأعطاه ناقة، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح: ابعث إلي بالأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه وأعطيه؛ فقال: قد مضى. فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه. وأما خبر:

وما كر إلا كان أول طاعن

- والشعر للخنساء - فإنه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مفرداً عن المائة الصوت المختارة في أخبار الخنساء.

وأما خبر الجارية التي أخذ عنها ابن جامع الصوت وما حكيناه من أنه وقع في حكاية محمد بن ضوين الصلصال فيها خطأ، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي محمد العامري قال حدثني

عكاشة اليزيدي بجران قال حدثني إسماعيل بن جامع قال: بينا أنا في غرفة لي باليمن وأنا مشرف على مشرعة، إذ أقبلت أمة سوداء على ظهرها قربة، فملأها ووضعها على المشرعة لتستريح، وجلست فغنت:

لا تبعدني فيما تجشمت كلثما

فردني مصاب القلب أنت قتلتني

ويروى ولا تتركه هائم القلب مغرماً -:

لها عسل مني وتبذل علقما

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي

وعينا من ذكراك قد ذرفت دما

أبي الله أن أمسي ولا تذكريني

رمى الله بالحب الذي كان أظلماً

أبيت فما تنفك لي منك حاجة

- غناه سياط خفيف ثقيل أول بالبصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه - قال: ثم أخذت قربتها لتمضي. فاستفزني من شهوة الصوت ما لا قوام لي به، فزلت إليها فقلت لها: أعيديه. فقالت: أنا عنك في شغل بخراجي. قلت: وكم هو؟ قالت: درهمان في كل يوم. قلت: فهذان درهمان، ورديه علي حتى آخذه منك، وأعطيتها درهمين؛ فقالت: أما الآن فنعم. فجلست، فلم ترح حتى أخذته منها وانصرفت؛ فلهوت يومي به، وأصبحت من غد لا أذكر منه حرفاً، فإذا أنا بالسوداء قد طلعت ففعلت كفعلها بالأمس. فلما وضعت القربة تغنت غيره، فعدوت في أثرها وقلت: يا جارية، بحقي عليك ردي علي الصوت فقد ذهبت عني منه نعمة. فقالت: لا والله، ما مثلك تذهب عنه نعمة، أنت تقيس أوله على آخره، ولكنك قد أنسيته، ولست أفعل إلا بدرهمين آخرين. فدفعتهما إليها وأعادته علي حتى أخذته ثانية. ثم قالت: إنك تستكثر فيه أربعة دراهم، وكأني بك قد أصبت به أربعة آلاف دينار. فكنت عند هارون يوماً وهو على سريرته؛ فقال: من غنائي فأطربني فله ألف دينار، وقدامه أكياس في كل كيس ألف دينار. فغنى القوم وغنيت فلم يطرب، حتى دار الغناء إلي ثانية فغنيت صوت السوداء؛ فرمى إلي بكيس فيه ألف دينار، ثم قال: أعدته فغنيت؛ فرمى إلي بثان ثم قال: أعدته فرمى إلي بثالث وأمسك. فضحكت؛ فقال: ما يضحكك؟ فقلت: لهذا الصوت حديث. عجيب يا أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فحدثته به وقصصت عليه القصة؛ فرمى إلي برابع وقال: لا نكذب قولها.

عوجي علي فسلمي جبر

الشعر للعرجي وقد ذكرنا نسبة الصوت.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال حدثني محمد بن إسحاق قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: إن بالمدينة مثنياً قد أفسد نساءها فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحمله. فأدخل عليه، فإذا شيخ خضيب اللحية والأطراف معتجر بسبينة قد حمل دفا في خريطته. فلما وقف بين يدي عمر صعد بصره فيه وصوبه وقال: سوأة لهذه الشيبة وهذه القامة! أتخفظ القرآن؟ قال: لا والله يا أبانا؛ قال: قبحك الله! وأشار إليه

من حضره فقالوا: اسكت فسكت. فقال له عمر: أقرأ من المفصل شيئاً؟ قال: وما المفصل؟ قال: ويلك! أقرأ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، أقرأ الحمد لله وأخطئ فيها في موضعين أو ثلاثة، وأقرأ قل أعوذ برب الناس وأخطئ فيها، وأقرأ قل هو الله أحد مثل الماء الجاري. قال: ضعوه في الحبس واكلوا به معلماً يعلمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطهارة والصلاة وأجروا عليه في كل يوم ثلاثة دراهم وعلى معلمه ثلاثة دراهم آخر، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن أجمع. فكان كلما علم سورة نسي التي قبلها. فبعث رسولاً إلى عمر: يا أمير المؤمنين، وجه إلي من يحمل إليك ما أتعلمه أولاً فأولاً، فإني لا أقدر على حمله جملة واحدة. فبئس عمر من فلاحه وقال: ما أرى هذه الدراهم إلا ضائعة، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها عرياناً لكان أصلح. ثم دعا به، فلما وقف بين يديه قال له: أقرأ قل يا أيها الكافرون . قال: أسأل الله العافية! أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شر ما فيه وأصعبه. فأمر به فوجئت عنقه ونفاه. فاندفع يغني وقد توجهوا به:

عوجي علي فسلمي جبر

فيم الوقوف وأنتم سفر

عوجي علي فسلمي جبر

ما نلتقي إلا ثلاث منى

فلما سمع الموكلون به حسن ترغبه خلوه وقالوا له: اذهب حيث شئت مصاحباً بعد استماعهم منه طرائف غناؤه سائر يومهم وليتهم.

أخبرني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي عن المدائني قال: أحج خالد بن عبد الله ابنه محمداً وأصعبه رزماً مولاه وأعطاه مالاً، وقال: إذا دخلت المدينة فاصرفه فيما أحببت. فلما صرنا بالمدينة سأل محمد عن جارية حاذقة؛ فقبل: عند محمد بن عمران التيمي القاضي. فصلينا الظهر في المسجد ثم ملنا إليه فاستأذنا عليه فأذن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعد على لبد ونعلاه في آخر اللبد؛ فسلمنا عليه فرد؛ ونسب محمداً فانتسب له، فقال: خيراً. ثم قال: هل من حاجة؟ فلجلج. فقال: كأنك ذكرت فلانة! يا جارية أخرجي؛ فخرجت فإذا أحسن الناس، ثم تغنت فإذا أحذق الناس؛ فجعل الشيخ يذهب مع حركاتها ويحيي، إلى أن غنت قوله:

عوجي علي فسلمي جبر

فلما بلغت:

حتى يفرق بيننا النفر

وثب الشيخ إلى نعله فعلقها في أذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف آذنه والنعل فيها وجعل يقول: أهدوني أنا بدنة، أهدوني أنا بدنة. ثم أقبل عليهم فقال: كم قيل لكم إنما تساوي؟ قالوا: ستمائة دينار. قال: هي وحق القبر خير من ستة آلاف دينار، والله لا يملكها علي أحد أبداً، فانصرفوا إذا شئتم. أخبرنا وسوسة بن الموصلي - وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصلي - قال حدثني حماد بن إسحاق قال:

وجدت في كتب أبي عن عثمان بن حفص الثقفي عن ابن عم لعمارة بن حمزة قال حدثني سليم الحساب عن داود المكي قال: كنا في حلقة ابن جريج وهو يحدثنا وعنده ابن المبارك وجماعة من العراقيين، إذ مر به ابن تيزن - قال حماد: ويقال ابن بيرن - وقد ائتر بممزرة على صدره، وهي إزرة الشطار عندنا. فدعاه ابن جريج؛ فقال له: إني مستعجل، وقد وعدت أصحاباً لي فلا أقدر أن أحتبس عنهم. فأقسم عليه حتى أتاه، فجلس وقال له: ما تريد؟ قال: أحب أن تسمعي. قال: أنا أجيئك إلى المنزل، فلم تجلسي مع هؤلاء الثقلاء!. قال: أسألك أن تفعل؛ قال: امرأته طالق إن غناك فوق ثلاثة أصوات. قال: ويحك! ما أعجلك باليمين؟! قال: أكره أن أحتبس عن أصحابي. فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال: اعقلوا رحمكم الله. ثم قال له: غني الصوت الذي أخبرني أن ابن سريج غناه في اليوم الثالث من أيام منى على حمرة العقبة فقطع الطريق على الذهاب والجائي حتى تكسرت الحامل. فغناه:

عوجي علي فسلمي جبر

فقال ابن جريج: أحسنت والله! - ثلاث مرات - ويحك أعدده. قال: أمن الثلاثة؟ فإني قد حلفت. قال: أعدده فأعاده؛ فقال: أحسنت! أعدده من الثلاثة فأعاده وقام فمضى. فقال ابن جريج لأصحابه: لعلكم أنكرتم ما فعلت! قالوا: إنا لننكره بالعراق. قال: فما تقولون في الرجز؟ يعني الحداء قالوا: لا بأس به. قال: فما الفرق بينهما!.

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك عن أبي أيوب المديني قال: ثلاثة من المغنين كانوا أحسن الناس حلوفاً: ابن تيزن، وابن عائشة، وابن أبي الكنات.

على ظمأ مني سلام بن مشكم

سقاني فرواني كميئاً مداماً

سواهم فلم أغبن ولم أتندم

تخيرته أهل المدينة واحداً

عروضه من الطويل. والشعر لأبي سفيان بن حرب. والغناء لسليمان أخي بابويه الكوفي مولى الأشاعنة خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى.

ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وأم حرب بن أمية بنت أبي همهمة بن عبد العزي بن عامر بن عميرة بن وداعة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وأم أبي سفيان صفية بنت حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهي عمة ميمونة أم المؤمنين وأم الفضل بنت الحارث بن حزن أم بني العباس بن عبد المطلب. وقد مضى ذكر أكثر أخبار ولد أمية والفرق بين الأعياص والعنابس منهم وجمال أخبارهم في أول هذا الكتاب.

وكان حرب بن أمية قائد بني أمية ومن مالأهم في يوم عكاظ.
ويقال: إن سبب وفاته أن الجن قتلتة وقتلت مرداس بن أبي عامر السلمى لإحراقهما شجر القرية وازدراعهما إياها. وهذا شيء قد ذكرته العرب في أشعارها وتواترت الروايات بذكره فذكرته، والله أعلم.
أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالاً حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب، وأخبرنا محمد بن الحسين بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه، وذكره أبو عبيدة وأبو عمرو الشيباني: أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مر بالقرية، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام. فقال له مرداس بن أبي عامر: أما ترى هذا الموضع؟ قال بلى. قال: نعم المزدرع هو فهل لك أن نكون شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نذرعه بعد ذلك؟ قال نعم. فأضرم النار في الغيضة. فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها. وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك:

إني بحبل وثيق العقد دساس

كيما يقال ولي الأمر مرداس

إني انتخبت لها حرباً وإخوته

أني أقوم قبل الأمر حجتة

قال: فسمعوا هاتفاً يقول لما احترقت الغيضة:

مطاعناً مخالسا

إذ لبسوا القوانسا

ججا ججاً عنابسا

ويل لحرب فارسا

ويل لعمر فارسا

لنقتلن بقتله

ولم يلبث حرب بن أمية ومرداس بن أبي عامر أن ماتا. فأما مرداس فدفن بالقرية. ثم ادعاه بعد ذلك كليب بن أبي عهمة السلمى ثم الظفري.
فقال في ذلك عباس بن مرداس:

والظلم أنكد وجهه ملعون

وإخال أنك سيد معيون

أكليب مالك كل يوم ظالماً

قد كان قومك يحسبونك سيّداً

المعيون: الذي أصابته العين، وقيل: المعيون: الحسن المنظر فيما تراه العين ولا عقل له

إن المسالم رأسه مدهون

يوم الغدير سميك المطعون

في صفحتيك سنانها المسنون

إن كان ينفع عندك التبين

فإذا رجعت إلى نسائك فادهن

وافعل بقومك ما أراد بوائل

وإخال أنك سوف تلقى مثلاً

إن القربة قد تبين أمرها

حيث انطلقت تخطيها لي ظالماً

وأبو يزيد بجوها مدفون

أبو يزيد: مرداس بن أبي عامر.

وكان أبو سفيان سيداً من سادات قريش في الجاهلية ورأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وكهفياً للمنافقين في أيامه، وأسلم يوم الفتح. وله في إسلامه أخبار نذكرها هنا. وكان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى أرض العجم. وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهدة الفتح، وفقت عينه يوم الطائف، فلم يزل أعور إلى يوم اليرموك، ففقت عينه الأخرى يومئذ فعمي.

أخبرنا الطوسي والحرمي قالا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكي عن أبي الهيثم عمن أخبره: أنه سمع أبا سفيان يمازح رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بنته أم حبيبة ويقول: والله إن هو إلا أن تركتك فتركتك العرب فما انتطحت جماء ولا ذات قرن، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول: أنت تقول ذاك يا أبا حنظلة!

قال الزبير وحدثني عمي مصعب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذ مشرك يحارب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له: إن محمداً قد نكح ابنتك؛ فقال: ذلك الفحل لا يقدر أنفه. واسم أم حبيبة رملة، وقيل: هند، والصحيح رملة.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا المدائني عن مسلمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جوشن قال: أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً للناس، فأبطأ بإذن أبي سفيان. فلما دخل قال: يا رسول الله، ما أذنت لي حتى كدت تأذن للحجارة. فقال له: يا أبا سفيان كل الصيد في جوف الفرا.

حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا الخليل بن أسد النوشجاني قال حدثنا عطاء بن مصعب قال حدثني سفيان بن عيينة عن جعفر بن يحيى البرمكي قال: أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس، فكان آخر من دخل عليه أبا سفيان بن حرب. فقال: يا رسول الله، لقد أذنت للناس قبلي حتى ظننت أن حجارة الخندمة ليؤذن لها قبلي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله إنك والناس لكما قال الأول: كل الصيد في بطن الفرا. أي كل شيء لهؤلاء من المتزلة فإن لك وحدك مثل ما لهم كلهم.

حدثني عمر بن إسماعيل بن أبي غيلان الثقفي قال حدثنا داود بن عمرو الضبي قال حدثنا المثني بن زرعة أبو راشد عن محمد بن إسحاق قال حدثني الزهري عن عبد الله بن عبد الله عن عتبة عن ابن عباس قال حدثني أبو سفيان بن حرب قال: كنا قوماً تجاراً، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا. فلما كانت الهدنة هدنة الحديبية، بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت في نفر من قريش إلى الشام، وكان وجه متجرنا منه غرة، فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من الفرس،

فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبه الأعظم وكانوا قد استلبوه إياه. فلما بلغه ذلك منهم وبلغه أن صليبه قد استنقذ منهم، وكانت حمص منزله، خرج منها يمشي على قدميه شكراً لله حين رد عليه ما رد ليصلي في بيت المقدس تبسط له البسط وتلقى عليها الرياحين. فلما انتهى، إلى إيلياء فقضى فيها صلاته وكان معه بطارقه وأشراف الروم، أصبح ذات غدوة مهموماً يقلب طرفه إلى السماء. فقال له بطارقه: والله لكأنك أصبحت الغداة مهموماً. فقال: أجل! رأيت البارحة أن ملك الختان ظاهر. فقالوا: أيها الملك، ما نعلم أمة تحتن إلا اليهود، وهم في سلطانك وتحت يدك، فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك فمره فليضرب أعناق من تحت يدك منهم من يهود واسترح من هذا الهم. فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يدبرونه إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده - وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم - فقال: أيها الملك، إن هذا رجل من العرب من أهل النشاء والإبل يحدث عن أمر حدث فأسأله. فلما انتهى به إلى هرقل رسول صاحب بصرى، قال هرقل لمن جاء به: سله عن هذا الحديث الذي كان ببلده؛ فسأله، فقال: خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي، وقد اتبعه ناس فصدقوه وخالفه آخرون، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة، وتركتهم على ذلك. فلما أخبره الخبر قال: جردوه فإذا هو محتون؛ فقال: هذا والله النبي الذي رأيت لا ما تقولون، أعطوه ثيابه وينطلق. ثم دعا صاحب شرطته فقال له: اقلب الشأم ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل.

فإنا لبغزة إذ هجم علينا صاحب شرطته فقال: أنتم من قوم الحجاز؟ قلنا نعم. قال: انطلقوا إلى الملك، فانطلقوا بنا. فلما انتهينا إليه قال: أنتم من رهط هذا الرجل الذي بالحجاز؟ قلنا نعم. قال: فأياكم أمس به رحماً؟ قال: قلت أنا - قال أبو سفيان: وأيم الله ما رأيت رجلاً أرى أنه أنكر من ذلك الأغلف يعني هرقل - ثم قال: أدنه، فأقعدي بين يديه وأقعدي أصحابي خلفي، وقال: إني سأسأله، فإن كذب فردوا عليه.

- قال: فوالله لقد علمت أن لو كذبت ما ردوا علي، ولكني كنت امراً سيداً أترم عن الكذب؛ وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبت أنه يحفظوه علي ثم يحدثوا به عني، فلم أكذبه - قال: أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدعي ما يدعي. فجعلت أزهد له شأنه وأصغر له أموره، وأقول له: أيها الملك، ما يهكم من شأنه! إن أمره دون ما بلغك؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك مني. ثم قال: أنبئي فيما أسألك عنه من شأنه. قال: قلت سل عما بدا لك. قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: محض، هو أوسطنا نسباً.

قال: أخبرني هل كان أحد في أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبه به؟ قال: قلت لا. قال: هل كان له فيكم ملك فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه؟ قال: قلت لا. قال: أخبرني عن أتباعه منكم من هم؟ قال: قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء، فأما ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد. قال: فأخبرني عمن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه؟ قال: قلت: قلما يتبعه أحد فيفارقه. قال: فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: قلت: سجال يدال علينا وندال عليه. قال: فأخبرني هل يغدر؟ فلم

أجد شيئاً سألني عنه أغتمز فيه غيرها. قال: قلت: لا، ونحن منه في مدة ولا نأمن غدره. قال: فوالله ما التفت إليها مني. ثم كرر علي الحديث فقال: سألتك عن نسبه فيكم، فرعمت أنه محض من أوسطكم نسباً؛ فكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً. وسألتك هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل قوله فهو يشبه به، فرعمت أن لا. وسألتك هل كان له ملك فيكم فسلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكه، فرعمت أن لا. وسألتك عن أتباعه، فرعصت أنهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنساء، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان. وسألتك عمن يتبعه أيحبه ويلزمه أم يقلبه ويفارقه، فرعمت أنه لا يتبعه أحد فيفارقه، فكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلب رجل فتخرج منه، وسألتك عن الحرب بينكم وبينه فرعمت أنها سجال تدالون عليه ويدل عليكم، وكذلك حرب الأنبياء، ولهم تكون العاقبة. وسألتك هل يغدر، فرعمت أن لا. فلئن كنت صدقتني عنه فيعلبن علي ما تحت قدمي هاتين، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه! انطلق لشأنك. فقممت من عنده وأنا أضرب بإحدى يدي على الأخرى وأقول: يا لعباد الله! لقد أمر أمر ابن أبي كبشة! أصبحت ملوك بني الأصفر يهابونه في ملكهم وسلطانهم.

قال ابن إسحاق: فقدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة الكلبي، فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن تتول فإن إثم الأكابر عليك". قال ابن شهاب: فأخبرني أسقف النصارى في زمن عبد الملك زعم أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر هرقل وعقله، قال: فلما قدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل دحية بن خليفة، أخذه هرقل فجعله بين فخذه وخاصرته، ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ العبرانية ما تقرأونه، فذكر له أمره ووصف له شأنه وأخبره بما جاء منه. فكتب إليه صاحب رومية: إنه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه، فاتبعه وصدقته.

قال: فأمر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له في دسكرة ملكه، وأمر بها فأغلقت عليهم أبوابها، ثم اطلع عليهم من عليّة وخافهم على نفسه فقال: يا معشر الروم، قد جمعتكم لخبر، أتاني كتاب هذا الرجل يدعو إلى دينه، فوالله إنه النبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا؛ فهلم فلنبايعه ولنصدقته فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا. قال: فنحرت الروم نخرة رجل واحد وابتدروا أبواب الدسكرة ليخرجوا فوجدوها وقد اغلقت دونهم. فقال: كروهم علي وخافهم على نفسه؛ فكروهم عليه. فقال: يا معشر الروم، إنما قلت لكم المقالة التي قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدث؛ فقد رأيت منكم الذي أسر به؛ فخروا سجداً. وأمر بأبواب الدسكرة ففتحت لهم فانطلقوا.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني أبو بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس

قال قال لي العباس: خرجت في تجارة إلى رجل في ركب منهم أبو سفيان بن حرب، فقدمت اليمن. فكنت أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان والنقر، ويصنع أبو سفيان يوماً فيفعل مثل ذلك. فقال لي في يومي الذي كنت أصنع فيه: هل لك يا أبا الفضل أن تنصرف إلى بيتي وترسل إلى غداك؟ فقلت: نعم. فانصرفت أنا والنفر إلى بيته وأرسلت إلى الغداء.

فلما تغدى القوم قاموا واحتبسني فقال لي: هل علمت يا أبا الفضل أن ابن أخيك يزعم أنه رسول الله؟ قلت: وأي بني أخي؟ قال أبو سفيان: إياي تكتنم وأي بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلا رجل واحد! قلت: وأيهم هو على ذلك؟ قال: محمد بن عبد الله. قلت: ما فعل! قال: بلى قد فعل. ثم أخرج إلي كتاباً من ابنه حنظلة بن أبي سفيان: إني أخبرك أن محمداً قام بالأبطح غدوة فقال: أنا رسول الله أدعوكم إلى الله. قال: قلت: يا أبا حنظلة، لعله صادق. قال: مهلاً يا أبا الفضل، فوالله ما أحب أن تقول مثل هذا، وإني لأخشى أن تكون على بصر من هذا الأمر - وقال الحسن بن علي في روايته: على بصيرة من هذا الحديث - ثم قال: يا بني عبد المطلب، إنه والله ما برحت قريش تزعم أن لكم يمنة وشؤمة كل واحدة منهما عامة، فنشدتك الله يا أبا الفضل هل سمعت ذلك؟ قلت نعم. قال: فهذه والله إذا شؤمتكم. قلت: فلعلها يمتتنا. فما كان بعد ذلك إلا ليال حتى قدم عبد الله بن حذافة السهمي بالخبر وهو مؤمن، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يتحدث به فيها. وكان أبو سفيان يجلس إلى خبر من أحبار اليمن؛ فقال له اليهودي: ما هذا الخبر الذي بلغني؟ قال: هو ما سمعت. قال: أين فيكم عم هذا الرجل الذي قال ما قال؟ قال أبو سفيان: صدقوا وأنا عمه. قال اليهودي: أأخو أبيه؟ قال نعم. قال: حدثني عنه.

قال: لا تسألني، فما كنت أحسب أن يدعي هذا الأمر أبداً، وما أحب أن أعيبه، وغيره خير منه. قال اليهودي: فليس به أذى، ولا بأس على يهود وتوراة موسى منه.

قال العباس: فتأدى إلي الخبر فحميت، وخرجت حتى أجلس إلى ذلك المجلس من غد وفيه أبو سفيان والخبر. فقلت للحبر: بلغني أنك سألت ابن عمي هذا عن رجل منا يزعم أنه رسول الله، فأخبرك أنه عمه، وليس بعمه ولكنه ابن عمه، وأنا عمه أخو أبيه. فقال: أأخو أبيه؟ قلت: أخو أبيه.

فأقبل علي أبي سفيان فقال: أصدق؟ قال: نعم صدق. قال فقلت: سلمي عنه، فإن كذبت فليردد علي. فأقبل علي فقال: أنشدك الله، هل فشيت لابن أخيك صبوة أو سفهة؟ قال قلت: لا وإله عبد المطلب ولا كذب ولا خان، وإن كان اسمه عند قريش الأمين. قال: فهل كتب بيده؟ قال عباس: فظننت أنه خير له أن يكتب بيده، فأردت أن أقولها، ثم ذكرت مكان أبي سفيان وأنه مكذبي وراذ، علي، فقلت: لا يكتب. فذهب الخبر وترك رداءه وجعل يصيح: ذبح يهود! قتل يهود!

قال العباس: فلما رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان: يا أبا الفضل، إن اليهودي لفزع من ابن أخيك. قال قلت: قد

رأيت ما رأيت، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمن به، فإن كان حقاً كنت قد سبقت، وإن كان باطلاً فمعك غيرك من أكفائك؟ قال: لا والله ما أومن به حتى أرى الخيل تطلع من كداء وهو جبل بمكة. قال قلت ما تقول؟! قال: كلمة والله جاءت على فمي ما ألقيت لها بالاً، إلا أنني أعلم أن الله لا يترك خيلاً تطلع من كداء. قال العباس: فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظرنا إلى الخيل قد طلعت من كداء، قلت: يا أبا سفيان، أتذكر الكلمة؟ قال لي: والله إني لذاكرها، فالحمد لله الذي هداني للإسلام.

حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا البغوي قال حدثنا الغلابي أبو كريب محمد بن العلاء قال حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدثني الحسين بن عبيد الله بن العباس عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهري يعني في غزاة الفتح قال العباس بن عبد المطلب وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة: يا صباح قريش! والله لئن بغتها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها لهلاك قريش آخر الدهر.

فجلس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء وقال: أخرج إلى الأراك، لعلني أرى خطاباً أو صاحب لبن أو داخلاً يدخل مكة فيخبرهم. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستأمنونه. فوالله إني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت أبا سفيان وهو يقول: والله ما رأيت كالليلة قط نيراناً. فقال بديل بن ورقاء: هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب. فقال أبو سفيان: خزاعة ألام من ذلك وأذل.

فعرفت صوته فقلت: أبا حنظلة! فقال: أبا الفضل! قلت نعم؛ فقال: لبيك، فداؤك أبي وأمي! فما وراءك؟ فقلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد دلف إليكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين. قال: فما تأمري؟ فقلت: تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك. فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي قالوا: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - فقال: أبو سفيان! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد؛ ثم اشتد نحو النبي صلى الله عليه وسلم، وركضت البغلة وقد أردفت أبا سفيان - قال العباس: - حتى اقتحمت على باب القبة وسبقت عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطي فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه. قلت: يا رسول الله، إني قد أجزته.

ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذت برأسه وقلت: والله لا ينجيه اليوم أحد دوين. فلما أكثر فيه عمر قلت: مهلاً يا عمر! فوالله ما تصنع هذا إلا لأنه رجل من عبد مناف، ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا! قال: مهلاً يا عباس! فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم؛

وذلك لأني أعلم أن إسلامك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فقد أمناه حتى تغدو به علي الغداة فرجع به إلى منزله. فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إلا الله! فقال: بأبي أنت وأمي! ما أوصلك وأحلمك وأكرمك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً. فقال: ويحك تشهد بشهادة الحق قبل والله أن تضرب عنقك. قال: فتشهد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس من حين تشهد أبو سفيان: انصرف يا عباس فاحتبس عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى يمر عليه جنود الله. فقلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه. فقال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

فخرجت به حتى أجلسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي، فمرت عليه القبائل، فجعل يقول: من هؤلاء يا عباس؟ فأقول: سليم، فيقول: مالي ولسليم! ثم تمر به قبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: أسلم، فيقول: مالي ولأسلم! وتمر به جهينة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: جهينة، فيقول: مالي ولجهينة! حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخضراء، كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، فقال: من هؤلاء يا أبا الفضل؟ فقلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار؛ فقال: يا أبا الفضل، لقد أصبح ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك! إنها النبوة؛ قال: نعم إذاً. فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم.

فخرج سريعاً حتى أتى مكة فصرخ في المسجد: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بمالاً قبل لكم به. قالوا: فمه! قال: من دخل داري فهو آمن. فقالوا: ويحك ما تعني عنا دارك! قال: ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

حدثنا محمد بن جرير وأحمد بن الجعد قالوا حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عمار عن عبد الله بن الزبير قال: لما كان يوم اليرموك خلفني أبي، فأخذت فرساً له وخرجت، فرأيت جماعة من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقف معهم، فكانت الروم إذا هزمت المسلمين قال أبو سفيان: إيه بني الأصفر، فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنو الأصفر الكرام مل وك الروم لم يبق منهم مذكور

فلما فتح الله على المسلمين حدثت أبي فقال: قاتله الله! يأبى إلا نفاقاً؟ أولسنا خيراً له من بني الأصفر! ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: حدثهم، فأحدثهم فتعجبون من نفاقه. حدثني أحمد بن الجعد قال حدثني ابن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال: دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كف بصره، فقال: هل علينا من عين؟ فقال له عثمان: لا. فقال: حدثني محمد بن

حيان الباهلي قال حدثنا عمر بن علي الفلاش قال حدثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مغول عن أشعث بن أبي الشعثاء عن مسيرة الهمداني عن أبي الأبحر الأكبر قال: جاء أبو سفيان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أبا الحسن، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلها! فوالله لئن شئت لأملأها عليهم خيلاً ورجلاً. فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أبا سفيان، طالما عادت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فما ضرهم ذلك شيئاً، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً. أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لما ولي أبو بكر قال:

وأضحت قريش بعد عز ومنعة
خضوعاً لتيم لا بضرب القواضب
فيا لهف نفسي للذي ظفرت به
وما زال منها فائزاً بالرغائب

وحدثني أحمد بن الجعد قال حدثني محمد بن حميد قال حدثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال: لما ولي عثمان الخلافة، دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أمية، إن الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم تلتقفوها بينكم تلتقف الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار - هذا أو نحوه - فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل. ولأبي سفيان أخبار من هذا الجنس ونحوه كثيرة يطول ذكرها، وفيما ذكرت منها مقنع. والأبيات التي فيها الغناء يقولها في سلام بن مشكم اليهودي ويكنى أبا غنم، وكان نزل عليه في غزوة السوق، فقرأه وأحسن ضيافته. فقال أبو سفيان فيه:

سقاني فرواني كميناً مدامة
على ظمأ مني سلام بن مشكم
تخيرته أهل المدينة واحداً
سواهم فلم أغبن ولم أتندم
فلما تقضي الليل قلت ولم أكن
لأفرحه أبشر بعرف ومغنم
وإن أبا غنم يجود وداره
بيثرب مأوى كل أبيض خضرم

ذكر الخبر عن غزوة السوق

ونزول أبي سفيان على سلام بن مشكم كانت هذه الغزاة بعد وقعة بدر. وذلك أن أبا سفيان نذر ألا يمسه رأسه ماء من جنابة ولا يشرب خمرًا حتى يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخرج في عدة من قومه ولم يصنع شيئاً فغيرته قريش بذلك وقالوا: إنما خرجتم تشربون السوق فسميت غزوة السوق حدثنا محمد بن جرير، قرأته عليه، قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان عن عبيد الله بن

كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - قال: كان أبو سفيان حين رجع إلى مكة ورجع قبل قريش من بدر، نذر الأيمس ماء من جنابة حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم. فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له تيت من المدينة على بريد أو نحوه ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حبي بن أخطب يثرب فدق عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه؛ وانصرف إلى سلام بن مشكم - وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كترهم فاستأذن عليه فأذن له، فقراه وسقاه ونظر له خبر الناس.

ثم خرج في عقب ليلته حتى جاء أصحابه؛ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض، فحرقوا في أصوار من نخل لها، أتوا رجالاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين. فنذر بهم الناس؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا من مزاولد القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخففون منه للنجاء. فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنطمع أن تكون غزوة، قال نعم. وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجاً من مكة إلى المدينة أبيتاً من شعر يحرض فيها قريشاً فقال:

كروا على يثرب وجمعهم	فإن ما جمعوا لكم نفل
إن يك يوم القلب كان لهم	فإن ما بعده لكم دول
آليت لا أقرب النساء ولا	يمس رأسي وجلدي الغسل
حتى تنبيدوا قبائل الأوس وال	خزرج إن الفؤاد مشتعل

فأجابه كعب بن مالك:

يا لهف أم المسبحين على	جيش ابن حرب بالحررة الفشل
أتطرحون الرجال من سنم ال	ظهر ترقى في قنة الجبل
جاءوا بجمع لو قيس منزله	ما كان إلا كمعرس الدئل
عار من النصر والثراء ومن	نجدة أهل البطحاء والأسل

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا سليمان بن سعد عن الواقدي: أن غزوة السويق كانت في ذي القعدة من سنة ثنتين من الهجرة.

حدثني عمي قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا ابن سعد عن الواقدي عن أبي الزناد عن عبد الله بن الحارث قال: شرب حسان بن ثابت يوماً مع سلام بن مشكم، وكان له نديماً، معهم كعب بن أسد وعبد الله بن أبي وقيس بن الخطيم؛ فأسرع الشراب فيهم وكانوا في مودعة وقد وضعت الحرب أوزارها بينهم. فقال قيس بن الخطيم لحسان: تعال أشاركك؛ فتشاربا في إناء عظيم فأبقى حسان من الإناء شيئاً؛ فقال له قيس: اشرب.

فقال حسان وعرف الشر في وجهه: أو خيراً من ذلك أجعل لك الغلبة. قال: لا! إلا أن تشربه؛ فأبى حسان. وقال له سلام بن مشكم: يا أبا يزيد، لا تكرهه على ما لا يشتهي، إنما دعوته لإكرامه ولم تدعه لتسخف به وتسيء مجالسته. فقال له قيس: أفتدعوني أنت على أن تسيء مجالستي! فقال له سلام: ما في هذا سوء مجالسة، وما حملت عليك إلا لأنك مني وأني حليفك، وليست عليك غضاضة في هذا، وهذا رجل من الخزرج قد أكرمته وأدخلته منزلي؛ فيجب أن تكرم لي من أكرمته. ولعمري إن في الصحو لما تكتفون به من حروبكم؛ فافترقوا. وآلى سلام بن مشكم على نفسه ألا، يشرب سنة؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً.

أني إذا ما غاب كالهامل

من مبلغ عني أبا كامل

مع ما بدا من رأيه الفاضل

قد زادني شوقاً إلى قربه

الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لأبي كامل. ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

وذكر حبش أن لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى.

انتهى الجزء السادس من كتاب الأغاني ويليه الجزء السابع وأوله. أخبار الوليد بن يزيد ونسبه

الجزء السابع

أخبار الوليد بن يزيد ونسبه

نسبه وكنيته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا العباس. وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، وهي بنت أخي الحجاج. وفيه يقول أبو نخيلة:

يا لكما نوار سراج وهاج

بين أبي العاصي وبين الحجاج

عليه بعد عمه عقد التاج

وأم يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية. وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر. وأم عبد الله بن عامر أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، ولذلك قال الوليد بن يزيد:

نبي الهدى يقهر به من يفاخر

نبي الهدى خالي ومن يك خاله

كان شاعراً خليعاً مرمياً بالزندقة: وكان الوليد بن يزيد بن فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم، وكان فاسقاً خليعاً متهماً في دينه مرمياً بالزندقة، وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل. وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره. ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره، ويقول: إنه نخله وألصق إليه. والأغلب الأشهر غير ذلك.

ولاه أبوه العهد بعد هشام وطمع هشام في خلعه: أخبرني الحسن بن علي وأحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن إسحاق بن أيوب القرشي وجويرية بن أسماء وعامر بن الأسود والمنهال بن عبد الملك وأبي عمرو بن المبارك وسحيم بن حفص وغيرهم: أن يزيد بن عبد الملك لما وجه الجيوش إلى يزيد بن المهلب وعقد لمسلمة بن عبد الملك على الجيش وبعث العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق، قال له العباس: يا أمير المؤمنين، إن أهل العراق أهل غدر وإرجاف، وقد وجهتنا محاربين والأحداث تحدث، ولا آمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا: مات أمير المؤمنين ولم يعهد، فيفت ذلك في أعضاد أهل الشام؛ فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد! قال: غداً.

وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك، فأتى يزيد فقال: يا أمير المؤمنين، أيما أحب إليك: ولد عبد الملك أو ولد الوليد؟ فقال: بل ولد عبد الملك. قال: أفأحوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك؟ قال: إذا لم تكن في ولدي فأخني أحق بها من ابن أخي. قال: فابنك لم يبلغ، فبايع هشام ثم لابنك بعد -هشام قال: والوليد يومئذ ابن إحدى

عشرة سنة - قال: غداً أباع له. فلما أصبح فعل ذلك وباع لهشام، وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ولا يغير عهده ولا يحتال عليه. فلما أدرك الوليد ندم أبوه، فكان ينظر إليه ويقول: الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك. وتوفي يزيد سنة خمس ومائة وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة. قالوا: فلم يزل الوليد مكرماً عند هشام رفيع المنزل مدة، ثم طمع في خلعه وعقد العهد بعده لابنه مسلمة بن هشام، فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وإدمانه على الشراب، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به، وولاه الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين فيسقط؛ فحج وظهر منه فعل كثير مذموم، وتشاغل بالمغنين وبالشراب، وأمر مولى له فحج بالناس. فلما حج طالبه هشام بأن يخلع نفسه فأبى ذلك، فحرمه العطاء وحرم سائر مواليه وأسبابه وجفاه جفاء شديداً. فخرج متبدياً وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدبه، وكان يرمى بالزندقة. ودعا هشام الناس إلى خلعه والبيعة لمسلمة بن هشام - وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي. وكان مسلمة يكنى أبا شاكراً؛ كني بذلك لمولى كان لمروان يكنى أبا شاكراً، كان ذا رأي وفضل وكانوا يعظمونه ويتبركون به - فأجابه إلى خلع الوليد والبيعة لمسلمة بن هشام محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي والوليد وعبد العزيز وخالد بن الققعاق بن خويلد العبسي وغيرهم من خاصة هشام. وكتب إلى الوليد: ما تدع شيئاً من المنكر إلا أتيت به واركتبته غير متحاش ولا مستتر، فليت شعري ما دينك؟! أعلى الإسلام أنت أم لا؟! فكتب إليه الوليد بن يزيد ويقال: بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحله إياه:

صوت

يأيتها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكراً
نشرها صرفاً وممزوجةً بالسخر أحياناً وبالفاطر

غناه عمر الوادي رماً بالنصر فغضب هشام على ابنه مسلمة، وقال: يعبرني بك الوليد وأنا أشرحك للخلافة! فالزم الأدب، واحضر الصلوات. وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة، فأظهر النسك وقسم بمكة والمدينة أموالاً. فقال رجل من موالى أهل المدينة:

يأيتها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكراً
الواهب البزل بأرسانها ليس بزنديق ولا كافر

قال المدائني: وبلغ خالداً القسري ما عزم عليه هشام، فقال: أنا بريء من خليفة يكنى أبا شاكراً؛ فبلغت هشاماً عنه هذه، فكان ذلك سبب إيقاعه به. تساب هو والعباس بن الوليد في مجلس هشام أخبرني محمد بن الحسن الكندي المؤدب قال حدثني أبي عن العباس بن هشام قال: دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلس هشام بن عبد الملك وقد كان في ذكره قبل أن يدخل، فحمقه

من حضر من بني أمية. فلما جلس قال له العباس بن الوليد وعمر بن الوليد: كيف حبك يا وليد للروميات، فإن أباك كان بهن مشغوفاً؟ قال: إني لأحبهن؛ وكيف لا أحبهن ولن تزل الواحدة منهن قد جاءت بالهجين مثلك وكانت أم العباس رومية قال: اسكت فليس الفحل يأتي عسبه بمثلي، فقال له الوليد: اسكت يا بن البظراء! قال: أتفخر علي بما قطع من بظر أمك. وأقبل هشام على الوليد فقال له: ما شرابك؟ قال: شرابك يا أمير المؤمنين، وقام مغضباً فخرج. فقال هشام: أهذا الذي تزعمون أنه أحق! ما هو أحق، ولكني لا أظنه على الملة.

دخل مجلس هشام فعبث بمن كان فيه من وجوه بني أمية: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: مروان وليس هشام حاضراً، فجلس الوليد مجلس هشام، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له: من أنت؟ وهو به عارف، قال: سعيد ابن أمير المؤمنين، قال: مرحباً بك. ثم نظر إلى أبي الزبير فقال: من أنت؟ قال: أبو الزبير مولاك أيها الأمير، قال: أنسطاس أنت؟ مرحباً بك. ثم قال لإبراهيم بن هشام: من أنت؟ قال: إبراهيم بن هشام. قال: من إبراهيم بن هشام؟ وهو يعرفه، قال: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل. قال: من إسماعيل؟ وهو يعرفه، قال: إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة. قال: من الوليد بن المغيرة؟ قال: الذي لم يكن جدك يرى أنه في شيء حتى زوجه أبي وهو بعض ولد ابنته. قال: يا بن اللخناء! أتقول هذا! وائتخذا . وأقبل هشام، فقيل لهما: قد جاء أمير المؤمنين، فجلسا وكفا. ودخل هشام، فما كاد الوليد يتنحى له عن صدر مجلسه، إلا أنه زحل له قليلاً، فجلس هشام وقال له: كيف أنت يا وليد؟ قال: صالح. قال: ما فعلت برابطك؟ قال: معاملة أو مستعملة. قال: فما فعل ندمائك؟ قال: صالحون، ولعنهم الله إن كانوا شراً ممن حضرك، وقام، فقال له هشام: يا بن اللخناء! جئوا عنقه، فلم يفعلوا ودفعوه رويداً. فقال الوليد:

أنا ابن أبي العاصي وعثمان والدي ومروان جدي ذو الفعال وعامر
أنا ابن عظيم القرينتين وعرها ثقيف وفهر والعصاة الأكابر
نبي الهدى خالي ومن يك خاله نبي الهدى يقهر به من يفاخر

مات مسلمة بن عبد الملك فرثاه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال: كان هشام بن عبد الملك يكثر تنقص الوليد بن يزيد، فكان مسلمة يعاتب هشاماً ويكفه، فمات مسلمة، فغم الوليد ورثاه فقال:

صوت

أنا بريدان من واسطٍ يخبان بالكتب المعجمة
أقول وما البعد إلا الردى أمسلم لا تبعدن مسلمة

فقد كنت نوراً لنا في البلاد
تضيء فقد أصبحت مظلمة
كتمنا نعيك نخشى اليقين
فجلى اليقين عن الجمجمة
وكم من يتيم تلافيته
بأرض العدو وكم أئمة
وكننت إذا الحرب درت دماً
نصبت لها راية معلمة

غنى في هذه الأبيات التي أولها

أقول وما البعد إلا الردى

يونس خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. وذكر الهشامي أن فيه ثقبلاً أول ينسب إلى أبي كامل وعمر الوادي.
وذكر حبش أن ليونس فيه رملاً بالبصرة.

أخبرني الطوسي والحرمي بن أبي العلاء قالاً حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن زهير بن مضر بن منظور بن زبان بن سيار عن أبيه قال: رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم توفي مسلمة بن عبد الملك وهشام في شرطته، إذا طلع الوليد بن يزيد على الناس وهو نشوان يجر مطرف خز عليه، فوقف على هشام فقال: يا أمير المؤمنين، إن عقي من بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن يرى، واحتل الثغر فوهى، وعلى أثر من سلف يمضي من خلف، فتزودوا، فإن خير الزاد التقوى. فأعرض عنه هشام ولم يرد جواباً، ووجم الناس فما همس أحد بشيء. قال: فمضى الوليد وهو يقول:

أهينة حديث القوم أم هم
سكوت بعد ما متع النهار
عزير كان بينهم نبياً
فقول القوم وحي لا يحار
كأننا بعد مسلمة المرجى
شروب طوحت بهم عقار
أوالاف هجاناً في قيود
تلفت كلما حنت ظؤار
فليتك لم تمت وفداك قوم
تريح غبيهم عنا الديار
سقيم الصدر أو شكس نكيد
وآخر لا يزور ولا يزار

يعني بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد، ويعني بالشكس هشاماً، والذي لا يزور ولا يزار مروان بن محمد.
أراد هشام خلعه فقال شعراً قال الزبير وحدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده، فقال الوليد:

كفرت يداً من منعم لو شكرتها
جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمن

رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي
أراك على الباقيين تجني ضغينةً
لو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
فيا ويحهم إن مت من شر ما تجني
كأني بهم يوماً وأكثر قولهم
أيا ليت أنا حين يا ليت لا تغي

أمره هشام بطرد عبد الصمد فطرده ولما اضطهد أعوانه ذمه بشعر: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: عتب هشام على الوليد وخاصته. فخرج الوليد ومعه قوم من خاصته وموالية فتزل بالأبرق بين أرض بلقين وفزارة على ماء يقال له الأغدف، وخلف بالرصافة كاتبه عياض بن مسلم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدث، وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى. فشرّبوا يوماً، فقال له الوليد: يا أبا وهب، قل أبياتاً نغني فيها، فقال أبياتاً، وأمر عمر الوادي فغنى فيها وهي:

صوت

ألم تر للنجم إذ سبعا
تحرير عن قصد مجراته
يبادر في برجه المرجعا
إلى الغور والتمس المطلعا
وقد لاح إذ لاح لي مطمعا
فأمسى إليه قد استجمعا
وكنّا نؤمل في ملكه
وكنّا نؤمل في ملكه
عقدنا له محكمات الأمور
ر طوعاً وكان لها موضعاً

فروي هذا الشعر، وبلغ هشاماً، ففقطع عن الوليد ما كان يجري عليه وعلى أصحابه وحرّمهم، وكتب إلى الوليد: قد بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خدناً ومحدثاً وندبماً، وقد حقق ذلك ما بلغني عنك، ولن أبرئك من سوء، فأخرج عبد الصمد مذموماً. قال: فأخرجه الوليد وقال:

لقد قذفوا أبا وهب بأمر
وأشهد أنهم كذبوا عليه
كبير بل يزيد على الكبير
شهادة عالم بهم خبير

فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد، واعتذر إليه من منادمته، وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه - وكان من خاصة الوليد - فضرب هشام ابن سهيل ونفاه وسيره وكان ابن سهيل من أهل النباهة، وقد ولي الولايات، ولي دمشق مراراً وولي غيرها وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد فضربه ضرباً مبرحاً وألبسه المسوح وقيدته وحبسها، فغم ذلك الوليد فقال: من يثق بالناس! ومن يصنع المعروف! هذا الأحوال المشؤوم قدمه أبي على ولده وأهل بيته وولاه وهو يصنع بي ما ترون، ولا يعلم أن لي في أحد هوى إلا أضربه،

كتب إلي بأن أخرج عبد الصمد فأخرجته، وكتبت إليه في أن يأذن لابن سهيل في الخروج إلي فضربه وطرده
وقد علم رأيي فيه، وعرف مكان عياض مني وانقطاعه إلي فضربه وحبسه، يضارني بذلك، اللهم أحرني منه. ثم
قال الوليد:

صوت

أنا النذير لمسدي نعمة أبداً
إلى المقاريف لما يخبر الدخلا
إن أنت أكرمتهم ألفيتهم بطروا
وإن أهنتهم ألفيتهم ذللا
أتشمخون ومنا رأس نعمتكم
ستعلمون إذا أبصرتم الدولا
انظر فإن أنت لم تقدر على مثل
لهم سوى الكلب فاضربه لهم مثلا
بيننا يسمنه للصياد صاحبه
حتى إذا ما استوى من بعد ما هزلا
عدا عليه فلم تضرره عدوته
ولو أطاق له أكلاً لقد أكلا
غناه مالكٌ خفيف ثقيل من رواية الهشامي.
شعره في الفخر على هشام قال: وقال الوليد أيضاً يفتخر على هشام:

صوت

أنا الوليد أبو العباس قد علمت
علياً معدّ مدى كري وإقدا مي
إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا
مقابلٌ بين أخوالي وأعمامي
بنى لي المجد بانٍ لم يكن وكلاً
على منار مضيئاتٍ وأعلام
حللت من جوهر الأعياض قد علموا
في باذخ مشمخر العز قمقام
صعب المرام يسامي النجم مطلعاه
يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي
غناه عمر الوادي خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.
وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثني مصعب الزبيري قال: بعث
الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويته فأنشده قوله:
أنا الوليد أبو العباس قد علمت
علياً معدّ مدى كري وإقدا مي

فقال هشام: والله ما علمت له معدّ كرا ولا إقداماً، إلا أنه شرب مرة مع عمه بكار بن عبد الملك فعربد عليه وعلى جواريه، فإن كان يعني ذلك بكره وإقدامه فعسى.

عابه هشام والزهري فحقد عليهما أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو ابن أبي سعد قال حدثت أن أبا الزناد قال: دخلت على هشام بن عبد الملك وعنده الزهري وهما يعيبان الوليد، فأعرضت ولم أدخل في شيء من ذكره. فلم ألبث أن استؤذن للوليد فأذن له، فدخل وهو مغضب فجلس قليلاً ثم نهض. فلما مات هشام وولي الوليد كتب إلى المدينة فحملت فدخلت عليه، فقال: أتذكر قول الأحول والزهري؟ قلت: نعم، وما عرضت في شيء من أمرك، قال: صدقت، أتدري من أبلغني ذلك؟ قلت لا، قال: الخادم الواقف على رأسه، وإيم الله لو بقي الفاسق الزهري لقتلته. ثم قال: ذهب هشام بعمرى، فقلت: بل يقيقك الله يا أمير المؤمنين، وقام وصلى العصر. ثم جلس يتحدث إلى المغرب ثم صلى المغرب ودعا بالعشاء فتعشيت معه ثم جلس يتحدث حتى صلى العتمة، ثم تحدثنا قليلاً ثم قال: اسقيني فأتينيه بإناء مغطى، وجاء جوار فقمن بيني وبينه فشرب وانصرف، ومكث قليلاً ثم قال: اسقيني ففعلن مثل ذلك. وما زال والله ذلك دأبه حتى طلع الفجر، فأحصيت له سبعين قدحاً.

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن أبي الزناد قال: أجمع الزهري على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولي الوليد بن يزيد، فمات الزهري قبل ذلك.

عابه بعض بني مروان بالشراب فلعنهم

قال المدائني: وبلغ الوليد أن العباس بن الوليد وغيره من بني مروان يعيبونه بالشراب، فلعنهم وقال: إنهم ليعيبون علي ما لو كانت لهم فيه لذة ما تركوه، وقال هذا الشعر، وأمر عمر الوادي أن يغني فيه - وهو من جيد شعره ومختاره. وفيه غناء قدّم ذكره يونس لعمر الوادي غير مجنس - :

صوت

ولقد قضيت وإن تجلل لمتي	شيبٌ على رغم العدا لذاتي
من كاعبات كالدمى ومناصف	ومراكب للصيد والنشوات
في فتية تأبى الهوان وجوهم	شم الأنوف ججاج سادات
إن يطلبوا بتراتهم يعطوا بها	أو يطلبوا لا يدركوا بترات

الكتابان المتبادلان بينه وبين هشام:

حدثني المنهال بن عبد الملك قال: كتب الوليد إلى هشام: "قد بلغني أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني ومحو من محاً من أصحابي، وأنه حرمني وأهلي. ولم أكن أخاف أن يبتلي الله أمير المؤمنين بذلك في ولا ينالني مثله

منه، ولم يبلغ استصحابي لابن سهيل ومثلي في أمره أن يجري علي ما جرى. وإن كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين، فبحسب العير أن يقرب من الذئب. وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبب لي من الرزق ما لا يقدر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عني دون مدته ولا صرفه عن مواقفه المحتومة له. فقدّر الله يجري على ما قدره فيما أحب الناس وكرهوا، لا تعجيل لأجله ولا تأخير لعاجله، والناس بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقتربون الآثام على أنفسهم من الله بما يستوجبون العقوبة عليه. وأمير المؤمنين أحق بالنظر في ذلك والحفظ له. والله يوفق أمير المؤمنين لطاعته، ويحسن القضاء له في الأمور بقدرته. وكتب إليه الوليد في آخر كتابه:

حياضك يوماً صادراً بالنوافل

أليس عظيماً أن أرى كل وارِدٍ

بتحلئةٍ عن ورد تلك المناهل

فأرجع محمود الرجاء مصرداً

وليس بلاقٍ ما رجا كل أمل

فأصبحت مما كنت أمل منكم

يشد عليها كفه بالأنامل

كمقتبض يوماً على عرض هبوةٍ

فكتب إليه هشام: "قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع وغير ذلك. وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجري عليك، ولا يتخوف على نفسه اقتتراف المآثم في الذي أحدث من قطع ما قطع ومحو من محو من صحابتك، لأمرين: أما أحدهما فإن أمير المؤمنين يعلم مواضعك التي كنت تصرف إليها ما يجريه عليك. وأما الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دائرة عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البعوث عليهم وهم معك تجول بهم في سفهك. وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستثنائه قطعه عنك. وأما ابن سهيل، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً. وهل زاد ابن سهيل، لله أبوك، على أن كان زفاناً مغنياً قد بلغ في السفه غايته! وليس مع ذلك ابن سهيل بشر ممن كنت تستصحبه في الأمور التي يتره أمير المؤمنين نفسه عنها مما كنت لعمرى أهلاً للتوبيخ فيه. وأما ما ذكرت مما سببه الله لك، فإن الله قد ابتداء أمير المؤمنين بذلك واصطفاه له، والله بالغ أمره. ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلا أنه لا يملك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضرراً ولا نفعاً، وإن الله ولي ذلك منه وإنه لا بد له من مفارقتة، وإن الله أرأف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير من يرتضيه لهم منهم. وإن أمير المؤمنين مع حسن ظنه بربه لعلّ أحسن الرجاء لأن يوليه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرضا به لهم، فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره أو يوازيه شكره إلا بعون منه. ولئن كان قد قدر الله لأمر المؤمنين وفاة تعجيل، فإن في الذي هو مفض وصائرٌ إليه من كرامة الله لخلقاً من الدنيا. ولعمري إن كتابك لأمر المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحققك، فأبق على نفسك وقصر من غلوائها واربع على ظلعك، فإن الله سطوات وغيراً يصيب بها من يشاء من عباده. وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاها له. وكتب في أسفل الكتاب:

بشر بالخلافة بعد موت هشام

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن المنهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيوب كلهم عن أبي الزبير المنذر بن عمرو - قال: وكان كاتباً للوليد بن يزيد - قال:

أرسل إلي الوليد صبيحة اليوم الذي أتته فيه الخلافة فأتيته، فقال لي: يا أبا الزبير، ما أتت علي ليلة أطول من هذه الليلة، عرضتني أمورٌ وحدثت نفسي فيها بأمور، وهذا الرجل قد أولع بي، فأركب بنا نتنفس. فركب وسرت معه، فسار ميلين ووقف على تل فجعل يشكو هشاماً، إذ نظر إلى رهج قد أقبل - قال عمر بن شبة في حديثه - وسمع قعقة البريد، فتعوز بالله من شر هشام، وقال: إن هذا البريد قد أقبل بموت وحي أو بملك عاجل. فقلت: لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسرك وييقك، إذ بدا رجلان على البريد يقبلان، أحدهما مولى لآل أبي سفيان بن حرب، فلما قربا رأيا الوليد فتزلا يعدوان حتى دنوا فسلما عليه بالخلافة فوجم، وجعلا يكرران عليه التسليم بالخلافة، فقال: ويحكم! ما الخير؟ أمات هشام؟ قالاً نعم: قال: فمرحباً بكما! ما معكما؟ قالاً: كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن، فقرأ الكتاب وانصرفنا. وسأل عن عياض بن مسلم كاتبه الذي كان هشام ضربه وحسبه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله، فلما صار إلى حال لا ترجى الحياة لمثله معها، أرسل عياض إلى الخزان: احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلن أحد إلى شيء. وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فمنعه، فقال: أرانا كنا خزاناً للوليد، وقضى من ساعته. فخرج عياض من السجن ساعة قضى هشام، ففتح الأبواب والخزائن، وأمر بهشام فأنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفونوه من الخزائن، فكفنه غالب مولى هشام، ولم يجدوا قممماً حتى استعاروه. وأمر الوليد بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزومي، فأخذ بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك، فقال الوليد: ما أراه إلا قد بجا، فقال له يحيى بن عروة بن الزبير وأخوه عبد الله: إن الله لم يجعل قبر أبيك معاذاً للظالمين، فخذ به برد ما في يده من مال الله، فقال: صدقت، وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر، وكتب إليه أن يسط عليهما العذاب حتى يتلفا، ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد أن أقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتضوا منه المظالم.

وقال عمر بن شبة في خبره: إنه لما نعي له هشام قال: والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر، ثم أنشأ يقول:

إذ أتاني نعي من بالرصافة

طاب يومي ولذ شرب السلافه

وأنا بخاتم للخلافة

وأنا البريد ينعي هشاماً

ولهونا بقينة عزافه

فاضطربنا من خمر عانة صرفاً

ثم حلف ألا يرح موضعهُ حتى يغنى في هذا الشعر ويشرب عليه، فغني له فيه وشرب وسكر، ثم دخل فبويع له بالخلافة.

قال: وسمع صياحاً، فسأل عنه، فقيل له: هذا من دار هشام يبيكه بناته، فقال:

ورا المصلى برنه

إني سمعت بليل

يندبن والدهنه

إذا بنات هشام

قد كان يعضدهنه

يندبن قرماً جليلاً

إن لم أنيكنهنه

أنا المخنث حقاً

وقال المدائني في خبر أحمد بن الحارث: وشرب الوليد يوماً، فلما طابت نفسه تذكر هشاماً، فقال لعمر الوادي غني:

ورا المصلى برنه

إني سمعت بليل

فغناه فيه، فشرب عليه ثلاثة أرطال، ثم قال: والله لئن سمعه منك أحد أبداً لأقتلنك. قال: فما سمع منه بعدها ولا عرف.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

إذ أتانا نعي من الرصافه

طاب يومي ولذ شرب السلافه

غناه عمر الوادي خفيف رمل بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال قال حكم الوادي: كنا عند الوليد بن يزيد وهو يشرب، إذ جاءنا خصيُّ فشق جيبه وعزاه عن عمه هشام وهنأه بالخلافة وفي يده قضيب وخاتم وطومار، فأمسكنا ساعةً ونظرنا إليه بعين الخلافة، فقال: غنوني، غنياني: قد طاب شرب السلافه... البيتين، فلم نزل نغنيه بهما الليل كله.

سأل الرشيد عنه ابن أبي حفصة فمدحه

وذكر من شعره:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال:

دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبت أترحزح، فقال: إن أمير المؤمنين لا ينكر ما

تقول فقل، قلت: كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس. فقال: أتروى من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، دخلت عليه مع عمومي وفي يده قضيب ولي جمّة فينانه فجعل يدخل القضيب في جمتي وجعل يقول: يا غلام، ولدتك سكر وهي أم ولد كانت لمروان بن الحكم فزوجها أبا حفصة قال: فسمعتة يومئذ ينشد:

مكياله الأوفر قد أترعا

ليت هشاماً عاش حتى يرى

فما ظلمناه بها أصوعا

كلنا له الصاع التي كالها

أحله القرآن لي أجمعا

لم نأت ما نأتيه عن بدعة

قال: فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت.

كان شاعراً مجيداً وشيء من شعره

وللوليد أشعار جيداً فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان. فمنها وهو ما برز فيه وجوده وتبعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه قوله في صفة الخمر أنشدني الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبة قال أنشدني أبو غسان محمد بن يحيى وغيره للوليد. قال: وكان أبو غسان يكاد يرقص إذا أنشدها:

وانعم على الدهر بابنة العنب

اصدع نجي الهموم بالطرب

لا تقف منه آثار معتقب

واستقبل العيش في غضارته

فهي عجوز تعلو على الحقب

من قهوة زانها تقادما

من الفتاة الكريمة النسب

أشهى إلى الشرب يوم جلوتها

حتى تبدت في منظر عجب

فقد تجلت ورق جوهرها

وهي لدى المزج سائل الذهب

فهي بغير المزاج من شرر

تذكو ضياءً في عين مرتقب

كأنها في زجاجها قبس

المجد والمآثرات والحسب

في فتية من بني أمية أهل

مثلي ولا منتم لمثل أبي

ما في الوري مثلهم ولا فيهم

قال المدائي في خبره: وقال الوليد حين أتاه نعي هشام:

إذ أتاني البريد ينعي هشاماً

طال ليلى فبت أسقى المداما

وأتاني بخاتم ثم قاما

وأتاني بحلة وقضيب

يفضل الناس ناشئاً وغلما

فجعلت الولي من بعد فقدي

خير قرم وخيرهم أعماما

ذلك ابني وذاك قرم قريش

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه المدائني عن جرير قال قال لي عمر الوادي: كنت يوماً أغني الوليد إذ ذكر هشاماً، فقال لي: غني بهذه الأبيات، قلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فأنشأ يقول:

هلك الأحوال المشو م فقد أرسل المطر
ثمت استخلف الولي د فقد أورك الشجر

أخذ أبو نواس وغيره من الشعراء معانيه

في أشعارهم:

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم، سلخوا معانيها، وأبو نواس خاصة فإنه سلخ معانيه كلها وجعلها في شعره فكررها في عدة مواضع منه. ولولا كراهة التطويل لذكرتها ها هنا، على أنها تنبئ عن نفسها.
وله أبيات أنشدنيها الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شبة قال أنشدني أبو غسان وغيره للوليد - وكان أبو غسان يكاد أن يرقص إذا أنشدتها - :

اصدع نجي الهموم بالطرب وانعم على الدهر بآبنة العنب

الأبيات التي مضت متقدماً. وهذا من بدیع الكلام ونادره، وقد جود فيه منذ ابتداء إلى أن ختم. وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما.
ومن جيد معانيه قوله:

رايتك تبني جاهداً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

وقد مضت في أخباره مع هشام.
وأنشدني الحسن بن علي عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمرو للوليد بن يزيد وكان يستجده فقال:

إذا كم يكن خيرٌ مع الشر لم تجد نصيحاً ولا ذا حاجة حين تقزع
وكانوا إذا هموا بإحدى هاتهم حسرت لهم رأسي فلا أتقنع

ومن نادر شعره قوله لهشام

فإن تك قد مللت القرب مني فسوف ترى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك إن بقينا وتبلى الناس والأحوال بعدي

فتندم في الذي فرطت فيه

إذا قايست في ذمي وحمدي

قال يوم بيعته على المنبر بدمشق

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدثنا ابن مهوريه وعبد الله بن عمرو بن أبي سعد قالا حدثنا عبد الله بن أحمد بن الحارث الحرشي قال حدثنا محمد بن عائد قال حدثني الهيثم بن عمران قال سمعته يقول: لما بويع الوليد سمعته على المنبر يقول بدمشق:

ضمنت لكم إن لم ترعني منيتي

بأن سماء الضر عنكم ستقلع

كتب إلى أهل المدينة شعراً

ورد عليه حمزة بن بيض:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما ولي الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة والشعر له:

محرمكم ديوانكم وعطاؤكم

به يكتب الكتاب والكتب تطبع

ضمنت لكم إن لم تصابوا بمهجتي

بأن سماء الضر عنكم ستقلع

وأول هذه الأبيات:

ألا أيها الركب المخبون أبلغوا

سلامي سكان البلاد فأسمعوا

وقولوا أتاكم أشبه الناس سنة

بوالده فاستبشروا وتوقعوا

سيوشك إلحاقكم بكم وزيادة

وأعطية تأتي تباعاً فتشفع

وكان سبب مكاتبته أهل الحرمين بذلك أن هشاماً لما خرج عليه زيد بن علي رضي الله عنه منع أهل مكة وأهل المدينة أعطياتهم سنة. فقال حمزة بن بيض يرد على الوليد لما فعل خلاف ما قال:

وصلت سماء الضر بالضر بعد ما

زعمت سماء الضر عنا ستقلع

فليت هشاماً كان حياً يسوسنا

وكنا كما كنا نرجي ونطمع

بعث إلى جماعة من أهله يوم بيعته وأنشدهم شعراً يدل على مجونه: أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال روى جرير بن حازم عن الفضل بن سويد قال: بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أهله لما ولي الخلافة فقال: أندرون لم دعوتكم؟ قالوا لا: قال: ليقبل قائلكم، فقال رجل منهم: أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله لك من نعمته وإحسانه، فقال: نعم، ولكني:

أشهد الله والملائكة الأب
رار والعابدين أهل الصلاح
أنني أشتهي السماع وشرب ال
كأس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخادم الفا
ره يسعى علي بالأقداح

قوموا إذا شئتم.

عرضت عليه جارية وغنته فأمر بشرائها

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: عرضت على الوليد بن يزيد جارية صفراء كوفية مولدة يقال لها سعاد، فقال لها: أي شيء تحسنين؟ فقالت: أنا مغنية، فقال لها: غنيني، فغنت:

صوت

لولا الذي حملت من حبكم
أجل ومن حجت له مذحج
لكن سباني منكم شادن
مربب ذو غنة أدعج
أغر ممكور هضيم الحشى
قد ضاق عنه الحجل والدملج

- الشعر للحارث بن خالد. والغناء لابن سريج خفيف رمل بالبصرة. وفيه لدحمان هزج بالوسطى، وذكر الهشامي أن الهزج ليحيى المكي - فطرب طرباً شديداً وقال: يا غلام اسقني، فسقاه عشرين قدحاً وهو يستعيدها. ثم قال لها: لمن هذا الشعر؟ قالت: للحارث بن خالد. قال: ومن أخذته؟ قالت: من حنين. قال: وأين لقيته؟ قالت: ربيت بالعراق وكان أهلي يجيئون به فيطارحني. فدعا صاحبه فقال: اذهب فابتعها بما بلغت ولا تراجعني في ثمنها ففعل، ولم تزل عنده حظيةً.

شرب هو ومحمد بن سليمان بجرن

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهوريه قال حدثني عبيد الله بن عمار قال حدثني عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشي قال حدثنا العباس بن الوليد قال حدثنا ضمرة قال: خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً إلى بعض الديارات فتزل فيه وهو وال على الرملة، فسأل صاحب الدير: هل نزل بك أحد من بني أمية؟ قال: نعم، نزل بي الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك. قال: فأني شيء صنعاً؟ قال: شربا في ذلك الموضع، ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما، ثم قال أحدهما لصاحبه: هلم

نشرب بهذا الجرن - وأوماً إلى جرنٍ عظيم من رخام - قال: أفعل، فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثملاً. فقال عبد الوهاب لمولى له أسود: هاته. قال ضمرة: وقد رأيته وكان يوصف بالشدة، فذهب يحركه فلم يقدر. فقال الراهب: والله لقد رأيتهما يتعاطيانه وكل واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غير مكترث.

وفد عليه سعد بن مرة ومدحه فأجازه

أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: وفد سعد بن مرة بن جبير مولى آل كثير بن الصلت، وكان شاعراً، على الوليد بن يزيد، فعرض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنته له، فصاح به: يا أمير المؤمنين، وافدك وزائرك ومؤملك، فتبادر الحرس إليه ليصدوه عنه، فقال: دعوه، ادن إلي فدنا إليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل الحجاز شاعر، قال: تريد ماذا؟ قال: تسمع مني أربعة أبيات، قال: هات.

صوت

ولقين ركباناً بعرفك قفلاً

شمن المخايل نحو أرضك بالحيا

قال: ثم مه، قال:

إلا وقوع الطير حتى ترحلا

فعمدن نحوك لم ينخن لحاجة

قال: إن هذا السير حثيث، ثم ماذا؟ قال:

كرماً ولم تعدل بذلك معدلاً

يعمدن نحو موطئ حجراته

قال: فقد وصلت إليه، فمه، قال:

فاخترن نارك في المنازل منزلاً

لاحت لها نيران حيي قسطل

قال: فهل غير هذا؟ قال لا، قال: أنجحت وفادتك، ووجبت ضيافتك، أعطوه أربعة آلاف دينار، فقبضها ورحل.

الغناء لابن عائشة ثاني ثقل بالبنصر عن عمرو والهشامي.

مسلمة بن هشام وزوجته

رجعت الرواية إلى حديث المدائني قال: لما أقدم العباس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هشام وولده سوى مسلمة بن هشام فإنه كان كثيراً ما يكف أباه عن الوليد ويكلمه فيه ألا يعرض له ولا يدخل منزله. وكانت عند مسلمة أم سلمة بنت يعقوب المخزومية، وكان مسلمة يشرب. فلما قدم العباس لإحصاء ما كتب إليه الوليد، كتبت أم سلمة: ما يفيق من الشراب ولا يهتم بشيء مما فيه إخوته ولا بموت أبيه. فلما راح مسلمة بن هشام

إلى العباس قال له: يا مسلمة، كان أبوك يرشحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك، وأنه وعاتبه على الشراب، فأنكر مسلمة ذلك وقال: من أخبرك بهذا؟ قال: كتبت إلي به أم سلمة، فطلقها في ذلك المجلس، فخرجت إلى فلسطين، وبها كانت تنزل، وتزوجها أبو العباس السفاح هناك.

قصة طلاقه سعدة وتعشقه أختها وسلمى التي عنها الوليد هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأمها أم عمرو بنت مروان بن الحكم، وأمها بنت عمر بن أبي ربيعة المخزومي.

فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام وعن المدائني عن جويرية بن أسماء: أن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قرين متبدياً به، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وكانت بنته أم عبد الملك، واسمها سعدة، تحت الوليد بن يزيد. فمرض سعيد في ذلك الوقت، وجاءه الوليد عائداً، فدخل فلمح سلمى بنت سعيد أخت زوجته وسترها حواضنها وأختها فقامت ففرعتهن طولاً، فوقعت بقلب الوليد. فلما مات أبوه طلق أم عبد الملك زوجته وخطب سلمى إلى أبيها. وكانت لها أخت يقال لها أم عثمان تحت هشام بن عبد الملك، فبعثت إلى أبيها - وقيل: بعث إليه هشام - : أتريد أن تستفحل الوليد لبناتك يطلق هذه وينكح هذه! فلم يزوجه سعيد ورده أقبح رد. وهويها الوليد ورام السلو عنها فلم يسلم، وكان يقول: العجب لسعيد! خطبت إليه فردي، ولو قد مات هشام ووليت لزوجني! وهي طالق ثلاثاً إن تزوجتها حينئذ وإن كنت أهواها. فيقال: إنما لما طلق سعدة ندم على ذلك وغمه. وكان لها من قلبه محل ولم تحصل له سلمى، فاهتم لذلك وجرع. وراسل سعدة، وقد كانت زوجت غيره فلم ينتفع بذلك.

أرسل أشعب لزوجته بعد طلاقها فردته

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري والحسن بن علي قالوا حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجهم قال حدثنا المدائني قال: بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلق امرأته، فقل: يا أشعب، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلغ رسالتي سعدة، فقال: أحضر العشرة آلاف الدرهم حتى أنظر إليها، فأحضرها الوليد، فوضعها أشعب على عنقه وقال: هات رسالتك، قال: قل لها يقول لك أمير المؤمنين:

وهل حتى القيامة من تلاقي

أسعدة هل إليك لنا سبيل

بموت من حلييك أو طلاق

بلى ولعل دهرأ أن يؤاتي

ويجمع شملنا بعد افتراق

فأصبح شامتاً وتقر عيني

فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه، فأمرت بفرش له. ففرشت وجلست وأذنت لهز فلما دخل أنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق! فقال: يا سيدي إنما بعشرة آلاف درهم. قالت: والله لأقتلنك أو تبلغه كما

بلغتني، قال: وما تهين لي؟ قالت: بساطي الذي تحتي، قال: قومي عنه، فقامت فطواه وجعله إلى جانبه، ثم قال: هات رسالتك جعلت فداك، قالت: قل له:

أتبكي على لبني وأنت تركتها فقد ذهبت لبني فما أنت صانع

فأقبل أشعب فدخل على الوليد، فقال: هيه، فأنشده البيت، فقال: أوه قتلتني يا بن الزانية؟ ما أنا صانع، فاختر أنت الآن ما أنت صانع يا بن الزانية، إما أن أدليك على رأسك منكساً في بئر أو أرمي بك منكساً من فوق القصر أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربةً، هذا الذي أنا صانع، فاختر أنت الآن ما أنت صانع، فقال: ما كنت لتفعل شيئاً من ذلك، قال: ولم يا بن الزانية؟ قال: لم تكن لتعذب عيين نظرتا إلى سعدة. قال: أوه! أفلت والله بهذا يا بن الزانية؟ اخرج عني. وقال الحسن في روايته: إنها قالت له أنشده:

أتبكي على لبني وأنت تركتها وأنت عليها بالملا كنت أقدر

وفي هذه الأبيات غناء هذه نسبته

صوت

أرى بيت لبني أصبح اليوم يهجر وهجران لبني يا لك الخير منكر

فإن تكن الدنيا بلبني تغيرت فللدهر والدنيا بطونٌ وأظهر

أتبكي على لبني وأنت تركتها وأنت عليها بالحرأ كنت أقدر

عروضه من الطويل. والشعر لقيس بن ذريح. والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقل أول بالنصر عن عمرو الهشامي.، وفيهما لعريب رملٌ بالنصر. وفيه لشارية خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي. وفي الأول خفيف ثقلٍ مجهول.

تزيا بزي زيات ليري سلمى وشعره في ذلك

قال ابن سلام والمدائني في خبرهما: وخرج الوليد بن يزيد يريد فرتن لعله يراها، فلقيه زيات معه حمار عليه زيت، فقال له: هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك؟ ففعل الزيات ذلك. وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكراً حتى دخل قصر سعيد، فنادى: من يشتري الزيت، فاطلع بعض الجوارى فرأينه فدخلن إلى سلمى وقلن: إن بالباب زياتاً أشبه الناس بالوليد، فاخرجني فانظري إليه، فخرجت فرأته ورآها، فرجعت القهقري وقالت: هو والله الفاسق الوليد! وقد رأي! فقلن له: لا حاجة بنا إلى زيتك، فانصرف وقال:

إنني أبصرت شيخاً حسن الوجه مليح

من عباءٍ ومسوح
خاسراً غير ربيع

ولباسي ثوب شيخ
وأبيع الزيت بيعاً

وقال أيضاً:

ولا عسلٌ بألبان اللقاح

فما مسكٌ يعل بزنجبيل

ولا ما في الزقاق من القراح

بأشهى من مجاجة ريق سلمى

وثاق الباب دوني واطراحي

ولا والله لا أنسى حياتي

قال: فلما ولى الخلافة أشخص إلى المغنين فحضره وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذو وهما. فقال لابن عائشة: يا محمد، إن غنيتي صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم، فغناه قوله:

إنني أبصرت شيخاً

وغناه:

فما مسكٌ يعل بزنجبيل

الآيات، فقال الوليد: ما عدوت ما في نفسي، وأمر له بمائة ألف درهم والطف وخلع، وأمر لسائر المغنين بدون ذلك.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

ولا عسلٌ بألبان اللقاح

فما مسكٌ يعل بزنجبيل

ولا ما في الزقاق من القراح

بأطيب من مجاجة ريق سلمى

غناه ابن عائشة، ولحنه ثقل أول بالوسطى عن الهشامي وحماد بن إسحاق: تزوج سلمى بعد ولايته الخلافة وماتت بعد قليل فرثاها: قال المدائني وابن سلام: فلما طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد:

تصيب الرشد في صلتى هديتا

أبا عثمان هل لك في صنيع

أبا عثمان مينةً وميتا

فأشكر منك ما تسدى وتحبى

قالوا: فلم يجبه إلى ذلك حتى ولى الخلافة، فلما وليها زوجه إياها، فلم يلبث إلا مدة يسيرةً حتى ماتت. وقال فيه ليلة زفت إليه:

يا بين داود أنسها

خف من دار جبرتي

وهي طويلة. وفيها مما يغنى به:

س فقد طال حبسها

أو لا تخرج العرو

وهي لم يقض لبسها

قد دنا الصبح أو بدا

ليلة غاب نحسها

برزت كالللال في

أكرم الخمس جنسها

بين خمس كواعب

غناء ابن سريج، فيما ذكره حبش، رمل بالبنصر، أوله:

خف من دار جبرتي

وغناء معبد فيه خفيف ثقيل، أوله:

ومتى تخرج العروس

في رواية الهشامي وابن المكي. وغناء عمر الوادي في الأربعة الأبيات الآخر خفيف رمل بالبنصر عن عمرو. وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشامي أن فيه هزجاً بالوسطى ينسب إلى حكم وإلى أبي كامل وإلى عمر.

غنى حكم الوادي للمهدي فوصله

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال: رأيت حكماً الوادي قد تعرض للمهدي وهو يريد الحج، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة، فأخرج دفاً له فنقر فيه وقال: أنا، أطال الله بقاءك، القائل:

س فقد طال حبسها

ومتى تخرج العرو

وهي لم يقض لبسها

قد دنا الصبح أو بدا

قال: فتسرع إليه الحرس، فصيح بهم، وإذا هو حكم الوادي، فأدخل إليه المضرب فوصله وانصرف. نسبة أو لا تخرج العروس - قال: الشعر الوليد بن يزيد. والغناء لعمر الوادي. وفيه لحنان هزج خفيف بالخنصر في مجرى البنصر "وخفيف رمل بالخنصر في مجرى البنصر جميعاً عن إسحاق"، وذكر حكم الوادي أن الهزج له، وذكر إسحاق أن لحن حكم خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى. وقال في كتاب يحيى: إن هذا اللحن لعمر الوادي. وذكر الهشامي أنه فيه خفيف ثقيل لمعبد ورملاً لابن سريج. وذكر عمرو بن بانه أن فيه للدلال خفيف ثقيل أول بالبنصر.

ماتت سلمى فرثاها الوليد

وقال المدائني: مكثت عنده سلمى أربعين يوماً ثم ماتت، فقال:

ألما تعلما سلمى أقامت	مضمنةً من الصحراء لحدا
لعمرك يا وليد لقد أجنوا	بها حسباً ومكرمةً ومجدا
ووجهاً كان يقصر عن مداه	شعاع الشمس أهلٌ أن يفدى
فلم أر ميتاً أبكى لعين	وأكثر جازعاً وأجل فقدا
وأجدر أن تكون لديه ملكاً	يريك جلادةً ويسر وجدا

شعره في سلمى

ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنى المغنون فيها منها:

صوت

عرفت المنزل الخالي	عفا من بعد أحوال
عفاه كل حنانٍ	عسوف الوبل هطال
لسلمى قرّة العين	وبنت العم والخال
بذلت اليوم في سلمى	خطاراً أتلفت مالي
كأن الريق من فيها	سحيقٌ بين جريال

غناه عمر الوادي هزجاً بالوسطى عن عمرو. وذكر ابن خرداذبه أن هذا اللحن للوليد بن يزيد. وفي رملٌ ذكر الهشامي أنه لابن سريج.

ومنها وهو صوت الذي غناه أبو كامل فأعطاه الوليد قلنسيته : صوت

منازل قد تحل بها سليمي	دوارس قد أضربها السنون
أميت السر حفظاً يا سليمي	إذا ما السر باح به الحزون

غناه أبو كامل من الثقيل الأول. وفي لابن سريج، ويقال للغريض، خفيف أول بالوسطى عن الهشامي، وقيل: إنه لحكم أو لعمر الوادي. ومنها:

صوت

أراني قد تصابيت	وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحب	لقد صمت وصليت

إذا شئت تصبرت

ولا أصبر إن شئت

ولا والله لا يصب

ر في الديمومة الحوت

سليمى ليس لي صبر

وإن رخصت لي جيت

فقبلتك ألفين

وفديت وحييت

ألا أحبب بزور زرا

ر من سلمى ببيروت

غزال أدعج العين

نقي الجيد والليت

غناه ابن جامع في البيتين الأولين هزجاً بالوسطى، وغناه أبو كامل في الأبيات كلها على ما ذكرت بذل ولم يحنسه. وغنى حكم الوادي في الثالث والرابع والسابع والثامن خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشامي. ومنها:

صوت

عتبت سلمى علينا سفاها

أن سببت اليوم فيها أباه

كان حق العتب يا قوم مني

ليس منها كان قلبي فداها

فلئن كنت أردت بقلبي

لأبي سلمى خلاف هواها

فتكلت اليوم سلمى فسلمى

ملأت أرضي معاً وسماها

غير أنني لا أظن عدواً

قد أتاها كاشحاً بأذاها

فلها العتبي لدينا وقلت

أبداً حتى أنال رضاها

غناه أبو كامل خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه ليحيى المكي ثقیل أول من رواية علي بن يحيى. وفيه رمل يقال: إنه لابن جامع، ويقال: بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضاً. خطب سلمى إلى أبيها وهو سكران فردده فسبته فقال شعراً: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال: لقي سعيد بن خالد الوليد بن يزيد وهو ممل، فقال له: يا أبا عثمان، أتردي على سلمى! وكأني بك لو قد وليت الخلافة خطبتي فلم أجبك، وإن تزوجتها حينئذ فهي طالق ثلاثاً. فقال له سعيد: إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيقاً بأكثر مما قلت، فأمضه الوليد وشمته وتسامعا واقتربا. وبلغ الوليد أن سلمى جزعت لما جرى وبكت وسبت الوليد ونالت منه، فقال:

عتبت سلمى علينا سفاها

أن هجوت اليوم فيها أباه

قلت يا طير ادن مني
قلت هل أبصرت سلمى
قال ها ثم تدلى
قال لا ثم تولى
فنكا في القلب كلاً
باطناً ثم تعلّى

فيه ثقل أول بالبنصر مطلق، ذكر الهشامي أنه لأبي كامل ولعمر الوادي، وذكر حبش أنه لدحمان ومنها:

صوت

اسقني يا بن سالم قد أنارا
اسقني من سلاف ريق سليمى
كوكب الصبح وانجلى واستنارا
واسق هذا النديم كأساً عقارا

غناه ابن قدح

ثاني ثقل بالوسطى من رواية حبش.

سأل المأمون ندماءه عن شعر يدل على أنه لملك ثم قال لهم: إنه شعر الوليد: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني أبي: أنا المأمون قال لمن حضره من جلسائه: أنشدوني بيتاً لملك يدل البيت وإن لم يعرف قائله أنه شعر ملك، فأنشده بعضهم قول امرئ القيس:

أمن أجل أعرابية حل أهلها
جنوب الملا عيناك تبتدران
قال: وما في هذا مما يدل على ملكه! قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر، فكأنه يؤنب نفسه على التعلق بأعرابية، ثم قال: الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد:

اسقني من سلاف ريق سليمى
واسق هذا النديم كأساً عقارا

أما ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك. ومثل قوله:

لي المحض من ودهم
ويغمرهم نانلي
وهذا قول من يقدر بالملك على طويات الرجال، يبذل المعروف لهم ويمكنه استخلاصها لنفسه. وفي هذا البيت مع أبيات قبله غناء وهو قوله:

صوت

سقيت أبا كامل
من الأصفر البابلي

وسقيتها معبداً
ولي المحض من ودهم
فما لامني فيهم
ولك فتى بازل
ويغمرهم نانلي
سوى حاسدة جاهل

غناه أبو كامل

ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

ومنها وهو من ملح شعره:

صوت

أراني الله يا سلمى حياتي
ألا تجزين من تيمت عصراً
ومن لو مت مات ولا تموتي
ومن حقاً لو اعطي ما تمنى
ومن لو قلت مت فأطاق موتاً
أثيبي عاشقاً كلفاً معنى
وفي يوم الحساب كما أراك
ومن لو تطلبين لقد قضاك
ولو أنسي له أجل بكاك
من الدنيا العريضة ما عداك
إذا ذاق الممات وما عصاك
إذا خدرت له رجل دعاك

كانت العرب تقول: إن الإنسان إذا خدرت قدمه باسم أحب الناس إليه فسكنت. في الخبر أن رجل عبد الله عمر خدرت، ف قيل له: ادع باسم أحب الناس إليك، فقال: يا رسول الله، صلى الله على رسول الله وعلى آله وسلم. ذكر يونس أن في هذه الأبيات لحناً لسان الكاتب، وذكرت دنابير أنه لحكم ولم تجنسه .
ومنها:

صوت

ويح سلمى لو تراني
متلفاً في اللهو ما لي
إنما أحزن قلبي
ولقد كنت زماناً
شاق قلبي وعناني
لعناها ما عناني
عاشقاً حور القيان
قول سلمى إذ أتاني
خالي الذرع لشاني
حب سلمى وبراني

ولكم لام نصيحٌ

في سليمي ونهاني

غنّته فريدة خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقيل أول ينسب إلى معبد، وهو فيما يذكر إسحاق يشبه غنائه وليس تعرف صحته له، وذكر كثير الكبير أنه له، وذكر الهشامي أنه لابن المكي. وفيه لحكم هزجٌ صحيح. ومنها:

صوت

بلغا عني سليمي

وسلاها لي عما

فعلت في شأن صبّ

دنف أشعرهما

ولقد قلت لسلمي

إذ قتلت البين علما

أنت همي يا سليمي

قد قضاه الرب حتما

نزلت في القلب قسراً

منزلاً قد كان يحمي

غنّاه حكمٌ خفيف ثقيلٍ. ولعمر الوادي فيه خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. ومنها: صوت

يا سليمي يا سليمي

كنت للقلب عذابا

يا سليمي ابنة عمي

برد الليل وطابا

أيما واشٍ وشى بي

فاملئي فاه ترابا

ربقها في الصبح مسك

باشر العذب الرضابا

غنّاه عمر الوادي

هزجاً بالبنصر عن الهشامي

وذكر ابن المكي أنه لمعان . وفي كتاب إبراهيم أنه لعطرد. ومنها:

صوت

أسلمي تلك حبيب

قفي نخبرك إن شيت

وقيلي ساعة نشك

إليك الحب أو بيتي

فما صهباء لم تكس

قذى من خمر بيروت

ثوت في الدن أعواما

ختيماً عند حانوت

غناه عمر الوادي ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. ومنها:

صوت

يا من لقلب في الهوى متشعب
بل من القلب بالحبيب عميد
سلمى هواه ليس يعرف غيرها
دون الطريف ودون كل تليد
إن القرابة والسعادة ألفا
بين الوليد وبين بنت سعيد
يا قلب كم كلف الفؤاد بغادة
ممكورة ريا العظام خريد

غناه عمر الوادي رملاً بالنصر عن عمرو. ومنها:

قد تمنى معشر إذا أطربوا
من عقار وسوام وذهب
ثم قالوا لي تمن واستمع
كيف ننحو في الأماني والطلب
فتمنيت سليمى إنها
بنت عمي من لهاميم العرب

فيه للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وذكر الهشامي أن هذا الخفيف الثقيل لخالد صامة. وذكر ابن المكي أن فيه المكي ثاني ثقيل بالوسطى. ومنها:

صوت

هل إلى أم سعيد
من رسول أو سبيل
ناصر يخبر أني
حافظ ود خليل
بيذل الود لغيري
وأكافي بالجميل
لست أرضى لخليلي
من وصالي بالقليل

غناه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسبابة في مجرى الوسطى. ومنها:

صوت

طاف من سلمى خيال
بعد ما نمت فهاجا
قلت عجب نحوي أسائل
ك عن الحب فعاجا
يا خليلي يا نديمي
قم فأنفت لي سراجا

بفلاة ليس ترعى

أنبتت شيحاً وحاجاً

غناه عمر الوادي ثاني ثقیل بالوسطی عن عمرو. ولا بن سريج فيه خفيف رمل بالوسطی عن حبش. ولأبي سلمی المدني ثقیل أول عن ابن خرداذبه. ومنها:

صوت

يعلم الله يقيناً ربه

أم سلام أثيبي عاشقاً

يا سليمي فاعلميه حسبه

أنكم من عيشه في نفسه

هائم صبّ قد أودى قلبه

فأرحميه إنه يهذي بكم

لم يكدر يا سليمي شربه

أنت لو كنت له راحمة

غناه حكّم رملًا بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لابن سريج بالوسطی. ومنها:

صوت

سوف نأتيه من قرى بيروت

رب بيت كأنه متن سهم

كلما جئت نحوها حييت

من بلاد ليست لنا ببلاد

ثم لا زلت جنّتي ما حييت

أم سلام لا برحت بخير

لادكاركم وطيب المبيت

طرباً نحوكم وتوقاً وشوقاً

فوقاك الإله ما قد خشيت

حيثما كنت من بلاد وسرتم

في البيت الأول والثاني لابن عائشة ثقیل أول بالسبابة في مجرى البصر عن الهشامي، وذكر غيره أنه لإبراهيم. وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضاً رمل بالوسطی، ولا بن سريج خفيف رمل بالبصر. وقيل: إن الرمل لعمر الوادي، وهو أن يكون له أشبه. ومنها:

صوت

ظبية أدماء مثل الهلال

طرقنتي وصحابي هجوع

واستقلت في رؤوس الجبال

مثل قرن الشمس لما تبدت

عندنا سلمى ألوف الحجال

تقطع الأهوال نحوي وكانت

وحشة قتالة للرجال

كم أجازت نحونا من بلاد

لابن محرز فيه ثقل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث. ولابن سريج في الأول وما بعده خفيف ثقل بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لابن عائشة ذكر الهشامي أنه رمل بالوسطى. وفي خفيف رمل ينسب إلى ابن سريج وعمر الوادي. ومنها:

صوت

أنا الوليد الإمام مفتخراً	أنعم بالي وأتبع الغز لا
أهوى سليمى وهي تصرمني	وليس حقاً جفاء من وصلا
أسحب بردى إلى منازلها	ولا أبالي مقال من عدلا

غنى فيه أبو كامل رمل بالبنصر. وغنى عمر الوادي فيه خفيف رمل بالوسطى، ويقال إن هذا اللحن للوليد. أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال الوليد على لسان سلمى:

صوت

أقر مني على الوليد السلاما	عدد النجم قل ذا للوليد
حسداً ما حسدت أختي عليه	ربنا بيننا وبين سعيد

غناه الهذلي خفيف ثقل أول بالوسطى عن ابن المكي.

غضب على جاريته ثم صالحها

لشعر رجل من قریش:

حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا خالد بن النضر القرشي بالبصرة قال حدثنا أبو حاتم السجستاني قال حدثنا العتي قال: كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صدوف، فغاضبها، ثم لم يقطع قلبه فجعل يتسبب لصلحها، فدخل عليه رجل قرشي من أهل المدينة فكلمه في حاجة وقد عرف خبره، فبرم به، فأنشده:

أعتبت أن عتبت عليك صدوف	وعتاب مثلك مثلها تشريف
لا تقعدن تلوم نفسك دائماً	فيها وأنت بحبها مشغوف
إن القطيعة لا يقوم لمثلها	إلا القوي ومن يحب ضعيف
الحب أملك بالفتى من نفسه	والذل فيه مسلك مألوف

قال: فضحك وجعل ذلك سبباً لصلحها، وأمر بقضاء حوائج القرشي كلها.
استقدم حماداً الراوية ليسأله عن شعر وأجازه: أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال قال حماد الراوية: استدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفين لنفقتي وألفين لعيالي، فقدمت عليه. فلما دخلت داره قال لي الخدم: أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء، فسلمت بالخلافة، فقال لي: يا حماد، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: ثم ثاروا، فلم أدر ما يعني فقال: ويحك يا حماد! ثم ثاروا، فقلت في نفسي: راوية أهل العراق لا يدري عما يسأل! ثم انتهت فقلت:

قينة في يمينها إبريق

ثم ثاروا إلى الصبح فقامت

صفى سلافها الراووق

قدمته على عقار كعين الديك

ن وقامت لدى اليهودي سوق

ثم فض الختام عن حاجب الد

أريحيّ غذاه عيش رقيق

فسباها منه أشم عزيز

الشعر لعدي بن زيد. والغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالبنصر. وفيه لمالك خفيف رمل. ولعبد الله بن العباس الربيعي رمل، كل ذلك عن الهشامي قال: فإذا جارية قد أخرجت كفا لطيفة من تحت الستر في يدها قدح، والله ما أدري أيهما أحسن الكف أم القدح، فقال: رديه فما أنصفناه! تغدينا ولم نغده! فأتيت بالغداء، وحضر أبو كامل مولاه فغناه: صوت

لا تدرها ليسار

أدر الكأس يميناً

صاحب العود النضار

اسق هذا ثم هذا

منذ دهر في جرار

من كميت عتقوها

وكافور وقار

ختموها بالأفاويه

غير مبعوث لنار

فلقد أيقنت أني

يركبوا أير الحمار

سأروض الناس حتى

نة يسعى لتبار

وذروا من يطلب الحج

فيه هزجان بالوسطى والبنصر لعمر الوادي وأي كامل فطرب وبرز إلينا وعليه غلالة موردة، وشرب حتى سكر. فأقمت عنده مدة ثم أذن بالانصراف، وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم.

حكاية تروى عن تهتكه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: لما ولي الوليد بن يزيد لهج بالغناء والشراب والصيد، وحمل المغنين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشعب فجاء به، فألبسه سراويل من جلد قرد له ذنب، وقال له: ارقص وغني شعراً يعجبني، فإن فعلت فلك ألف درهم، فغناه

فأعجبه فأعطاه ألف درهم.

ودخل إليه يوماً، فلما رآه الوليد كشف عن أيره وهو منعطٌ - قال أشعب: فرأيت أنه مزمار آبنوس مدهون - فقال لي: أرايت مثله قط؟ قلت: لا يا سيدي، قال: فاسجد له، فسجدت ثلاثاً، فقال: ما هذا؟ قلت: واحدة لأيرك وثلثين لخصيتيك. قال: فضحك وأمر لي بجائزة.

قال: وتكلم بعض جلسائه والمغنية تغني، فكره ذلك وأضجره، فقال لبعض جلسائه: قم فنكه، فقام فناكه والناس حضوراً وهو يضحك.

وذكرت جارية أنه واقعها يوماً وهو سكران، فلما تنحى عنها آذنه المؤذن بالصلاة، فحلف ألا يصلي بالناس غيرها، فخرجت متلثمة فصلت بالناس.

قال: ونزل على غدير ماء فاستحسنه. فلما سكر حلف ألا يبرح حتى يشرب ذلك الغدير كله ونام، فأمر العلاء بن البندار بالقرب والروايا فأحضرت، فجعل يترحه ويصبه على الأرض والكثب التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء، فلما أصبح الوليد رآه قد نشف فطرب وقال: أنا أبو العباس! ارتحلوا. فارتحل الناس.

نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال النضر بن حديد حدثني ابن أبي جناح قال أخبرني عمر بن جبلة: أن الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدته المبيت، فقال حين انصرف:

ريا العظام كأن المسك في فيها

قامت إلي بتقبيل تعانقني

نفسى لنفسك من داء تقديها

ادخل فديتك لا يشعر بنا أحد

من شدة الوجد تدنيني وأدنيها

بتنا كذلك لا نوم على سرر

حان الفراق فكاد الحزن يشجيا

حتى إذا ما بدا الخيطان قلت لها

والله عني بحسن الفعل يجزيها

ثم انصرفت ولم يشعر بنا أحد

مر بنسوة من بني كلب استسقاها وقال فيهن شعراً: وحدثني النضر بن حديد قال حدثنا هشام بن الكلبي عن خالد بن سعيد قال: مر الوليد بن يزيد وهو متصيد بنسوة من بني كلب من بني المنجاب، فوقف عليهن واستسقاها وحدثهن وأمر لهن بصلة، ثم مضى وهو يقول:

حور المدامع من بني المنجاب

ولقد مررت بنسوة أعشيني

غرثي الوشاح دقيقة الأنياب

فيهن خرعة مليح دلها

وتزين باديها من الأعراب

زين الحواضر ما ثوت في حضرها

أطلق غزلاً صاده لشبهه سلمى: قال النضر وحدثني ابن الكلبي عن أبيه: أن الوليد خرج يتصيد ذات يوم، فصادت كلابه غزلاً، فأتي به فقال: خلوه، فما رأيت أشبه منه جيداً وعينين بسلمى. ثم أنشأ يقول:

قد أردنا ذبحه لما سنح

ولقد صدنا غزلاً سانحاً

حين أزعج طرفه ثم لمح

فاعلمي ذاك لقد كان انذبح

فاغد في الغزلان مسروراً ورح

فإذا شبهك ما ننكره

فتركناه ولولا حبكم

أنت يا ظبي طليق آمن

بعث إلى شراعة بن الزندبوذ وماجنه: نسخت من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن واقد الدمشقي قال: بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة بن الزندبوذ، فلما قدم عليه قال: يا شراعة، إني لم أستحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ولا لتحديثي ولا لتقرئي القرآن، قال: لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً. قال: فكيف علمك بالفتوة؟ قال: ابن بجدها، وعلى الخبر بها سقطت، فسل عما شئت. قال: فكيف علمك بالأشربة؟ قال: ليسألني أمير المؤمنين عما أحب. قال: ما قولك في الماء؟ قال: في الحياة، ويشركني فيه الحمار. قال: فاللين؟ قال: ما رأيته قط إلا ذكرت أمي فاستحيت. قال: فالخمر؟ قال: تلك السارة البارة وشراب أهل الجنة. قال: لله درك! فإي شيء أحسن ما يشرب عليه؟ قال: عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه السماء في كن من الحر والقر كيف يختار عليها شيئاً! الوليد وحادثة المصحف: قال وأخبرنا عمرو بن أبيه عن يحيى بن سليم قال: دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف، فلما فتحه وافق ورقة فيها: "واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد. من ورائه جهنم ويسقى من ماءٍ صديدٍ"، فقال: أسجعاً سجعاً! ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مزقه، ثم قال:

فها أنا ذاك جبار عنيد

فقل لله مزقني الوليد

أتوعد كل جبار عنيد

إذا لاقيت ربك يوم حشر

قال: فما لبث بعد ذلك إلا يسيراً حتى قتل.

غضب على جارية أمرها بالغناء في شعر لم تعرفه: أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال حدثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عياش المروزي من أهل ذي المروة أن أباه حمل عدة جوار إلى الوليد بن يزيد، فدخل إليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسن الوجه والشعرة وفيها، فأمر الوليد جاريةً منهم أن تغني:

أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد

لو كنت من هاشم أو من بني أسد

وأمرها أخوه أن تغني:

حدا بزلاً يسرن ببطن واد

أتعجب أن طربت لصوت حاد

فغنت ما أمرها به الغمر، فغضب الوليد واحمر وجهه، وظن أنها فعلت ذلك ميلاً إلى أخيه. وعرفت الشر في وجهه، فاندفعت فغنت: صوت

وبعادي وما عمدت لذاكا

أيها العاتب الذي خاف هجري

أترى أنني بغيرك صبُّ
جعل الله من تظن فداكا
أنت كنت الملول في غير شيء
بئس ما قلت ليس ذاك كذاكا
ولو أن الذي عتبت عليه
خير الناس واحداً ما عداكا
فارض عني جعلت نعليك إني
والعظيم الجليل أهوى رضاكا

- الشعر لعمر .أخ والغناء لمبعد من روايتي يونس وإسحاق، ولحنه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر. وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحناً - قال: فسري عن الوليد وقال لها: ما منعك أن تغني ما دعوتك إليه؟ قالت: لم أكن أحسنه، وكنت أحسن الصوت الذي سألتيه، أخذته من ابن عائشة، فلما تبينت غضبك غنيت هذا الصوت وكنت أخذته من معبد. تعني الذي اعتذرت به إليه.
نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت

لو كنت من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد
أو من بني نوفل أو آل مطلب أو من بني جمح الخضر الجلاعيد
أو من بني زهرة الأبطال قد عرفوا
الله درك لم تهتم بتهديد

الشعر لحسان بن ثابت، يقوله لمسافع بن عياض أحد بني تيم بن مرة، وخبره يذكر بعد هذا. والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر ، وقيل: إنه للملك. ومنها: صوت

أتعجب أن طربت لصوت حاد
فلا تعجب فإن الحب أمسى
حدا بزلاً يسرن ببطن واد
لبنثة في السواد من الفؤاد

الشعر لجميل. والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر.

غننته جارية بشعر المخزومي فطرب وأمر بشرائها: أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم قال: عرضت على الوليد بن يزيد جاريةً مغنية، فقال لها: غني، فغنت: صوت

لولا الذي حملت من حبكم
أو مذهب في الأرض ذو فسحة
أجل ومن حبت له مذحج
لكن سباني منهم شادن
قد ضاق عنه الحجل والدملج
أغر ممكور هضيم الحشى

فقال لها الوليد: لمن هذا الشعر؟ قال: للوليد بن يزيد المخزومي. قال: فمن أخذت الغناء؟ قالت: من حين. فقال: أعيديه، فأعادته فأجادت، فطرب الوليد ونعر وقال: أحسنت وأبى وجمعت كل ما يحتاج إليه في غنائك،

وأمر بابتلاعها، وحظيت عنده.

غنى في هذا الصوت ابن سريج ولحنه رمل بالنصر. وغنى فيه إسحاق فيما ذكر الهشامي خفيف ثقيل. ومما يغني به من هذه القصيدة: صوت

لجوا علينا ليت لم يلججوا

قد صرح القوم وما لجلجوا

قد زانها الخلال والدملج

باتوا وفيهم كالمها طفلة

غناه صباح الخياط خفيف ثقيل بالنصر. وغنى فيه ابن أبي الكنات خفيف ثقيل بالوسطى. حسان بن ثابت وهجوه مسافع بن عياض: فأما خبر الشعر الذي قال حسان بن ثابت لمسافع بن عياض أحد بني تيم بن مرة، فأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عثمان بن عبد الرحمن: أن عبيد الله بن معمر وعبد الله بن عامر بن كريز اشتريا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقيقاً ممن سي، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم، فأمر بهما عمر أن يلزما. فمر بهما طلحة بن عبيد الله وهو يريد الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما لابن معمر يلازم؟ فأخبر خبره، فأمر له بالأربعين ألفاً التي عليه تقضى عنه. فقال ابن معمر لابن عامر: إنما إن قضيت عني بقيت ملازماً، وإن قضيت عنك لم يتركني طلحة حتى يقضي عني، فدفع إليه الأربعين ألفاً درهم فقضاها ابن عامر عن نفسه وخلت سبيله. فمر طلحة منصرفاً من الصلاة فوجد ابن معمر يلازم فقال: ما لابن معمر؟ ألم أمر بالقضاء عنه! فأخبر بما صنع، فقال: أما ابن معمر فعلم أن له ابن عم لا يسلمه، أحملوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه، ففعلوا وخلي سبيله. فقال حسان بن ثابت لمسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة:

قبل القذاف بصم كالجلايد

يا آل تيم ألا تنهون جاهلكم

إن عاد ما اهتز ماء في ثرى عود

فنهزه فإني غير تارككم

أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد

لو كنت من هاشم أو من بني أسد

أو من بني جمح الخضر الجلايد

أو من بني نوفل أو آل مطلب

لله درك لم تهتم بتهديد

أو من بني زهرة الأبطال قد عرفوا

أو من بني الحارث البيض الأماجيد

أو في الدؤابة من تيم إذا انتسبوا

لطلحة بن عبيد الله ذي الجود

لكن سأصرفها عنكم وأعدلها

رجع الخبر إلى سياقه أخبار الوليد: الوليد بن يزيد وأبو الأقرع الشاعر: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال قال الهيثم حدثني ابن عياض قال: دخل أبو الأقرع على الوليد بن يزيد، فقال له: أنشدني قولك في الخمر، فأنشد قوله:

لها في عظام الشاربين دبيب

كميتٌ إذا شجت وفي الكأس وردةٌ

لوجه أخيها في الإناء قطوب

تريك القذى من دونها وهي دونه

فقال الوليد: شربتها يا أبا الأقرع ورب الكعبة! فقال: يا أمير المؤمنين، لئن كان نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك بها.

رأى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن فأعجبته: أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهيويه قال حدثني عبد الله بن عمرو قال قال المدائني: نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف وقد مروا بين يديها بالشمع ليلاً، فلما رآها أعجبتته وراعه جمالها وحسنها، فسأل عنها فقليل له: إن لها زوجاً، فأنشأ يقول: صوت

شجوه بعد المشيب

إنما هاج لقلبي

قلب من أم حبيب

نظرةٌ قد وقرت في الـ

ذقت عذباً ذا غروب

فإذا ما ذقت فاها

خالص غير مشوب

خالط الراح بمسك

غناه ابن محرز خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشامي، وذكر عمرو بن بانة أنه للأبجر، وهو الصحيح. الوليد بن يزيد في آخر دولته: أخبرني عمي قال حدثني الكراي عن النضر بن عمرو عن العتي قال: لما ظهرت المسودة بخراسان كتب نصر بن سيار إلى الوليد يستمده، فتشاغل عنه، فكتب إليه كتاباً وكتب في أسفله يقول:

وأحر بأن يكون له ضرام

أرى خلل الرماد وميض جمرٍ

وإن الحرب مبدؤها الكلام

فإن النار بالعودين تذكي

أيقاظُ أمية أم نيام

فقلت من التعجب ليت شعري

فكتب إليه الوليد: قد أقطعتك خراسان، فاعمل لنفسك أودع، فإني مشغول عنك بآبن سريج ومبعد والغريض. أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهيويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن الصباح عن ابن الكلبي عن حماد الراوية قال: دخلت يوماً على الوليد وكان آخر يوم لقيته فيه، فاستنشدني كل ضرب من شعر أهل الجاهلية والإسلام، فما هش لشيء منه حتى أخذت في السخف فأنشدته لعمار ذي مجنبذاً:

ك مكاناً مجنبذاً

أشتهي منك منك من

ه بأير كمثل ذا

فأجا فيه فيه في

مأ جميعاً تجابذا

ليت أيري وحرك يو

وأخذ ذا بقعر ذا

فأخذ ذا بشعر ذا

فضحك حتى استلقى وطرب، ودعا بالشراب فشرب، وجعل يستعديني الأبيات فأعيدها حتى سكر وأمر لي بجائزة، فعلمت أن أمره قد أدبر. ثم أدخلت على أبي مسلم فاستنشدني فأنشدته، قول الأفوه :

لنا معشر لم يبنوا لقومهم

فلما بلغت إلى قوله:

تهدى الأمور بأهل الرشد ما صلحت وإن تولت فبالأشرار تنقاد

قال: أنا ذلك الذي تنقاد به الناس، فأيقنت حينئذ أن أمره مقبل.

خطب يوماً خطبة الجمعة بشعر: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: وجدت في كتاب عن عبيد الله بن سعيد الزهري عن عمر عن أبيه قال: خرج الوليد بن يزيد وكان من أصحابه على شراب، ف قيل له: إن اليوم الجمعة، فقال: والله لأخطبهم اليوم بشعر، فصعد المنبر فخطب فقال:

أحمده في يسرنا والجهد

وهو الذي ليس له قرين

أن لا إله غيره إلهاً

قد خضعت لملكه الملوك

فليس من خالفه بمهتدي

القادر الفرد الشديد البطش

وبالكتاب واعظاً بشيراً

الحمد لله ولي الحمد

وهو الذي في الكرب أستعين

أشهد في الدنيا وما سواها

ما إن له في خلقه شريك

أشهد أن الدين دين أحمد

وأنه رسول رب العرش

أرسله في خلقه نذيراً

وقد جعلنا قبل مشركينا

أو يعصه أو الرسول خابا

قد بقيا لما مضى الرسول

حي صحيح لا يزال فيكم

عن قصده أو نهجه تضلوا

إن الطريق فاعلمن واضح

يوم الحساب صائراً إلى الهدى

أرى جماع البر فيه قد دخل

ليظهر الله بذاك الدينا

من يطع الله فقد أصابا

ثم القران والهدى السبيل

كأنه لما بقى لديكم

إنكم من بعد إن تزلوا

لا تتركن نصحي فإني ناصح

من يتق الله يجد غب التقى

إن التقى أفضل شيء في العمل

يوم اللقاء تعرفوا ما سركم

فانتفعوا بذلك إن عقلتم

وما يقدم من صلاح يحمد

فالموت منكم فاعلموا قريب

خافوا الجحيم إخوتي لعلمكم

قد قيل في الأمثال لو علمتم

ما يزرع الزارع يوماً يحصده

فاستغفروا ربكم وتوبوا

ثم نزل.

الوليد بن يزيد والوليد البندار: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه عن الوليد البندار قال: حججت مع الوليد بن يزيد، فقلت له لما أراد أن يخطب الناس: أيها الأمير، إن اليوم يوم يشهده الناس من جميع الآفاق، وأريد أن تشرفني بشيء. قال: وما هو؟ قلت: إذا علون المنبر دعوت بي فيتحدث الناس بذلك وبأنك أسررت إلي شيئاً، فقال: أفعل. فلما جلس على المنبر قال: الوليد البندار، فقامت إليه، فقال: ادن مني فدنوت، فأخذ بأذني ثم قال: البندار ولد زنا، والوليد ولد زنا، وكل من ترى حولنا ولد زنا، أفهمت؟ قلت: نعم، قال: انزل الآن، فترلت.

نادرة له مع أشعب: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن أشعب قال: دخلت على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول الخاسر وقد تناول نبيذاً، فقال له: تئن، فقلت: يتمنى أمير المؤمنين ثم أتمنى، قال: فإنما أردت أن تغليبي، فإني لأتمنى ضعف ما تتمنى به كأننا ما كان، قلت: فإني أتمنى كفلين من العذاب، فضحك ثم قال: إذا نوفرهما عليك. ثم قال لي: ما أشياء تبلغني عنك؟ قلت: يكذبون علي. قال: متى عهدك بالأصم؟ قلت: لا عهد لي به. فأخرج أيره كأنه ناي مدهون، فسجدت له ثلاث سجعات، فقال: ويلك إنما يسجد الناس سجدة واحدة، فقلت: واحدة للأصم واثنين لخصيتيك.

كان يغالي بالجوهر: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال حدثني عبد الصمد بن موسى الهاشمي قال: إنما أغلى الجوهر بنو أمية، ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ويغيرها في اليوم مراراً كما تغير الثياب شغفاً، فكان يجمعه من كل وجه ويغالي به.

برز للناس ركباً فرساً وهو متهتك: قال: وكان يوماً داره على فرس له جارية تضرب بطبل قدامه، فأخذه منها ووضعها على رقبته، ونفر الفرس من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة، وكان خليعاً. قدم المدينة وبعث لابن يسار بخمر: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني عن جويرية بن أسماء قال: قدم الوليد بن يزيد المدينة، فقلت لإسماعيل بن يسار: أحذنا مما أعطاك الله، فقال: هلم أقاسمك إن قبلت، بعث إلي براوية من خمر.

مر بإسكار حاجبه وكان لا يشرب: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني رجل قال: كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يوم الاثنين تغدى وشرب رطلين ثم جلس للناس. قال: فحدثني عمر الوادي قال: دخلت عليه وعنده أصحابه وقد تغدى وهو يشرب، فقال له: اشرب فشربت،

وطرب، وغنى صوتاً واحداً وأخذ دفافة فدفف بها، فأخذ كل واحد منا دفافة فدفف بها، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب، فلما رأنا الحاجب صاح بالناس: الحرم الحرم، اخرجوا. ودخل الحاجب فقال: جعلني الله فداءك، اليوم يحضر فيه الناس، فقال له: اجلس واشرب، فقال: إنما أنا حاجب فلا تحملين على الشراب فما شربته قط، قال: اجلس فاشرب، فامتنع، فما فارقناه حتى صببنا في حلقه بالقمع وقام وهو سكران. قيل إنه افترع بنتاً له وكذب ذلك أبو الفرج:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن شريك قال حدثني عمي علي بن عمرو قرقرة قال حدثني أنيف بن هاشم بن الكلبي ومات قبل أبيه قال حدثني أبي قال: خرج الوليد بن يزيد من مقصورة إلى مقصورة، فإذا هو ببنت له معها حاضنتها، فوثب عليها فاقترعها، فقالت له الحاضنة: إنها المجوسية، قال: اسكتي! ثم قال:

من راقب الناس مات غمًّا وفاز باللذة الجسور

وأحسب أنا أن هذا الخبر باطل، لأن هذا الشعر لسلم الخاسر، ولم يدرك زمن الوليد. تمنى غلاء الخمر وعزة النساء لثلاثا يتذلاً: أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مسلمة بن سلم الكاتب قال: قال الوليد بن يزيد: وددت أن كل كأس تشرب من خمر بدينار، وأن كل حرٍ في جبهة أسد، فلا يشرب إلا سخي، ولا ينكح إلا شجاع. شرب شرب الفرس سبعة أسابيع: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال: سمعت رجلاً يحدث أبي الكوفة قال: أرسلت إلى الوليد جفنة مملوءة فرعونية قوارير لم ير مثلها قط. فلما أُمسينا صببنا فيها الشراب في ليلة أربع عشرة، حتى إذا استوى القمر على رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد: في أي منزلة القمر الليلة؟ فقال بعضهم: في الحمل، وقال بعضهم: في منزلة كذا وكذا من منازل القمر، فقال بعض جلسائه: القمر في الجفنة، قال: قاتلك الله! أصبت ما في نفسي! لتشربن الهفتجنة. فقال مصعب: فسأل أبي عن الهفتجنة فقال: شرب كانت الفرس تشربه سبعة أسابيع. فشرب تسعة وأربعين يوماً. غناه المغنون فطرب واعترض على شعر لابن أذينة: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال أخبرني خالد صامة المغني وكان من أحسن الناس غناءً على عود، قال: بعث إلي الوليد بن يزيد، فقدمت عليه، فوجدت عنده معبداً ومالكاً واهذلي، وعمر الوادي وأبا كامل، فعنى القوم ونحن في مجلس يا له من مجلس! وغلماً للوليد له سيرة يسقي القوم الطلاء، إذ جاءت نوبة الغناء إلي، فأخذت عودي فغنيت بأبيات قالها عروة بن أذينة يرثي أخاه بكراً: صوت

سرى همي وهم المرء يسري وغار النجم إلا قيد فتر

أراقب في المجرة كل نجم تعرض في المجرة كيف يجري

بحزن ما أزال مديماً كأن القلب أسعر حر جمر

على بكر أخى ولى حميداً

وأى العيش يحسن بعد بكر

- غناه ابن سريج ثاني ثقل بالوسطى. وغنى فيه ابن عباد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشامي - قال خالد: فقال لي الوليد: أعد يا صام فأعدت، فقال: من يقوله ويحك؟ قلت: بان أذنية، قال: هذا والله العيش الذي نحن فيه على رغم أنفه، لقد تحجر واسعاً. قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عبد الله بن أبي فروة: وأنشدها ابن أذنية ابن أبي عتيق، فضحك ابن أبي عتيق وقال: كل العيش يحسن حتى الخبز والزيت، فحلف ابن أذنية لا يكلمه أبداً، فمات ابن أبي عتيق وابن أذنية مهاجرًا له. أنشدت سكينه بنت الحسين شعر ابن أذنية فاعترضت عليه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال: بلغني أن سكينه بنت الحسين رضي الله عنها أنشدت، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن مصعب قال: أنشدت سكينه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن عباد عن أبيه عن أبي يحيى العبدي: أن سكينه أنشدت أبيات عروة بن أذنية في أخيه بكر، فلما انتهت إلى قوله:

على بكر أخى ولى حميداً

وأى العيش يحسن بعد بكر

قالت سكينه: ومن أخوه بكر! أليس الدحداح الأسيد القصير الذي كان يمر بنا صباحاً ومساءً؟ قالوا: نعم، قالت: كل العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت. سبق سليمان بن عبد الملك بين المغنين ببدره فأخذها ابن سريج: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلي عن إسحاق قال:

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة، فجمع المغنين وسبق بينهم ببدره، وقال: أيكم كان أحسن غناءً فهي له، فاجتمعوا. فبلغ الخبر ابن سريج، فجاء وقد أغلق الباب، فقال للحاجب: استأذن لي، قال: لا يمكن وقد أغلق الباب، ولو كنت جئت قبل أن يغلق الباب لاستأذنت لك. قال: فدعني أغن من شق الباب، قال نعم. فسكت حتى فرغ جميع المغنين من غنائهم ثم اندفع فغنى:

سرى همي وهم المرء يسري

فنظر المغنون بعضهم إلى بعض وعرفوه، فلما فرغ قال سليمان: أحسن والله! هذا والله أحسن منكم غناءً، أخرج يا غلام إليه بالبدره، فأخرجها إليه.

الوليد بن يزيد وفرسه السندي: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة: أن رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً، فكان فيها فرس مربوع قريب الركاب، فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام، فنهر الرجل وشمته وقال: أتجيء بمثل هذا إلى أمير المؤمنين! ردوه عليه، فردوه. فلما خرج وجه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه، فهو فرسه الذي يسميه السندي.

فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيد وحده، فانتدب إليه مولى لهشام يريد الفتك به. فلما بصر به الوليد حاوله فقهره بفرسه الذي كان تحته فقتله. وقال في ذلك:

ألم ترأني بين ما أنا آمنٌ
تطلعت من غورٍ فأبصرت فارساً
يخب بي السندي قفراً فيافيا
ولما بدا لي أنما هو فارس
فأوجست منه خيفةً أن يرانبا
رمانى ثلاثاً ثم إنني طعنته
وقفت له حتى أتى فرمانبا
فرويت منه سعدتي وسانبا

غناه أبو كامل لحناً من الماخوري بالبنصر. ولإبراهيم فيه ثقل أول، وقيل: إن له فيه ماخورياً آخر. وفيه لعمر
الوادي ثاني ثقل. ولملك رملٌ من رواية الهشامي.
قال: وقال الوليد أيضاً في فرسه السندي:

قد أغتدي بذى سبيبٍ هيكَل
أعدته لحلبات الأحوال
مشرب مثل الغراب أرجل
ولك نقع نائرٍ لجحفل

وكل خطب ذي شؤون معضل

فقال هشام: لكننا أعددنا له ما يسوءه، نخلعه ونقصيه، فيكون مهاناً مدحوراً مطرحاً.
ماتت سلمى بعد زفافها بسبعة أيام فرثاها: نسخت من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو الحسن العقيلي: أن
الوليد لما ولي الخلافة خطب سلمى التي كان ينسب بها، فزوجها لما مضى صدرٌ من خلافته، فقامت عنده سبعة
أيام فماتت، فقال يرثيها:

يا سلم كنت كجنةٍ قد أطعمت
أربابها شفقاً عليها نومهم
أفنانها دانٍ جناها موضع
تحليل موضعها ولما يهجعوا
حتى إذا فسح الربيع طنونهم
نثر الخريف ثمارها فتصدعوا

أمر وهو سكران بقتل نديمه القاسم ثم ندم ورثاه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أحمد بن يحيى
ثعلب عن أبي العالبة، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه: أن الوليد بن يزيد
لما أهتمك على شربه ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصص والعسف مع المغنين مثل مالك ومعبد
وابن عائشة وذويهم، كان نديمه القاسم بن الطويل العبادي، وكان أديباً ظريفاً شاعراً، فكان لا يصبر عنه، فغناه
معبد ذات يوم شعر عدي: صوت

يكر العاذلون في وضح الص
لست أدري وقد جفاني خليلي
بح يقولون لي ألا تستفيق
ثم قالوا ألا اصبحونا فقامت
أعدو يلومني أم صديق
قدمته على عقار كعين الد
قينة في يمينها إبريق
يك صفى سلافها الراووق

- فيه لمعبد ثقيل ويقال إنه لحنين. وفيه لمالك خفيف رمل. وفيه لعبد الله بن العباس رملٌ كل ذلك عن الهشامي
- قال: فاستحسنه الوليد وأعجب به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر فنام في موضعه،
فانصرف ابن الطويل. فلما أفاق الوليد سأل عنه، فعرف حين انصرافه، فغضب وقال وهو سكران لغلام كان
واقفاً على رأسه يقال له سيرة: أثني برأسه، فمضى الغلام حتى ضرب عنقه وأتاه برأسه فجعله في طست بين
يديه، فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعرفه، فاسترجع وندم على ما فرط منه، وجعل يقلب الرأس بيده. ثم قال
يرثيه: صوت

جودا بأربعة همول

عيني للحدث الجليل

يشفي الفؤاد من الغليل

جودا بدمع إنه

فيه عظام ابن الطويل

لله قبرٌ ضمنت

فيه من اللب الأصيل

ماذا تضمن إذ ثوى

ك إلى ذرى كهف ظليل

قد كنت آوي من هوا

فرداً بموجة السيول

أصبحت بعدك واحداً

غناه الغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وغنى فيه سليم لحناً من الثقيل الأول بالبنصر عن الهشامي، وذكر
غيره أن لحن الغريض لدحمان، وذكر حبش أنه لأبي كامل، وذكره غيره أن لحن الغريض لدحمان قال: ثم دخل
إلى حواريه فقال: والله ما أبالي متى جاعني الموت بعد الخليل ابن الطويل. فيقال: إنه لم يعيش بعده إلا مديدة حتى
قتل. والله أعلم.

أجاز حماداً الراوية لطربه لشعر أنشده إياه: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال روى الهيثم بن عدي
عن ابن عياش عن حماد الراوية قال: دعاني الوليد يوماً من الأيام في السحر والقمر طالعٌ وعنده جماعة من ندمائه
وقد اصطبح، فقال: أنشدني في النسيب، فأنشدته أشعاراً كثيرة، فلم يهش لشيء منها، حتى أنشدته قول عمار
ذي كناز:

في الأباريق تحتذى

اصبح القوم قهوة

حبذا تلك حبذا

من كميت مدامة

فطرب. ثم رفع رأسه إلى خادم وكان قائماً كأنه الشمس، فأوماً إليه فكشف ستراً خلف ظهره، فطلع منه
أربعون وصيفاً كأنهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريق والمناديل، فقال: أسقوهم، فما بقي أحد إلا أسقي، وأنا في
خلال ذلك أنشده الشعر، فما زال يشرب ويسقي إلى طلوع الفجر. ثم لم نخرج عن حضرته حتى حملنا
الفراشون في البسط فألقونا في دار الضيافة، فما أفقنا حتى طلعت الشمس. قال حماد: ثم أحضرني فخلع علي

خلعاً من فاخر ثيابه وأمر بعشرة آلاف درهم وحملني على فرس.
خاصم وكيله الجعفري في أرض لدى هشام فلم ينصفه فقال هو شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد
بن الحارث عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: للوليد بن يزيد يخاصم الجعفري في الرحبة من أرض دمشق،
وكان الجعفري قد استولى عليها فقطع شجرة الأعلى، فاستعدى عليه هشاماً فلم يعده، فقال الوليد في ذلك:

أيا حكم المتبول لو كنت تعتزى إلى أسرة ليسوا بسود زعانف

لأيقنت قد أدركت وتركت عنوة بلا حكم قاض بل بضرب السوالف

غناه الهذلي ثقيلاً أول عن الهشامي ويونس قال: فلما استخلف الوليد بعث إلى بكر بن نوفل الجعفري فقال: ألا
تعطي حكم بن الزبير حقه! قال: لا، فأمر به فشترت عينه. ثم قال:

يا رب أمر ذي شؤون جحفل قاسيت فيه جلبات الأحول

مات ابنه مؤمن ونعاه إليه سنان الكاتب وهو سكران فرثاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث
عن المدائني قال: خرج الوليد إلى متصيد له فأقام به، ومات له ابن يقال له مؤمن بن الوليد، فلم يقدر أحد أن
ينعاه إليه، حتى ثمل فنعاه إليه سنان الكاتب وكان مغنياً، فقال الوليد - وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي
أختيرت للوائح والرشيد قبله - : صوت من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أتاني سنان بالوداع لمؤمن فقلت له إني إلى الله راجع

ألا أيها الحاثي عليه ترابه هبلت وثلت من يديك الأصابع

يقولون لا تجزع وأظهر جلادة فكيف بما تحنى عليه الأضالع

عروضه من الطويل. غناه سنان الكاتب، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقل الأول بإطلاق الوتر في
مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لأبي كامل خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وقيل: إن فيه لحناً لعبد الله بن
يونس صاحب أيلة.

كتب له مؤدبه يزيد شعراً ينصحه فرد عليه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني
عقيل بن عمرو قال: قال يزيد بن أبي مساحق السلمي مؤدب الوليد شعراً وبعث به إلى النوار جارية الوليد،
فغنته به، وهو:

مضى الخلفاء بالأمر الحميد وأصبحت المذمة للوليد

تشاغل عن رعيته بلهو وخالف فعل ذي الرأي الرشيد

فكتب إليه الوليد:

ليت حظي اليوم من كل معاش لي وزاد

قهوةٌ أبذل فيها

طارفي ثم تلادي

فيظل القلب منها

هائماً في كل واد

إن في ذاك صلاح

وفلاح ورشادي

نهي بني أمية عن الغناء وقال إنه رقية الزنا: أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إبراهيم بن الوليد الحمصي قال حدثنا هارون بن الحسن العنبري قال: قال الوليد بن يزيد: يا بني أمية، إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة ويثور على الخمر ويفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين، فجنبوه النساء فإن الغناء رقية الزنا. وإني لأقول ذلك فيه على أنه أحب إلي من كل لذة وأشهى إلي من الماء البارد إلى ذي الغلة، ولكن الحق أحق أن يقال.

قال له بعض مواليه إن الناس أنكروا عليك البيعة لابنيك فأجابه وقال شعراً: أخبرني الحسن بن علي حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال حدثني بعض موالي الوليد قال: دخلت إليه وقد عقد لابنيه بعده وقدم عثمان، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أقول قول الموثوق بنصيحتته أو يسعني السكوت؟ قال: بل قل قول الموثوق به، فقلت: إن الناس قد أنكروا ما فعلت وقالوا: يبايع لمن لم يحتلم، وقد سمعت ما أكره فيك، فقال: عضوا بظهور أمهاتكم، أفأدخل بيني وبين ابني غيري، فيلقى منه كما لقيت من الأحوال بعد أبي! ثم أنشأ يقول: صوت

سرى طيف ذا الظبي بالعاقدا

ن ليلاً فهيج قلباً عميدا

وأرق عيني على غرة

فباتت بحزن تقاسى السهودا

نؤمل عثمان بعد الولي

د للعهد فينا ونرجو سعيدا

كما كان إذ كان في دهره

يزيد يرجي لتلك الوليدا

على أنها شسعت شسعة

فنحن نرجي لها أن تعودا

فإن هي عادت فعاص القري

ب منها لتؤيس منها البعيدا

- غناه أبو كامل ثاني ثقيل بالبصرة من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أن فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوري بالوسطى. وذكر الهشامي أن فيه خفيف رمل لحكم، وذكرت دنانير عن حكم أنه لعمر الوادي، وذكر حبش أن الثقيل الثاني للمالك وأن فيه لفضل النجار رماً بالبصرة - أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار قال: هو:

سرى طيف ظبي بأعلى الغوير

ولكن هذا تصحيف سليمان السوادي أو قال: خليل.

حبس يزيد الناقص وليي عهد الوليد وقتلهما: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق قال: كان الوليد قد بايع لابنيه الحكم وعثمان، وهو أول من بايع لابن سرية أمة، ولم يكونوا يفعلون ذلك، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص، فحبسهما ثم قتلتهما، وفيهما يقول ابن أبي عقرب:

إذا قتل الخلف المديم لسكره بقفر من البخراء أسس في الرمل

وسيق بلا جرم إلى التحف والردى بنياه حتى يذبها مذبج السخل

فويل بني مروان ماذا أصابهم بأيدي بني العباس بالأسر والقتل

تبع الكلبي الزنديق على قوله في ماني ورده العلاء البندار:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي عن العلاء البندار قال: كان الوليد زنديقاً، وكان رجل من كلب يقول بمقالته مقالة الثنوية، فدخلت على الوليد يوماً وذلك الكلبي عنده، وإذا بينهما سفطٌ قد رفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حريزٌ أخضر، فقال: ادن يا علاء فدنوت، فرفع الحريزة فإذا في السفط صورة إنسان وإذا الزئبق والنوشادر قد جعلاً في جفنه يطرف كأنه يتحرك، فقال: يا علاء، هذا ماني، لم يتبعث الله نبياً قبله ولا يتبعث نبياً بعده. فقلت: يا أمير المؤمنين، اتق الله ولا يغرنك هذا الذي ترى عن دينك. فقال له الكلبي: يا أمير المؤمنين، ألم أقل لك: إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث. قال العلاء: ومكنت أياماً، ثم جلست مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يشرف به والكلبي عنده، إذ نزل من عنده وقد كان الولد حمله على برذون هملاجٍ أشقر من أفره ما سخر، فخرج على برذونه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر، فما شعر إلا وأعرابٌ قد جاءوا به يحملونه منفسخةً عنقه ميتاً وبرذونه يقاد حتى أسلموه. فبلغني ذلك، فخرجت متعمداً حتى أتيت أولئك الأعراب، وقد كانت لهم آياتٌ بالقرب منه في أرض البخراء لا حجر فيها ولا مدر، فقلت لهم: كيف كانت قصة هذا الرجل؟ قالوا: أقبل علينا على برذون، فو الله لكأنه دهنٌ يسيل على صفاة من فراهته، فعجبنا لذلك، إذ انقض رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضبعيه فاحتمله ثم نكسه وضرب برأسه الأرض فدق عنقه ثم غاب عن عيوننا، فاحتملناه فجئنا به.

قصة الخارجين عليه ومقتله: وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال: لما أكثر الوليد بن يزيد التهلك واهتمك في اللذات وشرب الخمر وبسط المكروه على ولد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيه، مل الناس أيامه وكرهوه. وكان قد عقد لابنيه بعده ولم يكونا بلغا، فمشى الناس بعضهم إلى بعض في خلعه، وكان أقوالهم في ذلك يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، فمشى إلى أخيه العباس وكان امرأً صدقٍ ولم يكن في بني أمية مثله، كان يتشبه بعمر بن عبد العزيز فشكا إليه ما يجري على الناس من الوليد، فقال له: يا أخي، إن الناس قد ملوا بني مروان، وإن مشى بعضكم في أمر بعض أكلتم، والله أجل لا بد أن يبلغه فانتظره. فخرج من عنده ومشى إلى غيره، فبايعه جماعة من اليمانية الوجوه، فعاد إلى أخيه ومعه مولى له وأعاد عليه القول وعرض له

بأنه قد دعي إلى الخلافة، فقال له: والله لولا أي لا آمنه عليك من تحامله لوجهت بك إليه مشدوداً، فنشدتك الله ألا تسعى في شيء من هذا. فانصرف من عنده وجعل يدعو الناس إلى نفسه. وبلغ الوليد ذلك فقال يذكر قومه ومشى بعضهم إلى بعض في خلعه: صوت

بعلنداة علاة

سل هم النفس عنها

بخفاف مدمجات

تتقي الأرض وتهوي

كسروا سن قناتي

ذاك أم بال قومي

كقروء خاسئات

واستخفوا بي وصاروا

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك. والغناء لأبي كامل غزيل الدمشقي ماحوري بالبصرة. وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد:

هائماً بالفتيات

أصبح اليوم وليدٌ

ق وكأسٌ بالفلاة

عنده راح وإيري

ورماةً لرماة

ابعثوا خيلاً لخيّل

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدثني المدائني عن جويرية بن أسماء، وأخبرني بن ابن أبي الأزرع عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء قال: قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك: لما أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالى بين الشرب والهكم في اللذات، سئمه الناس ووعظه من أشفق عليه من أهله، فلما لم يقلع دبوا في خلعه. فدخل أبي بشر بن الوليد على عمي العباس بن الوليد وأنا معه، فجعل يكلم عمي في أن يخلع الوليد بن يزيد ومعه عمي يزيد بن الوليد، فكان العباس ينهأه وأبي يرد عليه، فكنت أفرح وأقول في نفسي: أرى أبي يجترى أن يكلم عمي ويرد عليه، فقال العباس: يا بني مروان، أظن أن الله قد أذن في هلاككم. ثم قال العباس:

مثل الجبال تسامى ثم تندفع

إني أعيذك بالله من فتنٍ

فاستمسكوا بعمود الدين وارتمعوا

إن البرية قد ملئت سياستكم

إن الذئاب إذا ما ألحمت رتعوا

لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم

فتم لا فديةً تغني ولا جزع

لا تبقرن بأيديكم بطونكم

قال المدائني عن رجاله: فلما استجمع ليزيد أمره وهو متبذراً قبل إلى دمشق، وبين مكانه الذي كان متبدياً فيه وبين دمشق أربع ليالٍ، فأقبل إلى دمشق متنكراً في سبعة أنفس على حمر وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أكثر أهل المزة. فقال مولى لعباد بن زياد: إني لبحرود - وبين جرود ودمشق مرحلة إذ طلع علينا سبعة معتمون

على حمر فترلوا، وفيهم رجل طويل جسيم، فرمى بنفسه فنام وألقوا عليه ثوباً، وقالوا لي: هل عندك شيء نشتره من طعام؟ فقلت: أما بيع فلا، وعندي من قراكم ما يشبعكم، فقالوا: فعجله، فذبحت لهم دجاجاً وفراخاً وأتيتهم بما حضر من عسل وسمن وشوانيز، وقلت: أيقظوا صاحبكم للغداء، فقالوا: هو محموم لا يأكل، فسفروا للغداء فعرفت بعضهم، وسفر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد، فعرفته فلم يكلمني. ومضوا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مشاةً إلى معاوية بن مصاد وهو بالمرّة - وبينها وبين دمشق ميل - فأصابهم مطر شديد، فأتوا منزل معاوية فضربوا بابه وقالوا: يزيد بن الوليد، فقال له معاوية: الفراش، ادخل أصلحك الله، قال: في رجلي طين وأكره أن أفسد عليك بساطك، فقال: ما تريدني عليه أفسد. فمشى على البساط وجلس على الفراش، ثم كلم معاوية فباعه. وخرج إلى دمشق فترل دار ثابت بن سليمان الحسني مستخفياً، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف، فخاف عبد الملك الوباء فخرج فترل قطعاً، واستخلف ابنه على دمشق وعلى شرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السلمي، وتم ليزيد أمره فأجمع على الظهور. وقيل لعامل دمشق: إن يزيد خارج فلم يصدق. وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء في ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة، فكمنا في ميضأة عند باب الفراديس، حتى إذا أذنوا العتمة دخلوا المسجد مع الناس فصلوا. وللمسجد حرسٌ قد وكلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل، فإذا خرج الناس خرج الحرس وأغلق صاحب المسجد الأبواب، ودخل الدار من باب المقصورة فيدفع المفاتيح إلى من يحفظها ويخرج. فلما صلى الناس العتمة صاح الحرس بالناس فخرجوا، وتباطأ أصحاب يزيد الناقص، فجعلوا يخرجونهم من باب ويدخلون من باب، حتى لم يبق في المسجد إلا الحرس وأصحاب يزيد، فأخذوا الحرس. ومضى يزيد بن عنبسة السكسكي إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال: قم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله ونصره، فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً. فلما كنا عند سوق القمح لقيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم، فمضوا حتى دخلوا المسجد وأتوا باب المقصورة، وقالوا: نحن رسل الوليد، ففتح لهم خادم الباب، ودخلوا فأخذوا الخادم، وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خزان البيت وصاحب البريد، وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذه. وأرسل من ليلته إلى محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بعلبك، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج فأخذهما. وبعث أصحابه إلى الخشبية فأتوه، وقال للبوايين: لا تفتحوا الأبواب غدوةً إلا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا. قال: فتركوا الأبواب في السلاسل. وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة، فلم يكن الخزان قبضوه، فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه وأصبحوا، وجاء أهل المزة مع حريث بن أبي الجهم. فما انتصف النهار حتى بايع الناس يزيد وهو يتمثل قول النابغة:

إذا استنزّلوا عنهن للطعن أرقّلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون: انظروا إلى هذا! كان قبيل الصبح يسبح وهو الآن ينشد الشعر. قال: وأمر

يزيد عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان فوقف بباب الجابية فنادى: من كان له عطاءً فليأت إلى عطائه، ومن لم يكن له عطاءً فله ألف درهم معونة، فبايع له الناس وأمر بالعطاء. قال: وندب يزيد بن الوليد الناس إلى قتال الوليد بن يزيد بن عبد العزيز، وقال: من انتدب معه فله ألفان، فانتدب ألفاً رجلاً، فأعطاهم وقال: موعداً ذنبه، فوافى ذنبه ألف ومائتا رجل، فقال: ميعادكم مصنعة بالبرية وهي لبني عبد العزيز بن الوليد، فوافاه ثمانمائة رجل، فسار فوافاهم ثقل الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فرسان منهم منصور بن جمهور ويعقوب بن عبد الرحمن السلمي والأصبغ بن ذؤالة وشبيب بن أبي ملك الغساني وحמיד بن نصر اللخمي، فأقبلوا فترلوا قريباً من الوليد. فقال الوليد: أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعد عليه. وأتاه خبر العباس بن الوليد: إني أجيئك. وأتى الوليد بفرسين الذائد والسندي، وقال: أعلي يتوآب الرجال وأنا أثب على الأسد وأتخصر الأفاعي!. وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم ولم يكن بينهم كبير قتال، فقتل عثمان الحشبي، وكان من أولاده الخشبية الذين كانوا مع المختار. وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليد، فأرسل منصور بن جمهور في جريدة خيل وقال: إنكم تلقون العباس بن الوليد ومعه بنوه في الشعب فخذوه. وخرج منصور في تلك الخيل وتقدموا إلى الشعب، وإذا العباس ومعه ثلاثون قد تقدموا أصحابه، فقال: اعدل إلى عبد العزيز، فشتمهم، فقال له منصور: والله لئن تقدمت لأنفذن حصينك بالرمح، فقال: إنا لله! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز. فقال له عبد العزيز: بايع ليزيد، فبايع ووقف، ونصبوا راية وقالوا: هذا العباس قد بايع. ونادى منادي عبد العزيز، من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمن، فقال العباس: إنا لله! خدعة من خدع الشيطان! هلك والله بنو مروان! فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس. وظاهر الوليد في درعين وقاتلهم. وقال الوليد: من جاء برأس فله خمسمائة درهم، فجاء جماعة بعدة رؤوس، فقالوا: اكتبوا أسماءهم، فقال له رجل من مواليه: ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يعامل فيه بالنسيئة. وناداهم رجال: اقتلوا اللوطي قتلة قوم لوط، فرموه بالحجارة. فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال: صوت

وكأساً ألا حسبي بذلك مالا

دعوا لي سليمى والطلاء وقينة

وعانقت سلمى لا أريد بدالا

إذا ما صفا عيش برملة عالج

ثباتاً يساوي ما حبيبت عقالا

خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم

ولا تحسدوني أن أموت هزالا

وخلوا عناني قبل غير وما جرى

غناه عمر الوادي رملاً بالوسطى عن حبش ثم قال لعمر الوادي: يا جامع لذتي، غني بهذا الشعر. وقد أحاط الجند بالقصر، فقال لهم الوليد من وراء الباب: أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه؟! فقال له يزيد بن عنيسة السكسكي: كلمني، فقال له الوليد: يا أبا السكاسك، ما تنقمون مني؟ ألم أزد في أعطياتكم وأعطية فقرائكم وأخدمت زمانكم ودفعت عنكم المؤن! فقال: ما ننقم عليك في أنفسنا شيئاً، ولكن ننقم عليك انتهاك

ما حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك واستخفافك بأمر الله. قال: حسبك يا أخا السكاسك! فلعمري لقد أغرقت فأكثر، وإن فيما أحل الله لسعة عما ذكرت. ورجع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال: يوم كيوم عثمان، ونشر المصحف يقرأ، فعلوا الحائط، فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة، فزل وسيف الوليد إلى جنبه، فقال له يزيد: نح سيفك، فقال الوليد: لو أردت السيف لكنت لي ولك حالة غير هذه. فأخذ بيده وهو يريد أن يدخله بيتاً، ويؤامر فيه، فزل من الحائط عشرة فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسري بن زياد بن أبي كبشة، فضربه عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربة وضربه السري بن زياد على وجهه، وجروه بين خمسة ليخرجوه، فصاحت امرأة كانت معه في الدار فكفوا عنه فلم يخرجوه، واحتز رأسه أبو علاقة القضاعي وخاط الضربة التي في وجهه بالعقب، وقدم بالرأس على يزيد، قدم به روح بن مقبل، وقال: أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق، فاستتم الأمر له وأحسن صلته. ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضع ذكره.

قال: ولما قتل الوليد بن يزيد جعل أبو محجن مولى خالد القسري يدخل سيفه في است الوليد وهو مقتول. فقال الأصمغ بن ذؤالة الكلبي في قتل الوليد وأخذهم ابنه:

وساداتهم من عبد شمس وهاشم

من مبلغ قيساً وخندف كلها

وبعنا ولي عهده بالدراهم

قتلنا أمير المؤمنين بخالد

وقال أبو محجن مولى خالد:

في است الوليد لماتوا عنده كمدا

لو شاهدوا حد سيفي حين أدخله

كان عمر الوادي يغنيه حين قتل: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن هشام بن الكلبي عن جرير قال: قال لي عمر الوادي: كنت أغني الوليد أقول: صوت

غلس الظلام من الرباب خيالاً

كذبتك نفسك أم رأيت بواسط

قال: فما أتممت الصوت حتى رأيت رأسه قد فارق بدنه ورأيت يتشطح في دمه. يقال: إن اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي، ويقال: لابن جامع.

أخذ يزيد الحكم وعثمان ولي عهد الوليد وحبسهما وشتمهما قالوا: وكان عثمان والحكم ابنا الوليد قد بايعهما بالعهد بعده، فتغيبا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبسهما في الخضراء ودخل عليهما يزيد الأفقم بن هشام فجعل يشتم أباهما الوليد وكان قد ضربه وحلقه، فبكى الحكم، فقال عثمان أخوه: اسكت يا أخي، وأقبل على يزيد فقال: أتشتم أبي! قال: نعم، قال: لكني لا أشتم عمي هشاماً، والله لو كنت من بني مروان ما شتت أحداً منهم، فانظر إلى وجهك فإن كنت رأيت حكماً يشبهك أوله مثل وجهك فأنت منهم، لا والله ما في الأرض حكماً يشبهك.

ندم أيوب السخثياني لمقتله خوفاً من الفتنة: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن مسلمة بن محارب قال: لما قتل الوليد قال أيوب السخثياني: ليت القوم تركوا لنا خليفتنا لم يقتلوه. قال: وإنما قال ذلك خوفاً من الفتنة.

لعن الرشيد قاتليه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني: أن ابناً للغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد، فقال: ممن أنت؟ قال: من قريش، قال: من أيها؟ فأمسك قال: قل وأنت آمن، ولو أنك مرواني، قال: أنا ابن الغمر بن يزيد. قال: رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتله عمك جميعاً، فإنهم قتلوا خليفةً مجعاً عليه، ارفع إلي حوائجك، فقضاها.

رمى عند المهدي بالزندقة فدافع عنه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا العلاء بن سويد المنقري قال:

ذكر ليلة المهدي أمير المؤمنين الوليد بن يزيد فقال: كان ظريفاً أديباً. فقال له شبيب بن شيبه: يا أمير المؤمنين إن رأيت ألا تجري ذكره على سمعك ولسانك فافعل فإنه كان زنديقاً، فقال: اسكت، فما كان الله ليضع خلافته عند من يكفر به. هكذا رواه الصولي.

دافع عنه ابن علاثة الفقيه لدى المهدي: وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا عقيل بن عمرو قال أخبرني شبيب بن شيبه عن أبيه قال: كنا جلوساً عند المهدي فذكروا الوليد بن يزيد، فقال المهدي: أحسبه كان زنديقاً، فقام ابن علاثة الفقيه فقال: يا أمير المؤمنين، الله عز وجل أعظم من أن يولي خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يؤمن بالله، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته، وحدثني أنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مطيبةٍ ومصبغةٍ ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ويؤتى بثيابٍ بيضٍ نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلّي فيها أحسن صلاةٍ بأحسن قراءةٍ وأحسن سكوتٍ وسكونٍ وركوعٍ وسجودٍ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك، ثم يعود إلى شربه ولهوه، أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله! فقال له المهدي: صدقت بارك الله عليك يا ابن علاثة.

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدة أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها هنا مع أخباره، والله أعلم.

صوت من المائة المختارة

شرقت بالدموع مني المآقي

أم سلام ما ذكرتك إلا

أنت دائي وفي لسانك راقِي

أم سلام ذكركم حيث كنتم

مستخفاً يتوق كل متاق

ما لقلبي يجول بين التراقي

أو يصيح الداعي لها بفراق

حزراً أن تبين دار سليمي

غناه عمر الوادي، ولحنه المختار خفيف رملٍ مطلق في بحرٍ البنصر. وذكر عمرو بن بانه أن لسلامة القس فيه خفيف رمل بالوسطى، ولعله بمعنى هذا. ومن الناس من يروى هذه الأبيات لعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي في

سلامة القس، وليس ذلك له، هو للوليد صحيح، وهو كثيراً ما يذكر سلمى هذه في شعره بأمر سلام وبسلمى، لأنه لم يكن يتصنع في شعره ولا يبالى بما يقوله منه. ومن ذلك قوله فيها: صوت

د عشير الذي لقيت كفاك

أم سلام لو لقيت من الوج

وشقيقاً شجاء ما قد شجاك

فأثيبي بالوصل صبا عميداً

غناه مالكٌ خفيف رمل بالبنصر عن الهشامي.

ذكر أخبار عمر الوادي ونسبه

نسبه وإعجاب الوليد به

هو عمر بن داود بن زاذان. وجده زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عفان. وكان عمر مهندساً. وأخذ الغناء عنه حكماً وذووه من أهل وادي القرى. وكان قدم إلى الحرم فأخذ من غناء أهله فحذق وصنع فأجاد وأتقن. وكان طيب الصوت شجيحه مطرباً. وكان أول من غنى من أهل وادي القرى، واتصل بالوليد بن يزيد في أيام إمارته فتقدم عنده جداً، وكان يسميه جامع لذاتي ومحبي طربي. وقتل الوليد وهو يغنيه، وكان آخر عهده به من الناس. وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء: صوت

حين قال القول فاختلفا

إنني فكرت في عمرٍ

قمر قد طمس السرجا

إنه للمستتير به

سيد القوم الذي فلجا

ويغني الشعر ينظمه

في لباب الشعر فاندمجا

أكمل الوادي صنعته

الشعر للوليد بن يزيد. والغناء لعمر الوادي هزج خفيف بالبنصر في مجراها. كان الوليد يقدمه على المغنين: أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنين عند الوليد بن يزيد، فلا يمنعه حضورهم من تقديمه والإصغاء إليه والاختصاص له. وبلغني أنه كان لا يضرب وإنما كان مرتجلاً، وكان الوليد يسميه جامع لذاتي. قال: وبلغني أيها حكما الوادي وغيره من مغني وادي القرى أخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثر أغانيه. غضب الوليد على أبي رقية فاسترضاه عنه: قال: إسحاق وحدثني عبد السلام بن الربيع: أن الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رقية، وكان ضعيف العقل وكان يمسك المصحف على أم الوليد، فقال الوليد لعمر الوادي وقد غناه صوتاً: أحسنت والله، أنت جامع لذاتي، وأبو رقية مضطجع وهم يحسبونه نائماً، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له: وأنا جامع لذات أمك، فغضب الوليد وهم به، فقال له عمر الوادي: جعلني الله فداك! ما يعقل أبو رقية وهو صاح، فكيف يعقل وهو سكران! فأمسك عنه.

سمع غناء من راع أخذه عنه ومدحه: قال إسحاق: وحدثت عن عمر الوادي قال: بينا أنا أسير ليلة بين العرج والسقيا سمعت إنساناً يغني غناءً لم أسمع قط أحسن منه وهو: صوت

وكننت إذا ما جئت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفرات البيض ود جلسها إذا ما انقضت أحوثة لو تعيدها

فكدت أسقط عن راحلي طرباً، فقلت: والله لألتمسن الوصول إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هبطت من الشرف ، فإذا أنا برجل يرعى غنماً وإذا هو صاحب الصوت، فأعلمته الذي أقصدي إليه وسألته إعادته علي، فقال: والله لو كان عندي قرى ما فعلت، ولكني أجعله قراك، فرما ترنمت به وأنا جائع فأشبع، وكسلان فأنشط ومستوحش فأنس، فأعاده علي مراراً حتى أخذته، فو الله ما كان لي كلام غيره حتى دخلت المدينة، ولقد وجدته كما قال. حدثني بهذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني المؤمل بن طالوت الوادي قال حدثني مكين العذري قال: سمعت عمر الوادي يقول: بينا أنا أسير بين الروحاء والعرج، ثم ذكر مثله، وقال فيه: فرما ترنمت به وأنا غرثان فيشبعني، ومتسوحش فيؤنسني، وكسلان فينشطني. قال: فما كان زادي حتى ولجت المدينة غيره ، وجربت ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال. نسبة هذا الصوت صوت

لقد هجرت سعدى وطال صدودها وعاود عيني دمعها وسهوها

وكننت إذا ما زرت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

منعمة لم تلق بؤس معيشة هي الخلد في الدنيا لمن يستفيدها

هي الخلد ما دامت لأهلك جارة وهل دام في الدنيا لنفس خلودها

الشعر لكثير. والغناء لابن محرز ثقيل أول مطلق بالبنصر عن يحيى المكي. وذكر الهشامي أن فيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل. وفيه خفيف رمل ينسب إلى عمر الوادي، وهو بعض هذا اللحن الذي حكاه عن الراعي ولا أعلم لمن هو. وهذه الأبيات من قصيدة لكثير سائرها في الغزل وهي من جيد غزله ومختاره. وتام الأبيات بعد ما مضى منها:

فتلك التي أصفيتها بمودتي وليداً ولما يستتب لي نهودها

وقد قتلت نفساً بغير جريرة وليس لها عقل ولا من يقيدها

فكيف يود القلب من لا يوده بلى قد تريد النفس من لا يريدتها

ألا ليت شعري بعدنا هل تغيرت عن العهد أم أمست كعهدي عهدها

إذا ذكرت النفس جنت بذكرها وريعت وحننت واستخف جليدها

فلو كان ما بي بالجمال لهدها وإن كان في الدنيا شديداً هدودها

ولست وإن أوعدت فيها بمنته
وإن أوقدت ناراً فشرب وقودها
أبيت نجياً للهموم مسهداً
وإن أوقدت نحوي بليل وقودها
فأصبحت ذا نفسين نفس مريضة
من اليأس ما ينفك همّ يعودها
ونفس إذا ما كنت وحدي تقطعت
كما انسل من ذات النظام فريدها
فلم تبد لي يأساً ففي اليأس راحة
ولم تبد لي جوداً فينفع جودها

أخذ من الوليد خاتم ياقوت بصوت اقترحه عليه: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال: قال عمر الوادي: خرج إلي الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوت أحمر قد كاد البيت يلتصق من شعاعه، فقال لي: يا جامع لذتي، أتحب أن أهبه لك؟ قلت: نعم والله يا مولاي، فقال: إن في هذه الأبيات التي أنشدك فيها واجهد نفسك، فإن أصبت إرادتي وهبته لك، فقلت: أجتهد وأرجو التوفيق.

صوت

ألا يسليك عن سلمى
قتير الشيب والحلم

وأن الشك ملتبسٌ
فلا وصل ولا صرم
فلا والله رب النا
س مالك عندنا ظلم
وكيف بظلم جارية
ومنها اللين والرحم

فخلوت في بعض المجالس، فما زلت أديره حتى استقام، ثم خرجت إليه وعلى رأسه وصيفة، بيدها كأس وهو يروم أن يشربها فلا يقدر خماراً، فقال: ما صنعت؟ فقلت: فرغت مما أمرتني به، وغنيت، فصاح: أحسنت والله! ووثب قائماً على رجله وأخذ الكأس واستدناي فوضع يده اليسرى على متكأ والكأس في يده اليمنى، ثم قال لي: أعد بأبي أنت وأمي! فأعدته عليه فشرب ودعا بثنائية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً، ثم جلس ونزع الخاتم والحلة التي كانت عليه، فقال: والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أسكر، فما زلت أعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكرافنام.

سبق عبد المطلب بن عبد الله بينه وبين أشعب وأبي رقية في وجز: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد عن أبيه عن غرير بن طلحة الأرقمي عن أبي الحكم عبد المطلب بن عبد الله بن يزيد بن عبد الملك قال: والله إني لبالعقيق في قصر القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وعندي أشعب وعمر الوادي وأبو رقية، إذ دعوت بدينار فوضعت بين يدي وسبقتهموه في رجز فكان أول من خسق عمر الوادي فقال:

أنا ابن داود أنا ابن زاذان
أنا ابن مولى عمرو بن عثمان

ثم خسق أبو رقية فقال:

أنا ابن أول أعجمي

أنا ابن عامر القاري

تقدم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم خسق أشعب فقال:

أنا ابن المحرشة بين أزواج

أنا ابن أم الخلداج

النبي صلى الله عليه وسلم. قال أبو الحكم: فقلت له: أي أخزأك الله، هل سمعت أحداً قط فخر بهذا! فقال: وهل فخر أحدٌ بمثل فخري! لولا أن أُمِّي كانت عندهن ثقةٌ ما قبلن منها حتى يغضب بعضهن على بعض.

أخبار أبي كامل

كان مغنياً محسناً مضحكاً: اسمه الغزِيل، وهو مولى الوليد بن يزيد، وقيل: بل كان مولى أبيه، وقيل: بل كان أبوه مولى عبد الملك. وكان مغنياً محسناً وطيباً مضحكاً. ولم أسمع له بخبر بعد أيام بني أمية، ولعله مات في أيامهم أو قتل معهم.

غنى الوليد وأطربه فخلع عليه قلنسيته: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني: أن أبا كامل غنى الوليد بن يزيد ذات يوم فقال: صوت

وبدائي بت ليلي لم أنم

نام من كان خلياً من ألم

في أكف القوم تغشاني الظلم

أرقب الصبح كأني مسندٌ

ديدنٌ في القلب ما اخضر السلم

إن سلمى ولنا من حبها

وثنايا لم يعبهن قضم

قد سبتني بشتيتِ نبتة

قال فطرب الوليد وخلع عليه قلنسية وشي مذهب كانت على رأسه. فكان أبو كامل يصونها ولا يلبسها إلا من عيد إلى عيد ويمسحها بكمه ويرفعها ويكي ويقول: إنما أرفعها لأنني أجد منها ريح سيدي يعني الوليد.

الغناء في هذا الصوت هزج بالوسطى، نسبه عمرو بن بانة إلى عمر الوادي، ونسبه غيره إلى أبي كامل، وزعم آخرون أنه لحكم هكذا نسبه ابن المكي إلى حكم وزعم أنه بالبنصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الأصمعي عن صفوان بن الوليد المعيطي قال: غنى أبو كامل ذات يوم الوليد بن يزيد في لحنٍ لابن عائشة، وهو:

إنه ما علمت شر نديم

جنباني أذاة كل لئيم

للوليد فيه أشعار كثيرة: فخلع عليه ثيابه كلها حتى قلنسيته. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه، وزاد فيه أنه أوصى أن تجعل في أكفانه. وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة. فمنها مما يغني به: صوت

من الأصفر البابلي

سقيت أبا كامل

وسقيتها معبداً

وكل فتى فاضل

وقال أيضاً فيه:

وزقُّ وافر الجنب

بين مثل الجمل البازل

به رحت إلى صحبي

وندمانني أبي كامل

شربناه وقد بتنا

بأعلى الدير بالساحل

ولم نقبل من الواشي

قبول الجاهل الخاطل

الغناء لأبي كامل خفيفٌ رملٍ بالوسطى. وذكر الهشامي أنه ليحيى المكي وأنه نخله أبو كامل. وذكر أنه لعمر الوادي أو لحكم فيه رملًا بالوسطى وهو القائم.

وأخبرني أبو الحسن محمد بن إبراهيم قریش رحمه الله أن لينشو فيه خفيف رمل. ومنها في قول الوليد: صوت

سقيت أبا كامل

من الأصفر البابلي

وسقيتها معبداً

وكل فتى فاضل

لي المحض من ودهم

ويغمرهم نائلي

وما لامني فيهم

سوى حاسد جاهل

فيه هزجٌ ينسب إلى أبي كامل وإلى حكم. وفيه لينشوا ثقیلاً أول. أخبرني بذلك قریشٌ ووجه الرزة جميعاً. كان المعتضد يمدح شعر الوليد ويقول: فيه شمائل الملوك. وأخبرني قریش عن أحمد بن أبي العلاء قال: كان للمعتضد علي صوتان من شعر الوليد، أحدهما:

سقيت أبا كامل

من الأصفر البابلي

والآخر:

إن في الكأس لمسكاً

أو بكفي من سقاني

وكان يعجب بهما ويقول لجلسائه: أما ترون شمائل الملوك في شعره! ما أبينها :

لي المحض من ودهم

ويغمرهم نائلي

وحين يقول:

كللاني توجاني

وبشعري غنياني

وقد نسب إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعر صوتين، لأن ذكر سليمي في أحدهما، ولأن الصنعة في الآخر لأبي كامل، فذكرت من ذلك ها هنا صوتين، أحدهما: صوت من المائدة المختارة

سليمى تلك في العير
قفي نخبرك أو سيري
إذا ما أنت لم ترثي
لصب القلب مغمور
فلما أن دنا الصبح
بأصوات العصافير
خرجنا نتبع الشمس
عيوناً كالقوارير
وفينا شادنٌ أحر
ر من حور اليعافير

الشعر ليزيد بن ضبة. والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهرزد، ولحنه رملٌ مطلق في مجرى الوسطى. هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهرزد، وذكر في موضع آخر أن فيه لحناً لابن زرزور الطائفي رملاً آخر بالسبابة في مجرى البصر. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لأبي كامل ولم يجنسه. وذكر حبش أن فيه لعطرد هزجاً بالوسطى.

أخبار يزيد بن ضبة ونسبه

نسبه وولأؤه وانقطاعه إلى الوليد بن يزيد: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أحمد بن الهيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سعدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة الثقفي قال: كان جدي يزيد بن ضبة مولى لثقيف. واسم أبيه مقسم، وضبة أمه غلبت على نسبه، لأن أباه مات وخلفه صغيراً، فكانت أمه تحضن أولاد المغيرة بن شعبة ثم أولاد ابن عروة بن المغيرة، فكان جدي ينسب إليها لشهرتها. قال: وولأؤه لبني مالك بن حطيظ ثم لبني عامر بن يسار. قال عبد العظيم: وكان جدي يزيد بن ضبة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلاً به لا يفارقه.

أراد أن يهنيء هشاماً بالخلافة فردّه لانقطاعه للوليد وشعره في ذلك فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدي مهنتاً بالخلافة. فلما استقر به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تثنى عليه والشعراء تمدحه، مثل جدي بين السماطين فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذن له، وقال: عليك بالوليد فامدحه وأنشده، وأمر بإخراجه. وبلغ الوليد خبره، فبعث إليه بخمسمائة دينار، وقال له: لو أمنت عليك هشاماً لما فارقتني، ولكن اخرج إلى الطائف، وعليك بمالي هناك، فقد سوغتك جميع غلته، ومهما احتجت إلي من شيء بعد ذلك فالتمسه مني. فخرج إلى الطائف، وقال يذكر ما فعله هشام به:

أرى سلمى تصد وما صددنا
وغير صدودها كنا أردنا
لقد بخلت بنائلها علينا
ولو جادت بنائلها حمدنا
وقد ضنت بما وعدت وأمست
تغير عهدا عما عهدنا
ولو علمت بما لاقيت سلمى
فتخبرني وتعلم ما وجدنا

تلم على تتائي الدار منا
ألم تر أننا لما ولينا
رأينا الفتق حين وهى عليهم
إذا هاب الكريهة من يليها

فيسهرنا الخيال إذا رقدنا
أموراً خرقت فوهت سدنا
وكم من مثله صدع رفأنا
وأعظمها الهيوب لها عمدنا

وجبار تركناه كليلاً
فلا تتسوا مواطننا فإننا
وما هيضت مكاسر من جبرنا
ألا من مبلغ عني هشاماً
وما كنا إلى الخلفاء نفضي
ألم يك بالبلاء لنا جزاءً
وقد كان الملوك يرون حقاً
ولينا الناس أزماناً طوالاً
ألم تر من ولدنا كيف أشبى
نكون لمن ولدناه سماءً
وكان أبوك قد أسدى إلينا
كذلك أول الخلفاء كانوا
هم آباؤنا وهم بنونا
ونكوي بالعداوة من بغانا
نرى حقاً لسائلنا علينا
ونضمن جارنا ونراه منا
وما نعتد دون المجد مالاً
وأتلد مجدنا أنا كراماً

وقائد فتنة طاغ أزلنا
إذا ما عاد أهل الجرم عدنا
ولا جبرت مصيبة من هددنا
فما منا البلاء ولا بعدنا
ولا كنا نؤخر إن شهدنا
فنجزي بالمحاسن أم حسدنا
لوافدنا فنكرم إن وفدنا
وسسناهم ودسناهم وقدنا
وأشبيننا وما بهم قعدنا
إذا شيمت مخايلنا رعدنا
جسيمة أمره وبه سعدنا
بنا جدوا كما بهم جدنا
لنا جبلوا كما لهم جبلنا
ونسعد بالمودة من وددنا
فنحبوه ونجزل إن وعدنا
فنفرده فنجزل إن رقدنا
إذا يغلى بمكرمة أفدنا
بحد المشرفية عنه ذدنا

هنأ الوليد بالخلافة فأعطاه لكل بيت ألف درهم: قال: فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليد بن يزيد الخلافة، فوفد إليه. فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنأه بالخلافة، فأدناه الوليد وضمه إليه، وقبل يزيد بن ضبة رجليه والأرض بين يديه، فقال الوليد لأصحابه: هذا طريد الأحول لصحبته إياي وانقطاعه إلي. فاستأذنه يزيد في الإنشاد وقال له: يا أمير المؤمنين، هذا اليوم الذي نهاني عمك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغته بعد يأس، والحمد لله على ذلك. فأذن له، فأنشده:

قفني أسألك أو سيري

لصب القلب مغمور

مهأة في مها حور

ي تزهى كالقراقير

ه آل كالسمادير

ه كالنخل المواقير

تباريح التناكير

وأسباب المقادير

إذا يصبو بمعذور

عفتها الريح بالموور

بأذيال الأعاصير

بتلك الدور من دور

د إن عشت بعسبور

طواها النسع بالكور

قرناه بتصدير

بإعصافٍ وتشمير

بإدلاجٍ وتهجير

ومال الظل بالقور

مطايا القوم كالعوور

بأصوات العصافير

سليمى تلك في العير

إذا ما بنت لم تأوي

وقد بانئت ولم تعهد

وفي الآل حمول الح

يواريها وتبدو من

وتطفو حين تطفو في

لقد لاقيت من سلمى

دعت عيني لها قلبي

وما إن من به شيب

لسلمى رسم أطلال

خريق تتخل الترب

فأوحش إذ نأت سلمى

سأرمي قانصات البي

من العيس شجوجاة

إذا ما حقب منها

زجرنا العيس فارقدت

تقاسيها على أين

إذا ما اعصو صب الآل

وراحت تتقي الشمس

إلى أن يفضح الصبح

م أهل الجود والخير	لتعتام الوليد القر
مع الخور الجراجير	كريم يهب البزل
هويًا كالمزامير	تراعي حين ترجيها
رباع الخلج الخور	كما جاوبت النيب
ر وزناً بالقناطر	ويعطى الذهب الأحم
ه في عسر وميسور	بلوناه فأحمدنا
ر غمرٌ غير منزور	كريم العود والعنص
ت في ضم المضامير	له السبق إلى الغايا
له نور على نور	إمام يوضح الحق

ب حفظ الصدق مأثور	مقال من أخي ود
وتفهيم وتحبير	بإحكام وإخلاص

قال: فأمر الوليد بأن تعد أبيات القصيدة ويعطى لكل بيت ألف درهم، فعدت فكانت خمسين بيتاً فأعطي خمسين ألفاً. فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم، ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد، فإنه بلغه خبر جدي فأعطى مروان بن أبي حفصة ومنصوراً النمرى لما مدحاه وهجوا آل أبي طالب لكل بيت ألف درهم.

أمره الوليد بمدح فرسه السندي وكانا قد خرجا إلى الصيد: قال عبد العظيم وحدثني أبي وجماعة من أصحاب الوليد: أن الوليد خرج إلى الصيد ومعه جدي يزيد بن ضبة، فاصطاد على فرسه السندي صيداً حسناً، ولحق عليه حماراً فصرعه، فقال لجدي: صف فرسي هذا وصيدنا اليوم، فقال في ذلك:

أحوى سلس المر	سن مثل الصدع الشعب
سما فوق منيفات	طوال كالفنا سلب
طويل الساق عنجوج	أشقى أصمغ الكعب
على لأم أصم مضم	ر الأشعر كالفعب
ترى بين حواميه	نسوراً كنوى القسب
معالي شنج الأنسا	ء سام جرشع الجنب

طوى بين الشراسيف

يغوص الملحم القاي

عتيد الشد والتقري

صليب الأذن والكاه

عريض الخد والجبه

إذا ما حثه حارث

وإن وجهه أسر

وقفاهن كالأجد

ووالى الطعن يختار

ترى كل مدلّ قا

كأن الماء في الأعطا

كأن الدم في النحر

يزين الدار موقوفاً

إلى المنقب فالقنب

م ذو حد وذو شغب

ب والإحضار والعقب

ل والموقف والعجب

ة والبركة والهلب

يباري الريح في غرب

ع كالخدروف في الثقب

ل لما انضم للضرب

جواشن بدن قب

نمأ يلهث كالكلب

ف منه قطع العطب

قذالّ عل بالخضب

ويشفي قوم الركب

قال: فقال له الوليد: أحسنت يا يزيد الوصف وأجدته، فاجعل لقصيدتك تشبيهاً وأعطه الغزير وعمر الوادي حتى يغنيا فيه، فقال: صوت

إلى هند صبا قلبي

وهند عادة غيدا

وما إن وجد الناس

لقد لج بها الإعرا

ولما أقض من هند

أرى وجدي بهند دا

وقد أطولت إعراضاً

ولكن رقبة الأع

ورغم الكاشح الراغ

وهند مثلها يصبي

ء من جرثومة غلب

من الأدواء كالحب

ض والهجر بلا ذنب

ومن جاراتها نحبي

ثمأ يزدد عن غب

وما بغضهم طبي

ين قد تحجز ذا اللب

م فيها أيسر الخطب

قال: ودفع هذه الأبيات إلى المغنين فغنوه فيها.

كان فصيحاً يطلب الحوشي من الشعر: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي، وحدثني به محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال: كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف، ولكنه كان فصيحاً، وقد أدركته بالطائف، وقد كان يطلب القوافي المعتاصة والحوشي من الشعر. قال أهل الطائف إن له ألف قصيدة انتحلتها شعراء العرب: قال أبو حاتم في خبره خاصة وحدثني غسان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفي عن جماعة من مشايخ الطائفيين وعلمائهم قالوا: قال يزيد بن ضبة ألف قصيدة، فافتسمتها شعراء العرب وانتحلتها، فدخلت في أشعارها.

أخبار إسماعيل بن الهربذ

ولأوه، وقد غنى الوليد وعمر إلى آخر أيام الرشيد: إسماعيل بن الهربذ مكّي مولى لآل الزبير بن العوام، وقيل: بل هو مولى بني كنانة. أدرك آخر أيام بني أمية وغنى الوليد بن يزيد، وعمر إلى آخر أيام الرشيد. قدم على الرشيد وعنده بعض كبار المغنين فأطربه دونهم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي عن أبيه: أن إسماعيل بن الهربذ قدم على الرشيد من مكة، فدخل إليه وعنده ابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفليح وغيرهم والرشيد يومئذ خائر به خمار شديد، فغنى ابن جامع ثم فليح ثم إبراهيم ثم إسحاق، فما حركه أحد منهم ولا أطربه، فاندفع ابن الهربذ يغني، فعجبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد فغنى: صوت

وفدت من البلد الحرام

م أخي الإمام أبي الإمام

فيهم كمصباح الظلام

ذي فداك من بين الأنام

يا راكب العيس التي

قل للإمام ابن الإمام

زين البرية إذ بدا

جعل الإله الهرب

- الغناء لابن الهربذ رمل بالوسطى عن عمرو - قال فكاد الرشيد يرقص، واستخفه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن لهذا الصوت حديثاً، فإن أذن مولاي حدثته به، فقال: حدث. قال: كنت مملوكاً لرجل من ولد الزبير، فدفعت إلي درهمين أبتاع له بمما لحماً، فرحت فلقيت جارية على رأسها جرة مملوءة من ماء العقيق وهي تغني هذا اللحن في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويه، فسألتها أن تعلمينه، فقالت: لا وحق القبر إلا بدرهمين، فدفعت إليها الدرهمين وعلمتنيه، فرجعت إلى مولاي بغير لحم فضريني ضرباً مبرحاً شغلت معه بنفسه فأنسيت الصوت: ثم دفع إلي درهمين آخرين بعد أيام أبتاع له بمما لحماً، فلقيتني الجارية فسألتها أن تعيد الصوت علي، فقالت: لا والله إلا بدرهمين، فدفعتهما إليها وأعادته علي مراراً حتى أخذته. فلما رجعت إلى مولاي أيضاً ولا لحم معي قال: ما القصة في هذين الدرهمين؟ فصدقته

القصة وأعدت عليه الصوت، فقبل بين عيني وأعتقني. فرحلت إليك بهذا الصوت، وقد جعلت ذلك اللحن في هذا الشعر، فقال: دع الأول وتناسه، وأقم على الغناء بهذا اللحن في هذا الشعر، فأما مولاك فسأدفع إليه بدل كل درهم ألف دينار، ثم أمر له بذلك فحمل إليه.

شعر نسب للوليد وليس له: ومما نسب إلى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له: صوت من المائة المختارة

واهج قوماً قتلونا بالعطش

امدح الكأس ومن أعملها

فإذا ما غاب عنا لم نعش

إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ

الشعر لنابغة بني شيبان. والغناء لأبي كامل، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى، وهو الذي تسميه الناس اليوم الماخوري. وفي لأبي كامل أيضاً خفيف رمل بالبنصر عن عمرو. وذكر الهشامي أن فيه لملك لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر.

نسب نابغة بني شيبان

نسبه، وهو شاعر بدوي أموي: النابغة اسمه عبد الله بن المخارق بن سليم بن حصرة بن قيس بن سنان بن حماد بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهب بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. شاعرٌ بدوي من شعراء الدولة الأموية. وكان يفد إلى الشام إلى خلفاء بني أمية فيمدحهم ويجزلون عطاءه. وكان فيما أرى نصرانياً لأني وجدته في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان وبالأيمان التي يحلف بها النصراني. ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده، وله في الوليد مدائح كثيرة.

مدح عبد الملك لما هم بخلع أخيه وتولية ابنه للعهد: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني العمري عن العتي قال: لما هم عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتولية الوليد ابنه العهد، كان نابغة بني شيبان منقطعاً إلى عبد الملك مداحاً له، فدخل إليه في يوم حفل والناس حواليه وولده قدامه، فمثل بين يديه وأنشده قوله:

أضحى قفاراً من أهله طلع

أشتقت وانهل دمع عينك أن

حتى انتهى إلى قوله:

كانوا هم المالكين ما صلحوا

أزحت عنا آل الزبير ولو

وإن تلاق النعمى فلا فرح

إن تلق بلوى فأنت مصطبرٌ

لم يؤذه عائرٌ ولا لح

ترمي بعيني أفنى على شرف

غرٌّ عتاقٌ بالخير قد نفحوا

آل أبي العاص آل مائرةٍ

خير قریشِ وهم أفاضلها

في الجد جدٌ وإن هم مزحوا

أرحبها أذرعاً وأصبرها

أنتم إذا القوم في الوغى كلحوا

أما قریشٌ فأنت وارثها

تكف من صعبهم إذا طمحوا

حفظت ما ضيعوا وزندهم

أوريت إذ أصلدوا وقد قدحوا

آليت جهداً وصادقٌ قسمي

برب عبدٍ تجنه الكرح

يظل يتلو الإنجيل يدرسه

من خشية الله قلبه طفح

لابنك أولى بملك والده

ونجم من قد عصاك مطرح

داود عدلٌ فاحكم بسيرته

ثم ابن حرب فإنهم نصحوا

وهم خيارٌ فاعمل بسنتهم

واحي بخير واكدح كما كدحوا

قال: فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذل يأنذار ولا دفع، فعلم الناس أن رأيه خلع عبد العزيز. وبلغ ذلك من قول النابغة عبد العزيز، فقال: لقد أدخل ابن النصرانية نفسه مدخلاً ضيقاً فأوردها مورداً خطراً، وبالله علي لئن ظفرت به لآخضبن قدمه بدمه.

هنا يزيد بن عبد الملك بالفتح بعد قتل يزيد بن المهلب: وقال أبو عمرو الشيباني: لما قتل يزيد بن المهلب دخل النابغة الشيباني على يزيد بن عبد الملك بن مروان، فأنشده قوله في تهنته بالفتح:

ألا طال التتظر والنواء

وجاء الصيف وانكشف الغطاء

وليس يقيم ذو شجنٍ مقيمٍ

ولا يمضي إذا ابتغي المضاء

طوال الدهر إلا في كتابٍ

ومقدارٍ يوافقه القضاء

فما يعطى الحريص غنى لحرصٍ

وقد ينمي لذي الجود الثراء

وكل شديدة نزلت بحيّ

سيتبعها إذا انتهت الرخاء

يقول فيها:

أؤم فتى من الأعياص ملكاً

أغر كأن غرته ضياء

لأسمعه غريب الشعر مدحاً

وأثني حيث يتصل الثناء

يزيد الخير فهو يزيد خيراً

وينمي كلما أبتغي النماء

فضضت كتائب الأزدی فضا

بكبشك حين لفهما اللقاء

سمكت الملك مقتبلاً جديداً

كما سمكت على الأرض السماء

نرجي أن تدوم لنا إماماً

وفي ملك الوليد لنا رجاء

هشامٌ والوليد وكل نفسٍ

تريد لك الفناء لك الفداء

وقي قصيدة طويلة، فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب وأن توفّر له براً وزيبياً، وكساه وأجزل صلته. وفد على هشام مادحاً فطرده لغلوه في مدح يزيد: قال: ووفد إلى هشام لما ولي الخلافة، فلما رآه قال له: يا ماص ما أبقت المواسي من بظر أمه! ألسن القاتل:

هشامٌ والوليد ولك نفسٍ

تريد لك الفناء لك الفداء

أخرجوه عني! والله لا يرزؤني شيئاً أبداً وحرمه. ولم يزل طول أيامه طريداً، حتى ولي الوليد بن يزيد، فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة، فأجزل صلته.

شعره في صفة الخمر ومدحها: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبيد الله بن محمد الكوفي عن العمري الخصاف عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية أنه أنشده لنا بعة بني شيبان:

أيها الساقى سقتك مزنةً

من ربيع ذي أهاضيب وطش

امدح الكأس ومن أعملها

واهج قوماً قتلونا بالعطش

إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ

فإذا ما غاب عنا لم نعش

وكان الشرب قوم موتوا

من يقيم منهم لأمر يرتعش

خرس الألسن مما نالهم

بين مصروع وصاحٍ منتعش

من حميا قرقفٍ حصيةٍ

قهوةٍ حوليةٍ لم تمتحش

ينفع المزكوم منها ريحها

ثم تنفى داءه إن لم تنش

كل من يشربها يألّفها

ينفق الأموال فيها كل هش

استنشد الوليد شعراً فأنشده في الفخر بقومه فعاتبه ووصله: أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الجمحي - قال ابن أبي الأزهر: وهو محمد بن سلم - : غنى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد:

امدح الكأس ومن أعملها

واهج قوماً قتلونا بالعطش

فسأل عن قاتل هذا الشعر فقيل: نابعة بني شيبان، فأمر بإحضاره فأحضر، فاستنشد القصيدة فأنشده إياها،

وظن أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم، فقال له الوليد: لو سعد جدك لكنت مدحاً فينا لا في بني شيبان، ولسنا نخليك على ذلك من حظ، ووصله وانصرف. وأول هذه القصيدة قوله:

خل قلبي من سليمي نبلها	إذ رممتي بسهام لم تطش
طفلة الأعطاف رؤدٌ دميةٌ	وشواها بختري لم يحش
وكأن الدر في أخراصها	بيض كحلاء أقرته بعش
ولها عينا مهابة في مها	ترتعي نبت خزامى ونتش
حرة الوجه رخيماً صوتها	رطبٌ تجنيه كف المنتقش
وهي في الليل إذا ما عونقت	منية البعل وهم المفترش

وفيهما يقول مفتخراً:

وبنو شيبان حولي عصبٌ	ومنهم غلبٌ وليست بالقمش
وردوا المجد وكانوا أهله	فرووا والجود عافٍ لم ينش
وترى الجرد لدى أبياتهم	أرناتٍ بين صلصال وجش
ليس في الألوان منها هجنةٌ	وضح البلق ولا عيب البرش
فبها يحوون أموال العدا	ويصيدون عليها كل وحش
دميت أكفاله من طعنهم	بالردينيات والخيل النجش
ننهل الخطي من أعدائنا	ثم نفري الهام إن لم نفترش
فإذا العيس من المحل غدت	وهي في أعينها مثل العمش
حسر الأوبار مما لقيت	من سحاب حاد عنها لم يرش
خسف الأعين ترعى جوفةٌ	همدت أوبارها لم تنتفش
ننعش العافي ومن لاذ بنا	بسجال الخير من أيدٍ نعش
ذاك قولي وثنائي وهم	أهل ودي خالصةً في غير غش
فسلوا شيبان إن فارقتهم	يوم يمشون إلى قبري بنعش
هل غشيناً محرماً في قومنا	أو جزينا جازياً فحشاً بفحش

بعض شعره الذي غنى به: وما يغني فيه من شعر نابغة بني شيبان: صوت

ذرفت عيني دموعاً من رسوم بحفير

موحشات طامسات	مثل آيات الزبور
وزقاق مترعات	من سلافات العصير
مجلخداث ملاء	بطنوهن بغير
فإذا صارت إليهم	صيرت خير مصير
من شباب وكهول	حكموا كأس المدير
كم ترى فيهم نديماً	من رئيس وأمير

ذكر يونس أن فيه لملك لحناً ولا بن عائشة آخر، ولم يذكر طريقتهما، وفيه خفيف رمل معروف لا أدري لحن أيهما هو.

صوت من المائة المختارة

يا عمر حم فراقكم عمرا	وعزمت منا النأي والهجرا
إحدى بني أود كلفت بها	حملت بلا ترة لنا وترا
وترى لها دلاً إذا نطقت	تركت بنات فؤاده صعرا
كتساقط الرطب الجني في الأ	فنان لا بثراً ولا نذرا

الشعر لأبي دهب الجمحي. والغناء لفزار الملكي، ولحنه المختار ثقیلٌ أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي.

أخبار أبي دهب ونسبه

نسبه

نسبه - فيما ذكر الزبير بن بكار وغيره - وهب بن زمعة بن أسيد بن أحичة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب. ولخلف بن وهب يقول عبد الله بن الزبيري أو غيره:

خلف بن وهب كل آخر ليلة	أبدأ أكثر أهله بعيال
سقياً لوهب كهله ووليدها	ما دام في أبياتها الذيال
نعم الشباب شبابهم وكهولهم	صيابة ليسوا من الجهال

أمه امرأة من هذيل: وأم أبي دهب امرأة من هذيل. وإياها يعني بقوله:

أنا ابن الفروع الكرام التي	هذيل لأبياتها سائلة
هم ولدوني وأشبهتهم	كما تشبه الليلة القابلة

واسمها، فيما ذكر ابن الأعرابي، هذيلة بنت سلمة.

كان شاعراً جميلاً عفيفاً:

قال المدائني: كان أبو دهب رجلاً جميلاً شاعراً، وكانت له حجة يرسلها فتضرب منكبيه، وكان عفيفاً، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومدح معاوية، وعبد الله بن الزبير، وقد كان ابن الزبير ولاء بعض أعمال اليمن.

سأل قوم راهباً عن أشعر الناس فأشار إليه: حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الكلبي عن أبي مسكين، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العباس بن هشام عن أبيه عن أبي مسكين: أن قوماً مروا براهب، فقالوا له: يا راهب، من أشعر الناس؟ قال: مكانكم حتى أنظر في كتاب عندي، فنظر في رق له عتيق ثم قال: وهبٌ من وهبين، من جمح أو جمحين.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا علي بن صالح عن عبد الله بن عروة قال: قال أبو دهب يفخر بقومه:

قومي بنو جمح قوم إذا انحدرت

شهباء تبصر في حافاتها الزغفا

أهل الخلافة والموفون إن وعدوا

والشاهدو الروع لا عزلاً ولا كشفا

قال الزبير وأنشدني عمي قال أنشدني مصعب لأبي دهب يفخر بقومه بقوله:

أنا أبو دهب وهبٌ لوهب

من جمح في العز منها والحسب

والأسرة الخضراء والعيص الأشب

ومن هذيل والدي عالي النسب

أورثني المجد أبٌ من بعد أب

رمحي رديني وسيفي المستلب

وبيضتي قونسها من الذهب

درعي دلاصٌ سردها سردٌ عجب

والقوس فجاء لها نبلٌ ذرب

محشورةٌ أحكم منهن القطب

ليوم هيجاء أعدت للرهب

كان يهوى امرأة من قومه فكادوا له عندها فهجرته: أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا محمد بن زهير قال حدثنا المدائني: أن أبا دهب كان يهوى امرأة من قومه يقال لها عمرة، وكانت امرأةً جزلةً يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار، وكان أبو دهب لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً محبة له. وكان أبو دهب رجلاً سيّداً من أشراف بني جمح، وكان يحمل الحملات ويعطي الفقراء ويقرى الضيف. وزعمت بن جمح أنه تزوج عمرة هذه بعد ذلك، وزعم غيرهم أنه لم يصل إليها. وكانت عمرة توصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن لها ذلك واتصل ما بينهما. فوقفت عليه زوجته فدست إلى عمرة امرأةً داهيةً من عجائز

أهلها، فجاءتها فحادثتها طويلاً ثم قالت لها في عرض حديثها: إني لأعجب لك كيف لا تتزوجين أبا دهيل مع ما بينكما! قالت: وأي شيء يكون بيني وبين أبي دهيل! قال: فتضاحكت وقالت: أتسترين عني شيئاً قد تحدثت به أشراف قريش في مجالسها وسوقة أهل الحجاز في أسواقها والسقاة في مواردها! فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتهوينه، فوثبت عن مجلسها فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها من المصير إليها. وجاء أبو دهيل على عادته فحجبتة وأرسلت إليه بما كره. ففي ذلك يقول: صوت

تطاول هذا الليل ما يتبلج وأعيت غواشي عبرتي ما تفرج

وبت كئيباً ما أنام كأنما خلال ضلوعي جمره تنوهج

فطوراً أمني النفس من عمرة المنى وطوراً إذا ما لج بي الحزن أنشج

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يوصل الحبل أحوج

الغناء في البيت الأول وبعده بيت في آخر القصيدة:

أخطط في ظهر الحصير كأنني أسير يخاف القتل ولهان ملفج

لمعبد ثقيل أول بالوسطى. وذكر حماد عن أبيه في أخبار مالك أنه لحائد بن جرهد وأن مالكا أخذته عنه فنسبه الناس إليه، فكان إذا غناه وسئل عنه يقول: هذا والله لحائد بن جرهد لا لي. وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش. وفي لقد قطع الواشون وقبله فطوراً أمني النفس لمالك ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش؟

رأوا غرة فاستقبلوها بألبهم فراخوا على ما لا نحب وأدلجوا

وكانوا أناساً كنت آمن غيبهم فلم ينههم حلمي ولم يتحرجوا

فليت كواينياً من أهلي وأهلها بأجمعهم في قعر دجلة لججوا

هم منعونا ما نحب وأوقدوا علينا وشبوا نار صرم تأجج

ولو تركونا لا هدى الله سعيهم ولم يلحموا قولاً من الشر ينسج

لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج

عسى كربة أمسيت فيها مقيمة يكون لنا منها نجاة ومخرج

فيكبت أعداء ويجذل ألف له كبذ من لوعة الحب تلج

وقلت لعباد وجاء كتابها لهذا وربى كانت العين تخرج

وإني لمحزون عيشة زرتها وكنت إذا ما جئتها لا أعرج

أخطط في ظهر الحصير كأنني
الملفج: الفقير المحتاج.

أسيرٌ يخاف القتل ولهان ملفج

وأشفق قلبي من فراق خلية
وكف كهذاب الدمقس لطيفة
يجول وشاحاها ويغتص حجلها
فلما التقينا لجلجت في حديثها

لها نسبٌ في فرع فهرٍ متوج
بها دوس حناء حديثٍ مضرج
ويشبع منها وقف عاج ودملج
ومن آية الصرم الحديث الملجلج

شعره في عمرة: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال أنشدني عمي ومحمد بن الضحاك عن أبيه محمد بن خشرم ومن شئت من قریش لأبي دهل في عمرة:

يا عمر حم فراقكم عمرا
يا عمر شيخك وهو ذو كرم
إن كان هذا السحر منك فلا
إحدى بني أود كلفت بها
وترى لها دلاً إذا نطقت
كتساقط الرطب الجنى م
أقسمت ما أحببت حبكم
ومقالةً فيكم عركت بها
ومريد سرکم عدلت به
قالت يقيم بنا لنجزيه
ما إن أقيم لحاجةٍ عرضت
قالوا: وفيها يقول:

وعزمت منا النأي والهجرا
يحمي الذمار ويكرم الصهرا
ترعي علي وجددي السحرا
حملت بلا وتر لنا وترا
تركت بنات فؤاده صعرا
ن الأفنان لا بثرا ولا نذرا
لا ثيباً خلقت ولا بكرا
جنبي أريد بها لك العذرا
فيما يحاول معدلاً وعرا
يوماً فخير عندها شهرا
إلا لأبلي فيكم العذرا

صوت

يلومونني في غير ذنب جنيته
أما أناساً كنت تأتمنينهم
وقالوا لنا ما لم يقل ثم كثروا

وغيري في الذنب الذي كان ألوم
فزادوا علينا في الحديث وأوهموا
علينا وباحوا بالذي كنت أكتم

غنى في هذه الأبيات أبو كامل مولى الوليد رملاً بالبنصر:

وقد منحت عيني القذى لفرأقهم
وعاد لها تهتاتها فهي تسجم
وصافيت نسوانا فلم أر فيهم
هوأي ولا الود الذي كنت أعلم
أليست عظيماً أن نكون ببلدة
كلانا بها ثاور ولا نتكلم

سمع أبو السائب المخزومي شعره فطرب: أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان قال: سمع أبو السائب المخزومي رجلاً ينشد قول أبي دهيل:

أليس عجيباً أن نكون ببلدة
كلانا بها ثاور ولا نتكلم

فقال له أبو السائب: قف يا حبيبي فوقف، فصاح بجارية: يا سلامة اخرجي فخرحت، فقال له: أعد بأبي أنت البيت فأعاده، فقال: بلى والله إنه لعجيبٌ عظيم وإلا فسلامة حرة لوجه الله! اذهب فديتك مصاحباً. ثم دخل ودخلت الجارية تقول له: ما لقيت منك! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني!

شاب خاطبته عشيقته بشعر أبي دهيل

وحدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: كنا نختلف إلى أبي العباس المبرد ونحن أحدث نكتب عن الرواة ما يروونه من الآداب والأخبار، وكان يصحبنا فتى من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثوباً وأجملهم زياً ولا نعرف باطن أمره، فأنصرفنا يوماً من مجلس أبي العباس المبرد وجلسنا في مجلس نتقابل بما كتبناه ونصحح المجلس الذي شهدناه، فإذا بجارية قد اطلعت فطرحت في حجر الفتى رقعة ما رأيت أحسن من شكلها محتومةً بعنبر، فقرأها منفرداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية. فلم نلبث أن خرج خادم من الدار في يده كرش، فدخل إلينا فصفع الفتى به حتى رحمناه وخلصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالاً. فلما تباعدنا سألناه عن الرقعة، فإذا فيها مكتوب:

كفى حزناً أنا جميعاً ببلدة
كلانا بها ثاور ولا نتكلم

فقلنا له: هذا ابتداءٌ ظريف، فبأي شيء أجبت أنت؟ قال: هذا صوت سمعته يغني فيه، فلما قرأته في الرقعة أجبت عنه بصوت مثله. فسألناه ما هو؟ فقال: كتبت في الجواب:

أراذك بالخابور نوقاً وأجمال

فقلنا له: ما وفاك القوم حقك قط، وقد كان ينبغي أن يدخلونا معك في القصة لدخولك في جملتنا، ولكننا نحن نوفيكَ حقك، ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يدر أي طريق يأخذ، وكان آخر عهده بالاجتماع معنا.

رجع إلى أخبار أبي دهيل

أبو دهب وعاتكة بنت معاوية أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال حدثنا صالح بن حسان قال، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني محمد بن السري قال حدثني هشام بن الكلبي عن أبيه، يزيد أحدهما على الآخر في خبره، واللفظ لصالح بن حسان وخبره أتم، قال: حجت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان، فزلت من مكة بذي طوى. فبينما هي ذات جالسة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق، وذلك في وقت الهاجرة، إذ أمرت جواريتها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها عليها شفوفٌ لها تنظر إلى الطريق، إذ مر بها أبو دهب الجمحي، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً، فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه، فلما فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح الستر وشتمته. فقال أبو دهب:

حتى رأيت الطبي بالباب

مستتراً عني بجلباب

صبت على القلب بأوصاب

أب لها ليس بوهاب

يحمى بأبواب وحجاب

إني دعاني الحين فاقتادني

يا حسنه إذا سبني مدبراً

سبحان من وقفها حسرة

يزود عنها إن تطلبتها

أحلها قصرأ منيع الذرى

قال: وأنشد أبو دهب هذه الأبيات بعض إخوانه، فشاعت بمكة وشهرت وغنى فيها المغنون، حتى سمعتها عاتكة إنشاداً وغناءً، فضحكت وأعجبتها إليه بكسوة، وجرت الرسل بينهما. فلما صدرت عن مكة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها، فكانت تعاهده بالبر والطف حتى وردت دمشق وورد معها، فانقطعت عن لقائه وبعد من أن يراها، ومرض بدمشق مرضاً طويلاً. فقال في ذلك:

ومللت الشتاء في جيرون

ظن أهلي مرجمات الظنون

كبكاء القرين إثر القرين

واص ميزت من جوهر مكنون

في سناء من المكارم دون

راء تمشي في مرمٍ مسنون

عند برد الشتاء في قيطون

ب وإن كنت خارجاً عن يميني

وتقلبت ليلتي في فنون

طال ليلي وبت كالمحزون

وأطلت المقام بالشأم حتى

فبكت خشية التفرق جملٌ

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغ

وإذا ما نسبته لم تجدها

ثم خاصرتها إلى القبة الخض

قبة من مراحل ضربوها

عن يساوي إذا دخلت من البا

ولقد قلت إذ تناول سقمي

أم براني الباربي قصير الجفون

ليت شعري أمن هوى طار نومي

قال: وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية فأمسك عنه، حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهب، فقال معاوية لحاجبه: إذا أراد أبو دهب الخروج فامنعه وارده إلي، وجعل الناس يسلمون وينصرفون، فقام أبو دهب لينصرف، فناداه معاوية: يا أبا دهب إلي، فلما دنا إليه أجلسه حتى خلا به، ثم قال له: ما كنت ظننت أن في قريش أشعر منك حيث تقول:

وتقلبت ليلتي في فنون

ولقد قلت إذ تناول سقمي

أم براني الباربي قصير الجفون

ليت شعري أمن هوى طار نومي

غير أنك قلت:

واص ميزت من جوهر مكنون

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغ

في سناء من المكارم دون

وإذا ما نسبته لم تجدها

ووالله إن فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت، وأي شيء زدت في قدرها! ولقد أسأت في قولك:

راء تمشي في مرمر مسنون

ثم خاصرتها إلى القبة الخض

فقال: والله يا أمير المؤمنين، ما قلت هذا، وإنما قيل على لساني. فقال له: أما من جهتي فلا خوف عليك، لأنني أعلم صيانة ابنتي نفسها، وأعرف أن فتیان الشعر لم يتركوا أن يقولوا النسيب في كل من جاز أن يقولوه فيه وكل من لم يجوز، وإنما أكره لك حوار يزيد، وأحاف عليك وثباته، فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك. وإنما أراد معاوية أن يهرب أبو دهب فتنقضي المقالة عن ابنته، فحذر أبو دهب فخرج إلى مكة هارباً على وجهه، فكان يكتب عاتكة. فبينما معاوية ذات يوم في مجلسه إذ جاءه خصي له فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد سقط إلى عاتكة اليوم كتاب، فلما قرأته بكت ثم أخذته فوضعت تحت مصلاها، وما زالت خائرة النفس منذ اليوم. فقال له: اذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به. فانطلق الخصي، فلم يزل يلطف حتى أصاب منها غرة فأخذ الكتاب وأقبل به إلى معاوية، فإذا فيه:

لذي صبورة زلفى لديك ولا حقا

أعانتك هلا إذا بخلت فلا ترى

وسكنت عينا لا تمل ولا ترقا

رددت فؤاداً قد تولى به الهوى

ولم أر يوماً منك جوداً ولا صدقا

ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى

صريعاً بأرض الشام ذا سقم ملقى

أنتسين أيامي بربعك مدنفاً

وليس صديقٌ يرتضى لوصية
وأدعو لدائي بالشراب فما أسقى
وأكبر همي أن أرى لك مرسلًا
فطول نهاري جالسًا أرقب الطرqa
فواكبدني إذ ليس لي منك مجلسٌ
فأشكو الذي بي من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظةً
ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقا

قال: فلما قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية، فأتاه فدخل عليه فوجد معاوية مطرقاً، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا الأمر الذي شجأك؟ قال: أمر أمرضني وأفلقني منذ اليوم، وما أدري ما أعمل في شأنه. قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الفاسق أبو دهبيل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة، فلم تزل باكيةً منذ اليوم، وقد أفسدها، فما ترى فيه؟ فقال: الله إن الرأي لهين. قال: وما هو؟ قال: عبدٌ من عبيدك يكمن له في أزقة مكة فيريحنا منه. قال معاوية: أف لك؟ والله إن امرأً يريد بك ما يريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغير ذي رأي، وأنت قد ضاق درعك بكلمة وقصر فيها باعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش! أو ما تعلم أنك إذا فعلت ذلك صدقت قوله وجعلتنا أحدىةً أبداً؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة وسارت حتى بلغتني وأوجعتني وحملتني على ما أشرت به فيه. قال: وما هي؟ قال قال :

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل
وما كل من يلحى محباً له عقل
لقد كان في حولين حالاً ولم أزر
هوأي وإن خوفت عن حبها شغل
حمى الملك الجبار عني لقاءها
فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير في حب يخاف وباله
ولا في حبيب لا يكون له وصل
فواكبدني إني شهرت بحبها
ويا عجباً إني أكاثم حبها
وقد شاع حتى قطعت دونها السبل
ولم يك فيما بيننا ساعةً بذل

قال: فقال معاوية: قد والله رفهت عني، فما كنت آمن أنه قد وصل إليها، فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطب فيه يسير، قم عني فقام يزيد فانصرف. وحج معاوية في تلك السنة، فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم أبي دهبيل، ثم دعا بهم ففرق في جميعهم صلات سنيةً وأجازهم جوائز كثيرةً. فلما قبض أبو دهبيل جائزته وقام لينصرف دعا به معاوية فرجع إليه، فقال له: يا أبا دهبيل، ما لي رأيت أبا خالد يزيد بن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارص تأتيه عنك وشعر لا تزال قد نطقت به وأنفذته إلى خصمائنا وموالينا، لا تعرض لأبي خالد. فجعل يعتذر إليه ويحلف له أنه مكذوبٌ عليه. فقال له معاوية: لا بأس عليك، وما يضرك ذلك عندنا، هل تأهلته؟ قال: لا. قال: فأبي بنات عمك أحب إليك؟ قال: فلانة، قال: قد زوجتكها وأصدقته ألفي دينار وأمرت لك بألف دينار. فلما قبضها قال: إن رأي

أمير المؤمنين أن يعفو لي عما مضى! فإن نطقت ببيت في معنى ما سبق مني فقد أبحت به دمي وفلانة التي زوجتنيها طالق البتة. فسر بذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ووعدته بإدراك ما وصله به في كل سنة، وانصرف إلى دمشق. ولم يحجج معاوية في تلك السنة إلا من أجل أبي دهب.

قصته مع شامية تزوجها أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال حدثني إبراهيم بن عبد الله قال: خرج أبو دهب يريد الغزو، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً. فلما كان بجيرون جاءت امرأة فأعطته كتاباً فقالت: اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها، ثم ذهبت فدخلت قصرًا ثم خرجت إليه فقالت: لو بلغت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه أجرٌ إن شاء الله، فإنه من غائب لها يعينها أمره، فبلغ معها القصر، فلما دخلا إذا فيه جوار كثيرة، فأغلقت القصر عليه، وإذا فيه امرأة وضيئة، فدعته إلى نفسها فأبى، فأمرت به فحبس في بيت في القصر وأطعم وسقي قليلاً قليلاً حتى ضعف وكاد يموت، ثم دعت به إلى نفسها فقال: لا يكون ذلك أبداً، ولكني أتزوجك، قالت: نعم، فتزوجها، فأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت إليه نفسه، فأقام معها زماناً طويلاً لا تدعه يخرج، حتى يئس منه أهله وولده، وتزوج بنوه وبناته واقتسموا ماله، وأقامت زوجته تبكي عليه حتى عمت حتى عمتهم ماله. ثم إنه قال لامرأته: إنك قد أثمت في وفي ولدي وأهلي، فأذني لي أطلعهم وأعود إليك، فأخذت عليه أيماناً ألا يقيم إلا سنةً حتى يعود إليها. فخرج من عندها يجر الدنيا حتى قدم على أهله، فرأى حال زوجته وما صار إليه ولده. وجاء إليه ولده، فقال لهم: لا والله ما بيني وبينكم عمل، أنتم قد ورثتموني وأنا حي فهو حظكم، والله لا يشرك زوجتي فيما قدمت به أحد، ثم قال لها: شأنك به فهو لك كله. وقال في الشامية:

صاح حياً الإله حياً ودوراً	عند أصل القناة من جيرون
عن يساري إذا دخلت من البا	ب وإن كنت خارجاً عن يميني
فبذاك اغتربت في الشام حتى	ظن أهلي مرجمات الظنون
وهي زهراء مثل لؤلؤة الغ	واص ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبته لم تجدها	في سناء من المكارم دون
تجعل المسك واليلنجوج وال	ند صلاء لها على الكانون
ثم ماشيتها إلى القبة الخض	راء تمشي في مرمر مسنون
وقباب قد أسرجت وبيوت	نظمت بالريحان والزرجون
قبة من مراحل ضربوها	عند حد الشتاء في قيطون
ثم فارقتها على خير ما كا	ن قرين مفارق لقرين

ن بكاء الحزين إثر الحزين

لأناسي إذا هم عدلونني

فبكت خشية التفرق للبي

واسألني عن تذكري واطمنني

فلما حل الأجل أراد الخروج إليها، فجاءه موتها فأقام.

وفد على ابن الأزرق فجفاه فذمه ثم مدحه لما أكرمه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال:

وفد أبو دهب الجمحي على ابن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وكان يقال له ابن الأزرق والهبرزي، وكان عاملاً لعبد الله بن الزبير على اليمن، فأنكره ورأى منه جفوة، فمضى إلى عمارة بن عمرو بن حزم، وهو عامل لعبد الله بن الزبير على حضرموت، فقال بمدحه ويعرض بابن الأزرق:

حييت إنساناً عماره

يك من عطيته الصغاره

جذماه ليس لها نزاره

تعطي على المدح الحجاره

وتذم مشيته المصاره

يا رب حي بخير ما

أعطي فأسناناً ولم

ومن العطية ما ترى

حجراً تقلبه وهل

كالبلغل يحمد قائماً

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدم، فقال له حنين مولى ابن الأزرق في السر: أرى أنك عجلت على ابن عمك وهو أجود الناس وأكرمهم، فعد إليه فإنه غير تاركك، واعلم أنا نخاف أن يكون قد عزل فلازمه ولا يفقدك، فإني أخاف أن ينسأك، ففعل وأعطاه وأرضاه. فقال في ذلك:

مرنح من صميم الوجد معمود

معروفه إن طلبنا الجود موجود

ضباً وأني عليك اليوم محسود

ما دام بالهضب من لبنان جلمود

إذ لا تمدح صم الجندل السود

يرحل من اليمن المعروف والجود

لما اعتري الناس لأواء ومجهود

لحب لمن يطلب المعروف أخدود

يا حن إني لما حدثتني أصلاً

نخاف عزل امرئ كنا نعيش به

اعلم بأني لمن عاديت مضطغن

وأن شكرك عندي لا انقضاء له

أنت الممدح والمغلي به ثمناً

إن تغد من منقلي نجران مرتحلاً

ما زلت في دفعات الخير تفعلها

حتى الذي بين عسفان إلى عدن

قال: وأنشدنيها محمد بن الضحاك بن عثمان قال سمعتها من أبي.

حديثه عن نظم بيت من شعره

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال أخبرني الزبير بن بكار، وحدثني حمزة بن عتبة قال: قال أبو دهبيل الجمحي: لما قلت أبياتي التي قلت فيها:

اعلم بأنني لمن عاديت مضطغنً ضباً وأني عليك اليوم محسود

قلت فيها نصف بيت وأن شكرك عندي لا انقضاء له ثم أرتج علي فأقمت حولين لا أقع على تمامه، حتى سمعت رجلاً من الحاج في الموسم يذكر لبنان، فقلت: ما لبنان؟ فقال: جبل بالشأم، فأتممت نصف البيت:

ما دام بالهضب من لبنان جلمود

فضل إبراهيم بن هشام شعره على شعر نصيب: قال الزبير وحدثني محمد بن حبش المخزومي قال: دخل نصيبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها، فقال إبراهيم بن هشام: ما هذا بشيء، أين هذا من قول أبي دهبيل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال:

إن تغد من منقلي نجران مرتحلاً بين من اليمن المعروف والجود

فغضب نصيبٌ فحمي فترع عمامته وطرحها وبرك عليها، ثم قال: إن تأتوننا برجال مثل ابن الأزرق نأتكم بمدح أجود من مدح أبي دهبيل.

قال الزبير وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهري قال حدثني إسماعيل بن يعقوب بن مجمع التيمي قال: كان إبراهيم بن هشام جباراً وكان يقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينة الأشهر. فإذا أذن للناس أذن معهم لشاعر، فينشد قصيدة مديح لهشام بن عبد الملك وقصيدة مديح لإبراهيم بن هشام. فأذن لهم يوماً، وكان الشاعر الذي أذن له معهم نصيباً وعليه جبة وشي، فاستأذنه في الإنشاد فأذن له، فأنشده قصيدةً لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام، وقصيدة هشام أشعر، فأراد الناس مملحة نصيب فقالوا: ما أحسن هذا يا أبا محجن! أعد هذا البيت. فقال إبراهيم: أكثرتم، إنه لشاعر، وأشعر منه الذي يقول في ابن الأزرق:

إن تمس من منقلي نجران مرتحلاً بين من اليمن المعروف والجود

ما زلت في دفعات الخير تفعلها لما اعترى الناس لأواء ومجهود

وحمي نصيب فقال: إنا والله ما نصنع المديح إلا على قدر الرجال، كما يكون الرجل يمدح. فعم الناس الضحك وحلم عنه، وقال الحاجب: ارتفعوا، فلما صاروا في السقيفة ضحكوا وقالوا: رأيتم مثل شجاعة هذا الأسود على هذا الجبار! وحلم من غير حلم.

مدح ابن الأزرق بعد عزله

وذم إبراهيم بن سعد:

قال الزبير وحدثني عمي مصعب قال: خرج أبو دهبيل يريد ابن الأزرق فلقية معزولاً، فشق ذلك عليه واسترجع، فقال له ابن الأزرق: هون عليك! لم يفتك شيء، فأعطاه مائتي دينار . فقال في ذلك أبو دهبيل:

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نزع
عنه المكارم تغشاه وما نزعاً

وحدثني محمد بن الضحاك مثل ذلك وأنشدني البيت.

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو توبة صالح بن محمد بن دراج قال حدثنا أبو عمرو الشيباني قال: ولي عبد الله بن الزبير ابناً لسعد بن أبي وقاص يقال له إبراهيم مكان الثبت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يقال له ابن الأزرق، فخرج حتى نزل بزييد ، فقال لابن الأزرق: هلم حسابك، فقال: مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل، وخرج متوجهاً إلى مكة. فاستأذنه أبو دهبيل في صحبة الوقاصي فأذن له فرجع معه، حتى إذا دخلوا صنعاء لقيهم بحير بن ريسان في نفرٍ كثيرٍ من الفرس وغيرهم، ومضى ابن الأزرق ومعه ما احتمله من أموال اليمن، فسار يوماً ثم نزل فضرب رواقه ودعا الناس فأعطاهم ذلك المال حتى لم يبق منه درهم فقال أبو دهبيل:

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نزع
عنه المكارم تغشاه وما نزعاً

وأقام أبو دهبيل مع الوقاصي، فلم يصنع به خيراً. فقال أبو دهبيل:

ماذا رزئنا غداة الخل من رمع
ظل لنا واقفاً يعطي فأكثر ما
عند التفريق من خيم ومن كرم
سمى وقال لنا في قوله نعم

نعم حرف موقوف فإذا حرك أجريت حركته إلى الخفض لأنه أولى بالساكن:

ثم انتحى غير مذموم وأعيننا
تحمله الناقة الأدماء معتجرا
وكيف أنساك لا أيديك واحدة
حتى لقينا بحيراً عند مقدمنا
لما رأيت مقامي عند بابهم
لما تولى بدمع واكف سجم
بالبرد كالبرد جلى ليلة الظلم
عندي ولا بالذي أوليت من قدم
في موكب كضباع الجزع مرتكم
وددت أني بذاك الباب لم أقم

بحير بن ريسان وشعره فيه

وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أبو دهبيل:

بحير بن ريسان الذي سكن الجند
يقول له الناس الجواد ومن ولد

له نفحات حين يذكر فضله

كسيل ربيع في ضحاضحة السند

في هذين البيتين هزج بالبصر ذكر عمرو بن بانة أنه ليمان، وذكر الهشامي أنه لابن جامع.
مدائحه في ابن الأزرق: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيباني قال: كان ابن الزبير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن، فمد يده إلى أموالها وأعطى أعطية سنوية وبث في قريش منها أشياء جزيلة فأثنت عليه قريش ووفدوا إليه فأسنى لهم العطايا. وبلغ ذلك عبد الله بن الزبير فحسده وعزله بإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص. فلما قدم عليه أراد أن يحاسبه، فقال له: مالك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل، وقدم مكة، فخافت قريش ابن الزبير عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه، فلما لقيهم نزلت إليه قريش فسلمت عليه وبسطت له أرديتها وتلقته إماؤهم وولائدهم بمجامر الألوة والعود المنديلي يبخرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت، ثم جاء إلى ابن الزبير فسلم عليه وهم معه مطيفون به. فعلم ابن الزبير أنه لا سبيل له إليه فما عرض ولا صرح له بشيء. ومضى إلى منزله. فقال أبو دهب: مطيفون به.

فمن يك شأن العزل أو هد ركنه

لأعدائه يوماً فما شأنك العزل

وما أصبحت من نعمة مستفاد

ولا رحم إلا عليها لك الفضل

وقال أبو دهب أيضاً فيه - أخبرني بذلك ابن المرزبان عن أبي توبة عن أبي عمرو الشيباني، وأخبرني به الحرمي عن الزبير عن عمه - :

عقم النساء فلم يلدن شبيهه

إن النساء بمثله عقم

متهلل بنعم بلا متباعذ

سيان منه الوفر والعدم

نزر الكلام من الحياء تخاله

ضمنا وليس بجسمه سقم

وفد على سليمان بن عبد الملك

فلم يحسن وفادته ثم رضي عنه:

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال:

قال أبو دهب يمدح ابن الأزرق:

بأبي وأمي غير قول الباطل

الكامل ابن الكامل ابن الكامل

والحازم الأمر الكريم برأيه

والواصل الأرحام وابن الواصل

جمع الرياسة والسماح كليهما

جمع الجفير قداح نبل النابل

أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن عمر قال حدثني سليمان بن عباد قال حدثني أبو جعفر الشويفعي رجل من أهل مكة قال: قدم سليمان بن عبد الملك مكة في حر شديد، فكان ينقل سريره بفناء الكعبة وأعطى الناس العطاء. فلما بلغ بني جمح نودي بأهل دهب، فقال سليمان: أين أبو دهب الشاعر؟ علي به، فأتي به، فقال سليمان: أنت أبو دهب الشاعر؟ قال: نعم، قال: فأنت القائل:

حطب النار فدعها تشتعل

فتنة يشعلها ورادها

وإذا ما كان خوف فاعتزل

فإذا ما كان أمن فأتهم

قال: نعم. قال: وأنت القائل:

وعند مروان خار القوم أو رقدوا

يدعون مروان كيما يستجيب لهم

عجل إذا خار فيهم خورة سجدا

قد كان في قوم موسى قبلهم جسد

قال: نعم. قال: أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا، لا والله ولا كرامة! فقال: يا أمير المؤمنين، إن قوماً فتنوا فكافحواكم بأسياهم وأجلبوا عليكم بخيلهم ورجلهم ثم أدالكم الله منهم فغفوتهم عنهم، وإنما فتنتم فقلت بلساني، فلما لا يعفى عني! فقال سليمان: قد عفونا عنك وأقطعته قطيعةً بحاذان باليمن. فقبل لسليمان: كيف أقطعته هذه القطيعة! قال: أردت أن أميته وأميت ذكره بها.

أبو دهب وعمره محبوبته

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا المدائني عن جماعة من الرواة: أن أبا دهب كان يهوى امرأة من قومه يقال لها عمرة وكان امرأةً جزلةً يجتمع الرجال عندها لإنشاد الشعر والمحادثة، وكان أبو دهب لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً محبةً له. وكان أبو دهب من أشرف بني جمح، وكان يحمل الحمالة وكان مسوداً، وزعمت بنو جمح أنه تزوجها بعد، وزعم غيرهم من الرواة أنه لم يصل إليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام. قال: وكانت عمرة تتقدم إلى أبي دهب في حفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن ذلك لها. فجاء نسوة كن يتحدثن إليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهب وقلن: قد علق امرأة، قالت: وما ذاك؟ قلن: ذكر أنه عاشق لك وأنت عاشقة له. فرفعت مجلسها ومجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجاباً بينهم وبينها، وكتبت إلى أبي دهب تعذله وتخبره بما بلغها من سوء صنيعه. فعند ذلك يقول:

وأعيت غواشي عبرتي ما تفرج

تطاول هذا الليل ما يتبلج

خلال ضلوعي جمره تتوهج

وبت كئيها ما أنام كأنما

وطوراً إذا ما لج بي الحزن أنشج

فطوراً أمني النفس من عمرة المنى

ونحن إلى أن يوصل الحب أحوج

لقد قطع الواشون ما كان بيننا

رأوا غرةً فاستقبلوها بألبهم
 وكانوا أناساً كنت آمن غيهم
 هم منعونا ما نحب وأوقدوا
 ولو تركونا لا هدى الله سعيهم
 لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا
 عسى كربةً أمسيت فيها مقيمةً
 فيكبت أعداءٌ ويجذل ألفٌ
 وقلت لعبادٍ وجاء كتابها
 وخططت في ظهر الحصير كأنني
 فلما التقينا لجللت في حديثها
 وإني لمحجوبٌ عشية زرتها
 وأعيا علي القول والقول واسعٌ
 فرأوا على ما لا نحب وأدلجوا
 فلم ينهم حلم ولم يتخرجوا
 علينا وشبوا نار صرم تأجج
 ولم يلحموا قولاً من الشر ينسج
 وهل يستقيم الدهر والدهر أعوج
 يكون لنا منها نجاة ومخرج
 له كبد من لوعة الحب تنتزع
 لهذا وربّي كانت العين تخرج
 أسيرٌ يخاف القتل ولهان ملفج
 ومن آية الصرم الحديث الملجلج
 وكنت إذا ما جئتها لا أعرج
 وفي القول مستنٌ كثيرٌ ومخرج

أبو السائب المخزومي وأبو جندب الهذلي تغنيهما جارية بشعر أبي دهل:
 أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني خالد بن بكر الصواف قال: أتيت ابن أبي
 العراقيب فسألته أن يدخلني على جارية مغنية لم ير أحدٌ مثلها قط، فقال لي: إن في البيت والله شيخين كريمين
 علي، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما، فلو أقمت حتى أطلع رأيهما في ذلك، فدخل ثم خرج إلي
 فقال: ادخل فدخلت، فإذا أبو السائب المخزومي وأبو جندب الهذلي، وخرجت علينا الجارية قاطبةً عابسةً، فلما
 وضع العود في حجرها اندفعت تغني وتقول:

عسى كربةً أمسيت فيها مقيمةً
 وإني لمحجوبٌ غداة أزورها
 يكون لنا منها نجاة ومخرج
 وكنت إذا ما زرتها لا أعرج

قال: ثم بكت، فوثباً عليه جميعاً فقالا له: لعلك أربتها بشيء، عليك وعلينا إن لم تقم إليها حتى تقبل رأسها
 وتترضاها، ففعل.

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

تناول هذا الليل ما يتبلج
 وأعيت غواشي عبرتي ما تفرج

أخطط في ظهر الحصير كأني

أسيرٌ يخاف القتل ولهان ملفج

الغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لحن لملك ذكره حماد عن أبيه في أخبار مالك ولم يجنسه.
وحكي أن مالكا كان إذا سئل عنه يذكر أنه أخذه من حائد بن جرهذ فقومه وأصلحه. وفيه لأبي عيسى بن
الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش والمشملي.

صوت

لقد قطع الواشون ما كان بيننا

ونحن إلى أن يوصل الحبل أحوج

فطوراً أمني النفس من عمرة المنى

وطوراً إذا ما لج بي الهم أنشج

الغناء لملك ثقيل أول بالسبابة في مجرى البصر عن إسحاق. وذكر حبش أن فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى.
شعره في رثاء الحسين بن علي: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال: قال أبو
دهبل في قتل الحسين بن علي صلوات الله عليه وزكواته:

تبيت سكارى من أمية نوماً

وبالطف قتلي ما ينام حميمها

وما أفسد الإسلام إلا عصابةً

تأمر نوكاها ودام نعيمها

فصارت قناة الدين في كف ظالمٍ

إذا اعوج منها جانب لا يقيمها

قصيدته الدالية

قال الزبير وحدثني يحيى بن مقداد بن عمران بن يعقوب الزمعي قال حدثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني
أبو دهبل قصيدته التي تقول فيها:

سقى الله جازاناً فمن حل وليه

فكل فسيلٍ من سهام وسردد

ومحصوله الدار التي خيمت بها

سقاها فأروى كل ربع وفدغد

فأنت التي كلفتني البرك شاتياً

وأوردتني فانظري أي مورد

صوت

فواندمي أن لم أعج إذ تقول لي

تقدم فشيئنا إلى ضحوة الغد

تكن سكناً أو تقدر العين أنها

ستبكي مراراً فأسل من بعد واحمد

فأصبحت مما كان بيني وبينها

سوى ذكرها كالقباض الماء باليد

الغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لبذل الكبير رملٌ عن الهشامي:

لعلك أن تلقى محباً فتشتقي
برؤية ريم بضة المتجرد
بلاد العدا لم تأتها غير أنها
بها هم نفسي من تهامٍ ومنجد
وما جعلت ما بين مكة ناقتي
إلى البرك إلا نومة المتهدج
وكانت قبيل الصبح تنبذ رحلها
بدومة من لغط القطا المتبدد

قال فقلت: يا عمي فما يمنعك أن تكتري دابةً بدرهمين فتشيّعها وتصبح معك، فضحك وقال: نفع الله بك يا بن أخي، أما علمت أن الندم توبةٌ، وعمك كان أشغل مما تحسب.

أنشد أبو السائب شعراً له فتهكم به

قال الزبير وحدثني عمي مصعب بن عبد الله قال: أنشد رجل أبا السائب المخزومي قصيدة أبي دهل:
سقى الله جازاناً فمن حل وليه
فكل فسيلٍ من سهامٍ وسررد
فلما بلغ قوله:

فواندمي أن لم أعج إذ تقول لي
تقدم فشيّعنا إلى ضحوة الغد
قال أبو السائب: ما صنع شيئاً! ألا اكثري حمراً بدرهمين فشيّعهم ولم يقل فواندمي أو اعتذر! وإني أظن أنه قد كان له عذر. قال: وما هو؟ قال: أظنه كان مثلي لا يجد شيئاً.

قصيدته الميمية

فقال الزبير وحدثني ابن مقداد قال حدثني عمي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهل قوله:

صوت

ألا علق القلب المتيم كلثما
لجاجة ولم يلزم من الحب ملزما
خرجت بها من بطن مكة بعدما
أصوات المنادي بالصلاة فأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتد سامرٌ
من الحي حتى جاوزت بي يلملما
ومرت ببطن الليث تهوي كأنما
تبادر بالإدلاج نهياً مقسما

غنى في هذه الأبيات ابن سريج خفيف رمل بالنصر عن الهشامي. قال: وفيه هزجٌ يمانٍ بالوسطى، وذكر عمرو بانه أن خفيف الثقيل هو اليماني. وفيه لفيل مولى العبلات رملٌ صحيح عن حماد عن أبيه عن الهشامي. وقال الهشامي: فيه لحكم ثقيلٌ أول. وذكر أبو أيوب المديني في أغاني ابن جامع أن فيه لحناً ولم يجنسه:

وجازت على البروء والليل كاسرٌ
فما ذر قرن الشمس حتى تبينت
ومرت على أشطان رونق بالضحي
وما شربت حتى ثنيت زمامها
فقلت لها قد بنت غير ذميمةٍ
وأصبح وادي البرك غيثاً مديماً
جناحين بالبروء ورداً وأدهما
بعليب نخلًا مشرفاً أو مخيماً
فما خزرت للماء عيناً ولا فما
وخفت عليها أن تخر وتكلما
فقلت لها قد بنت غير ذميمةٍ
وأصبح وادي البرك غيثاً مديماً

قال: فقلت له: ما كنت إلا على الريح، فقال: يا بن أخي، إن عمك كان إذا هم فعل، وهي الحاجة. أما سمعت قول أخي بني مرة:

إذا أقبلت قلت مشحونةٌ
وإن أدبرت قلت مذعورةٌ
وإن أعرضت خال فيها البصي
يدا سرح مائلٍ ضبعها
فمرت على خشب غدوةٍ
تخبط بالليل حزانه
أطاعت لها الريح قلعا جفولا
من الربد تتبع هيقاً ذمولا
ر مالا تكلفه أن يميلا
تسوم وتقدم رجلاً زحولا
ومرت فويق أريكٍ أصيلا
كخبط القوي العزيز الذليلا

استحسن ريان السواق شعره وقال ليس بعده شيء: وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جعفر بن الحسن اللهي قال: أنشدت ريان السواق قول أبي دهيل:

أليس عجيباً أن نكون ببلدة
ولا تصرميني أن تريني أحكم
فقال: أحسن، أحسن الله إليه، ما بعد هذا شيء.
وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

أما أناساً كنت قد تأمنينهم
وقالوا لنا ما لم يقل ثم كثروا
فزادوا علينا في الحديث وأوهموا
علينا وباحوا بالذي كنت أكتم

وعاودها تهتاتها فيه تسجم

لقد كحلت عيني القذى لفراقكم

علي حياتي والهوى متقسم

وأنكرت طيب العيش مني وكدرت

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن زرزور الطائفي خفيف ثقیلٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه خفيفاً رملٌ أحدهما بالوسطى لمتيم والآخر بالبصرة لعريب. حديث القاسم ابن المعتمر مع أبي السائب عن شعره: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني عمي قال حدثني القاسم بن المعتمر الزهري قال: قلت لأبي السائب المخزومي: يا أبا السائب، أما أحسن أبو دهبٍ حيث يقول:

صوت

سوى ليلةٍ إنني إذاً لصبور

أترك ليلى ليس بيني وبينها

له ذمة إن الذمام كبير

هبوني امراً أضل بعيره

على صاحبٍ من أن يضل بعير

وللساحب المتروك أفضل ذمة

قال: فقال لي: وبأي أنت! كنت والله لا أحبك وتثقل علي، فأنا الآن أحبك وتخف علي. وفي هذه الأبيات غناء لابن سريج خفيف رملٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه لعلويه رملٌ بالوسطى من جامع أغانيه. وفيه للمازني خفيف ثقیلٌ آخر من رواية الهشامي وذكاء وغيرهما. وأول هذا الصوت بيت لم يذكر في الخبر، وهو:

إذا وليت حكماً علي تجور

عفا الله عن ليلى الغداة فإنها

توعد ابن صفوان عمه فقال

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك عن أبيه: أن أبا ریحانة عم أبي دهبٍ كان شديد الخلاف على عبد الله بن الزبير، فتوعد عبد الله بن صفوان، فلحق بعبد الملك بن مروان، فاستمده الحجاج فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف، فأشرف أبو ریحانة على أبي قبيس فصاح أبو ریحانة: أليس قد أخزاكم الله يا أهل مكة! فقال له ابن أبي عتيق: بلى والله قد أخزانا الله. فقال له ابن الزبير: مهلاً يا بن أخي! فقال: قلنا لك ائذن لنا فيهم وهم قليل فأبيت حتى صاروا إلى ما ترى من الكثرة. قال: وقال أبو دهبٍ في وعيد عبد الله بن صفوان عمه أبا ریحانة واسمه علي بن أسيد بن أحيحة:

فإن وعيده كلاً وبيل

ولا توعد لتقلته عليا

لرهطك من بني عمرو رعي

ونحن ببطن مكة إذ تداعى

أولو الجمع المقدم حين ثابوا إليك ومن يودعهم قليل
فلما أن تفانينا وأودى بثروتنا الترحل والرحيل
جعلت لحومنا غرضاً كأنا لتهلكنا عروبة أو سلول

رثى ابن الأزرق وأوصى أن يدفن بجانبه

أخبرني محمد بن خلف قال حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشيباني قال: مات ابن الأزرق وأبو دهبل حي فدفن بعلي، فلما احتضر أبو دهبل أيضاً أوصى أن يدفن عنده. وفيه يقول أبو دهبل يرثيه - عن أبي عمرو الشيباني - : -

لقد غال هذا اللحد من بطن علي فتى كان من أهل الندى والتكرم
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ونعم الفتى للطارق المتيمم
ألحق أني لا أزال على منى إذا صدر الحجاج عن كل موسم
سقى الله أرضاً أنت ساكن قبرها سجال الغوادي من سحيل ومبرم

خرج إلى مصر لطلب ميراث ثم عاد وقال شعراً: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني عمي قال حدثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال: وقع لأبي دهبل ميراث بمصر فخرج يريد، ثم رجع من الطريق فقال:

اسلمي أم دهبل بعد هجر وتقض من الزمان وعمر
واذكري كري المطي إليكم بعد ما قد توجهت نحو مصر
لا تخالي أني نسينك لما حال ببش ومن به خلف ظهري
إن تكوني أنت المقدم قبلي وأطع يثو عند قبرك قبري

قال إبراهيم: فوقفت على قبره إلى جانب قبرها بعلي.

صوت من المائة المختارة

من رواية علي بن يحيى

ألا أيها الشادن الأكل إلى كم تقول ولا تفعل
إلى كم تجود بما لا نري د منك وتمنع ما نسأل

الشعر للحسين بن الضحاك. والغناء لأبي زكار الأعمى، ولحنه المختار هزج بالبنصر.

أخبار حسين بن الضحاك ونسبه

منشؤه وشعره: الحسين بن الضحاك باهليّ صليبيّ، فيما ذكر محمد بن داود بن الجراح، والصحيح أنه مولى لباهلة. وهو بصري المولد والمنشأ، من شعراء الدولة العباسية، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم. ويقال: إنه أول من جالس منهم محمد الأمين. شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسن التصرف في الشعر حلّو المذهب، لشعره قبول ورونق صافٍ. وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها. وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبته الناس إلى أبي نواس. وله معانٍ في صفتها أبدع فيها وسبق إليها، فاستعارها أبو نواس، وأخبارهما في هذا المعنى وغيره تذكر في أماكنها. وكان يقلب الخليل والأشقر، وهاجى مسلم بن الوليد فانتصف منه. وله غزل كثير جيد. وهو من المطبوعين الذين تخلّوا أشعارهم ومذاهبهم جملةً من التكلف. وعمر عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة، ومات في خلافة المستعين أو المنتصر.

وحدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: كان حسين بن الضحاك بن ياسر مولى لباهلة، وأصله من خراسان، فكان ربما اعترف بهذا الولاء وربما جحدته، وكان يلقب بالأشقر، وهو ومحمد بن حازم الباهلي ابنا حالة.

وحدثني الصولي عن إبراهيم بن المعلى الباهلي: أنه سأله عن نسب حسين بن الضحاك فقال: هو حسين بن الضحاك بن ياسر، من موالي سليمان بن ربيعة الباهلي. قال الصولي: وسألت الطيب بن محمد الباهلي عنه فقال لي: هو الحسين بن الضحاك بن فلان بن فلان بن ياسر، قديم الولاء، وداره في بني مجاشع وفيها ولد الحسين، أرائنها صاحبنا سعيد بن مسلم.

قال قصيدته الحمزية فاستحسنها أبو نواس ونسبت إليه: أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب ومحمد بن يحيى الصولي قالوا: حدثنا المغيرة بن محمد المهلي قال حدثنا حسين بن الضحاك قال: أنشدت أبا نواس لما حججت قصيدي التي قلتها في الخمر وهي:

ومن صبحوك در الإبل والشاء

بدلت من نفحات الورد بالآء

فلما انتهيت منها إلى قولي:

عند الصبح ببسامين أكفاء

حتى إذا أسندت في البيت واحتضرت

عن مثل رقراقة في جفن مرهء

فضت خواتمها في نعت واصفها

قال: فصعق صعقةً أفزعني، وقال: أحسنت والله يا أشقر! فقلت: ويلك يا حسن! إنك أفزعني والله! فقال: بلى والله أفزعني ورعني، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بد أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتني إليه واختلسته مني، وستعلم لمن يروى ألي أم لك، فكان والله كما قال، سمعت من لا يعلم يرويه له. أخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله بن هاشم أبو جعفر قال: سمعت الحسين بن الضحاك يقول: لما قلت قصيدي:

بدلت من نفحات الورد بالآء

أنشدتها أبا نواس، فقال: ستعلم لمن يرويها الناس ألي أم لك، فكان الأمر كما قال، رأيتها في دفاتر الناس في أول أشعاره.

أخبرني جعفر بن قدامه عن أحمد بن أبي طاهر بن صالح عن الحسين بن الضحاك، فذكر نحوه منه.

ذكر للمأمون فحجبه لشعره في الأمين

أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن محمد الفارسي عن ثمامة بن أثرس، قال الصولي وحدثني عون بن محمد عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال: لما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد، أمر بأن يسمى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضحاك، وكان من جلساء محمد المخلوع، فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم حسين، فقال: أليس هو الذي يقول في محمد:

أبدأ وكان لغيرك التلّف

هلا بقيت لسد فاقتنا

ولسوف يعوز بعدك الخلف

فلقد خلفت خلائفاً سلفوا

لا حاجة لي فيه، والله لا يراي أبداً إلا في الطريق. ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به. قال: وانحدر حسينٌ إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون.

أخبرني عمي والكوكبي بهذا قالاً حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن الحارث المروزي عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السندي بن شاهك، فذكر مثله سواء.

أنشد المأمون مدحه فيه فلم يرض عنه

قال ابن أبي طاهر فحدثني محمد بن عبد الله صاحب المراكب قال أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال: دخلت يوماً على المأمون ومعي بيتان للحسين بن الضحاك، فقلت: يا أمير المؤمنين، أحب أن تسمع مني بيتين، فقال: أنشدتهما فأنشدته:

بنصرك يا أمير المؤمنين

حمدنا الله شكراً إذ حباننا

جمعت سماحةً وجمعت ديناً

فأنت خليفة الرحمن حقاً

فقال: لمن هذان البيتان يا صالح؟ فقلت: لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحاك، قال: قد أحسن. فقلت: وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا، فقال: وما هو؟ فأنشدته قوله:

صوت

أبخل فرد الحسن فرد صفاته

علي وقد أفردته بهوى فرد

رأى الله عبد الله خير عباده

فملكه والله أعلم بالعبد

قال: فأطرق ساعةً ثم قال: ما تطيب نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمد وقال.
قال أبو الفرج: وهذه الأبيات تروى لابن البواب، وستذكر في أبوابه إن شاء الله تعالى، وعلى أن الذي رواها
غلط في روايته غلطاً بيناً، لأنها مشهورة من شعر حسين بن الضحاك. وقد روي أيضاً في أخباره أنه دفعها إلى
ابن البواب فأوصلها إلى أن ابن المأمون، وكان له صديقاً. ولعل الغلط وقع من هذه الجهة.

الغناء في الأبيات المذكورة المنسوبة إلى حسين بن الضحاك وإلى ابن البواب الدالية لإبراهيم بن المهدي خفيف
ثقل بالبنصر. وفيها لعبيد الله بن موسى الطائفي رمل بالبنصر.

أمر المأمون ابن بانة بالغناء بشعره

في الأمين:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلي عن أبيه عن عمرو بن بانة أنهم كانوا عند صالح بن
الرشيد، فقال: لست تطرح على حوارى وغلماي ما أستجيده! فقال له: ويلك! ما أبغضك ابعت إلى متزلي
فجيء بالدفاتر واختر منها ما شئت حتى ألقيه عليهم، فبعث إلى متزلي فجيء إليه بدفاتر الغناء فأخذ منها دفترأ
ليتحير مما فيه، فمر به شعر الحسين بن الضحاك يرثي الأمين ويهجو المأمون وهو:

أطل حزناً وابك الإمام محمداً

بحزن وإن خفت الحسام المهندا

فلا تمت الأشياء بعد محمد

ولا زال شمل الملك منها مبددا

ولا فرح المأمون بالملك بعده

ولا زال في الدنيا طريداً مشردا

فقال له صالح: أنت تعلم أن المأمون يجيء إلي في كل ساعة، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلاً! ثم دعا بسكين
فجعل يحكه، وصعد المأمون من الدرجة ورمى صالح الدفتر. فقال المأمون: يا غلام الدفتر، فأتي به، فنظر فيه
ووقف على الحك فقال: إن قلت لكم: ما كنتم فيه تصدقوني؟ قلنا: نعم. قال: ينبغي أن يكون أخي قال لك:
ابعت فجيء بدفاترك ليتخير ما تطرح، فوقف على هذا الشعر فكره أن أراه فأمر بحكه، قلنا: كذا كان. فقال:
غنه يا عمرو، فقلت: يا أمير المؤمنين، الشعر لحسين بن الضحاك والغناء لسعيد بن جابر، فقال: وما يكون! غنه
فغنيت، فقال: اردده فرددته ثلاث مرات، فأمر لي بثلاثين ألف درهم، وقال: حتى تعلم انه لم يضررك عندي.
قال: وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحاك، وكان نديمه وصديقه:

يا سعيد وأين مني سعيد

مراثيه في الأمين

ولحسين بن الضحاك في محمد الأمين مراثٍ كثيرةٌ جياذ، وكان كثير التحقق به والمؤالة له لكثرة أفضاله عليه وميله إليه وتقديمه إياه. وبلغ من جزعه عليه أنه حولط، فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول: إنه مستتر وإنه قد وقف على تفرق دعائه في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضناً به وشفقةً عليه. ومن جيد مراثيه إياه قوله:

صوت

سألوني أن كيف نحن فقلنا
من هوى نجمه فكيف يكون
نحن قوم أصابنا حدث الده
ر فظلنا لربيّه نستكين
نتمنى من الأمين إياباً
لهف نفسي وأين مني الأمين

في هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقيل بالوسطى. وفيها لعريب خفيف ثقيل.
ومن جيد قوله في مراثيه إياه

أعزى يا محمد عنك نفسي
معاذ الله والأيدي الجسام
فهلا مات قوم لم يموتوا
ودفع عنك لي يوم الحمام
كأن الموت صادف منك غنما
أو استشفى بقربك من سقام

أعجب المأمون بيت من شعره وأجازه عليه بثلاثين ألف درهم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال قال لي محمد بن عباد: قال لي المأمون وقد قدمت من البصرة؛ كيف ظريف شعرائكم وواحد مصركم؟ قلت: ما أعرفه، قال: ذاك الحسين بن الضحاك، أشعر شعرائكم وأظرف ظرفائكم. أليس هو الذي قال:

رأى الله عبد الله خير عباده
فملكه والله أعلم بالعبد

قال: ثم قال لي المأمون: ما قال في أحد من شعراء زماننا بيتاً أبغ من بيته هذا، فاكتب إليه فاستقدمه، وكان حسين عليلاً وكان يخاف بواد المأمون لما فرط منه، فقلت للمأمون: إنه عليل يا أمير المؤمنين، علته تمنعه من الحركة والسفر. قال: فخذ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يعطيه ثلاثين ألف درهم، فأخذت الكتاب بذلك وأنفذته إليه فقبض المال.

قال الأزدي هو أشعر المحدثين

حدثنا علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب قال سمعت أبا العباس محمد بن يزيد الأزدي يقول: حسين بن الضحاك أشعر المحدثين حيث يقول:

أي ديباجة حسن
هيجت لوعة حزني
إذ رماني القمر الزا
هر عن فترة جفن

بأبي شمس نهار
برزت في يوم دجى
قربتني بالمنى ح
تى إذا ما أخلفتني
تركنتني بين ميعة
د وخلف وتجني
ما أراني لي من الصب
وة إلا حسن ظني
إنما دامت على الغد
ر لما تعرف مني
أستعيز الله من إع
راض من أعرض عني

استقدمه المعتصم من البصرة

أخبرني علي بن العباس قال حدثني سودة بن الفيض المخزومي قال حدثني أبو الفيض بن سودة عن جدي قال: لما ولي المعتصم الخلافة سألتني عن حسين بن الضحاك، فأخبرته بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه، فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدم. فلما دخل وسلم استأذن في الإنشاد له، فأنشده قوله:

هلا سألت تلذذ المشتاق
ومننت قبل فراقه بتلاق
إن الرقيب ليستريب تنفساً
صعداً إليك وظاهر الإقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة
عبري عليك سخينة الآماق
نفسي الفداء لخائف مترقب
جعل الوداع إشارة بعناق
إذ لا جواب لمفحم متحير
إلا الدموع تصان بالإطراق

حتى انتهى إلى قوله:

خير الوفود مبشر بخلافة
خصت ببهجتها أبا إسحاق
وافته في الشهر الحرام سليمة
من كل مشكلة وكل شقاق
أعطته صفقتها الضمائر طاعة
قبل الأكف بأوكد الميثاق

سكن الأنام إلى إمام سلامة

عف الضمير مهذب الأخلاق

فحمى رعيته ودافع دونها

وأجار مملقها من الإملاق

حتى أتمها. فقال له المعتصم: ادن مني فدنا منه، فملأ فمه جوهراً من جوهر بين يديه، ثم أمره بأن يخرج منه فيه فأخرجه، وأمر بأن ينظم ويدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله. فكان أحسن ما مدح به يومئذ.

ومما قدمه أهل العلم على سائر ما قالته الشعراء قول حسين بن الضحاك حيث قال:

قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى

متعسفين تعسف المراق

إني أحذركم بوادٍ ضيغمٍ

دربٍ بحطم موائل الأعناق

متأهبٍ لا يستفز جنانه

زجل الرعود ولامع الإبراق

لم يبق من متعرمين توثبوا

بالشأم غير جماجم أفلاق

من بين منجدل تمج عروقه

علق الأخادع أو أسير وثاق

وثنى الخيول إلى معاقل قيصرٍ

تختال بين أحزة ورقاق

يحملن كل مشمر متغشمٍ

ليثٍ هزبرٍ أهرت الأشداق

حتى إذا أم الحصون منازلًا

والموت بين ترائبٍ وتراق

هرت بطارقها هرير قساورٍ

بدهت بأكره منظر ومذاق

ثم استكانت للحصار ملوكها

ذلاً وناط حلوها بخناق

هربت وأسلمت الصليب عشيّة

لم يبق غير حشاشة الأرماق

قال: فأمر له المعتصم لكل بيت بألف درهم، وقال له: أنت تعلم يا حسين أن هذا أكثر ما مدحي به مادحٌ في دولتنا. فقبل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه.

أعجب الرياشي لببيتين له في الخمر

حدثني علي قال حدثني عثمان بن عمر الآجري قال: سمعت الرياشي ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جداً وهما:

إذا ما الماء أمكنني

وصفو سلافة العنب

صببت الفضة البيضاء

ء فوق قراضة الذهب

فقلت له: من يقولهما يا أبا الفضل؟ قال: أرق الناس طبعاً وأكثرهم ملحاً وأكملهم ظرفاً حسين بن الضحاك.

أخذ أبو نواس معنى له في الخمر فأجاده

أخبرني يحيى بن علي إجازة قال حدثني أبي عن حسين بن الضحاك قال: أنشدت أبا نواس قصيدتي:
وشاطري اللسان مختلق التثك
حتى بلغت إلى قولي :

كأنما نصب كاسه قمر
يكرع في بعض أنجم الفلك
قال: فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه:

إذا عب فيها شارب القوم خلته
يقبل في داج من الليل كوكبا
قال: فقلت له: يا أبا علي هذه مصالته . فقال لي: أتظن أنه يروي لك في الخمر معنى جيد وأنا حي؟! أخبرني به
جعفر بن قدامة عن علي بن محمد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضحاك فذكر مثله.
أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهبويه قال: أنشدت إبراهيم بن المدبر قول حسين بن الضحاك:
كأنما نصب كأسه قمر
حتى إذا رنحته سورتها
كشفت عن وزه مسنمة
في لين صينية من الفلك

فقال لي إبراهيم بن المدبر: إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرق منه هذا المعنى حين يقول: يقبل في داج من
الليل كوكبا فإن كان سرقه منه فهو أحق به لأنه قد برز عليه، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصر عنه.

مدح الواثق حين ولي الخلافة فأجازه

أخبرني محمد بن يحيى الخراساني قال حدثني محمد بن مخارق قال: لما بويع الواثق بالخلافة ودخل عليه الحسين بن
الضحاك فأنشده قصيدته التي أولها: صوت

ألم يرع الإسلام موت نصيره
سيسليك عما فات دولة مفضل
تثنى الله عطفه وألف شخصه
يصب ببذل المال حتى كأنما
وما قدم الرحمن إلا مقدماً
يرى بذله للمال نهياً يبادره
موارده محموداً ومصادره
بلى حق أن يرتاع من مات ناصره
أوائله محموداً وأواخره
على البر مذ شدت عليه مآزره
موارده محموداً ومصادره

فقال الواثق: إن كان الحسين لينطق عن حسن طوية ويمدح بخلوص نية. ثم أمر بأن يعطي لكل بيت قاله من هذه
القصيدة ألف درهم. فأعجبته الأبيات، حتى أمر فصنعت فيها عدة ألحان، منها لعريب في طريقة الثقيل الأول.

سرقة من شعر أبي العتاهية وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني محمد بن عمرو الرومي قال: لما ولي الوراق الخلافة أنشده حسين بن الضحاك قصيدةً منها:

سيسليك عما فات دولة مفضل
وأوائله محمودةٌ وأخـره
وما قدم الرحمن إلا مقدماً
موارده محمودةٌ ومصادره

قال: فأنشدت إسحاق الموصلي هذا الشعر، فقال لي: نقل حسين كلام أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول:

جـرى لك من هارون بالسعد طائره
إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ
إمام اعتزام لا تخاف بواده
موارده محمودةٌ ومصادره

قال: فعجبت من رواية إسحاق شعر المحدثين، وإنما كان يروى للأوائل ويتعصب على المحدثين وعلى أبي العتاهية خاصة.

في هذين الشعرين أغاني نسبتها:

صوت

جـرى لك من هارون بالسعد طائره
إمامٌ له رأيٌ حميدٌ ورحمةٌ
إمام اعتزام لا تخاف بواده
موارده محمودةٌ ومصادره
هو الملك المجبول نفساً على التقى
لتغمد سيوف الحرب فالله وحده
مسلمةٌ من كل سوء عساكره
ولي أمير المؤمنين وناصره

الشعر لأبي العتاهية، على ما ذكره الصولي. وقد وجدت هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسلم الخاسر. والغناء لإبراهيم، وله في لحن خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي.

صوت

سيسليك عما فات دولة مفضل
ثنى الله عطفه وألف شخصه
على البر مذ شدت عليه مآزره
أوائله محمودةٌ وأخـره

الشعر لحسين بن الضحاك. والغناء لعريب ثقيل أول مطلق. وفيه لقلم الصالحية خفيف رمل، وهو أغرب اللحن ولحن عريب المشهور.

مدح الوراق وهو في الصيد فأجازه أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى قال حدثني علي بن الصباح قال حدثني علي بن صالح كاتب الحسن بن رجاء قال حدثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال: كنا مع الوراق

بالقاطول وهو يتصيد، فصادر صيداً حسناً وهو في الزو من الإوز والدراج وطير الماء وغير ذلك، ثم رجع فتغدى، ودعا بالجلساء والمغنين وطرب، وقال: من ينشدنا؟ فقام الحسين بن الضحاك فأنشده:

سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا
وخص بسقياه مناكب قصركا
حتى انتهى إلى قوله:

تخين للدراج في جنباته
وألغر آجالٌ قدرن بكفكا
حتوفاً إذا وجهتهن قواضباً
عجالاً إذا أغريتهن بزجركا
أبحت حماماً مصعداً ومصوباً
وما رمت في حاليك مجلس لهوكا
تصرف فيه بين نايٍ ومسمع
ومشمولة من كف ظبي لسقيكا
قضيت لباناتٍ وأنت مخيمٌ
مريحٌ وإن شطت مسافة عزمكا
وما نال طيب العيش إلا مودعٌ
وما طاب عيشٌ نال مجهود كدكا

فقال الواصل: ما يعدل الراحة ولذة الدعة شيء. فلما انتهى إلى قوله:

خلقت أمين الله للخلق عصمةً
وأمناً فكلٌ في ذراك وظلكا
وثقت بمن سماك بالغيب واثقاً
وثبت بالتأييد أركان ملككا
فأعطاك معطيك الخلافة شكرها
وأسعد بالتقوى سريرة قلبكا
وزادك من أعمارنا غير منة
عليك بها، أضعاف أضعاف عمركا
ولا زالت الأقدار في كل حالةٍ
عداةً لمن عاداك سلماً لسلمكا
إذا كنت من جدواك في كل نعمةٍ
فلا كنت إن لم أفن عمري بشكركا

فطرب الواصل فضرب الأرض بمخصرة كانت في يده، وقال: لله درك يا حسين! ما أقرب قلبك من لسانك! فقال: يا أمير المؤمنين، جودك ينطق المفحم بالشعر والجاحد بالشكر. فقال له: لن تنصرف إلا مسروراً، ثم أمر له بخمسين ألف درهم.

رغب الواصل في الشراب في يوم غيم حدثنا علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثنا أبو العباس الرياشي قال حدثنا الحسين بن الضحاك قال: دخلت على الواصل ذات يوم وفي السماء لطمخ غيم، فقال لي: ما الرأي في هذا اليوم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما حكم به وأشار إليهِ قبلي أحمد بن يوسف، فإنه أشار بصواب لا يرد وجعله في شعرٍ لا يعارض. فقال: وما قال؟ فقلت قال:

أرى غيماً تُولفه جنوبٌ
وأحسبه سيأتينا بهطل
فعين الرأي أن تدعو برطلٍ
فتشربه وتدعو لي برطل

فقال: أصبتما، ودعا بالطعام وبالشراب والمغنين والجلساء واصططحنا.

وصف ليلة لهو قضائها الواثق أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن علوان قال حدثني العباس بن عبيد الله الكاتب قال: كان حسين بن الضحاك ليلةً عند الواثق وقد شربوا إلى أن مضى ثلث من الليل، فأمر بأن يبيت مكانه. فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون، قال لحسين: هل وصفت ليلتنا الماضية وطبيها؟ فقال: لم بمض شيء وأنا أقول الساعة، وفكر هينهةً ثم قال:

وطاب يومي بقرب أشباهي

حنت صبحي فكاهة اللاهي

من قبل يومٍ منغصٍ ناهي

فاستنثر اللهو من مكانه

مؤزر بالمجون تياه

بابنة كرمٍ من كف منتطقي

سقى لطيف مجرب داهي

يسقيك من طرفه ومن يده

حيران بين الذكور والساهي

كأساً فكأساً كأن شاربها

قال: فأمر الواثق برد مجلسه كهيتته، واصططح يومه ذلك معهم، وقال: نحقق قولك يا حسين ونقضي لك كل أرب وحاجة.

شعره في جارية للواثق غضبت عليه أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن مغيرة المهلي قال حدثنا حسين بن الضحاك قال: كانت لي نوبة في دار الواثق أحضرها جلس أو لم يجلس. فبينما أنا نائم ذات ليلة في حجرتي، إذ جاء خادم من خدم الحرم فقال: قم فإن أمير المؤمنين يدعوك. فقلت له: وما الخبر؟ قال: كان نائماً وإلى جانبه حظية له فقام وهو يظنها نائمة، فألم بجارية له أخرى ولم تكن ليلة نوبتها وعاد إلى فراشه، فغضبت حظيته وتركته حتى نام، ثم قامت ودخلت حجرتها، فانتبه وهو يرى أنها عنده فلم يجدها، فقال: اختلست عزيزتي، ويحكم أين هي؟ فأخبر أنها قامت غضبي ومضت إلى حجرتها، فدعا بك. فقلت في طريقي:

فلها العتبي لدينا والرضا

غضبت أن زرت أخرى خلصة

فاغفريها واصفحي عما مضى

يا فدتك النفس كانت هفوة

وانسبي جوري إلى حكم القضا

واتركي العذل على من قاله

وعلى قلبي كنيران الغضا

فلقد نبهتني من رقدي

قال: فلما جئته خبرني القصة وقال لي: قل في هذا شيئاً، ففكرت هنيهةً كأني أقول شعراً ثم أنشدته الأبيات. فقال: أحسنت وحياتي! أعدّها يا حسين، فأعدتها عليه حتى حفظها، وأمر لي بخمسمائة دينار، وقام فمضى إلى الجارية وخرجت أنا إلى حجرتي.

وأمره أن يقول شعراً في جارية له

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني الغلابي قال حدثني مهدي بن سابق قال قال لي حسين بن الضحاك: كان الواثق يتحظى جارية له فماتت فجزع عليها وترك الشرب أياماً ثم سلاها وعاد إلى حاله، فدعاني ليلة فقال لي: يا حسين، رأيت فلانة في النوم، فليت نومي كان طال قليلاً لأثمتع بلفائفها، فقل في هذا شيئاً. فقلت:

ليت عين الدهر عنا غفلت	ورقيب الليل عنا رقدا
وأقام النوم في مدته	كالذي كان وكنا أبدا
بأبي زورٌ تلفت له	فتنفست إليه الصعدا
بينما أضحك مسروراً به	إذ تقطعت عليه كمدا

قال: فقال لي الواثق: أحسنت! ولكنك وصفت رقيب الليل فشكوته ولا ذنب لليل وإنما رأيت الرؤيا هماراً. ثم عاد إلى منامه فرقد.

سرق منه أبو نواس معنى في الخمر

أخبرني جحظة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال حدثني حسين بن الضحاك، وأخبرني به جعفر بن قدامة عن علي بن يحيى عن حسين بن الضحاك قال: لقيني أبو نواس ذات يوم عند باب أم جعفر من الجانب الغربي، فأنشدته:

أخوي حي على الصبوح صباحاً	هبا ولا تعدا الصباح رواحا
هذا الشميط كأنه متحير	في الأفق سد طريقه فألاحا
ما تأمران بسكرة قروية	قرنت إلى درك النجاح نجاحا

هكذا قال جحظة. والذي أحفظه:

ما تأمران بقهوة قروية

قال: فلما كان بعد أيام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول:

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا	وأمله ديك الصباح صياحا
--------------------------	------------------------

فقلت له: حسن يا بن الزانية؟ أفعلتها! فقال: دع هذا عنك، فوالله لا قلت في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلا نسب لي.

شرب عند ابن المهدي فعربد عليه

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن سعيد قال حدثني أبو أمامة الباهلي عن الحسين بن الضحاك، قال محمد بن يحيى وحدثني المغيرة بن محمد المهلي: أن الحسين بن الضحاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهدي، فجرت بينهما ملاحاة في أمر الدين والمذهب، فدعا له إبراهيم بنطع وسيف وقد أخذ منه الشراب، فانصرف وهو غضبان. فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه. فكتب إليه:

نديمي غير منسوب	إلى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشر	ب فعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس	دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الخمر	مع التتين في الصيف

قال: ولم يعد إلى منادمته مدة. ثم إن إبراهيم تحمل عليه ووصل فعاد إلى منادمته.

نشأ هو وأبو نواس بالبصرة

ثم رحل إلى بغداد واتصل بالأمين:

حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كنت أنا وأبو نواس تربين، نشأنا في مكان واحد وتأدبنا بالبصرة، وكنا نحضر مجالس الأدباء متصاحبين، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدة، واتصل بي ما آل إليه أمره، وبلغني إثارة السلطان وخاصته له، فخرجت عن البصرة إلى بغداد ولقيت الناس ومدحتهم وأخذت جوائزهم وعددت في الشعراء، وهذا كله في أيام الرشيد، إلا أنني لم أصل إليه واتصلت بابنه صالح فكنت في خدمته. فغني يوماً بهذا الصوت:

أأن زم أجمال وفارق جيرة

وصاح غراب البين أنت حزين

فقال لي صالح: قل أنت في هذا المعنى شيئاً، فقلت:

أأن دب حساد ومل حبيب

وأورق عود الهجر أنت حبيب

ليبلغ بنا هجر الحبيب مرامه

هل الحب إلا عبرة ونحيب

كأنك لم تسمع بفرقة ألفة

وغيبة وصل لا تراه يؤوب

فأمر بأن يغني فيه. واتصلت بمحمد ابن زبيدة في أيام أبيه وخدمته، ثم اتصلت بخدمتي له في أيام خلافته.

جفاه صالح بن الرشيد فترضاه

بشعر فرضي عنه:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيلاء عن الحسين بن الضحاك قال: كنت يوماً عند صالح بن الرشيد، فجرى بيننا كلامٌ على النبيذ وقد أخذ مني الشراب مأخذاً قوياً، فرددت عليه رداً أنكره وتأوله على غير ما أردت، فهاجرتني، فكتبت إليه:

صوت

يا بن الإمام تركتني هملاً	أبكي الحياة وأندب الأمل
ما بال عينك حين تلحظني	ما إن تقل جفونها ثقلاً
لو كان لي ذنبٌ لبحث به	كي لا يقال هجرتني ملأ
إن كنت أعرف زلةً سلفت	فرأيت ميتةً واحدٍ عجل

- فيه خفيف ثقيل ينسب إلى عبد الله بن العلاء وإلى عبد الله بن العباس الربيعي - قال: فكتب إلي: قد تلاقي لسانك بشعرك، ما جناه في وقت سكرك. وقد رضيت عنك رضاءً صحيحاً، فصر إلي على أتم نشاطك، وأكمل بساطك. فعدت إلى خدمته فما سكرت عنده بعدها. قال: وكانت في حسين عريضةً.

أنشد ابن البواب شعره للمأمون

وشفع له فجفاه المأمون أولاً ثم وصله:

وأخبرني ببعضه محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ومحمد بن خلف بن المرزبان، وألفاظهما تزيد وتنقص. وأخبرني ببعضه محمد بن خلف وكيع عن آخره وقصة وصوله إلى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك. قال: وحدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه - ولم يقل وكيع: عن أبيه - واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثه أتم، قال: كنت بين يدي المأمون واقفاً، فأدخل إليه ابن البواب، رقعةً فيها أبيات وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها، فظنها له فقال: هات، فأنشده:

أجرني فإني قد ظمئت إلى الوعد	متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيذك من خلف الملوك وقد بدا	تقطع أنفاسي عليك من الوجد
أبخل فرد الحسن عني بنائلٍ	قليل وقد أفردته بهوى فرد

إلى أن بلغ إلى قوله:

رأى الله عبد الله خير عباده	فملكه والله أعلم بالعبد
-----------------------------	-------------------------

مميزة بين الضلالة والرشد

ألا إنما المأمون للناس عصمة

فقال المأمون: أحسنت يا عبد الله! فقال: يا أمير المؤمنين، أحسن قائلها: قال: ومن هو؟ فقال: عبدك حسين بن الضحاك، فغضب ثم قال: لا حيا الله من ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا أنعم به عينا! أليس القائل:

ولا تذخرا دمعاً عليه وأسعدا

أعيني جودا وابكيا لي محمدا

ولا زال شمل الملك فيه مبددا

فلا تمت الأشياء بعد محمد

ولا زال في الدنيا طريداً مشردا

لا فرح المأمون بالملك بعده

هذا بذاك، ولا شيء له عندنا. فقال له ابن البواب: فأين فضل إحسان أمير المؤمنين وسعة حلمه وعادته في العفو! فأمره بإحضاره. فلما حضر سلم، فرد عليه السلام رداً جافياً، ثم أقبل عليه فقال: أخبرني عنك: هل عرفت يوم قتل أخي محمد هاشمية قتلت أو هتكت؟ قال لا. قال: فما معنى قولك:

هتفن بدعة خير حي وميت

وسرب ظباء من ذؤابة هاشم

على كبد حري وقلب مفتت

أرد يداً مني إذا ما ذكرته

ولا بلغت آمالهم ما تمننت

فلا بات ليل الشامتين بغبطة

فقال: يا أمير المؤمنين، لوعة غلبتني، وروعة فجأتني، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني، وإحسان شكرته فأنطقني، وسيد فقدته فأفلقني، فإن عاقبت فبحقك، وإن عفوت فبفضلك. فدمعت عينا المأمون وقال: قد عفوت عنك وأمرت بإدراكك وإعطائك ما فات منها، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك.

شعره في ابن مسعدة ليشفع له

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال: لم أعيت حسين بن الضحاك الحيلة في رضا المأمون عنه، رمى بأمره إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه:

وشهابي من دون كل شهاب

أنت طودي من بين هذي الهضاب

ولساني وأنت ظفري ونابي

أنت يا عمرو قوتي وحياتي

ض إذا اسود نائل الأصحاب

أتراني أنسى أياديك البي

جّة يحمون حوزة الآداب

أين عطف الكرام في مآقط الحا

في أم أين رقة الكتاب

أين أخلاقك الرضية حالت

إن هذا لوصمة في السحاب

أنا في ذمة السحاب وأظماً

قومةً تستجر حسن خطاب
بك ناراً علي ذات التهاب

قم إلى سيد البرية عني
فلعل الآله يطفئ عني

قال: فلم يزل عمرو يلطف للمأمون حتى أوصله إليه وأدر أرزاقه.

غضب المعتصم عليه فترضاه بشعر

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني الحسين بن الضحاك قال: غضب المعتصم علي في شيء جرى على النبيذ، فقال: والله لأؤبنه! وحجبي أياماً. فكتبت إليه:

غضبت الإمام أشد من أدبه
وقد استجرت وعدت من غضبة
أصبحت معتصماً بمعتصم
أثنى الآله عليه في كتبه
لا والذي لم يبق لي سبباً
أرجو النجاة به سوى سببه
ما لي شفيع غير حرمة
ولكل من أشفى على عطبه

قال: فلما قرىء عليه التفت إلى الواقف ثم قال: يمثل هذا الكلام، يتسعطف الكرام، ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزلت ما في نفسي عليه. فقال له الواقف: هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه. فرضي عني وأمر بإحضاري.

هجا العباس ابن المأمون

قال الصولي فحدثني الحسين بن يحيى أن هذه الأبيات إنما كتب بها إلى المعتصم، لأنه بلغه عنه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يدي الواقف فأوصلها وشفع له فرضي عنه وأمنه فظهر إليه، وهجا العباس بن المأمون فقال:

خل اللعين وما اكتسب
لا زال منقطع السبب
يا عرة الثقلين لا
ديناً رعيت ولا حسب
حسد الإمام مكانه
جهلاً حذاك على العطب
وأبوك قدمه لها
لما تخير وانتخب
ما تستطيع سوى التن
فس والتجرع للكرب
ما زلت عند أبيك من
نقص المروءة والأدب

أمره صالح بن الرشيد أن يقول شعراً

يغني فيه ابن بانة:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات وابن مهرويه قالا : كنا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضحاك وذلك في خلافة المأمون، وكان صالح يهوى خادماً له، فغاضبه في تلك الليلة فتنحى عنه، وكان جالساً في صحنٍ حوله نرجس في قمر طالع حسنٍ، فقال للحسين: قل في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يغني فيها عمرو بن بانة. فقال الحسين:

وصف البدر حسن وجهك حتى	خلت أني وما أراك أراكا
وإذا ما تنفس النرجس الغ	ض توهمته نسيم شذاكا
خدغ للمنى تعللني في	ك بإشراق ذا ونفحة ذاك
لأدومن يا حبيبي على الع	هد لهذا وذاك إذ حكياكا

قال عمرو: فقال لي صالح: تغن فيها ، فتغنيت فيها من ساعتى.
لحن عمرو في هذه الأبيات ثقیلاً بالبصرة من روايته.

شعره في محبوبه يسر

خادم أبي عيسى بن الرشيد:

وقد حدثني بهذا الخبر علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبيد الله بن زكريا الضرير قال حدثنا الجمار عن أبي نواس قال: كنت أتعشق ابناً للعلاء يقال له محمد، وكان حسين يتعشق خادماً لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يسر، فرارني يوماً فسألته عنه فقال: قد كاد قلبي أن يسلو عنه وعن حبه. قال: وجاءني ابن العلاء صاحبي فدخل علي وفي يده نرجس، فجلسنا نشرب وطلع القمر، فقلت له: يا حسين أيما أحسن القمر أم محمد؟ فأطرق ساعة ثم قال: اسمع جواب الذي سألت عنه:

وصف البدر حسن وجهك حتى	خلت أني وما أراك أراكا
وإذا ما تنفس النرجس الغ	ض توهمته نسيم شذاكا
وأخال الذي لثمت أنيسي	وجليسي ما باشرته يداكا
خدغ للمنى تعللني في	ك بإشراق ذا ونفحة ذكا
لأقيم ما حبيت على الشك	ر لهذا وذاك إذ حكياكا

قال: فقلت له: أحسنت والله ما شئت! ولكنك يا كشخان هو ذا تقدر أن تقطع الطريق في عملي! فقال: يا كشخان أو شعري الذي سمعته في حاضر أم بذكر غائب! والله للنعل التي يطأ عليها يسرٌ أحسن عندي من صاحبك ومن القمر ومن كل ما أنتم فيه.

مدح المتوكل شعره

أخبرني علي بن العباس قال حدثني أحمد بن سعيد بن عنبسة القرشي الأموي قال حدثني علي بن الجهم قال: دخلت يوماً على المتوكل وهو جالس في صحن خلده وفي يده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر:

بالشط لي سكنٌ أفديه من سكن أهدى من الآس لي غصنين في غصن
فقلت إذ نظما إلفين والتبسا سقياً ورعياً لفأل فيكما حسن
فالآس لا شك أس من تشوقنا شاف وآس لنا يبقى على الزمن
أبشر تمانني بأسباب ستجمعنا إن شاء ربي ومهما يقضه يكن

قال: فلما فرغ من إنشادها قال لي وكدت أنشق حسداً: لمن هذا الشعر يا علي؟ فقلت: للحسين بن الضحاك يا سيدي. فقال لي: هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحهم مذهباً وأظرفهم نطقاً. فقلت وقد زاد غيظي: في الغزل يا مولاي. قال: وفي غيره وإن رغم أنفك ومت حسداً. وكنت قد مدحته بقصيدة وأردت إنشادها يومئذ فلم أفعل، وعلمت أني لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة، فأخرجتها إلى وقت آخر.

قصته مع شفيع خادم المتوكل

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المهلي قال حدثني أبي قال: أحب المتوكل على الله أن ينادمه حسين بن الضحاك وأن يرى ما بقي من شهوته لما كان عليه، فأحضره وقد كبر وضعف، فسقاه حتى سكر، وقال لخادمه شفيع: اسقه، فسقاه وحياه بوردة، وكانت علي شفيع ثيابٌ ماردة، فمد الحسين يده إلى ذراع شفيع. فقال له المتوكل: يا حسين، أتجشم أحص خدمي عندي بحضرتي! فكيف لو خلوت! ما أحوجك إلى أدب! وقد كان المتوكل غمز شفيعاً على العبث به. فقال الحسين: يا سيدي، أريد دواةً وقرطاساً، فأمر له بذلك، فكتب بخطه:

وكالوردة الحمراء حيا بأحمر من الورد يمشي في قراطق كالورد
له عبثاتٌ عند كل تحية بعينيه تستدعي الحليم إلى الوجد
تمنت أن أسقى بكفيه شربةً تذكرني ما قد نسيت من العهد

سقى الله دهرًا لم أبت فيه ليلةً خليًا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال له: ادفعتها إلى مولاك. فلما قرأها استملحها وقال: أحسنت والله يا حسين! لو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك، ولكن بجيائي إلا كنت ساقيه باقي يومه هذا وخدمه كما تخدمني، وأمر له بمال كثير حمل معه لما انصرف. قال أحمد بن يزيد فحدثني أبي قال: صرت إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكل بأيام، ويلك! أتدري ما صنعت؟! قال: نعم أدري، وما كنت لأدع عادي بشيء، وقد قلت بعدك:

صوت

لا رأى عطفة الأح
أصغر الساقيين أش
لو تراه كالظبي يس
خلت غصناً على كثي
بة من لا يصرح
كل عندي وأملح
نح حيناً ويبرح
ب بنورٍ يرشح

غنى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثاني ثقل بالبنصر.

شعره في شفيع وقد حياه بتفاحة عنبر وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس البيهقي وقال حدثني محمد بن أبي عون قال: حضرت المتوكل وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسين بن الضحاك للمنادمة، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه، فسقاه وحياه بتفاحة عنبر. وقال لحسين: قل في هذا شيئاً، فقال:

وكالدرة البيضاء حياً بعنبر
له عبثات عند كل تحية
تمنتي أن أسقى بكفيه شربة
سقى الله عيشاً لم أبت فيه ليلةً
وكالورد يسقى في قراطق كالورد
بعينه تستدعي الحليم إلى الوجد
تذكرني ما قد نسيت من العهد
من الدهر إلا من حبيب على الوعد

فقال المتوكل: يحمل إلى حسين لكل بيت مائة دينار. فالتفت إليه محمد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجب وقال: لم ذاك يا أمير المؤمنين! فوالله لقد أجاب فأسرع، وذكر فأوجع، وأطرب فأمتع، ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاؤها يد لأجزلت له العطاء ولو أحاط بالطارف والتالد. فخجل المتوكل وقال: يعطى حسين بكل بيت ألف دينار. وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكوكبي قال حدثنا بشر بن محمد قال وحدثني علي بن الجهم: أنه حضر المتوكل وقد أمر شفيعاً أن يسقى حسين بن الضحاك، وذكر باقي الخبر نحو ما مضى من رواية غيره. شعره في مقحم خادم ابن شغوف: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد الميرد، وحدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن مروان عن محمد بن عمرو الرومي قال: اجتمع حسين

بن الضحاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشمي فاحتبسهما عنده. وكان لابن شغوف خادم حسنٌ يقال له مقحم، وكان عمرو بن بانة يتعشقه ويسر ذلك من ابن شغوف. فلما أكلوا ووضع النبيذ قال عمرو بن بانة للحسين: قل في مقحم أبياتاً أغن فيها الساعة. فقال الحسين:

وابأبي مقحم لعزته
قلت له إذ خلوت مكتتما
تحب بالله من يخلصك بالو
د فما قال لا ولا نعماً

شعر إسحاق الموصلي في عمرو بن بانة

وغنى فيه عمرو. قال: فيبناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال: إسحاق الموصلي بالباب، فقال له عمرو: أعفنا من دخوله ولا تنغص علينا ببغضه وصلفه وثقله ففعل، وخرج الحاجب فاعتل على إسحاق حتى انصرف، وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند ابن شغوف. فلما أصبحوا مضى الحسين بن الضحاك إلى إسحاق فحدثه الحديث بنصه. فقال إسحاق:

يا بن شغوف أما علمت بما
دعوت عمراً فبات ليلته
حتى إذا ما الظلام ألبسه
ثمت لم يرض أن يضاجعهم
ثم تغنى لفرط صبوته
وابأبي مقحم لعزته
قد صار في الناس كلهم علماً
في كل ما يشتهي كما زعماً
سرى ديبياً فضاجع الخدماً
سراً ولكن أبدى الذي كتماً
صوتاً شفى من غليله السقماً :
قلت له إذ خلوت مكتتما
د فما قال لا ولا نعماً

قال: وشاعت الأبيات في الناس وغنى فيها إسحاق أيضاً فيما أظن، فبلغت ابن شغوف فحلف ألا يدخل عمراً داره أبداً ولا يكلمه، وقال: فضحني وشهري وعرضني للسان إسحاق، فمات مهاجراً له. وقال ابن أبي سعد في خبره: إن إسحاق غنى فيها للمعتصم، فسأله عن خبرها فحدثه بالحديث، فضحك وطرب وصفق، ولم يزل يستعيد الصوت والحديث وابن شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام. لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مقحم من الثقيل الثاني بالوسطى.

قال له أبو نواس أنت أشعر الناس

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال سمعت مهدي بن سابق يقول:
التقى أبو نواس وحسين بن الضحاك، فقال أبو نواس: أنت أشعر أهل زمانك في الغزل، قال: وفي أي ذلك؟
قال: ألا تعلم يا حسين؟ قال لا، قال: في قولك:

وابأبي مقحم لعزته قلت له إذ خلوت مكنتما

نحب بالله من يخلصك بالو د فما قال لا ولا نعمما

ثم تولى بمقلتي خجل أراد رجع الجواب فاحتشما

فكنت كالمبتغي بحيلته برءاً من السقم فابتدا سقما

فقال الحسين: ويحك يا أبا نواس! فأنت لا تفارق مذهبك في الخمر البتة، قال: لا والله، وبذلك فضلتك
وفضلت الناس جميعاً.

مدح أبو العباس ثعلب شعره

أخبرني علي بن العباس قال أنشدنا أبو العباس ثعلب قال أنشدني حماد بن المبارك صاحب حسين بن الضحاك
قال أنشدني حسين لنفسه:

لا وحبك لا أصا فح بالدمع مدمعا

من بكى شجوه استرا ح وإن كان موجعا

كبيدي من هواك أس قم من أن تقطعا

لم تدع سورة الضنى في للسقم موضعا

قال: ثم قال لن ثعلب: ما بقي من يحسن أن يقول مثل هذا.

قال ابن الرومي عنه إنه أغزل الناس

أخبرني علي قال حدثني محمد بن الفضل الأهوازي قال سمعت علي بن العباس الرومي يقول: حسين بن الضحاك
أغزل الناس وأظرفهم. فقلت: حين يقول ماذا؟ فقال: حين يقول:

يا مستعير سواف الحشف اسمع لحلفة صادق الحلف

إن لم أصح ليلي: ويا حربي ومن وجنتيك وفترة الطرف

فجحدت ربي فضل نعمته وعبدته أبداً على حرف

شعره في فتن محبوبته: أخبرني علي بن العباس الرومي قال حدثني قتيبة عن عمرو السكوني بالكوفة قال حدثني أبي قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كانت تألفني مغنية، وتحييني دائماً، وكنت أميل إليها وأستملحها، وكان يقال لها فتن. فكان يجيء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمى نجحا، وكان بغيضاً شرس الخلق، فإذا جاء معها توقيته، فمرض، فجاءتني ومعها غيره، فبلغت منها مرادي وتفرجت يومي وليلي، فقلت:

لا تلمني علي فتن	إنها كاسمها فتن
فإذا لم أهم بها	فبمن! لا بمن إذن
أين لا أين مثلها	في جميع الورى سكن!
طيب نشر إذا لثم	ت و غنج ومحتضن
وال عسراً من الصبو	ح على وجهها الحسن
وعلى لفظها الم	نون للام بالغنن
لست انسى من الغري	رة إذ بحت بالشجن
قولها إذ سلبتها	عن كثيب وعن عكن
ليس يرضيك يا فتى	من هوى دون أن تهن
فامتزجنا معاً مما	زجة الروح للبدن
وكفيينا من أن نرا	قب نجحاً إذا فطن
وأمناه أن ي	نم وما كان مؤتمن
كل ما كان من حبي	بك مستظرف حسن

ناظر مخارقاً في أبي نواس وأبي العتاهية فحكم له: حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي: أن مخارقاً وحسين بن الضحاك تلاحيا في أبي العتاهية، وأبي نواس أيهما أشعر، فاتفقا على اختيار شعر من شعريهما يتخيران فيه، فاختار الحسين بن الضحاك شيئاً من شعر أبي نواس جيداً قوياً لمعرفته بذلك، واختار مخارقاً شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزلاً كان يغنى فيه لا لشيء عرفه منه إلا لأنه استملحه وغنى فيه، فخاير به لقلة علمه ولما كان بينه وبين أبي العتاهية من المودة، وتخطرا على مال، وتحاكما إلى من يرضيه الوائق بالله ويختاره لهما، فاختار الوائق لذلك أبا محلم، وبعث فأحضره وتحاكما إليه بالشعرين فحكم لحسين بن الضحاك. فتلكأ مخارق وقال: لم أحسن الاختيار للشعر ولحسين أعلم مني بذلك، ولأبي العتاهية خير مما اخترت، وقد اختار حسين أجود ما قدر عليه لأبي نواس لأنه أعلم مني بالشعر، ولكننا نتخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدل، فتحاكما فحكم لأبي نواس، وقال: هو أشعر وأذهب في فنون الشعر وأكثر إحساناً في جميع تصرفه. فأمر الوائق

بدفع الخطر إلى حسين، وانكسر مخارق فما انتفع به بقية يومه.
مدح الحسن بن سهل وطلب أن يصلح المأمون له: أخبرني ابن أبي طلحة قال حدثني سودة بن الفيض قال
حدثني أبي قال: لما اطرَح المأمون حسين بن الضحاك لهواه كان في أخيه محمد وجفاه، لاذ الحسين بن الضحاك
بالحسن بن سهل وطمع أن يصلحه له، فقال بمدحه:

أرى الآمال غير معرجاتٍ	على أحد سوى الحسن بن سهل
يباري يومه غده سماحاً	كلا اليومين بأن بكل فضل
أرى حسناً تقدم مستبداً	ببعد من رياسته وقبل
فإن حضرتك مشكلةٌ بشكٍّ	شفاك بحكمةٍ وخطاب فصل
سليل مرأب برعوا حلوماً	وراع صغيرهم بسداد كهل
ملوكٌ إن جريت بهم أبروا	وعزوا أن توازنهم بعدل
ليهنك أن ما أرجأت رشدٌ	وما أمضيت من قول وفعل
وأنت مؤثرٌ للحق فينا	أراك الله من قطع ووصل
وأنتك للجميع حياً ربيع	يصوب على قرارة كل محل

قال: فاستحسنها الحسن بن سهل، ودعا بالحسين فقربه وآنسه ووصله وخلع عليه ووعدته إصلاح المأمون له،
فلم يمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه ولما عاجل الحسن من العلة.
سأله الحسن بن سهل عن شعر له فأجابه: قال علي بن العباس بن أبي طلحة وحدثني أبو العباس أحمد بن الفضل
المروزي قال: سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضحاك: ما عنيت بقولك:

يا خلي الذرع من شجني	إنما أشكو لترحمني
قال: قد بينته، قال: بأي شيء؟ قال: قلت:	

منعك الميسور يؤيسني	وقليل اليأس يقتلني
---------------------	--------------------

فقال له أبو محمد: إنك لتضيع بالخلاعة، ما أعطيته من البراعة.
عشق غلام الحسن بن سهل وتغزل فيه فوهبه له: أخبرني علي بن أبو العباس قال حدثني أحمد بن القاسم المري
قال حدثني أبو هفان قال: سألت حسين بن الضحاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي
شرب معه فيه وبات عنده وكيف كان ابتداءه، فقلت له: إني أشتهي أن أسمع منك. فقال لي: دخلت على
الحسن بن سهل في فصل الخريف وقد جاء وسمي من المطر فرش رشاً حسناً، واليوم في أحسن منظر وأطيبه، وهو

جالس على سرير آبنوس وعليه قبة فوقها طارمة ديباج أصفر وهو يشرف على بستان في داره، وبين يديه وصائف يترددن في خدمته وعلى رأسه غلامٌ كالدينار، فسلمت عليه فرد علي السلام، ونظر إلي كالمستنطق، فأنشأت أقول:

وهذا صباحك مستقبل

ألسـت ترى ديمـةً تهـطل

فقال: بلى. فقلت:

برؤيته الشادن الأكل

وتلك المدام وقد شاقنا

فقال: صدقت فمه، فقلت:

تهون مكروه ما نسأل

فعاد به وبنا سكرة

فسكت. فقلت:

تخبرني أنه يفعل

فإني رأيت له نظرة

ثم قال: مه، فقلت:

فيا حبذا عيشنا المشكل

وقد أشكل العيش في يومنا

فقال: العيش مشكل، فما ترى؟ فقلت: مبادرة القصف وتقريب الإلف. قال: على أن تقيم معنا وتبيت عندنا. فقلت: له: لك الوفاء وعليك مثله لي من الشرط. قال: وما هو؟ قلت: يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني. فضحك ثم قال: ذلك لك على ما فيه. ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أفداحاً. ولم أر الغلام، فسألت عنه فقال لي: الساعة يجيء، فلم نلبث أن وافاني، أين كان؟ فقال: كنت في الحمام وهو الذي حبسني عنك. فقلت لوقي:

كأنه تبرّ على فضه

وابأبي أبيض في صفرة

تلوح فيها عكنٌ بضه

جرده الحمام على درة

مأكمة مثقلة النهضه

غصنٌ تبدى يبتنى على

طلٌ على تفاحة غضه

كأنما الرش على خده

فبعضه يذكرني بعضه

صفاته فانتة كلها

أو لا فمن وجنته عضه

يا لبيتني زودني قبلة

فقال لي الحسن: قد عمل فيك النبذ، فقلت: لا وحياتك! فقال: هذا شرٌ من ذلك. فقلت:

بنت حولين قرقفا

اسقياني وصرفا

رسقى الله مرهفا

واسقيا المرفه الغري

لا تقولا نراه أك	لف نضواً مخففا
نعم ريحانة الندي	م وإن كان مخطفا
إن يكن أكلفاً ف	إني أرى البدر أكلفا
بأبي ما جن السري	رة يبدي تعففا
حف أصداغه وعق	ر بها ثم صففا
وحشا مدرج القصا	ص بمسك ورصفا
فإذا رمت منه ذا	ك تأبى وعنفا
ليس إلا بأن يرن	حه السكر مسعفا
باكراً لا تسوفا	ني عدمت المسوفا
أعجلاه وبالفضا	ضة في السقي فاعنفا
واحملاً شغبه وإن	هو زنى وأففا
فإذا هم للمنا	م فقوما وخففا

فتغاضب الغلام وقام فذهب، ثم عاد فقال لي: أقبل على شراك ودع الهذيان. وناولني قدحاً. وقام أبو محمد ليبول، فشربت وأعطاني نقلاً فقلت: اجعل بدله قبلة، فضحك وقال: أفعل، هذا وقته فبدا له وقال: لا أفعل، فعاودته فانتهرني. فقال له خادم للحسن يقال له فرج: بحياتي يا بني أسعفه بما طلب، فضحك ثم دنا مني كأنه يناولني نقلاً وتغافل فاخترت منه قبلة، فقال لي: هي حرام عليك فقلت:

وبديع الدل قصري الغنج	مره العين كحيل بالدعج
سمته شيئاً وأصغيت له	بعد ما صرف كأساً ومزج
واستخفته على نشوته	نبرات من خفيف وهزج
فتأبى وتنتى خجلاً	وذرا الدمع فنوناً ونشج
لج في لولا وفي سوف ترى	وكذا كفكف عني وخلج
ذهب الليل وما نولني	دون أن أسفر صبحً وانبلج
هون الأمر عليه فرج	بتأتيه فسقياً لفرج
وبنفسه نفس من قال وقد	كان ما كان حراماً وحر ج

قال: ثم أسفر الصبح. فانصرفت وعدت من غدٍ إلى الحسن، فقال لي: كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك؟ فقلت له: أأصف ذلك نثراً أم نظماً؟ فقال: بل نظماً فهو أحسن عندي، فقلت:

تألفت طيف غزال الحرم	فواصلني بعد ما قد صرم
وما زلت أقنع من نيله	بما تجتنيه بنان الحلم
بنفسي خيالاً على رقبة	ألم به الشوق فيما زعم
أتاني يجاذب أردافه	من البهر تحت كسوف الظلم
تمج سوافه مسكة	وعنبرة ريقه والنسم
تضمخ من بعد تجميره	فطاب من القرن حتى القدم
يقول ونازعه توبه	على أن يقول لشيء نعم
فغض الجفون على خجلة	وأعرض إعرضة المحتشم
فشبكت كفي على كفه	وأصغيت ألتم دراً بفم
فنهني دفع لا مؤيس	بجد ولا مطمع معتزم
إذا ما هممت فأدنيته	تنثني وقال لي الويل لم
فما زلت أبسطه مازحاً	وأفرط في اللهو حتى ابتسم
وحكمني الريم في نفسه	بشيء ولكنه مكتنم
فواهاً لذلك من طارق	على أن ما كان أبقي سقم

قال: فقال لي الحسن: يا حسين يا فاسق! أظن ما ادعيته على الطيف في النوم كان في اليقظة مع الشخص نفسه، وأصلح الأشياء لنا بعد ما جرى أن نرحض العار عن أنفسنا بهمة الغلام لك، فخذ له لا بورك لك فيه! فأخذته وانصرفت.

شعره في غلام للحسن بن سهل: حدثني علي بن العباس قال حدثني أبو العيناء قال: أنشدني الحسين بن الضحاك لنفسه في الغلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن، ثم لقيه بعد ذلك فسلم عليه فلم يكلمه الغلام، فقال:

فديتك ما لوجهك صدعني	وأبديت التندم بالسلام
أحين خليتني وقرنت قلبي	بطرفك والصبابة في نظام
تكرر ما عهدت لغب يوم	فيا قرب الرضاع من الفطام

لأسرع ما نهيت إلى همومي

سروري بالزيادة واللمام

أخذ جبة من موسى بن عمران كعبة أبي نواس: أخبرني حبيب بن نصر المهلب وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني حسين بن الضحاك الخليل قال: كنت في المسجد الجامع بالبصرة، فدخل علينا أبو نواس وعليه جبة خز جديدة. فقلت له: من أين هذه يا أبا نواس؟ فلم يخبرني، فتوهمت أنه أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بني تميم، فقممت فوجدت موسى قد لبس جبة خز أخرى، فقلت له:

كيف أصبحت يا أبا عمران

فقال: بخير صبحك الله به. فقلت:

يا كريم الإخاء والإخوان

فقال: أسمعك الله خيراً. فقلت:

إن لي حاجةً فرأيك فيها

فقال: هاتما على اسم الله وبركته. فقلت:

إننا في قضائها سيان

لا يراني الشتاء حيث يراني

جبة من جبابك الخز حتى

قال: خذها على بركة الله، ومد كمة فترعتها وجئت وأبو نواس جالس، فقال: من أين لك هذه؟ فقلت: من حيث جاءتك تلك.

وفد هو ومحمد بن عمرو على المعتصم وأنشده شعراً فأجازهما: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال أخبرني عبد الله بن الحارث عن إبراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضحاك قال: دخلت أنا ومحمد بن عمرو الرومي دار المعتصم، فخرج علينا كالحاً. قال: فتوهمنا أنه أراد النكاح فعجز عنه. قال: وجاء إيتاخ فقال: مخارقٌ وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب، فقال: اعزب عني، عليك وعليهم لعنة الله! قال: فتبسمت إلى محمد بن عمرو، وفهم المعتصم تبسمي فقال لي: مم تبسمت؟ فقلت: من شيء حضري، فقال: هاته، فأنشدته: صوت

انف عن قلبك الحزن

باقترابٍ من السكن

وتمتع بكر طر

فك في وجهه الحسن

إن فيه شفاء صد

رك من لاعج الحزن

قال: فدعا بألفي دينار: ألف لي وألفٍ لحمد، فقلت: الشعر لي، فما معنى الألف لحمد بن عمرو؟ قال: لأنه جاءنا معك. ثم أذن لمخارقٍ وعلويه فدخلا، فأمرهما بأن يغنيا فيه ففعلا، فما زال يعيد هذا الشعر، ولقد قام ليقول فسمعتته يردده.

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعلويه وهو من الثقيل الأول بالبنصر.
أحب غلام أبي كامل المهندس وقال في شعراً: أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال: كان الحسين بن الضحاك عند أبي كامل المهندس وأنا معهم حاضر، فرأى خادماً فاستحسنه وأعجبه. فقال له بعض أصحابه: أتجبه؟ قال: نعم والله، قال: فأعلمه، قال: هو أعلم بحجي له مني به. ثم قال:

عالمٌ بحبيه	مطرقٌ من التيه
يوسف الجمال وفر	عونه في تعديه
لا وحق ما أنا من	عطفه أرجيه
ما الحياة نافعةٌ	لي علي تأبيه
النعيم يشغله	والجمال يطغيه
فهو غير مكترثٍ	للذي لأقيه
تائهٌ ترهده	في رغبتني فيه

قال محمد بن محمد: وغنى في هذا الشعر عمرو بن بانة وعريب وسليمٌ وجماعةٌ من المغنين.
أحب صديق له جارية وعارضه فيها غلام أمرد فمالت إليه فقال شعراً في ذلك: حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال: كان للحسين بن الضحاك صديق وكان يتعشق جاريةً مغنيةً، فراحه فيها غلامٌ كان في مروءته حسن الوجه، فلما خرجت لحيته جعل ينتف ما يخرج منها، ومالت القينة إليه لشبابه، فشكا ذلك إلى الحسين بن الضحاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال:

خل الذي عنك لا تستطيع تدفعه	يا من يصارع من لا شك يصصره
جاءت طرائق شعر أنت ناتقها	فكيف تصنع لو قد جاء أجمعه
الله أكبر لا أنفك من عجبٍ	أأنت تحصد ما ذو العرش يزرعه
تبا لسعيك بل تبا لأملك إذ	ترعى حمى خالق الأحماء يمنعه

وقال فيه أيضاً:

تكلتك أمك يا بن يوسف	حاتم ويحك أنت تنتف
لو قد أتى الصيف الذي	فيه رؤوس الناس تكشف
فكشف عن خديك لي	لكشفت عن مثل المفوف
أو مثل زرع ناله ال	يرقان أو نكباء حرجف

فغدا عليه الزارعو

ن ليحصدوه وقد تقصف

فظللت تأسف كالألى

أسفوا ولم يغن التأسف

أحب غلاماً فاشتراه صالح بن الرشيد: حدثني علي بن العباس قال حدثني عمير بن أحمد بن نصر الكوفي قال حدثني زيد بن محمد شيخنا قال: قلت لحسين بن الضحاك وقد قدم إلينا الكوفة: يا أبا علي شهرت نفسك وفضحتها في خادم، فألا اشتريته! فقال: فديتك! إن الحب لجأج كله، وكنت أحببت هذا الخادم ووافقي على أن يستبيع لأشتريه، فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاحتلسه مني ولم أقدر على الانتصاف منه، وآثره الخادم واختاره، وكلانا يحبه إلا أن صالحاً ينادي أنك والخدم في الوسط بلا شغل. فضحكت من قوله، ثم سأله شيئاً من شعره، فأنشدني:

إن من لا أرى وليس يراني

نصب عيني ممثل بالأماني

بأبي من ضميره وضميري

أبدأ بالمغيب ينتجيان

نحن شخصان إن نظرت وروحا

ن إذا ما اختبرت يمتزجان

فإذا ما هممت بالأمر أو ه

م بشيء بدأته وبداني

كان وفقاً ما كان منه ومني

فكأنني حكيتة وحقاني

خطرات الجفون منا سواء

وسواء تحرك الأبدان

فسأله أن يحدثني بأسر يوم مر له معه، فقال: نعم اجتمعنا يوماً فغنى مغنٌ لنا بشعر قلته فيه فاستحسنه كل من حضر، ثم تغنى بغيره، فقال لي: عارضه، فقلت: بقبلة فقال: هي لك، فقلته قبلة وقلت:

فديت من قال لي على خفره

وغيض من جفنه على حوره

سمع بي شعرك المليح فما

ينفك شاد به على وتره

حسبك بعض الذي أذعت ولا

حسب لصب لم يقض من وطره

وقلت يا مستعير سالفه الخش

ف وحسن الفتور من نظره

لا تتكرن الحنين من طرب

عاود فيك الصبا على كبره

لاطفه غلام أبي عيسى فقال فيه شعراً: حدثني الصولي وعلي بن العباس قال حدثنا المغيرة بن محمد المهلي قال: كان حسين بن الضحاك يتعشق خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه، فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم، فجعل حسين يشكو إليه ما به فلا يسمع به ويكذبه، ثم سكن نفاذه وضحك إليه وتحدثا ساعة. فأنشدنا حسين قوله فيه:

سائل بطيفك عن ليلي وعن سهري
 لم يخل قلبي من ذكراك إذ نظرت
 وعني إليك على صحوى ولا سكرى
 سقياً ليوم سروري إذ تنازعني
 صفو المدامة بين الأنس والخفر
 وفضل كأسك يأتيني فأشربه
 جهرأ وتشرب كأسى غير مستتر
 وكيف أشمله لثمي وألزمه
 نحري وترفعه كفي إلى بصري
 فليت مدة يومي إذ مضى سلفاً
 كانت ومدة أيامي على قدر
 حتى إذا ما انطوت عنا بشاشته
 صرنا جميعاً كذا جارين في الحفر

شعره في حادثة لصالح بن الرشيد مع غلام أخيه: حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كان صالح بن الرشيد يتعشق غلاماً يسمى يسراً خادم أخيه أبي عيسى، فكان يراوده عن نفسه فيعده ولا يفي له. فأرسله أبو عيسى ذات يوم إلى صالح أخيه في السحر يقول له: يا أخي إني قد اشتيت أن أصطبغ اليوم، فبحياتي لما ساعدتني وصرت إلي لنصطبغ اليوم جميعاً. فسار يسراً إلى صالح أخيه في السحر وهو منتشٍ قد شرب في السحر، فأبلغه الرسالة، فقال: نعم وكرامة، اجلس أولاً فجلس، فقال: يا غلام أحضرنى عشرة آلاف درهم فأحضرها، فقال له: يا يسر دعني من مواعيدك ومطلقك، هذه عشرة آلاف درهم فخذها واقض حاجتي، وإلا فليس ها هنا إلا الغضب، فقال له: يا سيدي، إني أقضي الحاجة ولا آخذ المال. ثم فعل ما أراد وطاوعه، فقضى حاجته، وأمر صالح بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه. قال الحسين: ثم خرج إلي صالح من خلوته فقال: يا حسين، قد رأيت ما كنا فيه، فإن حضرك شيء فقل: فقلت: صوت

أيا من طرفه سحر
 تجاسرت فكأشفت
 وما أحسن في مثل
 وإن لآمني الناس
 فدعني من مواعيد
 فلا والله لا تبر
 فأما الغصب والذم
 ولو شئت تيسرت
 ومن ريقته خمر
 لك لما غلب الصبر
 لك أن ينهتك الستر
 ففي وجهك لي عذر
 لك إذ حينك الدهر
 ح أو ينقضي الأمر
 وإما البذل والشكر
 كما سميت يا يسر

وكن كاسمك لا تمن

عك النخوة والكبر

فلا فزت بحظي من

ك إن داع له ذكر

قال الحسين: فضحك ثم قال: قد لعمرى تيسر يسرٌ كما ذكرت. فقلت: نعم ومن لا يتيسر بعد أخذه الدية! لو أردتني أيضاً بهذا لتيسرت. فضحك ثم قال: نعطيك يا حسين الدية لحضورك ومساعدتك، ولا نريدك لما أردنا له يسراً، فبئست المطية أنت، وأمر لي بها. ثم أمر عريب بعد ذلك فغنت في بعض هذا الشعر.

شعره في غلام عبد الله بن العباس: حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد بن مروان قال حدثني حسين بن الضحاك قال:

كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبغٌ وخادمٌ له يسقيه، فقال لي: يا أبا علي، قد استحسنت سقي هذا الغلام، فإن حضرك شيءٌ في قصتنا هذه فقل، فقلت:

أحييت صبحي فكاهة اللاهي

وطاب يومي لقرب أشباهي

فاستثر اللهو من مكانه

من قبل يومٍ منغصٍ ناهي

بابنة كرمٍ من كفٍ منتطق

مؤتزرٍ بالمجون تياه

يسقيك من طرفه ومن يده

سقي لطيفٍ مجربٍ داهي

كأساً فكأساً كأن شاربها

حيران بين الذكور والساهي

قال: فاستحسنه عبد الله، وغنى فيه لحناً مليحاً، وشربنا عليه بقية يومنا.

سكر فجمش يسراً فهدهدته بخنجره فقال شعراً: أخبرني علي بن العباس قال حدثني سواده بن الفيض المخزومي قال حدثني أبي قال: خرج حسين بن الضحاك إلى القفص متزهاً ومعه جماعةٌ من إخوانه ظرفاء. وبلغ يسراً الخادم خروجه، فشد في وسطه خنجراً وخرج إليه فجاءه وهو على غفلة، فسر به حسين وتلقاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان. فلما سكر اجمشه حسين، فأخرج خنجره عليه وعربد، فأمسك حسينٌ وعاد إلى شربه، وقال في ذلك:

جمشت يسراً على تسكره

وقد دهاني بحسن منظره

فهم بالفتك بي فناشده

في كريمٍ من خير معشره

يا من رأى مثل شادنٍ خنثٍ

يصول في خدره بزوره

يسحب ذيل القميص صعتره

ووارداتٍ من هذب مئزره

ولا يعاطي نديمه قدحاً

إلا بابهامه وخنصره

أخاف من كبره بواده

أدالني الله من تكبره

قد قلت للشرب إذ بدا فضلا

في ريطتيه وفي ممصره

ويلي على شادنٍ توعدني

بسل سكينه وخنجره

أما كفاه ما حز في كبدي

بسحر أجفانه ومحجره

إذا نسيم الرياح قابلنا

بالطيب من مسكه وعنبره

هز قواماً كأنه غصنٌ

وارتج ما انحط من مخصره

شعر له في سر: أخبرني علي بن العباس قال حدثني سواده بن الفيض قال حدثني أبي قال: حضرت حسين بن الضحاك يوماً وقد جاءه سرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدث ملياً ثم غازله حسينٌ، فقال له سر: إياك والتعرض لي، واربح نفسك، فقال حسين: صوت

أيها النفاث في العقد

أنا

هناك أحسن من هنا، قال: صدقت والله، وعلى ذلك فقل أبياتاً يغن فيها عمرو، فقال: أما أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسب لساني ينطق به، ولكني أقول متشوقاً إلى بغداد: فضحك وقال قل ما شئت: صوت

يا دير مديان لا عريت من سكنٍ هيجت لي سقماً يا دير مديانا

هل عند قسك من علم فيخبرنا أم كيف يسعف وجه الصبر من بانا
حث المدام فإن الكأس مترعة مما يهيج دواعي الشوق أحياناً
سقياً ورعياً لكرخايا وساكنها وللجنينة بالروحاء من كانا

فاستحسنها المعتصم، وأمرني ومخارقاً فغنينا فيها وشرب على ذلك حتى سكر، وأمر للجماعة بجوائز. لحن عمرو بن بانة في هذه الأبيات رمل، ولحن مخارق هزج، ويقال: إنه لغيره.
عبث بخادم أبي عيسى فضربته فجفاه فقال شعراً: أخبرني الصولي قال حدثنا يزيد بن محمد قال: كان حسين بن الضحاك يميل إلى خادم لأبي عيسى بن الرشيد، فعبث به يوماً على سكر، فأخذ قنينةً فضرب بها رأسه فشجه شجةً منكراً، وشاع خبره وتوجع له إخوانه وعولج منها مدة، فجفا الخادم واطرحه وأبعضه ولم يعرض له بعدها. فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبث به الخادم وغازله. فلما أكثر ذلك قال له الحسين: صوت

تعز بيأسٍ عن هواي فإنني إذا انصرفت نفسي فهيهاث عن ردي
إذا خنتم بالغيب ودي فما لكم تدلون إدلال المقم على العهد
ولي منك بدٌ فاجتنبني مذمماً وإن خلت أني ليس لي منك من بد

الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانة، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل.
هنأ الواثق بالخلافة فأجازه: حدثني أحمد بن العباس العسكري قال حدثني عبد الله بن المؤمل العسكري قال: لما ولي الواثق الخلافة جلس للناس ودخل إليه المهنتون والشعراء فمدحوه وهنئوه، ثم استأذن حسين بن الضحاك بعدهم في الإنشاد، وكان من الجلساء فترفع عن الإنشاد مع الشعراء، فأذن له، فأنشده قوله:

أكاتم وجدي فما ينكتم بمن لو شكوت إليه رحم
وإني على حسن ظني به لأحذر إن بحت أن يحتشم
ولي عند لحظته روعة تحق ما ظنه المتهم
وقد علم الناس أني له محبٌ وأحسبه قد علم

وفي هذا رملٌ لعبد الله بن العباس بن الربيع:

وإني لمغضٍ على لوعةٍ
عشية ودعت عن مقلةٍ
فما كان عند النوى مسعدٌ
سيذكر من بان أوطانه
إلى خازن الله في خلقه
رحلنا غرابيب زفافةً
إذا ما قصدنا لقاطولها
سكناً إلى خير مسكونةٍ
مباركةٌ شاد بنيانها
كأن بها نشر كافورةٍ
كظهر الأديم إذا ما السحا
مبرأة من وحول الشتاء
فما إن يزال بها راجلٌ
ويمشي على رسله آناً
وللنون والضرب في بطنها
غدوت على الوحش مغترّةً
ورحت عليها وأسرابها

ثم قال بمدح الواثق:

يضيق الفضاء به إن غدا
ترى النصر يقدم راياته
وفي الله دوح أعداءه
وفي الله يكظم من غيظه
رأى شيم الجود محمودّةً
فراح على نعمٍ واغتدى

من الشوق في كبدي تضطرم
سفوح وزفرة قلبٍ سدم
سوى العين تمزج دمعاً بدم
وبيكي المقيمين من لم يقم
سراج النهار وبدر الظلم
بدجلة في موجهها الملتطم
ودهم قراقيرها تصطدم
تيممها راغبٌ من أمم
بخير المواطن خير الأمم
لبرد نداها وطيب النسم
ب صاب على متنها وانسجم
إذا ما طمى وحله وارتم
يمر الهوينى ولا يلتطم
سليم الشراك نقي القدم
مراتع مسكونةٍ والنعم
روائع في نورها المنتظم
تحوم بأكنافها تبتسم

بطودي أعاريبه والعجم
إذا ما خفقن أمام العلم
وجرد فيهم سيوف النقم
وفي الله يصفح عن جرم
وما شيم الجود إلا قسم
كأن ليس يحسن إلا نعم

قال: فأمر له الواصل بثلاثين ألف لألف أدرهم، واتصلت أيامه بعد ذلك، ولم يزل من ندمائه.
أمره الواصل بأن يقول شعراً فأرتج عليه حيناً ثم قال: حدثني أحمد بن العباس قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي
قال حدثني مهدي بن سابق قال:
قال الواصل لحسين بن الضحاك: قل الساعة أبيتاً ملاحاً حتى أهب لك شيئاً مليحاً، فقال: في أي معنى يا أمير
المؤمنين؟ فقال: امدد طرفك وقل فيما شئت مما ترى بين يديك وصفه. فالتفت فإذا ببساط زهره قد تفتحت
أنواره وأشرق في نور الصباح، فأرتج علي ساعة حتى خجلت وضقت ذرعاً. فقال لي الواصل: مالك ويحك!
ألست ترى نور الصباح، ونور أقاح! فانفتح القول فقلت:

والمبتكر الغيث قد أمطرا	ألست ترى الصباح قد أسفرا
تضاحك بالأحمر الأصفرا	وأسفرت الأرض عن حلة
وحثك في الشرب كي تسكرا	ووافاك نيسان في ورده
تطارد بالأصغر الأكبرا	وتعمل كأسين في فتية
تجاذب أردافه المنزرا	يحث كؤوسهم مخطف
أدار غدائره وفرا	ترجل بالبان حتى إذا
ر والآنوسة والعبهرا	وفضض في الجنار البها
مقاريض أطرافه شذرا	فلما تمازج ما شذرت
ليفعل في ذاته المنكرا	فكل ينافس في بره

قال: فضحك الواصل وقال: سنستعمل كل ما قلت يا حسين إلا الفسق الذي ذكرته فلا ولا كرامة. ثم أمر
بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه. ثم قال: قوموا بنا إلى حانة الشط فقاموا إليها، فشرب وطرب، وما ترك
يومئذ أحداً من الجلساء والمغنين والحشم إلا أمر له بصلة. وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذكرت في
الآفاق. قال حسين: فلما كان من الغد غدوت إليه، فقال: أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلته في يومنا الماضي،
فقد كان حسناً، فأنشدته: شعره في حانة الشط وقد شرب فيها مع الواصل: صوت

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا	عودي بيوم سرور كالذي كانا
لا تفقدينا دعابات الإمام ولا	طيب البطالة إسرا وإعلانا
ولا تخالطنا في غير فاحشة	إذا يطر بنا الطنبور أحياناً
وهاج زمر زنام بين ذلك لنا	شجوا فأهدى لنا روحاً وريحاناً
وسلسل الرطل عمرو ثم عم به الس	قيا فالحق أولانا بأخرانا

سقياً لشكلك من شكل خصصت به
دون الدساكر من لذات دنيانا
حفت رياضك جنات مجاورة
في كل مخترق نهرًا وبستانا
لازلت آله الأوطان عامرة
بأكرم الناس أعراقاً وأغصانا

قال: فأمر له الوائق بصلة سنية محددة، واستحسن الصوت، وأمر فغنى في غدة أبيات منها، غنت فريدة في البيتين الأولين من هذه الأبيات، ولحنها هزج مطلقاً.

خاصم أبا شهاب ولا حاه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال: اجتمعت أنا وحسين بن الضحاك وأبو شهاب الشاعر وهو الذي يقول:

لقد كنت ريحانة في الندى
وتفاحة في يد الكاعب

وعمرو بن بانة يغنيها فتذاكرنا الدواب، واتصل الحديث إلى أن تلاحي حسين وأبو شهاب في دابتيهما وتراهما على المسابقة بهما، فتسابقا فسبقه أبو شهاب. فقال حسين في ذلك:

كلوا واشربوا هنتم وتمنعوا
وعيشوا وذموا الكودنين جميعا

فأقسم ما كان الذي نال منهما
مدى السبق إذ جد الجراء سريعاً

وهي قصيدة معروفة في شعره. فقال أبو شهاب يجيبه:

أيا شاعر الخصيان حاولت خطئة
سبقت إليها وانكفأت سريعاً

تحاول سبقي بالقريض سفاهة
لقد رمت جهلاً من حمائي منيعاً

وهي أيضاً قصيدة. فكان ذلك سبب التباعد بينهما. وكنا إذا أردنا العيث بحسين نقول له: أيا شاعر الخصيان، فيحن ويشتمنا.

قصته مع أحد جند الشام وإيقاعه بينه وبين عشيقته:

حدثني جعفر قال حدثني علي بن يحيى قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كان يألني إنساناً من جند الشام عجيب الخلقة والزري والشكل غليظ جلف جاف، فكنت أحتمل ذلك كله له ويكون حظي التعجب به، وكان يأتيني بكتب من عشيقته له ما رأيت كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغ ولا أشكل من معانيها، ويسألني أن أجيب عنها، فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي بأن الشامى بجهله لا يميز بين الخطأ والصواب، ولا يفرق بين الابتداء والجواب. فلما طال ذلك علي حسدته وتنبهت إلى إفساد حاله عندها. فسألته عن اسمها فقال: بصبص. فكتبت إليها عنه في جواب كتاب منها جاءني به:

أرقصني حبك يا بصبص
والحب يا سيدتي يرقص

أرمصت أجفاني بطول البكا
فما لأجفانك لا ترمص

وابأبي وجهك ذاك الذي

كأنه من حسنه عصص

فجاءني بعد ذلك فقال لي: يا أبا علي، جعلني الله فداءك، ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي؟ فقلت له: وما ذاك عافاك الله؟ فقال: ما هو والله إلا أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثت إلي: إني مشتاقة إليك، والكتاب لا ينوب عن الرؤية، فتعال إلى الروشن الذي بالقرب من بابنا فقف بجياله حتى أراك، فتزيت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع. فبينما أنا واقفٌ مكلماً أو مشيراً إلي إذا شيء قد صب علي فملاًني من قربي إلى قدمي وأفسد ثيابي وسرجي وصيرني وجميع ما علي ودابتي في نهاية السواد والنتن والقذر، وإذا به ماءٌ قد خلط ببول وسواد سرجين، فانصرفت بخزي. وكان ما مر بي من الصبيان وسائر من مررت به من الضحك والطير والصياح بي أغلظ مما مر بي، ولحقني من أهلي ومن في منزلي شرٌّ من ذلك وأوجع. وأعظم من ذلك أن رسلها انقطعت عني جملةً. قال: فجعلت أعتذر إليه وأقول له: إن الآفة أهما لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته، وأنا أحمد الله على ما ناله وأسر الشماتة به.

دعاه الحسن بن رجاء ودعاه ابن بسخنر فذهب له واعتذر للحسن: أخبرني أحمد بن جعفر لحظة قال حدثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضحاك قال: كتب إلي الحسن بن رجاء في يوم شك وقد أمر الوائق بالإفطار، فقال:

هزرتك للصبح وقد نهاني

أمير المؤمنين عن الصيام

وعندي من قيان المصر عشرٌ

تطيب بهن عاتقة المدام

ومن أمثالهن إذا انتشينا

ترانا نجتني ثمر الغرام

فكن أنت الجواب فليس شيء

أحب إلي من حذف الكلام

قال: فوردت علي رقعته وقد سبقه إلي محمد بن الحارث بن بسخنر ووجه إلي بغلام نظيف الوجه كان يتحظاه، ومعه ثلاثة غلمة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعةٌ قد كتبها إلي كما تكتب المناشير، وختمها في أسفلها وكتب فيها يقول:

سر على اسم الله يا أش

كل من غصن لجين

في ثلاث من بني الرو

م إلى دار حسين

فاشخص الكهل إلى مو

لاك يا قرّة عيني

أره العنف إذا استع

صى وطالبه بدين

ودع اللفظ وخاطب

ه بغمز الحاجبين

واحذر الرجعة من وج

هك في خفي حنين

قال: فمضيت معهم، وكتبت إلى الحسن بن رجاء جواب رقعة:

دعوت إلى مباحكة الصيام	وإعمال الملاهي والمدام
ولو سبق الرسول لكان سعيي	إليك ينوب عن طول الكلام
وما شوقي إليك بدون شوقي	إلى ثمر التصابي والغرام
ولكن حل في نفر عسوف	بمنشور محل المستهام
حسين فاستباح له حريماً	بطرف باعث سبب الحمام
وأظهر نخوة وسطاً وأبدى	فظاظته بترك للسلام
وأز عجني بالفاظ غلاظ	وقد أعطيته طرفي زمامي
ولو خالفته لم يخش قتلي	وقنعتني سريعاً بالحسام

لاعب الوائق بالنرد وغازل خافان خادمه فقال شعراً: أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني أبي قال:

كان الوائق يلاعب حسين بن الضحاك بالنرد وخاقان غلام الوائق واقف على رأسه، وكان الوائق يتحطاه، فجعل يلعب وينظر إليه. ثم قال للحسين بن الضحاك: إن قلت الساعة شعراً يشبه ما في نفسي وهبت لك ما تفرح به. فقال الحسين: صوت

أحبك حباً شابه بنصيحة	أب لك مأمون عليك شفيق
وأقسم ما بيني وبينك قربة	ولكن قلبي بالحسان علق

فضحك الوائق وقال: أصبت ما في نفسي وأحسننت. وصنع الوائق فيه لحناً، وأمر لحسين بألفي دينار. لحن الوائق في هذين البيتين من الثقيل الأول بالوسطى. فضل نفسه على أبي نواس فردّه أحمد بن خلاد: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن خلاد قال: أنشدني حسين بن الضحاك لنفسه:

بدلت من نفحات الورد بالآء	ومن صبوحك در الإبل والشاء
---------------------------	---------------------------

حتى أتى على آخرها، وقال لي: ما قال أحد من الحديثين مثلها. فقلت: أنت تحوم حول أبي نواس في قوله:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء	وداوني بالتّي كانت هي الداء
-----------------------------	-----------------------------

وهي أشعر من قصيدتك. فغضب وقال: ألي تقول هذا! علي وعلي إن لم أكن نكت أبا نواس! فقلت له: دع ذا عنك، فإنه كلام في الشعر لا قدح في نسب، لو نكت أبا نواس وأمه وأباه لم تكن أشعر منه. وأحب أن تقول لي: هل لك في قصيدتك بيت نادر غير قولك:

فضت خواتمها في نعت واصفها

عن مثل رقراقة في عين مرهاء

وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها:

دارت على فنية ذل الزمان لهم

فما أصابهم إلا بما شاءوا

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها

لو مسها حجرٌ مسته سراء

فأرسلت من فم الإبريق صافيةً

كأنما أخذها بالعقل إغفاء

والله ما قدرت على هذا ولا تقدر عليه، فقام وهو مغضب كالمقر بقولي.

تحاكم هو وأبو نواس إلى ابن مناذر فحكم له: حدثني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني أحمد بن المعتصم قال: حج أبو نواس وحسين بن الضحاك فجمعهما الموسم، فتناشدا قصيديهما: قول أبي نواس:

دعك عنك لومي فإن اللوم إغراء

وداوني بالتي كانت هي الداء

وقصيدة حسين:

بدلت من نفحات الورد بالآء

فتنازعا أيهما أشعر في قصيدته، فقال أبو نواس: هذا ابن مناذر حاضر الموسم وهو بيني وبينك. فأنشده قصيدته حتى فرغ منها، فقال أبو مناذر: ما أحسب أن أحداً يجيء بمثل هذه وهم بتفضيله، فقال له الحسين: لا تعجل حتى تسمع، فقال: هات، فأنشده قوله:

بدلت من نفحات الورد بالآء

ومن صبوحك در الإبل والشاء

حتى انتهى إلى قوله:

فضت خواتمها في نعت واصفها

عن مثل رقراقة في عين مرهاء

فقال له ابن مناذر: حسبك، قد استغنيت عن أن تزيد شيئاً، والله لو لم تقل في دهرك كله غير هذا البيت لفضلتك به على سائر من وصف الخمر، قم فأنت أشعر وقصيدتك أفضل. فحكم له وقام أبو نواس منكسراً. قال شعراً لكثير بن إسماعيل استرضى به المعتصم: أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد قال حدثني كثير بن إسماعيل التحتكار قال: لما قدم المعتصم بغداد، سأل عن ندماء صالح بن الرشيد وهو أبو الواسع وقينة وحسين بن الضحاك وحاتم الريش وأنا، فأدخلنا عليه. فلشؤمي وشقائي كتبت بين عيني: سيدي هب لي شيئاً. فلما رأي قال: ما هذا على جبينك؟! فقال حمدون بن إسماعيل: يا سيدي تطايب بأن كتب على جبينه: سيدي هب لي شيئاً!. فلم يستطع لي ذلك ولا استملحه، ودعا بأصحابي من غد ولم يدع بي. ففزعنا إلى حسين بن الضحاك، فقال لي: إني لم أحلل من أنسه بعد بالحل الموجب أن أشفع إليه فيك،

ولكني أقول لك بيتين من الشعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما، فإن ذلك أبلغ. فقلت: أفعَل. فقال حسين:

سلط الله عليك الآخرة

قل لدنيا أصبحت تلعب بي

ومن الريش فأمي فاجره

إن أكن أبرد من قنينة

قال: فأخذتهما وعرفت حمدون أنهما لي وسألته إيصالهما ففعل، فضحك المعتصم وأمر لي بألفي دينار واستحضرني وألحقني بأصحابي.

كان ابن بسخر يكره الصبوح فقال فيه شعراً:

أخبرني عمي قال حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال قال لي أحمد بن حمدون: كان محمد بن الحارث بن بسخر لا يرى الصبوح ولا يؤثر على الغبوق شيئاً، ويحتج بأن من خدم الخلفاء كان اصطحابه استخفافاً بالخدمة، لأنه لا يأمن أن يدعى على غفلة والغبوق يؤمنه من ذلك، وكان المعتصم يحب الصبوح، فكان يلقب ابن بسخر الغبوقي. فإذا حضر مجلس المعتصم مع المغنين منعه الصبوح وجمع له مثل ما يشرب نظراً، فإذا كان الغبوق سقاه إياه جملةً غيظاً عليه، فيضج من ذلك ويسأل أن يترك حتى يشرب مع الندماء إذا حضروا فيمنعه ذلك. فقال فيه حسين بن الضحاك وفي حاتم الريش الضراط وكان من المضحكين:

كقبحك يا حاتم مقبلاً

حب أبي جعفر للغبوق

وحقك في الناس أن تقتلا

فلا ذاك يعذر في فعله

ضراطك دون الخلا في الملا

وأشبه شيء بما اختاره

استعطف أبا أحمد بن الرشيد وكان قد غضب عليه: حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن علي بن حمزة قال: مزح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضحاك مزاحاً أغضبه، فجأوبه حسين جواباً غضب منه أبو أحمد أيضاً. فمضى إليه حسين من غد فاعتذر إليه وتنصل وحلف، فأظهر له قبولاً لعذره. ورأى ثقلاً في طرفه وانقباضاً عما كان يعهده منه، فقال في ذلك:

وجه الأمير فإنه بشر

لا تعجبين لملة صرفت

عقد الضمير نبا بك البصر

وإذا نبا بك في سريرته

حكى للنشار صحبتته للأمين وإكرامه له: حدثني الصولي قال حدثني أبو أحمد بن النشار قال: كان أبي صديقاً للحسين بن الضحاك وكان يعاشره، فحملني معه يوماً إليه، وجعل أبي يحادثه إلى أن قال له: يا أبا علي، قد تأخرت أرزاقك وانقطعت موادك ونفقتك كثيرة، فكيف يمشي أمر؟ فقال له: بلى والله يا أخي، ما قوام أمري إلا ببقايا هبات الأمين محمد بن زبيدة وذخائره وهبات جارية له لم يسمها أغنتني للأبد لشيءٍ ظريف جرى على غير تعمد، وذلك أن الأمين دعاني يوماً فقال لي: يا حسين، إن جليس الرجل عشيره وثقته

وموضع سره وأمنه، وإن جاريتي فلانة أحسن الناس وجهاً وغناءً، وهي مني بمحل نفسي، وقد كدرت علي صفوها ونغصت علي النعمة فيها بعجبها بنفسها وتجنيتها علي وإدلالها بما تعلم من حيي إياها. وإني محضرها ومحضر صاحبها لها ليست منها في شيء لتعني معها. فإذا غنت وأومأت لك إليها علي أن أمرها أئين من أن يخفي عليك فلا تستحسن الغناء ولا تشرب عليه، وإذا غنت الأخرى فاشرب واطرب واستحسن واشقق ثيابك، وعلي مكان كل ثوب مائة ثوب. فقلت: السمع والطاعة. فجلس في حجرة الخلوة وأحضرني وسقاني وخلع علي، وغنت المحسنة وقد أخذ الشراب مني، فما تمالككت أن استحسننت وطربت وشربت، فأومأ إلي وقطب في وجهي. ثم غنت الأخرى فجعلت أتكلف ما أقوله وأفعله. ثم غنت المحسنة ثانية فأئت بما لم أسمع مثله قط حسناً، فما ملكت نفسي أن صحت وشربت وطربت، وهو ينظر إلي ويعض شفتيه غيظاً، وقد زال عقلي فما أفكر فيه، حتى فعلت ذلك مراراً، وكلما ازداد شربي ذهب عقلي وزدت مما يكره، فغضب فأمضني وأمر بجر رجلي من بين يديه وصرفي فحررت وصرفت، فأمر بأن أحجب. وجاءني الناس يتوجعون لي ويسألوني عن قصتي فأقول لهم: حمل علي النبذ فأسأت أدبي، فقومني أمير المؤمنين بصربي وعاقبي بمنعي من الوصول إليه. ومضى لما أنا في شهر، ثم جاءتني البشارة أنه قد رضي عني، وأمر بإحضاري فحضرت وأنا خائف. فلما وصلت أعطاني الأمين يده فقبلتها، وضحك إلي وقام وقال: اتبعني، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري. وغنت المحسنة التي نالني من أهلها ما نالني فسكت فقال لي: قل ما شئت ولا تخف، فشربت واستحسننت. ثم قال لي: يا حسين، لقد خار الله لك بخلافي وجرى القدر بما تحب فيه. إن هذه الجارية عادت إلى الحال التي أريد منها ورضيت كل أفعالها، فأذكرتني بك وسألتني الرضا عنك والاختصاص لك، وقد فعلت ووصلتك بعشرة آلاف دينار، ووصلتك هي بدون ذلك. والله لو كنت فعلت ما قلت لك حتى تعود إلى مثل هذه الحال ثم تحقد ذلك عليك فتسألني ألا تصل إلي لأجبتها. فدعوت له وشكرته وحمدت الله على توفيقه، وزدت في الاستحسان والسرور إلى أن سكرت وانصرفت وقد حمل معي المال. فما كان يمضي أسبوع إلا وصلاتها وألطفها تصل إلي من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين، وما جالسته مجلساً بعد ذلك إلا سألته أن يصلني. فكل شيء أنفقته بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالها وما ذخرت من صلاحها. قال ابن النشار: فقال له أبي: ما سمعت بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب مما وفقه الله لك فيه.

هنا الأمين بظفر جيشه بطاهر بن الحسين: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال: دخل حسين بن الضحاك على محمد الأمين بعقب رقعة أوقعها أهل بغداد بأصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم، فهناه بالظفر ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له فأنشده:

ه تعط العز والنصره

أمين الله ثق بالل

كلاك الله ذو القدره

كل الأمر إلى الله

ه والكرة لا الفره

لنا النصر بإذن الل

ك يوم سوء والدبره

وللمراق أعدائ

كرية طعمها مره

وكأس تورد الموت

فكانت بهم الحره

سقونا وسقيناهم

علينا ولنا مره

كذاك الحرب أحياناً

فأمر له بعشرة آلاف درهم، ولم يزل يتبسم وهو ينشده.

عابته الأمين وركب ظهره: حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال:

قال لي الحسين بن الضحاك: شربنا يوماً مع الأمين في بستان، فسقانا على الرقيق، وجد بنا في الشرب، وتحرز من أن ندوق شيئاً. فاشتد الأمر علي، وقمت لأبول، فأعطيت خادماً من الخدم ألف درهم على أن يجعل لي تحت شجرة أومأت إليها رقاقة فيها لحم، فأخذ الألف وفعل ذلك. ووثب محمد فقال: من يكون منك حماري؟ فكل واحد منهم قال له: أنا، لأنه كان يركب الواحد منا عبثاً ثم يصله، ثم قال: يا حسين، أنت أضلع القوم. فركبني وجعل يطوف وأنا أعدل به عن الشجرة وهو يمر بي إليها حتى صار تحتها، فرأى الرقاقة فتطأاً فأخذها فأكلها على ظهري، وقال: هذه جعلت لبعضكم، ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء. فقلت لأصحابي: أنا أشقى الناس، ركب ظهري وذهب ألف درهم مني وفاتي ما يمسك رمقي ولم يصلني كعادي، ما أنا إلا كما قال الشاعر:

أنى توجه والمحروم محروم

ومطعم الصيد يوم الصيد مطعمه

أحب جارية لأم جعفر ووسط عاصماً الغساني في استيهابها فأبت فقال شعراً: حدثني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي المبرد قال: كان حسين بن الضحاك الأشقر، وهو الخليل، يهوى جارية لأم جعفر، وكانت من أجمل الجوارى، وكان لها صدغان معقربان، وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له: ما قلت فينا؟ أنشدنا منه شيئاً، فيخرج إليها الصحيفة، فتقول له: اقرأ معي، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفة. فشكا ذلك إلى عاصم الغساني الذي كان يمدحه سلم الخاسر وكان مكيناً عند أم جعفر، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها، فأبت عليه أم جعفر، فوجه إلى الخليل بألف دينار وقال: خذ هذا الألف، فقد جهدت الجهد كله فيها فلم تمكني حيلة. فقال الحسين في ذلك:

بسهم الهوى عمداً وموتك في العمد

رمتك غداة السبت شمس من الخلد

غلامية التقطيع شاطرة القد

مؤزرة السربال مهضومة الحشا

معقربة الصدغين كاذبة الوعد

محناة الأطراف رؤد شبابها

وقد شخصت عيني ودمعي على الخد

أقول ونفسي بين شوق وزفرة

أجيزي علي من قد تركت فؤاده
فقال عذاب بالهوى مع قربكم
لقد فطنت للجور فطنة عاصم
سأشكوك في الأشعار غير مقصر
بلحظته بين التأسف والجهد
وموت إذا أقرحت قلبك بالبعد
لصنع الأيادي الغر في طلب الحمد
إلى عاصم ذي المكرمات وذي المجد
لعل فتى غسان يجمع بيننا
فيأمن قلبي منكم روعة الصد

أقطع المعتصم الناس دوراً دونه فقال شعراً: حدثني محمد بن خلف وكيع قال حدثني هارون بن مخارق قال: أقطع المعتصم الناس الدور بسر من رأى وأعطاهم النفقات لبنائها، ولم يقطع الحسين بن الضحاك شيئاً. فدخل عليه فأنشده قوله:

يا أمين الله لا خطة لي
أنا في دهياء من مظلمة
صعبة المسلك يرتاع لها
بوني منك كما بوأتهم
ولقد أفردت صحبي بخطط
تحمل الشيخ على كل غلط
كل من أصعد فيها وهبط
عرصة تبسط طرفي ما انبسط
أبنتي فيها لنفسي موطناً
ولعقبي فرطاً بعد فرط
لم يزل منك قريباً مسكني
فأعد لي عادة القرب فقط
كل من قربته مغتبط
ولمن أبعدت خزي وسخط

قال: فأقطعه داراً وأعطاه ألف دينار لنفقته عليها.

حاز شعراً لأبي العتاهية: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال أخبرني عمي الفضل عن الحسين بن الضحاك قال: كنت أمشي مع أبي العتاهية، فمررت بمقبرة وفيها باكية تبكي بصوتٍ شجٍ على ابن لها. فقال أبو العتاهية:

أما تنفك باكية بعين
غزيرٍ دمعها كمدٍ حشاها

أجز يا حسين، فقلت:

تتادي حفرة أعيت جواباً
فقد ولهت وصم بها صداها

نصحه أبو العتاهية ألا يرثي الأمين فأطاعه: حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني الحسين بن الضحاك قال:

كنت عازماً على أن أرثي الأمين بلساني كله وأشفي لوعي. فلقيني أبو العتاهية فقال لي: يا حسين، أنا إليك مائلٌ ولك محبٌ، وقد علمت مكانك من الأمين، وإنه لحقيق بأن ترثيه، إلا أنك قد أطلقت لسانك من التلهف

عليه والتوجه له بما صار هجاءً لغيره وثلباً له وتحريضاً عليه، وهذا المأمون منصبٌ إلى العراق قد أقبل عليك، فأبق على نفسك، يا ويحك! أتجسر على أن تقول:

تركوا حريم أبيهم نفلاً والمحصنات صوارخ هتف

هيهات بعدك أن يدون لهم عزٌ وأن يبقى لهم شرف

أكفف غرب لسانك واطو ما انتشر عنك وتلاف ما فرط منك. فعلمت أنه قد نصحتني فجزيته الخير، وقطعت القول فنجوت برأيه وما كدت أن أنجو.

أعرض عنه فتى جميل فقال فيه شعراً: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني أبو العيناء قال: وقف علينا حسين بن الضحاك ومعنا فتى جالسٌ من أولاد الموالي جميل الوجه، فحدثنا طويلاً وجعل يقبل على الفتى بحديثه والفتى معرضٌ عنه حتى طال ذلك، ثم أقبل عليه الحسين فقال:

تتبه علينا أن رزقت ملاحاً فمهلاً علينا بعض تيهك يا بدر

لقد طالما كنا ملاحاً وربما صددنا وتهنا ثم غيرها الدهر

وقام فانصرف.

عربد في مجلس الأمين فغضب عليه ثم استرضاه بشعر فرضي عنه: أخبرني الحسن بن القاسم الكوفي قال حدثني ابن عجلان قال: غنى بعض المغنين في مجلس محمد المخلوع بشعر حسين بن الضحاك، وهو: صوت

ألست ترى ديمة تهطل وهذا صباحك مستقبل

وهذي العقار وقد راعنا بطلعته الشادن الأكل

فعاد به وبنا سكرة تهون مكروه ما نسأل

فإني رأيت له نظرة تخبرنا أنه يفعل

قال: فأمر بإحضار حسين فأحضر، وقد كان محمد شرب أرتالاً. فلما مثل بين يديه أمر فسقي ثلاثة أرتال، فلم يستوفها الحسين حتى غلبه السكر وقذف، فأمر بحمله إلى منزله فحمل. فلما أفاق كتب إليه:

إذا كنت في عصبية من المعشر الأخيب

ولم يك في مسعدٍ نديم سوى جعدب

فأشرب من رملة وأسهر من قطرب

ولما حباني الزما ن من حيث لم أحسب

ونادمت بدر السما ء في فلك الكوكب

أبت لي غوضيتي ولؤم من المنصب

فأسكرني مسرعاً

قوي من المشرب

كذا النذل ينبوبه

منادمة المنجب

قال: فردّه إلى منادمته وأحسن جائزته وصلته.

شعره في غلام أبي أحمد بن الرشيد: أخبرني الكوكبي قال حدثني علي بن محمد بن نصر عن خالد بن حمدون: أن الحسين بن الضحاك أنشده وقد عاتبه خادم من خدام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنى فيه عمرو بن بانة، فقال حسين فيه: صوت

فديت من قال لي على خفره

وغض جفناً له على حوره

سمع بي شعرك المليح فما

ينفك شاد به على وتره

فقلت يا مستعير سالفه ال

خشف وحسن الفتور من نظره

لا تتكرن الحنين من طرب

عاود فيك الصبا على كبره

وغنى فيه عمرو بن بانة هزجاً مطلقاً.

كتب شعراً على قبر أبي نواس: أخبرني الكوكبي قال حدثني أبو سهل بن نوبخت عن عمرو بن بانة قال: لما مات أبو نواس كتب حسين بن الضحاك على قبره:

كابرنيك الزمان يا حسن

فخاف سهمي وأفلح الزمن

ليتك إذ لم تكن بقيت لنا

لم تبق روح يحوطها بدن

هجا جراحاً مخثناً اسمه نصير: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبي قال: كان في جوار الحسين بن الضحاك طبيب يداوي الجراحات يقال له نصير، وكان مخثناً، فإذا كانت وليمة دخل مع المخنثين، وإذا لم تكن عالج الجراحات. فقال فيه الحسين بن الضحاك:

نصير ليس لمرد من شأنه

نصير طب بالנקاريش

يقول للنكريش في خلوة

مقال ذي لطف وتجميش

هل لك أن نلعب في فرشنا

تقلب الطير المراعيش

يعني المبادلة. فكان نصير بعد ذلك يصيح به الصبيان: يا نصير نلعب تقلب الطير المراعيش فيشتهم ويرميهم بالحجارة.

عبث ابن مناذر بشعر له فشتمه: حدثني جعفر قال حدثني علي بن يحيى عن حسين بن الضحاك قال: أنشدت ابن مناذر قصيدتي التي أقول فيها:

لفقدك ريحانة العسكر

وكانت من أول ما قلته من الشعر، فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله وجعل يردد هذا البيت. فقلنا لحسين: أترأه فعل ذلك استحساناً لما قلت؟ فقال لا، فقلنا، فإنما فعله طراً بك، فشتمه وشتمنا. وكنا بعد ذلك نسأله إعادة هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدد شتم ابن مناذر بأقبح ما يقدر عليه. وقف ببابه سلولي وغنوي ينتظران محارباً فليل اجتماع اللؤم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن المهرويه قال حدثني أحمد بن أبي كامل قال: مررت بباب حسين بن الضحاك، وإذا أبو يزيد السلولي وأبو حزره الغنوي وهما ينتظران المحارب وقد استؤذن لهم على ابن الضحاك، فقلت لهما: لم لا تدخلان؟ فقال أبو يزيد: ننتظر اللؤم أن يجتمع، فليس في الدنيا أعجب مما اجتمع منا، الغنوي والسلولي ينتظران المحارب ليدخلوا على باهلي.

كتب أبياتاً عن الواثق يدعو الفتح بن خاقان للصبح: أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر البوشنجي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان ويأنس به وهو يومئذ غلام، وكان الفتح ذكياً جيد الطبع والفطنة. فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أبيه خاقان عرطوج: يا فتح أيما أحسن: داري أو دار أبيك؟ فقال له وهو غير متوقف وهو صبي له سبع سنين أو نحوها: دار أبي إذا كنت فيها، فعجب منه وتبناه. وكان الواثق له بهذه المثلثة، وزاد المتوكل عليهما. فاعتل الفتح في أيام الواثق علة صعبة ثم أفاق وعوفي، فعزم الواثق على الصبح، فقال لي: يا حسين، اكتب بأبيات عني إلى الفتح تدعوه إلى الصبح، فكتبت إليه:

لما اصطبحت وعين اللهو ترمقني	قد لاح لي باكراً في ثوب بذلته
ناديت فتحاً وبشرت المدام به	لما تخلص من مكروه علته
ذب الفتى عن حريم الراح مكرمة	إذا رآه امرؤ ضداً لنحلته
فاعجل إلينا وعجل بالسرور لنا	وخالس الدهر في أوقات غفلته

فلما قرأها الفتح صار إليه فاصطحب معه.

شعره في غلام عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع: أخبرني عمي قال حدثني يعقوب بن نعيم وعبد الله بن أبي سعد قالوا حدثنا محمد بن محمد الأنباري قال حدثني حسين بن الضحاك قال: كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصطبغ وخادم له يسقيه، فقال لي: يا أبا علي، قد استحسنت سقي هذا الخادم، فإن حضرك شيء في قصتنا هذه فقل، فقلت:

أحييت صبحي فكاهاة اللاهي	وطاب يومي بقرب أشباهي
فاستثر اللهو من مكانه	من قبل يوم منغص ناهي

بابنة كرم من كف منتطقٍ

مؤتزر بالمجون تياه

يسقيك من طرفه ومن يده

سقي لطيفٍ مجرب داهي

كأساً فكأساً كأن شاربها

حيران بين الذكور والساهي

قال: فاستحسنه عبد الله وغنى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقية يومنا.

وعده يسر بالسكر معه قبل رمضان ولم يف فقال فيه شعراً: أخبرني علي بن العباس قال حدثني سودة بن الفيض عن أبيه قال: اتفق حسين بن الضحاك ويسر مرةً عند بعض إخوانهما وشربا وذلك في العشر الأواخر من شعبان. فقال حسين ليسر: يا سيدي، قد هجم الصوم علينا، فتفضل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك، فقال له: قد سكرت وأخشى أن يبدو لك، فحلف له يسر أنه يفي. فلما كان من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء، فجحد الوعد وأنكره. فكتب إليه يقول:

تجاسرت على الغدر

كعادتك في الهجر

فأخلفت وما استخلف

ت من إخوانك الزهر

لئن خست لما ذل

ك من فعلك بالنكر

وما أقنعني فعل

ك يا مختلق العذر

بنفسي أنت إن سوت

فلا بد من الصبر

وإن جر عني الغيظ

وإن خشن بالصدر

ولولا فرقي منك

لسميتك في الشعر

وعنفتك لا آلو

وإن جرت مدى العذر

أما تخرج من إخلا

ف ميعادك في العشر

غداً يفظمنا الصوم

عن الراح إلى الفطر

قال: فسألت الحسين بن الضحاك عما أثر له هذا الشعر وما كان الجواب، فقال: كان أحسن جوابٍ وأجمل فعل، كان اجتماعنا قبل الصوم في بستان لمولاه، وتمننا سرورنا وقضينا أوطارنا إلى الليل، وقلت في ذلك:

سقى الله بطن الدير من مستوى السفح

إلى ملتقى النهرين فالأثل فالطليح

ملاعب قدن القلب قسراً إلى الهوى

ويسرن ما أملت من درك النجح

أتنسى فلا أنسى عتابك بينها

حبيبك حتى انقاد عفواً إلى الصلح

سمحت لمن أهوى بصفو مودتي ولكن من أهواه صيغ على الشح

شعره في يسر وفي أيام مضت له معه بالبصرة: قال علي بن العباس: وأنشدني سودة بن الفيض عن أبيه لحسين بن الضحاك يصف أياماً مضت له بالبصرة ويومه بالقفص ومجيء يسرٍ إليه، وكان يسرٌ سألَه أن يقول في ذلك شعراً:

تيسري للمام من أمم ولا تراعي حمامة الحرم

قد غاب لا آب من يراقبنا ونام لا قام سامر الخدم

فاستصحبني مسعدا يفاوضنا إذا خلونا في كل مكتتم

تبذلي بدلةً تقر بها ال عين ولا تحصري وتحشمي

ليت نجوم السماء راكدة على دجى ليلنا فلم ترم

ما لسروري بالشك ممتزجاً حتى كأني أراه في حلم

فرحت حتى استخفني فرحي وشبت عين اليقين بالتهم

أمسح عيني مستتباً نظري أخالني نائماً ولم أنم

سقياً لليل أفنيت مدته ببارد الريق طيب النسم

أبيض مرتجةٍ روادفه ما عيب من قرنه إلى القدم

إذ قصبات العريش تجمعنا حتى تجلت أو آخر الظلم

وليلةٍ بتها محسدة محفوفة بالظنون والتهم

أبث عبراته على غصص يرد أنفاسه إلى الكظم

سقياً لقيطونها ومخدعها كم من لمام به ومن لمم

لا أكفر السليحين أزمنة مطيعةً بالنعيم والنعم

وليلة القفص إذا سألت بها كانت شفاءً لعة السقم

بات أنيسي صريع خمرفته وتلك إحدى مصارع الكرم

وبت عن موعدٍ سبقت به ألثم دراً مفلجاً بغم

وابأبي من بدا بروعة لا وعاد من بعدها إلى نعم

أباحني نفسه ووسدني يمني يديه وبات ملتزمي

حتى إذا اهتاجت النوافس في سحرة أحوى أحم كالحمم

وقلت هبا يا صاحبي ونب
 هت أباناً فهب كالزلم
 فاستنتها كالشهاب ضاحكةً
 عن بارقٍ في الإناء مبتسم
 صفراء زيتيةً موشحةً
 بأرجوانٍ ملمعٍ ضرم
 أخذت ريحانةً أراح لها
 دب سروري بها دبیب دمي
 فراجع العذر إن بدا لك في ال
 عذر وإن عدت لائماً فلم

حجب يسراً سيده فقال شعراً في ذلك: أخبرني علي بن العباس قال حدثني سودة بن الفيض المخزومي قال حدثني المعتمر بن الوليد المخزومي قال: قال لي الحسين بن الضحاك وهو على شراب له: ويحكم أحدثكم عن يسرٍ بأعجوبة؟ قلنا: هات. قال: بلغ مولاه أنه جر له مع أخيه سببٌ، فحجبه كما تحجب النساء، وأمر بالحجر عليه، وأمره ألا يخرج عن داره إلا ومعه حافظٌ له موكل به. فقلت في ذلك:

ظن من لا كان ظنا
 بحبيبي فحماء
 أرصد الباب رقيبتي
 ن له فاكتفاه
 فإذا ما اشتاق قربي
 ولقائي منعاه
 جعل الله رقيبتي
 ه من السوء فداه

والذي أقرح في الشا
 دن قلبي ولواه
 كل مشتاق إليه
 فمن السوء فداه
 سيما من حالت الأح
 راس من دون مناه

سأل أبا نواس أن يصلح بينه وبين يسر ففعل: أخبرني علي بن العباس قال حدثنا أحمد بن العباس الكاتب قال حدثنا عبد الله بن زكريا الضير قال: قال أبو نواس: قال لي حسين بن الضحاك يوماً: يا أبا علي، أما ترى غضب يسرٍ علي! فقلت له: وما كان سبب ذلك؟ قال: حال أردتها منه فمنعنيها فغضبت، فأسألك أن تصلح بيني وبينه. فقلت: وما تحب أن أبلغه عنك؟ قال: تقول له:

بحرمة السكر وما كانا
 عزمت أن تقتل إنساناً!
 أخاف أن تهجرني صاحياً
 بعد سروري بك سكرانا
 إن بقلبي روعةً كلما
 أضمر لي قلبك هجرانا
 يا ليت ظني أبداً كاذبٌ
 فإنه يصدق أحياناً

قال: فقلت له: ويحك! أتجنّبه وتريد أن تترضاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة! فقال لي: أنا أعرف به، وهو كثير التبدل ، فأبلغه ما سألتك، فأبلغته فرضي عنه وأصلحت بينهما.

حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى قال: جاءني يوماً حسين بن الضحاك، فقلت له: أي شيء كان خبرك أمس؟ فقال لي: اسمعه شعراً ولا أزيدك على ذلك وهو أحسن، فقلت: هات يا سيدي، فقال:

زائرة زارت على غفلة	يا حبذا الزورة والزائره
فلم أزل أخدعها ليلتي	خديعه الساحر للساحره
حتى إذا ما أذعنت بالرضا	وأنعمت دارت بها الدائره
بت إلى الصبح بها ساهراً	وبانت الجوزاء بي ساهره
أفعل ما شئت بها ليلتي	وملء عيني نعمةً ظاهره
فلم ننم إلا على تسعة	من غلمة بي وبها ثائره
سقياً لها لا لأخي شعرة	شعرته كالشعرة الوافره
وبين رجليه له حربة	مشهورة في حقوه شاهره
وفي غد يتبعها لحيه	تلحقه بالكرة الخاسره

قال فقلت له: زانيت يعلم الله إن كنت صادقاً. فقال: قل أنت ما شئت.

أغرى الواثق بالصبح: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا أبو العيناء قال: دخل حسين بن الضحاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيب، فحثه على الصبح فلم ينشط له. فقال: اسمع ما قلت، قال: هات، فأنشده:

استتر اللهو من مكانه	من قبل يوم منغص ناهي
بابنة كرم من كف منتطق	مؤترر بالمجون تياه
يسقيك من لحظه ومن يده	سقى لطيف مجرب داهي
كأساً فكأساً كأن شاربها	حيران بين الذكور والساھي

قال: فنشط الواثق وقال: إن فرصة العيش لحقيقة أن تنتهز، واصطبح ووصل الحسين.

شعره في جارية: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل عاصم بن وهب البرجمي قال: حج الحسين بن الضحاك، فمر في منصرفه على موضع يعرف بالقريتين ، فإذا جارية تطلع في ثيابها وتنظر في حرها ثم تضربه بيدها وتقول: ما أضيعني وأضيعك! فأنشأ يقول:

مررت بالقريتين منصرفاً	من حيث يقضي ذو النهى النسكا
إذا فتاة كأنها قمر	للتم لما توسط الفلكا

تقول يا ضيعتي وضيعتك

واضعةً كفها على حرها

قال: فلما سمعت قوله ضحكت وغطت وجهها وقالت: وافضيحتاه! أو قد سمعت ما قلت!.

شعره في شفيح خادم المتوكل: حدثني محمد الصولي قال حدثني ميمون بن هارون قال: كان الحسين بن الضحاك صديقاً لأبي، وكنت ألقاه معي كثيراً، وكانت نفسه قد تتبععت شفيحاً بعد انصرافه من مجلس المتوكل، فأنشدنا لنفسه فيه:

إذا ما بدا نسريناً في شقائق

وأبيض في حمر الثياب كأنه

فسوقاً بعينيه ولست بفاسق

سقاني بكفيه رحيقاً وسامني

ومن لا أسمى كنت أول عاشق

وأقسم لولا خشية الله وحده

وإن وسمتني شبيبةً في المفارق

وإن لمعذورٌ على وجناته

تعود بعادات الشباب المفارق

ولا عشق لي أو يحدث الدهر شرةً

ولكن سني بالصبا غير لائق

ولو كنت شكلاً للصبا لاتبعته

توفي ابنه محمد فطلب من المتوكل أن يجري أرزاقه على زوجته وأولاده: حدثني الصولي قال حدثنا ميمون بن هارون قال: كان للحسين بن الضحاك ابن يسمى محمداً، له أرزاق، فمات فقطعت أرزاقه. فقال يخاطب المتوكل ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفى لزوجته وأولاده:

بولي عهد المسلمينا

إنني أتيتك شافعاً

جه شافع في العالمينا

وشبيهك المعتز أو

ن ويا أبا المتأخرينا

يا بن الخلائق الأولي

لأيام تخترم القرينا

إن ابن عبدك مات وا

بعراصه متلددينا

ومضى وخلف صبيةً

ف أقاربٍ مستعبرينا

ومهيرةً عبرى خلا

دث يحسنون بك الظنونا

أصبحن في ريب الحوا

كانوا بها مستمسكينا

قطع الولاة جرايةً

قطعوه غير مراقبينا

فامنن برد جميع ما

مل أفضل المتفضلينا

أعطاك أفضل ما تؤ

قال: فأمر المتوكل له بما سأل. فقال يشكره:

اسلم وليس على الأيام من باس

يا خير مستخلف من آل عباس

تعاقب اليأس حتى مات باليأس

أحييت من أمني نضواً تعاورة

هجا مغنية فهرت وانقطع خبرها: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: كنا في مجلس ومعا حسين بن الضحاك ونحن على نبيذ، فبعث بالمغنية وجمشها، فصاحت عليه واستخفت به. فأنشأ يقول:

وثلثا وجهها ذقن

لها في وجهها عكن

بط بين أصولها عفن

وأسنان كريش ال

قال: فضحكنا، وبكت المغنية حتى قلت قد عميت، وما انتفعنا بما بقية يومنا. وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلهما. وكانت إذا حضرت في موضع أنشدوا البيتين فتجن. ثم هربت من سر من رأى، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً.

قال جعفر وحدثنا أبو العيناء أنه حضر هذا المجلس، وحكى مثل ما حكاه محمد.

حديثه عن سنه: حدثني عمي قال حدثني يزيد بن محمد المهلي قال: سألت حسين بن الضحاك ونحن في مجلس المتوكل عن سنة، فاق: لست أحفظ السنة التي ولدت فيها بعينها، ولكني أذكر وأنا بالبصرة موت شعبة بن الحجاج سنة ستين ومائة.

وشى به جماعة إلى المتوكل فاسترضاه بشعر فأجازه: حدثني الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني خالي يعني أحمد بن حمدون قال: أمر المتوكل أن ينادمه حسين بن الضحاك ويلازمه، فلم يطق ذلك لكبر سنه. فقال للمتوكل بعض من حضر عنده: هو يطيق الذهاب إلى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك! فبلغه ذلك، فدفع إلي أبياتاً قالها وسألني إيصالها، فأوصلتها إلى المتوكل، وهي:

عذيرٌ وإن أنا لم أعتذر

أما في ثمانين وفيتها

مع الصاعدين بتسع آخر

فكيف وقد جزتها صاعداً

عن ابن ثمانين دون البشر

وقد رفع الله أقلامه

وألحد في دينه أو كفر

سوى من أصر على فتنة

ه في الأرض نصب صروف القدر

وإني لمن أسراء الإل

أثاب وإن يقض شراً غفر

فإن يقض لي عملاً صالحاً

فلا ذنب لي أن بلغت الكبر

فلا تلح في كبر هدي

هو الشيب حل بعقب الشباب
وقد بسط الله لي عذره
وإني لفي كنف مغدق
يباري الرياح بفضل السما
له أكد الوحي ميراثه
وما للحسود وأشياعه
فأعقبنني خوراً من أشر
فمن ذا يلوم إذا ما عذر
وعز بنصر أبي المنتصر
ح حتى تبدل أو تتحسر
ومن ذا يخالف وحي السور
ومن كذب الحق إلا الحجر

قال ابن حمدون: فلما أوصلتها شيعتها بكلامي أعذره، وقلت: لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها.
فقال المتوكل: صدقت، خذ له عشرين ألف درهم واحملها إليه، فأخذتها فحملتها إليه.
ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق:

حدثني عمي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني خالي عن حسين بن الضحاك قال: ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي ولده، ثم ضربني الأمين لممايلة ابنه عبد الله، ثم ضربني المأمون لميلتي إلى محمد، ثم ضربني المعتصم لمودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكل، وكل ذلك يجري مجرى الولوج بي والتحذير لي. ثم أحضرني المتوكل وأمر شقيقاً بالولوج بي، فتغاضب المتوكل علي. فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن كنت تريد أن تضربني كما ضربني أبائك، فاعلم أن آخر ضرب ضربته بسببك. فضحك وقال: بل أحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك.

وصف حاله في أواخر أيامه بشعر: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن مروان الأبراري قال: دخلت على حسين بن الضحاك، فقلت له: كيف أنت؟ جعلني الله فداك! فبكى ثم أنشأ يقول:

أصبحت من أسراء الله محتبساً
في الأرض نحو قضاء الله والقدر
إن الثمانين إذ وفيت عدتها
لم تبق باقيةً مني ولم تذر

أخبار أبي زكار الأعمى

مغن بغدادي قدس انقطع لآل برمك: قال أبو الفرج: أبو زكار هذا رجل من أهل بغداد من قدماء المغنين، وكان منقطعاً إلى آل برمك، وكانوا يؤثرونه ويفضلون عليه إفضالاً.
قتل جعفر البرمكي وهو يغنيه: فحدثني محمد بن جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال: سمعت مسروراً يحدث أبي قال: لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى، دخلت عليه وعنده أبو زكار الأعمى وهو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله:

عليه الموت يطرق أو يغادي

وإن بقيت تصير إلى نفاذ

فديتك بالطريف وبالتلاد

فلا تبعد فكل فتى سيأتي

وكل ذخيرة لا بد يوماً

ولو يفدى من الحدثان شيء

طلب أن يقتل مع جعفر فأمر الرشيد بالإحسان إليه: فقلت له: في هذا والله أيتك! فأخذت بيده فأقمته وأمرت بضرب عنقه. فقال لي أبو زكار: نشدتك الله إلا ألحقتني به. فقلت: وما رغبتك في ذلك؟ قال: إنه أغناني عمن سواه بإحسانه، فما أحب أن أبقى بعده. فقلت: أستأمر أمير المؤمنين في ذلك. فلما أتيت الرشيد برأس جعفر أخبرته بقصة أبي زكار، فقال لي: هذا رجل فيه مصطنع، فاضمه إليك وانظر ما كان يجريه عليه فأتممه له. قال إسحاق الموصلي عن صوت له: هو معرق في العمى: حدثني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال: غنى علويه يوماً بحضرة أبي، فقال أبي: مه! هذا الصوت معرق في العمى. الشعر لبشار الأعمى، والغناء لأبي زكار الأعمى، وأول الصوت عميت أمري.

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

فيك إلا استترت عن أصحابي

خالياً أسعدت دموعي انتحابي

ورماني بالشيب قبل الشباب

هائم القلب قد ثوى في التراب

ما جرت خطرة على القلب مني

من دموع تجري، فإن كنت وحدي

إن حبي إياك قد سل جسمي

لو منحت اللقا شفى بك صباً

الشعر في الأبيات للسيد الحميري. والغناء لمحمد نعجة الكوفي، مغن غير مشهور ولا ممن خدم الخلفاء وليس له خبر. ولحنه المختار ثاني ثقل مطلق في مجرى البصر. وذكر حبش أن لمحمد نعجة فيه أيضاً خفيف رمل بالبصر.

أخبار السيد الحميري

نسبه: السيد لقبه. واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري. ويكنى أبا هاشم. وأمّه امرأة من الأزد ثم من بني الحدان. وجده يزيد بن ربيعة، شاعر مشهور، وهو الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب، وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه، ثم أطلقه معاوية. وخره في هذا طويل يذكر في موضعه مع سائر أخباره، إذ كان الغرض ها هنا ذكر أخبار السيد.

ووجدت في بعض الكتب عن إسحاق بن محمد النخعي قال: سمعت ابن عائشة والقحذي يقولان: هو يزيد بن مفرغ، ومن قال: إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ. ومفرغ لقب ربيعة، لأنه راهن أن يشرب عساً من لبن فشربه حتى فرغه، فلعب مفرغاً. وكان شعاباً بسيالاً، ثم صار إلى البصرة. شاعر متقدم مطبوع، وترك شعره لزمة الصحابة:

وكان شاعراً متقدماً مطبوعاً. يقال: أن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة: بشار، وأبو العتاهية، والسيد، فإنه لا يعلم أن أحد قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع. وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله عليه وسلم وأزواجه في شعر ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم، فتحومي شعره من هذا الجنس وغيره لذلك، وهجر الناس تخوفاً وترقباً وله طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقاربه. ولا يعرف له من الشعر كثير. وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضد لهم. ولولا أن أخباره كلها تجري هذا المجرى ولا تخرج عنه لوجب ألا نذكر منها شيئاً؛ ولكننا شرطنا أن نأتي بأخبار من نذكره من الشعراء؛ فلم نجد بداً من ذكر أسلم ما وجدناه له وأحلاها من سيئ اختاره على قلة ذلك.

كان أبوه إباضييّن ولما تشيع هما بقتله: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن إسماعيل بن الساهر راوية السيد، قال ابن عمار وحدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه: أن أبوى السيد كانا إباضييّن ، وكان مترهما بالبصرة في غرفة بني ضبة، وكان السيد يقول: طالما سب أمير المؤمنين في هذه الغرفة. فإذا سئل عن التشيع من أين وقع له، قال: غاصت علي الرحمة غوصاً. وروي عن السيد أن أبويه لما علما بمذهبه هما بقتله، فأتى عقبة بن سلم الهنائي فأخبره بذلك، فأجاره وبوأه منزلاً وهبه له، فكان فيه حتى ماتا فورثهما.

قال راويته: إنه على مذهب الكيسانية: وقد أخبرني الحسن بن علي البري عن محمد بن عامر عن القاسم بن الربيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالخرق راوية السيد الحميري قال: ما مضى والله على مذهب الكيسانية . وهذه القصائد التي يقولها الناس مثل:

تجعفرت باسم الله والله أكبر

و

تجعفرت باسم الله فيمن تجعفرا

وقوله:

عذافرة تهوي بها كل سبب

أي راكباً نحو المدينة جسر

فقل يا أمين الله وابن المذهب

إذا ما هداك الله لأقيت جعفر

لغلام للسيد يقال له قاسم الخياط، قالها ونخلها للسيد، وجازت على كثير من الناس ممن لم يعرف خيرها، بمحل قاسم منه وخدمته إياه.

أوصافه الجسمية ومواهبه: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفضيل بن بشار قال: كان السيد أسمر، تام القامة، أشنب ، ذا وفرة ، حسن الألفاظ،

جميل الخطاب، إذا تحدث في مجلس قومٍ أعطى كل رجل في المجلس نصيبه من حديثه.

حديث الفرزدق عنه وعن عمران بن حطان: أخبرني أحمد قال حدثني محمد بن عباد عن أبي عمرو الشيباني عن لبطة بن الفرزدق قال: تذاكرنا الشعراء عند أبي، فقال: إن ها هنا لرجلين لو أخذنا في معنى الناس لما كنا معهما في شيء. فسألناه من هما؟ فقال: السيد الحميري وعمران بن حطان السدوسي، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه.

كان نتن الإبطين: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبو جعفر ابن بنت الفضيل بن بشار قال: كان السيد أسمى، تام الخلقة، أشنب، ذا وفرة، حسن الألفاظ، وكان مع ذلك أتن الناس إبطين، لا يقدر أحدٌ على الجلوس معه لنتن رائحتهما.

مدح الأصمعي شعره وذم مذهبه: قال حدثني التوزي قال: رأى الأصمعي جزءاً فيه من شعر السيد، فقال: لمن هذا؟ فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه، فأقسم علي أن أخبره فأخبرته، فقال: أنشدني قصيدةً منه، فأنشدته ثم أخرى وهو يستزيدني، ثم قال: قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبه ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحداً من طبقته.

مدح أبو عبيدة شعره: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال: سمعت أبا عبيدة يقول: أشعر المحدثين السيد الحميري وبشار.

قال راويته: إنه على مذهب محمد بن الحنفية: أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العتري عن أبي شراعة القيسي عن مسعود بن بشر.

أن جماعةً تذاكروا أمر السيد، وأنه رجع عن مذهبه في ابن الحنفية وقال بإمامة جعفر بن محمد. فقال ابن الساهر راويته: والله ما رجع عن ذلك ولا القصائد الجعفرية إلا منحولةً له قيلت بعده. وآخر عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمع رجلاً يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي عليه السلام: إنه سيولد لك بعدي ولدٌ وقد نخلته اسمي وكنيتي فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها:

وتربيتها وذات الدل دعد

أشأقتك المنازل بعد هند

معالمهن من سبلٍ ورعد

منازل أقفرت منهن محت

بسافي الترب تلحم ما تسدي

وريحٍ حرجفٍ تستن فيها

مقال محمدٍ فيما يؤدي

ألم يبلغك والأنباء تنمي

وخولة خادمٍ في البيت تردي

إلى ذي علمه الهادي على

بوارى الزند صافي الخيم نجد

ألم تر أن خولة سوف تأتي

يفوز بكنيتي واسمي لأنني
يغيب عنهم حتى يقولوا
سنين وأشهرًا ويرى برضوى
مقيم بين آرام وعين
تراعيها السباع وليس منها
أمن به الردى فرتن طوراً
حلفت برب مكة والمصلى
يطوف به الحجيج وكل عامٍ
لقد كان ابن خولة غير شك
فما أهدأ أحب إلي فيما
سوى ذي الوحي أحمد أو علي
ومن ذا يا بن خولة إذ رمتني
يذنب عنكم ويسد مما
ومالي أن أمر به ولكن
فأدرك دولة لك لست فيها
على قوم بغوا فيكم علينا
لتعل بنا عليهم حيث كانوا
إذا ما سرت من بلد حرامٍ
وماذا غرهم والخير منهم
وأنت لمن بغى وعداً وأذكى

في البيت الأولين من هذه القصيدة غناء، نسبه: صوت

أشأقتك المنازل بعد هند
منازل أقفرت منهن محت

نحلتهماء والمهدي بعدي
تضمنه بطيبة بطن لحد
بشعب بين أنمار وأسد
وحفان تروح خلال ربد
ملاقيهن مفترساً بحد
بلا خوف لدى مرعى وورد
وبيت طاهر الأركان فرد
يحل لديه وفدٌ بعد وفد
صفاء ولايتي وخلوص ودي
أسر وما أبوح به وأبدي
ولا أذكر وأطيب منه عندي
بأسهمها المنية حين وعدي
تتلم من حصونكم كسدي
أؤمل أن يؤخر يوم فقدي
بجبار فتوصف بالتعدي
لتعدي منكم يا خير معد
بغورٍ من تهامة أو بنجد
إلى من بالمدينة من معد
بأشوس أعصل الأنياض ورد
عليك الحرب واسترداك مرد

وتربيها وذات الدل دعد
معالمهن من سبل ورعد

عروضه من الوافر. الشعر للسيد الحميري. والغناء لمعبد ثقیلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن يحيى المكي. وذكر الهشامي أنه لكردم. وذكر عمرو بن بانه أن اللحن لملك ثقیلٌ أول بالوسطى. ذكر إسماعيل بن الساجر مذهبه وكان راويته: وقال إسماعيل بن الساجر راوية السيد: كنت عنده يوماً في جناح له، فأجال بصره فيه ثم قال: يا إسماعيل، طال والله ما شتم أمير المؤمنين عليّ في هذا الجناح. قلت: ومن كان يفعل؟ قال: أبوي. وكان يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية، وله في ذلك شعر كثير. وقد روى بعض من لم تصح روايته أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهبه الإمامية، وله في ذلك:

تجعفرت باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر

وما وجدنا ذلك في رواية محصل، ولا شعره أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب، لأن هذا شعر ضعيفٌ يتبين التوليد فيه، وشعره في قصائده الكيسانية مبينٌ لهذا جزالةً ومتانةً، وله رونق ومعنى ليس لما يذكر عنه في غيره.

مدح الأصمعي شعره وذم مذهبه:

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثنا محمد بن يزيد الثمالي قال حدثني التوزي قال قال لي الأصمعي: أحب أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحميري فعل الله به وفعل، فأتيته بشيء منه، فقرأه فقال: قاتله الله! ما أطبعه وأسلكه لسبيل الشعراء! والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقة أحد. مدح أبو عبيدة شعره وكان يرويه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: أتيت أبا عبيدة معمر بن المثنى يوماً وعنده رجلٌ من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً، فلما رأي أطبقه. فقال له أبو عبيدة: إن أبا زيد ليس ممن يحتشم منه، فأقرأ. فأخذ الكتاب وجعل يقرؤه، فإذا هو شعر السيد. فجعل أبو عبيدة يعجب منه ويستحسنه. قال أبو زيد: وكان أبو عبيدة يرويه. قال: وسمعت محمد بن أبي بكر المقدمي يقول: سمعت جعفر بن سليمان الضبعي ينشد شعر السيد.

أخبرني ابن دريد قال: سئل أبو عبيدة من أشعر المولدين؟ قال: السيد وبشار.

كثرة شعره وعدم الإحاطة به: وقال الموصلي حدثني عمي قال: جمعت للسيد في بني هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة، فخلت أن قد استوعبت شعره، حتى جلس إلي يوماً رجلٌ ذو أطمارٍ رثة، فسمعتني أنشد شيئاً من شعره، فأنشدني له ثلاث قصائد لم تكن عندي. فقلت في نفسي: لو كان هذا يعلم ما عندي كله ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجباً، فكيف وهو لا يعلم وإنما أنشد ما حضره! وعرفت حينئذ أن شعره ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه كله.

رأي بشار فيه: أخبرني عمي قال حدثني الكرائي عن ابن عائشة قال: وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر، فأقبل عليه وقال:

أيها المادح العباد ليعظي إن لله ما بأيدي العباد

فاسأل الله ما طلبت إليهم

وارج نفع المنزل العواد

لا تقل في الجواد ما ليس فيه

وتسمي البخيل باسم الجواد

قال بشار: من هذا؟ فعرفه، فقال: لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا. وروي في هذا الخبر أن عمران بن حطان الشاري خاطب الفرزدق بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب.

إذا قال في شعره دع ذا أتى بعده سب السلف: أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن سعيد بن المسيب عن أبي سعيد السكري عن الطوسي قال: إذا رأيت في شعر السيد دع ذا فدعه، فإنه لا يأتي بعده إلا سب السلف أو بلية م بلایاه.

قال له ابن سيرين في رؤيا قصها عليه: تكون شاعراً: وروى الحسن بن علي بن المعتز الكوفي عن أبيه عن السيد قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وكأنه في حديقةٍ سبخةٍ فيها نخل طوالٌ وإلى جانبها أرض كأها الكافور ليس فيها شيء، فقال: أتدري لمن هذا النخل؟ قلت: لا يا رسول الله، قال: لامرئ القيس بن حجر، فاقلعها واغرسها في هذه الأرض ففعلت. وأتيت ابن سيرين فقصصت رؤيائي عليه، فقال: أتقول الشعر؟ قلت: لا، قال: أما إنك ستقول شعراً مثل شعر امرئ القيس إلا أنك تقول في قوم بررة أطهار. قال: فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر.

أنشد غانم الوراق من شعره لجماعة فمدحوه: قال الحسن وحدثني غانم الوراق قال: خرجت إلى بادية البصرة فصرت إلى عمرو بن تميم، فأثبتني بعضهم فقال: هذا الشيخ والله راوية. فجلسوا إلي وأنسوا بي، وأنشدتهم، وبدأت بشعر ذي الرمة فعرفوه، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما، ثم أنشدتهم للسيد:

أتعرف رسماً بالسويين قد دثر

عفته أهاضيب السحائب والمطر

وجرت به الأذيال ريحان خلفه

صباً ودبوراً بالعشيات والبكر

منازل قد كانت تكون بجوها

هضيم الحشا ريا الشوى سحرها النظر

قطوف الخطا خمصانةً بختريه

كأن محياها سنا دارة القمر

رمتني ببعد بعد قرب بها النوى

فبانيت ولما أقض من عبدة الوطر

ولما رأنتني خشية البين موجعاً

أكفكف مني أدمعا فيضها درر

أشارت بأطرافٍ إلي ودمعها

كنظم جمانٍ خانه السلك فانتثر

وقد كنت مما أحدث البين حاذراً

فلم يغن عني منه خوفاً والحذر

قال: فجعلوا يمرقون لإنشادي ويطربون، وقالوا: لمن هذا؟ فأعلمتهم، فقالوا: هو والله أحد المطبوعين، لا والله ما

بقي في هذا الزمان مثله.

له من الشعر ما يجوز أن يقرأ على المنابر: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: سمعت عمي يقول: لو أن قصيدة السيد التي يقول فيها:

إن يوم التطهير يومٌ عظيم **خص بالفضل فيه أهل الكساء**

قرئت على منبر ما كان فيها بأسٌ، ولو أن شعره كله كان مثله لرويناه وما عيناه.

وأخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العباس بن ميمون طائع قال حدثنا نافع عن التوزي بهذه الحكاية بعينها فإنه قالها في:

إن يوم التطهير يوم عظيم

قال: ولم يكن التوزي متشيعاً.

سمع أعرابي شعره فضله على جرير: قال علي بن المغيرة حدثني الحسين بن ثابت قال: قدم علينا رجل بدوي وكان أروى الناس لجرير، فكان ينشدني الشيء من شعره، فأنشد في معناه للسيد حتى أكثرته. فقال لي: ويحك! من هذا؟ هو والله أشعر من صاحبنا.

مدح السفاح فأمر له بما أراد: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عليل العتري عن ابن عائشة قال: لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد إلى أبي العباس السفاح حين نزل عن المنبر فقال:

دونكموها يا بني هاشم **فجددوا من عهدا الدارسا**

دونكموها لا علا كعب من **كان عليكم ملكها نافسا**

دونكموها فالبسوا تاجها **لا تعدموا منكم له لابساً**

لو خير المنبر فرسانه **ما اختار إلا منكم فارساً**

قد ساسها قبلكم ساسة **لم يتركوا رطباً ولا يابساً**

ولست من أن تملكوها إلى **مهبط عيسى فيكم آيساً**

فسر أبو العباس بذلك، وقال له: أحسنت يا إسماعيل! سلني حاجتك، قال: تولي سليمان بن حبيب الأهواز، ففعل.

أنشد لجعفر بن محمد شعراً فبكى: وذكر التميمي - وهو علي بن إسماعيل - عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله بن جعفر بن محمد إذ استأذن آذنه للسيد، فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف سترٍ. ودخل فسلم وجلس. فاستنشد فأنشدته قوله:

امرر على جدث الحسي **ن فقل لأعظمه الزكيه**

أَعْظَمًا لَا زَلَّتْ مِنْ

وطفاء ساكنة رويه

وإذا مررت بقبره

فأطل به وقف المطيه

وابك المطهر للم

طهر والمطهرة النقيه

كبكاء معلولة أتت

يوماً لواحدھا المنيه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك. قال: فحدثت أبي بذلك لما انصرفت، فقال لي: ويلى على الكيساني الفاعل ابن الفاعل! يقول:

فإذا مررت بقبره

فأطل به وقف المطيه

فقلت: يا أبت، وماذا يصنع؟ قال: أو لا ينحرا! أو لا يقتل نفسه! فتكلته أمه!.

يحاكم إليه رجلان من بني دارم في أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم: حدثني أبو جعفر الأعرج وهو - ابن بنت الفضيل بن بشار - عن إسماعيل بن الساحر راوية السيد وهو الذي يقول فيه السيد في بعض قصائده:

وإسماعيل يبرز من فلانٍ

ويزعم أنه للنار صالي

قال: تلاحي رجلان من بني عبد الله بن دارم في لمفاضلة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، فرضيا بحكم أول من يطلع. فطلع السيد، فقاما إليه وهما لا يعرفانه، فقال له مفضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه منهما: إني وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: علي بن أبي طالب. فقطع السيد كلامه ثم قال: وأي شيء قال هذا الآخر ابن الزانية! فضحك من حضر ووجم الرجل ولم يجر جواباً. جعفر بن محمد وشعر السيد: وقال التميمي وحدثني أبي قال قال لي فضيل الرسان: أنشد جعفر بن محمد قصيدة السيد:

لأم عمرو باللوى مربع

دارسة أعلامه بلقع

فسمعت النحيب من داره. فسألني لمن هي، فأخبرته أنها للسيد، وسألني عنه فعرفته وفاته، فقال: رحمه الله. قلت: إني رأيته يشرب النبيذ في الرستاق، قال: قال: أتعني الخمر؟ قلت نعم. قال: وما خطر ذنب عند الله أن يغفره لحب علي!.

كان يقول بالرجعة:

وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى قال: جاء رجل إلى السيد فقال: بلغني أنك تقول بالرجعة، فقال: صدق الذي أخبرك، وهذا ديني، قال: أفتعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة؟ قال السيد: نعم وأكثر من ذلك إن وثقت لي بأنك ترجع إنساناً. قال: وأي شيء أرجع! قال: أخشى أن ترجع كلباً أو خنزيراً فيذهب مالي، فأفحمه.

جعفر بن عفان الطائي وعمر بن حفص: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال جعفر بن

عفان الطائي الشاعر: أهدى إلي سليمان بن علي مهراً أعجبي وعزمت تربيته. فلما مضت علي أشهر عزمت على الحج، ففكرت في صديق لي أودعه المهر ليقوم عليه، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حفص، فصرته إليه فسألته أن يأمر سائسه بالقيام عليه وخبرته بمكانه من قلبي، ودعا بسائسه فتقدم إليه في ذلك، ووهبت للسائس دراهم وأوصيته به، ومضيت إلى الحج. ثم انصرفت وقلبي متعلق، فبدأت بمثل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حال المهر، فإذا هو قد ركب حتى دبر ظهره وعجف من قلة القيام عليه. فقلت له: يا أبا حفص، أهكذا أوصيتك من هذا المهر! فقال: وما ذنبي! لم ينجع فيه العلف. فانصرفت به وقلت:

من عاذري من أبي حفص وثقت به	وكان عندي له في نفسه خطر
فلم يكن عند ظني في أمانته	والظن يخلف والإنسان يختبر
أضاع مهري ولم يحسن ولايته	حتى تبين فيه الجهد والضرر
عائبته فيه في رفق فقلت له	يا صاح هل لك من عذر فتعتذر
فقال داءً به قدماً أضرب به	وداؤه الجوع والإتعاب والسفر
قد كان لي في اسمه عنه وكنيته	لو كنت معتبراً ناهٍ ومعتبر
فكيف ينصحني أو كيف يحفظني	يوماً إذا غبت عنه واسمه عمر
لو كان لي ولدٌ شتى لهم عددٌ	فيهم سميوه إن قلوا وإن كثروا
لم ينصحوا لي ولم يبقوا علي ولو	ساوى عديدهم الحصباء والشجر

أرسل إلى المهدي يهجو بني عدي وبني تيم ويطلب إليه أن يقطع عطاءهم: قال وحدثني أبو سليمان الناجي قال: جلس المهدي يوماً يعطي قريشاً صلوات لهم وهو ولي عهد، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قريش. فجاء السيد فرفع إلى الربيع رقعةً محتومة وقال: إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه، فأوصلها، فإذا فيها:

قل لابن عباسٍ سمي محمدٍ	لا تعطين بني عدي درهما
احرم بني تيم بن مرة إنهم	شر البرية آخراً ومقدماً
إن تعطهم لا يشكروا لك نعمةً	ويكافئوك بأن تدم وتشتما
وإن اتتمنتهم أو استعملتهم	خانوك واتخذوا خراجك مغنماً
ولئن منعهم لقد بدءوكم	بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلماً
منعوا تراث محمدٍ أعمامه	وابنية وابنته عديلة مريماً
وتأمرؤا من غير أن يستخلفوا	وكفى بما فعلوا هنالك مأثماً

أفیشکرون لغيره إن أنعماء
وهدهم وكسا الجنوب وأطعماء
بالمنكرات فجر عوه العلقما

لم یشکروا لمحمد إنعماءه
والله من عليهم بمحمد
ثم انبروا لوصيه ووليه

وهي قصيدة طويلة حذف باقيها لقبح ما فيه. قال: فرمى بها إلى أبي عبيد الله ثم قال: اقطع العطاء فقطعه، وانصرف الناس، ودخل السيد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل، ولم يعطهم شيئاً. أخبرني به عمي عن محمد بن داود بن الجراح عن إسحاق النخعي عن أبي سليمان الرياحي مثله. ناظره شيطان الطاق في الإمامة فقال شعراً: أخبرني الحسن بن محمد بن الجمهور القمي قال حدثني أبي قال حدثني أبو داود المسترق راوية السيد: أنه حضر يوماً وقد ناظره محمد بن علي بن النعمان المعروف بشيطان الطاق في الإمامة، فغلبه محمد في دفع ابن الحنفية عن الإمامة، فقال السيد:

لنا ما نحن ويحك والعناء!
تراك عليك من ورع رداء
ولاة الحق أربعة سواء

ألا يأيها الجدل المعني
أتبصر ما تقول وأنت كهلٌ
ألا إن الأئمة من قريشٍ

هم أسباطه والأوصياء
يكون الشك منا والمرء
جميع الخلق لو سمع الدعاء
وسبطٌ غيبته كربلاء
هتوف الرعد مرتجزٌ رواء
عليه وتغتدي أخرى ملاء
يقود الخيل يقدمها اللواء
شراة لف بينهم الإخاء
بمكة قائم لهم انتهاء

عليٌّ والثلاثة من بنيهِ
فأنى في وصيته إليهم
بهم أوصاهم ودعا إليه
فسبطٌ سبط إيمانٍ وحلمٍ
سقى جدناً تضمنه ملتٌ
تظل مظلةً منها عزالٍ
وسبط لا يذوق الموت حتى
من البيت المحجب في سراةٍ
عصائب ليس دون أغر أجلى

رآه العبد في النوم ينشد النبي صلى الله عليه وسلم شعراً: وهذه الأبيات بعينها تروى لكثير ذكر ذلك ابن أبي سعد فقال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال حدثني إبراهيم بن هاشم العبد البصري قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وبين يديه السيد الشاعر وهو ينشد:

أجد بآل فاطمة البكور

فدمع العين منهمراً غزير

حتى أنشدته إياها على آخره وهو يسمع. قال: فحدثت هذا الحديث رجلاً جمعتني وإياه طوس عند قبر علي بن موسى الرضا، فقال لي: والله لقد كنت على خلافٍ فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وبين يديه رجل ينشد:

أجد بآل فاطمة البكور

إلى آخرها، فاستيقظت من نومي وقد رسخ في قلبي من حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما كنت أعتقد. أخبرني وكيع قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثنا أبو سليمان الناجي ومحمد بن حليم الأعرج قالا: كان السيد إذا استنشد شيئاً من شعره لم يبدأ بشيء إلا بقوله:

أجد بآل فاطمة البكور

فدمع العين مثهمر غزير

مدح العتيبي شعره وألفاظه في قصيدته اللامية: قال إسحاق: وسمعت العتيبي يقول: ليس في عصرنا هذا أحسن مذهباً في شعره ولا أنقى ألفاظاً من السيد، ثم قال لبعض من حضر: أنشدنا قصيدته اللامية التي أنشدتناها اليوم، فأنشدته قوله:

هل عند من أحببت تتويل

أم لا فإن اللوم تضليل

أم في الحشى منك جوى باطن

ليس تدأويه الأباطيل

علقت يا مغرور خداعة

بالوعد منها لك تخيل

رياً رداح النوم خمصانة

كأنها أدماء عطبول

يشفيك منها حين تخلو بها

ضمٌ إلى النحر وتقيل

وذوق ريق طيب طعمه

كأنه بالمسك معلول

في نسوة مثل المها خرد

تضيق عنهن الخلاخيل

يقول فيها:

أقسم بالله وآلائه

والمرء عما قال مسؤول

إن علي بن أبي طالب

على التقى والبر مجبول

فقال العتيبي: أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذي يهجم على القلب بلا حجاب.

في البيتين الأولين من هذه القصيدة لمخارق رملٌ بالبنصر عن الهشامي، وذكر حبش أنه للغريض. وفيه لحنٌ

لسليمان من كتب بذل غير مجنس.

كان لا يأتي في شعره بالغريب: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني إسحاق بن محمد

النخعي عن عبد الحميد بن عقبة عن إسحاق بن ثابت العطار قال: كنا كثيراً ما نقول للسيد: ما لك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأله عنه كما يفعل الشعراء؟ قال: لأن أقول شعراً قريباً من القلوب يلذه من سمعه خير من أن أقول شيئاً متعقداً تضل فيه الأوهام.

سب محارب بن دثار وترحم على أبي الأسود: أخبرني أحمد بن عمار قال أخبرنا يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن عبد الله الطلحي راوية الشعراء بالكوفة قال حدثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرياح ومحمد بن سلمة، يزيد بعضهم على بعض: إن السيد لما قدم الكوفة أتاه محمد بن سهل راوية الكميت، فأقبل عليه السيد فقال: من الذي يقول:

يعيب علي أقوام سفاهاً
وإرجائي أبا حسن صواباً
فإن قدمت قوماً قال قومٌ
بأن أرجي أبا حسن علياً
عن العمرين برّاً أو شقياً
أسأت وكنت كذاباً ردياً

إذا أيقنت أن الله ربي
وأن الرسل قد بعثوا بحق
فليس علي في الإرجاء بأسٌ
وأرسل أحماً حقاً نبياً
وأن الله كان لهم ولياً
ولا لبسٌ ولست أخاف شيئاً

فقال محمد بن سهل: هذا يقوله محارب بن دثار الذهلي: فقال السيد: لا كان الله ولياً للعاض بظر أمه! من ينشدنا قصيدة أبي الأسود:

أحب محمداً حباً شديداً
وعباساً وحمزة والوصيا
فأنشده القصيدة بعض من كان حاضراً، فطفق يسب محارب بن دثار ويترحم على أبي الأسود. فبلغ الخبر منصوراً النمري فقال: ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته، ثم قال:

يود محاربٌ لو قد رآها
وأن لسانه من ناب أفعى
وأن عجوزه مصعت بكلبٍ
متى ترجىء أبا حسن علياً
وأبصرهم حوالها جثيا
وما أرجا أبا حسن علياً
وكان دماء ساقها جريا
فقد أرجيت يا لكع نبيا

كان جعفر بن سليمان كثيراً ما ينشد شعره: أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزري قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي قال حدثني إبراهيم بن الحسن الباهلي قال: دخلت على جعفر بن سليمان

الضبي ومعي أحاديث لأسأله عنها وعنده قوم لم أعرفهم، وكان كثيراً ما ينشد شعر السيد، فمن أنكره عليه لم يحدثه، فسمعتهم ينشدونهم:

ما تعدل الدنيا جميعاً كلها من حوض أحمد شربة من ماء

ثم جاءه خبر فقام. فقلت للذين كانوا عنده: من يقول هذا الشعر؟ قالوا: السيد الحميري. مرت به امرأة من آل الزبير فقال شعراً: حدثني عمي والكراني قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن عبد الله بن الحسين عن أبي عمرو الشيباني عن الحارث بن صفوان، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه: أن السيد كان بالأهواز، فمرت به امرأة من آل الزبير تزف إلى إسماعيل بن عبد الله بن العباس، وسمع الجلبة فسأل عنها فأخبر بها، فقال:

أنتنا تزف على بغلة وفوق رحالتها قبه

زبيرية من بنات الذي أحل الحرام من الكعبه

تزف إلى ملك ماجد فلا اجتماعا وبها الوجبة

روى هذا الخبر إسماعيل بن الساجر فقال فيه: فدخلت في طريقها إلى خربة للخلاء، فنهشتها أفعى فماتت، فكان السيد يقول: لحقتها دعوتي.

خرج الناس للاستسقاء فجعل يدعو عليهم: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجعفري وهو محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر قال أخبرني أبي قال: خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيد وعليه ثياب خز وجبة ومطرف وعمامة، فجعل يجر مطرفه ويقول:

اهبط إلى الأرض فخذ جلمداً ثم ارمهم يا مزن بالجلمد

لا تسقهم من سبل قطرة فإنهم حرب بني أحمد

رأى لوحاً في يد رجل فكتب فيه شعراً يعرض برواة الحديث من أهل السنة: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا الحرمازي قال حدثني رجل قال: كنت أختلف إلى ابني قيس، وكانا يرويان عن الحسن، فلقيني السيد يوماً وأنا منصرف من عندهما، فقال: أرني ألواحك أكتب فيها شيئاً وإلا أخذتها فمحوت ما فيها. فأعطيته ألواحي فكتب فيها:

لشربة من سويق عند مسغبة وأكلة من ثريد لحمه واري

أشد مما روى حباً إلي بنو قيس ومما روى صلت بن دينار

مما رواه فلان عن فلانهم ذاك الذي كان يدعوهم إلى النار

رآه زيد بن موسى في النوم ينشد النبي صلى الله عليه وسلم شعراً: أخبرني أحمد بن علي الخفاف قال حدثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طباطبا قال: سمعت زيد بن موسى بن جعفر يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وقدامه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ، فنظرت إليه فلم أعرفه، إذ التفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا سيد، أنشدني قولك:

لأم عمرو في اللوى مربع

فأنشده إياها كلها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتها عنه كلها في النوم. قال أبو إسماعيل: وكان يزيد بن موسى لحانةً رديء الإنشاد، فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يتتبع فيها ولم يلحن. أنشد فضيل الرسان جعفر بن علي شعر فترحم عليه وترحم عليه أهله: وقال محمد بن داود بن الجراح في روايته عن إسحاق النخعي حدثني عبد الرحمن بن محمد الكوفي عن علي بن إسماعيل الهيثمي عن فضيل الرسان قال: دخلت علي جعفر بن محمد أعزیه عن عمه زيد، ثم قلت له: ألا أنشدك شعر السيد؟ فقال: أنشد، فأنشدته قصيدةً يقول فيها:

خمسٌ فمنها هالكٌ أربع

وسامري الأمة المفظع

أسود عبدٌ لكعٌ أوكع

كأنه الشمس إذا تطلع

فالناس يوم البعث راياتهم

قائدها العجل وفرعونهم

ومارقٌ من دينه مخرج

ورايةً قائدها وجهه

فسمعت مجيباً من وراء الستور فقال: من قاتل هذا الشعر؟ فقلت: السيد! فقال: رحمه الله. فقلت: جعلت فداك! إني رأيته يشرب الخمر. فقال: رحمه الله! فما ذنبٌ على الله أن يغفره لآل علي! إن محب علي لا تزل له قدمٌ إلا تثبت له أخرى.

حدثني الأخفش عن أبي العيناء عن علي بن الحسن بن علي بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن محمد أنه ذكر السيد فترحم عليه وقال: إن زلت له قدمٌ فقد تثبت الأخرى.

ماراه رجل في تفضيل علي فغرقه: نسخت من كتاب الشاهيني حدثني محمد بن سهل الحميري عن أبيه قال: انحدر السيد الحميري في سفينة إلى الأهواز، فماراه رجلٌ في تفضيل علي وباهله على ذلك. فلما كان الليل قام الرجل ليبول على حرف السفينة، فدفعه السيد فغرقه، فصاح الملاحون: غرق والله الرجل! فقال السيد: دعوه فإنه باهلي .

هجا قوماً لم ينصتوا لشعره: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال حدثني التوزي قال: جلس السيد يوماً إلى قوم، فجعل ينشدهم وهم يلغطون، فقال:

قد ضيع الله ما جمعت من أدب
لا يسمعون إلى قول أجيء به
بين الحمير وبين الشاء والبقر
وكيف تستمتع الأنعام للبشر
أقول ما سكتوا إنسٌ فإن نطقوا
قلت الضفادع بين الماء والشجر

اغتابه رجل عند قوم فهجاه: أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا أحمد بن القاسم البزي قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي عن محمد بن الربيع عن سويد بن حمدان بن الحصين قال: كان السيد يختلف إلينا ويغشانا، فقام من عندنا ذات يوم، فحلفه رجل وقال: لكم شرفٌ وقدر عند السلطان، فلا تجالسوا هذا فإنه مشهور بشرب الخمر وشتم السلف. فبلغ ذلك السيد فكتب إليه:

وصفت لك الحوض يا بن الحصين
فإن تسق منه غداً شربةً
على صفة الحارث الأعور
تفز من نصيبك بالأوفر
فما لي ذنبٌ سوى أنني
ذكرت الذي فرعن خيبر
ذكرت امرأً فر عن مرحبٍ
فرار الحمار من القصور
فأنكر ذاك جليسٌ لكم
زنيماً أخو خلقٍ أعور
لحاني بحب إمام الهدى
وفاروق أمتنا الأكبر
سأخلق لحيته إنها
شهودٌ على الزور والمنكر

قال: فهجر والله مشايخنا جميعاً ذلك الرجل ولزموا محبة السيد ومجالسته.
رد سوار بن عبد الله شهادته فهجاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق.

أن السيد تقدم إلى سوار القاضي ليشهد عنده، وقد كان دافع المشهود له بذلك وقال: أعفني من الشهادة عند سوار، وبذل له مالاً فلم يعفه. فلما تقدم إلى سوار فشهد قال: أأست معروف بالسيد! قال: بلى، قال: استغفر الله من ذنب تجرأت به على الشهادة عندي، قم لا أرضى بك. فقام مغضباً من مجلسه وكتب إلى سوار رقعةً فيها يقول:

إن سوار بن عبد الل
ه من شر القضاة

فلما قرأها سوار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذ نازل بالجر، فسبقه السيد إليه فأنشده:

قل للإمام الذي ينجي بطاعته
لا تستعينن جزاك الله صالحاً
يوم القيامة من بحبوبة النار
يا خير من دب في حكم بسوار

لا تستعن بخبيث الرأي ذي صلف
جم العيوب عظيم الكبر جبار
تضحى الخصوم لديه من تجبره
لا يرفعون إليه لحظ أبصار
تيهاً وكبراً ولو لا ما رفعت له
من ضبعه كان عين الجائع العاري

ودخل سواراً، فلما رآه المنصور تبسم وقال: أما بلغك خبر إياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود! فما أحوجك للتعريض للسيد ولسانه! ثم أمر السيد بمصالحته.
مدح المنصور لما ولى ابنه العهد: وقال إسحاق بن محمد النخعي عبد الله بن محمد الجعفري قال حدثني محمد بن عبد الله الحميري قال: دخل السيد علي المهدي لما بايع لابنيه موسى وهارون، فأنشأ يقول:

ما بال مجرى دمعك الساجم
أمن قذى بات بها لازم
أم من هووى أنت له ساهر
صباية من قلبك الهائم
آليت لا أمدح ذا نائل
من معشر غير بني هاشم
أولتهم عندي يد المصطفى
ذي الفضل والمن أبي القاسم
فإنها بيضاء محمودّة
جزاؤها الشكر على العالم
جزاؤها حفظ أبي جعفر
خليفة الرحمن والقائم
وطاعة المهدي ثم ابنه
موسى علي ذي الإربة الحازم
وللرشيد الرابع المرتضى
مفترض من حقه اللازم
ملكهم خمسون معدودة
برغم أنف الحاسد الراغم
ليس علينا ما بقوا غيرهم
في هذه الأمة من حاكم
حتى يردوها إلى هابط
عليه عيسى منهم ناجم

كان يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل علي بن أبي طالب: وقال علي بن المغيرة حدثني بن عبد الله السدوسي عن المدائني قال: كان السيد يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً. فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه، فوقف بالكناسة ثم قال: يا معشر الكوفيين، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما علي. فجعلوا يحدّثونه وينشدّهم، حتى أتاهم رجل منهم وقال: سمع عن علي قصة فنظمها: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عزم على الركوب، فلبس ثيابه وأراد لبس الخف فلبس أحد خفيه، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقض عقاب من السماء فحلق به ثم ألغاه فسقط منه أسود وانساب فدخل جحراً، فلبس علي رضي الله عنه الخف. قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً، ففكر هنيئاً ثم قال:

لخف أبي الحسين وللحباب

لينهش رجله منه بناب

من العقبان أو شبه العقاب

به للأرض من دون السحاب

بعيد القعر لم يرتج بباب

حديد الناب أزرق ذو لعاب

نقيع سمومه بعد انسياب

ألا يا قوم للعجب العجاب

أتى خفاً له وانساب فيه

فخر من السماء له عقابٌ

فطار به فحلق ثم أهوى

إلى جحرٍ له فانساب فيه

كريه الوجه أسود ذو بصيصٍ

ودفع عن أبي حسن عليٍّ

ثم حرك فرسه ومضى وجعل تشيبيها بعد ذلك:

وما لأخي المشيب وللتصابي

صبوت إلى سليمى والرباب

أخبرني أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدثني عبد الله بن أحمد بن مستورد قال: وقف السيد يوماً بالكوفة، فقال: من أتاني بفضيلة لعلي بن أبي طالب ما قلت فيها شعراً فله دينارٌ، وذكر باقي الحديث. فأما العقاب الذي انقض على خف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحدثني بخبره أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثني جعفر بن علي بن نجيح قال حدثنا أبو عبد الرحمن المسعودي عن أبي داود الطهوي عن أبي الزعل المرادي قال: قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتطهر للصلاة، ثم نزع خفه فانساب فيه أفعى، فما عاد ليلبسه انقضت عقابٌ فأخذته فحلقته به ثم ألقته فخرج الأفعى منه. وقد روي مثل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثني به أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد قال حدثني محمد بن عبيد بن عقبة قال حدثنا محمد بن الصلت قال حدثنا حيان بن علي بن أبي سعيد بن عكرمة عن ابن عباس قال:

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد حاجةً تباعد حتى لا يراه أحد، فترع خفه فإذا عقاب قد تدلى فرفعه فسقط منه أسود سالخ. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من شر ما يمشي على بطنه ومن شر ما يمشي على رجله ومن شر ما يمشي على أربع ومن شر الجن والإنس".

قال أبو سعيد وحدثنا محمد بن إسماعيل الراشدي قال حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حيان بن علي عن سعد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس مثله.

بلغه أن الحسن والحسين ركبا ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فقال شعراً: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا حاتم بن قبيصة قال: سمع السيد محدثاً يحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ساجداً، فركب الحسن والحسين على ظهره، فقال عمر رضي الله عنه: نعم المطي مطيكمما! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ونعم الراكبان هما". فانصرف السيد من فوره فقال في ذلك:

أتى حسناً والحسين النبي	وقد جلسا حجرةً يلعبان
ففداهما ثم حياهما	وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه	فنعم المطية والراكبان
وليدان أمهما برة	حصانٌ مطهرةٌ للحصان
وشيخهما ابن أبي طالب	فنعم الوليدان والوالدان
خليلي لا ترجيا واعلما	بأن الهدى غير ما تزعمان
وأن عمى الشك بعد اليقين	وضعف البصيرة بعد العيان
ضلالٌ فلا تلجبا فيهما	فبئست لعمركما الخصلتان
أيرجى عليٌّ إمام الهدى	وعثمان ما أعند المرجيان
ويرجى ابن حربٍ وأشياعه	وهو ج الخوارج بالنهروان
يكون إمامهم في المعاد	خبيث الهوى مؤمن الشيصبان

مدح المنصور وعنده سوار فعارضه فهجاه: وذكر إسماعيل بن الساحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني محمد بن أبيه قال حدثني أبي وعمي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال حدثنا الحارث بن عبد المطلب قال: كنت جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجرس وهو قاعدٌ مع جماعة على دجلة بالبصرة وسوار بن عبد الله العنبري قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيد بن محمد بين يديه ينشد قوله:

إن الأله الذي لا شيء يشبهه	أعطاكم الملك للدنيا وللدن
أعطاكم الله ملكاً لا زوال له	حتى يقاد إليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذاً برمته	وصاحب الترك محبوساً على هون

والمنصور يضحك سروراً بما ينشده، فحانت منه التفاتة فرأى وجه سوار يتربد غيظاً ويسود حقناً ويدلك إحدى يديه بالأخرى ويتحرق، فقال له المنصور: ما لك! أراك شيء؟ قال: نعم، هذا الرجل يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله يا أمير المؤمنين ما صدقك ما في نفسه، وإن الذين يواليهم لغيركم. فقال المنصور: مهلاً! هذا شاعرنا وولينا، وما عرفت منه إلا صدق محبة وإخلاص نية. فقال له السيد: يا أمير المؤمنين، والله ما تحملت غضكم لأحد، وما وجدت أبوي عليه فافتنت بهما، وما زلت مشهوراً بموالاةكم في أيام عدوكم. فقال له: صدقت. قال: ولكن هذا وأهلوه أعداء الله ورسوله قديماً والذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات، فزلت فيهم آية من القرآن "أكثرهم لا يعقلون". وجرى بينهما خطابٌ طويل. فقال السيد قصيدته التي أولها:

قف بنا يا صاح واربع

بالمغاني الموحشات

أنشدتها أحمد بن عبيد الله بن عمار عن النوفلي، وأخبرنا محمد بن بحر مع سوار بالقصة من ها هنا إلى آخرها، وقال فيها:

يا أمين الله يا من	صور يا خير الولاة
إن سوار بن عب	د الله من شر القضاة
نعتلي جملي	لكم غير موات
جده سارق عنز	فجرة من فجرات
لرسول الله والقا	ذفه بالمنكرات
وابن من كان ينادي	من وراء الحجرات
يا هناة اخرج إلينا	إننا أهل هنات

مدحنا المدح ومن نر	م يصب بالزفرات
فاكفنيه لا كفاه ال	له شر الطارقات

اعتذر إلى سوار فلم يعذره: فشكاه سوار إلى أبي جعفر، فأمره بأن يصير إليه معتذراً، ففعل فلم يعذره، فقال:

أتيت دعي بني العنبر	أروم اعتذاراً فلم أعذر
فقلت لنفسي وعاتبته	على اللؤم في فعلها أقصري
أعتذر الحر مما أتى	إلى رجل من بني العنبر
أبوك ابن سارق عنز النبي	وأملك بنت أبي جحدر
ونحن على رغمك الرافضو	ن لأهل الضلالة والمنكر

بلغه أن سواراً يريد قطعه في سرقة فشكاه إلى المنصور: قال: وبلغ السيد أن سواراً قد أعد جماعة يشهدون عليه بسرقة ليقطعه، فشكاه إلى أبي جعفر، فدعا بسوار وقال له: قد عزلتك عن الحكم للسيد أو عليه. فما تعرض له بسوء حتى مات.

رماه أبو الخلال عند عقبة بن سلم بس الصحابة فقال شعراً: وروى عب الله بن أبي بكر العتكي أن أبا الخلال العتكي دخل على عقبة بن سلم والسيد عنده وقد أمر له بجائزة، وكان أبو الخلال شيخ العشيرة وكبيرها، فقال له: أيها الأمير، أتعطي هذه العطايا رجلاً ما يفتر عن سب أبي بكر وعمر! فقال هل عقبة: ما علمت ذاك ولا أعطيته إلا على العشرة والمودة القديمة وما يوجبه حقه وجواره مع ما هو عليه من موالة قوم يلزمنا حقهم

ورعايتهم. فقال له أبو الخلال: فمره إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما ينسب إليه من الرفض . فقال: قد سمعك، فإن شاء فعل. فقال السيد:

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد	ولا عهده يوم الغدير المؤكدا
فإني كمن يشري الضلالة بالهدى	تنصر من بعد التقى وتهودا
ومالي وتيم أو عدي وإنما	أولو نعمتي في الله من آل أحدا
تتم صلاتي بالصلاة عليهم	وليست صلاتي بعد أن أنشدها
بكاملة إن لم أصل عليهم	وأدع لهم رباً كريماً ممجدا
بذلت لهم ودي ونصحي ونصرتي	مدى الدهر ما سميت يا صاح سيدي
وإن امرأ يلحى على صدق ودهم	أحق وأولى فيهم أن يفندا
فإن شئت فاختر عاجل الغم صلة	وإلا فأمسك كي تصان وتحمدا

ثم هض مغضباً. فقام أبو الخلال إلى عقبة فقال: أعذني من شره أعاذك الله من السوء أيها الأمير، قال: قد فعلت على ألا تعرض له بعدها.

قصته مع امرأة تميمية إباضية تزوجها: ومما يحكى عنه أنه اجتمع في طريقه بامرأة تميمية إباضية، فأعجبها وقالت: أريد أن أتزوج بك ونحن على ظهر الطريق. قال: يكون ككنكاح أم خارجة قبل حضور ولي وشهود. فاستضحكت وقالت: ننظر في هذا، وعلى ذلك فمن أنت ؟ فقال:

إن تسألني بقومي تسألني رجلاً	في ذروة العز من أحياء ذي يمن
حولي بها ذو كلاع في منازلها	وذو رعين وهمدان وذويزن
والأزد أزد عمان الأكرمون إذا	عدت متأثرهم في سالف الزمن
بانت كريمتهم عني فدارهم	داري وفي الرحب من أوطانهم وطني
لي منزلان بلحج منزل وسط	منها ولي منزل للعز في عدن
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به	من كبة النار للهادي أبي حسن

فقالت: قد عرفناك، ولا شيء أعجب من هذا: يمان وتيمية، ورافضي وإباضية، فكيف يجتمعان! فقال: بحسن رأيك في تسخو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً. قالت: أفليس التزويج إذا علم انكشف معه المستور، وظهرت خفيات الأمور! قال: فأنا أعرض عليك أخرى. قالت: ما هي؟ قال: المتعة التي لا يعلم بها أحد. قالت: تلك أخت الزنا. قال: أعيذك بالله أن تكفري بالقرآن بعد الإيمان! قالت: فكيف؟ قال: قال الله تعالى: "فما استمتعتم به منهن فاتوهن أحورهن فريضةً ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة".

فقالت: أستخير الله وأقلدك أن كنت صاحب قياس. ففعلت . فانصرفت معه وبات معرساً بها. وبلغ أهلها من الخوارج أمرها، فتوعدوها بالقتل وقالوا: تزوجت بكافر! فجحدت ذلك ولم يعلموا بالمتعة. فكانت هذه تختلف إليه على هذه السبيل من المتعة وتواصله حتى افترقا.

عارضه ابن لسليمان بن علي في مذهبه بباب عقبة بن سلم فأجابه: وقال الحسن بن علي بن المغيرة حدثني أبي قال: كنت مع السيد علي باب عقبة ومعنا ابن لسليمان بن علي ننتظره وقد أسرج له ليركب، إذ قال ابن سليمان بن علي يعرض بالسيد: أشعر الناس والله الذي يقول:

وصاحباه وعثمان بن عفان

محمد خير من يمشي على قدم

فوثب السيد وقال: أشعر والله منه الذي يقول:

من كان أثبتها في الدين أوتادا

سائل قريشاً إذا ما كنت ذا عمه

حلماً وأصدقها قولاً وميعادا

من كان أعلمها علماً وأحلمها

إن أنت لم تلق للأبرار حسادا

إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن

ثم أقبل على الهاشمي فقال: يا فتى، نعم الخلف أنت لشرف سلفك! أراك تخدم شرفك، وتثلب سلفك، وتسعى بالعداوة على أهلك، وتفضل من ليس أصلك من أصله على من فضلك من فضله، وسأخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يضعك. فوثب الفتى خجلاً ولم ينتظر عقبة بن سلم. وكتب إليه صاحب خبره بما جرى عند الركوبة حتى خرجت الجائزة للسيد.

جلس مع قوم يخوضون في ذكر الزرع والنخل فقام وقال شعراً: أخبرني محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا ابن القاسم البزري عن إسحاق بن محمد النخعي عن عقبة بن مالك الديلي عن الحسن بن علي بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال: كنا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء، فتذاكرنا السيد، فجاء فجلس، وخضنا في ذكر الزرع والنخل ساعةً فنهض. فقلنا: يا أبا هاشم، مم القيام؟ فقال:

لا ذكر فيه لفضل آل محمد

إني لأكره أن أطيل بمجلس

وبنيه ذلك مجلسٌ نطفٌ ردي

لا ذكر فيه لأحمد ووصيه

حتى يفارقه لغير مسدد

إن الذي ينسأهم في مجلس

سكر بالأهواز فحبسه العسس وكتب شعراً لوالها فأطلقه وأجازه: وروى أبو سليمان الناجي: أن السيد قدم الأهواز وأبو بجير بن سماك الأسدي يتولاها، وكان له صديقاً. وكان لأبي بجير مولى يقال له يزيد بن مذعور يحفظ شعر السيد ينشده أبا بجير، وكان أبو بجير يتشيع. فذهب السيد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فترل بهم وشرب عندهم، فلما أمسى انصرف، فأخذه العسس فحبس. فكتب من غده بهذه الأبيات وبعث بها إلى يزيد

بن مذعور. فدخل على أبي بجير وقال: قد جنى عليك صاحب عسسك ما لا قوام لك به. قال: وما ذلك؟ قال: اسمع هذه الأبيات، كتبها السيد من الحبس، فأنشده يقول:

قف بالديار وحيها يا مربع	واسأل وكيف يجيب من لا يسمع
إن الديار خلت وليس بجوها	إلا الضوابع والحمام الوقع
ولقد تكون بها أوانس كالدمى	جملٌ وعزة والرباب وبوزع
حورٌ نواعم لا ترى في مثلها	أمثالهن من الصيانة أربع
فعرين بعد تألفٍ وتجمع	والدهر صاح مشئت ما تجمع
فاسلم فإنك قد نزلت بمنزل	عند الأمير تضر فيه وتتفع
تؤتى هواك إذا نطقت بحاجةٍ	فيه وتشفع عنده فيشفع
هب لي الذي أحببته في أحمد	وبنيه إنك حاصدٌ ما تزرع
يختص آل محمد بمحبة	في الصدر قد طويت عليها الأضلع

في هذا الغناء لسعيد.

ضمن رثاء لعباد بن حبيب هجواً لسوار القاضي بعد موته:
وحكى ابن الساجر: أن السيد دعي لشهادة عند سوار القاضي، فقال لصاحب الدعوى: أعني من الشهادة عند سوار، فلم يفهم صاحبها منها حياءً أو طلبة بإقامتها عند سوار. فلما حضر عنده وشهد قال له: ألم أعرفك وتعرفني! وكيف مع معرفتك بي تقدم على الشهادة عندي! فقال له: إني تخوفت إكراهه، ولقد افنديت شهادتي عندك بمال فلم يقبل مني فأقمته، فلا يقبل الله لك صرفاً ولا عدلاً إن قبلتها، وقام من عنده، ولم يقدر سوار له على شيء لما تقدم به المنصور إليه في أمره، واعتاظ غيظاً شديداً وانصرف من مجلسه فلم يقض يومئذ بين اثنين. ثم إن سواراً اعتل علته التي مات فيها فلم يقدر السيد على هجائه في حياته لنهي المنصور إياه عن ذلك. ومات سوار فأخرج عشياً وحفر له، فوق الحفر في موضع كنيف. وكان بين الأزد وبين تميم عداوة، فمات عقب موته عباد بن حبيب بن المهلب، فهجا السيد سواراً في قصيدة رثى بها عباداً ودفعها إلى نواتج الأزد لما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوار ينحن بها، وأولها:

يا من غدا حاملاً جثمان سوار	من داره طاعناً منها إلى النار
لا قدس الله روحاً كان هيكلها	فقد مضت بعظيم الخزي والعار
حتى هوت قعر برهوت معذبة	وجسمه في كنيف بين أقدار
لقد رأيت من الرحمن معجبة	فيه وأحكامه تجري بمقدار

فاذهب عليك من الرحمن بهلته

يا شر حي براه الخالق الباري

مازح صديقاً له زنجياً بشعر: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن محمد البقال قال حدثنا شيبان بن محمد الحراني وكان يلقب بعوضة وصار من سادات الأزد قال: كان السيد جاري، وكان أدلم، وكان ينادم فتیاناً من فتیان الحي فيهم فتى مثله أدلم غليظ الأنف والشففتين مزنج الخلقة. وكان السيد من أئتن الناس إبطين. وكانا يتمازحان، فيقول له السيد: أنت زنجي الأنف والشففتين، ويقول الفتى للسيد: أنت زنجي اللون والإبطين. فقال السيد:

أعارك يوم بعناه رباح

مشافره وأنفك ذا القبيحا

وكانت حصتي إبطي منه

ولونا حالكا أمسى فضوحا

فهل لك في مبادلتك إبطي

بأنفك تحمد البيع الربيح

فإنك أقبح الفتیان أنفاً

وإبطي أنتن الآباط ريجا

كان له صديق ينفق عليه من ماله فلامته امرأته لذلك فهجاها: أخبرني أحمد قال حدثني شيبان قال: مات منا رجلٌ موسرٌ وخلف ابناً له فورث ماله وأتلفه بالإسراف، وأقبل على الفساد واللهو، وقد تزوج امرأة تسمى ليلي، واجتمع على السيد وكان من أظرف الناس، وكان الفتى لا يصبر عنه، وأنفق عليه مالا كثيراً، وكانت ليلي تعذله على إسرافه وتقول له: كأني بك قد افتقرت فلم يغن عنك شيئاً. فهجاها السيد. وكان مما قال فيها:

أقول يا ليت ليلي في يدي حنق

من العداوة من أعدى أعاديها

يعلو بها فوق رعنٍ ثم يحدرها

في هوة فتدهدى يومها فيها

أوليتها في عمار البحر قد عصفت

فيه الرياح فهاجت من أواذيتها

أوليتها قرنت يوماً إلى فرسي

قد شد منها إلى هاديه هاديتها

حتى يرى لحمها من حضره زيماً

وقد أتى القوم بعد الموت ناعيتها

فمن بكاهها فلا جفت مدامعه

لا أسخن الله إلا عين باكيها

أهدى له بعض ولاية الكوفة رداء فقال شعراً يمدحه ويستزيده: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إسحاق بن محمد النخعي وعبد الحميد بن عقبة قالوا حدثنا الحسن بن علي بن المغيرة الكسلان عن محمد بن كناسة قال: أهدى بعض ولاية الكوفة إلى السيد رداءً عديناً، فكتب إليه السيد فقال:

وقد أتانا رداءً من هديتكم

فلا عدمتك طول الدهر من وال

هو الجمال جزاك الله صالحاً

لو أنه كان موصولاً بسربال

فبعث إليه بخلعة تامة وفرس جواد وقال: يقطع عتاب أبي هاشم واستزادته إيانا. سمع قاصاً بباب أبي سفيان يمدح الشيخين فسبهما: حدثني عمي قال حدثنا الكراني عن بعض البصريين عن سليمان بن أرقم قال:

كنت مع السيد، فمر بقاص على باب أبي سفيان بن العلاء وهو يقول: يوزن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في كفة بأمته أجمع فيرجع بهم، ثم يؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجع ثم يؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجع. فأقبل على أبي سفيان فقال: لعمرى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرجع على أمته في الفضل، والحديث حق، وإنما رجح الآخرون الناس في سيئاتهم، لأن من سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها. قال: فما أجابه أحد. فمضى فلم يبق أحد من القوم إلا سبه. صادف بنت الفجاءة وأنشدتها شعراً له متغزلاً فيها: وقال أبو جعفر الأعرج حدثني إسماعيل بن الساهر قال: خرجت من منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب عقبة بن سلم والسيد ونحن سكارى. فلما كنا بزهران لقيتنا بنت الفجاءة بن عمرو بن قطري بن الفجاءة، وكانت امرأة برزة حسناء فصيحة، فواقفها السيد وتخطب عليها وأنشدتها من شعره بتجميش، فأعجب كل واحد منهما صاحبه. فقال السيد:

حول الأمين وقال هات ليسمعوا

من ناكثين وقاسطين الأروع

خضع الرقاب بأعين لا ترفع

قم يا بن مذعور فأنشد نكسوا

شنانهم وتفرقوا وتصدعوا

لولا حذار أبي بجير أظهروا

سبعين عاماً والأنوف تجدع

لا تجزعوا فلقد صبرنا فاصبروا

منكم بصاحبنا خطيب مصقع

إذ لا يزال يقوم كل عروبة

في الشتم مثله بخيل يسجع

مسحفر في غيه متنايع

إن الشقي بكل شر مولع

ليس مخلوقاً ويسخط خالقاً

فلما سمعها أبو بجير دعا صاحب عسسه فشتمه وقال: جنيت علي ما لا يد لي به، اذهب صاغراً إلى الحبس وقل: أيكن أبو هاشم، فإذا أجابك فأخرجه واحمله على دابتك وامش معه صاغراً حتى تأتيني به ففعل. فأبى السيد ولم يجبه إلى الخروج إلا بعد أن يطلق له كل من أخذ معه. فرجع إلى أبي بجير فأخبره، فقال: الحمد لله الذي لم يقل أخرجهم وأعط كل واحد منهم مالا، فما كنا نقدر على خلافه، افعل ما أحب برغم أنفك الآن. فمضى فحلى سبيله وسبيل كل من كان معه ممن أخذ في تلك الليلة، وأتى به إلى أبي بجير. فتناولوه بلسانه وقال: قدمت علينا فلما تأتينا وأتيت بعض أصحابك الفساق وشربت ما حرم عليك حتى جرى ما جرى، فاعتذر من ذلك إليه، فأمر له أبو بجير بجائزة سنية وحمله وأقام عنده مدة.

عاتب قوم أبا بجير على التشيع فاستنشد مولاه شعر السيد وطردهم: قال النوفلي وحدثني أبي: أن جماعة من أهل

الثغور قدموا على أبي بجير بتسبيب بهم فأطلقهم، ثم جاءوه فعاتبوه على التشيع وسألوه الرجوع، فغضب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال: أنشدني ويلك لأبي هاشم. فأنشده قوله:

مر الرياح عليهما فمحاها

يا صاحبي لدمنتين عفاها

حتى فرغ. ثم قال: هات النونية، فأنشده:

ليس الخلي كمسعر الأحزان

يا صاحبي تروحا وذراني

فلما فرغ قال: أنشدني الدماغة الرائية، فأنشده إياها. فلما فرغ أقبل عليه الثغريون فقالوا له: ما أعتبتنا فيما عاتبتك عليه. فقال: يا حمير! هل في الجواب أكثر مما سمعتم! والله لولا أي لا أعلم كيف يقع فعلي من أمير المؤمنين لضربت أعناقكم! قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا. وبلغ السيد الخبر فقال:

أخو أسد لمنشده يزيدا

إذا قال الأمير أبو بجير

مديحاً من مديحك أو نشيدا

طربت إلى الكرام فهات فيهم

من الشكاك والمرجين سودا

رأيت لمن بحضرته وجوهاً

أبا حسن نصارى أو يهودا

كأن يزيد ينشد بامتداح

نقد العبدى شعر له فصدقه وقال إنه أشعر منه: وروى أبو داود المسترق: أن السيد والعبدى اجتمعا، فأنشد السيد:

يوم الخريبة من قتل المحلينا

إني أدين بما دان الوصي به

وشاركت كفه كفي بصفينا

وبالذي دان يوم النهروان به

فقال له العبدى: أخطأت، لو شاركت كفك كفه كنت مثله، ولكن قل: تابعت كفي كفه لتكون تابعاً لا شريكاً. فكان السيد بعد ذلك يقول: أنا أشعر الناس إلا العبدى. سب الشيخين في شعر له وسكر فرفع أمره إلى أبي بجير فأهانه: وقال إسحاق النخعي عن عبد الحميد بن عقبة عن أبي جعفر الأعرج عن إسماعيل بن الساجر قال: كنت مع السيد وقد اكرتينا سفينة إلى الأهواز، فجلس فيها معنا قومٌ شرأة، فجعلوا ينالون من عثمان. فأخرج السيد رأسه إليهم وقال:

فاعمد هديت إلى نحت الغويين

شفيت من نعتل في نحت أثلته

كانا عن الشر لو شاء غنيين

اعمد هديت إلى نحت اللذين هما

قال إسماعيل: فلما قدمنا الأهواز قدم السيد وقد سكر، فأتي به أبا بجير بن سمالك الأسدي، وكان ابن النجاشي عند ابن سمالك بعد العشاء الآخرة، وكان يعرفه باسمه ولم يعرفه. فقال له: يا شيخ السوء، تخرج سكران في هذا

الوقت! لأحسنن أدبك. فقال له: والله لا فعلت، ولتكرمني ولتخلعن علي وتحملني وتحيزني. قال: أو تهنأ أيضاً!
قال: لا والله! ثم اندفع ينشده فقال:

من كان معتذراً من شتمه عمراً
فابن النجاشي منه غير معتذر
وابن النجاشي براء غير محتشم
في دينه من أبي بكر ومن عمر
ثم أنشده قوله:

إحداهما نمت عليه حديثه
وبغت عليه نفسه إحداهما
فهما اللتان سمعت رب محمد
في الذكر قص على العباد نباهما

فقال: أبو هاشم؟ فقال نعم. قال: ارتفع. فحملة وأجازه، وقال: والله لأصدقن قولك في جميع ما حلفت عليه.
أباح له أبو بجير شرب النبيذ: قال إسماعيل: رأى أبو بجير السيد متغير اللون، فسأله عن حاله، فقال: فقدت
الشراب الذي ألفته لكرهة الأمير إياه، قال: اشربه، فإننا نحتمله لك. قال: ليس عندي. قال لكاتبه: اكتب له
بمائي دورق مبيخج. فقال له السيد: ليس هذا من البلاغة. قال: وما هي؟ قال: البلاغة أن تأتي من الكلام بما
تحتاج إليه وتدع ما يستغني عنه. قال: وكيف ذلك؟ قال: اكتب بمائي دورق مي ولا تكتب بختج، فإنك تستغني
عنه. فضحك، ثم أمر فكتب له بذلك. قال: والي: النبيذ.
أظهرت المرجئة الشماتة بأبي بجير لما مرض فقال هو شعراً: قال إسماعيل: وبلغ السيد وهو بالأهواز أن أبا بجير قد
أشرف على الموت، فأظهرت المرجئة الشماتة به. فخرج السيد محترفاً حتى اكترى سفينةً وخرج إليها، وأنشأ
يقول:

تباشر أهل تدمر إذ أتاهم
ولا لأميرنا ذنبٌ إليهم
سوى حب النبي وأقريبه
وقالوا لي لكيما يحزنوني
لقد أمسى أخوك أبو بجير
وظلت شيعة الهادي عليّ
فبت كأنني مما رموني
كأن مدامعي وجفون عيني
أقول علي للرحمن نذرٌ
بمكة إن لقيت أبا بجير
بأمر أميرنا لهم بشير
صغيرٌ في الحياة ولا كبير
ومولاهم بحبهم جدير
ولكن قولهم إفكٌ وزور
بمنزلة يزار ولا يزور
كأن الأرض تحتهم تمور
به في قد ذي حلقٍ أسير
توخز بالقتاد فهن عور
صحيحٌ حيث تحتبس النذور
صحيحاً واللواء له يسير

وهي قصيدة طويلة.

رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وأنشده قصيدته العينية: وروى محمد بن عاصم عن أبي داود المسترق عن السيد: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فاستنشه فأنشده قوله:

طامسةً أعلامه بلقع

لأم عمرو باللوى مربع

حتى انتهى إلى قوله:

إلى من الغاية والمفرع

قالوا له لو شئت أعلمتنا

فقال: حسبك! ثم نقض يده وقال: قد والله أعلمتهم.

مرضه ووفاته: وروى أبو داود وإسماعيل بن الساجر: أنهما حضرا السيد عند وفاته بواسط وقد أصابه شرٌّ وكربٌ فجلس ثم قال: اللهم أهكذا جزائي في حب آل محمد! قال: فكأنها كانت ناراً فطفئت عنه. قال شعراً وهو يحتضر في التبرؤ من عثمان والشيخين: وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي بإسنادٍ له لم يحضري وأنا أخرجه إن شاء الله تعالى قال: حدثني من حضر السيد وقد احتضر فقال:

ومن دين الخوارج أجمعينا

برئت إلى الأله من ابن أروى

غداة دعي أمير المؤمنين

ومن فعل برئت ومن فعيل

ثم كأن نفسه كانت حصاةً فسقطت.

بلغ المنصور أن أهل واسط لم يدفنوه فقال لئن صح لأحرقنها:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي الهذيل العلاف عن أبي جعفر المنصور قال: بلغني أن السيد مات بواسط فلم يدفنوه. والله لئن تحقق عندي لأحرقنها!.

ترحم عليه جعفر بن محمد: ووجدت في بعض الكتب: حدثني محمد بن يحيى اللؤلؤي قال حدثني محمد بن عباد بن صهيب عن أبيه قال: كنت عند جعفر بن محمد، فأتاه نعي السيد، فدعا له وترحم عليه. فقال رجل: يا بن رسول الله، تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمن بالرجعة! فقال: حدثني أبي عن جدي أن محي آل محمد لا يموتون إلا تائبين وقد تاب، ورفع مصلياً كانت تحته، فأخرج كتاباً من السيد يعرفه فيه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له. عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه: وذكر محمد بن إدريس العتي أن معاذ بن يزيد الحميري حدثه أن السيد عاش إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيامه مات، وأنه مدحه بقصيدتين فأمر له ببدرتين ففرقهما. فبلغ ذلك الرشيد فقال: أحسب أبا هاشم تورع عن قبول جوائزنا.

لما مات أحضر له سبعون كفناً: أخبرني ابن عمار قال حدثنا يعقوب بن نعيم قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله الطلحي قال حدثني إسحاق بن محمد بن بشير بن عمار الصيرفي عن جده بشير بن عمار قال: حضرت وفاة السيد في الرميطة ببغداد، فوجه رسولاً إلى صف الجزارين الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته، فغلط الرسول فذهب

إلى صف السموسين ، فشتموه ولعنوه، فعلم أنه قد غلط، فعاد إلى الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته، فوافاه سبعون كفنًا. قال: وحضرناه جميعاً وإنه ليتحسر تحسراً شديداً وإن وجهه لأسود كالقار وما يتكلم، إلى أنا أفاق إفاقةً وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القبلة ثم قال: يا أمير المؤمنين، أتفعل هذا بوليك! قالها ثلاث مرات مرةً بعد أخرى. قال: فتجلى والله في جبهته عرق بياض، فما زال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كله كالبدن ، وتوفي فأخذنا في جهازه ودفناه في الجنيحة ببغداد، وذلك في خلافة الرشيد.

أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة

صوت من المائة المختارة

فلا زلن حسرى ظلماً لم حملنها
إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادق
ولا ذنب لي إذ قلت إذ نحن جيرةٌ
أثيبي بودٌ قبل إحدى البوائق

عروضه من الطويل: قوله: فلا زلن حسرى: دعاء على الإبل التي ظعنت بها وأبعدتها عنه. وحسرى: قد حسرن أي بلغ منهم الجهد فلم يبقى فيهن بقية، يقال حسر ناقته فهو يحسرها، وهي حسرى، والذكر حسير، قال الله عز وجل: "ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير". وفي الحديث: "إن أتعبتها حسرها". والطلع في كل شيء: أن تألم رجله فلا يقدر أن يمشي عليها فيغمز في مشيه كالأعرج إذا مشى، ويقال: طلع فهو ظالع. والنائي: البعيد، والنية: الناحية التي تنوي إليها، والنوى: البعد، والتنائي: التباعد. والبوائق: الحوادث التي تأتي بما يحذر بغتةً، وهي مثل المصائب والنوائب.

البيت الأول من الشعر لكثير، ويقال: إنه لأبي جندب الهذلي. والبيت الثاني لرجل من كنانة ثم من بني جذيمة، وزعم ابن دأب أنه عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وقيل أيضاً: إنه يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مغازيه التي وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها. الغناء في اللحن المختار لم يتم مولاة علي بن هشام وأم أولاده. ولحنها رمل بالبصرة، من رواية إسحاق وعمرو، وهو من الأرمال النادرة المختارة. وفيه خفيف ثقيل، يقال: إنه لحسين بن محرز، ويقال: إنه قد سمع من غناء أهل مكة.

أخبار عبد الله بن علقمة وتعشقه حبيشة: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثني العباس بن بكار قال حدثنا ابن دأب قال: كان من حديث عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة أنه خرج مع أمه وهو مع ذلك غلاماً يفعه دون المحتلم لتزور جارة لها، وكان لها بنت يقال لها حبيشة بنت حبيش أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة. فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقع في نفسه، وانصرف وترك أمه عند جارتها، فلبث عندها يومين.

ثم أتاه عبد الله بن علقمة ليرجعها إلى منزلها، فوجد حبيشة قد زينت لأمرٍ كان في الحي، فازداد بها عجباً، وانصرف بأمه في غداةٍ تمطر، فمشى معها شيئاً ثم أنشأ يقول:

وما أدري بلى إني لأدري

أصوب القطر أحسن أم حبيش

حبيشة والذي خلق الهدايا

وما عن بعدها للصب عيش

فسمعت ذلك أمه فتغافلت عنه وكرهت قوله. ثم مشيا ملياً، فإذا هو بظي على ربوة من الأرض، فقال:

يا أمتا أخبريني غير كاذبة

وما يريد مسول الحق بالكذب

أتلك أحسن أم ظبي برايبة

لا بل حبيشة في عيني وفي أربي

فزجرته أمه وقالت له: ما أنت وهذا! نزوجك بنت عمك فهي أجمل من تلك. وأتت امرأة عمه فأخبرتها خبره، وقالت: زيني ابتك له، ففعلت وأدخلتها عليه. فلما رآها أطرق. فقالت له أمه: أيهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غيبت عني حبيشة مرة

من الدهر لم أملك عزاء ولا صبرا

كأن الحشى حر السعير يحشه

وقود الغضى والقلب مستعرا

وجعل يرأسل الجارية وتراسله حتى علقتة كما علقها، وكثر قوله للشعر فيها. فمن ذلك قال:

حبيشة هل جدي وجدك جامع

بشملمك شملتي وأهلكم أهلي

وهل أنا ملتف بثوبك مرة

بصحراء بين الأليتين إلى النخل

وهل أشتقي من ريق ثغرك مرة

كراج ومسك خالطا ضرب النحل

فلما بلغ أهلها خبرهما حجبوها عنه مدة، وهو يزيد غراماً بها ويكثر قول الشعر فيها. فأتوها فقالوا لها: عديه السرحة، فإذا أتاك فقولي له: نشدتك الله إن كنت أحببتي فو الله ما على الأرض شيء أبغض إلي منك، ونحن قريب نستمع ما تقولين. فوعده وجلسوا قريباً يستمعون، وجلست عند السرحة، وأقبل عبد الله لوعدها. فلما دنا منها دمعت عينها والتفتت إلى حيث أهلها جلوس، فعرف أنهم قريب فرجع. وبلغه ما قالوا لها أن تقول له: فأنشأ يقول:

لو قلت ما قالوا لزدت جوًى بكم

على أنه لم يبق ستر ولا صبر

ولم يك حبي عن نوال بذلته

فيسليني عنه التجهم والهجر

وما أنس م الأشياء لا أنس دمعها

ونظرتها حتى يغيبني القبر

سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة: وبعث النبي صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالد بن الوليد بن بني عامر بن عبد مناة بن كنانة وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوه وإلا قاتلهم. فصبحهم خالد بن الوليد بالغميصاء وقد سمعوا به فخافوه فطعنوا، وكانوا قتلوا أخاه الفاكه بن الوليد وعمه الفاكه بن المعيرة في الجاهلية، وكانوا من أشد حي في كنانة بأساً يسمون لعقة الدم. فلما صبحهم خالد ومعه بنو سليم، وكانت بنو سليم طلبتهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشريد وإخوته كرز وعمر ووالحارث، وكانوا قتلوهم في موطن

واحد. فلما أصبحهم خالدٌ في ذلك اليوم ورأوا معه بني سليم زادهم ذلك نفوراً. فقال لهم خالد: أسلموا تسلموا. قالوا: نحن قومٌ مسلمون. قال: فألقوا سلاحكم وانزلوا، قالوا: لا والله. فقال جذيمة بن الحارث أحد بني أقرم: يا قوم، لا تضعوا سلاحكم، والله ما بعد وضع السلاح إلا القتل. قالوا: لا والله لا نلقي سلاحنا ولا نزل، ما نحن منك ولا لمن معك بآمنين. قال خالدٌ: فلا أمان لكم إن لم تنزلوا. فترلت فرقةٌ منهم فأسرهم، وتفرق بقية القوم فرقتين، فأصعدت فرقةٌ وسفلت فرقةٌ أخرى.

رواية عبد الله بن أبي حدرد لما وقع لعبد الله بن علقمة مع حبيشة وهو يقتل: قال ابن دأب: فأخبرني من لا أتهم عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: كنت يومئذ في جند خالد، فبعثنا في أثر ظعن مصعدة يسوق بمن فتية، فقال: أدركوا أولئك. قال: فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم وقد مضوا، ووقف لنا غلام شابٌ على الطريق. فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا وهو يقول:

مشي حياتٍ كأن لم يفزع عن

بين أطراف الذبول وأربعين

إن يمنع اليوم نساءً تمنعن

فقاتلنا طويلاً فقتلناه، ومضينا حتى لحقنا الظعن، فخرج إلينا غلام كأنه الأول، فجعل يقاتلنا ويقول:

يزأر بين أيكَةٍ ووهده

أقسم ما إن خادرٌ ذو لبدة

بأصدق الغداة مني نجده

يفرس شبان الرجال وحده

فقاتلنا حتى قتلناه، وأدركنا الظعن فأخذناهم، فإذا فيهم غلامٌ وضيءٌ به صفرةٌ في لونه كالمنهوك، فربطناه بحبل وقدمناه لقتله، فقال لنا: هل لكم في خير؟ قلنا: وما هو؟ قال: تدركون بي الظعن أسفل الوادي ثم تقتلونني، قلنا، نفعل. فخرجنا حتى نعارض الظعن أسفل الوادي. فلما كان بحيث يسمعن الصوت، نادى بأعلى صوته: اسلمي حبيش، عند نفاذ العيش. فأقبلت إليه جاريةٌ بيضاء حسناء فقالت: وأنت فاسلم على كثرة الأعداء، وشدة البلاء. فقال: سلامٌ عليكم دهرًا، وإن بقيت عصراً. قالت: وأنت سلامٌ عليك عشراً، وشفعاً تترى، وثلاثاً وترأ. فقال:

هواك لهم مني سوى غلة الصدر

إن يقتلونني يا حبيش فلم يدع

وعظمي وأسبلت الدموع على نحري

وأنت التي أخليت لحمي من دمي

فقالت له:

وأخرى وآسيناك في العسر واليسر

ونحن بكينا من فراقك مرةً

جميل العفاف في المودة والستر

وأنت فلا تبعد فنعم فتى الهوى

فقال لها:

بحلية أو أدركتكم بالخوانق
تكلف إدلاج السرى والودائق

أريتك إن طالبتكم فوجدتكم
ألم يك حقاً أن ينول عاشقاً

فقال: بلى والله. فقال:

أنثيبي بودّ قبل إحدى بالبوائق
وبنأى خليطاً بالحبیب المفاقر

فلا ذنب لي إذ قلت إذ نحن جيرة
أنثيبي بود قبل أن تشحط النوى

قال ابن أبي حدرد: فضربنا عنقه، فتقحمت الجارية من خدرها حتى أت نحوه فالتقمت فاه، فترعنا منها رأسه وإنها لتكسع بنفسها حتى ماتت مكانها. وأفلت من القوم غلاماً من بني أقرم يقال له السميدع حتى اقتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع خالد وشكاه. بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل خالد فأرسل علياً رضي الله عنه لأهل القتلى فوداهم: قال ابن دأب: فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله: هل أنكر عليه أحد ما صنع؟ فقال: نعم، رجل أصفر ربعة ورجل أحمر طويل. فقال عمر: أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أما الأول فهو ابني وصفته، وأما الثاني فهو سالم مولى أبي حذيفة. وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يضرب عنقه، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة أسيرين كانا معهما. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه بعد فراغه من حنين وبعث معه بإبل وورق وأمره أن يديهم فوداهم، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله فقال علي: قدمت عليهم فقلت لهم: هل لكم أن تقبلوا هذا الجمل بما أصيب منكم من القتلى والجرحى وتحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا نعم: فقلت لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثاني بما دخلكم من الروع والفرع؟ قالوا نعم. فقلت لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثالث وتحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما علم وما لم يعلم؟ قالوا نعم. قال: فدفعته إليهم. وجعلت أديهم، حتى إني لأدي ميلغة الكلب، وفضلت فضلةً فدفعتها إليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفقبلوها؟ قال نعم. قال: فوالذي أنا عبده لهي أحب إلي من حمر النعم. وقالت سلمى بنت عميس:

أصيب فلم يجرح وقد كان جارحاً

وكم غادروا يوم الغميصاء من فتى

أصيب ولما يعله الشيب واضحا

ومن سيد كهل عليه مهابة

غدائتذ من كان منهم ناكحا

أحاطت بخطاب الأيامى وطلقت

للاقت سليم يوم ذلك ناطحا

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا

ما وقع بين قريش وبين بني عامر بن عبد مناة في الجاهلية: قال ابن دأب: وأما سبب قتلهم القرشيين، فإنه كان نفرٌ من قريش بضعة عشر أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وكان يقال لهم لعقة الدم وكانوا ذوي بأسٍ شديد. فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيين: إياكم أن يكون معكم

رجل من فهم، لأنه كان له عندهم دخل. قالوا: لا والله ما هو معنا، وهو معهم. فلما راحوا أدركهم العامريون ففتشواهم فوجدوا الفهمي معهم في رحالهم، فقتلوه وقتلوه وأخذوا أموالهم. فقال راجزهم:

نحن قتلنا منهم بغاده

إن قريشاً غدرت وعاده

عشرين كهلاً ما لهم زيادة

وكان فيمن قتل يومئذ عفان بن أبي العاصي أبو عثمان بن عفان، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف، والفاكه بن المغيرة، والفاكه بن الوليد بن المغيرة. فأرادت قريش قتلهم حتى خذلته بنو الحارث بن عبد مناة فلم يفعلوا شيئاً. وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مناة فيمن حضر الواقعة هو وضرار. فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطاب بقوله:

من المجد ضيعها خالد

دعوت إلى خطة خالداً

بني العم أم صدره بارد

فو الله أدري أضاهى بها

لتابعه عنقٌ وارد

ولو خالدٌ عاد في مثلها

وقال ضرارٌ أيضاً:

وقد سلكت أبنائها كل مسلك

أرى ابني لؤي أسرعاً أن تسالما

فدوكوا الذي أنتم عليه بمدوك

فإن أنتم لم تتأروا برجالكم

ومن يتق الأقرام بالشر يترك

فإن أداة الحرب ما قد جمعتكم

سرايا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح إلى قبائل كنانة: فلما كان يوم فتح مكة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيش إلى قبائل بني كنانة حوله، فبعث إلى بني ضمرة غيلة بن عبد الله الليثي، وإلى بني الدئل عمرو بن أمية الضمري، وبعث إلى بني مدلج عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وبعث إلى بني بغيض ومحارب بن فهر عبد الله بن هنيك أحد بني مالك بن حسل، وبعث إلى بني عامر بن عبد مناة خالداً.

فوافاهم خالدٌ بماء يقال له الغميصاء، وقد كان خبره سقط إليهم، فمضى منهم سلفٌ قتله بقوم منهم، يقال لهم بنو قيس بن عامر وبنو قعين بن عامر وهم خير القوم وأشرفهم، فأصيب من أصيب. فلما أقبل خالد ودخل المدينة قال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا خالد ما دعاك إلى هذا! قال: يا رسول الله آيات سمعتهن أنزلت عليك. قال: وما هي؟ قال: قول الله عز ذكره: "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم" وجاءني ابن أم أصرم فقال لي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرُك أن تقاتل. فحينئذ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوادهم.

أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سعد بن أبي نصر قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل بن

مساحق عن رجل من مزينة يقال له ابن عاصم عن أبيه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وأمرنا ألا نقتل أحداً إن رأينا مسجداً أو سمعنا أذاناً قال وكيع وأخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا إبراهيم بن بشار الرمادي قال حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن نوفل عن ابن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال: فبينما نحن نسير إذا بفتى يسوق طعائن، فعرضنا عليه الإسلام فإذا هو لا يعرفه، فقال: ما أنتم صانعون بي إن لم أسلم؟ قلنا: نحن قاتلوكم. قال: فدعوني ألحق هذه الطعائن، فتركناه، فأتى هودجاً منها وأدخل رأسه فيه وقال: اسلمي حبيش، قبل نفاذ العيش. فقالت: وأنت فاسلم تسعاً وترأ، وثمانياً تترى، وعشراً أخرى. فقال لها:

فلا ذنب لي قد قلت إذ نحن جيرةٌ أثيبني بودٌ قبل إحدى البوائق

أثيبني بود قبل أن تشحط النوى وينأى أميرٌ بالحبيب المفارق

قال: ثم جاء فضربنا عنقه. فخرجت من ذلك الهودج جاريةً جميلةً فجنأت عليه، فما زالت تبكي حتى ماتت. حديث خالد للنبي صلى الله عليه وسلم عن غزوته بني جذيمة: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وعمرو بن عبد الله العتكي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال: يروى أن خالد بن الوليد كان جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم، فستل عن غزوته بني جذيمة فقال: إن أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدثت. فقال: تحدث. فقال: لقيناهم بالغميصاء عند وجه الصبح، فقاتلناهم حتى كاد قرن الشمس يغيب، فمنحنا الله أكتافهم فتبعناهم نطلبهم، فإذا بغلام له ذوائب على فرس ذنوب في أخريات القوم، فبوات له الرمح فوضعت بين كتفيه، فقال: لا إله، فقبضت عنه الرمح، فقال: إلا اللات أحسنت أو أساءت. فهمسته همسةً أذريته وقيذاً، ثم أخذته أسيراً فشددته وثاقاً، ثم كلمته فلم يكلمني، واستخبرته فلم يخبرني. فلما كان ببعض الطريق رأى نسوةً من بني جذيمة يسوق بهن المسلمون، فقال:

أيا خالد! قلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت واقفي على هؤلاء النسوة؟! فأتيت على أصحابي ففعلت، وفيهن جارية تدعى حبيشة، فقال لها: ناوليني يدك فناولته يدها في ثوبها، فقال: اسلمي حبيش، قبل نفاذ العيش. فقالت: حييت عشراً، وتسعاً وترأ، وثمانياً تترى. فقال:

أرينك إن طالبتكم فوجدتكم بحلية أو أدركتكم بالخوانق

ألم يك حقاً أن ينول عاشقٌ تكلف إدلاج السرى والودائق

وقد قلت إذ أهلي لأهلك جيرةٌ أثيبني بود قبل إحدى الصعائق

أثيبني بود قبل أن تشحط النوى وينأى أميرٌ بالحبيب المفارق

فإني لا ضيعت سر أمانتي ولا راق عيني بعد عينك رائق

سوى أن ما نال العشيرة شاغلٌ عن الود إلا أن يكون التوامق

فلما جاء على حاله تلك قدمته فضربت عنقه. فأقبلت الجارية ووضعت رأسه في حجرها وجعلت ترشفه وتقول:

لا تبعدن يا عمرو حيًّا وهالكاً فحق بحسن المدح مثلك من مثلي
لا تبعدن يا عمرو حيًّا وهالكاً فقد عشت محمود الثنا ماجد الفعل
فمن لطراد الخيل تتشجر بالقنا وللфخر يوماً عند قرقرة البزل

وجعلت تبكي وتردد هذه الأبيات حتى ماتت وإن رأسه لفي حجرها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رفعت لي يا خالد وإن سبعين ملكاً لمطيفون بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتلته. أبو السائب المخزومي وطربه بصوت شغله عن الفطور والسحور وكان صائماً: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن المنذر عن صفية بنت الزبير بن هشام قالت: كان أبو السائب المخزومي رجلاً صالحاً زاهداً متقللاً يصوم الدهر، وكان أرق خلق الله وأشدهم غزلاً. فوجه ابنه يوماً يأتيه بما يفطر عليه، فأبطأ الغلام إلى العتمة. فلما جاء قال له: يا عدو نفسه، ما أحرك إلى هذا الوقت؟ قال: جزت بباب بني فلان فسمعت منه غناءً فوقفت حتى أخذته. فقال: هات يا بني، فو الله لئن كنت أحسنت لأحبونك، ولئن كنت أسأت لأضربنك. فاندفع يغني بشعر كثير:

ولما علوا شغباً تبينت أنه تقطع من أهل الحجاز علائقي
فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملنها إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادق

فلم يزل يغنيه إلى نصف الليل. فقالت له زوجته. يا هذا، قد انتصف الليل وما أفطرنا. قال لها: أنت طالق! إن كان فطورنا غيره. فلم يزل يغنيه إلى السحر. فلما كان السحر قالت له زوجته: هذا السحر وما أفطرنا! فقال: أنت طالق! إن كان سحورنا غيره. فلما أصبح قال لابنه: خذ جبتي هذه وأعطني خلعك ليكون الحباء فضل ما بينهما. فقال له: يا أبت، أنت شيخٌ وأنا شابٌ وأنا أقوى على البرد منك. قال، يا بني، ما ترك صوتك هذا للبرد علي سبيلاً ما حييت .

شعر لسليمان بن أبي دباكل: أخبرني وكيع قال أنشدنا أحمد بن يزيد الشيباني عن مصعب الزبيري لسليمان ابن أبي دباكل قال:

فهلأ نظرت الصبح يا بعل زينبٍ فتقضى لبانات الحبيب المفارق
يروح إذا يمسي حنيناً ويغتدي وتهجيرهُ عند احتدام الودائع
فطر جاهداً أو كن حليفاً لصخرةٍ ممنعةٍ في رأس أرعن شاهق
فما زال هذا الدهر من شؤم صرفه يفرق بين العاشقين الأوامق

فیبعدنا ممن نرید اقترابه
ویدني إلینا من نحب نفارق
ولما علوا شغباً تبینت أنه
تقطع من أهل الحجاز علائقي
فلا زلن حسرى ظلعا لم حملنها
إلى بلد ناء قليل الأصادق

ذكر متیم الهشامية وبعض أخبارها

مغنية شاعرة اشتراها علي بن هشام وهي أم ولده:
كانت متیم صفراء مولدة من مولدات البصرة، وبها نشأت وتأدبت وغنت. وأخذت عن إسحاق وعن أبيه من قبله وعن طبقتهم من المغنين. وكانت من تخريج بذل وتعليمها. وعلى ما أخذت عنها كانت تعتمد. فاشتراها علي بن هشام بعد ذلك، فازدادت أخذاً ممن كان يغشاه من أكابر المغنين. وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وأدباً. وكانت تقول الشعر ليس مما يستجاد، ولكنه يستحسن من مثلها. وحظيت عند علي بن هشام حظوةً شديدة، وتقدمت على جواريه جمع عنده، وهي أم ولده كلهم.

كانت مولاة للبانة واشتراها منها علي بن هشام وأولدها: وقال عبد الله بن العز فيما أخبرني عنه محمد بن إبراهيم قريش قال أخبرني الحسن بن أحمد المعروف بأبي عبد الله الهشامي قال: كانت متیم للبانة بنت عبد الله بن إسماعيل المراكبي مولي عريب، فاشتراها علي بن هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جويرية، فولدت له صفية وتكنى أم العباس، ثم ولدت محمداً ويعرف بأبي عبد الله، ثم ولدت بعده ابناً يقال له هارون ويعرف بأبي جعفر، سماه المأمون وكناه لما ولد بهذا الاسم والكنية. قال: ولما توفي علي بن هشام عتقت. كانت تغني المأمون والمعتصم: وكان المأمون يبعث إليها فتجيئه فتغنيه. فلما خرج المعتصم إلى سر من رأى أرسل إليها فأشخصها وأنزلها داخل الجوسق في دار كانت تسمى الدمشقي وأقطعها غيرها. وكانت تستأذن المعتصم في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورهم وترجع، ثم ضمها لما خرجت قلم. وقلم جارية كانت لعلي بن هشام. وكانت متیم صفراء حلوة الوجه.

فضلها عبد الله بن العباس على نفسه: فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن الحسين بن يحيى بن أكنم حدثه عن الحسن بن إبراهيم بن رباح قال: سألت عبد الله بن العباس الربيعي: من أحسن من أدركت صنعة؟ قال: إسحاق. قلت: ثم من؟ قال: علويه. قلت: ثم من؟ قال: متیم. قلت: ثم من؟ قال: ثم أنا. فعجبت من تقديمه متیم على نفسه، فقال: الحق أحق أن يتبع.

أخبرني محمد بن الحسن قال حدثنا عمر بن شبة قال: سئل عبد الله بن العباس الربيعي عن أحسن الناس غناءً. فذكر مثل هذه الحكاية، وزاد فيها أن قال له: أحسن أن أصنع كما صنعت متیم في قوله:

فلا زلن حسرى ظلعا لم حملنها

ولا كما صنع علويه في قول الصمة:

فواحسرتي لم أقض منك لبانةً ولم أتمتع بالجوار وبالقرب

قال: فأين عمرو بن بانة؟ قال: عمرو لا يضع نفسه في الصنعة هذا الموضع، ولكنه صنع لحناً في هذا الغناء. نسبة صوت علويه صوت

فواحسرتي لم أقض منك لبانةً ولم أتمتع بالجوار وبالقرب

يقولون هذا آخر العهد منهم فقلت وهذا آخر العهد من قلبي

ألا يا حمام الشعب شعب مراهق سقتك الغواذي من حمام ومن شعب

الشعر للصمة بن عبد الله القشيري. والغناء فيه لعلويه، ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى. وفيه لمخارق خفيف رمل بالوسطى، أوله: ألا يا حمام الشعب ثم الثاني ثم الأول. وذكر حبش أن فيه لإسحاق ثاني ثقیل بالبنصر. تناول إبراهيم بن المهدي إلى منظره كانت تغني بها وأخذ منها صوتاً. وقال ابن المعتز أخبرني الهشامي قال: كانت مقيم ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر، فغنت مقيم في الثقیل الأول:

لزينب طيفٌ تعتريني طوارقه هدوا إذا ما النجم لاحت لواحقه

فأشار إليها إبراهيم إن تعيده، فقالت مقيم للمعتصم: يا سيدي، إبراهيم يستعيدني الصوت وكأنه يريد أن يأخذه، فقال لها: لا تعيده. فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً مجلس المعتصم ومقيم غائبة، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومقيم في منزلها بالميدان وطريقه عليها وهي في منظره لها مشرفة على الطريق وهي تغني هذا الصوت وتطرحه على جوارى علي بن هشام، فتقدم إلى المنظره وهو على دابته فتناول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب باب المنظره بمقرعته وقال: قد أخذناه بلا حمدك.

طلبها المأمون من علي بن هشام فلم يرض. وقال ابن المعتز: وحدث أن المأمون سأل علي بن هشام أن يهبها له وكان بغنائها معجباً، فدفعه بذلك ولم يكن له منها ولد. فلما ألح المأمون في طلبها حرص علي على أن تعلق منه حتى حبلت ويئس المأمون منها. فيقال إن ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله.

كان المعتصم يمازحها: وحدثني سليمان الطبال أنه رأى مقيم في بعض مجالس المعتصم يمازحها ويجذب بردائها. غنت علي بن هشام صوتاً أراد إسحاق انتحاله فعوضه عنه برذون: وحكى علي بن محمد الهشامي قال: أهدى إلى علي بن هشام برذوناً أشهب قرطاسي وكان في النهاية من الحسن والفراهة، وكان علي به معجباً، وكان إسحاق يشتهي شهوة شديدة، وعرض لعلی بطلبه مراراً فلم يرض أن يعطيه له. فسار إسحاق إلى علي يوماً بعقب صنعة مقيم فلا زلن حسرى فاحتبسه علي وبعث إلى مقيم أن تجعل صوتها هذا في صدر غنائها ففعلت، فأطرب إسحاق إطراباً شديداً، وجعل يسترده، فترده وتستوفيه ليزيد في إطرابه إسحاق وهو يصغي إليها ويتفهمه حتى صح له. ثم قال لعلی: ما فعل البرذون الأشهب؟ قال: علي ما عهدت من حسنه وفراسته. قال:

فاختر الآن مني خلةً من اثنتين: إما أن طبت لي نفساً به وحملتني عليه، وإما أن أبيت فأدعي والله هذا الصوت لي وقد أخذته، أفتراك تقول: إنه لميتم وأقول: إنه لي ويؤخذ قولك ويترك قولي؟! قال: لا والله ما أظن هذا ولا أراه، يا غلام قد البرذون إلى منزل أبي محمد بسرجه ولجامه، لا بارك الله له فيه!.

كان إسحاق يرى أنها ساوته: قال علي بن محمد وحدثني أحمد بن حمدون: أن إسحاق قال لميتم لما سمع هذا الصوت منها: أنت أنا فأنا من! يريد أنها قد حلت محله وساوته. قال علي بن محمد وقال جدي أبو جعفر: كانت ميتم تقول: صوت

فلا زلن حسرى ظلعا لم حملنها

الرمل كله.

علي بن هشام وعتابه بذل جاريته: وحدثني الهشامي قال مد علي بن هشام يده إلى بذل جاريته في عتابٍ يعاتبها، ثم ندم على فعله ذلك، ثم أنشأ يقول:

فليت يدي بانث غداة مددتها إليك ولم ترجع بكفٍّ وساعد

وغنت ميتم جاريته فيه في الثقيل الأول، فكان يقال لبذل جارية عليٍّ بذل الصغيرة. ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها: وحدثني الهشامي قال: كان سبب موت بذل هذه أنها كانت ذات يوم جالسةً عند المأمون فغنته، وكان حاضراً في ذلك المجلس موسوسٌ يكنى بأبي الكركدن من أهل طبرستان يضحك منه المأمون، فعبثوا به فوثب عليهم وهرب الناس من بين يديه فلم يبق أحدٌ حتى هرب المأمون، وبقيت بذل جالسةً والعود في حجرها، فأخذ العود من يدها وضرب به رأسها فشجها في شابورتها اليمنى، فانصرفت وحمّت، وكان سبب موتها.

تزوج المعتصم بذل الصغيرة وبقيت في قصره بعد موته: وحدثني الهشامي قال: لما مات علي بن هشام ومات المأمون، أخذ المعتصم جوارى علي بن هشام كلهن فأدخلهن القصر، فتزوج ببذل المغنية وبقيت عنده إلى نأان مات، فخرجت بذل الكبيرة والباقون إلا بذل الصغيرة لأنها كانت حرمة فلم يخرجوها .

ويقال: إنه لم يكن في المغنين أحسن صنعةً من علويه وعبد الله بن العباس وميتم. شعر ابن الجهم في ميتم الهشامية وأولادها: وفي أولادها يقول علي بن الجهم:

بني ميتم هل تدرون ما الخبر وكيف يستر أمرٌ ليس يستتر

حاجيتكم من أبوكم يا بني عصبٍ شتى ولكنما للعاهر الحجر

غضبت من علي بن هشام وصالحها بشعر: قال: وحدثني جدي قال: كلم علي بن هشام ميتم فأجابته جواباً لم يرضه، فدفع يده في صدرها، فغضبت ونهضت، فتناقلت عن الخروج إليه. فكتب إليها: صوت

فليت يدي بانث غداة مددتها إليك ولم ترجع بكفٍّ وساعد

فإن يرجع الرحمن ما كان بيننا

فلست إلى يوم التنادي بعائد

غنته مقيم خفيف رملٍ بالنصر.

عتبت على علي بن هشام وترضاها ثم كتب إليها فرضيت: قال: وعتبت عليه مرةً فتمادى عتبها، وترضاها فلم ترض، فكتب إليها: الإدلال يدعو إلى الإملال، ورب هجرٍ دعا إلى صبر، وإنما سمي القلب قلباً لتقلبه. ولقد صدق العباس بن الأحنف حيث يقول:

ما أراني إلا ساهجر من لي

س يراني أقوى على الهجران

قد حدا بي إلى الجفاء وفائي

ما أضر الوفاء بالإنسان

قال: فخرجت إليه من وقتها ورضيت .

كانت تهدي للهشامي نبأً لأنه يحبه: وحدثني الهشامي قال:

كانت مقيم تحبني حباً شديداً يتجاوز محبة الأخت لأخيها، وكانت تعلم أني أحب النبق، فكانت لا تزال تبعث إلي منه. فإني لأذكر في ليلة من الليالي في وقت السحر إذا أنا ببابي يدق. فقيل: من هذا؟ فقالوا: خادم مقيم يريد أن يدخل إلى أبي عبد الله. فقلت: يدخل. فدخل ومعه إلي صينية فيها نبقٌ، فقال لي: تقرئك السلام وتقول لك: كنت عند أمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءوه بنبي من أحسن ما يكون، فقلت له: يا سيدي، أطلب من أمير المؤمنين شيئاً؟ فقال لي: تطلبين ما شئت. قالت: يطعمني أمير المؤمنين من هذا النبق، فقال لسمانة: اجعل من هذا النبق في صينية واجعلوها قدام مقيم، فأخذته وذللته لك وقد بعثت به إليك معي، ثم دفعت إلي دراهم وقالت: هب للحراس هذه الدراهم لكي يفتحوا الدروب لك حتى تصير به إليه. أراد إسحاق انتحال غناء مقيم فعوضه علي بن هشام عن ذلك ببرذون: ثم حدثنا الهشامي قال: بعث علي بن هشام إلى إسحاق فجاء، فأخرج مقيم جاريته إليه، فغنت بين يديه:

فلا زلن حسرى ظلعاً لم حملنها

إلى بلدٍ ناءٍ قليل الأصادق

فاستعاده إسحاق واستحسنه، ثم قال له: بكم تشتري مني هذا الصوت؟ فقال له علي بن هشام: جاريتي تصنع هذا الصوت وأشتريه منك! قال: قد أخذته الساعة وأدعيه، فقول من يصدق، قولي أو قولك! فافتداه منه ببرذون اختاره له.

سمع علي بن هشام من قلم جارية زبيدة صوتاً فأخرجه لجواريه بمائة ألف دينار: وحدثني الهشامي قال: سمع علي بن هشام قدام المأمون من قلم جارية زبيدة صوتاً عجيباً، فرشاً لمن أخرجه من دار زبيدة بمائة ألف دينار حتى صار إلى داره وطرح الصوت على جواريه. ولو علمت بذلك زبيدة لاشتد عليها، ولو سأها أن توجه به ما فعلت.

ذكر إسحاق مقيم في كتابه وكان يتعالى من ذكر غيرها: وحدثني يحيى بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه قال: لما صنعت مقيم اللحن في قوله:

فلا زلن حسرى ظلعا لم حملنها

أعجب به علي بن هشام، وأسمعه إسحاق فاستحسنه وقال: من أين لك هذا؟ فقال: من بعض الجوارى. فقال: إنه لعريب، ولم يزل يستعيده حتى قال: إنه لمقيم، فأطرق. وكان متحاملاً على المغنين شديد النفاسة عليهم كثير الظلم لهم مسرفاً في حط درجاتهم، وما رأيته في غنائه ذكر لعلويه ولا مخارق ولا عمرو بن بانة ولا عبد الله بن عباس وأولا محمد بن الحارث صوتاً واحداً ترفعاً عن ذكرهم منتصباً لهم، وذكر في آخر الكتاب قوله:

فلا زلن حسرى ظلعا لم حملنها إلى بلد ناء قليل الأصادق

ووقع تحته لمقيم. وذكر آخر كل صوت في الكتاب ونسب إلى كل مغنٍ صوته غير مخارقٍ وعلويه وعمرو بن بانة وعبد الله بن عباس فما ذكرهم بشيء.

سمعت شاهك جدة علي بن هشام صوتها فأعجبت بها وأمرت لها بجائزة: أخبرنا أحمد بن جعفر لحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال قال لي علي بن هشام: لما قدمت علي شاهك جدتي من خراسان، قالت: عرض جواريك علي، فعرضتهن عليها. ثم جلسنا على الشراب، وغنتنا مقيم. وأطالت جدتي الجلوس فلم أنيسط إلى جوارى كما كنت أفعل، فقلت هذين البيتين: صوت

أنبقى على هذا وأنت قريبة

وقد منع الزوار بعض التكلم

سلامٌ عليكم لا سلام مودع

ولكن سلامٌ من حبيب مقيم

وكتبتهما في رقعة ورميت بها إلى مقيم، فأخذتها ونهضت إلى الصلاة، ثم عادت وقد صنعت فيه اللحن الذي يغنى فيه اليوم، فغنت. فقالت شاهك: ما أرانا إلا قد ثقلنا عليكم اليوم، وأمرت الجوارى فحملن محفتها، وأمرت بجوائز للجوارى وساوت بينهن، وأمرت لمقيم بمائة ألف درهم.

هي أول من عقد على الإزار زناراً: وأخبرني قال: أول من عقد من النساء في طرف الإزار زناراً وخيط إبريسم ثم تجعله في رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرك ولا يزول مقيم.

مرت بقصر مولاها بعد قتله فرثته: أخبرني أحمد بن جعفر لحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال: مرت مقيم في نسوة وهي مستخفية بقصر علي بن هشام بعد أن قتل، فلما رأت بابه مغلقاً لا أنيس عليه وقد علاه التراب والغبرة وطرحت في أفنيته المزابل، وقفت عليه وتمثلت: صوت

حاشا لأطلاك أن تبلى

بكيت عيشي فيك إذ ولى

يا منزلاً لم تبلى أطالاه

لم أبك أطالك لكنني

غيبه التراب وما ملا

قد كان لي فيك هوًى مرةً

عند اذكاري حيثما حلا

فصرت أبكي جاهداً فقد

لا بد للمحزون أن يسلى

فالعيش أولى ما بكاه الفتى

فيه رمل بالوسطى لا بن جامع قال: ثم بكت حتى سقطت من قامتها، وجعل النسوة يناشدنها ويقولن: الله الله في نفسك! فإنك تؤخذين الآن، فبعد لأيٍ ما حملت تنهدى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضع. أمرها المعتصم بالغناء فعرضت بمولاها: نسخت من كتاب أبي سعيد السكري حدثني الحارث بن أبي أسامة قال حدثني محمد بن الحسن عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: قالت لي مريم: بعث إلي المعتصم بعد قدومه بغداد، فذهبت إليه، فأمرني بالغناء فغنيت:

بغبرة أو دماء

هل مسعدٌ لبكاء

فقال: اعدلي عن هذا البيت إلى غيره، فغنيت غيره من معناه، فدمعت عيناه وقال: غني غير هذا. فغنيت في لحن:

تقانونا وإلا تذرف العين أكمداً

أولئك قومي بعد عزٍّ ومنعةٍ

فبكى وقال: ويحك! لا تغيني في هذا المعنى شيئاً البتة. فغنيت في لحن:

إن المنايا تغشى كل إنسان

لا تأمن الموت في حلٍّ وفي حرمٍ

فسوف يأتيك ما يمينا لك الماني

واسلك طريقك هوناً غير مكترثٍ

فقال: والله لولا أني أعلم أنك إنما غنيت بما في قلبك لصاحبك وأنت لم تريدي لمثلت بك، ولكن خذوا بيدها فأخرجوها، فأخذوا بيدي فأخرجت. نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت

بغبرة أو دماء

هل مسعدٌ لبكاء

لسادةٍ نجباء

وذا لفقد خليلٍ

الشعر لمراد شاعرة علي بن هشام ترثيه لما قتله المأمون. والغناء لمريم. ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى. منها:

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني

وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهدي لأنه من غنائه وشعره، وشرحت أخباره فيه. ولحنه رملٌ بالوسطى. ومنها: صوت

تقانونا وإلا تذرف العين أكمداً

أولئك قومي بعد عزٍّ ومنعةٍ

وقد أخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعبلي وغنيا فيه من مراثيهما في بني أميه. ولحن متيم هذا الذي غنت فيه المعتصم ثاني ثقليل بالوسطى.
ومنها: صوت

لا تأمن الموت في حل وفي حرم

ذك الهشامي أنه مما وجدته من غناء متيم، غير أن لها لحناً فيه يذكر في موضع غير هذا على شرح إن شاء الله تعالى، وإنما ألقت صوتاً تولعت به وغنته فنسبه إليها .
كانت تغني لنفسها خفيف رمل: وأخبرني قال: كنا في مجلسنا نياماً. فلما كان مع الفجر إذا متيم قد دخلت علينا وقالت: أطعموني شيئاً، فأخرجوا إليها شيئاً تأكله، فأكلت، ودعت بنبيد وابتدأت الشرب، ودعت بعود فاندفعت تغني لنفسها وتشرب. وكان مما غنت:

كيف الثواء بأرض لا أراك بها يا أكثر الناس عندي منةً ويدا

خفيف رمل وقال: ما رأيت أحداً من المغنين والمغنيات إذا غنوا لأنفسهم يكادون يغنون إلا خفيف رمل.
نوحها على سيدها: وأخبرني قال حدثني بعض أهلها قال: لما أصبنا بعلي بن هشام، جاء النوائح، فطرح بعض من حضر من مغنياته عليهن نوحاً من نوح متيم، وكان حسناً جيداً، فأبطأ نوح النوائح اللاتي جئن لحسنه وجودته. وكانت زين حاضرة فاستحسنته جداً، وقالت: رضي الله عنك يا متيم! كنت علماً في السرور، وأنت علم في المصائب.
وأخبرني قال: إني لأذكر من بعض نوحها:

لعلي وأحمد وحسين ثم نصر وقبله للخليل

هنج.

أرسلت لها مؤنسة هدية يوم حجامتها: قال ابن المعتز: وأخبرني الهشامي قال: وجهت مؤنسة جارية المأمون إلى متيم جارية علي بن هشام في يوم احتجمت في مخنقة في وسطها حبة لها قيمة حليلة كبيرة وعن يمين الحبة ويسارها أربع يواقيت وأربع زمردات وما بينها من شذور الذهب، وباقي المخنقة قد طيب بغالية.
كانت تحب البنفسج وتؤثره على غيره: وأخبرني قال: كانت متيم يعجبها البنفسج جداً، وكان عندها أثر من كل ريحان وطيب، حتى إنهما من شدة إعجابها به لا يكاد يخلو من كمها الريحان ولا نراه إلا كما قطف من البستان .

لما ماتت هي وإبراهيم بن المهدي وبذل قالت جارية للمعتصم أظن أن في الجنة عرساً: وقد أخبرني رحمه الله قال حدثنا أبو جعفر بن الدهقانة:

أن جارية للمعتصم قالت له لما ماتت متيم وإبراهيم بن المهدي وبذل: يا سيدي، أظن أن في الجنة عرساً، فطلبوا هؤلاء إليه. فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره. فلما كان بعد أيام، وقع حريق في حجرة هذه القائلة فاحترق

كل ما تملكه. وسمع المعتصم الجلبة فقال: ما هذا؟ فأخبر عنه، فدعا بها فقال: ما قصتك؟ فبكت وقالت: يا سيدي، احترق كل ما أملكه. فقال: لا تجزعي، فإن هذا لم يحترق وإنما استعاره أصحاب ذلك العرس. أمرها المأمون بأن تجيز شعراً: وقد ذكرت في متقدم أخبار متيم أنها كانت تقول الشعر ولم أذكر شيئاً. فمن ذلك ما أخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الديناري قال حدثني الفضل بن العباس بن يعقوب قال حدثني أبي قال: قال المأمون لمقيم جارية علي بن هشام: أجزبي لي هذين البيتين:

تعالى تكون الكتب بيني وبينكم

ورسلي بحاجاتي وهن كثيرة

ملاحظة نومي بها ونشير

إليك إشارات بها وزفير

صوت من المائة المختارة

إن العيون التي في طرفها مرض

يصر عن ذا اللب حتى لا حراك له

قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

وهن أضعف خلق الله أركاناً

عروضه من البسيط. والشعر لجرير. والغناء لابن محرز. ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل. وفي هذه القصيدة أبيات أخر تغني فيه ألحان سوى هذا اللحن، منها قوله: صوت من المائة المختارة

أتبعتهم مقلةً إنسانها غرق

إن العيون التي في طرفها مرض

قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

الغناء في هذين البيتين ثقيل أول مطلق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

ومنها أيضاً: صوت

بان الأخلا وما ودعت من بانا

أصبحت لا أبتغي من بعدهم بدلاً

وقطعوا من حبال الوصل أركاناً

بالدار داراً ولا الجيران جيراناً

وصرت مذ ودع الأظعان ذا طرب

مروعاً من حذار البين محزاناً

في الأول والثاني والثالث من الأبيات خفيف رمل بالبنصر. وفيها للغريض ثاني ثقيل بالبنصر، من رواية عمرو بن بانة والهشامي. وذكر حبش أن فيه لمالك خفيف رمل بالوسطى، ولابن سرجس في الأول والثاني وبعدهما:

أتبعتهم مقلةً إنسانها غرق

رمل بالوسطى. وذكر الهشامي أن لابن محرز في الأول والثاني وبعدهما أتبعتهم مقلة لحناً من الثقيل الأول بالبنصر، وذكر المكي أنه لمعبد.

الجزء الثامن

نسب جرير وأخباره

نسبه من قبل أبويه: جرير بن عطية بن الخطفي. والخطفي لقب، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. ويكنى أبا حذرة. ولقب الخطفي لقوله:

أعناق جنانٍ وهاماً رجفاً

يرفعن الليل إذا ما أسدفاً

وعنقاً بعد الكلل خيطفاً

ويروى: خطفي.

وهو والفرزدق والأخطل المقدمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً. ومختلف في أيهم المتقدم، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلا تعرض لهم فافتضح وسقط وبقوا يتصاولون، على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفرزدق في آخره أمرهما وقد أسن ونفذ أكثر عمره. وهو وإن كان له فضله وتقدمه فليس نجره من نجار هذين في شيء، وله أخبار مفردة عنهما ستذكر بعد هذا مع ما يغني عن شعره.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي، وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي وعلي بن سليمان الأخفش قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب وأبي غسان دماذ وإبراهيم بن سعدان عن أبيه جميعاً عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، بنسب جرير على ما ذكرته وسائر ما أذكره في الكتاب من أخباره فأحكيه عن أبي عبيدة أو عن محمد بن سلام. قالوا جميعاً: وأم جرير أم قيس بنت معبد بن عمير بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب بن يربوع. وأم عطية النوار بنت يزيد بن عبد العزى بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب.

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام ووافقهما الأصمعي فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة عنه: اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة: جرير والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض. قال محمد بن سلام: والراعي معهم في طبقتهم ولكنه آخرهم، والمخالف في ذلك قليل. وقد سمعت يونس يقول: ما شهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل المجلس على أحدهما. وكان يونس فرزدقياً. قال ابن سلام: وقال ابن دأب: الفرزدق أشعر عامة جرير أشعر خاصة. وقال أبو عبيدة: كان أبو عمرو يشبهه جريراً بالأعشى، والفرزدق بزهير، والأخطل بالنابعة، قال أبو عبيدة: يحتاج من قدم جريراً بأنه كان أكثرهم فنون

شعر، وأسهلهم ألفاظاً، وأقلهم تكلفاً، وأرقهم نسيباً، وكان ديناً عفيفاً. وقال عامر بن عبد الملك: جرير كان أشبههما وأنسبهما.

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني: قال خالد بن كلثوم: ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق، قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين، قال:

عجبت لعجلٍ إذ تهاجي عبيدها كما آل يربوع هجوا آل دارم

يعني بعبيدها بني حنيفة. وقال جرير بيتاً هجا فيه أربعة:

إن الفرزدق والبعيث وأمه وأبا البعيث لشر ما إستار

قال: وقال جرير: لقد هجوت التيم في ثلاث كلمات ما هجا فيهن شاعر شاعراً قبلي، قلت:

من الأصلاب ينزل لؤم تيم وفي الأرحام يخلق والمشييم

جرير وطبقته من الشعراء: وقال محمد بن سلام: قال العلاء بن جرير العنبري وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يجيء الأخطل سابقاً فهو سكيئ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيئاً، وجرير يجيء سابقاً ومصلياً وسكيئاً. قال محمد بن سلام: ورأيت أعرايياً من بني أسد أعجبني ظرفه وروايته، فقلت له: أيهما عندكم أشعر؟ قال: بيوت الشعر أربعة: فخرٌ ومديح وهجاء ونسيب، وفي كلها غلب جرير، قال في الفخر:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

والمديح:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

والمهجاء:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

والنسب:

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا

قال أبو عبد الله محمد بن سلام: وبيت النسيب عندي:

فلما التقى الحيان ألقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

قال كيسان: أما والله لقد أوجعكم يعني في المهجاء. فقال: يا أحمق! أو ذاك يمنع أن يكون شاعراً! تفضيله عبدة بن هلال على الفرزدق: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة قال قال أبو عبدة، وأخبرنا أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام الجمحي قال حدثني أبان بن عثمان البلخي قال: تنازع في جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلب، فارتفعا إليه وسألاه، فقال: لا أقول بينهما شيئاً ولكني أدلكما على من يهون عليه

سخطهما: عبدة بن هلال الشكري وكان بإزائه مع قطري وبينهما نهر. وقال عمر بن شبة: في هؤلاء الخوارج من تهون عليه سبال كل واحد منهما فأما أنا فما كنت لأعرض نفسي لهما. فخرج أحد الرجلين وقد تراضيا بحكم الخوارج، فبدر من الصف ثم دع بعبدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه. فقال: إني أسألك عن شيء تحاكمنا إليك فيه، فقال: وما هو؟ عليكما لعنة الله. قال: فأَي الرجلين عندك أشعر: أجري أم الفرزدق؟ فقال: لعنكما الله ولعن جريراً والفرزدق! أمثلي يسأل عن هذين الكلبيين! قال: لا بد من حكمك. قال: فإني سألتكم قبل ذلك عن ثلاث. قالوا: سل. قال: ما تقولون في إمامكم إذا فجر؟ قالوا: نطيعه وإن عصى الله عز وجل. قال: قبحكم الله! فما تقولون في كتاب الله وأحكامه قالوا: ننبذه وراء ظهورنا ونعطل أحكامه. قال: لعنكم الله إذا! فما تقولون في اليتيم؟ قالوا: نأكل ماله وننيك أمه. قال: أخزاكم الله إذا! والله لقد زدتموني فيكم بصيرة. ثم ذهب لينصرف، فقالوا له: إن الوفاء يلزمك، وقد سألتنا فأخبرناك ولم تخبرنا، فرجع فقال: من الذي يقول:

بالخيل لاحقة الأياطل قودا

إننا لنذعر يا فقير عدونا

جرّد ترى لمغارها أخذودا

وتحوط حوزتنا وتحمي سرحنا

ألا يذقن مع الشكائم عوداً

أجرى قلائدها وقدد لحمها

طي التجار بحضر موت برودا

وطوى القياد مع الطراد متونها

قالا: جريراً، فهو ذاك، فانصرفا.

حديث الأصمعي وغيره عنه: أخبرني عم أبي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا الرياشي قال قال الأصمعي وذكر جريراً فقال: كان ينهشه ثلاثة أربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً، ومنهم من كان ينفحه فيرمي به، وثبت له الفرزدق والأخطل. وقال جرير: والله ما يهيجوني الأخطل وحده وإنه ليهيجوني معه خمسون شاعراً كلهم عزيزٌ ليس بدون الأخطل، وذلك أنه كان إذا أراد هجائي جمعهم على شراب، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً، وينتحل هو القصيدة بعد أن يتمموها.

قال ابن سلام: وحدثني أبو البداء الرياحي قال قال الفرزدق: إني وإياه لنغترف من بحر واحد وتضطرب دلاؤه عند طول النهر.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني زيرك بن هبيرة المناني قال: كان جريراً ميدان الشعر، من لم يجر فيه لم يرو شيئاً، وكان من هاجى جريراً فغلبه جرير أرحح عندهم ممن هاجى شاعراً آخر غير جرير فغلب. أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: تذاكروا جريراً والفرزدق في حلقة يونس بن معاوية بن أبي عمر بن العلاء وخلف الأحمر ومسمع وعامر ابنا عبد الملك المسمعيان، فسمعت عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول:

كان جرير والله أنسبهما وأسبهما وأشبههما.
سمع الراعي شعره فأقر بأنه جدير بالسبق: قال ابن سلام: وحدثني أبو البيداء قال: مر راكبٌ بالراعي وهو يغني
بيتين لجرير، وهما:

وعاو عوى من غير شيء رميته بقارعة أنفاذها تقطر الدما
خروج بأفواه الرواة كأنها قرا هندواني إذ هن صمما

فأتبعه الراعي رسولاً يسأله لمن البيتان؟ قال: لجرير. قال: لو اجتمع على هذا جميع الجن والإنس ما أغنوا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: ويحكم ألام على أن يغليني مثل هذا!..
رأي بشار فيه وفي صاحبيه ورثاؤه ابنه: قال ابن سلام: وسألت بشاراً المرعث: إي الثلاثة أشعر؟ فقال: لم يكن الأخطل مثلهما ولكن ربيعة تعصبت له وأفطرت فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير. فقلت لبشار: وأي شيء لجرير من المراثي إلا التي رثي بها امرأته! فأنشدني لجرير يرثي ابنه سودة ومات بالشأم:

قالوا نصيبك من أجرٍ لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالي
فارقتني حين كف الدهر من بصري وحين صرت كعظم الرمة البالي
أمس سودة يجلو مقلتي لحم بازٍ يصصر فوق المربأ العالي
قد كنت أعرفه مني إذا غلقت رهن الجياد ومد الغاية الغالي
إن الثوي بذي الزيتون فاحتسبي قد أسرع اليوم في عقلي وفي حالي
إلا تكن لك بالديرين معولةً فرب باكية بالرملم معوال
كأم بوٍّ عجولٍ عند معهده حنت إلى جلدٍ منه وأوصال
حتى إذا عرفت أن لا حياة به ردت هماهم حرى الجوف مثكال
زادت على وجدها وجداً وإن رجعت في الصدر منها خطوبٌ ذات بلبال

أخبرني عبد الواحد بن عبيد عن قعنب بن المحرز الباهلي عن المغيرة بن حجناء وعمارة بن عقيل قالا: خرج جرير إلى دمشق يؤم الوليد، فمرض ابن له يقال له سودة، وكان به معجباً، فمات بالشأم، فجزع عليه ورثاه جرير فقال:

أودى سودة يجلو مقلتي لحم بازٍ يصصر فوق المربأ العالي

حديث الفرزدق عنه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدثني أبو نصر الإشكري عن مولى لبني هاشم قال:

إمترى أهل المجلس في جرير والفرزدق أيهما أشعر، فدخلت على الفرزدق فما سألتني عن شيء حتى قال: يا نوار، أدركت برنيتك؟ قالت: قد فعلت أو كادت. قال: فابتعني بدرهم فاشتريني لحماً، ففعلت وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ويأكل. ثم قال: هاتي برنيتك، فشرب قدحاً ثم ناولني، وشرب آخر ثم ناولني. ثم قال: هات حاجتك يا بن أخي، فأخبرته، قال: أعن ابن الخطفى تسألني! ثم تنفس حتى قلت: انشقت حيازيمه، ثم قال: قاتله الله! فما أحسن ناحيته وأشرد قافيته! والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابه، والشابة على أحبابها، ولكنهم هروه فوجدوه عند الهراش نابجا وعند الجراء قارحاً، وقد قال بيتاً لأن أكون قلته أحب إلى مما طلعت عليه الشمس:

حسبت الناس كلهم غضابا

إذا غضبت عليك بنو تميم

أثنى عليه الفرزدق أمام الأحوص: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة، قالوا: نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة. فقال الأحوص: ما تشتهي؟ قال: شواء وطلاء وغناء. قال: ذلك لك، ومضى به إلى قينة بالمدينة، فغنته: صوت

أحب لحب فاطمة الديار

ألا حي الديار بسعد إنني

بدارة صلصلٍ شحطوا مزارا

إذا ما حل أهلك يا سليمي

فهاجوا صدع قلبي فاستطار

أراد الظاعنون ليحزنوني

غناه أبو محرز خفيف ثقیل أول بالنصر فقال الفرزدق: ما أرق أشعاركم ياهل الحجاز وأملحها! قال: أو ما تدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله. قال: فهو والله لجرير يهجوكم به. فقال: ويل ابن المراغة! ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره!.

قدم المدينة وتحدث مع الأحوص حتى أخزاه وأقبل على أشعب وأجازه: أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق الموصلي، وأخبرني محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه قال قال إسحاق بن يحيى بن طلحة: قدم علينا جرير المدينة فحشدنا له، فبينما نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته، وجاء الأحوص فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام آنفاً، ما تريد منه؟ قال: أخزيه، والله إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف. فأقبل جرير علينا وقال: من الرجل؟ قلنا: الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح. قال: هذا الخبيث بن الطيب. ثم أقبل عليه فقال: قد قلت:

وأحسن شيء ما به العين قرت

يقر بعيني ما يقر بعينها

فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر، أفقر ذلك بعينك؟ قال: وكان الأحوص يرمى بالأبنة فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة. وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخر البيت وأشعب عند الباب، فأقبل أشعب يسأله، فقال له جرير: والله إنك لأقبحهم وجهاً ولكني أراك أطولهم حسباً، وقد أبرمتني. فقال: أنا والله أنفعهم لك. فانتبه جرير فقال: كيف؟ قال: إني لأملح شعرك، واندفع يغنيه قوله: صوت

يا أخت ناجية السلام عليكم

قبل الفراق وقيل لوم العذل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم

يوم الفراق فعلت ما لم أفعل

قال: فأدناه جريراً منه حتى ألصق ركبته بركبته وجعله قريباً منه، ثم قال: أجل! والله إنك لأنفعهم لي وأحسنهم تزييناً لشعري، أعد، فأعاده عليه وجرير يبكي حتى اخضلت لحيته، ثم وهب لأشعب دراهم كانت معه وكساه حلةً من حلل الملوك. وكان يرسل إليه طول مقامه بالمدينة فيغنيه أشعب ويعطيه جريراً شعره فيغني فيه قال: وكان أشعب من أحسن الناس صوتاً. قال حماد: والغناء الذي غناه فيه أشعب لابن سريج. أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن الرياشي عن الأصمعي قال وذكر المغيرة بن حجناء قال حدثني أبي عن أبيه عن جده يحيى بن أعين، وذكر ذلك هشام بن الكلبي قال حدثني النهشلي من بني مسعود بن خالد بن مالك بن ربيعي بن سلمى بن جندل قال حدثني مسحل بن كسيب بن عمران بن عطاء بن الخطفى، وأمه الربداء بنت جرير - وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ محتوٍ على سائر أخبار من ناقض جريراً أو اعتن بينه وبين الفرزدق وغيره فذكرته هنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار - : أن جريراً قدم على الحكم بن أيوب بن يحيى بن الحكم بن أبي عقيل، وهو خليفة للحجاج يومئذ، فمدحه جرير فقال:

أقبلت من ثهلان أو جنبي خيم

على قلاصٍ مثل خيطان السلم

ثهلان: جبلٌ كان لباهلة ثم غلبت عليه نيمر. وخيم: جبلٌ يناوحه من طرفه الأقصى فيما بين ركنه الأقصى وبين مطلع الشمس، به ماء ونخل:

قد طويت بطونها طي الأدم

يبحثن بحثاً كمضلات الخدم

إذا قطعن علماً بدا علم

حتى تناهين إلى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم

في معقد العز وبؤبؤ الكرم

بعد انفصاج البدن واللحم زيم

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظرفه وشعره، فكتب إلى الحجاج: إنه قدم علي أعرابي شيطانٌ من الشياطين. فكتب إليه أن ابعث به إلي، ففعل، فقدم عليه فأكرمه الحجاج وكساه جبة صبريةً وأنزله فمكث أياماً. ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا: أجب الأمير، فقال: ألبس ثيابي، فقالوا: لا! والله لقد أمرنا أن نأتيه بك على الحال التي نجدك عليها، ففزع جرير وعليه قميص غليظ وملاءة صفراء. فلما رأى ما به رجلٌ من الرسل دنا منه وقال: لا بأس عليك، إنما دعاك للحديث. قال جرير: فلما دخلت عليه قال: إيه يا عدو الله! علام تشتم الناس وتظلمهم؟ فقلت: جعلني الله فداء الأمير، والله إني ما أظلمهم ولكنهم يظلموني فأنتصر. ما لي ولاين أم غسان! وما لي وللبعث! وما لي وللفرزدق! وما لي وللأخطل! وما لي وللتيمي! حتى عددهم واحداً واحداً. فقال الحجاج: ما

أدري ما لك ولهم! قال: أخبر الأمير أعزه الله: أما غسان بن ذهبل فإنه رجلٌ من قومي هجاني وهجا عشيرتي
وكان شاعراً. قال: فقال: لك ماذا؟ قال قال لي:

لعمري لئن كانت بجيلة زانها
رميت نضالاً عن كليب فقصرت
ولا يذبحون الشاة إلا بميسرٍ
قال: فما قلت له؟ قال قلت:

ألا ليت شعري عن سليطٍ ألم تجد
فقد ضمنوا الأحساب صاحب سوءٍ
كأن سليطاً في جواشنها الخصى
أضجوا الروايا بالمزاد فإنكم
كأن السليطيات مجناة كمأة
عضاريط يشوون الفراسن بالضحي
فما في سليطٍ فارسٌ ذو حفيضةٍ
عجبت من الداعي جحيشاً وصائداً

قال: ثم من؟ قال: البعيث. قال: ما لك وله؟ قال: اعترض دونه ابن أم غسان يفضلهُ علي ويعينه. قال: فما قال
لك؟ قال قال لي:

كليبٌ لئام الناس قد تعلمونه
أترجو كليباً أن يجيء حديثها
قال: فما قلت له؟ قال قلت:

ألم ترأني قد رميت ابن فرتنى
له أم سوءٍ بنس ما قدمت له
قال: ثم من؟ قلت: الفرزدق. قال: وما لك وله؟ قلت: أعان البعيث علي.

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

تمنى رجالٌ من تميمٍ لي الردى
كأنهم لا يعلمون مواطني
وما زاد عن أحسابهم ذائئٌ مثلي
وقد جربوا أنني أنا السابق المبلى

فلو شاء قومي كان حلمي فيهم
وكان على جهال أعدائهم جهلي

قد زعموا أن الفرزدق حيةٌ
وما قتل الحيات من أحدٍ قبلي

قال: ثم من؟ قلت: الأخطل. قال: ما لك وله؟ قلت: رشاه محمد بن عمير ابن عطارٍ زقاً من خمر وكساه حلةً
على أن يفضل علي الفرزدق ويهجوني. قال: فما قال لك؟ قال قال:

إخساً إليك كليب إن مجاشعاً
وأبا الفوارس نهشلاً أخوان

وإذا وردت الماء كان لدارمٍ
جماته وسهولة الأعطان

وإذا قذفت أباك في ميزانهم
رجحوا وشال أبوك في الميزان

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

ياذا العباءة إن بشراً قد قضى
ألا تجوز حكومة النشوان

فدعوا الحكومة لستم من أهلها
إن لحكومة في بني شيبان

قتلوا كليبكم بلقحة جارهم
يا خزر تغلب لستم بهجان

قال: ثم من؟ قلت: عمر بن لجأ التيمي. قال: ما لك وله؟ قال: قلت بيتاً من شعر فقبحه وقاله على غير ما قلته؟
قلت:

لقومي أحمى للحقيقة منكم
وأضرب للجبار والنقع ساطع

وأوثق عند المردفات عشيةً
لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع

فرعم أي قلت:

وأوثق عند المرففات عشيةً
لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع

فقال: لحقتهن عند العشي وقد أخذن غدوةً، والله ما يمسين حتى يفضحن.

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

يا تيم تيم عدي لا أبا لكم
لا يوقعنكم في سوءة عمر

خل الطريق لمن يبني المنار به
وابرز ببرزة حيث اضطررك القدر

حتى أتى على الشعر. قال: ثم من؟ قلت: سراقه بن مرداس البارقي. قال: ما لك وله؟ قال قلت: لا شيء، حملة
بشر بن مروان وأكرهه على هجائي، ثم بعث إلي رسولاً وأمرني أن أجيبه. قال: فما قال لك؟ قال قال:

إن الفرزدق برزت أعراقه
عفواً وغودر في الغبار جرير

مسعاته إن اللئيم عثور

بالميل في ميزانكم لبصير

ما كنت أول محمرٍ قعدت به

هذا قضاء البارقي وإنه

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

هلا غضبت لنا وأنت أمير

عسرٌ وعند يساره ميسور

وابن اللئيمة للثام نصور

يا آل بارق فيم سب جرير

شيخان أعمى مقعدٌ وكسير

يا بشر حق لوجهك التبشير

بشرٌ أبو مروان إن عاسرته

إن الكريمة ينصر الكرم ابنها

قد كان حقك أن تقول لبارق

وكسحت باستك للفخار وبارق

قال: ثم من؟ قلت: البلتع وهو المستنير بن سبرة العنبري. قال: ما لك وله؟ قلت: أعان علي ابن لجأ. قال: فما

قال لك؟ قلت قال:

قعدت على جحش المراغة تمرغ

وأبوك عبدٌ بالخورنق أذلغ

إن التي ربنتك لما طلقت

أتعيب من رضيت قريشٌ صهره

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

هوت بين مؤتج الحريقين ساطع

وعن مشيهن الليل بين المزارع

فما مستنير الخبث إلا فراشة

نهيت بنات المستنير عن الرقى

ويروى:

بين مؤتج من النار ساطع

قال: ثم من؟ قلت: راعي الإبل. قال: ما لك وله؟ قلت: قدمت البصرة وكان بلغني أنه قال لي:

غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

يا صاحبي دنا الرواح فسيरा

وقال أيضاً:

تيمم حوض دجلة ثم هابا

رأيت الجحش جحش بني كليب

فقلت: يا أبا جندل، إنك شيخ مضر وشاعرها، وقد بلغني أنك تفضل علي الفرزدق، وأنت تسمع قولك، وهو ابن عمي دونك، فإن كان لا بد من تفضيل فأنا أحق به لمدحي قومك وذكرى إياهم. قال: وابنه جندلٌ على فرسٍ له، فأقبل يسير بفرسه حتى ضرب عجز دابتي وأنا قائم فكاد يقطع أصبع رجلي وقال: لا أراك واقفاً على هذا الكلب من بني كليب، فمضى، وناديته: أنا ابن يربوع! إن أهلك بعثوك مائراً من هبود وبئس المائراً، وإنما

بعثني أهلي لأقعد على قارعة هذا المربد فلا يسبهم أحدٌ إلا سببته، وإن علي نذراً إن جعلت في عيني غمضاً حتى أخزيك. قال: فما أصبحت حتى هجوته فقلت:

فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

قال فغدوت عليه من الغد فأخذته بعنانه، فما فارقت حتى أنشدته إياها. فلما مررت على قولي:

أجندل ما تقول بنو نميرٍ إذا ما الأير في است أبيك غابا

قال: فأرسل يدي وقال: يقولون والله شراً.

قال: ثم من؟ قلت: العباس بن يزيد الكندي قال: ما لك وله؟ قال لما قلت:

إذا غضبت عليك بنو تميمٍ حسبت الناس كلهم غضاباً

قال:

ألا رغمت أنوف بني تميمٍ فساء التمر إن كانوا غضابا

لقد غضبت عليك بنو تميمٍ فما نكأت بغضبتها ذبابا

لو اطلع الغراب على تميمٍ وما فيها من السوءات شابا

قال: فتركته خمس سنين لا أهجوه، ثم قدمت الكوفة فأتيت مجلس كندة، فطلبت إليهم أن يكفوه عني، فقالوا: ما نكفه وإنه لشاعرٌ وأوعدوني، فقلت:

ألا أبلغ بني حجر بن وهبٍ بأن التمر حلوٌ في الشتاء

فعودوا للنخيل فأبروها وعيثوا بالمشقر فالصفاء

قال: فمكنت قليلاً، ثم بعثوا إلي ركباً فأخبروني بمثاله وجواره في طيءٍ حيث جاور عتاباً، وحبل أخته هضبية حيث حبلت. قال: فقلت ماذا؟ قال قلت:

إذا جهل الشقي ولم يقدرٍ لبعض الأمر أوشك أن يصاباً

أعبداً حل في شعبي غريباً ألوماً لا أبا لك واغتراباً

فما خفيت هضبية حين جرتٍ ولا إطعام سخلتها الكلابا

تخرق بالمشاقص حالبيها وقد بلت مشيمتها الترابا

فقد حملت ثمانيةً وأوفتٍ بتاسعها وتحسبها كعاباً

قال: ثم من؟ قلت: جفنة الهزاني بن جعفر بن عباية بن شكس من عترة. قال: وما لك وله؟ قال: أقبل سائلاً حتى أتاني وأنا أمدد حوضاً لي، فقال: يا جرير، قم إلي ها هنا، قلت نعم. ثم أتيت فقلت: ما حاجتك؟ قال: مدحتك

فاستمع مني. قلت: أنشدني فأنشد، فقلت: قد والله أحسنت وأجملت، فما حاجتك؟ قال: تكسوني الحلة التي كساكها الوليد بن عبد الملك العام. فقلت: أي لم أقف فيها بالموسم، ولا بد من أن أقف فيها العام، ولكني أكسوك حلة خيراً منها كان كسانها الوليد عاماً أول. فقال: ما أقبل غيرها بعينها. فقلت: بلى، فاقبل وأزيدك معها دنائير نفقة. فقال: ما أفعل، ومضى فأتى المزار بن منقذ أحد بني العدوية، فحمله على ناقة له يقال لها القصواء. فقال جفنة:

لعمرك للمزار يوم لقيته على الشحط خير من جريٍ وأكرم

قال: فما قلت له؟ قال قلت:

لقد بعثت هزان جفنة مائراً فأب وأحذى قومه شر مغنم
فيا راكب القصواء ما أنت قائلٌ لهزان إذ أسلمتها شر مسلم
أظن عجان التيس هزان طالباً علالة سباق الأضاميم مرجم
كأن بني هزان حين رديتهم وباراً تضاعت تحت غارٍ مهدم
بني عبد عمرو قد فرغت إليكم وقد طال زجري لو نهاكم تقديمي
ورصعاء هزانية قد تحفشت على مثل حرباء الفلاة المعمم

قال: ثم من؟ قلت: المزار بن منقذ. قال: ما لك وله؟ قلت: أعان علي الفرزدق. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

بني منقذ لا صلح حتى تضمكم من الحرب صماء القناة زبون
وحتى تذوقوا كأس من كان قبلكم ويسلح منكم في الحبال قرين
فإن كنتم كلبى فعندي شفاؤكم وللجن إن كان اعتراك جنون

قال: ثم من؟ قلت: حكيم بن معية من بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. قال: وما لك وله؟ قلت: بلغني أنه أعان علي غسان السليطي. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

إذا طلع الركبان نجداً وغوروا بها فارجزا يا بني معية أو دعا
أتسمن أستاذ المجر وقد رأوا مجراً بو عساوي رماح مصرعا
ألا إنما كانت غضوب محامياً غداة اللوى لم تدفع الضميم مدفعا

قال: ثم من؟ قلت: ثور بن الأشهب بن رميلة النهشلي. قال: وما لك وله؟ قلت: أعان علي الفرزدق. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

سيخزي إذا ضنت حلائب مالكٍ ثويرٌ ويخزي عاصمٌ وجميع

صفاً ليس في قاراتهن صدوع

وقبلك ما أعيأ الرماة إذا رموا

قال: ثم من؟ قلت: الدهمس أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة. قال: ما لك وله؟ قلت: أعان علي الفرزدق.
قال: فما قلت له؟ قال قلت:

خبيثة ريح المنكبين قبوع

لقد نفخت منك الوريدين علجةً

فوارسنا لا عاش وهو جميع

ولو أنجبت أم الدهمس لم يعب

ثلاثة غربان عليه وقوع

أليس ابن حمراء العجان كأنما

بصيرٌ بما يأتي اللئام سميع

فلا تدنيا رحل الدهمس إنه

حجابٌ ولا حول الحجاب ضلوع

هو النخبة الخوار ما دون قلبه

قال: ثم مررت على مجلس لهم فاعتذرت إليهم فلم يقبلوا عذري، وأنشدوني شعراً لم يخبروني من قاله:

فهلا على جديك في ذاك تغضب

غضبت علينا أن علاك ابن غالب

أنأخا فشداك العقال المؤرب

هما إذ علا بالمرء مسعاة قومه

قال: فعلمت أنه شعر قبضة الكلب. قال: فجمعتهم في شعري فقلت:

خباءان شتى لا أنيسٌ ولا قفر

و أكثر ما كانت ربيعة أنها

وبئس الحليفان المذلة والفقر

محالفهم فقرٌ شديدٌ وذلةٌ

وكل ذليل خير عادته الصبر

فصبراً على ذل ربيع بن مالك

قال: ثم من؟ قلت: هبيرة بن الصلت الربعي من ربيعة بن مالك أيضاً، كان يروي شعر الفرزدق. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

مشي المراسل أودنت بطلاق

يمشي هبيرة بعد مقتل شيخه

ناري وشمر مئزري عن ساقِي

ماذا أردت إلي حين تحرقت

وسواد وجهك يا بن أم عفاق

إن القراف بمنخريك لبين

هذا شقاً لبني ربيعة باقي

سيروا قرب مسبحين وقائل

لؤم الجدود ودقة الأخلاق

أبني ربيعة قد أخس بحظكم

قال: ثم من؟ قلت: علقة والسرندي من بني الرباب كانا يعينان ابن لجأ. قال: فما قلت لهما؟ قال قلت:

من أم علقه بظراً غمه الشعر

عض السرندي على تتليم ناجذه

وَعَضَ عِلْقَةً لَا يَأْلُو بَعْرَ عَرَّةٍ مِنْ بَظَرِ أُمِّ السَّرْنَدِيِّ وَهُوَ مُنْتَصِرٌ

قال: ثم من؟ قلت: الطهوي، كان يروي شعر الفرزدق. قال: ما قلت له؟ قال قلت:

أَتَنْسُونَ وَهْباً يَا بَنِي زَبْدٍ اسْتَهَا وَقَدْ كُنْتُمْ جِيرَانِ وَهْبِ بْنِ أَبْجَرَا
فَمَا تَنْتَقُونَ الشَّرَّ حَتَّى يَصِيبَكُمْ وَلَا تَعْرِفُونَ الْأَمْرَ إِلَّا تَدْبِرَا
أَلَا رَبُّ أَعَشَى ظَالِمٌ مُتَخَمِطٌ جَعَلْتُ لِعَيْنَيْهِ جَلَاءً فَأَبْصُرَا

قال: ثم من؟ قلت: عقبة بن السنيع الطهوي وكان نذر دمي. قال: فما قلت له؟ قال قلت:

يَا عَقْبُ يَا بَنَ سَنِيعٍ لَيْسَ عِنْدَكُمْ مَأْوَى الرِّفَاقِ وَلَا ذُو الرِّايَةِ الْغَادِي
يَا عَقْبُ يَا بَنَ سَنِيعٍ بَعْضُ قَوْلِكُمْ إِنَّ الْوَثَابَ لَكُمْ عِنْدِي بِمِرْصَادٍ
مَا ظَنَنْتُمْ بِنَبِيِّ مِثَاءٍ إِنْ فَرَعُوا لَيْلًا وَشَدَّ عَلَيْهِمُ الْحِيَةَ الْوَادِي
يَغْدُو عَلَيَّ أَبُو لَيْلَى لِيَقْتُلَنِي جَهْلًا عَلَيَّ وَلَمْ يَثَّرْ بِشَدَادٍ
إِرْوُوا عَلَيَّ وَأَرْضُوا بِي صَدِيقَكُمْ وَاسْتَسْمِعُوا يَا بَنِي مِثَاءٍ إِنْشَادِي

ميثاء هي بنت زهير بن شداد الطهوي وهي أم عوف بن أبي سود بن مالك ابن حنظلة.

وقال أيضاً لبني ميثاء:

نَبِئْتُ عَقْبَةَ خَصَافاً تُوِّعِدُنِي يَا رَبَّ أَدْرَ مِنْ مِثَاءٍ مَأْفُونٍ
لَوْ فِي طَهْيَةِ أَحْلَامٍ لَمَّا اعْتَرَضُوا دُونَ الَّذِي كُنْتُ أُرْمِيهِ وَيَرْمِينِي

قال: ثم من؟ قلت: سمحة الأعور النبهاني، كانت له امرأة من طيء ولدت في بني سليط فأعطوه وحملوه علي. فسألني فاشتط، ولم يكن عندي فحرمته، فقال:

أَقُولُ لِأَصْحَابِي النَّجَاءَ فَإِنَّهُ كَفَى الذَّمَّ أَنْ يَأْتِيَ الضِّيُوفَ جَرِيرٌ
جَرِيرُ ابْنِ ذَاتِ الْبَظَرِ هَلْ أَنْتَ زَائِلٌ لَقَدْ رَكَ دُونَ النَّازِلِينَ سَتُورٌ
وَهَلْ يَكْرُمُ الْأَضْيَافَ كَلْبٌ لِكَلْبَةٍ لَهَا عِنْدَ أَطْنَابِ الْبُيُوتِ هَرِيرٌ
فَلَوْ عِنْدَ غَسَّانِ السَّلِيطِيِّ عَرَسَتْ رَغَا قَرْنٌ مِنْهَا وَكَاسَ عَقِيرٌ
فَتَى هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ نَفْساً وَوَالِداً عَلَيْكَ إِذَا كَانَ الْجَوَارُ يَجِيرُ

فقال جرير:

وَجَدْنَا بَنِي نَبْهَانَ أَذْنَابَ طِيٍّ وَلِلنَّاسِ أَذْنَابٌ تَرَى وَصُدُورُ
تَغْنَى ابْنِ نَبْهَانِيَّةٍ طَالَ بَظَرُهَا وَبَاعَ ابْنُهَا عِنْدَ الْهِيَاجِ قَصِيرُ

فأعمى وأما ليله فبصير

وأعور من نبهان أما نهاره

تطلع من سلمى وهن وعور

ستأتي بني نبهان مني قصائد

وفي قزم المعزى لهن مهوور

ترى قزم المعزى مهوور نسائهم

قال: وطلع الصبح فنهض ونهضت. قال: فأخبرني من كان قاعداً معه أنه قال: قاتله الله أعرابياً! إنه لجروهراش. قصته مع الراعي وابنه جندل:

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن الرياشي عن الأصمعي قال وذكر المغيرة بن حجناء قال حدثني أبي عن أبيه قال: كان راعي الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويفضله، وكان راعي الإبل قد ضخم أمره وكان من شعراء الناس. فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: هلا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق علي وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم! قال جرير: فضربت رأيي فيه. ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابته، وقال: والله ما يسرني أن يعلم أحد. وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجت أتعرض له لألقاء من حيال حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه، وما يسرني أن يعلم أحد، حتى إذا هو قد مر على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى مخدوف الذنب وإنسان يمشي معه يسأله عن بعض السبب، فلما استقبلته قلت: مرحباً بك يا أبا جندل! وضربت بشمالي على معرفة بغلته، ثم قلت: يا أبا جندل! إن قولك يستمع وإنك تفضل الفرزدق علي تفضيلاً قبيحاً وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم وهو ابن عمي، ويكفيك في ذاك حيناً! إذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعرٌ كريم، ولا تحتل مني ولا منه لائمةً. قلا: فبينما أنا وهو كذاك واقفاً علي. وما رد علي بذلك شيئاً حتى لحق ابنه جندل، فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بغلته ثم قال: لا أراك واقفاً على كلب من بني كليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً! وضرب البغلة ضربةً، فرمحتني رحمةً وقعت منها قلنسوتي، فوالله لو يعرج علي الراعي لقلت سفية غوى - يعني جندلاً ابنه - ولكن لا والله ما عاج علي، فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي ثم قلت:

إذا ما الأير في است أبيك غابا

أجندل ما تقول بنو نمير

فسمعت الراعي قال لابنه: أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحةً مشؤومة. قال جرير: ولا والله ما القلنسوة بأغيظ أمره إلي لو كان عاج علي، فانصرف جرير غضبان حتى إذا صلى العشاء بمترله في عليه له قال: ارفعوا إلي باطية من نبذ وأسرجوا لي، فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبذ. قال: فجعل يهيمهم، فسمعت صوته عجوز في الجار فاطلعت في الدرجة حتى نظرت إليه، فإذا هو يجبو على الفراش عرياناً لما هو فيه، فانحدرت فقالت: ضيفكم مجنون! رأيت منه كذا وكذا! فقالوا لها: اذهبي لطيتك، نحن أعلم به وبما يمارس. فما زال كذلك حتى كان السحر، ثم إذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتاً في بني نمير. فلما ختمها بقوله:

فغض الطرف إنك من نمير

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

كبر ثم قال: أخزيت به ورب الكعبة. ثم أصبح، حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق، دعا بدهن فادهن وكف رأسه، وكان حسن الشعر، ثم قال: يا غلام، أسرج لي، فأسرج له حصاناً، ثم قصد مجلسهم، حتى إذا كان بموضع السلام قال: يا غلام - ولم يسلم - قل لعبيد: أبعثك نسوتك تكسبهن المال بالعراق! أما والذي نفس جريير بيده لترجعن إليهن. عمير يسوعهن ولا يسرهن! ثم اندفع فيها فأنشدها. قال: فنكسر الفرزدق وراعى الإبل وأرم القوم، حتى إذا فرغ منها سار، وثبت راعي الإبل ساعة ثم ركب بغلته بشرّ وعرّ وخلي المجلس حتى ترقى إلى منزله الذي يتزله ثم قال لأصحابه: ركابكم ركابكم، فليس لكم ها هنا مقام، فضحكهم والله جريير! فقال له بعض القوم: ذاك شؤمك وشؤم ابنك. قال: فما كان إلا ترحلهم. قال فسرنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهم بالشريف وهو أعلى دار بني نمير. فيحلف بالله راعي الإبل إنا وجدنا في أهلنا:

فغض الطرف إنك من نمير

وأقسم بالله ما بلغه إنسي قط، وإن لجريير لأشيعاً من الجن. فتشاءمت به بنو نمير وسبوه وابنه، فهم يتشاءمون به إلى الآن.

قال قصيدته في هجو الراعي عند رجل من أنصاره: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه قال حدثني مولى لبني كليب بن يربوع كان يبيع الرطب بالبصرة أنسيت اسمه قال: كنت أجمع شعر جريير وأشتهي أن أحفظه وأرويه. فجاءني ليلة فقال: إن راعي الإبل النميري قد هجان، وإني آتيك الليلة فأعد لي شواء رشراشاً ونبيذاً مخفساً، فأعددت له ذلك. فلما أتممت جاءني فقال: هلم عشائك، فأتيته به، فأكل ثم قال: هلم نبيذك، فأتيته به، فشرب أقداحاً ثم قال: هات دواةً وكتفاً، فأتيته بهما، فجعل يملئ علي قوله:

أقلي اللوم عاذل والعتابا

وقولي إن أصبت لقد أصابا

حتى بلغ إلى قوله:

فغض الطرف إنك من نمير

فجعل يردده ولا يزيد عليه حتى حملتني عيني، فضربت بذقني صدري نائماً، فإذا به قد وثب حتى أصاب السقف رأسه وكبر ثم صاح: أخزيت به والله! أكتب:

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

غضضته وقدمت إخوته عليه! والله لا يفلح بعدها أبداً. فكان والله كما قال ما أفلح هو ولا نميري بعدها. أنشد الفرزدق أشطار شعر له فأخبر بتواليها: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي

عبدة قال: أقبل راكبٌ من اليمامة، فمر بالفرزدق وهو جالس في المريد، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من اليمامة. فقال: هل رأيت ابن المراغة؟ قال نعم؟ قال: فأني شيءٌ أحدث بعدي؟ فأنشده:

هاج الهوى لفؤادك المهتاج

فقال الفرزدق:

فانظر بتوضح باكر الأحداج

فأنشده الرجل:

هذا هوّى شغف الفؤاد مبرحٌ

فقال الفرزدق:

ونوى تقاذف غير ذات خلاج

فأنشده الرجل:

إن الغراب بما كرهت لمولعٌ

فقال الفرزدق:

بنوى الأوبة دائم التشحاج

فقال الرجل: هكذا والله، قال أسمعته من غيري؟ قال: لا! ولكن هكذا ينبغي أن يقال، أو ما علمت أن شيطاننا واحد! ثم قال: أمدح بما الحجاج؟ قال نعم: قال. إياه أراد. أجاب الفرزدق في الحج جواباً حسناً: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا محمد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني أبو عبدة قال: إلتقى جريرٌ والفرزدق بمنى وهما حاجان، فقال الفرزدق لجرير:

فخاراً فخبّرني بمن أنت فاخر

فإنك لاقٍ بالمنازل من منى

فقال له جرير: بليبك اللهم لبك. قال إسحاق: فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويعجبون منه.

هجا التيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام، وأخبرني وكيعٌ عن محمد بن إسماعيل عن ابن سلام قال حدثنا أبو الخطاب عن أبيه عن حجباء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت، ما هجوت قوماً إلا أفسدتهم سوى التيم. فقال: إني لم أجد حسباً أضعه، ولا بناءً أهدمه. حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء: قال ابن سلام أخبرني أبو قيس عن عكرمة بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت، من أشعر الناس؟ فقال: أجاهلية تريد أم الإسلام؟ قلت: أخبرني عن الجاهلية. قال: شاعر الجاهلية زهير. قلت: فالإسلام؟ قال: نبعة الشعر الفرزدق. قلت: فالأخطل؟ قال: يجيد صفة الملوك ويصيب نعت الخمر. قلت:

فما تركت لنفسك؟ قال: دعني فإنني نحررت الشعر نحرًا.

سمعه الفرزدق ينشد بائيته فتوقع فيها نصف بيت فيه هجو له فكان كما ظن: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثني محمد بن عبد الله العبدى عن عمارة بن عقيل عن جده قال: وقف الفرزدق على أبي مبريد البصرة وهو ينشد قصيدته التي هجا بها الراعي، فلما بلغ إلى قوله:

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أقبل الفرزدق على روايته فقال: غضه والله فلا يجيبه أبداً ولا يفلح بعدها. فلما بلغ إلى قوله:

بها برصٌ بجانب إسكتيها

وضع الفرزدق يده على فيه وغطى عنفقه، فقال أبي:

كعنفة الفرزدق حين شابا

فانصرف الفرزدق وهو يقول: اللهم أحزه! والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا، ولكن طمعت ألا يأبه فغطيت وجهي، فما أغناني ذلك شيئاً. قال العتري حدثني مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال قال يونس: ما أرى جريراً قال هذا المصراع إلا حين غطى الفرزدق عنفقه، فإنه نبهه عليه بتغطيته إياها.

سئل الفرزدق عن مجاريه في الشعر فلم يعترف إلا به: أخبرني حبيب بن نصر المهلبى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي بكر الهذلي قال:

قال رجل من بني دارم للفرزدق وهو بالبصرة: يا أبا فراس، هل تعلم اليوم أحداً يرمي معك؟ فقال: لا! والله ما أعرف ناجحاً إلا وقد استكان ولا ناهشاً إلا وقد انجحر إلا القائل:

فإن لم أجد في القرب والبعد حاجتي
تشأمت أو حولت وجهي يمانياً

فردى جمال الحي ثم تحملني

فإنى لمغرورٌ أعلل بالمنى

وقائلةٍ والدمع يحدر كحلها

بأي نجادٍ تحمل السيف بعد ما

بأي سنانٍ تطعن القرم بعدما

لساني وسيفي صارمان كلاهما

وللسيف أشوى وقعةً من لسانيا

قال: وهذا الشعر لجرير.

وفد على يزيد بن معاوية وأخذ جائزته: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد بن عمارة بن عقيل عن أبيه قال: قال جرير: وفدت إلى يزيد بن معاوية وأنا شابٌ يومئذ، فاستؤذن لي عليه في جملة

الشعراء، فخرج الحاجب إلي وقال: يقول لك أمير المؤمنين: إنه لا يصل إلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره، وما سمعنا لك بشيء فنأذن لك على بصيرة. فقلت له: تقول لأمر المؤمنين: أنا القائل:

وإني لعف الفقر مشترك الغنى
سريع إذا لم أرض داري انتقاليا
جريء الجنان لا أهاب من الردى
إذا ما جعلت السيف قبض بنانيا
وليس لسيفي في العظام بقية
وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبيات، ثم خرج إلي وأذن لي، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزة مع الشعراء، فكانت أول جائزة أخذتها من الخليفة، وقال لي: لقد فارق أبي الدنيا وما يظن أبياتك التي توصلت بها إلي إلا لي. موازنة حماد الراوية بينه وبين الفرزدق: أخبرني عمي قال حدثني الكراخي قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي عن حماد الراوية قال: أتيت الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي: هل أتيت الكلب جريراً؟ قلت نعم. قال: فأنا أشعر أو هو؟ فقلت: أنت في بعض الأمر وهو في بعض. فقال: لم تناصحني. فقلت: هو أشعر إذا أرخى من خناقه، وأنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت. فقال: وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشر!

حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته: أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن الحارث قال حدثنا المدائني عن يحيى بن عنبسة القرشي وعوانة بن الحكم: أن جريراً والفرزدق اجتمعا عند بشر بن مروان، فقال لهما بشر: إنكما قد تقارضتما الأشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخر وتهاجيتما. فأما المهجاء فليست بي إليه حاجة، فجددا بين يدي فخراً ودعائي مما مضى. فقال الفرزدق:

نحن السنام والمناسم غيرنا
فمن ذا يساوي بالسنام المناسما !

فقال جرير:

على موضع الأستاذ أنتم زعمتم
وكل سنام تابع للغلاصم

فقال الفرزدق:

على محرث للفرث أنتم زعمتم
ألا إن فوق الغلصمات الجماجما

فقال جرير:

وأنبأتمونا أنكم هام قومكم
ولا هام إلا تابع للخراطم

فقال الفرزدق:

فنحن الزمام القائد المقتدى به
من الناس ما زلنا ولسنا لهازما

فقال جرير:

فنحن بني زيد قطعنا زمامها
فتاهت كسار طائش الرأس عارم

فقال بشر: غلبته يا جرير بقطعك الزمام وذهابك بالناقة. وأحسن الجائزة لهما وفضل جريراً.
جرير وسكينة بنت الحسين: قال المدائني وحدثني عوانة بن الحكم قال: جاء جرير إلى باب سكينة بنت الحسين
عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له، وخرجت إليه جارية لها فقالت: تقول لك سيدتي: أنت القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

قال نعم. قالت: فألا أخذت بيدها فرحبت به وأدريت مجلسها وقلت لها ما يقال لمثلها! أنت عفيفٌ وفيك
ضعف، فخذ هذين الألفي الدرهم فالحق بأهلك.
تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق:
قال المدائني في خبره هذا وحدثني أبو يعقوب الثقفي عن الشعبي: أن الفرزدق خرج حاجاً، فلما قصى حجه
عدل إلى المدينة فدخل إلى سكينة بنت الحسين عليهما السلام فسلم. فقالت له: يا فرزدق، من أشعر الناس؟
قال: أنا. قلت: كذبت! أشعر منك الذي قال:

بنفسي من تجنبه عزيزٌ علي ومن زيارته لمأ

ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام

فقال: والله لو أذنت لي لأسمعك أحسن منه. قالت: أقيموه فأخرج ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها، فقالت:
يا فرزدق، من أشعر الناس. قال: أنا. قالت: كذبت! صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول:

لو لا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبیب یزار

كانت إذا هجر الضجيع فراشها كنتم الحديث وعفت الأسرار

لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

فقال: والله لئن أذنت لي لأسمعك أحسن منه، فأمرت به فأخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحوّلها مولدات
لها كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها وبهت ينظر إليها. فقالت له سكينة: يا فرزدق،
من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت! صاحبك أشعر منك حيث يقول:

إن العيون التي في طرفها مرضٌ قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً

أتبعتم مقلّةً إنسانها غرق هل ما ترى تاركٌ للعين إنساناً

فقال: والله لئن تركتني لأسمعك أحسن منه، فأمرت بإخراجه. فالتفت إليها وقال: يا بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن لي عليك حقاً عظيماً. قالت: وما هو؟ قال: ضربت إليك اباط الإبل من مكة إرادة التسليم
عليك، فكان جزائي من ذلك تكذيي وطردي وتفضيل جرير علي ومنعك إياي أن أنشدك شيئاً من شعري، وي
ما قد عيل منه صبري، وهذه المنايا تغدو وتروح، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإذا أنا مت فمري بي أن

أدرج في كفني وأدفن في حر هذه يغني الجارية التي أعجبته. فضحكت سكيئة وأمرت له بالجارية، فخرج بها أخذاً بريطتها، وأمرت الجوارى فدفعن في أفقيتهما، ونادته. يا فرزدق احتفظ بها وأحسن صحبتها فإني آثرتك بها على نفسي.

حضر أعرابي مائدة عبد الملك بن مروان ووصف له طعاماً أشهى من طعامه ثم سأله عن أحسن الشعر فأجاب من شعر جرير.

قال المدائي في خبره هذا وحدثني أبو عمران بن عبد الملك بن عمير عن أبيه، وحدثنيه عوانة أيضاً قالاً: صنع عبد الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ودعا إليه الناس فأكلوا. فقال بعضهم: ما أطيب هذا الطعام! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه. فقال أعرابي من ناحية القوم: أما أكثر فلا، وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه، فطفقوا يضحكون من قوله. فأشار إليه عبد الملك فأدب منه، فقال: ما أنت بمحقق فيما تقول إلا أن تخبرني بما يبين به صدقك. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا بهجر في برث أحمر في أقصى حجر، إذ توفي أبي وترك كلاً وعيلاً، وكان له نخل، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها، كأن تمرها أخفاف الرباع لم ير تمر قد أغلظ ولا أصلب ولا أصغر نوًى ولا أحلى حلاوة منه. وكانت تطرقها أتانٌ وحشية قد ألقتها تأوي الليل تحتها، فكانت تثبت رجلها في أصلها وترفع يديها وتعطو بفياها فلا تترك فيها إلا النبيذ والمتفرق، فأعظمني ذلك ووقع مني كل موقع، فانطلقت بقوسي وأسهمي وأنا أظن أبي أرجع من ساعتي، فمكثت يوماً وليلة لا أراها، حتى إذا كان السحر أقبلت، فتهيات لها فرشقتها فأصبتها وأجهزت عليها، ثم عمدت إلى سرتها فاقتدتها، ثم عمدت إلى حطب جزل فجمعته إلى رصف وعمدت إلى زندي ففقدت وأضرمت النار في ذلك الحطب، وألقيت سرتها فيها، وأدركني نوم الشباب فلم يوقظني إلا حر الشمس في ظهري، فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذى وسواد ورماد، ثم قلبت منها مثل الملاءة البيضاء، فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزعة والمنصفة، فسمعت لها أطيلاً كتداعي عامرٍ وغطفان، ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين التمرتين وأهوي إلى فمي، فيما أحلف إني ما أكلت طعاماً مثله قط. فقال له عبد الملك: لقد أكلت طعاماً طيباً، فمن أنت؟ قال: أنا رجل جانبتي عننة تميمٍ وأسدي وكشكشة ربيعة وحوشي أهل اليمن وإن كنت منهم. فقال: من أيهم أنت؟ قال: من أحوالك من عذرة. قال: أولئك فصحاء الناس، فهل لك علمٌ بالشعر؟ قال: سلمي عما بدا لك يا أمير المؤمنين. قال: أي بيتٍ قالته العرب أمدح؟ قال: قول جرير:

وأندى العالمين بطون راح

ألستم خير من ركب المطايا

قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسه وتناول لها. ثم قال: فأَي بيتٍ قالته العرب أفخر؟ قال: قول جرير:

حسبت الناس كلهم غضابا

إذا غضبت عليك بنو تميم

قال: فتتحرك لها جرير. ثم قال له: فأَي بيتٍ أهجى؟ قال: قول جري:

فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

فغض الطرف إنك من نمير

قال: فاستشرف لها جريرٌ. قال: فأبي بيت أغزل؟ قال: قول جرير:

قتلنا ثم لم يحيين قتلنا

إن العيون التي في طرفها مرضٌ

قال: فاهتز جرير وطرب. ثم قال له: فأبي بيت قالته العرب أحسن تشبيهاً؟ قال: قول جرير:

قناديل فيهن الذبالي المفتل

سرى نحوهم ليل كأن نجومه

فقال جرير: جائزني للعدري يا أمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: وله مثلها من بيت المال، ولك جائزتك يا جرير لا تنتقص منها شيئاً. وكانت جائزة جرير آلاف درهم وتوابعها من الحملان والكسوة. فخرج العدري وفي يده اليمنى ثمانية آلاف درهم وفي اليسرى رزمة ثياب.

تفضيل عبدة بن هلال لجرير على الفرزدق: أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا المدائني عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عياش الهمداني قال:

بينما المهلب ذات يوم أو ليلة بفارس وهو يقاتل الأزارقة إذ سمع في عسكره جلبة وصياحاً، فقال: ما هذا؟ قالوا: جماعة من العرب تحاكموا إليك في شيء. فأذن لهم فقالوا: إنا اختلافنا في جرير والفرزدق، فكل فريق منا يزعم أن أحدهما أشعر من الآخر، وقد رضىنا بحكم الأمير. فقال: كأنكم أردتم أن تعرضوني لهذين الكلبيين فيمزقا جلدي! لا أحكم بينهما، ولكني أدلكم على من يهون عليه سبال جرير وسبال الفرزدق، عليكم بالأزارقة، فإنهم قومٌ عربٌ يصرون بالشعر. ويقولون فيه بالحق. فلما كان الغد خرج عبدة بن هلال الإشكري ودعا إلى المباراة، فخرج إليه رجل من عسكر المهلب كان لقطري صديقاً، فقال له: يا عبدة، سألتك الله إلا أخبرني عن شيء أسألك عنه. قال: سل. قال: أو تخبرني؟ قال: نعم إن كنت أعلمه. قال: أجرينُ أشعر أم الفرزدق؟ قال: قبحك الله! أتركت القرآن والفقه وسألتني عن الشعر! إنا تشاجرنا في ذلك ورضينا بك. فقال من الذي يقول:

طي التجار بحضر موت برودا

وطوى الطراد مع القياد بطونها

فقال: جرير. قال: هذا أشعر الرجلين.

لم يترع في شعره إلى الغزل ولا إلى الرجز: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي عن العتيبي قال: قال جرير: ما عشقت قط، ولو عشقت لنسبت نسباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها، وإني لأرى من الرجز أمثال آثار الخيل في الثرى، ولولا أني أخاف أن يستفرغني لأكثر منه.

جرير في ضيافة عبد العزيز بن الوليد: أخبرني حبيب بن نصر المهلب وعمي قال حدثنا ابن الأعرابي قال حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بيهس بن صهيب الجرهمي عن عامر بن شبل الجرهمي قال: قدم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدير مران، فكنا نغدو إليه بكراً، فيخرج إلينا ويجلس في برنس خزرٍ له لا يكلمنا كلمة حتى يجيء طباخ عبد العزيز إليه بقدرٍ من طلاء مسخن يفور، وبكتلة من سمن كأها هامة رجل فيخوضها

فيه، ثم يدفعه إليه فيأتي عليه، ويقبل علينا ويحدثنا في كل فن، وينشدنا لنفسه ولغيره، حتى يحضر غداء عبد العزيز فنقوم إليه جميعاً. وكان يجتمع مجلسه بالتسبيح فيطيل. فقال له رجل: ما يغني عنك هذا التسبيح مع قذفك للمحصنات! فتبسم وقال: يا بن أخي خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم، إنهم والله يا بن أخي يبدؤوني ثم لا أحلم.

وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بني حنيفة فأسمعتة هجو جرير لهم وقصة عشقها لابن عم محمد: أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى قال حدثني الأخفش عن أبي مخزومة الوراق عن أبي مالك الراوية قال سمعت الفرزدق يقول: وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن محمد الطائفي قال حدثني محمد بن مسعدة الأخفش عن أبي مخزومة الوراق عن أبي مالك الراوية قال: سمعت الفرزدق يقول: أبق غلامان لرجلٍ منا يقال له الخضر، فحدثني قال: خرجت في طلبهما وأنا على ناقَةٍ لي عيساء كوماء أريد اليمامة، فلما صرت في ماءٍ لبني حنيفة يقال له الصرصران ارتفعت سحابةٌ فرعدت ويرقت وأرخت عزاليها، فعدلت إلى بعض ديارهم وسألت القرى فأجابوا فدخلت داراً لهم وأنخت الناقة وجلست تحت ظلةٍ لهم من جريد النخل، وفي الدار جويريةٌ لهم سوداء، إذ دخلت جاريةٌ كأنها سبيكة فضة وكان عينيها كوكبان دريان، فسألت الجارية: لمن هذه العيساء؟ تعني ناقتي فقلت: لضيفكم هذا. فعدلت إلي فقلت: السلام عليك، فرددت عليها السلام. فقلت لي: ممن الرجل؟ فقلت: من بني حنظلة. فقلت: من أيهم؟ فقلت: من بني هُشَل. فتبسمت وقالت: أنت إذاً ممن عناه الفرزدق بقوله:

بيتاً دعائمه أعز وأطول

إن الذي سمك السماء بنى لنا

ملك السماء فإنه لا ينقل

بيتاً بناه لنا المليك وما بنى

ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشل

بيتاً زرارة محتبٍ بفنائهِ

قال: فقلت: نعم جعلت فداك! وأعجبي ما سمعت منها. فضحكت وقالت: فإن ابن الخطفى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذي فخرتم به حيث يقول:

وبنى بناءك بالحضيض الأسفل

أخزى الذي رفع السماء مجاشعاً

دنساً مقاعده خبيث المدخل

بيتاً يحمم قينكم بفنائهِ

قال: فوجئت. فلما رأت ذلك في وجهي قالت: لا عليك، فإن الناس يقال فيهم ويقولون: ثم قالت: أين تؤم؟ قلت: اليمامة. فتنفست الصعداء ثم قالت: ها هي تلك أمامك، ثم أنشأت تقول:

بها أهل المروءة والكرامة

تذكرني بلاداً خير أهلي

يسح بدره بلد اليمامة

ألا فسقى الإله أجش صوباً

فأهلٌ للتحية والسلامة

وحيا بالسلام أبا نجيدٍ

قال: فأنست بها وقلت لها: أذاتِ خدنٍ أم ذاتِ بعلٍ؟ فأنشأت تقول:

تؤرقه الهموم إلى الصباح

إذا رقد النيام فإن عمراً

فلا هو بالخلي ولا بصاح

تقطع قلبه الذكرى وقلبي

بها عمروٌ ويحن إلى الرواح

سقى الله اليمامة دار قوم

فقلت لها: من عمرو هذا؟ فأنشأت تقول:

ومن لك بالجواب سوى الخبير

سألت ولو علمت كففت عنه

هو القمر المضيء المستنير

فإن تك ذا قبولٍ إن عمراً

ولو رد التبعل لي أسيري

وما لي بالتبعل مستراحٌ

قال: ثم سكنت سكتةً كأنها تتسمع إلى كلام، ثم تهافتت وأنشأت تقول:

كأنك قد حملت على سرير

يخيل لي هيا عمرو بن كعبٍ

رماك الحب بالعلق العسير

يسير بك الهوينى القوم لما

مبكرةً عليك إلى القبور

فإن تك هكذا يا عمرو إني

ثم شهقت شهقة فخرت ميتةً. فقلت لهم: من هذه؟ فقالوا: هذه عقيلة بنت الضحاك بن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء. فقلت لهم: فمن عمرو هذا؟ قالوا: ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق بن النعمان بن المنذر، فارتحلت من عندهم. فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فإذا هو قد دفن في ذلك الوقت الذي قلت فيه ما قالت.

قصته مع عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو الهيثم بدر بن سعيد العطار قال حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: لما استخلف عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يصلون إليه، فجاء عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعليه عمامةٌ قد أرخى طرفيها فدخل، فصاح به جرير:

هذا زمانك إني قد مضى زمني

يأيها القارئ المرخى عمامته

أني لدى الباب كالمصفود في قرن

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقية

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هياً له شعراً، فلما دخل عليه غيره وقال:

من الخليفة ما نرجو من المطر

إننا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا

نال الخلافة إذ كانت له قدراً
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت
ما زلت بعدك في دارٍ تعرفني
لا ينفع الحاضر المجهود بادينا
كما أتى ربه موسى على قدر
أم تكتفي بالذي بلغت من خبري
قد طال بعدك إصعادي ومنحدي
ولا وجود لنا بادٍ على حضر
ومن يتيمٍ ضعيف الصوت والبصر
خبلاً من الجن أو مساً من النشر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به
ممن يعذك تكفي فقد والده

قال: فبكى عمر ثم قال: يا بن الخطمي، أمن أبناء المهاجرين أنت فنعرف لك حقهم، أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء، وإني لمن أكثر قومي مالاً، وأحسنهم حالاً، ولكني أسألك ما عودتني الخلفاء: أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوةٍ وحملان. فقال له عمر: كل امرئ يلقى فعله، وأما أنا فما أرى لك في مال الله حقاً، ولكن انتظر، يخرج عطائي، فأنظر ما يكفي عيالي سنةً منه فأدخره لهم، ثم إن فضل صرفنها إليك. فقال جرير: لا، بل يوفر أمير المؤمنين ويحمد وأخرج راضياً، قال: فذلك أحب إلي، فخرج. فلما ولى قال عمر: إن شر هذا ليتقي، ردوه إلي، فردوه فقال: إن عندي أربعين ديناراً وخلعتين إذا غسلت إحدهما لبست الأخرى، وأنا مقاسمك ذلك، على أن الله جل وعز يعلم أن عمر أحوج إلى ذلك منك. فقال له: قد وفرك الله يا أمير المؤمنين وأنا والله راض. قال: أما وقد حفلت فإن ما وفرته علي ولم تضيق به معيشتنا آثر في نفسي من المدح، فامض مصاحباً، فخرج. فقال له أصحابه وفيهم الفرزدق: ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزره؟ قال: خرجت من عند رجل يقرب الفقراء ويباعد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ ثم وضع رجله في غرز راحلته وأتى قومه. فقالوا له: ما صنع بك يا أمير المؤمنين أبا حزره؟ فقال:

تركت لكم بالشأم حبل جماعة
وجدت رقي الشيطان لا تستقره
أمين القوى مستحصد العقد باقيا
وقد كان شيطاني من الجن راقيا

هذه رواية عمر بن شبة. وأما اليزيدي فإنه قال في خبره: فقال له جرير يا أمير المؤمنين، فإني ابن سبيل. قال: لك ما لأبناء السبيل، زادك ونفقةً تبلغك وتبدل راحلتك إن لم تحملك. فألح عليه، فقالت له بنو أمية: يا أبا حزره، مهلاً عن أمير المؤمنين، ونحن نرضيك من أموالنا عنه، فخرج. وجمعت له بنو أمية مالاً عظيماً، فما خرج من عند خليفة بأكثر مما خرج من عند عمر.

رؤيا أمه وهي حامل به: أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة

قال: رأت أم جرير وهي حاملٌ به كأنها ولدت حبلاً من شعرٍ أسود، فلما سقط منها جعل يتزو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ، فانتبهت فرعة فأولت الرؤيا فقبل لها: تلدين غلاماً شاعراً ذا شرٍّ وشدة شكيمة وبلاءٍ على الناس. فلما ولدته جريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها. قال: والجرير: الحبل. قال إنه أشعر الناس لأنه فاخر بأبيه وهو دنيء: قال إسحاق وقال الأصمعي حدثني بلال بن جرير - أو حدثت عنه - أن رجلاً قال لجرير: من أشعر الناس؟ قال له

قال: وكان يزيد بن معاوية عاتب أباه بهذه الأبيات ونسبها إلى نفسه، لأن جريراً لم يكن شعره شهر حينئذٍ. فقدم جرير على يزيد في خلافته فاستؤذن له مع الشعراء، فأمر يزيد ألا يدخل عليه شاعر إلا من عرف شعره، فقال جرير: قولوا له: أنا القائل:

فردبي جمال الحي ثم تحملي فما لك فيهم من مقام ولا ليا

فأمر بإدخاله. فلما أنشده قال يزيد: لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلا أي قائلها، وأمر له بجائزة وكسوة. استعار من أبيه فحلاً ولما استرده منه عرض به: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال قال أبو عبيدة قال أبو عمرو: استعار جرير من أبيه فحلاً بطرقه في إبله، فلما استغنى عنه جاءه أبوه في بتّ خلقٍ يسترده، فدفعه إليه وقال: يا أبت، هذا ترد إلى عطية تعتل. يعرض بقول الفرزدق فيه:

ليس الكرام بنا حليك أباهم حتى ترد عطية تعتل

اتعاضه بجائزة مرت عليه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي وعمر بن شبة قالوا حدثنا الأصمعي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال: جلس جرير يملئ على رجل قوله:

ودع أمانة حان منك رحيل إن الوداع لمن تحب قليل

فمروا عليه بجائزة، فقطع الأنشاد وجعل ييكى، ثم قال: شيتني هذه الجائزة. قال أبو عمرو: فقلت له: فعلام تقذف المحصنات منذ كذا وكذا! فقال: إهم يبدءوني ثم لا أعفو. قيل إنه فضل لمقاومته الفرزدق: أخبرني عمي قال حدثنا يزيد بن محمد المهلب قال حدثنا عبد الله بن المعذل قال: كان أبي وجماعة من علمائنا يقولون: إنما فضل جرير لمقاومته الفرزدق، وأفضل شعره قاله جرير:

حي الهدملة من ذات المواعيس

هجا بني الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد في مسجدهم: أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو الغراف قال: أتى الفرزدق مجلس بني الهجيم في مسجدهم فأنشدهم، وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغد لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا اتق الله! فإن هذا المسجد إنما بني لذكر الله والصلاة. فقال جرير: أقرتم للفرزدق ومنعتموني! وخرج مغضباً وهو يقول:

إن الهجيم قبيلة معلونة حص اللحي متشابهو الألوان

هم يتركون بنيهم وبناتهم صعر الأنوف لريح كل دخان

لو يسمعون بأكلة أو شربة بعمان أصبح جمعهم بعمان

قال: وخفة اللحي في بني هجيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بني الهجيم حص اللحي؟ قال: إن الفحل واحد.

حديثه مع عبد الملك أو الوليد ابنه عن الشعراء وعن نفسه: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن

بن عليل العتري قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم قال سمعت عمارة بن عقيل يحدث عن أبيه عن جده قال: قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير: من أشعر الناس؟ قال فقال: ابن العشرين. قال: فما رأيك في ابني أبي سلمى؟ قال: كان شعرهما نيرا يا أمير المؤمنين. قال: فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتخذ الخبيث الشعر نعين، وأقسم بالله لو أدركته لرفعت ذلأذله. قال: فما تقول في ذي الرمة؟ قال: قدر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد. قال: فما تقول في الأخطل؟ قال: ما أخرج لسان ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في الفرزدق؟ قال: في يده والله يا أمير المؤمنين نبعة من الشعر قد قبض عليها. قال: فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً؟ قال: بلى والله يا أمير المؤمنين! إني لمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود، نسبت فأطربت، وهجوت فأرديت، ومدحت فسنيت، وأرملت فأغزرت، ورجزت فأبحرت، فأنا قلت ضروب الشعر كلها، وكل واحد منهم قال نوعاً منها. قال: صدقت.

طلبت جاريه له أن يبيعها فعيه الفرزدق ذلك:

أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي قال: كانت لجرير أمة وكان بها معجباً، فاستخفت المطعم والملبس والغشيان واستقلت ما عنده، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد، أهل حصب ونعمة، فسأته أن يبيعها وألحت في ذلك، فقال فيها:

تكلني معيشة آل زيد

ومن لي بالمرفق والصناب

وما ضمي وليس معي شبابي

تقول ألا تضم كضم زيد

فقال الفرزدق يعير ذلك:

فإن تفقرك علجة آل زيد

ويعجزك المرقق والصناب

يعيش بما تعيش به الكلاب

فقدماً كان عيش أبيك مرأً

قصته مع ذي الرمة عند المهاجر بن عبد الله: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا العباس بن ميمون قال حدثنا التوزي عن أبي عبيدة عن أيوب بن كسيب قال: دخل جرير على المهاجر بن عبد الله وهو والي اليمامة وعنده ذو الرمة ينشده. فقال المهاجر بن عبد الله لجرير: كيف ترى؟ قال: لقد قال وما أنعم. فغضب ذو الرمة ونهض وهو يقول:

أنا أبو الحارث واسمي غيلان

فنهض جرير وقال:

إن تضرساني تضرسا مضرسا

من شاء من نار الجحيم اقتبساً

إني امرأ خلقت شكساً أشوساً

قد لبس الدهر وأبقى ملبساً

قال: فجلس ذو الرمة وحاد عنه فلم يجبه.

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا ابن النطاح عن أبي عبيدة قال: كان ذو الرمة ممن أعان على جرير ولم يصحر له، فقال جرير فيه:

أقول نصيحةً لبني عديّ

ثيابكم ونضح دم القتيل

وهي قصيدة. قال: وكانوا يتعاونون عليه ولا يصحرون له.

حديثه مع ذي الرمة وهشام المرثي: أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو الغراف قال: قال الفرزدق لذي الرمة: أهاك البكاء في الديار وهذا العبد يرجز بك يعني هشاماً المرثي بمقبرة بني حصن. قال: وكان السبب في الهجاء بين ذي الرمة وهشام أن ذا الرمة نزل بقربة لبني امرئ القيس يقال لها: امرأة نأ، فلم يقروه ولم يعلفوا له، فارتحل وهو يقول:

نزلنا وقد طال النهار وأوقدت

علينا حصى المعزاء شمسٌ تنالها

أنخنا فظللنا بأبراد يمنية

رقاقٍ وأسيافٍ قديمٍ صقالها

فلما رأنا أهل مرأة أغلقوا

مخادع لم ترفع لخيرٍ ظلالها

وقد سميت باسم امرئ القيس قرية

كرامٍ صواديها لئامٍ رجالها

يظل الكرام المرملون بجوها

سواءً عليهم حملها وحيالها

ولو وضعت أكوارها عند بيهسٍ

على ذات غسلٍ لم تشمس رحالها

فقال جرير لهشام، وكان يتهم ذا الرمة بهجائه التيم وهم إخوة عدي: عليك العبد يعني ذا الرمة. قال: فما أصنع يا أبا حذرة وهو يقول القصيد وأنا أقول الرجز، والرجز لا يقوم للقصيد؟ فلو رفدتني! قال: قل له:

عجبت لرجلٍ من عديٍّ مشمسٍ

وفي أي يومٍ لم تشمس رحالها

وفيم عديٍّ عند تيم من العلا

وأيامنا اللاتي يعد فعالها

مددت بكفٍ من عديٍّ قصيرة

لتدرك من زيد يداً لا تنالها

وضبة عمي يا بن جلٍ فلا ترم

مساعي قومٍ ليس منك سجالها

يماشي عدياً لؤمها ما تجنه

من الناس ما ماشت عدياً ظلالها

فقل لعديٍّ تستعن بنسائها

علي فقد أعيا عدياً رجالها

أذا الرم قد قلدت قومك رمة

بطيئاً بأيدي المطلقين انحلالها

ترى اللؤم ما عاشت عديٌّ مخلاً

سراييلها منه ومنه نعالها

قال: فلج الهجاء بين ذي الرمة وهشام. فلما أنشد المرثي هذه الأبيات وسمعها ذو الرمة قال: كذب العبد السوء! ليس هذا الكلام له، هذا كلامٌ نحديّ حنظلي، هذا كلام ابن الأتّان. قال: ولم يزل ذو الرمة مستعليّاً على هشام حتى لقيه جرير فرفده هذه الأبيات.

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عدنان قال حدثني أبو صخر من ولد حجناء بن نوح بن جرير قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال:

أتى هشام بن قيس المرثي أبي يعني جريراً فاسترفده على ذي الرمة، وقد كانا تهاجيا دهرًا، وكان سبب ذلك أن ذا الرمة نزل على أهل قرية لبني امرئ القيس فلم يدخلوا رحله، فذمهم في القرى، ومدح بيهساً صاحب ذات غسل - وهو مرثي. وذات غسل: قرية له - فقال ذو الرمة:

ولما وردنا مرأة اللوم أغلقت

دساكر لم تفتح لخير ظلالها

ولو عريت أصلابها عند بهيس

على ذات غسل لم تشمس رحالها

إذا ما امرؤ القيس ابن لؤم تطعمت

بكأس الندامى خبثتها سبالها

فقال جرير للمرثي: قل له.

غضبت لرحل من عدي مشمس

وفي أي يوم لم تشمس رحالها

وذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خليفة. قال: فلقى ذو الرمة جريراً فقال له: تعصب للمرثي وأنا خالك! قال: حين قلت ماذا؟ قال: حين قلت له أن يقول لي:

عجبت لرحل من عدي مشمس

فقال له جرير: لا! بل أهلك البكاء في دارمية حتى أبيحت محارمك. قال: وكان بلغ جريراً ميل ذو الرمة عليه، فجعل يعتذر إليه ويخلف له. فقال له جرير: اذهب الآن فقل للمرثي:

يعد الناسبون إلى تميم

بيوت المجد أربعة كبارا

يعدون الرباب وآل سعد

وعمرًا ثم حنظلة الخيارا

ويهلك بينها المرثي لغواً

كما ألغيت في الدية الحوارا

فقال ذو الرمة قصيدته التي أولها:

نبت عيناك عن طللٍ بجزوى

عفته الريح وامتنح القطارا

وألحق فيها هذه الأبيات. فلما أنشدها وسمعها المرثي جعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بويله وحربه ويقول: ما لي وجرير! فقيل له: وأين جرير منك! هذا رجل يهاجيك وتهاجيه! فقال: هيهات! لا والله ما يحسن ذو الرمة أن يقول:

ويذهب بينها المرئي لغواً

كما ألغيت في الدية الحوار

هذا والله كلام جرير ما تعداه قط. قال: ومر الفرزدق بذى الرمة وهو ينشده هذه القصيدة، فلما أنشد الأبيات الثلاثة فيها قال له الفرزدق: أعد يا غيلان، فأعاد، فقال له: أأنت تقول هذا؟ نعم يا أبي فراس. قال: كذب فوك! والله لقد نخلكها أشد لحين منك، هذا شعر ابن الأتات. قال وجاء المرثيون إلى جرير فقالوا: يا أبا حزره، قد استعلى علينا ذو الرمة، فأعنا على عادتك الجميلة. فقال: هيهات! قد والله ظلمت خالي لكم مرةً وجاءني فاعتذر وحلف، وما كنت لأعينكم عليه بعدها. قال: ومات ذو الرمة في تلك الأيام.

أقر له نصيب بالسبق عليه وعلى جميل: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني العمري عن لقيط قال حدثني أبو بكر بن نوفل قال حدثني من سأل النصيب قال: قلت له: يا أبا محجن، بيتٌ قلته نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ، فأحب أن تخبرني أيكم فيه أشعر؟ قال: وما هو؟ قلت قولك:

أضر بها التهجير حتى كأنها

أكب عليها جازرٌ معترق

وقال جميل:

أضر بها التهجير حتى كأنها

بقايا سلالٍ لم يدعها سلالها

وقال جرير:

إذا بلغوا المنازل لم تقيد

وفي طول الكلال لها قيود

فقال: نصيب: قاتل الله ابن الخطفي! ما أشعره!. قال: فقال له الرجل: أما أنت فقد فضلت؛ فقال: هو ما أقول لك.

قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس: أخبرني ابن نصر المهلي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الرحمن بن القاسم العجلي قال حدثني الحسن بن علي المنقري قال قال مسعود بن بشر: قلت لابن مناذر بمكة: من أشعر الناس؟ قال: من إذا شئت لعب، وإذا شئت جد، فإذا لعب أطعمك لعبه فيه، وإذا رمته بعد عليك، وإذا جد فيما قصد له أياسك من نفسه. قلت: مثل من؟ قال: مثل جرير حين يقول إذا لعب:

إن الذين غدوا بلبك غادروا

وشلاً بعينك ما يزال معينا

ثم قال حين جد:

إن الذي حرم المكارم تغلباً

جعل الخلافة والنبوة فينا

مضرٌ أبى وأبو الملوك فهل لكم

يا آل تغلب من أب كأبينا

هذا ابن عمي في دمشق خليفة

لو شئت ساقكم إلي قطينا

اعترض عليه عبد الملك بن مروان في هذا الشعر: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو قال: لما بلغ عبد الملك قول جرير:

لو شئت ساقكم إلي قطينا

هذا ابن عمي في دمشق خليفة

قال: ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطياً! أما إنه لو قال:

لو شاء ساقكم إلي قطينا

لستهم إليه كما قال.

فضله بشار على الأخطل وعلى الفرزدق: أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال: سألت بشاراً العقيلي عن الثلاثة فقال: لم يكن الأخطل مثلهما، ولكن ربيعة تعصبت له وأفرطت فيه. قلت: فجرير والفرزدق؟ قال: كان جريرٌ يحسن ضرباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق، وفضل جريراً عليه.

مقارنة بينه وبين الأخطل والفرزدق: وقال ابن سلام: قال العلاء بن جرير - وكان قد أدرك الناس وسمع -: كان يقال: الأخطل إذا لم يجيء سابقاً فهو سكيك، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيكاً فهو بمنزلة المصلي أبداً، وجرير يجيء سابقاً ومصلياً وسكيكاً. قال ابن سلام: وتأويل قوله: إن الأخطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طوالاً روائع غراً جيداً هو بمن سابق، وسائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السكيك - والسكيك: آخر الخيل في الرهان - والفرزدق دونه في هذه الروائع وفوقه في بقية شعره، فهو كالمصلي أبداً - وهو الذي يجيء بعد السباق وقبل السكيك - وجرير له روائع هو بمن سابق، وأوساط هو بمن مصل، وسفاسفات هو بمن سكيك. مناقضة بينه وبين الفرزدق: أخبرني أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني حاجب بن زيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة قال: قال جرير بالكوفة

وما كنت تلقاني الجنيبة أقودا

لقد قادني من حب ماوية الهوى

فغار الهوى يا عبد قيس وأنجدا

أحب ثرى نجد وبالغور حاجة

بأي ترى مستوقد النار أوقدا

أقول له يا عبد قيس صبابه

بحيث استفاض الجزع شيحاً وغرقدا

فقال أرى ناراً يشب وقودها

فأعجب الناس وتناشدوها. قال: فحدثني جابر بن جندل قال: فقال لنا جرير: أعجبتكم هذه الأبيات؟ قالوا: نعم. قال: كأنكم بآبن القين وقد قال:

أضاءت لك النار الحمار المقيدا

أعد نظراً يا عبد قيس لعلماء

قال: فلم يلبثوا أن جاءهم قول الفرزدق هذا البيت وبعده:

وظيفيه حول البيت حتى تزردا

حماراً بمرور السحامة قاربت

كريماً ولم يسبح بها الطير أسعدا

كلبية لم يجعل الله وجهها

قال: فتناشدها الناس. فقال الفرزدق: كأنكم بآبن المراغة قد قال:

وما عبت من نار أضاء وقودها

فراساً وبسطام بن قيس مقيدا

قال فإذا بالبيت قد جاء لجرير ومعه:

وأوقدت بالسيدان ناراً ذليلةً

وأشهدت من سوءات جعثن مشهدا

جرير والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان: أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جشم عن عمارة بن عقيل عن أبيه قال: وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده، وقد كانا تهاجيا ولم ير أحد منهما صاحبه، فلما استأذنا عليه لجرير أذن له فدخل فسلم ثم جلس وقد عرفه الأخطل، فطمح طرف جرير إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعت نومك وتهضمت قومك. فقال له جرير: ذلك أشقى لك كائناً من كنت. ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال: من هذا يا أمير المؤمنين؟ جعلني الله فداك! فضحك ثم قال: هذا الأخطل يا أبا حذرة. فرد عليه بصره ثم قال: فلا حياك الله يا بن النصرانية! أما منعك نومي فلو نمت عندك لكان خيراً لك. وأما تهضمك قومي فكيف تهضمهم وأنت ممن ضربت عليه الذلة وباء بغضب من الله وأدى الجزية عن يد وهو صاغر. وكيف تهضم لا أم لك فيهم النبوة والخلافة وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه لا حاكم. ثم أقبل على عبد الملك فقال: ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية، فقال لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتي. تحاكم هو وبنو حمان إلى إبراهيم بن عدي في بئر فحكم له: أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال: نازع جرير بني حمان في ركية لهم، فصاروا إلى إبراهيم بن عدي باليمامة يتحاكمون إليه؛ فقال جرير:

أعوذ بالأمير غير الجبار

من ظلم حمان وتحويل الدار

ما كان قبل حفرنا من محفار

وضربي المنقار بعد المنقار

في جبل أصم غير خوار

يصيح بالجب صياح الصرار

له صهيل كصهيل الأمهار

فاسأل بني صحب ورهط الجرار

والسلميين العظام الأخطار

والجار قد يخبر عن دار الجار

فقال الحماني:

ما لكليب من حمى ولا دار

غير مقام أتن وأعيار

قعس الظهور داميات الأتقار

قال فقال جرير: فعن مقامهن، جعلت فداك، أجادل. فقال ابن عدي للحماني: لقد أقررت لخصمك، وحكم بها لجرير.

نزل بيني مازن وبني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم: قال ابن سلام وأخبرني أبو يحيى الضبي قال: بينا جرير يسير على راحته إذ هجم على أبيات من مازن وهلال - وهما بطنان من ضبة - فخافهم، لسوء أثره في ضبة، فقال:

فلا خوفٌ عليك ولن تراعي
هما الحيان إن فرعا يطيرا
أمازن يا بن كعب إن قلبي
غطاريفٌ يبيت الجار فيهم
بعقوة مازن وبني هلال
إلى جردٍ كأمثال السعالي
لكم طول الحياة لغير قالي
قريير العين في أهلٍ ومال

قال: أجل يا أبا حذرة فلا خوف عليك.

وفد على عبد الملك في دمشق فالتف الناس حوله في المسجد دون الفرزدق: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال شعيب بن صخر حدثني هارون بن إبراهيم قال: رأيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق وقد قدماها على الوليد بن عبد الملك والناس عنقٌ واحد على جرير: قيس وموالي بني أمية يسلمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حذرة في مسيرك، وكيف أهلك وأسبابك. وما يطيف بالفرزدق إلا نفرٌ من خندف جلوسٌ معه. قال شعيب: فقلت لهارون: ولم ذلك؟ قال: لمدحه قيساً وقوله في العجم:

فيجمعنا والغر أولاد سارة
أبٌ لا نبالي بعده من تعذرا

قال شعيب: بلغني أنه أهديت له يومئذ مائة حلة، أهداها إليه الموالى سوى غيرهم، وأخبرني بهذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام عن شعيب بن صخر، فذكر نحوه من حكاية أبي زيد، إلا أنها أتم من حكاية ابن سلام. وقال أبو خليفة في خبره: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال يقول: وافته في يومه ذلك مائة حلة من بني الأحرار. رأي الأحوص في قباء فعرض به لثلاث يعين عليه: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني أحمد بن الهيثم الفراسي قال: بينا جرير بقاء إذ طلع الأحوص وجرير ينشد قوله:

لولا الحياء لعادني استعبار
ولزرت قبرك والحبیب يزار

فلما نظر إلى الأحوص قطع الشعر ورفع صوته يقول:

عوى الشعراء بعضهم لبعض
إذا أرسلت قافيةً شروداً
فمصطلم المسامع أو خصي
وآخر عظم هامته حطام
علي فقد أصابهم انتقام
رأوا أخرى تحرق فاستداموا

ثم عاد من حيث قطع. فلما فرغ قيل له: ولم قلت هذا؟ قال: قد نھيت الأحوص أن يعين علي الفرزدق، فأنا والله يا بني عمرو بن عوف ما تعوذت من شاعر قط، ولولا حقكم ما تعوذت منه.

أوفده الحجاج على عبد الملك مع ابنه محمد وأوصاه به: أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الحسن بن الحسين السكري قال: قال عمارة بن عقيل حدثني أبي عن أبيه: أن الحجاج أوفد ابنه محمد بن الحجاج إلى عبد الملك وأوفد إليه جريراً معه ووصاه به وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه. فلما وردا استأذن له محمد على عبد الملك، فلم يأذن له، وكان لا يسمع من شعراء مضر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زبيريّة. فلما استأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول: إنه لم يكن ممن وإلى ابن الزبير ولا نصره بيده ولا لسانه، وقال له محمد: يا أمير المؤمنين: إن العرب لتحدث أن عبدك وسيفك الحجاج شفع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلته ثم رددته، فأذن له فدخل فاستأذن في الإنشاد، فقال له: وما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجاج! أأنت القائل:

من سد مطلع النفاق عليكم أم من يصول كصوله الحجاج

إن الله لم ينصربي بالحجاج وإنما نصر دينه وخليفته. أو لست القائل:

أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يتقن بغيرة الأزواج

يا عاض كذا وكذا من أمه! والله لھممت أن أطير بك طيرةً بطيئاً سقوطها، أخرج عني، فأخرج بشرّاً. فلما كان بعد ثلاث شفع إلي محمد لجرير وقال له: يا أمير المؤمنين، إني أدیت رسالة عبدك الحجاج وشفاعته في جرير، فلما أذنت له مخاطبته بما أطار لبه منه وأشمت به عدوه، ولو لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع. فإن رأيت أن تهب كل ذنب له لعبدك الحجاج ولي فافعل، فإذا لم تأذن له. فاستأذنه في الإنشاد، فقال: لا تشدني إلا في الحجاج فإنما أنت للحجاج خاصة. فسأله أن ينشده مديحه فيه، فأبى وأقسم ألا ينشده إلا من قوله في الحجاج، فأنشده وخرج بغير جائزة. فلما أزف الرحيل قال جرير ل محمد: إن رحلت عن أمير المؤمنين ولم يسمع مني ولم آخذ له جائزة سقطت آخر الدهر، ولست بارحاً بابه أو يأذن لي في الإنشاد. وأمسك عبد الملك عن الإذن له. فقال جرير: إرحل أنت وأقيم أنا. فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له وسأله أن يسمع منه وقبل يده ورجله، فإذا لم تأذن له. فدخل فاستأذن في الإنشاد، فأمسك عبد الملك. فقال له محمد: أنشد ويحك! فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فتبسم عبد الملك وقال: كذلك نحن وما زلنا كذلك. ثم اعتمد على ابن الزبير فقال:

دعوت الملحدین أبا خبيب جماحاً هل شفيت من الجماح

ألف العيص ليس من النواحي

وقد وجدوا الخليفة هبرزياً

بعشات الفروع ولا ضواحي

وما شجرات عيصك في قریش

قال: ثم أنشده إياها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال:

رأيت الموردين ذوي لقاح

تعزت أم حزرة ثم قالت

بأنفاس من الشبم القراح

تعلل وهي ساغبةً بنبيها

فقال عبد الملك: هل ترويهما مائة لقحة؟ فقال: إن لم يروها ذلك فلا أروها الله! فهل إليها - جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين - من سبيل؟ فأمر له بمائة لقحة وثمانية من الرعاء. وكانت بين يديه جامات من ذهب، فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، تأمر لي بواحدة منهن تكون محلباً؟ فضحك وندس إليه واحدةً منهن بالقضيب وقال: خذها لا نفعتك! فأخذها وقال: بلى والله يا أمير المؤمنين لينفعني كل ما منحتني، وخرج من عنده. قال: وقد ذكر ذلك جرير في شعره فقال يمدح يزيد بن عبد الملك.

ما في عطائهم من ولا سرف

أعطوا هنيذة يحدوها ثمانية

هجا سراقه البارقي بأمر بشر بن مروان لأنه فضل الفرزدق عليه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثني دماذ أبو غسان عن أبي عبيدة قال: بذل محمد بن عمير بن عطارذ بن حاجب بن زرارة أربعة آلاف درهم وفرساً لمن فضل من الشعراء الفرزدق على جرير، فلم يقدم عليه أحد منهم إلا سراقه البارقي فإنه قال يفضل الفرزدق:

والحكم يقصد مرة ويجور

أبلغ تميماً غثها وسمينها

سبقاً وخلف في الغبار جرير

أن الفرزدق برزت أعراقه

وابن المراغة مخلف محسور

ذهب الفرزدق بالفضائل والعللا

بالميل في ميزانهم لبصير

هذا قضاء البارقي وإنني

قال أبو عبيدة فحدثني أيوب بن كسيب قال حدثني أبي قال: كنت مع جرير، فأتاه رسول بشر بن مروان فدفع إليه كتابه، وقال له: إنه قد أمرني أن أوصله إليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر في يومك إن لقيتك نهاراً أو ليلتك إن لقيتك ليلاً، وأخرج إليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره بأن يجيب عنها. فأخذها ومكث ليلته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه، فهتف به صاحبه من الجن من زلوية البيت فقال له: أزعمت أنك تقول الشعر! ما هو إلا أن غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئاً! فهلا قلت:

هلا قضيت لنا وأنت أمير

يا بشر حق لوجهك التبشير

فقال له جرير: حسبك كفيتك. قال: وسمع قائلاً يقول لآخر: قد أثار الصبح، فقال جرير:

يا صاحبي هل الصباح منير
إلى أن فرغ منها، وفيها يقول:

أم هل للوم عواذلي تفتير

قد كان حقك أن تقول لبارق
يعطى النساء مهورهن كرامةً

يا آل بارق فيم سب جرير
ونساء بارق ما لهن مهور

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بشر، فقرئت بالعراق وأفحم سراقه فلم ينطق بعدها بشيء من مناقضته. مناقضته عمر بن لجأ وسبب ذلك: أخبرني أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام حدثني أبو يحيى الضبي قال: كان الذي هاج الهجاء بين جرير وعمر بن لجأ أن عمر كان ينشد أرجوزةً له يصف فيها إبله وجرير حاضر، فقال فيها:

قد وردت قبل إنا ضحائها

تفرس الحيات في خرشائها

جر العجوز الثني من ردائها

فقال له جرير: أخفقت. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

جر العروس الثني من ردائها

فقال له التيمي أنت أسوأ قولاً مني حيث تقول:

وأوثق عند المردفات عيشةً

لحاقاً إذا ما جرد السيف لامع

فجعلتهن مردفات غدوةً ثم تداركتهن عشيةً. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

وأوثق عند المرهفات عشيةً

فقال جرير: والله لهذا البيت أحب إلي من بكري حزرة، ولكنك مجلبٌ للفرزدق. وقال فيه جرير:

هلا سوانا ادرأتم يا بني لجأ

شيئاً يقارب أو وحشاً لها غرر

أحين كنت سمماً يا بني لجأ

وخاطرت بي عن أحسابها مضر!

خل الطريق لمن يبني المنار به

وابرز ببرزة حيث اضطررك القدر

أنت ابن برزة منسوباً إلى لجأ

عند العصاراة والعيدان تعتصر

ويروي:

ألست نزره خوارٍ على أمة

عند العصاراة والعيدان تعتصر

فقال ابن لجأ يرد عليه:

لقد كذبت وشر القول أكذبه
بل أنت نذرة خوار على أمة
ما قلت من هذه إلا سأنقضها
ما خاطرت بك عن أحسابها مضر
لا يسبق الحلبات اللؤم والخور
يا ابن الأتان بمثلي تنقض المرر

وقال عمر بن لجأ:

عجبت لما لاقت رياح من الأذى
غضاباً لكلب من كليب فرسته
إذا ما ابن يربوع أتاك لمأكل
فقل لابن يربوع ألسنت براحض
تمسح يربوع سبالاً لئيمة
بها من مني العبد رطب ويابس
وما اقتبسوا من ي وللشر قابس
هوى ولشدات الأشود فرائس
على مجلس إن الأكيل مجالس
سبالك عنا إنهن نجائس

قال: ثم اجتمع جرير وابن لجأ بالمدينة وقد وردها الوليد بن عبد الملك، وكان يتأله في نفسه، فقال: أتقذفان الحصنات وتغضبان! ثم أمر أبا بكر محمد بن حزم الأنصاري - وكان والياً له بالمدينة - بضربهما، فضربهما وأقامهما على البلس مقرونين، والتميمي يومئذ أشب من جرير، فجعل يشول بجرير وجرير يقول وهو المشول به:

فلست مفارقاً قرني حتى
يطول تصعدي بك وانحداري

فقال ابن لجأ:

ولما أن قرنت إلى جرير
أبى ذو بطنه إلا انحدارا

فقال له قدامه بن إبراهيم الجمحي: وبئسما قلت! جعلت نفسك المقرون إليه! قال: فكيف أقول؟ قال تقول:

ولما لز في قرني جرير

فقال: حزيت خيراً، لا أقوله والله أبداً إلا هكذا.

هو والأخطل في حضرة عبد الملك ابن مروان: حدثني محمد بن عمران الصيرفي قال حدثنا العتري قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي قال حدثني عمارة بن عقيل عن أبيه قال:

وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده، وقد كانا تهاجيا ولم يلق أحدهما صاحبه. فلما استأذنا لجرير أذن له فسلم وجلس، وقد عرفه الأخطل، فطمح بصر جرير إليه فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعت نومك وهضمت قومك. فقال له جرير: ذاك أشقى لك كائناً من كنت. ثم أقبل على عبد الملك فقال: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فضحك وقال: هذا الأخطل يا أبا حذرة. فرد بصره إليه وقال: فلا حياك الله يا بن النصرانية! أما منعك نومي فلو نمت عنك لكان خيراً لك. وأما تهضمك قومي فكيف تهضمهم وأنت ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله! إذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية. فقال: لا يكون

لك بين يدي. فوثب جريرٌ مغضباً. فقال عبد الملك: قم يا أخطل واتبع صاحبك، فإنما قام غضباً علينا فيك، فنهض الأخطل. فقال عبد الملك لخدم له: انظر ما يصنعان إذ برز له الأخطل. فخرج جرير فدعا بغلام له فقدم إليه حصاناً له أدهم فركبه وهدر والفرس يهتز من تحته، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارى خلفه، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير. فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره، فضحك وقال: قاتل الله جريراً! ما أفحله! أما والله لو كان النصراني برز إليه لأكله.

سئل عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فأجاب: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو قال: سئل جرير أي الثلاثة أشعر؟ فقال: أما الفرزدق فيتكلف مني ما لا يطيقه، وأما الأخطل فأشدنا اجترأً وأرماناً للغرض، وأما أنا فمدينة الشعر. وقد حدثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن الأصمعي فذكر نحو ما ذكره الرياشي، وقال في خبره: وأما الأخطل فأنعتنا للخمر وأمدحنا للملوك. فضله أبو مهدي على جميع الشعراء: أخبرنا عمي قال حدثنا الكراخي قال حدثنا العمري عن عطاء بن مصعب قال: قلت لأبي مهدي الباهلي وكان من علماء العرب: إما أشعر أجريز أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال: جرير أشعر العرب كلها، ثم قال: لا يزال الشعراء موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكم بينهم: لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم في قصيدة الراعي فجزعوا: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون قال سمعت أبا عثمان المازني يقول: قال جرير: هجوت بني طهية أنواع الهجاء، فلم يحفلوا بقولي حتى قلت في قصيدة الراعي:

حجارة خارية يرمي كلابا

كأن بني طهية رهط سلمى

فجزعوا حينئذ ولاذوا بي.

كان عاقاً لأبيه وابنه عاق له: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال: كان جرير من أعق الناس بأبيه، وكان بلال ابنه أعق الناس به. فراجع جرير بلالاً الكلام يوماً، فقال له بلال: الكاذب مني ومنك ناك أمه. فأقبلت أمه عليه وقالت له: يا عدو الله! أتقول هذا لأبيك! فقال جرير: دعيه، فو الله لكأنه سمعها مني وأنا أقولها لأبي.

هجا عمر بن يزيد لتعصبه للفرزدق عليه: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم قال حدثنا العمري عن لقيط قال: كان عمر بن يزيد بن عمير الأسدي يتعصب للفرزدق على جرير. فتزوج امرأة من بني عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم، فقال جرير:

فقد هجنت خيلهم العربا

نكحت إلى بني عدس بن زيد

وقد أخطأت بالقدم الركابا

أتتسى يوم مسكن إذ تنادي

وهي قصيدة، فاجتمعوا على عمر بن يزيد. ولم يزالوا به حتى خلعوا المرأة منه. استشفع عنيسة بن سعيد إلى الحجاج ثم أنشده فأجازه: أخبرني محمد بن خلف قال حدثني محمد بن الهيثم قال

حدثني عمي أبو فراس قال حدثني ودقة بن معروف قال:

نزل جريرٌ على عنبسة بن سعيد بواسط، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا بإذن الحجاج. فلما دخل على عنبسة، قال له: ويحك! لقد غررت بنفسك! فما حملك على ما فعلت؟ قال: شعرتُ قلته اعتلج في صدري وجاشت به نفسي وأحببت أن يسمعه الأمير. قال: فعنفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال: لا تطلعن رأسك حتى ننظر كيف تكون الحيلة لك. قال: فأتاه رسول الحجاج من ساعته يدعوه في يوم قائظ، وهو قاعدٌ في الخضراء وقد صب فيها ماء استنقع في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٍّ موضوعٌ ناحية. قال عنبسة: فقعدت على الكرسي، وأقبل علي الحجاج يحدثني. فلما رأيت تطلقه وطيب نفسه قلت: أصلح الله أمير! رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه، فاستخفه عجبه به حتى دعاه إلى أن رحل إليك ودخل مدينتك من غير أن يستأذن له. قال: ومن هو؟ قلت: ابن الخطفي. قال: وأين هو؟ قلت: في المنزل. قال: يا غلام! فأقبل الغلمان يتسارعون. قال: صف لهم موضعه من دارك، فوصفت لهم البيت الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، فأدخل عليه وهو مأخوذٌ بضبعيه حتى رمي به في الخضراء، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفس كما يتنفس الفرخ. فقال له: هيه! ما أقدمك علينا بغير إذننا لا أم لك؟ قال: أصلح الله الأمير! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثله أحدٌ، فجاش به صدري وأحببت أن يسمعه مني الأمير، فأقبلت به إليه. قال: فتطلق الحجاج وسكن، واستنشده فأنشده. ثم قال: يا غلام! فجاءوا يسعون. فقال: علي بالجارية التي بعث بها إلينا عامل اليمامة، فأتي بجارية بيضاء مديدة القامة. فقال: إن أصبت صفتها فهي لك. فقال: ما اسمها؟ قال: أمانة، فأنشأ يقول:

إن الوداع لمن تحب قليل

ودع أمانة حان منك رحيل

فالريح تجبر منته وتهيل

مثل الكئيب تهليت أعطافه

وأرى الشفاء وما إليه سبيل

تلك القلوب صوادياً تيمتها

فقال: خذ بيدها. فبكت الجارية وانتحبت. فقال: ادفعوها إليه بمناعتها وبغلها ورحالها.

أمره الحجاج وأمر الفرزدق بأن يدخل عليه بلباس آبائهما في الجاهلية: أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو الغراف قال: قال الحجاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بجزير البصرة: اثنياني في لباس آبائكما في الجاهلية. فلبس الفرزدق الديباج والخز وقعد في قبة. وشاور جريرٌ دهاة بني يربوع فقالوا له: ما لباس آبائنا إلا الحديد، فلبس جرير درعاً وتقلد سيفاً وأخذ رمحاً وركب فرساً لعباد بن الحصين يقال له المنحاز وأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع، وجاء الفرزدق في هيئته، فقال جرير:

عليه وشاحا كرج وجلاجه

لبست سلاحي والفرزدق لعبة

جريرٌ لكم بعلٌ وأنتم حلائله

أعدوا مع الحلي الملاب فإنما

ثم رجعا، فوقف جرير في مقبرة بني حصن ووقف الفرزدق في المريد. قال: فأخبرني أبي عن محمد بن زياد قال: كنت أختلف إلى جرير والفرزدق، وكان جرير يومئذ كأنه أصغرهما في عيني. هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك: أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: قدم الفرزدق اليمامة وعليها المهاجر بن عبد الله الكلابي فقال: لو دخلت على هذا فأصبت منه شيئاً ولم يعلم بي جرير! فلم تستقر به الدار حتى قال جرير:

رَأَيْتَكَ إِذْ لَمْ يَغْنِكَ اللَّهُ بِالْغَنَى رَجَعْتَ إِلَى قَيْسٍ وَخَذَكَ ضَارِع

وَمَا ذَاكَ إِنْ أَعْطَى الْفَرَزْدَقُ بَاسْتَهُ بِأُولِ ثَغْرِ ضِيَعَتِهِ مَجَاشِع

فلما بلغ ذلك الفرزدق قال: لا جرم والله لا أدخل عليه ولا أرزؤه شيئاً ولا أقيم باليمامة، ثم رحل. انتصار الفرزدق له على التيمي ثم صلحه مع التيمي: أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال قال أبو البيداء: لقي الفرزدق عمر بن عطية أخا جرير، وهو حينئذ يهاجي ابن لجأ، فقال له: ويلك! قل لأخيك: ثكلتك أمك! إيت التيمي من عل كما أصنع أنا بك. وكان الفرزدق قد أنف لجرير وحمي من أن يتعلق به التيمي. قال ابن سلام. فأنشدني له خلف الأحمر يقوله للتيمي:

وَمَا أَنْتَ إِلَّا قَرْمَا تَمِيمٍ تَسَامِيَا أَخَا التَّيْمِ إِلَّا كَالْوَشِيظَةِ فِي الْعَظَمِ

فَلَوْ كُنْتَ مَوْلَى الْعَزْ أَوْ فِي ظِلَالِهِ ظَلَمْتَ وَلَكِنْ لَا يَدِي لَكَ بِالظُّلَمِ

فقال له التيمي:

كَذَبْتَ أَنَا الْقَرْمُ الَّذِي دَقَ مَالِكاً وَأَفْنَاءَ يَرْبُوعٍ وَمَا أَنْتَ بِالْقَرْمِ

قال ابن سلام فحدثني أبو الغراف: أن رجال تميم مشت بين جرير والتيمي وقالوا: والله ما شعراءنا إلا بلاء علينا ينشرون مساوينا ويهجون أحياءنا وموتانا، فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلظة ألا يعودا في هجاء. فكف التيمي، وكان جرير لا يزال يسئل الواحدة بعد الواحدة فيه، فيقول التيمي: والله ما نقضت هذه ولا سمعتها، فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح.

قال ابن سلام فحدثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حرملة قال: لما ورد علينا هجاء جرير والتيمي، قال لي سعيد بن المسيب ترو شيئاً مما قالوا، فأتيته وقد استقبل القبلة يريد أن يكبر، فقال لي: أرويت؟ قلت نعم. فأقبل علي بوجهه فأنشدته للتيمي وهو يقول: هيه هيه! ثم أنشدته لجرير، فقال: أكله أكله!

لم يؤثر هجاؤه في التيمم للؤمهم: قال ابن سلام وحدثني الرازي عن حجناء بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت، ما هجوت قوماً قط إلا فضحتهم إلا التيم. يا بني، لم أجد بناءً أهدمه ولا شرفاً أضعه وكانت تيم رعاء غنم يغدون في غنمهم ثم يروحون، وقد جاء كل رجل منهم بأبيات فينتحلها ابن لجأ. فقليل لجرير: ما صنعت في التيم شيئاً،

فقال: إنهم شعراء لثام.

هو أشعر عند العامة والفرزدق عند الخاصة: أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزياد قال حدثني ابن النطاح قال حدثني أبو اليقظان قال: قال جرير لرجل من بني طهية: أيما أشعر أنا أم الفرزدق؟ فقال له: أنت عند العامة والفرزدق عند العلماء. فصاح جرير: أنا أبو حزره! غلبته ورب الكعبة! والله ما في كل مائة رجل عالم واحد.

هو وعدي بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك: حدثنا أحمد بن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال حدثني ابن النطاح قال، وحدثني أبو الأخضر لمخارق بن الأخضر القيسي قال: إني كنت والله الذي لا إله إلا هو أخص الناس بجرير، وكان يتزل إذا قدم على الوليد بن عبد الملك عند سعيد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وكان عدي بن الرقاع خاصاً بالوليد مداحاً له، فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يجالس أحداً من التزارية ولا يجلس إلا إلى رجل من اليمن بحيث يقرب من مجلس بن الرقاع إلى أن يأذن الوليد للناس فيدخل. فقلت له: يا أبا حزره، احتصت عدوك بمجلسك! فقال: إني والله ما أجلس إليه إلا لأنشده أشعاراً تحزیه وتحزى قومه. قال: ولم يكن ينشده شيئاً من شعره، وإنما كان ينشده شعر غيره ليدله ويخوفه نفسه. فأذن الوليد للناس ذات عشية فدخلوا ودخلنا، فأخذ الناس مجالسهم، وتخلف جرير فلم يدخل حتى دخل الناس وأخذوا مجالسهم واطمأنوا فيها. فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مثل بين السماطين يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ابن الرقاع المتفرقة أولف بعضها إلى بعض! - قال: وأنا جالسٌ أسمع - فقال الوليد: والله لهُممت أن أخرجهُ على ظهركَ إلى الناس. فقال جرير وهو قائم كما هو:

فإن تنهني عنه فسمعاً وطاعةً وإلا فإني عرضة للمراجم

قال فقال له الوليد: لاكثر الله في الناس أمثالك. فقال له جرير: يا أمير المؤمنين، إنما أنا واحدٌ قد سمرت الأمة، فلو كثر أمثالي لأكلوا الناس أكلاً. قال: فنظرت والله إلى الوليد تبسم حتى بدت ثناياه تعجباً من جرير وجلده. قال: ثم أمره فجلس.

أخبرني ابن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزياد قال حدثنا ابن النطاح عن أبي عبيدة قال: كان جرير عند الوليد وعدي بن الرقاع ينشده. فقال الوليد لجرير: كيف تسمع؟ قال: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: عدي بن الرقاع. قال: فإن شر الثياب الرقاع، ثم قال جرير: "عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حاميةً"، فغضب الوليد وقال: يا بن اللخناء! ما بقي لك إلا أن تتناول كتاب الله! والله ليركبنك! يا غلام أو كفه حتى يركبه. فغمز عمر بن الوليد الغلام الذي أمره الوليد فأبطأ بالإكاف. فلما سكن غضب الوليد قام إليه عمر فكلّمه وطلب إليه وقال: هذا شاعر مضر ولسانها، فإن رأى أمير المؤمنين ألا يغض منه! ولم يزل به حتى أعفاه، وقال له: والله لئن هجوته أو عرضت به لأفعلن بك ولأفعلن! فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها:

أقصر فإن نزاراً لن يفأخرها فرغٌ لثيمٌ وأصلٌ غير مغروس

وذكر وقائع نزار في اليمن، فعلمنا أنه عنا. ولم يجبه الآخر بشيء.

وصف شبة بن عقال وخالد بن صفوان له وللفرزدق والأخطل: حدثني عمي قال حدثنا الكرابي قال حدثنا العمري عن العتي قال: قال هشام بن عبد الملك لشبة بن عقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل، وهو يومئذ أمير ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم وأغروا بين عشائرتهم في غير خير ولا بر ولا نفع أيهم أشعر؟ فقال شبة: أما جرير فيغرف من بحر، وأما الفرزدق فينحت من صخر، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر. فقال هشام: ما فسرنا لنا شيئاً نحصله. فقال ما عندي غير ما قلت. فقال لخالد بن صفوان: صفهم لنا يا بن الأهتم، فقال: أما أعظمهم فخراً، وأبعدهم ذكراً، وأحسنهم عذراً، وأسيرهم مثلاً، وأقلهم غزلاً، وأحلاهم عللاً، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زار، والسامي إذا خطر، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، الفرزدق. وأما أحسنهم نعتاً، وأمدحهم بيتاً، وأقلهم فوتاً، الذي إن هجا وضع، وإن مدح رفع، فالأخطل. وأما أغزرهم بحراً، وأرقهم شعراً، وأهتكهم لعدوه سترأ، الأغر الأبلق، الذي أن طلب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق، فجرير. وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماد، وراي الزناد. فقال له مسلمة بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين ولا رأينا في الآخرين، وأشهد أنك أحسنهم وصفاً، وألينهم عطفاً، وأعفهم مقلاً، وأكرمهم فعلاً. فقال خالد: أتم الله عليك نعمه، وأجزل لديكم قسمه، وآنس بكم الغربة، وفرج بكم الكربة. وأنت، والله ما علمت أيها الأمير، كريم الغراس، عالم بالناس، جواد في الحل، بسام عند البذل، حليم عند الطيش، في ذروة قريش، ولباب عبد شمس، ويومك خير من أمس. فضحك هشام وقال: ما رأيت كتخلصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً وسلمت منهم. جرير وابن لجأ وقد قرئهما عمر بن عبد العزيز حين تقاذفا: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المدني قال حدثني مصعب الزبيري قال حدثني إبراهيم بن عبد الله مولى بني زهرة قال: حضرت عمر بن لجأ وجرير بن الخطفي موقوفين للناس بسوق المدينة لما تهاجيا وتقاذفا وقد أمر بهما عمر بن عبد العزيز فقرنا وأقيما. قال: وعمر بن لجأ شاب كأنه حصان، وجرير شيخ قد أسن وضعف. قال فيقول ابن لجأ:

رأوا قمرأ بساحتهم منيراً وكيف يقارن القمر الحمارا

قال: ثم يترو به وهما مقرونان في جبل فيسقطان إلى الأرض، فأما ابن لجأ فيقع قائماً، وأما جرير فيخر لركبتيه ووجهه، فإذا قام نفث الغبار عنه. ثم قال بغنته قولاً يخرج الكلام به من أنفه - وكان كلامه كأن فيه نوناً -:

فلست مفارقاً قرني حتى يطول تصعدي بك وانحداري

قال فقال رجل من جلساء عمر له حين حضر غداؤه: لو دعا الأمير بأسيريه فغداهما معه! ففعل ذلك عمر. وإنما فعله بهما لأنهما تقاذفا، وكان جرير قال له:

تقول والعبد مسكينٌ يجررها أرفق فديتك أنت الناكح الذكر

قال: وهذه قصيدته التي يقول فيها:

يا تيم تيم عدي لا أبا لكم

لا يوقعنكم في سوءِ عمر

قال ابنه: أجود شعره قصيدته الدالية: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال:

كنت باليمامة وأنا واليها فكان ابنٌ لجريٍ يكثر عندي الدخول وكنت أوثره فلم أقل له قط أنشدني أجود شعرٍ لأبيك إلا أنشدني الدالية:

أهوَى أراك برامتين وقودا

أم بالجنينة من مدافع أودا

فأقول له: ويحك! لا تزيدني على هذه! فيقول سألتني عن أجود شعر أبي وهذه أجود شعره، وقد كان يقدمها على جميعه.

ذهب إلى الشام ونزل على نخري فأكرمه: حدثني ابن عمار قال حدثني النوفلي قال حدثني علي بن عبد الملك الكعبي من ولد كعب مولى الحجاج قال حدثني فلانُ العلامة التميمي يرويه عن جرير قال: ما ندمت على هجائي بني نخير قط إلا مرة واحدة، فإني خرجت إلى الشام فتزلت بقوم نزولٍ في قصرٍ لهم في ضيعة من ضياعهم، وقد نظرت إليه من بين القصور مشيداً حسناً وسألت عن صاحبه فقبل لي: هو رجل من بني نخير. فقلت: هذا شامٌ وأنا بدوي لا يعرفني، فجئت فاستضفت. فلما أذن لي ودخلت عليه عرفني فقراي أحسن القرى ليلتين، فلما أصبحت جلست، ودعا بنيةً له فضمها إليه وترشفها، فإذا هي أحسن الناس وجهاً ولها نشرٌ لم أشم أطيب منه. فنظرت إلى عينيها فقلت: تالله ما رأيت أحسن من عيني هذه الصبية ولا من حورها قط، وعوذتما: فقال لي: يا أبا حزره أسوداء المحاجر هي؟ فذهبت أصف طيب رائحتها. فقال: أصن وبرٍ هي؟ فقلت: يرحمك الله! إن الشاعر ليقول، ووالله لقد ساءني ما قلته، ولكن صاحبكم بدأي فانتصرت، وذهبت أعتذر. فقال: دع ذا عنك أبا حزره، فوالله ما لك عندي إلا ما تحب. قال: وأحسن والله إلي وزودي وكساني، فانصرفت وأنا أندم الناس على ما سلف مني إلى قومه.

كان المفضل من أنصار الفرزدق فحاجه بحاج بقصيدته السينية: أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال حدثني ابن أبي علقمة الثقفي قال: كان المفضل يقدم الفرزدق، فأنشدته قول جرير:

حي الهدملة من ذات المواعيس

فالحنو أصبح فقراً غير مأنوس

وقلت أنشدني لغيره مثلها فسكت. قال: وكان الفرزدق إذا أنشدها يقول: مثلها فليقل ابن اللخناء. رثاء الفرزدق ابن أخيه وجرير ابنه: أخبرنا أبو خليفة بن الحباب قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحقي عن الحرر بن أبي هريرة قال: إني لفي عسكر سليمان بن عبد الملك وفيه جريرٌ والفرزدق في غزاةٍ، إذ أتانا الفرزدق في غداةٍ، ثم قال، اشهدوا أن محمد ابن أخي، ثم أنشأ يقول:

فبت بديري أريحاء بليلة
أكابد فيها نفس أقرب من مشى
وكنّا نرى من غالب في محمد
وكان ذا ما حل أرضاً تزينت
سقى أريحاء الغيث وهي بغيضة
إلينا ولكن بي لتسقاء هامها
خدارية يزدد طولاً تمامها
أبوه بأُم غاب عنها نيامها
شمائل تعلو الفاعلين كرامها
بزينتها صحراؤها وإكامها

قال: ثم انصرف. وجاء جرير فقال: قد رأيت هذا وسمعت ما قال في ابن أخيه، وما ابن أخيه فعل الله به وفعل!
قال: ومضى جرير، فو الله ما لبثنا إلا جمعاً حتى جاءنا فقام مقامه ونعى ابنه سودة فقال:

أودى سودة يجلو مقلتي لحم
فارقنتي حين كف الدهر من بصري
إلا تكن لك بالديرين باكية
قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم
بازٍ يصرصر فوق المربأ العالي
وحين صرت كعظم الرمة البالي
فرب باكية بالرمل معوال
كيف العزاء وقد فارقت أشبالي

هجا الفرزدق لزواجه حدراء بنت زيق وجواب الفرزدق له: أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال
حدثني حاجب بن زيد وأبو الغراف قالا: تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس على حكم أبيها،
فاحتكم مائة من الإبل. فدخل على الحجاج يسأله ذلك، فعذله وقال له: أتزوج امرأة على حكمها! فقال
عنيسة بن سعيد وأراد نفعه: إنما هي من حواشي إبل الصدقة، فأمر له الحجاج بها. فوثب جرير فقال:

يا زيق قد كنت من شيبان في حسب
أنكحت ويحك قيناً باسته حمم
يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق
يا زيق ويحك هل بارت بك السوق

غاب المثنى فلم يشهد نجيكما
يارب قائلة بعد البناء بها
أين الألى استنزلوا النعمان ضاحية
أم أين أبناء شيبان الغرائيق
والحوفزان ولم يشهدك مفروق
لا الصهر راضٍ ولا ابن القين معشوق

قال: فلم يحبه الفرزدق عنها. فقال جرير أيضاً:

فلا أنا معطي الحكم عن شف منصب
وهن كماء المزن يشفى به الصدى
فلو كنت حراً كان عسراً سياقكم
إلى آل زيق والوصيف المقارب
ولا عن بنات الحنظليين راغب
وكانت ملاحاً غيرهن المشارب

فقال الفرزدق:

ففل مثلها من مثلهم ثم لمهم
على دارمي بين ليلى وغالب
هم زوجوا قبلي لقيطاً وأنكحوا
ضراراً وهم أكفأؤنا في المناسب
ولو قبلوا مني عطية سقته
إلى آل زيق من وصيفٍ مقارب
ولو تتكح الشمس النجوم بناتها
إذاً لنكحناهن قبل الكواكب

قال ابن سلام فحدثني الرازي عن أبيه قال: ما كانت امرأة من بني حنظلة إلا ترفع لجرير اللوية في عظمها لتطرفه بها لقوله:

وهن كماء يشفى به الصدى
وكانت ملاحاً غيرهن المشارب
فقلت للرازي: ما اللوية؟ قال: الشريحة من اللحم، أو الفدرة من التمر، أو الكبة من الشحم، أو الحفنة من الأقط، فإذا ذهب الألبان وضافت المعيشة كانت طرفةً عندهم.
قال: وقال جرير أيضاً في شأن حدراء:

أثائرةٌ حدراء من جر بالنقا
وهل لأبي حدراء في الوتر طالب
أنتأر بسطاماً إذا ابتلت استها
وقد بولت في مسمعيه الثعالب

قال ابن سلام: والنقا الذي عناه جرير هو الموضع الذي قتلت فيه بنو ضبة بسطاماً، وهو بسطام بن قيس. قال: فكرهت بنو شيبان أن يهتك جرير أعراضهم. فلما أراد الفرزدق نقل حدراء اعتلوا عليه وقالوا له إنها ماتت. فقال جرير:

فأقسم ما ماتت ولكنما التوى
بحدراء قوم لم يروك لها أهلا
رأوا أن صهر القين عارٌ عليهم
وأن لبسطام على غالبٍ فضلا

مدح قوماً عاوده في مرضه: أخبرني حبيب بن نصر المهلي ابن أبي سعد قال حدثنا محمد ابن إدريس اليمامي قال حدثنا علي بن عبد الله بن محمد بن مهاجر عن أبيه عن جده قال: دخلنا على جرير في نفرٍ من قريش نعوذه في علته التي مات فيها، فالتفت إلينا فقال:

أهلاً وسهلاً بقوم زينوا حسبي
وإن مرضت فهم أهلي وعوادي
إن تجر طيرٌ بأمر فيه عافيةٌ
أو بالفراق فقد أحسنتم زادي
لو أن ليثاً أبا شبلين أو عدني
لم يسلموني لليث الغابة العادي

نعي الفرزدق إليه فشمت به ثم رثاه: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطاح قال حدثني أبو جناح بني كعب بن عمرو بن تميم قال: نعي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله وجرير عنده فقال:

ليت الفرزدق كان عاش قليلاً

مات الفرزدق بعد ما جدعته

فقال له المهاجر: بنس لعمر الله ما قلت في ابن عمك! أتهجو ميتاً! أما والله لو رثيته لكنت أكرم العرب وأشعرها. فقال: إن رأى الأمير أن يكتمها علي فإنها سوءة، ثم قال من وقته:

ولا ذات بعلٍ من نفاسٍ تعلت

فلا وضعت بعد الفرزدق حامل

إذا النعل يوماً بالعشيرة زلت

هو الوافد الميمون والرائق الثائي

قال: ثم بكى ثم قال: أما والله إني لأعلم أي قليل البقاء بعده، ولقد كان نجماً واحداً وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلما مات ضد أو صديق إلا تبعه صاحبه. فكان كذلك، مات بعد سنة. وقد زاد الناس في بيتي جرير هذين أبياتاً آخر، ولم يقل غيرهما وإنما أضيف إلى ما قاله.

صوت من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

وحدا على إثر البخيلة حادي

رحل الخليلت جمالهم بسواد

حتى سمعت به الغراب ينادي

ما إن شعرت ولا علمت بينهم

الشعر الجميل. والغناء لإبراهيم، ولحنه المختار من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

نسب جميل وأخباره

هو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان وقيل ابن معمر بن حن بن ظبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد وهو هذيم، وسمي بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لأبيه يقال له هذيم كان يحضنه فغلب عليه ابن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة. والنسابون مختلفون في قضاة، فمنهم من يزعم أن قضاة ابن معد وهو أخو نزار بن معد لأبيه وأمه، وهي معانة بنت جوسم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن عدي بن دب بن جرهم، ومنهم من يزعم أنهم من حمير. وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب معدياً فقال:

في الأسرة الحصداء والعيص الأشد

أنا جميلٌ في السنام من معد

وقال راجز من قضاة ينسبهم إلى حمير:

قضاة بن مالك بن حمير

قضاة الأثرون خير معشر

ولهم في هذا أراجيز كثيرة. إلا أن قضاة اليوم تنسب كلها في حمير، فتزعم أن قضاة ابن مالك بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقال القحذمي: اسم سبأ عامر، وإنما قيل له سبأ لأنه أول من سبى النساء. وكان يقال له عب الشمس، أي عدليل الشمس، سمي بذلك لحسنه. ومن زعم من

هؤلاء أن قضاة ليس ابن معد ذكر أن أمه عكبرة امرأة من سبأ كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل، فخلفه عليها معد بن عدنان، فولدت قضاة على فراشه. وقال: مؤرج بن عمرو: هذا قول أحدثوه بعد وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصححوا هذا القول، وهو:

يأيها الداعي ادعنا وأبشر
قضاة الأثرون خير معشر
وكن قضاة ولا تنزر
النسب المعروف غير المنكر

قال مؤرج: وهذا شيء قيل في آخر أيام بني أمية. وشعراء قضاة في الجاهلية والإسلام كلها تنتمي إلى معد. قال جميل:

وأي معد كان فيء رماحهم
كما قد أفانا والمفاخر منصف

وقال زيادة بن زيد يهجو بني عمه بني عامر رهط هذبة بن خشرم:

وإذا معد أوقدت نيرانها
للمجد أغضت عامراً وتضعضوا

كان راوية هذبة بن خشرم وكان كثير راويته: وجميل شاعر فصيح مقدم جامع للشعر والرواية، كان راوية هذبة بن خشرم، وكان هذبة شاعراً راويةً للحطيئة، وكان الحطيئة شاعراً راويةً لزهير وابنه. وقال أبو محلم: آخر من اجتمع له الشعر والرواية كثير، وكان راوية جميل، وجميل راوية هذبة، وهذبة راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير.

نسب بثينة عشيقته: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القحزمي قال: كان جميل يهوى بثينة بنت حباب بن ثعلبة بن الهوذ بن عمرو بن الأحب بن حن بن ربيعة تلتقي هي وجميل في حن من ربيعة في النسب.

كان كثير راويته يقدمه على نفسه: حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأسدي وهاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قالا حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن ابن أبي الزناد قال: كان كثير راوية جميل، وكان يقدمه على نفسه ويتخذة إماماً، وإذا سئل عنه قال: وهل علم الله عز وجل ما تسمعون إلا منه! أخبرني محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه عن صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية الزبيري قال: كان كثير إذا ذكر له جميل قال: وهل علم الله ما تسمعون إلا منه! مر على جماعة بشعب سلع فاستنشدوه من شعره فأنشداهم فمدحوه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن المسور بن عبد الملك عن نصيب مولى عبد العزيز بن مروان قال: قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهلها بالشعر، فقبل لي: الوليد بن سعيد بن أبي سنان الأسلمي، فوجدته بشعب سلع مع عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن بن أذهر. فإنا جلوس إذ طلع علينا رجل طويل بين المنكبين طوالاً يقود راحلةً عليها بزة حسنة. فقال عبد الرحمن بن حسان لعبد

الرحمن بن أزهري: يا أبا جبير، هذا جميل، فادعه لعله أن ينشدنا. فصاح به عبد الرحمن: هيا جميل هيا جميل!
فالتفت فقال: من هذا؟ فقال: أنا عبد الرحمن بن أزهري. فقال: قد علمت أنه لا يجترىء علي إلا مثلك. فأتاه
فقال له أنشدنا، فأنشدهم:

نحن منعنا يوم أول نساءنا ويوم أفي والأسنة ترعف

ويوم ركابا ذي الجذاذة ووقعة
يحب الغواني البيض ظل لوائنا
نسير أمام الناس والناس خلفنا
فأي معد كان فيء رماحه
وكنا إذا ما معشر نصبوا لنا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة
إذا استبق الأقوام مجداً وجدتنا
لنا مغرفا مجد وللناس مغرف

قال: ثم قال له: أنشدنا هزجا. قال: وما الهزج؟ لعله هذا القصير؟ قال نعم، فأنشده - قال الزبير: لم يذكر في
هذا الخبر من هذه القصيدة الهزج سوى بيتين، وأنشدنا باقيها بملول بن سليمان بن قرصاب البلوي - : صوت

رسم دار وقفت في طلله
موحشاً ما ترى به أحداً تن
وصريعاً من الثمام ترى
بين علياء وابش فبلي
واقفاً في ديار أم جسير
يا خليلي إن أم جسير
روضة ذات حنوة وخزامي
بينما هن بالأراك معاً
فتأطرن ثم قلن لها
فظللنا بنعمة واتكأنا
قد أصون الحديث دون خليل

كدت أقضي الغداة من جلله
تسج الريح ترب معتدله
عارمات المدب في أسله
فالغميم الذي إلى جبله
من ضحى يومه إلى أصله
حين يدنو الضجيع من غلله
جاد فيها الربيع من سبله
إذ بدا راكباً على جملة
أكرميه حييت في نزله
وشربنا الحلال من قلله
لا أخاف الأداة من قبله

غير ما بغضة ولا لآجتنب

غير أني ألحت من وجله

وخليل صاقت مرتضياً

وخليل فارقت من ملله

قال: فأنشده إياها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلته مولياً. فقال ابن الأزهري: هذا أشعر أهل الإسلام. فقال ابن حسان: نعم والله وأشعر أهل الجاهلية، والله ما لأحد منهم مثل هجائه ولا نسييه. فقال عبد الرحمن بن الأزهري: صدقت؟ قال نصيب: وأنشدت الوليد فقال لي: أنت أشعر أهل جلدتك، والله ما زاد عليها. فقلت: يا أبا محجن، أفرضيت منه بأن تكون أشعر السودان؟ قال: وددت والله يا بن أخي أنه أعطيني أكثر من هذا، ولكنه لم يفعل، ولست بكاذبك.

كان صادق الصبابة وكان كثير يتقول: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: كان لكثير في النسيب حظٌ وافر وجميلٌ مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب، وكان كثير راوية جميل، وكان جميل صادق الصبابة والعشق، ولم يكن كثير بعاشق ولكنه كان يتقول. وكان الناس يستحسنون بيت كثير في النسب:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل لي ليلي بكل سبيل

قال: ورأيت من يفضل عليه بيت جميل:

خليلي فيما عشتما هل رأيتما

قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

قال ابن سلام: وهذا البيت الذي لكثير أخذه من جميل حيث يقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل لي ليلي على كل مرقب

عرض الفرزدق لكثير بأنه سرق منه فرد عليه بمثله: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن أبي شهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: لقي الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط وأنا وهو نمشي نزيد المسجد، فقال له الفرزدق: يا أبا صخر، أنت أنسب العرب حين تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل لي ليلي بكل سبيل

يعرض له بسرقة من جميل. فقال له كثير: وأنت يا أبا فراس أفخر الناس حين تقول:

تري الناس ما سرنا يسبيرون خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

قال عبد العزيز: وهذا البيت أيضاً لجميل سرقه الفرزدق فقال الفرزدق لكثير: هل كانت أمك مرت بالبصرة قال: لا! ولكن أبي، فكان نزيلاً لأمك. قال طلحة بن عبد الله. فو الذي نفسي بيده لعجبت من كثير وجوابه، وما رأيت أحداً قط أحق منه، رأيتني دخلت عليه يوماً في نفرٍ من قریش وكنا كثيراً ما نتهازأ به، فقلنا: كيف تجددك يا أبا صخر؟ قال: بخير، أما سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلنا: نعم، يتحدثون أنك الدجال. فقال: والله لئن

قلتُم ذاك إني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام.

كان كثير يفضلُه على نفسه ويبدأ بإنشاد شعره: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال كتب إلي أبو محمد إسحاق بن إبراهيم يقول حدثني أبو عبيدة عن جويرية بن أسماء قال: كان أبو صخر كثير صديقاً لي، وكان يأتيني كثيراً، فقلما استنشدته إلا بدأ بجميل وأنشد له ثم أنشد لنفسه، وكان يفضلُه ويتخذُه إماماً.

قال الزبير وكتب إلي إسحاق يقول حدثني صباح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المنذر بن الزبير ذكر جميل لكثير، فقالوا: ما تقول فيه؟. فقال: منه علم الله عز وجل.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المهلي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو يحيى الزهري عن إسحاق بن قبيصة الكوفي عن رجل سماه قال: سألت نصيباً: أجميل أنسب أم كثير؟ فقال: أنا سألت كثيراً عن ذاك فقال: وهل وطأ لنا النسيب إلا جميل! قال عمر بن شبة وقال إسحاق حدثني السعدي عن أبي مالك النهدي قال: جلس إلينا نصيب فذكرنا جميلاً، فقال: ذاك إمام المحيين، وهل هدى الله عز وجل لما ترى إلا بجميل.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة عن جويرية بن أسماء قال: ما استنشدت كثيراً قط إلا بدأ بجميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه، وكان يفضلُه ويتخذُه إماماً.

أول عشقه بثينة: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني بهلول بن سليمان بن قرضاب البلوي قال: كان جميل ينسب بأم الجسير، وكان أول ما علق بثينة أنه أقبل يوماً بإبله حتى أوردها وادياً يقال له بغيض، فاضطجع وأرسل إبله مصعدةً، وأهل بثينة بذنب الوادي، فأقبلت بثينة وجارة لها واردتين الماء، فمرتاً على فصال له بروتك فعرمتهن بثينة - يقول: نفرهن - وهي إذ ذاك جويرية صغيرة، فسبها جميل، فافترت عليه، فملح إليه سباً فقال:

بوادي بغيض يا بئين سباب

وأول ما قاد المودة بيننا

لكل كلام يا بئين جواب

وقلنا لها قولا فجاءت بمثله

قال الزبير وحدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نبيه بن الأسود العذري وكانت بثينة عند أبيه نبيه بن الأسود، وإياه يعني جميل بقوله:

لطيفة طي الكشح ذات شوى خدل

لقد أنكحوا جهلاً نبيهاً ظعينةً

قال الزبير وحدثني أيضاً الأسباط بن عيسى بن عبد الجبار العذري أن جميل بن معمر خرج في يوم عيد والنساء إذ ذاك يتزين ويبدو بعضهن لبعض ويدون للرجال، وأن جميلاً وقف على بثينة وأختها أم الجسير في نساء من بني الأحب وهن بنات عم عبيد الله بن قطبة أخي أبيه لحاً، فرأى منهن منظراً وأعجبته وعشق بثينة وقعد معهن، ثم راح وقد كان معه فتیان من بني الأحب، فعلم أن القوم قد عرفوا في نظره حب بثينة ووجدوا عليه، فراح وهو يقول:

عجل الفراق وليته لم يعجل
وَجَرَتْ بَوَادِرُ دَمْعِكَ الْمَتَهَلَّلِ
طرباً وشاقك ما لقيت ولم تخف
بين الحبيب غداة برقة مجول
وعرفت أنك حين رحت ولم يكن
بعد اليقين وليس ذاك بمشكل
لن تستطيع إلى بثينة رجعة
بعد التفرق دون عامٍ مقبل

قال: وإن بثينة لما أخبرت أن حميلاً قد نسب بها حلفت بالله لا يأتيها على خلاءٍ إلا خرجت إليه وتتوارى منه، فكان يأتيها عند غفلات الرجال فيتحدث إليها ومع أخواتها، حتى نفي إلى رجالها أنه يتحدث إليها إذا خلا منهم، وكانوا أصلاً غيراً - أو قال غيارى - فرصدوه بجماعةٍ نحوٍ من بضعة عشر رجلاً وجاء على الصهباء ناقته حتى وقف على بثينة وأم الجسير وهما يحادثانه وهو ينشدهما يومئذٍ:

حلفت برب الراقصات إلى منى
هوي القطا يجتزن بطن دفين

لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقياً
سليمى ولا أم الجسير لحين
فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي
وهموا بقتلي يا بثين لقوني

فبينما هو على تلك الحال إذ وثب عليه القوم فرماهم بها فسبقت به وهو يقول

إذا جوع الإثنين جمعا رميتهم
بأركانها حتى تخلص سبيلها

فكان هذا أول سبب المهاجرة بينه وبين عبد الله بن قطبة.

واعدته بثينة فمنعها أهلها فقرعه نساء الحي، وشعره في ذلك: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا بهلول بن سليمان عن مشيخةٍ من عذرة: أن بثينة واعدت حميلاً أن يلتقيا في بعض المواضع فأتى لوعدها. وجاء أعرايٌّ يستضيف القوم فأنزلوه وقروه، فقال لهم: قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفرٍ متفرقين متوارين في الشجر، وأنا خائف عليكم أن يسلبوا بعض إبلكم، فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده. فلما أسفر له الصبح انصرف كثيراً سيء الظن بها ورجع إلى أهله، فجعل نساء الحي يقرعنه بذلك ويقلن له: إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر، وغيرها أولى بوصلك منها، كما أن غيرك يحظى بها. فقال في ذلك: صوت

أبثين إنك قد ملكت فأسجحي
وخذي بحظك من كريمٍ واصل
فأجبتها في القول بعد تسترٍ
حبي بثينة عن وصالك شاغلي
فلرب عارضةٍ علينا وصلها
بالجد تخطله بقول الهازل
لو كان في صدري كقدر قلامه
فضلاً وصلتك أو أتتك رسائلي

الغناء ليحيى المكي ثقيل أول بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه: صوت

ويقلن إنك قد رضيت بباطلٍ
ولباطلٍ مما أحب حديثه
ليزلن عنك هواي ثم يصلنني
منها فهل لك في اجتناب الباطل
أشهى إلي من البغيض البازل
وإذا هويت فما هواي بزائل

الغناء لسليم رملٌ بالوسطى عن عمرو، وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيد حوراء. وروى حماد عن أبيه في أخبار
ابن سريج أن لابن سريج فيه لحناً ولم يجنسه:

صادت فؤادي يا بئين حبالكم
منيتني فلويت ما منيتني
وتثاقلت لما رأت كلفي بها
وأطعت في عواذلاً فهجرتني
حاولنني لأبت حبل وصالكم
فرددتهن وقد سبعين بهجركم
يععضن من غيظٍ علي أناملاً
ويقلن إنك يا بئين بخيلةً
يوم الحجون وأخطأتك حبائلي
وجعلت عاجل ما وعدت كأجل
أحباب إلي بذاك من متثاقل
وعصيت فيك وقد جهدن عواذلي
مني ولست وإن جهدن بفاعل
لما سعين له بأفوق ناصل
ووددت لو يععضن صم جنادل
نفسى فداؤك من ضنينٍ باخل

قالوا: وقال جميل في وعد بئنة بالتلاقي وتأخرها قصيدةً أولها:

يا صاح عن بعض الملامة أقصر
فمما يغنى فيه منها قوله: صوت
إن المنى للقاء أم المسور

وكان طارقها على علل الكرى
يستاف ريح مدامةً معجونةً
بذكي مسكٍ أو سحيق العنبر

الغناء لابن جاعم ثقيلٌ أول بالبنصر من رواية الهشامي. وذكر عمرو بن بانة أنه لآبن المكي.

ومما يغنى فيه منها قوله: صوت

إني لأحفظ غيبكم ويسرنني
ويكون يومٌ لا أرى لك مرسلًا
يا لبيتني ألقى المنية بغتةً
أو أستطيع تجلداً عن ذكركم
إذ تذكرين بصالح أن تذكرني
أو نلتقي فيه علي كأشهر
إن كان يوم لقائكم لم يقدر
فيفيق بعض صبابتي وتفكري

الغناء لابن محرز خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي. وفيه يقول:

لو قد تجن كما أجن من الهوى لعذرت أو لظلمت إن لم تعذر
والله ما للقلب من علم بها غير الظنون وغير قول المخبر
لا تحسبي أنني هجرتك طائعاً حدث لعمرك رائع أن تهجري
فلتبكين الباقيات وإن أبح يوماً بسرك معلناً لم أعذر
يهواك ما عشت الفؤاد فإن أمت يتبع صداي صداك بين الأقبر

صوت

إني إليك بما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغني المكثر
يعد الديون وليس ينجز موعداً هذا الغريم لنا وليس بمعسر
ما أنت والوعد الذي تعدينني إلا كبرق سحابة لم تمطر
قلبي نصحت له فرد نصيحتي فمتى هجرتيه فمته تكثري

الغناء في هذه الأبيات لسليم رمل عن الهشامي. وفيه قدح طنبوري أظنه لحظته أو لعلني بن مودة. قالوا: وقال
في إخلافها إياها هذا الموعد: صوت

ألا ليت ريعان الشباب جديد ودهراً تولى بها بئين يعود
فنغني كما كنا نكون وأنتم قريباً وإذ ما تبذلين زهيد

ويروى:

ومما لا يزيد بعيد

وهكذا يغني فيه: الغناء لسليم خفيف ثقیل أول بالوسطى. ومما يغني فيه من هذه القصيدة.

صوت

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بوادي القرى إني إذا لسعيد
وهل ألقين فرداً بثينة مرةً تجود لنا من ودها ونجود
علقت الهوى منها وليداً فلم يزل إلى اليوم ينمي حبها ويزيد
وأفانيت عمري بانتظاري وعدّها وأبليت فيها الدهر وهو جديد
فلا أنا مردودٌ بما جئت طالباً ولا حبها فيما يبید بيید

الغناء لمعبد ثقیل أول بالوسطى. ومما يغني فيه منها: صوت

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها
ولا قولها لولا العيون التي ترى
خليلي ما ألقى من الوجد قاتلي
يقولون جاهد يا جميل بغزوة
وكد قربت بصرى أمصر تريد
لزرتك فاعذرني فدتك جدود
ودمعي بما قلت الغداة شهيد
وأني جهاد غيرهن أريد
وكل قتيل عندهن شهيد

الغناء للغريض خفيف ثقیل من رواية حماد عن أبيه. وفي هذه القصيدة يقول:

إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي
يا جميل بغزوة
وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به
ألا قد أرى والله أن رب عبرة
إذا فكرت قالت قد أدركت وده
فلو تكشف الأحشاء صودف تحتها
تذكرينها كل ريح مريضة
وقد تلتقي الأشتات بعد تفرق
من الحب قالت ثابت ويزيد
وأني جهاد غيرهن أريد
مع الناس قالت ذاك منك بعيد
إذا الدار شطت بيننا سترود
وما ضرني بخلي فكيف أجود
لبثنة حب طارف وتليد
لها بالتلاع القاويات وثيد
وقد تدرك الحاجات وهي بعيد

عائته بثينة لشعر قاله فيها: أخبرني علي بن صالح قال حدثني عمر بن شبة عن إسحاق قال: لقي جميل بثينة بعد
تأخر كان بينهما طالت مدته، فتعابنا طويلاً فقالت له: ويحك يا جميل! أنزع منك قهواني وأنت الذي تقول:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى
وفي الغر من أنيابها بالقوادح!

فأطرق طويلاً يبكي ثم قال: بل أنا القائل:

ألا ليت أعمى أصم تقودني
بثينة لا يخفى علي كلامها

فقالت له: ويحك! ما حملك على هذه المنى! أو ليس في سعة العافية ما كفانا جميعاً!.

تجسس أبوهما وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا رية: قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال: سعت أمة لبثينة
بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما: إن جميلاً عندها الليلة، فأتياها مشتملين على سيفين، فرأياه جالساً حجرة منها
يحدثها ويشكو إليه بثة، ثم قال لها: يا بثينة، أرايت ودي إياك وشغفي بك ألا تجزييني؟ قالت: بماذا؟ قال: بما
يكون بين المتحابين. فقالت له: يا جميل، أهذا تبغي! والله لقد كنت عندي بعيداً منه، ولئن عاودت تعريضاً بريية
لا رأيت وجهي أبداً. فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، ولو علمت أنك تجيبيني إليه

لعلمت أنك تجيبين غيري، ولو رأيت منك مساعدةً عليه لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي، ولو أطاعني نفسي لهجرتك هجرة الأبد، أو ما سمعت قولي:

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي وأخره لا نلتقي وأوائله

قال فقال أبوها لأخيها: قم بنا، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها، فانصرفا وتركاهما. قابلها مرة بسعي صديق له: أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عناية عن رجل من عذرة قال: كنت ترباً لجميل وكان يألني، فقال لي ذات يوم: هل تساعدني على لقاء بثينة؟ فمضيت معه، فكمن لي في الوادي وبعث بي إلى راعي بثينة بخاتمه، فدفعته إليه، فمضى به إليها ثم عاد بموعد منها إليه. فلما كان الليل جاءته فتحدثنا طويلاً حتى أصبحنا ثم ودعها وركب ناقته. فلما استوى في غرزها وهي باركة قالت له: ادن مني يا جميل: صوت

إن المنازل هيجت أطرابي واستعجمت آياتها بجوابي
قفرأ تلوح بذى اللجين كأنها أنضاء رسم أو سطور كتاب
لما وقفت بها القلوص تبادرت مني الدموع لفرقة الأحباب
وذكرت عصراً يا بثينة شاقني وذكرت أيامي وشرخ شبابي

الغناء في هذه الأبيات للهذلي ثاني ثقل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. أرسل كثيراً إلى بثينة ليستجد منها موعداً: أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق الموصلي عن السعدي، وأخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد عن أبيه قال حدثنا أبو مالك النهدي قال: جلس إلينا كثير ذات يوم فتذاكرنا جميلاً، فقال: لقيني مرةً فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من عند أبي الحبيبة أعني بثينة. فقال: وإلى أين تمضي؟ قلت: إلى الحبيبة أعني عزة. فقال: لا بد من أن ترجع عودك على بدئك فتستجد لي موعداً من بثينة. فقلت: عهدي بها الساعة وأنا أستحيي أن أرجع. فقال: لا بد من ذلك. فقلت له: فمتى عهديك ببثينة؟ فقال: في أول الصيد وقد وقعت سحابةً بأسفل وادي الدوم فخرجت ومعها جاريةٌ لها تغسل ثيابها، فلما أبصرتني أنكرتني، فضربت بيديها إلى ثوب في الماء فالتحفت به، وعرفتني الجارية، فأعادت الثوب في الماء، وتحدثنا حتى غاب الشمس. وسألته الموعد فقالت: أهلي سائرون، وما وجدت أحداً آمنه فأرسله إليها. فقال له كثير: فهل لك في أن آتي الحي فأنزع بأبيات من شعرٍ أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها؟ قال: ذلك الصواب، فأرسله إليها، فقال له: انتظري ثم خرج كثير حتى أناخ بهم. فقال له

أبوها: ما ردك؟ قال: ثلاثة أبياتٍ عرضت لي فأحببت أن أعرضها عليك. قال: هاكها. قال كثير: فأنشدته وبثينة تسمع:

فقلت لها يا عز أرسل صاحبي
إليك رسولاً والموكل مرسل
بأن تجعلني بيني وبينك موعداً
وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل
وأخر عهدي منك يوم لقيتني
بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

قال: فضربت بثينة جانب صدرها وقالت: إحسأ إحسأ! فقال أبوها: مهيم يا بثينة؟ قالت: كلبٌ يأتينا إذا نؤم الناس من وراء الراية. ثم قالت للحارية: ابغينا من الدومات حطباً لنذبح لكثير شاةً ونشويها له. فقال كثير: أنا أعجل من ذلك. وراح إلى جميل فأخبره. فقال له جميل: الموعد الدومات. وقالت لأم الحسين وليلى ونجيا بنات خالتها وكانت قد أنست إليهن واطمأنت بهن: إني قد رأيت في نحو نشيد كثير أن جميلاً معه. وخرج كثير وجميلٌ حتى أتيا الدومات، وجاءت بثينة ومن معها، فما برحوا حتى برق الصبح. فكان كثير يقول: ما رأيت مجلساً قط أحسن من ذلك ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر! ما أدري أيهما كان أفهم! وصف صالح بن حسان بيتاً من شعره: أخبرني محمد بن العباس البزدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي، وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال قال لي صالح بن حسان: هل تعرف بيتاً نصفه أعرابيٌّ في شملةٍ وآخره مخنثٌ من أهل العقيق يتقصف تقصفاً؟ قلت: لا. قال: قد أحلتك حولاً. قلت: لا أدري ما هو! فقال قول جميل:

ألا أيها النوام ويحكم هبوا

كأنه أعرابي في شملة. ثم أدركه ما يدرك العاشق فقال:

أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

كأنه من كلام مخنثي العقيق.

أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها وما كان منه بعد ذلك: أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال أخبرنا عبد الله بن أبي كريم عن أبي عمرو وإسحاق بن مروان قال: عشق جميلٌ بثينة وهو غلام، فلما بلغ خطبها فمنع منها، فكان يقول فيها الأشعار، حتى اشتهر وطرد، فكان يأتيتها سراً ثم تزوجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خفية إلى أن استعمل دجاجة بن ربيعي على وادي القرى فشكوه إليه فتقدم إليه ألا يلم بأبياتها وأهدر دمه لهم إن عاود زيارتها، فاحتبس حينئذ.

أن حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثنا أحمد بن أبي العلاء قال حدثني إبراهيم الرماح قال حدثنا جابر أبو العلاء التنوخي قال: لما نذر أهل بثينة دم جميل وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل، فكان يصعد بالليل على قور رملٍ يتنسم الريح من نحو حي بثينة ويقول:

أيا ريح الشمال أما تريني
هبي لي نسمةً من ريح بثنٍ
أهيم وأنني بادي النحول
ومني بالهبوب إلى جميل
قليلك أو أقل من القليل
وقولي يا بئينة حسب نفسي

فإذا بدا وضح الصبح انصرف. وكانت بئينة تقول لجوارٍ من الحي عندها: ويحك! إني لأسمع أنين جميل من بعض القيران! فيقلن لها: اتقي لها! فهذا شيء يخيله لك الشيطان لا حقيقة له.
تذاكر هو وكثير شعريهما في العشق وبكيا: حدثني أحمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني أحمد بن يعلى قال حدثني سويد بن عصام قال حدثني روح أبو نعيم قال: التقى جميلٌ وكثير فتذاكرا النسيب، فقال كثير: يا جميل، أترى بئينة لم تسمع بقولك:

يقبك جميل كل سوءٍ أما له
وقد قلت في حبي لكم وصابأتي
لديك حديثٌ أو إليك رسول
محاسن شعرٍ ذكرهن يطول
هبوب الصبايا بثنٍ كيف أقول
ولا زال عنها، والخيال يزول
فما غاب عن عيني خيالك لحظةً

فقال جميل: أترى عزة قد حال يا كثير لم تسمع بقولك:

يقول العدا يا عز قد حال دونكم
فقلت لها والله لو كان دونكم
شجاعٌ على ظهر الطريق مصمم
جهنم ما راعت فؤادي جهنم
ووجهك في الظلماء للسفر معلم
فلا تتقمي حبي فما فيه منقم
وما ظلمتك النفس يا عز في الهوى

قال: فبكيا قطعةً من الليل ثم انصرفا.

واعد بئينة وعرف ذلك أهلها فلم تذهب: وقال الهيثم بن عدي ومن ذكر روايته معه من أصحابه: زار جميلٌ بئينة ذات يوم، فتزل قريباً من الماء يترصد أمةً لها أو راعية، فلم يكن نزوله بعيداً من ورود أمة حبشية معها قريبة، وكانت به عارفةً وبما بينها وبينه. فسلمت عليه وجلست معه، وجعل يحدثها ويسألها عن أخبار بئينة ويحدثها بخبره بعدها ويحملها رسائله. ثم أعطها خاتمه وسألها دفعه إلى بئينة وأخذ موعداً عليها، ففعلت وانصرفت إلى أهلها وقد أبطأت عليهم. فلقيها أبو بئينة وزوجها وأخوها فسألوها عما أبطأ بها، فالتوت عليهم ولم تخبرهم وتعللت، فضربوها ضرباً مبرحاً، فأعلمتهم حالها مع جميل ودفعت إليهم خاتمه. ومر بها في تلك الحال فتیان من بني عذرة فسمعا القصة كلها وعرفا الموضع الذي فيه جميل، فأحبا أن يشطا عنه فقالا للقوم: إنكم إن لقيتم جميلاً وليست بئينة معه ثم قتلتموه لزمكم في ذلك كل مكروه، وأهل بئينة أعز عذرة، فدعوا الأمة توصل

خاتمته إلى بثينة، فإذا زارها بيتموهما جميعاً، قالوا: صدقتما لعمرى إن هذا الرأي. فدفعوا الخاتم إلى الأمة وأمروها بإيصاله وحذروها أن تخبر بثينة بأنهم علموا القصة، ففعلت. ولم تعلم بثينة بما جرى. ومضى الفتيان فأنذرا جميلاً، فقال: والله ما أرهبهم، وإن في كنانتي ثلاثين سهماً والله لا أخطأ كل واحد منها رجلاً منهم، وهذا سيفي والله ما أنا به رعرش اليد ولا جبان الجنان. فناشده الله وقال: البقية أصلح، فتقيم عندنا في بيوتنا حتى يهدأ الطلب، ثم نبعث إليها فتزورك وتقضي من لقائها وطراً وتنصرف سليماً غير مؤين. فقال أما الآن فابعثا إليها من ينذرهما، فأتيتهما براحية لهما وقال لهما: قل بحاجتك، فقال: ادخلي إليها وقولي لها: إني أردت اقتناص ظلي فحذرته ذلك جماعةً اعتوروه من القناص ففاتني الليلة. فمضت فأعلمتها ما قال لها، فعرفت قصته وبحث عنها فعرفتها، فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصدها فلم تبرح مكانها ومضوا يقتصون أثره فرأوا بعراً ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم، فقال جميل في ذلك:

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما	على عذبة الأنيا ب طيبة النشر
ألما بها ثم اشفعا لي وسلما	عليها سقاها الله من سبل القطر
إذا ما دنت زدت اشتياقاً وإن نأت	جرعت لنأي الدار منها وللبعد
أبى القلب إلا حب بثنة لم يرد	سواها وحب القلب بثنة لا يجدي

قال: وقال أيضاً: ومن الناس من يضيف هذه الأبيات إلى هذه القصيدة، وفيها أبياتٌ معادة القوافي تدل على أنها مفردةٌ عنها، وهي:

ألم تسأل الدار القديمة هل لها	بأمر جسيرٍ بعد عهدك من عهد
وفيها يقول: صوت	
سلى الركب هل عجنّا لمغناك مرةً	صدور المطايا وهي موقرةٌ تخدي
وهل فاضت العين الشروق بمائها	من اجلك حتى اخضل من دمعها بردي
الغناء لأحمد بن المكي ثاني ثقلٍ بالوسطى:	

وإني لأستجري لك الطير جاهداً	لتجري بيمينٍ من لقائك من سعد
وإني لأستبكي إذا الركب غردوا	بذكراك أن يحيا بك الركب إذ يخدي
فهل تجزيني أم عمرو بودها	فإن الذي أخفي بها فوق ما أبدي
وكل محبٍّ لم يزد فوق جهده	وقد زدتها في الحب مني على الجهد

قصته مع أم منظور وقد أبت عليه أن تراه إياها: أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم وغيره وهلول بن سليمان البلوي: أن رهط بثينة ائتمنوا عليها عجزاً منهم يثقون بها يقال لها أم منظور. فجاءها

جميل فقال لها: يا أم منظور، أريني بثينة. فقالت: لا! والله لا أفعل، قد ائتموني عليها. فقال: أما والله لأضرنك، فقالت: المضرة والله في أن أريكها. فخرج من عندها وهو يقول:

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت

بالحجر يوم جلثها أم منظور

ولا انسلابتها خرساً جبائرها

إلي من ساقط الأوراق مستور

قال: فما كان إلا قليل حتى انتهى إليهم هذان البيتان. قال: فتعلقوا بأم منظور فحلفت لهم بكل يمين فلم يقبلوا منها. هكذا ذكر الزبير بن بكار في خبر أم منظور، وقد ذكر فيه غير ذلك.

استدعى مصعب أم منظور وسألها عن قصتها مع جميل وبثينة:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي، وأخبرني به ابن أبي الأزهر عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي: أن رجلاً أنشد مصعب بن الزبير قول جميل:

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت

بالحجر يوم جلثها أم منظور

فقال: لوددت أبي عرفت كيف جلثها. فقليل له: إن أم منظور هذه حية. فكتب في حملها إليه مكرمة فحملت إليه. فقال لها: أخبريني عن قول جميل:

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت

بالحجر يوم جلثها أم منظور

كيف كانت هذه الجلوة؟ قالت: ألبستها قلادة بلح ومخنقة بلح واسطتها تفاحة، وضفرت شعرها وجعلت في فرقها شيئاً من الخلق. ومر بنا جميل ركباً ناقته فجعل ينظر إليها بمؤخر عينه ويلتفت إليها حتى غاب عنا. فقال لها مصعب: فإني أقسم عليك إلا جلوت عائشة بنت طلحة مثل ما جلوت بثينة، ففعلت: وركب مصعب ناقته وأقبل عليهما وجعل ينظر إلى عائشة بمؤخر عينه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع.

زارها مرة متكرراً في زي سائل: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني بهلول عن بعض مشايخه: أن جميلاً جاء إلى بثينة ليلة وقد أخذ ثياب راعٍ لبعض الحي، فوجد عندها ضيفاناً لها، فانتبذ ناحية، فسألتها: من أنت، فقال: مسكينٌ مكاتب، فجلس وحده، فعشت ضيفانها وعشته وحده. ثم جلست هي وجارية لها على صلاتهما واضطجع القوم منتحين. فقال جميل: واعدته مرة وأحس أهلها فمنعوها فقال في ذلك شعراً:

هل البائس المقرور دان فمصطل

من النار أو معطى لحافاً فلابس

فقالت لجاريتهما: صوت جميل والله! اذهبي فانظري! فرجعت إليها فقالت: هو والله جميل! فشهقت شهقةً سمعها القوم فأقبلوا يجرون وقالوا مالك؟ فطرحته برداً لها من حبرة في النار وقالت: احترق بردي، فرجع القوم. وأرسلت جاريتهما إلى جميل، فجاءتها به، فحبسته عندها ثلاث ليالٍ، ثم سلم عليها وخرج.

وقال الهيثم وأصحابه في أخبارهم: كانت بثينة قد واعدت جميلاً للالتقاء في بعض المواضع، فأتى لوعدها. وجاء أعرايٌ يستضيف القوم فأنزلوه وقروه، فقال لهم: إني قد رأيت في بطن هذا الوادي ثلاثة نفرٍ متفرقين متوارين في

الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يسلوا بعض إبلكم. فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرسوا بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده. فلما أسفر له الصبح انصرف كثيراً سيء الظن بها ورجع إلى أهله، فجعل نساء الحي يقرعنه بذلك ويقلن له: إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر، وغيرها أولى بوصلك منها، كما أن غيرك يحظى بها، فقال في ذلك:

أبئين إنك قد ملك فأسجحي وخذي بحظك من كريم واصل

صوت

فلرب عارضة علينا وصلها بالجد تخطه بقول الهازل
فأجبتها بالقول بعد تستر حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامة فضلاً وصلتك أو أتتك رسائلي

الغناء ليحيى المكي ثقیلٌ أول بالوسطى من رواية أحمد:

ويقلن أنك قد رضيت بباطل منها فهل لك في اجتناب الباطل
ولباطلٌ ممن أحب حديثه أشهى إلي من البغيض الباذل

الغناء لسليم رملٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر عمر أنه ليزيد حوراء.

قصته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها وما قيل في ذلك من الشعر:
وذكر الهيثم بن عدي وأصحابه أن جماعةً من بني عذرة حدثوا أن جميلاً رصد بثينة ذات ليلة في نجعة لهم، حتى إذا صادف منها خلوة سكر ودنا منها وذلك في ليلة ظلماء ذات غيم وريح ورعد، فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها، ففزعت وقالت: والله ما حذفني في هذا الوقت بحصاة إلا الجن! فقالت لها بثينة وقد فطنت: إن جميلاً فعل ذلك فانصرفي ناحية إلى متلك حتى ننام، فانصرفت وبقيت مع بثينة أم الجسير وأم منظور، فقامت إلى جميل فأدخلته الخباء معها وتحدثا طويلاً، ثم اضطجع إلى جنبه فذهب النوم بهما حتى أصبحا وجاءها غلام زوجها بصبح من اللبن بعث به إليها، فرآها نائمةً مع جميل، فمضى لوجهه حتى خبر سيده. ورأته ليلي والصبح معه وقد عرفت خبر جميل وبثينة فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله وبعثت بجارية لها وقالت حذري بثينة وجميلاً، فجاءت الجارية فنبهتهما. فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء والناس منتشرين ارتاعت وقالت: يا جميل! نفسك نفسك! فقد جاءني غلام نبيه بصبحي من اللبن فرآنا نائمين! فقال لها جميل وهو غير مكترث لما خوفته منه:

لعمرك ما خوفتني من مخافة بئين ولا حذرتني موضع الحذر
فأقسم لا يلقي لي اليوم غرة وفي الكف مني صارمٌ قاطعٌ ذكر

فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت النضد وقالت: إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك، ففعل ذلك ونامت كما كانت، واضطجعت أم الجسير إلى جانبها وذهبت خادم ليلى إليها فأخبرتها الخبر فتركت العبد يمضي إلى سيده فمضى والصبح معه وقال له: إني رأيت بثينة مضطجعة وجميلٌ إلى جانبها. فجاء نبيه إلى أخيها وأبيها بأيديهما وعرفهما الخبر وجاءوا بأجمعهم إلى بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب فإذا أم الجسير إلى جانبها نائمة. فحجل زوجها وسب عبده وقالت ليلى لأخيها وأبيها: قبحكما الله! أفي كل يوم تفضحان فتاتكما ويلقاكما هذا الأعور فيها بكل قبيح! قبحه الله وإياكما! وجعلا يسبان زوجها ويقولان له كل قول قبيح. وأقام جميلٌ عند بثينة حتى أجنه الليل ثم ودعها وانصرف. وحذرهم بثينة لما جرى من لقائه إياها فتحاتمه مدةً، فقال في ذلك: صوت

أأن هتفت ورقاء ظلت سفاهةً تنكي على جملٍ لورقاء تهتف

فلو كان لي بالصرم يا صاح طاقةً صرمت ولكني عن الصرم أضعف

للهذلي في هذين البيتين لحنان أحدهما ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، والآخر خفيف ثقيلٌ بالوسطى عن عمرو، وذكر غيره لابن جامع. وفيه لبذل الكبرى خفيف ثقيلٌ بالخنصر في مجرى البنصر عن أحمد بن المكي. ومما يغنى فيه من هذه القصيدة قوله: صوت

لها في سواد القلب بالحب ميعةً هي الموت أو كادت على الموت تشرف

وما ذكرتك النفس يا بثن مرةً من الدهر إلا كادت النفس تتلف

وإلا اعترتني زفرةٌ واستكانةٌ وجاد لها سجلٌ من الدمع يذرف

وما استطرفت نفسي حديثاً لخلّةٍ أسر به إلا حديثك أطرف

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوسطى عن الهشامي. وأول هذه القصيدة:

أمن منزلٍ قفرٍ تعفت رسومه شمالٌ تغاديه ونكباء حرجف

فأصبح قفراً بعد ما كان أهلاً وجمل المني تشتو به وتصيف

ظلمت ومستنٌ من الدمع هاملٌ من العين لما عجت بالدار ينزف

أمنصفتي جملٌ فتعدل بيننا إذا حكمت والحاكم العدل ينصف

تعلقتهما والجسم مني مصححٌ فما زال ينمي حب جملٍ وأضعف

إلى اليوم حتى سل جسمي وشفني وأنكرت من نفسي الذي كنت أعرف

قناةً من المران ما فوق حقوها وما تحته منها نقاً يتقصف

لها مقلتا ريم وجيد جدايةٍ وكشخ كطي السابرية أهيف

ولست بناسٍ أهلها حين أقبلوا
وقالوا جميلٌ بات في الحي عندها
وجالوا علينا بالسيوف وطوفوا
وقد جردوا أسيافهم ثم وقفوا
وفي البيت ليث الغاب لولا مخافةً
على نفس جميلٍ والإله لأرغفوا

هممت وقد كادت مراراً تطلعت
وما سرني غير الذي كان منهم
إلى حربهم نفسي وفي الكف مرهف
ومني وقد جاعوا إلي وأوجفوا
فكم مرتجٍ أمراً أتيج له الردى
ومن خائفٍ لم ينتقصه التخوف

له بيت كان نصفه أعرابي ونصفه مخنث: حدثني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال، قال لي صالح بن حسان: هل تعرف بيتاً نصفه أعرابيٌّ في شملةٍ وآخره مخنث يتفكك من مخنثي العقيق؟ فقلت: لا أدري. قال: قد أجلتك فيه حولاً. فقلت: لو أجلتني حولين ما علمت. قال: قول جميل:

ألا أيها النوام ويحكم هبوا

هذا أعرابيٌّ في شملة. ثم قال:

نسائلكم هل يقتل الرجل الحب

كأنه والله من مخنثي العقيق. في هذا الشعر غناء، نسبته وشرحه: صوت

نسائلكم هل يقتل الرجل الحب

ألا أيها النوام ويحكم هبوا

إليك ولولا أنت لم يوجف الركب

ألا رب ركبٍ قد دفعت وجيفهم

الغناء لابن محرز خفيف رملٍ بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد. وفيه لسليم ما خوريٌّ عن الهشامي. وفيه لمالك ثاني ثقلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وقيل: إنه لمعبد. وفيه لعريب هزجٌ من رواية ابن المعتز. وذكر عبد الله بن موسى أن لحن مالك من الثقل الأول وأن خفيف الرمل لابن سريج وأن الهزج لحمدونه بنت الرشيد.

جفا بثينة لما علقت حجنة الهلالي: أخبرنا الحسين بن يحيى المرداسي قال أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب ابن عباية المحرزي عن شيخ من رهط جميلٍ من عذرة: أن بثينة لما علقت حجنة الهلالي جفاها جميلٌ. قال: وأنشدني لجميلٍ في ذلك: صوت

أتيج لها بعض الغواة فحلها

بيننا حبالٌ ذات عقدٍ لبثثة

وصار الذي حل الحبال هوَى لها

فعدنا كأننا لم يكن بيننا هوَى

وقالوا نراها يا جميل تبدلت

وغيرها الواشي فقلت لعلها

الغناء للهندي خفيف ثقیل مطلق في مجرى الوسطى. وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبع ولم ينسبه إلى أحد. تمثل إفريقي بشعر له يعرض فيه بفتى من آل عثمان: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو عوف عن عبد الرحمن بن مقرن قال: بعثني المنصور لأبتاع له جارية من المدينة وقال لي: اعمل برأي ابن نفيس، فكننت أفعل ذلك، وأغشى ابنه، وكانت له جارية مغنية قد كلف بها فتى من آل عثمان بن عفان، فكان يبيع عقدة عقدة من ماله وينفق ثمنها عليها. وابتلي برجل من أهل إفريقية ومعه ابن له، فغشي ابن الإفريقي بيت ابن نفيس فجعل يكسو الجارية وأهلها ويرهم حتى حظي عندهم وغلب عليهم وتناقلوا العثماني. فقضى أن اجتمعنا عشية عندها وحضر ابن الإفريقي والعماني، فترع ابن الإفريقي خفه فتناثر المسك منه، وأراد العماني أن يكيد به فعله. فجلسنا ساعة، فقال لها ابن الإفريقي: غني:

بيننا حبال ذات عقد لبثت

أتيح لها بعض الغواة فحلها

يعرض بالعماني. فقال لها العماني: لا حاجة لنا في هذا، ولكن غني:

ومن يرع نجداً يلفني قد رعيته

بجنيته الأولى ويورد على وردي

قال: فنكس ابن الإفريقي رأسه وخرج العماني فذهب، وحمد أهل البيت فما انتفعوا بقية يومهم. شعره حين زوجت بثينة نبيها: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي ومهلول بن سليمان البلوي: أن حميلاً قال لما زوجت بثينة نبيها: صوت

ألا ناد عيراً من بثينة ترتعي

نودع على شحط النوى ونودع

وحنوا على جمع الركاب وقربوا

جمالاً ونوقاً جلة لم تضعضع

في هذين البيتين رمل لابن سريج عن الهشامي. ومما يغني فيه من هذه القصيدة: صوت

أعيذك بالرحمن من عيش شقوة

وأن تطمعي يوماً إلى غير مطعم

إذا ما ابن معلون تحدر رشحه

عليك فموتي بعد ذلك أودعي

مللن ولم أملل وما كنت سائماً

لأجمال سعدى ما أنخن بجعجع

وحنوا على جمع الركاب وقربوا

جمالاً ونوقاً جلة لم تضعضع

ألا قد أرى إلا بثينة ها هنا

لنا بعد ذا المصطاف والمتربع

لمبعد في الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقیل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولابن سريج في الأول والثاني والخامس خفيف رمل بالبنصر عن عمرو. ولأبجر في الأول والخامس والثالث والرابع رمل

بالنصر. وفي الأول والثاني خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وغيره، ولم تعرف صحته من جهة يوثق بها. شعره لما أبعده السلطان عن بثينة: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال أنشدنا بهلول بن سليمان الجميل لما بعد عن بثينة وخاف السلطان، وكان بهلول يعجب به:

ألا قد أرى إلا بثينة للقلب بوادي بدأ لا بحسمى ولا الشغب
ولا ببصاقٍ قد تيممت فاعترف لما أنت لاقٍ أو تتكب عن الركب
أفي كل يوم أنت محدث صبوّة تموت لها بدلت غيرك من قلب

حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا أبي عن يعقوب بن محمد الزهري عن سليمان بن صخر الحرشي قال حدثنا سليمان بن زياد الثقفي: أن بثينة دخلت على عبد الملك بن مروان. فرأى امرأة خلفاء مولية، فقال لها: ما الذي رأى فيك جميل؟. قالت: الذي رأى فيك الناس حين استخلفوك: فضحك عبد الملك حتى بدت له سنُّ سوداء كان يسترها. شعره في جملة جديل: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم العويثي: أن جمل جميل الذي كان يزور عليه بثينة يقال له جديل وفيه يقول:

أنخب جديلاً عند بثنة ليلةً ويوماً أطال الله رغم جديل
أليس مناخ النضو يوماً وليلةً لبثنة فيما بيننا بقليل؟

مهاجاته قومها بني الأحب وإهدار السلطان لهم دمه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو غسان محمد بن يحيى المكي: أن جميلاً لما اشتهرت بثينة بحبه إياها اعترضه عبید الله بن قطبة أحد بني الأحب وهو من رهطها الأذنين فهجاه، وبلغ ذلك جميلاً فأجابه، وتطاولا فغلبه جميل وكف عن ابن قطبة، واعترضه عمير بن رمل رجل من بني الأحب فهجاه. وإياه عنى جميل بقوله:

إذا الناس هابوا خزيةً ذهبت بها أحب المخازي كهلها ووليدها
لعمر عجوزٍ طرقت بك إنني عمير بن رملٍ لابن حربٍ أقودها
بنفسي فلا تقطع فؤداك ضلةً كذلك حزني وعثها وصعودها

قال: فاستعدوا عليه عامر بن ربيعي بن دجاجة، وكانت إليه بلاد عذرة، وقالوا: يهجوننا ويغشي بيوتنا وينسب بنسائنا! فأباحهم دمه، وطلب فهرب منه. وغضبت بثينة لهجائه أهلها جميعاً. فقال جميل:

وما صائبٌ من نابلٍ قذفت به يدٌ وممر العقدين وثيق
له من خوافي النسر حمٌّ نظائرٌ ونصلٌ كنصل الزاعبي فتيق
على نبعةٍ زوراء أما خطامها فمتنٌ وأما عودها فعتيق

نوافذ لم تظهر لهن خروق
فريق أقاموا استمر فريق
ولكنني صلب القناة عريق
تكشف غماها وأنت صديق

بأوشك قتلاً منك يوم رميتني
تفرق أهلاًنا بئين فمنهم
فلو كنت خواراً لقد باح مضمر
كأن لم نحارب يا بئين لو أنه

قال ويدل على طلب عامر بن ربعي إياه قوله:

حذار ابن ربعي بهن رجوم

أضر بأخفاف البغلية أنها

لما أهدر دمه هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشام: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل الأصبهاني قال حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال حدثني بعض رواة عذرة: أن السلطان أهدر دم جميل لرهط بئينة إن وجدوه قد غشي دورهم. فحذرهم مدة، ثم وجدوه عندها، فأعذروا إليه وتوعده وكرهوا أن ينشب بينهم وبين قومه حرب في دمه، وكان قومه أعز من قومها، فأعادوا شكواه إلى السلطان، فطلبه طلباً شديداً، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدة. وأنشدني له في ذلك:

على النأي مشتاقٌ إليّ وشائق

ألم خيالٌ من بئينة طارق

إلي ودوني الأشعرون وغافق

سرت من تلاع الحجر حتى تخلصت

تغل به أردانها والمرافق

كأن فتيت المسك خالط نشرها

ويغدو به من حضنها من تعانق

تقوم إذا قامت به عن فراشها

قال أبو عمرو وحدثني هذا العذري: أن جميلاً لم يزل باليمن حتى عزل ذلك الوالي عنهم، وانتجعوا ناحية الشام فرحل إليهم. قال: فلقيته فسألته عما أحدث بعدي، فأنشدني:

على الهجر منا صيفٌ وربيع

سقى منزلينا يا بئين بحاجرٍ

بلى بلى لم تبلى ربيع

ودورك يا ليلي وإن كن بعدنا

لقمرها بالمشرقين سجع

وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى

هزيمٌ بسلاف الرياح ربيع

ترزع منها الريح كل عشية

بدار أذى من شامت لجزوع

وإني أن يعلى بك اللوم أو تري

وإن زجرتي زجرةً لو ريع

وإني على الشيء الذي يلتوى به

نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقدتك من نفس شعاعٍ فإنني

فقربت لي غير القريب وأشرفت
يقولون صبّ بالغواني موكلٌ
هناك ثنايا ما لهن طلوع
وهل ذاك من فعل الرجال بديع !
وقالوا رعبت اللهو والمال ضائعٌ
فكالناس فيهم صالحٌ ومضيع

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشامي وابن خرداذبه وإبراهيم. وذكر حبشٌ أن في هذه الأبيات
لإسحاق لحناً من الثقليل بالوسطى، ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلا في كتابه. ومن الناس من
يدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على روي وقافية هذه القصيدة، وليست له.
أنشد كثير من شعره وقال هو أشعر الناس: أخبرني محمد بن مزيد قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمر بن
أبي بكر المؤملي عن أبي عبيدة عن أبيه قال: دخل علينا كثير يوماً وقد أخذ بطرف ريطته وألقى طرفها الآخر
وهو يقول: هو والله أشعر الناس حيث يقول:

وخبرتاني أن تيماء منزلٌ
فهذي شهور الصيف عني قد انقضت
لليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فما للنوى ترمي بليلي المراميا

ويجر ريطته حتى يبلغ إلينا، ثم يولي عنا ويجرها ويقول: هو والله أشعر الناس حيث يقول:

وأنت التي إن شئت كدرت عيشتي
وأنت التي ما من صديق ولا عداً
وإن شئت بعد الله أنعمت باليا
يرى نضو ما أبقيت إلا رثى ليا

ثم يرجع إلينا ويقول: هو والله أشعر الناس. فقلنا: من تعني يا أبا صخر؟ فقال: ومن أعني سوى جميل! هو والله
أشعر الناس حيث يقول هذا! وتيماء خاصة. متلٌ لبني عذرة، وليس من منازل عامر، وإنما يرويه عن المجنون من
لا يعلمه.

وفي هذه القصيدة يقول جميل:

وما زلتُم يا بثن حتى لو أنني
إذا خدرت رجلي وقيل شفاؤُها
من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا
دعاء حبيبٍ كنت أنت دعائيا
وما زادني النأي المفرق بعدكم
ألم تلعمي يا عذبة الريق أنني
لقد خفت أن ألقى المنية بغتةً
وفي النفس حاجاتٌ إليك كما هيا

أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا بعض أصحابنا عن محمد بن معن الغفاري عن الأصبع
بن عبد العزيز قال: كنت عند طلحة بن عبد الله بن عوف، فدخل عليه كثير، فلما دخل من الباب أخذ برجله
فثناها ثم حجل حتى بلغ الفراش وهو يقول: جميلٌ والله أشعر العرب حيث يقول:

وخبرتmani أن تيماء منزل

ثم ذكر باقي الخبر الذي رواه محمد بن يزيد.

يوم ذي ضال: أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمر بن إبراهيم السعدي.

أن رهط بثينة قالوا إنما يتبع جميل أمة لنا. فواعد جميل بثينة حين لقيها ببرقاء ذي ضال، فتحاثا ليلاً طويلاً حتى أسحرا. ثم قال لها: هل لك أن ترقدي؟ قالت: ما شئت، وأنا خائفة أن نكون قد أصبحنا. فوسدها جانبها ثم اضطجعا ونامت، فانسل واستوى على راحلته فذهب، وأصبحت في مضجعها، فلم يزع الحي إلا بها راقدة عند مناخ راحلة جميل. فقال جميل في ذلك:

فبرقاء ذي علي شهيد

فمن يك في حبي بثينة يمتري

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن شبيب عن الحرابي عن فليح بن إسماعيل. يمثل هذه القصة، وزاد فيها: فلما انتبهت بثينة علمت ما أرادها جميل بها، فهجرته وآلت ألا تظهر له، فقال:

بثينة يوماً في الحياة سبيل؟

ألا هل إلى المامة أن ألمها

عناء على العذري منك طويل

فإن هي قالت لا سبيل فقل لها

وينسى اتباع الوصل منه خليل

على حين يسلو الناس عن طلب
الصبا

شكاه أهلها إلى قومه فلاموه، وشعره في ذلك: وقال الهيثم وأصحابه في أخبارهم: تشكى زوج بثينة إلى أبيها وأخيها إمام جميل بها. فوجهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشكوه إلى عشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعدوه، وأتاهم فلامه أهله وعنفوه وقالوا: إنا نستحلف إليهم ونتبرأ منك ومن جريرتك. فأقام مدة لا يلم بها، ثم لقي ابني عمه روقاً ومسعوداً، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله:

وإن زجرتني زجرة لوريع

وإني على الشيء الذي يلتوى به

نهيتك عن هذا وأنت جميع

فقدتك من نفس شعاع فإنني

هناك ثنايا ما لهن طلوع

فقربت لي غير القريب وأشرفت

وهل ذاك من فعل الرجال بديع

يقولون صب بالغواني موكل

فكالناس فيهم صالح ومضيع

وقالوا رعت اللهو والمال ضائع

تمثل محمد بن عبد الله بن حسن بشعره لزوجته: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني مصعب بن عبد الله قال: كانت تحت محمد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزبير يقال لها فليحة، وكانت لها

صبيةً يقال لها رحية، قد ربّتها لغير رشدة، وكانت من أجمل النساء وجهاً. فرأت محمداً وقد نظر إليها ذات يوم نظراً شديداً، ثم تمثل قول جميل:

بثنية من صنفٍ يقلبن أيدي الرم
ولكنما يظفرن بالصيد كلما
أهوما يحملن قوساً ولا نبلا
جلون الثنايا الغر والأعين النجلا
يخالسن ميعاداً يرعن لقلوها
إذا نطقت كانت مقالتها فصلا
يرين قريباً بيتها وهي لا ترى
سوى بيتها بيتاً قريباً ولا سهلا

فقالت له فليحة: كأنك تريد رحية! قال: إي والله! قالت: إني أخشى أن تحيي منك بولد وهي لغير رشدة. فقال لها: إن الدنس لا يلحق الأعقاب ولا يضر الأحساب. فقالت له: فما يضر إذا! والله ما يضر إلا الأعقاب والأحساب، وقد وهبتها لك. فسر بذلك وقال: أما والله لقد أعطيتك خيراً منها. قالت: وما هو؟ قال: أبيات جميل التي أنشدتها إياها، لقد مكثت أسعى في طلبها حولين. فضحكت وقالت: ما لي ولأبيات جميل! والله ما ابتغيت إلا مسرتك. قال: فولدت منه غلاماً. وكانت فليحة تدعو الله ألا يقيه. فبينما محمد في بعض هربه من المنصور والجارية وابنها معه إذ رهقهما الطلب، فسقط الصبي من الجبل فتقطع. فكان محمد بعد ذلك يقول: أحيب في هذا الصبي دعاء فليحة.

نصح أبوه فرد عليه رداً أبكاه وأبكى الحاضرين، وشعره في ذلك: وقال الهيثم بن عدي وأصحابه في أخبارهم: لما نذر أهل بثينة دم جميل وأباحهم السلطان قتله، أعذروا إلى أهله. وكانت منازلهم متجاورة، إنما هم بيوتات يفترقون كما يفترق البطون والأفخاذ والقبائل غير متباعدين، ألم تر إلى قول جميل:

أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها
وأهلي قريبٌ موسعون أولو فضل

فمشت مشيخة الحي إلى أبيه - وكان يلقب صباحاً وكان ذا مالٍ وفضل وقدر في أهله - فشكوه إليه وناشدوه الله والرحم وسألوه كف ابنه عما يتعرض له ويفضحهم به في فتاتهم، فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع، ثم انصرفوا. فدعا به فقال له: يا بني! حتى متى أنت عمّة في ظلالك، لا تأنف من أن تتعلق بذات بعل يخلو بها وينكحها وأنت عنها بمعزل ثم تقوم من تحته إليك فتعرك بخداعها وتريك الصفاء والمودة وهي مضمرّة لبعلها ما تضمّره الحرة لمن ملكها، فيكون قولها لك تعليلاً وغروراً، فإذا انصرفت عنها عادت إلى بعلها على حالتها المبذولة، إن هذا لذلٌ وضيءٌ! ما أعرف أخيب سهماً ولا أضيع عمراً منك. فأنشدك الله إلا كففت وتأمّلت أمرك، فإنك تعلم أن ما قلته حقٌّ، ولو كان إليها سبيلٌ لبذلت ما أملكه فيها، ولكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدر له، وفي النساء عوضٌ. فقال له جميل: الرأي ما رأيته، والقول كما قلت، فهل رأيته قبلي أحداً قدر أن يدفع عن قلبه هواه، أو ملك أن يسلي نفسه، أو استطاع أن يدفع ما قضى عليه! والله لو قدرت أن أحو ذكرها

من قلبي أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت، ولكن لا سبيل إلى ذلك، وإنما هو بلاءٌ بليت به حينٍ قد أتيح لي،
وأنا أمتنع من طروق هذا الحي والإمام بهم ولو مت كمداً، وهذا جهدي ومبلغ ما أقدر عليه. وقام وهو يبكي،
فبكى أبوه ومن حضر جزءاً لما رأوا منه. فذلك حين يقول جميل: صوت

ألا من لقلبٍ لا يمل فيذهل
أفق فالتعزي عن بثينة أجمل
سلا كل ذي ودٍّ علمت مكانه
وأنت بها حتى الممات موكل
فما هكذا أحببت من كان قبلها
ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل

الغناء لمالك ثقلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق

فيا قلب دع ذكرى بثينة إنها
وقد أيّست من نيلها وتجهمت
وإلا فسألها نائلاً قبل بينها
وأبخل بها مسؤولةً حيث تسأل
وكيف ترجي وصلها بعد بعدها
وقد جد حبل الوصل ممن تؤمل
وإن التي أحببت قد حيل دونها
فكن حازماً والحازم المتحول
وفي الأرض عمن لا يواتيك معزل
ففي اليأس ما يسلي وفي الناس خلّة
بدا كلفٌ مني بها فتناقلت
هبيني بريئاً نلت به بظلامه
قناةً من المران ما فوق حقوها
وما تحته منها نقاً يتهيل

قال وقال أيضاً في هذه الحال.

صوت

أعن ظعن الحي الألى كنت تسأل
بليلٍ فردوا غيرهم وتحملوا
فأمسوا وهم أهل الديار وأصبحوا
ومن أهلها الغربان بالدار تحجل

في هذين البيتين لسياطٍ خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لآبن جامع ثاني ثقلٍ بالوسطى
عن عمرو

على حين ولى الأمر عنا وأسمحت
عصا البين وانبت الرجاء المؤمل
فما هو إلا أن أهيم بذكرها
ويحظى بجدواها سواي ويجذل
وقد أبقت الأيام مني على العدا
حساماً إذا مس الصربية يفصل

ولست كمن إن سيم ضيماً أطاعه
لعمري لقد أبدى لي البين صفحه
وآخر عهدي من بثينة نظرة
فلله عينا من رأى مثل حاجة
وإني لأستبكي إذا ذكر الهوى
نظرت ببشرٍ نظرةً ظلت أم تري
إذا ما كررت الطرف نحوك رده
ولا كامريءٍ إن عضه الدهر ينكل
وبين لي ما شئت لو كنت أعقل
على موقفٍ كادت من البين تقتل
كتمتكها والنفس منها تململ
إليك وإني من هواك لأوجل
بها عبرةً والعين بالدمع تكحل
من البعد فياضٌ من الدمع يهمل

ودع بثينة حين خروجه من الشام: أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب بن عباية قال:

لما أراد جميلُ الخروج إلى الشام، هجم ليلاً على بثينة وقد وجد غفلةً. فقالت له: أهلكني والله وأهلك نفسك! ويحك! أما تخاف! فقال لها: هذا وجهي إلى الشام، إنما جئتكم مودعاً. فحادثها طويلاً ثم ودعها، وقال: يا بثينة، ما أرانا نلتقي بعد هذا، وبكيا طويلاً. ثم قال لها وهو يبكي:

ألا لا أبالي جفوة الناس ما بدا
وما لم تطيعي كاشحاً أو تبدلي
وإني وتكراري الزيارة نحوكم
وإن صباباتي بكم لكثيرة
لنا منك رأيٌ يا بثين جميل
بنا بدلاً أو كان منك ذهول
بثين بذى هجرٍ بثين يطول
بثين ونسيانكم لقليل

أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالخداء لمدحه فقالوا شعراً في الفخر: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني شيوخٌ من عذرة: أن مروان بن الحكم خرج مسافراً في نفرٍ من قريش ومعه جميل بن معمر وجواس بن قطبة أخو عبيد الله بن قطبة. فقال مروان لجواس: انزل فارجز بنا، وهو يريد أن يمدحه. فترل جواس وقال:

يقول أميري هل تسوق ركابنا
تكرمت عن سوق المطي ولم يكن
جعلت أبي رهناً وعرضي سادراً
إلى شر بيتٍ من قضاة منصبا
فقلت له حادٍ لهن سوائيا
سياق المطي همتي ورجائيا
إلى أهل بيت لم يكونوا كفائيا
وفي شر قومٍ منهم قد بداليا

فقال مروان: اركب لا ركبت! ثم قال لجميل: انزل فارجز بنا، وهو يريد أن يمدحه. فترل جميل فقال:

الفارح الناس الأعز الأكرم
كانوا على غارب طودٍ خضرم

أنا جميلٌ في السنام الأعظم
أحمي ذماري ووجدت أقرمي
أعيا على الناس فلم يهدم

فقال: عد عن هذا. فقال جميل:

من بعد ما كان قد استكفا
لرجفت منه الجبال رجفا

لهفا على البيت المعدي لهفا
ولو دعا الله ومد الكفا

فقال له اركب لا ركبت! أمره الوليد بالحداء ليمدحه فقال شعراً في الفخر، ولم يمدح أحداً قط: قال الزبير
وحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي قال: كان جميلٌ مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليد على نجيب، فرجز به
مكين العذري فقال:

خليفة الله على ذراكا

يا بكر هل تعلم من علاكا

فقال الوليد لجميل: انزل فارجز، وظن الوليد أنه يمدحه. فتزل فقال:

في الذروة العليا والركن الأشد

أنا جميلٌ في السنام من معد

ما يبتغي الأعداء مني ولقد

والبيت من سعد بن زيد والعدد

أفود من شئت وصعب لم أقد

أضري بالثتم لسانني ومرد

فقال له الوليد: اركب لا حملك الله! قال: وما مدح جميل أحداً قط.

هدده الحزين الديلي فهجاه: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا يونس بن عبد الله بن سالم قال: وقف
جميلٌ على الحزين الديلي والحزين ينشد الناس. فقال له الحزين وهو لا يعرفه: كيف تسمع شعري؟ قال: صالحٌ
وسط. فغضب الحزين وقال له: ممن أنت؟ فو الله لأهجونك وعشيرتك! فقال جميل: إذا تندم. فأقبل الحزين
يهمهم يريد هجاءه. فقال جميل:

وكل قوم لهم من قومهم ذنب

الدليل أذئاب بكرٍ حين تنسبهم

فقامت له بنو الدليل وناشدوه الله إلا كف عنهم، ولم يزالوا به حتى أمسك وانصرف.

راجز جواس بن قطبة حين ذكر أخته فغلبه: أخبرني الحرمي ومحمد بن مزيد - واللفظ له - قالاً حدثنا الزبير بن
بكار قال حدثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: لما هاجى عبيد الله بن قطبة جميلاً واستعلى عليه جميلٌ، أعرض
عنه، واعترضه أخوه جواس بن قطبة فهجاه وذكر أختاً لجميل. وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا ينصب له، حتى
هجا أخته فقال فيهما ذكرها به من شعره:

بعهدي لفاوين أردفتا ثقلا

إلى فخذيهما العبلتين وكانتا

فغضب جميلٌ حينئذ فواعده للمراجعة. قال الزبير فحدثني بعض آل العباس بن سهل بن سعد عن عباس قال: قدمت من عند عبد الملك بن مروان وقد أجازني وكساني برداً، كان ذلك البرد أفضل جائزتي، فزلت وادي القرى فوافقت الجمعة بها فاستخرجت بردي الذي من عند عبد الملك وقلت أصلي مع الناس، فلقيني جميلٌ، وكان صديقاً لي، فسلم بعضاً على بعضٍ وتساءلنا ثم افترقنا. فلما أمسيت إذا هو قد أتاني في رحلي فقال: البرد الذي رأيته عليك تعيرنيه حتى أتجمل به، فإن بيني وبين جواس مراجعةً، وتحضر فتسمع. قال قلت: لا! بل هو لك كسوة، فكسوته إياه، وقلت لأصحابي: ما من شيء أحب إلي من أن أسمع مراجعتهما. فلما أصبحنا جعل الأعراب يأتون أرسالاً حتى اجتمع منهم بشرٌ كثيرٌ، وحضرت وأصحابي، فإذا بجميل قد جاء وعليه حلتان ما رأيت مثلهما على أحد قط، وإذا بردي الذي كسوته إياه قد جعله جلاً لجمله، فتراجزا فرجز جميل، وكانت بثينة تكي أم عبد الملك، فقال:

فبيني صر مى أوصليني

أبكي حذار أن تفارقيني

إن بني عمك أوعدوني

ويقتلونني ثم لا يدوني

شفعاً ووتراً لتواكلوني

ضرباً كإيزاغ المخاض الجون

بلى وما مر علي دفين

قد جربوني ثم جربوني

أخزاهم الله ولا يخزيني

أحسن حس أسد حرون

أنا جميل فتعرفوني

وما أعينكم لتسألوني

ينشق عنها السيل ذو الشؤون

ذو حدب إذا يرى حجون

يا أم عبد الملك اصرميني

أبكي وما يدريك ما يبكييني

وتجعلني أبعد مني دوني

إن يقطعوا رأسي إذا لقوني

كلا ورب البيت لو لقوني

قد علم الأعداء أن دوني

ألا أسب القوم إذ سبونني

وسابحات بلوي الحجون

حتى إذا شابوا وشيبوني

أشباه أعيار على معين

فهن يضرطن من اليقين

وما تقنعت فتتكروني

أنمي إلى عادية طحون

غمر يدق رجح السفين

تتحل أحقاد الرجال دوني

قال: ورجز جميل أيضاً:

أنا جميلٌ في السنام من معد

وقد تقدمت هذه الأرجوزة. ثم رجز بعده جواسٌ فلم يصنع شيئاً. قال: فما رأيت غلبةً مثلها قط.
هجا خواتا العذري وبني الأحب: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا بهلول بن سليمان عن العلاء بن
سعيد البلوي وجماعةٍ غيره من قومه: أن رجلاً من بني عذرة كان يقال له خواتٌ، أمه بلوية، وكان شاعراً،
وكان جميل ابن جذامية. فخرج جميل إلى أخواله بجذام وهو يقول:

جذام سيوف الله في كل موطنٍ
إذا أزمت يوم اللقاء أزام
هم منعوا ما بين مصر فذي القرى
إلى الشأم من حلٍّ به وحرام
بضرب يزيل الهام عن سكناته
وطعن كإيزاغ المخاض تّوام
إذا قصرت يوماً أكف قبيلة
عن المجد نالته أكف جذام

فأعطوه مائة بكرة. قال: وخرج خواتٌ إلى أخواله من بلي وهو يقول:

إن بلياً غرةً يهتدى بها
كما يهتدي الساري بمطلع النجم
هم ولدوا أُمي وكنت ابن أختهم
ولم أتخول جذم قوم بلا علم
قال: فأعطوه مائة غرة ما بين فرس إلى وليدة، ففخر على صاحبه، وذكر أن الغرة الواحدة مما أتى به مما معه
تعدل كل شيء أتى به جميل. فقال عبيد الله بن قطبة:

ستقضي بيننا حكماء سعدٍ
أقطبة كان خيراً أم صباح
قال: وكان عبد الله بن معمر أبو جميلٍ يلقب صباحاً. وكان عبيد الله بن قطبة يلقب حماظاً. فقال النخار
العذري أحد بني الحارث بن سعد: قطبة كان خيراً من صباح. فقال جميل يهجو بني الأحب رهط قطبة ويهجو
النخار:

إن أحب سفلٌ أشرار
حنالةٌ عودهم خوار
أذل قوم حين يدعى الجار
كما أذل الحارث النخار

وقال الأبيرق العتي: قطبة كان خيراً من صباح. فقال جميل:

يا بن الأبيرق وطبٌ بت مسنده
إلى وسادك من حم الذرى جون
وأكلتان إذا ما شئت مرتفقاً
بالسير من نغل الدفين مدهون

أذكر وأمك مني حين تتكلمي
جني فيغلب جني كل مجنون

وقال جماعة من شعراء سعد بن تفضيل قطبة على صباح أقوالاً أجابهم عنها جميل فأفحمهم، حتى قال له جعفر بن سراقه أحد بني قرّة:

نحن منعنا ذا القرى من عدونا
وعذرة إذ تلقى يهوداً ويعشرا
منعناه من عليا معدّ وأنتم
سفاسيف روح بين قرح وخيبرا
فريقان رهبانّ بأسفل ذي القرى
وبالشأم عرافون فيمن تنصرا

فلما بلغت جميلاً اتقاه وعلم أنه سيعلو عليه، فقال جميل:

بني عامرٍ أنى انتجعتم وكنتم
إذا حصل الأقوام كالخصية الفرد
فأنتم ولأى موضع الذل حجرة
وقرة أولى بالعلاء وبالمجد

فأعرض عنه جعفر قال الزبير: بنو عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد رهط هذبة بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن وهو سلمة بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن سعد هذيم بن زيد. وزيادة ابن زيد بن مالك بن عامر بن قرّة بن خنيس بن عمرو بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد هذيم. ولأبي بن عبد مناة بن الحارث بن سعد هذيم قال: فدخل جميل على هذبة بن خشرم السحن وهو محبوسٌ بدم زيادة بن زيد، وأهدى له بردين من ثياب كساه إياهما سعيد بن العاصي، وجاءه بنفقة، فلما دخل عليه عرض ذلك عليه، فقال هذبة: أنت يا بن قميئة الذي تقول:

بني عامرٍ أنى انتجعتم وكنتم
إذا عدد الأقوام كالخصية الفرد

أما والله لئن خلص الله لي ساقى لأمدن لك مضمارك، خذ برديك ونفقتك. فخرج جميل، فلما بلغ باب السحن خارجاً قال: اللهم أغن عني أجدع بني عامر! وكانت بنو عامر قد قلوا فحالفوا لأياً. لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضله على نفسه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالاً حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المخزومي قال حدثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المغيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ

قال: شهدت عمر بن أبي ربيعة وجميل بن عبد الله بن معمر وقد اجتمعا بالأبطح، فأنشد جميل قصيدته:

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي
بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلاً يا جميل وإنني
لأقسم ما بي من بثينة من مهل
أحلماً فقبل اليوم كان أوانه
أم أخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل
لقد أنكحوا حربي نبيهاً طعينةً
لطيفة طي البطن ذات شوَى خدل

وكم قد رأينا ساعياً بنميمة
إذ ما تراجعنا الذي كان بيننا
لآخر لم يعمد بكفٍّ ولا رجل
جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل

كلانا بكى أو كاد يبكي صبايةً
فلو تركت عقلي معي ما طلبتها
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها
وقالت لأترابٍ لها لا زعانفٍ
إذا حميت شمس النهار اتقيناها
تداعين فاستعجمن مشياً بذى الغضا
إذا ارتعن أو فزعن قمن حوالها
أجدي لا ألقى بثينة مرةً
خليلي فيما عشتما هل رأيتما

قال: وأنشده عمر قوله:

جرى ناصحٌ بالود بيني وبينها
فما أنس م الأشياء أنس موقفي
فلما توافقنا عرفت الذي بها
فقلن لها هذا عشاءٌ وأهلنا
فقربني يوم الحصاب إلى قتلي
وموقفها وهناً بقارعة النخل
كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
قريبٌ ألما تسأمي مركب البغل

فقال فما شئت قلن لها انزلي
فأقبلن أمثال الدمى فاكتنفنها
نجومٌ دراريٌ تكنفن صورةً
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى
فقال وألقت جانب الستر إنما
فقلت لها ما بي لهم من ترقبٍ
فلأرض خيرٌ من وقوفٍ على رحل
وكلٌ يفدي بالمودة والأهل
من البدر وافت غير هوجٍ ولا ثجل
عدوٌ مكاني أو يرى كاشحٌ فعلي
معي فتحدث غير ذي رقبةٍ أهلي
ولكن سري ليس يحمله مثلي

فلما اقتصرنا دونهن حديثنا
عرفن الذي نهوى فقلن انذني لنا
ووهن طبيباتٌ بحاجة ذي التبل
فقالن فلا تلبثن قلن تحدثي
أنتين الذي يأتين من ذاك من أجلي
وقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما

فقال جميلٌ: هيهات يا أبا الخطاب: لا أقول والله مثل هذا سحيس الليالي! وما خاطب النساء مخاطبتك أحد،
وقام مشمراً.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني صوت

خليلي فيما عشتما هل رأيتما
أبيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها
قَتِيلًا بكى من حب قاتله قبلي
وأهلي قريبٌ موسعون ذوو فضل
فلو تركت عقلي معي ما طلبتها
ولكن طلابيها لما فات من عقلي

الغناء للغريض ثاني ثقیل بالوسطى عن عمرو. وذكر حماد والهمشامي أن فيه لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر
لحناً من الثقيل الأول.

ومنها: صوت

ألا أيها البيت الذي حيل دونه
ثلاثة أبياتٍ فبيتٌ أحبه
بنا أنت من بيتٍ وأهلك من أهل
وبيتان ليسا من هواي ولا شكلي
كلانا بكى أو كاد يبكي صباباً
إلى إلفه واستعجلت عبرة قبلي

الغناء لإسحاق خفيف ثقیل الثاني بالبنصر.

ومنها: صوت

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي
يقولون مهلاً يا جميل وإنني
بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
لأقسم ما بي عن بثينة من مهل

الغناء لابن محرز من كتاب يونس ولم يحنسه، وذكر إسحاق أنه مما ينسب إلى ابن محرز وابن مسجح، ولم يصح
عنده لأيهما هو ولا ذكر طريقته.

غنى نافع الخير يزيد بن معاوية من شعره: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني غير واحد من
الرواة عن صالح بن حسان قال أخبرني نافع مولى عبد الله بن جعفر - وما رأيت أحداً قط كان أشكل ظرفاً ولا
أزين في مجلسٍ ولا أحسن غناءً منه - قال:

قدمنا مع عبد الله بن جعفر مرة على معاوية، فأرسل إلي يزيد يدعوني ليلاً، فقلت: أكره أن يعلم أمير المؤمنين

مكاني عندك فيشكوني إلى ابن جعفر. قال فامهل حتى إذا سمر أمير المؤمنين فإن ابن جعفر يكون معه فلا يفتقدك ونخلو نحن بما نريد قبل قيامهما. فأتيته فغنيتها، فو الله ما رأيت فتى أشرف أريحية منه، والله لألقى علي من الكسا الخنز والوشي وغيره ما لم أستطع حمله، ثم أمر لي بخمسائة دينار. قال: وذهب بنا الحديث وما كنا فيه، حتى قام معلوية ونهض ابن جعفر معه، وكان باب يزيد في سقيفة معاوية، فسمع صوتي، فقال لابن جعفر: ما هذا يا بن جعفر؟ قال: هذا والله صوت نافع. فدخل علينا، فلما أحس بن يزيد تناوم. فقال له معاوية: ما لك يا بني؟ قال: صدعت فرجوت أن يسكن عني بصوت هذا. قال: فتبسم معاوية وقال: يا نافع، ما كان أغنانا عن قدومك! فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين، إن هذا في بعض الأحيان يذكي القلب. قال: فضحك معاوية وانصرف. فقال لي ابن جعفر: ويلك! هل شرب شيئاً؟ قلت: لا والله. قال: والله إني لأرجو أن يكون من فتیان بني عبد مناف الذين ينتفع بهم. قال نافع: ثم قدمنا على يزيد مع عبد الله بن جعفر بعد ما استخلف، فأجلسه معه على سريره ودخلت حاشيته تسلم عليه ودخلت معهم. فلما نظر إلي تبسم. ثم نهض ابن جعفر وتبعناه. فقيل له: نظر إلى نافع وتبسم. فقال ابن جعفر: هذا تأويل تلك الليلة. فقضى حوائج ابن جعفر وأضعف ما كان يصله به معاوية. فلما أراد الانصراف أتاه يودعه ونحن معه، فأرسل إلي يزيد فدخلت عليه. قال: ويحك يا نافع! ما أحررتك إلا لأنفرغ لك. هات لحنك:

خليلي فما عشتما هل رأيتما

قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

فأسمعته، فقال: أعد ويلك! فأعدته، ثم قال: أعد فأعدته ثلاثاً. فقال: أحسنت، فسل حاجتك، فما سألتني في ذلك اليوم شيئاً إلا أعطانيه. ثم قال: إن يصلح لنا هذا الأمر من قبل ابن الزبير فلعلنا أن نحج فتلقانا بالمدينة! فإن هذا الأمر لا يصلح إلا هناك. قال نافع: فممننا والله من ذلك شؤم ابن الزبير. سأله عمر بن أبي ربيعة عن بثينة فذهب إليها وحدثها: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفري قال حدثنا القاسم بن أبي الزناد قال: خرج عمر بن أبي ربيعة يريد الشام، فلما كان بالجناب لقيه جميل، فقال له عمر: أنشدني، فأنشده:

خليلي فما عشتما هل رأيتما

قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

ثم قال جميل: أنشدني يا أبا الخطاب، فأنشده:

ألم تسأل الأطلال والمتربعا

بيبطن حليات دوارس بلقعا

فلما بلغ إلى قوله:

فلما تواقفنا وسلمت أشرققت

وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تباهن بالعرفان لما عرفنني

وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتميم

يقيس ذراعاً كلما قسن إصبعا

قال: فصاح جميلٌ واستخذى وقال: ألا إن النسيب أخذ من هذا، وما أنشدته حرفاً، فقال له عمر: اذهب بنا إلى
 بثينة حتى نسلم عليها. فقال له جميل: قد أهدر لهم السلطان دمي إن وجدوني عندها، وهاتيك أبياتهما. فأتاها
 عمر حتى وقف على أبياتهما وتأنس حتى كلم، فقال: يا جارية، أنا عمر بن أبي ربيعة، فأعلمي بثينة مكاني.
 فخرجت إليه بثينة في مبادلتها وقالت: والله يا عمر لا أكون من نسائك اللاتي يزعمن أن قد قتلهن الوجد بك،
 فانكسر عمر، قال وإذا امرأة أدماء طواله.
 وأخبرني بهذا الخبر علي بن صالح عن أبي هفان عن إسحاق عن المسيبي والزبير فذكر مثل ما ذكره الزبير وزاد فيه
 قال: فقال لها قول جميل:

وهما قالتا لو أن جميلاً
 عرض اليوم نظرةً فرآنا
 بينما ذاك منهما وإذا بي
 أعمل النص سيرةً زفينا
 نظرت نحو تربها ثم قالت
 قد أتانا وما علمنا منا

فقالت: إنه استملى منك فما أفلح، وقد قيل: اربط الحمار مع الفرس، فإن لم يتعلم من جريه تعلم من خلقه.
 لقي بثينة ورصده أهلها فهددهم ثم هجرته بثينة وشعره في ذلك:
 وذكر الهيثم بن عدي وأصحابه في أخبارهم: أن جميلاً طال مقامه بالشأم ثم قدم، وبلغ بثينة خبره فراسلته مع
 بعض نساء الحي تذكر شوقها إليه ووجدتها به وطلبها للحيلة في لقائه، ووعدته لموضع يلتقيان فيه، فسار إليها
 وحدثها طويلاً وأخبرها خبره بعدها. وقد كان أهلها رصدوها، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما
 عليهما، فوثب جميلٌ فانتضى سيفه وشد عليهما فاتقياه بالهرب، وناشدته بثينة الله إلا انصرف، وقالت له: إن
 أقمت فضحتني، ولعل الحي أن يلحقوك. فأبى وقال: أنا مقيمٌ وامضي أنت وليصنعوا ما أحبوا. فلم تزل تناشده
 حتى انصرف. وقال في ذلك وقد هجرته وانقطع التلاقي بينهما مدة:

ألم تسأل الربع الخلاء فينطق
 وهل تخبرنك اليوم ببداء سملق
 وقفت بها حتى تجلت عمايتي
 ومل الوقوف الأرحبي المنوق
 تعز وإن كانت عليك كريمةً
 لعلك من رق لبثنة تعنق
 لعمركم إن البعاد لشائقي
 وبعض بعاد البين والنأي أشوق
 لعلك محزونٌ ومبدٍ صبابه
 ومظهر شكوى من أناسٍ تفرقوا
 وبيض غريراتٍ تنثي خصورها
 غرائر لم يلقين بؤس معيشةٍ
 يجن بهن الناظر المتنوق
 وغلغلت من وجدٍ إليهن بعدما
 سریت وأحشائي من الخوف تخفق

معى صارمٌ قد أخلص القين صقله له حين أغشيه الضريبة رونق
فلولا احتيالي ضغن ذرعاً بزائرٍ به من صبايات إليهن أولق
تسوك بقضبان الأراك مفلجاً يشعشع فيه الفارسي المروق
أبثته للوصل الذي كان بيننا نضا مثل ما ينضوا الخضاب فيخلق
أبثته ما تتأين إلا كأني بنجم الثريا ما نأيت معلق

أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره من العتاب: أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: يا إسحاق، أنشدني أحسن ما تعرف في عتاب محبٍّ وهو ظالم معتتب. فقلت: يا أمير المؤمنين قول جميل:

رد الماء ما جاءت بصفرٍ ذنائبه ودعه إذا خيضت بطرقٍ مشاربه
أعاتب من يحلو لدي عتابه وأترك من لا أشتهي وأجانبه
ومن لذة الدنيا وإن كنت ظالماً عناقك مظلوماً وأنت تعاتبه

فقال: أحسن والله! أعدها علي، فأعدتها حتى حفظها، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحرم.

ذهب معه صديق له إلى بثينة فطارده أهلها فرجع: أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن السعدي قال: حدثني رجلٌ كان يصحب جميلاً من أهل تيماء قال: كنت يوماً جالساً مع جميل وهو يحدثني وأحدثه، إذ ثار وتربد وجهه، فأنكرته ورأيت منه غير ما كنت أرى، ووثب نافرأً مقشعر الشعر متغير اللون، حتى أتى بناقة له قريبة من الأرض مجتمعة موثقة الخلق فشدها عليها رحله، ثم أتى بمحلب فيه لبنٌ فشربه، ثم ثنى فشربت حتى رويت، ثم قال لي: اشد أداة رحلك واشرب واسق جملك فإني ذاهبٌ بك إلى بعض مذاهبي، ففعلت. فجال في ظهر ناقته وركبت ناقتي، فسرنا بياض يومنا وسواد ليلتنا، ثم أصبحنا فسرنا يومنا كله، لا والله ما نزلنا إلا للصلاة، فلما كان اليوم الثالث دفعنا إلى نسوة فمال إليهن، ووجدنا الرجال خلوفاً، وإذا قدر لبنٌ ثم وقد جهدت جوعاً وعطشاً. فلما رأيت القدر اقتحمت عن بعيري وتركته جانباً، ثم أدخلت رأسي في القدر ما يشيني حرها حتى رويت، فذهبت أخرج رأسي من القدر فضاقت علي وإذا هي على رأسي قلنسية، فضحك مني وغسلن ما أصابني. وأتي جميلٌ بقرى فو الله ما التفت إليه. فبينما هو يحدثهن إذا رواعي الإبل، وقد كان السلطان أحل لهم دمه إن وجدوه في بلادهم، وجاء الناس فقالوا له: ويحك! انج وتقدم! فو الله ما أكبرهم كل الإكبار. وغشيه الرجال فجعلوا يرمونه ويطردونه، فإذا قربوا منه قاتلهم ورمى فيهم. وهام بي جملي، فقال له يسر: لنفسك مركباً خلفي، فأردفني خلفه. ولا والله ما انكسر ولا انحل عن فرصته حتى رجع إلى أهله، وقد سار ست ليال وستة أيام وما التفت إلى طعام.

لامه فيها روق ابن عمه ولما رأى ما به احتال في زيارته لها وشعره في ذلك: وشكا زوج بثينة إلى أبيها وأخيها
إمام جميل بها، فوجهوا إلى جميل فأعذروا إليه وشكوه إلى عشيرته وأعذروا إليهم وتوعده وإياهم. فلامه أهله
وعنفوه وقالوا: استخلص إليهم ونبراً منك ومن جريرتك. فأقام مدة لا يلم بها. ثم لقي ابني عمه روقاً ومسعدة،
فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله: صوت

إن الزيارة للمحب يسير

زورا بثينة فالحبيب مزور

واعتاقنا قدرٌ أحم بكور

إن الترحل إن تلبس أمرنا

الغناء لعريب رملٌ بالوسطى صوت

تشكو إلي صبايةً لصبور

إني عشية رحت وهي حزينة

أشكو إليك فإن ذاك يسير

وتقول بت عندي فديتك ليلة

الغناء لسليم خفيف رملٌ بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقلٌ أول بالبنصر ذكر الهشامي أنه لمخارق، وذكر حبش أنه
لإبراهيم. وذكر حبش أن لحن مخارق خفيف رملٌ

در تحدر نظمه منثور

غراء مبسماً كأن حديثها

ريا الروادف خلقها ممكور

محطوطة المتنين مضمرة الحشى

دل ولا كوقارها توقير

لا حسنهما حسنٌ ولا كدلالها

والقلب صادٍ والخواطر صور

إن اللسان بذكرها لموكلٌ

إني بذلك يا بثين جدير

ولئن جزيت الود مني مثله

فقال له روق: إنك لعاجزٌ ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتركت الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود من هو
أجمل منها، وإنك منها بين فجورٍ أرفعك عنه، أو ذلٌّ لا أحبه لك، أو كمدٌ يؤديك إلى التلف، أو مخاطرةٍ
بنفسك لقومها إن تعرضت لها بعد أعذارهم إليك. وإن صرفت نفسك عنها وغلبت هواك فيها وتجرعت مرارة
الحزم حتى تألفها وتصبر نفسك عليها طائعةً أو كارهةً ألفت ذلك وسلوت. فبكى جميل وقال: يا أخي، لو
ملكيت اختياري لكان ما قلت صواباً، ولكني لا أملك الاختيار ولا أنا كالأسير لا يملك للنفسه نفعاً، وقد جئتكَ
لأمر أسألك ألا تكدر ما رجوته عندك فيه بلوم، وأن تحمل على نفسك في مساعدتي. فقال له: فإن كنت لا بد
مهلكاً نفسك فاعمل على زيارتها ليلاً، فإنها تخرج مع بنات عم لها إلى ملعب لهن، فأجيء معك حينئذ سرّاً، ولي
أخٌ من رهط بثينة من بني الأحب، نأوي عنده نهاراً، وأسأله مساعدتك على هذا، فتقيم عنده أياماً ثم تخرج وتجتمع
معها بالليل إلى أن تقضي أربك، فشكره. ومضى روق إلى الرجل الذي من رهط بثينة، فأخبره الخبر واستعده
كتماناً وسأله مساعدته فيه. فقال له: لقد جئتني بإحدى العظام، ويحك! إن في هذا معادتي الحي جميعاً إن فطن

به. فقال: أنا أتحرز في أمره من أن يظهر ، فواعده في ذلك، ومضى إلى جميل فأخبره بالقصة، فأتيا الرجل ليلاً فأقاما عنده. وأرسل إلى بثينة بوليدة له بخاتم جميل فدفعته إليها، فلما رآته عرفت، فتبعته وجاءته فتحدثا ليلتهما. وأقام بموضعه ثلاثة أيام ثم ودعها، وقال لها: عن غير قلى والله ولا ملل يا بثينة كان وداعي لك، ولكني قد تدممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقومه، وأقمت عنده ثلاثاً ولا مزيد على ذلك، ثم انصرف. وقال في عدل روق ابن عمه إياه:

لقد لامني فيها أخ ذو قرابة
وقال أفق حتى متى أنت هائم
فقلت له فيها قضى الله ما ترى
فإن بك رشداً حبها أو غواية
حبيب إليه في ملامته رشدي
ببثنة فيها قد تعيد وقد تبدي
علي وهل فيما قضى الله من رد
فقد جنثته ما كان مني على عمد

صوت

لقد لج ميثاق من الله بيننا
فلا وأبيها الخير ما خنت عهدا
وما زادها الواشون إلا كرامة
الغناء لمقيم ثقيل أول عن الهشامي. وذكر ابن المعتز أنه لشارية، وذكر ابن خرداذبه أنه لقلم الصالحية
أفي الناس أمثالي أحب فحالهم
وهل هكذا يلقي المحبون مثل ما
وقال جميل فيها:
وليس لمن لم يوف الله من عهد
ولا لي علم بالذي فعلت بعدي
علي وما زالت مودتها عندي
كحالي أم أحببت من بينهم وحدي
لقيت بها أم لم يجد أحدٌ وجدي

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما
ألما بها ثم اشفعا لي وسلما
وبوحا بذكرى عند بثنة وانظرا
فإن لم تكن تقطع قوى الود بيننا
فسوف يرى منها اشتياق ولو عة
وإن تك قد حالت عن العهد بعدنا
فسوف يرى منها صدود ولم تكن
أعوذ بك اللهم أن تشحط النوى
على عذبة الأنياب طيبة النشر
عليها سقاها الله من سائغ القطر
أترتاح يوماً أم تهش إلى ذكرى
ولم تنس ما أسلفت في سالف الدهر
ببين وغرب من مدامعها يجري
وأصغت إلى قول المؤنب والمزري
بنفسي من أهل الخيانة والغدر
ببثنة في أدنى حياتي ولا حشري

وجاور إذا ما مت بيني وبينها
 عدمتك من حبٍّ أما منك راحةٌ
 ألا أيها الحب المبرح هل ترى
 أجدك لا تبلى وقد بلى الهوى
 أغري أجدك لا تبلى وقد بلى الهوى
 فيا حبذا موتي إذا جاورت قبري
 وما بك عني من توانٍ ولا فتر
 أخا كلفٍ يغري بحبٍّ كما أغري
 ولا ينتهي حبي بثينة للزجر
 ولا ينتهي حبي بثينة للزجر

صوت

هي البدر حسناً والنساء كواكبٌ
 لقد فضلت حسناً على الناس مثلاً
 وشتان ما بين الكواكب والبدر
 على ألف شهر فضلت ليلة القدر

غنت شاريةً في هذين البيتين خفيف رملٍ من رواية ابن المعتز.
 تمأجرا مدة ثم اصطالحا: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أخبرنا إسحاق بن محمد بن أبان قال حدثني
 الرحال بن سعد المازني قال: وقع بين جميل وبثينة هجرٌ في غيرِ كان غارها عليها من فتى كان يتحدث إليها من
 بني عمها، فكان جميل يتحدث إلى غيرها، فيشق ذلك على بثينة وعلى جميل، وجعل كل واحدٍ منهما يكره أن
 يبدي لصاحبه شأنه، فدخل جميلٌ يوماً وقد غلبه الأمر إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بثينة. فلما رآته بثينة
 جاءت إلى البيت ولم تبرز له، فجزع لذلك جميل، وجع كل واحد منهما يطالع صاحبه، وقد بلغ الأمر من جميل
 كل مبلغ، فأنشأ يقول:

لقد خفت أن يغتالني الموت عنوةً
 وإنني لنتنثيني الحفيظة كلما
 وفي النفس حاجاتٌ إليك كما هيا
 لقيتك يوماً أن أثبتك ما بيا
 ألم تعلمي يا عذبة الريق أنني
 أظل إذا لم أسق ريقك صاديا

قال: فرقت له بثينة، وقالت لمولاة لها كانت معها: ما أحسن الصدق بأهلك! ثم اصطالحا. فقالت له بثينة: أنشدني
 قولك:

تظل وراء الستر ترنو بلحظها
 إذا مر من أترابها من يروقها

فأنشدها إياها، فبكت وقالت: كلاً يا جميل! ومن ترى أنه يروقي غيرك! نعي جميل وحزن بثينة عليه: أخبرني
 أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال ذكر أيوب بن عباية قال:
 خرجت من تيماء في أغباش السحر، فرأيت عجوزاً على أتان، فتكلمت فإذا أعرايةٌ فصيحة. فقلت: ممن أنت؟
 فقالت: عذرية. فأجريت ذكر جميل وبثينة، فقالت: والله إنا لعلى ماءٍ لنا بالجناب وقد تنكبنا الجادة لجيوشٍ

كانت تأتينا من قبل الشام تريد الحجاز، وقد خرج رجالنا لسفرٍ وخلفوا معنا أحداثاً، فانحدروا ذات عشية إلى صرم قريبٍ منا يتحدثون إلى جوارٍ منهم، فلم يبق غيري وغير بثينة، إذ انحدر علينا منحدرٌ من هضبةٍ تلقاءنا، فسلم ونحن مستوحشون وجلون. فتأملته ورددت السلام فإذا جميلٌ. فقلت: أجميل؟ قال: أي والله، وإذا به لا يتماسك جوعاً، فقممت إلى قعبٍ لنا فيه أقطٌ مطحون وإلى عكةٍ فيها سمن وربٌّ، فعصرتها على الأقط ثم أدنيتها منه وقلت: أصب من هذا، فأصاب منه، وقمت إلى سقاء فيه لبنٌ فصببت عليه ماءً بارداً فشرب منه وتراجعت نفسه. فقلت: له: لقد بلغت ولقيت شراً، فما أمرك؟ قال: أنا والله في هذه الهضبة التي ترين منذ ثلاث ما أربعها أنتظر أن أرى فرجةً، فلما رأيت منحدر فتيانكم أتيتكم لأودعكم وأنا عامدٌ إلى مصر. فتحدثنا ساعةً ثم ودعنا وشخص، فلم تطل غيبته أن جاءنا نعيه. فزعموا أنه قال حين حضرته الوفاة:

وثنى بمصر ثواء غير قفول

صدع النعي وما كنى بجميل

نشوان بين مزارع ونخيل

ولقد أجز الذيل في وادي القرى

وابكي خليك دون كل خليل

قومي بثينة فاندبي بعويل

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن القاسم عن الأصمعي قال: حدثني رجلٌ شهد جميلاً لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعاه فقال: هل لك في أن أعطيك كل ما أخلفه على أن تفعل شيئاً أعهد إليك؟ فقال قلت: اللهم نعم. قال: إذا أنا مت فخذ حلتي هذه التي في عييتي فاعزلها جانباً ثم كل شيء سواها لك، وارحل إلى رهط بني الأحب من عذرة - وهو رهط بثينة - فإذا صرت إليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها، ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعل على شرفٍ وصح بهذه الأبيات وخلاك ذمٌ. ثم أنشدني هذه الأبيات:

وثنى بمصر ثواء غير قفول

صدع النعي وما كنى بجميل

وذكر الأبيات المتقدمة فلما قضى وواريته أتيت رهط بثينة ففعلت ما أمرني به جميل، فما استتممت الأبيات حتى برزت إلي امرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فرعتهن طولاً وبرزت أمامهن كأنها بدرٌ قد برز في دجنةٍ وهي تتعثر في مرطها حتى أتتني، فقالت: يا هذا، والله لئن كنت صادقاً لقد قتلتي، ولئن كنت كاذباً لقد فضحتني. قلتك والله ما أنا إلا صادق، وأخرجت حلته. فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها، واجتمع نساء الحي يكيين معها ويندبنه حتى صعقت فمكثت مغشياً عليها ساعةً، ثم قامت وهي تقول:

من الدهر ما حانت ولا حان حينها

وإن سلوي عن جميل لساعةٌ

إذا مت بأساء الحياة ولينها

سواءً علينا يا جميل بن معمر

قال: فلم أر يوماً كان أكثر باكياً وباكياً منه يومئذ.
صوت من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

أمسى الشباب مودعاً محموداً

والشيب مؤتلف المحل جديداً

وتغير البيض الأوانس بعدما

حملتهن مواتقاً وعهوداً

عروضه من الكامل. الشعر ليزيد بن الطثرية، والغناء لإسحاق، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبصرة. وفيه لبابويه خفيف ثقيل بالوسطى، كلاهما من رواية عمرو بن بانة.

ذكر يزيد بن الطثرية وأخباره ونسبه

نسبه ونسب أمه: ذكر ابن الكلبي أن اسمه يزيد بن الصمة أحد بني سلمة الخير بن قشير. وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير. وقال أبو عمرو الشيباني: اسمه يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وإنما قيل له سلمة الخير لأنه كان لقشير ابن آخر يقال له سلمة الشر. قال: وقد قيل: إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة. والطثرية أمه، فيما أخبرني به علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب، امرأة من طثر، وهم حي من اليمن عدادهم في جرم. وقال غيره: إن طثراً من عتر بن وائل إخوة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وكان أبو جراد أحد بني المنتفق بن عامر بن عقيل أسراً طثراً فمكث عنده زماناً ثم خلاه وأخذ عليه إصراً ليعثن إليه بفدائه أو ليأتينه بنفسه وأهله فلم يجد فداءً، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جراد فوسمه سمة إبله، فهم حلفاء لبني المنتفق إلى اليوم نحو من خمسمائة رجل متفرقين في بني عقيل يوالون بني المنتفق، وهم يعيرون ذلك الوسم. وقال بعض من يهجوهم:

عليه الوسم وسم أبي جراد

وفيهم يقول يزيد بن الطثرية:

ألا بئسما أن تجرموني وتغضبوا

علي إذا عاتبتكم يا بني طثر

وزعم بعض البصريين: أن الطثرية أم يزيد كانت مولعةً بإخراج زيد اللين، فسميت الطثرية. وطثرة اللين: زبدته. كان يلقب مودعاً لجماله، وكان كثير التحدث إلى النساء: ويكنى يزيد أبا المكشوح. وكان يلقب مودعاً، سمي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه، فكانوا يقولون: إنه إذا جلس بين النساء ودقهن. أخبرني محمد بن خلف عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: كان يزيد بن الطثرية يقول: من أفحم عند النساء فلينشد من شعري. قال: وكان كثيراً ما يتحدث إلى النساء، وكان يقال: إنه عنين. ما جرى بين جرم وقشير وما كان من مياد الجرمي ويزيد بن الطثرية:

وروى عنه عبد الله بن عمر عن يحيى بن جابر أحد بني عمرو بن كلاب عن سعاد بنت يزيد بن زريق امرأة منهم: أن يزيد بن الطثرية كان من أحسن من مضى وجهاً وأطيبه حديثاً، وأن النساء كانت مفتونةً به، وذكر

الناس أنه كان عنيماً، وذلك أنه لا عقب له، وأن الناس أمحلوا حتى ذهبت الدقيقة من المال ونهكت الجليلة، فأقبل صرماً من جرم ساقته السنة والجذب من بلاده إلى بلاد بني قشير، وكان بينهم وبين بني قشير حربٌ عظيمة، فلم يجدوا بداً من رمي قشير بأنفسهم لما قد ساقهم من الجذب والمجاعة ودقة الأموال وما أشرفوا عليه من الهلكة، ووقع الربيع في بلاد بني قشير فانتجعها الناس وطلبوها، فلم يعد أن لقيت جرمٌ قشيراً، فنصبت قشيرٌ لهم الحرب. فقالت جرم: إنما جئنا مستجيرين غير محارين. قالوا: مما ذا؟ قالوا: من السنة والجذب والهلكة التي لا باقية لها. فأجارتهم قشيرٌ وسالمتهم وأرعتهم طرفاً من بلادها. وكان في جرم فتى يقال له مياد، وكان غزلاً حسن الوجه تام القامة أخذاً بقلوب النساء. والغزل في جرم جائزٌ حسن، وهو في قشير نائرة. فلما نازلت جرمٌ قشيراً وجاورتها أصبح ميادُ الجرمي فغداً إلى القشريات يطلب منهن الغزل والصبا والحديث واستيراز الفتيات عند غيبة الرجال واشتغلهم بالسقي والرعية وما أشبه ذلك، فدفعنه عنهم وأسمعنه ما يكره. وراحت رجالهن عليهن وهن مغضبات، فقال عجائز منهن: والله ما ندري أرعيتم جرماً المرعى أم أرعيتموهم نساءكم! فاشتد ذلك عليهم وقالوا: وما أدراكه؟ قلن: رجلٌ منذ اليوم ظل مجحراً لنا ما يطلع منا رأس واحدة، يدور بين بيوتنا. فقال بعضهم: بيتوا جرماً فاصطلموها. وقال بعضهم: قبيح! قومٌ قد سقيتموهم مياهكم وأرعيتموهم مراعيكم وخلطتموهم بأنفسهم وأجرتموهم من القحط والسنة فتفاتون عليه هذه الافتيات! لا تفعلوا، ولكن تصبحوا وتقدموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل، فإنه سفيهٌ من سفهائهم فليأخذوا على يديه. فإن يفعلوا فأتوا لهم إحسانكم، وإن يمتنعوا ويقروا ما كان منه يحل لكم البسط عليهم وتخرجوا من ذمتهم، فأجمعوا على ذلك. فلما أصبحوا غداً نفر منهم إلى جرم فقالوا: ما هذه البدعة التي قد جاورتمونا بها! إن كانت هذه البدعة سجيّة لكم فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء، فبرزوا عنا أنفسكم وأذنوا بحرب. وإن كان افتتناً فغيروا على من فعله. وإنهم لم يعدوا أن قالوا لجرم ذلك. فقام رجالٌ من جرم وقالوا: ما هذا الذي نالكم؟ قالوا: رجلٌ منكم أمس ظل يجر أذياله بين آياتنا ما ندري علام كان أمره! فقهقهت جرمٌ من جفاء القشيريين وعجفيتها وقالوا: إنكم لتحسون من نسائكم ببلاء، ألا فابعثوا إلى بيوتنا رجلاً ورجلاً. فقالوا: والله ما نحس من نسائنا ببلاء، وما نعرف منهن إلا العفة والكرم، ولكن فيكم الذي قلتم. قالوا: فإننا نبعث رجلاً إلى بيوتكم يا بني قشير إذا غدت الرجال وأخلف النساء، وتبعثون رجلاً إلى البيوت، ونتحالف أنه لا يتقدم رجلٌ منا إلى زوجة ولا أخت ولا بنت ولا يعلمها بشيء مما دار بين القوم، فيظل كلاهما في بيوت أصحابه حتى يردا علينا عشيّاً الماء وتخلّى لهما البيوت، ولا تبرز عليهما امرأةٌ ولا تصادق منهما واحداً فيقبل منهما صرفٌ ولا عدلٌ إلا بموثق يأخذه عليها وعلامة تكون معه منها. قالوا: اللهم نعم. فظلوا يومهم ذلك وباتوا ليلتهم، حتى إذا كان من الغد غدوا إلى الماء وتحالفوا أنه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل. وغدا مياد الجرمي إلى القشريات، وغدا يزيد بن الطثرية القشيري إلى الجرميات، فظل عندهن بأكرم مظلٍ لا يصير إلى واحدة منهن إلا افتتن به وتابعته إلى المودة والإحاء وقبض منها رهناً وسألته ألا يدخل من بيوت جرمٍ إلا بيتها، فيقول لها: وأي شيء تخافين وقد أخذت مني الموائيق

والعهود وليس لأحد في قلبي نصيبٌ غيرك، حتى صليت العصر. فانصرف يزيد بفتح كثيرٍ وذبلٍ وبراقع وانصرف
مكحولاً مدهوناً شبعان ريان مرّجل اللمة. وظل مياذ الجرّمي يدور بين بيوت القشريات مرجوماً مقصّياً لا
يتقرب إلى بيت إلا استقبلته الولائد بالعمد والجدل، فتهالك لهن وطن انه ارتياذٌ منهن له، حتى أخذه ضربٌ
كثير بالجدل ورأى البأس منهن وجهده العطش، فانصرف حتى جاء إلى سمرّة قريباً إلى نصف النهار، فتوسد يده
ونام تحتها نومةً حتى أفرجت عنه الظهيرة وفاءت الأظلال
وسكن بعض ما به من ألم الضرب وبرد عطشه قليلاً، ثم قرب إلى الماء حتى ورد على القوم قبل يزيد، فوج أمةً
تذود غنماً في بعض الظعن، فأخذ برقعها فقال: هذا برقع واحدة من نسائكُم، فطرحه بين يدي القوم، وجاءت
الامة تعدو فتعلقت برقعها فرد عليها وخجل مياذ خجلاً شديداً. وجاء يزيد ممسياً وقد كاد القوم أن يتفرقوا،
فنثر كمه بين أيديهم ملآن براقع وذبلًا وفتحاً، وقد حلف القوم ألا يعرف رجلٌ شيئاً إلا رفعه. فلما نثر ما معه
اسودت وجوه جرمٍ وأمسكوا بأيديهم إمساكةً. فقالت قشير: أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من العهود
والمواثيق وتخرج الأموال والأهل، فمن شاء أن ينصرف إلى حرام فليمسك يده، فبسط كل رجل يده إلى ما
عرف فأخذه وتفرقوا عن حرب، وقالوا: هذه مكيدةٌ يا قشير. فقال في ذلك يزيد بن الطثرية:

فإن شئت يا مياذ زرنا وزرتم ولم نفس الدنيا على من يصيبها

أذهب مياذ بالباب نسوتي ونسوة مياذ صحيحٌ قلوبها

وقال مياذ الجرّمي:

لعمرك إن جمع بني قشيرٍ لجرمٍ في يزيد لظالمونا

أليس الظلم أن أباك منا وأنتك في كتيبة آخرينا

أحالفه عليك بنو قشيرٍ يمين الصبر أم متحرجونا

أحب وحشية ومرض لبعدها فأعانه ابن عمه على رؤيتها فبرىء:

قال: وبلي يزيد بعشق جارية من جرم في ذلك اليوم يقال لها وحشية، وكانت من أحسن النساء. ونافرهم جرمٌ
فلم يجد إليها سبيلاً، فصار من العشق إلى أن أشرف على الموت واشتد به الجهد، فجاء إلى ابن عم له يقال له
خليفة بن بوزل، بعد اختلاف الأطباء إليه ويأسهم منه، فقال له: يا بن عم، قد تعلم أنه ليس إلى هذه المرأة
سبيل، وأن التعزي أجمل، فما أربك في أن تقتل نفسك وتأنم بربك!! قال: وما همي يا بن عم بنفسي وما لي
فيها أمر ولا نهي، ولا همي إلا نفس الجرّمية، فإن كنت تريد حياتي فأرنيها. قال: كيف الحيلة؟ قال: تحملني
إليها. فحمله إليها وهو لا يطمع في الجرّمية، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وحشية أبل قليلاً وراجع
وطمع، وإذا آيس منها اشتد به الوجع. فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلل به اليمين، حتى إذا دخل في قبيلةٍ
انتسب إلى أخرى ويخبر أنه طالب حاجة. وأبل حتى صلح بعض الصلاح، وطمع فيه ابن عمه، وصارا بعد زمانٍ

إلى حيٍّ وحشية فلقيا الرعيان وكمنا في جبل من الجبال. فجعل خليفة يتزل فيتعرض لرعيان الشاء فيسألهم عن راعي وحشية، حتى لقي غلامها وغنمها، فواعدهم موعداً وسألهم ما حال وحشية؟ فقال غلامها: هي والله بشرٌ! لا حفظ الله بني قشير ولا يوماً رأيناهم فيه! فما زالت عليلةً منذ رأيناهم وكان بها طرفٌ مما بابن الطثرية فقال: ويحك! فإن ها هنا إنساناً يداويها، فلا تقل لأحدٍ غيرها. قال: نعم إن شاء الله تعالى. فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها. فقالت له: ويحك! فجيء به. ثم إنه خرج فلقية بالغد فأعلمه، وطل عنه يرمي غنمه، وتأخر عن الشاء حتى تقدمته الشاء وجنح الليل، وانحدر بين يدي غنمه حتى أراحها. ومشى فيها يزيد حتى قربت من البيت على أربع وتجلجل شملةً سوداء بلون شاةٍ من الغنم، فصار إلى وحشية، فسرت به سروراً شديداً، وأدخلته سترها وجمعت عليه من الغد من تثق به من صواحباتها وأتراها. وقد كان عهد إلى ابن عمه أن يقيم في الجبل ثلاث ليال، فإن لم يره فليصرف. فأقام يزيد عندها ثلاث ليال ورجع إلى أصح ما كان عليه، ثم انصرف فصار إلى صاحبه. فقال: ما وراءك يا يزيد؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سره. فقال:

لو انك شاهدت الصبا يا بن بوزل
بفرع الغضى إذ راجعتي غياطله
لشاهدت لهواً بعد شحطٍ من النوى
على سخط الأعداء حلواً شمائله

صوت

ويوماً كابهم القطاة مزيناً
لعيني ضحاه غالباً لي باطله

غنى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني، وروايته:

تشاهد لهواً بعد شحطٍ من النوى

مخارقٌ ثاني ثقبيلٍ بالوسطى عن حبش.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني علي بن الصباح قلاً: قال أبو محضه الأعرابي وأنشد هذه الأبيات ليزيد بن الطثرية، فلما بلغ إلى قوله:

بنفسي من لو مر برد بنانه

ومن هابني في كل أمرٍ وهبته

طرب لذلك وقال: هذا والله من مغنج الكلام.

كتب إلى وحشية شعراً فأجابته: ونسخت من كتاب الحسن بن علي: حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني هشام بن محمد بن موسى قال حدثنا عبد الله بن إبراهيم الطائي قال حدثني عبد الله بن روح الغنوي قال حدثني طيبة بنت وزير الجاهلية قالت: كتب يزيد بن الطثرية إلى وحشية:

أحبك أطراف النهار بشاشة

لئن أصبحت ريح المودة بيننا

وبالليل يدعوني الهوى فأجيب

شمالاً لقدماً كنت وهي جنوب

فأجابته بقولها:

أحبك حب اليأس إن نفع الحيا وإن لم يكن لي من هواك طبيب

يزيد بن الطثرية وابن بوزل برملة حائل: أخبرني يحيى بن علي إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني هانيء بن سعد: أن ابن الطثرية وابن بوزل، وهو قطري بن بوزل، خرجا يسيران حتى نزلا برملة حائل بين قفار الملح، فقال يزيد لابن بوزل: اذهب فاسق راحلتك واسقنا. فلما جاوز أوفى يزيد على أجرع، فرأى أشباحاً فأتاها. فقيل له: هذه والله فلانة وأهلها عجيبةٌ بما أي معجبون بها. فأتاها فظل عشيته وبات ليلته وأقام الغد حتى راح عشياً وقد لقي ابن بوزل كل شرٍّ ومات غيظاً. فلما دنا منه قال:

لو أنك شاهدت الصبا يا ابن بوزل

بجزع الغضى إذ راجعتني غياطله

بأسفل خل الملح إذ دين ذي الهوى

وبعد تنائي الدار حلواً شمائله

لشاهدت يوماً بعد شحطٍ من النوى

وقد روي:

وغيم الصبا إذ راجعتني غياطله

فاخترط سيفه ابن بوزل، وحاوطه يزيد بعصاه، ثم اعتذر إليه وأخبره خبره فقبل منه. وقد روى هذه الأبيات أبو عمرو الشيباني وغيره فزاد فيها على إسحاق هذه الأبيات:

إذا الكحل في جفنيهما جال جائله

ألا حبذا عيناك يا أم شنبل

تكون لأدنى من يلاقي وسائله

فذاك من الخلان كل ممزج

ضحياً وأبكتنا عشياً أصائله

فرحنا تلقانا به أم شنبل

وداعاً وخلي موثق العهد حامله

وكنت كأني حين كان كلامها

عن الساق حتى جرد السيف قاتله

رهين بنفس لم تفك كبوله

حذار الردى أحشاؤه ومفاصله

فقال دعوني سجدتين وأرعدت

بنو سدره ويزيد ابن الطثرية: قال إسحاق وقال أبو عثمان سعيد بن طارق: نزلت ساريةً من بني سدره على بني قشير بمالهم، فجعلت فتيان قشير تترجل وتترين وتزور بيوت سدره. فاستنهبهم، فقال يزيد بن الطثرية: وما في هذا عليكم! زوروا بيوتنا كما نزور بيوتكم، وقال:

بنا ليس بأسٌ بيننا بالتبادل

دعوهن يتبعن الصبا وتبادلوا

ثم إن بني سدره قالوا لنسائهم: ويحك فضحكتنا! نأتي نساء هؤلاء فلا نقدر عليهم ويأتونكن فلا تحتجين عنهم. فقالت كهلةٌ منهن: مروا نساءكم يجتمعن إلى بيتي، فإذا جاءوا لم يجدوا امرأة إلا عندي، فإن يزيد أتابي لم يعد في بيوتكم ففعلوا. فجاء يزيد فقال:

إليكن إلا أن تشأن سبيل

سلام عليكن الغداة فما لنا

فقالت الكهلة: ومن أنت؟ فقال:

إليك فأمسى في حبالك مسلماً

أنا الهائم الصب الذي قاده الهوى

سقيماً ولم يترك لحماً ولا دماً

برته دواعي الحب حتى تركه

فقالت: اختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تمضي ثم ترجع علينا فإننا نرقب عيون الرجال فإنهم قد سبونا فيك، وإما أن تختار أحبنا إليك، وأن تطلب امرأة واحدة خيرٌ من أن يشهرك الناس، ونسي الثالثة. فقال: سأخذ إحداهن، فاختراري أنت إحدى ثلاث خصال. قالت: وما هن؟ قال: إما أن أحملك على مرضوفٍ من أمري فتركبيه، وإما أن تحمليني على مشروح من أمرك فأركبه، وإما أن تلزي بكري بين قلوبيك. قالت: لو وقع بكرك بين قلوبني لطمرت به طمرة يتطامن عنقه منها. قال: كلا! إنه شديد الوجيف، عارم الوظيف، فغلبها. فلما أتاها القوم قالت لهم: إنه أتابي رجلٌ لا تمتنع عليه امرأة. فإما أن تغمضوا له، وإما أن ترحلوا عن مكانكم هذا، فرحلوا وذهبوا. فقال حكيم بن أبي الخلاف السدري في قصيدة له يذكر أنه إنما ارتحلوا عنهم لأهم آذوهم بكثرة ما يصنعون بها:

بخاتج حباتٍ كثيراً سعالها

فكان الذي تهدون للجار منكم

يزيد بن الطثرية وأسماء الجعفرية: قال إسحاق فأخبرني الفزاري: أن قوماً من بني نمير وقوماً من بني جعفر تراوروا، فزار شباباً من بني جعفر بيوت بني نمير، فقبلوا وحدثوا، وزار بنو نمير بني جعفر فلم يقبلوا، فاستجدوا ابن الطثرية فزار معهم بيوت بني جعفر، فأنشداهن وحدثهن فأعجب به واجتمعن إليه من البيوت. فتوعد بنو جعفر ابن الطثرية، فتناركوها وأمسك بعضهم عن بعض. فأرسلت أسماء الجعفرية إلى ابن الطثرية أن لا تقطعني، وإن منعت فلاني سأخلص إلى لقائك. فأنشأ يقول:

وبين اللوى من عرفجاء المقابل

خليلي بين المنحنى من مخمر

جنوبٍ تدوي غل شوقٍ مماطل

قفا بين أعناق اللوى لمرية

رياحٍ بريها لهاذا الشمائل

لكيما أرى أسماء أو لتمسني

عيون العد سقياً لها من محادل

لقد حادلت أسماء دونك باللوى

هم الحرب فاستبطن سلاح المقاتل

ودست رسولاً أن حولي عصابة

سوى السيف ضمته إلي حمائي

عشية مالي من نصير بأرضها

فرادى ومثني من عدو وعاذل

فيأيها الواشون بالغش بيننا

بنا ليس بأسً بيننا بالتبادل

دعوهن يتبعن الهوى وتبادلوا

لمن وعلى من وطأة المتناقل

تروا حين نأتيهن نحن وأنتم

وشاعت قوافي شعره في القبائل

ومن عريت للهو قدماً ركابه

على المقرف الكافي غبار القنابل

تبرز وجوه السابقين ويختلط

لكم أو تدبوا بيننا بالغوائل

فإن تمنعوا أسماء أو يك نفعها

على كل شيء من مدى العين قابل

فلن تمنعوني أن أعلل صحبتي

حبسه لديون لزمته وما وقع في ذلك بينه وبين عقبة بن شريك: قال إسحاق وحدثني أبو زياد الكلابي: أن يزيد بن الطثرية كان شريفاً متلاًفاً يغشاه الدين، فإذا أخذ به فضاه عنه أخ له يقال له ثور، ثم إنه كثر عليه دينٌ لمولًى لعقبة بن شريك الحرشي يقال له البربري فحبسه له عقبة بالعقيق من بلاد بني عقيل، وعقبة عليها يومئذ أميرٌ. وقال الفضل بن سلمة قال أبو عمرو الشيباني: كان يزيد قد هرب منه، فرجع إليه من حب أسماء، وكانت جارة البربري، فأخذه البربري. ويقال: إنه أعطاه بغيراً من إبل ثور أخيه. فقال يزيد في السجن:

تخونني ظلمٌ لهم وفجور

قضى غرمائي حب أسماء بعد ما

ولكن دين البربري كثير

فلو قل دين البربري قضيته

أضم جناحي منهم فأطير

وكنت إذا حلت علي ديونهم

ثمانون وافٍ نقدها وجزور

علي لهم في كل شهر أدية

وثورٌ علينا في الحياة صبور

نجيء إلى ثورٍ فقيم رحيلنا

بنا خلةً جزل العطاء غفور

أشد على ثورٍ وثورٌ إذا رأى

لثورٍ على ظهر البلاد بغير

فذلك دأبي ما بقيت وما مشى

ويرى: فهذا له ما دمت حياً ثم إن عقبة حج على جمل له يقال له ابن الكميت أنجب ما ركب الناس، وثبت ابن الطثرية في السجن حتى انصرف عقبة بن شريك من مكة، فأرسل ابن الكميت في مخاضه مستقبله الربيع وهي حاضرة العقيق، تأكل الغضى وتشرب بأحسائه، وانحدر عقبة نحو اليمامة وعليها المهاجر بن عبد الله الكلابي. فلما ضاقت بابن الطثرية المحارج قال له صاحبٌ له: لا أعلم لك أنجي إن قدرت على الخروج من السجن إلا أن تركب ابن الكميت فينجيك نحو بلد من البلاد. فلم يزل حتى جعل للحداد، على أن يرسله ليلةً إلى ابن عمه،

جعلنا، فشكا إليه وجده بما فأرسله. فمضى يزيد نحو الإبل عشاءً فاحتكم ابن الكميت حتى جلس عليه فوجهه
قصد اليمامة يريد عقبة بن شريك، وقال في طريقه:

لعمرى إن ابن الكميت على الوجا وسيري خمساً بعد خمسٍ مكمل

لطلق الهوادي بالوجيف إذا ونى ذوات البقايا والعتيق الهمرجل

فورد اليمامة فأناخ بابن الكميت على باب المهاجر، فكان أول من خرج عليه عقبة بن شريك. فلما نظر إليه
عرفه وعرف الجمل فقال: ويحك! أيزيد أنت؟ قال نعم وهذا ابن الكميت؟ قال نعم قال: ويحك! فما شأنك؟
قال: يا عقبة، فار منك إليك، وأنشده قصيدته التي يقول فيها:

يا عقب قد شذب اللحاء عن العصا عني وكنت مؤزراً محمودا

صل لي جناحي واتخذني عدة ترمي بي المتعاشي الصنديدا

فقال له عقبة - وكانت من خير فعلة علمناه فعلها: - أشهدكم أي قد أبرأته من دين البربري وأن له ابن
الكميت، وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله. وهذا البيتان من القصيدة التي أولها:

أمسى الشباب مودعاً محمودا

وهي من جيد شعره، يقول فيها:

ومدلة عند التبذل يفتري منها الوشاح مخصراً أملودا

نازعتها غنم الصبا إن الصبا قد كان مني للكواعب عيدا

يا للرجال وإنما يشكو الفتى مر الحوادث أو يكون جليدا

بكرت نوار تجد باقية القوى يوم الفراق وتخلف الموعدا

ولرب أمر هوى يكون ندامة وسبيل مكرهة يكون رشيدا

ثم قال يفخر:

لا أتقي حسك الضغائن بالرقى فعل الدليل وإن بقيت وحيدا

لكن أجرد للضغائن مثلها حتى تموت وللحقود حقودا

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح قال: قال أبو محضة
الأعرابي وأنشد هذه الأبيات ليزيد بن الطثيرة: هي والله من مغنج الكلام:

بنفسي من لو مر برد بنانه على كبدي كانت شفاءً أنامله

فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

ومن هابني في كل شيء وهبته

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وحشية الجريمة التي مضى ذكرها.

تبعه أعداء له فترك راحلته وفر، وشعره في ذلك: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني ظبية قالت: مر يزيد بن الطثرية بأعداء له، فأرادوه وهو على راحلته فركضها وركضوا الإبل على أثره، فخشى أن يدركوه وكانت نفسه عنده أوثق من الراحلة، فترل فسبقتهم عدواً، وأدركوا الراحلة فعمروها. فقال في ذلك:

بأي لم أقاتل يوم صخر مذودا

ألا هل أتى ليلي على نأي دارها

وقد كنت مقدماً بسيفي مفردا

وأنى أسلمت الركاب فعقرت

أخا شيعه يوماً كآخر أوحدا

أثرت فلم أسطع قتالاً ولا ترى

إذا قيل قد هاب المنون فعردا

فهل تصر من الغانيات مودتي

هاجى فديكا الحرمي لأنه عذب وحشية بالنار ليصدها عنه: أخبرني يحيى إجازة عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زياد قال: كان يزيد بن الطثرية يتحدث إلى نساء فديك بن حنظلة الحرمي، ومترلها بالفلج فبلغ ذلك فديكا فشق عليه فزجر نساءه عن ذلك، فأبين إلا أن يدخل عليهن يزيد. فدخل عليهن فديك ذات يوم وقد جمعهن جميعاً أخواته وبنات عمه وغيرهن من حرمه، ثم قال لمن: قد بلغني أن يزيد دخل عليك وقد تميتكن عنه، وإن لله علي نذراً واجباً واختلط سيفه إن لم أضرب أعناقكن به. فلما ملأهن رعباً ضرب عنق غلام له مولد يقال له عصام فقتله، ثم أنشأ يقول:

أناسي من أهلي مراض قلوبها

جعلت عصاماً عبرة حين رابني

ثم إن فديكا رأى يزيد قائماً عند باب أهله، فظن أنه يواعد بعض نسائه، فارتصده على طريقه وأمر بزيبة فحفرت على الطريق ثم أوقد فيها ناراً لينئة ثم احتبأ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما: تبصرا هل تريان أحداً، فلم يلبثا إلا قليلاً حتى خرجت بنت أخي فديك، وكان يقال لها وحشية، تتهادى في برودها لميعاد يزيد، فأيقظه العبدان، ومضت حتى وقعت على الزبية فاحترق بعضها، وأمر بها فأخرجت، واحتملها العبدان فانطلقا بها إلى داره. فقال فديك:

تهادى وقد كانت سريعا عنيقها

شفى النفس من وحشية اليوم أنها

تكن قمناً من غشية لا تفيقها

فإلا تدعى خبط الموارد في الدجي

يداوي المجانين المخلى طريقها

دواء طبيب كان يعلم أنه

فبلغ ذلك يزيد فقال:

ستبرأ من بعد الضمانة رجلها
علي هدايا البدن إن لم ألاقها
يحصنها مني فديكُ سفاهةً
تذيقونها شيئاً من النار كلما
قال: وإنما كانت وضعت رجلها فأحرقتها النار.
وقال يزيد أيضاً:

يا سخنة العين للجرمي إذ جمعت
خبرتهم عذبوا بالنار جارتهم
فبلغ ذلك فديكاً فقال:

أحالةً عليك بنو قشيرٍ
ويروى: يمين الله:

فإن تتكل قشيرٌ تقض جرمٌ
أليس الجور أن أباك منا
لعمر الله أن بني قشيرٍ
فإلا يلحفوا فعليك شكلٌ
وأعرف فيك سيما آل صقرٍ

قال: وكانت جرمٌ تدعيه، وقشيرٌ تدعيه، فأراد أن يخبر أنه دعي.
وقال فديك بن حنظلة يهجو:

وإن لسيارون بالسنة التي
ومنا الذي لاقتة أمك خالياً
فقال يزيد يهجو فديكاً:

أنعت عيراً من عيور القهر
صبح أبيات فديكٍ يجري
فلقيته عند باب العقر
نشطك بالدلو قراح الجفر

وتأتني الذي تهوى مخلىً طريقها
وإن لم يكن إلا فديكُ يسوقها
وقد ذهب فيها الكباس وحوقها
رأت من بني كعب غلاماً يروقها

بيني وبين نوارٍ وحشة الدار
ومن يعذب غير الله بالنار

يمين الصبر أم متخرجونا

وتقض لها مع الشبه اليقينا
وأنت في قبيلة آخرينا
لجرم في يزيد لظالمونا
ونجرٌ ليس مما يعرفونا
ومشيتهم إذا يتخيلونا

أحلت وفينا جفوةً حين نظلم
فلم تدر ما أي الشهور المحرم

أقمر من شر خميرٍ قمر
منزلة اللؤم ودار الغدر
ينشطها والدرع عند الصدر

حاور حسناء عرفته من حديثه: أخبرنا يحيى بن علي إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنا أبو الحارث هانيء بن سعد الخفاجي قال: ذكرت ليزيد بن الطثرية امرأةً حدثتُ جميلةً، فخرج حتى يدفع إليها، فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدثان، فسلم عليهم، فأوجست أنه يزيد ولم تثبت، ورأت عليه مسحة. فقالت: أي ريح جاءت بك يا رجل؟ قال: الجنوب. قالت: فأَي طيرٍ جرت لك الغداة؟ قال: عترٌ زَمَةٌ رأيتها يداورها ثعلبان، فانقض عليها سرحانٌ فراغ الثعلبان. قال: فطفرت وراء سترها، وعرفت أنه يزيد.

ذهب معه قطري لرؤية نساء يحتجن عنده، وشعره في ذلك: قال إسحاق وحدثني عطرد قال: قال قطري بن بوزل ليزيد بن الطثرية: انطلق معي إلى فلانة وفلانة فإنهن يبرزن لك ويستترن عني، عسى أن أراهن اليوم على وجهك. فذهب به معه، فخرج عليهما النسوة وظلا يتحدثان عندهن حتى تروحا. وقال يزيد في ذلك:

على قطريّ نعمةٌ إن جرى بها يزيد وإلا يجزه الله لي أجرا
ذنوت به حتى رمى الوحش بعدما رأى قطريّ من أوائلها نفرا

قصته مع رجل من صداة أحب خثعمية فأعانه عليها: أخبرني يحيى إجازةً عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عطرد قال: نزل نفر من صداة بناحية العقيق، وهو منزل ابن الطثرية، نصف النهار فلم يأثم أحد، فأبصرهم ابن الطثرية فمر عليهم وهو منصرف وليسوا قريباً من أهله. فلما رآهم مرملين أنفذ إليهم هديةً ومضى على حياله ولم يراجعهم. فسألوا عنه بعد حتى عرفوه، فحلا عندهم وأعجبهم. ثم إن فتى منهم واده فأخاه فأهدى له برداً وجبة ونعلين. ثم أغار المقدم بن عمرو بن همام بن مطرف بن الأعلم بن ربيعة بن عقيل على ناس من خثعم. وفي ذلك يقول الشاعر:

مغار ابن همام على حي خثعما

فأخذ منهم إبلاً ورقيقاً، وكانت فيهن جاريةٌ من حسان الوجوه، وكان يهواها الذي آخى يزيد، فأصابه عليها بلأء عظيم حتى نحل جسمه وتغيرت حاله، فأقبل الفتى حتى نزل العقيق متنكراً، فشكا إلى يزيد ما أصابه في تلك الجارية. فقال: أفيك خير؟ قال نعم: فإني أدفعها إليك. فخبأه في عريش له أياماً حتى خطف الجارية فدفعها إليه. فبعث إليها قطري بن بوزل، فاعترض لها بين أهلا وبين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه وقد وطن له ناقه مفاجئةً فقال: النجاة فإنك لن تصبح حتى تخرج من بلاد قشير وتصير إلى دار نهد فقد نجوت، وأنا أخفي أثرك فعفى أثره، وقال لابنة خمارة كان يشرب عندها: اسجي ذيلك على أثره ففعلت. ثم بحث على ذلك حتى قيل: قد كان قطريُّ أحدث الناس بما عهداً، فاستعدى عليه فظفر بيزيد فأخذ مكانه فحبس بحجر، حبسه المهاجر. ففي ذلك يقول يزيد:

ألا لا أبالي إن نجا لي ابن بوزل ثوائي وتقيدي بحجر ليالي
إذا حم أمر فهو لا بد واقعٌ له لا أبالي ما علي ولا ليا

هو السم والذيفان والليث عاديًا

هو العسل الماذي طوراً وتارةً

نخر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسهه فقال شعراً: أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب عن محمد بن سلام الجمحي قال حدثني أبو الغراف قال.

كان يزيد بن الطثيرة صاحب غزل ومحاذثة للنساء، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلهم شعراً، وكان أخوه ثورٌ سيداً كثير المال والنخل والرقيق، وكان متنسكاً كثير الحج والصدقة كثير الملازمة لإبله ونخله، فلا يكاد يلم بالحي إلا الفلثة والوقعة، وكانت إبله ترد مع الرعاء على أخيه يزيد بن الطثيرة فتسقى على عينه. فبينما يزيد مارٌّ في الإبل وقد صدر عن الماء إذ مر بجباء فيه نسوة من الحاضر، فلما رأيته قلن: يا يزيد: أطعمنا لحماً. فقال: أعطيتني سكيناً فأعطينه، ونخر لمن ناقة من إبل أخيه. وبلغ الخبر أخاه، فلما جاءه أخذ بشعره وفسقه وشمه. فأنشأ يزيد يقول:

فإنما الشتم للقوم للعواوير

يا ثور لا تشتمن عرضي فذاك أبي

عين كرام وأبكارٍ معاصير

ما عقر نابٍ لأمثال الدمى خردٍ

وليس يرضين مني بالمعاذير

عطفن حولي يسألن القرى أصلاً

في قطقط من سقيط الليل منثور

هيهن ضيفاً عراكم بعد هجعتكم

أيرحل الضيف عنكم غير مجبور

وليس قربكم شاء ولا لينٌ

لا تتجلي عن عقير الرجل منحور

ما خير واردة للماء صادرة

أحب امرأة وعلم أن سعة يجوبها فقال شعراً: أخبرني أبو خليفة قال ابن سلام: كان يزيد بن الطثيرة يتحدث إلى امرأة ويعجب بها. فبينما هو عندها إذ حدث لها شابٌ سواه قد طلع عليه، ثم جاء آخر ثم آخر، فلم يزالوا كذلك حتى تموا سبعة وهو الثامن، فقال:

له عند ليلي دينةٌ يستدينها

أرى سبعةً يسعون للوصل كلهم

فما صار لي من ذاك إلا ثمينها

فألقيت سهمي وسطهم حين أوخشوا

على الشرك من ورهاء طوعٍ قرينها

وكننت عزوف النفس أشناً أن أرى

ويوماً على دين ابن خاقان دينها

فيوماً تراها بالعهود وفيه

ومن لم يجيء بالعين حيزت رهونها

يداً بيدٍ من جاء بالعين منهم

وقال فيها وقد صارمها:

ومن هو موموقٌ إلي حبيب

ألا بأبي من قد برى الجسم حبه

ومن هو لا يزداد إلا تشوقاً
وإني وإن أحموا علي كلامها
لمثنٍ على ليلي ثناءً يزيد لها
أليلى احذري نقض القوى لا يزل لنا
وكوني على الواشين لداء شعبةً
فإن خفت ألا تحكمي مرة القوى
وليس يرى إلا عليه رقيب
وحالت أعادٍ دونها وحروب
قوافٍ بأفواه الرواة تطيب
على النأي والهجران منك نصيب
كما أنا للواشي ألد شغوب
فردي فؤادي والمزار قريب

كتب والي اليمامة إلى أخيه ليؤدبه فحلق لمتة فقال شعراً: أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خفاجة قال: استعدت جرم على ابن الطثرية في وحشية امرأة منهم كان يشيب بها فكتب بها صاحب اليمامة إلى ثور أخي يزيد بن الطثرية وأمره بأدبه، فجعل عقوبته حلق لمتة فحلقها، فقال يزيد:

أقول لثورٍ وهو يحلق لمتي
بحجناءٍ مردودٍ عليها نصابها

قال عبد الرحمن: كان عمي يحتج في تأنيث الموسى بهذا البيت

ترفق بها يا ثور ليس ثوابها
ألا ربما يا ثور قد غل وسطها
وتسلك مدرى العاج في مدلهمة
فراح بها ثورٌ ترف كأنها
منعمة كالشرية الفرد جادها
فأصبح رأسي كالصخيرة أشرفت
بهذا ولكن غير هذا ثوابها
أناملٌ رخصاتٌ حديثٌ خضابها
إذا لم تفرج مات غماً صوابها
سلاسل درع خيرها وانسكابها
نجاها الثريا هطلها وذهابها
عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

أخبار من حلق رؤوسهم: ونظير هذا الخبر من حلقت جمته فرثاها، وليس من هذا الباب، ولكن يذكر الشيء بمثله: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن بن عمه قال: شرب طخيم الأسد بالحيرة، فأخذه العباس بن معبد المري، وكان على شرط يوسف بن عمر، فحلق رأسه، فقال:

وبالحيرة البيضاء شيخٌ مسلطٌ
لقد حلقوا منا غداً كأنها
يظل العذارى حين تحلق لمتي
على عجلٍ يلقطنها حين جرت
إذا حلف الأيمان بالله برت
عناقيد كرمٍ أينعت فاسبطرت

أخبرني محمد عن عبد الرحمن عن عمه عن بعض بني كلاب قال: أخذ فتى منا مع بعض فتيات الحي، فحلّق رأسه فقال:

يا لمّتي ولقد خلقت جميلةً

وكرمت حين أصابك الجلّمان

أمست تروق الناظرين وأصبحت

قصصاً تكون فواصل المرجان

شعره في أخيه ثور: أخبرني وكيع قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال حدثنا أبو محلم قال: كان ليزيد بن الطثرية أخٌ يقال له ثور أكبر منه، فكان يزيد يغير على ماله ويتلفه، فيتحمّله ثور لحبته إياه. فقال يزيد في ذلك:

نغير على ثورٍ وثورٌ يسرنا

وThorٌ علينا في الحياة صبور

وذلك دأبي ما حبيت وما مشى

لثورٍ على عفر التراب بعير

الحرب بين عقيل وبني حنيفة ومقتل يزيد وما رثاه به الشعراء: وقتل يزيد بن الطثرية في خلافة بني العباس، قتله بنو حنيفة.

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل بن سلمة عن أبي عبيدة وابن الكلبي، وأخبرنا يحيى بن علي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجراح العقيلي قال: أغارت بنو حنيفة على طائفة من بني عقيل ومعهم رجلٌ من بني قشير جارٌ لهم، فقتل القشيري رجلٌ من بني عقيل واطردت إبلٌ من العقيليين، فأتى الصريخ عقيلاً فلحقوا القوم فقاتلوهم فقتلوا من بني حنيفة رجالاً وعقروا أفراساً ثلاثةً من خيل حنيفة وانصرفوا، فلبثوا سنة. ثم إن عقيلاً انحدرت منتجعةً من بلادها إلى بلاد بني تميم، فذكر لحنيفة وهم بالكوكبة والقيضاف، فغزتهم حنيفة، وحذر العقيليون وأتهم النذر من غير فانكشفوا فلم يقدروا عليهم، فبلغ ذلك من بني عقيل وتلفهوا على بني حنيفة، فجمعوا جمعاً ليغزوا حنيفة، ثم تشاوروا. فقال بعضهم: لا تغزوا قوماً في منازلهم ودورهم فيتحصنوا دونكم ويمتنعوا منكم، ولا نأمن أن يفضحوكم، فأقاموا بالعقيق. وجاءت حنيفة غازيةً كعباً لا تتعدها حتى وقعت بالفلج، فتطأير الناس، ورأس حنيفة يومئذ المندلف، وجاء صريخ كعب إلى أبي لطيفة بن مسلم العقيلي وهو بالعقيق أميرٌ عليها، فضاق بالرسول ذرعاً وأتاه هولٌ شديد، فأرسل في عقيل يستمدّها، فأتته ربيعة بن عقيل وقشير بن كعب والحريش بن كعب وأفناه خفاجة، وجاش إليه الناس، فقال: إني قد أرسلت طليعةً فانتظروها حتى تجيء ونعلم ما تشير به. قال أبو الجراح: فأصبح صبح ثالثةً على فرس له يهتف: أعز الله نصركم وأمتعنا بكم! انصرفوا راشدين فلم يكن بأسٌ، فانصرف الناس وصار في بني عمه ورهطه دنيةً. وإنما فعل ذلك لتكون له السمعة والذكر. فكان فيمن سار معه القحيف بن خمير ويزيد بن الطثرية الشاعران، فساروا حتى واجهوا القوم، فواقعوهم، فقتلوا المندلف، رموه في عينه، وسبوا وأسروا

ومثلوا بهم وقطعوا أيدي اثنين منهم وأرسلوهما إلى اليمامة وصنعوا ما أرادوا. ولم يقتل ممن كان مع أبي لطيفة غير يزيد بن الطثرية، نشب ثوبه في جذل من عشرة فانقلب، وخبطه القوم فقتل. فقال القحيف يرثيه:

ألا نبكي سراة بني قشير
على صنديدها وعلى فتاها

فإن يقتل يزيد فقد قتلنا
سراتهم الكهول على لحاها

أبا المكشوح بعدك من يحامي
ومن يزجي المطي على وجاها

وقال القحيف أيضاً يرثيه:

إن تقتلوا منا شهيداً صابراً
فقد تركنا منكم مجازراً

عشرين لما يدخلوا المقابر
قتلى أصيبت قعصاً نحائراً

نعجا ترى أرجلها شواغرا

وهذه من رواية ابن حبيب وحده. وقال القحيف أيضاً ولم يروها إلا ابن حبيب:

يا عين بكى هملاً على همل
على يزيد ويزيد بن حمل

قتال أبطال وجرار حلل

قال: ويزيد بن حمل قشيري قتل يومئذ أيضاً. وقالت زينب بنت الطثرية ترثي أحاها يزيد وعن أبي عمرو الشيباني أن الأبيات لأم يزيد، قال: وهي من الأزد. ويقال: إنها لوحشية الجرمية:

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري
مقيماً وقد غالت يزيد غوائله

فتى قد قد السيف لا متضائل
ولا رهل لباته وبآدله

فتى لا ترى قد القميص بخصره
ولكنما توهي القميص كواهله

إذا نزل الضيفان كان عذوراً
على الحي حتى تستقل مراجله

يسرك مظلوماً ويرضيك ظالماً
وكل الذي حملته فهو حامله

إذا جد عند الجد أرضاك جده
وذو باطل إن شئت ألهاك باطله

إذا القوم أموا بيته فهو عامد
لأفضل ما أموا له فهو فاعله

مضى وورثاه دريس مفاضة
وأبيض هندياً طويلاً حمائله

وقد كان يحمي المحجرين بسيفه
ويبلغ أقصى حجرة الحي نائله

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى
بصاحبه يوماً دماً فهو آكله

سيبكيه مولاه إذا ما ترفعت
عن الساق عند الروع يوماً ذلائله

الذلّل: هذب الثياب.

وقد أخبرنا الحرمي عن الزبير عن عمر بن إبراهيم السعدي عن عباس بن عبد الصمد قال: قال هشام بن عبد الملك للعجير السلوي: أصدقت فيما قلت في ابن عمك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، ألا إني قلت:

فتى قد قد سيف لا متضائل ولا رهل لباته وأباجله

فذكر هذا البيت وحده ونسبه إلى العجير السلوي من الأبيات المنسوبة إلى أخت يزيد بن الطثيرة أو إلى أمه وأتى بأبيات أخر ليست منها، وسيدكر ذلك في أخبار العجير مشروحاً إن شاء الله تعالى. ومما يغني فيه من شعر يزيد بن الطثيرة قوله: صوت

بنفسي من لا بد أني هاجره ومن أنا في الميسور والعسر ذاكره

ومن قد رماه الناس بي فاتقاهم ببغضي إلا ما تجن ضمائرهم

عروضه من الطويل. غنى في هذين البيتين عبد الله بن العباس الربيعي لحناً من خفيف الثقيل بالبنصر. وغنت فيه عريب وفي أبيات أضافتها إليها لحناً من خفيف الثقيل الأول آخر. وغنت عليّة بنت المهدي فيها خفيف رمل. وذكر الهشامي أن لإبراهيم فيها لحناً ماحورياً. والأبيات المضافة:

بنفسي من لا أخبر الناس باسمه وإن حملت حقداً علي عشائره

بأهلي وما لي من جلبت له الأذى ومن ذكره مني قريباً أسامره

ومن لو جرت شحناء بيني وبينه وحاورني لم أدر كيف أحاوره

صوت من المائة المختارة

شأتك المنازل بالأبرق دوارس كالعين في المهرق

لآل جميلة قد أخلقت ومهما يطل عهده يخلق

فإن يقل الناس لي عاشق فأين الذي هو لم يعشق

ولم يبك نؤياً على عبرة بداء الصبابة والمعلق

شأتك: بعدت عنك. والشأو. البعد. يقال: جرى الفرس شأواً، يريد طلقاً. والمهرق: الصحيفة، والجمع المهارق. يريد أن الدار قد بقيت منها طرائق كالصحف وما فيها.

الشعر للأحوص. والغناء الجميلة. ولحنها المختار خفيف رمل بالوسطى عن إسحاق. وفيه لعطرد ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه لمبعد خفيف ثقيل عن حبش. وفيه رمل يقال: إنه لفريدة، ويقال: إنه لملك. وقيل: إن الثقيل الأول لابن عائشة. وذكر عمرو بن بانة أن خفيف الرمل لعطرد أيضاً.

ذكر جميلة وأخبارها

ولاء جميلة وشعر عبد الرحمن بن أرتاة فيها: هي جميلة مولاة بني سليم ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو هز، وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخزرج، وكانت تنزل فيهم، فغلب عليها ولاء زوجها، فقيل: إنها مولاة للأنصار، تنزل بالسنج وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصديق، ذكر ذلك إبراهيم بن زياد الأنصاري الأموي السعدي. وذكر عبد العزيز بن عمران أنها مولاة للحجاج بن علاط السلمي وهي أصل من أصول الغناء. وعنها أخذ معبد وابن عائشة وحبابة وسلامة وعقيلة العقيقية والشماسيتان خليدة وربيحة. وفيها يقول عبد الرحمن بن أرتاة: صوت

ء سط بيوت بني الخزرج

إن الدلال وحسن الغنا

إذا هي تزدان للمخرج

وتلك جميلة زين النساء

بوجه منير لها أبلج

إذا جنتها بذلت ودها

الشعر لعبد الرحمن بن أرتاة. والغناء لمالك خفيف ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى، ويقال: فيه الدلال وجميلة لحنان.

كانت أعلم خلق الله بالغناء: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي جعفر القرشي عن المحرزي قال: كانت جميلة أعلم خلق الله بالغناء، وكان معبد يقول: أصل الغناء جميلة وفرعه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين.

كيف تعلمت الغناء: قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال حدثني رجل من الأنصار قال: سئلت جميلة: أن لك هذا الغناء؟ قالت: والله ما هو إلهام ولا تعليم ولكن أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنت أسمعته يغني ويضرب بالعود فلا أفهمه، فأخذت تلك النغمات فبنيت عليها غنائي، فجاءت أجود من تأليف ذلك الغناء، فعلمت وألقيت، فسمعتي موالياتي يوماً وأنا أغني سراً ففهمني ودخلن علي وقلن: قد علمنا فما تكتميننا. فأقسمن علي، فرفعت صوتي وغنيتهن بشعر زهير بن أبي سلمى:

إن المحب ببعض الأمر معذور

وما ذكرتك إلا هجت لي طرباً

هجر الحبيب وفي الهجران تغيير

ليس المحب بمن إن شط غيره

صوت

مما اذكرت وهم النفس مذكور

نام الخلي فنوم العين تعذير

ودونها سبب يهوي به المور

ذكرت سلمى وما ذكرني براجعها

الشعر لزهير. والغناء في هذين البيتين لجميلة فقط رمل بالوسطى عن حبش فحينئذ ظهر أمرى وشاع ذكرى، فقصدني الناس وجلست للتعليم، فكان الجواري يتكاوسني، فرما انصرف أكثرهن ولم يأخذن شيئاً سوى ما

سمعني أطارح لغيرهن، ولقد كسبت لموالي ما لم يخطر لهن ببال، وأهل ذلك كانوا وكنت.
إجماع الناس على تقديمها في الغناء: وحدثني أبو خليفة قال حدثني ابن سلام قال حدثني مسلمة بن محمد بن مسلمة الثقفي قال: كانت جميلة ممن لا يشك في فضيلتها في الغناء، ولم يدع أحدٌ مقاربته في ذلك، وكل مدني ومكي يشهد لها بالفضل.

وصف مجلس من مجالسها غنت فيه وغنى فيه مغنو مكة والمدينة: قال إسحاق وحدثني هشام بن المرية المدني قال حدثني جرير المدني - قال إسحاق: وكانا جميعاً مغنيين حاذقين شيخين جليلين عالمن ظريفيين، وكانا قد أسنا، فأما هشام فبلغ الثمانين، وأما جرير فلا أدري - قال جرير: وفد ابن سريج والغريض وسعيد بن مسجح ومسلم بن محرز المدينة لبعض من وفدوا عليه، فأجمع رأيهم على التزول على جميلة مولاة هز، فترلوا عليها فخرجوا يوماً إلى العقيق متزهين، فوردوا على معبد وابن عائشة فجلسوا إليهما فتحدثوا ساعة، ثم سأل معبد ابن سريج وأصحابه أن يعرضوا عليهم بعض ما ألفوا. فقال ابن عائشة: إن للقوم أعمالاً كثيرة حسنة ولك أيضاً يا أبا عباد، ولكن قد اجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فليعمل كل واحد منا صوتاً ساعته ثم يغن به. قال: معبد: يا بن عائشة، قد أعجبتك نفسك حتى بلغت هذه المرتبة! قال ابن عائشة: أو غضبت يا أبا عباد، إني لم أقل هذا وأنا أريد أن أتقصصك فإنك لأنت المفاد منه. قال معبد: أما إذا قد اختلفنا وأصحابنا المكيون سكوت فلنجعل بيننا حكماً. قال ابن عائشة: إن أصحابنا شركاء في الحكومة. قال ابن سريج: على شريطة، قال: على أن يكون ما نغني به من الشعر ما حكمت فيه امرأة. قال ابن عائشة ومعبد: رضينا، وهي وأم جندب. فأجمع رأيهم على الاجتماع في منزل جميلة من غد. فلما حضروا قال ابن عائشة: ما ترى يا أبا عباد؟ قال: أرى أن يتبدى أصحابنا أو أحدهم. قال ابن سريج: بل أنتما أولى. قالوا: لم نكن لنفعل. فأقبل ابن سريج على سعيد بن مسجح فسأله أن يتبدى فأبى. فأجمع رأي المكيين على أن يتبدى ابن سريج. فغنى ابن سريج: صوت

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

خليلي مرا بي على أم جندب أقض لبانات الفؤاد المعذب

فإنكما إن تنتظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب

ألم ترياني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

الشعر لامرئ القيس. ولابن سريج فيه لحنان ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى، وخفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى جميعاً عن أسحاق وغنى معبد: صوت

فلله عينا من رأى من تفرق أشت وأناى من فراق المحصب

علون بأنطاكية فوق عقمة كجرمة نخل أو كجنة يثرب

فريقان منهم سالك بطن نخلة وآخر منهم جازع نجد كبكب

فعيناك غرباً جدول في مفاضةٍ

كمر خليج في سنيحٍ مثقب

وغنى ابن مسجح: صوت

وقالت فإن ييخل عليك ويعتلى

يسؤك وإن يكشف غرامك تدرب

وإنك لم يفخر عليك كفاحرٍ

ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلب

وإنك لم تقطع لبانة عاشقٍ

بمثل بكور أو رواح مؤوب

بأدماء حرجوج كأن قتودها

على أبلق الكشحين ليس بمغرب

يغرد بالأسحار في كل سدفةٍ

تغرد مياح الندامى المطرب

وغنى ابن عائشة: صوت

وقد أغتدي والطير في وكناتها

وماء الندى يجري على كل مذنب

بمنجرد قيد الأوابد لاحه

طراد الهوادي كل شأو مغرب

إذا ما جرى شأوين وابنل عطفه

تقول هزيز الريح مرت بأثأب

له أيطلا ظبي وساقا نعامةٍ

وصهوة عيرٍ قائم فوق مرقب

وغنى ابن محرز: صوت زار معبد مالك بن أبي السمح، فقال له: هل لك أن نصير إلى جميلة؟ فمضيا جميعاً فقصداها، فأذنت لهما فدخلتا، فأخرجت إليهما رقعت فيها أبيات، فقالت لمعبد: بعث بهذه الرقعة إلى فلان أغني فيها. فقال معبد: فابتدئي، فابدأت جميلة فغنت: صوت

إنما الذلفاء همي

فليدعني من يلوم

فغنى معبد:

أحسن الناس جميعا

حين تمشي وتقوم

فغنت جميلة:

حبيب الذلفاء عندي

منطقٌ منهما رخير

فغنى معبد:

أصل الحبل لترضى

وهي للحبل صروم

فغنت جميلة:

حبها في القلب داءٌ

مستكينٌ لا يريم

طريقة واحدة الشعر للأحوص. وذكر ابن النطاح أنه للبختري العبادي. والغناء لمعبد، وله فيه لحنان خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البصر عن ابن المكي، وثقيل أول بالوسطى عن عمرو. وذكر أحمد بن سعيد المالكي أن له فيه خفيف ثقيل آخر. وذكر حماد بن إسحاق أن فيه لمالك وجميلة لحين وقالت لمعبد ولمالك: يغني كل واحد منكما لحناً مما عليه. فغناها معبد بشعر قال فيها الأحوص يصفها به، وكان معجباً بها، وكانت هي له مكرمة، وهو قوله:

دوارس كالعين في المهرق

شأتك المنازل بالأبرق

ومهما يطل عهده يخلق

لآل جميلة قد أخلقت

فأين الذي هو لم يعشق

فإن يقل الناس لي عاشق

بداء الصبابة والمعلق

ولم يبك نوباً على عبرة

في هذه الأبيات ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى، ذكر إسحاق أنه لعطرد، وذكر ابن المكي أنه لجميلة. وفيها خفيف رمل في مجراها، ذكر إسحاق أنه لعطرد أيضاً وعمرو، وذكر الهشامي أن الثقيل الأول لابن عائشة. وذكر حبش أن فيه خفيف ثقيل لمعبد وأن خفيف الرمل لمالك قال معبد: فسرت جميلة بما غنيتها به وتبسمت وقالت: حسبك يا أبا عباد! ولم تكني قبلها ولا بعدها. ثم قالت لمالك: يا أبا طيئ هات ما عندك وحبنا مثل قول عبد ابن قطن. فاندفع وغنى بلحن لها، وقد تغنى به أيضاً معبد لها. واللحن:

أفق فالتعزي عن بثينة أجمل

ألا من لقلب لا يمل فيذهل

ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل

فما هكذا أحببت قد كان قبلها

فكن حازماً والحازم المتحول

فإن التي أحببت قد حيل دونها

لحن جميلة هكذا ثقيل أول بالبصر. وفيه ألحان عدة مع أبيات آخر من القصيدة، وهي لجميل فقالت جميلة: أحسنت والله في غنائك وفي الأداء عني. أما قوله: شأتك فأراد بعدت عنك. والشأو: البعد، يقال: جرى الفرس شأواً أو شأوين أي طلقاً أو طلقين. والمهرق: الصحيفة بما فيها من الكتاب، والجمع مهارق، قال ذو الرمة:

بوعساء تنتضوها الجماهير مهرق

كمستعبر في رسم دار كأنها

الذلفاء التي شيب بها الأحوص:

والعين أن تتعين الإداوة أو القرية التي تحرز ويسيل الماء عن عيون الخرز. فشبه ما بقي من الدار بتعين القرية وطرائق خروقتها التي ذكرت يتزل منها الماء شيئاً بعد شيء. فأما الذلفاء التي فيها فهي التي فتن بها أهل المدينة. وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلقها:

طلاق ذلفاء من دار ومن بلد

لا بارك الله في دار عدت بها

فلا يقولن ثلاثاً قائل أبداً

إني وجدت ثلاثاً أنكد العدد

فكان إذا عد شيئاً يقول: واحد اثنان أربعة ولا يقول ثلاثة.

حديث بثينة عن عفة جميل وعن حالها لما سمعت نعيه: وقالت جميلة: حدثني بثينة وكانت صدوقة اللسان جميلة الوجه حسنة البيان غفيفة البطن والفرج قالت: والله ما أرادي جميل رحمة الله عليه بريئة قط ولا حدثت أنا نفسي بذلك منه. وإن الحي انتجعوا موضعاً وإني لفي هودج لي أسير إذا بهاتف ينشد أبياتاً، فلم أتمالك أن رميت بنفسي وأهل الحي ينظرون، فبقيت أطلب المنشد فلم أفف عليه، فنادت: أيها الهاتف بشعر جميل ما وراءك منه؟ وأنا أحسبه قد قضى نخبه ومضى لسبيله، فلم يجيبني مجيب، فنادت ثلاثاً، وفي كل ذلك لا يرد علي أحد شيئاً. فقال صواحباتي: أصابك يا بثينة طائف من الشيطان؟ فقلت: كلا! لقد سمعت قائلاً يقول! قلن: نحن معك ولم نسمع! فرجعت فركبت مطيبي وأنا حيرى والهة العقل كاسفة البال، ثم سرنا. فلما كان في الليل إذ ذلك الهاتف يهتف بذلك الشعر بعينه، فرميت بنفسي وسعيت إلى الصوت، فلما قربت منه انقطع، فقلت: أيها الهاتف، ارحم حيرتي وسكن عبرتي بخبر هذه الأبيات، فإن لها شأنًا! فلم يرد علي شيئاً. فرجعت إلى رحلي فركبت وسرت وأنا ذاهبة العقل، وفي كل ذلك لا يخبرني صواحباتي أنهن سمعن شيئاً.

فلما كانت الليلة القابلة نزلنا وأخذ الحي مضاجعهم ونامت كل عين، فإذا الهاتف يهتف بي ويقول: يا بثينة، أقبلني إلي أنبتك عما تريدن. فأقبلت نحو الصوت، فإذا شيخ كأنه من رجال الحي، فسألته عن اسمه وبيته. فقال: دعي هذا وخذي فيما هو أهم عليك فقلت له: وإن هذا لما يهمني. قال: اقنعي بما قلت لك. قلت له: أنت المنشد الأبيات؟ قال نعم. قلت: فما خبر جميل؟ قال: نعم فارقت وقد قضى نخبه وصار إلى حفرة رحمة الله عليه. فصرخت صرخةً أذنت منها الحي، وسقطت لوجهي فأغمي علي، فكان صوتي لم يسمعه أحد، وبقيت سائر ليلتي، ثم أفقت عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي، ورفعت صوتي بالويل والبكاء ورجعت إلى مكاني. فقال لي أهلي: ما خبرك وما شأنك؟ فقصصت عليهم القصة. فقالوا: يرحم الله جميلاً. واجتمع نساء الحي وأنشدن الأبيات فأسعدنني بالبكاء، فأقمن كذلك لا يفارقني ثلاثاً، وتحزن الرجال أيضاً وبكوا ورثوه وقالوا كلهم: يرحمه الله، فإنه كان عفيفاً صدوقاً! فلم أكحل بعده بإثم ولا فرقت رأسي بمخيط ولا مشط ولا دهنته إلا من صداد خفيف على بصري منه ولا لبست خماراً مصبوغاً ولا أزال أبكيه إلى الممات. فالت جميلة: فأنشدني الشعر كله وهذا الغناء بعضه، وهو:

ألا من لقلب لا يمل فيذهل

أفق فالتعزي عن بثينة أجمل

مدحها ابن سريج فردت عليه مدحه ثم غنت وغنى هو ومعد ومالك بشعر حاتم الطائي: قال ابن سلام حدثني جرير قال: زار ابن سريج جميلة ليسمع منها يأخذ عنها. فلما قدم عليها أنزلته وأكرمه وسألته عن أخبار مكة فأخبرها. وبلغ معبداً الخبر. وكانت تطارحه وتسأله عن أخبار مكة فيخبرها. وكانت عندها جارية محسنة لبقة ظريفة، فابتدأت تطارحها. فقال ابن سريج: سبحان الله! نحن كنا أحق بالابتداء. قالت جميلة: كل إنسان في بيته

أمير وليس للداخل أن يتأمر عليه. فقال ابن سريج: صدقت جعلت فداءك! وما أدري أيهما أحسن أدبك أم غناؤك! فقالت له: كف يا عبيد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "احتثوا في وجوه المداحين التراب". فسكت ابن سريج. وطارحت الجارية بشعر حاتم الطائي:

أتعرف آثار الديار توهما	كخطك في رق كتاباً منمنما
أذاعت به الأرواح بعد أنيسها	شهوراً وأياماً وحولاً مجرماً
فأصبحن قد غيرن ظاهر تربه	وغيرت الأنواء ما كان معلماً
وغيرها طول التقادم والبلى	فما أعرف الأطلال إلا توهما

قال: فحدثت أنه حضر ذلك المجلس جماعة من حذاق أهل الغناء، فكلهم قال: مزامير داود! قال ابن سريج لها: أفأسمعك صوتاً لي في هذا الشعر؟ قالت: هاته، فغنى:

ديار التي قامت تريك وقد عفت	وأقوت من الزوار كفاً ومعصما
تهادى عليها حليها ذات بهجة	وكشأ كطي السابرية أهضما
فبانن لطيات لها وتبدلت	به بدلاً مرت به الطير أشؤما
وعاذلتان هبتا بعد هجعة	تلومان متلافاً مفيداً ملوما

قالت جميلة: أحسنت يا عبيد، وقد غفرنا لك زلتك لحسن غنائك. قال معبد: جعلت فداءك! أفلا أسمعك أنا أيضاً لحناً علمته في هذا الشعر؟ قالت: هات وإني لأعلم أنك تحسن. فاندفع فغنى:

فقلت وقد طال العتاب عليهما	وأوعدتاني أن تبينا وتصرما
ألا لا تلوماني على ما تقدما	كفى بصروف الدهر للمرء محكما
تلومان لما غور النجم ضلة	فتى لا يرى الإنفاق في الحق مغرما

قالت جميلة: ما عدوت الظن بك ولا تجاوزت الطريقة التي أنت عليها. قال: مالك! أفلا أغنيك أنا أيضاً؟ قالت: ما علمتك إلا تجيد الغناء وتحسن، فهات. فاندفع فغنى في هذا الشعر:

يضيء لنا البيت الظليل خصاصه	إذا هي ليلاً حاولت أن تبسما
إذا انقلبت فوق الحشية مرة	ترنم وسواس الحلي ترنما
ونحراً كفأثور اللجين يزينه	توقد ياقوت وشذر منظما
كجمر الغضى هبت به بعد هجعة	من الليل أرواح الصبا فتتسما

فقلت: جميلٌ ما قلت وحسنٌ ما نظمت، وإن صوتك يا مالك لما يزيد العقل قوةً والنفس طيباً والطبيعة سهولة، وما أحسب أن مجلسنا هذا إلا سيكون علماً وفي آخر الزمان متواصفاً، والخير ليس كالمشاهدة، والواصف ليس كالمعين وخاصة في الغناء.

زارها ابن أبي عتيق وابن ربيعة والأحوص فغنتهم: وحدثني الحسن بن عتبة اللهي قال حدثني من رأى ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص بن محمد الأنصاري وقد أتوا منزل جميلة فاستأذنوا عليها فأذنت لهم، فلما جلسوا سألت عمر وأحفت، فقال لها: إني قصدتك من مكة للسلام عليك. فقلت له: أهل الفضل أنت. قال: وقد أحببت أن تفرغي لنا نفسك اليوم وتخلي لنا مجلسك، قالت: أفعل. قال لها الأحوص: أحب ألا تغني إلا ما أسألك. قالت: ليس المجلس لك، والقوم شركاؤك فيه. قال: أجل. قال عمر: إن ترد أن تفعل ذلك بك يكن. قال الأحوص: كلا! قال عمر: فإني أرى أن نجعل الخيار إليها. قال ابن أبي عتيق: وفقك الله. فدعت بالعود وغنت:

تمشي الهوينى إذا مشت فضلاً مشي النزيف المخور في الصعد

تظل من زور بيت جارتها واضعةً كفها على الكبد

يا من لقلبٍ متيمٍ سدم عالٍ رهينٍ مكلمٍ كمد

أزجره وهو غير مزدجر عنها وطرفي مكحل السهد

فلقد سمعت للبيت زلزلةً وللدار همهمةً. فقال عمر: لله درك يا جميلة! ماذا أعطيت! أنت الغناء وآخره! ثم سكنت ساعة وأخذوا في الحديث، ثم أخذت العود وغنت:

شطت سعاد وأمسى البين قد أفدا وأورثوك سقاماً يصدع الكبد

لا أستطيع لها هجراً ولا ترةً ولا تزال أحاديثي بها جددا

الغناء فيه لسياطٍ خفيف رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولم يذكر حبش لحن جميلة. وذكر إبراهيم أن فيه لحناً لحكم الوادي. وذكر الهشامي وابن خرداذبه أنه من ألحان عمر بن عبد العزيز بن مروان في سعاد وأن طريقته من الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر إبراهيم أن لابن جامع فيه أيضاً صنعةً فاستخف القوم أجمعين، وصفقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحركوا رؤوسهم، وقالوا: نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه، ما أحسن ما غنيت وأجمل ما قلت! وأحضر الغداء فتغدى القوم بأنواع من الأطعمة الحارة والباردة ومن الفاكهة الرطبة واليابسة، ثم دعت بأنواع من الأشربة. فقال عمر: لا أشرب، وقال ابن أبي عتيق مثل ذلك، فقال الأحوص: لكنني أشرب، وما جزاء جميلة أن يمتنع من شربها! قال عمر: ليس ذلك كما ظننته. قالت جميلة: من شاء أن يحملني بنفسه ويخلط روحي بروحه شكرناه، ومن أبى ذلك عذرناه، ولم يمنعه ذلك عندنا ما يريد من قضاء

حوادثه والأنس بمحادثته. قال ابن أبي عتيق: ما يحسن بنا إلا مساعدتك. قال عمر: لا أكون أحسكم، إفعلوا ما شئتم تجدونني سميعاً مطيعاً. فشرب القوم أجمعون. فغنت صوتاً بشعر لعمر:

كالمها يلعبن في حجرتها

ولقد قالت لجارات لها

ومضت تسعى إلى قبتها

خذن عني الظل لا يتبعني

طفلة غداء في حلتها

لم تعانق رجلاً فيما مضى

ترمه لا ينج من رميتها

لم يطش قط لها سهمٌ ومن

لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت. وذكر الهشامي أن فيه لابن المكي رملاً بالبنصر. وذكر علي بن يحيى أن فيه لابن سريج رملاً بالوسطى فصاح عمر: ويلاه! ويلاه! ثلاثاً ثم عمد إلى جيب قميصه فشقه إلى أسفله فصار قباءً، ثم آب إلى عقله فندم واعتذر وقال: لم أملك من نفسي شيئاً. قال القوم: قد أصابنا كالذي أصابك وأغمي علينا، غير أنا فارقناك في تخريق الثياب. فدعت جميلة بثياب فخلعتها على عمر، فقبلها ولبسها، وانصرف القوم إلى منازلهم. وكان عمر نازلاً على ابن أبي عتيق، فوجه عمر إلى جميلة بعشرة آلاف درهم بعشرة أثواب كانت معه، فقبلتها جميلة. وانصرف عمر إلى مكة جذلان مسروراً.

حجت ومعها الشعراء والمغنون والمغنيات ووصف ركبتها في مكة وفي المدينة حتى آبت من الحج: قال إسحاق وحدثني أبي عن سباط وابن جامع عن يونس قالاً: حجت جميلة، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثني عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق ابن إبراهيم قال حدثني أبي سباط وابن جامع عن يونس الكاتب، وأخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قالوا جميعاً: إن جميلة حجت - وقد جمعت رواياتهم لتقاربها، وأحسب الخبر كله مصنوعاً وذلك بين فيه - فخرج معها من المغنين مشيعين حتى وافوا مكة ورجعوا معها من الرجال المشهورين الخذاق بالغناء هيت وطويس والدلال وبرد الفؤاد ونومه الضحى وفند ورحمة وهبة الله - هؤلاء مشايخ وكلهم طيب الغناء - ومعبد ومالك وابن عائشة ونافع بن طنبورة وبديح المليح ونافع الخير، ومن المغنيات الفرهة وعزة الميلاء وحبابة وسلامة وخليدة وعقيلة والشماسية وفرعة وبلبله ولذة العيش وسعيدة والزرقاء، ومن غير المغنين ابن أبي عتيق والأحوص وكثير عزة ونصيب وجماعة من الأشراف، وكذلك من النساء من موابها وغيرهن. وأما سباط فذكر أنه حج معها من القيان مشيعات لها ومعظمت لقدرها ولحقها زهاء خمسين قينة، وجه من موابهن معها فأعطوهن النفقات وحملوهن على الإبل في الهودج والقباب وغير ذلك، فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهن درهماً فما فوقه حتى رجعن. وأما يونس فذكر أنه حج معها من الرجال المغنين مع من سمينا زهاء ثلاثين رجلاً، وتخيروا في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الظريف وكذلك في الهودج والقباب. وقيل، فيما قال أهل المدينة: إنهم ما رأوا مثل ذلك الجمع سفرأ طيباً وحسنأ وملاحاً. قالوا: ولما قاربوا مكة تلقاهم سعيد بن مسجح وابن سريج والغريض وابن محرز والمهذليون وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثير لم يسمين لنا، ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة

والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وجماعة من الأشراف. فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز مغنٌ حاذقٌ ولا مغنيةٌ إلا وهو معها وجماعة من الأشراف ممن سمينا وغيرهم من الرجال والنساء. وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم. فلما قضت حجها سألتها المكيون أن تجعل لهم مجلساً. فقالت: للغناء أم للحديث؟ قالوا: لهما جميعاً. قالت: ما كنت لأخلط جداً بهزل، وأبت أن تجلس للغناء. فقال عمر بن أبي ربيعة: أقسمت على من كان في قلبه حبٌ لاستماع غنائها إلى خرج معها إلى المدينة، فإني خارج. فعزم القوم الذين سميناهم كلهم على الخروج ومعهم جماعة ممن نشط، فخرجت في جمع أكثر من جمعها بالمدينة. فلما قدمت المدينة تلقاها أهلها وأشرافهم من الرجال والنساء، فدخلت أحسن مما خرجت به منها، وخرج الرجال والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دورهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها. فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ونزل أهل مكة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلمين، وما استنكف من ذلك كبيرٌ ولا صغير. فلما مضى لمقدمها عشرة أيام جلست للغناء، فقالت لعمر بن أبي ربيعة: إني جالسةٌ لك ولأصحابك، وإذا شئت فعد الناس لذلك اليوم، فغصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء. فابتدأت جميلة فغنت صوتاً بشعر عمر: وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحج:

هيهات من أمة الوهاب منزلنا	إذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أهلك أجياداً فليس لنا	إلا التذكر أو حظٌ من الحزن
لو أنها أبصرت بالجزع عبرته	وقد تغرد قمري على فنن
إذا رأته غير ما ظننت بصاحبها	وأيقنت أن عكا ليس من وطني
ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفها	وموقفي وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكيةٌ	والدمع منها على الخدين ذو سنن
بأنه قولي له في غير معتبةٍ	ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو نعمت بها	فما أصبت بترك الحج من ثمن

فكلهم استحسّن الغناء، وضح القوم من حسن ما سمعوا. ويقال: إنهم ما سمعوا غناءً قط أحسن من غنائها ذلك الصوت في ذلك اليوم. ودمعت عين عمر حتى جرى الدمع على ثيابه ولحيته. وإنه ما رئي عمر كذلك في محفل غيره قط. ثم أقبلت على ابن سريج فقالت: هات، فاندفع يغني ورفع صوته بشعر عمر: غنى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر:

أليست بالتّي قالت	لمولاةٍ لها ظهرا
أشيري بالسلام له	إذا هو نحونا نظرا

لزينب نولي عمرا
ن قد خبرتني الخبرا

وقولي في ملاطفة
وهذا سحرك النسوا

غناء ابن مسجح: فسمع من ابن سريج في هذا اللحن من الحسن ما يقال إنه ما سمع مثله. ثم قالت لسعيد بن مسجح: هات يا أبا عثمان، فاندفع فغنى:

قد قلت قبل البين لما خشيته
لك الخير هل من مصدرٍ تصدريه
لتعقب وداً أو لتعلم ما عندي
فلما شكوت الحب صدت كأنما
يريح كما سهلت لي سبل الورد
تولت فأبدت غلةً دون نقعها
شكوت الذي ألقى إلى حجرٍ صلد
كما أرصدت من بخلها إذا بدا وجدي

غناء معبد: فاستحسن ذلك منه وبرع فيه. ثم قالت: يا معبد هات، فغنى:

أحارب من حاربت من ذي عداوةٍ
سنتقطع في الدنيا إذا ما قطعنتي
وأحبس مالي إن غرمت فأعقل
وإني أخوك الدائم العهد لم أحل
إن ابزأك خصمٌ أو نبابك منزل
يمينك فانظر أي كفٍ تبدل

قالت جميلة: أحسنت يا معبد اختيار الشعر والغناء هذا الشعر لمعن بن أوس غناء ابن محرز: ثم قالت: هات يا بن محرز، فإني لم أؤحرك لحساسة بك ولا جهلاً بالذي يجب في الصناعة، ولكنني رأيتك تحب من الأمور كلها أوسطها وأعدلها، فجعلتك حيث تحب واسطةً بين المكيين والمدنيين. فغنى:

وقفت بربع قد تحمل أهله
هو الموت إلا أن الموت مدةً
فأذريت دمعاً يسبق الطرف هامله
بسائلة الروحاء أو بطن مثغرٍ
متى يلقي يوماً فارغاً فهو شاغله
لها الضاحكات الرابييات سواهله

غناء الغريض: فقالت جميلة: يا أبا الخطاب، كيف بدا لك في ثلاثة وأنت لا ترى ذلك؟ قال: أحببت أن أواصي معبداً. قال معبد: والله ما عدوت ما أردت. ثم قالت للغريض: هات يا مولى العبلات فاندفع يغني:

فواندمي على الشباب ووا ندم
وإذا إخوتي حولي وإذا أنا شائخٌ
ندمت وبان اليوم مني بغير ذم
عراراً لعمرى بالهوان فقد ظلم
وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم
أرادت عراراً بالهوان ومن يرد

قالت جميلة: أحسن عمرو بن شأس ولم تحسن إذا أفسدت غناءك بالتعريض. والله ما وضعناك إلى موضعك ولا نقصنا من حظك! فبماذا أهنأك! ثم أقبلت على الجماعة فقالت: يا هؤلاء، اصدقوه وعرفوه نفسه ليقنع بمكانه. فأقبل القوم عليه وقالوا له: قد أخطأت إن كنت عرضت. فقال: قد كان ذلك، ولست بعائد. وقام إلى جميلة فقبل طرف ثوبها واعتذر فقبلت عذره وقالت له: لا تعد. ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت: يا أبا جعفر هات، فتغنى بشعر النابغة: غناء ابن عائشة:

سقى الغيث قبراً بين بصرى وجاسم
عليه من الوسمي جودٌ ووابل
وأنبت حوذاناً وعوفاً منوراً
سأتبعه من خير ما قال قائل
بكى حارث الجولان من هلك ربه
فحوران منه خاشع متضائل
وما كان بيني لو لقيتك سالماً
وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل

غناء نافع وبديح: قالت جميلة: حسن ما قلت يا أبا جعفر. ثم أقبلت على نافع وبديح فقالت: أحب أن تغنياني صوتاً واحداً، فغنيا جميعاً بصوت واحد ولحن واحد:

ألا يا من يلوم على التصابي
أفق شيئاً لتسمع من جوابي
بكرت تلومني في الحب جهلاً
وما في حب مثلي من معاب
أليس من السعادة غير شك
هو متواصلين على اقتراب
كريم نال وداً في عفاف
وستر من منعمة كعاب

غناء الهذليين الثلاثة: فقالت جميلة: هواكما والله واحد وغناؤكما واحد، وأنتما نحتما من بقية الكرم وواحد الشرف: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ثم أقبلت على الهذليين الثلاثة فقالت: غنوا صوتاً واحداً، فاندفعوا فغنوا بشعر عنتره العبسي:

حييت من طلل تقادم عهده
أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
كيف المزار وقد تربع أهلها
بعنيزتين واهلنا بالغيلم
إن كنت أزمعت الفراق فإنما
زمت ركابكم بليلٍ مظلم
شربت بماء الدحرضين فأصبحت
زوراء تنفر عن حياض الديلم

غناء نافع بن طنبورة:

قالت: ما رأيت شيئاً أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم. ثم أقبلت على نافع بن طنبورة فقالت: هات يا نقش الغضار ويا حسن اللسان، فاندفع يغني:

يا طول ليلي وبت لم أنم
وسادي الهم مبطنٌ سقمي

أن قمت يوماً على البلاط فأب

صرت رقاشاً وليت لم أقم

فقالت جميلة: حسنٌ والله ولا بن سريح في هذا اللحن أربعة أبيات في صوت غناء مالك بن أبي السمح: ثم قالت: يا مالك هات، فإني لم أؤخرك لأنك في طبقة آخرهم، ولكني أردت أن أختتم بك يومنا تتركاً بك وكى يكون أول مجلسنا كآخره ووسطه كطرفه، وإنك عندي ومعبدٌ لفي طريقة واحدة ومذهب واحد، لا يدفع ذلك إلا ظالم ولا ينكره إلا عاضل. الحق أقول: فمن شاء فلينكر، فسكت القوم كلهم إقراراً لما قالت. واندفع يغني:

عدو لمن عادت وسلم لسلما

ومن قربت سلمى أحب وقربا

هبيني امراً إما بريئاً ظلمته

وإما مسيئاً تاب بعد وأعتبا

أقول التماس العذر لما ظلمتني

وحملتني ذنباً وما كنت مذنباً

ليهنتك إشمات العدو بهجرنا

وقطعك حبل الوصل حتى تقضبا

اليوم الثاني من أيام المدينة وغناء طويس: قالت جميلة: ليت صوتك يا مالك قد دام لنا ودمننا له. وقطعت المجلس وانصرف عامة الناس وبقي خواصهم. فلما كان اليوم الثاني حضر القوم جميعاً. فقالت لطويس: هات يا أبا عبد النعيم. قال: فأنكر ما فعلت جميلة في اليوم الأول، لأن طويساً لم يكن يرضى بذلك. فأخبرني ابن جامع أن جميلة أصحابه

قد قلت والعيس سراعُ بنا

ترقل إرقالاً وما تعنق

يا صاحبي شوقي أرى قاتلي

وموردي منها جوًى يقلق

غناء فند ورحمة وهبة الله: قالت جميلة: أحسنتما. ثم قالت لفند ورحمة وهبة الله: هاتوا جميعاً صوتاً واحداً فإنكم متفقون في الأصوات والألحان، فاندفعوا فغنوا:

أشأفك من نحو العقيق بروق

لوامع تخفى تارة وتشوق

وما لي لا أهوى جواري بربر

وروحي إلى أرواحهن تتوق

لهن جمالٌ فائقٌ وملاحةٌ

ودلٌ على دل النساء يفوق

وكان بربرٌ حاضراً، فقال:

جواري والله ما وصفتم،

فمن شاء أقر ومن شاء أنكر .

غناء جميلة: فقالت جميلة: صدق. ثم غنت جميلة بشعر الأعشى ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها:

بانئت سعاد وأمسى حبلها انقطعا

واحتلت الغور فالجدين فالفرعا

واستكرتتي وما كان الذي نكرت

من الحوادث إلا الشيب والصلعا

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً

يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

وكان شيءٌ إلى شيءٍ فغيره

دهرٌ ملحٌ على تفريق ما جمعا

اليوم الثالث من أيام المدينة:

فلم يسمع شيءٌ أحسن من ابتدائها بالأمس وختمها في اليوم الثاني. وقطعت المجلس فانصرف القوم وأقام آخرون. فلما كان اليوم الثالث اجتمع الناس، فضرت ستارة وأجلست الجواري كلهن فضربن وضربت فضربن على خمسين وتراً فتزلزلت الدار، ثم غنت على عودها وهن يضربن على ضربها بهذا الشعر:

فإن خفيت كانت لعينك قرّة

وإن تبد يوماً لم يعممك عارها

من الخفرات البيض لم تر غلظةً

وفي الحسب الضخم الرفيع نجارها

فما روضةً بالحزن طيبة الثرى

يمج النداء جثائها وعرارها

بأطيب من فيها ذا جئت طارقاً

وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

غناء عزة الميلاء: فدمعت أعين كثير منهم حتى بل ثوبه وتنفس الصعداء وقال: بنفسي أنت يا جميلة! ثم قالت للجواري: اكففن فكففن، وقالت: يا عز غني، فغنت بشعر لعمر:

تذكرت هنداً وأعصارها

ولم تقض نفسك أوطارها

تذكرت النفس ما قد مضى وهاجت على العين عوارها
لتمنح رامة منا الهوى وترعى لرامة أسرارها
إذا لم نزرها حذار العدا حسدنا على الزور زوارها
غناء حباة وسلامة: فقالت جميلة: يا عز، إنك لباقية على الدهر، فهنئاً لك حسن هذا الصون مع جودة هذا الغناء. ثم قالت لحباة وسلامة: هاتيا لحناً واحداً، فغنتا:

كفى حزناً أنى أغيب وتشهد وما نلنقي والقلب حران مقصد
ومن عجب أنى إذا الليل جنني أقوم من الشوق الشديد وأقعد
أحن إليكم مثل ما حن تائق إلى الورد عطشان الفؤاد مصرد
ولي كبدٌ حرى يعذبها الهوى ولي جسدٌ يبلى ولا يتجدد
غناء خليدة: فاستحسن غناؤهما. ثم أقبلت على خليدة فقالت لها: بنفسى أنت! غني، فغنت:
ألا يا من يلوم على التصابي أفق شيئاً لتسمع من جوابي
بكرت تلومني في الحب جهلاً وما في حب مثلي من معاب
أليس من السعادة غير شك هوى متواصلين على اقتراب
كريمٌ نال ودأ في عفاف وسترٍ من منعمة كعاب
غناء عقيلة والشماسية: فاستحسن منها ما غنت، وهو بلحنها حسنٌ جداً. ثم قالت لعقيلة والشماسية: هاتيا، فغنتا:

هجرت الحبيب اليوم في غير ما اجترم وقطعت من ذي ودك الحبل فانصرم
أطعت الوشاة الكاشحين ومن يطع مقالة واش يقرع السن من ندم
غناء فرعة وبلبله ولذة العيش: ثم قالت لفرعة وبلبله ولذة العيش: هاتين فغنين، فاندفعن بصوت واحد:
لعمري لئن كان الفؤاد من الهوى بغى سقماً إنى إذا لسقيم
علي دماء البدن إن كان حبها على النأي في طول الزمان يريم
تلم ملمات فينسين بعدها ويذكر منها العهد وهو قديم
فأقسم ما صافيت بعدك خلّة ولا لك عندي في الفؤاد قسيم
غناء سعدة والزرقاء: قالت: أحسنتن! وهو لعمري حسنٌ. وقالت لسعدة والزرقاء: غنيا، فغنتا:
قد أرسلوني يعزوني فقلت لهم كيف العزاء وقد سارت بها الرفق

استهدت الريم عينيه فجادلها

بمقلتيه ولم تترك له عنق

فاستحسن ذلك. ثم قالت للجماعة فغنوا، وانقضى المجلس وعاد كل إنسان إلى وطنه. فما رئي مجلسٌ ولا جمعٌ أحسن من اليوم الأول ثم الثاني ثم الثالث.

طلب إبراهيم الموصلي الغناء لسماعه صوتاً لها:

وحديثي عمي - وكانت أسن من أبي وعمرت بعده - قالت: كان السبب في طلب أبيك الغناء والمواظبة عليه لحناً سمعه لجميلة في منزل يونس بن محمد الكاتب، فانصرف وهو كئيبٌ حزين مغمومٌ لم يطعم ولم يقبل علينا بوجهه كما كان يفعل. فسألته عن السبب فأمسك، فألححت عليه فانتهرني، وكان لي مكرماً، فغضبت وقمت من ذلك المجلس إلى بيت آخر، فتبعني وترضاني وقال لي: أحدثك ولا كتمان منك: عشقت صوتاً لامرأة قد ماتت، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركني الله منه برحمته. فقالت: أظن أن الله يحيي لك ميتاً! قال: بل لا أشك. قالت: فما تعليقك قلبك بما لا يعطاه إلا نبيٌ ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم!. وأما عشقك الصوت فهو أن تحذقه وتغنيه عشر مرارٍ، فتمله ويذهب عشقك له! فكأنه ارعوى ورجع إلى نفسه، وقام فقبل رأسي ويدي ورجلي وقال لي: فرجت عني ما كنت فيه من الكرب والغم، ثم تمثل: حبك الشيء يعمي ويصم ولزم بيت يونس حتى حذق الصوت ولم يمكث إلا زمناً يسيراً حتى مات يونس وانضم إلى سياط، وكان من أحذق أهل زمانه بالغناء وأحسنهم أداءً عمن مضى. قالت عمي: فقلت لإبراهيم: وما الصوت؟ فأنشدني الشعر ولم يحسن أداء الغناء:

من البكرات عراقيةٌ

تسمى سبعة أطريتها

من آل أبي بكرة الأكرمين

خصصت بودي فأصفيتها

ومن حبها زرت أهل العراق

وأسخطت أهلي وأرضيتها

أموت إذا شحطت دارها

وأحيا إذا أنا لاقيتها

فأقسم لو أن ما بي بها

وكننت الطبيب لداويتها

قالت عمي: هذا شعرٌ حسنٌ، فكيف به إذا قطع ومدد تمديد الأطربة وضرب عليها بقضبان الدفلى على بطون المعزى! فما مضت الأيام والليالي حتى سمعت اللحن مؤدى، فما خرق مسامعي شيءٌ قط أحسن منه، ولقد أذكرني بما يؤثر من حسن صوت داود وجمال يوسف. فبينما أنا يوماً جالسةٌ إذ طلع عليه إبراهيم ضاحكاً مستبشراً، فقال لي: ألا أحدثك بعجبٍ؟ قلت: وما هو؟ قال: إن لي شريكا في عشق صوت جميلة. قلت: وكيف ذلك؟ قال كنت عند سياط في يومنا هذا وأنا أغنيه الصوت وقد وقفني فيه على شيء لم أكن أحكمته عن يونس، وحضر عند سياط شيخٌ نبيلٌ فسبح على الصوت تسبيحاً طويلاً، فظننت أنه فعل ذلك لاستحسانه الصوت. فلما فرغت أنا وسياط من اللحن قال الشيخ: ما أعجب أمر هذا الشعر وأحسن ما غني به وأحسن ما

قال قائله! فقلت له دون القوم: وما بلغ من العجب به؟ قال: نعم! حجت سبيعة من ولد عبد الرحمن بن أبي بكرة، وكانت من أجمل النساء، فأبصرها عمر بن أبي ربيعة، فلما انحدرت إلى العراق اتبعها يشيعها حتى بلغ معها موضعاً يقال له الخورنق. فقالت له: لو بلغت إلى أهلي وخطبتني لزوجوك. فقال لها: ما كنت لأخلط تشييعي إياك بخطبة، ولكن أرجع ثم آتيكم خاطباً، فرجع ومر بالمدينة فقال فيها: قال ابن أبي ربيعة شعراً في سبيعة فلحنته وعلمته جارية من جواريه:

من البكرات عراقية

تسمى سبيعة أطريتها

ثم أتى بيت جميلة فسألها أن تغني بهذا الشعر ففعلت. فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجودة تأليفها، فحسن موقع ذلك منه، فوجه إلى بعض موالياته ممن كانت تطلب الغناء أن تأتي جميلة وتأخذ الصوت منها، فطارحتها إياه أياماً حتى حذقت ومهرت به. فلما رأى ذلك عمر قال: أرى أن تخرجي إلى سبيعة وتغنيها هذا الصوت وتبلغنيها رسالي، قالت: نعم. جعلني الله فداك. فأتتها فرحبت بها، وأعلمتها الرسالة، فحيت وأكرمت، ثم غنتها فكادت أن تموت فرحاً وسروراً لحسن الغناء والشعر. ثم عادت رسول عمر فأعلمته ما كان وقالت له: إنها خارجة في تلك السنة.

حج سبيعة ثانية وسؤالها جميلة أن تغنيها بشعر عمر فيها:

فلما كان أو ان الحج استأذنت سبيعة أباه في الحج، فأبى عليها وقال لها: قد حججت حجة الإسلام، قالت له: تلك الحجة هي التي أسهرت ليلي وأطالت نهارني وتوقفتني إلى أن أعود وأزور البيت وذلك القبر، وإن أنت لم تأذن لي مت كمداً وغماً، وذلك أن بقائي إنما كان لحضور الوقت، فإن يمست فالموت لا شك نازلٌ بي. فلما رأى ذلك أبوها رق لها وقال: ليس يسعني منعها مع ما أرى بها. ووافى عمر المدينة ليعرف خبرها، فلما قدمت علم بذلك. وسألها أن تأتي منزل جميلة، وقد سبق إليه عمر، فأكرمتها جميلة وسرت بمكانها. فقالت لها سبيعة: جعلني الله فداك! أقلقني وأسهرني صوتك بشعر عمر في، فأسمعيني إياه، قالت جميلة: وعزازه لوجهك الجميل! فغنتها الصوت، فأغمي عليها ساعة حتى رش على وجهها الماء وثاب إليها عقلها. ثم قالت: أعيدي علي، فأعادت الصوت مراراً في كل مرة يغشى عليها. ثم خرجت إلى مكة وخرج معها. فلما رجعت مرت بالمدينة وعمر معها، فأنت جميلة فقالت لها: أعيدي علي الصوت ففعلت، وأقامت عليها ثلاثاً تسألها أن تعيد الصوت. فقالت لها جميلة: إني أريد أن أغنيك صوتاً فاسمعيه. قالت: هاتيه يا سيدتي، فغنتها:

أبت المليحة أن تواصلني

وأظن أنني زائرٌ رمسي

لا خير في الدنيا وزينتها

ما لم توافق نفسها نفسي

لا صبر لي عنها إذا حسرت

كالبدر أو قرنٍ من الشمس

ورمت فؤادك عند نظرتها

بملاحة الإيثار والأنس

قالت سبيعة: لولا أن الأول شعر عمر لقدمت هذا على كل شيء سمعته. فقال عمر: فإنه والله أحسن من ذلك، فأما الشعر فلا. قالت جميلة: صدقت والله. قالت عميتي قال لها أبي: لعمرى إن ذلك على ما قالا. ولابن سريج في هذا الشعر لحنٌ عن جميلة وربما حكى بزيادة أو نقصانٍ أو مثلاً بمثل. جمعت الناس في دارها وقصت عليهم رؤياها واعتزامها ترك الغناء فاختلفوا وخطب شيخ يجذب الغناء فرجعت: أخبرني من يفهم الغناء قال: بلغني أن جميلة قعدت يوماً على كرسي لها وقالت لأذنتها: لا تحجي عنا أحداً اليوم، واقعدي بالباب، فكل من يمر بالباب فاعرضي عليه مجلسي، ففعلت ذلك حتى غصت الدار بالناس، فقالت جميلة: اصعدوا إلى العلالى، فصعدت جماعة حتى امتلأت السطوح. فجاءتها بعض جواربها فقالت لها: يا سيدتي، إن تمادي أمرك على ما أرى لم يبق في دارك حائطٌ إلا سقط، فأظهري ما تريدن. قالت: اجلسي. فلما تعالى النهار واشتد الحر استسقى الناس الماء فدعت لهم بالسويق، فشرب من أراد، فقالت: أقسمت على كل رجل وامرأة دخل منزلي إلا شرب، فلم يبق في سفل الدار ولا علوها أحد إلا شرب، وقام على رؤوسهم الجوارى بالمناديل والمراوح الكبار، وأمرت جواربها فقمعن على كراسي صغارٍ فيما بين كل عشرة نفرٍ جاريةً تروح. ثم قالت لهم: إني قد رأيت في منامي شيئاً أفرعني وأرعيني، ولست أعرف ما سبب ذلك، وقد خفت أن يكون قرب أحلي، وليس ينفعني إلا صالح عملي، وقد رأيت أن أترك الغناء كراهةً أني يلحقني منه شيء عند ربي. فقال قوم منهم: وفقك الله وثبت عزمك! وقال آخرون: بل لا حرج عليك في الغناء. وقال شيخ منهم ذو سن وعلم وفقه وتجربة: قد تكلمت الجماعة، ولك حزبٌ بما لديهم فرحون، ولم أعترض عليهم في قولهم ولا شركتهم في رأيهم، فاستمعوا الآن لقولي وأنصتوا ولا تشغبوا إلى وقت انقضاء كلامي، فمن قبل قولي فالله موفقه، ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنت في طاعة ربي. فسكت القوم جميعاً. فتكلم الشيخ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: يا معشر أهل الحجاز، إنكم متى تخاذلتم فشلتم ووثب عليكم عدوكم وظفر بكم ولا تفلحوا بعدها أبداً. إنكم قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم ممن لا يزال ينكر عليكم ما هو وارثه عنكم، لا ينكره عالمكم ولا يدفعه عابدهم بشهادة شريفكم ووضعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزكم. فأكثر ما يكون عند عابدهم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهد في الدنيا، لأن الغناء من أكبر اللذات وأسر النفوس من جميع الشهوات، يحیی القلب ويزيد في العقل ويسر النفس ويفسح في الرأي ويتيسر به العسير وتفتح به الجيوش ويذل به الجبارون حتى يمتحنوا أنفسهم عند استماعه، ويرى المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره، ويزيد أهل الثروة غنىً وأهل الفقر قناعةً ورضاً باستماعه فيعزفون عن طلب الأموال. من تمسك به كان عالماً ومن فارقه كان جاهلاً، لأنه لا منزلة أرفع ولا شيء أحسن منه، فكيف يستصوب تركه ولا يستعان به على النشاط في عبادة ربنا عز وجل. وكلامٌ كثيرٌ غير هذا ذهب عن الحديث به، فما رد عليه أحد ولا أنكر ذلك

منهم بشرٌ، وكلُّ عاد بالخطأ على نفسه وأقر بالحق له. ثم قال لجميلة: أوعيت ما قلت ووقع من نفسك ما ذكرت؟ قالت: أجل وأنا أستغفر الله. قال لها: فاختمي مجلسنا وفرقي جماعتنا بصوت فقط، فغنت:

أفي رسم دارِ دمعك المترقرق سفاهاً! وما استنطاق ما ليس ينطق
بحيث التقى جمعٌ وأقصى محسرٍ مغانيه قد كادت عن العهد تخلق
مقامٌ لنا بعد العشاء ومنزلٌ به لم يكره علينا معوق
فأحسن شيء كان أول ليلنا وآخره حزنٌ إذا نتفرق

فقال الشيخ: حسنٌ والله! أمثل هذا يترك! فيم تتشاهد الرجال! لا والله ولا كرامة لمن خالف الحق. ثم قام وقام الناس معه، وقال: الحمد لله الذي لم يفرق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحود فضيلته، وسلامٌ عليك ورحمة الله يا جميلة.

وصف مجلس لها غنت فيه ورقصت وغنى المغنون ورقصوا: وقال أبو عبد الله: جلست جميلة يوماً ولبست برنساً طويلاً، وألبست من كان عندها برانس دون ذلك، وكان في القوم ابن سريج، وكان قبيح الصلع قد اتخذ وفره شعر يضعها على رأسه، وأحبت جميلة أن ترى صلته. فلما بلغ البرنس إلى ابن سريج قال: دبرت علي ورب الكعبة! وكشف صلته ووضع القلنسية على رأسه، وضحك القوم من قبحنا صلته، ثم قامت جميلة ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها بردةً يمانيةً وعلى القوم أمثالها، وقام ابن سريج يرقص ومعبد والغريض وابن عائشة ومالكٌ وفي يد كل واحد منهم عود يضرب به على ضرب جميلة ورقصها، فغنت وغنى القوم على غنائها:

ذهب الشباب وليته لم يذهب وعلا المفارق وقع شيبٍ مغرب
والغانيات يردن غيرك صاحباً ويعدنك الهجران بعد تقرب
إني أقول مقالةً بتجاربٍ حقاً ولم يخبرك مثل مجرب
صاف الكريم وكمن لعرضك صائناً وعن اللئيم ومثله فنتكب

ثم دعت بثياب مصبغة ووفرة شعر مثل وفرة ابن سريج فوضعتها على رأسها، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا، ثم ضربت بالعود وتمشت وتمشى القوم خلفها، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد:

يمشين مشي قطا البطاح تأوداً قب البطون رواج الأكفال
فيهن أنسة الحديث حييةً ليست بفاحشة ولا متقال
وتكون ريقتها إذا نبهتها كالمسك فوق سلافة الجريال

ثم نعت ونعر القوم طرباً، ثم جلست وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا إلى زيهم، وأذنت لمن كان بياها فدخلوا، وانصرف المغنون وبقي عندها من يطارحها من الجواري.

استزارت عبد الله بن جعفر لمجلس غناء هيأته له فزارها: وحدثني عمي قالت: سمعت سياتاً يحدث أباك يوماً جميلة فقال: بنفسي هي وأمي! فما كان أحسن وجهها وخلقها وغناءها! ما خلفت النساء مثلها شبيهاً، فأعجبني ذلك. ثم قال سيات: جلست جميلة يوماً للوفادة عليها، وجعلت على رؤوس جواريتها شعوراً مسدلةً كالعناقيد إلى أعمازهن، وألبستهن أنواع الثياب المصبغة ووضعت فوق الشعور التيجان، وزينتهن بأنواع الحلبي، ووجهت إلى عبد الله بن جعفر تستزيه، وقالت لكاتب أملت عليه: بأبي أنت وأمي! قدرك يجلب عن رسالي وكرمك يحتمل زلي، وذني لا تقال عثرته ولا تغفر حوبته. فإن صفحت فالصفح لكم معشر أهل البيت يؤثر، والخير والفضل كله فيكم مدخر، ونحن العبيد وأنتم الموالي. فطوبى لمن كان لكم مقارباً والي وجوهكم ناظراً! وطوبى لمن كان لكم مجاوراً، وبعزكم قاهراً، وبضيائكم مبصراً! والويل لمن جهل قدركم ولم يعرف ما أوجبه الله على هذا الخلق لكم! فصغيركم كبير بل لا صغير فيكم، وكبيركم جليل بل الجلالة التي وهبها الله عز وجل للخلق هي لكم ومقصورةٌ عليكم. وبالكتاب نسألك وبحق الرسول ندعوك إن كنت نشيطاً لمجلس هيأته لك لا يحسن إلا بك ولا يتم إلا معك، ولا يصلح أن ينقل عن موضعه، ولا يسلك به غير طريقه. فلما قرأ عبد الله الكتاب قال: إنا لنعرف تعظيمها لنا وإكرامها لصغيرنا وكبيرنا.

وقد علمت أنها قد آلت آليةً ألا تغني أحداً إلا في مترها. وقال للرسول: والله قد كنت على الركوب إلى موضع كذا وكان في عزمي المرور بها. فأما إذ وافق ذلك مرادها فإني جاعلٌ بعد رجوعي طريقي عليها. فلما صار إلى بابها أدخل بعض ما كان معه إليها وصرف بعضهم. فنظر إلى ذلك الحسن البارع والهيئة الباذة، فأعجبه ووقع من نفسه، فقال: يا جميلة! لقد أوتيت خيراً كثيراً، ما أحسن ما صنعت! فقالت: يا سيدي، إن الجميل للجميل يصلح، ولك هيأت هذا المجلس. فجلس عبد الله بن جعفر وقامت على رأسه وقامت الجواري صفين، فأقسم عليها فجلست غير بعيد. ثم قالت: يا سيدي، ألا أغنيك؟ قال: بلى! فغنت:

بني شيبية الحمد الذي كان وجهه	يضيء ظلام الليل كالقمر البدر
كهولهم خير الكهول ونسلهم	كنسل الملوك لا يبور ولا يحرى
أبو عتبة الملقى إليك جماله	أغر هجان اللون من نفر زهر
لساقي الحجيح ثم للخير هاشم	وعبد مناف ذلك السيد الغمر
أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً	به جمع الله القبائل من فهر

فقال عبد الله: أحسنت يا جميلة وأحسن حذافة ما قال! بالله أعيدني علي فأعادته، فجاء الصوت أحسن من الارتجال. ثم دعت لكل جاريةٍ بعودٍ وأمرتهن بالجلوس على كراسي صغارٍ قد أعدتها لهن، فضربن وغنت عليهن

هذا الصوت وغنى جواربها على غنائها. فلما ضربين جميعاً قال عبد الله: ما ظننت أن مثل هذا يكون! وإنه لما يفتن القلب! ولذلك كرهه كثير من الناس لما علموا فيه. ثم دعا ببغلة فركبها وانصرف إلى منزله. وقد كانت جميلة أعدت طعاماً كثيراً، وكان أراد المقام، فقال لأصحابه: تخلفوا للغداء، فتغدوا وانصرفوا مسرورين. وهذا الشعر لحذافة بن غانم بن عبيد الله بن عويج بن عدي بن كعب يمدح به عبد المطلب.

أراد العرجي أن يتزل عليها حين فر من مكة فأبت وأنزلته على الأحوص: قال وحدثني بعض المكيين قال: كان العرجي وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان شاعراً سخيّاً شجاعاً أديباً ظريفاً، ويشبه شعره بشعر عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قدما عليه، وقد نسب كثير من شعره إلى شعرهما، وكان صاحب صيد. فخرج يوماً متزهاً من مكة ومعه جماعة من غلمانته ومواليه ومعه كلابه وفهوده وصقوره وبوازيه نحو الطائف إلى مال له بالعرج - وبهذا الموضع سمي العرجي - فجرى بينه وبين مولى لبني أمية كلام، فأمضه المولى فكف عنه العرجي حتى أوى إلى منزله، ثم هجم عليه ومعه غلمانته فأمرهم أن يوثقوه، ثم أمرهم أن ينكحوا امرأته وهو يراهم ففعلوا، ثم أخرجه فقتله. فبلغ أمير مكة ما فعل فطلبه، فخرج من منزله وأخرج معه غلمانته ومواليه وآلة الصيد وتوجه نحو المدينة وقد ركب أفراسه وأعد عدته. فلم يزل يتصد ويقصف في طريقه حتى دخل المدينة ليلاً، وأراد المقام في منزل جميلة، وكانت آلت ألا تغني بشعره ولا تدخله منزلها لكثرة عبثه وسفاهه وحادثة سنه. فلما أعلمت بمكانه ليلاً قالت: طارق! إن له لشأناً! فاستخبرت خبره فقبل لها: إنه قدم مستخفياً، ولم ير بالمدينة موضعاً هو أطيب له من منزلك، والأيمان تكفر، والأشراف لا يردون. فقالت لرسولها إليه: منزلي منزل جواز. ولا يمكن مثلك الاستخفاء فيها، فعليك بالأحوص - وكان الأحوص مجانباً له لشيء جرى بينه وبينه في منزل جميلة - فقال أنى لي بالأحوص مع الذي كان بيننا! قالت: اتته عني وقل له: قد غنينا بذلك الشعر، فإن أحببت أن تظهر وتبقى مودتنا لك، فأصلح ما بينك وبين عبد الله، إذ أصلح ما بيننا، وأنزله منزلك. قال لها: ليس هذا بمعنعي، أما إذ أبيت أن أقيم بمنزلك فوجهي معي رسولاً إلى الأحوص، فإن منزله أحب إلي بعد منزلك. فوجهت معه إلى الأحوص بعض موليته، فأنزله الأحوص وأكرمه وأحسن جواره وستر أمره. فقال شعراً ووجه به إلى جميلة:

فلم تلفه إلا مشوباً ممذقا

يعاتبه في الود إلا تفرقا

مضاضته يشجى بها من تمطقا

غزاً لا تحلى عقد درّ ويارقا

دعتك إليها العين أغضى وأطرفا

ألا قاتل الله الهوى كيف أخلقا

وما من حبيب يستزير حبيبه

أمر وصال الغانيات فأصبحت

تعلق هذا القلب للحين معلقاً

إذا قلت مهلاً للفؤاد عن التي

دعانا فلم نستبق حباً بما نرى

فما منك هذا العذل إلا تخرقا

فقد سن هذا الحب من كان قبلنا

وقاد الصبا المرء الكريم فأعنقا

فلما قرأت شعره رقت له وقالت: كيف لي بإيلائي ألا يدخل منزلي ولا أغنيه بشعره؟ فقبل لها: يدخل منزلك وتغنين وتكفرين عن يمينك. فوجهت إليه أن صر إلينا والأحوص في تلك الليلة، فجاءها، وعرفت الأحوص تكفير اليمين، فقال لها: وأنا والله شفيعه إليك، ففرجي ما به من غم فقد فارق من يحب ويهوى، فتؤنسنيه وتسرينه وتغنيه بشعره. فغنت:

ألا قاتل الله الهوى كيف أخلقا

فلم تلفه إلا مشوباً ممذقا

وحدثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمد: كان الأحوص معجباً بها وملازماً لها فصار إليها بغيلاً له جميل فأخرجته خوف الفتنة ثم دعتهم دعوة خاصة وغنتهما: كان الأحوص معجباً بجميلة، ولم يكن يكاد يفارق منزلها إذا جلست. فصار إليها غلاماً بغيلاً الوجه يفتن من رآه، فشغل أهل المجلس، وذهبت اللحون عن الجواري وخلطن في غنائهن. فأشارت جميلة إلى الأحوص أن أخرج الغلام، فالخلل قد عم مجلسي وأفسد علي أمري. فأبى الأحوص وتغافل، وكان بالغلام معجباً، فأثر لذته بالنظر إلى الغلام مع السماع. ونظر الغلام إلى الوجوه الحسان من الجواري ونظرن إليه، وكان مجلساً عاماً. فلما خافت عاقبة المجلس وظهور أمره أمرت بعض من حضر بإخراج الغلام فأخرج، وغضب الأحوص وخرج مع الغلام ولم يقل شيئاً، فأحمد أهل المجلس ما كان من جميلة، وقال لها بعضهم: هذا كان الظن بك، أكرمك الله! فقالت: إنه والله ما استأذني في الحياء به ولا علمت به حتى رأيته في داري، ولا رأيته له وجهاً قبل ذلك، وإنه ليعز علي غضب الأحوص، ولكن الحق أولى، وكان ينبغي له ألا يعرض نفسه وإياي لما نكره مثله. فلما تفرق أهل المجلس بعثت إليه: الذنب لك ونحن منه براء، إذ كنت قد عرفت مذهبي، فلم عرضتني للذي كان، فقد ساءني ذلك وبلغ مني، ولكن لم أجد بداً من الذي رأيته إما حياءً وإما تصنعاً. فرد عليها: ليس هذا لك بعذر إن لم تجعل لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً ثمحين به ما كان منك. قالت: أفعل ذلك سرّاً، قال الأحوص: قد رضيت. فجاءها ليلاً فأكرمتهم، ولم تظهر واحدةً من جواربها على ذلك إلا عجائز من مواليها. وسألها الأحوص وأقسم عليها أن تغنيه من شعره:

وبالفقر دارٌ من جميلة هيجت

سوالف حبٍّ في فؤادك منصب

وكانت إذا تنأى أو تفرقت

شداد الهوى لم تدر ما قول مشغب

أسيلة مجرى الدمع خمصانة الحشا

برود الثنايا ذات خلقٍ مشرعب

ترى العين ما تهوى وفيها زيادةٌ

من الحسن إذ تبدو وملهىً لملاعب

قال يونس: ما لها صوتٌ أحسن منه، وابن محرز يغنيه وعنها أخذته، وأنا أغنيه فتعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النخوة والتهيه. وقال المحدث لي بهذا الحديث عن يونس: إن هذا للأحوص في جميلة. والذي عندي أنه لطيف الغنوي قال في ابن زيد الخيل، وهو زيد بن المهلهل بن المختلس بن عبد رضاء أحد بني نبهان، ونبهان لقب له، ولكنه سودان بن عمرو بن الغوث بن طيء، أغار على بني عامر فأصاب بني كلاب وبني كعب، واستحر القتل في غني بن أعصر ومالك بن أعصر ومالك بن أعصر، وأعصر هو الدخان، ولذلك قبل لهما ابنا دخان، وأخوهما الحارث وهو الطفافة وهو مالك بن سعد بن قيس بن عيلان، وغطفان بن سعد عمهم. وكانت غني مع بني عامر في دارهم موالي لنمير، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء. ثم إن غنياً أغارت على طيء وعليهم سيار بن هريم، فقال في ذلك قصيدته الطويلة:

وبالفقر دارٌ من جميلة هيجت سواف شوقٍ في فؤادك منصب

لحنت قصيدة لعمرو بن أحمر بن العمرد في عمر بن الخطاب لحناً جميلاً، ونبذة عن ترجمة ابن أحمر: وحدثني أيوب بن عباية قال: كان عمرو بن أحمر بن العمرد بن عامر بن عبد شمس بن فراع بن معن بن مالك ابن أعصر بن قيس بن عيلان بن مضر من شعراء الجاهلية المعدودين، وكان ينزل الشام، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وقال في الجاهلية والإسلام شعراً كثيراً وفي الخفاء الذين أدركهم: عمر بن الخطاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجه أبو بكر خالداً إلى الشام، ولم يأت أبا بكر. وقال في خالد رحمه الله:

إذا قال سيف الله كروا عليهم كررت بقلبٍ رابط الجأش صارم

وقال في عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيدة:

أدركت آل أبي حفص وأسرته وقبل ذاك ودهرًا بعده كلبا

قد ترتمي بقوافٍ بيننا دولٌ بين الهناتين لا جداً ولا لعبا

الله يعلم ما قلتي وقولهم إذ يركبون جناناً مسهباً وربا

وقال في عثمان بن عفان رضي الله عنه:

حتى فليس إلى عثمان مرتجعٌ إلا العداء وإلا مكنعٌ ضرر

إخالها سمعت عزفاً فتحسبه إهابة القسر ليلاً حين تنتشر

وقال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

من مبلغ مالكا عني أبا حسنٍ فارتح لخصمٍ هداك الله مظلوم

فلما أنشدت جميلة قصيدته في عمر بن الخطاب، قالت: والله لأعلمن فيها لحناً لا يسمعه أحدٌ أبداً إلا بكى. قال

إبراهيم: وصدقت، والله ما سمعته قط إلا أبكاني، لأني أجد حين أسمع شئاً يضغط قلبي ويحرقه فلا أملك عيني، وما رأيت أحداً قط سمعه إلا كانت هذه حاله.
صوت من المائة المختارة

درس الشؤون وعهدا لم ينجل

يا دار عبلة من مشارق مأسل

أبعارها في الصيف حب الفلفل

فاستبدلت عفر الأطباء كأنما

مشي النصارى حول بيت الهيكل

تمشي النعام به خلاءً حوله

وإذا نبا بك منزل فتحول

إحذر محل السوء لا تحلل به

الشعر، فيما ذكر يحيى بن علي عن إسحاق، لعنترة بن شداد العبسي. وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، ولعله من رواية لم تقع إلينا، فذكر غير أبي أحمد أن الشعر لعبد قيس بن خفاف البرجمي، إلا أن البيت الأخير لعنترة صحيح لا يشك فيه. والغناء لأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي، ولحنه المختار، على ما ذكره أبو أحمد، من الثقيل الأول. وذكر ابن خرداذبه أن لحن أبي دلف خفيف ثقيل بالوسطى. وذكر إسحاق أن فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول المطلق في مجرى الوسطى، وأن فيه لأبي دلف لحناً ولم يجنسه. وذكر حبش أن فيه لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى. وأن لابن سريج في البيت الثاني ثقيلاً أول، وذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل للمالك، وليس ممن يعتمد على قوله. وقد ذكر يونس أيضاً أن فيه غناء للمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته.

ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره

نسب عنترة: أمه أمة حبشية، كان أبوه نفاه ثم ألحقه بنسبه: هو عنترة بن شداد، وقيل: ابن عمرو بن شداد، وقيل: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل: مخزوم بن عوف بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عيس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. وله لقبٌ يقال له عنترة الفلحاء، وذلك لتشقق شفثيه. وأمّه أمة حبشية يقال لها ربيعة، وكان لها ولدٌ عبيدٌ من غير شداد، وكانوا إخوته لأمه. وقد كان شداد نفاه مرةً ثم اعترف به فألحق بنسبه. وكانت العرب تفعل ذلك، تستعبد بني الإماء، فإن أنجب اعترفت به وإلا بقي عبداً.

حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعراً: فأخبرني علي بن سليمان النحوي الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن حبيب، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشيباني، قالاً: كان عنترة قبل أن يدعيه أبوه حرشت عليه امرأة أبيه وقالت: إنه يراودني عن نفسي، فغضب من ذلك شداد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرحاً وضربه بالسيف، فوقع عليه امرأة أبيه وكفته عنه. فلما رأت ما به من الجراح بكت - وكان اسمها سمية وقيل: سهية - فقال عنترة: صوت

أمن سمية دمع العين مذروف
 كأنها يوم صددت ما تكلمني
 تجللتني إذ أهوى العصا قبلي
 كأنها صنمٌ يعتاد معكوف
 العبد عبدكم والمال مالكم
 فهل عذابك عني اليوم مصروف
 تنسى بلائي إذا ما غارةٌ لحقت
 تخرج منها الطوالات السرايف
 يخرجن منها وقد بلت رحائلها
 بالماء تركضها الشم الغطاريف
 قد أطعن الطعنة النجلاء عن عرضٍ
 تصفر كف أخيها وهو منزوف

غني في البيت الأول والثاني علوية، ولحنه من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر، وقيل: إنه لإبراهيم. وفيهما رملٌ بالوسطى يقال: إن لابن سريج، وهو من منحول ابن المكي.

قوله مذروف: من ذرفت عينه، يقال: ذرفت تذرف ذريفاً وذرفاً، وهو قطرٌ يكاد يتصل. وقوله: لو أن ذامنك قيل اليوم معروف. أي قد أنكرت هذا الحنو والإشفاق منك، لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم ينكره. ساجي العين. ساكنها. والساجي: الساكن من كل شيء. مطروف: أصابت عينه طرفةً، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه. تجللتني: ألفت نفسها علي. وأهوى: اعتمد. صنم يعتاد أي يؤتى مرةً بعد مرة. ومعكوف: يعكف عليه. والسرايف: السراع، واحداً سرعوفة. والطوالات: الخيل. والرحائل: السروج. والشمم: ارتفاع في الأنف. والغطاريف: الكرام والسادة أيضاً. والغطرفة: ضرب من السير والمشىء يختال فيه. والنجلاء: الواسعة. يقال: سنانٌ منجلٌ: واسع الطعنة: عن عرض أي عن شقٍّ وحرف. وقال غيره: أعترضه اعتراضاً حين أقاتله. سبب ادعاء أبيه إياه: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال ابن الكلبي: شداً جد عنتره غلب على نسبه، وهو عنتره بن شداد، وقد سمعت من يقول: إنما شداداً عمه، كان نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه. قال: وإنما ادعاه أبوه بعد الكبر، وذلك لأن أمه كانت أمةً سوداء يقال لها ربيعة، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أمة استعبدوه. وكان لعنتره إخوةٌ من أمة عبيدٌ. وكان سبب ادعاء أبي عنتره إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على بني عيس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً، فتبعهم العبسيون فلحقوهم فقاتلوهم عما معهم وعنتره يومئذٍ فيهم، فقال له أبوه: كر يا عنتره. فقال عنتره: العبد لا يحسن الكر، إنما يحسن الحلاب والصر. فقال: كر وأنت حر. فكر وهو يقول:

أنا الهجين عنتره
 كل امرئ يحمي حره
 أسوده وأحمره
 والشعرات المشعره

الواردات مشفرة

وقاتل يومئذ قتالاً حسناً، فادعاه أبوه بعد ذلك وألحق به نسبه.
وحكى غير ابن الكلبي أن السبب في هذا أن عبساً أغاروا على طيء، فأصابوا نعماً، فلما أرادوا القسمة قالوا لعنترة: لا نقسم لك نصيباً مثل أنصبائنا لأنك عبد. فلما طال الخطب بينهم كرت عليهم طيء، فاعتزلهم عنترة وقال: دونكم القوم، فإنكم عددهم. واستنقذت طيء الإبل. فقال له أبوه: كر يا عنترة. فقال: أو يحسن العبد الكر! فقال له أبوه: فاعترف به، فكر واستنقذ النعم. وجعل يقول:

كل امرئ يحمي حره

أنا الهجين عنتره

الآيات.

قال ابن الكلبي: وعنترة أحد أغربه العرب، وهم ثلاثة: عنترة وأمه ربيعة، وخفاف بن عمير الشريدي وأمه ندبة، والسليك بن عمير السعدي وأمه السلكة، وإليه ينسبون. وفي ذلك يقول عنترة:

شطري وأحمي سائري بالمنصل

إني امرؤ من خير عبسٍ منصباً

ألفيت خيراً من معمٍ مخول

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت

يقول: إن أبي من أكرم عبسٍ بشطري، والشطر الآخر ينوب عن كرم أُمِّي فيه ضربي بالسيف، فأنا خيرٌ في قومي، ممن عمه وخاله منهم وهو لا يغني غنائي. وأحسب أن في القصيدة هي التي يضاف إليها البيتان اللذان يغني فيهما، وهذه الآيات قالها في حرب داحس والغبراء.
حامى عن بني عبس حين انهزمت أمام تميم، فسبه قيس بن زهير فهجاه: قال أبو عمرو الشيباني: غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قيس بن زهير، فانهزمت بنو عبس وطلبتهم بنو تميم، فوقف لهم عنترة، ولحقتهم بكبكة من الخيل، فحامى عنترة عن الناس فلم يصب مدبرٌ. وكان قيس بن زهير سيدهم، فسأه ما صنع عنترة يومئذ، فقال حين رجع: والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء. وكان قيس أكلوا. فبلغ عنترة ما قال، فقال يعرض به قصيدته التي يقول فيها: صوت

أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل

بكرت تخوفني الحتوف كأنني

لا بد أن أسقى بكأس المنهل

فأجبتها أن المنية منهلٌ

أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

فاقنى حياءك لا أبالك واعلمي

مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل

إن المنية لو تمثل مثلث

شطري وأحمي سائري بالمنصل

إني امرؤ من خير عبسٍ منصباً

ألفيت خيراً من معمٍ مخول

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت

والخيل تعلم والفوارس أنني
فرقت جمعهم بصربة فيصـل
إذا لا أبادر في المضيق فوارسي
أو لا أوكـل بالرعيـل الأول
إن يلحقوا أكرـر وإن يستلحموا
أشدد وإن يلفوا بضنك أنزل
حين النزول يكون غاية مثلنا
ويفر كل مضلل مستوهل
والخيل ساهمة الوجوه كأنما
تسقى فوارسها نقيع الحنظل
ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكـل

عروضه من الكامل. غنت في الأربعة الأبيات الأول والبيت الثاني عريب خفيف رمل بالبنصر من رواية الهشامي وابن المعتز وأبي العبيس.

الحتوف: ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف. عن عرض أي ما يعرف منها. بمعزل أي في ناحية معتزلة عن ذلك. ومنهل: مورد. وقوله: فاقني حياءك. أي احفظيه ولا تضيعيه. والضنك: الضيق. يقول: إن المنية لو خلقت مثلاً لكانت في مثل صوري. والمنصب: الأصل. والمنصل: السيف، ويقال منصل أيضاً بفتح الصاد. وأحجمت: كعت. والكتيبة: الجماعة إذا اجتمعت ولم تنتشر. وتلاحظت: نظرت من يقدم على العدو. وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض. ومؤخر العين. والفيصل: الذي يفصل بين الناس. وقوله: لا أبادر في المضيق فوارسي أي لا أكون أول منهزم ولكني أكون حاميتهم. والرعيـل: القطعة من كل شيء. ويستلحموا: يدركوا. والمستلحم: المدرك، وأنشد الأصمعي:

نجى علاجاً وبشراً كل سلـهبة
واستلحم الموت أصحاب البراذين

وساهمة: ضامرة متغيرة، قد كلح فوارسها لشدة الحرب وهولها. وقوله: ولقد أبيت على الطوى وأظله. قال الأصمعي: أبيت بالليل على الطوى وأظـل بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكـل أي ما لا عيب فيه علي، ومثله قوله: إنه ليأتي علي اليومان لا أذوقهما طعاماً ولا شراباً أي لا أذوق فيهما. والطوى: خص البطن، يقال: رجل طيان وطاوي البطن.

أنشد النبي صلى الله عليه وسلم بيتاً من شعره فود لو رآه. وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابن عائشة قال: أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول عنترة:

ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكـل

فقال صلى الله عليه وسلم: ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة. كيف ألحق أخوته لأمه بنسب قومه: أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عبيدة: أن عنترة كان له إخوة من أمه، فأحب عنترة أن يدعيهم أقومه، فأمر أخاً له كان

خبرهم في نفسه يقال له حنبل، فقال له: أرو مهرک من اللبن ثم مر به علي عشاء. فإذا قلت لكم: ما شأن مهرکم متخذداً مهزولاً ضامراً، فاضرب بطنه بالسيف كأنك تريهم أنك قد غضبت مما قلت: فمر عليهم، فقال له: يا حنبل، ما شأن مهرکم متخذداً أعجز من اللبن؟ فأهوى أخوه بالسيف إلى بطن مهره فضربه فظهر اللبن. فقال في ذلك عنترة:

أبني زبيبة ما لمهرکم متخذداً وبطونکم عجر
ألکم بإيغال الوليد على أثر الشياه بشدة خبر

وهي قصيدة. قال: فاستلاظه نفرٌ من قومه ونفاه آخرون. ففي ذلك يقول عنترة:

ألا يا دار عيلة بالطوي كرجع الوشم في كف الهدي

وهي طويلة يعدد فيها بلاءه وآثاره عند قومه.

جوابه حين سئل أنت أشجع العرب: أخبرني عمي قال أخبرني الكرائي عن النضر بن عمرو عن الهيثم بن عدي قال: قيل لعنترة: أنت أشجع العرب وأشدّها؟ قال لا. قيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا، ولا أدخل إلا موضعاً أرى لي منه مخرجاً، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله.

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدثنا عمر بن شبة قال:

قال عمر بن الخطاب للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألف فارس حازم. قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زهير فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه. وكان فارسنا عنترة فكنا نحمل إذا حمل ونحجم إذا أحجم. وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأي فكنا نستشيره ولا نخالفه. وكان فينا عروة بن الورد فكنا نأتم بشعره، فكنا كما وصفت لك. فقال عمر: صدقت.

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد السكري قال قال محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل عن أبي عبيدة وابن الكلبي قالوا: موته واختلاف الروايات في سببه: أغار عنترة على بني نبهان من طيء فطرد لهم طريدة وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز وهو يطردها ويقول:

آثار ظلمان بقاع محرب

قال: وكان زر بن جابر النبھاني في فتوة، فرماه وقال: خذها وأنا ابن سلمى، فقطع مطاه، فتحامل بالرمية حتى أتى أهله، فقال وهو مجروح:

وإن ابن سلمى عنده فاعلموه دمي وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي
يحل بأكناف الشعاب وينتمي مكان الثريا ليس بالمتهضم
رمانی ولم يدهش بأزرق لهزم عشية حلوا بين نعف ومخرم

قال ابن الكلبي: وكان الذي قتله يلقب بالأسد الرهيص. وأما أبو عمرو الشيباني فذكر أنه غزا طيئاً مع قومه، فانهمزمت عبس، فخر عن فرسه ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب، فدخل دغلاً، وأبصره ريثة طيء فتزل إليه، وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه وقتله.

وذكر أبو عبيدة أنه كان قد أسن واحتاج وعجر بكبر سنه عن الغارات. وكان له على رجل من غطفان بكر، فخرج يتقاضاه إياه، فهاجت عليه ريحٌ من صيف وهو بين شرحٍ وناظرة، فأصابته فقتلته.

كان أحد الذين يبالغهم عمرو بن معد يكرب قال أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: كان عمرو بن معد يكرب يقول: ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقي حراها وهجيناها. يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب، وبالعبدن عنتر والسليك بن السليكة.

هذه أخبار عنتر قد ذكرت فيها ما حضر.

عبد قيس بن خفاف البرجمي

نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمي: وأما عبد قيس بن خفاف البرجمي فإني لم أجد له خبراً أذكره إلا ما أخبرني به جعفر بن قدامة قال: قرأت في كتاب لأبي عثمان المازني: كان عبد قيس بن خفاف البرجمي أتى حاتم طيء في دماء حملها عن قومه فأسلموه فيها وعجز عنها، فقال: والله لآتين من يحملها عني، وكان شريفاً شاعراً شجاعاً، فقدم على حاتم وقال له: إنه وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأهلي، فقدمت مالي وأخرت أهلي، وكنت أوثق الناس في نفسي. فإن تحملتها فكم من حق قضيته وهم كفيته، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمم يومك ولم أنس غدك، ثم أنشأ يقول:

حملت دماءً للبراجم جمّة	فجئتُك لما أسلمتني البراجم
وقالوا سفاهاً لم حملت دماءنا	فقلت لهم يكفي الحمالة حاتم
متى آتته فيها يقل لي مرحباً	وأهلاً وسهلاً أخطأتك الأشائم
فيحملها عني وأن شئت زادني	زيادة من حيزت إليه المكارم
يعيش الندى ما عاش حام طيء	وإن مات قامت للسقاء مآتم
ينادين مات الجود معك فلا نرى	محبباً له ما حام في الجو حاتم
وقال رجال أنهب العام ماله	فقلت لهم إني بذلك عالم
ولكنه يعطى من أموال طيء	إذا حلق المال الحقوق اللوازم
فيعطى التي فيها الغنى وكأنه	لتصغيره تلك العطية جارم
بذلك أوصاه عدي وحشرج	وسعدٌ وعبد الله تلك القماقم

فقال له حاتم: إني كنت لأحب أن يأتيني مثلك من قومك، وهذا مرباعي من الغارة على بني تميم فخذته وافراً، فإن وفي بالحمالة وإلا أكملت لها لك، وهي مائتا بعير سوى نبيها وفصالها، مع أي لا أحب أن تؤبس قومك بأموالهم. فضحك أبو جبيل وقال: لكم ما أخذتم منا ولنا ما أخذنا منكم، وأي بعير دفعته إلي وليس ذنبه في يد صاحبه فأنت منه بريء. فأخذها وزاده مائة بعير، وانصرف راجعاً إلى قومه. فقال حاتم:

أتاني البرجمي أبو جبيل	لهم في حمالته طويل
فقلت له خذ المرباع منها	فإني لست أرضى بالقليل
على حال ولا عودت نفسي	على علاتها علل البخيل
فخذها إنها مائتا بعير	سوى الناب الرذية والفصيل
ولا من عليك بها فإني	رأيت المن بزري بالجميل
فأب البرجمي وما عليه	من اعباء الحمالة من فتيل
يجر الذيل ينفض مذرويه	خفيف الظهر من حمل ثقيل

ذكر أبي دلف ونسبه وأخباره

نسب أبي دلف ومكانته: هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أحد بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ومجده في الشجاعة وعلو الخلق عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد وحسن الأدب وجودة الشعر محل ليس لكبير أحد من نظرائه. وذكر ذلك أجمع مما لا معنى له لطوله، وفي هذا القدر من أخباره مقنع. وله أشعارٌ جياذ، وصنعةٌ كثيرةٌ حسنة. فمن جيد شعره وله فيه صنعة قوله: صوت

بنفسي يا جنان وأنت مني	محل الروح من جسد الجبان
ولو أني أقول مكان نفسي	خشيت عليك بادرة الزمان
لإقدامي إذا ما الخيل حامت	وهاب كماتها حر الطعان

وله فيه لحن. وهذا البيت الأول أخذه من كلام إبراهيم النظام. أخذ معنى من محاورة إبراهيم النظام لغلّام: أخبرني به علي بن سليمان الأنخفش قال حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال: لقي إبراهيم النظام غلاماً حسن الوجه، فاستحسنه وأراد كلامه فعارضه، ثم قال له: يا غلام، إنك لولا ما سبق من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم: لا ينبغي لأحد أن يكبراً عن أن يسأل، كما أنه لا ينبغي لأحد أن يصغر عن أن يقول، لما أنبت إلى مخاطبتك ولا انشرح صدري لمحدثك، لكنه سبب الإخاء وعقد المودة، ومحلّك من قلبي محل الروح من جسد الجبان. فقال له الغلام - وهو لا يعرفه - لئن

قلت ذلك أيها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظام: الطبائع تجاذب ما شاكلها بالجانسة، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة، وكياني مائلٌ إلى كيائك بكليتي. ولو كان الذي انطوى عليه عرضاً لم أعتد به ودأ، ولكنه جوهر جسمي، فبقاؤه ببقاء النفس، وعدمه بعدمها، وأقول كما قال الهذلي:

فتيقني أن قد كلفت بكم ثم افعلي ما شئت عن علم

فقال له النظام: إنما كلمتك بما سمعت وأنت عندي غلام مستحسن، ولو علمت أن محلك مثل محل معمرٍ وطبقته في الجدل لما تعرضت لك. قال أبو الحسن: ومن هذا أخذ أبو دلف قوله:

أحبك يا جنان وأنت مني محل الروح من جسد الجبان

ومن جيد شعره وله فيه صنعة قوله صوت

في كل يوم أبي بيضاء طالعةً كأنما أنبتت في ناظر البصر

لئن قصصتك بالمقراض عن بصري لما قطعتك عن همي وعن فكري

بلغه طروق الشراة وهو بالسردان مع جارية له فأسرع لحربهم وردهم: أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب قال حدثني أبي قال سمعت عبد العزيز بن دلف بن أبي دلف يقول: حدثني ظبية جارية أبي قالت: إني لمعه ليلةً بالسردان وهو جالسٌ يشرب معي وعليه ثيابٌ ممسكة، إذ أتاه الصريخ بطروق الشراة أطراف عسكره، فلبس الجوشن ومضى فقتل وأسر وانصرف إلي في آخر الليل وهو يغني - قالت: والشعر له - : صوت

ليلتي بالسردان كللت بالمحاسن

وجوارٍ أوانسٍ كالظباء الشواند

بدلت بالممسكا ت ادراع الجواشن

الشعر لأبي دلف. والغناء له رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر.

خرج مع الإفشين لحرب بابك فأراد قتله فأنقذه ابن أبي داود:

وقال أحمد بن أبي طاهر: كان أبو دلف القاسم بن عيسى في جملة من كان مع الإفشين خيذر بن كاووس لما خرج لمحاربة بابك، ثم تنكر له، فوجه يوماً بمن جاء به ليقتله. وبلغ المعتصم الخبر، فبعث إليه بأحمد بن بي دواد وقال له: أدركه، وما أراك تلحقه، فاحتل في خلاصه منه كيف شئت. قال ابن أبي دواد: فمضيت ركضاً حتى وافيته، فإذا أبو دلف واقفٌ بين يديه وقد أخذ بيديه غلامان له تركيان، فرميت بنفسي على البساط، وكنت إذا جئته دعا لي بمصلى، فقال لي: سبحان الله! ما حملك على هذا؟ قلت: أنت أجلسني هذا المجلس. ثم كلمته في القاسم وسألته فيه وخضعت له، فجعل لا يزداد إلا غلظةً. فلما رأيت ذلك قلت: هذا عبدٌ وقد أغرقت في الرفق به فلم ينفع، وليس إلا أخذه بالرهبة والصدق؟ فقلت: كم تراك قدرت! تقتل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد، وتخالف أمره في قائد بعد قائد! قد حملت إليك هذه الرسالة عن أمير المؤمنين، فهات الجواب!. قال:

فذل حتى لصق بالأرض وبان لي الاضطراب فيه. فلما رأيت ذلك نهضت إلى أبي دلف وأخذت بيده، وقلت له: قد أخذته بأمر أمير المؤمنين. فقال: لا تفعل يا أبا عبد الله. فقلت: قد فعلت وأخرجت القاسم فحملته على دابة ووافيت المعتصم. فلما بصر بي قال: بك يا أبا عبد الله وريت زنادي، ثم رد علي خبري مع الإفشين حدساً بظنه ما أخطأ فيه حرفاً؟ ثم سألي عما ذكره لي وهو كما قال، فأخبرته أنه لم يخطيء حرفاً.

وقال علي بن محمد حدثني جدي قال: كان أحمد بن أبي دواد ينكر أمر الغناء إنكاراً شديداً. فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دلف يغني، فقال: ما أراه مع عقله يفعل ذلك. فستر أحمد بن أبي دواد في موضع وأحضر أبا دلف وأمره أن يغني، ففعل ذلك وأطال، ثم أخرج أحمد بن أبي دواد عليه من موضعه والكراهة ظاهرة في وجهه. فلما رآه أحمد قال له: سوءاً لهذا من فعل! بعد هذه السن وهذا الخل تضع نفسك كما أرى! فحجل أبو دلف وتشور، وقال: إني أكرهوني على ذلك. فقال: هبهم أكرهوك على الغناء فأكرهوك على الإحسان والإصابة!

قال علي وحدثني جدي: أن سبب منادته للمعتصم أنه كان نديماً للوائق، وكان أبو دلف قد وصف للمعتصم فأحب أن يسمعه، وسأل الوائق عنه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أنا على الفصد غداً وهم عندي. فقال له المعتصم: أحب ألا تخفي علي شيئاً من خبركم. وفصد الوائق، فأتاه أبو دلف وأتته رسل الخليفة بالهدايا، وأعلمهم الوائق حضور أبي دلف عنده، فلم يلبث أن أقبل الخدم يقولون: قد جاء الخليفة. فقام الوائق وكل من عنده حتى تلقوه حين برز من الدهليز إلى الصحن، فجاء حتى جلس، وأمر بندماء الوائق فردوا إلى مجالسهم. قال حمدون:

وخنست عن مجلسي الذي كنت فيه لحدثي، فنظر المعتصم إلى مكاني خالياً، فسأل عن صاحبه فسميت له، فأمر بإحضاري فرجعت إلى مكاني، وأمر بأن يؤتى برطل من شرابه فأتي به؟ فأقبل علي أبي دلف فقال له: يا قاسم، غن أمير المؤمنين صوتاً، فما حصر ولا تناقل وقال: أغني أمير المؤمنين صوتاً بعينه أو ما اخترته؟ قال: بل غن صنعتك في شعر جرير:

بان الخليط برامتين فودعوا

فغناه إياه. فقال المعتصم: أحسن! أحسن! ثلاثاً، وشرب الرطل، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى والى بين سبعة أرتال، ثم دعا بحمار فركبه، وأمر أبا دلف أن ينصرف معه، وأمرني بالانصراف معهما، فخرجت أسعى مع ركابه، فثبت في ندمائه من ذلك اليوم، وأمر لأبي دلف بعشرين ألف دينار.

أو كلما اعتزموا لبين تجزع

قلباً يقر ولا شراباً ينقع

بان الخليط برامتين فودعوا

كيف العزاء ولم أجد مذ غبتم

عروضه من الكامل. الشعر لجرير، والغناء لأبي دلف ثاني ثقل بالبنصر عن الهشامي وعمرو بن بانه.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية يستخف مطيع بن إلياس، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلة حسنة. فذكر له مطيع بن إلياس حماداً الراوية، وكان مطرحاً مجفوفاً في أيامهم. فقال له: دعني، فإن دولتي

كانت في بني أمية وما لي عند هؤلاء خير. فأبي مطيع إلا الذهاب به إليه. فاستعار سواداً وسيفاً، ثم أتاه فدخل على جعفر فسلم عليه وجلس. فقال له جعفر: أنشدني. فقال: لمن أيها الأمير؟ قال: لجرير. قال حماد: فسلخ الله شعره أجمع من قلبي إلا قوله:

بان الخليط برامتين فودعوا

فاندفعت أنشدته إياه حتى بلغت إلى قوله:

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

قال حماد فقال لي جعفر: أعد هذا البيت فأعدته، فقال: إيش هو بوزع؟ قلت: اسم امرأة. قال: امرأة اسمها بوزع! هو بريء من الله ورسوله ومن العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولاً من الغيلان! تركتني والله يا هذا لا أنام الليل من فرع بوزع! يا غلمان، قفاه. قال: فصفعت والله حتى لم أدر أين أنا. ثم قال: جروا برجله، فجروا برجلي حتى أخرجت من بين يديه وقد تخرق السواد وانكسر جفن السيف ولقيت شراً عظيماً مما جرى من ذلك. وكان أغلظ من ذلك علي غرامتي السواد والسيف. فلما انصرف إلي مطيع جعل يتوجع لي. فقلت له: ألم أخبرك أنني لا أصيب منهم خيراً وأن حظي قد مضى مع من مضى من بني أمية!.

رجع الحديث إلى أخبار أبي دلف.

وكان أبو دلف جواداً ممدحاً، وفيه يقول علي بن جبلة:

بين مغزاه ومحتضره

ولت الدنيا على أثره

إنما الدنيا أبو دلفٍ

وإذا ولي أبو دلفٍ

وهي من جيد شعره وحسن مدائحه. وفيها يقول:

وارعوى واللهم من وطره

لم أبلغه مدى أشره

وذوى المحمود من ثمره

لم يرد عقلاً على هدره

قلبت فوقى على وتره

في يمانية وفي مضره

عصر الآفاق من عصره

والعطايا في ذرا حجره

كانبلاج النوء عن مطره

زاد ورد الغي عن صدره

ندمي أن الشباب مضى

حسرت عني بشاشته

ودم أهدرت من رشاً

فأنت دون الصبا هنة

دع جدا قحطان أم مضر

وامتدح من وائل رجلاً

المنايا في مقانبه

ملك تندى أنامله

مستهلٌّ عن مواهبه
كابتسام الروض عن زهره
جبلٌ عزت مناكبه
أمنت عدنان في نفره
إنما الدنيا أبو دلفٍ
بين مغزاه ومحتضره
فإذا ولى أبو دلفٍ
ولت الدنيا على أثره
كل من في الأرض من عربٍ
بين بادية إلى حضره
مستعيرٌ منه مكرمةً
يكتسيها يوم مفتخره

وهذان البيتان هما اللذان أحفظا المأمون على علي بن جبلة حتى سل لسانه من قفاه، وقوله في أبي دلف أيضاً:

أنت الذي تنزل الأيام منزلها
وتنقل الدهر من حالٍ إلى حال
وما مددت مدى طرفٍ إلى أحدٍ
إلا قضيت بأرزاقٍ وآجال

وسذكر ذلك في موضعه من أخبار علي بن جبلة إن شاء الله تعالى، إذ كان القصد ها هنا أمر أبي دلف. أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: كنا عند أبي العباس المبرد يوماً وعنده فتى من ولد أبي البختری وهب بن وهب القاضي أمرد حسن الوجه، وفتى من ولد أبي دلف العجلي شبيه به في الجمال. فقال المبرد لابن أبي البختری: أعرف لجدك قصةً ظريفةً من الكرم حسنةً لم يستق إليها. قال: وما هي؟ قال: دعي رجلاً من أهل الأدب إلى بعض المواضع، فسقوه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه؟ فقال فيهم:

نبيذان في مجلسٍ واحدٍ
لإيثار مثرٍ على مقتر
فلو كان فعلك ذا في الطعام
لزمت قياسك في المسكر
ولو كنت تطلب شأو الكرام
صنعت صنيع أبي البختری
تتبع إخوانه في البلاد
فأغنى المقل عن المكثر

فبلغت الأبيات أبا البختری فبعث إليه بثلمائة دينار. قال ابن عمار: فقلت: قد فعل جد هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسن من هذا. قال: وما فعل؟ قلت: بلغه أن رجلاً أفقر بعد ثروة، فقالت له امرأته: افترض في الجند، فقال:

إليك عني فقد كلفنتي شططاً
حمل السلاح وقيل الدارعين قف
تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها
فكيف أمشي إليها عاري الكتيف
حسبت أن نفاذ المال غيرني
وأن روعي في جنبي أبي دلف

فأحضره أبو دلف ثم قال له: كم أملت امرأتك أن يكون رزقك؟ قال: مائة دينار. قال: وكم أملت أن تعيش؟ قال: عشرين سنة. قال: فذلك لك علي ما أملت امرأتك في مالنا دون مال السلطان، وأمر بإعطائه إياه. قال: فرأيت وجه ابن أبي دلف يتهلل، وانكسر ابن أبي البختری انكساراً شديداً. أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال أخبرني علي بن القاسم قال: قال علي بن جبلة: زرت أبا دلف بالجل، فكان يظهر من إكرامي وبري والتحفي بي أمراً مفراطاً، حتى تأخرت عنه حيناً حياً. فبعث إلي معقل بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعت عني، وأحسبك استقلت بري بك، فلا يغضبك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضى. فقلت: والله ما قطعني إلا إفراطه في البر، وكتبت إليه.

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

ولكنني لما أتيتك زائراً فأفرطت في بري عجزت عن الشكر

فم الان لا آتيك إلا مسلماً أزورك في الشهرين يوماً أو الشهر

فإن زدنتي براً تزايدت جفوة ولم تلقني طول الحياة إلى الحشر

فلما قرأها معقل استحسناها جداً وقال: أحسنت والله! أما إن الأمير لتعجبه هذه المعاني. فلما أوصلها إلى أبي دلف قال: قاتله الله. ما أشعره وأدق معانيه! فأعجبته فأجابني لوقته - وكان حسن البديهة حاضر الجواب -:

ألا رب ضيف طارق قد بسطته وأنسته قبل الضيافة بالبشر

أتاني يرجيني فما حال دونه ودون القرى والعرف من نائلي ستري

وجدت له فضلاً علي بقصده إلي وبراً زاد فيه علي بري

فزودته مالا يقل بقاءه وزودني مدحاً يدوم على الدهر

قال: وبعث إلي بالأبيات مع وصيف له وبعث معه إلي بألف دينار، فقلت حينئذ: إنما الدنيا أبو دلف. الأبيات. أخبرني علي بن سليمان قال أخبرنا المبرد قال أخبرني إبراهيم بن خلف قال: بينا أبو دلف يسير مع معقل، وهما إذ ذاك بالعراق، إذ مرا بقصر، فأشرفت منه جاريتان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذي يقول فيه الشاعر:

إنما الدنيا أبو دلف

فقالت الأخرى: أو هذا! قد والله كنت أحب أن أراه منذ سمعت ما قيل فيه. فالتفت أبو دلف إلى معقل فقال: ما أنصفنا علي بن جبلة ولا وفيناه حقه، وإن ذلك لمن كبير همي. قال: وكان أعطاه ألف دينار.

أما القطاة فإني سوف أنعتها نعتاً يوافق منها بعض ما فيها

سكاء مخطوبة في ريشها طرق صهّب قوادمها كدر خوافيها

عروضه من البسيط. والشعر مختلف في قائله، ينسب إلى أوس بن غلفاء المهجيمي وإلى مزاحم العقيلي وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكندي وإلى العجير السلولي وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج المهجيمي وهو أصح الأقوال، رواه ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعي. وعلى أن في هذه الروايات أبياتاً ليست مما يغني فيه وأبياتاً ليست في الرواية. وقد روي أيضاً أن الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات فقال كل واحد منهم بعضاً. وأخبار ذلك وما يحتاج إليه في شرح غريبه يذكر بعد هذا. والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى. في هذين البيتين مع أبيات آخر من القصيدة اشتراك كثير بين المغنين يتقدم بعض الأبيات فيه بعضاً ويتأخر بعضها عن بعض على اختلاف تقدم ذلك وتأخيره. والأبيات تكتب ها هنا ثم تنسب صنعة كل صانع في شيء منها إليه، وهي بعد البيتين الأولين، إذ كانا قد مضيا واستغني عن إعادتهما:

لما تبدى لها طارت وقد علمت أن قد أظل وأن الحي غاشيها

تشتق في حيث لم تبعد مصعدة ولم تصوب إلى أدنى مهالويها

تنتاش صفراء مطروفاً بقيتها قد كاد يأزي عن الدعموص آزيها

ما هاج عينك أم قد كاد يبكيها من رسم دار كسحق البرد باقيها

فلا غنيمة توفي بالذي وعدت ولا فؤادك حتى الموت ناسيها

بسيط مولى عبد الله بن جعفر خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البصر من رواية إسحاق في أما القطاة والذي بعده، وتنتاش صفراء خفيف ثقيل نصر عن عمرو. وإبراهيم الموصلي في لما تبدى لها وأما القطاة خفيف رمل عن المشامي. ولعمر الوادي في أما القطاة ثقيل بالوسطى. ولابن جامع في لما تبدى لها وبعده أما القطاة خفيف رمل. ولسياط في الأول والثاني وبعدهما تشتق في حيث لم تبعد خفيف ثقيل بالبصر، ومن الناس من ينسب لحنه إلى عمر الوادي وينسب لحن عمر إليه. ولعلويه في أما القطاة والذي بعده رمل هو من صدور أغانيه ومقدمها. فجميع ما وجدت في هذه الأبيات من الصنعة أحد عشر لحناً.

فأما خبر هذا الشعر، فإن ابن الكلبي زعم أن السبب فيه أن العجير السلولي أوس بن غلفاء المهجيمي ومزاحماً العقيلي والعباس بن يزيد بن الأسود الكندي وحميد بن ثور الهلالي اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه. ومر بهم سرب قطاً، فقال أحدهم: تعالوا حتى نصف القطا ثم نتحاكم إلى من نتراضى به، فأينا كان أحسن وصفاً لها غلب أصحابه، فتراهنوا على ذلك. فقال أوس بن غلفاء الأبيات المذكورة وهي أما القطاة. وقال حميد أبياتاً وصف ناقته فيها، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال:

كما انصلت كدراء تسقي فراخها بشمطة رفهاً والمياه شعوب

غدت لم تباعد في السماء ودونها إذا ما علت أهويةً وصبوب

قرينة سبع إن تواترن مرةً
ضربن فصفت أرؤس وجنوب
فجاءت وما جاء القطا ثم قلصت
بمفحصها والواردات تتوب
وجاءت ومسقاها الذي وردت به
إلى الصدر مشدود العصام كتيب
تبادر أطفالاً مساكين دونها
فلاً لا تخطاه العيون رغب
وصفن لها مزناً بأرض تتوفةً
فما هي إلا نهلةً وتؤوب

وقال العباس بن يزيد بن الأسود - هكذا ذكر ابن الكلبي وغيره يرويها لبعض بني مرة - :

حذاء مدبرة سكاء مقبلةً
للماء في النحر منها نؤطةً عجب
تسقى أريغب ترويه مجاجتها
وذلك من ظمأة من ظمئها شرب
منهرت الشدق لم تثبت قواده
في حاجب العين من تسبيده زبب
تدعو القطا بقصير الخطو ليس له
قدام منحرها ريشٌ ولا زغب
تدعو القطا وبه تدعى إذا انتسبت
يا صدقها حين تدعوه وتنتسب

وقال مزاحم العقيلي:

أذلك أم كدريةً هاج وردها
من القيظ يومٌ واقدٌ وسموم
غدت كنواة القسب لا مضمحلةً
وناةً ولا عجلي الفتور سئوم
تواشك رجع المنكبين وترتمى
إلى كلكل للهاديات قدوم
فما انخفضت حتى رأت ما يسرها
وفيء الضحى قد مال فهو ذميم
أباطح وانتصت على حيث تستقي
بها شركٌ للواردات مقيم
سقتها سيول المدجنات فأصبحت
علاجيم تجري مرةً وتدوم
فلما استقت من بارد الماء وانجلى
عن النفس منها لوحةً وهموم
دعت باسمها حين استقت فاستقلها
قوادم حجنٌ ريشهن ملیم
بجؤزٍ كحق الهاجرية زانه
بأطراف عود الفارسي وشوم

يعني حق الطيب. شبه حوصلتها به. والوشوم يعني الشبة التي في صدرها:

لتسقي زغباً بالتتوفة لم يكن
خلاف مولاهن لهن حميم
ترائك بالأرض الفلاة ومن بدع
بمنزلها الأولاد فهو ملیم

إذا استقبلتها الريح طمت رفيقةً

وهن بمهرى كالكرات جنوم

يراطن وقصاء القفا وحشة الشوى

بدعوى القطا لحنٌ لهن قديم

فبتن قريرات العيون وقد جرى

عليهن شرب فاستقين منيم

صبيب سقاءٍ نيط قد بركت به

معاودةً سقي الفراخ رعوم

وقال العجير فيما روى ابن الكلبي، وقد تروى لغيره:

سأغلب والسماء ومن بناها

قطاة مزاحمٍ ومن انتحاه

قطاة مزاحمٍ وأبي المثنى

على حوزيةٍ صلبٍ شواها

غدت كالقطرة السفواء تهوي

أمام مجلجلٍ زجلٍ نفاها

تكفأ كالجمانة لا تبالي

أبالمومة أضحت أم سواها

نبت منها العجيزة فاحزألت

ونبس للثقتل منكباها

كأن كعوبها أطراف نبلٍ

كساها الرازية من براها

قال: واحتكموا إلى ليلي الأخيلية، فحكمت لأوس بن غلفاء.

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل عن قعنّب بن محرز الباهلي قال حدثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حميد بن ثور والعجير السلوي ومزاحم العقيلي وأوس بن غلفاء المهجيمي أنهم تحاكموا إلى ليلي الأخيلية لما وصفوا القطاة أيهم أحسن وصفاً لها، فقالت:

ألا كل ما قال الرواة وأنشدوا

بها غير ما قال السلوي بهرج

وحكمت له. فمال حميد بن ثور يهجوها:

كأنك ورهاء العنانين بغلةً

رأت حصناً فعارضتهن تشحج

ووجدت هذه الحكاية عن أبي عبيدة مذكورةً عن دماذ عنه وأنه سأله عن أبيات العجير فأنشده:

تجوب الدجى سكاء من دون فرخها

بمطلى أريك نفنفٌ وسهوب

فجاءت وقرن الشمس باد كأنه

هجانٌ بصحراء الخبيب شوب

لتسقي أفرأخاً لها قد تبللت

حلاقيم أسماطٌ لها وقلوب

قصار الخطا زغب الرؤوس كأنها

كراتٌ تلظى مرةً وتلوب

فأما ما ذكرت من رواية ثعلب في الأبيات التي فيها الغناء فإنه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعي أن أبا الحضير أنشده لعمر بن عمرو بن عقيل بن الحجاج المهجيمي:

أما القطاة فإني سوف أنعتها

نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

صفراء مطروقة في ريشها خطبٌ

صفرٌ قوادمها سود خوافيها

منقارها كنواة القسب قلمها

بمبرد حاذق الكفين يبريها

تمشي كمشي فتاة الحي مسرعةً

حذار قومٍ إلى سترٍ يوارِيها

قال الأصمعي: مطروقة يعني أن ريشها بعضه فوق بعض. والخطب: لون الرماد، يقال للمشبّه به أخطب:

تتناش صفراء مطروقةً بقيتها

قد كاد يأزي عن الدعموص آزيها

تتناش: تناول بقية من الماء. والمطروق: الماء الذي قد حالطه البول. وقوله: يأزي أي يقل عن الدعموص فيخرج منه لقلته. والدعموص: الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص

تسقي رذيين بالموماة قوتهما

في ثغرة النحر من أعلى تراقبها

الرذي: الساقط من الضعف. يعني فرخيها

كأن هيدبةً من فوق جؤجؤها

أو جرو حنظلة لم يعد رامياها

جرو الحنظل: صغاره. وقوله: لم يعد من العداء، أي لم يعد عليها فيكسرهما

تشتق من حيث لم تبعد مصعدة

ولم تصوب إلى أدنى مهاويها

حتى إذا استأنسا للوقت واحتضرت

توجسا الوحي منها عند غاشيها

ويروى: حتى إذا استأنسا للصوت. وتوجسا: تسمعا. وحيها أي سرعة طيراتها. وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما

ترفعا عن شؤون غير ذاكية

على لذيدي أعالي المهد أدحيها

الذاكية: الشديدة الحركة. والمهد: أفحوصها. ولديدها: جانباه

مدا إليها بأفواه مزينة

صعداً ليستتزلا الأرزاق من فيها

كأنها حين مداها لجناتها

طلّى بواطنها بالورس طاليها

جنأها أي جنأت عليهما بصدرها لتزقهما

حتلين رضا رفاض البيض عن زغب

ورق أسافلها بيضٌ أعاليها

حتلين: دقيقتين ضاويين. رضا: كسرا. والرفاض: ما ارفض وتفرق

ترأدا حين قاما ثمت احتطبا

على نحائف منادٍ محانيها

ترأدا: تشبها. واحتطبا: دلوا. والمناد: المنعطف. ومحانيها: حيث انحنت

تكاد من لينها تتاد أسوقها

تأود الربل لم تعرم نواميهها

تعرم: تشدد. ونواميهها: أعاليها.

لا أشتكي نوشة الأيام من ورقي

إلا إلى من أن سوف يشكيها

لدلهم مآثراتٌ قد عددن له

إن المآثر معدودٌ مساعيها

تتني به في بني لأيٍ دعائمها

ومن جمانة لم نخضع سواريهها

بني له في بيوت المجد والده

وليس من ليس بينها كبانيتها

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمد الضبي الشاعر المعروف بابن الحداد قال: وجدتها بخط محمد بن داود بن الجراح عن إسماعيل بن يونس الشيعي شيخنا رحمه الله عن أخيه عن أبي محلم مثل رواية ثعلب وزاد فيها: قال أبو محلم: جهانة ابن جرير بن عبد ثعلبة بن سعد بن الهجيم، وهم أحوال دلم هذا الممدوح. ودلم من بني لأي ثم من بني يزيد بن هلال بن بذل بن عمرو بن الهيثم، وكان أحد الشجعان، وهو قتل الضحاك بن قيس الخارجي بيده مع مروان بن محمد ليلة كفرتوثا.

أيها القلب لا أراك تقيق

طالما قد تعلقتك العلق

من يكن من هوى حبيب قريباً

فأنا النازح البعيد السحيق

قدر الحب بيننا فالتقينا

وكلانا إلى اللقاء مشوق

الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره. والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفي خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريج ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه أيضاً لمخارق خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي. وفيه لعلويه رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشامي. وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة، ليس ممن خدم الخلفاء ولا الأكابر، ولا أعلم له خيراً فأذكره.

من القلب أضحى بكم مستهما

خائفاً للوشاة يخفي الكلاما

إن طرفي رسول نفسي ونفسي

عن فؤادي تقرا عليك السلاما

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكر خبره. والغناء لرياض جارية أبي حماد خفيف ثقيل بالوسطى. وكان أبو حماد هذا أحد القواد الخراسانية ومن أولاد الدعاة، وكان يعاشر إسحاق ويبره ويهاديه، فأخذت رياض عنه غناءً كثيراً، وكانت محسنة ضاربة كثيرة الرواية، وأحب إسحاق أن ينوه باسمها ويرفع من شأنها، فذكر صنعها في هذا

الصوت فيما اختاره للوائق قضاءً لحق مولاهما. وليس فيما قلته في هذا لأن الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره، وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يوده ويتعصب له مثل متيم وأبي دلف وغيرهم. ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحة ما قلناه. وماتت رياض هذه مملوكة لمولاهما لم تخرج من يده ولا شهرت ولا روي لها خبر.

راح صحبي وعاود القلب داء
حسن الرأي والمواعيد لا يل
من تعزى عمن يحب فإني
أم عثمان قد قتلت قتيلاً
من حبيب طلابه لي عناء
فى لشيء مما يقول وفاء
ليس لي ما حييت عنه عزاء
عمد عين قتلتها لا خطاء

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكره. والغناء لنافع بن طنبورة، ولحنه المختار خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وفي هذا الشعر لحن لعبد الله بن طاهر ثاني ثقيل من جيد صنعته، وكان نسبه إلى لميس جاريتها، وله خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا. وكان نافع بن طنبورة يكنى أبا عبد الله، معن محسن من أهل المدينة، حسن الوجه نظيف الثوب، يلقب بنقش الغضار لحسن وجهه. وجعلته جميلة في المرتبة، لما اجتمع المغنون إليها، بعد نافع وبديح وقبل مالك بن أبي السمع. وغناها يومئذ:

يا طول ليلي وبت لم أنم
أن قمت يوماً على البلاط وأب
وسادي الهم مبطن سقمي
صرت رقاشاً فليت لم أقم

فقالت جميلة: أحسنت والله يا نقش الغضار ويا حلو اللسان ويا حسن البيان! ولم يفارق ابن طنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء ولا انتجعهم بصنعة فحمل ذكره.

عتق الفؤاد من الصبا
وحططت رحلي عن قلو
ومن السفاهة والعلاق
ص الغي في قلص عتاق
ورفعت فضل إزارى ال
مجرور عن قدمي وساقى

وكففت غرب النفس حت
ى ما تتوق إلى متاق

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. والغناء لابن عباد الكاتب. ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل، وقيل: إنه لغيره.

أخبار سعيد بن عبد الرحمن

وقد مضى نسبه في نسب جده حسان بن ثابت متدماً. وهو شاعر من شعراء الدولة الأموية، متوسط في طبقته ليس معدوداً في الفحول. وقد وفد إلى الخلفاء من بني أمية فمدحهم ووصلوه. ولم تكن له نباهة أبيه وجده. أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني أبو عمرو الخصاص عن العتيبي قال: خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسان مع جماعة من قريش إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك، وسألهم معاونته، فلم يصادفوا من هشام له نشاطاً. وكان الوليد بن يزيد قد طلق امرأته العثمانية ليتزوج أختها، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباه أن يزوجه. فمر يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركب، فلما رآه وقف، فأمر به الوليد فدعي إليه، فلما جاءه قال: أنت ابن عبد الرحمن بن حسان؟ قال: نعم أيها الأمير. فقال له: ما أقدمك؟ قال: وفدت على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحبتهم من أهله، فلم أزل منه خطوة ولا قبولاً. قال: لكنك تجد عندي ما تحب، فأقم حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل إلى هشام وخرج من عنده، فترل ودعا بسعيد، فدخل إليه، فأمر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه، ثم قال له: أنشدني قصيدة بلغتي لك فشوقني إليك، وغنيت في بعضها، فلم أزل أتمنى لقاءك. فقال: أي قصيدة أيها الأمير؟ قال قولك:

أبائنة سعدى ولم توف بالعهد	ولم تشف قلباً تيمته على عمد
نعم أقمود أنت إن شطت النوى	بسعدى وما من فرقة الدهر من رد
كأن قد رأيت البين لا شيء دونه	فم الآن أعلن ما تسر من الوجد
لعلك منها بعد أن تشحط النوى	ملاقٍ كما لاقى ابن عجلان من هند
فويل ابن سلمى خلة غير أنها	تبلغ مني وهي مازحة جدي
وتدنو لنا في القول وهي بعيدة	فما إن بسلمى من دنو ولا بعد
ومهما أكن جلدا عليه فإنني	على هجرها غير الصبور ولا الجلد
إذا سمت نفسي هجرها قطعت به	فجانبته فيما أسر وما أبدي
كأنني أرى في هجرها أي ساعة	هممت به موتى وفي وصلها خلدي
ومن أجلها صافيت من لا تردني	عليه له قربي ولا نعمة عندي
وأغضيت عيني من رجال على القذى	يقولون أقوالاً أمضوا بها جلدي
وأقصيت من قد كنت أدني مكانه	وأدريت من قد كنت أقصيته جهدي
فإن يك أمسى وصل سلمى خلاية	فما أنا بالمفتون في مثلها وحدي
فأصبح ما منتك ديناً مسوفاً	لواه غريم ذو اعتلال وذو جدد
تجود بتقريب الذي هو آجل	من الوعد ممطول وتبخل بالنقد

وقد قلت إذ أهدت إلينا تحيةً عليها سلام الله من نازح مهدي

سقي الغيث ذاك الغور ما سكنت به ونجداً إذا صارت نواها إلى نجد

قال: فجعل ينشدها ودموع الوليد تنحدر على خديه حتى فرغ منها. ثم قال له: لن تحتاج إلى رفد أحد ولا معونته ما بقيت، وأمر له بخمسمائة درهم، وقال: إبعث بها إلى أهلك وأقم عندي، فلن تعدم ما تحبه ما بقيت. فلم يزل معه زماناً، ثم استأذنه وانصرف. وفي بعض هذه الأبيات غناءً نسبته:

أبائنة سعدى ولم توف بالعهد ولم تشف قلباً أقصدته على عمد

ومهما أكن جلدًا عليه فإنني على هجرها غير الصبور ولا الجلد

الغناء للمالك خفيف ثقیل أول بالوسطى عن الهشامي. من هذه القصيدة:

وأغضيت عيني من رجال على القذى يقولون أقوالاً أمضوا بها جلدي

إذا سمت نفسي هجرها قطعت به فجانبته فيما أسر وما أبدي

الغناء لابن محرز ثاني ثقیل بالبصر عن عمرو.

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي ومحمد بن الضحاك بن عثمان قالاً: وفد سعيد بن عبد الرحمن بن حسان على هشام بن عبد الملك وكان حسن الوجه، فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأراد على نفسه، وكان لوطياً زنديقاً، فدخل سعيد على هشام مغضباً وهو يقول:

إنه والله لولا أنت لم ينج مني سالماً عبد الصمد

فقال له هشام: ولماذا؟ قال:

إنه قد رام مني خطئة لم يرمها قبله مني أحد

فقال: وما هي؟ قال:

رام جهلاً بي وجهلاً بأبي يدخل الأفعى إلى خيس الأسد

قال: فضحك هشام وقال له: لو فعلت به شيئاً لم أنكر عليك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن شبة قال أخبرنا ابن عائشة لا أعلمه إلا عن أبيه قال: سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسان صديقاً له حاجة - وقال هشام بن محمد في خبره: سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حاجة - يكلم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يقضها له، ففرع فيها إلى غيره فقضاها، فقال:

سئلت فلم تفعل وأدركت حاجتي تولى سواكم حمدها واصطناعها

أبى لك كسب الحمد رأي مقصر ونفس أضاق الله بالخير باعها

إذا ما أرادته على الخير مرة عصاها وإن همت بشر أطاعها

قال ابن عمار: وقد أنشدنا هذه الأبيات سليمان بن أبي شيخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خيراً. أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال: قال رجل من الأنصار لعدي بن الرقاع: أكتبني شيئاً من شعرك. قال: ومن أي العرب أنت؟ قال: أنا رجل من الأنصار. قال: ومن منكم القائل:

إن الحمام إلى الحجاز بهيج لي طرباً ترنمه إذا يترنم

والبرق حين أشيمه متيامناً وجنائب الأرواح حين تتسم

فقال له: سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. فقال: عليكم بصاحبكم فاكتب شعره، فلست تحتاج معه إلى غيره.

وفي أول هذه القصيدة غناء نسبه:

برح الخفاء فأى ما بك تكتم والشوق يظهر ما تسر فيعلم

وحملت سقماً من علائق حبها والحب يعلقه الصحيح فيسقم

الغناء لحكم خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي، وذكره إبراهيم له ولم يحسنه وفي هذه القصيدة يقول:

علوية أمست ودون وصالها مضمار مصر وعابدٍ والقلزم

خودٌ تطيف بها نواعم كالدمى مما اصطفى ذو النيقة المتوسم

حلين مرجان البحور وجوهرًا كالجمر فيه على النحور ينظم

قالت وماء العين يغسل كحلها عند الفراق بمستهل يسجم

يا ليت أنك يا سعيد بأرضنا تلقى المراسي ثاويًا وتخيم

فتصيب لذة عيشنا ورخاءه فنكون أجواراً فماذا تنقم

لا ترجعن إلى الحجاز فإنه بلدٌ به عيش الكريم مذمم

وهلم جاورنا فقلت له اقصري عيشٌ بطيبة ويح غيرك أنعم

أيفارق الوطن الحبيب لمنزل ناءٍ ويشرى بالحديث الأقدم

إن الحمام إلى الحجاز يهيج لي طرباً ترنمه إذا يترنم

والبرق حين أشيمه متيامناً
لو لح ذو قسمٍ على أن لم يكن
من أجلها تركي القرار وخفضه
ولقد كتمت غداة بانث حاجةً
تشفي برؤيتها السقيم وترتمى
رقراقةً في عنفوان شبابها
ضنت على مغرئ بطول سؤالها
وجنائب الأرواح حين تتسم
في الناس مشبهها لبر المقسم
وتجشمي ما لم أكن أتجشم
في الصدر لم يعلم بها متكلم
حب القلوب رميها لا يسلم
فيها عن الخلق الدني تكرم
صب كما يسيل الغنيّ المعدم

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو مسلم عن الحرمازي قال: خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك، فأتى عنبة بن سعيد بن العاصي، وكان أبوه صديقاً لأبيه، فسأله أن يرفع أمره إلى الخليفة، فوعده أن يفعل، فلم يمكث إلا يسيراً حتى طرده لصُ فسرقت متاعه وكل شيء كان معه، فأتى عنبة فتنجزه ما وعده، فاعتل عليه ودافعه، فرجع سعيد من عنده فارتحل وقال:

أعنيس قد كنت لا تعتزي
وعدت عداتٍ لو انجزتها
وما كان ضرك لو قد شفعت
وقد ينجز الحر موعوده
فيا ليتني والمني كاسمها
قعدت ولم ألتمس ما وعدت
وكانت نعم منك مخزونةً
أرى كذب القول من شر ما
فأبقيت لي عنك مندوحةً
فإن عدت أرجوكم بعدها
أأرجوك من بعد ما قد عزفت
إلى عدة منك كانت ضللاً
إذا الحمدت ولم ترز ما لا
فأعطى الخليفة عفواً نوالاً
ويفعل ما كان بالأمس قالاً
وقد يصرف الدهر حالاً فحالا
ويا ليت وعدك كان اعتلالاً
وقلت من أول يوم ألا لا
يعد إذا الناس عدوا الخصالا
ونفساً عزوفاً تقل السؤالا
فبدلت بعد العلاء السفالا
لعمري لقد جئت شيئاً عضالا

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثره عن أبيه قال: كان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان إذا وفد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد، فأحسن نزله وأعطاه وكساه وشفع له. فلما حج الوليد لقيه سعيد بن عبد

الرحمن في أول من لقيه، فسلم عليه، فرد الوليد عليه السلام وحياه وقربه وأمر بإنزاله معه وبسطه، ولم يأنس بأحد أنسه به. وأنشده سعيداً قوله فيه:

يا لقومي للهجر بعد التصافي وتتأى الجميع بعد ائتلاف
ما شجا القلب بعد طول اندمال غير هاب كالفرخ بين أثافي
ونعيب الغراب في عرصة الدا ر ونؤي تسقي عليه السوافي

وقد روى عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان قال: رأى علي ابن عمر أوضاحاً فقال: ألقها عنك فقد كبرت.

ما جرت خطرةً على القلب مني فيك إلا استترت عن أصحابي
من دموع تجري فإن كنت وحدي خالياً أسعدت دموعي انتحابي
إن حبي إياك قد سل جسمي ورماني بالشيب قبل الشباب
إرحمي عاشقاً لك اليوم صبا هائم العقل قد ثوى في التراب

الشعر للسيد الحميري، والغناء لمحمد نعة خفيف رمل أيضاً. ولم أجد لهذا المغني خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره. وقد مضت أخبار السيد متقدماً.

أكرع الكرة الروية منها ثم أصحو وما شفيت غليلي
كم أتى دون عهد أم جميل من أني حاجةً ولبت طويل
وصياح الغراب أن سر فأسرع سوف تحظى بنائل وقبول

الشعر للأحوص. والغناء للبردان خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر.

أخبار البردان

البردان لقب غلب عليه. ومن الناس من يقول: بردان من أهل المدينة، وأخذ الغناء عن معبد وقبله عن جميلة وعزة الميلاء. وكان معدلاً مقبول الشهادة، وكان متولي السوق بالمدينة. قال هارون بن الزيات حدثني أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام قال: هو بردان بضم الباء وتسكين الراء. أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر وحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبه قال قال إسحاق: كان بردان متولي السوق بالمدينة. فقدم إليه رجل خصماً يدعي عليه حقاً، فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس. فقال له الرجل: أنت بغير هذا أعلم منك بهذا. فقال: ردوه فرد، فقال: لعلك تعني الغناء! إني والله به لعارف، ولو سمعت شيئاً جاء البارحة لازددت علماً بأني عارف، ومهما جهلت فإني بوجوب الحق عليك عالم، اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقه.

قال وحدثني أبو أيوب عن حماد عن أبيه عن ابن جامع عن سباط قال: رأيت البردان بالمدينة يتولى سوقها وقد أسن، فقلت له: يا عم، إني رويت لك صوتاً صنعته، وأحببت أن تصححه لي. فضحك ثم قال: نعم يا بني وحباً وكرامة. لعله:

كم أتى دون عهد أم جميل

فقلت: قال: مل بنا إلى ها هنا، فمال بي إلى دار في السوق، ثم قال: غنه، فقلت: بل تتم إحسانك يا عم وتغنيين به فإنه أطيب لنفسى، فإن سمعته كما أقول غنيته وأنا غير متهيّب، وإن كان فيه مستصلحٌ استعدته. فضحك ثم قال: أنت لست تريد أن تصحح غنائك، إنما تريد أن تقول سمعني وأنا شيخ وقد انقطعت وأنت شاب. فقلت للجماعة: إن رأيتم أن تسألوه أن يشفعني فيما طلبت منه! فسألوه، فاندفع فغناه فأعاده ثلاث مرات، فما رأيت أحسن من غنائه على كبر سنه ونقصان صوته. ثم قال: غنه فغنيته، فطرب الشيخ حتى بكى، وقال: اذهب يا بني، فأنت أحسن الناس غناءً، ولئن عشت ليكونن لك شأن. قال: وكان بردان خفيف الروح طيب الحديث مليح النادرة مقبول الشهادة قد لقي الناس، فكان بعد ذلك إذا رأيي يدعوني فيأخذني معه إلى منزله ويسألني أن أغنيه فأفعل، فإذا طابت نفسه سألته أن يطرح علي شيئاً من أغاني القدماء فيفعل إلى أن أخذت عنه عدة أصوات.

درست وغيرها سنون خوالي

لمن الديار بحائل فوعال

بعد الأنيس معارف الأطلال

درج البوارح فوقها فتتكرت

تعفو بمرتجز السحاب ثقال

دمنٌ تذعذعها الرياح وتارة

ورقٌ نشرن من الكتاب بوالي

فكأنما هي من تقادم عهدها

الشعر للأخطل، والغناء لسائب خاثر، ولحنه المختار من الثقليل الأول بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أن في الثاني والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلاً أول. وذكر حبش أن لمبعد فيه ثقيلاً أول بالوسطى وأنه أحد السبعة، وأن لإسحاق فيه ثاني ثقليل، وذكر الهشامي أن لحن إسحاق خفيف ثقليل.

ذكر الأخطل وأخباره ونسبه

هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة، ويقال ابن سيحان بن عمرو بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمر بن غنم بن تغلب. ويكنى أبا مالك. وقال المدائني: هو غياث بن غوث بن سلمة بن طارقة، قال: ويقال لسلمة سلمة اللحام. قال: وبعث النعمان بن المنذر بأربعة أرماح لفرسان العرب، فأخذ أبو براء عامر بن مالك رجلاً، وسلمة بن طارقة اللحام رجلاً وهو جد الأخطل، وأنس بن مدرك رجلاً،

وعمرو بن معد يكرب رحماً.

والأخطل لقبٌ غلب عليه. ذكر هارون بن الزيات عن ابن النطاح عن أبي عبيدة أن السبب فيه أنه هجا رجلاً من قومه، فقال له: يا غلام، إنك لأخطل، فغلبت عليه. وذكر يعقوب بن السكيت أن عتبة بن الزعل بن عبد الله بن عمر بن عمرو بن حبيب بن الهجرس بن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب حمل حمالةً، فأتى قومه يسأل فيها، فجعل الأخطل يتكلم وهو يومئذ غلام. فقال عتبة: من هذا الغلام الأخطل؟! فلقب به.

قال يعقوب وقال غير أبي عبيدة: إن كعب بن جعيل كان شاعر تغلب، وكان لا يأتي منهم قوماً إلا أكرموا وضربوا له قبة، حتى إنه كان تمد له حبالاً بين وتدين فتملأ له غنما. فأتى في مالك بن جشم ففعلوا ذلك به، فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها، فسبه عتبة ورد الغنم إلى مواضعها، فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر إليه، فقال: إن غلامكم هذا لأخطل - والأخطل: السفه - فغلب عليه. ولج الهجاء بينهما، فقال الأخطل فيه:

وكان أبوك يسمى الجعل

سميت كعباً بشر العظام

محل القراد من است الجمل

وإن محلك من وائل

فقال كعب: قد كنت أقول لا يقهرني إلا رجل له ذكرٌ ونبا، ولقد أعددت هذين البيين لأن أهجى بهما منذ كذا وكذا، فغلب عليهما هذا الغلام.

وقال هارون بن الزيات حدثني قبيصة بن معاوية المهلب قال حدثني عيسى بن إسماعيل قال حدثني القحذي قال: وقع بين ابني جعيل وأمهما ذرءٌ من كلام، فأدخلوا الأخطل بينهم، فقال الأخطل:

وأمهما لإستارٍ لثيم

لعمرك إنني وابني جعيل

فقال ابن جعيل: يا غلام، إن هذا لخطلٌ من رأيك، ولولا أن أمي سمية أملك لتركت أملك يحدو بها الركبان، فسمي الأخطل بذلك. وكان اسم أمهما وأمم الأخطل ليلي.

وقال هارون حدثني إسماعيل بن مجمع عن ابن الكلبي عن قومٍ من تغلب في قصة كعب بن جعيل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عبيدة ممن لم يسمه، وقال فيها: وكان الأخطل يومئذ يقرزم - والقرزمة: الابتداء بقول الشعر - فقال له أبوه: أبقرزمتك تريد أن تقاوم ابن جعيل! وضربه. قال: وجاء ابن جعيل على تفتة ذلك فقال: من صاحب الكلام؟ فقال أبوه: لا تحفل به فإنه غلام أخطل. فقال له كعب:

شاهد هذا الوجه غب الحمة

فقال الأخطل:

فناك كعب بن جعيل أمة

فقال كعب: ما اسم أمك؟ قال: ليلي. قال: أردت أن تعيذها باسم أمي. قال: لا أعاذها الله إذاً. وكان اسم أم الأخطل ليلي، وهي امرأة من إباد، فيسمي الأخطل يومئذ، وقال:

فلم يبق إلا نفنف أنا رافعة

هجا الناس ليلي أم كعب فمزقت

وقال فيه أيضاً:

وأبي الناس يقتله الهجاء

هجاني المنتنان ابنا جعيل

فهلا جئتم من حيث جاؤوا

ولدتكم بعد إختكم من است

فانصرف كعب، ولج الهجاء بينهما.

وكان نصرانياً من أهل الجزيرة. ومحلّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف. وهو وحريز والفرزدق طبقة واحدة، فجعلها ابن سلام أول طبقات الإسلام. ولم يقع إجماع على أحدهم أنه أفضل، ولكل واحد منهم طبقة تفضله عن الجماعة.

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي الفضل قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عبيدة قال: جاء رجل إلى يونس فقال له: من أشعر الثلاثة؟ قال: الأخطل. قلنا: من الثلاثة؟ قال: أي ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم. قلنا: عمن تروي هذا؟ قال: عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء وعنبسة الفيل وميمون الأقرن الذين ماشوا الكلام وطرقوه. أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عبيدة عن يونس، فذكر مثله وزاد فيه: لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نخويون. فقلت للرجل: سله وبأي شيء فضله؟ قال: بأنه كان أكثرهم عدد طوال جياذ ليس فيها سقط ولا فحش وأشدّهم تهدياً للشعر. فقال أبو وهب الدقاق: أما إن حماد وجناداً كانا لا يفضلانه. فقال: وما حماد وجناد! لا نخويان ولا بدويان ولا يبصران الكسور ولا يفصحان، وأنا أحدثك عن أبناء تسعين أو كثر أدوا إلى أمثالهم ماشوا الكلام وطرقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تشد عنهم زنة كلمة، وألحقوا السليم بالسليم والمضاعف بالمضاعف والمعتل بالمعتل والأجوف بالأجوف وبنات اليباء بالياء وبنات الواو بالواو، فلم تحف عليهم كلمة عربية، وما علم حماد وجناد!.

قال هارون حدثني القاسم بن يوسف عن الأصمعي: أن الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيطيرها.

أخبرنا أبو خليفة الفضل بن الحباب قال أخبرنا محمد بن سلام قال سمعت سلمة بن عياش وذكر أهل المجلس جريراً والفرزدق والأخطل ففضله سلمة عليهما. قال: وكان إذا ذكر الأخطل يقول: ومن مثل الأخطل وله في كل بيت، شعر بيتان! ثم ينشد قوله:

هدج الرئال تكبهن شمالا

ولقد علمت إذا العشار تروحت

قبل العيال ونضرب الأبطال

أنا نعجل بالعبيط لضيفنا

ثم يقول ولو قال:

ولقد علمت إذا العشا

ر تروحت هج الرئال

كان شعراً، وإذا زدت فيه تكيهن شمالاً، كان أيضاً شعراً من روي آخر.
أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال: كعب بن جعيل لقبه الأخطل، سمعه ينشد هجاء فقال: يا غلام إنك لأخطل اللسان، فلزمته.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية قال حدثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سعد قال:

كنت مع نوح بن جرير في ظل شجرة، فقلت له: قبحك الله وقبح أباك! أما أبوك فأفنى عمره في مديح عبد ثقيف يعني الحجاج. وأما أنت فامتدحت قثم بن العباس فلم تهتد لمناقبه ومناقب آبائه حتى امتدحته بقصر بناه. فقال: والله لئن سؤتي في هذا الموضع لقد سؤت فيه أبي: بينا أنا أكل معه يوماً وفي فيه لقمة وفي يده أخرى، فقلت: يا أبت، أنت أشعر أم الأخطل؟ فعرض باللقمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال: يا بني، لقد سررتني وسؤتي. فأما سرورك إياي فلتعهذك لي مثل هذا وسؤالك عنه. وأما ما سؤتي به فلذكرك رجلاً قد مات. يا بني أدركت الأخطل وله نابٌ واحد، ولو أدركته وله ناب آخر لأكلي به، ولكني أعانتني عليه خصلتان: كبر سن، وخبث دين.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد وقال: سئل حماد الراوية عن الأخطل، فقال: ما تسألوني عن رجل قد حجب شعره إلى النصرانية! قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة قال قال أبو عمرو: لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً.

قال إسحاق وحدثني الأصمعي أن أبا عمرو أنشد بيت شعر، فاستجاده وقال: لو كان للأخطل ما زاد. وذكر يعقوب بن السكيت عن الأصمعي عن أبي عمرو: أن جريراً سئل أي الثلاثة أشعر؟ فقال: أما الفرزدق فتكلف مني ما لا يطيق. وأما الأخطل فأشدنا اجترأ وأرمانا للفرائض. وأما أنا فمدينة الشعر.
وقال ابن النطاح حدثني الأصمعي قال: إنما أدرك جريراً الأخطل وهو شيخ قد تحطم. وكان الأخطل أسن من جرير، وكان جرير يقول: أدركته وله نابٌ واحد، ولو أدركت له ناين لأكلي. قال: وكان أبو عمرو يقول: لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ما فضلت عليه أحداً.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: قال العلاء بن جرير: إذا لم يجيء الأخطل سابقاً فهو سكيئ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيئاً، وجرير يجيء سابقاً ومصلباً وسكيئاً.

وقال يعقوب بن السكيت قال الأصمعي: قيل لجرير: ما تقول في الأخطل؟ قال: كان أشدنا اجترأ بالقليل وأنعتنا للحم والخمر.

وروى إسماعيل عن عبيد الله عن مؤرج عن شعبة عن سماك بن حرب: أن الفرزدق دخل الكوفة، فلقه ضوء بن

الجللاج، فقال له: من أمدح أهل الإسلام؟ فقال له: وما تريد إلى ذلك؟ قال: تمارينا فيه. قال: الأخطل أمدح العرب.

وقال هارون بن الزيات حدثني هارون بن مسلم عن حفص بن عمر قال: سمعت شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حفص، فحدثه أنه سأل جريراً عن الأخطل فقال: أمدح الناس لكريمٍ وأوصفه للخمر. قال: وكان أبو عبيدة يقول: شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق. قال أبو عبيدة: وكان أبو عمرو يشبه الأخطل بالنابعة لصحة شعره.

وقال ابن النطاح حدثني عبد الله بن ربيعة بن العجاج قال: كان أبو عمرو يفضل الأخطل. وقال ابن النطاح حدثني عبد الرحمن بن برزج قال: كان حماد يفضل الأخطل على جرير والفرزدق. فقال له الفرزدق: إنما تفضله لأنه فاسق مثلك. فقال: لو فضلت بالفسق لفضلتك. قال ابن النطاح قال لي إسحاق بن مرار الشيباني: الأخطل عندنا أشعر الثلاثة. فقلت: يقال إنه أمدحهم! فقال: لا والله! ولكن أهجهم. من منهما يحسن أن يقول:

ونحن رفعنا عن سلول رماحنا وعمداً رغبتنا عن دماء بني نصر

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال: قال الأخطل: أشعر الناس قبيلة بنو قيس بن ثعلبة، وأشعر الناس بيتاً آل أبي سلمى وأشعر الناس رجل في قميصي. أخبرني الحسن قال حدثني محمد قال حدثني الخراز عن المدائني عن علي بن حماد - هكذا قال، وأظنه علي بن مجاهد - قال: قال الأخطل لعبد الملك: يا أمير المؤمنين، زعم ابن المراغة أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام وقد أقمت في مدحتك:

خف القطبين فراحوا منك أو بكروا

سنةً فما بلغت كل ما أردت. فقال عبد الملك: فأسمعناها يا أخطل، فأنشده إياها، فجعلت أرى عبد الملك يتناول لها، ثم قال: ويحك يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين. وأمر له بجفنة كانت بين يديه فملئت دراهم وألقى عليه خلعاً، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب.

وقال ابن الزيات حدثني جعفر بن محمد بن عبيدة بن المنهال عن هشام عن عوانة قال: أنشد عبد الملك قول كثير فيه:

فما تركوها عنوةً عن مودةٍ ولكن بحد المشرفي استقالها

فأعجب به. فقال له الأخطل: ما قلت لك والله يا أمير المؤمنين أحسن منه. قال: وما قلت؟ قال قلت:

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالى ملك لا طريف ولا غضب

جعلته لك حقاً وجعلك أخذته غضباً، قال: صدقت.

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شبة قال أخبرنا أبو دقاقة الشامي مولى قريش عن شيخ من قريش قال: رأيت الأخطل خارجاً من عند عبد الملك، فلما انحدر دنوت منه فقلت: يا أبا مالك، من أشعر العرب؟ قال: هذان الكلبان المتعاقران من بني تميم. فقلت: فأين أنت منهما؟ قال: أنا واللات أشعر منهما. قال: فحلف باللات هزواً واستخفافاً بدينه.

وروى هذا الخبر أبو أيوب المديني عن المدائني عن عاصم بن شتل الجرمي أنه سأل الأخطل عن هذا، فذكر نحوه، وقال: واللات والعزى.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكر الحرمازي: أن رجلاً من بني شيبان جاء إلى الأخطل فقال له: يا أبا مالك، إنا، وإن كنا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربعة، وإن لك عندي نصحاً. فقال: هاته، فما كذبت. فقلت: إنك قد هجوت جريراً ودخلت بينه وبين الفرزدق وأنت غني عن ذلك ولا سيما أنه ييسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ويسب ربعة سباً لا تقدر على سب مضر. بمثله والمالك فيهم والنبوة قبله، فلو شئت أمسكت عن مشاركته ومهارته. فقال: صدقت في نصحك وعرفت مرادك، وصلتك رحم! فو الصليب والقربان لأتخلصن إلى كليب خاصة دون مضر. بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره. ثم اعلم أن العالم بالشعر لا يبالي وحق الصليب إذا مر به البيت المعابر السائر الجيد، أمسلم قاله أم نصراني.

أخبرني وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني عن أبي الحسن المدائني قال: أصبح عبد الملك يوماً في غداة باردة، فتمثل قول الأخطل:

إذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولا

مشى قرشبة لا شك فيها وأرعى من مآزره الفضولا

ثم قال: كأني أنظر إليه الساعة مجلل الإزار مستقبل الشمس في حانوت من حوانيت دمشق، ثم بعث رجلاً يطلبه فوجده كما ذكره.

وقال هارون بن الزيات حدثني طائع عن الأصمعي قال: أنشد أبو حية النميري يوماً أبا عمرو:

يا لمعدّ ويا للناس كلهم ويا لغائبهم يوماً ومن شهدا

كأنه معجب بهذا البيت، فجعل أبو عمرو يقول له: إنك لتعجب بنفسك كأنك الأخطل.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الغلابي عن عبد الرحمن التيمي عن هشام بن سليمان المخزومي: أن الأخطل قدم على عبد الملك، فترل على ابن سرحون كاتبه. فقال عبد الملك: على من نزلت؟ قال: على فلان. قال:

قاتلك الله! ما أعلمك بصالح المنازل! فما تريد أن يتزلك؟ قال: درمك من درمكم هذا ولحم وخمر من بيت رأس. فضحك عبد الملك ثم قال له: ويلك! وعلى أي شيء اقتتلنا إلا على هذا!. ثم قال: ألا تسلم فنفرض لك في الفيء ونعطيك عشرة آلاف؟ قال: فكيف بالخمر؟ قال: وما تصنع بها وإن أولها لم وإن آخرها لسكر! فقال: أما إذ قلت ذلك فإن فيما بين هاتين لمزلة ما ملكك فيها إلا كعلقة ماء من الفرات بالإصبع. فضحك ثم قال: ألا تزور الحجاج! فإنه كتب يستزيرك. فقال: أطائع أم كاره؟ قال: بل طائع. قال: ما كنت لأختار نواله على نوالك ولا قربه على قربك، إني إذا لكما فال الشاعر:

كمبتاع ليركبه حماراً تخيره من الفرس الكبير

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحجاج؟ فمدحه بقوله:

صرمت حبالك زينب ورعوم وبدا المجمع منهما المكتوم

ووجه بالقصيدة مع ابنه إليه وليست من جيد شعره.
وقال هارون بن الزيات حدثني محمد بن إسماعيل عن أبي غسان قال: ذكروا الفرزدق وجريراً في حلقة المدائني، فقلت لصباح بن خاقان: أنشدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما؟ قال: هات، فأنشدته:

ألم يأتها أن الأراقم فلفت جماجم قيس بين راذان والحضر

جماجم قوم لم يعافوا ظلاماً ولم يعرفوا أين الوفاء من الغدر

قال: فسكت.
قال إسحاق وحدثني أبو عبيدة أن يونس سئل عن جرير والفرزدق والأخطل: أيهم أشعر؟ قال: أجمعت العلماء على الأخطل. فقلت لرجل إلى جنبه: سله ومن هم؟ فقال: من شئت، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وعنبسة الفيل وميمون الأقرن، هؤلاء طرّفوا الكلام وماشوه لا كمن تحكمون عنه لا بدويين ولا نحويين. فقلت! الرجل: سله: وبأي شيء فضل على هؤلاء؟ قال: بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياذ ليس فيها فحش ولا سفظ. قال أبو عبيدة: فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عشراً بهذه الصفة وإلى جانبها عشراً إن لم تكن مثلها فليست بدونها، ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثاً. قال إسحاق: فسألت أبا عبيدة عن العشر فقال:

عفا واسط من آل رضوى فنبتل

وتأبد الربع من سلمى بأحفار

وخف القطين فراحوا منك وابتكروا

وكذبتك عينك أم رأيت بواسط

ودع المعمر لا تسأل بمصرعه

ولمن الديار بحائل فوعال

قال إسحاق: ولم أحفظ بقية العشر. قال: وقصائد جرير:

حي الهدملة من ذات المواعيس

وألأ طرقتك وأهلي هجود

وأهوى أراك برامتين وقودا

قال وقال أبو عبيدة: الأخطل أشبه بالجاهلية وأشدّهم أسر شعراً وأقلهم سقطاً وأخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة عن أبي عبيدة مثله. وفي بعض هذه القصائد التي ذكرت للأخطل أغان هذا موضع ذكرها. منها:

وأفرت من سليمى دمنة الدار

تأبد الربع من سلمى بأحفار

تساقط الحلي حاجاتي وأسراري

وقد تحل بها سلمى تجاذبني

غناه عمر الوادي هزجاً بالسبابة في مجرى الوسطى. وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبد الرحمن بن حسان لما هجاه الأخطل وهجا الأنصار، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك. ومنها:

وأزعجتهم نوى في صرفها غير

خف القطين فراحوا منك وابتكروا

من قهوة ضمنتها حمص أو جدر

كأنني شارب يوم استبد بهم

كلفاء ينحت عن خرطومها المدر

جادت بها من ذوات القار مترعة

غناه إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر. ولابن سريج فيه رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه رمل آخر يقال: إنه لعلوية، ويقال: إنه لإبراهيم. وفيه لعلوية خفيف ثقيل آخر لا يشك فيه.

وقال هارون بن الزيات حدثني ابن النطاح عن أبي عمرو الشيباني عن رجل من كلب يقال له مهوش عن أبيه: أن عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس، قال: الذي كان إذا مدح رفع، وإذا هجا وضع. قال: ومن هو؟ قال: الأعشى. قال: ثم من؟ قال: ابن العشرين يعني طرفة. قال: ثم من؟ قال: أنا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثنا أبو قحافة المري عن أبيه قال: دخل الأخطل على بشر بن مروان وعنده الراعي، فقال له بشر: أنت أشعر أم هذا؟ قال: أنا أشعر منه وأكرم.

فقال للراعي: ما تقول! قال: أما أشعر مني فعسى، وأما أكرم فإن كان في أمهاته من ولدت مثل الأمير فنعم.

فلما خرج الأخطل قال له رجلٌ: أتقول لخال الأمير أنا أكرم منك!. قال: ويلك! إن أبا نسطوس وضع في رأسي أكوساً ثلاثاً، فوالله ما أعقل معها.

قال: ودخل الأخطل على عبد الملك بن مروان، فاستنشدته، فقال: قد ييس حلقي، فمر من يسقيني. فقال: اسقوه ماء. فقال: شراب الحمار، وهو عندنا كثير. قال: فاسقوه لبناً. قال: عن اللبن فطمت. قال: فاسقوه عسلاً. قال: شراب المريض. قال: فتريد ماذا؟ قال: خمرًا يا أمير المؤمنين. قال: أو عهدتني أسقي الخمر لا أم لك! لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت!. فخرج فلقي فراشاً لعبد الملك فقال: ويلك! إن أمير المؤمنين استنشدني وقد صحل صوتي، فاسقني شربة خمر فسقاه، فقال: اعدله بآخر فسقاه آخر. فقال: تركتهما يعتركان في بطني، إسقني ثالثاً فسقاه ثالثاً. فقال: تركتني أمشي على واحدة، إعدل ميلي برابع فسقاه رابعاً، فدخل على عبد الملك فأنشدته:

خف القطين فراحوا منك وابتكروا وأزعجتهم نووى في صرفها غير

فقال عبد الملك: خذ بيده يا غلام فأخرجه، ثم ألق عليه من الخلع ما يغمره، وأحسن جائزته، وقال: إن لكل قوم شاعراً وإن شاعر بني أمية الأخطل.

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام قال قال أبان بن عثمان حدثني سمالك بن حرب عن ضوء بن اللجلاج قال: دخلت حماماً بالكوفة وفيه الأخطل، قال فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني ذهل. قال: أتروي للفرزدق شيئاً؟ قلت نعم. قال: ما أشعر خليلي! على أنه ما أسرع ما رجع في هبته. قلت: وما ذاك؟ قال قوله:

أبني غدانة إنني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجت دعت أنوفكم من بين ألام أنف وسبال

وهبهم في الأول ورجع في الآخر. فقلت: لو أنكر الناس كلهم هذا ما كان ينبغي أن تنكره أنت. قال: كيف؟ قلت: هجوت زفر بن الحارث ثم خوفت الخليفة منه فقلت:

بني أمية إنني ناصح لكم فلا يبيتن فيكم آمنة زفر

مفتراً كافتراش الليث كلكله لوقعة كائن فيها له جزر

ومدحت عكرمة بن ربيعي فقلت:

قد كنت أحسبه قيناً وأخبره فالיום طير عن أثوابه الشرر

قال: لو أردت المبالغة في هجائه ما زدت على هذا. فقال له الأخطل: والله لولا أنك من قوم سبق لي منهم ما سبق لهجوتك هجاءً يدخل معك قبرك. ثم قال:

ما كنت هاجي قوم بعد مدحهم ولا تكدر نعي بعد ما تجب

أخرج عني.

وقال هارون بن الزيات حدثني أحمد بن إسماعيل الفهري عن أحمد بن عبد العزيز بن علي بن ميمون عن معن بن خلاد عن أبيه قال: لما استنزل عبد الملك زفر بن الحارث الكلابي من قرقيسيا، أقعده معه على سريره، فدخل عليه ابن ذي الكلاع. فلما نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى. فقال له: ما يبكيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كيف لا أبكي وسيف هذا يقطر من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض! قال: إني لم أجلسه معي أن يكون أكرم علي منك، ولكن لسانه لساني وحديثه يعجبني. فبلغت الأخطل وهو يشرب فقال: أما والله لأقومن في ذلك مقاماً لم يقمه ابن ذي الكلاع! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك. فلما ملأ عينه منه قال:

تتنسي الشاربين لها العقولا

وكأسٍ مثل عين الديك صرفٍ

بغير الماء حاول أن يطولا

إذا شرب الفتى منها ثلاثاً

وأرخی من مآزره الفضولا

مشى قرشية لا شك فيها

فقال له عبد الملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خطبة في رأسك. قال: أجل والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس:

وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى

قال: فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير وقال: أذهب الله حزازات تلك الصدور. فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين والعهد الذي أعطيتني!. فكان زفر يقول: ما أيقنت بالموت قط إلا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال.

وقال هارون بن الزيات حدثني هارون بن مسلم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حنظلة الشيباني قال: قال الأخطل: فضلت الشعراء في المديح والهجاء والنسيب بما لا يلحق بي فيه. فأما النسيب فقولي:

وإن كان حيانا عدى آخر الدهر

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر

فيجري وأما القلب منها فلا يجري

من الخفرات البيض أما وشاحها

بمطر الدمتين منبتر الخصر

تموت وتحيا بالضجيع وتلتوي

وقولي في المديح:

أبدى النواجز يوماً عارم ذكر

نفسى فداء أمير المؤمنين إذا

خليفة الله يستسقى به المطر

الخائض الغمرة الميمون طائره

وقولي في الهجاء:

وتيماً قلت أيهم العبيد

وسيدهم وإن كرهوا مسود

وكننت إذا لقيت عبيد تيم

لثيم العالمين يسود تيماً

قال عبد الخالق: وصدق لعمرى، لقد فضلهم.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال: طلق أعرابي امرأته فتزوجها الأخطل، وكان الأخطل قد طلق امرأته قبل ذلك. فبينما هي معه إذ ذكرت زوجها الأول فتنفست، فقال الأخطل:

بجنبيه من مس الفراش قروح

كلانا على هم يبيت كأنما

على زوجتي الأخرى كذلك أنوح

على زوجها الماضي تنوح وإنني

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن زهير بن حرب عن خالد بن خدّاش: أن الأخطل قال لعبد الملك بن المهلب: ما نازعتني نفسي قط إلى مدح أحد ما نازعتني إلى مدحك، فأعطني عطيةً تبسط بها لساني، فوالله لأردينكم أرديةً لا يذهب صقالها إلى يوم القيامة. فقال: أعلم والله يا أبا مالك أنك بذلك ملئ، ولكني أخاف أن يبلغ أمير المؤمنين أي أسأل في غرم وأعطى الشعراء فأهلك ويظن ذلك مني حيلةً. فلما قدم على إخوته لاموه كل اللوم فيما فعله. فقال: قد أخبرته بعذري.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أبو الخطاب حدثني نوح بن حرير قال: قلت لأبي: أنت أشعر أم الأخطل؟ فنهري وقال: بئس ما قلت! وما أنت وذاك لا أم لك! فقلت: وما أنا وغيره! قال: لقد أعنت عليه بكفر وكبر سن، وما رأيت إلا خشيت أن يتلعي.

أخبرني عمي عن الكراني عن دماذ عن أبي عبيدة قال: قال رجل لأبي عمرو: يا عجباً للأخطل! نصراني كافر يهجو المسلمين!. فقال أبو عمرو: بالكع! لقد كان الأخطل يجيء وعليه جبة خز وحرز خز، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب تنفض لحيته خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير إذن.

وقال هارون حدثني أحمد بن إسماعيل الفهري عن أحمد بن عبد الله بن علي الدوسي عن معقل بن فلان عن أبيه عن أبي العسكر قال: كنا بباب مسلمة بن عبد الملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة، فقال أصحابي: حكمناك وتراضينا بك. فقلت: نعم، هم عندي كأفراس ثلاثة أرسلتهن في رهان، فأحدها سابق الدهر كله، وأحدها مصل، وأحدها يجيء أحياناً سابق الريح وأحياناً سكيئاً وأحياناً متخلفاً. فأما السابق في كل حالته فالأخطل. وأما المصل في كل حالته فالفرزدق. وأما الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلف أحياناً فجرير، ثم أنشد له:

قناديل فيهن الذبال المفتل

سرى لهم ليل كأن نجومه

وقال: أحسن في هذا وسبق. ثم أنشد:

التغلبية مهرها فلسان

والتغليبي جنازة الشيطان

وقال: تخلف في هذه. فخرجنا من عنده على هذا.

وقال هارون بن الزيات حدثني محمد بن عمرو الخرجاني عن أبيه: أن الفرزدق والأخطل، بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إمارة بشر بن مروان إذ دخل عليهما فتى من أهل اليمامة، فقالا له: هل تروي لجرير شيئاً؟ فأنشدهما:

لو قد بعثت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث لقد نكحت الأخطلا

فأقبل الفرزدق فقال: يا أبا مالك، أترأه إن وسمي يتوركك على كبر سنك! ففزع الفتى فقام وقال!: أنا عائدٌ بالله من شركما. فقالا: اجلس لا بأس عليك! ونادماه بقية يومهما. أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال أخبرنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو يعلى قال حدثني عبد السلام بن حرب قال: نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرفه، فجاءه بعشاء ثم قال له: إني نصراني وأنت حنيف، فأبي الشراب أحب إليك؟ قال: شرابك. ثم جعل الأخطل لا ينشد بيتاً إلا أتم الفرزدق القصيدة. فقال الأخطل: لقد نزل بي الليلة شر، من أنت؟ قال: الفرزدق بن غالب. قال: فسجد لي وسجدت له. فقيل للفرزدق في ذلك، فقال: كرهت أن يفضلني. فنادى الأخطل: يا بني تغلب هذا الفرزدق. فجمعوا له إبلاً كثيرة. فلما أصبح فرقها ثم شخص.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان مما يقدم به الأخطل أنه كان أحبهم هجاءً في عفافٍ عن الفحش. وقال الأخطل: ما هجوت أحداً قط بما تستحي العذراء أن تشده أباهما. أخبرني أحمد وحبیب بن نصر المهلبی قال حدثنا بن شبة قال حدثني محمد بن عباد الموصلي قال: خرج يزيد بن معاوية معه عام حج بالأخطل. فاشتاق يزيد أهله فقال:

بكى كل ذي شجوٍ من الشأم شاقه تهام فأنى يلتقي الشجيان

أجز يا أخطل، فقال:

يغور الذي بالشأم أو ينجذ الذي يغور تهامات فيلتقيان

أخبرني أحمد وحبیب قال حدثنا عمر بن شبة قال: قيل لأبي العباس أمير المؤمنين: إن رجلاً شاعراً قد مدحك، فتسمع شعره؟ قال: وما عسى أن يقول في بعد قول ابن النصرانية في بني أمية:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

أخبرني به وكيع عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدي بمثله. قال هارون وحدثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التميمي عن أبي بردة الفزاري عن رجل من تغلب

قال: لحظ الأخطل شكوةً لأمه فيها لبن وجراباً فيه تمر وزبيب، وكان جائعاً وكان يضيق عليه، فقال لها: يا أمه، آل فلان يزورونك ويقضون حقك وأنت لا تأتينهم وعندهم عليل، فلو أتيتهم لكان أجمل وأولى بك. قالت: جزيت خيراً يا بني! لقد نبهت على مكرمة. وقامت فلبست ثيابها ومضت إليهم. فمضى الأخطل إلى الشكوة ففرغ ما فيها وإلى الجراب فأكل التمر والزبيب كله. وجاءت فلحظت موضعها فرأته فارغاً، فعلمت أنه قد دهاها، وعمدت إلى خشبة لتضربه بها، فهرب وقال:

وشكوتها من غياثٍ لمم

ألم على عنبات العجوز

وتلعن واللعن منها أمم

فظلت تنادي ألا ويلها

وذكر يعقوب بن السكيت هذه القصة، فحكى أنها كانت مع امرأةٍ لأبيه لها منه بنون، فكانت تؤثرهم باللبن والتمر والزبيب وتبعث به يرعى أعتراً لها. وسائر القصة والشعر متفق. وقال في خبره: وهذا أول شعر قاله الأخطل.

أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن علي بن فيروز عن الأصمعي عن أمانة ورعوم اللتين قال فيهما الأخطل:

صرمت أمانة حبلها ورعوم

ورعوم وأمانة بنتا سعيد بن إلياس بن هانيء بن قبيصة، وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمراً وخرجتا وهما جويرتان فخدمتهما. ثم نزل عليه ثانية وقد كبرت فحجبتا عنه، فسأل عنهما وقال: فأين ابتتاي؟ فأخبر بكبرهما، فنسب بهما. قال: والرعوم هي التي كانت عند قتيبة بن مسلم وكان يقال لها أم الأخماس، تزوجت في أخماس البصرة محمد بن المهلب وعامر بن مسمع وعباد بن الحصين وقتيبة بن مسلم، وكان يقال لها الجارود. أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال قال أبو عبد الملك: كانت بكر بن وائل إذا تشاجرت في شيء رضيت بالأخطل، وكان يدخل المسجد فيقدمون إليه. قال: فرأيت بالجزيرة وقد شكى إلى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو يصيء كما يصيء الفرخ. فقلت له: أين هذا مما كنت فيه بالكوفة؟ فقال: يا بن أخي، إذا جاء الدين ذللنا.

وقال يعقوب بن السكيت زعم غيلان عن يحيى بن بلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المساور قال: دخلت إلى الأخطل فسلمت عليه، فنسبني فانتسبت، واستنشدته فقال: أنشدك حبة قلبي، ثم أنشدني:

بسلهبة الخدين ضاوية القرب

لعمري لقد أسريت لا ليل عاجز

على الطائر الميمون والمنزل الرحب

إليك أمير المؤمنين رحلتها

فقلت: من أشعر الناس؟ قال: الأعشى. قلت: ثم من؟ قال: ثم أنا.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن أبي أيوب المدني عن المدائني قال: إمتدح الأخطل هشاماً

فأعطاه خمسمائة درهم، فلم يرضها وخرج فاشترى بها تفاحاً وفرقه على الصبيان. فبلغ ذلك هشاماً فقال: قبحه الله! ما ضر إلا نفسه.

وقال يعقوب بن السكيت حدثني سلمة النميري - وتوفي وله مائة وأربعون سنة - أنه حضر هشاماً وله يومئذ تسع عشرة سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده، فأحضر هشامٌ ناقةً له فقال متمثلاً:

أنبخها ما بدا لي ثم أرحلها

ثم قال: أيكم أتم البيت كما أريد فهي له. فقال جرير:

كأنها نقنقٌ يעדو بصحراء

فقال: لم تصنع شيئاً. فقال الفرزدق:

كأنها كاسرٌ بالدو فتخاء

فقال: لم تغن شيئاً. فقال الأخطل:

ترخي المشافر واللحيين إرخاء

فقال: اركبها لا حملك الله!.

وقال هارون بن الزيات حدثني الخراز عن المدائني قال: هجت الأخطل جاريةً من قومه، فقال لأبيها: يا أبا الدماء، إن ابنتك تعرضت لي فاكفها. فقال له: هي امرأةٌ مالكةٌ لأمرها. فقال الأخطل:

بأن سنان شاعركم قصير

ألا أبلغ أبا الدماء عني

وإن يطعن فمطعنه يسير

فإن يطعن فليس بذئ غناء

يخر على قفاه فلا يحير

متى ما ألقه ومعني سلاحي

فمشى أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلموه، فقال: أما ما مضى فقد مضى ولا أزيد.

أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام قال: لما حضرت الأخطل الوفاة قيل له: يا أبا مالك، ألا توصي؟ فقال:

بأم جريرٍ وأعيارها

أوصي الفرزدق عند الممات

برغم العداة وأوتارها

وزار القبور أبو مالك

أخبرنا أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلام قال قال لي معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: أي البيتين عندك أجود: قول جرير:

وأندى العالمين بطون راح

ألستم خير من ركب المطايا

أم قول الأخطل:

شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدرُوا

فقلت: بيت جرير أحلى وأسير، وبيت الأخطل أجزل وأرزن. فقال: صدقت، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصة والعامة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الحلبي وجعفر بن سعيد أن رجلاً سأل حمادا الراوية عن الأخطل فقال: ويحكم! ما أقول في شعر رجلٍ قد والله حُب إلي شعره النصرانية!.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنانداني عن أبي عبيدة قال: كان يونس بن حبيب وعيسى بن عمر وأبو عمرو يفضلون الأخطل على الثلاثة.

وقال هارون بن الزيات حدثني أبو عثمان المازني عن العتيبي عن أبيه: أن سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز: أحريراً أشعر أم الأخطل؟ فقال له: أعفني. قال: لا والله لا أعفيك. قال: إن الأخطل ضيق عليه كفره القول، وإن جريراً وسع عليه إسلامه قوله، وقد بلغ الأخطل منه حيث رأيت. فقال له سليمان: فضلت والله الأخطل.

قال هارون وحدثني أبو عثمان عن الأصمعي عن خالد بن كلثوم قال: قال عبد الملك للفرزدق: من أشعر الناس في الإسلام؟ قال: كفك بآبن النصرانية إذا مدح.

أخبرنا أحمد وحبیب قالوا حدثنا عمر بن شبة قال: حدثت أن الحجاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جريرٌ. فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدعي له، فلما دخل عليه قال له: يا أخطل، هذا سبك - يعني جريراً - وجريرٌ جالسٌ - فأقبل عليه جريرٌ فقال: أين تركت خنازير أمك؟! قال: راعيةً مع أعيار أمك، وإن أتيتنا قريناك منها. فأقبل جرير على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إن رائحة الخمر لتفوح منه. قال: صدق يا أمير المؤمنين، وما اعتذاري من ذلك!.

تعيب الخمر وهي شراب كسرى ويشرب قومك العجب العجيبا

مني العبد عبد أبي سواج أحق من المدامة أن تعيبا

فقال عبد الملك: دعوا هذا، وأنشدني يا جرير، فأنشده ثلاث قصائد كلها في الحجاج يمدحه بها، فأحفظ عبد الملك، وقال له: يا جرير، إن الله لم ينصر الحجاج وإنما نصر خليفته ودينه. ثم أقبل على الأخطل فقال:

شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدرُوا

فقال عبد الملك: هذه المزمرة، والله لو وضعت على زبر الحديد لأذابتها. ثم أمر له بخلع فخلفت عليه حتى غاب فيها، وجعل يقول: إن لكل قومٍ شاعراً، وإن الأخطل شاعر بني أمية فأما قول الأخطل:

مني العبد عبد أبي سواج

فأخبرني بخبر أبي سواج علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالوا حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب وأبو غسان دماذ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن أبا سواج وهو عباد بن خلف الضبي جاور بني يربوع، وكانت له فرسٌ يقال لها بذوة، وكان لصرد بن حمرة اليربوعي فرس يقال لها القضيب، فتراها عشرين بعشرين، فسبقت بذوة فظلمه ابن حمرة حقه ومنعه سبقه، وجعل يفجر بامرأته. ثم إن أبا سواج ذهب إلى البحرين يمتار، فلما أقبل راجعاً، وكان رجلاً شديداً معجباً بنفسه، جعل يقول وهو يحدو:

يا ليت شعري هل بغت من بعدي

فسمع قائلاً يقول من خلفه:

نعم بمكوي قفاه جعدي

فعاد إلى قوله فأجابه بمثل ذلك. وقدم إلى منزله فأقام به مدةً، فتغاضب صرد على امرأة أبي سواج وقال: لا أرضى أو تقدي من است أبي سواج سيراً. فأخبرت زوجها بذلك فقام إلى نعيجه له فذبحها وقد من باطن أليتيها سيراً فدفعه إليها، فجعله صرد بن حمرة في نعله، فقال لقومه: إذا أقبلت وفيكم أبو سواج فسلوني من أين أقبلت ففعلوا، فقال: من ذي بليان وأريد ذابليان، وفي نعلي شراكان، من است إنسان. فقام أبو سواج: فطرح ثوبه وقال: أنشدكم الله! هل ترون بأساً؟ ثم أمر أبو سواج غلامين له راعيين أن يأخذا أمةً له فيتراوحاها، ودفع إليهما عساً وقال: لئن قطرت منكما قطرةً في غير العس لأقتلنكما. فباتا يتراوحاها ويصبان ما جاء منهما في العس، وأمرهما أن يحلبا عليه فحلبا حتى ملأه، ثم قال لامرأته: والله لتسقنه صرد أو لأقتلنك. واختبأ وقال: ابعتي إليه حتى يأتيك ففعلت. وأتاها لعادتها كما كان يأتيها، فرحبت به واستبظاته ثم قامت إلى العس فناولته إياه. فلما ذاقه رأى طعاماً خبيثاً وجعل يتمطق من اللبن الذي يشرب وقال: إني أرى لبنكم خائراً، أحسب إبلكم رعت السعدان.

فقالت: إن هذا من طول مكثه في الإناء، أقسمت عليك إلا شربته. فلما وقع في بطنه وجد لموت، فخرج إلى أهله ولا يعلم أصحابه بشيء من أمره. فلما جن على أبي سواج الليل أتى أهله وغلماناه فانصرفوا إلى قومه وخلف الفرس وكلبه في الدار، فجعل الكلب ينبح والفرس يصهل، وذلك ليظن القوم أنه لم يرتحل. فساروا ليلتهم والدار ليس فيها غيره وكلبه وفرسه وعسه. فلما أصبح ركب فرسه وأخذ العس فأتى مجلس بني يربوع فقال: جزاكم الله من جيرانٍ خيراً! فقد أحسنتم الجوار، وفعلتم ما كنتم له أهلاً. فقالوا له: يا أبا سواج، ما بدا لك في الانصراف عنا؟ قال: إن صرد بن حمرة لم يكن فيما بيني وبينه محسناً، وقد قلت في ذلك:

في العبد أصبح مسمغدا

وخلقت يوم خلقت جلدا

إن المنى إذا سرى

أنتال سلمى باطلاً

صرد بن جمره هل لقي

ت رثيئة لبناً وعصدا

واعلموا أن هذا القدح قد أحبل منكم رجلاً وهو صرد بن جمره. ثم رمى بالعس على صخرة فانكسر وركض فرسه. وتنادوا: عليكم الرجل، فأعجزهم ولحق بقومه. وقال في ذلك عمر بن لجأ التيمي:

تمسح يربوع سبالاً لثيمة

بها من مني العبد رطباً ويابس

وإياه عني الأخطل بقوله:

ويشرب قومك العجب العجيبا

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال زعم محمد بن حفص بن عائشة التيمي عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب قال: قدمت الشام وأنا شاب مع أبي، فكنت أطوف في كنائسها ومساجدها؛ فدخلت كنيسة دمشق، وإذا الأخطل فيها محبوس، فجعلت. أنظر إليه. فسأل عني فأخبر بنسي، فقال: يا فتى، إنك لرجل شريف، وإن أسألك حاجة.

فقلت: حاجتك مقضيه. قال إن القس حبسني هاهنا فتكلمه ليخلي عني. فأتيت القس فانتسبت له، فرحب وعظم، قلت: إن لي إليك حاجة. قال: ما حاجتك؟ قلت: الأخطل تخلي عنه. قال: أعيذك بالله من هذا! مثلك لا يتكلم فيه، فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم! فلم أزل أطلب إليه حتى مضى معي متكئاً على عصاه، فوقف عليه ورفع عصاه وقال: يا عدو الله! أتعوذ تشتم الناس وتهجوهم وتغذف الحصنات! وهو يقول: لست بعائد ولا أفعل، ويستخذي له. قال: فقلت له: يا أبا مالك، الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك في الناس قدرك، وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي له! قال: فجعل يقول لي: إنه الدين! إنه الدين!. أخبرنا البيهقي عن عمه عبيد الله عن ابن حبيب عن الهيثم بن عدي قال: كانت امرأة الأخطل حاملاً، وكان متمسكا بدينه. فمر به الأسقف يوماً. فقال لها: الحق به فتمسحي به؛ فعدت فلم تلحق إلا ذنب حماره فتمسحت به ورجعت. فقال لها: هو وذنب حماره سواء.

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال حدثني يونس قال قال أبو الغراف. سمع هشام بن عبد الملك الأخطل وهو يقول:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد

نخرا يكون كصالح الأعمال

فقال: هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام!. فقال له: يا أمير المؤمنين، مازلت مسلماً في ديني.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال حدثني يونس وعبد الملك وأبو الغراف فألفت ما قالوا، قالوا: أتى الأخطل الكوفة، فأتى الغضبان بن القبعثري الشيباني فسأله في حمالة، فقال: إن شئت أعطيتك ألفين، وإن شئت أعطيتك درهمين. قال: وما بال ألفين وما بال الدرهمين؟ قال: إن أعطيتك ألفين لم يعطكها إلا قليل، وإن

أعطيتك درهمين لم يبق في الكوفة بكري إلا أعطاك درهمين؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبصرة فلم يبق بكري بها إلا أعطاك درهمين، فحفت عليهم المئونة وكثر لك النيل. فقال: فهذه إذاً. فقال: نقسمها لك على أن ترد علينا. فكتب بالبصرة إلى سويد بن منجوف السدوسي فقدم البصرة - فقال يونس في حديثه - فتزل على آل الصلت بن حريث الحنفي فأخبر من سمعه يقول: والله لا أزال أفعل ذلك. ثم رجع الحديث الأول: فأتى سويداً فأخبره بحاجته. فقال نعم! وأقبل على قومه فقال: هذا أبو مالك قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له، وهو الذي يقول:

إذا ما قلت قد صالحت بكراً

أبى البغضاء والنسب البعيد

وأيام لناولهم طوال

يعض الهام فيهن الحديد

ومهرق الدماء بواردات

تبيد المخزيات ولا تبديد

هما أخوان يصطليان ناراً

رداء الحرب بينهما جديد

فقالوا: فلا والله لا نعطيه شيئاً. فقال الأخطل:

فإن تبخل سدوس بدرهميها

فإن الريح طيبة قبول

تواكلني بنو العلات منهم

و غالت مالكاً ويزيد غول

صريعاً وائل هلكاً جميعاً

كأن الأرض بعدهما محول

وقال في سويد بن منجوف - وكان رجلاً ليس بذئ منظر -:

وما جذع سوء خرب السوس أصله

لما حملته وائل بمطيق

أخبرنا أبو خليفة قال قال محمد بن سلام: كان الأخطل مع مهارته وشعره يسقط أحياناً: كان مدح سماكاً الأسدي، وهو سماك الهالكى من بني عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقبون القيون، ومسجد سماك بالكوفة معروف، وكان من أهلها؛ فخرج أيام علي هارباً فلحق بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال:

نعم المجير سماك من بني أسد

بالقاع إذ قتلت جيرانها مضر

قد كنت أحسبه قيناً وأخبره

فاليوم طير عن أثوابه الشرر

إن سماكاً بني مجدداً لأسرته

حتى الممات وفعل الخير يبتدر

فقال سماك: يا أخطل: أردت مدحي فهجوتني، كان الناس يقولون قولاً فحقته. فلما هجا سويداً قال له سويد: والله يا أبا مالك، ما تحسن تهجو ولا تمدح؛ لقد أردت مدح الأسدي فهجوته - يعني قوله:

قد كنت أحسبه قيناً وأنبؤه

فاليوم طير عن أثوابه الشرر

إن سماكاً بني مجدداً لأسرته

حتى الممات وفعل الخير يبتدر

- وأردت هجائي فمدحتني، جعلت وائلاً حملتني أمورها، وما طمعت في بني تغلب فضلاً عن بكر.
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبان البجلي قال: مر الأخطل بالكوفة في بني رؤاس ومؤذهم
ينادي بالصلاة. فقال له بعض فتياهم: ألا تدخل يا أبا مالك فتصلي؟ فقال:

أصلي حيث تدركني صلاتي **وليس البر عند بني رؤاس**

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو الحصين الأموي قال: بينا الأخطل قد خلا بخميرة له في نزهة
مع صاحب له، وطرأ عليهما طارئ لا يعرفانه ولا يستخفانه، فشرب شراهما وثقل عليهما. فقال الأخطل في
ذلك:

وليس القذى بالعود يسقط في الإناء **ولا بذباب خطبه أيسر الأمر**

ولكن شخصاً لا نسر بقربه **رمتنا به الغيطان من حيث لا ندري**

يروى:

ولكن قذاها زائر لا نعبه

وهو الجيد. الغناء لإبراهيم خفيف ثقیل بالوسطى عن عمرو. وقد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس البيهقي قال
حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري قال حدثنا الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال: بينا الأخطل جالس عند
امرأة من قومه، وكان أهل البدو إذ ذاك يتحدث رجالهم إلى النساء لا يرون بذلك بأساً، وبين يديه باطية شراب
والمرأة تحدّثه وهو يشرب، إذ دخل رجل فجلس، فنقل على الأخطل وكره أن يقول له قم استحياءً منه. وأطال
الرجل الجلوس إلى أن أقبل ذباب فوق في الباطية في شرايه؛ فقال الرجل: يا أبا مالك، الذباب في شرايك. فقال:

وليس القذى بالعود يسقط في الخمر **ولا بذباب نزعه أيسر الأمر**

ولكن قذاها زائر لا نعبه **رمتنا به الغيطان من حيث لا ندري**

قال: فقام الرجل فانصرف.

وأخبرني عمي رحمه الله بهذا الحديث عن الكراني عن الزياتي عن علي بن الحفار أخي أبي الحجاج: أن الأخطل
جاء إلى معبد في قدمه قدمها إلى الشام. فقال له معبد: إني أحب محادثتك. فقال له: وأنا أحب ذلك. وقاما
يتصبخان الغدران- حتى وقفا على غدير فتزلا وأكالا؛ فتبعهما أعراي فجلس معهما. وذكر الخبر مثل الذي قبله.
أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال أبان بن عثمان حدثني أبي قال: دعا الأخطل شاب من شباب أهل
الكوفة إلى منزله. فقال له: يا بن أخي، أنت لا تحتمل المثونة وليس عندك معتمد؛ فلم يزل به حتى انتجعه، فأتى
الباب فقال: يا شقراء، فخرجت إليه امرأة، فقال لأمه: هذا أبو مالك قد أتاني؛ فباعته غزلاً لها واشترت له لحماً
ونبيذاً وريحاناً. فدخل حصاً لها فأكل معه وشرب، وقال في ذلك:

وبيت كظهر الفيل جل متاعه
تري فيه أثلام الأصيص كأنها
لعمرك ما لاقيت يوم معيشة
حوارية لا يدخل الذم بيتها
أباريقه و الشارب المتقطر
إذا بال فيها الشيخ جفر معور
من الدهر إلا يوم شقراء أقصر
مطهرة يأوي إليها مطهر

وذكر هارون بن الزيات هذا الخبر عن حماد عن أبيه أنه كان نازلاً على عكرمة الفياض وأنه خرج من عنده يوماً، فمر بفتيان يشربون ومعهم قينة يقال لها شقراء. وذكر الخبر مثل ما قبله، وزاد فيه: فأقام عندهم أربعة أيام. وظن عكرمة أنه غضب فانصرف عنه. فلما أتاه أخبره بخبره، فبعث إلى الفتیان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف، فمضى بها إليهم وقال: إستعينوا بهذه على أمركم. ولم يزل يناديهم حتى رحل. أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال: اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بشر بن مروان، وكان بشر يغري بين الشعراء. فقال للأخطل: أحكم بين الفرزدق وجرير. فقال: أعفني أيها الأمير. قال: أحكم بينهما، فاستغفاه بجده فأبى إلا أن يقول؛ فقال: هذا حكم مشئوم؛ ثم قال: الفرزدق ينحت من صخر، وجرير يغرف من بحر. فلم يرض بذلك جرير، وكان سبب الهجاء بينهما. فقال جرير في حكومته:

يا ذا الغباوة إن بشراً قد قضى
فدعوا الحكومة لستم من أهلها
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم
ألا تجوز حكومة النشوان
إن الحكومة في بني شيبان
يا خزر تغلب لستم بهجان

فقال الأخطل يرد على جرير:

ولقد تناسبتم إلى أحسابكم
فإذا كليب لا تساوي دارماً
و إذا جعلت أباك في ميزانهم
وإذا وردت الماء كان لدارم
وجعلتم حكماً من السلطان
حتى يساوي حزم بأبان
رجحوا وشال أبوك في الميزان
عفواته و سهولة الأعطان

ثم استطارا في الهجاء.

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا أبو الغراف قال: لما قال جرير:

إذا أخذت قيس عليك وخندف
بأقطارها لم تدر من أين تسرح

قال الأخطل. لا أين! سد والله علي الدنيا. فلما أنشد قوله:

فما لك في نجد حصاة تعدها
وما لك من غوري تهامة أبطح

قال الأخطل: لا أبالي والله ألا يكون فتح لي والصليب القول؛ ثم قال:

وحيث ترى القرقور في الماء يسبح

ولكن لنا بر العراق و بحره

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال حدثني محمد بن الحجاج الأسدي قال: خرجت إلى الصائفة فترلت منزلاً بيني تغلب فلم أجد به طعاماً ولا شرباً ولا علفاً لدواي شري ولا قرى ولا أجد ظلاً؛ فقتل لرجل منهم: ما في داركم هذه مسجد يستظل فيه؟ فقال: ممن أنت؟ قلت: من بني تميم. قال: ما كنت أرى عمك جريراً إلا قد أخبرك حين قال:

في آل تغلب مسجداً معموراً

فينا المساجد والإمام ولا ترى

أخبرني أبو خليفة قال أنبأنا محمد بن سلام قال حدثني شيخ من ضبيعة قال: خرج جرير إلى الشام فترل منزلاً بيني تغلب فخرج مثلثاً عليه ثياب سفره، فلقى رجل لا يعرفه. فقال: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: أما سمعت ما قلت لغاوي بني تميم؟ فأنشده مما قال لجرير. فقال: أما سمعت ما قال لك غاوي بني تميم؟ فأنشده. ثم عاد الأخطل وعاد جرير في نقضه حتى كثر ذلك بينهما. فقال التغليبي: من أنت؟ لا حياك الله! والله لكأنك جرير. قال: فأنا جرير. قال: وأنا الأخطل.

أخبرني عمي قال أنبأنا الكراني قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائني قال: دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب، فكلمه فخلط في كلامه. فقال له: ما هذا؟ فقال:

بغير الماء حاول أن يطولاً

إذا شرب الفتى منها ثلاثاً

وأررخى من مآزره الفضولا

مشى قرشية لا عيب فيها

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي قال أخبرني أبو محمد اليزيدي قال: خرج الفرزدق يوم بعض الملوك من بني أمية، فرفع له في طريقه بيت أحمر من آدم، فدنا منه وسأل فقيل له: بيت الأخطل. فأثاه فقال: انزل. فلما نزل قام إليه الأخطل وهو لا يعرفه إلا أنه ضيف؛ فقعدا يتحدثان. فقال له الأخطل: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: فإنك إذا من رهط أخي الفرزدق. فقال: تحفظ من شعره شيئاً؟ قال: نعم كثيراً. فما زالا يتناشدان ويتعجب الأخطل من حفظه شعر الفرزدق إلى أن عمل فيه الشراب، - وقد كان الأخطل قال له قبل ذلك: أنتم معشر الحنفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا. فقال له الفرزدق: خفض قليلاً وهات من شرابك فاسقنا. فلما عملت الراح في أبي فراس قال: أنا والله الذي أقول في جرير فأنشده. فقام إليه الأخطل فقبل رأسه وقال: لا جزاك الله عني خيراً! لم كتمتني نفسك منذ اليوم! وأحذا في شراهما وتناشدهما، إلى أن قال له الأخطل: والله إنك وإياي لأشعر منه ولكنه أوتي من سير الشعر ما لم نؤته؛ قلت أنا بيتا ما أعلم أن أحداً قال أهجى منه، قلت:

قالوا لأهمهم بولي على النار

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم

فلم يروه إلا حكماء أهل الشعر. وقال هو:

حك استه وتمثل الأمثالا

و التغلبي إذا تتحنح للقرى

فلم تبقى سقاة ولا أمثالها إلا روه. فقضيا له أنه أسير شعراً منهما.

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني: كان للأخطل الشاعر دار ضيافة، فمر به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه، فقبل له: هذا رجل شريف قد نزل بنا. فلما أمسى بعث إليه فتعشى معه، ثم قال له: أتصيب من الشراب شيئاً؟ قال: نعم. قال: أية؟ قال: كله إلا شرابك. فدعا له بشراب يوافقه، وإذا عنده قيتان هما خلفه وبينه وبينهما ستر، وإذا الأخطل أشهب اللحية له ضفيران؛ فغمز الستر بقضيب في يده وقال: غنياني بأردية الشعر، فغنتاه بقول عمرو بن شأس:

يطأن وإن أعنقن في جدد وحلا

وبيض تطلّى بالعبير كأنما

إذا قلت مغلوباً وجدت له عقلا

لهونا بها يوماً و يوماً بشارب

فأما السبب في مدح الأخطل عكرمة بن ربعي الفياض فأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: قدم الأخطل الكوفة فأتى حوشب بن رويم الشيباني، فقال: إني تحملت حمالتين لأحقن بهما دماء قومي فنهره، فأتى سيار بن البزيعه، فسأله فاعتذر إليه، فأتى عكرمة الفياض، وكان كاتباً لبشر بن مروان، فسأله وأخبره بما أراد عليه الرجلان؛ فقال: أما إني لا أنهرك ولا أعتذر إليك، ولكني أعطيك إحداهما عيناً والأخرى عرضاً. قال: وحدث أمر بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقبل له: إن أردت أن تكافئ عكرمة يوماً فاليوم. فلبس جبة خز وركب فرساً وتقلد صلياً من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه. فلما رآه حوشب وسيار نفساً عليه ذلك وقال له عكرمة: يا أبا مالك، فجاء فوقف وابتدأ ينشد قصيدته:

لمن الديار بحائل فوعال

حتى انتهى إلى قوله:

ضغن العدو وغدرة المحتال

إن ابن ربعي كفاني سبيه

إن المكارم عند ذاك غوال

أغلبيت حين توأكلتني وائل

وكفيت كل مواكل خذال

ولقد مننت على ربيعة كلها

أولى لك ابن مسيمة الأجمال

كابن البزيعه أو كآخر مثله

وترى الكريم يراح كالمختال

إن اللئيم إذا سألت بهرته

فيض الفرات كراشح الأوشال

وإذا عدلت به رجالاً لم تجد

قال: فجعل عكرمة يبتهج ويقول: هذه والله أحب إلي من حمر النعم. ومما في شعر الأخطل من الأصوات المختارة:

ودار عفتها الريح بعدي بأذيال

أراذك بالخابور نوق وأجمال

وجرد تغادى بين سهل وأجبال

ومبنى قباب المالكية حولنا

عروضه من الطويل. الشعر للأخطل. والغناء لابن محرز، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكي إلى ابن محرز، وذكر الهشامي أنه منحول. وفيه لحنين الحيري ثقيل أول عن الهشامي

ذكر سائب خاثر ونسبه

كان سائب خاثر مولى بني ليث. وأصله من فيء كسرى، وأشترى عبد الله بن جعفر ولأه من مواليه، وقيل: بل اشتراه فأعتقه، وقيل: بل كان على ولاته لبني ليث، وإنما أنقطع إلى عبد الله بن جعفر فلزمه وعرف به. وكان يبيع الطعام بالمدينة. واسم أبيه الذي أعتقه بنو ليث "يشا". قال ابن الكلبي وأبو غسان وغيرهما: هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به. وقال ابن خردادبه: كان عبد الله بن عامر أشترى إماء صناعات وأتى بهن المدينة، فكان لهن يوم في الجمعة يلعبن فيه، وسمع الناس منهن، فأخذ عنهن. ثم قدم رجل فارسي يسمى بنشيط، فغنى فأعجب عبد الله بن جعفر به. فقال له سائب خاثر: أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية، ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد صنع.

لمن الديار رسومها قفر

قال ابن الكلبي: وهو أول صوت غني به في الإسلام من الغناء العربي المتقن الصنعة. قال: ثم أشترى عبد الله بن جعفر نشيطاً بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربي وأخذ عنه ابن سريح وجميلة وعزة الميلاء وغيرهم. قال ابن الكلبي وحدثني أبو مسكين قال: كان سائب خاثر يكنى أبا جعفر، ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يقرع بقضيب ويغني مرتجلاً، ولم يزل يغني. وقتل يوم الحرة. ومر به بعض القرشيين وهو قتيل، فضربه برجله وقال: إن ها هنا لخنجرة حسنة. وكان سائب من ساكني المدينة. قال ابن الكلبي: وكان سائب تاجراً موسراً يبيع الطعام، وكان تحته أربع نسوة، وكان أنقطعه إلى عبد الله بن جعفر، وكان مع ذلك يخالط سروات الناس وأشرافهم لظرفه وحلاوته وحسن صوته. وكان قد آلى ألا يغني أحداً سوى عبد الله بن جعفر، إلا أن يكون خليفة أو ولي عهد أو ابن خليفة؛ فكان على ذلك إلى أن قتل. قال: وأخذ معبد عنه غناءً كثيراً فنحل الناس بعضه إليه، وأهل العلم بالغناء يعرفون ذلك. وزعم ابن خردادبه أن أم محمد ابن عمرو الواقدي القاضي المحدث بنت عيسى بن جعفر بن سائب خاثر.

وقال ابن الكلبي: سائب خاثر أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل؛ وأول لحن صنعه منه:

لمن الديار رسومها قفر

قال: قألفت هذا الصوت الفروح. قال وحدثني محمد بن يزيد أن أول صوت صنعه في شعر أمرىء القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل

وأن معبداً أخذ لحنه فيه فغنى عليه:

أمن آل ليلى باللوى متربع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن ابن الكلبي عن لقيط قال: وفد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقع له في حوائجه، ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر؛ فقال معاوية: من سائب خاثر؟ قال: رجل من أهل المدينة ليثي يروي الشعر. قال: أو كل من روى الشعر أراد أن نصله! قال: إنه حسنه. قال: وإن حسنه! قال: أفأدخله إليك يا أمير المؤمنين؟ قال نعم. قال: فألبسته ممصرتين إزاراً ورداء. فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنى:

لمن الديار رسومها قفر

قألفت معاوية إلى عبدالله بن جعفر فقال: أشهد لقد حسنه! فقضى حوائجه وأحسن إليه.

لعبت بها الأرواح والقطر

حجج مضين ثمان أو عشر

شرق به اللئات والنحر

لمن الديار رسومها قفر

وخلالها من بعد ساكنها

والزعران على ترائبها

الشعر ينسب إلى أبي بكر بن المسور بن مخزومة الزهري، وإلى الحارث بن خالد المخزومي، وإلى بعض القرشيين من السبعة المعدودين من شعراء العرب. والغناء لسائب خاثر ثقيل أول بالسبابة عن الكلبي وحيش، وذكر أن لحن شمائب خاثر ثقيل أول بالوسطى، ووافق إسحاق في ذلك، وذكر أن الثقيل الأول لنشيط. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنسه، وذكر الهشامي أن لحن معبد خفيف ثقيل، وأن فيه لابن سريج خفيف رمل. أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبدالعزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا عمر بن شبة حدثني قبيصة بن عمرو قال حدثنا محمد بن المنهال عن رجل حدثه، وذكر ذلك أيضاً ابن الكلبي عن لقيط قال: أشرف معاوية بن أبي سفيان ليلاً على منزل يزيد أبنة، فسمع صوتاً أعجبه، وأستخفه السماع فاستمع قائماً حتى مل، ثم دعا بكرسي فجلس عليه، وأشتهى الاستزادة فاستمع بقية ليلته حتى مل. فلما أصبح غداً عليه يزيد. فقال له: يا بني! من كان جليسك البارحة؟ قال: أي جليس يا أمير المؤمنين؟ وأستعجم عليه. قال: عرفني فإنه لم يخف علي شيء من أمرك. قال: سائب خاثر. قال: فأختر له يا بني من برك وصلتك، فما رأيت بمجالسته بأساً. قال ابن الكلبي: قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم؛ فأمر حاجبه بالإذن للناس؛ فخرج الآذن ثم رجع

فقال: ما بالباب أحد. فقال معاوية: وأين الناس؟ قال: عند ابن جعفر. فدعا ببغلة فركبها ثم توجه إليهم. فلما جلس قال بعض: القرشيين لسائب خاثر: مطرفي هذا لك - وكان من خز - إن أنت أندفعت تغني ومشيت بين السماطين وأنت تغني. فقام ومشى بين السماطين وغنى:

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى وأسيفنا يقطرن من نجدة دما

فسمع منه معاوية وطرب وأصغى إليه حتى سكت وهو مستحسن لذلك، ثم قام وأنصرف إلى منزله. وأخذ سائب خاثر المطرف. أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شبه عن الزبيري، وأخبرني أبو بكر بن أبي شيبة البزار قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: قتل سائب خاثر يوم الحرة، وكان خشى على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدثهم ويقول: أنا مغن، ومن حالي وقصتي كيت وكيت؛ وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله. قالوا: فغن لنا، فجعل يغني؛ فقام إليه أحدهم فقال له: أحسنت والله! ثم ضربه بالسيف فقتله. وبلغ يزيد خبره ومر به اسمه في أسماء من قتل يومئذ فلم يعرفه وقال: من سائب خاثر هذا؟ فقليل له: هو سائب خاثر المغني. فعرفه فقال: ويله!! ماله ولنا! ألم نحسن إليه ونصله ونخلطه بأنفسنا! فما الذي حمله على عداوتنا! لا جرم أن يغيه صرعه. وقال المدائني في خبره: فقال إن لله! أو بلغ القتل إلى سائب خاثر وطبقته! ما أرى أنه بقي بالمدينة أحد. ثم قال: قبحكم الله يا أهل الشام! تجدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه. أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال أنبأنا عمر بن شبة قال! حدثني قبيصة بن عمرو قال حدثني حاتم بن قبيصة قال حدثني ابن جعدبة قال حدثني مويك عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يوم الحرة: هل سمعت شيئاً صنعته؟ فغناني صوتاً:

لمن طلل بين الكراع إلى القصر يغيب عنا آية سبل القطر إلى خالدات ما تريم وهامد وأشعث ترسيه الوليدة بالفهر

قال: فسمعت عجباً معجباً، ثم ذكر أهله وولده فبكى. فقلت له: وما يمنعك منهم؟ فقال: أما بعد شيء سمعته ورأيت من يزيد بن معاوية فلا! ثم تقدم حتى قتل.

أقفر من أهله مصيف فبطن نخلة فالعريف هل تبلغني ديار قومي مهريّة سيرها زفيف يا أم نعمان نولينيا قد ينفع النائل الطفيف أعمامها الصيد من لؤي حقاً وأحوالها ثقيف

الشعر لأبي فرعة الكناني، والغناء لجرادتي عبدالله بن جدعان، ولحنه من خفيف الثقيل. وفيه في الثالث والرابع ثقيل أول مطلق.

ذكر جرادتي عبدالله بن جدعان

و خبرهما وشيء من أخبار ابن جدعان

هو عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. قال ابن الكلبي: كانت لابن جدعان أمتان تسميان الجرادتين تتغنان في الجاهلية، سماهما بجرادتي عاد. و وهبهما عبدالله بن جدعان لأمية بن أبي الصلت الثقفي، وقد كان أمتدحه. وكان ابن جدعان سيداً جواداً، فرأى أمية ينظر إليهما هو عنده فأعطاه إياهما.

وأخبرني أبو الليث نصر بن القاسم الفرائضي قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن داوود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ قال: "لا لم يقل يوماً اغفر لي خطيئتي يوم الدين". أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين قال حدثني إبراهيم بن أحمد قال: قدم أمية بن أبي الصلت على عبدالله بن جدعان؛ فلما دخل عليه قال له عبد الله: أمر ما أتى بك! فقال أمية: كلاب غرماء نبحتني ونهشتني. فقال له عبدالله: قدمت علي وأنا عليل من حقوق لزممتني ونهشتني، فأنظرني قليلاً، ما في يدي، وقد ضمنتك قضاء دينك ولا أسأل عن مبلغه. قال: فأقام أمية أياماً، فأتاه فقال:

أذكر حاجتي أم قد كفاني	حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمور و أنت قرم	لك الحسب المذهب والسناء
كريم لا يغيره صباح	عن الخلق السني ولا مساء
تباري الريح مكرمةً وجوداً	إذا ما الكلب أحجره الشتاء
إذا أتى عليك المرء يوماً	كفاه من تعرضه الثناء
إذا خلفت عبدالله فاعلم	بأن القوم ليس لهم جزاء
فأرضك كل مكرمة بناها	بنو تيم و أنت لهم سماء
فأبرز فضله حقاً عليهم	كما برزت لناظرها السماء
فهل تخفى السماء على بصير	وهل بالشمس طالعة خفاء

فلما أنشدته أمية هذا الشعر كانت عنده قيتتان فقال: خذ أيتهما شئت؛ فأخذ إحداهما وانصرف. فمر بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له: لقد لقيته عليلًا، فلو رددتها عليه، فإن الشيخ يحتاج إلى خدمتها، كان ذلك أقرب لك عنده وأكثر من كل حق ضمنه لك، فوقع الكلام من أمية موقعاً وندم، ورجع إليه ليردها عليه. فلما أتاه بها قال له ابن جدعان: لعلك إنما رددتها لأن قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا، فوصف لأمية ما قال له القوم. فقال أمية: والله ما أخطأت يا أبا زهير. فقال عبدالله بن جدعان: فما الذي قلت في ذلك: فقال أمية:

ببذل وما كل العطاء يزين

عطائك زين لامرئ إن حبوته

إليك كما بعض السؤال يشين

وليس بشين لامرئ بذل وجهه

غنت فيه جرادتا عبدالله بن جدعان - فقال عبدالله لأمية: خذ الأخرى؛ فأخذها جميعاً وخرج. فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول - وقد أنشدنا هذه الأبيات أحمد بن عبدالعزيز الجوهري عن عمر بن شبة وفيها زيادة -:

مواهب يطلعن من النجاد

ومالي لا أحبيه وعندي

وهم كالمشرفيات الحداد

لأبيض من بني تيم بن كعب

وأنت الرأس تقدم كل هادي

لكل قبيلة هاد و رأس

و إن البيت يرفع بالعماد

له بالخيف قد علمت معد

وآخر فوق دارته ينادي

له داع بمكة مشمعل

لباب البر يلبك بالشهاد

إلى ربح من الشيزي ملأ

وقال فيه أيضاً:

ركلما ذكر الكرام

ذكر ابن جدعان بخي

ق ولا تغيره اللثام

من لا يخون ولا يع

ب له الرحالة والزمام

نحب النجبية والنجي

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق البغوي قال حدثنا الأثرم عن أبي عبيدة قال: كان ابن جدعان سيداً من قريش؟ فوفد على كسرى فأكل عنده الفالوذ، فسأل عنه فقيل له: هذا الفالوذ. قال: وما الفالوذ؟ قالوا: لباب البر يلبك مع عسل النحل. قال: ابغوني غلاماً يصنعه؟ فأتوه بغلام يصنعه فآتباعه ثم، قدم به مكة معه، ثم أمره فصنع له الفالوذ بمكة، فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد، ثم نادى مناديه: ألا من أراد الفالوذ فليحضر فحضر الناس؟ فكان فيمن حضر أمية بن أبي الصلت؟ فقال فيه:

ومالي لا أحبيبه وعندي

مواهب يطلعن من النجاد

إلي وإنه للناس نهى

ولا يعتل بالكلم الصوادي

وذكر باقي الأبيات التي مضت متقدماً.

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدثني محمد بن عمران الجرجاني - وليس بصاحب إسحاق الموصلي؟ قال: وهو شيخ لقيته بجرجان - قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: سألت سفيان بن عيينة فقلت: يا أبا محمد، ما تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" وإنما هو ذكر وليس فيه من الدعاء شيء؟ فقال لي: أعرفت حديث مالك بن الحارث: يقول الله جل ثناؤه: "إذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين"؟ قلت: نعم، أنت حدثتني عن منصور عن مالك بن الحارث. قال: فهذا تفسير ذلك، ثم قال: أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين خرج إلى ابن جدعان يطلب نائله وفضله. قلت: لا أدري؟ قال قال:

أذكر حاجتي أم قد كفاني

حيأؤك إن شيمتك الحياء

إذا أتني عليك المرء يوماً

كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال سفيان: فهذا مخلوق ينسب إلى الجود فقيل له: يكفيننا من مسألتك أن نثني عليك ونسكت حتى تأتي على حاجتنا، فكيف بالخالق.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا حميد بن حميد قال حدثني جبار ابن جابر قال: دخل أمية بن أبي الصلت على عبد الله بن جدعان وهو يجود بنفسه؟ فقال له أمية: كيف تجددك أبا زهير؟ قال: إني لمداير، أي ذاهب. فقال أمية:

علم ابن جدعان بن عم

رو أنه يوماً مدابر

ومسافر سافراً بعي

د لا يؤوب به المسافر

فقدوره بفنائنه

للضيف مترعة زواخر

تبدو الكسور من انضرا

ج الغلي فيها والكرامر

فكأنهن بما حمي

ن وما شحن بها ضرائر

بذ المعاشر كلها

بالفضل قد علم المعاشر

وعلا علو الشمس

حتى ما يفاخره مفاخر

دانته له أبناء فه

ر من بني كعب وعامر

أنت الجواد ابن الجوا

د بكم ينافر من ينافر

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال أخبرني أبو عبد الرحمن الغلابي عن الواقدي عن ابن أبي الزناد قال: ما مات أحد من كبراء قريش في الجاهلية إلا ترك الخمر أستحياء مما فيها من الدنس؟ ولقد عابها ابن جدعان قبل موته فقال:

شربت الخمر حتى قال قومي

ألست عن السفاه بمستفيق

وحتى ما أوسد في مبيت

أنام به سوى الترب السحيق

وحتى أغلق الحانوت رهني

وأنست الهوان من الصديق

قال: وكان سبب تركه الخمر أن أمية بن أبي الصلت شرب معه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب. فقال له: ما بال عينك؟ فسكت. فلما ألح عليه قال له: أنت صاحبها أصبتها البارحة. فقال: أو بلغ مني الشراب الذي أبلع معه من جليسي هذا لا حرم لأدينها لك ديتين، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: الخمر علي حرام أن أذوقها أبداً، تركها من يومئذ.
من المائة المختارة

قد لعمري بت ليلي

كأخي الداء الوجيع

ونجي الهم مني

بات أدنى من ضجيعي

كلما أبصرت ربعا

خالياً فاضت دموعي

لاتلما إن خشعنا

أوهمنا بالخشوع

إذا فقدنا سيداً ك

ان لنا غير مضيع

الشعر للأحوص. والغناء لسلامة القس. ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مجراها. وقد قيل: إن الشعر والغناء جميعاً لها، وقد قيل: إن الغناء لمعبد وإنها أخذته عنه.

ذكر سلامة القس وخبرها

كانت سلامة مولدة من مولدات المدينة وبها نشأت. وأخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة ومالك بن أبي السمح وذويهم فمهرت. وإنما سميت سلامة القس لأن رجلاً يعرف بعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء أهل مكة، وكان يلقب بالقس لعبادته، شغف بها وشهر، فغلب عليها لقبه. واشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان، وعاشت بعده، وكانت إحدى من أتم به الوليد من جوارى أبيه حين قال له قتلته: ننقم عليك أنك تطأ جوارى أبيك. وقد ذكرنا ذلك في خبر مقتله.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: كانت حباة وسلامة القس من قيان أهل المدينة، وكانتا حاذقتين

ظريفتين ضاربتين وكانت سلامة أحسنهما غناءً، وحبابة أحسنهما وجهاً، وكانت سلامة تقول الشعر، وكانت حبابة تتعاطاه فلا تحسن. وأخبرني بذلك المدائني عن جرير.

وحدثني الزبيري قال حدثني من رأى سلامة قال: ما رأيت من قيان المدينة فتناً ولا عجزاً أحسن غناءً من سلامة. وعن جميلة أخذت الغناء.

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا أبو زيد عمر بن شبة قال حدثني المدائني قال: كانت حبابة وسلامة قيتتين بالمدينة، أما سلامة فكانت لسهيل بن عبد الرحمن، ولها يقول ابن قيس الرقيات:

لقد فتننت ريا وسلامة القسا

فلم تتركا للقس عقلاً ولا نفساً

فتاتان أما منهما فشبيهة ال

هلال وأخرى منهما تشبه الشمساً

وغناه مالك بن أبي السمح. وفيها يقول ابن قيس الرقيات:

أختان إحداهما كالشمس طالعة

في يوم دجن وأخرى تشبه القمرأ

قال: وفتن القس بسلامة، وفيها يقول:

أهابك أن أقول بذلت نفسي

ولو أني أطيع القلب قالأ

حياءً منك حتى سل جسمي

وشق علي كتمانِي وطالأ

قال: والقس هو عبد الرحمن بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية، وكان منزله بمكة. وكان سبب افتتانها بها فيما حدثني خلاد الأرقط قال سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون: كان القس من أعبد أهل مكة، وكان يشبه بعباء بن أبي رباح، وأنه سمع غناء سلامة القس على غير تعمد منه لذلك. فبلغ غناؤها منه كل مبلغ، فراه مولاها فقال له: هل لك أن أخرجها إليك أو تدخل فتسمع، فأبى. فقال مولاها: أنا أقعدها في موضع تسمع غناءها ولا تراها فأبى، فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غناءها فأعجبه. فقال له: هل لك في أن أخرجها إليك؟ فأبى. فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه، فتغنت فشغف بها وشغفت به، وعرف ذلك أهل مكة. فقالت له يوماً: أنا والله أحبك.

قال: وأنا والله أحبك. قالت: وأحب أن أضع فمي على فمك. قال: وأنا والله أحب ذاك. قالت: فما يمنعك، فوالله إن الموضع لحال. قال: إني سمعت الله عز وجل يقول: "الأحلاء يؤمئذٍ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين" وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة. ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النسك، وقال من فوره فيها:

إن التي طرقتك بين ركائب

تمشي بمزهرها وأنت حرام

لتصيد قلبك أو جزاء مودة

إن الرفيق له عليك ذمام

باتت تعللنا وتحسب أننا

في ذاك أيقاظ ونحن نيام

حتى إذا سطع الضياء لناظر
قد كنت أعذل في السفاهة أهلها
فاليوم أعذرهم وأعلم أنما
ومن قوله فيها:

ألم ترها لا يبعد الله دارها
إذا رجعت في صوتها كيف تصنع

تمد نظام القول ثم ترده
وفيها يقول:

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر
ألا ليت أني حين صارت بها النوى
وقال في قصيدة له:

سلام ويحك هل تحيين من ماتا
أو ترجعين على المحزون ما فاتا
وقال أيضاً:

سلام هل لي منكم ناصر
قد سمع الناس بوجدي بكم
في أشعار كثيرة يطول ذكرها.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني الجهمي قال: كانت سلامة وريا أختين، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناء. فاجتمع الأحوص وابن قيس الرقيات عندهما، فقال لهما ابن قيس الرقيات: إني أريد أن أمدحكما بأبيات وأصدق فيها ولا أكذب، فإن أنتما غنيتماني بذلك وإلا هجوتكما ولا أقر بكما. قالتا: فما قلت؟ قال قلت:

لقد فتننت ريا وسلامة القسا
فتاتان أما منهما فشبيهة ال
تكنان أبشاراً رفاقاً وأوجهاً
فلم تتركاً للقس عقلاً ولا نفساً
هلال وأخرى منهما تشبه الشمساً
عتاقاً وأطرافاً مخضبة ملساً

فغنته سلامة واستحسنتاه. وقالتا للأحوص: ما قلت يا أبا الأنصار؟ قال قلت:

أسلام هل لمتيم تنويل
أم هل صرمت وغال ودك غول

لا تصرفني عني دلائك إنه

حسن لدي وإن بخلت جميل

أزعمت أن صبابتي أكذوبة

يوماً وأن زيارتي تعليل

- الغناء لسلامة القس خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامي وحماد. وفيه لإبراهيم لحنان، أحدهما خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو، والآخر ثقيل أوله استهلال عن الهشامي - فغنت الأبيات. فقال ابن قيس الرقيات: يا سلامة أحسنت والله! وأظنك عاشقة لهذا الحلقي! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجك إلى هذا؟ قال: حسن غنائها بشعرك، فلولا أن لك في قلبها محبة مفرطة ما جاءها هكذا حسناً على هذه البديهة. فقال له الأحوص: على قدر حسن شعري على شعرك هكذا حسن الغناء به، وما هذا منك إلا حسد، ونبين لك الآن ما حسدت عليه. فقالت سلامة: لولا أن الدخول بينكما يوجب بغضة لحكمت بينكما حكومة لا يردها أحد. قال الأحوص: فأنت من ذلك آمنة. قال ابن قيس الرقيات: كلا! قد أمنت أن تكون الحكومة عليك، فلذلك سبقت بالأمان لها. قال الأحوص: فرأيتك يدلك على أن معرفتك بأن المحكوم عليه أنت؟ وتفرقا. فلما صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيات فقرع بابه، فأذن له وسلم عليه واعتذر. ومما قاله الأحوص في سلامة القس وغني به:

أسلام إنك قد ملكت فأسجحي

قد يملك الحر الكريم فيسجح

مني على عانٍ أطلت عناه

في الغل عندك والعناة تسرح

إني لأنصحكم وأعلم أنه

سيان عندك من يغش وينصح

وإذا شكوت إلى سلامة حبها

قالت أجد منك ذا أم تمزح

الشعر للأحوص. والغناء لابن مسجح في الأول والثاني ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. ولدحمان في الأربعة الأبيات ثقيل أول بالبنصر فيه استهلال. وفيه خفيف ثقيل يقال: إنه لمالك؟ ويقال: إنه لسلامة القس. أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال: قال أيوب بن عباية: كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية، وكان فقيهاً عابداً من عباد مكة، يسمى القس لعبادته، وكانت سلامة بمكة لسهيل، وكان يدخل عليها الشعراء فينشدونها وتنشدهم وتغني من أحب الغناء؟ ففتن بها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار القس، فشاع ذاك وظهر، فسميت سلامة القس بذلك. قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال: سألتها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار القس أن تغنيه بشعر مدحها به ففعلت، وهو:

ما بال قلبك لا يزال يهيمه

ذكر عواقب غيهن سقام

إن التي طرقتك بين ركائب

تمشي بمزهرها وأنت حرام

لتصيد قلبك أو جزاء مودة

إن الرفيق له عليك ذمام

باتت تعللنا وتحسب أننا

في ذاك أيقاظ ونحن نيام

حتى إذا سطع الصباح لناظر

فإذا وذلك بيننا أحلام

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها

فأعجب لما تأتي به الأيام

فاليوم أعذرهم وأعلم إنما

سبل الغواية والهدى أقسام

قال إسحاق وحدثني المدائني قال حدثني جرير قال: لما قدم يزيد بن عبد الملك مكة وأراد شراء سلامة القس وعرضت عليه، أمرها أن تغنيه، فكان أول صوت غنته:

إن التي طرقتك بين ركائب

تمشي بمزهرها وأنت حرام

والبيض تمشي كالبدور والدمى

ونواغم يمشين في الأرقام

لتصيد قلبك أو جزاء مودة

إن الرفيق له عليك ذمام

فاستحسنه يزيد فاشترها. فكان أول صوت غنته لما اشتراها:

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر

وهل أنت عن سلامة اليوم مقصر

ألا ليت أنني حين صار بها النوى

جليس لسلمى حيث ما عج مزهر

وإني إذا ما الصوت زال بنفسها

يزال بنفسي قبلها حين تقبر

إذا أخذت في الصوت كاد جليسا

يطير إليها قلبه حين ينظر

كأن حماماً راعبياً مؤدياً

إذا نطقت من صدرها يتغشمر

فقال لها يزيد: يا حبيبي، من قائل هذا الشعر؟ فقصت عليه القصة، فرق له وقال: أحسن وأحسن!

قال إسحاق وحدثني المدائني قال: لما اشترى يزيد بن عبد الملك سلامة، وكان الأصوص معجباً بها وبجسن غنائها وبكثرة مجالستها؟ فلما أراد يزيد الرحلة، قال أبياتاً وبعث بها إلى سلامة. فلما جاءها الشعر غنت به يزيد وأخبرته الخبر، وهو:

عاود القلب من سلامة نصب

فلعيني من جوى الحب غرب

ولقد قلت أيها القلب ذو الشو

ق، الذي لا يحب حبك حب

إنه قد دنا فراق سليمي

وغدا مطلب عن الوصل صعب

غناه ابن محرز ثاني ثقل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن مسجح خفيف ثقل بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن عباد وعلويه رملان. وفيه لدحمان خفيف رمل. هذه الحكايات الثلاث عن الهشامي. وذكر

حبش أن لسلامة القس فيه ثاني ثقیل بالوسطی.

قال إسحاق وحدثني أيوب بن عباية قال: كانت سلامة وريا لرجل واحد، وكانت حباة لرجل، وكانت المقدمة منهن سلامة، حتى صارتا إلى يزيد بن عبد الملك، فكانت حباة تنظر إلى سلامة بتلك العين الجليلة المتقدمة وتعرف فضلها عليها. فلما رأت أثرهما عند يزيد ومحبة يزيد لها استخفت بها. فقالت لها سلامة أي أخيه! نسيت لي فضلي عليك! ويلك! أين تأديب الغناء وأين حق التعليم! أنسيت قول جميلة يوماً وهي تطارحنا وهي تقول لك: خذي إحكام ما أطارحك من أحتك سلامة، ولن تزالين بخير ما بقيت لك وكان أمركما مؤتلفاً!. قالت: صدقت خليلتي! والله لا عدت إلى شيء تكرهينه، فما عادت لها إلى مكروه. وماتت حباة وعاشت سلامة بعدها دهرًا.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي الأكبر قال:

لما قدم عثمان بن حيان المري المدينة والياً عليها، قال له قوم من وجوه الناس: إنك قد وليت على كثرة من الفساد، فإن كنت تريد أن تصلح فطهرها من الغناء والزنا. فصاح في ذلك وأجل أهلها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة. وكان ابن أبي عتيق غائباً، وكان من أهل الفضل والعفاف والصلاح. فلما كان آخر ليلة من الأجل قدم فقال: لا أدخل منزلي حتى أدخل على سلامة القس. فدخل عليها فقال: ما دخلت منزلي حتى جئتكم أسلم عليكم. قالوا: ما أغفلك عن أمرنا! وأخبروه الخبر. فقال: اصبروا علي الليلة. فقالوا: نخاف ألا يمكنك شيء وننكض قال: إن خفتهم شيئاً فاحرجوا في السحر. ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حيان فأذن له، فسلم عليه، وذكر له غيبته وأنه جاءه ليقضي حقه، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء والزنا، وقال: أرجو ألا تكون عملت عملاً هو خير لك من ذلك. قال عثمان: قد فعلت ذلك وأشار به علي أصحابك. فقال: قد أصبت، ولكن ما تقول - أمتع الله بك - في امرأة كانت هذه صناعتها وكانت تكره على ذلك ثم تركته وأقبلت على الصلاة والصيام والخير، وأتى رسولها إليك تقول: أتوجه إليك وأعوذ بك أن تخرجني من جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجده؟ قال: فإني أدعها لك ولكلامك. قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها، فإن رأيت أن مثلها ينبغي أن يترك تركتها؟ قال نعم. فجاءه بها وقال لها: اجعلي معك سبحة وتحشعي ففعلت.

فلما دخلت على عثمان حدثته، وإذا هي من أعلم الناس بالناس وأعجب بها، وحدثته عن آبائه وأمورهم ففكه لذلك. فقال لها ابن أبي عتيق: أقرئي للأمير فقرأت له؟ فقال لها احدي له ففعلت، فكثير تعجبه. فقال: كيف لو سمعتها في صناعتها! فلم يزل يترله شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغناء. فقال لها ابن أبي عتيق: غني، فغنت:

بكل لبان واضح وجبين

سددن خصاص الخيم لما دخلنه

فغنته؟ فقام عثمان من مجلسه فقعده بين يديها ثم قال: لا والله ما مثل هذه تخرج!. قال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، يقولون: أقر سلامة وأخرج غيرها. قال: فدعوهم جميعاً؟ فتركوهم جميعاً. أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن أبي فروة قال: قدمت رسل يزيد بن عبد الملك المدينة فاشترؤا سلامة المغنية من آل رمانة بعشرين ألف دينار. فلما خرجت من ملك أهلها طلبوا إلى الرسل أن يتركوها عندهم أياماً ليجهزوها بما يشبهها من حلي وثياب وطيب وصبغ. فقالت لهم الرسل: هذا كله معنا لا حاجة بنا إلى شيء منه، وأمروها بالرحيل. فخرجت حتى نزلت سقاية سليمان بن عبد الملك وشيعها الخلق من أهل المدينة، فلما بلغوا السقاية قالت للرسل: قوم كانوا يغشوني ويسلمون علي، ولا بد لي من وداعهم والسلام عليهم، فأذن للناس عليها فانقضوا حتى ملئوا رحبة القصر ووراء ذلك، فوقفت بينهم ومعها العود، فغنتهم:

فارقوني وقد علمت يقيناً	ما لمن ذلق ميتة من إياب
إن أهل الحصاب قد تركوني	مولعاً موزعاً بأهل الحصاب
أهل بيت تتابعوا للمنايا	ما على الدهر بعدهم من عتاب
سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو	سى إلى النخل من صفى السباب
كم بذاك الحجون من حي صدق	وكهول أعفة وشباب

قال عيسى: وكنت في الناس، فلم تزل تردد هذا الصوت حتى راحت، وانتحب الناس بالبكاء عند ركوبها، فما شئت أن أرى باكياً إلا رأيته.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال:

وجه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القدوم عليه، وكان الغريض معه، فقال له: اخرج معي حتى آخذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنيه، فإني لا أحمل إليه شيئاً هو أحب إليه منك، فخرجنا. فلما قدم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به. فأنشده مدائح فاستحسنها، وخرج من عنده، فبعثت إليه سلامة جارية يزيد بلطف. فأرسل إليها: إن الغريض عندي فدمت به هدية إليك. فلما جاءها الجواب اشتاقت إلى الغريض وإلى الاستماع منه. فلما دعاها أمير المؤمنين تمارضت وبعثت إلى الأحوص: إذا دعاك أمير المؤمنين فاحتل له في أن تذكر له الغريض. فلما دعا يزيد الأحوص قال له يزيد: ويحك يا أحوص! هل سمعت شيئاً في طريقك تطرفنا به؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، مررت في بعض الطريق فسمعت صوتاً أعجبنى حسنه وجودة شعره، فوقفت حتى أستقصيت خبره، فإذا هو الغريض، وإذا هو يغني بأحسن صوت وأشجاء:

ألا هاج التذكر لي سقاماً	ونكس الداء والوجع الغراما
سلامة إنها همي ودائي	وشر الداء ما بطن العظاما .
فقلت له ودمع العين يجري	على الخدين أربعة سجاما

عليك لها السلام فمن نصب

يبيت الليل يهذي مستهما

قال يزيد: ويلك يا أحوص! أنا ذاك في هوى خليلتي؟ وما كنت أحسب مثل هذا يتفق، وإن ذاك لما يزيد لها في قلبي. فلما صنعت يا أحوص حين سمعت ذاك قال: سمعت ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسن منه، فما صبرت حتى أخرجت الغريض معي وأخفيت أمره، وعلمت أن أمير المؤمنين يسألني عما رأيت في طريقي. فقال له يزيد: اتيني بالغريض ليلاً وأخف أمره. فرجع الأحوص إلى منزله وبعث إلى سلامة بالخبر. فقالت للرسول: قل له جزيت خيراً، قد انتهى إلي كل ما قلت، وقد تلطفت وأحسن. فلما وارى الليل أهله بعث إلى الأحوص أن عجل المحيء إلي مع ضيفك. فجاء الأحوص مع الغريض فدخلا عليه. فقال غني الصوت الذي أخبرني الأحوص أنه سمعه منك - وكان الأحوص قد أخبر الغريض الخبر، وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يريد يحركه به على سلامة يحتال للغريض في الدخول عليه - فقال: غني الصوت الذي أخبرني الأحوص. فلما غناه الغريض دمعت عين يزيد ثم قال: ويحك!. هل يمكن أن تصير إلى مجلسي؟ قيل له: هي صالحة. فأرسل إليها فأقبلت. فقيل ليزيد: قد جاءت، فضرب لها حجاب فجلست، وأعاد عليه الغريض الصوت، فقالت: أحسن والله يا أمير المؤمنين، فاسمعه مني، فأخذت العود فضربته وغنت الصوت، فكاد يزيد أن يطير فرحاً وسروراً، وقال: يا أحوص، إنك لمبارك! يا غريض غني في ليلتي هذا الصوت، فلم يزل يغنيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال، وقال: لا يصبح الغريض في شيء من دمشق. فأرتحل الغريض من ليلته، وأقام الأحوص بعده أياماً ثم لحق به؟ وبعثت سلامة إليهما بكسوة ولطف كثير.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني رجل من أهلي من بني نوفل قال: قدمت في جماعة من قريش على يزيد بن عبد الملك، فألفيناه في علته التي مات فيها بعد وفاة حبابه، فترلنا منزلاً لا صقاً بقصر يزيد، فكنا إذا أصبحنا بعثنا بمولى لنا يأتينا بخبره، وربما أتينا الباب فسألنا، فكان يثقل في كل يوم. فلما لفي منزلنا ليلة إذ سمعنا همساً من بكاء ثم يزيد ذلك، ثم سمعنا صوت سلامة القس وهي رافعة صوتها تنوح وقول:

لا تلمنا إن خشعنا

أو هممنا بخشوع

قد لعمرى بت ليلي

كأخي الداء الوجيع

كلما أبصرت ربعا

خالياً فاضت دموعي

قد خلا من سيد كا

ن لنا غير مضيع

ثم صاحت وا أمير المؤمنين! فعلمنا وفاته، فأصبحنا فغدونا في جنازته.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه قال: قال يزيد بن عبد الملك ما يمر

عيني ما أوتيت من أمر الخلافة حتى أشتري سلامة جارية مصعب بن سهيل الزهري وحبابة جارية آل لاحق
المكية؟ فأرسل فاشترينا له. فلما اجتمعنا عنده قال: أنا الآن كما قال الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر

فلما توفي يزيد رثته سلامة فقالت وهي تنوح عليه هذا الشعر:

لا تلمنا إن خشعنا أو هممنا بخشوع

إذ فقدنا سيداً كا ن لنا غير مضيع

وهو كالليث إذا ما عد أصحاب الدروع

يقنص الأبطال ضرباً في مضي ورجوع

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدثنا الزبير والمدائني أن سلامة كانت لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، فاشتراها
يزيد بن عبد الملك، وكانت مغنية حاذقة جميلة ظريفة تقول الشعر، فما رأيت خصلاً أربعاً اجتمعن في امرأة
مثلها: حسن وجهها وحسن غنائها وحسن شعرها. قال: والشعر الذي كانت تغني به:

لا تلمنا إن خشعنا أو هممنا بخشوع

للذي حل بنا اليو م من الأمر الفظيع

وذكر باقي الأبيات مثل ما ذكره غيره.

قال إسحاق وحدثني الجمحي قال حدثنا من رأى سلامة تندب يزيد بن عبد الملك بمروية رثته بها، فما سمع
السامعون بشيء أحسن من ذلك ولا أشجى، ولقد أبكت العيون وأحرقت القلوب وأفتنت الأسماع، وهي:

يا صاحب القبر الغريب بالشأم في طرف الكتيب

بالشأم بين صفائح صم ترصف بالحبوب

لما سمعت أنينه وبكاءه عند المغيب

أقبلت أطلب طبه والداء يعضل بالطبيب

الشعر لرجل من العرب كان خرج بآبن له من الحجاز إلى الشأم بسبب امرأة هويها وخاف أن يفسد بحبها، فلما
فقدوها مرض بالشأم وضي فمات ودفن بها. كذا ذكر ابن الكلبي، وخبره يكتب عقب أخبار سلامة القس.
والغناء لسلامة ثقل أول بالوسطى عن حبش. وفيه لحكم رمل مطلق في مجرى البصر عن إسحاق. وفيه لحن
لابن غزوان الدمشقي من كتاب ابن خرداذبه غير مجنس.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الجمحي قال: حدثني من حضر الوليد بن يزيد

وهو يسأل سلامة أن تغنيه شعرها في يزيد وهي تتغصص من ذلك وتدمع عينها، فأقسم عليها فغنته؟ فما سمعت شيئاً أحسن من ذلك. فقال لها الوليد: رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سلامة!. ثم كان أبي يقدم عليك حباة؟ قالت: لا أدري والله!. قال لها، لكنني والله أدري! ذلك بما قسم الله لها. قالت: يا سيدي أجل.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني عبد الله بن عبد الملك الهداذي عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: سمعت نائحة مدنية تنوح بهذا الشعر:

كأخي الداء الوجيع

قد لعمري بت ليلي

بات أدنى من ضلوعي

ونجي الهم مني

دارساً فأضت دموعي

كلما أبصرت ربعاً

ن لنا غير مضيع

مقفرأ من سيد كا

والشعر للأحوص. والنوح لمعبد، وكان صنعه لسلامة وناحت به سلامة على يزيد. فلما سمعته منها استحسنته واشتهيته ولهجت به، فكنت أترنم به كثيراً. فسمع ذلك مني أبي فقال: ما تصنع بهذا؟ قلت: شعر قاله الأحوص وصنعه معبد سلامة وناحت به سلامة على يزيد. ثم ضرب الدهر، فلما مات الرشيد إذا رسول أم جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور. فسرت إليها، فبعثت إلي: إني قد جمعت بنات الخلفاء وبنات هاشم لننوح على الرشيد في ليلتنا هذه؟ فقل الساعة أبيتاً رقيقة واصنعن صنعة حسنة حتى أنوح بهن. فأردت نفسي على أن أقول شيئاً فما حضري وجعلت ترسل إلي تحثني، فذكرت هذا النوح فأريت أبي أصنع شيئاً، ثم قلت: قد حضري القول وقد صنعت فيه ما أمرت؟ فبعثت إلي بكينزة وقالت: طارحها حتى تطارحنه. فأخذت كينزة العود ورددته عليها حتى أخذته، ثم دخلت فطارحته أم جعفر، فبعثت إلي بمائة ألف درهم ومائة ثوب.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

فلم تتركاً للقس عقلاً ولا نفساً

لقد فتنت ريا وسلامة القسا

هلال وأخرى منهما تشبه الشمساً

فتاتان أما منهما فشبيهة ال

الشعر لعبد الله بن قيس الرقيات. والغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سريح ثقيل أول عن الهشامي. وزعم عمرو بن بانة أن خفيف الثقيل لحنين الحيري. وقيل: إن الثقيل الأول لدحمان.

ومنها الشعر الذي أوله:

أهابك أن أقول بذلت نفسي

أثَّلة جر جيرتك الزيالاً
فإني مستقبلك أثل لبي

وعاد ضمير ودكم خبالاً
ولب المرء أفضل ما استقالاً

أهابك أن أقول بذلت نفسي
حياء منك حتى سل جسمي

ولو أني أطيع القلب قالاً
وشق علي كتمانِي وطالاً

الشعر للقس. والغناء لمعبد خفيف ثقیل أول مطلق في مجرى البنصر. وفيه لمعبد ثقیل أول بالوسطی، أوله:

أهابك أن أقول بذلت نفسي

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا بكار بن رباح قال: كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار من بني جشم بن معاوية، وقد كانت أصابت جده منة من صفوان بن أمية، وكان يتزل مكة، وكان من عباد أهلها، فسمي القس من عبادته. فمر ذات يوم بسلامة وهي تغني فوقف فتسمع غناها. فرآه مولاها فدعاه إلى أن يدخله إليها فيسمع منها، فأبى عليه. فقال له: فإني أقعدك في مكان تسمع منها ولا تراها. فقال: أما هذا فنعم. فأدخله داره وأجلسه حيث يسمع غناها؟ ثم أمرها فخرجت إليه. فلما رآها علقت بقلبه فهام بها، واشتهر وشاع خبره بالمدينة. قال: وجعل يتردد إلى منزل مولاها مدة طويلة. ثم إن مولاها خرج يوماً لبعض شأنه وخلفه مقيماً عندها فقالت له: أنا والله أحبك! فقال لها: وأنا والله الذي لا إله إلا هو. قالت: وأنا والله اشتهي أن أعانقك وأقبلك! قال: وأنا والله. قالت: وأشتهي والله أن أضاجعك وأجعل بطني على بطنك وصدري على صدرك! قال: وأنا والله. قالت: فما يمنعك من ذلك؟ فوالله إن المكان لخال!. قال: يمنعني منه قول الله عز وجل: "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين" فأكره أن تحول مودتي لك عداوة، يوم القيامة. ثم خرج من عندها وهو يبكي؟ فما عاد إليها بعد ذلك. وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن المدائني قال: لما ملك يزيد بن عبد الملك حباة وسلامة القس تمثل:

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عيناً بالإياب المسافر

ثم قال: ما شاء بعد من أمر الدنيا فليفتني.

وإني ليرضيني قليل نوالكم

وإن كنت لا أرضى لكم بقليل

بحرمة ما قد كان بيني وبينكم

من الوصل إلا عدتم بجميل

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لسليمان الفراري. ولحنه المختار من الرمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه خفيف رمل أوله الثاني ثم الأول، ينسب إلى حكم الوادي وإلى سليمان أيضاً. وفيه لحن من الثقيل الأول! يقال: إنه لمخارق، ذكر حبش أن لحن مخارق ثاني ثقيل.

أخبار العباس بن الأحنف ونسبه

هو - فيما ذكر ابن النطاح - العثاص بن الأحنف بن الأسود بن طفحة ابن جدان بن كلداء من بني عدي بن حنيفة.

وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول: العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة بن هفيان من بني هفان بن الحارث بن الذهل بن الدول بن حنيفة. قال: وكان حاجب بن قدامة عم العباس من رجال الدولة.

قال محمد بن يحيى وحدثني أبو عبد الله الكندي قال حدثني محمد بن بكر الحنفي الشاعر قال حدثني أبي قال: سمعت العباس بن الأحنف يذكر أن هوزة بن علي الحنفي قد ولده من قبل بعض أمهاته.

وكان العباس شاعراً غزلاً ظريفاً مطبوعاً، من شعراء الدولة العباسية، وله مذهب حسن، ولدياجة شعره رونق، ولمعانيه عذوبة ولطف. ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء، ولا يتصرف في شيء من هذه المعاني.

وقدمه أبو العباس المبرد في كتاب الروضة على نظرائه، وأطنب في وصفه، وقال: رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه. قال: وكان العباس من الظرفاء، ولم يكن من الخلاء، وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً، وكان ظاهر النعمة ملوكي المذهب شديد التترف، وذلك بين في شعره. وكان قصده الغزل وشغله النسيب، وكان حلواً مقبولاً غزلاً غزير الفكر واسع الكلام كثير التصرف في الغزل وحده، ولم يكن هجاء ولا مداحاً.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان قال: سمعت إبراهيم بن العباس يصف العباس بن الأحنف، فقال: كان والله ممن إذا تكلم لم يجب سامعه أن يسكت، وكان فصيحاً جميلاً ظريف اللسان، لو شئت أن تقول كلامه كله شعر لقلت.

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: رأيت نسخاً من شعر العباس بن الأحنف بخراسان، وكان عليها مكتوب: "شعر الأمير أبي الفضل العباس".

أخبرني علي بن سليمان الأخطش قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثني صالح بن عبد الوهاب: أن العباس بن الأحنف كان من عرب خراسان، ومنشؤه ببغداد، ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحدثين، ولا تزال قد ترى له الشيء البارع جداً حتى تلحقه بالمحسنين.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا يموت بن المزرع قال: سمعت خالي "يعني الجاحظ" يقول: لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاماً وخاطراً ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوز، لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف، وما نعلم شاعراً لزم فناً واحداً لزومه فأحسن فيه وكثر. حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: أنشد الحرمازي أبو علي وأنا حاضر للعباس بن الأحنف:

لا جزى الله دمع عيني خيراً
و جزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيئاً
ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي
فاستدلوا عليه بالعنوان

- الغناء لعريب رمل - ثم قال الحرمازي: هذا والله طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرّون عليه.
أخبرني محمد قال حدثني حسين بن فهم قال سمعت العطوي يقول: كان العباس بن الأحنف شاعراً مجيداً غزلاً،
وكان أبو الهذيل العلاف ييغضه ويلعنه لقوله:

إذا أردت سلواً كان ناصركم
قلبي وما أنا من قلبي بمنتصر
فأكثرُوا أو أقلُوا من إساءتكم
فكل ذلك محمول على القدر

قال: فكان أبو الهذيل يلعنه لهذا ويقول: يعقد الكفر والفجور في شعره.
قال محمد بن يحيى: وأنشدني محمد بن العباس اليزيدي شعراً للعباس أظنه يهجو به أبا الهذيل - وما، سمعت للعباس
هجاء غيره:

يا من يكذب أخبار الرسول لقد
أخطأت في كل ما تأتي وما تذر
كذبت بالقدر الجاري عليك فقد
أتاك مني بما لا تشتهي القدر

حدثني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن سعيد عن الرياشي قال: قيل للأصمعي - أو قلت له - ما أحسن ما
تحفظ للمحدثين؟ قال: قول العباس بن الأحنف:

لو كنت عاتبة لسكن روعتي
أملى رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة
صد الملول خلاف صد العاتب

الغناء للعباس أخي بحر رمل.
أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن العباس اليزيدي قالا، واللفظ لهاشم، قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي
الأصمعي قال: دخل عمي على الرشيد والعباس بن الأحنف عنده، فقال العباسي للرشيد: دعني أعبث
بالأصمعي. قال له الرشيد: إنه ليس ممن يحتمل العبث. فقال: لست أعبث به عبثاً يشق عليه. قال: أنت أعلم.
فلما دخل عمي قال له: يا أبا سعيد، من الذي يقول:

إذا أحببت أن تص
نع شيئاً يعجب الناسا
فصور هاهنا فوزاً
وصور ثم عباسا
فإن لم يدنوا حتى
ترى رأسيهما راسا
كذب بها بما قاست
وكذبه بما قاسى

فقال له عمي يعرض بأنه نبطي: قاله الذي يقول:

إذا أحببت أن تبص
ر شيئاً يعجب الخلقا
فصور هاهنا دوراً
وصور هاهنا فلقا
فإن لم يدنوا حتى
تري خلقيهما خلقا
فكذبها بما لاقت
وكذبه بما يلقي

قال: فحجل العباس، وقال له الرشيد: قد هيتك فلم تقبل.

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن العباسي للعباس بن الأحنف:

قالت ظلوم سمية الظلم
مالي رأيتك ناحل الجسم
يا من رمى قلبي فاقصده
أنت العليم بموضع السهم

فقلت له: إن أبا حاتم السجستاني حكى عن الأصمعي أنه أنشد للعباس بن الأحنف:

أتأذنون لصب في زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضر السوء إن طال الجلوس به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

فقال الأصمعي: ما زال هذا الفتى يدخل يده في جرابه فلا يخرج شيئاً، حتى أدخلها فأخرج هذا، ومن أدمن طلب شيء ظفر ببعضه. فقال إبراهيم بن العباس: أنا لا أدري ما قال الأصمعي، ولكن أنشدك للعباس ما لا تدفع أنت ولا غيرك فضله، ثم أنشدني قوله:

والله لو أن القلوب كقلبها
مارق للولد الضعيف الوالد

وقوله:

لكن مللت فلم تكن لي حيلة
صد الملول خلاف صد العاتب

وقوله:

حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى
جاءت أمور لا تطاق كبار

ثم قال: هذا والله ما لا يقدر أحد على أن يقول مثله أبداً.

حدثني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال: كنا عند الحسن بن وهب فقال لبنان: غنيبي:

أتأذنون لصب في زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضر السوء إن طال الجلوس به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

قال: فضحكت ثم قالت: فأني خير فيه إن كان كذا أو أي معنى! فحجل الحسن من نادرتهما عليه، وعجبنا من حدة جوابها وفطنتها.

حدثني الصولي قال: أخبرنا أحمد بن إسماعيل النصيبيني قال سمعت سعيد بن جندب يقول: ما أعرف أحسن من شعر العباس في إخفاء أمره حيث يقول:

أريدك بالسلام فأنتقيهم
فأعمد بالسلام إلى سواك
وأكثر فيهم ضحكي ليخفي
فسني ضاحك والقلب بالك

حدثني الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني خالي أحمد بن حمدون قال: كان بين الوراق وبين بعض جواريه شر فخرج كسلان، فلم أزل أنا والفتح بن خاقان نحتال لنشاطه، فراني أضاحك الفتح فقال: قاتل الله ابن الأحنف حيث يقول:

عدل من الله أبكاني وأضحكها
فالحمد لله عدل كل ما صنعا
اليوم أبكي على قلبي وأندبه
قلب ألح عليه الحب فانصدعا

فقال الفتح: أنت والله يا أمير المؤمنين في وضع التمثل موضعه أشعر منه وأعلم وأظرف. أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلي عن أبيه قال: قالت للوراق جارية له كان يهواها وقد جرى بينهما عتب: إن كنت تستطيل بعز الخلافة فأنا أدل بعز الحب. أترأى لم تسمع بخليفة عشق قبلك قط فاستوفى من معشوقه حقه، ولكني لا أرى لي نظيراً في طاعتك. فقال الوراق: لله در ابن الأحنف حيث يقول:

أما تحسبيني أرى للعاشقين
بلى، ثم لست أرى لي نظيراً
لعل الذي بيديه الأمور
سيجعل في الكره خيراً كثيراً

حدثني الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلي قال: سمعت الزبير يقول: ابن الأحنف أشعر الناس في قوله:

تعتل بالشغل عنا ما تكلمنا
الشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ويقول: لا أعلم شيئاً من أمور الدنيا خيرها وشرها إلا وهو يصلح أن يتمثل فيه بهذا النصف الأخير. حدثني الصولي قال حدثني محمد بن سعيد عن حماد بن إسحاق قال: كان أبي يقول: لقد ظرف ابن الأحنف في قوله يصف طول عهده بالنوم:

قفا خبراني أيها الرجلان
عن النوم إن الهجر نهاني
وكيف يكون النوم أم كيف طعمه
صفا النوم لي إن كنتما تصفان

قال: على قلة إعجابه بمثل هذه الأشعار.

حدثني الصولي قال حدثني ميمون بن هارون بن مخلد قال حدثنا أحمد بن إبراهيم قال: رأيت سلمة بن عاصم

ومعه شعر العباس بن الأحنف، فعجبت منه وقلت: مثلك - أعزك الله - يحمل هذا! فقال: ألا أحل شعر من يقول:

أسأت أن أحسنت ظني
بكم والحزم سوء الظن بالناس
يقلقني الشوق فآتيكم
والقلب مملوء من اليأس

غنى هذين البيتين حسين بن محرز خفيف رمل بالوسطى. وأول الصوت:

يا فوز يا منية عباس
واحربا من قلبك القاسي
وروى أحمد بن إبراهيم قال: أتاني أعراي فصيح ظريف، فجعلت أكتب عنه أشياء حسناً، ثم قال: أتشدني لأصحابكم الحضريين. فأنشدته للعباس بن الأحنف:

ذكرتك بالتفاح لما شممته
وبالراح لما قابلت أوجه الشرب
تذكرت بالتفاح منك سوالفاً
وبالراح طعماً من مقبلك العذب

فقال: هذا عندك وأنت تكتب عني! لا أنشدك حرفاً بعد هذا.
فضل العباس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق: وحدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل يقول:

سبحان رب العلا ما كان أغفلني
عما رمتني به الأيام والزمن
من لم يذق فرقة الأحباب ثم يرى
آثارهم بعدهم لم يدر ما الحزن

قال أبو بكر: وقد غنى عبد الله بن العباس فيه صوتاً خفيف رمل.
حدثني الصولي قال! حدثنا ميمون بن هارون قال: سمعت حسين بن الضحاك يقول: لو جاء العباس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعذر، وهو قوله:

لعمرك ما يستريح المحب
حتى يبوح بأسراره
فقد يكتم المرء أسرارَه
فتظهر في بعض أشعاره

ثم قال: أما قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدمه فيه أحد فهو:

الحب أملك للفؤاد بقره
وإذا بدا سر اللبيب فإنه
من أن يرى للستر فيه نصيب
لم يبد إلا والفتى مغلوب

أخبرني الصولي قال حدثني الغلابي قال حدثني الزبير بن مجار قال قال أبو العتاهية: ما حسدت أحداً إلا العباس بن الأحنف في قوله:

إذا امتنع القريب فلم تتله

على قرب فذاك هو البعيد

فإني كنت أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره. فقلت له: صدقت، هو يشبه شعرك.
أخبرني الصولي قال حدثني أبو الحسن الأنصاري قال: سمعت الكندي يقول: العباس بن الأحنف مليح ظريف
حكيم جزل في شعره، وكان قليلاً ما يرضيني الشعر. فكان ينشد له كثيراً:

ألا تعجبون كما أعجب

حبيب يسيء ولا يعتب

وأبغي رضاه على سخطه

فيأبى علي ويستصعب

فيا ليت حظي إذا ما أسأ

ت أنك ترضى ولا تغضب

كان إبراهيم الموصلي مشغولاً بشعره كثير الغناء فيه: أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثني حماد
بن إسحاق قال: كان جدي إبراهيم مشغولاً بشعر العباس، فتغنى في كثير من شعره، فذكر أشعاراً كثيرة
حفظت منها:

وقد ملئت ماء الشباب كأنها

قضييب من الريحان ريان أخضر

هم كتموني سيرهم حين أزمعوا

وقالوا أتعدنا للرواح وبكروا

ذكر الهشامي أن اللحن في هذين البيتين لعلوية رمل، وفي كتاب ابن المكي أنه لابن سريح، وهو غلط.
وقد أخبرني الحسن بن علي عن الحسين بن فهم قال: أنشد المأمون قول عباس بن الأحنف:

هم كتموني سيرهم حين أزمعوا

وقالوا أتعدنا للرواح وبكروا

فقال المأمون: سخروا بأبي الفضل.

قال: وحفظت منها:

تمنى رجال ما أحبوا وإنما

تمنيت أن أشكو إليك وتسمعا

أرى كل معشوقين غيري وغيرها

قد أستعذبا طول الهوى وتمتعا

الغناء لإبراهيم ثقل أول بالبنصر. وفيه ثقل أول بالوسطى ينسب إلى يزيد حوراء وإلى سليم بن سلام.
قال وحفظت منها:

بكت عيني لأنواع

من الحزن وأوجاع

وأنى كل يوم عن

دكم يحظى بي الساعي

أعيش الدهر إن عشت

بقلب منك مرتاع

وإن حل بي البعد

سينعاني لك الناعي

الغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقليل بالوسطى عن عمرو. وفي كتاب إبراهيم بن المهدي الذي رواه الهشامي عنه أن إبراهيم بن المهدي فيه لحنين: ثقيلاً أول وماخورياً. وفيه هزج محدث. أخبرني الصولي قال حدثنا أصحابنا عن محمد بن الفضل عن حماد بن إسحاق قال: ما غنى جدي في شعر أحد من الشعراء أكثر مما غنى في شعر ذي الرمة وعباس بن الأحنف. أخبرني الصولي قال! حدثني محمد بن عبد الله التميمي قال: كنا في مجلس ابن الأعرابي، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يلزم ابن الأعرابي، وكان يحبه ويأنس به، فقال له: ما أحرك عني؟ فاعتذر بأشياء ثم قال: كنت مع مخارق عند بعض بني الرشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غناه به، فاستكثر ذلك ابن الأعرابي واستهاله وعجب منه، وقال: ما هو؟ قال: غناه بشعر عباس بن الأحنف.

من الحزن وأوجاع

دكم يحظى بي الساعي

بكت عيني لأنواع

وأني كل يوم عن

فقال ابن الأعرابي: أما الغناء فما أدري ما هو، ولكن هذا والله كلام قريب مليح. حدثني الصولي قال حدثنا محمد بن الهيثم قال حدثني محمد بن عمرو الرومي قال: كنا عند الوراق فقال: أريد أن أصنع لحناً في شعر معناه أن الإنسان كائناً من كان لا يقدر على الاحتراس من عدوه، فهل تعرفون في هذا شيئاً؟ فأنشدنا ضروباً من الأشعار فقال: ما جئتم بشيء مثل قول عباس بن الأحنف:

يكثر أسقامي وأوجاعي

إذا كان عدوي بين أضلاعي

لما سعى بي عندها الساعي

يوشك أن ينعاني الناعي

قلبي إلى ما ضرني داعي

كيف احتراسي من عدوي

أسلمني للحب أشياءي

لقلما أبقى على كل ذا

قال: فعمل فيه الوراق لحنه الثقيل الأول، النشيد بالوسطى حدثني الصولي قال حدثني محمد بن موسى أو حدثت به عنه عن علي بن الجهم قال: انصرفت ليلة من عند المتوكل، فلما دخلت منزلي جاءني رسوله يطلبني، فراعني ذلك وقلت: بل تتبعت به بعد انصرافي، فرجعت إليه وجلاً، فأدخلت عليه وهو في مرقده. فلما رأي ضحك، فأيقنت بالسلامة، فقال: يا علي، أنا مذ فارقتك ساهر، خطر على قلبي هذا الشعر الذي يغني فيه أخي، قول الشاعر:

قلبي إلى ما ضرني داعي

الآيات. فحرصت أن أعمل مثل هذا فلم يجئني، أو أن أعمل مثل اللحن فما أمكنني؟ فوجدت في نفسي نقصاً، فقلت: يا سيدي، كان أخوك خليفة يغني وأنت خليفة لا تغني، فقال: قد والله أهديت إلى عيني نوماً، أعطوه

ألف دينار، فأخذتها وانصرفت.

وجدت في كتاب الشاهيني بغير إسناد: أنشد أبو الحارث حمير قول العباس بن الأحنف.

قلبي إلى ما ضرني داعي

الآيات. فبكي ثم قال: هذا شعر رجل جائع في جارية طباحة مليحة، فقلت له: من أين قلت ذاك؟ قال: لأنه بدأ فقال: قلبي إلى ما ضرني داعي وكذلك الإنسان يدعوه قلبه وشهوته إلى ما يضره من الطعام والشراب فيأكله، فتكثر عله وأوجاعه، وهذا تعريض، ثم صرح فقال:

إذا كان عدوي بين أضلاعي

كيف احتراسي من عدوي

وليس للإنسان عدو بين أضلاعه إلا معدته، فهي تلتف ماله، وهي سبب أسقامه، وهي مفتاح كل بلاء عليه-، ثم قال:

أوشك أن ينعاني الناعي

إن دام لي هجرك يا مالكي

فعلمت أن الطباحة كانت صديقتي، وأنها هجرته ففقدتها وفقد الطعام، فلو دام ذلك عليه مات جوعاً ونعاه الناعي.

وحدثني الصولي قال حدثني محمد بن عيسى قال: جاء عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع إلى الحسن بن وهب، وعنده بنان جارية محمد بن حماد، وهي نائمة سكرى وهو ييكي عندها. فقال له: مالك؟ قال: قد كنت نائماً فجاءتني فأنيهتني وقالت: اجلس حتى تشرب فجلست، فوالله ما غنت عشرة أصوات حتى نامت وما شربت إلا قليلاً، فذكرت قول أشعر الناس وأظرفهم، العباس بن الأحنف.

حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا

أبكي الذين أذاقوني مودتهم

فأنا أبكي وأنشد هذا البيت.

وحدثني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول: ما رأيت كلاماً محدثاً أحزل في رقة، ولا أصعب في سهولة، ولا أبلغ في إيجاز، من قول العباس بن الأحنف:

كلانا على طول الجفاء ملوم

تعالى نجدد دارس العهد بيننا

قال الصولي: ووجدت بخط عبد الله بن الحسن: أنشد أبو محمد الحسن بن مخلد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس بن الأحنف:

يبذل وإن عوتب لم يعتب

إن قال لم يفعل وإن سيل لم

لا تشرب البارد لم أشرب

صب بعصيانى ولو قال لي

من صد هذا المذنب المغضب

إليك أشكو رب ما حل بي

غنى في هذه الأبيات أحمد بن صدقة هزجاً بالوسطى. وفيها لحن آخر لغيره - قال الحسن بن مخلد: ثم قال لي إبراهيم بن العباس: هذا والله الكلام الحسن المعنى، السهل المورد، القريب المتناول، المليح اللفظ، العذب المستمع. حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلب قال: سمعت علي بن يحيى يقول: من الشعر المرزوق من المغنين خاصة شعر العباس بن الأحنف، وخاصة قوله:

نائم من أهدى لي الأرقا

مستريحاً سامني قلقا

فإنه غنى فيه جماعة من المغنين، منهم إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وغيرهما. قال: وكان يستحسن هذا الشعر، وأظن استحسانه إياه حملة على أن قال في رويه وقافيته:

بأبي والله من طرقا

كابتسام البرق إذ خفقا

وعمل فيه لحناً من خفيف الثقيل في الإصبع الوسطى. هكذا رواه الصولي. وأخبرني جحظة قال حدثني حماد بن إسحاق قال: قال أبي: هذا الصوت:

نام من أهدى لي الأرقا

من الأشعار المخطوطة في الغناء لكثرة ما فيه من الصنعة واشتراك المغنين في ألحانه. وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون أنه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق.

نام من أهدى لي الأرقا

مستريحاً زادني قلقا

لو يبيت الناس كلهم

بسهادي ببض الحدقا

كان لي قلب أعيش به

فاصطلى بالحب فاحترقا

أنا لم أرزق مودتكم

إنما للعبد ما رزقا

لإسحاق في هذا الشعر خفيف بالوسطى في مجراها. ولأبيه إبراهيم أيضاً فيه خفيف ثقيل آخر. ولابن جامع فيه لحنان: رمل مطلق في مجرى الوسطى في الأول والثالث، وخفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى أيضاً في الأبيات كلها. وفيه لسليم هزج، وفيه لعلويه ثقيل أول.

بأبي والله من طرقا

كابتسام البرق إذ خفقا

زادني شوقاً بزورته

وملا قلبي به حرقا

من لقلب هائم دنف

كلما سلبته قلقا

زارني طيف الحبيب فما

زاد أن أغرى بي الأرقا

الشعر لعلي بن يحيى، وذكر الصولي أن الغناء له خفيف ثقيل أول بالوسطى.
وذكر أبو العبيس بن حمدون أن هذا الخفيف الثقيل من صنعته. وفيه لعريب ثاني ثقيل بالوسطى أيضاً.
حدثني الصولي قال: سمعت عبد الله بن المعتز يقول: لو قيل: ما أحسن شيء تعرفه؟ قلت: شعر العباس بن الأحنف:

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا

فكاذب قد رمى بالحب غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا

قال: وللمسدود في هذا الشعر لحن. قال: ولم يغن المسدود أحسن من غنائه في شعر العباس بن الأحنف. هكذا ذكر الصولي، ولم يأت بغير هذا. ولإسحاق في هذين البيتين ثقيل أول بالبنصر من نسخة عمرو بن بانه الثانية. ولابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامي. وليزيد حوراء خفيف ثقيل عنه. وللمسدود رمل. ولعبد الله بن العباس الربيعي خفيف رمل.

وأخبرني الصولي قال حدثني محمد بن سعيد قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غضب الفضل بن الربيع على جارية له كانت أحب الناس إليه، فتأخرت عن استرضائه، فغمه ذلك، فوجه إلى أبي يعلمه ويشكوها إليه. فكتب إليه أبي: لك العزة والشرف، ولأعدائك الذل والرغم. واستعمل قول العباس بن الأحنف:

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم

فإنك إلا تغفر الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

فقال: صدقت، وبعث إليها فترضاها.

أخبرني الصولي قال حدثني أبو بكر بن أبي خيثمة قال: قيل لمصعب الزبيري: إن الناس يستبردون شعر العباس بن الأحنف. فقال: لقد ظلموه، أليس الذي يقول:

قالت ظلوم سمية الظلم مالي رأيتك ناكل الجسم

يا من رمى قلبي فأقصده أنت العلیم بموقع السهم

أخبرني الصولي قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني أبو عبد الله الهشامي الحسن بن أحمد قال حدثنا عمرو بن بانه قال: كنا في دار أم جعفر جماعة من الشعراء والمغنين، فخرجت جارية لها وكمها مملوء دراهم، فقالت: أيكم القائل:

من ذا يعيرك عينة تبكي بها أرأيت عينا للبكاء تعار

فأومئ إلى العباس بن الأحنف، فنثرت الدراهم في حجره فنفضها فلقطها الفراشون، ثم دخلت ومعها ثلاثة نفر من الفراشين على عنق كل فراش بدرة فيها دراهم، فمضوا بها إلى منزل العباس بن الأحنف: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى قال: أنشد الرشيد قول العباس بن الأحنف:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها

فقال: من لا صحبه الله ولا حاطه.

حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال: كنا مع مخلد الموصلي في مجلس وكان معنا عبد الله بن ربيعة الزقي، فأنشد مخلد الموصلي قصيدة له يقول

ليس لي بالفراق منك يدان

كل شيء أقوى عليه ولكن

فجعل يستحسنه ويردده، فقال له عبد الله: أنت الفداء لمن ابتداء هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول:

وكستني من الهموم ثيابا

سلبتني من الشرور ثياباً

فتحت لي إلى المنية بابا

كلما أغلقت من الوصل باباً

د فما ذقت كالصدود عذابا

عذبيني بكل شيء سوى الص

قال: فضحك الموصلي. والشعر للعباس بن الأحنف.

وأخبرني الصولي قال حدثني أبو الحسن الأسدي قال: سمع الرياشي يقول، وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف: والله لو لم يقل من الشعر إلا هذين البيتين لكفيا:

نال به العاشقون من عشقوا

أحرم منكم بما أقول وقد

تضيء للناس وهي تحترق

صرت كأني ذبالة نصبت

وفي هذين البيتين لحن لعبد الله بن العباس من الثقل الثاني بالبنصر. وفيه لخروج رمل أول عن عبد الله بن العباس:

ولا تعلمين ما الأرق

أنت لا تعلمين ما الهم والحزن

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال: حدثني محمد بن يزيد المبرد قال حدثني بعض مشايخ الأزدي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: كان الرشيد يقدم أبا العتاهية حتى يجوز الحد في تقديمه، وكنت أقدم العباس بن الأحنف؟ فاغتابي بعض الناس عند الرشيد وعابني عنده، وقال عقب ذلك: وبحسبك يا أمير المؤمنين أنه يخالفك في العباس بن الأحنف على حادثة سنة وقلة حذقه وتجريه، ويقدمه على أبي العتاهية مع ميلك إليه. وبلغني الخبر فدخلت على الرشيد، فقال لي ابتداء: أيما أشعر عندك: العباس بن الأحنف أو أبو العتاهية؟ فعلمت الذي يريد، فأطرقت كأني مستثبت ثم قلت: أبو العتاهية أشعر. قال: أنشدني لهذا ولهذا، قلت: فبأيهما أبدأ؟ قال: بالعباس. قال: فأنشدته أجود ما أرويه للعباس، وهو قوله:

نال به العاشقون من عشقوا

أحرم منكم بما أقول وقد

فقال لي: أحسن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدته أضعف ما أقدر عليه، وهو قوله:

كأن عتابة من حسننها دمية قس فتنتت قسها
يا رب لو أنسيتها بما في جنة الفردوس لم أنسها
إني إذا مثل التي لم تزل دائبة في طحنها كدسها
حتى إذا لم يبق منها سوى حفنة بر قتلت نفسها

قال: أتعيره هذا! فأين أنت عن قوله:

قال لي أحمد ولم يدر ما بي أتحب الغداة عتبة حقاً
فتنفست ثم قلت نعم حب أ جرى في العروق عرقاً فعرقاً

ويحك! أتعرف لأحد مثل هذا، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله: "فتنفست ثم قلت كذا وكذا"! اذهب ويحك فاحفظها، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، ولو كنت سمعت بها لحفظتها. قال إسحاق: وما أشك إن كنت أحفظ لها حينئذ من أبي العتاهية، ولكني إنما أنشدت ما أنشدت تعصباً.

قال محمد بن يزيد: وحدثت من غير وجه أن الرشيد ألف العباس بن الأحنف؟ فلما خرج إلى خراسان طال مقامه بها، ثم خرج إلى أرمينية والعباس معه ماشياً إلى بغداد، فعارضه في طريقه فأنشده:

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القبول فقد جئنا خراسانا
ما أقدر الله أن يدني على شحط سكان دجلة من سكان جيحان
متى الذي كنت أرجوه وآمله أما الذي كنت أخشاه فقد كانا
عين الزمان أصابتنا فلا نظرت وعذبت بصنوف الهجر ألوانا

في هذين البيتين الأخيرين رمل بالوسطى ينسب إلى مخارق وإلى غيره - قال فقال له الرشيد: قد أشتقت يا عباس وأذنت لك خاصة، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

أخبرني الصولي قال حدثنا محمد بن القاسم قال: سمعت مصعباً الزيري يقول: العباس بن الأحنف وعمرو العراف ما ابتدلا شعرهما في رغبة ولا رهبة، ولكن فيما أحباه، فلزما فناً واحداً لو لزمه غيرهما ممن يكثر إكثارهما لضعف فيه.

توهمت بالخيف رسماً محيلاً لعزة تعرف منه الطلولا
تبذل بالحي صوت الصدى ونوح الحمامة تدعو هديلاً

عروضه من المتقارب. الخيف الذي عناه كثير ليس بخيف مني، بل هو موضع آخر في بلاد ضمرة. والطلول: جمع طلل، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار. والرسم ما لم يكن له شخص أو جسم، والصدى

هاهنا: طائر، وفي موضع آخر: العطش. ويزعم أهل الجاهلية أن الصدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصبح أسقوني، حتى يدرك بثأره. قال طرفة:

كريم يروي نفسه في حياته ستعلم إن متنا صدى أينما الصدي

والحمام: القماري ونحوها من الطير. والهديل: أصواتها.

الشعر لكثير والغناء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، ونسبه إلى جاريته وكنى عنها، فذكر أن الصنعة لبعض من كثرت دربته بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت، وذكر أن طريقته من الثقل الأول، وأنه ليس يجوز أن ينسبه إلى موضع إصبع مفردة، لأن ابتداءه على المثني مطلقاً، ثم بسبابة المثني، ثم وسطى المثني، ثم بنصر المثني، ثم خنصر المثني، ثم سبابة الزير، ثم وسطاه، ثم بنصره، ثم خنصره، ثم النغمة الحادة، وهي العاشرة. وفيه لابن محرز ثاني ثقل مطلق في مجرى البنصر. وفيه لابن الهزبد رمل بالوسطى عن عمرو، وهذا الصوت من الثقل الثاني، وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النغم وعللها أن لحن ابن محرز فيه يجمع ثمانية من النغم العشر، وأنه لا يعرف صوتاً يجمعها غيره، وأنه يمكن من كان له علم ثاقب بالصناعة أن يأتي في صوت واحد بالنغم العشر، بعد تعب طويل ومعاناة شديدة. وذكر عبید الله أن صانع هذا الصوت الذي كنى عنه فعل ذلك وتلطف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متوالية من أولها إلى آخرها، وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرقة على غير توال إلا أنها كلها فيه، وذكر أن ذلك الصوت أحسن مسموعاً وأحلى. وحكى ذلك أيضاً عنه يحيى بن علي بن يحيى في كتاب النغم. وإذا فرغت من حكاية ما ذكره وحكاية عبید الله في نسبة هذا الصوت فقد ينبغي أخرى الأمر فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاية. والذي وصفه من جهة النغم العشر متوالية في صوت واحد محال لا حقيقة له، ولا يمكن أحداً بته أن يفعله. وأنا أبين العلة في ذلك على تقريب، إذ كان استقصاء شرحها طويلاً. وقد ذكرته في رسالة إلى بعض إخواني في علل النغم، وشرحت هناك العلة في أن قسم الغناء قسمين وجعل على مجريين: الوسطى والبنصر دون غيرهما، حتى لا يدخل واحدة منهما على صاحبتهما في مجراها قرب مخرج الصوت، إذا كان على الوسطى منه أو إذا كان على البنصر وشبهه به. فإذا أراد مرید إلحاق هذا بهذا لم يمكنه بته على وجه ولا سبب، ولا يوجد في استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأخرى. وإذا أتبع إحداهما بالأخرى في ناي أو آلة من آلات الزمر تفضلت إحداهما بالأخرى. وإنما قلت النغم في غناء الأوائل لأنهم قسموها قسمين بين هاتين الإصبعين، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأخرى في طريقتهما لم يكن ذلك إلا بعد أن يفصل بينهما بنغم أخرى للسبابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافة بينهما، ثم لا يكون. لذلك الغناء ملاحاة ولا طيب للمضادة في الجريين، فتركوه ولم يستعملوه، فإن كان صح لعبيد الله عمل في النغم العشر في صوت، فلعله صح له في الصوت الذي ذكر أنه فرقها فيه؟ فأما المتوالية - على ما ذكره هاهنا - فمحال، ولست أقدر في هذا الموضع على شرح أكثر من هذا، وهو في الرسالة التي ذكرتها مشروح.

يا دار عبلة من مشارق مأسل

درس الشؤون وعهدها لم ينجل

واستبدلت عفر الظباء كأنما

أبعارها في الصيف حب الفلفل

ذكر يحيى بن علي أن الشعر لعنترة بن شداد، وليس ذلك بصحيح. وذكر غيره من الرواة أنه لعبد قيس بن خفاف البرجمي، وليس ذلك بصحيح أيضاً، والشعر لحارثة بن بدر الغداني من قصيدة له طويلة يفتخر فيها ويذكر سالف أيامه. وقد ذكرت المختار منها بعقب أخبار حارثة وبعد انقضائها. والغناء المختار لأبي دلف العجلي، ولحنه في المختار ثقيل أول، وفيه ألحان كثيرة.

حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة بن يربوع.

وقال خالد بن حبل: حارثة بن بدر بن مالك بن كليب بن غدانة بن يربوع.

وأم حارثة بن بدر امرأة من بني صريم بن الحارث، يقال لها: الصدوف، بنت صدى.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية المنقري، قال: مر عمرو بن الأهمم بحارثة بن بدر، والأحنف بن قيس، وزيد بن جبلة، وهم مجتمعون، فسلم عليهم، ثم بقي مفكراً، فقالوا: مالك؟ فقال: ما في الأرض ثلاثة أنجب من آبائكم، حيث جاؤوا بأمثالكم من أمثال أمهاتكم فضحكوا منه.

قال: وأم الأحنف: الزافرية، واسمها حى، من باهلة، وأم زيد بن جبلة: عمرة بنت حذلم، من بني الشعيراء. وأم حارثة: الصدوف بنت صدى، من بني صريم بن الحارث.

وقد مضى نسب بني يربوع في نسب جرير وغيره أمن عشيرته، من هذا الكتاب.

وفي بني غدانة يقول الفرزدق:

أبني غدانة إنني حررتكم

فوهبتكم لعطيه بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم

من بين الأم أعين وسبال

وكان عطية استوهب منه أعراضهم لصهر كان بينه وبينهم، وكان عطية سيداً من سادات بني تميم. فلما سمع هذا الشعر قال: والله لقد أمتن علي أبو فراس بهذه الهبة وما تممها حتى ارتجعها، ووصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم.

قال: وكان عطية هذا جواداً وفيه يقول جرير:

إن الجواد على المواطن كلها

وابن الجواد عطية بن جعال

يهب النجائب لا يمل عطاءها

والمقربات كأنهن سعالى

وحارثة بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها أو جوداتها، وأحسب أنه قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في حال صباه وحداثته. وهو من ولد بني الأحنف بن قيس، وليس بمعدود في فحول الشعراء، ولكنه كان يعارض نظراءه الشعر، وله من ذلك أشياء كثيرة ليست مما يلحقه بالمتقدمين في الشعر والمتصرفين في فنونه. أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: أنبأنا عمر بن شبة، قال: أنبأنا المدائني، قال: كان زياد مكرماً لحارثة بن بدر، قابلاً لرأيه، محتملاً لما يعلمه من تناوله الشراب. فلما ولي عبيد الله بن زياد آخر حارثة بعض التأخير، فعاتبه على ذلك. فقال له عبيد الله: إنك تتناول الشراب. فقال له: قد كان أبوك يعلم هذا مني، ويقربني ويكرمني. فقال له: إن أبي كان لا يخاف من القالة في تقريبك ما أخاف، وإن اللسان إلي فيك لأسرع منه إلى أبي. فقال حارثة:

وكم من أمير قد تجبر بعدما
مررت له الدنيا بسيفي فدرت
إذا ما هي احلولت نفى حق مقسمي
وتقسم لي منها إذا ما أمرت
إذا زبنته عن فواق يريده
دعيت ولا أدعى إذا ما أقرت

وقال حارثة بن بدر أيضاً، وقد شاوره عبيد الله في بعض الأمر:

أهان وأقصى ثم ينتصحووني
ومن ذا الذي يعطى نصيحته قسرا
رأيت أكف المصلتين عليكم
ملاء وكفي من عطاياكم صفرا
متى تسألوني ما علي وتمنعوا
الذي لي لم أسطع على ذلكم صبرا

فقال له عبيد الله: فإني معوضك وموليك، فولاه.

أخبرني يحيى بن علي إجازة، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، قال: قال لي أبو اليقظان: حول زياد دعوة حارثة بن بدر وديوانه في قريش، لمكانه منه، فقال فيه، رجل من بني كليب يهجو به بذلك:

شهدت بأن حارثة بن بدر
غداني اللهازم والكلام
سجاح في كتاب الله أدنى
له من نوفل وبني هشام

يعني سجاح، التي ادعت النبوة وهي امرأة من بني تميم قال أحمد بن يحيى: وقال المدائني: احترقت دار حارثة بن بدر بالبصرة، أحرقها بعض أعدائه من بني عمه، فقال في ذلك:

رأيت المنايا بادئات وعوداً
إلى دارنا سهلاً إليها طريقها
لها نبعة كانت تقينا فروعها
فقد تلفت إلا قليلاً عروقتها

أحار بن بدر وأنت أمرؤ
متى كان مالك لي مغنماً
لعمري المتاع إلي الحبيب
من الدهر إن أعوزتني الكسوب
وشر الأخلاء عند البلاء
وعند الرزية خل كذوب

قال: فتهادى أنس وحارثة الشعر عند عبيد الله زماناً، ووقع بينهما شر حتى قدم سلم بن زياد من عند يزيد بن معاوية عاملاً على خراسان وسجستان، فجعل ينتخب ناساً من أهل البصرة والكوفة، وكان الذي بين عبيد الله وبين سلم شيئاً، فأرسل سلم إلى أنس يعرض عليه صحبته وجعل له أن يستعمله على كورة، فقال له أنس: أمهلني حتى أنظر في أمري، وكتب إلى عبيد الله بن زياد.

ألم ترني خيرت والأمر واقع
رضاك على شيء سواه ومن يكن
فعدت لترضى عن جهاد وصاحب
على أحد الثغرين ثم تركته
فأمسكت عن سلم عناني وصحبتني
فان كنت لما تدر ما هي شيمتي
ألست مع الإحسان والجود ذا غنى
ورأي وقد أعصى الهوى خشية الردى
وما كنت لولا ذاك ترتد بغبتي
فما كنت لما قلت بالمتخير
إذا اختار ذا حزم من الأمر يظفر
شفيق قديم الود كان موقري
وقد كنت في تأميره غير ممثري
ليعرف وجه العذر قبل التعذر
فسل بي أكفائي وسل بي معشري
وبأس إذا ما كفروا في التستر
وأعرف غب الأمر قبل التدبر
على ارتداد المظلم المتجبر

قال: ودفعها إلى عبيد الله بن زياد، في صحيفة، فقرأها ثم دفعها إلى حارثة بن بدر، وقال له: أردد على أنس صحيفته فلا حاجة لنا فيها. فقال حارثة:

ألكني إلى من قال هذا وقل له
وإنك لو صاحبت سلماً وجدته
أنتصح لي يوماً ولست بناصح
كذبت ولكن أنت رهن بخزية
كأشقر أضحى بين رمحين إن مضى
على الرمح ينحر أو تأخر يعقر
كذبت فما إن أنت بالمتخير
كعهذك عهد السوء لم يتغير
لنفسك فاغشش ما بدا لك أو ذر
ويوم كأيام عبوس مذكر

قال: وأعجبت عبيد الله، وقال: لعمري لقد أحبته. على إرادتي وأمسك عبيد الله في يده الصحيفة، فلما دخل عليه أنس دفعها إليه، فنظر فيها، ثم قال لعبيد الله: لقد رد علي من لا أستطيع جوابه. وظن أن عبيد الله قالها،

وخرج أنس والصحيفة في يده، فلقى عبد الرحمن بن رألان فدفعها إليه أنس، فلما قرأها قال: هذا شعر حارثة بن بدر، أعرفه. فقال له أنس: صدقت والله، ثم قال لحارثة:

عجبت لهرج من زمان مضلل	ورأي لألباب الرجال مغير
ومن حقبة عوجاء غول تلبست	على الناس جلد الأربد المتممر
فلا يعرف المعروف فيه لأهله	وإن قيل فيه منكر لم ينكر
لحارثة الهدي الخنى لي ظالماً	ولم أر مثل مدر صيد مدري
لحار بن بدر قد أنتني مقالة	فما بال نكر منك من غير منكر
أبروي عليك الناس ما لا تقوله	فتعذر أم أنت أمرؤ غير معذر

فإن يك حقاً ما يقال فلا يكن	دبيباً وجاهرني فما من تستر
أقلدك إن كنت امرءً خان عرضه	قوافي من باقي الكلام المشهر
وقد كنت قبل اليوم جزبت أنني	أشق على ذي الشعر والمنتشر
وأن لساني بالقصائد ماهر	تعن له غر القوافي وتنبري
أصادفها حيناً يسيراً وأبتغي	لها مرة شزراً إذا لم تيسر
تتاولني بالشتم في غير كنهه	فمهلاً أبا الخيماء وابن المعذر
هجوت وقد ساماك في الشعر خطة ال	ذليل ولم يفعل كأفعال منكر

قال: وقال أنس بن زعيم لعبيد الله بن زياد، وفيه غناء:

سل أميري ما الذي غيره	عن وصالي اليوم حتى ودعه
لا تهني بعد إكرامك لي	فشديد عادة منتزعه
لا يكن وغدك برقاً خلباً	إن خير البرق ما الغيث معه

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: زعم عاصم بن الحدثان أن حارثة بن بدر قال لعبيد الله بن ظبيان، وكانا في عرس لابن مسمع: هل لك في شراب؟ قال: نعم، فأتيا بنبيذ من زبيب وعسل، فأخذ ابن ظبيان العس فكرع فيه حتى كاد يأتي عليه، ثم ناوله حارثة. فقال له حارثة: يا بن ظبيان، إنك لطب بحسوها. فقال: أجل، والله إني لأشربها حالاً وأجاهر بها إذا أخفى غيري شرب الحرام. فقال له حارثة: من غيرك هذا؟ قال: سألني عن هذا الأمر. فقال حارثة:

إذا كنت ندماني فخذها وسقني
 ودع عنك من رآك تكرر في الخمر
 فإني امرؤ ولا أشرب الخمر في الدجا
 ولكنني أحسو النبيذ من التمر
 حيا وتقاً لله والله عالم
 بكل الذي نأتيه في السر والجهر
 ومثلك قد جربته وخبرته
 أباً مطر والحين أسبابه تجري
 حساها كمستدمى الغزال عتيقة
 إذا شعشت بالماء طيبة النشر
 أقام عليها دهره كل ليلة
 يشافها حتى يرى وضح الفجر
 فأصبح ميتاً ميتة الكلب صحكة
 لأصحابه حتى يدهده في القبر
 فما إن بكاه غير دن ومزهر
 وغانية كالبدر واضحة الثغر
 وباطية كانت له خدن زنية
 يعاقرها والليل معتكر الستر

أخبرني عمي، قال: حدثنا الكرائي، قال: حدثنا العمري عن عاصم بن الحدثان، قال: عاتب الأحنف بن قيس حارثة بن بدر على معاورة الشراب وقال له: قد فضحت نفسك وأسقطت قدرك، وأوجعه عتاباً. فقال له: إني سأعتبك. فانصرف الأحنف طامعاً في صلاحه، فلما أمسى راح إليه فقال له: اسمع يا أبا بحر ما قلت لك. فقال: هات، فأنشده:

يذم أبو بحر أموراً يريد
 ويكرها للأريحي المسود
 فإن كنت عياباً فقل ما تريده
 ودع عنك شربي لست فيه بأوحد
 سأشربها صهباء كالمسك ريحها
 وأشربها في كل ناد ومشهد
 فنفسك فانصح يا بن قيس وخلي
 ورأيي فما رأيي برأي مفند
 وقائلة يا حار هل أنت ممسك عليك
 من التبذير قلت لها اقصدي
 ولا تأمريني بالشداد فإنني
 رأيت الكثير المال غير مخلد
 ولا عيب لي إلا اصطباحي قهوة
 متى يمزجها الماء في الكأس تزبد
 معتقة صهباء كالمسك ريحها
 إذا هي فاحت أذهبت غلة الصدي
 ألا إنما الرشد المبين طريقه
 خلاف الذي قد قلت إذ أنت مرشدي
 سأشربها ما حج لله راكب
 إذا هي فاحت أذهبت غلة الصدي
 وأسعد ندماني وأتبع شهوتي
 خلاص الذي قد قلت إذ أنت مرشدي
 كذا العيش لا عيش ابن قيس
 مجاهرة وحدي ومع كل مسعد
 وأبذل عفواً كل ما ملكت يدي
 من الشرب للماء القراح المصرد

وصحبه

فقال له الأحنف: حسبك، فإني أراك غير مقلع عن غيك، ولن أعاتبك بعدها أبداً.

قال عاصم: ثم كان بعد ذلك بن الأحنف وحارثة كلام وخصومة، فافترقا عن مجلسهما متغاضبين، فبلغ حارثة أن الأحنف قال: أما والله لولا ما يعلم لقلت فيه ما هو أهله. فقال حارثة: وهل يقدر على أن يذمني بأكثر من الشراب وحي له؟ وذلك أمر لست أعتذر منه إلى أحد، ثم قال في ذلك:

وكم لائم لي في الشراب زجرته
فلمست عن الصهباء ما عشت مقصراً
أأترك لذاتي وآتي هواكم
أنا الليث معدواً عليه وعاديا
فأنت حلیم تزجر الناس عن هوى
فحلمك صنه لا تذله وخليني
فإني امرؤ عودت نفسي عادة
أجود بمالي ما حييت سماحة
فما أنت أو ما غي من ثان غاويأ
فقلت له دعني وما أنا شارب
وإن لأمني فيها اللئام الأشائب
ألا ليس مثلي يابن قيس يخالب
إذا سلّت البيض الرقاق القواضب
نفوسهم جهلاً وحلمك عازب
وشأني وأركب كل ما أنت راكب
وكل امرئ لا شك ما اعتاد طالب
وأنت بخيل يجتوبك المصاحب
إذا أنت لم تسدد عليك المذاهب

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أنبأنا أبو الأسود الخليل بن أسد، قال: أنبأنا العمري عن العتي، قال: أجرى الوليد بن عبد الملك الخيل وعنده حارثة بن بدر الغداني، وهو حينئذ في ألف وستمائة من العطاء، فسبق الولد، فقال حارثة: هذه فرصة. فقام فهناه ودعا له، ثم قال:

إلى الألفين مطلع قريب
فإن أهلك فهن لكم وإلا
زيادة أربع لي قد بقينا
فهن من المتاع لكم سنينا

فقال له الوليد: فتشاطرنى ذلك: لك مائتان ولي مائتان. فصير عطاءه ألفاً وثمانمائة. ثم أجرى الوليد الخيل، فسبق أيضاً، فقال حارثة: هذه فرصة أخرى. فقام فهناه ودعا له، ثم قال:

وما أحتجب الألفان إلا بهين
فجد بهما تفديك نفسي فإنني
هما الآن أدنى منهما قبل ذالكا
معلق آمالي ببعض حبالكا

فأمر الوليد له بالمائتين، فانصرف وعطاؤه ألفان.

أخبرني محمد بن يحيى، أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهدي بن سابق، قال: أنبأنا عبد الرحمن بن شبيب بن

شبية، عن أبيه، قال: قال زياد يوماً لحارثة بن بدر: من أخطب الناس، أنا أو أنت؟ فقال: الأمير أخطب مني إذا تواعد ووعد، وأعطى ومنع، وبرق ورعد، وأنا أخطب منه في الوفادة وفي الشاء والتجبير، وأنا أكذب إذا خطبت، فأحشو كلامي بزيادة مليحة شهية، والأمير يقصد إلى الحق وميزان العدل ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه. فقال له زياد: قاتلك الله! فلقد أجدت تخلص صفتك وصفتي، من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها وأرضيتني وتخلصت. ثم التفت إلى أولاده فقال: هذا لعمركم البيان الصريح.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا عن الحرمازي، قال: شرب حارثة بن بدر مع بني زياد ليلة إلى الصبح فأكثر، وصرف ومزجوا، فلما أن غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة، ففطن له زياد، فقال: مالك يا حارثة؟ فقال: أكلت البارحة رماناً فأكثر. قال: قد عرفت مع من أكلته، ولكنهم قشروه وأكلته بقشره فأصارك إلى ما ترى.

قال الحرمازي: قال بعض أهل العلم: إن زياداً استعمل حارثة على سرق. فمات زياد وهو بها، ثم إنه بلغه موته، فقال حارثة يرثيه:

إن الرزية في قبر بمنزلة	تجري عليها بظهر الكوفة المور
أدت إليه قريش نعش سيدها	ففيه ضافي الندى والحزم مقبور
أبا المغيرة والدنيا مغيرة	وإن من غر بالدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة	وكان عندك للنكراء تنكير
وكننت تؤتى فتعطي الخير عن سعة	فاليوم بابك دون الهجر مهجور
ولا تلين إذا عوسرت مقتسراً	وكل أمرك ما يوسرت ميسور

قال: وكان الذي أتاه بنعيه مسعود بن عمرو الأزدي، فقال حارثة:

لقد جاء مسعود أخو الأزد غدوة	بداهية غراء باد حجولها
من الشر ظل الناس فيها كأنهم	وقد جاء بالأخبار من لا يحيلها

أخبرني الحسن بن علي، قال: أنبأنا العمري عن أحمد بن خالد بن منجوف، عن مؤرج السدوسي، قال: دخل حارثة بن بدر على عبيد الله بن زياد وعنده سعد الراية أحد بني عمرو بن يربوع بن حنظلة، وكان شريراً يضحك ابن زياد ويلهيه، وله يقول الفرزدق:

إني لأبغض سعداً أن أجاوره	ولا أحب بني عمرو بن يربوع
قوم إذا حاربوا لم يخشهم أحد	والجار فيهم ذليل غير ممنوع

فلما جلس حارثة قال له سعد: يا حارثة، أينع الكرم؟ قال: نعم، واستودع ماءه الأصبص، فمه؟ قال: إني لم أرد بأساً. قال: أجل! ولست من أهل البأس: ولكن هل لك علم بالأتان إذا اعتاص رحمها، كيف يسطى عليها، أكما يسطى على الفرس، أم كيف؟ قال: واحدة بواحدة، والبادي أظلم، سألتني عما لا علم لي به، وسألتك عما تعلم و. قال: أنت بما سألتك عنه أعلم مني بما سألتني عنه، ولكن من شاء جهل نفسه وأنكر ما يعرف. وقال حارثة يهجو سعداً:

لا ترج مني يابن سعد هوادة ولا صحبة ما أرزمت أم حائل
أعند الأمير ابن الأمير تعييني وأنت ابن عمرو مضحك في القبائل
ولو غيرنا يا سعد رمت حريمه بخسف لقد غودرت لحماً لآكل
فشالت بك العنقاء أو صرت لحمه لأغبس عواء العشيات عاسل

أخبرني هاشم بن محمد، قال: أنبأنا الرياشي عن الأصمعي وأبي عبيدة، قالا: كان حارثة بن بدر يجالس مالك بن مسمع فإذا جاء وقت يشرب فيه قام، فأراد مالك أن يعلم من حضره أنه قام ليشرب، فقال له: إلى أين تمضي يا أبا العنيس؟ قال، أجيء بعباد بن الحصين يفتق عينك الأخرى - وقال الأصمعي: "مضي فأفتق عين عباد بن الحصين لآخذ لك بثأرك - وكان عباد فتقاً عين مالك يوم الرب. قال: وذكر المدائني أن حارثة بن بدر كان يومئذ - وهو يوم فتنة مسعود - على خيل حنظلة بإزاء بكر بن وائل، فجعل عبس بن مطلق بن ربيعة الصريمي على الخيل بجبال الأزد، ومعه سعد والرباب والأساورة، وقال حارثة بن بدر:

سيكفيك عبس أخو كهمس مقارعة الأزد بالمربد
ويكفيك عمرو وأشياعه لكيز بن أقصى وما عدوا
وأكفيك بكراً إذا أقبلت بطعن يشيب له الأمرد

فلما اصططف الناس، أرسل مالك بن مسمع إلى ضرار بن القعقاع يسأله الصلح على أن يعطيه ما أحب، فقال له حارثة: إنه والله ما أرسل إليك نظراً لك ولا إبقاء عليك، ولكنه أراد أن يغري بينك وبين سعد. فمضى ضرار إلى راية الأحنف فحملها وحمل على مالك فهزمه، وفقت عينه يومئذ. أخبرني محمد بن يحيى قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن محمد بن سلام، عن أبي اليقظان قال: مر حارثة بن بدر بالمسجد الذي يقال له مسجد الأحامرة بالبصرة فرأى مشيخة قد خضبوا لحاهم بالحناء فقال: ما هذه الأحامرة؟ فالمسجد الآن يلقب مسجد الأحامرة منذ يوم قال حارثة هذا القول. أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، عن القحذمي، قال: عرض لحارثة بن بدر رجل من الخلع في أمر كرهه عند زياد، فقال فيه حارثة:

لقد عجبت وكم للدهر من عجب
ما تزيد في أنسابها الخلق
كانوا خساً أو زكاً من دون أربعة
لم يخلقوا وجدود الناس تعتلج

أخبرني الحسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زياد الكندي، قال: أنبأنا يحيى بن آدم، عن أبي زائدة، عن مجالد، عن الشعبي، قال: كنت عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. فأنشدته لحارثة. بن بدر:

وكان لنا نبع تقينا عروقه
فقد بلغت إلا قليلاً حلوها
وشيب رأسي واستخف حلومنا
رعود المنايا فوقنا وبروقها
وإننا لتستحلي المنايا نفوسنا
ونترك أخرى مرة ما تذوقها
رأيت المنايا بادئات وعوداً
إلى دارنا سهلاً إليها طريقها
فقد قسمت نفسي فريقين منهما
فريق مع الموتى وعندي فريقها

قال الشعبي: فقال لي ابن جعفر: نحن كنا أحق بهذا الشعر. وجاءه غلامه بدراهم في منديل، فقال له: هذه غلة أرضك بمكان كذا وكذا. فقال: ألقها في حجر الشعبي. فألقاها في حجري.

أخبرني الحسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب: أن زياداً استعمل حارثة بن بدر على كوار، وهو إذ ذاك عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على فارس، وكان حارثة بن بدر صاحب شراب، فكتب زياد إلى حارثة يحثه على جباية الخراج، فكتب إليه علقمة بن معبد المازني:

ألم تر أن حارثة بن بدر
يصلي وهو أكفر من حمار
وأن المال يعرف من حواه
ويعرف بالزواني والعقار

وقال المدائني في خبره هذا: حمل زياد بن أبيه حارثة بن بدر على بغلة يقال لها أطلال كان خرزاذ بن الهريد ابتاعها بأربعة آلاف درهم وأهداها له، فركبها حارثة، وكان فيها نفار، فصرخته عن ظهرها، فقام فركبها، وقال:

ما هاج أطلال بجني حرمه
تحمل وضاحاً رفيع الحكمة
قرماً إذا زاحم قرماً زحمه

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر عن أبي عبيدة وعبد الله بن محمد، قالوا: مر سليمان بن عمرو بن مرثد بحارثة بن بدر وهو بفارس يريد خراسان، فأنزله وقراه وقرى أصحابه، وحملهم وإياه، فلما ركبوا للمسير قال سليمان:

قرئت فأحسنّت القرى وسقيتنا
 وواسيتنا فيما ملكت تبرعاً
 وأنت لعمرى في تميم عمادها
 وفارسها في كل يوم كريهة
 وعندكم نال الغنى من أراده
 يرى الحلق الماذي فوق حماتهم
 وعند الرخا والأمن غيث ورحمة
 وجدتهم جوداً صباحاً وجوهم
 كأن دنائيراً على قسماتهم
 فمن مبلغ عني تميماً فخيركم
 غداة حقاً قاله غير ذي لعب

فقال حارثة يجيبه:

وأسحم ملآن جررت لفتية
 وأطولهم كفاً وأصدقهم حيا
 من المرثيين الذين إذا انتدوا
 فعالمهم زين لهم وجوهم
 فسقياً ورعياً لابن عمرو بن مرثد
 فتى لم يزل يسمو إلى كل نجدة
 فحسبك بي علماً به وبفضله
 كراماً أبوهم خير بكر بن وائل
 وأكرمهم عند اختلاف المناصل
 رأيت ندياً جده غير خامل
 تزين الذي يأتونه في المحافل
 سليمان ذي المجد التليد الحلال
 فيدرك ما أعيت يد المتناول
 إذا ذكر الأقوام أهل الفضائل

أخبرني عمي، قال: أنبأنا الكراني، قال: أنبأنا العمري، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحذثان، قال: دخل
 أنس بن زعيم على عبيد الله بن زياد، وعنده حارثة بن بدر، وكان بينهما تعارض ومقارضة قبل ذلك، فلما
 خرج أنس قال عبيد الله لحارثة: أي رجل هو أنس عندك؟ قال: هو عندي - أصلح الله الأمير - كما قلت فيه:

يبيت بطيناً من لحوم صديقه
 ينام إذا ما الليل جن ظلامه
 يراعي عذارى قومه كلما دجا
 جريئاً على أكل الحرام وفعله
 خميصاً من التقوى ومن طلب الحمد
 ويسري إلى حاجاته نومة الفهد
 له الليل والسوات كالأسد الورد
 جباناً عن الأقران معترم الكرد

فلما كان من الغد، دخل أنس على عبيد الله، فقال له عبيد الله، بحضرة حارثة: إني سألت هذا عنك فأخبرني بما كرهته لك، ولم أكن إحالك كما نعت لي - فقال: أصلح الله الأمير، إن يكن قال خيراً فأنا أهله، وإن قال غير ذلك فلم يعد ما هو أولى به مني، أما والله لو كان - أصلح الله الأمير - حقاً، لحفظ غيبي، فلقد أوليته حسن الثناء بما ليس أهله، والله يعلم أي كنت كاذباً، وما إحال ما قاله في إلا عقوبة، فإن عقوبة الكذب حاضرة، وثمره الكذب الندامة، فقد لعمري أجنيتها بكذبي وقولي فيه ما ليس فيه. وهو عندي كما أقول - أصلح الله الأمير - وأنشد:

يحلي لي الطرف ابن بدر وإنني	لأعرف في وجه ابن بدر لي البغضا
رآني شجاً في حلقه ما يسيغه	فما إن يزال الدهر يجرض بي جرضاً
ومالي من ذنب إليه علمته	سوى أن راني في عشيرته محضاً
وإن ابن بدر في تميم مكرس	إذا سيم خسفاً أو مشنعة أغضى
فعش يابن بدر ما بقيت كما أرى	كثير الخنا لا تسأم الذل والغضا
تعيب الرجال الصالحين وفعلهم	وتبذل بخلأ دون ما نلت العرضا
وترضى بما لا يرتضي الحر مثله	وذو الحلم بالتخييس والذل لا يرضى

قال: وقال أنس في حارثة بن بدر ينسبه إلى الخمر والفجور:

أحار بن بدر باكر الراح	إنها تنسيك ما قدمت في سالف الدهر
تنسيك أسباباً عظاماً ركبتها	وأنت على عمياء في سنن تجري
أتذكر ما أسديت واخترت فعله	وجئت من المكروه والشر والنكر
إذا قلت مهلاً نلت عرضي فما	الذي تعيب على مثلي هبلت أبا عمرو
أليس عظيماً أن تكايد حرة	مهففة الكشحين طيبة النشر
فإن كنت قد أزمت بشرك بالذي	عرفت به إذ أنت تخزي ولا تدري
فدغ عنك شرب الخمر وارجع إلى التي	بها يرتضي أهل النباهة والذكر
عليك نبيذ التمر إن كنت شارباً	فإن نبيذ التمر خير من الخمر
ألا إن شرب الخمر يزري بذي الحجى	ويذهب بالمال التلاد وبالوفر
فصبراً عن الصهباء وأعلم بأنني	نصيح وأنني قد كبرت عن الزجر

وأنتك إن كففتني عن نصيحة

أبذل نصحي ثم تعصي نصيحتي

تركتك يا حار بن بدر إلى الحشر

وتهجرني عنها هبلت أبا بدر

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: لما ولي حارثة بن بدر سوق خرج معه المشيعون من البصرة وفيهم أبو الأسود الدؤلي، فلما انصرف المشيعون دنا منه أبو الأسود فقال له:

فكن جرذاً فيها تخون وتسرق

فحظك من ملك العراقين سرق

يقول بما يهوى وإما مصدق

فإن قيل هاتوا حقوا لم يحققوا

وما كل من يدعي إلى الرزق يرزق

لساناً به يطسو إلى العيي وينطق

أحار بن بدر قد وليت إمارة

ولا تحقرن يا حار شيئاً تصيبه

فإن جميع الناس إما مكذب

يقولون أقوالاً بظن وشبهه

فلا تعجزن فالعجز أبطأ مركب

وكاثر تميماً بالغنى إن للغنى

فقال له حارثة:

فقد قلت معروفاً وأوصيت كافياً

لألفيتني فيه لرأيك عاصياً

ويوليك حفظ الغيب إن كنت نائياً

جزاك ملّيك الناس خير جزائه

أمرت بحزم لو أمرت بغيره

ستلقى أخاً يصيفيك بالود حاضراً

أخبرني محمد بن يزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال: لما ندب حارثة بن بدر لقتال الأزارقة بدولاب لقيهم، فلما حميت الحرب بينهم واشتدت، قال حارثة لأصحابه:

وحيث شئتم فاذهبوا

كرنبوا ودولبوا

ثم انهزم، فقال غوث بن الحباب يهجوّه ويعيره بالفرار، ويعيره بشرب الخمر أو معاقرة

بمئلك أولى من قراع الكتائب

يظل أخوها للعدا غير هائب

فلست صبوراً عند وقع القواضب

وتترك ذا الهمات حصر المذاهب

نظام در أو عيون الجنادب

أحار بن بدر دونك الكأس إنها

عليك بها صهباء كالمسك ريحها

فدع عنك أقواماً وليت قتالهم

وخذا كعين الديك تشفي من الجوى

إذا شعشت بالماء خلت حبابها

كأنك إذ تحسو ثلاثة أكؤس

من التيه قروم من قروم المرازب

ودع عنك أبناء الحروب وشدهم

إذا خطرُوا مثل الجمال المصاعب

خبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا العلاء بن الفضل بن أبي سوية، قال: حدثني أبي، قال: كانت في تميم حمالتان، فاجتمعوا في مقبرة بني شيبان، فقال لهم الأحنف: لا تعجلوا حتى يحضر سيدكم. فقالوا: من سيدنا غيرك؟ قال: حارثة بن بدر. قال: وقدم حارثة من الأهواز بمال كثير فبلغه ما قال الأحنف، فقال: اغرميها والله ابن الزافرية! ثم أتاهم كأنه لم يعلم فيما اجتمعوا، فقال فيم اجتمعتم؟ فأخبروه. فقال: لا تلقوا فيهما أحداً فهما علي، ثم أتى منزله فقال:

خلت الديار فسدت غير مسود

ومن الشقاء تفردني بالسود

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه، قال: خرج أصحاب الحديث إلى سفیان بن عيينة فازدحموا، فقال: لقد هممت ألا أحدثكم شهراً. فقام إليه شاب من أهل العراق، فقال له: يا أبا محمد، ألن جانبك، وحسن قولك، وتأس بصالحى سلفك، وأجمل مجالسة جلسائك، فقد أصبحت بقية الناس، وأميناً لله ورسوله على العلم، والله إن الرجل ليريد الحج فتعاضمه مشقته حتى يكاد أن يقيم، فيكون لقاءه إياك وطمعه فيك كثر ما يحركه عليه. قال: فحضع سفيان أو تواضع، ورق وبكى، ثم تمثل بقول حارثة:

خلت الديار فسدت غير مسود

ومن الشقاء تفردني بالسود

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ومحمد بن الحسين الكندي، قالوا: حدثنا الخليل بن أسد، قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن الحسن بن عمار عن الحكم بن عتيبة: أن حارثة بن بدر الغداني كان سعى في الأرض فساداً، فأهدر علي ابن أبي طالب عليه السلام دمه، فهرب فاستجار بأشراف الناس، فلم يجره أحد، فقبل له: عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله أن يجيرك. فطلب سعيداً فلم يجده، فجلس في طلبه حتى جاء، فأخذ بلجام فرسه فقال: أجرني أجاك الله، قال: ويحك، مالك؟ قال: أهدر أمير المؤمنين دمي. قال: وفيم ذاك؟ قال: سعت في الأرض فساداً. قال: ومن أنت؟ قال: حارثة بن بدر الغداني. قال: أقم. وانصرف إلى علي عليه السلام فوجده قائماً على المنبر يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً؟ قال: أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض. قال: يا أمير المؤمنين، إلا من؟ قال: إلا من تاب. قال: فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً، وقد أجرته. قال: أنت رجل من المسلمين وقد أجرنا من أجرنا. ثم قال علي عليه السلام وهو على المنبر: أيها الناس، إني كنت نذرت دم حارثة بن بدر، فمن لقيه فلا يعرض له. فانصرف إليه سعيد بن قيس فأعلمه وحمله وكساه، وأجازته بجائزة سنينة، فقال فيه حارثة:

الله يجزي سعيد الخير نافلة
أعني سعيد بن قيس قرم همدان
أنقذني من شفا غبراء مظلمة
لولا شفاعته ألبست أكفاني
قالت تميم بن مر لا نخاطبه
وقد أبت ذلكم قيس بن عيلان

قال الهيثم: لم يكن الحسن بن عماره يروي من هذا الشعر غير هذه الثلاثة الأبيات، وأخذت الشعر كله من حماد الراوية، فقلت له: ممن أخذته قال: من سماك ابن حرب. وهو:

أساغ في الحلق ريقا كان يجرضني
وأظهر الله سري بعد كتمان
إني تداركني عف شمائله
آبؤه حين ينمي خير قحطان
ينميه قيس وزيد والفتى كرب
وذو جبائر من أولاد عثمان

وذو رعين وسيف وابن ذي يزن
وعلقم قبلهم أعني ابن نبهان
قال: فلما أراد الانصراف إلى البصرة شيعه سعيد بن قيس إلى نهر البصريين في ألف راكب، وحمله وجهزه، فقال حارثة:

لقد سررت غداة النهر إذ برزت
أشياخ همدان فيها المجد والخير
يقودهم ملك جزل مواهبه
واري الزناد لدى الخيرات مذكور
أعني سعيد بن قيس خير ذي يزن
سامي العماد لدى السلطان محبور
ما إن يلين إذا ما سيم منقصة
لكن له غضب فيها وتتكير
أغر أبلج يستسقى الغمام به
جنابه الدهر يضحى وهو ممطور

أخبرني محمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا محمد ابن معاوية الزياتي، عن القحزمي، قال: كان حارثة بن بدر فصيحاً بليغاً عارفاً بأخبار الناس وأيامهم، حلواً شاعراً ذا فكاهة، فكان زياد يأنس به طول حياته، فلما مات وولي عبيد الله ابنه، كان يجفوه، فدخل إليه في جمهور الناس، فجلس متوارياً منه حتى خف الناس، ثم قام فأذكره بحقوقه على زياد وأنسه به. فقال له: ما أعرفني بما قلت! غير أن أبي كان قد عرفه الناس وعرفوا سيرته، فلم يكن يلصق به من أهل الرية مثل ما يلحقني، مع الشباب وقرب العهد بالإمارة، فأما إن قلت ما قلت فاختر مجالستي إن شئت ليلاً وإن شئت نهاراً. فقال: الليل أحب إلي. فكان يدعو له ليلاً فيسامره، فلما عرفه استحللاه، فغلب عليه ليله ونهاره حتى كان يغيب فيبعث من يحضره، فجاءه ليلة وبوجهه آثار، فقال له: ما هذا يا حار؟ قال: ركبت فرسي الأشقر فلجج بي مضيقاً فسحجني. قال: لكنك لو ركبت أحد الأشهبين لم يصبك شيء من هذا. يعني: اللين والماء.

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا محمد ابن معاوية الزياتي، عن القحزمي، عن عمه، قال: خرج حارثة بن بدر إلى سلم بن زياد بخراسان فأوصى رجلاً من غدانة أن يتعاهد امرأته الشماء ويقوم بأمرها، فكان الغداني يأتيها فيتحدث عندها ويطيل، حتى أحبها وصبا بها، فكتب إلى حارثة يخبره أنها فسدت عليه وتغيرت، ويشير عليه بفراقها، ويقول له: إنما قد فضحتك من تلعب الرجال بها. فكتب إليها بطلاقها، وكتب في آخر كتابه:

ألا آذنا شماء بالبين إنه أبى أود الشماء أن يتقوما

قال: فلما طلقها وقضت علقها، خطبها الغداني فتزوجها، وكان حارثة شديد الحب لها، وبلغه ذلك، وما صنعت، فقال:

لعمرك ما فارقت شماء عن قلبي ولكن أطلت النأي عنها فملت

مقيماً بمرورود لا أنا قافل إليها ولا تدنو إذا هي حلت

أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنبأنا محمد بن زكريا، قال: أنبأنا مهدي بن سابق، قال: أنبأنا عطاء، عن عاصم بن الحدثان، قال: تزوج حارثة بن بدر ميسة بنت جابر، وكانت تذكر بجمال وعقل ولسان، فلما هلك حارثة تزوجها بشر بن شعاف بعده فلم تحمه، فقالت ترثي حارثة:

بدلت بشراً شقاء أو معاقبة من فارس كان قدماً غير خوار

يا ليتني قبل بشر كان عاجلي داع من الله أو داع من النار

وقالت أيضاً فيه:

ما خار لي ذو العرش لما استخرته وعذبني أن صرت لابن شعاف

فما كان لي بغلاً وما كان مثله يكون حليفاً أو ينال إلا في

فيا رب قد أوقعتني في بلية فكن لي حضناً منه رب وكاف

ونح إلهي ربقتي من يد امرئ شتيم محياه لكل مصافي

هو السوءة السوءة لا خير عنده لطالب خير أو أخذ قوافي

يرى أكلة إن نلتها قلع ضرسه وما تلك زلفى يا آل عبد مناف

وإن حادث عض الشعافي لم يكن صليباً ولا ذا تدرأ وقذاف

أخبرني محمد بن مزبد، قال: أنبأنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال: لقي أنس بن زعيم الدثلي حارثة بن بدر فقال له: يا حارثة، قد قفت لك أبياتاً فاسمعا. فقال: هاها، فأنشده:

فحتى متى أنت ابن بدر مخيم وصحبك يحسون الحليب من الكرم

فإن كان شراً فإله عنه وخله

لغيرك من أهل التخبط والظلم

وإن كنت ذا علم بها واحتسائها

فما لك تأتي ما يشينك عن علم

تق الله وأقبل يابن بدر محلاً

وقلت لي اتركها لأوضعت في الحكم

وأيقنت أن القول ما قلت فانتفع

بقولي ولا تجعل كلامي من الجرم

فرب نصيح الجيب رد انتصاحه

عليه بلا ذنب وعوجل بالشتم

فقال له حارثة: لقد قلت فأحسن، ونصحت فبالغت، جزيت الخير أبا زنيم. فلما رجع إلى منزله، أتاه ندماءه فذكر لهم ما قال ابن زنيم، فقالوا: والله ما نرى ذلك إلا حسداً. ثم قال حارثة بن بدر لابن زنيم:

يعيب علي الراح من لو يذوقها

لجن بها حتى يغيب في القبر

فدعها أو امدحها فإننا نحبها

صراحاً كما أغراك ربك بالهجر

علام تدم الراح والراح كاسمها

تريح الفتى من همه آخر الدهر

فلمني فإن اللوم فيها يزيدي

غراماً بها إن الملامة قد تغري

وبالله أولي صادقاً لو شربتها

لأقصرت عن عذلي وملت إلى عذري

وإن شئت جربها وذقها عتيقة

لها أرج كالمسك محمودة الخبر

فإن أنت لم تخلع عذارك فأنحني

وقل لي لحاك الله من عاجز غمر

وقبلك ما قد لامني في اصطباحها

وفي شربها بدر فأعرضت عن بدر

وحاسيتها قوماً كأن وجوههم

دنائير في اللأواء والزمن النكر

فدعني من التغذل فيها فإنني

خلقت أبيتاً لا ألين عدى القسر

أجود وأعطي المتفسات تبرعاً

وأغلي بها عند اليسارة والعسر

وأشربها حتى آخر مجدلاً

معتقة صهباء طيبة النشر

ولولا النهى لم أضح ما عشت ساعة

ولكنني نهنت نفسي عن الهجر

فقصرت عنها بعد طول لجاجة

وحب لها في سر أمري وفي الهجر

وحق لمثلي أن يكف عن الخنى

ويقصر عن بعض الغواية والنكر

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن أبي عبيدة: أن عبيد الله بن زياد استعمل حارثة بن بدر على نيسابور فغاب عنه أشهراً، ثم قدم فدخل عليه، فقال له: ما جاء بك ولم أكتب إليك؟ قال: استنظفت خراجك

وجئت به وليس لي بما عمل، فما مقامي؟ قال: أو بذلك أمرتك؟ ارجع فاردد عليهم الخراج وخذه منهم نجوماً حتى تنقضي السنة وقد فرغت من ذلك، فإنه أرفق بالرعية وبك، واحذر أن تحملهم على بيع غلاتهم ومواشيهم ولا التعنيف عليهم. فرجع فرد الخراج عليهم، وأقام يستخرجه منهم نجوماً حتى مضت السنة. أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا الرياشي عن الأصمعي، قال: قال الأحنف بن قيس: ما غبت عن أمر قط فحضره حارثة بن بدر إلا وثقت بإحكامه إياه وجودة عقده له، وكان حارثة بن بدر من الدهاة. أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي، قال: كان حارثة بن بدر يصيب من الشراب، وكان حظياً عند زياد، فعوتب زياد على رأيه فيه. فقال: أتلوموني على حارثة؟ فوالله ما تفل في مجلسي قط، ولا حك ركابه ركابي، ولا سار معي في علاوة الريح فغير علي، ولا دعوته قط فاحتجت إلى تجشم الالتفات إليه حتى يوازيني، ولا شاورته في شيء إلا نصحتني، ولا سألته عن شيء من أمر العرب وأخبارها إلا وجدته به بصيراً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، وأحمد بن عبيد الله بن عمار، قالوا: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا الأصمعي، قال: لما كان يوم دولاب وأفضت الحرب إلى حارثة بن بدر صاح: من جاءنا من الموالي فله فريضة العرب، ومن جاءنا من الأعراب فله فريضة المهاجر. فلما رأى ما يلقي أصحابه من الأزارقة قال:

أير الحمار فريضة لشبابكم
عض الموالي جلد أير أبيهم
والخصيتان فريضة الأعراب
إن الموالي معشر الخياب

ثم قال:

كرنبوا ودولبوا
وحيث شئتم فاذهبوا
وشرقوا وغربوا

يعني بقوله كرنبا أي خذوا طريق كرنبي، و دولبوا: خذوا طريق دولاب.

أخبرني محمد بن زكريا الصحاف، قال: حدثنا قعنب بن محرز، قال: حدثنا الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، عن المغيرة بن المنتشر، قال: إنا عند عبيد الله بن زياد، وعنده الأحنف ابن قيس، وحارثة بن بدر، وكان حارثة يتهم بالشراب. فقال له عبيد الله: يا حارثة، أي الشراب أطيب؟ قال: برة طبريه بأقطة عتربة، بسمنة عريية، بسكرة سوسية فتبسم عبيد الله، ثم قال للأحنف: يا أبا بحر، أي الشراب أطيب؟ قال: الخمر. فقال له عبيد الله: وما يدريك ولست من أهلها؟ قال: من يستحلها لا يعدوها إلى غيرها، ومن يجرمها يتأول فيها حتى يشربها. قال: فضحك عبيد الله.

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي وعمر بن عبد الله العتكي، قالوا: حدثنا الرياشي. وقال العتكي في

خبره: "عن أبي عبيدة"، ولم تقله الأسدي ولا تجاوز الرياشي به: إن حارثة كان بكوار من أردشير حره يتزّه فقال:

أقام بدير أبلق من كوارا ألم تر أن حارثة بن بدر
ثم قال لجند كانوا معه: من أجاز هذا البيت فله حكمه. فقال له رجل منهم: أنا أجزيه على أن تجعل لي الأمان من غضبك، وتجعلي رسولك إلى البصرة، وتطلب لي القفل من الأمير. قال: ذلك لك. قال: ثم رد عليه نشيد البيت، فقال الرجل:

مقيما يشرب الصهباء صرفاً إذا ما قلت تصرعه استدارا
فقال له حارثة: لك شرطك، ولو كنت قلت لنا شيئاً يسرنا لسررناك.
كتب إلي أبو خليفة الفضل بن الحباب، أخبرنا محمد بن سلام، قال: قدم الأبيرد الرياحي على حارثة بن بدر فقال له: اكسني ثوبين أدخل بهما على الأمير. فكساه ثوبين لم يرضهما، فقال فيه:

أحارث أمسك فضل برديك إنما أجاج وأعرى الله من كنت كاسيا
وكننت إذا استمطرت منك سحابة لتمطرنى عادت عجاجاً وسافيا
أحارث عاود شربك الخمر إنني رأيت زياداً عنك أصبح لاهيا
فبلغت زياداً، وبلغت حارثة، فقال: قبحه الله! لقد شهد علي، بما لم يعلم، ولم أدع جوابه إلا لما أخبرني محمد بن مزيد، قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم ابن الحدثان، قال: كان الحكم بن المنذر بن الجارود يشرب الشراب، فقبل له في ذلك وعوتب، وعرف أن الصلتان العبدى هجاه فقال فيه:

ترك الأشياء طراً وانحنى يشرب الصهباء من ماء العنب
لا يخاف الناس قد أدمنها وفي تزري باللثيم المؤتشب
وهي بالأشراف أزرى وإلى غاية التأنيب تدعو ذا الحسب
فدع الخمر أبا حرب وسذ قومك الأذنين من بين العرب
فقال: لعنه الله! والله ما ترك للصلح موضعاً، ولقد صدق، ولولا الشرب لكنت الرجل الكامل، وما يخفي علي قبيحه وسوء القالة فيه، ولكني سمعت حارثة بن بدر الغداني أنشد أبياتاً يوماً فحملتني على المجاهرة الشراب، وإن كان ذلك إلي بغيضاً. قيل له: وما الأبيات؟ قال: سمعته ينشد:

أذهب عني الغم والهم والذي به تطرد الأحداث شرب المروق
فوالله ما أنفك بالراح مهترأ ولولا لام فيها كل حر موفق
فما لائمي فيها وإن كان ناصحاً بأعلم مني بالرحيق المعنق

ولكن قلبي مستهام بحبها وحب القيان رأي كل محقق
سأشربها صرفاً وأسقي صحابتي وأطلب غرات الغزال المنطق

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: كان لحارثة بن بدر نديم من قریش يصيب معه الشراب، ولا يفارقه إذا شرب، وقال فيه.

وأبيض من أولاد سعد بن مالك سقيت من الصهباء حتى تقطرا
وحتى رأى الشخص القريب بسكره شخوصاً فنادى يا آل سعد وكبرا
فقلت أسكران؟ فقال مكابراً أبى الله لي أن أستخف وأسكرا
فقلت له أشرب هذه بابلية تخال بها مسكاً ذكياً وعنبراً
فلما حساها هرها ثم إنه تماسك شيئاً واجما متفكرا
وقال أعدها قلت صبراً سويعة فهوم شيئاً ثم قام فبربراً
فقلت له نم ساعة عل ما أرى من السكر يبدي منك صرماً مذكرا

قال إسحاق: قال عاصم بن الحدثان: كان أبو صخر مخارق بن صخر أحد بني ربيعة بن مالك شاعراً، وهو خال أبي حزانة، أو خال أبي جميعة، وكان صديقاً لحارثة بن بدر، فدخل عليه يوماً. وهو مصطبح، فعاتبه حارثة بن بدر، وقال له: قد أسقطت الخمر قدرك ومروءتك. قال له: دع عنك هذا الجنون وهلم تساعد واسمع ما قلت. قال: هاته، فأنشده:

غدانا ناصحاً لم يأل جهداً مخارق يلوم على شرب السلاف المعترك
فقلت أبا صخر دع الناس يجهلوا ودونها صهباء ذات تألق
تراها إذا ما الماء خالط جسمها تخايل في كف الوصيف المنطق
لها أرج كالمسك تذهب ريحها عماية حاسيها بحسن ترفق
وكم لائم فيها بصير بفضلها رمته بسهم صائب متزلق
فظل لرياها يعض ندامة يديه وأرغى بعد طول تمطق
وقال لك العذر ابن بدر على التي تسلي هموم المستهام المشوق
فلست ابن صخر تاركاً شرب قهوة لقول لئيم جاهل متحذلق
يعيب علي الشرب والشرب همه ليحسب ذا رأي أصيل مصدق

فما أنا بالغر ابن صخر ولا الذي يصمم في شيء من الأمر موبق

فقال له مخارق بن صخر: إنما عاتبتك لأن الناس قد كثروا فيك، ورأيت النصيحة لله واجبة علي، وكرهت أن تضع لذتك قدرك، فإن أعطيتني في تركها وإلا فلا تجاهر بها، فإنك قادر على أن تبلغ حاجتك في ستر. فقال حارثة: ما عندي غير ما سمعت، فتركه وانصرف.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي، قال: أجبنا الرياشي عن محمد بن سلام، عن يونس بن حبيب، قال: لما بني فيل مولى زياد داره بالسبابة، صنع طعاماً ودعا أصحاب زياد، فدخلوا الحمام المعروف بحمام فيل وخرجوا فتغدوا عنده وركب فيل وأصحابه الهمايج والمقاريف والبغال، واجتاز بهم معه على حارثة بن دبر وأبي الأسود الدؤلي وهما جالسان، فقال أبو الأسود:

لعمر أببك ما حمام كسرى على التلثين من حمام فيل

فقال حارثة:

وما إيجافنا خلف الموالي بسنتنا على عهد الرسول

أخبرني محمد بن يزيد، قال: أنبأنا حماد عن أبيه، عن عاصم بن الحدثان، قال: حدثني عمي عن الحارث المجيمي، قال: ذكر حلم الأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر، فنفس عليه حارثة ذلك، فقال لعبيد الله: أيها الأمير، ما يبلغ حلم من لا قدرة له ولا يملك لعدوه ضراً ولا لصديقه نفعاً. وإنما يتكلف الدخول فيما لا يعنيه؟ فبلغ ذلك من قوله. الأحنف فقال: أهون بحارثة وكلامه؟ وما حارثة ومقداره؟ أليس الذي يقوك - قبح الله رأيه - في قوله:

إذا ما شربت الراح أبدت مكارمي وجدت بما حازت يداي من الوفر

وإن سبني جهلاً نديمي لم أزد على أشرب سقاك الله طيبة النشر

أرى ذاك حقاً واجباً لمنادمي إذا قال لي غير الجميل من النكر

أخبرني عمي، قال: أنبأنا الكرائي، قال: أنبأنا الرياشي عن الأصمعي، قال: كان لحارثة بن بدر جارية يقال لها ميسة وكان بها مشغوفاً، فلما مات تزوجت بعده بشر بن شغاف. فهؤلاء الشغافيون من ولدها، وفيها يقول حارثة:

خليلي لولا حب ميسة لم أبل أفي اليوم لاقيت المنية أم غدا

خليلي إن أفشيت سري إليكما فلا تجعل سري حديثاً مبددا

وإن أنتما أفشيتماه فلا رأت عيونكما يوم الحساب محمدا

ولا زلتما في شقوة ما بقيتما تذوقان عيشاً سيء الحال أنكدا

أخبرني حبيب بن نصر المهلي، قال: أنبأنا الحسين بن عليل، قال: أنبأنا مسعود بن بشر عن أبي عبيدة، قال: اجتاز حارثة بن بدر الغداني بمجلسي من مجالس قومه من بني تميم ومعه كعب موله، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا: مرحباً بسيدنا، فلما ولى قال له كعب: ما سمعت كلاماً قط أقر لعيني ولا ألد بسمعي من هذا الكلام الذي لسمعته اليوم. فقال له حارثة: لكني لم أسمع كلاماً قط أكره لنفسى وأبغض إلي مما سمعته. قال: ولم قال: ويحك يا كعب! إنما سودني قومي حين ذهب خيارهم وأمائلهم، فاحفظ عني هذا البيت:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسود

قال: واشتكى حارثة ابن بدر، وأشرف على الموت، فجعل قومه يعودونه فقالوا له: هل لك من حاجة أو شيء تريده؟ قال: نعم، اكسروا رجل مولاي كعب لئلا يبرح من عندي فإنه يؤنسي. ففعلوا، وأنشد يقول:

يا كعب مهلاً فلا تجزع على أحد

يا كعب لم يبق منا غير أجساد

يا كعب ما راح من قوم ولا بكروا

إلا وللموت في آثارهم حادي

يا كعب ما طلعت شمس ولا غربت

إلا تقرب آجالاً لميعاد

يا كعب كم من حمى قوم نزلت به

على صواعق من زجر وإيعاد

فإن لقيت بواد حية ذكرا

فأذهب ودعني أمارس حية الوادي

جاء بعقب هذه الترجمة في الجزء الحادي والعشرين:

عش فحبيبك سريعاً قاتلي

والضنى إن لم تصلني وأصلي

ظفر الشوق بقلب دنف

فبك والسقم بجسم ناحل

فهما بين اكتئاب وضنى

تركاني كالقضيب الذابل

الشعر لخالد الكاتب، والغناء للمسدود، رمل مطلق في مجرى الوسطى. وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه، وأنه أول صوت سمعه فكتبه.

ثم جاءت بعد هذا أخبار خالد الكاتب.

الجزء التاسع

ذكر أخبار كثير ونسبه

نسبه

هو فيما أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن مخلد بن سعيد بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو وهو خزاعة بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو وهو مزيقيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن " بن الأزد وهو درء وقيل دراء ممدوداً بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو صخر بن أبي الزعراء الخزاعي عن أمه ليلى بنت كثير قالت: هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مخلد بن سبيع بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وأمهم جمعة بنت الأشيم بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رياح بن سيالة بن عامر بن جعثمة بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وكانت كنية الأشيم جده أبي أمه أبا جمعة، ولذلك قيل له ابن أبي جمعة.

وكان له ابن يقال له ثواب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له. ومات كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك. وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى. ولليلى بنته ابن يكنى أبا سلمة الشاعر وهو الذي يقول: صوت

حجابٌ فقد أمسيت مني على شهر

وكان عزيزاً أن تنبتي وبيننا

فيا ويح نفسي كيف أصنع بالدهر

ففي القرب تعذيبٌ وفي النأي حسرة

في هذين البيتين غناء لمقاسة. ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حبس.

كنيته وطبقته في الشعراء ونخلته: ويكنى كثير أبا صخر. وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي. وكان غالباً في التشيع يذهب مذهب الكيسانية، ويقول بالرجعة والتناسخ، وكان محمقاً مشهوراً بذلك. وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيرون ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محله في أنفسهم وعندهم. وكان من أتبه الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد. الحديث عنه وعلى شعره:

أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني هارون بن عبد الله الزهري قال حدثني سليمان بن فليح قال: سمعت محمد بن عبد العزيز يعني ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف يقول ما قصد

القصيد ولا نعت الملوك مثل كثير.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي حدثني إبراهيم بن سعد قال: إني لأروي لكثير ثلاثين قصيدة لو رقي بها مجنون لأفاق.

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني بعض أصحاب الحديث قال: كنا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس، فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه، ويحدثنا.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره. قال الزبير قال المؤملي: وكان ابن أبي عبيدة يملئ شعر كثير بثلاثين ديناراً. قال وسئل عمي مصعب: من أشعر الناس؟ فقال: كثير بن أبي جمعة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم يعني الشعراء، ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثير.

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة قال حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال: كان كثير شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فحل، ولكنه منقوص حظه بالعراق.

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال سمعت يونس النحوي يقول: كثير أشعر أهل الإسلام. قال ابن سلام: وسمعت ابن أبي حفصة يعجبه مذهبه في المديح جداً، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خطئٌ وعجب.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال: سمعت المسور بن عبد الملك يقول: ما ضر من يروي شعر كثير وجميل إلا تكون عنده مغنيتان مطربتان.

أخبرني حبيب بن نصر المهلهي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقاصي قال: رأيت كثيراً يطوف في البيت، فمن حدثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذبه؛ وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طأطئ رأسك لا يصيبه السقف.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جده عن جد أبيه عبد العزيز وأمه جمعة بنت كثير قال: قال جرير لكثير: أي رجل أنت لولا دمايتك! فقال كثير:

إن أك قصداً في الرجال فإنني إذا حل أمرٌ ساحتني لطويل

ما كان بينه وبين الحزين الديلي

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقاصي قال، وأخبرنا الحرمي أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن

بعض أصحابهم الديليين قال: التقى كثير والحزين الديلي في المدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم، فضمهما المجلس. فقال كثير للحزين: ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما توصل الشيء إلى الشيء. فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوك؟ قال نعم. وكان كثير قال قبل ذلك وهو يتسبب إلى بني الصلت بن النضر بن كنانة:

أليس أبي بالنضر أو ليس إختوتي بكل هجانٍ من بني الصلت أزهرًا

فإن لم يكونوا من بني الصلت فاتركوا أراكاً بأذيال الخمائل أخضرًا

قال: فلما أذن كثير للحزين أن يهجوهم قال للحزين:

لقد علقت زب الذباب كثيراً أسلود لا يطنينه وأراقم

قصير القميص فاحشٌ عند بيته يعرض القراد باسته وهو قائم

وما أنتم منا ولكنكم لنا عبيد العصا ما ابتل في البحر عائم

وقد علم الأقوام أن بني استها خزاعة أذئابٌ وأنا القوادم

ووالله لولا الله ثم ضرابنا بأسيا فنادت عليها المقاسم

ولولا بنو بكر لذلت وأهلكت بطعنٍ وأفنتها السيوف الصوارم

تهدده أبو الطفيل واستوهبه خندف الأسدي

قال: فقام كثير فحمل عليه فلكره. وكان الحزين طويلاً أيداً. فقال له الحزين: أنت عن هذا أعجز، واحتمله فكان في يده مثل الكرة، فضرب به الأرض، فخلصه منه الأزهريون. فبلغ ذلك "أبا الطفيل عامر بن وائلة وهو بالكوفة، فأقسم لئن ملأ عينيه من الكثير ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرمح. وكان خندف الأسدي صديقاً لأبي الطفيل، فطلب إلى أبي الطفيل في كثير واستوهبه إياه فوهبه له. والتقى بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن علي بن أبي طالب، فقال: أما الله لولا ما أعطيت خندفاً من العهد لوفيت لك. فذلك قول كثير في قصيدته التي يرثي فيها خندفاً:

ينال رجالاً نفعه وهو منهم بعيدٌ كعيوق الثريا المحلق

أنكر على الأحوص ضراعتة في الاستجداء أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وجيب بن نصر المهلي قال حدثنا عمر بن شبة قال: قال كثير: في أي شعر أعطى هؤلاء الأحوص عشرة آلاف دينار؟ قالوا: في قوله فيهم:

وما كان لي طارفاً من تجارة وما كان ميراثاً من المال متلدا

ولكن عطايا من إمامٍ مباركٍ ملا الأرض معروفاً وجوداً وسوددا

فقال كثير: إنه لضرع قبحه الله! ألا قال كما قلت: صوت

دع عنك سلمى إذ فات مطلبها واذكر خليليك من بني الحكم

إلا وإني لحاجزي كرمي

عندي مما قد فعلت أحتشم

عن بعض ما لو فعلت لم ألم

ما اعتل نزر الطؤور لم ترم

ما أعطاني ولا سألتهما

إني متى لا يكن نوالهما

مبدي الرضا عنهما ومنصرف

لا أنزر النائل الخليل إذا

عروضه من المنسرح. غنى في هذا الشعر يونس ثاني ثقیل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنى فيه الغريض ثاني ثقیل بالبصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة. وفيه لحن من الثقیل الأول ينسب إلى معبد، وليس بصحيح له. قال الزبير بن بكار في تفسير قوله: لا أنزر النائل الخليل يقول: لا ألح عليه بالمسألة، يقال: نزرته أنزره إذا ألححت عليه. والطؤور: المتعطفة على غير أولادها.

حديثه مع عبد الملك في استقطاعه أرضاً له: أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا المؤملي عن أبي عبيدة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبیب بن نصر قالوا حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: دخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال: يا أمير المؤمنين، إن أرضاً لك يقال لها غرب ربما أتيتها وخرجت إليها بولدي وعيالي فأصبنا من رطبها وتمرها بشراء، مرة وطعمة مرة. فإن رأى أمير المؤمنين أن يعمرنيها فعل. فقال له عبد الملك: ذلك لك. فندمه الناس وقالوا له: أنت شاعر الخليفة ولك عنده منزلة، فهلا سألت الأرض قطعة؟! فأتى الوليد فقال: إن لي إلى أمير المؤمنين حاجة فأجلسني قريباً من البرذون. فلما استوى عليه عبد الملك قال له: إيه! وعلم أن له إليه حاجة. فقال كثير:

وأدناك ربي في الرفيق المقرب

عدو ولا تتأى عن المتقرب

بحق، وما أعطيت لم تتعقب

جزتك الجوازي عن صديقك نصره

فإنك لا يعطى عليك ظلامه

وإنك ما تمنع فإنك مانع

فقال له: أترغب غرباً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: اكتبوها له، ففعلوا.

هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق:

أخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤملي قال حدثني عبد الله بن أبي عبيدة قال: كان الحزين الكناي قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر، منهم ابن أبي عتيق. فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف قال: وكثير مع ابن أبي عتيق فدعا ابن أبي عتيق للحزين بدرهمين. فقال الحزين لابن أبي عتيق: من هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثير بن أبي جمعة قال: وكان قصيراً دميماً فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوه بيت من شعر؟ قال: لا! لعمرى لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكني اشتري عرضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: لا بد من هجائه بيت. قال: أو اشتري ذلك منك بدرهمين

آخرين، ودعا له بهما. فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه. قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين. فقال له كثير: إيدن له، ما عسى أن يكون في بيت ! فأذن له ابن أبي عتيق. فقال:

قصير القميص فاحشٌ عند بيته يعض القراد باسته وهو قائم

قال: فوثب كثير إليه فلكره، فسقط هو والحمار، وخلص ابن أبي عتيق بينهما، وقال لكثير قبحك الله ! أتأذن له وتسفه عليه ! فقال كثير: أو أنا ظننته أن يبلغ بي هذا كله في بيت واحد ! ادعى أنه قرشي فرده الشعراء وسبه الكوفيون: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوز، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن الخضر الخزاعي عن ولد جمعة بنت كثير أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثير: أن عبد الملك بن مروان قال له: ويحك ! إلحق بقومك من خزاعة، فأخبر أنه من كنانة قریش، وأنشد كثير قوله:

أليس أبي بالصلت أم ليس إختوي بكل هجانٍ من بني النضر أزهر
فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا أراكاً بأذنان القوايل أخضرا
أبيت التي قد سمتني ونكرتها ولو سمتها قبلي قبيصة أنكرا
لبسنا ثياب العصب فاختلط السدى بنا وبهم والحضرمي المخصرا

فقال له عبد الملك: لا بد أن تنشده هذا الشعر على منبري الكوفة والبصرة، وحمله وكتب به إلى العراق في أمره. قال عمر بن شبة في خبره خاصة: فأجابته خزاعة الحجاز إلى ذلك. وقال فيه الأحوص ويقال: بل قاله سراقه البارقي:

لعمري لقد جاء العراق كثيرٌ بأحدثه من وحيه المتكذب
أيزعم أنني من كنانة أولى ومالي من أم هناك ولا أب
فإن كنت حراً أو تخاف معرفة فخذ ما أخذت من أميرك واذهب

فقال كثير يجيبه وفي خبر الزبير: قال هذا لأبي علقمة الخزاعي:

أيا خبثٌ أكرم كنانة إنهم مواليك إن أمرٌ سما بك معلق

وفي رواية الزبير: أبا علقم.

بنو النضر ترمي من ورائك بالحصي أولو حسبٍ فيهم وفاءٌ ومصدقٌ
يفيدونك المال الكثير ولم تجد لملكهم شبيهاً لو انك تصدق
إذا ركبوا ثارت عليك عجاجة وفي الأرض من وقع الأسنه أولق

فأجابه الأحوص بقوله:

دع القوم ما حلوا ببطن قراضم
فإنك لو قاربت أو قلت شبهة
عذرك أو قلنا صدقت وإنما
ستأبى بنو عمرو عليك وينتمي
فإنك لا عمراً أباك حفظته
ولم تدرك القوم الذين طلبتهم
بجذمة ساق ليس منه لحاؤها
فأصبحت كالمهريق فضلة مائه

وحيث تفشى ببيضه المتفلق
لذي الحق فيها والمخاصم معلق
يصدق بالأقوال من كان يصدق
لهم حسب في جذم غسان معرق
ولا النضر إن ضيعت شيخك تلحق
فكنت كما كان السقاء المعلق
ولم يك عنها قلبه يتعلق
لبادي سراپ بالملا يتزرق

قال: فخرج كثير فأتى الكوفة، فرمي به إلى مسجد بارق. فقالوا له: أنت من أهل الحجاز؟ قال نعم. قالوا: فأخبرنا عن رجل شاعر ولد زناً يدعى كثيراً. قال سبحانه الله! أما تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان! قالوا: هو ما قاله لنفسه. فأنسل منهم وجاء إلى والي الكوفة حسان بن كيسان، فطيره على البريد. فقال عمر بن شبة في خبره: إن سراقه البارقي هو المخاطب له بهذه الشتيمة وإنه عرفه وقال له: إن قلت هذا على المنبر قتلتك قحطان وأنا أولهم، فانصرف إلى منزله ولم يعد إلى عبد الملك.

نبذة عن سراقه البارقي وقصته مع المختار حين أسره: وكان سراقه هذا شاعراً ظريفاً. فأخبرني عمي قال حدثني الكرائي عن النضر بن عمر عن الهيثم بن عدي عن الأعمش عن إبراهيم قال: كان سراقه البارقي من ظرفاء أهل العراق، فأسره المختار يوم جبانة السبيع، وكان للمختار فيها وقعة منكراً، فجاء به الذي أسره إلى المختار فقال له: إني أسرت هذا. فقال له سراقه: كذب! ما هو الذي أسرتني، إنما أسرتني غلاماً أسود على برذون أبلق عليه ثياب خضر، ما أراه في عسكرك الآن، وسلمني إليه. فقال المختار: أما إن الرجل قد عاين الملائكة! خلوا سبيله فخلوه، فهرب فأنشأ يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أنني
أريت البلق دهماً مصمتات
أري عيني ما لم تبصراه
كفرت بدينكم وجعلت نذراً
كلانا عالم بالترهات
علي قتالكم حتى الممات

كان يرى أن ابن الحنفية لم يمت وكان ذلك رأي السيد: أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال أخبرنا عمرو ومحمد بن الضحاك قالا: كان كثير يتشيع تشيعاً قبيحاً، يزعم أن محمد بن الحنفية لم يمت. قال: وكان ذلك رأي السيد، وقد قال فيه يعني السيد شعراً كثيراً، منه:

ألا قل للوصي فدتك نفسي
أضرب بمعشرٍ والوك منا
وعادوا فيك أهل الأرض طرا
وما ذاق ابن خولة طعم موتٍ
لقد أوفى بمورق شعب رضوى
وإن له به لمقيل صدقٍ
هدانا الله إذ جرتم لأمرٍ
تمام مودة المهدي حتى
وقال كثير في ذلك:

ألا إن الأئمة من قريشٍ
عليّ والثلاثة من بنيهِ
فسبطٌ سبط إيمان وبرٍ
وسبطٌ لا تراه العين حتى
تغيب لا يرى عنه زماناً
ولاة الحق أربعة سواء
هم الأسباط ليس بهم خفاء
وسبطٌ غيبته كربلاء
يقود الخيل يقدمها اللواء
برضوى عنده عسلٌ وماء

شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن أبي بكر الهذلي قال: كان عبد الله بن الزبير قد أغري بني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويغري بهم ويخطب بهم على المنابر ويصرح ويعرض بذكرهم. فرمما عارضه ابن عباس وغيره منهم. ثم بدا له فيهم فحبس ابن الحنفية في سجن عارم، ثم جمعه وسائر من كان بحضرته من بني هاشم، فجعلهم في محبس وملاه حطباً وأضرم فيه النار. وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجدلي وسائر شيعة ابن الحنفية قد وافوا لنصرته ومحاربة ابن الزبير، فكان ذلك سبب إيقاعه به. وبلغ أبا عبد الله الخبر فوافى ساعة أضرمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم، وأخرج ابن الحنفية عن جوار ابن الزبير منذ يومئذٍ. فأنشدها محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثير يذكر ابن الحنفية وقد حبسه ابن الزبير في سجن يقال له سجن عارم:

من ير هذا الشيخ بالخيف من منى
سمي النبي المصطفى وابن عمه
أبي فهو لا يشري هدى بضلالةٍ
من الناس يعلم أنه غير ظالم
وفكاك أغلالٍ ونفاع غارم
ولا يتقي في الله لومة لائم

ونحن بحمد الله نتلو كتابه

حلولاً بهذا الخيف خيف المحارم

بحيث الحمام آمن الروع ساكنٌ

وحيث العدو كالصديق المسالم

فما فرح الدنيا بباقي لأهله

ولا شدة البلوى بضربة لازم

تخبر من لاقيت أنك عائذٌ

بل العائد المظلوم في سجن عارم

أنشد علي بن عبد الله شعراً له في ابن الحنفية وحديثه معه: حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الزبير بن بكار، وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن سعيد عن عقبة الجهمي عن أبيه قال: سمعت كثيراً ينشد علي بن عبد الله بن جعفر قوله في محمد بن الحنفية:

أقر الله عيني إذ دعاني

أمين الله يلطف في السؤال

وأثنى في هواي علي خيراً

وسأله عن بني وكيف حاله

وكيف ذكرت حال أبي خبيب

وزلة فعله عند السؤال

هو المهدي خبرناه كعبٌ

أخو الأحبار في الحقب الخوالي

فقال له علي بن عبد الله: يا أبا صخر، ما يثني عليك في هواك خيراً إلا من كان على مثل مذهبك. قال: أجل بأبي أنت وأمي!. قال: وكان كثير كيسانياً يرى الرجعة. قال الزبير: أبو خبيب عبد الله بن الزبير، كناه بابنه خبيب وهو أكبر ولده، وكان كثير سيئ الرأي فيه. قال الزبير: فأخبرني عمي قال: لما قال كثير:

هو المهدي خبرناه كعبٌ

أخو الأحبار في الحقب الخوالي

ف قيل له: ألقيت كعباً؟ قال: لا. قيل: فلم قلت خبرناه كعب؟ قال: بالتوهم.

غلوه في التشيع والقول بالرجعة وأخبار له في ذلك: قال: وكان كثير شيعياً غالباً يزعم أن الأرواح تتناسخ، ويحتج بقول الله تعالى: "في أي صورة ما شاء ركبك" ويقول: ألا ترى أنه حوله من صورة في صورة!. قال: فحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال: خندف الأسدي الذي أدخل كثيراً في الخشبية.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي عن محمد ابن معن الغفاري قال: كنا بالسيالة في مشيخة نتحدث، إذا بكثير قد طلع علينا متكئاً على عصاه.

فقال: كنا ببداء فأشرف السيالة وبهذه الناحية، فما بقي موضع ببداء إلا وقد جثته، فإذا هو على حاله ما تغير وما تغيرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه، وهذا يكون حتى نرجع إليه. وكان يؤمن بالرجعة.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد قال: دخل عبد الله بن حسن على كثير يعود في

مرضه الذي بات فيه. فقال له كثير: أبشر! فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس عتيق. فقال له عبد الله بن حسن: مالك عليك لعنة الله! فوالله لئن مت لا أشهدك ولا أعودك ولا أكلمك أبداً.

كان أبو هاشم يتجسس أخباره

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسبه عن ابن الماحشون قال: وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي قد وضع الأرصاد على كثير فلا يزال يؤتى بالخبر من خبره، فيقول له إذا لقيه: كنت في كذا وكنت في كذا، إلى أن جرى بين كثير وبين رجل كلاماً فأتي به أبو هاشم. فأقبل به على أدرجه، فقال له أبو هاشم: كنت الساعة مع فلان فقلت له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا. فقال له كثير: أشهد أنك رسول الله.

كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار: أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد، وأخبرنا! الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسب قال: نظر كثير إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال: بأبي أنتم! هؤلاء الأنبياء الصغار. وكان يرى الرجعة. وروى علي بن بشر بن سعيد الرازي عن محمد بن حميد عن أبي زهير عبد الرحمن بن مغراء الدوسي عن محمد بن عمارة قال: مر كثير بمعاوية بن عبد الله بن جعفر وهو في المكتب، فأكب عليه يقبله وقال: أنت من الأنبياء الصغار ورب الكعبة!.

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قعنب بن المحرز قال حدثني إبراهيم بن داجة قال:

كان كثير شيعياً، وكان يأتي ولد حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهب لهم الدراهم ويقول: وا بأبي الأنبياء الصغار! وكان يؤمن بالرجعة. فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو أخوهم لأهمهم،: يا عم هب لي، فيقول: لا! لست من الشجرة.

كان عمرو بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بن هاشم وفسادهم: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبيد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز: إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسادهم بحب كثير: من أحبه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح، لأنه كان خشبياً يقول بالرجعة.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبي لهيعة عن رجاء بن حيوة قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: إن مما أعتبر به صلاح بني هاشم وفسادهم حب كثير، ثم ذكر مثله. قال لعنتمته إنه يونس بن متى: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا علي بن صالح عن ابن دأب قال: كان كثير يدخل على عمه له برزة فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها. قال لها يوماً: لا والله ما تعرفيني ولا

تكرميني حق كرامتي ! قالت: بلى والله إني لأعرفك. فقال: فمن أنا؟ قالت: ابن فلان وابن فلانة، وجعلت تمدح أباه وأمه. فقال: قد عرفت أنك لا تعرفيني. قالت: فمن أنت؟ قال: أنا يونس بن متى. كان عاقاً لأبيه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني أبي قال: كان كثير عاقاً لأبيه ، وكان أبوه قد أصابته قرحة في إصبع من أصابع يده. فقال له كثير: أتدري لم أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري قال: مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة.

ضافه مزني وذمه بأنه لم يقيم لصلاة الصبح: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغفاري عن أبيه وغيره قال حدثني رجل من مزينة قال: ضفت كثيراً ليلة وبت عنده ثم تحدثنا ونمنا. فلما طلع الفجر تضور ، ثم قمت فتوضأت وصليت وكثير راقد في لحافه. فلما طلع قرن الشمس تضور ثم قال: يا جارية اسجري لي ماء. قال قلت: تباً لك سائر اليوم ! أو هذه الساعة هذا! وركبت راحلتي وتركته. قال الزبير: أسخني لي ماء.

كان يهزأ به ويصدق ما يسمع عن نفسه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران الحمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبيد الله قال: ما رأيت قط أحمق من كثير. دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنا كثيراً ما نتهزأ به، وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً. فقلت له: كيف تجددك يا أبا صخر؟ وهو مريض، فقال: أحدي ذاهباً. فقلت: كلا ! فقال: هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ فقلت: نعم ! يتحدثون أنك الدجال. قال: أما لئن قلت ذاك إني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام.

كان تياهاً ويستحمله فتيان المدينة لذلك: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران: أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثير فيقولون وهو يسمع: إن كثيراً لا يلتفت من تيهه. فكان الرجل يأتيه من ورأه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميصه.

سأله عبد الملك عن شيء وحلفه بأبي تراب: أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال: بلغني أن كثيراً دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به. فقال وحق علي بن أبي طالب إنه كما ذكرت؟ قال كثير: يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحقك لصدقتك. قال: لا أسألك إلا بحق أبي تراب . فحلف له به فرضي.

تمثل عبد الملك بشعر له حين منعه عاتكة من الخروج لحرب مصعب وحديثه معه عن هذه الحرب: أخبرنا الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب نصر المهلبى قالوا حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا المؤملي عن ابن أبي عبيدة، قالوا جميعاً.

لما أراد عبد الملك الخروج إلى مصعب لاذت به عاتكة بنت يزيد بن معاوية وهي أم ابنه يزيد، وقالت: يا أمير

المؤمنين، لا تخرج السنة لحرب مصعب، فإن آل الزبير ذكروا خروجك، وابتعث إليها الجيوش، وبكت وبكى جواريتها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابن أبي جمعة! فأين قوله: صوت

حصانٌ عليها عقد در يزيناها

إذا ما أراد الغزو لم تنن همه

بكت فبكى مما شجاها قطينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه

غناه ابن سريخ ثاني ثقييل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق والله لكنه يراني ويراك يا عاتكة، ثم خرج. قال محمد بن جعفر النحوي في خبره ووافقه عليه عمر بن شبة: فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثير في ناحية عسكره يسير مطرقاً، فدعا به وقال: لأعلم ما أسكتك وألقى عليك بئك، فإن أخبرتك عنه أتصدقني؟ قال نعم! قال: وحق أبي تراب لتصدقني، قال: والله لأصدقنك. قال: لا أو تحلف به، فحلف به. فقال تقول: رجلان من قريش يلقي أحدهما صاحبه فيحاربه، القاتل والمقتول في النار، فما معنى سيرى مع أحدهما إلى الآخر ولا آمن سهماً عائراً لعله أن يصيبني فيقتلني فأكون معهما! قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت. قال: فارجع من قريب، وأمر له بجائزة.

بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد وضحك منه: أخبرنا وكيع قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو تمام الطائي حبيب بن أوس قال حدثني العطف بن هارون عن يحيى عن حمزة قاضي دمشق قال حدثني حفص الأموي قال: كنت أختلف إلى كثير أتروى شعره. قال: فوالله إني لعنده يوماً إذا وقف عليه واقف فقال: قتل آل المهلب بالعقر. فقال: ما أجل الخطب! ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر! ثم انتضحت عيناه باكياً. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به. فلما دخل عليه قال: عليك لعنة الله! أترابية وعصبية! وجعل يضحك منه.

سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد عن أبيه قال: قال عبد الملك بن مروان لكثير: من أشعر الناس اليوم يا أبا صخر؟ قال: من يروي أمير المؤمنين شعره. فقال عبد الملك: أما إنك لمنهم.

جواب عبد الملك له وقد سأله عن شعره: أخبرنا وكيع قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حماد بن إسحاق عن ابن أبي عوف عن عوانة قال: قال كثير لعبد الملك: كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين؟ قال أراه يسبق السحر، ويغلب الشعر.

كان عبد الملك يروي أولاده شعره: أخبرنا عمي عن الكرائي عن النضر بن عمر قال: كان عبد الملك بن مروان يخرج شعر كثير إلى مؤدب ولده مختوماً يرويهام إياه ويرده.

نزل مرعي لإبله فضيق عليه أهله فذم جوارهم: أخبرنا الحرمي قال أخبرنا الزبير قال حدثنا عبد الله بن خالد الجهني: أن كثيراً شب في حجر عم له صالح، فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن يسفه، وكان غير جيد الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور. فاشتري له عمه قطعاً من الإبل وأنزله فرش ملل فكان به، ثم ارتفع فترل فرع

المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن جبل جهينة الأصغر، وكان قبل المسور لبني مالك بن أفضى، فضيقوا على كثير وأسأوا حوارته، فانتقل عنهم وقال:

أبت إيلي ماء الرداة وشفها
بنو العم يحمون النضيج المبردا
وما يمنعون الماء إلا ضنانة
بأصلاب عسرى شوكتها قد تخددا
فعددت فلم تجهد على فضل مائه
رياحاً ولا سقيا ابن طلق بن أسعدا

قال: ويروى أنه أول شعر قاله.

روايته عن بدء قوله الشعر: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال: قال كثير: ما قلت الشعر حتى قولته. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوماً نصف النهار أسير على بعير لي بالغميم أو بقاع حمدان، إذا راكبٌ قد دنا مني حتى صار على جني، فتأملتُهُ فإذا هو صفر وهو يجر نفسه في الأرض جرّاً. فقال لي: قل الشعر وألقاه عليه. قلت: من أنت؟ قال: أنا قرينك من الجن. فقلت الشعر.

عزة عشيقته وأول عشقه لها: ونسب كثير لكثرة تشبيهه بعزة الضمرية إليها، وعرف بها فليل كثير عزة. وهي عزة بنت حميل بن وقاص. أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن الحسن قال: أبو بصرة الغفاري المحدث واسمه حميل بن وقاص هو أبو عزة التي كان ينسب بها كثير. وكان ابتداء عشقه إياها على أنه قد قيل: إنه كان في ذلك كاذباً ولم يكن بعاشق، وذلك يذكر بعد خبره معها فيما أخبرني به الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم السعدي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن جميع الخزاعي: أنه كان أول عشق كثير عزة أن كثيراً مر بنسوة من بني ضمرة ومعه جلب غنم، فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة، فقالت: يقلن لك النسوة: بعنا كبشاً من هذه الغنم وأنسنا بثمره إلى أن ترجع، فأعطاهما كبشاً وأعجبته. فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه، فقال: وأين الصبية التي أخذت مني الكبش؟ قالت: وما تصنع بها! هذه درايمك. قال: لا آخذ درايمي إلا ممن دفعت الكبش إليها. وخرج وهو يقول:

قضى كل ذي دينٍ فوفى غريمه
وعزة ممطولٌ معنىً غريمها

قال: فكان أول لقائه إياها.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الرحمن بن الخضر بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبي جندل عن أبيه عبد العزيز الخزاعي وأمه جمعة بنت كثير عن أمه جمعة عن أبيها كثير: أن أول علاقته بعزة أنه خرج من منزله يسوق خلف غنم إلى الجار، فلما كان بالخبت وقف على نسوة من بني ضمرة فسألن عن الماء، فقلن لعزة وهي جارية حين كعب ثديها: أرشديه إلى الماء، فأرشدته وأعجبته. فبينما هو يسقى غنمه إذ جاءته عزة بدراهم، فقالت: يقلن لك النسوة: بعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك: فأمر الغلام فدفع إليها كبشاً، وقال: ردي الدراهم وقولي لمن: إذا رحت بكن اقتضيت حقي.. فلما راح مر بهن، فقلن له: هذا حقك فخذ. فقال:

عزة غريمي ، ولست أقتضي حقي إلا منها. فمزحن معه وقلن: ويحك ! عزة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقك فأحله إلى إحدانا فإنما أملاً به منها وأسرع له أداء. فقال: ما أنا بمحيلٍ حقي عنها. ومضى لوجهه، ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جلبيه فأنشدن فيها:

نظرت إليها نظرةً وهي عاتقٌ
على حين أن شبت وبان نهودها
وقد درعوها وهي ذات مؤصدٍ
مجبوبٍ ولما يلبس الدرع ريدها
من الخفرات البيض ود جلسها
إذا ما انقضت أحداثٌ لو تعيدها

في هذا البيت وأبيات آخر معه غناءً يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه. وأنشدن أيضاً:

قضى كل ذي دينٍ فوقى غريمه
وعزة ممطولٌ معنىً غريمها

فقلن له: أبيت إلا عزة ! وأبرزنها إليه وهي كارهة. ثم أحبته عزة بعد ذلك أشد من حبه إياها. قال الزبير: فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخزاعي المعروف بأبي جندل عن هذا الحديث، فعرفه وحدثني عن أبيه عن جده عبد العزيز بن أبي جندل عن أمه جمعة بنت كثير عن أبيها.

سؤال عبد الملك لعزة عن كثير وسبب إعجابه بها: وأخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدثني محمد بن سعد الكرائي قال حدثنا النضر بن عمرو قال حدثني عمر بن عبد الله بن خالد المعيطي، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق الطلحي، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني يعقوب بن عبد الله الأسدي وغيره، قال الزبير وحدثني محمد بن صالح الأسلمي قال: دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عجزت، فقال لها أنت عزة كثير ! فقالت: أبا عزة بنت حميل. قال: أنت التي يقول لك كثير:

لعزة نارٌ ما تبوخ كأنها
إذا ما رمقناها من البعد كوكب

فما الذي أعجبه منك؟ قالت: كلا يا أمير المؤمنين ! فوالله لقد كنت في عهده أحسن من النار في الليلة القرة. وفي حديث محمد بن صالح الأسلمي: فقالت له: أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صبروك خليفة. قال: وكانت له سن سوداء يخفيها، فضحك حتى بدت. فقالت له: هذا الذي أردت أن أبديه. فقال لها: هل تروين قول كثير فيك:

وقد زعمت أنني تغيرت بعدها
ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

تغير جسمي والخليفة كالتي
عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

قالت لا ! ولكني أروي قوله:

كأنني أنادي صخرةً حين أعرضت
من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلةً

فمن مل منها ذلك الوصل ملت

فأمر بها فأدخلت على عاتكة بنت يزيد وفي غير هذه الرواية: أنها أدخلت على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لها: أرايت قول كثير:

قضى كل ذي دينٍ فوقى غريمه

وعزة ممطول معنىً غريمها

ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبله وعدته إياها. قالت: أنجزها وعلي إثما.

قصة غلام له مع عزة وإعتاقه بسبب ذلك: أخبرنا الحسن بن الطيب البجلي الشجاعي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلي قالوا حدثنا عمر بن شبة قال روى ابن جعدبة عن أشياخه، وأخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا أبو بكر بن يزيد بن عياض بن جعدبة عن أبيه. أن كثيراً كان له غلام تاجر، فباع من عزة بعض سلعه ومطلته مدة وهو لا يعرفها. فقال لها يوماً: أنت والله كما قال مولاي:

قضى كل ذي دينٍ فوقى غريمه

وعزة ممطول معنىً غريمها

فانصرف عنه خجلة. فقالت له امرأة: أتعرف عزة؟ قال: لا والله!. قالت: فهذه والله عزة. فقال: لا جرم والله لا آخذ منها شيئاً ولا أقتضيها. ورجع إلى كثير فأخبره بذلك، فأعتقه ووهب له المال الذي كان في يده. لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حكيم السلمي عن قسيمة بنت عياض بن سعيد الأسلمية، وكنيتها أم البنين، قالت: سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يربوع وجهينة، فسمعنا بها، فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن، فجنناها فرأينا امرأة حلوة خميراً نظيفة، فتضاءلنا لها، ومعها نسوة كلهن لها عليهن فضلٌ من الجمال والخلق، إلى أن تحدثت ساعة فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً، فما فارقناها إلا ولها علينا الفضل في أعيننا، وما نرى في الدنيا امرأة تروقها جمالاً وحسناً وحلاوة.

سأل عبد الملك كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة فذكر له ملاقاتها له مع زوجها إذ أمرها بشتمه: أخبرني عمي قال حدثني الفضل اليزيدي عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر شيخ له عن الهيثم بن عدي: أن عبد الملك سأل كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة، فقال: حججت سنة من السنين وحج زوج عزة بها، ولم يعلم أحد منا بصاحبه. فلما كنا ببعض الطريق أمرها زوجها ببتياح سمن تصلح به طعاماً لأهل رفقته، فجعلت تدور الخيام خيمة خيمة حتى دخلت إلي وهي لا تعلم إنما خيمتي، وكنت أبري أسهماً لي. فلما رأيته جعلت أبري وأنا انظر إليها ولا أعلم حتى برت عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري. فلما تبينت ذلك دخلت إلي فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها، وكان عندي نحي من سمن، فحلفت لتأخذنه، فأخذته وجاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكأتمته، حتى حلف لتصدقنه فصدقته، فضر بها وحلف لتشتمني في وجهي. فوفقت علي وهو معها فقالت لي: يا بن الزانية وهي تبكي، ثم انصرفا. فذلك حين أقول:

هواني ولكن للمليك استذلت

يكلفها الخنزير شتمي وما بها

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء: صوت

قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

خليلي هذا رسم عزة فاعقلا

وما موجعات القلب حتى تولت

وما كنت أدري قبل عزة ما البكى

بحبل ضعيف بان منها فضلت

فليت قلوصي عند عزة قيدت

وكان لها باغ سواي فبلت

وأصبح في القوم المقيمين رحلها

إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

فقلت لها يا عز كل مصيبة

لدينا ولا مقلية إن ثقلت

أسيئي بنا أو أحسنني، لا ملومة

لعزة من أعراضنا ما استحلت

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر

رأيت المنايا شرعاً قد أظلت

تمنيتها حتى إذا ما رأيتها

من الصم لو تمشي بها العصم ذلت

كأني أنادي صخرة حين أعرضت

فمن مل مها ذلك الوصل ملت

صفوحاً فما تلقاك إلا بخيلة

وجن اللواتي قلن عزة جنت

أصاب الردى أن كان يهوى لك الردى

عروضه من الطويل. غنى معبد في الخمسة الأول ثقيلاً أول بالوسطى. وغنى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلاً أول بالبنصر عن عمرو، وغنى في هنيئاً مريئاً والذي بعده خفيف رمل بالوسطى. وغنى إبراهيم في الخامس وما بعده ثاني ثقيل. وذكر الهشامي أن لابن سريج في هنيئاً مريئاً وما بعده ثاني ثقيل بالبنصر. وذكر أحمد بن المكي أن لإبراهيم في " كأني أنادي " والذي بعده وفي أسيني بنا أو أحسنني هزجاً بالسبابة في مجرى البنصر، وإسحاق فيه هزج آخر به " . ولعريب في " كأني أنادي أيضاً رمل. وإسحاق في وما كنت أدري ثقيل أول. وله في أصاب الردى ثقيل أول آخر، وقيل: إن لإبراهيم في فقلت لها يا عز خفيف ثقيل ينسب إلى دحمان وإلى سباط. اجتماع ذات ليلة ووصف ذلك صديق له: أخبرني الحرمي وحبيب بن نصر قالا حدثنا الزبير قال حدثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجهني عن أبيه قال: سارت علينا عزة في جماعة من قومها، فزلت حيالنا، فجاءني كثير ذات يوم فقال لي: أريد أن أكون عندك اليوم فاذهب إلى عزة، فصرت به إلى منزلي. فأقام عندي حتى كان العشاء، ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتمه وقال: إذا سلمت فاستخرج إليك جارية، فادفع إليها خاتمي وأعلمها مكاني. فجئت بيتها فسلمت فخرجت إلي الجارية فأعطيتها الخاتم. فقالت: أين الموعد؟ قلت: صخرات أبي عبيد الليلة، فواعدتها هناك، فرجعت إليه فأعلمته. فلما أمسى قال لي: انهض بنا، فنهضنا فجلسنا هناك

تحدث حتى جاءت من الليل فجلست فتحدثا فاطلاً، فذهبت لأقوم. فقال لي: إلى أين تذهب؟ فقلت: أخليكما ساعة لعلكما تتحدثان ببعض ماتكتمان. قال لي: إجلس! فوالله ما كان بيننا شيء قط. فجلست وهما يتحدثان وإن بينهما لثمامة عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحرنا، ثم قامت فانصرفت، وقمت أنا وهو فظل عندي حتى أمسى ثم انطلق.

سامته سكينه بجملة فلما رأى عزة معها تركه لهم: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا إسحق بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصي قال: خرج كثير في الحاج بجملة له يبيعه، فمر بسكينه بنت الحسين ومعه عزة وهو لا يعرفها. فقالت سكينه: هذا كثير فسوموه بالجملة، فساموه فاستام مائتي درهم فقالت: ضع عنا فأبي. فدعت له بتمر وزبد فأكل، ثم قالت له: ضع عنا كذا وكذا لشيء يسير فأبي. فقالوا: قد أكلت يا كثير بأكثر مما نسألك! فقال: ما أنا بواضع شيئاً. فقالت سكينه: اكشفوا، فكشفوا عنها وعن عزة. فلما رأهما استحيا وانصرف وهو يقول: هو لكم هو لكم!.

قال بعض الرواة أنه لم يكن صادقاً في عشقه: من ذكر أن كثيراً كان يكذب في عشقه: أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سلام قال: كان كثير مدعيًا ولم يكن عاشقًا، وكان جميلًا صادق الصبابة والعشق. أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عمر بن شبة قال زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عبيدة يقول كان جميل يصدق في حبه، ولكن كثير يكذب.

ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزة ذات يوم وهي منتقبة تميس في مشيتها، فلم يعرفها كثير فاتبعها وقال: يا سيدتي! قفي حتى أكلمك فاني لم أر مثلك قط، فمن أنت ويحك؟ قالت: ويحك! وهل تركت عزة فيك بقية لأحد؟ قال: بأبي أنت! والله لو أن عزة أمة لي لوهبتها لك.

قالت: فهل لك في المخاللة؟ قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: إني وكيف بما قلت في عزة؟! قال: أقبله فأحوله إليك. فسفرت عن وجهها ثم قالت: أغدراً يا فاسق وإنك لهكذا! فأبلس! ولم ينطق وبهت. فلما مضت أنشأ يقول:

من السم جدحات بماء الذراح

ألا ليتني قبل الذي قلت شيب لي

وكم طالب للريح ليس براح

فمت ولم تعلم علي خيانة

وإنني بباقي سرها غير بائح

أبوء بذنبي إنني قد ظلمتها

لقي عزة في طريقه إلى مصر وتعاتبا: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوم قال أخبرني سائب راوية كثير قال: خرجت معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذي فيه عزة فإذا هي في خباء، فسلمنا جميعاً، فقالت عزة: وعليك السلام يا سائب. ثم أقبلت على كثير فقالت: ويحك! ألا تتقي الله! أرايت قولك:

فَقَمْتُ لِحَاجَتِي وَالْبَيْتَ خَالِي

بَآيَةَ مَا أَتَيْتُكَ أُمَّ عَمْرُو

أَخْلَوْتُ مَعَكَ فِي بَيْتٍ أَوْ غَيْرِ بَيْتٍ قَطُّ ؟! قَالَ . لَمْ أَقْلَهُ ، وَلَكِنِّي قُلْتُ :

لَأَشْرَبَ مَا سَقَتَنِي مِنْ بِلَالٍ

فَأَقْسَمَ لَوْ أَتَيْتُ الْبَحْرَ يَوْمًا

لِدَاءٍ عِنْدَ مَنْقَطَعِ السَّعَالِ

وَأَقْسَمَ إِنْ حَبَكَ إِمَّ عَمْرُو

قَالَتْ : أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ . فَأَتَيْنَا عَبْدَ الْعَزِيزِ ثُمَّ عَدْنَا فَقَالَ كَثِيرٌ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا عِزَّةُ قَالَتْ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا جَمَلُ فَقَالَ كَثِيرٌ .

صوت

فَحْيُ وَيْحُكَ مِنْ حَيَاكَ يَا جَمَلُ

حَيْتُكَ عِزَّةٌ بَعْدَ الْهَجْرِ فَانْصَرَفْتُ

عِنْدِي وَمَا مَسَكَ الْإِدْلَاجُ وَالْعَمَلُ

لَوْ كُنْتُ حَيِّيتُهَا مَا زِلْتُ ذَامِقَةً

مَا كَانَ يَا جَمَلُ حَيِّيتُ يَا رَجُلُ

لَيْتَ التَّحِيَّةَ كَانَتْ لِي فَأَشْكُرُهَا

ذَكَرَ يُونُسُ أَنَّ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ غِنَاءً لِمُعَبَّدٍ . وَذَكَرَ الْمَشَامِي أَنَّ فِيهَا لَبِثَةً خَفِيفَ رَمَلٍ بِالْبَنْصَرِ . وَذَكَرَ حَبِشُ أَنَّ فِيهَا لِلْغَرِيضِ خَفِيفَ ثَقِيلٍ أَوَّلَ بِالْوَسْطَى ، وَإِبْرَاهِيمُ ثَانِي ثَقِيلَ بِالْوَسْطَى .
قَصَّتْهُ مَعَ أُمِّ الْحَوِيرِثِ الْخَزَاعِيَّةِ وَحَدِيثَ عَشْقِهِ لَهَا : أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلِ الْعَتَرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَرْمَكِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ قَالَ : قَدِمَ عَلِيٌّ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَلْبِيِّ فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْعِشَاقِ يَوْمًا فَحَدَّثَنِي قَالَ : تَعَشَّقُ كَثِيرٌ امْرَأَةً مِنْ خَزَاعَةَ يُقَالُ لَهَا أُمُّ الْحَوِيرِثِ فَنَسَبَ بِهَا ، وَكَرِهَتْ أَنْ يَسْمَعَ بِهَا وَيُفَضِّحَهَا كَمَا سَمِعَ بِعِزَّةٍ ، فَقَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ رَجُلٌ فَقِيرٌ لَا مَالَ لَكَ ، فَابْتَغِ مَا لَا يَعْفَى عَلَيْكَ ثُمَّ تَعَالِ فَاخْطُبْنِي كَمَا يَخْطُبُ الْكِرَامَ . قَالَ : فَاحْلَفَنِي لِي وَوَثَّقَنِي إِنَّكَ لَا تَتَزَوَّجِينَ حَتَّى أَقْدِمَ عَلَيْكَ ، فَحَلَفَتْ وَوَثَّقَتْ لَهُ . فَمَدَحَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَيْقِ الْأَزْدِيُّ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَلَقِيَّتْهُ ظَبَاءٌ سَوَانِحٌ وَلَقِيَ غَرَابًا يَفْحَصُ التَّرَابَ بِوَجْهِهِ ، فَتَطْيِرُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى حَيٍّ مِنْ لَهَبٍ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَزْجُرُ ؟ فَقَالُوا : كُلُّنَا ، فَمَنْ تَرِيدُ ؟ قَالَ : أَعْلَمُكُمْ بِذَاكَ . قَالُوا : ذَاكَ الشَّيْخُ الْمُنْحَنِي الصَّلْبُ . فَأَتَاهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَكَرِهَ ذَلِكَ لَهُ وَقَالَ لَهُ : قَدْ تَوَفَّيْتُ أَوْ تَزَوَّجْتَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهَا . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
صوت

وَقَدْ رَدَّ عِلْمَ الْعَائِفِينَ إِلَى لَهَبٍ

تَيَمَّمْتُ لَهَبًا أَبْتَغِي الْعِلْمَ عِنْدَهُمْ

بَصِيرًا بِزَجْرِ الطَّيْرِ مَنْحَنِ الصَّلْبِ

تَيَمَّمْتُ شَيْخًا مِنْهُمْ ذَا بَجَالَةٍ

وَصَوْتُ غَرَابٍ يَفْحَصُ الْوَجْهَ بِالتَّرْبِ

فَقُلْتُ لَهُ مَاذَا تَرَى فِي سَوَانِحِ

وَقَالَ غَرَابٌ جَدُّ مِنْهُمْ السَّكْبِ

فَقَالَ جَرَى الطَّيْرِ السَّنِيحِ بَيْنَهَا

سَوَاكَ خَلِيلُ بَاطِنٌ مِنْ بَنِي كَعْبِ

فَإِلَّا تَكُنْ مَاتَتْ فَقَدْ حَالَ دُونَهَا

غناه مالك من رواية يونس ولم يجنسه قال: فمدح الرجل الأزدي ثم أتاه فأصاب منه خيراً كثيراً، ثم قدم عليها فوجدها قد تزوجت رجلاً من بني كعب، فأخذه الهلاس، فكشح جنباه بالنار. فلما اندمل من علته وضع يده على ظهره فإذا هو برقمتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: إنه أخذك الهلاس وزعم الأطباء أنه لا علاج لك إلا الكشح بالنار فكشحت بالنار. فأنشأ يقول: صوت

علام تعينني وتكفي دوائيا

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها

لقلت لهم أم الحويرث دائيا

فلو آذنوني قبل أن يرقموا بها

- في هذين البيتين لمالك ثقیلٌ أول بالوسطى. ولآبن سريج رملٌ بالبنصر كلاهما عن عمر والهشامي. وقيل: إن فيهما لمعبد لحنا وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبی قالاً حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا وقال فيه: إنه قصد ابن الأزرق بن حفص بن المغيرة المخزومي الذي كان باليمن، وإنه فعل ذلك بعد موت عزة. وسائر الخبر متقارب.

سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابه: وأخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن محمد بن سليمان بن فليح أو فليح بن سليمان أنا شككت عن أبيه عن جده قال: جاء كثير إلى عبد الله بن جعفر وقد نخل وتغير. فقال له عبد الله: مالي أراك متغيراً يا أبا صخر؟ قال: هذا ما عملت بي أم الحويرث، ثم ألقى قميصه فإذا به صار مثل القش وإذا به آثار من كي، ثم أنشد:

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها

الأيات.

أغرت عزة به بثينة لتبين حاله: أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي قال حدثني الحزامي عمن حدثه من أهل قديد: أن عزة قالت لبثينة: تصدي لكثير وأطمعني في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به. فأقبلت إليه وعزة تمشي وراءها محتفية، فعرضت عليه الوصل، فقارها ثم قال:

تولى شبابي وارججن شبابها

رمتي على عمدٍ بثينة بعدما

وذكر أبياتاً أخر سقط من الكتاب ذكرها. فكشفت عزة عن وجهها، فبادرها الكلام ثم قال:

لعزة منها صفوها ولبابها

ولكنما ترمين نفساً مريضةً

فضحكت ثم قالت: أولى لك بما قد نجوت، وانصرفتا تتضحكان.

قال لأهله إذ بكوا في مرضه سألهم بعد أيام: أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال: بكى بعض أهل كثير عليه حين نزل به الموت. فقال له كثير: لا تبك، فكأنك بي بعد أربعين ليلةً تسمع خشفة نعل من تلك الشعبة راجعاً إليكم.

مات هو وعكرمة في يوم واحد سنة 105: أخبرني الفضل بن الحباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال

حدثني ابن جعدبة و أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء قال: مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد، فاجتمعت قريش في جنازة كثير، ولم يوجد لعكرمة من يحملها.

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمر بن مصعب قال حدثني الواقدي قال حدثني خالد بن القاسم البياضي قال: مات عكرمة مولى ابن عباس وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي صاحب عزة في يوم واحد في سنة خمس ومائة، فرأيتهما جميعاً صلي عليهما في يوم واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس.

ما جرى في جنازته بين أبي جعفر الباقر وزينب بنت معيقب: وقال ابن أبي سعد الوراق حدثني رجاء بن سهل أبو نصر الصاغانى قال حدثنا يحيى بن غيلان قال حدثني المفضل بن فضالة عن يزيد بن عروة قال: مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد، فأخرجت جنازتهما، فما علمت تخلف امرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتهما. قال: وقيل مات اليوم أشعر الناس وأعلم الناس. قال: وغلب النساء على جنازة كثير يكيه ويذكرن عزة في نديتهن له. قال: فقال أبو جعفر محمد بن علي: افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفها. قال: فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضرهن محمد بن علي بكمه ويقول: تنحين يا صواحبات يوسف. فانتدبت له امرأة منهن فقالت: يا بن رسول الله لقد صدقت، إنا لصواحبات يوسف وقد كنا له خير منكم له. قال: فقال: أبو جعفر لبعض مواليه: احتفظ بها حتى تحييني بها إذا انصرفنا. قال: فلما انصرف أتي بتلك المرأة كأنها شرارة النار. فقال لها محمد بن علي: أنت القائلة إنكن ليوسف خير منا؟ قالت: نعم! تؤمنني غضبك يا بن رسول الله؟ قال: أنت آمنة من غضبي فأبيني. قالت: نحن يا بن رسول الله دعونا إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعيم، وأنتم يا معشر الرجال ألقيتموه في الحب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن. فأينا كان عليه أحنى وبه أرأف؟! فقال محمد: لله درك! ولن تغالب امرأة إلا غلبت. ثم قال لها: ألك بعل؟ قالت: لي من الرجال من أنا بعله. قال: فقال أبو جعفر: صدقت، مثلك من تملك بعلها ولا يملكها. قال: فلما انصرفت قال رجل من القوم: هذه زينب بنت معيقب.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء: صوت

نظرت إليها نظرةً وهي عاتقٌ
على حين أنشبت وبان نهدها
نظرت إليها نظرة ما يسرني
بها حمر أنعام البلاد وسودها
وكننت إذا ما جنّت سعدى بأرضها
أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليساها
إذا ما انقضت أحداثةً لو تعيدها

عروضه من الطويل. البيت الأول لكثير. والثاني والثالث لنصيب من قصيدته التي أولها:

لقد هجرت سعدى وطال صدودها

غنى في البيت الثاني والثالث جحدر الراعي خفيف رمل بالنصر. وغنى فيهما الهذلي رملاً بالوسطى. وغنى في الثالث والرابع دعامة ثقيلاً أول بالنصر.

عمر الوادي يأخذ صوتاً من راعي غنم في شعر له: أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال: قال عمر الوادي، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني مكين العذري قال: سمعت عمر الوادي يقول: بينا أنا أسير بين الروحاء والعرج إذ سمعت إنساناً يغني غناء لم أسمع قط مثله في بيتي كثير:

وكننت إذا ما جئت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها

من الخفريات البيض ود جليسهما إذا ما انقضت أحدى لو تعيدها

قال: فكنت أسقط عن راحلي طرباً، وقلت: والله لألتمسن الوصول إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي، فتميمت سمته فإذا راع في غنم، فسألته إعادته عليه. قال: نعم! ولو حضري قرى أقرئك ما أعدته، ولكني أجعله قراك، فربما ترغمت به وأنا غرثان فأشيع، وعطشان فأروى، ومستوحش فأنس، وكسلان فأنشط. قال: فأعادهما عليه حتى أخذتهما، فما كان زادي حتى ولجت المدينة غيرهما. أخبر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان عالماً ومغنياً ونسب غنائه لجارسته شاجي ترفعاً: وهو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، ويكنى أبا أحمد. وله محل من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشعر وقوله والعلم بالغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك مما يجلب عن الوصف ويكثر ذكره. وله صنعة في الغناء حسنة متقنة عجيبة تدل على ما ذكرناه ها هنا من توصله ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها في صوت واحد تتبعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها. وكان المعتضد بالله، رحمه الله عليه، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناءً وبحضرة أكابر المغنين مثل القاسم بن زرور وأحمد بن المكي ومن دونهما مثل أحمد بن أبي العلاء وطبقتهم، فيعدل عنهم إليه فيصنع فيها أحسن صنعة، ويرفع عن إظهار نفسه بذلك، ويومئ إلى أنه من صنعه جارسته شاجي، وكانت إحدى المحسنات المبرزات المقدمات؛ وذلك بتخريجه وتأديبه، وكان بها معجباً ولها مقدماً.

كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله وطلب منه جارسته ليسمع غناءها فأرسلها له: فأخبرني أحمد بن جعفر بن ححلة قال: لما أختلت حال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان المعتضد يتفقده بالصلاات الفينة بعد الفينة. واتفق يوماً كان فيه مصطحباً أن غني بصوت الصنعة فيه لشاجي جارية عبيد الله؛ فكتب إليه كتاباً يقسم أن يأمرها بزيارته ففعل. قال: فحدثني من حضر من المغنيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد قالت: دخلت إلينا وما منا إلا من يرفل في الحلي والحلل وهي في أثواب ليست كثيابنا، فاحتقرناها؛ فلما غنت احتقرنا أنفسنا. ولم نزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجلبل وصرنا كل شيء. قال: ولما انصرفت أمر لها المعتضد بمال وكسوة. ودخلت إلى مولاهما فجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما استظرفت وسمعت مما استغربت. فقالت: ما استحسنت

هناك شيئاً ولا استغربه من غناء ولا غيره إلا عوداً من عود محفور فإني استظرفته. قال لحظة: فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمد عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عوداً!.

كانت شاجي جاريتها تلحن للمعتضد بعض الشعر: قال محمد بن الحسن الكاتب وحدثني النوشجاني قال: كان المعتضد إذا استحسن شعراً بعث به إلى شاجي جارية عبيد الله بن طاهر فتغنى فيه. قال: وكانت صنعتها تسمى في عصره غناء الدار.

ماتت شاجي فرثاها قال محمد بن الحسن: وماتت شاجي في حياة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان عليلاً، فقال يرثيها وله فيه صنعة من خفيف الثقل الأول بالوسطى:

يميناً يقيناً لو بليت بفقدها وبني نبض عرقٍ للحياة أو النكس
لأوشكت قتل النفس قبل فراقها ولكنها ماتت وقد ذهبت نفسي

له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء

ومن نادر صنعة عبيد الله وجيد شعره قوله وله فيه لحنان ثقیلٌ أول وهزجٌ، والثقل الأول أجودهما:

أنفق إذا أيسرت غير مقتر وأنفق على ما خيلت حين تعسر
غير الجود يفنى المال والمال مقبلٌ ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

وأشعاره كثيرة جيدة كثيرة النادر والمختار. وكتابه في النغم وعلل الأغاني المسمى "كتاب الآداب الرفيعة" كتاب مشهور جليل الفائدة دالٌّ على فضل مؤلفه.

قص عليه الزبير بن بكار قصة فاستحسنها وأمر له بمال: أخبرني لحظة قال حدثني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني موسى بن هارون، فيما أرى، قال:

كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزبير بن بكار فأعلمه أن المتوكل أو المعتز - وأراه المعتز - بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء. فقال الزبير بن بكار: قد بلغت هذه السن وأتولى القضاء! أو بعد ما رويت أن من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين! فقال له: فتلحق بأمر المؤمنين بسر من رأى، فقال له: أفعل. فأمر له بمال ينفقه، وبظهر يحمله ويحمل ثقله. ثم قال له إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئاً قبل أن نفترق! قال: نعم! انصرفت من عمرة الحرم؛ فبينما أنا بأثاية العرج، إذا أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلت إليهم وإذا رجل كان يقنص الطباء وقد وقع ظبي في حبالته فذبحه، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فنشب القرن فيه فمات. وأقبلت فتاة كأنها المهابة، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت:

ياحسن لو بطل لكنه أجل على الأثاية ما أودى به البطل
ياحسن جمع أحشائي وأفلقها وذاك يا حسن لولا غيره جلل

أضحت فتاة نهدي علانيةً وبعلمها بين أيدي القوم محتمل

قال: ثم شهقت فماتت. فما رأيت أعجب من الثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل جريح ميت، والفتاة ميتة حرة. فأمر له عبيد الله بمال آخر. ثم أقبل إليه أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج الزبير فقال: أما إن الذي أخذناه من الفائدة في خبر حسن وفي قولها:

أضحت فتاة بني نهدي علانيةً

- تريد ظاهرة - أكثر عندي مما أعطيناها من الحباء والصلة. وقد أخبرني الحسين بن علي عن الدمشقي عن الزبير بخبر حسن فقط، ولم يذكر فيه من خبر عبيد الله شيئاً. ومن الأصوات التي تجمع النغم العشر: صوت لحنه في شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر: وهو يجمع النغم العشر كلها على غير توال:

وإنك إذ أطعمتني منك بالرضا وأياستني من بعد ذلك بالغضب

كممكنة من ضرعها كف حالب ودافقة من بعد ذلك ما حلب

عروضه من الطويل. الشعر لإبراهيم بن علي بن هرمة. والغناء في هذا اللحن الجامع للنغم لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها وعليها ابتداء الصوت. أثبت في كتابه نقد أبي نواس لشعر لابن هرمة وشعر لجرير: وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني بعض أصحابنا عن أبي نواس أنه قال: شاعران قالوا بيتين وضعنا التشبيه فيهما في غير موضعه. فلو أخذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجعل مع بيت الآخر، وأخذ بيت ذاك فجعل مع هذا لصار متفقاً معنى وتشبيهاً. فقلت له: ألي ذلك؟ فقال: قول جرير للفرزدق:

فإنك إذ تهجو تميماً وترتشي وتباين قيس أو سحق العمائم

كمهريق ما إن بالفلاة وغره سرابٌ أذاعته رياح السمائم

وقول ابن هرمة:

وإني وتركى ندى الأكرمين وقدحي بكفي زندا شحاحا

كتاركةٍ بيضها بالعراء وملبسةٍ بيض أخرى جناحا

فلو قال جرير:

فإنك إذ تهجو تميماً وترتشي وتباين قيس أو سحق العمائم

كتاركةٍ بيضها بالعراء وملبسةٍ بيض أخرى جناحا

لكان أشبه منه ببيته. ولو قال ابن هرمة مع بيته:

وإنني وتركي ندى الأكرمين وقدحي بكفي زندا شحاحا
كمهريق ما إن بالفلاة وغره سرابٌ أذاعته رياح السمائم

كان أشبه به. ثم قال: ولكن ابن هرمة قد تلا في ذلك بعد فقال:

وإنك إذ أطعمتني منك بالرضا وأياستني من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من ضرعها كف حالبٍ ودافقة من بعد ذلك ما حلب

وقد أتى عبيد الله بن عبد الله بهذا الكلام بعينه في الآداب الرفيعة . وإنما أخذه من أبي نواس على ما روي عنه. ومما يجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر في شعر نصيب: ووجدت في كتاب مؤلف في النغم غير مسمى الصانع: أن من الأصوات التي تجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر المكي في شعر نصيب وهو: صوت

ألا أيها الربع المقيم بعنرب سقتك السوافي من مراح ومعرب
بذي هيدبٍ أما الربى تحت ودقه فتروي وأما كل وادٍ فيزعب

عروضه من الطويل. ويروي الربع الخلاء بعنرب أي الخالي. وعنرب: موضع، ويروي سقتك الغواذي من مراد". والمراد. الموقع الذي يرتاد فيرعى فيه الكأ. والمراح: الموضع الذي تروح إليه المواشي وتبيت فيه وفي الحديث أنه رخص في الصلاة في مراح الغنم ونهى عنها في أعطان الأبل. والمعرب: الموضع الذي يعرب فيه الرجل عن البيوت والمنازل. وأصل العزوب: البعد يقال عزب عنه رأيه وحلمه أي بعد، والعزب مأخوذ من ذلك وهيدب السماء أطرافُ تراه في أذنا به كأنه معلق به. قال أوس بن حجر:

دانٍ مسفٌ فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

ويزعب: يطفح، يقال: زعبه السيل إذا ملاه . الشعر لنصيب يقوله في عبد العزيز بن مروان. وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجازه: أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني جميع بن علي النميري عن عبد الله بن عبد العزيز بن محجن بن النصيب، قال الزبير وكتب إلي بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضه بنت النصيب قالت: وفد أبي على عبد العزيز بن مروان بمصر، فوقف على الباب فاستأذن فلم يؤذن له. فأرسل إليه حاجبه فقال: استنشده، فإن كان شعره رديئاً فاردده، وإن كان جيداً فأدخله. فقال نصيب: قد جلبنا شيئاً للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلا طويناه ورجعنا به. فقال عبد العزيز: إن هذا لكلام رجلٍ ذهني، فأدخله. فلما واجهه أنشد قصيدته التي يقول فيها:

ألاهل أتى الصقر بن مروان أنني أردلدي الأبواب عنه وأحجب
وأنني ثويت اليوم والأمس قبله على الباب حتى كادت الشمس تغرب

مهابة قيسٍ والرتاج المضرب

وأنى إذا رمت الدخول تردني

قال: وكان حاجب عبد العزيز يسمى قيساً. قال: وتشبيب هذه القصيدة:

سقتك السواقي من مراحٍ ومعرب

ألا أيها الربع المقيم بعنبيب

قال: فلما دخل على عبد العزيز أعجب بشعره وأوجهه ، وقال للفرزدق: كيف تسمع هذا الشعر؟ قال: حسنٌ إلا من لغته. قال: هذا والله أشعر منك !. قال: وقال نصيب فيها أيضاً:

كاسبٌ غيري ولا متقلب

وأهلي بأرضٍ نازحون وما لهم

على الأين من نجب ابن مروان أصهب

فهل تلحقنيهم بعبلٍ مواشك

وذو ثناتٍ بالرديفين متعب

أبو بكراتٍ إن أردت افتحاله

فقال له عبد العزيز: ادخل على المهاري فخذ منها ما شئت، فلو كنت سألت غيره لأعطيته فدخل فرده الجمال. فقال عبد العزيز: دعه فإنما يأخذ الذي نعت، فأخذه.

قال الزبير وحديثي بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال: نزل عبد العزيز بن عبد الوهاب على المهدي بعنبيب من وادي السراة الذي عنى نصيب بقوله:

ألا أيها الربع الخلاء بعنبيب

والمهدي هو الذي يقول فيه الشاعر:

بالسويقات إلى المهدي

اسلمي يا دار من هند

صوت له يجمع ثمانى نغم وقد مدحه إسحاق صوت وهو يجمع من النغم ثمانيا:

ترك المنى لفواتها

يا من لقلبٍ مقصرٍ

قد كان من حاجاتها

وتظلف النفس التي

سلمى ومن جاراتها

وطلابك الحاجات من

ل الفضل من مثناتها

كتطرد العنس الذمو

قوله: يا من لقلب مقصر تأسف على شبابه، ويدل على ذلك قوله:

قد كان من حاجاتها

وتظلف النفس التي

يقال: اظلف نفسك عن كذا أي أمنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه. وهو مأخوذ من ظلف الأرض وهو المكان الذي لا أثر فيه. قال عوف بن الأحوص:

كما ظلف الوسيقة بالكراع

ألم أظلف عن الشعراء عرضي

الوسيقة: الجماعة من الأبل. يعني أنها تساق فلا يوجد لها أثر في الكراع، وهو منقطع الجبل. قال الشاعر:

أُمسّت كراع الغميم موحشةً

بعد الذي قد خلا، من العجب

وقوله:

كتطرد العنس الذمو

ل الفضل من مثناتها

يقول: طلابك هذه الحاجات ضلالٌ وتتابعُ كتطرد العنس وهي الناقة المذكورة الخلق الفضل من مثاتها. والتطرد: التبع، ومثله قول الشاعر:

خبطت الصبا خبط البعير خطامه

فلم أنتبه للشيب حتى علانيا

الشعر لمسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس. والغناء لابن محرز ثاني ثقل مطلق في مجرى البصر عن إسحاق. وهذا الصوت يجمع من النغم ثمانيا، وكذلك ذكر إسحاق ووصف أنه لم يجمع شيء من الغناء قديمه وحديثه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت، ووصف أنه لو تلطف متلطف لأن يجمع النغم العشر في صوت واحد لأمكنه ذلك، بعد أن يكون فهماً بالصناعة طويل المعاناة لها وبعد أن يتعب نفسه في ذلك حتى يصح له. فلم يقدر على ذلك سوى عبید الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا.

ذكر مسافر ونسبه

نسبه وهو أحد السادات المعروفين بأزواد الركب: مسافر بن أبي عمرو بن أمية، ويكنى أبا أمية. وقد تقدم نسبه وأنساب أهله. وأمه آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي أم أبي معيط أبان بن عمرو بن أمية. وأبو معيط ومسافر أخوان لأب وأم، وهما أخوا عمومتهما أبي العاصي وأخويه من بني أمية الذين أمهم آمنة، لأن أبا عمرو تزوجها بعد أبيه. وكان سيداً جواداً، وهو أحد أزواد الركب، وإنما سمو بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريباً ولا مار طريق ولا محتاجاً يحتاج بهم إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن. مناقضاته عمارة بن الوليد: وهو أحد شعراء قريش، وكان يناقض عمارة بن الوليد الذي أمر النجاشي السواحر فسحرتة. فمن ذلك قول عمارة:

خلق البيض الحسان لنا

وجياد الريط والأزر

كابراً كنا أحق به

حين صيغ الشمس والقمر

وقال مسافر يرد عليه:

أعمار بن الوليد وقد

يذكر الشاعر من ذكره

هل أخو كأس محققها

وموق صحبه سكرة

ومحييهم إذا شربوا

ومقل فيهم هذره

خلق البيض الحسان لنا

وجياد الريط والحبره

كأبراً كنا أحق به

كل حي تابع أثره

خطب هند بنت عتبة ولما تزوجت أبا سفيان مرض واعتل حتى مات: وله شعر ليس بالكثير. والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان يهواها. فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكه بن المغيرة، فلم ترض ثروته وماله. فوفد على النعمان يستعينه على أمره ثم عاد، فكان أول ما لقيه أبو سفيان، فأعلمه بتزويجه من هند. فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن أبي سلمة عن هشام، قال ابن عمار وقد حدثناه ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام، قال ابن عمار وحدثنيه علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه دخل حديث بعضهم في بعض: أن مسافر بن أبي عمرو بن أمية كان من فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء. قالوا: فعشق هنداً بنت عتبة بن ربيعة وعشقتها، فاتهم بها وحملت منه. قال بعض الرواة: فقال معروف بن خربوذ: فلما بان حملها أو كاد قالت له: اخرج، فخرج حتى أتى الحيرة، فأتى عمرو بن هند فكان يناديه. وأقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها، فلقي مسافراً، فسأله عن حال قريش والناس، فأخبره وقال له فيما يقول: وتزوجت هنداً بنت عتبة. فدخله من ذلك ما اعتل معه حتى استسقى بطنه. قال ابن خربوذ: قال مسافر في ذلك:

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً

وأصبحت من أدنى حموتها حما

وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه

يقلب بالكفين قوساً وأسهما

فدعا له عمرو بن هند الأطباء، فقالوا: لا دواء له إلا الكي. فقال له: ما ترى؟ قال: افعل. فدعا له الذي يعالجه فأحمى مكايوه، فلما صارت كالنار قال: ادع أقواماً يمسكونه. فقال لهم مسافر: لست أحتاج إلى ذلك. فجعل يضع المكاي علىه. فلما رأى صبره ضرط الطبيب، فقال مسافر:

قد يضطرب العير والمكواة في النار

لما مات رثاه أبو طالب: فجرت مثلاً فلم يزد إلا ثقلاً. فخرج يريد مكة. فلما انتهى إلى موضع يقال له هباله مات فدفن بها، ونعي إلى قريش. فقال أبو طالب بن عبد المطلب يرثيه:

ليت شعري مسافر بن أبي عم

رو وليت يقولها المحزون

رجع الركب سالمين جميعاً

وخليلي في مرمسٍ مدفون

بورك الميت الغريب كما بو

رك نضر الرياح والزيتون

بيت صدق على هباله قد حا

لت فيافٍ من دونه وحزون

مدرّة يدفع الخصوم بأيدي
وبوجه يزينه العرنين
كم خليل رزئته وابن عم
وحميم قضت عليه المنون
فتعزيت بالتأسي وبالصب
ر وإني بصاحبي لضنين

غنى في هذين البيتين يحيى المكي ثاني ثقليل بالوسطى من رواية ابنه والهشامي.
وأنشدنا الحرمي قال أنشدنا الزبير لأبي طالب بن عبد المطلب في مسافر بن أبي عمرو:

ألا إن خير الناس غير مدافع
بسرو سحيم غيبته المقابر
تبكي أباه أم وهب وقد نأى
وريسان أمسى دونه ويحابر
على خير حاف من معد وناعل
إذا الخير يرجى أو إذا الشر حاضر
تتادوا ولا أبو أمية فيهم
لقد بلغت كظ النفوس الحناجر

قال وقال النوفلي: إن البيتين:

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً

والذي بعده لهشام بن المغيرة، وكانت عنده أسماء بنت مخزومة النهشلية، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث، ثم غضب عليها فجعلها مثل ظهر أمه وكان أول ظهار كان فجعلته قريش طلاقاً. فأرادت أسماء الانصراف إلى أهلها، فقال لها هشام: وأين الموعد؟ قالت: الموسم. فقال لها ابنها: أقيمي معنا فأقامت معهما. فقال المغيرة بن عبد الله وهو أبو زوجها: أما والله لأزوجنك غلاماً ليس بدون هشام، فزوجها أبا ربيعة ولده الآخر، فولدت له عياشاً وعبد الله. فذلك قول هشام:

تحدثنا أسماء أن سوف نلتقي
أحاديث طسم ، إنما أنت حالم

وقوله:

ألا أصبحت أسماء حجراً محرماً
وأصبحت من أدنى حموتها حما

قال النوفلي في خبره وحديثي أبي: أنه إنما كان مسافر خرج إلى النعمان بن المنذر يتعرض لإصابة مال ينكح به هنداً، فأكرمه النعمان واستظرفه ونادمه وضرب عليه قبة من آدم حمراء. وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عرف قدره منه ومكانه عنده. وقدم أبو سفيان بن حرب في بعض تجاراته، فسأله مسافر عن حال الناس بمكة، فذكر له أنه تزوج هنداً؛ فاضطرب مسافر حتى مات. وقال بعض الناس: إنه استسقى بطنه فكوي فمات بهذا السبب. قال النوفلي: فهو أحد من قتله العشق.

خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكة بن المغيرة: فأما خبر هند وطلاق الفاكة بن المغيرة إياها، فأخبرني به أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أبو السكين زكريا بن يحيى بن عمرو بن حصن بن

حميد بن حارثة الطائي قال حدثني عمي زحر بن حصن عن جده حميد بن حارثة قال: كانت هند بنت عتبة عند الفاكه بن المغيرة، وكان الفاكه من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة بارزٌ من البيوت يغشاه الناس من غير إذن. فخلا البيت ذات يوم، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته. وأقبل رجلٌ ممن كان يغشى البيت فوجله، فلما رآها رجع هارباً، وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضر بها برجله وقال: من هذا الذي خرج من عندك؟! قالت: ما رأيت أحداً ولا أنتبهت حتى أنهيتني. فقال لها: ارجعي إلى أمك. وتكلم الناس فيها، وقال لها أبوها: يا بنية إن الناس قد أكثروا فيك، فأنبئيني نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دسست عليه من يقتله فتقطع عنك المقالة، وإن يك كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن. فقالت: لا والله ما هو علي بصديق. فقال له: يا فاكه، إنك قد رميت بنيتي بأميرٍ عظيم، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن. فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من عبد مناف ومعهم هند ونسوة. فلما شارفوا البلاد وقالوا غداً نرد على الرجل تنكرت حال هند. فقال لها عتبة: إني أرى ما حل بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك.

قالت: لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه، ولكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب، ولا آمنه أن يسمني ميسماً يكون علي سبةً. فقال لها: إني سوف أختبره لك، فصفر بفرسه حتى أدلى، ثم أدخل في إحليله حبة بر وأوكأ عليها بسير. فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم. فلما قعدوا قال له عتبة: جئناك في أمرٍ وقد خبأت لك حبةً أختبرك به فانظر ما هو؟ قال: ثمرة في كمره. قال: إني أريد أين من هذا. قال: حبة بر في إحليل مهر. قال: صدقت، أنظر في أمر هؤلاء النسوة. فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول: انهضي، حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رسحاء ولا زانية، ولتلدن ملكاً يقال له معاوية. فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها، فنثرت يدها من يده وقالت: إليك عني! فوالله لأحرص أن يكون ذلك من غيرك، فتزوجها أبو سفيان.

وقد قيل: إن بيتي مسافر بن أبي عمرو أعني:

ألا أن هنداً أصبحت منك محرماً

لابن عجلان .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني عبد الله بن علي بن الحسن عن أبي نصر عن الأصمعي عن عبد الله بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال: خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال:

وأصبحت من أدنى حموتها حما

ألا إن هنداً أصبحت منك محرماً

يقلب بالكفين قوساً وأسهما

فأصبحت كالمقمور جفن سلاحه

شعر لمسافر في الفخر: ثم مد بهما صوته فمات. قال ابن سيرين: فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا. ومما يغني فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيد شعره قوله يفتخر: صوت

ألم نسق الحجيح ونن

وزمزم من أرومتنا

وإن مناقب الخيرا

فإن نهلك فلم نملك

حر المذلاقة الرفدا

ونفقأعين من حسدا

ت لم نسبق بها عددا

وهل من خالد خلدا

غناه ابن سريج رملاً في الخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى من رواية حماد. وفيه للزف ثقيل بالوسطى.

فأما خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله أمر النجاشي السواحر فسحرته ما كان بين عمرو وعمارة لدى النجاشي: فإن الواقدي ذكره عن عبد الله بن جعفر بن أبي عون قال:

كان عمارة بن الوليد المخزومي بعدما مشيت قريش بعمارة إلى أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السهمي، وكانا كلاهما تاجرين، إلى النجاشي، وكانت أرض الحبشة لقريش متجرراً ووهجاً، وكلاهما مشرك شاعر فأتاكُ وهما في جاهليتهما، وكان عمارة معجباً بالنساء صاحب محادثة؛ فركبا في السفينة ليالي فأصابا من خمر معهما. فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص: قبليني. فقال لها عمرو: قبلي ابن عمك فقبلته.

فحذر عمرو على زوجته فرصدها ورصدته، فجعل إذا شرب معه أقل عمرو من الشراب وأرق لنفسه بالماء مخافة أن يسكر فيغلبه عمارة على أهله. وجعل عمارة يراودها على نفسها فامتنعت منه. ثم إن عمراً جلس إلى ناحية السفينة يبول، فدفعه عمارة في البحر. فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بالقلس فارتفع فظهر على السفينة. فقال له عمارة: أما والله لو علمت يا عمرو أنك تحسن السباحة ما فعلت. فاضطغنها عمرو وعلم أنه أراد قتله. فمضينا على وجههما ذلك حتى قدما أرض الحبشة ونزلاها. وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أن اخلعي وتبراً من جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم. وذلك أنه خشي على أبيه أن يتبع بجريرته وهو يرصد لعمارة ما يرصد.

فلما ورد الكتاب على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج إلى بني المغيرة وغيرهم من بني مخزوم فقال: إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علمتم، وكلاهما فاتك صاحب شر، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندري ما يكون. وإني أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعتهم. فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم: أنت تخاف عمراً على عمارة! وقد خلعنا نحن عمارة وتبرأنا إليك من جريرته، فخل بين الرجلين. فقال السهميون: قد قبلنا، فابعثوا منادياً بمكة أنا قد خلعناهما. وتبرأ كل قوم من صاحبهم ومما جر عليهم، فبعثوا منادياً ينادي بمكة بذلك. فقال الأسود بن المطلب: بطل والله دم عمارة بن الوليد آخر الدهر!

فلما اطمأننا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة أن دب لامرأة النجاشي فأدخلته فاختلف إليها. فجعل إذا رجع من مدخله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره. فجعل عمرو يقول: ما أصدقك أنك قدرت على هذا الشأن، إن المرأة أرفع من ذلك. فلما أكثر على عمرو مما كان يخبره، وقد كان صدقه ولكن أحب التثبت، وكان عمرو يغيب عنه حتى يأتيه في السحر، وكان في منزل واحد معه، وجعل عمارة يدعو به إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو

ويقول: إن هذا يشغلك عن مدخلك، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفعه إلى النجاشي. فقال له في بعض ما يذكر له من أمرها: إن كنت صادقاً فقل لها تدهنك من دهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره فإني أعرفه، لو أتيتني به لصدقتك. ففعل عمارة "فجاء" بقارورة من دهنه، فلما شمه عرفه. فقال له عمرو عند ذلك: أنت صادق! لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد مثله قط من العرب ونلت من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا وكانوا أهل جاهلية ثم سكت عنه، حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي فقال: أيها الملك! إن ابن عمي سفيه، وقد خشيت أن يعرني عندك أمره، وقد أردت أن أعلمك شأنه ولم أفعل حتى استثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر. وهذا من دهنك قد أعطيه ودهني منه. فلما شم النجاشي الدهن قال: صدقت، هذا دهني الذي لا يكون إلا عند نسائي. ثم دعا بعمارة ودعا بالسواحر، فجردوه من ثيابه فنفخن في إحليله، ثم خلى سبيله فخرج هارباً. فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب. فخرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة وكان اسمه قبل أن يسلم بحيراً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله فرصده على ماء بأرض الحبشة، وكان يرده مع الوحش، فورد، فلما وجد ريح الإنس هرب، حتى إذا أجهده العطش ورد فشرب حتى تملأ وخرجوا في طلبه. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: فسعيت إليه فالتزمته، فجعل يقول لي: يا بحير أرسلني! يا بحير أرسلني! إني أموت إن أمسكتموني. قال عبد الله: وضغطته فمات في يدي مكانه. فواراه ثم انصرف. وكان شعره قد غطى على كل شيء منه.

قال الواقدي عن ابن أبي الزناد: وقال عمرو لعمارة: يا فائد، إن كنت تحب أن أصدقك بهذا أو أقبله منك فأتني بثوبين أصفرين. فلما رأى النجاشي الثوبين قال له عمرو: أتعرف الثوبين؟ قال نعم.

وقال الواقدي عن ابن أبي الزناد عن أبيه، قال النجاشي لعمارة: إني أكره أن أقتل قرشياً، ولو قتلت قرشياً لقتلتك، فدعا بالسواحر.

شعر عمرو بن العاص في عمارة: فقال عمرو بن العاص يذكر عمارة وما صنع به قال الواقدي أخبرني ابن أبي الزناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شعيب بن عبد الله بن عمرو يذكر لحدته:

تعلم عمار أن من شر شيمة	لمثلك أن يدعى ابن عم له ابنا
وإن كنت ذا بردين أحوى مرجلا	فلمست براع لابن عمك محرما
إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه	ولم ينه قلباً غلوياً حيث يمما
قضى وطراً منه يسيراً وأصبحت	إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما
فليس الفتى ولو أتمت عروقه	بذي كرم إلا بأن يتكرما
صحبت من الأمر الرفيق طريقه	ووليت غي الأمر من قد تلوما

من الآن فانزع عن مطاعم جمّة وعالج أمور المجد لا تتندما

شعر خولة بنت ثابت في عمارة: قال إسحاق وحدثني الأصمعي: أن خولة بنت ثابت أخت حسان قالت في عمارة لما سحر:

يا ليلتي لم أنم ولم أكد أقطعها بالبكاء والسهد

أبكي على فتية رزئتهم كانوا جبالي فأوهنوا عضدي

كانوا جمالي ونصرتي وبهم أ منع ضيمي وكل مضطهد

فبعدهم أرقب النجوم وأذ ري الدمع والحزن والحبّ كبدي

قال الأصمعي واحتاز ابن سريج بطويس ومعه فتية من قريش وهو يغنيهم في هذا الصوت، فوقف حتى سمعه، ثم أقبل عليهم فقال: هذا والله سيد من غناه.

هذه الأصوات التي ذكرتها الجامعة للنغم العشر والثمان النغم منها هي المشهورة المعروفة عند الرواة وفي روايات الرواة وعند المغنين.

كان عبيد الله يرأسل المعتضد على لسان جواريه: وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يرأسل المعتضد بالله إذا استزار جواريه على ألسنتهم ومع ذوي الأنس عنده من رسله: مع أحمد بن الطيب وثابت بن قرة الطائي، يذكر النغم وتفصيل مجاريها ومعانيها حتى فهم ذلك. فصنع لحناً فجمع النغم العشر في قول دريد بن الصمة:

يا ليلتي فيها جذع أأخب فيها وأضع

كان المكتفي يرأسله في الغناء: وصنع صنعةً متقنةً جيدة، منها ما سمعناه من الحسين والحسنات ومنها ما لم نسمعه، يكون مبلغها نحو خمسين صوتاً. وقد ذكرت من ذلك ما صلح في أغاني الخلفاء. ثم صنع مثل ذلك للمكتفي بالله لرغبته في هذه الصناعة. فوجدت رقعةً بخطه كتب بها إلى المكتفي نسختها: قال إسحاق بن إبراهيم حين صاغ عند أبي العباس عبد الله بن طاهر بأمره لحنه في:

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد تليع تزينه الأطواق

وشتيت كالأقحوان جلاه الطل فيه عذوبةً واتساق

إني نظرت مع إبراهيم وتصفح غناء العرب كله، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتاً أطول إيقاعاً من:

عادك الهم ليلة الإيجاف من غزال مخضب الأطراف

ولحنه خفيف ثقيل لابن محرز؛ فإن إيقاعه ستة وخمسون دوراً. ثم لحن معبد:

هريرة ودعها وإن لام لائم غداة غد أم أنت للبين واجم

وهو أحد سبته . ولحنه خفيف ثقيل، ودور إيقاعه ستة وخمسون دوراً، إلا أن صوت ابن محرز سداسي في العروض من الخفيف، وصوت معبد ثنائي من الطويل؛ فصوت ابن محرز أعجب لأنه أقصر. وما زلنا حتى ثقياً لنا شعراً رباعي في سيدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، دور إيقاعه ستة وخمسون دوراً، وهو يجمع من النغم العشر ثمانياً؛ وهذا ظريف جداً بديع لم يكن مثله. وأما الصوت الذي في تهنة النوروز فلا نفسنا عملناه؛ إذ لم يكن لنا من يدبر مثل هذا معه غيره. وقد كتبنا شعره وشعر الآخر، وإيقاع كل واحد منهما خفيف ثقيل، والصنعة فيهما تستظرف:

بلغوا وأعطوا في الإمام المكتفي

جمع الخلائف كلهم لجميع ما

ذا الشعر منها لحنه لم يعرف

وله الهدايا ألف نوروزٍ وه

والآخر:

فة تفنى مدى الدول

دولة المكتفي الخلي

س فما بعدها أمل

يوم عيدٍ ويوم عر

الصنعة في البيت الأول خاصة تدور على ستة وخمسين إيقاعاً. هكذا وجدت في الرقعة بخط عبيد الله. وما سمعت أحداً يغني هذين الصوتين. وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدمين ومن مغنيات القصور فما عرفهما أحدٌ منهن. وذكرهما في الكتاب لأن شريطته توجب ذكرهما.

الأرمال الثلاثة المختارة

الأرمال المختارة والكلام عنها: أخبرني يحيى بن علي ومحمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي، قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرني أبي أيضاً عن إسحاق، وأخبرنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن خرداذبة قال قال إسحاق: أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رملٍ غني رمل:

فلم أر كالتجوير منظر ناظرٍ

ثم رمل:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل

ولو عاش ابن سريج حتى يسمع لحي الرمل:

لعلك إن طالت حياتك أن ترى

لاستحيا أن يصنع بعده شيئاً. وفي روايتي وكيع وعلي بن يحيى ولعلم أبي نعم الشاهد له.

نسبة الأصوات وأخبارها: صوت الصوت الأول من هذه الأرمال في شعر ابن أبي ربيعة:

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ
ولا كلياالي الحج أفلتن ذا هوى
فكم من قتيلٍ ما يباء به دمٌ
ومن غلقٍ رهناً إذا لفه منى
ومن مالى عينية من شيء غيره
إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
يسحبن أذيال المروط بأسواقٍ
خداً وأعجازٍ مآكمها روا

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج رملٌ بالبصرة. وقد كان علويه فيما بلغنا صنع فيه رملًا، وفي أفاطم مهلاً خفيف رملٍ، وفي لعلك إن طالت حياتك رملًا آخر، ولم يصنع شيئاً وسقطت ألحانه فيها فما تكاد تعرف. وهذه الأبيات يقولها عمر بن أبي ربيعة في بنت مروان بن الحكم.

ابن أبي ربيعة وأم عمرو بنت مروان

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا ابن كناسة عن أبي بكر بن عياش قال: حجت أم عمرو بنت مروان، فلما قضت نسكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساءٍ معها، فحدثته ثم انصرفت، وعادت إليه منصرفها من عرفات وقد أثبتها. فقالت له: لا تذكرني في شعرك، وبعثت إليه بألف دينار. فقبلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطيباً فأهداه إليها فردته. فقال: إذا والله أنهبه الناس فيكون مشهوراً؛ فقبلته. وقال فيها:

أيها الرائح المجد ابتكارا
قد قضى من تهامة الأوطارا
من يكن قلبه الغداة خلياً
ففؤادي بالخيف أمسى مطارا
ليت ذا الدهر كان حتماً علينا
كل يومين حجة واعتمارا

قال ابن كناسة قال ابن عياش: فلما وجهت منصرفاً قال فيها:

فكم من قتيلٍ ما يباء به دمٌ
ومن غلقٍ رهناً إذا لفه منى

قال: ويروى ومن غلقٍ رهنٍ كأنه قال ومن رهنٍ غلقٍ؛ لا يجعل من نعت الرهن. كأنه جعل الإنسان غلقاً وجعله رهناً؛ كما يقال: كم من عاشقٍ مدنفٍ، ومن كلفٍ صبٍ. قال الزبير وحدثني مسلم بن عبد الله بن مسلم بن جندب عن أبيه قال: أنشده ابن أبي عتيق فقال: إن في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمال.

قال: وقال عبد الله بن عمر، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعره هذا: يا بن أخي! أما اتقيت الله حيث تقول:

ليت ذا الدهر كان حتماً علينا
كل يومين حجةً واعتمارا

فقال له عمر بن أبي ربيعة: بأي أنت وأمي! إني وضعت ليتاً حيث لا تغنى.

أمر عمر بن عبد العزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، وأخبرني علي بن عبد

العزیز عن عبید اللہ بن عبد اللہ عن إسحاق، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا مصعب بن عثمان: أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم تكن له همة إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص. فكتب إلى عامله على المدينة: قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر. فإذا أتاك كتابي هذا فاشددهما واحملهما إلي. فلما أتاه الكتاب حملهما إليه. فأقبل على عمر فقال له هيه!

فلم أر كالتجوير منظر ناظرٍ ولا كليلالي الحج أفلتن ذا هوى

وكم ماليء عينيهِ من شيءٍ غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون! أما والله لو اهتممت بأمر حجك لم تنظر إلى شيء غيرك! ثم أمر بنفيه. فقال يا أمير المؤمنين، أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أعاهد الله ألا أعود إلى مثل هذا الشعر ولا أذكر النساء في شعر أبداً وأجدد توبةً على يديك. قال: أو تفعل؟ قال نعم. فعاهد الله على توبةٍ وخلاه. ثم دعا بالأحوص فقال هيه! نفى الأحوص ولم يطلقه إلا يزيد بن عبد الملك:

الله بيني وبين قيمها يهرب مني بها وأتبع

با الله بين قيمها وبينك! ثم أمر بنفيه إلى بيش، وقيل إلى دهلك وهو الصحيح، فنفي إليها، فلم يزل بها. فرحل إلى عمر عدةً من الأنصار فكلّموه في أمره وسألوه أن يقدمه وقالوا له: قد عرفت نسبه وقدمه وموضعه وقد أخرج إلى بلاد الشرك، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه. فقال لهم عمر: من الذي يقول:

فما هو إلا أن أراها فجاءةً فأبتهت حتى ما أكاد أحير

- وفي رواية الزبير أجب مكان أخير قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

أدور ولولا أن أرى أم جعفرٍ بأبياتكم ما درت حيث أدور

وما كنت زواراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزر لا بد أن سيزور

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

كأن لبني صبير غاديةٍ أو دميةً زينت بها البيع

الله بيني وبين قيمها يهرب مني بها وأتبع

قالوا: الأحوص. قال: إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول، والله لا أردّه ما كان لي سلطان. فمكث هناك بعد ولاية عمر صادراً من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاه.

قال: وكتب إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه قال الزبير: أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماحشون قال أنشدنيها يوسف بن الماحشون يعني هذه الأبيات:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن
وقل لأبي حفص إذا ما لقيته
أفي الله أن تدنوا ابن حزم وتقطعوا
فكيف ترى للعيش طيباً ولذة
وما طمع الحزمي في الجاه قبلها
وشى وأطاعوه بنا وأعانه
وكننت أرى أن القرابة لم تدع
إلى أحد من آل مروان ذي حجي
يسر بما أنهى العدو وإنه
فهل ينقصني القوم أن كنت مسلماً
ألا رب مسرور بنا سيغيظه
رجا الصلح مني آل حزم بن فرتى
ألا قد يرجون الهوان فإنهم
على حين حل القول بي وتنتظرت
فمن يك أمسى سائلاً بشماتة
فقد عجمت مني العواجم ما جداً
إذا نال لم يفرح وليس لنكبة
قال الزبير: وقال الأحوص أيضاً:

هل أنت أمير المؤمنين فإنني
متمم أجرٍ قد مضى وصنيعة
فكم من عدوٍ سائل ذي كشاحة
بودك من ود العباد لقانع
لكم عندنا أو ما تعد الصنائع
ومنتظرٍ بالغيب ما أنت صانع

فلم يغن عنه ذلك ولم يخل سبيل عمر، حتى ولي يزيد بن عبد الملك فأقدمه وقد غنته حباة بصوت في شعره.
أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال قال هشام بن حسان:
كان السبب في رد يزيد بن عبد الملك الأحوص أن جميلة غنته يوماً:

كريم قریش حين ينسب والذي
أقرت له بالملك كهلاً وأمرداً

فطرب يزيد وقال: ويحك! من كريم قريش هذا؟ قالت: أنت يا أمير المؤمنين، ومن عسى أن يكون ذلك غيرك ! قال: ومن قاتل هذا الشعر في؟ قالت: الأحوص وهو منفي. فكتب برده وحمله إليه وأنفذ إليه صلاتٍ سنّية. فلما قدم إليه أدناه وقربه وأكرمه. وقال له يوماً في مجلس حافل: والله لو لم تمت إلينا بحق ولا صهر ولا رحم إلا بقولك:

وإني لأستحييكم أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمع

لكفأك ذلك عندنا. قال: ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات. وأخبار الأحوص في هذا السبب وغيره قد مضت مشروحة في أول ما مضى من ذكره وأخباره؛ لأن الغرض ها هنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في الشعرين اللذين أنكرهما عليهما عمر بن عبد العزيز وأشخصا من أجلهما. سليمان بن عبد الملك ونفيه ابن أبي ربيعة إلى الطائف: أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن زهير قال: مصعب بن عبد الله قال: حج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فأرسل إلى عمر بن أبي ربيعة فقال له: ألسنت القائل:

فكم من قتيلٍ ما يباء به دمٌ ومن غلق رهناً إذا لفه منى

ومن مالى عينيهِ من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

يسحبن أذيال المروط بأسوقٍ خدالٍ وأعجاز مآكمها روا

أوانس يسلبن الحليم فؤاده فيا طول ما شوقٍ ويا طول مجتلى

قال نعم. قال لا جرم والله لا تحضر الحج العام مع الناس! فأخرجه إلى الطائف.

ابن أبي عتيق وغناء ابن سريج

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي حدثي ابن الكلبي عن أبي مسكين وعن صالح بن حسان قال: قدم ابن أبي عتيق إلى مكة فسمع غناء ابن سريج:

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج أفلتن ذا هوى

فقال: ما سمعت كالיום قط، وما كنت أحسب أن مثل هذا بمكة، وأمر له بمال وحدره معه إلى المدينة، وقال: لأصغرّن إلى معبد نفسه ولأهديّن إلى المدينة شيئاً لم ير أهلها مثله حسناً وظرفاً وطيب مجلس ودماثة خلق ورقة منظر ومقة عند كل أحد. فقدم به المدينة وجمع بينه وبين معبد. فقال لابن سريج: ما تقول فيه؟ قال: إن عاش كان مغني بلاده.

أبو السائب وابن سريج

وقال إسحاق وحدثني المدائني عن جرير قال: قال لي أبو السائب يوماً ما معك من مرقصات ابن سريج؟ فغنيتها:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

فقال: كما أنت حتى أنحرم لهذا بركتين.

الوليد بن عبد الملك يأمر والي المدينة أن يشخص إليه ابن سريج: حدثني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي وحدثني أبو عبد الله الزبيري قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إلي ابن سريج. فورد الرسول إلى الوالي، فمر في بعض طريقه على ابن سريج وهو جالس بين قرني بئر وهو يغني:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

فقال له الرسول: تالله ما رأيت كالיום قط ولا رأيت أحقق ممن يتركك ويبعث إلى غيرك. فقال له ابن سريج: أما والله ما هو بقدم ولا ساق، ولكنه بقسم وأرزاق. ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب، وبعث الولي إلى ابن سريج فأحضره. فلما رآه الرسول قال: قد عجبت أن يكون المطلوب غيرك. عبد الله بن الزبير يعجب لسما ع غناء ابن سريج: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي قال رقي عبد الله بن أبا قبيس ليلاً، فسمع غناء فتزل هو وأصحابه يتعجبون وقال: لقد سمعت صوتاً إن كان من الإنس إنه لعجب، وإن كان من الجن لقد أعطوا شيئاً كثيراً. فاتبعوا الصوت فإذا ابن سريج يتغنى في شعر عمر:

فلم أر كالتجمير منظر ناظر

ومن هذه الأرمال الثلاثة:

ثاني الأرمال الثلاثة

في شعر امرئ القيس:

صوت

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
أعرك مني أن حبك قاتلي وإنك مهما تأمري القلب يفعل

الشعر لامرئ القيس. والغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر. وفي هذين البيتين مع أبيات أخرى من هذه القصيدة ألحان شتى لجماعة نذكرها هنا ومن غنى فيها، ثم نتبع ما يحتاج إلى ذكره منها، وقد يجمع سائر ما يغني فيه من القصيدة معه: شيء من معلقته وشرحه

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضخ فالمقراة لمن يعف رسمها
أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل
وإن كنت قد ساءت منك خليفة
أغرك مني أن حبك قاتلي
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي
تسلت عمايات الرجال عن الصبا
ألا أيها الليل الطويل ألا انجل
وبيض خدر لا يرام خباؤها
تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً
ألا رب يوم صالح لك منهما
ويومٍ عقرت للعداى مطيتي
وقد أغتدي والطير في وكناتها
مكرٌ مفرٌ مقبلٌ مدبرٌ معاً
فقلت لها سيري وأرخي زمامه
ولما نسجتها من جنوبٍ وشمالٍ
وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
وإنك مهما تأمري القلب يفعل
بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل
وليس فؤادي عن هواك بمنسلي
بصبح وما الإصباح فيك بأمثل
تمتعت من لهوٍ بها غير معجل
علي حراساً لو يسرون مقتل
ولا سيما يومٌ بدارة جلجل
فواعجبي من رحلها المتحمل
بمنجردٍ قيد الأوابد هيكل
كجملود صخر حطه السيل من علٍ
ولا تبعدين من جناك المعلل

عروضه من الطويل. وسقط اللوى منقطعه. واللوى: المستدق من الرمل حيث يستدق فيخرج منه إلى اللوى. والدخول وحوملٌ وتوضح والمقراة: مواضع ما بين إمرة إلى أسود العين. وقال أبو عبيدة في سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار سقط وسقط ثلاث لغات. وقال أبو زيد: اللوى: أرض تكون بين الحزن والرمل فصلاً بينهما. وقال الأصمعي: قوله بين الدخول فحومل خطأ ولا يجوز إلا بواو وحومل؛ لأنه لا يجوز أن يقال: رأيت فلاناً بين زيد فعمرو، إنما يقال وعمرو؛ ويقال: رأيت زيدا فعمراً إذا رأى كل واحد منهما بعد صاحبه. وقال غيره: يجوز فحومل كما يقال: مطرنا بين الكوفة والبصرة، كأنه قال: من الكوفة إلى البصرة، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين؛ وليس هذا مثل بين زيد فعمرو. ويعف رسمها: يدرس. ونسجتها: ضربتها مقبلة و مدبرة فعفتها. يعني أن الجنوب تعني هذا الرسم إذا هبت وتجيء الشمال فتكشفه. وقال غير أبي عبيدة: المقراة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يجمع فيه الماء. والرسم: الأثر الذي لا شخص له. ويروي لما نسجتة يعني الرسم. ويقال عفا يعفو عفواً وعفاءً؛ قال الشاعر:

على أثار من ذهب العفاء

يعني نحو الأثر. وفاطمة التي خاطبها فقال أفاطم مهلاً بنت العبيد بن ثعلبة بن عامر بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة، وهي التي يقول فيها:

لا وأبيك ابنة العامري

وأزمت صرمي، يقال أزمت وأجمعت وعزمت وكله سواء. يقول: إن كنت عزمت على الهجر فأجملي. ويقول الأسير: أجملوا في قتلي، قتلة أحسن من هذه، أي على رفق وجميل. والصرم: القطيعة والصرم المصدر؛ يقال: صرمته أصرمه صرمًا مفتوحًا إذا قطعته، ومنه سيف صارم أي قاطع، ومنه الصرام، ومنه الصرائم وهي القطع من الرمل تنقطع من معظمه. قوله: سلي ثيابي من ثيابك كناية، أي اقطعي أمري من أمرك. وقوله تنسل: تبني عنها ويقال للنسل إذا بانث فسقطت والنصل إذا سقط: نسل ينسل، وهو النسيل والنسال. وقال قوم: الثياب: القلب. وقوله: وما ذرفت عينك أي ما بكيت إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل. قال الأصمعي: يعني أنك ما بكيت إلا لتخرقي قلباً معشراً، أي مكسراً شبهه بالبرمة إذا كانت قطعاً، ويقال: برمة أعشار. قال: ولم أسمع للأعشار واحداً. يقول: لتضربي بسهميك أي بعينيك فتجعلني قلبي مخرقاً فاسداً كما يخرق الجابر أعشار البرمة؛ فالبرمة تنجبر إذا أحرقت وأصلحت، والقلب لا ينجبر. قال: ومثله قوله:

رمتك أبنة البكري عن فرع ضالة

أي نظرت إليك فأفرحت قلبك. وقال غير الأصمعي وهو قول الكوفيين: إنما هذا مثل أعشار الجزور وهي تنقسم على عشر انصباء، فضربت فيها بسهميك المعلي وله سبعة انصباء والرقيب وله ثلاثة انصباء، فأراد أنها ذهبت بقلبه كله. مقتل أي مذلل، يقال بعير مقتل أي مذلل، تسلت: ذهبت. يقال: سلوت عنه وسليت عنه إذا طابت نفسك بتركه. وقال: رؤية:

لو أشرب السلوان ما سليت

والعمايات: الجهالات. عد الجهل عمي. والصباء: اللعب. قال ابن السكيت: صبا يصبو صبواً وصبو وصباءً وصباً. انجل: انكشف. والأمر الجلي المنكشف. وقوله: أنا ابن جلا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور، ومنه جلاء العروس وجلاء السيف. وقوله فيك بأمثل " يقول: إذا جاءني الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل لأن الصبح قد يجيء والليل مظلم بعد. يقول: ليس الصبح بأمثل وهو فيك، أي يريد أن يجيء منكشفاً منجلياً لا سواد فيه ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال: منك بأمثل ومثله قول حميد بن ثور في ذكر مجيء الصبح والليل باق:

فلما تجلى الصبح عنها وأبصرت وفي غبش الليل الشخوص الأبعاد

غيش الليل: بقيته. هذا قول يعقوب بن السكيت. وبيضة خدرٍ شبه المرأة بالبيضة لصفائها ورقتها. غير معجل أي لم يعجلني أحد عما أريده منها. والخباء: ما كان على عمودين أو ثلاثة. البيت: ما كان على ستة أعمدة إلى تسعة. والخيمة: من الشعر. وقوله: يسرون مقتلي قال الأصمعي: يسرون، وروى غيره: يشرون بالشين المعجمة أي يظهرونه، وقال الشاعر:

فما برحوا حتى أتى الله نصره وحتى أشرت بالأكف الأصابع

أي أظهرت. وقال غيرهما: لو يسرون من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأسروه من الناس وقتلوني. قال أبو عبيدة: دارة جلدل في الحمى، وقال ابن الكلبي: هي عند عين كندة. ويروى سيماً مخففاً وسيماً مشدده ويقال: رب رجل ورب رجل وربت رجل. ومن القراء من يقرأ "ربما يود الذين كفروا" مخففة. وقرأ عليه رجل ربما فقال له: أظنك يعجبك الرب . ويروى:

فيا عجباً من رحلها المحتمل

أي يا عجباً لسفه وسبابي يومئذ ويروى:

وقد أغتدي والطير في وكراتها

بالراء. قال أبو عبيدة: والأكنات في الجبال كالتماريد في السهل، والواحدة أكنة وهي الوقنات، والواحدة أقنة، وقد وزن يقن. وقال الأصمعي: إذا أوى الطير إلى وكره قيل وكر يكر ووكن يكن، ويقال: إنه جاءنا والطير وكن ما خرجنا. والمنجرد: القصير الشعرة، وذلك من العتق. والأوابد: الوحش، وتأبدت: توحشت، وتأبد الموضع إذا توحش وقيد الأوابد: يعني الفرس. يقول: هو قيدٌ لها لأنها لا تفوته كأنها مقيدة. والهيكل: العظيم من الخيل ومن الشجر؛ ومنه سمي بيت النصرى الهيكل. وقال أبو عبيدة يقال: قيد الأوابد وقيد الرهن، وهو الذي كأن طريدة في قيد له إذا طلبها، وكأن مسابقه في الرهان مقيد. قال أبو عبيدة: وأول من قيدها: امرئ القيس. والمنجرد: القصير الشعرة الصافي الأديم. والهيكل الذكر، والأنثى هيكله، والجمع هياكل وهو العظيم العبل الكثيف اللين. وقوله مكر مفر يقول: إذا شئت أن أكر عليه وجدته، وكذلك إذا أردت أن أفر عليه أو أقبل أو أدبر. والجلمود الصخرة. ووصفها بأن السيل حطها من علٍ لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها. من علٍ: من فوق.

ويقال من علٍ علٌ ومن علواً ومن عالٍ ومن علوٍ ومن معالٍ. وقوله سيرى وأرخي زمامه أي هوني عليك الأمر ولا تبالي اعقر أم سلم. وجناك كل شيء اجتنيته من قبله وما أشبه ذلك من الجنى، وهو من الإنسان مثل الجنى من الشجر أي ما أجتني من ثمره. هو المعلل: الملهي.

غنى في قفا نبك، وأفاطم مهلاً، وأغرك ووما ذرفت عينك معبد لحناً من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى

الوسطى. وغنى معبد أيضاً في الأول من هذه الأبيات خفيف رمل بالوسطى وغنى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملاً وغنت عريب في:

أغرك مني أن حبك قاتلي

وبعده شعر ليس منه وهو:

بلى فاقنتلي ثم اقتلي ثم فاقنتلي

فلا تحرجي من سفك مهجة عاشقٍ

بنا، ما أراك الله من ذاك فافعلي

فلا تدعي أن تفعلي ما أردته

ولحنها فيها خفيف رمل. وغنى ابن محرز في تسلت عمايات الرجال وبعده ألا أيها الليل الطويل ثاني ثقيل بالوسطى. وغنى فيهما عبد الله بن العباس الربيعي ثاني ثقيل آخر بالسبابة في مجرى البنصر. وغنت جميلة " تسلت عمايات الرجال وبعده ألا رب يوم لك لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي. وغنت عزة الميلاء في تسلت عمايات الرجال وبعده ويوم عقرت للعذارى مطيبي ثقيلاً أول عن الهشامي. وغنت حميدة جارية ابن تفاعلة في " وبيضة خدرٍ وتجاوزت أحراساً لحناً من الثقيل الأول بالوسطى. ولطويس في قفا نبك وبعده فتوضح فالمقراة ثقيل أول آخر. وفي وأفاطم مهلاً و أغرك مني أن حبك قاتلي ليزيد بن الرحال هزج. ولأبي عيسى بن الرشيد في وقد أغتدي و مكر مفر أول ثقيل. ولفليح في قفا نبك وبعده أغرك مني رمل.

وقيل: إن لمعبد في وبيضة خدرٍ لحناً من الثقيل الأول، وقيل: هو لحن حميدة. ولعريب في هذين البيتين خفيف ثقيل، من رواية أبي العبيس. وغنى سلام بن الغسال وقيل بل عبيدة أخوه في وقد كنت قد ساءتك مني و أغرك مني رملاً بالوسطى. وغنى في فقلت لها سيري وأرخي زمامه سعدويه بالنصر ثاني ثقيل. وغنى في قفا نبك وبعده فتوضح فالمقراة إبراهيم الموصلي فقليل الأول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكي. وزعم حبش إن لإسحاق فيهما ثقيلاً. وغنى في أغرك مني و وما ذرفت ابن سريج خفيف رمل بالوسطى من رواية ابن المكي، وقيل: بل هو من منحوله. وغنى بديح مولى ابن جعفر فيه " وما ذرفت عيناك " بيتاً واحداً ثقيلاً أول مطلقاً في مجرى الوسطى عن ابن المكي. فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر " قفا نبك " من الأغاني صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحناً: منها في الثقيل الأول تسعة أصوات، وفي الثقيل الثاني ثلاثة أصوات، وفي الرمل أربعة أصوات، وفي خفيف الرمل صوتان، وفي الهزج صوت، وفي خفيف الثقيل ثلاثة أصوات.

ذكر أمرئ القيس ونسبه وأخباره

نسبه من قبل أبويه: قال الأصمعي: هو أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة. وقال ابن الأعرابي: هو أمرؤ القيس بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور

وهو كندة. وقال محمد بن حبيب: هو أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الملك بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة. وقال بعض الرواة: هو أمرؤ القيس بن السمط بن أمرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندة. وقالوا جميعاً: كندة هو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وقال ابن الأعرابي: ثور هو كندة بن مرتع بن عفير بن الحارث بن مرة بن عدي بن أدد ابن زيد بن عمرو بن مسمع بن عريب بن عمرو بن زيد بن كهلان. وأم أمرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين. وقال من زعم أنه أمرؤ القيس بن السمط: أمه تملك بنت عمرو بن زبيد بن مذحج رهط عمرو بن معد يكرب. قال من ذكر هذا وأمه تملك: قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال:

ألا هل أتاها والحوادث جمّة بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

بيقر أي جاء العراق والحضر. ويقال: بيقر الرجل إذا هاجر. وقال يعقوب بن السكيت: أم حجر أبي امرئ القيس أم قطام بنت سلمى امرأة من عترة. كنيته ولقبه: ويكنى امرؤ القيس، على ما ذكره أبو عبيدة، أبا الحارث. وقال غيره: يكنى أبا وهب. وكان يقال له الملك الضليل، وقيل له أيضاً ذو القروح وإياها عن الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوابع إذ مضوا وأبو زيد وذو القروح وجرول

يعني بأبي يزيد المخبل السعدي، وجرول الحطيئة. مولده ومثله: قال: وولد ببلاد بني أسد. وقال ابن حبيب: كان يتزل المشقر من اليمامة. ويقال: بل كان يتزل في حصن بالبحرين.

سبب تسمية آبائه بأسمائهم

وقال جميع من ذكرنا من الرواة: إنما سمي كندة لأنه كند أباه أي عقه. وسمي مرتع بذلك لأنه كن يجعل لمن أتاها من قومه مرتعاً له ولماشيته. وسمي حجر آكل المرار بذلك لأنه لما أتاها الخبر بأن الحارث بن جبلة كان نائماً في حجر امرأته هند وهي تغليه جعل يأكل المرار "وهو نبت شديد المرارة" من الغيظ وهو لا يدري. ويقال: بل قلت هند للحارث وقد سألتها: ما ترين حجراً فاعلاً؟ قالت: كأنك به قد أدركك الخيل وهو كأنه بعير قد أكل المرار.

قال: وسمي عمرو المقصور لأنه قد قصر على ملك أبيه أي أقعد فيه كرهاً. قصة جده الحارث بن عمرو مع قباذ وابنه أنوشروان: أخبرني بخبره، على ما قد سقته ونظمته. أحمد بن عبد

العزیز الجوهری قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزہ، وروی بعضہ عن علي بن الصباح بن هاشم بن الكلبي، وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه، قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي، قال ابن أبي سعد وأخبرني دارم بن عقال بن حبيب الغساني أحد ولد السموع بن عاديا عن أشياخه، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، وأخبرني محمد بن العباس البيهقي قال حدثني عمي يوسف عن عمه إسماعيل، وأضفت إلى ذلك رواية ابن الكلبي مما لم أسمع من أحد ورواية الهيثم بن عدي ويعقوب بن السكيت والأثرم وغيرهم، لما في ذلك من الاختلاف، ونسبت رواية كل راوٍ إذا خالف رواية غيره إليه، قالوا: كان عمر بن حجر وهو المقصور ملكاً بعد أبيه، وكان أخوه معاوية وهو الجون على الإمامة، وأمهما شعبة بنت أبي معاهر بن حسان بن عمرو بن تبع. ولما مات ملك بعده ابنه الحارث، وكان شديد الملك بعيد الصيت. ولما ملك قباذ بن فيروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مزدك فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحرم وألا يمنع أحد منهم أحاه ما يريده من ذلك. وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملاً على الحيرة ونواحيها. فدعاه قباذ إلى الدخول معه في ذلك فأبى. فدعا الحارث بن عمرو فأجابه؛ فشدد له ملكه وأطرد المنذر عن مملكته وغلب على ملكه. وكانت أم أنوشروان بين يدي قباذ يوماً، فدخل عليه مزدك. فلما رأى أم أنوشروان قال القباذ: ادفعها لي لأقضي حاجتي منها؛ فقال: دونكها. فوثب إليه أنوشروان فلم يزل يسأله ويضرع إليه أن يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها له؛ فكانت تلك في نفسه. فهلك قباذ على تلك الحال، وملك أنوشروان فجلس في مجلس الملك. وبلغ المنذر هلاك قباذ فأقبل إلى أنوشروان وقد علم خلافه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه. فأذن أنوشروان للناس، فدخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر. فقال أنوشروان: إني كنت تمنيت أمنيته أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي. فقال مزدك: وما هما أيها الملك؟ قال: تمنيت أن أملك فأستعمل هذا الرجل الشريف يعني المنذر وأن أقتل هؤلاء الزنادقة. فقال له مزدك: أو تستطيع أن تقتل الناس كلهم؟! قال: إنك لها هنا يابن الزانية! والله ما ذهب تن ربح جوربك من أنفي منذ قبلت رجلك إلى يومي هذا! وأمر به فقتل وصلب، وأمر بقتل الزنادقة فقتل منهم ما بين جازر إلى النهروان إلى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم؛ وسمي يومئذ أنوشروان. وطلب أنوشروان الحارث بن عمرو؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار، وكان بها منزله - وإنما سميت الأنبار لأنه كان يكون بها أهراء الطعام وهي الأنابير - فخرج هارباً في هجائه وماله وولده فمر بالثوية؛ وتبعه المنذر بالخليل من تغلب ومهراء وإياد، فلحق بأرض كلب فنجا، وانتهبوا ماله وهجائه. وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار؛ فقدم بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الأملاك في ديار بني مرينا العباديين بين دير هند والكوفة. فذلك قول عمرو بن كلثوم:

وأبنا بالملوك مصفدينا

فأبوا بالنهاب والسبايا

وفيهما يقول امرؤ القيس: س

يساقون العشية يقتلوننا

ملوك من بني حجر بن عمرو

فلو في يوم معركة أصيبوا

ولكن في ديار بني مرينا

ولم تغسل جماجمهم بغسل

ولكن في الدماء مرملينا

تظل الطير عاكفة عليهم

وتنتزع الحواجب والعيونا

قالوا: ومضى الحارث فأقام بأرض كلب. فكلب يزعمون أنهم قتلوه. وعلماء كندة تزعم أنه خرج إلى الصيد فألظ بتيس من الطباء فأعجزه، فألا ألية ألا يأكل أولاً إلا من كبده. فطلبته الخيل ثلاثاً فأني بعد ثلاثة وقد هلك جوعاً، فشوي له بطنه، فتناول فلذة من كبده فأكلها حارة فمات. وفي ذلك يقول الوليد بن عدي الكندي في أحد بني بجيلة:

فشوا فكان شواؤهم خطاً له

إن المنية لا تجل جليلاً

وزعم ابن قتيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قباز بن فيروز لم يملك الحارث بن عمرو وأن تبعاً الأخير هو الذي ملكه. قال: ولما أقبل المنذر إلى الحيرة هرب الحارث وتبعته خيل فقتلت ابنه عمراً وقتلوا ابنه مالكاً بهيت. وصار الحارث إلى مسحلان فقتلته كلب. وزعم غير ابن القتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف أنفه.

الحارث بن عمرو وتمليكه أولاده على قبائل العرب: وقال الهيثم بن عدي حدثني حماد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سعية بن عريض من يهود تيماء قال: لما قتل الحارث بن أبي شمر الغساني عمرو بن حجر ملك بعده ابنه الحارث بن عمرو، وأمه بنت عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان ونزل الحيرة. فلما تفسدت القبائل من نزار أتاها أشرافهم فقالوا: إنا في دينك ونحن نخاف أن نتفانى فيما يحدث بيننا، فوجه معنا بنيك يترلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض. ففرق ولده في قبائل العرب، فملك ابنه حجراً على بني أسد وغطفان وملك ابنه شرحبيل قتيل يوم الكلاب على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم والرباب. وملك ابنه معد يكرب وهو غلفاء "سمي بذلك لأنه كان يغلف رأسه" على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم "بن مالك" بن حنظلة والصنائع وهم بنو رقية قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ العرب. وملك ابنه عبد الله على عبد القيس، وملك ابنه سلمة على قيس.

مقتل حجر أبي امرئ القيس: وقال ابن الكلبي حدثني أبي: أن حجراً كان في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقتة؛ فغير ذلك دهرًا. ثم بعث إليهم جاييه الذي كان يجيهم، فمنعوه ذلك وحجر يومئذ بتهامة - وضربوا رسله وضربوهم ضرباً شديداً قبيحاً. فبلغ ذلك حجراً؛ فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم وأخذ سراهم، فجعل يقتلهم بالعصا - فسموا عبيد العصا - وأباح الأموال، وصيرهم إلى تهامة وإلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبداً، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي وكان سيداً، وعبيد بن الأبرص الشاعر. فسارت بنو أسد ثلاثاً. ثم إن عبيد بنم الأبرص قام فقال: أيها الملك اسمع مقالي:

يا عين فابكي ما بني	أسد فهم أهل الندامة
أهل القباب الحمر والن	عم المؤبل والمدامه
وذوي الجياد الجرد	والأسل المثقفة المقامه
حلاً أبيت اللعن	حلا إن فيما قلت آمه
في كل واد بين يث	رب فالقصور إلى اليمامه
تطريب عان أوصيا	ح محرق أو صوت هامه
ومنعتهم نجداً فقد	حلوا على وجل تهامه
برمت بنو أسد كما	برمت ببيضتها الحمامه
جعلت لها عودين من	نشيم وآخر من ثمامه
إما تركت تركت عف	وأ أو قتلت فلا ملامه
أنت المليك عليهم	وهم العبيد إلى القيامة
ذلوا لسوطك مثل ما	ذل الأشيقر ذو الخزامه

قال: فرق لهم حجر حين سمع قوله، فبعث في أثرهم فأقبلوا. حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم، وهو عوف بن ربيعة بن سودة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه، فقال لبني أسد: يا عبادي! قالوا لبيك ربنا. قال: من الملك الأصهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأها الربرب، لا يعلق رأسه الصخب، هذا دمه ينعثب، وهذا غداً أول من يسلب. قالوا: من هو يا ربنا؟ قال: لولا أن تجيش نفس جاشية، لأخبرتكم أنه حجر ضاحية. فركبوا كل صعب وذلول، فما أشرق لهم النهار حتى أتو على عسكر حجر فهجموا على قبته وكان حجابهم من بني الحارث بن سعد يقال لهم بنو خدان بن خنثر منهم معاوية بن الحارث وشبيب ورقية ومالك وحبيب، وكان حجر قد اعتق أباهم من القتل. فلما نظروا إلى القوم يريدون قتله خيموا عليه ليمنعوه ويجيروه. فاقبل عليهم علباء بن الحارث الكاهلي، وكان حجر قد قتل أباه، فطعنه من خللهم فأصاب نساها فقتله.

فلما قتلوه قالت بنو أسد: يا معشر كنانة وقيس، أنتم إخواننا وبنو عمنا، والرجل بعيد النسب منا ومنكم، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه. فانتهبوهم فشدوا على هجائنه فمزقوها ولفوه في ربطة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق. فلما رآته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه. ووثب عمرو بن مسعود فضم عياله وقال: أنا لهم جارٌ قال ابن الكلبي: وعدة قبائل من أسد يدعون قتل حجر ويقولون: إن علباء كان الساعي في قتله وصاحب المشورة

ولم يقتله هو.

قال ابن حبيب: خدان في بني أسد وخدان في بني تميم وفي بني جديلة بالخاء المفتوحة، وخدان مضمومة في الأزد، وليس في العرب غير هؤلاء.

قال أبو عمرو الشيباني: بل كان حجر لما خاف من بني أسد استجار عوير بن شجنة أحد بني عطارد بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حجر وعياله. وقال لبني أسد لما كثروه: أما إذا كان هذا شأنكم فإني مرتحل عنكم ومخليكم وشأنكم؛ فواعدوه على ذلك. ومال على خالد بن خدان أحد بني سعد بن ثعلبة. فأدركه علباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال: يا خالد اقتل صاحبك لا يفلت فيعرك وإيانا بشر، فامتنع خالد. ومر علباء بقصدة رمح مكسورة فيها سنانها، فطعن بها في خاصرة حجر وهو غافل فقتله. ففي ذلك يقول الأسدي:

وقصدة علباء بن قيس بن كاهل منية حجر في جوار ابن خدان

وذكر الهيثم بن عدي أن حجراً لما استجار عوير بن شجنة لبنيه وقطينه تحول عنهم فأقام في قومه مدة، وجمع لبني أسد جمعاً عظيماً من قومه وأقبل مدلاً بمن معه من الجنود. فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا: والله لئن قهركم هذا ليحكمنا عليكم حكم الصبي! فما خير عيش يكون بعد قهر وأنتم بحمد الله أشد العرب! فموتوا كراماً. فساروا إلى حجر وقد ارتحل نحوهم فلقوه فاقتتلوا قتالاً شديداً. وكان صاحب أمرهم علباء بن الحارث، فحمل على حجر فطعنه فقتله، وانهمزت كندة وفيهم يومئذ امرؤ القيس فهرب على فرس له شقراء وأعجزهم، وأسروا من أهل بيته رجالاً وقتلوا وملئوا أيديهم من الغنائم، وأخذوا جوارى حجر ونساءه وما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم.

وقال يعقوب بن السكيت حدثني خالد الكربي قال: كان سبب قتل حجر أنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلك، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد وقد كان أغار عليهم في النساء وأساء ولايته، وكان يقدم بعض ثقله أمامه ويهياً نزله ثم يجيء وقد هيء له من ذلك ما يعجبه فينزل، ويقدم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيضرب له في المنزل الأخرى. فلما دنا من بلاد بني أسد وقد بلغهم موت أبيه طمعوا فيه. فلما أظلمهم وضربت قباهه أجمعت بنو أسد إلى نوفل بن ربيعة بن الخدان، فقال: يا بني أسد! من يتلقى هذا الرجل منكم فيقتطعه؟ فإن قد أجمعت على الفتك به فقال له القوم: ما لذلك أحد غيرك. فخرج نوفل في خيله حتى أغار على الثقل فقتل من وجد فيه، وساق الثقل وأصاب جارتين قيتين لحجر، ثم أقبل حتى أتى قومه. فلما رأوا ما قد حدث وأتاهم به عرفوا أن حجراً يقاتلهم وأنه لا بد من القتال، فحشد الناس لذلك، وبلغ حجراً أمرهم، فأقبل نحوهم. فلما غشيهم ناهضوه القتال وهم بين أبرقين من الرمل في بلادهم يدعيان اليوم أبرقي حجر، فلم يلبثوا حجراً أن هزموا أصحابه وأسروه فحبسوه وتشاور القوم في قتله، فقال لهم كاهن من

كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا فيه رأيهم: أي قوم! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم. فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله. فلما رأى ذلك علباء خشي أن يتوكلوا في قتله؛ فدعا غلاماً من بني كاهل، وكان ابن أخته وكان حجر قتل أباه زوج أخت علباء، فقال: يا بني، أعندك خير فتأثر بأبيك وتنازل شرف الدهر وإن قومك لن يقتلوك؟! فلم يزل بالغلام حتى حربه، ودفع إليه حديدة وقد شحذها وقال: أدخل عليه مع قومك ثم أطعنه في مقتلته: فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حجر في قبته التي حبس فيها. فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله، فوثب القوم على الغلام. فقالت بنو كاهل: ثأرنا وفي أيدينا. فقال الغلام: إنما تأثرت بأبي، فخلوا عنه. وأقبل كاهنهم المزدرجر فقال: أي قوم! قتلتموه! ملك شهر، وذل دهر. أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبداً.

وصيته لبنيه عند موته

قال ابن السكيت: ولما طعن الأسدي حجراً ولم يجهز عليه، أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له: أنطلق إلى ابني نافع - وكان أبر ولده - فإن بكى وجزع فاله عنه، واستقرهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأة القيس - وكان أصغرهم - فأبهم لم يجزع فدفع إليه سلاحه وخيلتي وقُدوري ووصيتي. وقد كان بين في وصيته من قتله وكيف كان خبره. فأنطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه: فأخذ التراب فوضعه على رأسه. ثم استقراهم واحداً واحداً فكلهم فعل ذلك، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد؛ فقال له: قتل حجر. فلم يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس: أضرب فضرب. حتى إذا فرغ قال ما كنت أفسد عليك دستك. ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره. فقال: الخمر علي والنساء حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأجز نواصي مائة. وفي ذلك يقول:

وهاج لي الشوق الهموم الروادع

أرقت ولم يارق لما بي نافع

وقال ابن الكلبي: حدثني أبي عن ابن الكاهن الأسدي أن حجراً كان طرد امرأ القيس وآلى ألا يقيم معه أنفة من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر بن وائل، فإذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانته. ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره. فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من أرض اليمن، أتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف. فلما أتاه بذلك قال:

دمون إنا معشر يمانون

تطاول الليل على دمون

وإننا لأهلها محبون

ثم قال: ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً. لا صحو اليوم ولا سكر غداً. "اليوم خمرٌ، وغداً أمر" فذهبت مثلاً. ثم قال:

خليلي لا في اليوم مصحى لشاربٍ ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعاً. فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً، ولا يشرب خمرًا، ولا يدهن بدهن، ولا يصيب امرأة، ولا يغسل رأسه من جنابة، حتى يدرك بثأره. فلما جنة الليل رأى برقاً فقال:

أرقت لبرقٍ بليلٍ أهل
أتاني حديثٌ فكذبتُه
بقتل بني أسدٍ ربهم
فأين ربيعة عن ربها
ألا يحضرون لدي بابهِ
كما يحضرون إذا ما أكل
يضيء سناه بأعلى الجبل
بأمر تززع منه القل
ألا كل شيءٍ سواه جل
وأين تميمٌ وأين الخول
ألا يحضرون إذا ما أكل

وروى الهيثم عن أصحابه أن امرأة القيس لما قتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع، وكان في بني حنظلة مقيماً لأن ظفرة كانت امرأة منهم. فلما بلغه ذلك قال:

يا لهف هندٍ إذ خطئن كاهلاً
تالله لا يذهب شيخي باطلاً
وخيرهم قد علموا فواضلاً
وحي صعبٍ والوشيج الذابلاً
القائلين الملك الحاحلاً
يا خير شيخ حسباً ونائلاً
يحملننا والأسل النواهلاً
مستنقراتٍ بالحصى جوافلاً

يعني صعب بن علي بن بكر بن وائل. معنى قوله مستنقرات بالحصى: يريد أنها أثارت الحصى بجوافرها لشدة جريها حتى ارتفع إلى أنفارها فكأنها استنقرت به.

وقال الهيثم بن عدي: لما قتل حجر انحازت بنته وقطينه إلى عوير بن شجنة. فقال له قومه: كل أموالهم فإنهم مأكولون، فأبى. فلما كان الليل حمل هنداً وقطينها وأخذ بخطام جملها وأشأم بهم في ليلة طخياء مدلهمة. فلما أضاء البرق أبدى عن ساقيه وكانت حمشتين. فقالت هند: ما رأيت كاليلة ساقى وافٍ. فسمعها فقال ياهند: هما ساقا غادرٍ شرٍ. فرمى بها النجاد حتى أطلعها نجران، وقال لها: إني لست أغني عنك شيئاً وراء هذا الموضع، وهؤلاء قومك، وقد برئت خفاري. فمدحه امرؤ القيس بعدة قصائد، منها قوله في قصيدة له:

ألا إن قوماً كنتم أمس دونهم
عويرٌ ومن مثل العوير ورهطه
هم منعوا جاراكم آل غدران
أبر بميثاقٍ وأوفى بجيران

هم أبلغوا الحي المضيع أهله

وساروا بهم بين الفرات ونجران

وقوله:

ألا قبح الله البراجم كلها

وجدع يربوعاً وعفر دارما

فما فعلوا فعل العوير ورهطه

لدى باب حجرٍ إذ تجرد قائما

وقال ابن قتيبة في خبره: إن القصة المذكورة عن عوير كانت مع أبي حنبل وجارية ابن مر. قال ويقال: بل كانت مع عامر بن جوين الطائي وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حجر وعياله، فقام ودخل الوادي ثم صاح: ألا إن عامر ابن جوين غدر، فأجابه الصدى مثل قوله، فقال ما أقبح هذا من قول! ثم صاح: ألا إن عامر بن جوين وفى، فأجابه الصدى بمثل قوله، فقال: ما " أحسن هذا! ثم دعا ابنته بجذعة من غنم فاحتلبها وشرب واستلقى على قفاه وقال: والله لا أغدر ما أجزأتني جذعة. ثم نهض وكانت ساقاه حمشتين، فقالت ابنته: والله ما رأيت كالיום ساقى واف. فقال: وكيف بهما إذا كانتا ساقى غادر! هما والله حينئذ أقبح.

امرؤ القيس يستعدي بكرةً وتغلب على بني أسد. وقال ابن الكلبي عن أبيه ويعقوب بن السكيت عن خالد الكلابي: إن امرؤ القيس ارتحل حتى نزل بكرةً وتغلب، فسألهم النصر على بني أسد. فبعث العيون على بني أسد فنذروا بالعيون ولجئوا إلى بني كنانة. وكان الذي أنذرهم بهم علباء بن الحارث. فلما كان الليل قال لهم علباء: يا معشر بني أسد تعلمون! والله إن عيون امرئ القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم، فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة، ففعلوا. وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب حتى انتهى إلى بني كنانة وهو يحسبهم بني أسد فوضع السلاح فيهم وقال: يا لثارات الملك! يا لثارات الهمام! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة فقالت: أبيت اللعن! لسنا لك بثأر، نحن من كنانة، فدونك تأرك فاطلبهم فإن القوم قد شاروا بالأمس. فتبع بني أسد فقاتلهم ليلتهم تلك - فقال في ذلك:

ألا يالهف هندٍ إثر قومٍ

هم كانوا الشفاء فلم يصابوا

وقاهم جداهم ببني أبيهم

وبالأسقين ما كان العقاب

وأفلتهن علباء جريضا

ولو أدركنه صفر الوطاب

يعني ببني أبيهم بني كنانة، لأن أسداً وكنانة ابني خزيمة أخوان. أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: سمعت رجلاً سأل يونس عن قوله " صفر الوطاب "، فقال: سألنا رؤبة عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصفرت وطابه من اللبن. وقال غيره: صفر الوطاب أي أنه كان يقتل فيكون جسمه صفراً من دمه كما يكون الوطاب صفراً من اللبن. " وأدركهم " ظهراً وقد تقطعت خيله وقطع أعناقهم العطش، وبنو أسد جامون على الماء، فنهذ إليهم فقاتلهم

حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم، وحجز الليل بينهم، وهربت بنو أسد. فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم وقالوا له: قد أصبت ثأرك. قال: والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً. قالوا: بلى، ولكنك رجل مشنوم. وكرهوا قتالهم بني كنانة وانصرفوا عنه. ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير.

يلجأ إلى عمرو بن المنذر: وقال ابن السكيت حدثني خالد الكلابي: أن امرأة القيس لما أقبلت من الحرب على فرسه الشقراء لجأت إلى ابن عمته عمرو بن المنذر واهتدت بهند بنت عمرو بن حجر بن أكل المرار، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتفرق ملك أهل بيته، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر ببقعة وهي بين الأنبار وهيت فمدحه وذكر صهره ورحمه وأنه قد تعلق بجباله ولجأ إليه. فأجاره، ومكث عنده زماناً. ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه، وأنذره عمرو فهرب حتى أتى حمير.

يستنصر أزد شنوءة

وقال ابن الكلبي والهيثم بن عدي وعمر بن شبة وابن قتيبة: فلما امتنعت بكر بن وائل وتغلب من اتباع بني أسد خرج من فوره ذلك إلى اليمن فاستنصر أزد شنوءة، فأبوا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وجيراننا. ومرثد الخير الحميري: فترل بقليل يدعى مرثد الخير بن ذي جدن الحميري، وكانت بينهما قرابة، فستنصره واستمده على بني أسد، فأمدته بخمسمائة رجل من حمير؛ ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم. وقرمل بن الحميم: وقام بالملكة بعده رجل من حمير يقال له قرمل بن الحميم وكانت أمه سوداء، فردد امرأ القيس وطول عليه حتى هم بالانصراف وقال:

وإذ نحن ندعو مرثد الخير ربنا وإذ نحن لا ندعى عبيداً لقرمل

فأنفذ له ذلك الجيش؛ وتبعه شذاً من العرب، واستأجر من قبائل العرب رجالاً، فسار بهم إلى بني أسد. ومر تبالة وبها صنم للعرب تعظمه يقال له ذو الخلصة؛ فاستقسم عنده بقداحة وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربص، فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال: مصصت بظر أمك! لو أبوك قتل ما عقتني. ثم خرج فظفر ببني أسد ويقال: إنه ما استقسم عند ذي الخلصة بعد ذلك بقدح حتى جاء أمر الله بالإسلام وهدمه جرير بن عبد الله البجلي.

طلبه المنذر فهرب

ونزل بالحارث بن شهاب:

قالوا: وألح المنذر في طلب امرئ القيس ووجه الجيوش في طلبه من إياد وبهراء وتنوخ ولم تكن له طاقة، وأمدّه أنوشروان بجيش من الأساورة فسرّحهم في طلبه. وتفرقت حمير ومن كان معه عنه. فنجا في عصابة من بني أكل

المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب من بني يربوع بن حنظلة، ومع امرئ القيس أدراع خمسة: الفضفاضة والضيافة والحصنة والخربق وأم الذبول كن لبني أكل الممرار يتوارثونها ملكاً عن ملك. فقلما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يوعدة بالحرب إن لم يسلم إليه بني أكل الممرار فأسلمهم؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند بنت امرئ القيس والأدرع والسلاح ومال كان بقي معه. فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيء.

ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادي: وقيل: بل نزل قبلهم على سعد بن الضباب الإيادي سيد قومه فأجازه. قال ابن الكلبي: وكانت أم سعد بن الضباب تحت حجر أبي امرئ القيس فطلقها وكانت حاملاً وهو لا يعرف، فتزوجها الضباب فولدت سعداً على فراشه، فلحق نسبه به. فقال امرؤ القيس يذكر ذلك:

يفاكهنّا سعدٌ وينعم بالنّا ويغدو علينا بالجفان وبالجزر
ونعرف فيه من أبيه شمائلًا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

ثم تحول عنه فوقع في أرض طيء فترل برجل من بني جديلة يقال له المعلى بن تيم. ففي ذلك يقول:

كأنّي إذ نزلت على المعلى نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلى بمقتدرٍ ولا ملك الشّام
أقر حشى امرئ القيس بن حجرٍ بنو تيم مصابيح الظلام

قالوا: فلبث عنده واتخذ إبلاً هنالك. فغدا قومٌ من بني جديلة يقال لهم بنو زيد فطردوا الأبل. وكانت لامرئ القيس رواحل مقيدة عند البيوت خوفاً من أن يدهمه أمر ليسبق عليهن. فخرج حينئذٍ فترل ببني نبهان من طيء، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الأبل فأخذهن جديلة، فرجعوا إليه بلا شيء. فقال في ذلك:

وأعجبني مشي الحزقة خالدٍ كمشي أتانٍ حلّت بالمناهل
فدع عنك نهباً صيح في جراته ولكن حديثاً ما حديث الرواحل

ففرقت عليه بنو نبهان فرقاً من معزى يحلبها. فأنشأ يقول:

إذا ما لم تجد إبلاً فمعزى كأن قرون جلّتها العصى
إذا ما قام حالبها أرنت كأن القوم صبحهم نعي
فتملاً بيتنا أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبعٍ وري

ثم نزل بي عامر بن جوين: فكأن ما عندهم ما شاء الله. ثم خرج فتزل بعامر بن جوين وأتخذ عنده إبلاً، وعامرٌ يومئذٍ أحد الخلعاء الفتاك قد تبرأ قومه من جرائره، فكان عنده ما شاء الله، ثم هم أن يغلبه على أهله وماله، ففطن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله:

تسير صحاحاً ذات قيد ومرسله

فكم بالصعيد من هجان مؤبلة

ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعله

أردت بها فتكاً فلم أرتمض له

وكان عامر أيضاً يقول يعرض يهند بنت امرئ القيس:

وتظعان هند وتحلا لها

ألا حي هنداً وأطلالها

فأولى لنفسي أولى لها

هممت بنفسي كل الهمومي

فأما عليها وإما لها

ساحمل نفسي على آلة

هكذا روى ابن أبي سعد عن دارم بن عقال. ومن الناس من يروي هذه الأبيات للخنساء في قصيدها:

لقد أخضل الدمع سربالها

ألا ما ليعيني ألا ما لها

ثم بحارثة بن مر: قالوا: فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله، تغفله وأنتقل إلى رجل من بني ثعل يقال له حارثة بن مر فاستجار به. ف وقعت الحرب بين عامر وبين الثعلبي، فكانت في ذلك أمور كثيرة. قال دارم بن عقال في خبره: فلما وقعت الحرب بين طيء من أجله، خرج من عندهم فتزل برجل من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن، فطلب منه الجوار حتى يرى ذات عيبه. فقال له الفزاري: يابن حجر، إني أراك في خلل من قومك وأنا أنفس بمثلك من أهل الشرف، وقد كدت بالأمس تؤكل في دار طيء، وأهل البادية أهل بر لا أهل حصون تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن ذوبان من قيس، أفلا أدلك على بلد! فقد جئت قيصر وجئت النعمان فلم أر لضيف نازل ولا لجد مثله ولا مثل صاحبه. قال: من هو وأين منزله؟ قال: السموعل بتيماء، وسوف أضرب لك مثله، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عيبك، وهو في حصن حصين وحسب كبير. فقال له امرؤ القيس: وكيف لي به؟ قال: أوصلك إلى من يوصلك إليه؛ فصاحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له الربيع بن ضبع الفزاري ممن يأتي السموعل فيحمله ويعطيه. فلما صار إليه قال له الفزاري: إن السموعل يعجبه الشعر. فتعال تتناشد له أشعاراً. فقال امرؤ القيس: قل حتى أقول. فقال الربيع:

بفناء بيتك في الحضيض المزلق

قل للمنية أي حين نلتقي

وهي طويلة يقول فيها:

وإلى السموعل زرته بالأبلق

ولقد أتيت بني المصاص مفاخراً

إن جئته في غارم أو مرهق

فأتيت أفضل من تحمل حاجة

عرفت له الأقسام كل فضيلة

وحوى المكارم سابقاً لم يسبق

قال: فقال امرؤ القيس:

طرقتك هذب بعد طول تجنب

وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

وهي قصيدة طويلة، وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرئ القيس، والتوليد فيها بين، وما دونها في ديوانه أحد من الثقات؛ وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموءل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا .

قال فوفد الفزاري بأمرئ القيس إليه. فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرة وحشية مرمية. فلما نظر إليها أصحابه قاموا فذكوها. فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قناصين من بني ثعل . فقالوا لهم: من أنتم؟ فانتسبوا لهم، وإذا هم من حيران السموءل فانصرفوا جميعاً وقال امرؤ القيس:

رب رام من بني ثعل

مخرج كفيه من قتره

عارض زوراء من نشم

مع باناة على وتره

هكذا في رواية ابن دارم. ويروى غير باناة و تحت باناة:

إذ أتته الوحش واردة

فتنتى النزع في يسره

فرماها في فرائصها

بإزاء الحوض أو عقره

برهيش من كنانته

كتلطي الجمر في شرره

راشه من ريش ناهضة

ثم أمهاه عل حجره

فهو لا تنمي رميته

ماله لا عد من نفر

طلب إلى السموءل أن يكتب له إلى الحارث ليوصله إلى قيصر: قال: ثم مضى القوم حتى قدموا على السموءل، فأنشده الشعر، وعرف لهم حقهم، فأنزل المرأة في قبة آدم وأنزل القوم في مجلس له براح؛ فكان عنده ما شاء الله. ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي ثمر بن الغساني بالشأم ليوصله إلى قيصر؛ فاستنجد له رجلاً، واستودع عنده المرأة والأدراع والمال، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمه. فمضى حتى انتهى إلى قيصر؛ فقبله وأكرمه وكانت له عنده منزلة.

لما وصل إلى قيصر دس له عنده الطماح حتى سمه بحلة خلعتها عليه: فاندس رجل من بني أسد يقال له الطماح، وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفياً ثم إن قيصر ضم إليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك. فلما فصل قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قوم غدر ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه. وقال ابن الكلبي: بل قال له الطماح: إن امرأ القيس غوي عاهر وإنه لما

انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يرأسل ابنتك ويواصلها، وهو قائل في ذلك أشعاراً يشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك. فبعث إليه بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب وقال له: إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة، واكتب إلي بخبرك من منزلٍ منزلٍ. فلما وصلت إليه لبسها واشتد سروره بها؛ فأسرع فيه السم وسقط جلده؛ فلذلك سمي ذا القروح، وقال في ذلك:

لقد طمح الطماح من بعد أرضه ليلبسني مما يلبس أبوسا
فلو أنها نفسٌ لموتٍ سويةً ولكنها نفسٌ تساقط أنفسا

قال: فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضر بها؛ فقال:

رب خطبةٍ مسحفره وطعنةٍ مثنجره
وجفنةٍ متحيره حلت بأرض أنقره

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدفنت في سفح جبل يقال له عسيب؛ فسأل عنها فأخبر بقصتها، فقال:

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيمٌ ما اقام عسيب
أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريبٍ للغريب نسيب

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة، فقبره هناك.

عبد الملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة بحديث عنه فيسر به ويحيزه: أخبرني محمد بن القاسم عن مجالد بن سعيد بن عبد الملك بن عمير قال:

قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة، فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمروا عنده، ثم قال: ليحدثني كل رجل منكم أحدثه وأبدأ أنت يا أبا عمر. فقلت أصلح الله الأمير! أحدث الحق أم حديث الباطل؟ قال: بل حديث حق. قلت: إن امرأة القيس آلى بألية ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين؛ فجعل يخطب النساء، فإذا سألهن عن هذا قلن أربعة عشر. فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة كأنها البدر ليلة تمامه، فأعجبته. فقال لها: يا جارية! ما ثمانية وأربعة واثنان؟ فقالت: أما ثمانية فأطباء الكلبة. وأما الرابعة فأخلاف الناقة. وأما اثنان فثديا المرأة. فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها. وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، وأن يسوق لها مائة من الإبل وعشر أعبد وعشرة وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك. ثم أن بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نحيماً من سمن ونحيماً من عسل وحلة من عصب. فترل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها فتعلقت بعشرة فانشقت، وفتح النحيين فطعم أهل الماء منهما فنقصا. ثم قدم على حي المرأة وهم خلوف. فسألها عن أبيها وأميها وأخيها ودفع إليها هديتها. فقالت له أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً، وأن أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأن أخي يراعي الشمس وأن

سماءكم انشقت، وأن وعاءيكم نضبا. فقدم الغلام على مولاه فأخبره. فقال: أما قولها إن أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً، فإن أباهما ذهب يحالف قوماً على قومه. وأما قولها ذهبت أُمِّي تشق النفس نفسين، فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء. وأما قولها إن أخي يراعي الشمس، فإن أحاها في سرح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به. وأما قولها: إن سماءكم انشقت، فإن البرد الذي بعثت به انشق. وأما قولها إن وعاءيكم نضبا، فإن النحيين الذي بعثت بهما نقصا، فأصدقني. فقال: يا مولاي، إني نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسيي فأخبرتهم إني ابن عمك، ونشرت الحلة فانشقت وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء. فقال: أولى لك !. ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه الغلام، فترلا مترلاً. فخرج الغلام يسقي الإبل فعجز؛ فأعانه امرؤ القيس؛ فرمى به الغلام في البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل وأخبرهم أنه زوجها. فقيل لها: قد جاء زوجك. فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا ! ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذبها ففعلوا. فقالت: اسقوه لبناً حارزاً وهو الحامض فسقوه فشرب. فقالت: افرشوا له عن الفرث والدم، ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت إليه: إني أريد أن أسألك. فقال: سلي عما شئت. فقالت: مما تختلج شفتاك؟ قال: لتقبلي إياك. قالت: فمم يختلج كشحك؟ قال: لالتزامي إياك. قالت: فمم يختلج فخذاك؟ قال: لتوركي إياك. قالت: عليكم العبد فشدوا أيديكم به، ففعلوا. قال: ومر قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حيه، فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته. فقيل لها قد جاء زوجك. فقالت: والله ما أدري أزوجي هو أم لا، ولكن انحروا له جزوراً فأطعموه من كرشها وذبها ففعلوا. فلما أتوه بذلك قال: وأين الكبد والسنام والملحاء ! فأبى أن يأكل. فقالت: اسقوه لبناً حارزاً. فأبى أن يشربه وقال: فأين الصريف والرثية !. فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم. فأبى أن ينام وقال: افرشوا لي فوق التلعة الحمراء، واضربوا عليها حباء. ثم أرسلت إليه: هلم شربطي عليك في المسائل الثلاث. فأرسل إليها أن سلي عما شئت. فقالت: مما تختلج شفتاك. قال: لشرب المشعشات. قالت: فمم يختلج كشحك، قال: للبسي الحبرات. قالت: فمم تختلج فخذاك؟ قال: لركضي المطهومات. فقالت: هذا زوجي لعمرى ! فعليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه. ودخل امرؤ القيس بالجارية. فقال ابن هبيرة: حسبيكم ! فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو؛ ولن تأتينا بأعجب مه فقمنا وانصرفنا. وأمر لي بجائزة.

مفاوضات امرئ القيس وقبائل أسد بعد موت حجر: نسخت من كتاب جدي يحيى بن محمد بن ثوبة بخطه رحمه الله حدثني الحسن بن سعيد عن أبي عبيدة قال: أخبرني سبيويه النحوي أن الخليل بن أحمد أخبره قال: قدم على امرئ القيس بن حجر بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بني أسد كهولٌ وشبان، فيهم المهاجر بن خدش ابن عم عبيد بن الأبرص، وقبيصة بن نعيم، وكان في بني أسد مقيماً وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ورداً وإصداراً يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب. فلما علم بمكانهم أمر بإنزالهم وتقديم باكرامهم والإفضال عليهم، واحتجب عنهم ثلاثاً. فسألوا من حضره من رجال كندة فقال: هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من السلاح والعدة. فقالوا: اللهم غفراً، إنما قدمنا في أمر تتناسى به ذكر ما سلف ونستدرك به ما فرط، فليبلغ

ذلك عنا. فخرج عليهم في قباء وخف وعمامة سوداء؛ وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا في الترات. فلما نظروا إليه قاموا له، وبدر إليه قبيصة: إنك في المحل والقدر والمعرفة بتصرف الدهر وما تحدثه أيامه وتتنقل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ولا تذكرة مجرب. ولك من سؤدد منصبك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة، ورجوع عن هفوة. ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك فوجدت عندك من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذي كان من الخطب الجليل الذي عمت رزيته نزاراً واليمن، ولم تخصص كندة بذلك دوننا للشرف البارع. كان لحجر التاج والعمه فوق الجبين الكريم وإخاء الحمد وطيب الشيم. ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولقد بيناه منه، ولكن مضى به سبيل لا يرجع أولاه على أحراره ولا يلحق أقصاه أدناه. فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال: إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتاً، وأعلاها في بناء للكرامات صوتاً فقدناه إليك بنسعه تذهب مع شفرات حسامك قصدته فيقول رجل امتحن بهلك عزيز فلم تستل سخيمته إلا بتمكينه من الانتقام، أو فداءً بما يروح من بني أسد من نعمها فهي ألوف تجاوز الحسبة فكان ذلك فداءً رجعت به القضب إلى أجفائها لم يردده تسليط الإحن على البرءاء؛ وإما أن توادعنا حتى تضع الحوامل فنسدل الأزرق ونعقد الخمر فوق الرايات. قال: فبكى ساعة ثم رفع رأسه فقال: لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم، وإني لن أعتاض به جماً أو ناقةً فأكتسب بذلك سبة الأبد وفت العضد. وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها، ولن أكون لعطبيها سبباً، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك، تحمل القلوب حنقا وفوق الأسنة علقا:

تصافح فيه المنايا النفوسا

إذا جالت الخيل في مأزق

أقيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل ننصرف بأسوأ الاختيار، وأبلى الاجترار لمكروه وأذية، وحرب وبلية. ثم نهضوا عنه، وقبيصة يقول متمثلاً:

كتائبنا في مأزق الموت تمطر

لعلك أن تستوخم الموت إن غدت

فقال امرؤ القيس: لا والله لا أستوخمه، فرويداً ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير. ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي إن كنت نازلاً بربعي؛ ولكنك قلت فأجبت. فقال قبيصة: ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب. قال امرؤ القيس: فهو ذاك.

أصوات معبد المعروفة بألقابها وهي خمسة أصوات معبد الخمسة وألقابها: أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبة عن إسحاق: أن معبد كان يسمى صوته:

هريرة ودعها وإن لام لائم

الدوامة لكثرة ما فيه من الترجيع. ويسمى صوته:

عاود القلب من تذكر جمل

المنم. ويسمى صوته:

أمن آل ليلي بالملأ متربع

معقصات القرون أي يحرك خصل الشعر. ويسمى صوته:

"جعل الله جعفرًا لك بعلاً"

المتبختر. ويسمى صوته:

أم شبت بذى الأثل من سلامة نار

ضوء برق بدا لعينيك

مقطع الأثفار .

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

غداة غد أم أنت للبين واجم

هريرة ودعها وإن لام لائم

تقضى لبانات ويسأم سائم

لقد كان في حول ثواء ثويته

لها مقلتا ريم وأسود فاحم

مبتلة هيفاء روّد شبابها

مع الحلي لبات لها ومعاصم

ووجه نقي اللون صاف يزينه

الواجم: الساكت المطرق من الحزن، يقال: وجم يجم وجوما. وقوله: لقد كان في حول ثواء ثويته: قال الكوفيون: أراد لقد كان في ثواء حول ثويته، فجعل ثواء بدلاً من حول. فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام عن يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى:

لقد كان في حول ثواء ثويته

جداً ويقول: ما أعرف له معنى ولا وجهاً يصح. قال أبو خليفة: وأما عبدة فإنه قال: معناه لقد كان في ثواء حول ثويته. والبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد. والمبتلة: الحسنة الخلق. والهيفاء: اللطيفة الخصر. والرئم: الظبي. والفاحم: الشديد السواد. وقال: لبات لها وإنما لها لبة واحدة ولكن العرب تقول ذلك كثيراً؛ يقال: لها لبات حسان، يراد اللبة وما حولها. والمعاصم: موضع الأسورة، وواحداه معصم. الشعر للأعشى. والغناء لمعبد، وله فيه لحنان، أحدهما وهو الملقب بالدوامة خفيف ثقیل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، والأخر ثقیل عن الهشامي وابن خرداذبة.

أخبار الأعشى ونسبه

نسبه وكنيته: الأعشى هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الحصن بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويكنى أبا بصير.

لقب أبيه قتيل الجوع: وكان يقال لأبيه قيس بن جندل قتيل الجوع، وسمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحر، ف وقعت صخرة عظيمة من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعاً. فقال فيه جهنم واسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوهم وكانا يتهاجيان:

أبوك قتيل الجوع قيس بن جندل وخالك عبدٌ من خماعة راضعٌ

شاعر جاهلي: وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدم على سائرهم، وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا في غيره.

أشعر الناس إذا طرب: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال سألت يونس النحوي: من أشعر الناس؟ قال: لا أوميء إلى رجل بعينه ولكني أقول: امرؤ القيس إذا غضب، والنابعة إذا رهب وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

قبيلته أشعر القبائل عند حسان: أخبرني ابن عمار عن ابن مهرويه عن حذيفة بن محمد عن ابن سلام بمثله. أخبرني عمي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين. أن حسان سئل: من أشعر الناس؟ فقال: أشاعر بعينه أم قبيلة؟ قالوا: بل قبيلة. قال: الزرق من بني قيس بن ثعلبة، وهذا حديث يروى أيضاً عن غير حسان.

فاخر ابن شفيع بقبيلته بني ثعلبة عبد العزيز بن زرارة: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار عن ابن مهرويه قال حدثنا عبدة بن عصمة عن فراس بن خندف عن علي بن شفيع قال: إني لواقفٌ بسوق حجر إذ أنا برجل من هيئته وحاله عليه مقطعات خبز وهو على نجيب مهري عليه رحل لم أر قط أحسن منه وهو يقول: من يفاخري من ينافري ببني عامر بن صعصعة فرساناً وشعراء وعدداً وفعلاً؟! قلت: أنا. قال: بمن؟ قلت: ببني ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. فقال: أما بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المنافرة؟ ثم ولى هارباً. قلت: من هذا؟ قيل: عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان الكلابي.

هو صناجة العرب: أخبرني حبيب بن نصر المهلي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال: قال أبو عبدة: من قدم الأعشى يحتج بكثرة طواله الجياد وتصرفه في المديح والمهجا وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره. ويقال: هو أول من سأل بشعره، وانتجع به أقاصي البلاد. وكان يغني في شعره، فكانت العرب تسميه صناجة العرب.

أخبرني المهلي والجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال: سمعت خلاداً الأرقط يقول سمعت خلفاً الأحمر يقول: لا يعرف من أشعر الناس كما لا يعرف من أشجع الناس ولا من كذا ولا من كذا، لأشياء ذكرها خلفٌ ونسيتها

أنا. أبو زيد عمر بن شبة يقول هذا.

كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف قال حدثني عمي إسماعيل بن أبي محمد قال أخبرني أبي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقدم الأعشى.

سئل مروان بن أبي حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره:

وقال هشام بن الكلبي أخبرني أبو قبيصة المجاشعي أن مروان ابن أبي حفصة سئل: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

كلا أبوكم كان فرع دعامة ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصاً

يعني الأعشى.

قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي قال قال سلمة بن نجاح أخبرني يحيى بن سليم الكاتب قال: بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حماد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء. قال: فأتيت باب حماد فاستأذنت وقلت: يا غلام! فأجابني إنساناً من أقصى بيت في الدار: فقال: من أنت؟ فقلت: يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين. قال: ادخل رحمك الله! فدخلت أتسمت الصوت حتى وقفت على باب البيت، فإذا حماداً عرياناً على فرجه دستجة شاهسفرم. فقلت: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس. فقال: نعم! ذلك الأعشى صناجها.

أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال سمعت أبا عبيدة يقول سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: عليكم بشعر الأعشى، فإني شبهته بالبازي يصيد ما بين العندليب إلى الكركي.

وضعه جني في المرتبة الثالثة بعد امرئ القيس وطرفة: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال سمعت أبا عبيدة يقول: بلغني أن رجلاً من أهل البصرة حج وروى هذا الحديث ابن الكلبي عن شعيب بن عبد الرحمن أبي معاوية النحوي عن رجلاً من أهل البصرة أنه حج قال فإني لأسير في ليلة إضحيانة إذ نظرت إلى رجل شاب راكب على ظليم قد زمه بخطامه وهو يذهب عليه ويحيى، وهو يرتجز ويقول:

هل يبلغنيهم إلى الصباح هقل كأن رأسه جماح

الجماح: أطراف النبت الذي يسمى الحلي وهو سنبله، إلا أنه ليس بخشن يشبه أذنان الثعالب. قال: والجماح أيضاً سهيم يلعب به الصبيان يجعلون مكان زجه طيناً قال: فعلمت بأنه ليس بإنسي، فاستوحشت منه. فتردد علي ذاهباً وراجعاً حتى أنست به؛ فقلت: من أشعر الناس يا هذا؟ قال: الذي يقول:

وما ذرفت عيناك إلى لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

قلت: ومن هو؟ قال: امرؤ القيس. قلت: فمن الثاني؟ قال: الذي يقول:

وعكبك القيظ إن جاء بقر

تطرد القر بحرٍ ساخنٍ

قلت: ومن يقوله؟ قال: طرفة. قلت: ومن الثالث؟ قال الذي يقول:

س بالصيف رقرقت فيه العبير

وتبرد برد رداء العرو

قلت: ومن يقوله؟ قال: الأعشى، ثم ذهب به.

هو أستاذ الشعراء في الجاهلية وجريز أستاذهم في الإسلام: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عدنان قال وقال لي يحيى بن الجون العبدى راوية بشار: نحن حاكة الشعر في الجاهلية والإسلام ونحن أعلم الناس به، أعشى بني قيس بن ثعلبة أستاذ الشعراء في الجاهلية. وجريز بن الخطفي أستاذهم في الإسلام. حديث الشعبي عنه: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال: قال الشعبي: الأعشى أغزل الناس قي بيت، وأخنت الناس في بيت، وأشجع الناس قي بيت. فأما أغزل بيت فقوله:

غراء فرعاء مصقولٌ عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

وأما أخنت بيت فقوله:

ويلي عليك وويلي منك يارجل

قالت هريرة لما جئت زائرها

وأما أشجع بيت فقوله:

أو تنزلون فإننا معشرٌ نزل

قالوا الطراد فقلنا تلك عاداتنا

حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيحيب من شعره: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد قال ذكر الهيثم بن عدي أن حماد الراوية سئل عن أشعر العرب، قال الذي يقول:

وقهوة مزّة راووقها خضل

نازعتهم قضب الرياح منتكاً

كان قدرياً وكان لبيد مثبّثاً: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو علي العتري قال حدثني محمد بن معاوية الأسدي قال حدثني رجلٌ عن أبان بن تغلب عن سماك بن حرب قال قال لي يحيى بن متى راوية الأعشى وكان نصرانياً عبادياً وكان معمرًا قال: كان الأعشى قدرياً وكان لبيد مثبّثاً. قال لبيد:

ناعم البا ومن شاء أضل

من هداه سبل الخير اهتدى

وقال الأعشى.

عدل وولى الملانة الرجال

إستأثر الله بالوفاء وبال

قلت: فمن أين أخذ الأعشى مذهبه؟ قال: من قبل العباديين نصارى الحيرة، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقنوه ذلك.

هريرة عشيقته: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شراة في مجلس الرياشي قال حدثنا مشايخ بني قيس بن ثعلبة قالوا: كانت هريرة التي يشبب بها الأعشى أمةً سوداء لحسان بن عمرو بن مرثد. وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن فراس بن الخندف قال: كانت هريرة وخليدة أختين قينتين كانتا لبشر بن عمرو بن مرثد، وكانتا تغنيانه النصب ، وقدم بهما اليمامة لما هرب من النعمان. قال ابن دريد فأخبرني عمي عن ابن الكلبي بمثل ذلك.

مدح الخلق الكلابي وذكر بناته فتزوجن: وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن الرياشي مما أجاز له عن العتي عن رجل من قيس عيلان قال: كان الأعشى يوافي سوق عكاظ في كل سنة، وكان الخلق الكلابي مثناً مملقاً. فقالت له امرأته: يا أبا كلاب، ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر! فما رأيت أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً. قال: ويحك! ما عندي إلا ناقتي وعليها الحمل!. قالت: الله يخلفها عليك. قال: فهل له بد من الشراب والمسوح؟ قالت: إن عندي ذخيرة لي ولعلي أن أجمعها. قال: فتلقاه قبل أن يسبق إليه أحدٌ وابنه يقوده فأخذ الخطام؛ فقال الأعشى: من هذا الذي غلبنا على خطامنا؟ قال: الملق. قال: شريفٌ كريم، ثم سلمه إليه فأناخه؛ فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها، ثم سقاها، وأحاطت بناته به يغمزنه ويمسحنه. فقال: ما هذه الجوارى حولي؟ قال: بنات أخيك وهن ثمانٍ شريدتهن قليلة. قال: وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً. فلما وافى سوق عكاظ إذا هو بسرحةٍ قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى ينشدهم.

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلّق

رضيعي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داجٍ عوض لا نتفرق

فسلم عليه المحلق؛ فقال له: مرحباً يا سيدي بسيد قومه. ونادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مذكراً يزوج ابنه إلى الشريف الكريم!. قال: فما قام من مقعده وفيهن مخطوبةٌ إلا وقد زوجها. وفي أول القصيدة عناء وهو:

صوت

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقمٍ وما بي معشوق

ولكن أراني لا أزال بحادثٍ أغادى بما لم يمس عندي وأطرق

غناه ابن محرز خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لحنٌ ليونس من كتابه غير مجنس. وفيه لابن سريج ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو.

اسم المحلق الكلابي وسبب كنيته وسبب اتصاله بالأعشى: أخبرني أبو العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: اسم المحلق عبد العزى بن حنتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد وهو أبو بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وإنما سمي محلقاً لأن حصاناً له عضه في وجنته

فخلق فيه حلقة.

قال: وأنشد الأعشى قصيدته هذه كسرى ففسرت له؛ فلما سمعها قال: إن كان هذا سهر لغير سقم ولا عشق فما هو إلا لص.

وذكر علي بن محمد النوفلي في خبر المخلق مع الأعشى غير هذه الحكايات، وزعم أن أباه حدثه عن بعض الكلابيين من أهل البادية قال:

كان لأبي المخلق شرفٌ فمات وقد أتلّف ماله، وبقي المخلق وثلاث أخواتٍ له ولم يترك لهم إلا ناقةً واحدةً وحليّ برودٍ حبرة كان يشهد فيهما الحقوق . فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزله باليمامة، فترل الماء الذي به المخلق، فقراه أهل الماء فأحسنوا قراه. فأقبلت عمّة المخلق فقالت: يابن أخي ! هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه أهل الماء، والعرب ترعم أنه لم يمدح قومًا إلا رفعهم، ولم يهج قومًا إلا وضعهم؛ فانظر ما أقول لك واحتل في زقٍ من خمر من عند بعض التجار فأرسل إليه بهذه الناقة والزق وبردي أبيك؛ فوالله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفه ونظر إلى عطفيه في البردين، ليقولن فيك شعراً يرفعك به. قال: ما أملك غير هذه الناقة، وأنا أتوقع رسلها . فأقبل يدخل ويخرج ويهم ولا يفعل؛ فكلما دخل على عمته حضته؛ حتى دخل عليها فقال: قد ارتحل الرجل ومضى. قالت: الآن والله أحسن ما كان القرى ! تتبعه ذلك مع غلام أبيك مولى له أسود شيخ فحيثما لحقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إياه، وأنك لما وردت الماء فعلمت أنه كان به كرهت أن يفوتك قراه؛ فإن هذا أحسن لموقعه عنده. فلم تزل تحضه حتى أتى بعض التجار فكلّمه أن يقرضه ثمن زق خمرٍ وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلما مر بماء قيل: ارتحل أمس عنه، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحة اليمامة فوجد عنده عدة من الفتيان قد غداهم بغير لحم وصب لهم فضيخاً فهم يشربون منه، إذ قرع الباب فقال: انظروا من هذا؟ فخرجوا فإذا رسول المخلق يقول كذا وكذا. فدخلوا عليه وقالوا: هذا رسول المخلق الكلابي أتاك بكيت وكيت. فقال: ويحكم ! أعرابي والذي أرسل إلي لا قدر له ! والله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفي لأقولن فيه شعراً لم أقل قط مثله. فواتبه الفتيان وقالوا: غبت عنا فأطلت الغيبة ثم أتيناك فلم تطعمنا لحمًا وسقينا الفضيخ واللحم والخمر ببابك، لا نرضى بدا منك. فقال: ائذنوا له؛ فدخل فأدى الرسالة وقد أناخ الجزور بالباب ووضع الزق والبردين بين يديه. قال: أقره السلام وقل له: وصلتك رحم، سيأتيك ثناؤنا. وقام الفتيان إلى الجزور فنحروها وشقوا حاصرقتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ثم جاءوا بها، فأقبلوا يشوون، وصبوا الخمر فشربوا، وأكل معهم وشرب ولبس البردين ونظر إلى عطفيه فيهما فأنشأ يقول:

أرقت وما هذا السهاد المورق

حتى انتهى إلى قوله:

فأنجد أقوامً به ثم أعرقوا

أيا مسمع سار الذي قد فعلتم

وتعقد أطراف الحبال وتطلق

هب تعقد الأحمال في كل منزل

قال: فسار الشعر وشاع في العرب. فما أتت على المخلق سنة حتى زوج أخواته الثلاث كل واحدة على مائة ناقة، فأيسر وشرف.

وذكر الهيثم بن عدي عن حماد الراوية عن معقل عن أبي بكر الهلالي قال: خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيس بن معد يكرب، فمر ببني كلاب، فأصابه مطرٌ في ليلة ظلماء، فأوى إلى فتى من بني بكر بن كلاب، فبصر به المخلق وهو عبد العزى بن حنتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عبيد بن كلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذؤابة، فأتى أمه فقال: يا أمه رأيت رجلاً أخلق به أن يكسبنا مجداً. قالت: وما تريد يا بني؟ قال: نضيفه الليلة. فأعطته جلبابها فاشتري به عشرين من جزور وخمراً؛ فأتى الأعشى، فأخذه إليه، فطعم وشرب واصطلى، ثم اصطبح فقال فيه:

أرقت وما هذا السهاد المؤرق

والرواية الأولى أصح.

سألته امرأة أن يشيب بيناتهما فشيب بمن فزوجهن: أخبرني أحمد بن عمار قال حدثنا يعقوب بن نعيم قال حدثنا قعنب بن المحرز عن الأصمعي قال حدثني رجلٌ قال: جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت: إن لي بناتٍ قد كسدن علي، فشيب بواحدة منهن لعلها أن تنفق. فشيب بواحدة منهن، فما شعر الأعشى إلا بجزور قد بعث به إليه. فقال: ما هذا؟ فقالوا: زوجت فلانة. فشيب بالأخرى فأتاه مثل ذلك، فسأل عنها فقيل: زوجت. فما زال يشيب بواحدة فواحدة منهن حتى زوجن جميعاً.

أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن السموءل: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن أبي سعيد الأموي عن محمد بن السائب الكلبي قال: هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال:

ولست من الكرام بني عبيد

بنو الشهر الحرام فلست منهم

ولا من رهط حارثة بن زيد

ولا من رهط جبار بن قرط

- قال: وهؤلاء كلهم من كلب فقال الكلبي: لا أبأ لك! أنا أشرف من هؤلاء. قال: فسبه الناس بعد بهجاء الأعشى إياه، وكان متغيظاً عليه. فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسر منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه، ثم جاء حتى نزل بشريح بن السموءل بن عاديا الغساني صاحب تيماء بحصنه الذي يقال له الأبلق. فمر شريحٌ بالأعشى؛ فناده الأعشى:

حبالك اليوم بعد القد أظفاري

شريح لا تتركني بعد ما علقت

وطال في العجم تردادي وتسياري

قد جلت ما بين بانقيا إلى عدن

مجداً أبوك بعزفٍ غير إنكار

فكان أكرمهم عهداً وأوثقهم

كالغيث ما استمطروه جاد وابله
 كن كالسموئل إذ طاف الهمام به
 إذ سامه خطتي خسف فقال له
 فقال غدرٌ وتكلُّ أنت بينهما
 فشك غير طويلٍ ثم قال له
 وسوف يعقبنيه إن ظفرت به
 لا سرهن لدينا ذاهبٌ هدرًا
 فاختر أدراعه كي لا يسب بها
 وفي الشدائد كالمستأسد الضاري
 في جحفلٍ كهزيع الليل جرار
 قل ما تشاء فإنني سامعٌ حار
 فاختر وما فيهما حظٌ لمختار
 اقتل أسيرك إني مانعٌ جاري
 ربُّ كريمٍ وبيضٌ ذات أطهار
 وحافظات إذا استودعن أسراري
 ولم يكن وعده فيها بختار

قال: وكان امرؤ القيس بن حجر أودع السموئل بن عاديا أدرعاً مائة، فأتاه الحارث بن ظالم ويقال الحارث بن أبي شمر الغساني ليأخذها منه، فتحصن منه السموئل؛ فأخذ الحارث ابناً له غلاماً وكان في الصيد، فقال: إما أن سلمت الأدرع إلي وإما أن قتلت ابنك. فأبى السموئل أن يسلم إليه الأدرع؛ فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه قطعتين، فيقال: إن جريراً حين قال للفرزدق:

بسيف أبي رغوآن سيف مجاشع
 ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
 إنما عني هذه الضربة. فقال السموئل في ذلك:

وفيت بذمة الكندي إني
 وأوصى عاديا يوماً بأن لا
 بنى لي عاديا حصناً حصيناً
 وماءً كلما شئت استقيت
 وإذا ما ذم أقوامٌ وفيت
 تهدم يا سموئل ما بنيت

قال: فجاء شريح إلى الكلبي فقال له: هب لي هذا الأسير المضرور. فقال: هو لك، فأطلقه. وقال: أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك. فقال له الأعشى: إن من تمام صنيعتك أن تعطيني ناقةً نجبية وتخليني الساعة. قال: فأعطاه ناقةً فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبي أن الذي وهب لشريح هو الأعشى. فأرسل إلى شريح: ابعث إلى الأسير الذي وهبت لك حتى أحبوه وأعطيه. فقال: قد مضى. فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه. مدح عامر بن الطفيل وهجا علقمة بن علاثة: حدثنا ابن علاثة عن محمد العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأموي عن محمد بن السائب قال: أتى الأعشى الأسود العنسي وقد امتدحه فاستبطأ جائزته. فقال الأسود: ليس عندنا عينٌ ولكن نعطيك عرضاً، فأعطاه خمسمائة مثقال دهنًا وبخمسائة حلاًلاً وعنبراً. فلما مر ببلاد بني عامر خافهم على ما معه، فأتى علقمة بن علاثة فقال له: أجري، فقال: قد أجرتك. قال: من الجن والإنس؟ قال نعم. قال: ومن الموت؟ قال لا. فأتى عامر بن الطفيل فقال:

أجرتني، قد أجرتك. قال: من الجن والإنس؟ قال نعم قال: ومن الموت؟ قال نعم. قال: وكيف تجبرني من الموت؟ قال: إن مت وأنت في جوارحي بعثت إلى أهلك الدية. فقال: الآن علمت أنك قد أجرتني من الموت. فمدح عامراً وهجا علقمة. فقال علقمة: لو علمت الذي أراد كنت أعطيته إياه. قال الكلبي: ولم يهيج علقمة بشيء أشد عليه من قوله:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

فرفع علقمة يده وقال: لعنه الله! إن كان كاذباً! أنحن نفعل هذا بجاراتنا!. وأخبار الأعشى وعلقمة وعامر تأتي مشروحة في خبر منافرتهما إن شاء الله تعالى.

تزوج امرأة من عترة ثم طلقها وقال فيها شعراً:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله قال حدثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن الفضل وغيره من أصحابه: أن الأعشى تزوج امرأة من عترة ثم من هزان قال: وعترة هو ابن أسد بن ربيعة بن نزار فلم يرضها ولم يستحسن خلقها، فطلقها وقال فيها:

بيني حصان الفرج غير ذميمة وموموقة فينا كذاك ووامقه

وذوقي فتى قوم فإني ذائق فتاة أناسٍ مثل ما أنت ذائقه

لقد كان في فتیان قومك منكح وشبان هزان الطوال الغرائقه

فبيني فإن البين خيرٌ من العصا وإلا تري لي فوق رأسك بارقه

وما ذاك عندي أن تكوني دنيئة ولا أن تكوني جئت عندي ببائقه

ويا جارتا ببني فإنك طالقہ كذاك أمور الناس غادٍ وطارقه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الحسين بن إبراهيم بن الحر قال حدثنا المبارك بن سعيد عن سفيان الثوري قال: طلاق الجاهلية طلاق. كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومها فضربوه وقالوا: طلقها فقال:

أيا جارتا ببني فإنك طالقہ كذاك أمور الناس غادٍ وطارقه

وذكر باقي الأبيات مثل ما تقدم.

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا عثمان البرقي في إسناد له قال: أخذ قوم الأعشى فقالوا له: طلق امرأتك؛ فقال:

أيا جارتا ببني فإنك طالقہ كذاك أمور الناس غادٍ وطارقه

ثم ذكر نحو الخبر الذي قبله على ما قدمناه.

في هذه الأبيات غناء نسبته: صوت

فبيني فإن البين خيرٌ من العصا
وما ذاك عندي أن تكوني دنيئةً
وإلا تري لي فوق رأسك بارقه
ولا أن تكوني جئت عندي ببائقه
ويا جارتا ببني فإنك طالقه
كذاك أمور الناس غادٍ وطارقه

الشعر للأعشى. والغناء للهدلي خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق.
وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي. قال الهشامي: وفيه لفليح خفيف ثقيل بالوسطى لا يشك فيه من غنائه. وذكر حبش أن الثقيل الثاني لآبن سريج وذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن الخفيف الثاني المنسوب إلى فليح لأبيه عبد الله بن طاهر. وهذا الصوت يغني في هذا الزمان على ما سمعناه:

أيا جارتا دومي فإنك صادقته
ولم نفترق أن كنت فينا دنيئةً
وموموقةً فينا كذاك ووامقه
ولا أن تكوني جئت عندي ببائقه

وأحسبه غير في دور الطاهرية على هذا.
فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني سوار بن أبي شراعة قال حدثني أبي عن مسعود بن بشر عن أبي عبيدة قال: دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان وقد شرب خمراً وتضمخ بلخاخ وخلوق وعنده الشعبي. فلما رآه قال: يا شعبي، ناك الأخطل أمهات الشعراء جميعاً. فقال له الشعبي: بأي شيء؟ قال حين يقول:

وتظل نتصفنا بها قرويةً
فإذا تعاورت الأكف زجاجها
إبريقها برقاعه ملثوم
نفحت فشم رياحها المزكوم

فقال الأخطل: سمعت بمثل هذا يا شعبي؟! قال: إن أمنتك قلت لك. قال: أنت آمن. فقلت له: أشعر والله منك الذي يقول:

وأدكن عاتقٍ حجلٍ ربجلٍ
من اللائي حملن على المطايا
صبحت براحه شرباً كراما
كريح المسك تستل الزكاما

فقال الأخطل: ويحك! ومن يقول هذا؟ قلت: الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة. فقال: قدوس قدوس! ناك الأعشى أمهات الشعراء جميعاً وحق الصليب!.

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة والهيثم بن عدي، وحدثني الصولي قال حدثني الغلابي عن العتيبي عن أبيه، وذكر هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضبي، قالوا جميعاً: قدم الأخطل الكوفة، فأتاه الشعبي يسمع من شعره. قال: فوجدته يتغدى، فدعاني أتغدى فأتيته، فوضع الشراب فدعاني إليه فأتيته. فقال ما حاجتك؟ قلت: أحب أن أسمع من شعرك، فأنشدي قوله:

صرمت أمامة حبلنا ورعوم

حتى انتهى إلى قوله:

فإذا تعاورت الأكف ختامها

نفحت فشم رياحها المزكوم

فقال: يا شعبي، ناك الأخطل أمهات الشعراء بهذا البيت. قلت: الأعشى أشعر منك يا أبا مالك . قال: وكيف؟
قلت: لأنه قال:

من خمر عانة قد أتى لختامها

حول تسل غمامة المزكوم

فضرب بالكأس الأرض وقال: هو المسيح أشعر مني ! ناك والله الأعشى أمهات الشعراء إلا أنا.
مدح سلامة ذا فائش فأجازه: حدثني وكيع قال حدثني محمد بن إسحاق المعولي عن إسحاق الموصلي عن الهيثم

عليك، وكلها بك رافق ولك موافق. قال: وما هن؟ فقال أبو سفيان بن حرب: الزنا. قال: لقد تركني الزنا ومما تركته؛ ثم ماذا؟ قال القمار. قال: لعلني إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار؛ ثم ماذا؟ قالوا: الربا. قال: ما دنت ولا ادنت؛ ثم ماذا؟ قالوا: الخمر. قال: أوه! أرجع إلى صباة قد بقيت لي في المهراس فأشربها. فقال له أبو سفيان: هل لك في خير مما هممت به؟ قال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هدنة، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتك هذه وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً، وإن ظهر علينا أتيت. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى! والله لئن أتى محمداً واتبعه ليضرم عليكم نيران العرب بشعره، فاجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا؛ فأخذها وانطلق إلى بلده. فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيه فقتله.

قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان: أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال. قبر الأعشى بمنفوحة وأنا رأيته؛ فإذا أراد الفتيان أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشرّبوا عنده وصبوا عنده فضلات الأقداح. أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا علي بن سليمان النوفلي قال حدثنا أبي قال: أتيت اليمامة والياً عليها، فمررت بمنفوحة وهي منزل الأعشى التي يقول فيها:

بشط منفوحة فالحاجر

فقلت: أهذه قرية الأعشى؟ قالوا نعم. فقلت: أين منزله؟ قالوا: ذاك وأشاروا إليه. قلت: فأين قبره؟ قالوا: بفناء بيته. فعدلت إليه بالجيش فأنتهيت إلى قبره فإذا هو رطب. فقلت: ما لي أراه رطباً؟ فقالوا: إن الفتيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار إليه القدح صبوه عليه لقوله: أرجع إلى اليمامة فأشبع من الأطيبين الزنا والخمر.

صوت معبد المسمى بالدوامة في شعرة. وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا الأطروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبي: أن ابن عائشة غنى يوماً:

هريرة ودعها وإن لام لائم

فأعجبته نفسه ورآه ينظر في أعطافه. فقليل له: لقد أصبحت اليوم تائها! فقال: وما يمنعني من ذلك وقد أخذت عن أبي عباد معبد أحد عشر صوتاً منها:

هريرة ودعها وإن لام لائم

وأبو عباد مغني أهل المدينة وإمامهم!.

قال: وكان معبد يقول والله لقد صنعت صوتاً لا يقدر أن يغنيه شبعان ممتلئ، ولا يقدر متكئ على أن يغنيه حتى يجثو، ولا قائم حتى يقعد. قيل: وما هو يا أبا عباد؟ قال إسحاق فأخبرني بذلك محمد بن سلام الجمحي أنه بلغه أن معبداً قاله. وأخبرني بهذا الخبر إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى قال: قال معبد: والله لأغنين صوتاً لا يغنيه مهموم ولا شبعان ولا حامل حمل، ثم غنى:

ير كثير البلابل

والمنى غير طائل

فيؤدي رسائلني

ولقد قلت والضم

ليت شعري تمنياً

هل رسول مبلغ

لحن معبد هذا خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه ثقيل أول ينسب إليه أيضاً، ويقال: إنه لأهل مكة.

صوت معبد المسمى بالمنمنم.

ومنها الصوت المسمى بالمنمنم.

صوت

ما يهيج المتيم المحزونا

واجهتنا كالشمس تعشي العيونا

نظرة زادت الفؤاد جنونا

هاج ذا القلب من تذكر جمل

إذ تراعت على البلاط فلما

ليلة السبت إذ نظرت إليها

الشعر لإسماعيل بن يسار. والغناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى. وفيه لدحمان ثاني ثقيل بالبصر، ذكر الهشامي أنه لا يشك فيه من غنائه. وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستغنى عن إعادتها هنا. صوت صوت معبد المسمى بمعقصات القرون:

كما لاح وشم في الذراع مرجع

وما الناس إلا ألف ومودع

آمن آل ليلي بالملا متربع

سأتبع ليلي حيث سارت وخيمت

الشعر لعمر بن سعيد بن زيد، وقيل: إنه لمجنون وإن مع هذين البيتين آخر وهي:

بمنزلة فانهلت العين تدمع

فيا آل ليلي دعوة كيف أصنع

وما الناس إلا ألف ومودع

تقود به حيث استمرت وأتبع

وقفت لليلي بعد عشرين حجة

فأمرض قلبي حبها وطلابها

سأتبع ليلي حيث حلت وخيمت

كأن زمماً في الفؤاد معلقاً

والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى. وقد ذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول إلى معبد وأنه مما يشبه غنائه. وذكر ابن الكلبي عن محمد بن يزيد أن معبداً أخذ لحن سائب خاثر في:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل

فغنى فيه:

آمن آل ليلي بالملا متربع

عمرو بن سعيد بن زيد وأخباره

نسبه، وشيء عن أبيه سعيد بن زيد: هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عددي بن كعب بن لؤي بن غالب. وسعيد بن زيد يكنى أبا الأعور، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء فرجف بهم، فقال: أثبت حراء فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد.

أخبرني ابن أبي الأزرهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني الهيثم بن سفيان عن أبي مسكين قال: جلس الوليد بن يزيد يوماً للمغنين وكانوا متوافرين عنده وفيهم معبد وابن عائشة؛ فقال لابن عائشة: يا محمد. قال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: إني قد قلت شعراً فغني فيه. قال: وما هو؟ فأنشده إياه، وترنم به محمد ثم غناه فأحسن، وهو: صوت

من شراب أصبهاني

أو شراب القيروان

أو بكف من سقاني

حين صبت في الدنان

وبشعري غنياني

وأشدداني بعناني

يتعاطى بالبنان

بين رجلي ولساني

عللاني وأسقياني

من شراب الشيخ كسرى

إن في الكأس لمسكاً

أو لقد غودر فيها

كللاني توجاني

أطلقاني بوثاقي

إنما الكأس ربيع

وحميا الكأس دبت

الغناء لابن عائشة هزج بالبنصر من رواية حبش قال: فأجاد ابن عائشة واستحسن غناؤه من حضر؛ فالتفت إلى معبد فقال: كيف ترى يا أبا عباد؟ فقال له معبد: شئت غناءك بصلفك. فقال ابن عائشة: يا أحول! والله لولا أنك شيخنا وأنت في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك من الشائن لغناؤه أنا بصلفي أم أنت بقبيح وجهك. وفطن الوليد بحركتهما فقال: ما هذا؟ فقال: خير يا أمير المؤمنين، لحن كان معبد طارحنيه فأنسيته فسألته عنه لأعني فيه أمير المؤمنين. فقال: وما هو؟ فقال:

كما لاح وشم في الذراع مرجع

آمن آل ليلى بالملأ متربع

فقال: هات يا معبد، فغناه إياه؛ فأستحسنه الوليد وقال: أنت والله سيد من غنى. وهذا الخبر أيضاً مما يدل على أن ما ذكره حماد من هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له.

أحمد بن أبي العلاء يغني المعتضد بشعر الوليد فيجيزه: أخبرني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني أحمد بن أبي العلاء المعني قال: غنيت المعتضد صوتاً في شعر له ثم أتبعته بشعر الوليد بن يزيد:

كللاني توجاني

وبشعري غنياني

فقال: أحسن والله! هكذا تقول الملوك المترفون، وهكذا يطربون، وبمثل هذا يشيرون، وإليه يرتاحون! أحسنت يا أحمد الاختيار لما شاكل الحال، وأحسنت الغناء، أعد؛ فأعدته، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وشرب رطلاً استعاده فأعدته، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ست مرات وشرب ستة أرتال وأمر لي بعشرة آلاف درهم وقال مرة أخرى بستمائة دينار ثم سكر. وما رأيي قبل ذلك ولا بعده أعطي مغنياً هذه العطية. وفي الخبر زيادة وقد ذكرته في موضعت آخر يصلح له.

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمد بن سهل النوشجاني أنه حضر أحمد بن أبي العلاء وقد غنى المعتضد هذا الصوت في هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه ولم يشرح القصة كما شرحها أحمد. ومنها صوت وهو المتبختر: صوت معبد المسمى بالمتبختر:

جعل الله جعفرًا لك بعلًا

وشفاءً من حادث الأوصاب

إذ تقولين للوليدة قومي

فانظري من ترين بالأبواب

الشعر للأحوص. والغناء لمعبد خفيف ثقیل أول بالبنصر. وذكر حماد عن أبيه في كتاب معبد أنه منحول إلى معبد وأنه لكردم.

صوت وهو المسمى مقطوع الأثفار

ضوء نارٍ بدا لعينك أم شب

ت بذی الأثل من سلامة نار

تلك بين الرياض والأثل والبا

نات منا ومن سلامة دار

وكذاك الزمان يذهب بالنار

س وتبقى الرسوم والأثار

الشعر للأحوص. والغناء لمعبد خفيف ثقیل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الوادي رملٌ عن الهشامي. وفيه لمعبد الله بن العباس خفيف رمل بالوسطى.

الأحوص وموسى شهوات

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمي قال: مدح موسى شهوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مروان بقصيدة أحسن فيها وأجاد وقال فيها:

وكذاك الزمان يذهب بالنار

س وتبقى الديار والأثار

فقام الأحوص ودخل منزله وقال قصيدة مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها. فقال له موسى شهوات: ما رأيت يا أحوص مثلك! قلت قصيدة مدحت فيها الأمير فسرت أجود بيت فيها وجعلته في قصيدتك. فقال له الأحوص: ليس الأمر كما ذكرت، ولا البيت لي ولا لك، هو للبيد سرقناه جميعاً منه، إنما ذكر ليده قومه فقال:

فعلى آخر الزمان الدبار

فعفا آخر الزمان عليهم

س وتبقى الرسوم والآثار

وكذاك الزمان يذهب بالناس

قال: فسكت موسى شهوات فلم يجر جواباً كأنما ألجمه حجراً.

حديث سلامة مع الأحوص وعبد الرحمن بن حسان وهو كما يرى أبو الفرج موضوع: ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقي خبر الأحوص مع سلامة التي ذكرها في هذا الشعر وهو موضوع لا أشك فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا يشبه نمط الأحوص، والتوليد بين فيه يشهد على أنه محدث. والقصة أيضاً باطلة لا أصل لها؛ ولكني ذكرته في موضعه على ما فيه من سوء العهدة. قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو محمد الجزري قال:

كانت بالمدينة سلامة من أحسن الناس وجهاً وأتمهن عقلاً وأحسنهن حديثاً قد قرأت القرآن وروت الأشعار وقالت الشعر، وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص بن محمد يختلفان إليها فيرويانها الشعر وينشدها إياه. فعلمت الأحوص وصدت عن عبد الرحمن. فقال لها عبد الرحمن يعرض لها بما ظنه من ذلك:

ومالي في حديثكم نصيب

أرى الإقبال منك على خليلي

فأجابته:

فحاز الحب دونكم الحبيب

لأن الله علقه فؤادي

فقال الأحوص:

ألذ العيش ما تهوى القلوب

خليلي لا تلمها في هواها

قال: فأضرب عنها ابن حسان وخرج ممتدحاً ليزيد بن معاوية فأكرمه وأعطاه. فلما أراد الانصراف قال له: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة، قال: وما هي؟ جارية خلقتها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سماره: فأرسل إليها يزيد فاشترى له وحملت إليه؛ فوقع منه موقعاً عظيماً وفضلها على جميع من عنده. وقدم عبد الرحمن المدينة فمر بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم، فأراد أن يزيده إلى ما به فقال:

لاقي من الحب تباريحاً

يا مبتلى بالحب مفدوحاً

إلا بكأس الشوق مصبوحاً

ألجمه الحب فما ينثني

وصار ما يعجبه مغلقاً
قد حازها من أصبحت عنده
خليفة الله فسل الهوى
وعز قلباً منك مجروحاً

فأمسك الأحوص عن جوابه. ثم أن شاين من بني أمية أرادا الوفادة إلى يزيد، فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملأ
له كتاباً ففعلا. فكتب إليها معهما:

سلام ذكرك ملصقٌ بلساني
ما لي رأيتك في المنام مطيعةً
أبدأ محبك ممسك بفؤاده
إن كنت عاتبةً فإني معتبٌ
لا تقتلي رجلاً يراك لما به
ولقد أقول لقاطنين من اهلنا
يا صاحبي على فؤادي جمرةٌ
أمرقيان إلى سلامة أنتما
لا أستطيع الصبر عنها إنها
من مهجتي نزلت لكل مكان

قال: ثم غلبه جزعه فخرج إلى يزيد ممتدحاً له. فلما قدم عليه قربه وأكرمه وبلغ لديه كل مبلغ. فدست إليه
سلامة خادماً وأعطته مالا على أن يدخله إليها. فأخبر الخادم يزيد بذلك؛ فقال: امض برسالتها. ففعل ما أمره به
وأدخل الأحوص، وجلس يزيد بحيث يراهما فلما بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها، وأمرت فألقي
له كرسي فقعد عليه، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدة الشوق. فلم يزالا يتحدثان إلى السحر
ويزيد يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما ريبة. حتى إذا هم بالخروج قال:

أمسى فؤادي في همٍ وبلبال
من حب من لم أزل منه على بال

فقالت:

صحا المحبون بعد النأي إذ يئسوا
وقد يئست وما أصحو على حال

فقال:

من كان يسلو بياسٍ عن أخي ثقةٍ
فعن سلامة ما أمسيت بالسالي

فقالت:

والله والله لا أنساك يا سكني

حتى يفارق مني الروح أوصالي

فقال:

والله ما خاب من أمسى وأنت له

يا قرة العين في أهل وفي مال

ثم ودعها وخرج. فأخذه يزيد ودعا بها فقال: أخبراني عما كان جرى بينكما في ليلتكما واصدقاني. فأخبراه وأنشده ما قالاه، فلم يخرما حرفاً ولا غيراً شيئاً مما سمعه. فقال له يزيد: أتجها يا أحوص؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين.

حباً شديداً تليداً غير مطرفٍ

بين الجوانح مثل النار يضطرم

فقال لها: أتحيينه؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين.

حباً شديداً جرى كالروح في جسدي

فهل يفرق بين الروح والجسد

فقال يزيد: إنكما لتصفان حباً شديداً خذها يا أحوص فهي لك، ووصله بصلة سنية، وانصرف بها وبالجارية إلى الحجاز وهو من أقر الناس عيناً. مضى الحديث.

أصوات معبد المسماة مدن معبد وتسمى أيضاً حصون معبد مدن معبد أو حصونه: أخبرني ابن أبي الأزره والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه، قال حسين في خبره واللفظ له عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال: قال معبد وقد سمع رجلاً يقول: إن قتيبة بن مسلم فتح سبعة حصون أو سبع مدن لخراسان فيها سبعة حصون صعبة المرتقى والمسالك ولم يوصل إليها قط. فقال: والله لقد صنعت سبعة ألحان كل لحن منها أشد من فتح تلك الحصون. فسئل عنها فقال:

لعمري لئن شطت بعثمة دارها

هريرةً ودعها وإن لام لائم

رأيت عرابة الأوسي يسمو

كم بذاك الحجون من حي صدق

لو تعلمين الغيب أيقنت أنني

يا دار عيلة بالجواء تكلمي

ودع هريرة إن الركب مرتحل

ومن الناس من يروي مدن معبد:

تقطع من ظلامه الوصل أجمع

خمصانة قلق موشحها

يوم تبدي لنا قتيلة

مكان:

كم بذاك الحجون من حي صدق

لو تعلمين الغيب أيقنت أنني

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

نسبة هذه الأصوات وأخبارها صوت

لقد كدت من وشك الفراق أليح

لعمري لئن شطت بعثمة دارها

ويحسب أني في الثياب صحيح

أروح بهم ثم أغدو بمثله

عروضه من الطويل. شطت: بعدت. ووشك الفراق: دنوه وسرعته. وأليح: أشفق وأجزع. والشعر لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه. والغناء لمعبد خفيف ثقیل أول بالخنصر في مجرى البنصر من رواية يونس وإسحاق وعمرو وغيرهم. وفيه رمل يقال: إنه لابن سريج.

ذكر عبید الله بن عبد الله ونسبه

نسبه، وعداده في بني زهرة: هو عبید الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فأر بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وهو في حلفاء بني زهرة من قريش وعداده فيهم. كان لجدّه صحبة وليس بدرياً: وعتبة بن مسعود وعبد الله بن مسعود البدری صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوان، ولعتبة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم وليس من البدرين. استعمل أباه عمر بن الخطاب: وكان ابنه عبد الله أبو عبید الله بن عبد الله رجلاً صالحاً، واستعمله عمر بن الخطاب فأحمده.

أخواه عون وعبد الرحمن

ولعبید الله بن عبد الله أخوان عون وعبد الرحمن. وكان عون من أهل الفقه والأدب، وكان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه. وقال وكان شاعراً:

أفارق ما يقول المرجئونا

فأول ما أفارق غير شك

وليس المؤمنون بجائرينا

وقالوا مؤمن من آل جور

وقالوا مؤمنٌ دمه حلالٌ

وقد حرمت دماء المؤمنين

وخرج مع ابن الأشعث، فلما هزم هرب، وطلبه الحجاج؛ فأتى محمد بن مروان بن الحكم بنصيبين فأمنه وألزمه ابنه مروان بن محمد وعبد الرحمن بن محمد. فقال له: كيف رأيت ابني أخيك؟ قال: أما عبد الرحمن فطفلٌ، وأما مروان فأني إن أتيت حجب، وإن قعدت عنه عتب، وإن عاتبته صخب، وإن صاحبتة غضب. ثم تركه ولزم عمر بن عبد العزيز فلم يزل معه. ذكر ذلك كله ومعانيه الأصمعي عن أبي نوفل الهذلي عن أبيه: ولعونٌ يقول جرير:

يا أيها القارئ المرخي عمامته

هذا زمانك إني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقية

إني لدى الباب كالمصفود في قرن

وخبره يأتي في أخبار جرير .

كان فقيهاً، وهو أحد السبعة بالمدينة: وأما عبد الرحمن فلم تكن له نباهة أخويه وفضلهما فسقط ذكره. وأما عبيد الله فإنه أحد وجوه الفقهاء الذين روي عنهم الفقه والحديث. وهو أحد السبعة من أهل المدينة، وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن المسيب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخازجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار. وكان عبيد الله ضريراً. وقد روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله بن مسعود عمه وأبي هريرة. وروى عنه الزهري وابن أبي الزناد وغيرهما من نظرائهما.

كان يؤثره ابن عباس: وكان عبد الله بن عباس يقضمه ويؤثره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي قال حدثنا يونس بن محمد قال حدثنا حماد بن زيد عن معمر عن الزهري قال: كان عبيد الله بن عبد الله يلفظ لابن عباس فكان يعزه عزراً.

حديث الزهري عنه

وكان كثير الاتصال به: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهري قال: كنت أخدم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حتى إن كنت لأستقي الماء المالح وإن كان ليسأل جاريته فتقول: غلامك الأعمش.

أخبرني وكيع قال حدثنا محمد بن عبد الملك بن زنجويه قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: أدركت أربعة بحور، عبيد الله بن عبد الله أحدهم.

أخبرني وكيع قال حدثنا محمد قال حدثنا حامد بن يحيى عن أبي عيينة عن الزهري قال: سمعت من العلم شيئاً كثيراً، فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كأني كنت في شعب من الشعاب فوقعت في الوادي؛ وقال مرة: صرت كأني لم أسمع من العلم شيئاً.

أثنى عليه عمر بن عبد العزيز: أخبرني وكيع قال حدثني بشر بن موسى قال حدثنا الحميدي عن ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: كان عمر بن العزيز يقول: ليت لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بديّة. أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال حدثني عمي عن يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن حمزة بن عبد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حياً ما صدرت إلا عن رأيّه، ولوددت أن لي بيوم من عبيد الله غرماً. قال ذلك في خلافته.

ما جرى بين عمر بن عبد العزيز وعروة في شأن عائشة وابن الزبير أمامه، ثم شعره لعمر حين أرسل إليه: أخبرنا محمد بن جرير الطبري وعم أبي عبد العزيز بن أحمد ومحمد بن العباس اليزيدي والطوسي ووكيع والحرمي بن أبي العلاء وطاهر بن عبد الله الهاشمي، قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثنا إبراهيم بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وابن أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعاً عن عثمان بن عمر بن موسى عن الزهري قال: دخل عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة. فقال عروة لشيء حدث به من ذكر عائشة وعبد الله بن الزبير: سمعت عائشة تقول: ما أحببت أحداً حيي عبد الله بن الزبير لا أعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبوي. فقال عمر: إنكم لتتحلون عائشة لابن الزبير انتحال من لا يرى لكم مسلم معه فيها نصيباً.

فقال عروة: بركة عائشة كانت أوسع من ألا يرى لكم مسلم فيها حق، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعتة الرحم والمودة التي لا يشرك كل واحد منهما فيه عند صاحبه أحد. فقال عمرو: كذبت. فقال عروة: هذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أي غير كاذب، وإن من أكذب الكاذبين من كذب الصادقين. فسكت عبيد الله ولم يدخل بينهما في شيء. فأفف بهما عمرو وقال: أخرجاني. ثم لم يلبث أن بعث إلى عبيد الله بن عبد الله رسولاً يدعو لبعض ما كان يدعو إليه. فكتب إليه عبيد الله:

لعمري ابن ليلي وابن عائشة التي	لمروان أدته، أبٌ غير زمل
لو أنهم عمّاً وجداً ووالداً	تأسوا فسنوا سنة المتعطل
عذرت أبا حفص وإن كان واحداً	من القوم يهدي هديهم ليس يأتلي
ولكنهم فاتوا وجئت مصلياً	تقرب إثر السابق المتمهل
وعمت فإن تسبق فضنء مبرز	جواد وإن تسبق فنفسك فاعذل
فمالك بالسلطان أن تحمل القذى	جفون عيون بالقذى لم تكحل
وما الحق أن تهوى فتعسف بالذي	هويت إذا ما كان ليس بأعدل
أبي الله والأحساب أن ترام الخنى	نفوس كرام بالخنا لم توكل

قال الزبير في خبره وحده: الضنء والضنء: الولد. قال: وأنشد الخليل بن أسد قال أنشدني دهثم:

ابن عجزٍ ضنؤها غير أمر
لأصبحت من لحمهن تعتذر
لو نحرت في بيتها عشر جزر
تغدو على الحي بعود من سمر
حتى يفر أهلها كل مفر

حجبه عمر بن عبد العزيز فقال فيه شعر ثم اعتذر فعذره: أخبرني الحسن بن علي ووكيع قالوا حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير، وأخبرناه الحرمي بن أبي العلاء إجازةً قال حدثنا الزبير عن ابن أبي أويس عن بكار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة: إن عبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه، فردّه الحاجب وقال له: عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو مختل به، فانصرف غضبان. وكان في صلاحه ربما صنع الأبيات، فقال لعمر:

أبن لي فكن مثلي أو ابتغ صاحباً
كمتلك إنني تابع صاحباً مثلي
عزيزٌ إخواني لا ينال مودتي
من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل
وما يلبث الفتيان أن يتفرقوا
إذا لم يؤلف روح شكل إلى شكل

قال: فأخبر عمر بأبياته؛ فبعث إليه أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة وعراك بن مالك يعذرانه عنده ويقولان: إن عمر يقسم بالله ما علم بأبياتك ولا برد الحاجب إليك، فعذره. قال الزبير وقد أنشدني محمد بن الحسن قال أنشدني محزر بن جعفر لعبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات وزاد فيها وهو أولها:

وإني امرؤ من يصفني الود يلفني
وإن نزحت دارٌ به دائم الوصل
عزيزٌ إخواني لا ينال مودتي
من الناس إلا مسلمٌ كامل العقل
ولولا اتقائي الله قلت قصيدةً
تسير بها الركبان أبردها يغلي
بها تنقض الأحلاس في كل منزل
وينفي الكرى عنه بها صاحب الرحل
كفاني يسيرٌ إذ أراك بحاجتي
كليل اللسان ما تمر وما تحلي
تلاوذ بالأبواب مني مخافة ال
ملامة والإخلاف شرٌّ من البخل

وذكر الأبيات الأول بعد هذه.

شعره في عراك وابن حزم حين علم أنهما مرا عليه ولم يسلمّا: أخبرني وكيعة قال حدثني علي بن حرب الموصلي قال حدثنا إسماعيل بن ريان الطائي قال سمعت ابن إدريس يقول: كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زماناً. ثم أن ابن حزم ولي إمرةً وولي عراك القضاء، وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان، وكان ضريباً فأخبر بذلك، فأنشأ يقول:

ألا أبلغا عني عراك بن مالك
فقد جعلت تبدو شواكل منكما
وطاوعتما بي داعكاً ذا معاكة
ولولا اتقائي ثم بقياي فيكما
ولا تدعا أن تنتيا بأبي بكر
كأنكما بي موقران من الصخر
لعمري لقد أزرى وما مثله يزري
للمنكما لوماً أحر من الجمر

صوت

فمسا تراب الأرض منها خلقتما
ولا تأنفا أن تسألا وتسلما
فلو شئت أن ألفتي عدواً وطاعنا
فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما
ومنها المعاد والمصير إلى الحشر
فما خشي الإنسان شراً من الكبر
لألفيته أو قال عندي في السر
ضحكت له حتى يلج ويستشري
عروضه من الطويل. غني في:

فمسا تراب الأرض منها خلقتما

والذي بعده لحن من الثقيل الأول بالنصر من رواية عمرو بن بانه وابن المكي ويونس وغيرهم. وزعم ابن شهاب الزهري أن عبيد الله قال هذه الأبيات في عمر بن عبد العزيز وعمرو بن عثمان، يعني أن الأبيات الأول ليست منها في شيء، وإنما أدخلت فيها لاتفاق الروي والقافية. أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال: جئت عبيد الله بن عبد الله يوماً في منزله فوجدته ينفخ وهو مغتاظ؛ فقلت له: ما لك؟ قال: جئت أميركم آنفاً يعني عمر بن عبد العزيز فسلمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلم يردا علي، فقلت:

فمسا تراب الأرض منها خلقتما

وذكر الأبيات الأربعة. قال فقلت له: رحمك الله! أقول الشعر في فضلك ونسكك! قال: إن المصدور إذا نفث برأ.

قال أبو زيد حدثنا إبراهيم بن المنذر، وأنشدني هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزناد له وذكر مثل ذلك وأنها في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو، وزاد فيها:

وكيف يريدان ابن تسعين حجةً
على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشر

شيء من شعره: ولعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فحلٌ جيد ليس بالكثير. ومنه قوله:

إذا كان لي سرٌ فحدثته العدا
وضاق به صدري فللناس أعذر

وسرك ما استودعته وكتمته

وليس بسر حين يفشو ويظهر

وقوله لابن شهاب الزهري:

إذا قلت أما بعد لم يثن منطقي

فحاذر إذا ما قلت كيف أقول

إذا شئت أن تلقى خليلاً مصافياً

لقيت وإخوان الثقات قليل

استحسن جامع بن مرخية شعره فأجازه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: أنشد عبيد الله بن عبد الله جامع بن مرخية الكلابي لنفسه:

لعمر أبي المحصين أيام نلتقي

لما لا نلاقيها من الدهر أكثر

يعدون يوماً واحداً إن أتيتها

وينسون ما كانت على الدهر تهجر

وإن أولع الواشون عمداً بوصلنا

فنحن بتجديد المودة أبصر

قال: فأعجبت أبياته هذه جامعاً، فسر ذلك عبيد الله فكساه وحمله.

جامع بن مرخية هذا من شعراء الحجاز، وهو الذي يقول:

سألت سعيد بن المسيب مفتى ال

مدينة هل في حب ظمياء من وزر

فقال سعيد بن المسيب إنما

تلام على ما تستطيع من الأمر

فبلغ قوله سعيداً، فقال: كذب والله! ما سألتني ولا أفئنته بما قال. أخبرني بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير. مختارات من شعره: ومن جيد شعر عبيد الله وسهله:

أعاذل عاجل ما أشتهي

أحب من الآجل الرائث

سأنفق مالي على لذتي

وأوتر نفسي على الوارث

أبادر إهلاك مستهلك

لمالي أو عبث العابث

وقوله يفتخر في أبيات:

إذا هي حلت وسط عوذ ابن غالب

فذلك ودّ نازح لا أطالعه

شدت حيازيمي على قلب حازم

كتوم لما ضمت عليه أضالعه

أداجي رجالاً لست مطلع بعضهم

على سر بعض إن صدري واسعه

بنى لي عبد الله في ذروة العلا

وعتبه مجداً لا تتال مصانعه

وقوله وفيه غناء: صوت

إن يك ذا الدهر قد أضر بنا

من غير ذحل فربما نفعا

أبكي على ذلك الزمان ولا

أحسب شيئاً قد فات مرتجعاً

إذ نحن في ظل نعمة سلفت

كانت لها كل نعمة تبعا

عروضه من المنسرح. غنت فيها عريب خفيف رملٍ عن الهشامي.

قدمت المدينة مكية فتنت الناس فشيب بها: حدثنا محمد بن جرير الطبري والحرمي بن أبي العلاء وو كيع قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: قدمت المدينة امرأةً من ناحية مكة من هذيل، وكانت جميلة فخطبها الناس وكادت تذهب بعقول أكثرهم فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة:

أحبك حباً لو عملت ببعضه

لجدت ولم يصعب عليك شديد

وحبك يا أم الصبي مدلهي

شهيدي أبو بكر وأي شهيد

ويعلم وجدي القاسم بن محمد

وعروة ما ألقى بكم وسعيد

ويعلم ما أخفي سليمان علمه

وخارجةً بيدي لنا ويعيد

متى تسألني عما أقول فتخبري

فللحب عندي طارفٌ وتليد

فبلغت أبياته سعيد بن المسيب، فقال: والله لقد أمن أن تسألنا وعلم أنها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها.

وقال الزبير: أبو بكر الذي ذكر والنفر المسمون معه: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد بن ثابت، وهم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهل المدينة.

عتب على زوجة عثمة في بعض الأمر فطلقها وشعره فيها: أخبرني وكيع قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات عن أحمد بن سعيد الفهري عن إبراهيم بن المنذر بن عبد الملك بن الماجشون: أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التي أولها:

لعمري لئن شطت بعثمة دارها

لقد كدت من وشك الفراق أليح

قالها في زوجة له كانت تسمى عثمة، فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها. وله فيها أشعار كثيرة، منها هذه الأبيات، ومنها قوله يذكر ندمه على طلاقها:

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم

ولامك أقوامٌ ولومهم ظلم

وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال قال لي عمي: لقيني علي بن صالح فأنشدني بيتاً وسألني من قائله؟ وهل فيه زيادة؟ فقلت: لا أدري، وقد قدم ابن أخي أعنيك وقلما فاتني شيء إلا وجدته عنده. قال الزبير: فأنشدني عمي البيت وهو:

غرابٌ وظبِّيٌّ أعضبُ القرنِ ناديا

بصرمٍ وصردانٍ العشيّ تصيح

فقلت له: قائله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وتماهما:

لعمري لئن شطت بعثمة دارها

لقد كنت من وشك الفراق أليح

أروح بهم ثم أغدو بمثله

ويحسب أنني في الثياب صحيح

فكتبهما عمي عني وانصرف بهما إليه.

صوت

ألا من لنفسٍ لا تموت فينقضي

عناها ولا تحيا حياةً لها طعم

أترك إتيان الحبيب تأثماً

ألا إن هجران الحبيب هو الإثم

فذق هجرها قد كنت تزعم أنه

رشادٌ ألا يا ربما كذب الزعم

عروضه من الطويل. غنى يونس في هذه الأبيات الثلاثة لحناً ماخورياً وهو خفيف الثقيل الثاني من رواية إسحاق ويونس وابن المكي وغيرهم. وغنت عريب في:

أترك إتيان الحبيب تأثماً

لحناً من الثقيل الأول، وأضافت إليه بعده على الولاء بيتين ليسا من هذا الشعر وهما:

وأقبل أقوال الوشاة تجرماً

ألا إن أقوال الوشاة هي الجرم

وأشتاق لي إلهاً على قرب داره

لأن ملاقة الحبيب هي الغنم

ومما قاله عبيد الله أيضاً في زوجته هذه وغني فيه: صوت

عفت أطلال عثمة بالغميم

فأضحت وهي موحشة الرسوم

وقد كنا نحل بها وفيها

هضيم الكشح جائلة البريم

عروضه من الوافر. عفت. درست. والأطلال: ما شخص من آثار الديار. والرسوم: ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع وإنما هو أثر. والهضيم الكشح الخميص الحشى والبطن. والبريم: الخلخال، وقيل: بل هو اسم لكل ما يلبس من الحلي في اليدين والرجلين. والجائل: ما يجول في موضعه لا يستقر. غنى في هذين البيتين قفا النجار. ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر.

ومما قاله في زوجته عثمة وفيها غناء: صوت

تغلغل حب عثمة في فؤادي

فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ

ولا حزنٌ ولم يبلغ سرور

صدعت القلب ثم ذررت فيه

هواك فليم والتأم الفطور

أطير لو ان إنساناً يطير

ولكني إلى صلة فقير

فأنت علي ما عشنا أمير

أكاد إذا ذكرت العهد منها

غني النفس أن أزداد حباً

وأنفذ جارحاك سواد قلبي

لمعبد في الأول والثاني من الأبيات هزجٌ بالبنصر عن حبش، وذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحولٌ من المكّي. وفي الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرشيد رملٌ.

قال ابن أبي الزناد في الخبر الذي تقدم ذكره عن عبيد الله وما قاله من الشعر في عثمة وغيرها: فقليل له: أتقول في مثل هذا؟! قال: في اللدود راحة المفتود .

بلغه أن رجلاً يقع ببعض الصحابة فجفاه: أخبرني وكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا بن وهب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن أبيه قال:

كان رجل يأتي عبيد الله بن عبد الله ويجلس إليه. فبلغ عبيد الله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاءه الرجل فلم يلتفت إليه عبيد الله. وكان الرجل شديد العقل، فقال له: يا أبا محمد، إن لك لشأناً، فإن رأيت لي عذراً فاقبل عذري. فقال له: أتتهم الله في علمه؟ قال: أعوذ بالله. قال: أتتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه؟ قال: أعوذ بالله. قال: يقول الله عز وجل: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة" وأنت تقع في فلان وهو ممن بايع، فهل بلغك أن الله سخط عليك بعد أن رضي عنه؟! قال: والله لا أعود أبداً. قال: والرجل عمر بن عبد العزيز .

صوته: أخبرني وكيع عن أحمد بن زهير عن يحيى بن معين قال: مات عبيد الله بن عبد الله سنة اثنتين ومائة، ويقال سنة تسع وتسعين وأخبرني محمد بن جرير الطبري والحسن بن علي عن الحارث عن ابن سعد عن معن عن محمد بن هلال: إن عبيد الله توفي بالمدينة سنة ثمانٍ وتسعين. صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن: ومنها: صوت

وهل تطبق وداعاً أيها الرجل

تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل

كما استعان بريح عشرق زجل

غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

ويلي عليك وويلي منك يا رجل

ولم تر الشمس إلا دونها الكلل

شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

ودع هريرة إن الركب مرتحل

غراء فرعاء مصقولٌ عوارضها

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت

علقتها عرضاً وعلقت رجلاً

قالت هريرة لما جئت زائرها

لم تمش ميلاً ولم تركب على جملٍ

أقول للركب في درنى وقد ثملوا

كناطح صخرةً يوماً ليفلقها
 فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
 أبلغ يزيد بني شيبان مألكةً
 أبا ثبيت أما تنفك تأتكل
 إن تركبوا فركوب الخيل عادتتا
 أو تنزلون فإننا معشر نزل
 وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني
 شاو نشول مثل شلشل شول
 في فتية كسيوف الهند قد علموا
 أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل
 نازعتهم قضب الرياحن متكئاً
 وقهوة مزة راووقها خضل

غنى معبد في الأول والثاني في لحنه المذكور في مدن معبد لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر
 في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكرت دنانير أن فيهما لابن سريج أيضاً صنعة. ولمعبد أيضاً في الرابع والخامس
 والثالث ثقيل أول، ذكره حبش، وقيل له: بل هو لحن ابن سريج، وذلك الصحيح. ولابن محرز في الثقيل في " إن
 تركبوا " وفي " كناطح صخرة " ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولحنين الحيري في " أبلغ يزيد
 بني شيبان " و " إن تركبوا " ثاني ثقيل آخر. وذكر أحمد بن المكي أن لابن محرز في " ودع هريرة " و " تسمع
 للحلي " ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر. وفي " وقد غدوت " وما بعده رمل لابن سريج و مخارق عن
 الهشامي. ولابن سريج في " تسمع للحلي " وقبله " ودع هريرة " رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.
 وللغريض في " قالت هريرة " و " علقتها عرضاً " رمل. وفي هذه الأبيات بعينها هزج ينسب إليه أيضاً وإلى
 غيره. وفي " تسمع للحلي " و " قالت هريرة " هزج لحمد بن حسن بن مصعب. وفي " لم تمش ميلاً " و " أقول
 للركب " لابن سريج خفيف الثقيل الأول بالبنصر عن حبش وفي " قالت هريرة " و " تسمع للحلي " لحن لابن
 سريج. وإن لحنين في البيتين الآخرين لحناً آخر. وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في:

هريرة ودعها وإن لام لائم

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال قلت لأعرابية: ما الغراء؟ قالت: التي بين حاجبيها
 بلح وفي جبهتها اتساعٌ تتباعد قصتها عن حاجبيها فيكون بينهما نفنف . وقال أبو عبيدة: الفرعاء: الكثيرة
 الشعر. والعوارض: الأسنان. والهويني: تصغير الهوني، والهوني: مؤنث الأهون. والوجي: الظالع وهو الذي قد
 حفي فليس يكاد يستقل على رجله. والوحل: الذي وقع في الوحل. والعشرق: نبت ييس فتحركه الريح؛ شبه
 صوت حليها بصوته. الزجل: المصوت من العشرق. وعلقتها: أحببتها. وعرضاً: على غير موعد. والوعل: التيس
 الجبلي، والجمع أوعال. مألكة: رسالة والجمع مآلك. ما تنفك: ما تزال. وتأتكل: تنحرق. وقال أبو عبيدة:
 الشاوي: الذي يشوي اللحم. والنشول: الذي ينشل اللحم من القدر. ومثل: سواقٌ سريع يسوق به. وشلشل:
 خفيف. وشول: طيب الريح.

ما وقع بين بني كعب وبني همام

وقصيدة الأعشى في ذلك:

الشعر للأعشى وقد تقدم نسبه وأخباره. يقول هذه القصيدة ليزيد بن مسهر أبي ثابت الشيباني. قال أبو عبيدة: وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلاً من بني كعب بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، يقال له ضبيع، قتل رجلاً من بني همام يقال له زاهر بن سيار بن أسعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، وكان ضبيع مطروفاً ضعيف العقل. فنهاهم يزيد بن مسهر أن يقتلوا ضبيعة بزاهر وقال: اقتلوا به سيداً من بني سعد بن مالك بن ضبيعة، فحضر بني سيار بن أسعد على ذلك وأمرهم به. وبلغ بني قيس مما قاله، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يدع بني سيار وبني كعب ولا يعين بني سيار؛ فإنه إن أعانهم أعانت قبائل بني قيس بني كعب، وحذرهم أن تلقى شيبان منهم مثل ما لقوا يوم العين عين محلم بمجر.

يوم عين محلم: قال أبو عبيدة: وكان من حديث ذلك اليوم، كما زعم عمر بن هلال أحد بني سعد بن قيس بن ثعلبة، أن يزيد بن مسهر كان خالع أصرم بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة، وكان عوف أبو بني الأصرم يقال له الأعجف والضيعة له وهي قرية باليمامة. فلما خلع يزيد أصرم من ماله خالعه على أن يرهنه ابنه أفلت وشهابا ابني أصرم، وأمهما فطيمة بنت شرحبيل بن عوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس، وأن يزيد قمر أصرم فطلب أن يدفع إليه ابنه رهينة، فأبت أمهما وأبى يزيد إلا أخذهما. فنادت قومها، فحضر الناس للحرب، فاشتملت فطيمة على ابنها بثوبها، وفك قومها عنها وعنهما. فذلك قول الأعشى:

نحن الفوارس يوم العين ضاحيةً جنبى فطيمة لا ميل ولا عزل

قال: فأنزمت بنو شيبان، فحذر الأعشى أن يلقي مسهرٌ مثل تلك الحال. قال أبو عبيدة: وذكر عامر ومسمعٌ عن قتادة الفقيه أن رجلين من بني مروان تنازعا في هذا الحديث، فجردا رسولاً في ذلك إلى العراق حتى قدم إلى الكوفة فسأل فأخبر أن فطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شيبان، وكانت له زوجة أخرى من بني شيبان، فتعايرتا فعمدت الشيبانية، فحلت ذوائب فطيمة، فاهتاج الحيان فاقتتلوا، فهزمت بنو شيبان يومئذ.

مسحل رأي الأعشى: أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أحمد بن محمد القصير قال حدثنا محمد بن صالح قال حدثني أبو اليقظان قال حدثني جويرية عن يشكر بن وائل الإشكري، وكان من علماء بكر بن وائل وولد أيام مسيلمة فجيء به إليه فمسح له على رأسه فعمي، قال جويرية فحدثني يشكر هذا قال حدثني جرير بن عبد الله البجلي قال: سافرت في الجاهلية فأقبلت على بعيري ليلة أريد أن أسقيه، فجعلت أريده على أن يتقدم فوالله ما يتقدم، فتقدمت فدنوت من الماء وعقلته، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوهون عند الماء فقعدت. فبينما أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم فقالوا: هذا شاعرهم. فقالوا له: يا فلان أنشد هذا فإنه ضيف؛ فأنشد:

ودع هريرة إن الركب مرتحل

فلا والله ما خرم منها بيتاً واحداً حتى انتهى إلى هذا البيت.

كما استعان بريحٍ عشرقٍ زجل

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت

فأعجب به. فقلت: من يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا. قلت: لولا ما تقول لأخبرتكَ أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عام أول بنجران. قال: فإنك صادق، أنا الذي ألقيتها على لسانه وأنا مسحلٌ صاحبه، ما ضاع شعر شاعرٍ وضعه عند ميمون بن قيس:

إلى الخيرات منقطع القرين

رأيت عرابة الأوسي يسمو

تلقاها عرابة باليمين

إذا ما رابيةً رفعت لمجد

عروضه من الوافر. الشعر للشماخ. والغناء لمعبد خفيف الثقيل الأول بالوسطى. وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه. وذكر ابن المكي أن له فيه لحناً آخر من خفيف الثقيل. وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شبة عن محمد بن يحيى أبي غسان قال غنى أبو نؤي:

إلى الخيرات منقطع القرين

رأيت عرابة الأوسي يسمو

فنسبه الناس إلى معبد. ولعله يعني اللحن الآخر الذي ذكره ابن المكي. وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أخبرني حماد عن ابن أبي جناح قال: الناس ينسبون هذا الصوت إلى معبد.

ذكر الشماخ ونسبه وخبره

نسبه من قبل أبويه: هو، فيما ذكر لنا أبو خليفة بن محمد بن سلام، الشماخ بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان. وذكر الكوفيون أنه الشماخ بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن إياس بن عبد بن عثمان بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وأم الشماخ أنمارية من بنات الخرشب ويقال: إنهن أنجب نساء العرب، واسمها معاذة بنت بجير بن خالد بن إياس. مخضرم، وهو أحد من هجا عشيرته: والشماخ مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام، وقد قال للنبي صلى الله عليه وسلم.

أفأنا بأنمارٍ ثعالب ذي غسل

تعلم رسول الله أنا كأننا

يعني أنمار بن بغيض وهم قومه. وهو أحد من هجا عشيرته وهجا أضيافه ومن عليهم بالقرى. والشماخ: لقب واسمه معقل، وقيل الهيثم، والصحيح معقل. قال جبل بن جوال له في قصة كانت بينهما:

يمن علينا معقلٌ ويزيد

لعمري لعل الخير لو تعلمانه

منيحة عنزٍ أو عطاء فطيمة

ألا أن نيل الثعلبي زهيد

له أخوان جزء ومزرد: وللشماخ أخوان من أمه وأبيه شاعران، أحدهما مزرد وهو مشهور، واسمه يزيد وإنما سمي مزرداً لقوله:

فقلت تزردها عبيد فإنني

لدرد الشيوخ في السنين مزرد

والآخر جزء بن ضرار، وهو الذي يقول يرثي عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

علك سلامٌ من أميرٍ وباركت

يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامةٍ

ليدرك ما حاولت بالأمس يسبق

ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه: وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا شهاب بن عباد قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا مسعر عن عبد الملك بن عمير عن الصقر بن عبد الله بن عروة عن عائشة قالت: ناحت الجن على عمر قبل أن يقتل بثلاث فقالت:

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت

له الأرض تهتز العضاء بأسوق

جزى الله خيراً من إمامٍ وباركت

يد الله في ذلك الأديم الممزق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامةٍ

ليدرك ما حاولت بالأمس يسبق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها

بوائق في أكمامها لم تفنق

وما كنت أخشى أن تكون وفاته

بكفي سبنتي أزرق العين مطرق

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزهري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق: أن عائشة حدثتها أن عمر أذن لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يحججن في آخر حجة حجها عمر. قال: فلما ارتحل عمر من المحصب أقبل رجل مثلث فقال وأنا أسمع: هذا كان منزله، فأناخ في منزل عمر ثم رفع عقيرته يتغنى:

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركت

يد الله في ذاك الأديم الممزق

فمن يجر أو يركب جناحي نعامةٍ

ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

قضيت أموراً ثم غادرت بعدها

بوائق من أكمامها لم تفنق

قالت عائشة: فقلت لبعض أهلي: اعلموا لي علم هذا الرجل، فذهبوا فلم يجدوا في مناخه أحداً. قالت عائشة فوالله إني لأحسبه من الجن. فلما قتل عمر نحل الناس هذه الأبيات للشماخ بن ضرار أو جماع بن ضرار. هكذا في الخبر، وهو جزء بن ضرار.

وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة: وجعل محمد بن سلام في الطبقة الثالثة الشماخ وقرنه بالنابغة وليبد وأي ذؤيب الهذلي، ووصفه فقال: كان شديد متون الشعر أشد كلاماً من لبيد، وفيه كرازة، وليبد أسهل منه منطقاً. أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه.

قال الخطيئة إنه أشعر غطفان: وقد قال الخطيئة في وصيته: أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان، قد كتب ذلك في شعر الخطيئة .

هو أوصف الناس للحمير: وهو أوصف الناس للحمير. أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي قال: أنشد الوليد بن عبد الملك شيئاً من شعر الشماخ في صفة الحمير فقال: ما أوصفه لها إني لأحسب أن أحد أبويه كان حماراً.

أخبرني إبراهيم بن عبد الله قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال: كان الشماخ يهجو قومه ويهجو ضيفه ويمن عليه بقره. وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأرجز الناس على البديهة.

حديث الشماخ ومزرد مع أمهما: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: قال مزرد لأمه: كان كعب بن زهير لا يهابني وهو اليوم يهابني. فقالت: يا بني نعم! إنه يرى جرو الهراش موثقاً ببابك. تعني أخاه الشماخ. وقد ذكر محمد بن الحسن الأحوال هذا الخبر عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: قالت معاذة بنت بحير بن خلف للشماخ ومزرد: عرضتاني لشعراء العرب الخطيئة وكعب بن زهير. فقال: كلا! لا تخافي. قالت: فما يؤمني؟ قال: إنك ربطت بباب بيتك جروي هراش لا يجترىء أحدٌ عليهما. يعنيان أنفسهما.

منازعته قوم امرأته إلى كثير بن الصلت: أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني شعيب بن صخر قال: كانت عند الشماخ امرأة من بني سليم أحد بني حرام بن سمالك، فنازعته وادعته طلاقاً وحضر معها قومها فاختصموا إلى كثير بن السلط - وكان عثمان بن عفان أقعده للنظر بين الناس، وهو رجل من كندة وعداده في بني جمح وقد ولدتهم بني جمح ثم تحولوا إلى بني العباس فهم فيهم اليوم - فرأى كثير عليهم يمينا، فالتوى الشماخ باليمين يحرضهم عليها، ثم حلف وقال:

أنتني سليمٌ قضها وقضيضها

تمسح حولي بالبيع سبالها

أخاتلهم عنها لكيما أنالها

ففرجت هم النفس عني بحلفة

يقولون لي يا احلف ولست بحالف

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: قدم ناسٌ من هزم المدينة يستعدون على الشماخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم، فجح ذلك الشماخ. فأمر عثمان كثير بن الصلت أن يستحلفه على منبر النبي صلى الله عليه وسلم: ما هجاهم. فانطلق به كثيرٌ إلى المسجد ثم انتحاه دون بني هزم - وهزم: اسمه تيم بن سليم بن منصور - فقال له: ويلك يا شماخ! إنك لتحلف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن حلف به أثماً يتبوأ مقعده

من النار ! قال: فكيف أفعل فداؤك أبي وأمي؟ ! قال: إني سوف أحلفك ما هجوتكم، فأقلب الكلام علي وعلى ناحيتي فقال: والله ما هجوتكم، فأردني وناحيتي بذلك، وإني سأدفع عنك. فلما وقف حلف كما قال له وأقبل كثير فقال: ما هجوتكم. فقالت بهز: ما عني غيركم، فأعد اليمين عليه. فقال: ما لي أتأوله ! هل استحلته إلا لكم ! وما اليمين إلا مرة واحدة ! انصرف يا شماخ. فانصرف وهو يقول:

أنتني سليم قضها وقضيضها
تمسح حولي بالبيع سبالها
يقولون لي يا احلف ولست بحالف
أخادعهم عنها لكيما أنالها
فلولا كثير نعم الله باله
أزلت بأعلى حجتك نعالها
ففرجت هم الموت عني بحلفة
كما شقت الشقراء عنها جلالها

سألته امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجته، وشعره في ذلك: ونسخت هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدثني علي بن صالح صاحب المصلى قال قال القاسم بن معن:
كان شماخ تزوج امرأة من بني سليم فأساء إليها وضربها وكسر يدها. فعرضت امرأة من قومها، يقال لها أسماء ذات يوم للطريق تسأل عن صاحبها. فاجتاز شماخ وهي لا تعرفه: فقالت له: ما فعل الخبيث شماخ؟ فقال لها: وما تريدين منه؟ قالت: إنه فعل بصاحبة لنا كيت وكيت. فتجاهل عليها وقال: لا أعلم له خبراً، ومضى وتركها وهو يقول:

تعارض أسماء الرفاق عشيّة
تسائل عن ضغن النساء النواكح
وماذا عليها إن قلوباً تمرغت
بعدلين أو ألقتهما بالصاحص
فإنك لو أنكحت دارت بك الرحا
وألقيت رحلي سمحة غير طامح
أسماء إني قد أتاني مخبر
بفيقة ينبي منطقاً غير صالح
بعجت إليه البطن ثم انتصحته
وما كل من يفشى إليه بناصح
وإني من قوم على أن ذممتهم
إذا أولموا لم يولموا بالأنافح
وإنك من قوم تحن نساؤهم
إلى الجانب الأقصى حنين المنائح

ثم دخل المدينة في بعض حوائجه، فتعلقت به بنو سليم يطلبونه بظلامه صاحبته، فأنكر. فقالوا: احلف، فجعل يطلب إليهم ويغلظ عليهم أمر اليمين وشدتها عليه ليرضوا بها منه حتى رضوا، فحلف لهم وقال:

ألا أصبحت عرسي من البيت جامحاً
بغير بلاء أي أمر بدا لها
على خيرة كانت أم العرس جامح
فكيف وقد سقنا إلى الحي ما لها
سترجع غضبي رثة الحال عندنا
كما قطعت منا بليل وصالها

فذكر بعد هذه الأبيات قوله:

أنتني سليم قضها وقضيضها

إلى آخر الأبيات.

خطب امرأة فتزوجها أخوه جزء فماتا متهاجرين: وقال ابن الكلبي: كان الشماخ يهوى امرأة من قومه يقال لها كلبة بنت جوال أخت جبل بن جوال الشاعر ابن صفوان بن بلال بن أصرم بن إياس بن عبد تميم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة، وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر؛ فخطبها فأجابته وهمت أن تتزوجه. ثم خرج إلى سفر له فتزوجها أخوه جزء بن ضرار، فألى الشماخ ألا يكلمه أبداً، وهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نظرةٍ سقيم الفؤاد حب كلبة شاغله

فماتا متهاجرين.

استنشد المهدي بن دأب من أشعر ما قالت العرب فأنشده من شعره: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني أحمد بن محمد بن بكر الزبيري قال حدثنا الحسن بن موسى بن رباح مولى الأنصار عن أبي غزية الأنصاري قال: كنت على باب المهدي يوماً، فخرج حاجبه فقال: أين ابن دأب؟ فقال: هأنذا. فقال: ادخل؛ فدخل ثم خرج فجلس. فقلت: يابن دأب، ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين؟ قال قال لي: أنشدني أبياتاً من أشعر ما قالت العرب؛ فأردت أن أنشده قول صاحبك أبي صرمة الأنصاري التي يقول فيها:

لنا صورٌ يؤول الحق فيها	وأخلاقٌ يسود بها الفقير
ونصحٌ للعشيرة حيث كانت	إذا ملئت من الغش الصدور
وحلمٌ لا يصبوب الجهل فيه	وإطعامٌ إذا قحط الصبير
بذات يدٍ على ما كان فيها	نجود به قليلٌ أو كثير

فتركتها وقلت: إن من أشعر ما قالت العرب قول الشماخ:

وأشعث قد قدّ السفار قميصه	يجر شواءً بالعصا غير منضج
دعوت إلى ما نابني فأجابني	كريم من الفتیان غير مزلج
فتى يملأ الشيزي ويروي سنانه	ويضرب في رأس الكمي المدجج
فتى ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ	ولا في بيوت الحي بالمتولج

فقال: أحسنت! ثم رفع رأسه إلى عبد الله بن مالك فقال: هذه صفتك يا أبا العباس. فأكب عليه عبد الله فقبل رأسه وقال: ذكرك الله بخير الذكر يا أمير المؤمنين. قال أبو غزية فقلت له: الأبيات التي تركت والله أشعر من

التي ذكرت.

عرابة الذي مدحه ونسبه: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: عرابة الذي عناه الشماخ بمدحه هو أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو عرابة بن أوس بن قيطي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج. وإنما قال له الشماخ: عرابة الأوسي، وهو من الخزرج، نسبة إلى أبيه أوس بن قيطي. ولم يصنع إسحاق في هذا القول شيئاً. عرابة من الأوس لا من الخزرج؛ وفي الأوس رجل يقال له الخزرج ليس هذا هو الجد الذي ينتهي إليه الخزرجيون الذي هو أخو الأوس، هذا الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس، وهكذا نسبه النسابون. أتى عرابة النبي في غزاة أحد مع غلمة فردهم: وأخبرني به الحرمي بن أبي العلاء عن عبد الله بن جعفر بن مصعب عن جده مصعب الزبيري عن ابن القداح: وأتى النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة أحد ليغزو معه؛ فردّه في غلمة استصغروهم منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأسيد بن حضير و البراء بن عازب وعرابة بن أوس وأبو سعيد الخدري. أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبري عن الحارث بن سعد عن الواقدي عن محمد بن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق.

قصة أبي عرابة وعمه مع النبي: وأوس بن قيطي أبو عرابة من المنافقين الذين شهدوا أحداً مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال له: إن بيوتنا عورة. وأخوه مربع بن قيطي الأعمى الذي حثا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب لما خرج إلى أحد وقد مر في حائطه وقال له: إن كنت نبياً فما أحل لك أن تدخل في حائطي. فضربه سعد بن زيد الأشهلي بقوسه فشجّه وقال: دعني يا رسول الله أقتله فإنه منافق. فقال صلى الله عليه وسلم: "دعوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر". فقال أخوه أوس بن قيطي أبو عرابة: لا والله ولكنها عداوتكم يا بني الأشهل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا والله ولكنه نفاقكم يا بني قيطي". كان عرابة سيداً في قومه وأبوه من وجوه المنافقين: أخبرنا بذلك الحرمي عن عبد الله بن جعفر الزبيري عن جده مصعب عن ابن القداح: أن عرابة كان سيداً من سادات قومه وجواداً من أجوادهم، وكان أبوه أوس بن قيطي من وجوه المنافقين.

لقي الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة، وأخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم: أن الشماخ خرج يريد المدينة، فلقه عرابة بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي. وكان معه بعران فأوقرهما له برأ وتراً وكساه وبره وأكرمه. فخرج عن المدينة وامتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

سأله معاوية بأي شيء سدت فأجابه: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال: قال معاوية لعرابة بن أوس: بأي شيء سدت قومك؟ فقال: أعفو عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حاجتهم، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي، ومن قصر عنه فأنا خير منه، ومن زاد فهو خير مني. قال الأصمعي: وقد انقرض عقب عرابة فلم يبق منهم أحد.

اعترض عليه ابن دأب في شعره لابن جعفر: أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال ابن دأب وسمع قول الشماخ بن ضرار في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

إنك يابن جعفر نعم الفتى
ونعم مأوى طارق إذا أتى
وجار ضيف طرق الحي سرى
صادف زاداً وحديثاً ما انتهى
إن الحديث طرف من القرى

فقال ابن دأب: العجب للشماخ! يقول مثل هذا لابن جعفر ويقول لعرابة:

إذا ما راية رفعت لمجد
تلقاها عرابة باليمين
ابن جعفر كان أحق بهذا من عرابة!.

نقد أبو نواس بيتاً له ووازنه بشعر الفرزدق: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني الكرائي محمد بن سعد قال حدثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكيس قال قال لي أبو نواس: ما أحسن الشماخ في قوله:

إذا بلغتني وحملت رحلي
عرابة فاشركي بدم اللوتين
لا كما قال الفرزدق:

علام تلفتين وأنت تحتي
وخير الناس كلهم أمامي

متى تردي الرصافة تستريحي
من التهجير والدبر الدوامي

قلت أنا: وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داود بن سلم في مدحه قثم بن العباس فأحسن فقال:

نجوت من حلي ومن رحلتي
يا ناق إن أدنيتني من قثم
إنك إن أدنيت منه غداً
حالفنا اليسر ومات العدم
في كفه بحرٌ وفي وجهه
بدرٌ وفي العرنين منه شمم
أصم عن قيل الخنا سمعه
وما عن الخير به من صمم
لم يدر ما " لا " و " بلى " قد درى
فعافها واعتاض منها " نعم "

نقد عبد الملك بن مروان شعره: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخراز عن المدائني قال: أنشد عبد الملك قول السماخ في عرابة بن أوس:

عرابة فاشريقي بدم الوتين

إذا بلغنتي وحملت رحلي

فقال: بثست المكافأة كافأها! حملت رحله وبلغته بغيته فجعل مكافأها نحرها!.
المهلب والشعراء: قال الخراز: ومثل هذا ما حدثناه المدائني عن ابن دأب أن رجلاً لقي المهلب فنحر ناقته في وجهه؛ فتطير من ذلك وقال له: ما قصتك؟ فقال:

أن تستمر بها شفار الجازر

إني نذرت لئن لقيتك سالماً

فقال المهلب: فأطعمونا من كبد هذه المظلومة، ووصله.
قال المدائني: ولقيته امرأة من الأزد وقد قدم من حرب كان نهض إليها، فقالت: أيها الأمير، إني نذرت إن وافيتك سالماً أن أقبل يدك وأصوم يوماً وتهب لي جارية صغدية وثلاثمائة درهم. فضحك المهلب وقال: قد وفينا لك بنذرك فلا تعاودي مثله، فليس كل أحد يفني لك به.
المهدي وأبو دلامة: وأخبرني الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني بعض أصحابنا عن القحذمي: أن أبا دلامة لقي المهدي لما قدم بغداد، فقال له:

أرض العراق وأنت ذو وفر

إني نذرت لئن رأيتك وارداً

ولتملأن دراهماً حجري

لتصلين على النبي محمد

فقال له: أما النبي صلى الله على النبي محمد وآله وسلم، وأما الدراهم فلا سبيل إليها. فقال له: أنت أكرم من أن تعطيني أسهلها عليك وتمنعي الأخرى. فضحك وأمر له بما سأل. وهذا مما ليس يجري في هذا الباب ولكن يذكر الشيء بمثله.
لطيفة الأعرابي على مائدة عبد الملك بن مروان بسبب بيت له: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا مسعود بن عيسى العبدى قال حدثني أحمد بن طالب الكناي كنانة تغلب، وأخبرني به محمد بن أحمد بن الطلاس عن الخراز عن المدائني لم يتجاوزه به قال: نصب عبد الملك بن مروان الموائد يطعم الناس؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد. فنظر إليه خادماً لعبد الملك فأنكره، فقال له: أعراقي أنت؟ قال: نعم. قال: أنت جاسوس؟ قال: لا. قال: بلى. قال: ويحك! دعني أهنأ بزد أمير المؤمنين ولا تنغصني به. ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال من القائل:

خود جوازي برمل عين

إذا الأرطى توسد أبرديه

وما معناه! ومن أجاب فيه أجزناه، والخادم يسمع. فقال العراقي للخادم: أتحب أن أشرح لك قائله وفيم قاله؟ قال: نعم. قال: يقوله عدي بن زيد في صفة البطيخ الرمسي. فقال ذلك الخادم. فضحك عبد الملك حتى سقط.

فقال له الخادم: أخطأت أم أصبت؟ فقال: بل أخطأت. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا العراقي فعل الله به وفعل لقننيه. فقال: أي الرجال هو؟ فأراه إياه. فعاد إليه عبد الملك وقال: أنت لقنته هذا؟ قال: نعم. قال: أفخطأ لقنته أم صواباً؟ قال: بل خطأ. قال: ولم؟ قال: لإني كنت متحرماً بمائدتك فقال لي كيت وكيت، فأردت أن أكفه عني وأضحك. قال: فكيف الصواب؟ قال: يقوله الشماخ بن ضرار الغطفاني في صفة البقرة الوحشية قد جزأت بالرطب عن الماء. قال: صدقت وأجازه، ثم قال له: حاجتك؟ قال: تنحي هذا عن بابك فإنه يشينه. سأل كثير يزيد بن عبد الملك عن معنى بيت له نسبه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال كتب إلي إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن أبا عبيدة حدثه عن غير واحد من أهل المدينة: أن يزيد بن عبد الملك لما قدم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم. فأقبل إليه كثير يرجو أكثر من ذلك، وكان قد عوده من كان قبل يزيد من الخلفاء أن يلقي عليهم من بيوت الشعر ويسألهم عن المعاني. فألقى على يزيد بيتاً وقال: يا أمير المؤمنين، ما يعني الشماخ بقوله:

بأدنى من موقفة حرون

فما أروى وإن كرمت علينا

بأوعال معطفة القرون

تطيف على الرماة فتتقيهم

فقال يزيد: وما يضر يا ماص بظر أمه ألا يعلم أمير المؤمنين هذا! وإن احتاج إلى علمه سأل عبداً مثلك عنه! فندم كثير وسكته من حضر من أهل بيته، وقالوا له: إنه قد عوده من كان قبلك من الخلفاء أن يلقي عليه أشباه هذا، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه؛ فطفئ عنه غضبه. وكانت جائزته ثلاثين ألفاً، وكان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص.

وأخبرنا أبو خليفة بهذا الخبر عن محمد بن سلام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشماخ:

بدرتها قرى حجن قنتين

وقد عرقت مغابنها وجادت

فسكت عنه يزيد، فقال يزيد: وما على أمير المؤمنين لا أم لك ألا يعرف هذا! هو القراء أشبه الدواب بك! تمثل ابن الزبير ببيت له في حوار له معاوية: نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدثنا علي بن صالح صاحب المصلى قال حدثنا ابن دأب قال: قال معاوية لعبد الله بن الزبير وهو عنده بالمدينة في أناس: يا ابن الزبير، ألا تعذري في حسن بن علي! ما رأيته مذ قدمت المدينة إلا مرة. قال: دع عنك حسناً، فأنت والله وهو كما قال الشماخ:

صدورهم تغلي علي مراضها

أجامل أقواماً حياءً وقد أرى

والله لو يشاء حسن أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك! والله لأهل العراق أرام له من أم الحوار لحوارها. فقال معاوية رحمه الله: أردت أن تغريني به! والله لأصلن رحمه ولأقبلن عليه، وقال:

ألا اقتل أخاك لست قاتل أربد

ألا أيها المرء المحرش بيننا

وعلمي بما يأتي به الدهر في غد

أبى قربه مني وحسن بلائه

والشعر لعروة بن قيس فقال ابن الزبير: أما والله إني وإياه ليدُّ عليك بحلف الفضول. فقال معاوية: من أنت! لا أعرض لك وحلف الفضول! والله ما كنت فيها إلا كالرهيئة تثخن معنا وتردى هزياً، كما قال أخو همدان:

وإن هو أبقي بالحياة مقطعا

إذا ما بعيرٌ قام علق رحله

صوت من مدن معبد

صوت معبد في شعر كثير بن كثير

وهو الذي أوله:

كم بذاك الحجون من حي صدق

من شؤون كثيرة التسكاب

أسعداني بعبرة أسراب

موزعاً مولعاً بأهل الحصاب

إن أهل الحصاب قد تركوني

وكهول أعفة وشباب

كم بذاك الحجون من حي صدق

سى إلى النخل من صفى السباب

سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو

ما لمن ذاق ميتة من إياب

فارقوني وقد علمت يقيناً

صرت فرداً وملني أصحابي

فلي الويل بعدهم وعليهم

عروضه من الخفيف. الشؤون: الشعب التي يتداخل بعضها في بعض من عظام الرأس، واحدها شأن مهموزا. والجزع: منعطف الوادي. وصفى السباب: جمع صفاة وهي الحجارة. ولقتب صفى السباب لأن قوماً من قریش ومواليهم كانوا يخرجون إليها بالعشيات يتشائمون ويذكرون المعايب والمثالب التي يرمون بها؛ فسميت تلك الحجارة صفى السباب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى عن علي بن محمد النوفلى عن أبيه قال يقال: صفا السباب وصفى السباب بفتح الفاء وكسرهما جميعاً، وهو شعبٌ من شعاب مكة فيها صفاً أي صخرٌ مطروح. وكانت قریش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشائمون وذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال؛ ثم صار ذلك في صدر من الإسلام أيضاً حتى نشأ سديف مولى عتبة بن أبي سديف وشبيب مولى بني أمية، فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم وهذا في موالي بني أمية، فيفتخرون ثم يتشائمون ثم يتجادلون بالسيوف. وكان يقال لهم السديفية والشبيبية. وكان أهل مكة مقسمين بينهما في العصبية؛ ثم درس ذلك فصارت العصبية بمكة بين الجزارين والحناطين، فهي بينهم إلى اليوم، وكذلك بالمدينة في القمار وغيره.

الشعر لكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي، وقيل: بل هو لكثير عزة. وقد روي في ذلك خبر

نذكره. والغناء لمعبد ثقيلٌ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه ثقيلًا أول بالخنصر للغريض ولحنًا آخر لابن عباد ولم يحنسه. ولابن جامع في الخامس والسادس رملٌ بالوسطى. ولابن سريج في الأربعة الأول ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولابن أبي دباك الخزاعي فيها ثاني ثقيلٌ بالوسطى عن الهشامي وأبي أيوب المدني وحش. فمن روى هذا الشعر لكثير عزة يرويه:

إن أهل الخضاب قد تركوني

ويزعم أن كثيراً قاله في خضاب خضبته عزة به. ابن عائشة يذكر بحادثة لكثير وعزة فيغني بشعر: أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزوه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الزبيري قال حدثني بهذا الخبر أيضاً وفيه زيادة وخبره أحسن وأكثر تلخيصاً وأدخل في معنى الكتاب، قال الزبيري حدثني أبي قال: خرجت إلى ناحية فيد متزهاً، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزبير وإحدى يديه على يد هذا والأخرى على يد هذا، وهو يمشي بينهما كأنه امرأة تجلى على زوجها. فلما رأيتهم دنوت فسلمت وكنت أحدث القوم سناً، فاشتبهت غناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع. وكان ابن عائشة إذا هيجه تحرك. فقلت: رحم الله كثيراً وعزة! ما كان أوفاهما وأكرمهما وأصوهما لأنفسهما! لقد ذكرت بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عزة حين خضبت كثيراً. فقال ابن عائشة: وكيف كان حديث ذلك؟ قلت: حدثني من حضره بذلك ومن ها هنا تتفق رواية عمر بن شبة والزبيري - قال: خرج كثير يريد عزة وهي منتجة بالصواري وهي الأودية بناحية فذك، فلما كان منها قريباً وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابياً فقال له: اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأةً جسيمةً لحيمةً تبالط الرجال الشعر قال إسحاق: المبالطة: أن تشد أول الشعر وآخره - فإذا رأيتها فناد: من رأى الجمل الأحمر؟ مراراً. ففعل. فقالت له: ويحك قد أسمع فأنصرف إليه فأخبره. فلم يلبث أن أقبلت جاريةً معها طستٌ وتورٌ وقرية ماء حتى انتهت إليه، ثم جاءت بعد ذلك عزة فرأته جالساً محتبياً قريباً من ذراع راحلته. فقالت له: ما على هذا فارقتك! فركب راحلته وهي باركة وقامت إلى لحيته فأخذت التور فخضبته وهو على ظهر جملة حتى فرغت من خضابه، ثم نزل فجعل يتحدثان حتى علق الخضاب، ثم قامت إليه فغسلت لحيته ودهنته، ثم قام فركب وقال:

موزعاً مولعاً بأهل الخضاب

إن أهل الخضاب قد تركوني

وذكر باقي الأبيات كلها. وإلى ها هنا رواية عمر بن شبة. فقال ابن عائشة: فأنا والله أغنيه وأجيده، فهل لكم في ذلك؟ فقلنا: وهل لنا عنه مدفعٌ! فاندفع يغني بالأبيات، فخيّل إلي أن الأودية تنطق معه حسناً. فلما رجعنا إلى المدينة قصصت القصة، فقيل لي: إن ذلك أحسن صوت يغنيه ابن عائشة؟ فقلت: لا أدري إلا أني سمعت شيئاً وافق محبتي.

معبد وابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما

وقال عبد الله بن أبي سعد حدثني عبد الله بن الصباح عن هشام بن محمد عن أبيه قال: زار معبدُ ابن سريج والغريض بمكة؛ فخرجوا به إلى التنعيم ثم صاروا إلى الثنية العليا ثم قالوا: تعالوا حتى نبكي أهل مكة؛ فاندفع ابن سريج فغنى صوته في شعر كثير بن كثير السهمي:

من دموع كثيرة التسكاب

أسعديني بعبرة أسراب

فأخذ أهل مكة بالبكاء وأنوا حتى سمع أنينهم. ثم غنى معبد: صوت

أجداً تلاعب حلقةً وزمما

يا راكباً نحو المدينة جسرةً

كمد على أهل البقيع سلاما

اقرأ على أهل البقيع من امرئ

شهماً ومقتبل الشباب غلاما

كم غيبوا فيه كريماً ماجداً

جمعت صباحة صورةً وتامما

ونفيسةً في أهلها مرجوةً

فنادوا من الدروب بالويل والحرب والسلب، وبقي الغريض لا يقدر من البكاء والصراخ أن يغني. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد ثقل أول بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكي، وقد غلط. وذكر حبش أن لعلوية فيه ثقيلاً أول آخر.

صوت من مدن معبد في شعر قيس بن ذريح: ومن مدن معبد.

صوت

وقد أضيف إليه غيره من القصيدة:

وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق

سلي هل قلاني من عشيرٍ صحبته

إذا اغبر مخشي الفجاج عميق

وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي

لكم والهدايا المشعرات صديق

ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني

بما رحبت يوماً علي تضيق

تكاد بلاد الله يا أم معمرٍ

إلى أحدٍ إلا إليك طريق

أذود سوام الطرف عنك وهل لها

على البين من لبني فسوف تذوق

وحدثتني يا قلب أنك صابرٌ

تكلفني ما لا أراك تطيق

مت كمداً أو عش سقيماً فإنما

ولو كنت بين العائدات أفيق

بلبني أنادى عند أول غشية

ويثني لك الداعي بها فتفريق

إذا ذكرت لبني تجلتك زفرةً

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن ذريح. والغناء لمعبد في اللحن المذكور ثقیل أول بالخنصر في مجرى البنصر
عن إسحاق في الأول والثاني والثالث. وذكر في موضع. آخر وافقته دنانير أن لمعبد ثقیلاً أول بالبنصر في مجرى
الوسطى أوله: صوت

أتجمع قلباً بالعراق فريقه
ومنه بأطلال الأراك فريق
فكيف بها لا الدار جامعة النوى
ولا أنت يوماً عن هواك تفيق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني
لكم والهدايا المشعرات صديق

البيتان الأولان يرويان لجرير وغيره، والثالث لقيس بن ذريح أضافه إليهما معبد. وذكر عمرو ويونس أن لحن
معبد الأول في خمسة أبيات أولى من الشعر. وذكر عمرو بن بانه أن لبذل الكبيرة خفيف رمل بالوسطى في
الرابع من الأبيات وبعده:

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا
بأعين أعداءٍ وهن صديق
وبعده الخامس من الأبيات وهو "أذود سوام الطرف". وزعم حبش أن في لحن معبد الثاني الذي أوله: "أتجمع
قلباً" لابن سريج خفيف رمل بالبنصر، وذكر أيضاً أن للغريض في الأول والثاني والسابع ثاني ثقیل بالبنصر،
ولابن مسجح خفيف رمل بالبنصر. وفي السادس وما بعده لحكم الوادي ثقیل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن
إسحاق. وذكر حبش أن للغريض فيها ثقیلاً أول بالوسطى.

ذكر قيس بن ذريح ونسبه وأخباره

نسبه: هو، فيما ذكر الكلبي والقحذمي وغيرهما، قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة بن طريف بن عتودة بن عامر
بن ليث بن بكر بن عبد مناة وهو علي بن كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وذكر أبو
شراة القيسي أنه قيس بن ذريح بن الحباب بن سنة؛ وسائر النسب متفق. واحتج بقول قيس:

فإن يك تهيامي بلبنى غوايةً
فقد يا ذريح بن الحباب غويت
وذكر القحذمي أن أمه بنت سنة بن الذاهل بن عامر الخزاعي، وهذا هو الصحيح؛ وأنه كان له خال يقال له
عمرو بن سنة شاعر، وهو الذي يقول:

ضربوا الفيل بالمغمس حتى
ظل يحبو كأنه محموم

وفيه يقول قيس:

أنبتت أن لخالى هجمةً حبساً
قد كنت فيما مضى قدماً تجاورنا
كأنهن بجنب المشعر النصل
لا ناقةً لك ترعاها ولا جمل

ما ضر خالي عمراً لو تقسمها بعض الحياض وجم البئر محتفل

هو رضيع الحسين بن علي: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدثني جزء بن قطن قال حدثنا حساس بن محمد بن عمرو أحد بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي قال حدثني عدد من الكنانيين: أن قيس بن ذريح كان رضيع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أَرْضَعْتَهُ أُم قَيْسٍ.

أول عشقه لبنى ثم زواجه بها

أخبرنا بخبر قيس ولبنى امرأته جماعة من مشايخنا في قصص متصلة ومنقطة وأخبار منثورة ومنظومة، فألفت ذلك أجمع ليتسقى حديثه إلا ما جاء مفرداً وعسر إخراجاه عن جملة النظم فذكرته على حدة. فممن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزاه إلى غيره، وإبراهيم بن محمد بن أيوب عن ابن قتيبة، والحسن بن علي عن محمد بن موسى بن حماد البربري عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جزء بن قطن عن حساس بن محمد عن محمد بن أبي السري عن هشام بن الكلبي وعلى روايته أكثر المعول. ونسخت أيضاً من أخباره أيضاً المنظومة أشياء ذكرها القحذمي عن رجاله، وخالد بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه، وخالد بن جمل وبتناً حكاهما اليوسفي صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حماد عن جميل عن ابن أبي جناح الكعبي. وحكى كل متفق فيه متصلاً، وكل مختلف في معانيه منسوباً إلى راويه. قالوا جميعاً: كان منزله قومه في ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضرة المدينة. وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسرف واحتج بقوله:

الحمد لله قد أمست مجاورةً أهل العقيق وأمسينا على سرف

قالوا: فمر قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعة، فوقف على خيمة منها والحي خلوف والخيمة خيمة لبنى بنت الحباب الكعبية، فاستسقى ماءً، فسقته وخرجت إليه به، وكانت امرأةً مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام. فلما رآها وقعت في نفسه، وشرب الماء. فقالت له: أتزل فتتبرد عندنا؟ قال: نعم. فتزل بهم. وجاء أبوها فحرق له وأكرمه. فانصرف قيس وفي قلبه من لبنى حرٌّ لا يطفأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروي. ثم أتاه يوماً آخر وقد اشتد وجده بها، فسلم فظهرت له وردت سلامه وتحفت به؛ فشكا إليها ما يجد بها وما يلقي من حبها، وشكت إليه مثل ذلك فأطالت؛ وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه. فانصرف إلى أبيه وأعلمه حاله وسأله أن يزوجه إياها. فأبى عليه وقال: يا بني، عليك بإحدى بنات عمك فهن أحق بك. وكان ذريح كثير المال موسراً، فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة. فانصرف قيس وقد ساء ما خاطبه أبوه به. فأتى أمه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يجب. فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابن أبي عتيق فشكا إليهما ما به وما رد عليه أبوه. فقال له الحسين: أنا أكفيك. فمشى معه إلى أبي لبنى. فلما بصر به

أعظمه ووثب إليه، وقال له: يا بن رسول الله، ما جاء بك؟ ألا بعثت إلي فأتيتك! قال: إن الذي جئت فيه يوجب قصدك وقد جئتكم خاطباً ابنتك لبني لقيس بن ذريح. فقال: يا بن رسول الله، ما كنا لنعصي لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحب الأمر إلينا أن يخطبها ذريح أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره، فإننا نخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبةً علينا. فأتى الحسين رضي الله عنه ذريحاً وقومه وهم مجتمعون، فقاموا إليه إعظاماً له وقالوا له مثل قول الخزاعيين. فقال لذريح: أقسمت عليك إلا خطبت لبني لابنك قيس. قال: السمع والطاعة لأمرك. فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتوا لبني فخطبها ذريح على ابنه إلى أبيها فزوجه إياها، وزفت إليه بعد ذلك.

أبواه يغريانه بطلاقها ويأبى هو

فأقامت معه مدة لا ينكر أحدٌ من صاحبه شيئاً. وكان أبر الناس بأمه، فألهته لبني وعكوفه عليها عن بعض ذلك، فوجدت أمه في نفسها وقالت: لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري؛ ولم تر للكلام في ذلك موضع حتى مرض مرضاً شديداً. فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيسٌ وما يترك خلفاً وقد حرم الولد من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة، فزوجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً، وألحت عليه في ذلك. فأمهل قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك ولا ولد لك ولا لي سواك. وهذه المرأة ليست بولود؛ فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقر به عينك وأعيننا. فقال قيس: لست متزوجاً غيرها أبداً. فقال له أبوه: فإن في مالي سعة فتسر بالإماء. قال: ولا أسوءها بشيء أبداً والله. قال أبوه: فلإني أقسم عليك إلا طلقته. فأبى وقال: الموت والله علي أسهل من ذلك، ولكني أخيرك حصلةً من ثلاث خصال. قال: وما هي؟ قال: تتزوج أنت فعلل الله أن يرزقك ولداً غيري. قال: فما في فضلة لذلك. قال: فدعني أرتحل عنك بأهلي واصنع ما كنت صانعاً لو مت في عليّ هذه. قال: ولا هذه. قال ك فادع لبني عندك وأرتحل عنك فلعلي أسلوها فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبةً أهما في خيالي. قال: لا أرضى أو تطلقها، وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبني، فكان يخرج فيقف في حر الشمس، ويحيى قيسٌ فيقف إلى جانبه فيظله بردائه ويصلى هو بحر الشمس حتى يفيء الفياء فينصرف عنه، ويدخل إلى لبني فيعانقها وتعانقه ويكي وتبكي معه وتقول له: يا قيس، لا تطع أباك فتهلك وتهلكني. فيقول: ما كنت لأطيع أحداً فيك أبداً. فيقال: إنه مكث كذلك سنةً وقال. خالد بن كلثوم: ذكر ابن عائشة أنه أقام على ذلك أربعين يوماً ثم طلقها. وهذا ليس بصحيح.

طلاقه لبني ثم ندمه على فراقها

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثني يحيى بن معين قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو: أنه سمع قيس بن ذريح يقول لزيد بن سليمان: هجرني أبوي في لبني عشر سنين أستاذن عليهما فيرداني حتى طلقتهما. قال ابن جريج: وأخبرت أن عبد الله بن صفوان الطويل لقي ذريحاً أبا قيس فقال له: ما حملك على أن فرقت بينهما؟ أما علمت أن عمر بن الخطاب قال: ما أبالي أفرقت بينهما أو مشيت إليهما بالسيف. وروى هذا الحديث إبراهيم بن يسار الرمادي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذريح بن سنة أبي قيس: أحل لك أن فرقت بين قيس ولبنى؟ ! أما إني سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أبالي أفرقت بين الرجل وامرأته أو مشيت إليهما بالسيف. قالوا: فلما بانت لبني بطلاقه إياها وفرغ من الكلام، لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون. وتذكر لبني وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحر نشيج. وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها، وقيل: بل أقامت حتى انقضت عدتها وقيس يدخل عليها. فأقبل أبوها بهودج على ناقه وبابل تحمل أثائها. فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: ويحك ! ما دهاني فيكم؟ فقالت: لا تسألني وسل لبني. فذهب ليلم بخبائها فيسألها، فمنعه قومها. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له: ما لك ويحك تسأل كأنك جاهل أو تتجاهل! هذه لبني ترحل الليلة أو غداً. فسقط مغشياً عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول:

وإني لمفّن دمع عيني بالبكا
وإني لمفّن دمع عيني بالبكا
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة
وما كنت أخشى أن تكون منيتي
وما كنت أخشى أن تكون منيتي
بكفيك إلا أن ما حان حائن
بكفيك إلا أن ما حان حائن

في هذه الأبيات غناء ولها أخبار قد ذكرت في أخبار الجنون. قال وقال قيس:

يقولون لبني فتنة كنت قبلها
يقولون لبني فتنة كنت قبلها
فطاوعت أعدائي وعاصيت ناصحي
فطاوعت أعدائي وعاصيت ناصحي
وددت وبيت الله أني عصيتهم
وددت وبيت الله أني عصيتهم
وكلفت خوض البحر والبحر زاحراً
وكلفت خوض البحر والبحر زاحراً
كأنني أرى الناس المحبين بعدها
كأنني أرى الناس المحبين بعدها

فتتكر عيني بعدها كل منظر
فتتكر عيني بعدها كل منظر
ويكره سمعي بعدها كل منطق
ويكره سمعي بعدها كل منطق

قال: وسقط غراب قريباً منه فجعل ينق مراراً، فتطير منه وقال:

لقد نادى الغراب ببين لبني
لقد نادى الغراب ببين لبني
فطار القلب من حذر الغراب
فطار القلب من حذر الغراب

وتتأى بعد ودٍ واقتراب

وكان الدهر سعيك في تباب

بعلمك في لبني وأنت خير

فلا طرت إلا والجناح كسير

كما قد تراني بالحبيب أدور

وقال غداً تتباعد دار لبني

فقلت تعست ويحك من غراب

وقال أيضاً وقد منعه قومه من الإمام بما: صوت

ألا يا غراب البين ويحك نبني

فإن أنت لم تخبر بما قد علمته

ودرت بأعداء حبيبك فيهم

غنى سليمان أخو حجة رملًا بالوسطى.

قالوا: وقال أيضاً وقد دخلت هودجها ورحلت وهي تبكي ويتبعها:

بخير كما خبرت بالنأي والشر

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري

صدقته وهل شيء بباق على الدهر

وقلت كذاك الدهر مازال فاجعاً

غنى فيهما ابن جامع ثاني ثقیل بالنصر عن الهشامي. وذكر حبش أن لقفا النجار فيهما ثقیلاً أول بالوسطى.

قالوا: فلما ارتحل قومها اتبعها ملياً، ثم علم أن أباه سيمنعه من المسير معها، فوقف ينظر إليهم ويكي حتى غابوا

عن عينه فكر راجعاً. ونظر إلى أثر خف بعيرها فأكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدمها. فليم

على ذلك وعنفه قومه على تقبيل التراب؛ فقال:

أقبل إثر من وطئ الترابا

وما أحببت أرضكم ولكن

بلاء ما أسيع به الشرابا

لقد لاقيت من كلفى بلبنى

عيبت فما أطيق له جوابا

إذا نادى المنادي باسم لبني

وقال وقد نظر إلى آثارها: صوت

أبن لي اليوم ما فعل الحلول

ألا يا ربع لبني ما تقول

لرد جوابي الربع المحيل

فلو أن الديار تجيب صبا

غدرت وماء مقلتها يسيل

ولو أني قدرت غداة قالت

مقالتها وذاك لها قليل

نحرت النفس حين سمعت منها

ولم أغبر بلا عقل أجول

شفيت غليل نفسي من فعالي

غنى فيه حسين بن محرز خفيف ثقیل من روايتي بذل وقريض. وتمام هذه الأبيات:

تهيم بفقد واحدتها تكول

كأنني والة بفراق لبني

ألا يا قلب ويحك كن جليداً
فإنك لا تطيق رجوع لبنى
فقد رحلت وفات بها الذميل
وكم قد عشت كم بالقرب منها
إذا رحلت وإن كثر العويل
فصبراً كل مؤتلفين يوماً
ولكن الفراق هو السبيل
من الأيام عيشهما يزول

قال: فلما جن عليه الليل وانفرد وأوى إلى مضجعه لم يأخذ القرار وجعل يتململ فيه تملل السليم، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها، فجعل يتمرغ فيه ويكي ويقول: صوت

بت والهـم يا لبيـنـى ضـجـيـعـي
وتنفست إذ ذكرك حتى
وجرت مذ نأيت عني دموعي
أتناساك كيف يريغ فؤادي
زالت اليوم عن فؤادي ضلوعي
يا لبيـنـى فدتك نفسي وأهلي
ثم يشند عند ذاك ولوعي
هل لدهر مضى لنا من رجوع

غنت في البيتين الأولين شارية خفيف رملٍ بالوسطى. وغنى فيهما حسين بن محرز ثاني ثقل، هكذا ذكر الهشامي؛ وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال قال زبير بن بكار حدثني عبد الجبار بن سعيد المساحقي عن محمد بن معن الغفاري عن أبيه عن عجز لهم يقال حمادة بنت أبي مسافر قالت: جاورت آل ذريح بقطيع لي فيه الرائمة وذات البو والحائل والمتبع. قال: فكان قيس بن ذريح إلى شرف في ذلك القطيع ينظر إلى ما يلقين فيتعجب. فقلما لبث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لبي فكا ديموت، ثم آلى أبوه لئن أقامت لا يساكن قيساً. فظنعت فقال:

أيا كبداً طارت صدوعاً نوافداً
فأقسم ما عمش العيون شوارف
ويا حسرتاً ماذا تغلغل في القلب
تشممنه لو يستطعنس ارتشفنه
روائم بو حائمات على سقب
إذا سفنه يزددن نكباً على نكب

رئمن فما تتحاش منهن شارف
بأوجد مني يوم ولت حملها
وحالفن حبساً في المحول وفي الجذب
وكل مللمات الزمان وجدتها
وقد طلعت أولى الركاب من النقب
سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

أخبرني عمي قال حدثني الكرائي قال سمعت ابن عائشة يقول: قال إسحاق بن الفضل الهاشمي: لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قيس بن ذريح:

سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وكل مصيبات الزمان وجدتها

قال وقال ابن النطاح قال أبو دعامه: خرج في فتية إلى بلادها حتى رآها، وشعره في ذلك: خرج قيس في فتية من قومه واعتل على أبيه بالصيد، فأتى بلاد لبني، فجعل يتوقع أن يراها أو يرى من يرسل إليها. فاشتغل الفتیان بالصيد؛ فلما قضوا وطهرهم منه رجعوا إليه وهو واقف، فقالوا له: لقد عرفنا ما أردت بإخراجنا معك وأنت لم ترد الصيد وأما أردت لقاء لبني، وقد تعذر عليك فانصرف الآن. فقال:

وما حائمتُ حمن يوماً وليلةً على الماء يغشين العصي حوان

عوافي لا يصدرن عنه لوجهةٍ ولا هن من برد الحياض دوان

يرين حبات الماء والموت دونه فهن لأصوات السقاة روان

بأجهد مني حر شوقٍ ولوعةٍ عليك ولكن العدو عداني

خليلي إني ميتٌ أو مكلّمٌ لبيني بسري فامضيا وذراني

أنل حاجتي لوحدي ويا رب حاجةٍ قضيت على هولٍ وخوف جنان

فإن أحق الناس ألا تجاوزا وتطرحا من لو يشاء شفاني

ومن قادني للموت حتى إذا صفت مشاربه السم الذعاف سقاني

قال: فأقاموا معه حتى لقيها، فقالت له: يا هذا، إنك متعرضٌ لنفسك وفاضحي. فقال لها:

صدعت القلب ثم زرت فيه هواك فليم فالتأم الفطور

تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ ولا حزن ولم يبلغ سرور

أبو السائب المخزومي وشعر قيس: وقال القحذمي حدثني أبو الوردان قال حدثني أبي قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس:

صدعت القلب ثم زرت فيه هواك فليم فالتأم الفطور

فصاح بجارية له سندية تسمى زبدة، فقال: أي زبدة عجلي. فقالت: أنا أعجن. فقال: ويحك! تعالي ودعي العجين. فجاءت فقال لي: أنشد بيبي قيس فأعدتهما. فقال لها: يا زبدة، أحسن قيس وإلا فأنت حرة! إرجعي الآن إلى عجينك أدركيه لا يبرد.

حسرتة على فراقها وتأنيبه نفسه

قالوا: وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لبني ويقول: فألا رحلت بها عن بلده فلم أر ما يفعل ولم يرني! فكان إذا فقدني أقلع عما يفعله وإذا فقدته لم أخرج من فعله! وما كان علي لو اعتزلته وأقمت في حيها أو

في بعض بوادي العرب، أو عصيته فلم أطعه ! هذه جنايتي على نفسي فلا لوم على أحد ! وهأنذا ميتٌ مما فعلته،
فمن يرد روعي إلي! وهل لي سبيل إلى لبني بعد الطلاق وكلما قرع نفسه وأنبها بلونٍ من التقرع والتأنيب بكى
أحر بكاء وألصق خده بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال: صوت

ويلي وعولي ومالي حين تفلنتي من بعد ما أحرزت كفي بها الظفرا
قد قال قلبي لطرفي وهو يعذله هذا جزاؤك مني فاكدم الحجر
قد كنت أنهاك عنها لو تطاوعني فاصبر فما لك فيها أجر من صبرا

غناه الغريض خفيف ثقیل أول بالوسطى عن عمرو. وفيه لإبراهيم ثقیل أول بالوسطى عن حبش. وفي الثالث
والأول خفيف رملٍ يقال إنه لابن الهربذ.
قالوا وقال أيضاً:

بانئت لبيني فأنت اليوم متبول والرأي عندك بعد الحزم مخبول
أستودع الله لبني إذ تفارقني بالرغم مني وقول الشيخ مفعول
وقد أراني بلبني حق مقتنع والشمل مجتمعٌ والحبل موصول
قال خالد بن كلثوم وقال:

ألا ليت لبني في خلاءٍ تزورني فأشكو إليها لو عتي ثم ترجع
صحا كل ذي لبٍ وكل متيم وقلبي بلبني ما حييت مروع
فيامن لقلبٍ ما يفيق من الهوى ويامن لعينٍ بالصباية تدمع
قالوا وقال في ليلته تلك:

قد قلت للقلب لا لبناك فاعترف واقض اللبانة ما قضيت وانصرف
قد كنت أحلف جهداً لا أفارقها أف لكثرة ذاك القيل والحلف
حتى تكنفني الواشون فافتلتت لا تأمن أبداً من غش مكنتف
هيهات هيهات قد أمست مجاورةً أهل العقيق وأمسينا على سرف

-قال: وسرف على ستة أميال من مكة. والعقيق: واد باليمامة-

حي يمانون والبطحاء منزلنا هذا لعمر ك شملٌ غير مؤتلف
من شعره في لبني وقد سنحت له ظبية: قالوا: فلما أصبح خرج متوجهاً نحو الطريق الذي سلكته يتنسم
روائحها، فسنحت له ظبيةً فقصدها فهربت منه فقال:

ألا يا شبه لبني لا تراعي

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

ولا تنتمي قلل القلاع

فوا كبدي وعلودني رداي

وكان فراق لبني كالداع

تكنفني الوشاة فأز عجوني

فيا لله للواشي المطاع

فأصبحت الغداة ألوم نفسي

على شيء وليس بمستطاع

كمغبون يعرض على يديه

تبين غبته بعد البياح

بدار مضیعة تركتك لبني

كذاك الحين يهدى للمضاع

وقد عشنا نلذ العيش حيناً

لو أن الدهر للإنسان داع

ولكن الجميع إلى افتراق

وأسباب الحتوف لها دواع

غناه الغريض من القدر الأوسط من الثقل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لمبعد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والمشامي. ولشارية في البيت الأولين ثقيل أول آخر بالوسطى. ولابن سريج رمل بالوسطى عن المشامي في:

بدار مضیعة تركتك لبني

وقبله:

فوا كبدي وعلودني رداي

ولسياط في البيت الأولين خفيف رمل بالبنصر عن حبش.

أغرث أمه فتيات الحي بأن يعين عنده لبني ليسلوها فلم يسئل، وشعره في ذلك: حدثني عمي عن الكراني عن العتي عن أبيه قال: بعثت أم قيس بن ذريح بفتيات من قومه إليه يعين لبني ويعبته بجزعه وبكائه ويتعرضن لوصاله، فأتينه فاجتمعن حواليه وجعلن يمازحنه ويعين لبني عنده ويعيرنه ما يفعله. فلما أطلن أقبل عليهن وقال: صوت

يقربعيني قربها ويزيدني

بها كلفاً من كان عندي يعيها

وكم قائل قد قال تب فعصيته

وتلك لعمري توبة لا أتوبها

فيا نفس صبراً لست والله فاعلمي

بأول نفس غاب عنها حبيبها

- غناه دحمان ثقيل أول بالوسطى. وفيه هزج بالبنصر لسليم، وذكر حبش أنه لإسحاق - قال: فانصرف عنه إلى أمه فأياسنها من سلوته. وقال سائر الرواة الذين ذكرتهم: اجتمع إليه النسوة فأطلن الجلوس عنده ومحادثته

وهو ساه عنهن، ثم نادى: يا لبني! فقلن له: ما لك ويحك! فقال: خدرت رجلي، ويقال: إن دعاء الإنسان باسم أحب الناس إليه يذهب عنه خدر الرجل فناديتها لذلك. فقمين عنه، وقال:

إذا خدرت رجلي تذكرت من لها	فناديت لبني باسمها ودعوت
دعوت التي لو أن نفسي تطيعني	لفارقتها من حبها وقضيت
برت نبلها للصيد لبني وريشت	وريشث أخرى مثلها وبريت
فلما رمتني أقصدتني بسهمها	وأخطأتها بالسهم حين رमित
وفارقت لبني ضلةً فكأنني	قرنت إلى العيوق ثم هويت
فيا ليت أني مت قبل فراقها	وهل ترجعن فوت القضية ليت
فصرت وشيخي كالذي عثرت به	غداة الوغى بين العداة كमित
فقامت ولم تضرر هناك سويةً	وفارسها تحت السناكب ميت
فإن يك تهيامي بلبني غوايةً	فقد يا ذريح بن الحباب غويت
فلا أنت ما أملت في رأيت	ولا أنا لبني والحياة حويت
فوطن لهلكي منك نفساً فإنني	كأنك بي قد يا ذريح قضيت

حديثه في مرضه مع عواده ومع طبيبه عن لبني، وشعره في ذلك: وقال خالد بن كلثوم: مرض قيس، فسأل أبوه فتيات الحي أن يعدنه ويحدثه لعله أن يتسلى أو يعلق بعضهن، ففعلن ذلك. ودخل إليه طبيب ليداويه والفتيات معه، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته، فقال: صوت

عيد قيس من حب لبني ولبني	داء قيس والحب داء شديد
وإذا عادني العوائد يوماً	قالت العين لا أرى من أريد
ليت لبني تعودني ثم أقضي	إنها لا تعود فيمن يعود
ويح قيس لقد تضمن منها	داء خبل فالقلب منه عميد

- غناه ابن سريج خفيف رمل عن الهشامي. وفيه للحجبي ثقل أول بالوسطى. وفيه ليحيى المكي رمل - قالوا: فقال له الطبيب: منذ كم هذه العلة؟ ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟ فقال: صوت

تعلق روحي روحها قبل خلقنا	ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد
فزاد كما زدنا فأصبح نامياً	وليس إذا متنا بمنصرم العهد
ولكنه باقٍ على كل حادثٍ	وزائرنا في ظلمة القبر والحد

- غناه الغريض ثقيلاً أول بالوسطى من رواية حبش - قالوا: فقال له الطبيب: إن مما يسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوي والمعايب وما تعافه النفس من أقدار بني آدم؛ فإن النفس تنبو حينئذٍ وتسلو ويخف ما بها. فقال:

إذا عبتُها شبَّهتها البدر طالِعاً وحسبك من عيبٍ لها شبه البدر
لقد فضلت لبني على الناس مثل ما على ألف شهر فضلت ليلة القدر

صوت

إذا ما مشت شبراً من الأرض أرجفت من البهر حتى ما تزيد على شبر
لها كفل يرتج منها إذا مشت ومتنّ كغصن اللبان مضطمر الخصر

- غنى في هذين البيتين ابن المكي خفيف رمل بالوسطى. وفيهما رمل ينسب إلى ابن سريج وإلى ابن طنبرة عن الهشامي - قالوا: ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأنبه ولامه وقال له: يا بني! الله الله في نفسك! فإنك ميت إن دمت على هذا! فقال:

وفي عروة العذري إن مت أسوةً وعمرو بن عجلان الذي قتلت هند
وبي مثل ما ماتا به غير أنني إلى أجل لم يأتني وقته بعد

صوت

هل الحب إلا عبرة بعد زفرةٍ وحرٌّ على الأحشاء ليس له برد
وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدو

غنى في هذين البيتين زيد بن الخطاب مولى سليمان بن أبي جعفر، وقيل: إنه مولى سليمان بن علي، ثقيلاً أول بالوسطى عن الهشامي.

إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له: وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير، وأخبرنا اليزيدي عن ثعلب عن الزبير قال حدثني إسماعيل بن أبي أويس قال: جلست أنا وأبو السائب في النبالين، فأنشدني قول قيس بن ذريح:

عيد قيسٍ من حب لبني ولبنى داء قيسٍ والحب داءٌ شديد
ليت لبني تعودني ثم أقضي إنها لاتعود فيمن يعود

قال: فأنشدته أنا لقيس:

تعلق روعي روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهد
فزاد كما زدنا وأصبح نامياً وليس إذا متنا بمنتقض العهد
ولكنه باقٍ على كل حادثٍ وزائرنا في ظلمة القبر والحد

فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويهها. فدخل زقاق النبالين وجعلت أرددها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها. رجع الخبر إلى سياقته.

زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوجت لبني، وما قال في ذلك من الشعر: وقال خالد بن جمل: فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوجه امرأة جميلة فلعله أن يسلو بها عن لبني. فدعاه إلى ذلك فأباه وقال:

لقد خفت ألا تقنع النفس بعدها بشيء من الدنيا وإن كان مقنعا
وأزجر عنها النفس إذ حيل دونها وتأبى إليها النفس إلا تطلعا

فأعلمهم أبوه بما رد عليه. قالوا: فمره بالمسير في أحياء العرب والتزول عليهم فلعل عينه أن تقع على امرأة تعجبه. فأقسم عليه أبوه أن يفعل. فسار حتى نزل في حي من فزارة، فرأى جارية حسناء قد حسرت برقع خبز عن وجهها وهي كالبدرة ليلة تمه، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: لبني. فسقط على وجهه مغشياً عليه، فنضحت على وجهه ماء وارتاعت لما عراه، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون! فأفاق فنسبته فانتسب. فقالت: قد علمت أنك قيس، ولكن نشدتك بالله وبحق لبني إلا أصبت من طعامنا. وقدمت إليه طعاماً، فأصاب منه بإصبعه. وركب فأتى على أثره أخ لها كان غائباً، فرأى مناخ ناقته، فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى رده إلى منزله، وحلف عليه ليقمين عنده شهراً. فقال له: لقد شققت علي، ولكني سأبقي هواك، والفزاري يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته، فعرض عليه الصهر. فقال له: يا هذا إن فيك لرغبة، ولكني في شغل لا ينتفع بي معه. فلم يزل يعاوده والحي يلومونه ويقولون له: قد خشينا أن يصير علينا فعلك سبة. فقال: دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام. فلم يزل به حتى أحابه وعقد الصهر بينه وبينه على أخته المسماة لبني، وقال له: أنا أسوق عنك صداقها. فقال: أنا والله يا أخي أكثر قومي مالا، فما حاجتك إلى تكلف هذا؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المهر. ففعل وأعلم أباه الذي كان منه، فسره وساق المهر عنه. ورجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته، فلم يروه هشا إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرف ولا نظر إليها. وأقام على ذلك أياماً كثيرة. ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذنوا له في ذلك، فمضى لوجهه إلى المدينة. وكان له صديق من الأنصار بها؛ فأتاه فأعلمه الأنصاري أن خبر تزويجه بلغ لبني فغمها وقالت: إنه لغدار! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أجيئهم، وقد كان أبوها شكى قيساً إلى معاوية وأعلمه تعرضه لها بعض الطلاق. فكتب إلى مروان بن الحكم يهدد دمه إن تعرض لها، وأمر أباه أن يزوجه رجلاً يعرف بخالد بن حلزة من بني عبد الله بن غطفان - ويقال: بل أمره بتزويجها رجلاً من آل كثير بن الصلت الكندي حليف قريش فزوجها أبوها منه قال: فجعل نساء الحي يقلن ليلة زفافها:

لبيني زوجها أصب ح لا حر بواديه
له فضل على الناس بما باتت تتاجيه

وقيسٌ ميتٌ حيٌّ

صريعٌ في بواكيه

فلا يبعده الله

وبعداً لنواعيه

قال: فجزع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحر نشيج ويكي أحر بكاء. ثم ركب من فوره حتى أتى محلة قومها، فناداه النساء: ما تصنع الآن ها هنا! قد نقلت لبني إلى زوجها!. وجعل الفتیان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يجيبهم حتى أتى موضع خبائها فترل عن راحلته وجعل يتمعك في موضعها ويمرغ خده على تراها ويكي أحر بكاء. ثم قال: صوت

إلى الله أشكو فقد لبني كما شكا

إلى الله فقد الوالدين يتيم

يتيمٌ جفاه الأقربون فجسمه

نحيلٌ وعهد الوالدين قديم

بكت دارهم من نأيمهم فتهللت

دموعي فاي الجاز عين ألوم

أستعبراً بيكي من الشوق والهوى

أم آخر بيكي شجوه ويهيم

لابن جامع في البيتین الأولین ثقیلاً أول بالوسطی عن الهشامي. ولعريب فيهما ثاني ثقیل. وفي الثالث والرابع لمیاسة خفیف رمل بالبنصر عن عمرو وحبش والهشامي وتمام هذه الأبيات، وليست فيها صنعة، قوله:

تهيضني من حب لبني علائقٌ

وأصناف حب هولهن عظيم

ومن يتعلق حب لبني فؤاده

يمت أو يعيش ما عاش وهو كلیم

فإني وإن أجمعت عنك تجلداً

على العهد فيما بيننا لمقیم

وإن زماناً شئت الشمل بيننا

وبينكم فيه العدا لمشوم

أفي الحق هذا أن قلبك فارغٌ

صحيح وقلبي في هواك سقیم

وقد قيل: إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خلطت بشعره. ولكنها في هذه الرواية منسوبة إليه.

قال: وقال أيضاً في رحيل لبني عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حياها: صوت

بانئت لبيني فهاج القلب من بانا

وكان ما وعدت مطلاً وليانا

وأخلفتك مني قد كنت تأملها

فأصبح القلب بعد البين حيرانا

الله يدري وما يدري به أحدٌ

ماذا أجمجم من ذكراك أحياناً

يا أكمل الناس من قرنٍ إلى قدمٍ

وأحسن الناس ذا ثوبٍ وعريانا

نعم الضجيع بعيد النوم تجلبه

إليك ممثلاً نوماً ويقظانا

للغريض في هذه الأبيات ثاني ثقیلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو. وذكر الهشامي أن فيه لابن محرز ثاني ثقیلٍ آخر. وقال أحمد بن عبيد: فيه لحنان ليحيى المكي وعلويه. وتام هذه القصيدة:

لا بارك الله فيمن كان يحسبكم
إلا على العهد حتى كان ما كانا
حتى استفتت أخيراً بعد ما نكحت
كأنما كان ذاك القلب حيرانا
قد زراني طيفكم ليلاً فأرقني
فبت للشوق أنري الدمع تهتاناً
إن تصرمي الحبل أو تمسي مفارقةً
فالدهر يحدث للإنسان ألواناً
وما أرى مثلكم في الناس من بشرٍ
فقد رأيت به حياً ونسواناً

شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه، وشعره في ذلك:

وقال ابن قتيبة في خبره عن الهيثم بن عدي، ورواه عمر بن شبة أيضاً: أن أبا لبني شخص إلى معاوية فشكا إليه قيساً وتعرضه لابنته بعد طلاقه إياها. فكتب معاوية إلى مروان أبو سعيد بن العاص يهدر دمه إن ألم بها وأن يشتد في ذلك. فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي يتزله أبو لبني كتاباً وكيداً، ووجهت لبني رسولاً قاصداً إلى قيس تعلمه ما جرى وتحذره. وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهمه وقال له: انتهى بك الأمر إلى أن يهدر السلطان دمك! فقال:

صوت

فإن يحجبوها أو يحل دون وصلها
مقالة واشٍ أو وعيد أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا
ولن يذهبوا ما قد أجن ضميري
إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى
ومن حرقٍ تعادني و زفير
ومن حرقٍ للحب في باطن الحشى
وليلٍ طويل الحزن غير قصير
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرة
بكاء حزينٍ في الوثاق أسير
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى
بأنعم حالي غبطةٍ وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لهم
بطون الهوى مقلوبةً لظهور
لقد كنت حسب النفس لو دام وصلنا
ولكنما الدنيا متاع غرور

-هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذريح. وذكر الزبير بن بكار أنه لجدّه عبد الله بن مصعب - غني يزيد حوراء في الأول و الثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيف رملٍ بالوسطى. وغنى إبراهيم في الأول

والثاني لحناً من كتابه غير مجنس. وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيف ثقیل بالوسطى. وفي الخامس وما بعده لعريب ثقیل أول ابتداءه نشيد. وقال ابن الكلبي في خبره: قال قيس في اهدار معاوية دمه إن زارها:

إن تك لبني قد أتى دون قربها حجابٌ منيعٌ ما إليه سبيل
فإن نسيم الجو يجمع بيننا ونبصر قرن الشمس حين تزول
وأرواحنا بالليل في الحي تلتقي ونعلم أنا بالنهار نقيل
وتجمعنا الأرض القرار وفوقنا سماء نرى فيها النجوم تجول
إلى أن يعود الدهر سلماً وتتقضي تراثٌ بغاها عندنا وذحول

شعره فيما حين صادفها في موسم الحج: ومما وجد في كتاب لابن النطاح قال العتي حدثني أبي قال: حج قيس بن ذريح، واتفق أن حجت لبني في تلك السنة، فرآها ومعها امرأة من قومها، فدهش وبقي واقفاً مكانه ومضت لسيبلها. ثم أرسلت إليه بالمرأة تبلغه السلام وتسأله عن خبره؛ فألفته جالساً وحده ينشد ويكي:

ويوم منى أعرضت عني فلم أقل بحاجة نفس عند لبني مقالها
وفي اليأس للنفس المريضة راحةً إذا النفس رامت خطةً لا تنالها

فدخلت خباءه وجعلت تحدثه عن لبني ويحدثها عن نفسه ملياً، ولم تعلمه أن لبني أرسلتها إليه. فسألها أن تبلغها عنه السلام، فامتنعت عليه؛ فأنشأ يقول:

إذا طلعت شمس النهار فسلمي فأية تسليمي عليك طلوعها
بعشر تحيات إذا الشمس أشرقت وعشر إذا اصفرت وحن رجوعها
ولو أبلغتها جارةً قولي اسلمي بكت جزعاً وارفض منها دموعها
وبان الذي تخفي من الوجد في الحشى إذا جاءها عني حديث يروعها

غنى في البيتين الأولين علويه خفيف رمل بالوسطى - قال: وقضى الناس حجهم وانصرفوا. فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً أشفى منه على الموت، فلم يأته رسولها عائداً لأن قومها رأوه وعلموا به؛ فقال:

ألبني لقد جلت عليك مصيبتني غداة غدٍ إذ حل ما أتوقع
تمنينني نيلاً وتلويني به فنفسي شوقاً كل يوم تقطع
وقلبك قط ما يلين لما يرى فواكدي قد طال هذا التضرع
ألومك في شأني وأنت مليمةٌ لعمرى وأجفى للمحب وأقطع

أخبرت أني فيك ميت حسرتي فما فاض من عينيك للوجد مدمع
ولكن لعمري قد بكيتك جاهداً وإن كان دائي كله منك أجمع
صبيحة جاء العائدات يعدنني فظلت علي العائدات تفجع
فقائلةً جننا إليه وقد قضى وقائلةً لا، بل تركناه ينزع

وروى القحذمي ها هنا:

فما غشيت عينيك من ذاك عبرة وعيني على ما بي بذكراك تدمع
إذا أنت لم تبكي علي جنازةً لديك فلا تبكي غداً حين أرفع

قال: فبلغتها الأبيات، فجزعت جزعاً شديداً وبكت بكاء كثيراً، ثم خرجت إليه ليلاً على موعد فاعتذرت وقالت: إنما أبقى عليك وأخشى أن تقتل، فأنا أتحامك لذلك، ولو هذا لما افترقنا. وودعته وانصرفت. شعره فيها وقد بلغه أنها كذبت مرضه: وقال خالد بن كلثوم: فبلغه أن أهلها قالوا لها: إنه عليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا. فقالت لهم لتدفعهم عن نفسها: ما أراه إلا كاذباً فيما يدعي ومتعللاً لا عليلاً. فبلغه ذلك فقال:

تكاد بلاد الله يا أم معمرٍ بما رحبت يوماً علي تضيق
تكذبني بالود لبني وليتها تكلف مني مثله فتذوق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني لكم والهدايا المشعرات صديق
تتوق إليك النفس ثم أردّها حياءً ومثلي بالحياء حقيق
أزود سوام النفس عنك وماله على أحدٍ إلا عليك طريق
فإني وإن حاولت صرمي وهجرتي عليك من أحداث الردى لشفيق
ولم أر أياماً كأيامنا التي مررن علينا والزمان أنيق
ووعدك إيانا، ولو قلت عاجلٌ، بعيدٌ كما قد تعلمين سحيق
وحدثتني ياقلب أنك صابر على البين من لبني فسوف تذوق
فمت كمداً أو عش سقيماً فإنما تكلفني مالا أراك تطيق
أطعت وشاةً لم يكن لك فيهم خليلٌ ولا جارٌ عليك شفيق
فإن تك لما تسل عنها فإنني بها مغرمٌ صب الفؤاد مشوق
بلبني أنادي عند أول غشية ويثني بها الداعي لها فأفيق

شهدت على نفسي بأنك عادةٌ
وأنت لا تجزينني بصحابةٍ
وأنتك قسمت الفؤاد فنصفه
صباحي إذا ما ذرت الشمس ذكركم
إذا أنا عزيت الهوى أو تركته
كأن الهوى بين الحيازيم والحشى
فإن كنت لما تعلمي العلم فأسألي
رداخٌ وأن الوجه منك عتيق
ولا أنا للهجران منك مطيق
رهينٌ ونصفٌ في الحبال وثيق
ولي ذكركم عند المساء غبوق
أنت عبراتٌ بالدموع تسوق
وبين التراقي واللهاة حريق
فبعضٌ لبعضٍ في الفعال فؤوق

سلي هل قلاني من عشيرٍ صحبتته
وهل يجتوي القوم الكرام صحابتي
وأكنتم أسرار الهوى فأميتها
سعى الدهر والواشون بيني وبينها
هل الصبر إلا أن أصد فلا أرى
بأرضك إلا أن يكون طريق
وهل مل رحلي في الرفاق رفيق
إذا اغبر مخشي الفجاج عميق
إذا باح مزاحٌ بهن بروق
فقطع حبل الوصل وهو وثيق
بأرضك إلا أن يكون طريق

قصته مع لبنى وزوجها وقد باعه ناقة وهو لا يعرفه: قال: ثم أتى قومه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة لبيعها ويمتار لأهله بثمانها. فعرف أبوه أنه إنما يريد لبنى، فعاتبه وجره عن ذلك؛ فلم يقبل منه وأخذ إبله وقدم بها المدينة. فبينما هو يعرضها إذ ساومه زوج لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان، فباعه إياها. فقال له: إذا كان غداً فأتني في كثير بن الصلت فاقبض الثمن؛ قال: نعم. ومضى زوج لبنى إليها فقال لها: إني ابتعت ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها، فأعدي له طعاماً، ففعلت. فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخدام: قولي لسيدك: صاحب الناقة بالباب. فعرفت لبنى نعمته فلم تقل شيئاً. فقال زوجها للخدام: قولي له: ادخل، فدخل فجلس. فقالت لبنى للخدام: قولي له: يا فتى، مالي أراك أشعث أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفس ثم قال لها: هكذا تكون حال من فارق الأحبة واختار الموت على الحياة، وبكى. فقالت لها لبنى: قولي له: حدثنا حديثك. فلما ابتدأ يحدث به كشفت الحجاب وقالت: حسبك! قد عرفنا حديثك! وأسبلت الحجاب. فبهت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكياً ونهض فخرج. فناداه زوجها: ويحك! ما قصتك؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك، وإن شئت زدناك. فلم يكلمه وخرج فاغترز في رحله ومضى. وقالت لبنى لزوجها: ويحك! هذا قيس بن ذريح. فما حملك على ما فعلت به؟ قال: ما عرفته. وجعل قيس يبكي في طريقه ويندب نفسه ويونحها على فعله ثم قال:

صوت

أَتَبْكِي عَلَى لَبْنَى وَأَنْتِ تَرَكْتَهَا
فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا بِلَبْنَى تَقْلُبْتِ
لَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعٌ
وَلِلْحَائِمِ الْعِطْشَانِ رِيٌّ بِرِيقِهَا
كَأَنِّي لَهَا أَرْجُو حُجَّةً بَيْنَ أَحْبَلٍ
وَإِذَا ذَكَرْتُ مِنْهَا عَلَى الْقَلْبِ تَخْطُرُ

للغريض في البيتين الأولين ثقیلاً أول بالوسطى عن عمرو والمشامي وفيها لعريب رملٌ. ولشارية خفيف رملٍ من رواية أبي العبيس.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: تزوج رجل من أهل المدينة يقال له أبو درة امرأة كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بطينة؛ فلقية زوجها الأول فضربه ضربة شلت يده منها. فلقية أبو السائب المخزومي فقال له: يا أبا درة! أضربك أبو بطينة في زوجته؟ قال: نعم. أما إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذريح في زوجته لبني:

لَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلْأَمَانَةِ مَوْضِعٌ
وَلِلْحَائِمِ الْعِطْشَانِ رِيٌّ بِرِيقِهَا
وَلِلْمَرْحِ الْمَخْتَالِ خَمْرٌ وَمَسْكِرٌ
وَلِلْكَافِ مَرْتَدًا وَلِلْعَيْنِ مَنْظَرٌ

قال: وكانت زوجة أبي درة هذه سوداء كأنها خنفساء. مرضه بعد هذه الحادثة: قال: وعاد إلى قومه بعد رؤيته إياها وقد أنكر نفسه وأسف ولحقه أمر عظيم؛ فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم، ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت. فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلّموه وعاتبوه وناشدوه الله. فقال: ويحكم! أتروني أمرضت نفسي أو وجدت لها سلوةً بعد اليأس فاخترت الهم والبلاء، أو لي في ذلك صنع! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به. فجعل أبوه يبكي ويدعو به بالفرج والسلوة. فقال قيس:

لَقَدْ عَذِبْتَنِي يَا حُبَّ لَبْنَى
فَإِنْ الْمَوْتَ أَرْوَحُ مِنْ حَيَاةٍ
وَقَالَ الْأَقْرَبُونَ تَعَزَّ عَنْهَا
فَقَعَّ إِمَّا بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
تَدُومُ عَلَى التَّبَاعَدِ وَالشَّتَاتِ
فَقُلْتُ لَهُمْ إِذَا حَانَتْ وَفَاتِي

دست إليه رسولاً يسأله لم تزوج حتى تزوجت هي: قال: ودست إليه لبني بعد خروجه رسولاً وقالت له: استنشده، فإن سألك عن سبتك فانتسب له خزاعياً، فإذا أنشدك فقل له: لم تزوج بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوج بعدك؟ واحفظ ما يقول لك حتى ترده علي. فأتاه الرسول فسلم وانتسب خزاعياً، وذكر أنه من أهل الشام واستنشده؛ فأنشده قوله:

فأقسم ما عمش العيون شوارف

روائهم بو حانيات على سقب

وقد مضت هذه الأبيات فقال له رجل: فلم تزوجت بعدها؟ فأخبره الخبر، وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها، وأنه لو رآها في نسوة ما عرفها، وأنه ما مد يده إليها ولا كلمها ولا كشف لها عن ثوب. فقال له الرجل: فأني جار لها وإنما من الوجد بك على حال قد تمنى زوجها معها أن تكون بقرها لتصلح حالها بك؛ فحملني إليها ما شئت أؤده إليها. قال: تعود إلي إذا أردت الرحيل، فعاد إليه لما أراد الرحيل. فقال تقول لها:

ألا حي لبني اليوم إن كنت غاديا

وألتم بها من قبل أن لا تلاقيا

وأهد لها منك النصيحة إنها

قليل ولا تخشى الوشاة الأذانيا

وقل إنني والراقصات إلى منى

بأجل جمع يتظرون المناديا

أصونك عن بعض الأمور مضنة

وأخشى عليك الكاشحين الأعاديا

تساقط نفسي حين ألقاك أنفساً

يردن فما يصدرن إلا صواديا

فإن أحيأ أو أهلك فلست بزائل

لكم حافظاً ما بل ريق لسانيا

أقول إذا نفسي من الوجد أصعدت

بها زفرة تعتادني هي ما هيا

وبين الحشى والنحر مني حرارة

ولوعة وجد تترك القلب ساهيا

ألا ليت لبني لم تكن لي خلة

ولم ترني لبني ولم أدر ما هيا

سلي الناس هل خبرت سرك منهم

أخا ثقة أو ظاهر الغش باديا

يقول لي الواشون لما تظاهروا

عليك وأضحى الحبل للبين واهيا

لعمري لقبل اليوم حملت ما ترى

وأنذرت من لبني الذي كنت لاقيا

خليلي مالي قد بليت ولا أرى

لبيني على الهجران إلا كما هيا

ألا يا غراب البين مالك كلما

ذكرت لبيني طرت لي عن شماليا

أعندك علم الغيب أم لست مخبري

عن الحي إلا بالذي قد بدا ليا

جزعت عليها لو أرى لي مجزعا

وأفانيت دمع العين لو كان فانيا

حياتك لا تغلب عليها فإنه

كفى بالذي تلقى لنفسك ناهيا

تمر الليالي والشهور ولا أرى

ولوعي بها يزداد إلا تماديا

فما عن نوال من لبيني زيارتي

ولا قلة الإمام أن كنت قاليا

ولكنها صدت وحملت من هوى

لها ما يؤود الشامخات الرواسيا

وهذه القصيدة تخطط بقصيدة الجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلما يتميزان.
غنى الحسين بن محرز في البيت الأول والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلًا أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى
من روايتي بذل والهشامي.

أنب لبني زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت: حدثني المدائني عن عوانة عن يحيى بن علي الكنائي قال:
شهر أمر قيس بالمدينة وغنى في شعره الغريض ومعبد ومالك وذووهم، فلم يبق شريف ولا وضع إلا سمع بذلك
فأطربه وحزن لقيس مما به. وجاءها زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها وقال: قد فضحتني بذكرك. فغضبت
وقالت: يا هذا، إني والله ما تزوجتك رغبة فيك ولا فيما عندك ولا دلس أمري عليك، ولقد علمت أني كنت
زوجته قبلك وأنه أكره على طلاقي. والله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه إن ألم بحينا، فخشيت أن يحمله ما
يجد على المخاطرة فيقتل، فتزوجتك. وأمرك الآن إليك، ففارقني فلا حاجة بي إليك. فأمسك عن جوابها وجعل
يأتيها بجواري المدينة يغنيها بشعر قيس كيما يستصلحها بذلك؛ فلا تزداد إلا تمادياً وبعداً، ولا تزال تبكي كلما
سمعت شيئاً من ذلك أحر بكاء وأشجاء.
وسط بريكة في لقاءها، وشعره في ذلك: رجع الحديث إلى سياقه.

وقال الحرمازي وخالد بن جمل: كانت امرأة من موالي بني زهرة يقال لها بريكة من أطرف النساء وأكرمهن،
وكان لها زوج من قريش له دار ضيافة. فلما طالت علة قيس قال له أبوه: إني لأعلم أن شفائك في القرب من
لبني فارحل إلى المدينة. فرحل إليها حتى أتى دار الضيافة التي لزوج بريكة. فوثب غلمانها إلى رحل قيس ليحيطوه.
فقال: لا تفعلوا فلست نازلاً أو ألقى بريكة في قصدها في حاجة؛ فإن وجدت لها عندها موضعاً نزلت بكم
وإلا رحلت. فأتوها فأخبروها. فخرجت إليه فسلمت عليه ورحبت به وقالت: حاجتك مقضية كائنة ما كانت،
فانزل. فترل ودنا منها فقال: أذكر حاجتي؟ قالت: إن شئت. قال: أنا قيس بن ذريح. قالت: حياك الله
وقربك! إن ذكرك لجديد عندنا في كل وقت. قال: وحاجتي أن أرى لبني نظرة واحدة كيف شئت. قالت:
ذلك لك علي. فترل بهم وأقام عندها وأخفت أمره، ثم أهدى لها هدايا كثيرة وقال: لاطفيها وزوجها بهذا حتى
يأنس بك. ففعلت وزارها مراراً، ثم قالت لزوجها: أخبرني عنك: أنت خير من زوجي؟ قال: لا. قالت: فلبني
خير مني؟ قال: لا. قالت: فما بالي أزورها ولا تزورني؟ قال: ذلك إليها. فأتتها وسألتها الزيارة وأعلمتها أن
قيساً عندها. فتسارعت إلى ذلك وأتتها. فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يتلفان. ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته
فيخبرها، ويسألها فتخبره. ثم قالت: أنشدني ما قلت في علتك؛ فأنشدها قوله:

على رمقٍ والعائدات تعود

أعالج من نفسي بقايا حشاشة

كما هس للثدي الدور وريد

فإن ذكرت لبني هشتت لذكرها

وبي زفرات تتجلى وتعود

أجيب بلبني من دعائي تجلداً

تعيد إلى روعي الحياة وإنني

بنفسي لو عاينتني لأجود

قال: وفي هذه القصيدة يقول: صوت

ألا ليت أياماً مضين تعود

فإن عدن يوماً إنني لسعيد

سقى دار لبني حيث خلت وخيمت

من الأرض منهل الغمام رعود

في هذين البيتين لعريب خفيف ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى، وقيل: إنه لغبرها. وتام هذه القصيدة:

على كل حال إن دنت أو تباعدت

فإن تدن منا فالدنو مزيد

فلا اليأس يسليني ولا القرب ناعني

ولبني منوع ما تكاد تجود

كأنني من لبني سليم مسهد

يظل على أيدي الرجال يمد

رمتي لبيني في الفؤاد بسهمها

وسهم لبيني للفؤاد صيود

سلا كل ذي شجور علمت مكانه

وقلبي للبنى ما حييت ودود

وقائلة قد مات أو هو ميت

وللنفس مني أن تفيض رصيد

أعالج من نفسي بقايا حشاشة

على رمق والعائدات تعود

وقال الحرمازي في خبره خاصة: وعاتبته على تزوجه؛ فحلف أنه لم ينظر إليها ملء عينيه ولا دنا منها فصدقته.

وقال: صوت

ولقد أردت الصبر عنك فعاقني

علق قلبي من هواك قديم

يبقى على حدث الزمان وريبه

وعلى جفائك، إنه لكريم

فصرمته وصححت وهو بدائه

شتان بين مصحح وسقيم

واربته زمناً فعاد بحلمه

إن المحب عن الحبيب حلیم

لعريب في هذه الأبيات خفيف ثقیل، وللدرامي خفيف رمل من رواية الهشامي. ومن الناس من ينسب خفيف الثقیل إليه وخفيف الرمل إليها قالوا: فلم يزل يومه معها يحدثها ويشكو إليها أعف شكوى وأكرم حديث حتى أمسى؛ فانصرفت ووعدته بالرجوع إليه من غد فلم ترجع. وشاع خبره فلم ترسل إليه رسولاً. فكتب لها الأبيات في رقعة ودفعها إلى بريكة وسألها أن توصلها إليها، ورحل متوجهاً إلى معاوية. والأبيات: صوت

بنفسي من قلبي له الدهر ذاكر

ومن هو عني معرض القلب صابر

ومن حبه يزداد عندي جدة

وحبي لديه مخلق العهد دائر

شكا إلى يزيد ما به وامتدحه فحقن دمه:

-غنت في هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيف رمل قالوا: ثم ارتحل إلى معاوية، فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه وامتدحه؛ فرق له وقال: سل ما شئت، إن شئت أن أكتب إلى زوجها فأحتم عليه أن يطلقها فعلت. قال: لا أريد ذلك، ولكن أحب أن أقيم بحيث تقيم من البلاد، أتعرف أخبارها وأقنع بذلك من غير أن يهدر دمي. قال: لو سألت هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لما وجب أن تمنعه، فأقم حيث شئت؛ وأخذ كتاب أبيه له بأن يقيم حيث شاء وأحب ولا يعترض عليه أحد، وأزال ما كان كتب له في إهدار دمه؛ فقدم إلى بلده؛ وبلغ الفزارين خبره وإمامه بلبني، فكاتبوه في ذلك وعاتبوه. فقال للرسول: قل للفتى يعني أبا الجارية التي تزوجها: يا أخي ما غررتك من نفسي، ولقد أعلمتك أي مشغول عن كل أحد، وقد جعلت أمر أختك إليك فأمض فيه من حكمك ما رأيت. فتكرم الفتى على أن يفرق بينهما، فمكثت في حباله مدة ثم ماتت. لقيه عياش السعدي ذاهلاً شارد اللب وأنشده من شعره فيها: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي عن أبيه قال: أقبلت ذات يوم من الغابة؛ فلما كنت بالمزداد، إذا ربعة حديث العهد بالسكن، وإذا رجل مجتمع في جانب ذلك الربع يكي ويحدث نفسه. فسلمت فلم يرد علي سلاماً. فقلت في نفسي: رجل ملتبس به فوليت عنه. فصاح بي بعد ساعة: وعليك السلام، هلم هلم إلي يا صاحب السلام! فأتيته فقال: أما والله لقد فهمت سلامك ولكني رجل مشترك اللب يضل عني أحياناً ثم يعود إلي. فقلت ومن أنت؟ قال: قيس بن ذريح الليثي. قلت صاحب لبني؟ قال: صاحب لبني لعمرى وقتيلها! ثم أرسل عينيه كأنهما مزادتان؛ فما أنسى حسن قوله:

بوصل ولا صرم فيياس طامع

وليلي تنبو فيه عني المضاجع

تقسم بين الهالكين المصارع

لما حبسته بينهن الأضالع

شقائق برق في السماء لوامع

ألا كل أمر حم لابد واقع

فؤاد وعين جفنها الدهر دامع

أبائنة لبني ولم تقطع المدى

نهاري نهار الوالهي صباة

وقد كنت قبل اليوم خلوا وإنما

فلولا رجاء القلب أن تسعف النوى

له وجبات إثر لبني كأنها

أبى الله أن يلقى الرشاد متيم

هما برحابي معولين كلاهما

عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد من شعره: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الزبير قال، وأخبرنا به وكيع عن أبي أيوب المدني، قال الزبير قال حدثني ظبية قالت: سمعت عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد زوجي قول قيس بن ذريح:

تأوه محموم عليه البلابل

إذا ذكرت لبني تأوه واشتكى

يببب ويضحى تحت ظل منية
به رفق تبكي عليه القبائل
قتيل للبنى صدع الحب قلبه
وفي الحب شغل للمحبين شاغل

فصاح زوجي: أوه ! واحرباه واسلباه !. ثم أقبل على ابن جندب فقال: ويلك ! أنشد هذا كذا ! قال: فكيف أنشده؟ قال: لم لا تتأوه كما يتأوه وتشتكي كما يشتكي!..
استنشد ابن أبي عتيق أحر ما قال في لبنى: وقال القحذمي: قال ابن أبي عتيق لقيس يوماً: أنشدني أحر ما قلت في لبنى. فأنشده قوله:

وإني لأهوى النوم في غير حينه
لعل لقاءً في المنام يكون
تحدثني الأحلام أني أراكم
فيا ليت أحلام المنام يقين
شهدت بأنني لم أحل عن مودة
وأنى بكم لو تعلمين ضنين
وأن فؤادي لا يلين إلى هوى
سواك وإن قالوا بلى سيلين

فقال له بن أبي عتيق: لقل ما رضيت به منها يا قيس. قال: ذلك جهد المقل.
غنى في البتين الأولين قفا النجار ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش.
أنشد ثعلب من شعره وكان يستحسنه: أخبرني أحمد بن جعفر لحظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لقيس بن ذريح وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره:

سقى طلل الداري التي أنتم بها
حيأ ثم وبل صيف وربيع
مضى زمن والناس يستشفعون بي
فهل لي إلى لبنى الغداة شفيع

سأصرم لبنى حبلك اليوم مجملأ
وإن كان صرم الحبل منك يروع
وسوف أسلي النفس عنك كما سلا
عن البلد النأي البعيد نزيع
وإن مسني للضر منك كآبة
وإن نال جسمي للفراق خشوع
يقولون صب بالنساء موكل
وما ذاك من فعل الرجال بديع
ندمت على ما كان مني ندامة
كما ندم المغبون حين يبيع
فقدتك من نفس شعاع ألم أكن
نهيتك عن هذا وأنت جميع
فقربت لي غير القريب وأشرفت
هناك ثنانيا ما لهن طلوع
إلى الله أشكو نية شقت العصا
هي اليوم شتى وهي أمس جميع

بذي سلمٍ لا جادكن ربيع

فيا حجرات الدار حيث تحملوا

صوت

حمام ورق في الديار وقوع

فلو لم يهجنى الطاعنون لها جني

نوائح لم تقطر لهن دموع

تداعين فاستبكين من كان ذا هوى

- غنى في هذين البيتين ابن سريج خفيف ثقیل أول عن الهشامي - صوت

أبت كبدٌ عما يقلن صديع

إذا أمرتني العاذلات بهجرها

يؤرقني والعاذلات هجوع

وكيف أطيع العاذلات وذكرها

غنى في هذين البيتين إبراهيم ثاني ثقیل بالبنصر عن عمرو.

فكاهات لأبي السائب في شعره

وفي سيرته:

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: أنشدت أبا السائب المخزومي قول قيس بن ذريح: صوت

لها مثلاً في سائر الناس يوصف

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد

بمعرفتي منه بما يتكلف

فمنهن حبٌ للحبيب ورحمةٌ

على القلب إلا كادت النفس تتلف

ومنهن ألا يعرض الدهر ذكرها

وحبٌ لدى نفسي من الروح ألطف

وحبٌ بدا بالجسم واللون ظاهرٌ

قال أبو السائب: لا جرم والله لأخلصن له الصفاء ولأغضبن لغضبه ولأرضين لرضاه. غنى في البيتين الأولين الحسين بن محرز خفيف ثقیل عن الهشامي وبذل.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا الملك بن عبد العزيز عن أبي السائب المخزومي أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كثير في سقيفة دار كثير، إذ مر بجنازة؛ فقال لي: يا أبا السائب، جارك ابن كلدة، إلا تقوم بنا فنصلي عليه! قال: قلت: بلى والله فديتك! فقمنا حتى إذا كنا عند دار أويس إذ ذكرت أن جده كان تزوج لبني ونزل بها المدينة، فرجعت فطرحت نفسي بالسقيفة وقلت: لا يراني الله أصلي عليه. فرجع الكثيري فقال: أكنت جنباً؟ قلت: لا والله. قال: فعلى غير وضوء؟ قلت: لا والله. قال: فما لك؟ قلت: ذكرت أن جده كان تزوج لبني وفرق بينها وبين قيس بن ذريح لما ظعن بها من بلادها، فما كنت لأصلي عليه.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني هارون بن

موسى الفروي قال أخبرنا الخليل بن سعيد قال: مررت بسوق الطير، فإذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضاً، فاطلعت فإذا أبو السائب المخزومي قائم على غراب يباع وقد أخذ بطرف رداءه وهو يقول للغراب: يقول لك قيس بن ذريح:

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

لم لا تقع! ويضربه بردائه والغراب يصيح. قال: فقال قائل له: أصلحك الله يا أبا السائب! ليس هذا ذاك الغراب. فقال: قد علمت، ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء. آلت لبنى ألا ترى غراباً إلا قتلته لبيت قاله من قصيدة، وذكر المختار منها: وقال الحرمازي في خبره: لم بلغ لبنى قول قيس:

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي أحاذر من لبنى فهل أنت واقع

آلت ألا ترى غراباً إلا قتلته؛ فكانت كلما رآته أو رآته خادماً لها أو جارة ابتيع ممن هو معه وذبحته. وهذه القصيدة العينية أيضاً من جيد شعر قيس. والمختار منها قوله:

أتبكي على لبنى وأنت تركتها وكنت كأت حنقه وهو طائع

فيا قلب صبراً واعترافاً لما ترى ويا حبها قع بالذي أنت واقع
ويا قلب خبرني إذا شطت النوى بلبنى وبانت عنك ما أنت صانع

أتصبر للبين المشت مع الجوى أم أنت امرؤ ناسي الحياء فجازع
كأنك بدع لم ترى الناس قبلها ولم يطلعك الدهر فيمن يطالع
ألا يا غراب البين قد طرت بالذي أحاذر من لبنى فهل أنت واقع
فليس محبباً دائماً لحبيبه ولا ثقة إلا له الدهر فاجع
كان بلاد الله ما لم تكن بها وإن كان فيها الناس قفر بلاقع
فما أنت إذ باننت لبيني بهاجع إذا ما اطمأنت بالنيام المضاجع

صوت

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهـم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى إذا دجا لي الليل هزنتني إليك المضاجع
لقد رسخت في القلب منك مودة كما رسخت في الراحتين الأصابع

أحال علي الهَم من كل جانب	ودامت فلم تبرح علي الفواجع
ألا إنما أبكي لما هو واقعٌ	فهل جزعي من وشك ذلك نافع
وقد كنت أبكي والنوى مطمئنةٌ	بنا وبكم من علم ما البين صانع
وأهجركم هجر البغيض وحبكم	على كبدي منه كلوم صوادع
وأعمد للأرض التي لا أريدها	لترجعني يوماً إليك الرواجع
وأشفق من هجرانكم وتروعي	مخافة وشك البين والشمل جامع
فما كل ما منتك نفسك خالياً	تلاقي ولا كل الهوى أنت تابع
لعمري لمن أمسى ولبنى ضجيعه	من الناس ما اختيرت عليه المضاجع
فتلك لبيني قد تراخى مزارها	وتلك نواها غربةً ما تطاوع
وليس لأمرٍ حاول الله جمعه	مشتٌ ولا ما فرق الله جامع
فلا تبكين في إثر لبني ندامةً	وقد نزعته من يديك النوازع

غنى الغريز في الثالث والرابع والأول والعشرين وهو "لعمري لمن أمسى ولبنى ضجيعه" ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وغنى إبراهيم الموصلي في العاشر وهو: "أقضي نهارى بالحديث وبالمنى" والحادي عشر والثاني عشر رملاً بالوسطى عن عمرو. وقد قيل: إن ثلاثة أبيات من هذه وهي: "أقضي نهارى بالحديث وبالمنى" والبيتان اللذان بعده لابن الدمينه الخثعمي؛ وهو الصحيح؛ وإنما أدخلها الناس من هذه الأبيات لتشابهها. مصير قيس ولبنى وهل ماتا زوجين أو مفترقين: وقد اختلف في آخر أمر قيس ولبنى؛ فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات قبلها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه. ومنهم من قال: بل ماتت قبله وماتت أسفاً عليها، ومن ذكر ذلك اليوسفي عن علي بن صالح المصلي؛ قال قال لي أبو عمرو المدني: ماتت لبني، فخرج قيسٌ ومعه جماعةٌ من أهله فوقف على قبرها فقال:

ماتت لبيني فموتها موتي	هل تنفعن حسرتي على الفوت
وسوف أبكي بكاء مكتئبٍ	قضى حياةً وجداً على ميت

ثم أكب على القبر يبكي حتى أغمي عليه؛ فرفعه أهله إلى منزله وهو لا يعقل، فلم يزل عليلاً لا يفيق ولا يجيب مكلماً ثلاثاً حتى مات فدفن إلى جنبها.

وذكر القحزمي وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعةٍ من قريش، فقال لهم: إن لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يردني فيها،

وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه. قالوا: ذلك لك مبتذلٌ منا. فاجتمعوا ليومٍ وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لبني. فلما رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره. فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق. قال: هي مقضية كائنة ما كانت. قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنة ما كانت من ملك أو مال أو أهل؟ قال نعم. قال: تهب لهم ولي لبني زوجتك وتطلقها. قال: فإني أشهدكم أنها طالقٌ ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها. وقال ابن عائشة: فعوضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه. فلم تزل عنده حتى انقضت عدتها. فسأل القوم أباهما فزوجها قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق:

على الإحسان خيراً من صديق

جزى الرحمن أفضل ما يجازي

فما ألفيت كابن أبي عتيق

فقد جربت إخواني جميعاً

ورأي حدث فيه عن الطريق

سعى في جمع شملي بعد صدع

أغصنتي حرارتها بريقي

وأطفأ لوعةً كانت بقلبي

قال: فقال له ابن أبي عتيق: يا حبيبي أمسك عن هذا المديح؛ فما يسمعه أحد إلا ظني قواداً. مضى الحديث. صوت من مدن معبد في شعر عنترة: ومن مدن معبد وهو الذي أوله:

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

وقد جمع معه سائر ما يغني فيه من القصيدة.

منها: صوت

أم هل عرفت الدار بعد توهم

هل غادر الشعراء من متردم

وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي

يا دار عبلة بالجواء تكلمي

بالحزن فالصمان فالمنتلم

وتحل عبلة بالجواء وأهلنا

بعنيزتين وأهلنا بالغيلم

كيف القرار وقد تربع أهلها

أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

حييت من طلل تقادم عهده

مني بمنزلة المحب المكرم

ولقد نزلت فلا تظني غيره

للحرب دائرة على ابني ضمضم

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر

والناذرين إذا لم القهما دمي

الشامي عرضي ولم أشتمهما

قيل الفوارس ويك عنتر فاقدم

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها

ولبانه حتى تسربل بالدم

ما زلت أرميهم بثغرة نحره

هلا سألت الخيل يابنة مالك
 يخبرك من شهد الواقعة أنني
 يدعون عنتر والرماح كأنها
 فشكت بالرمح الطويل ثيابه
 فإذا شربت فإنني مستهلك
 وإذا صحت فما أقصر عن ندى
 إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
 أغشى الوغى وأعف عند المغنم
 أشطان بئر في لبان الأدهم
 ليس الكريم على القنا بمحرم
 مالي، وعرضي وافر لم يكلم
 وكما علمت شمائلي وتكرمي

الشعر لعنترة بن شداد العبسي، وقد تقدمت أخباره ونسبه. وغنى في البيت الأول، على ما ذكره ابن المكي، إسحاق خفيف ثقیل أول بالوسطى، وما وجدت هذا في رواية غيره. وغنى معبد في البيت الثاني والثالث خفيف ثقیل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وهو الصوت الممدود في مدن معبد. وغنى سلام الغسال في السابع والثامن والثالث والعاشر رملاً بالسبابة في مجرى البصر، ووجدت في بعض الكتب أن له أيضاً في السابع وحده ثاني ثقیل أيضاً، وذكر عمرو بن بانه أن هذا الثقیل الثاني بالوسطى لمعبد ووافقه يونس، وذكر ابن المكي أن هذا الثقیل الثاني للهندي، وذكر غيره أنه لابن محرز. وذكر أحمد بن عبيد أن في السابع ثقیلاً أول للهندي، ووافقه حبش. وذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقیلاً أول، وأن لابن سريج فيه رملاً آخر غير رمل ابن الغسال، وأن لابن مسجح أيضاً فيه خفيف ثقیل بالوسطى. وفي كتاب أبي العيس: له في الثالث لحن. وفي كتاب أبي أيوب المديني: لابن جامع في هذه الأبيات لحن. ولمعبد في الحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيف ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً. ولعلوية في السادس والرابع ثاني ثقیل، وله أيضاً في الرابع عشر والثالث عشر رمل. وفي كتاب هارون بن الزيات لعبد آل في الخامس ثقیل أول؛ وقد نسب الثقیل الثاني المختلف فيه لابن محرز. وفي كتاب هارون: لأحمد النصبي في الرابع والخامس لحن. "هل غادر الشعراء" البيت، يدفع أكثر الرواة أن يكون لعنترة؛ ومن يدفعه الأصمعي وابن الأعرابي. وأول القصيدة عندهما "يا دار عبلة". فذكر أبو عمرو الشيباني أنه لم يكن يرويه حتى سمع أبا حزام العكلي يرويه له. قوله: "هل غادر الشعراء من متردم" يقول: هل تركوا شيئاً ينظر فيه لم ينظروا فيه؟. والمتردم: المتعطف، وهو مصدر. يقول: هل تركوا شيئاً يتردم عليه أي يتعطف؛ ويقال: تردمت الناقة على ولدها إذا تعطفت عليه، وثوبٌ مردم وملدم إذا سدت خروقه بالرقاع. والربع: المنزل، سمي ربعاً لارتباعهم فيه؛ والربيع: الصخرة حكى أبو نصر أنه يقول: هل ترك الشعراء من خرق لم يرقعوه وفتق لم يرتقوه! وهو أشبه بقوله من متردم. وقال غيره: يعني بقوله من متردم البناء وهو الردم، أي لم يتركوا بناءً إلا بنوه؛ قال الله عز وجل "أجعل بينكم وبينهم ردماً" يعني بناء؛ وردم فلان حائطه أي بناه. والجواء: بلد بعينه؛ والجواء أيضاً: جمع جَوْ وهو البطن الواسع من

الأرض. عمي صباحاً، وانعمي صباحاً: تحية. تربع أهلها: نزلوا في الربيع. وعنيزتين: أكمة سوداء بين البصرة ومكة. والغيلم: موضع. والطلل: ما كان له شخص من الدار مثل أثنية أو وتد أو نؤي، وتقول العرب: حيا الله طللک، أي شخصک. وابنا ضمضم: حصين وهرم المريان. وثغرة نحره: موضع لبتة. واللبان: مجرى لبنة من صدره وهو الصدر نفسه. ويروى "بغرة وجهه". وتسربل، أي صار له سربال من الدم. وقوله: "هلا سألت الخيل" يريد فرسان الخيل؛ كما قال الله تعالى: "واسأل القرية". والوقية: الوقعة. والوغي والوحي: أصوات الناس وجلبتهم في الحرب؛ وقال الشاعر:

وليل كساج الحميري أدرعته كأن وغي حافاته لغط العجم

والأشطان: الجبال، واحدها شطن. شبه اختلاف الرماح في صدر فرسه بالأشطان. وشككت بالرمح: نظمت. وقال أبو عمرو: يعني بثياب قلبه. والعرض: موضع المدح والذم من الرجل؛ يقال: طيب العرض أي طيب ريح الجسم. والكلوم: الجراح. والوافر: التام. وشمالي: أخلاقي، واحدها شمال. يقال: فلان حلو الشمائل والنحائت والضرائب والغرائز.

عنترة يقول معلقته لأن رجلاً سبه وعيره سواده: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري قال قال أبو عمرو الشيباني:

قال عنترة هذه القصيدة لأن رجلاً من بني عبس سابه فذكر سواده وسواد أمه وإخوته وعيره ذلك. فقال عنترة: والله إن الناس ليتراقدون بالطعمة، فوالله ما حضرت مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط. وإن الناس ليدعون في الفرع فما رأيتك في خيل قط، ولا كنت في أول النساء. وإن اللبس "يعني الاختلاط" ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أحد من أهل بيتك لحظة فيصل قط، وكنت فقراً بقرقرة. ولو كنت في مرتبتك ومغرسك التي أنت فيه ثم ما جدتك لمجدتك، أو طاولتك لطلتك، ولو سألت أمك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته. وإني، وأوفى المنعم، وأعف عن المسألة واجود بما ملكت، وأفضل الخطة الصمعاء. فقال له الآخر: أنا أشعر منك. فقال: ستعلم! وكان عنترة لا يقول من الشعر إلى البيت أو البيت في الحرب فقال هذه القصيدة. ويزعمون أنها أول قصيدة قالها. وكانت العرب تسميها المذهبة.

بقية مدن معبد

نسبة الأصوات التي جعلت مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد، وهن: صوت من مدنه في شعر كثير عزة: صوت

تقطع من ظلامه الوصل أجمع
أخيراً على أن لم يكن يتقطع
وأصبحت قد ودعت ظلامه التي
تضر وما كانت مع الضر تنفع

الشعر لكثير. والغناء لمعبد خفيف ثقیل أول بالنصر عن عمرو ويونس.
أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن البكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال قال السائب
راوية كثير، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوم قال حدثني
سائب راوية كثير قال: كنت مع كثير عند ظلامه فأقمنا أياماً. فلما أردنا الانصراف عقدت له في علاقة سوطه
عقداً وقالت: أحفظها ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبني ضمرة، فقال: إن في هذه الأخبية جاريةً ظريفةً ذات
جمال، فهل لك أن تستبرزها؟ فقلت: ذاك إليك. قال: فملنا إليهم فخرجت إلينا جاريته فأخرجتها إلينا، فإذا
هي عزة، فجلس معها يحادثها، وطرح سوطه بينه وبينها إلى أن غلبته عيناه، وأقبلت عزة على تلك العقد تحلها
واحدةً واحدةً. فلما استيقظ انصرفنا. فنظر إلى علاقة سوطه فقال: أحلتها؟ قلت: نعم! فلا وصلها الله! والله
إنك لجنون. قال: فسكت عني طويلاً ثم رفع السوط فضرب به واسط رحله وأنشأ يقول:

تقطع من ظلامه الوصل أجمع أخيراً على أن لم يكن يتقطع
وأصبحت قد ودعت ظلامه التي تضر وما كانت مع الضر تنفع
وقد سد من أبواب ظلامه التي لنا خلفاً للنفس منها ومقنع

ثم وصل عزة بعد ذلك وقطع ظلامه.
ومنها: وهو الذي أوله: "خمصانة قلق موشحها".

صوت من مدنه في شعر الحارث

ابن خالد:

صوت

أقوى من آل ظليمة الحزم فلغمرتان فأوحش الخطم
فجنوب أثيرة فملحدها فلسدرتان فما حوى دسم
وبما أرى سخفاً به حسناً في القوم إذا حيثكم نعم
إذا ودها صافٍ و رؤيتها أمنيةً وكلامها غنم
لفاء مملوء مخلخلها عجزاء ليس لعظمها حجم
خمصانة قلق موشحها رؤد الشباب على بها عظم
وكان غاليةً تباشرها تحت أثياب إذا صغا النجم
أظلم إن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحيةً ظلم

أقصيته وأراد سلمكم

فليهنه إذ جاءك السلم

عروضه من الكامل. الشعر للحارث بن خالد المخزومي. والغناء لمعبد، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البنصر. قال: ولحن معبد :

خمصانة قلق موشحها

وأول لحن مالك:

أقوى من آل ظليمة الحزم

ذكر الحارث بن خالد

ونسبه وخبره في هذا الشعر

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وقد تقدم ذكره وأخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرها له وهو:

إن امرأ تعتاده ذكر

تزوج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: بلغني أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة -ويقال: بل خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة - كان تزوج حميدة بنت النعمان بن بشير بدمشق لما قدم على عبد الملك بن مروان. فقالت فيه:

فيالك من نكحة غاويه

نكحت المديني إذ جاني

أحب إلينا من الجاليه

كهول دمشق وشبانها

س أعيأ على المسك والغاليه

صنان لهم كصنان التيو

فقال الحارث يجيبها: صوت

رة أبصرت أم سنا ضوء برق

أسنا ضوء نار ضمرة بالقف

بي من ساكنات دور دمشق

قاطنات الحجون أشهى إلى قل

ك صناناً كأنه ريح مرق

يتضو عن لو تضمخن بالمس

غناه مالك بن أبي السمح خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق. وفيه لابن محرز لحن من رواية عمرو بن بانة ثقيل أول بالوسطى.

رجعت الرواية إلى خبر الحارث قال: وطلقها الحارث؛ فخلف عليها روح بن زنباع. قال: وكان الحارث خطب

أمة لمالك بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وخطبها عبد الله بن مطيع. فتزوجها عبد الله ثم طلقها أو مات عنها، فتزوجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوج:

فألغمرتان فأوحش الخطم

أقوى من آل ظليمة الحزم

الآبيات التي فيها الغناء.

قال وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا محمد بن الحكم عن عوانة بهذا الخبر فذكر مثله، ولم يذكر أن الحارث هو المتزوجها، وفسر قولها:

أحب إلينا من الجالية

وقال: الجالية أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمونهم بذلك لأنهم كانوا يجلبون عن بلادهم إلى الشام. وقال في الحديث: فبلغ عبد الملك قولها فقال: لولا أنها قدمت الكهول على الشبان لعاقبتها.

قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار: قال عوانة: وكانت لحميدة أخت يقال لها عمرة، وكانت تحت المختار بن أبي عبيد الثقفي، فأخذها مصعب بعد قتله المختار وأخذ امرأته الأخرى وهي بنت سمرة بنت جندب، فأمرهما بالبراءة من المختار. أما بنت سمرة فبرئت منه، وأبت ذلك عمرة. فكتب به مصعب إلى أخيه عبد الله. فكتب إليه: إن أبت أن تبرأ منه فاقتلها.

فأبت فحفر لها حفيرة وأقيمت فيها فقتلت. فقال عمر بن أبي ربيعة في ذلك:

قتل بيضاء حرة عطبول

إن من أعجب العجائب عندي

إن لله درها من قتل

قتلت حرة على غير جرم

وعلى الغانيات جر الذبول

كتب القتل والقتال علينا

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شبة قال أبو زيد وحدثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوه، وزاد فيه أن الحارث لما تزوجها قالت فيه:

فيالك من نكحة غاويه

نكحت المديني إذ جاءني

تھاجي حميدة مع زوجها روح بن زنباع: وذكر الأبيات المتقدمة. وقال عمر بن شبة فيه: وتزوجها روح بن زنباع؛ فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه جذام، وقد اجتمعوا عنده فلامها. فقالت: وهل أرى إلا جذام! فوالله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام!.

وقالت تھجوه:

وعجت عجيباً من جذام المطارف

بكي الخز من روح وأنكر جلده

وأكسية كردية وقطائف

وقال العبا قد كنت حيناً لباسكم

فقال روح:

إن تبك منا تبك ممن يهينها
وقال روح:

أثني علي بما علمت فإنني
فقلت:

أثني عليك بأن باعك ضيق
فقال روح:

أثني علي بما علمت فإنني
فقلت:

فتناؤنا شر التناء عليكم
وقالت:

وهل أنا إلا مهرة عربية
فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرى
فقال روح:

فما بال مهرٍ رائع عرضت له
إذا هو ولى جانباً ربخت له
وقالت عمرة لأخيها أبان بن النعمان:

أطال الله شأوك من غلام
أترضى بالأكارع والذئابى
وقال ابن عم لروح:

رضي الأشياخ بالفطيون فحلاً

يهودي له بضع العذارى

تزف إليه قبل الزوج خوًد

فأبقى ذلكم عاراً وخزياً

يهودٌ جمعوا من كل أوب

وقالت:

وإن تهوكم تهو اللئام المقارفا

مثنٍ عليك لبئس حشو المنطق

وبأن أصلك في جذام ملصق

مثنٍ عليك بمثل ريح الجورب

أسوا وأنتن من سلاح الثعلب

سليلة أفراس تجللها بغل
وإن يك إقرافٌ فما أنجب الفحل

أتانٌ فبالت عند جحفلة البغل
كما ربخت قمرأ في دمس سهل

متى كانت مناكحنا جذام
وقد كنا يقر بنا السنام

وترغب للحماقة عن جذام

فقبحاً للكهول وللغلام

كأن شمساً تدلت من غمام

بقاء الوحي في صم السلام

وليسوا بالغطاريف الكرام

سميت روحاً وأنت الغم قد علموا
لا روح الله عن روح بن زنباع
فقال روح:

لا روح الله عمن ليس يمنعنا
مالٌ رغبٌ وبعلٌ غير ممناع
كشافعٍ جونةٍ تجلٍ مخاصرها
دبابة شتنة الكفين جباع
قال: والجباع: القصيرة. والجباع من السهام: الذي لا نصل له. والجباع: الرصف . وقالت:

تكحل عينيك برد العشي
كأنك مسومة زانية
وآية ذلك بعد الخفوق
تغلف رأسك بالغالية
وأن بنيك لريب الزما
ن أمست رقابهم حالیه
فلو كان أوسٌ لهم حاضراً
لقال لهم إن ذا ماليه
وأوس رجل من جذام يقال له: أنه استودع روحاً مالا فلم يرده عليه. فقال لها روح:

إن يكن الخلع من بالكم
فليس الخلاعة من باليه
وإن كان من قد مضى مثلكم
فأفٌ وتفتٌ على الماضيه
وما إن برا الله فاستيقني
ه من ذات بعلٍ ومن جاريه
شبيهاً بك اليوم فيمن بقي
ولا كان في الأعصر الخاليه
فبعداً لمحيائك إذ ما حييت
وبعداً لأعظمك الباليه

تزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم. وقال روح في بعض ما يتنازعان فيه: اللهم إن بقيت بعدي فابتلها ببعلٍ يلطم وجهها ويملى حجرها قيناً: فتزوجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل وكان شاباً جميلاً يصيب من الشراب فأحبته. فكان ربما أصاب من الشراب مسكراً فيلطم وجهها ويقيء في حجرها؛ فتقول: يرحم الله أبا زرة! قد أحبيت دعوته في. وقالت لفيض:

سميت فيضاً وما شيءٌ تفيض به
إلا سلاحك بين الباب والدار
فتلك دعوة روح الخير أعرفها
سقى الإله صدهاء الأوطف الساري
وقالت لفيض أيضاً:

ألا يا فيض كنت أراك فيضاً
فلا فيضاً أصبت ولا فراتا
وقالت:

وليس فيضٌ بفيض العطاء لنا
لكن فيضاً لنا بالقىء فياض

ليث الليوث علينا باسلٌ شرسٌ وفي الحروب هيبوب الصدر جياض

تزوج ابنتها من الفيض الحجاج بن يوسف: فولدت من الفيض ابنةً فتزوجها الحجاج بن يوسف؛ وقد كانت قبلها عند الحجاج أم أبان بنت النعمان بنت بشير فقالت حميدة للحجاج:

إذا تذكرت نكاح الحجاج من النهار أو من الليل الداج

فاضت له العين بدمع ثجاج وأشعل القلب بوجدٍ وهاج

لو كان نعمان قتيل الأعلاج مستوي الشخص صحيح الأوداج

لكننت منها بمكان النساج قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراج

أن تتكحيه ملكاً أو ذا تاج

فقدمت حميدة على ابنتها زائرة. فقال لها الحجاج: يا حميدة، إني كنت احتمل مزاحك مرةً ، وأما اليوم فلإني بالعراق وهو قوم سوءٍ فأياك !. فقالت: سأكف حتى أرحل.

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثنا المدائني عن مسلمة بن محارب قال: قالت حميدة بنت النعمان لزوجها روح بن زنباع، وكان أسود ضخماً: كيف تسود وفيك ثلاث خصال: أنت من جذام، وأنت جبانٌ، وأنت غيور. فقال: أما جذام فأنا في أرومتها ، وبحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه. وأما الجبن فإنما لي نفسٌ واحدة، ولو كان لي نفسان لجدت بإحداهما. وأما الغيرة فهو أمر لا أحب أن أشارك فيه، وإن المرء لحقيقٌ بالغيرة على المرأة مثلك الحمقاء الورهاء لا يأمن أنت تأتي بولد من غيره فتقذفه في حجره. ثم ذكر باقي خبرها مثل ما تقدم، وقال فيه فخلف بعده عليها الفيض بن محمد عم يوسف بن عمر، فكان يشرب ويلطمها ويقيء في حجرها فقالت:

سميت فيضاً وما شيءٌ تفيض به إلا سلاحك بين الباب والدار

قال المدائني: وتمثل فيضٌ يوماً بهذا البيت:

إن كنت ساقيةً يوماً على كرم صفو المدامة فاسقيها بني قطن

ثم تحرك فضرط. فقالت: واسقِ هذه بني قطن !.

أبو عثمان المازني والواثق: وهذا الصوت أعني:

أقوى من آل ظليمة الحزم

هو الصوت الذي أشخص الواثق له أبا عثمان المازني بسبب بيت منه اختلف في إعرابه بحضرته، وهو قوله:

أظلم أن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحيةً ظلم

وقال آخرون: رجلٌ. حدثني بذلك علي بن سليمان الأحفش عن أبي العباس محمد بن يزيد عن أبي عثمان، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القاسم بن إسماعيل وعون بن محمد وعبد الواحد بن العباس بن عبد الواحد والطيب بن محمد الباهلي، يزيد بعضهم على بعض، قالوا حدثنا أبو عثمان المازني قال: كان سبب طلب الواصل لي أن مخارقاً غني في مجلسه:

أظلم أن مصابكم رجلاً

أهدى السلام تحيةً ظلم

فغناه مخارق "رجلٌ" فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون. فسأل الواصل عمن بقي من رؤساء النحويين فذكرت له، فأمر بحملي. فاما وصلت إليه قال: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن. قال: أمن مازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة أم مازن اليمى؟ قلت: من مازن ربيعة. فقال لي با اسمك؟ "يريد ما اسمك وهي لغة كثيرة في قومنا" فقلت على القياس: مكرٌ "أي بكر" فضحك فقال: اجلس واطبئن: يريد: اطمئن "فجلست. فسألني عن البيت. فقلت: "إن مصابكم رجلاً" فقال: أين خبر "إن"؟ قلت: "ظلم" وهو الحرف الذي في آخر البيت. وقال الأحفش في خبره: وقلت له: إن معنى "مصابكم" إصابتكم، مثل ما تقول: إن قتلتم رجلاً حياكم ظلمٌ. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إن البيت كله معلق لا معنى له حتى يتم بقوله "ظلم". ألا ترى أنه لو قال: أظلم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلام تحيةً، لما احتيج إلى "ظلم" ولا كان له معنى، إلا أن يجعل التحية بالسلام ظلماً، وذلك محال، ويجب حينئذ أن يقول:

أظلم إن مصابكم رجلٌ

أهدى السلام تحيةً ظلماً

ولا معنى لذلك، ولا هو، لم كان له وجهٌ، معنى قول الشاعر في شعره. فقال: صدقت، ألك ولدٌ؟ قلت: بنيةٌ لا غير. قال: فما قالت حين ودعتها؟ قال قلت: أنشدت شعر الأعشى:

تقول ابنتي حين جد الرحيل

أرانا سواءً ومن قد يتم

أبانا فما رمت من عندنا

فإننا بخيرٍ إذا لم ترم

أرانا إذا أضمرتكَ البلا

د نجفى وتقطع منا الرحم

قال: فما قلت لها؟ قال: قلت لها قول جرير:

ثقي بالله ليس له شريكٌ

ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى. إن ها هنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم، فمن كان منهم عالماً ينتفع به ألزمناهم إياه، ومن كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم. فأمر فجمعوا إلي فامتحنتهم فما وجدت فيهم طائلاً؛ وحذروا ناحيتي، فقلت: لا بأس على أحد. فلما رجعت إليه قال: كيف رايتهم؟ قلت: يفضل بعضهم بعضاً في علوم، ويفضل الباقيون في غيرها، وكلٌ يحتاج إليه. فقال لي الواصل: إني خاطبت منهم واحداً فكان في نهاية من الجهل في خطابه ونظره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثر من تقدم منهم بهذه الصفة؛ ولقد أنشدت فيهم:

ولو ابتنى فوق السماء بناء
مما يرقى غدوةً ومساء

إن المعلم لا يزال مضجعاً
من علم الصبيان أضنوا عقله

مضى الحديث:

صوت من مدن معبد في شعر الأعشى

ومنها: صوت

د أسيل تزينه الأطواق
طل فيه عذوبةً واتساق

يوم تبدي لنا قتيلة عن جي
وشيت كالأقحوان جلاه ال

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد. وذكر إسحاق أن لحنه خفيف ثقيل من أصوات قليلات الأشباه، وذكر عمرو بن بانة أن لحنه من الثقيل الأول بالنصر. ولإسحاق لحن من الثقيل أيضاً وهو مما عارض فيه معبداً فانتصف منه، ومن أوائل أغانيه وصدورها.

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق قال ذكر الحسن بن عتبة اللهي المعروف بفورك قال: قتيلات معبد: قال لي الوليد بن يزيد: أريد الحج، فما يمنعني منه إلا أن يلقي أهل المدينة بقتيلات معبد وبقصره ونخله فأفتضح به طرباً. يعني ثلاثة أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قتيلة هذه، ونسبتها تأتي بعد. ويعني بقصره ونخله لحنه:

القصر فالنخل فالجماء بينهما

قال أبو زيد قال إسحاق وحدثني عبد الملك بن هلال: وبلغني أن فتنة من قريش دخلوا إلى قينة ومعهم روح بن حاتم المهلي، فتماروا فيما يختارونه من الغناء. فقالت لهم: أغني لكم صوتاً يزيل الاختلاف ويوقع بينكم الاجتماع، فرضوا بها. فغنت:

د أسيل تزينه الأطواق

يوم تبدي لنا قتيلة عن جي

فرضوا به واتفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه، وأقاموا عندها أسبوعاً لا يسمعون غيره.

نسبة أصوات معبد في قتيلة الصوتان الباقيان من قتيلات معبد في شعر الأعشى: منها:

فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

أثوى وقصر ليلة ليزودا

ديني إذا وقد النعاس الرقدا

يجحدن ديني بالنهار وأقتضي

فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

وأرى الغواني لا يواصلن أمراً

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد خفيف ثقیلٍ أول بالوسطى.
أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو شراة في مجلس الرياشي قال: حدثت أن رجلاً نظر إلى الأعشى
يدور بين البيوت ليلاً؛ فقال له: يا أبا بصير، إلى أين في هذا الوقت؟ فقال:

يجحدن ديني بالنهار وأقتضي ديني إذا وقذ النعاس الرقدا

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن
سليمان قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال: غنيت بين يدي الرشيد وستارته منصوبة:

وأرى الغواني لا يواصلن أمراً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فطرب واستعاده وأمر لي بحال. فلما أردت أن أنصرف قال لي: يا عاض كذا وكذا! أتغني بهذا الصوت
وجواري من وراء ستارةٍ يسمعه! لولا حرمتك لضربت عنقك!. فتركته والله حتى أنسيته.
ومنها: صوت

ألم خيالٌ من قتيلة بعدما وهى حبلى من حبلىنا فتصرما

فبت كأنني شاربٌ بعد هجعة سخاميةٌ حمراء تحسب عندما

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد خفيف ثقیلٍ أول بالبنصر عن عمرو. وفيه لابن محرز ثاني ثقیلٍ بالوسطى عنه وعن
ابن المكي.

سبعة ابن سريج

فأما السبعة التي جعلت لابن سريج بإزار سبعة معبد فأني قرأت خبرها في كتاب محمد بن الحسن، قال حدثني
الحسين بن أحمد الأكنمي عن أبيه قال: ذكرنا عند إسحاق يوماً أصوات معبد السبعة فقال: والله ما سبعة ابن
سريج بدوئهن. فقلنا له: وأي سبعة؟ فقال: إن مغني المكيين لما سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتهم لذلك غيرة،
فاجتمعوا فاختاروا من غناء ابن سريج سبعةً فجعلوها بإزاء سبعة معبد، ثم خايروا أهل المدينة فانتصفوا منهم.
فسألوا إسحاق عن السبعة السريجية؛ فقال: منها.

تشكى الكميت الجري لما جهده

وقد مضت نسبته في الثلاثة الأصوات المختارة.

و لقد حبيب نعم إلينا بوجهها

و قرب جيراننا جمالهم

و أرقت وما هذا السهاد المؤرق

وقد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مدن معبد -

و بينا كذاك إذا عجاجة موكبٍ

و فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ

- وقد مضى في الأرمال المختارة -

و توضع مسكاً بطن نعمان إن مشت

- وقد ذكر في المائة مع غيره في شعر النميري -

و إن جاء فليأت على بغلةٍ

نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدماً الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هذه السبقة:

فمنها: صوت

مساكن ما بين الوتائر فالنقع

لقد حبيت نعمٍ إلينا بوجهها

أكلفها سير الكلال مع الظلع

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي

عروضه من الطويل. والشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء لابن سريج ثاني ثقليل بالبنصر. وذات الخال التي عنهاها هنا عمر امرأة من ولد أبي سفيان بن حرب، كان عمر يكني عنها بذلك.

عمر بن أبي ربيعة وذات الخال: حدثني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هفان عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن الزهيري والمسيبي ومحمد بن سلام والمدائني، وأخبرنا به الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي ولم يتجاوزوه: أن عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة، إذ مرت بهما امرأة من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكتف فكتب إليها وكنى عن اسمها: صوت

على العهد باقٍ ودها أم تصرما

ألما بذات الخال فاستطلعا لنا

بنا وبكم قد خفت أن تتيمما

وقولا لها إن النوى أجنبيةٌ

غناه ابن سريج خفيف ثقل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق - قال فقال له ابن أبي عتيق: سبحان الله! ما تريد إلا امرأة مسلمة محرمة أن تكتب إليها مثل هذا! قال: فكيف بما قد سيرته في الناس من قولي:

مساكن ما بين الوتائر والنقع

لقد حبيت نعمٍ إلينا بوجهها

أكلفها سير الكلال مع الظلع

ومن أجل ذات الخال أعملت ناقتي

بمندفع الأخباب أخضلني دمعي

ومن أجل ذات الخال يوم لقيتها

أحل به لا ذا صديق ولا زرع

ومن أجل ذات الخال آف منزلاً

مخامر سقمٍ داخلٍ أو أخو ربع

ومن أجل ذات الخال عدت كأنتي

ألمأ بذات الخال إن مقامها لدى الباب زاد القلب صدعاً على صدع

وأخرى لدى البيت العتيق نظرتها إليها تمشيت في عظامي وفي سمعي

وقال الحرمي في خبره: أما ترى ما سار لي من الشعر! ما علم الله أني طلعت حراماً قط! ثم انصرفنا. فلما كان من الغد التقينا. فقال عمر: أشعرت أن ذلك الإنسان قد رد الجواب؟ قال: وما كان من رده؟ قال: كتب. صوت

أمسى قريضك بالهوى ناما فاربع هديت وكن له كتاما

واعلم بأن الخال حين وصفته قعد العدو به عليك وقاما

لا تحسبن الكاشحين عدمتهم عما يسوءك غافلين نياما

لا تمكنن من الدفينة كاشحاً يتلو بها حفظاً عليك إماما

غنى فيه سليم خفيف رملٍ بالنصر عن عمرو. قال: وفيه لفريدة وإبراهيم لحنان. وفي بعض النسخ: لإسحاق فيه ثقیلٌ أول غير منسوب. وذكر حبش أن خفيف الرمل لفريدة. أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرنا أبو أيوب المديني عن محمد بن سلام، قال وأخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام قال: سألت عمر بن خليفة العبدي -وكان عابداً وكان يعجبه الغناء- أي القوم كان أحسن غناء؟ قال: ابن سريج إذا تمعبد -يريد: إذا غنى في مذهب معبد من الثقيل -قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل صوته: صوت

لقد حبيت نعمً إلينا بوجهها مساكن ما بين الوتائر فالنقع

وقال حماد بن إسحاق حدثني أبي قال حدثني أبو محمد العامري قال: جلس معبد والأبجر وجماعة من المغنين فتذكروا ابن سريج وما اشتهاه الناس من غنائه، فقالوا: ماهو إلا من غناء الزفاف والمختئين. فمني الحديث إلى ابن سريج فغنى:

لقد حبيت نعمً إلينا بوجهها

فلما جاء معبد وأصحابه واجتمعوا غناهم إياه. فلما سمعوه قاموا هارين، وجعل ابن سريج يصفق خلفهم ويقول: إلى أين؟! إنما هو ابن ليلته فكيف لو احتمر!. قال فقال معبد: دعوه مع طرائقه الأول ولا تهيجوه على طرائقكم، وإلا لم يدع لكم والله خبزاً تأكلونه. قال الزبير في خبره عن عمه: وعلق نعماً هذه فقال فيها شعراً كثيراً. ونحن نذكرها هنا ما فيه غناءً من ذلك. فمنه قوله:

خطرت لذات الخال ذكرى بعدما سلك المطي بنا على الأنصاب

أنصاب عمرة والمطي كأنها

قطع القطا صدرت عن الأحباب

فاهل دمعى فى الرداء صبابةً

فسترتة بالبرد عن أصحابى

فرأى سوابق دمة مسكوبة

بكرٌ فقال بكى أبو الخطاب

عروضه من الكامل. بكر الذي ذكره ها هنا عمر هو ابن أبي عتيق وهو يسميه فى شعره ببكر وبعتيق، وإياه يعنى بقوله:

لا تلمنى عتيق حسبي الذي بي

إن بي يا عتيق ما قد كفانى

الغناء فى خطرت لذات الخال للغريض، ولحنه ثقیلٌ أول بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن فيه ثقیلاً أول بالبنصر لأبي سعيد مولى فائد. وأخبرني الحرمي قال حدثني الزبير قال حدثني عمي: أن عمر بن أبي ربيعة وافقها وهي تستلم الركن فقرب منها. فلما رآته تأخرت وبعثت إليه جاريتها. فقالت له: تقول لك ابنة عمك: إن هذا مقامٌ لابد منه كما ترى، وأنا أعلم أنك ستقول فى موقفنا هذا فلا تقولن هجراً. فأرسل إليها: لست أقول إلا خيراً. ثم تعرض لها وهي ترمي الجمار، فأعرضت عنه واستترت؛ فقال: صوت

دين هذا القلب من نعم

بسقام ليس كالسقم

إن نعماً أقصدت رجلاً

أمناً بالخيف إذ ترمي

اسمعي منا تحاورنا

واحكمي رضيت بالحكم

بشتيت نبتة رتل

طيب الأنياب والطعم

يأتكم منه بحجته

فله العتبي ولا أحمي

عروضه من المديد. الغناء لإسحاق خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيها لملكٌ ثقیلٌ أول من أصوات قليلات الأشباه عن إسحاق. وفيه لابن سريج رملٌ بالبنصر عن حبش. وفيه لابن مسجح ثقیلٌ أول بالوسطى عن حبش أيضاً. وذكر الهشامي أن الصوت مما يشك فيه أنه لمبعد أو غيره. قال: وقال فيها أيضاً: صوت

أبيني اليوم أي نعم

أوصل منك أو صرم

فإن يك صرم عاتبة

فقد نغنى وهو سلم

تلومك فى الهوى نعم

وليس لها به علم

صحيحٌ لو رأى نعماً

لخالط جسمه سقم

عروضه من الهزج، غناه مالك ولحنه ثقیلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لمّيتيم خفيف رملٍ
بالبنصر عن إسحاق ، وذكر أن فيه أيضاً صنعةً لابن سريج.
ومما يغنى فيه مما قاله فيها - وهو من قصيدة طويلة - : صوت

فقلت لجنادٍ خذ السيف واشتمل
عليه بحزمٍ وانظر الشمس تغرب
وأسرج لنا الدهماء واعجل بمطري
ولا تعلمن خلقاً من الناس مذهبي

عروضه من الطويل، غناه زرزور غلام المارقي خفيف ثقیلٍ بالبنصر.
أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثنا عمي قال: قيل لعمر بن أبي ربيعة: ما أحب شيء أصبته إليك؟ قال:
بيننا أنا في منزلي ذات ليلة إذ طرقي رسول مصعب بن الزبير بكتابه يقول: إنه قد وقعت عندنا أثوابٌ مما
يشبهك، وقد بعثت بها إليك وبدنانير ومسك وطيب وبغلة. قال: فإذا بثياب من وشي وخز العراق لم أر مثلاً
قط وأربعمئة دينار ومسكٍ وطيبٍ كثير وبغلة. فلما أصبحت لبست بعض تلك الثياب وتطييت وأحرزت
الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لا هم لي قد أحرزت نفقة سنتي؛ فما أفدت فائدةً كانت أحب إلي منها.
وقلت في ذلك:

ألا أرسلت نعمٍ إلينا أن اتتنا
فأرسلت أن لا أستطيع فأرسلت
فقلت لجنادٍ خذ السيف واشتمل
وأسرج لنا الدهماء واعجل بمطري
وموعدك البطحاء أو بطن يأجج
فلما التقينا سلمت وتبسمت
أمن أجل واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ
قطعت وصال الحبل منا ومن يطع
فبات وسادي تنني كف مخضبٍ
إذا ملت مالت كالكتيب رخيمةٍ
فأحبيب بها من مرسلٍ متغضب
تؤكد أيمان الحبيب المؤنب
عليه بحزمٍ وانظر الشمس تغرب
ولا تعلمن خلقاً من الناس مذهبي
أو الشعب بالمروخ من بطن مغرب
وقالت مقال المعرض المتجنب
مشى بيننا صدقته لم تكذب
بذي وده قول المحرش يعتب
معاود عذبٍ لم يكدر بمشرب
منعمةً حسانة المتجلبب

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني عمي قال:

بلغ عمر بن أبي ربيعة أن نعماً اغتسلت في غدير؛ فترل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضب.

قال الزبير قال عمي: " وقال فيها أيضاً: صوت

طال ليلي وعادني اليوم سقم
وأصابت مقاتل القلب نعم

وأصابته مقاتلي بسهام
حررة الوجه والشمائل والجو
هكذا وصف ما بدا لي منها
غير أنني أرى الثياب ملاءً
وحديث بمثله تنزل العص
م رخيخ يشوب ذلك حلم
ليس لي بالذي تغيب علم
هر تكليمها لمن نال غنم
نافذات وما تبين كلم

عروضه من الخفيف. غنى ابن سريج في الأربعة الأبيات لحناً ذكره إسحاق وأبو أيوب المديني في جامع غنائه ولم يجنسه، وذكر حبش أنه خفيف رمل بالنصر.

مناقشة بين إسحاق وإبراهيم بن المهدي في معبد وابن سريج: أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدثني عمرو بن بانه قال: كنت حاضراً مع إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند إبراهيم بن المهدي، فتفاوضنا حديث المغنين، ثم انتهوا إلى أن حكى إسحاق قول عمر بن أبي خليفة: "إذا تمعبد ابن سريج كان أحسن الناس غناءً". فقال إبراهيم لإسحاق: حاشاك يا أبا محمد أم تقول هذا! فقد رفع الله علمك وقدر ابن سريج عن مثل هذا القول، وأغنى ابن سريج بنفسه عن أن يقال له تمعبد؛ وما كان معبد يضع نفسه هذا الموضع؛ وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول: أصبحت اليوم سريجياً. وما قد أنصف أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي معبداً في هذا القول؛ لأن معبداً وإن كان يعظم ابن سريج ويوفيه حقه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده. وقد مضى في صدر الكتاب خبر ابن سريج لما قدم المدينة مع الغريض ليستمنحاً أهلها، فسمعاه وهو يصيد الطير يغني لحنه:

القصر فالنخل فالجماء بينهما

فرجع ابن سريج ورد الغريض وقال: لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلام فيهم يصيد الطير، فكيف بمن داخل الجونة!.

تعظيم ابن سريج لمعبد وأخذه عنه: وأظرف ذلك من أخباره وأدل على تعظيم ابن سريج معبداً ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن سليمان النوفلي، قال حدثني أبي قال: التقى ابن سريج ومعبد ليلة بعد افتراق طويل وبعد عهد؛ فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد افتراقهما؛ فتغنى هذا وتغنى هذا؛ ثم تغنى ابن سريج لحنه في:

أنا الهالك المسلوب مهجة نفسه
إذا جاوزت مرأً وعسفان غيرها

فغناه مرسلأ لا صبيحة فيه. فقال له معبد: أفلا حسنته بصيحة! قال: فأين أضعها؟ قال: في:

غدت سافراً والشمس قد ذر قرنهما

قال: فصح أنت فيه حتى أسمع منك. قال: فصاح فيه معبداً الصيحة التي يغني بها فيه اليوم. فاستعاده ابن سريج حتى أخذه فغنى صوته كما رسمه معبداً فحسن به جداً. وفي هذا دليل يبين فيه التحامل على معبد في الحكاية. صوت

غدت سافراً والشمس قد ذر قرنهما فأغشى شعاع الشمس منها سفورها
وقد علمت شمس النهار بأنها إذا ما بدت يوماً سيذهب نورها
أنا الهالك المسلوب مهجة نفسه إذا جاوزت مرأً وعسفان غيرها
أهاجتك سلمى إذ أجد بكورها وهجر يوماً للرواح بعيرها

الشعر يقال: إنه لطريف العنبري. والغناء لابن سريج خفيف ثقیل أول بالوسطى في مجراها عن ابن المكي، وذكر عمرو أنه لسياط. ولإبراهيم في الثالث والأول والرابع خفيف رملٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو. وفيه لبساسة ثقیل أول بالنصر عن حبش. وفيه لابن جامع لحنٌ عن حبش من رواية أبي أيوب المديني.

ومن سبعة ابن سريج

صوت أصوات من سبعة ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة:

قرب جيراننا جمالهم ليلاً فأضحوا معاً قد ارتفعوا
ما كنت أدري بوشك بينهم حتى رأيت الحداة قد طلعا
على مصكين من جمالهم وعنتريسين فيهما شجع
يا نفس صبراً فإنه سفة بالحر أن يستفزه الجزع

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ثقیل أول بالوسطى عن عمرو. وذكر حبش أن فيه للغريض ثقیلاً أول بالنصر. وذكر ابن أبي حسان أن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي حدثه عن أبيه عن ابن جامع قال: عيب على ابن سريج خفة غنائه، فأخذ أبيات عمر بن أبي ربيعة:

قرب جيراننا جمالهم

فغنى فيها في كل إيقاع لحنًا. فجميع ما فيها من الألحان له.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني منصور بن أبي مزاحم قال حدثني رزام أبو قيس مولى خالد بن عبد الله قال: قال لي إسماعيل بن عبد الله: يا أبا قيس، أي رجل أنت لولا أنك تحب السماع! قلت: أصلحك الله! أما والله لو سمعت فلانة تغنيك:

قرب جيراننا جمالهم

ليلاً فأضحوا معاً قد ارتفعوا

لعذرتني. فقال: يا أبا قيس، لا عاتبتك بعد هذا أبداً.

ومنها: صوت

بيننا كذلك إذ عجاجة موكب

رفعوا ذميل العيس في الصحراء

قالت أبو الخطاب أعرف زيه

ولباسه لا شك غير خفاء

الشعر لابن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج ثقیلاً أول بالبنصر، وذكر الهشامي وأبو العيس أنه لمعبد؛ وليس الأمر كما ذكره.

ومنها: صوت وهو الذي أوله:

إن جاء فليأت على بغلة

أو الربا دونهما منزلاً

سلمى عديهِ سرحتي مالك

إن جاء فليأت على بغلة

إنني أخاف المهر أن يصهلاً

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سريج من رواية يحيى بن المكي والهشامي ثقیلاً أول بالبنصر، وذكر يونس أنه للغريض، وذكره إسحاق في أغاني الغريض ولم يحنسه.

أغاني الخلفاء وأولادهم

من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى ومن لم يثبت عنه ذلك: قال مؤلف هذا الكتاب: المنسوب إلى الخلفاء من الأغاني والمصنوع بهم منها لا أصل لجله ولا حقيقة لأكثره، لا سيما ما حكاه ابن خردادبة فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنى في هذا البيت:

كأن راكبها غصنٌ بمروحة

ثم وإلى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد، حتى كأن ذلك عنده ميراث من موارث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بد منه ولا معدل عنه، يخطب خطب العشواء ويجمع جمع حاطب الليل. فامعمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يروى عن كل أحد لبعد عنه؛ وإنما روي أنه تمثل بهذا البيت وقد ركب ناقه فاستوطأها، لا أنه غنى به، ولا كان الغناء العربي أيضاً عرف في زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النصب والحداء، وذلك جار مجرى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت. والذي صح من ذلك عن رواة هذا الشأن فأنا ذاكرٌ منه ما كان متقن الصنعة لاحقاً بجيد الغناء قريباً من صنعة الأوائل وسالكاً مذاهبهم لا ما كان ضعيفاً سخيفاً، وجامعٌ منه ما اتصل به خبرٌ له يستحسن ويجري مجرى هذا الكتاب وما تضمنه.

فأول من دونت له صنعةٌ منهم عمر بن عبد العزيز؛ فإنه ذكر عنه أنه صنع في أيام إمارته على الحجاز سبعة ألحان

يذكر سعاد فيها كلها؛ فبعضها عرفت الشاعر القائل له فذكرت خبره، وبعضها لم أعرف قائله فأُتيت به كما وقع إلي. فإن مر بي بعد وقتي هذا أثبتته في موضعه وشرحت من أخباره ما اتصل بي، وإن لم يقع لي ووقع إلى بعض من كتب هذا الكتاب فمن أقل الحقوق عليه أن يتكلف إثباته ولا يستثقل تجشم هذا القليل فقد وصل إلى فوائد جمة تجشمناها له ولنظرائه في هذا الكتاب، فحظي بها من غير نصبٍ ولا كدح؛ فإن جمال ذلك موفر عليه إذا نسب إليه، وعييه عنا ساقطٌ مع اعتذارنا عنه إن شاء الله.

ومن الناس ممن ينكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصنعة ويقول: إنها أصواتٌ محكمة العمل لا يقدر على مثلها إلا من طالت دربته بالصنعة وحذق الغناء ومهر فيه وتمكن منه. ولم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الأوقات ولا حال من الحالات اشتهر بالغناء ولا عرف به ولا بمعاشرة أهله، ولا جالس من ينقل ذلك عنه ويؤديه؛ وإنما هو شيء يحسن المغنون نسبته إليه. وروي من غير وجه خلافٌ لذلك وإثباتٌ لصنعتة إياها، وهو أصح القولين؛ لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجة أكثر من هذا الظن والدعوى، ومخالفتهم قد أيدتهم أخبارٌ رويت.

عمر بن عبد العزيز والغناء

أخبرني محمد بن خلف وكيع والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق قال حدثني أبي عن أبيه وعن إسماعيل ابن جامع عن سباط عن يونس الكاتب عن شهدة أم عاتكة بنت شهدة عن كردم بن معبد عن أبيه: أن عمر بن عبد العزيز طارحه لحنه في:

ألما صاحبي نزر سعادا

ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدثني أبو يعلى زرقان غلام أبي الهذيل وصاحب أحمد بن أبي داود قال حدثني محمد بن يونس قال حدثني هاتفٌ أراه قال أم ولد المعتصم قالت حدثني عليّة بنت المهدي قالت حدثني عاتكة بنت شهدة عن أمها شهدة عن كردم قال: طرح علي عمر بن عبد العزيز لحنه:

عادت القلب فعادا

أو نهى عنها تمادى

قد عصى فيها وزادا

علق القلب سعادا

كلما عوتب فيها

وهو مشغوف بسعدى

قال كردم: وكان عمر أحسن خلق الله صوتاً، وكان حسن القراءة للقرآن.

ونسخت من كتاب ابن الكرنبي بخطه حدثني أحمد بن الفتح الحجاجي في مجلس حماد بن إسحاق قال أخبرني أحمد بن الحسين قال: رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم وعليه عمامةٌ ورأيت الشجة في وجهه تدل على أنها

ضربة حافرٍ، فسمعتة يقول: قال عمر بن الخطاب: لا تعلموا نساءكم الخلع . قال حدثني محمد بن الحسين:
فأقبلت عليه في نومي فقلت له: يا أمير المؤمنين، صوتٌ يزعم الناس أنك صنعته في شعر جرير:

ألما صاحبي نزر سعادا
لوشك فراقها وذرا البعادا
لعمرك إن نفع سعاد عني
لمصروفٌ ونفعي عن سعادا
إلى الفاروق ينتسب ابن ليلي
ومروان الذي رفع العمادا

فتبسم عمر ولم يرد علي شيئاً.

نسبة هذين الصوتين صوت

ألما صاحبي نزر سعادا
لوشك فراقها وذرا البعادا
لعمرك إن نفع سعاد عني
لمصروفٌ ونفعي عن سعادا
إلى الفاروق ينتسب ابن ليلي
ومروان الذي رفع العمادا

الشعر لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان. والغناء لعمر بن عبد العزيز ثقيلٌ أول مطلق في مجرى البصر.
وفيه خفيف ثقيل ينسب إلى معبد.

صوت

علق القلب سعادا
كلمما عوتب فيها
عادت القلب فعادا
أو نهى عنا تمادى
قد عصى فيها وزادا
وهو مشغوفٌ بسعدى

الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيف ثقيل. وفيه ثاني ثقيل ينسب إلى الهذلي.

ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره هو أشج بني مروان: عمر بن عبد العزيز مروان بن الحكم بن أبي
العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. ويكنى أبا حفص. وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه. وكان يقال له أشج قريش؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافرٍ. فذكر يحيى بن سعيد
الأموي عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كان يؤثر عمر بن عبد العزيز ويرق عليه ويدنيه، وإذا دخل عليه رفعه
فوق ولده جميعاً إلا الوليد. فعاتبه بعض بنيه على ذلك، فقال له: أو ما تعلم لم فعلت ذلك؟ قال لا. قال: إن
هذا سيلي الخلافة يوماً وهو أشج بني مروان الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تملأ جوراً، فمالى لا أحبه وأدنيه !.

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا الرياشي قال حدثنا سالم بن عجلان قال: خرج عمر بن عبد العزيز يلعب
فرمته بغلة على جبينه. فبلغ الخبر أمه أم عاصم، فخرجت في خدمها، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت:
أما الكبير فيخدم، وأما الصغير فيكرم، وأما الوسط فيضيع ! لما لا تتخذ لابني حاضناً حتى أصابه ما ترى !

فجعل عبد العزيز يمسح الدم عن وجهه، ثم نظر إليها وقال لها: ويحك ! إن كان أشج بني مروان، أو أشج بني

أمية، إنه لسعيد !.

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن أحمد المقدمي قال حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضمرة قال سمعت ثروان مولى عمر بن عبد العزيز قال: دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبل أبيه، فضربه فرس على وجهه، فأوتي به أبوه يحمل. فجعل أبوه يمسح الدم عن وجهه ويقول: لئن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد.

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب:

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا مصعب الزيري قال: كانت بنت لعبيد الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نعيم النحام فماتت، فأخذ عاصم بن عمر بيده فأدخله منزله، وأخرج إليه ابنتيه حفصة وأم عاصم، فقال له: اختر فأختار حفصة فزوجها إياه. فقليل له تركت أم عاصم وهي أجملهما ! فقال: رأيت جارية رائعة، وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت: عليهم أن يصيبوا من دنياهم. فتزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده. وقتل إبراهيم بن نعيم يوم الحرة. وماتت أم عاصم عند عبد العزيز بن مروان؛ فتزوج أختها حفصة بعدها، فحملت إليه بمصر؛ فمرت بأيلة وبها مخنث أو معتوه وقد كان أهدى لأم عاصم حين مرت به فأثابته. فلما مرت به حفصة أهدى لها فلم تثبه. فقال: "ليست حفصة من رجال أم عاصم" فذهبت مثلاً.

لما ولي بدأ بأهل بيته وأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو بكر الرمادي وسليمان بن أبي شيخ قال حدثنا أبو صالح كاتب الليث قال حدثني الليث قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز، بدأ بلحمته وأهل بيته، فأخذ ما كان في أيديهم وسمى أعمالهم المظالم. ففرغت بني أمية إلى فاطمة بنت مروان عمته. فأرسلت إليه: إنه قد عاني أمرٌ لا بد من لقاءك فيه. فأثته ليلاً فأنزلها عن دابتها. فلما أخذت مجلسها قال: يا عمة، أنت أولى بالكلام لأن الحاجة لك فتكلمي. قالت: تكلم يا أمير المؤمنين. فقال: إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمةً، لم يبعثه عذاباً، إلى الناس كافة، ثم اختار له ما عنده فقبضه إليه، وترك لهم نهراً شربهم فيه سواء. ثم قام أبو بكر فترك النهر على حاله. ثم ولي عمر فعمل على عمل صاحبه، فلما ولي عثمان اشتق من ذلك النهر نهراً. ثم ولي معاوية فشق منه الأنهار. ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمر إلي، وقد يبس النهر الأعظم ولن يروى أصحاب النهر حتى يعود إليهم النهر الأعظم إلى ما كان عليه. فقالت له: قد أردت كلامك ومذاكرتك. فأما إذ كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيئاً أبداً. ورجعت إليهم فأبلغتهم كلامه.

وقال سليمان بن أبي شيخ في خبره: فلما رجعت إلى بني أمية قالت لهم: ذوقوا مغبة أمركم في تزويجكم آل عمر بن الخطاب.

كثير والأحوص ونصيب عند عمر بن عبد العزيز: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال أخبرني عبد الله بن دينار

مولى بني نصر بن معاوية قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سهيل عن حماد الراوية، وأخبرني محمد بن حسين الكندي خطيب القادسية قال حدثنا الرياشي قال حدثنا شيبان بن مالك قال حدثنا عبد الله بن إسماعيل الجحدري عن حماد الراوية، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرياشي، قال: دخلت المدينة ألتبس العلم، فكان أول من لقيت كثير عزة. فقلت: يا أبا صخر، ما عندك من بضاعتي؟ قال: عندي ما عند الأحوص ونصيب. قلت: وما هو؟ قال: هما أحق بإخبارك. فقلت له: إن لم نحث المطي نحوكم شهراً نطلب ما عندكم إلا ل يبقى لكم ذكرٌ، وقل من يفعل ذلك، فأخبرني عما سألتك ليكون ما تخبرني به حديثاً آخذه عنك. فقال: إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان، قدمت أنا ونصيب والأحوص وكل واحد منا يدل بسابقتها عند عبد العزيز وإخائه لعمر. فكان أول من لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ فتي العرب، وكل واحد منا ينظر في عطفيه لا يشك أنه شريك الخليفة في الخلافة، فأحسن ضيافتنا وأكرم مثنوانا، ثم قال: أما علمتم أن إمامكم لا يعطي الشعراء شيئاً؟ قلنا: قد جئنا الآن، فوجه لنا في هذا الأمر وجهاً. فقال: إن كان ذو دين من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي ذوي دنياهم من يقضي حوائجكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل. فأقمنا على بابهِ أربعة أشهر لا نصل إليه، وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن. فقلت: لو أتيت المسجد يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئاً! فأتيت المسجد فأنا أول من حفظ كلامه سمعته يقول في خطبة له: لكل سفرٍ زادٌ لا محالة، فهتزدوا من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه، فعمل طلباً لهذا وخوفاً من هذا. ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم. واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في الآخرة. فأما من لا يداوي جرحاً إلا أصابه جرحٌ من ناحية أخرى، فكيف يطمئن بالدنيا! أعوذ بالله أن آمركم بما أمهى نفسي عنه فتخسر صفقتي، وتبدو عيلتي، وتظهر مسكنتي يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق. فارتج المسجد بالبكاء، وبكى عمر حتى بل ثوبه، حتى ظننا أنه قاضٍ نحبه. فبلغت إلى صاحبي فقلت: جددا لعمر من الشعر غير ما أعدناه، فليس الرجل بدنيوي. ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم الجمعة بعد ما أذن للعامّة. فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فرد علينا. فقلت له: يا أمير المؤمنين، طال الثواء وقلت الفائدة وتحدثت بجفائك إيانا وفود العرب. فقال: يا كثير، أما سمعت إلى قول الله عز وجل في كتابه "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم" أفمن هؤلاء أنت؟ فقلت له وأنا ضاحك: أنا ابن سبيلٍ ومنقطع به. قال: أولست ضيف أبي سعيد؟ قلت بلى. قال: ما أحسب من كان ضيف أبي سعيد ابن سبيل ولا منقطعاً به. ثم استأذنته في الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلا حقاً؛ فإن الله سائلك. فقلت:

برياً ولم تتبع مقالة مجرم

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف

فعلت، فأضحى راضياً كل مسلم

وقلت فصدقت الذي قلت بالذي

من الأود الباقي ثقاف المقوم

ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغهِ

لقد لبست لبس الهلوك ثيابها
وتومض أحياناً بعين مريضة
فأعرضت عنها مشمئزاً كأنما
وقد كنت من أجبالها في ممنع
وما زلت سباقاً إلى كل غاية
فلما أتاك الملك عفواً ولم يكن
تركت الذي يفنى وإن كان موقفاً
فاضررت بالفاني وشمرت للذي
ومالك أن كنت الخليفة مانع
سما لك هم في الفؤاد مؤرق
فما بين شرق الأرض والغرب كلها
يقول: أمير المؤمنين ظلمتني
ولا بسط كف لامرئ ظالم له
فلو يستطيع المسلمون تقسموا

وأبدت لك الدنيا بكف ومعصم
وتبسم عن مثل الجمان المنظم
سقتك مدوفاً من سمam وعلقم
ومن بحرها في مزبد الموج مفعم
صعدت بها أعلى البناء المقدم
لطالب دنيا بعده من تكلم
وآثرت ما يبقى برأي مصمم
أمامك في يوم من الهوال مظلم
سوى الله من مال رغيب ولا دم
صعدت به أعلى المعالي بسلم
مناد ينادي من فصيح وأعجم
بأخذ لدينار ولا أخذ درهم
ولا السفك منه ظالماً ملء محجم
لك الشطر من أعمارهم غير ندم

فعشت به ما حج الله راكب

فأربح بها من صفقة لمبايع

فقال لي: يا كثير، إن الله سائلك عن كل ما قلت. ثم تقدم إليه الأحوص فأستأذنه فقال: قل ولا تقل إلا حقاً؛
فإن الله سائلك. فأنشده:

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف
فلا تقبلن إلا الذي وافق الرضى
رأيك لم تعدل عن الحق يمنة
ولكن أخذت القصد جهدك كله
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا

بمنطق حق أو بمنطق باطل
ولا ترجعنا كالنساء الأرامل
ولا يسرة فعل الظلوم المجادل
وتقفوا مثال الصالحين الأوائل
ومن ذا يرد الحق من قول عاذل

ومن ذا يرد السهم بعد مروه
ولولا الذي قد عودتنا خلائف
لما وخذت شهراً برحلي جسر
ولكن رجونا منك مثل الذي به
فإن لم يكن للشعر عندك موضع
وكان مصيباً صادقاً لا يعيبه
فإن لنا قربي ومحض مودة
فذاذوا عدو السلم عن عقر دارهم
فقلبك ما أعطى الهنيئة جلة
رسول الإله المصطفى بنبوة
فكل الذي عدت يكفيك بعضه
ونيلك خير من بحور السوائل

فقال له عمر: يا أحوص، إن الله سائلك عن كل ما قلت. ثم تقدم إليه نصيب فاستأذن في الإنشاد، فأبى أن يأذن له وغضب غضباً شديداً، وأمره باللاحاق بدابق. وأمر لي وللأحوص لكل واحد بمائة وخمسين درهماً. وقال الرياشي في خبره: فقال لنا: ما عندي ما أعطيكم، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم منه. فانتظرنا حتى خرج فأمر لي وللأحوص بثلاثمائة درهم، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهماً. فما رأيت أعظم بركة من الثلاث المائة التي أعطاني، ابتعت بها وصيفةً فعلمتها الغناء فبعتها بألف دينار. خبر دكين الراجز معه: أخبرني عمي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: قال دكين الراجز: امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمسة عشرة ناقة كرائم، فكرهت أن أرمي بهن الفجاج، ولم تطب نفسي ببيعهن. فقدمت علينا رفقة من مصر، فسألتهم الصحبة، فقالوا: ذاك إليك، ونحن نخرج الليلة، فأتيته فودعته وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لي: يا دكين إن لي نفساً توافقه، فإن صرت إلى أكثر مما أنا فيه فأتني ولك الإحسان. قلت: أشهد لي بذلك. قال: أشهد الله به. قلت: ومن خلقه؟ قال: هذين الشيخين. فأقبلت على أحدهما فقلت: من أنت أعرفك؟ قال: سالم بن عبد الله بن عمر. فقلت له لقد استسمت الشاهد. وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. فخرجت إلى بلدي بهن، فرمى الله في أذناهن بالبركة حتى اعتقدت منهن الإبل والعبيد. فإني لبصحراء فلج إذا ناع ينعي سليمان. قلت: فمن القائم بعده؟ قال: عمر بن عبد العزيز. فتوجهت نحوه، فلقيني جريئاً متصرفاً من عنده. فقلت: يا أبا حزره، من أين؟

فقال: من عند من يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء. فانطلقت فإذا هو في عرصة دار وقد أحاط الناس به، فلم أخلص إليه فناديت:

يا عمر الخيرات والمكارم
إني امرؤ من قطن بن دارم
وعمر الدسائع العظائم
طلبت ديني من أخي مكارم
عند أبي يحيى وعند سالم
إذ تنتحي والليل غير نائم

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدوي عندي شهادة عليك، فقال: أعرفها، أدنُ يا دكين، أنا كما ذكرت لك، إن نفسي لم تنل شيئاً قط إلا تآقت لما هو فوقه، وقد نلت غاية الدنيا فنفسي تتوق إلى الآخرة، والله ما رزأت من أموال الناس شيئاً، ولا عندي إلا ألف درهم، فخذ نصفها. قال: فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظم بركة منه. قال: ودكين الذي يقول:

إذا المرء يدينس من اللؤم عرضه
وإن هو لم يرفع عن اللؤم نفسه
فكل رداء يرتديه جميل
فليس إلى حسن الثناء سبيل

زهده بعد أن ولي الخلافة: أخبرني الحرمي عن الزبير عن هارون بن صالح عن أبيه قال: كنا نعطي الغسال الدراهم الكثيرة حتى يغسل ثيابنا في أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطيب فيها يعني المسك. قال: ثم رأيت ثيابه بعد ذلك وقد ولي الخلافة فرأيت غير ما كنت أعرف. حبه آل البيت: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي عن نافع بن أبي نعيم قال: قدم عبد الله بن الحسن بن الحسن على عمر بن عبد العزيز فقال: إنك لا تغنم أهلك شيئاً خيراً من نفسك فارجع، وأتبعه حوائجه.

قال الرياشي وحدثنا نصر بن علي قال حدثنا أبو أحمد محمد بن الزبير الأسدي عن سعيد بن أبان قال. رأيت عمر بن عبد العزيز آخذاً بسرة عبد الله بن حسن وقال: اذكرها عندك تشفع لي يوم القيامة. حدثني أبو عبيد الصيرفي قال حدثنا الفضل بن الحسن المصري قال حدثنا عبد الله بن عمر القواريري قال حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبان القرشي قال: دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السن وله وفرة، فرفع مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه، ثم أخذ عكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه وقال له: أذكرها عندك للشفاعة. فلما خرج لأمه أهله وقالوا: فعلت هذا بغلام حديث السن! فقال: إن الثقة حدثني حتى كأني اسمعه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها" وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها. قالوا: فما معنى غمزك بطنه وقولك ما قلت؟ قال: إنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى علي: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مورك قال: كنت بالشام زمن ولي عمر بن عبد العزيز، وكان بخصاصة، وكان يعطي الغرباء مائتي درهم. قال فجئته فأجده متكئاً على إزار وكساء من صوف. فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل الحجاز. قال: من أيهم؟ قلت: من أهل المدينة. قال: من أيهم؟ قلت من قريش. قال: من أي قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أي بني هاشم؟ قلت: مولى علي. قال: من علي؟ فسكت. قال: من؟! فقلت ابن أبي طالب. فجلس وطرح الكساء ثم وضع يده على صدره وقال: وأنا والله مولى علي، ثم قال: أشهد على عدد ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كنت مولاه فعلي مولاه". أين مزاحم؟ كم تعطي مثله؟ قال: مائتي درهم. قال: أعطه خمسين ديناراً لولائه من علي. ثم قال: أفي فرض أنت؟ قلت لا. قال: وافرض له، ثم قال: الحق بلادك فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتني غيرك.

سمى عمر بن علي نخله غلامه مورقاً: قال أبو زيد فحدثني عيسى بن عبد الله قال حدثني أبي عن أبيه قال قال أبي: ولد لي غلامٌ يوم قام عمر بن عبد العزيز، فغدوت عليه فقلت له: ولد لي في هذه الليلة غلام. فقال لي: ممن؟ قلت: من التغلبية. قال: فهب لي اسمه. قلت نعم. قال: قد سميت اسمي ونخلته غلامي مورقاً، وكان نوبياً فأعتقه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك؛ فولده اليوم موالينا.

كان يكرم عبد الله بن الحسن: أخبرني محمد بن العباس قال حدثنا عمر قال حدثنا عيسى بن عبد الله قال أخبرني موسى بن عبد الله بن حسن عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يراني إذا كانت لي حاجة أتردد إلى بابه. فقال لي: ألم أقل لك: إذا كانت لك حاجة فارع بها إلي! فوالله إني لأستحي من الله أن يراك على بابي. لم يفد من ولايته شيئاً وخلف ولده فقراء:

أخبرني عمي قال حدثني الكرائي قال حدثني العمري عن العتي عن أبيه قال: لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله، فلما رأهم استغبر ثم قال: بأي ولأمي من خلقتهم بعدي فقراء!. فقال له مسلمة بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، فتعقب فعلك وأغنهم، فما يمنعك أحدٌ في حياتك ولا يرتجعه الوالي بعدك. فنظر إليه نظر مغضب متعجب فقال: يا مسلمة، منعتهم إياه في حياتي وأشقى به بعد وفاتي! إن ولدي بين رجلين: إما مطيع لله فالله مصلح له شأنه ورازقه ما يكفيه، أو عاصٍ له فما كنت لأعينه على معصيته. يا مسلمة، إني حضرت أباك لما دفن فحملتني عيني عند قبره فرأيت أنه قد أفضى إلى أمرٍ من أمر الله راعني وهالني، فعاهدت الله ألا أعمل بمثل عمله إن وليت؛ وقد اجتهدت في ذلك طول حياتي، وأرجو أن أفضي إلى عفوٍ من الله وغفران. قال مسلمة: فلما دفن حضرت دفنه، فما فرغ من شأنه حتى حملتني عيني، فرأيت فيما يرى النائم وهو في روضة خضراء نضرة فيحاء وأنهار مطردة وعليه ثيابٌ بيضٌ، فأقبل علي فقال: يا مسلمة، لمثل هذا فليعمل العاملون. هذا أو نحوه، فإن الحكاية تزيد أو تنقص.

رثاء مسلمة بن عبد الملك: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن يحيى بن سعيد الأموي قال: لما مات عمر بن عبد العزيز وقف مسلمة عليه بعد أن أدرج في كفنه فقال: رحمك الله يا أمير المؤمنين! فقد أورثت صالحينا بك اقتداءً وهدياً، وملاّت قلوبنا بمواعظك وذكرك خشيةً وتقياً، وأثلت لنا بفضلك شرفاً وفخراً، وأبقيت لنا في الصالحين بعدك ذكراً.

كتابه إلى أسارى قسطنطينية: أخبرني الحسن قال أخبرنا الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه: أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى بقسطنطينية: أما بعد، فإنكم تعدون أنفسكم أسارى ولستم أسارى. معاذ الله! أنتم الحبساء في سبيل الله. واعلموا أي لست أقسم شيئاً بين ريعتي إلا خصصت أهلكم بأوفر ذلك وأطيبه. ولقد بعثت إليكم خمسة دنانير، خمسة دنانير. ولولا أي خشيت إن زدتم أن يحبسكم عنكم طاغية الروم لزدتكم. وقد بعثت إليكم فلان بن فلان يفادي صغيركم وكبيركم، ذكركم وأنثاكم، حركم ومملوكم بما يسأل، فأبشروا ثم أبشروا. كتاب الحسن البصري له ورده عليه: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال زعم لنا سليمان بن أرقم قال: كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز، وكان يكاثبه، فلما استخلف كتب إليه: "من الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز". فقيل له إن الرجل قد ولي وتغير. فقال: لو علمت أن غير ذلك أحب إليه لاتبعت محبته. ثم كتب: "من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز. أما بعد، فكأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزل". قال:

فمضيت إليه بالكتاب فقدمت عليه به. فإني عنده أتوقع الجواب إذ خرج يوماً غير يوم الجمعة حتى صعد المنبر واجتمع الناس. فلما كثروا قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنكم في أسلاب الماضين، وسيرتكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين. كل يوم تجهزون غادياً إلى الله ورائحاً، قد حضر أجله، وطوي عمله، وعاین الحساب، وخلع الأسلاب، وسكن التراب، ثم تدعون غير موسى ولا مهند. ثم وضع يديه على وجهه فبكى ملياً ثم رفعهما فقال: يا أيها الناس، من وصل إلينا منكم بحاجته لم نأله خيراً، ومن عجز فوالله لوددت أنه وآل عمر في العجز سواء. قال: ثم نزل. فأرسل إلي فدخلت إليه؛ فكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإنك لست بأول من كتب عليه الموت، وقد مات. والسلام".

آخر خطبة له: أخبرني ابن عمار قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا أبو مطرف المغيرة بن مطرف عن شعيب بن صفوان عن أبيه:

أن عمر بن عبد العزيز خطب بخصاصة خطبة لم يخطب بعدها، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى؛ وإن لكم معاداً يتولى الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض. واعلموا أن الأمان غداً لمن حذر الله وخافه، وباع قليلاً بكثير، ونافذاً بباقي، وخوفاً بأمان. ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون، وكذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين. ثم إنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً إلى الله ورائحاً،

قد قضى نحبه، وانقضى أجله، ثم تضعونه في صدع من الأرض في بطن لحد، ثم تدعونه غير موسدٍ ولا ممهد، قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب، ووجه للحساب، غنياً عما ترك، فقيراً إلى ما قدم. وإيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة ولا أعلم عند أحد منكم أكثر مما عندي، وأستغفر الله لي ولكم. وما يبلغنا أحد منكم حاجته يسعها ما عندنا إلا سدنا من حاجته ما قدرنا عليه، ولا أحد يتسع له ما عندنا إلا وددت أن بدئ بي وبلحمي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم. وإيم الله لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به مني ناطقاً ذلولاً علماً بأسبابه، ولكنه من الله عز وجل كتابٌ ناطق، وسنةٌ عادلة، دل فيهما على طاعته ونهى فيهما عن معصيته. ثم بكى فتلقى دموعه بطرف رداءه؛ ثم نزل فلم ير على تلك الأعواد بعد حتى قبضه الله إليه. رحمة الله عليه.

اشترى موضع قبره بعشرة دنانير: أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو سلمة المدني. عن إبراهيم بن ميسرة: أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير. وفاته: أخبرني اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو سلمة المدني قال أخبرني ابن مسلمة بن عبد الملك قال حدثني أبي مسلمة قال: كنا عند عمر في اليوم الذي توفي فيه أنا وفاطمة بنت عبد الملك؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، إنا نرى أن قد منعناك النوم، فلو تأخرنا عنك شيئاً عسى أن تنام! قال: ما أبالي لو فعلتما. قال: فتنحيت أنا وهي وبيننا وبينه ستر. قال: فما نشبنا أن سمعناه يقول: حي الوجوه حي الوجوه. فابتدرناه أنا وهي فجئناه وقد أغمض ميتاً، فإذا هاتفٌ يهتف في البيت لا نراه: "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين".

من أصواته في سعاد: ومن أصوات عمر في سعاد صوت

كما قد دين قلبك من سعادا

ألا يا دين قلبك من سليمي

ولم يدرك بذلك ما أرادا

هما سبنا الفؤاد وأصبتاه

دوارس بين حومل أو عرادا

قفا نعرف منازل من سليمي

فلم يرد الشباب بها مرادا

ذكرت بها الشباب وآل ليلى

فقد لاقيت أياماً شدادا

فإن تشب الذؤابة أم زيد

عروضه من الوافر. الشعر لأشهب بن رميلة فيما ذكر ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني. وحكى ابن الأعرابي أنه سمع بعض بني ضبة يذكر أنها لابن أبي رميلة الضبي. والغناء لعمر بن عبد العزيز رملٌ بالوسطى عن الهشامي وحبشٍ وغيرهما. وفي نسخة عمرو بن بانة الثانية: لخزرج رملٌ بالبصرة.

نسب الأشهب بن رميلة وأخباره نسبه: رميلة أمه، وهي أمة لخالد بن الملك بن ربيعة بن سلمى بن جندل بن هشل بن دارم بن عمرو بن تميم. وهو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد الدار بن جندل بن هشل بن دارم

في النسب. قال أبو عمرو: وولدها يزعمون أنها سبية من سبايا العرب، فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر، وهم رباب، وحجناء، والأشهب، وسويد.

إخوته وعزهم في الجاهلية والإسلام: فكانوا من أشد إخوة في العرب لساناً ويداً، وأمنعهم جانباً. وكثرت أموالهم في الإسلام. وكان أبوهم ثور ابتاع رمية في الجاهلية، وولدته في الجاهلية، فعزوا عزاً عظيماً، حتى كانوا إذا وردوا ماءً من مياه الصمان حظروا على الناس ما يريدون منه. وكانت لرمية قطيفة حمراء، فكانوا يأخذون الهدب من تلك القطيفة فيلقونه على الماء، أي قد سبقنا إلى هذا، فلا يرده أحد لعزهم، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويدعون ما يستغنون عنه.

يوم الصمان بينهم وبين أبناء عموماتهم:

فوردوا في بعض السنين ماءً من مياه الصمان وورد معهم ناسٌ من بني قطن بن هشل. وكانت بنو قطن بن هشل وبنو زيد بن هشل وبنو مناف بن درام حلفاء. وكانت الأعجاز حلفاء عليهم، وهم جندل وجرول وصخر بنو هشل. فأورد بعضهم بعيه فأشرعه حوضاً قد حظروا عليه. وبلغهم ذلك فغضبوا منه واجتمعوا وأحلافهم، واجتمعت الأحلاف عليهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فضرَب رباب بن رمية رأس نسير بن صبيح المعروف بأبي بدال، وأمه بنت أبي الحمام بن قراد بن مخزوم. وقال رباب في ذلك:

أول يومٍ عد من شوال

ضربته عشية الهلال

ثمت ما أبت ولا أبالي

ضرباً على رأس أبي بدال

ألا يؤوب آخر الليالي

فجمع كل واحد منهما لصاحبه. فقالت بنو قطن: يا بني جرول ويا بني صخر ويا بني مناف، ضرب صاحبكم صاحبنا ضربة لا ندري أيموت منها أم يعيش، فأنصفونا؛ فأبى القوم أن يفعلوا؛ فاقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل. وكان أبي بن أشيم أخو بني جرول وهو سيدهم خرج في حاجة له، فلقبه بعض بني قطن فأسرته وأتى به أصحابه. فقال هشل بن حري: يا بني قطن، أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً. قالوا: نعم، فقل. فقال: إن هذا لم يشهد شركم ولا حربكم، ولا يحل لكم دمه، وإن قومه أحر من يقاتلكم وشوكتهم؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخلوا سبيله. قالوا: افعل ما رأيت. فأتاه هشل بن حري فقال له: يا أبا أسماء، إن قومك قد حالوا بيننا وبين حقنا وقاتلوا دونه، وقد أمكننا الله منك، وأنت والله أوفى دماً عندنا من بني رمية، فوالله لأقتلنك أو تعطيني ما أسألك. قال: سل. قال: تجعل أن تصرف بني جرول جميعاً، فإن لم يطيعوك انصرفت ببني أشيم، فإن لم يطيعوك أتيننا. قال: نعم. فخلي سبيله تحت الليل. فأتاهم وهم بحيث يرى بعضهم بعضاً فقال: يا بني جرول انصرفوا؛ أتعرضون على قوم يريدون حقهم! ألا تتقون الله! والله لقد أسرني القوم ولو أرادوا قتلي لكان فيه وفاء بحقهم، ولكنهم يكرهون حربكم فلا تبغوا عليهم. فانصرف منهم أكثر من سبعين رجلاً. فلما رأى ذلك بنو صخر وبنو جرول قالوا: والله إن لنظلم قومنا إن قاتلناهم؛ وانصرفوا، وتخاذل القوم. فلما رأى

ذلك الأشهب بن رميلة قال: ويلكم! أفي ضربة من عصا لم تصنع شيئاً تسفكون دماءكم! والله ما به من بأس، فأعطوا قومكم حقهم. فقال حجناء ورباب: والله لننصرفن فلنلحقن بغيركم ولا نعطي ما بأيدينا. فجعل الأشهب بن رميلة يقول: ويلكم! أتخربون دار قومكم في ضربة عصاً لم تبلغ شيئاً! فلم يزل بهم حتى جاؤوا برباب فدفعوه إلى بني قطن، وأخذوا منهم أبا بدال وهو المضروب فمات في تلك الليلة في أيديهم؛ فكتموه، وأرسلوا إلى عباد بن مسعود، ومالك بن ربيعي، ومالك بن عوف، والققعقاع بن معبد، فعرضوا عليهم الدية. فقالوا: وما الدية وصاحبنا حي! قالوا: فإن صاحبكم ليس بحي. فأمسكوا وقالوا: ننظر. ثم جاؤوا إلى رباب فقالوا: أوصنا بما بدا لك. قال: دعوني أصلي. قالوا: صل. فصلى ركعتين ثم قال: أما والله إني إلى ريي لذو حاجة، وما منعي أن أزيد في صلاتي إلا أن أتروا أن ذلك فرق من الموت، فليضربني منكم رجلٌ شديد الساعد حديد السيف. فدفعوه إلى أبي خزيمة بن نسير المكني بأبي بدال فضرب عنقه، فدفنوه؛ وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان. فقال الأشهب يرثي أخاه ويلوم نفسه في دفعه إليهم لتسكن الحرب:

أعيني قلت عبرةً من أخيكما	بأن تسهرا ليل التمام وتجزعا
وباكية تبكي الرباب وقائل	جزى الله خيراً ما أعف وأمنعا
وأضرب في الهيجا إذا حمس الوغى	وأطعم إذا أمسى المراضيع جوعاً
إذا ما اعترضنا من أخينا أخاهم	روينا ولم نشف الغليل فينقعا
قرونا دماً والضيف منتظر القرى	ودعوةٍ داعٍ قد دعانا فأسمعا
مردنا وكانت هفوةً من حلومنا	بثدي إلى أولاد ضمرة أقطعا
وقد لامني قومي ونفسي تلومني	بما قال رأيي في ربابٍ وضيعا
فلو كان قلبي من حديد أذابه	ولو كان من صم الصفا لتصدعا

مضى الحديث.

أصوات عمر في سعاد

ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المكي عن أبيه قال: لعمر بن عبد العزيز في سعاد سبعة ألحان.

منها:

يا سعاد التي سبتني فؤادي	ورقادي هبي لعيني رقادي
--------------------------	------------------------

ولحنه رملٌ مطلق.

ومنها:

حظ عيني من سعاد

أبدأ طول السهاد

ولحنه رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر.

ومنها:

سبحان ربي برا سعادا

لا تعرف الوصل والوداد

ولحنه خفيف رملٍ.

ومنها:

لعمري لئن كانت سعاد هي المنى

وجنة خلد لا يمل خلودها

ولحنه ثقیل أول.

ومنها:

أسعاد جودي لا شقيت سعادا

وأجزى محبك رافةً وودادا

ولحنه خفيف رملٍ.

ومنها:

ألما صاحبي نزر سعادا

ومنها:

ألا يا دين قلبك من سلمي

وقد ذكرت طريقتهما.

كان محدثاً وفقهياً وراويّاً: وقد روي عن عمر بن عبد العزيز حديثٌ كثيرٌ وفقهٌ، وحمل عنه أهل العلم. أخبرنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا عمران بن بكار الكلاعي قال حدثنا خالد بن علي قال حدثنا بقية بن الوليد عن مبشر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عمر عن جده عبد العزيز عن معاوية بن أبي سفيان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب أن تمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار". أخبرني محمد بن عمران الصيرفي وعمي قالوا حدثنا العتري قال حدثني وزير بن محمد أبو هاشم الغساني قال حدثني محمد بن أيوب بن سعيد السكري عن عمر بن عبد العزيز عن أمه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم الإدام الخل".

غناء يزيد بن عبد الملك

ومن حكي عنه أنه صنع في شعره غناءً يزيد بن عبد الملك، ولم يأت ذلك بروايةٍ عن من يحصل قوله كما حكي

فلم تأت بأخباره ها هنا مشروحةً، وأتيت بها في أخباره مع حباية بحيث يصلح. وأما اللحن الذي ذكر أنه صنعه فهو:

صوت

أبلغ حباية أسقى ربعها المطر
ما للفؤاد سوى ذكراكم وطر
إن سار صحبي لم أملل بذكركم
أو غرسوا فهموم النفس والفكر

في هذين البيتين ثقیلٌ أول يقال إنه ليزيد بن عبد الملك. وذكر ابن المكي أنه لحباية. وحكي عن الهيثم بن عدي أن يزيد بن عبد الملك لما رأى حباية تعلقها ولم يقدر على ابتلاعها خوفاً من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز، وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز، وغناه فيهما معبد، فوصله بعد ذلك بما كان يغنيه، وأخذته حباية وغيرها عنه. وذكر الهشامي أنه مما لا يشك فيه من غناء معبد. وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحباية في صدر هذا الكتاب فاستغني عن إعادتها هنا.

غناء الوليد بن يزيد

ومن غنى منهم الوليد بن يزيد. وله أصوات صنعها مشهورة، وقد كان يضرب بالعود ويوقع بالطليل ويمشي بالدف على مذهب أهل الحجاز. أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن الفطري عن محمد بن جبر قال حدثني من سمع خالد صامة يقول: كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أغنيه:

أراني الله يا سلمى حياتي

وهو يشرب حتى سكر. ثم قال لي: هات العود، فدفعته إليه، فغناه أحسن غناء؛ فنفسست عليه إحسانه، ودعوت بطبل فجعلت أوقع عليه وهو يضرب حتى دفع العود وأخذ الطبل فجعل يوقع به أحسن إيقاع، ثم دعا بدف فأخذه ومشى به وجعل يغني أهزاج طويس حتى قلت قد عاش، ثم جلس وقد انبهر. فقلت: يا سيدي، كنت أرى أنك تأخذ عنا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ منك! فقال: اسكت ويلك! فوالله أن سمع هذا منك أحد ما دمت حياً لأقتلنك. فوالله ما حكيت عنه حتى قتل.

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرنا أبو أيوب المديني قال ذكر أبو الحسن المدائني أن يحيى مولى العبلات المعروف بفيل وهو الذي غنى:

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا

كان مقيماً بمكة. فلما قدمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غناءً وحكايةً لابن سريج؛ فقليل له: فيل.

فدعاه وقال له: امش لي بالدف، ففعل. ثم قال له الوليد: هاته حتى أمشي به، فإن أخطأت فقومي. فمشى به أحسن من مشية فيل. فقال له يحيى: جعلت فداك! إيدن لي حتى أختلف إليك لأتعلم منك. فمن مشهور صنعتته في شعره:

سباها التجيبي من عسقلان

وصفراء في الكأس كالزعفران

ستر لها دون لمس البنان

تريك القذاة وعرض الأناء

لحنه فيه خفيف رمل. وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. ولعمر الوادي فيه ثقيل أول بالوسطى عن يونس والهشامي. وقد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة.

غناء الوراق

وممن دوت صنعتته من خلفاء بني العباس الوراق بالله. ولم نعلمه حكى ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدمنا سوء العهدة فيه عن ابن خرداذبة؛ فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم غناء وأتى فيها بأشياء غثة لا يحسن لحصل ذكرها. غنى الوراق في شعر لأبي العتاهية بحضرة إسحاق ووصله: وأخبرني يحيى بن محمد الصولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت يوماً دار الوراق بغير إذن إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً. فسمعت صوت عود من بيت وترنماً لم أسمع أحسن منه قط، فأطلع خادم رأسه ثم رده وصاح بي فدخلت فإذا الوراق. فقال: أي شيء سمعت؟ فقلت: الطلاق لازم لي وكل مملوك لي حر لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسناً! فضحك فقال: وما هو! إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل واشتياه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمهم والتابعون بعدهم وكثر في حرم الله ومهاجر رسول الله. أتحب أن تسمعه مني؟ قلت: إي والذي شرفني بخطابك وجميل رأيك. فقال: يا غلام، هات العود وأعط إسحاق رطلاً. فدفع الرطل إلي وضرب وغنى في شعر لأبي العتاهية بلحن صنعته فيه:

تسفي عليها الصبا والحر جف الشمل

أضحت قبورهم من بعد عزهم

كأنهم خشب بالقاع منجدل

لا يدفعون هواماً عن وجوههم

فشربت الرطل ثم قمت فدعوت له؛ فأجلسني وقال: أتشتهي أن تسمعه ثانية؟ فقلت: إي والله، فغنايه ودعا لي برطل، ففعلت كما فعلت ثانية ثم ثالثة. وصاح ببعض خدمه وقال له: إحمل إلى إسحاق ثلثمائة ألف درهم. ثم قال: يا إسحاق، قد سمعت ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة أرطال وأخذت ثلثمائة ألف درهم، فانصرف إلى أهلك ليسروا بسرورك؛ فانصرفت بالدرهم.

صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط: أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفرات يقول سمعت عريب تقول: صنع الوراق مائة صوت ما فيها صوت ساقط. ولقد صنع في هذا الشعر:

تدني إليك فإن الحب أقصاني
يقول يا مشتكى بئي وأحزاني

هل تعلمين وراء الحب منزلةً
هذا كتاب فتى طالت بليته

لحناً من الرمل تشبه فيه بصنعة الأوائل.

نسبة هذا الصوت الشعر ليعقوب بن إسحاق الربيعي المخزومي. والغناء للوائق رملٌ بالوسطى من رواية الهشامي. أخبرني محمد بن العباس اليزيدي والحرمي بن أبي العلاء وعلي بن سليمان الأخفش قالوا حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال قال الزبير بن بكار: كتب ابن أبي مسرة المكي إلى أهل المدينة بيتين وهما:

يقول يا مشتكى بئي وأحزاني
تدني إليك فإن الحب أقصاني

هذا كتاب فتى طالت بليته
هل تعلمين وراء الحب منزلةً

قال الزبير: وكنت غائباً، فلما قدمت قال لي أهل المدينة ذلك. فقلت لهم: أكتب إليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تجيبونه!.

شعر يعقوب بن إسحاق الربيعي: أنشدني يعقوب بن إسحاق الربيعي المخزومي لنفسه:

ولست أنسى هوى هندٍ وتتساني
ويح الوشاة فإن الداء أضناني
حبي لهندٍ برى جسمي وأبلاني
وقد تتابع بي بئي وأحزاني
تدني إليك فإن الحب أقصاني

قال الوشاة لهندٍ عن تصارمنا
يعقوب ليس بمتبولٍ ولا كلفٍ
ما بي سوى الحب من هندٍ وإن بخلت
قد قلت حين بدا لي بخل سيدتي
هل تعلمين وراء الحب منزلةً

وطاعة الحب تنفي كل عصيان
ولا صدودٍ ولا في حال هجران
وأعلنوا بك فينا أي إعلان

قالت نعم قلت ما ذاكم أسيدتي
قالت فدعنا بلا صرمٍ ولا صلةٍ
حتى يشك وشاةً قد رموك بنا

ومن غناء اللوائق بالله: صوت غناؤه في شعر لذي الرمة:

بجرعاء حزوى وأبكيا في المنازل
من الوجد أو يشفي نجي البلابل

خليلي عوجاً من صدور الرواحل
لعل انحدار الدمع يعقب راحةً

الشعر لذي الرمة. والغناء للوائق بالله رملٌ مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي. ولإسحاق فيهما رملٌ بالسبابة في مجرى البصر. ولحن اللوائق منهما الذي أوله البيت الثاني وهو اللحن المحدث المسجح وله ردةٌ في "لعل". ولحن إسحاق أوله البيت الأول ثم الثاني وهو أشدهما إمساكاً وفيه صياح.

غنى إسحاق الموصلي بحضرته صوتاً أخذته عنه شاجى فأجازه: أخبرنا أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي: أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهري وقد كان تكلم له في حاجة فقضيت. فقال له: أعطاك الله أيها الأمير ما لم تخط به أمنية ولم تبلغه رغبة. قال: فاشتبهى هذا الكلام فاستعاده فأعدته. قال: ثم مكثنا ما شاء الله؛ وأرسل الواصل إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصوت الذي أمرني أن أتغنى فيه وهو:

لقد بخلت حتى لو اني سألتها

فأمر لي بمائة ألف درهم. فأقمت ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنيهم يقدر على أن يأخذ هذا الصوت مني. فلما طال مقامي قلت: يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنين يقدر على أن يأخذ هذا الغناء مني. فقال لي: ولم ويحك؟ قلت: لأني لا أصححه ولا تسخو نفسي لهم به. فلما فعلت يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتها مني؟ "يعني شجاً، وهي التي كان أهداها إلى الواصل وعمل لها المصنف الذي في أيدي الناس لإسحاق". قال: وكيف؟ فقلت: لأنها تأخذ مني وأطيب به لها نفساً، وهم يأخذونه منها. قال: فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان. فأمر لي بمائة ألف درهم أخرى، وأذن لي في الانصراف. وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضراً عنده، فقلت له عند وداعي إياه: أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تخط به أمنية ولم تبلغه رغبة. فالتفت إلي إسحاق بن إبراهيم فقال لي: ويحك يا إسحاق! تعيد الدعاء! فقلت: إي والله أعيده قاصراً أنا أو مغني. فانصرفت إلى بغداد وأقمت، حتى قدم إسحاق ففتحته مسلماً. فقال: ويلك يا إسحاق! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قلت: لا، أيها الأمير. قال: قال لي: ويحك! كنا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاق على لحننا فيفسده علينا. هذه رواية أبي أيوب.

تقدير إسحاق لغناء الواصل: قال أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى وأخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال: لما صنعت لحي في:

خليلي عوجاً من صدور الرواحل

غنيته الواصل فاستحسنه وعجب من صحة قسمته، ومكث صوته أياماً ثم قال لي: يا إسحاق، قد صنعت لحناً في صوتك وفي إيقاعه، وأمر فغنيت به؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، بغضت إلي لحي وسمجته عندي. وقد كنت استأذنته مرات في الانحدار إلى بغداد بعد أن ألقيت اللحن الذي كان أمرني بصنعه في:

لقد بخلت حتى لو اني سألتها

فمنعني ودافعني بذلك. فلما صنع لحنه الرمل في:

خليلي عوجاً من صدور الرواحل

قلت له: يا أمير المؤمنين، قد والله اقتصصت وزدت؛ فأذن لي بعد ذلك. قال أبو الحسن علي بن يحيى قلت لإسحاق: فأيهما أجود الآن لحنك فيه أو لحنه؟ فقال: لحني أجود قسمةً وأكثر عملاً، ولحنه أظرف، لأنه جعل رده من نفس قسمته، فليس يقدر على أدائه إلا متمكنٌ من نفسه. قال أبو الحسن: فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال وقال لي إسحاق: ما كان يحضر مجلس الواثق أعلم منه بالغناء. فأما نسبة هذين الصوتين، فإن أحدهما قد مضى ومضت نسبته. والآخر: صوت

أيا منشئ الموتى أقدني من التي
بها نهلت نفسي سقاماً وعلت
لقد بخلت حتى لو اني سألتها
قذى العين من ضاحي التراب لضنت

الشعر لأعرابي رواه إسحاق عنه ولم يذكر اسمه، والناس يغلطون فينسبونه إلى كثير ويظنون به من قصيدته التي أولها:

خليلي هذا رسم عزة فاعقلا
قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
وهذا خطأ ممن قال ذلك. والغناء للواثق ثاني ثقيل بالوسطى. وإسحاق في البيت الثاني وبعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى. والبيت الذي ألحقه إسحاق به من شعره:

فإن بخلت فالبخل منها سجيةٌ
وإن بذلت أعطت قليلاً وأكدت
كان يعرض غنائه على إسحاق فيدلي فيه برأيه: أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني أبو جعفر بن الدهقانة النديم قال: كان الواثق إذا أراد أن يعرض صناعته على إسحاق نسبها إلى غيره وقال: وقع إلينا صوتٌ قديم من بعض العجائز ما سمعه أحدٌ، ويأمر من يغنيه إياه. وكان إسحاق يأخذ نفسه في ذلك بقول الحق أشد أخذ، فإن كان جيداً من صناعته قرظه ووصفه واستحسنه، وإن كان مطرحةً أو فاسداً أو متوسطاً ذكر ما فيه. فربما كان للواثق فيه هوًى فيسأله عن تقويمه وإصلاح فساد، وربما اطرحه بقول إسحاق فيه؛ إلى أن صنع لحناً في قول الشاعر:

لقد بخلت حتى لو اني سألتها
قذى العين من ضاحي التراب لضنت
كان عنده مخارق لإسحاق فجفاه وأصلحت بينهما فريدة: فأعجب به واستحسنه، وأمر المغنين فغنوا فيه، وأمر بإشخاص إسحاق إليه من بغداد ليسمعه.

فكاده مخارق عنده وقال: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق شيطانٌ خبيث داهية، وإن قولك له فيما تصنعه: هذا صوتٌ وقع إلينا، لا يخفى عليه به أن الصوت لك ومن صنعتك ولا يوقع في فهمه أنه قديم، فيقول لك وبحضرتك ما يقارب هواك، فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضد ذلك. فأحفظ الواثق قوله وغازه، وقال له: أريد على هذا القول منك دليلاً. قال: أنا أقيم عليه الدليل إذا حضر. فلما قدم به وجلس في أول مجلس اندفع مخارق يغني لحن الواثق:

لقد بخلت حتى لون اني سألتها

فزاد فيه زوائد أفسدت قسمته فساداً شديداً وخفيت على الواثق لكثرة زوائد مخارق في غنائه. فسأله الواثق عنه؛ فقال: هذا غناء فاسدٌ غير مرضي عندي. فغضب الواثق وأمر بإسحاق فسحب حتى أخرج من المجلس. فلما كان من الغد قالت فريدة للواثق: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق رجل يأخذ نفسه بقول الحق في صناعته على كل حالٍ ساءته أو سرتة، لا يخاف في ذلك ضرراً ولا يرجو نفعاً؛ وما لك منه عوض. وقد كاده مخارقٌ عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تعرف، وتركه في المصراع الثاني على حاله، ونقص من البيت الثاني، وقد تبينت ذلك. وأنا أعرضه على إسحاق وأغنيه إياه على صحته، واسمع ما يقول. وما زالت تلتطف للواثق حتى رضي عنه وأمر بإحضاره. فغنته إياه فريدة كما صنعه الواثق. فلما سمعه قال: هذا صوتٌ صحيح الصنعة والقسمة والتجزئة، وما هكذا سمعته في المرة الأولى. ثم أخبر الواثق عن مواضع فسادِه حينئذٍ، وأبان ذلك له بما فهمه. وغنته فريدة عدة أصوات من القديم والحديث كلها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض. فاستحسن الواثق ذلك وأجازه يومئذٍ وحباه، وجفى مخارق مدة لما فعله به. أخبرني جحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال: كان الواثق إذا صنع شيئاً من الغناء أخبر إسحاق به وعرضه عليه حتى يصلح ما فيه ثم يظهره. وقد أخبرني الحسن بن علي عن يزيد بن محمد المهلي بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرته ها هنا وفي ألفاظه اختلاف. وقد تقدم ذكره وابتدأناه في أخبار إسحاق. والأبيات الثانية التي غنى فيها الواثق وإسحاق أنشدنيها علي بن سليمان الأخفش وعلي بن هارون بن علي بن يحيى جميعاً عن هارون بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق لأعرابيٍّ، وأنشدناها محمد بن عباس اليزيدي قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لبعض الأعراب:

ألا قاتل الله الحمامة غدوةً على الغصن ماذا هيجت حين غنت

فغنت بصوتٍ أعجميٍّ فهيجت هواي الذي كانت ضلوعي أكنت

فلو قطرت عين امرئ من صبايةٍ دماً قطرت عيني دماً وألمت

فما سكنت حتى أويت لصوتها وقلت أرى هذي الحمامة جنت

ولي زفراتٌ لم يدمن قتلنني بشوقٍ إلى نادي التي قد تولت

إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت فمن لي بأخرى في غدٍ قد أظلت

أيا منشر الموتى أعني على التي بها نهلت نفسي سقاماً وعلت

لقد بخلت حتى لو اني سألتها قذى العين من سافي التراب لصنت

فقلت ارحلا يا صاحبي فليتني
أرى كل نفس أعطيت ما تمت
حلفت لها بالله ما أم واحد
إذا ذكرته آخر الليل أنت
وما وجد أعرابية قذفت بها
صروف النوى من حيث لم تك ظنت
إذا ذكرت ماء العضاه وطيبه
وبطن الحصى من بطن خبت أرنت
بأعظم من وجدي بها غير أنني
أججم أحشائي على ما أجننت

غناه إسحاق فوصله وشعره فيه: أخبرني جحظة وابن أبي الأزهير ويحيى بن علي والحسين بن يحيى قالوا جميعاً أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه، وقد جمعت روايتهم في هذا الخبر وزدت فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه، قال: ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواصل؛ وما أحد منهم يكرمني إكرامه. ولقد غنيته لحني:

لعلك إن طالت حياتك أن ترى
بلاداً بها مبدئى لليلى ومحضر

فاستعاده مني ليلة لا يشرب على غيره، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم. ولقد قدمت عليه في بعض قدماتي، فقال لي: ويحك يا إسحاق! أما اشتقت إلي! فقلت: بلى والله ياسيدي! وقلت في ذلك أحياناً إن أمرتني أنشدتها. قال: هات؛ فأنشدته:

أشكو إلى الله بعدي عن خليفته
وما أقاسيه من همٍّ ومن كبر
لا أستطيع رحيلاً إن هممت به
يوماً إليه ولا أقوى على السفر
أنوي الرحيل إليه ثم يمنعي
ما أحدث الدهر والأيام في بصري

ثم استأذنته في إنشاد قصيدة مدحته بها فأذن لي؛ فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها:

لما أمرت بإشخاصي إليك هوى
قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمت فلم أحفل ببينهم
وطابت النفس عن فضلٍ وحماد
كم نعمة لأبيك الخير أفردني
بها وخص بأخرى بعد إفرادي
فلو شكرت أياديكم وأنعمكم
لما أحاط بها وصفي وتعدادي
لأشكرنك ما غار النجوم وما
حدا على الصبح في إثر الدجى حاد

قال علي بن يحيى خاصة في خبره: فقال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، أخبرني لو قال الخليفة لإسحاق: أحضر لي فضلاً وحماداً أليس كان يفتضح إسحاق! يعني من دمامة خلقتهما وتخلف شاهدهما. خرج معه إسحاق إلى النجف، وشعره فيها وفي حنينه إلى ولده: قال إسحاق: ثم انحدرت مع الواصل إلى النجف، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قلت في النجف قصيدة. فقال هاتهما؛ فأنشدته قولي:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف
نحي داراً لسعدى ثم ننصرف
لم ينزل الناس في سهل ولا جبل
أصفى هواء ولا أغذى من النجف
حفت ببراً وبحرٍ في جوانبها
فالبر في طرف والبحر في طرف
ما إن يزال نسيمٌ من يمانية
يأتيك منها برياً روضة أنف

حتى انتهيت إلى مديحه فقلت وقد انتهيت إلى قولي فيه:

لا يحسب الجود يفني ماله أبداً ولا يرى بذل ما يحوي من السرف
فقال لي: أحسنت يا أبا محمد! فكناني، وأمر لي بألف درهم. وانحدرنا إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نواس:

فالصالحية من أكناف كلواذا

وذكرت الصبيان وبغداد فقلت:

أتبكي على بغداد وهي قريبة
فكيف إذا ما ازددت منها غداً بعدا
لعمرك ما فارقت بغداد عن قلبي
لو أن وجدنا من فراق لها بدا
إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت
من الشوق أو كادت تموت بها وجدا
كفى حزناً أن رحلت لم تستطع لها
وداعاً ولم تحدث لساكنها عهدا

فقال لي: يا موصلي لقد اشتقت إلى بغداد! فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن اشتقت إلى الصبيان، وقد حضري بيتان. فقال: هاتهما. فقلت:

حننت إلى الأصبية الصغار
وشاقك منهم قرب المزار
وكل مفارق يزداد شوقاً
إذا دنت الديار من الديار

فقال لي: يا إسحاق، سر إلى بغداد فأقم شهراً مع صبيانك ثم عد إلينا، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم. امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه: أخبرني لحظة عن ابن حمدون: أن إسحاق كان يحضر مجالس الخلفاء إذا جلسوا للشرب في جملة المغنين وعوده معه إلى أيام الوراق، فإنه كان إذا قدم عليه يحضر مع الجلساء بغير عود، ويدنيه الوراق ولا يغني حتى يقول له: غن، فإذا قال له غن جاؤوه بعود فغنى به، وإذا فرغ العود من بين يديه إكراماً من الوراق له.

برز إسحاق عليه في لحن اشتركا فيه: أخبرني الحسين بن يحيى عن وسوسة بن الموصلي عن حماد بن إسحاق قال: كتب حمدون بن إسماعيل إلى أبي: إن أمير المؤمنين الوراق يأمرك أن تصنع لحناً في هذا الشعر:

لقد بخلت حتى لو اني سألتها

وقد كان الواثق غنى فيه غناء أعجبه، فغنى فيه أبي. فلما سمعه الواثق قال: أفسد علينا إسحاق ما كنا أعجبنا به من غنائنا. قال حماد: ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناءً حتى مات. ومن مشهور أغاني الواثق: صوت

غزالان مكحولان مؤتلفان

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله

ورمياً ففاتاني وقد رمياني

أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما

ولحنه فيه من الثقيل الأول. ولإسحاق فيه رمل.

قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن علي القرشي قال أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر الهاشمي عن إسحاق بن سليمان بن علي قال: لقيت أعرابياً بالسمية فصيحاً، فاستخففته وتأملتة فإذا هو مصفرٌ شاحب ناحل الجسم، فاستنشدته فأنشدني الشيء بعد الشيء على استكراهٍ مني له. فقلت له ما بالك؟ فوالله إنك لفصيح! فقال: أما ترى الجبلين؟ قلت بلى. قال: في ظلالهما والله يمنعني من إنشادك ويشعلني ويذهلني عن الناس. قلت: وما ذاك؟ قال: بنت عم لي قد تيمنتي وذهبت بعقلي، والله إنه لتأتي علي ساعاتٌ ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض، ولا أزال ثابت العقل ما لم يخامر ذكرها قلبي، فإذا خامره بطلت حواسي وعزب عني لي. قلت: فما يمنعك منها؟ أقله ما في يديك؟ قال: والله ما يمنعني منها غير ذلك. قلت: وكم مهرها؟ قال: مائة ناقة. قلت: فأنا ادفعها إليك إذا لتدفعها إليها. قال: والله لن فعلت ذلك إنك لأعظم الناس علي منةً. فوعدته بذلك واستنشدته ما قال فيها. فأنشدني أشياء كثيرةً منها قوله:

غزالان مكحولان مؤتلفان

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله

البيتان. فقلت له: يا أعرابي، والله لقد قتلتني بقولك "فاتاني وقد قتلاي" وأنا بريء من العباس أن لم أقم بأمرك. ثم دعوت بمركوب فركبته وحملت معي الأعرابي، فصرنا إلى أبي الجارية في جماعة من أهلي و موالي حتى زوجته إياها وضمنت عنه الصداق واشترت له مائة ناقة فسقتها عنه؛ وأقمت عندهم ثلاثاً ونحرت لهم ثلاثين جزوراً، ووهبت للأعرابي عشرة آلاف درهم وللجارية مثلها، وقلت: استعينا بهذا على اتصالكما وانصرف. فكان الأعرابي يطرقنا في كل سنة وامرأته معه فأهب له وأصله وينصرف. غناؤه في شعر حسان: ومن أغانيه - أخبرني به ذكاء وجه الرزة عن أحمد بن العلاء عن مخارق وأنه أخذه عنه - صوت:

قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

إن التي عاطيتني فرددتها

بزجاجة أرخاهما للمفصل

كلتاها حلب العصير فعاطني

يروى: "كلتاهما جلب العصير" و "حلب العصير". ويروي: "للمفصل" و "للمفصل". والمفصل: الواحد من المفصل، والمفصل هو اللسان. ذكر ذلك علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابي.

الشعر لحسان بن ثابت. والغناء للوائح خفيف رمل بالبنصر. وفيه لإبراهيم الموصلي رمل مطلق في مجرى الوسطى. وهذه الأبيات من قصيدة حسان المشهورة التي يمدح بها بني جفنة، وأولها:

أسألت رسم الدار أم لم تسأل

وهي من فاجر المديح، منها قوله:

أولاد جفنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

بيض الوجوه كريمة أنسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

تفسير القاضي عبيد الله بن الحسن لهذا الشعر: نسخت من كتاب الشاهيني: حدثني ابن علي العتري قال حدثني أحمد بن عبد الملك بن أبي السمال السعدي قال حدثني أبو ظبيان الحماني قال: اجتمعت جماعة من الحبي على شراب لهم، فتغنى رجل منهم بشعر حسان:

إن التي عاطيتها فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل

فقال رجل من القوم: ما معنى قوله "إن التي عاطيتي" فجعلها واحدة، ثم قال: "كلتاهما حلب العصير" فجعلهما اثنتين؟ فلم يعلم أحد منا الجواب. فقال الرجل من القوم: امرأته طالق ثلاثاً إن بات أو يسأل القاضي عبيد الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر. قال أبو ظبيان: فحدثني بعض أصحابنا السعديين قال: فأتيناه نتخطى إليه الأحياء حتى أتينا وهو في مسجده يصلي بين العشاءين. فلما سمع حسنا أوجز في صلاته، ثم أقبل علينا وقال: ما حاجتكم؟ فبدأ رجل منا كان احسننا بقة فقال: نحن، أعز الله القاضي، قوم نزعنا إليك من طرف البصرة في حاجة مهمة فيها بعض الشيء. فإن أذنت لنا قلنا. قال: قولوا. فذكر يمين الرجل والشعر. فقال: أما قوله "إن التي ناولتني" هي الخمرة. وقوله: "قتلت" يعني مزجت بالماء. وقوله: "كلتاهما حلب العصير" يعني به الخمر و مزاجها، فالخمر عصير العنب، والماء عصير السحاب؛ قال الله عز وجل: "وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً" انصرفوا إذا شئتم.

غناؤه لحناً على مثال لحن لمخارق: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المهلي عن أبيه قال: غنى مخارق يوماً بحضرة الوراق:

و غابت الجوزاء والمرزم

حتى إذا الليل خبا ضوءه

ينساب من مكمنه الأرقم

خرجت والوطء خفي كما

فاستملح الوراق الشعر واللحن، فصنع في نحوه:

فجئتُها حين دجا الليل

قالت إذا الليل دجا فأتنا

ولو درى حل بي الويل

خفي وطء الرجل من حارس

ولحنه فيه من الرمل. وصنع فيه الناس ألحاناً بعده: منها لعريب خفيف رمل، ومنها ثقیلٌ أول لا أعلم لمن هو؛ وسمعت ذكاء ومحمد بن إبراهيم قريضاً يغنيانه وذكراً أنهما أخذه عن أحمد بن أبي العلاء، ولا أدري لمن هو. تحدث إسحاق إليه بقصة أعرابي عاشق وغنى في شعره فوصله ووصل الأعرابي: حدثني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حمدا بن إسحاق قال حدثني أبي قال: سرت إلى سر من رأى بعد قدومي من الحج، فدخلت إلى الوراق فقال: بأي شيء أطرفتي من أحاديث الأعراب وأشعارهم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، جلس إلي فتى من الأعراب في بعض المنازل، فحدثني فرأيت منه أحلى ما رأيت من الفتيان منظراً وحديثاً وأدباً. فاستنشدته فأنشدني:

غزالان مكحولان مؤتلفان

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله

وطرفاهما للريب مسترقان

إذا أمتا التقا بجيدي تواصل

ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما

ثم تنفس تنفساً ظننت أنه قد قطع حيازيمه. فقلت: ما لك بأبي أنت؟ فقال: أن لي وراء هذين الجبلين شجناً، وقد حيل بيني وبين المرور به ونذروا دمي، وأنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين تعللاً بهما إذا قدم الحاج، ثم يحال بيني وبين ذلك. فقلت له: زدي مما قلت في ذلك. فأنشدني:

حضور فعرض بي كأنك مازح

إذا ما وردت الماء في بعض أهله

به غبر من دائه وهو صالح

فإن سألت عني حضور فقل لها

فأمرني الوراق فكتب له الشعرين. فلما كان بعد أيام دعاني فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا الشعرين لحناً فاسمعه، فإن ارتضيته أظهرناه وإن رأيت فيه موضع إصلاح أصلحته. فغني لنا من وراء الستار، فكان في نهاية الجودة، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئاً. فقلت له: أحسن والله صانعه يا أمير المؤمنين ما شاء! فقال: بحياتي؟ فقلت: وحياتك، وحلفت له بما وثق به، وأمر لي برطلٍ فشربته، ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات، وسقاني ثلاثة

أرطال وأمر لي بثلاثين ألف دلاهم. فلما كان بعد أيام دعاني فقال: قد صنع أيضاً عندنا في الشعر الآخر، وأمر فغني به؛ فكانت حالي فيه مثل الحال في الأول. فلما استحسنته وحلفت له على جودته ثلاث مرات، سقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم. ثم قال لي: هل قضيت حق هديتك؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ فأطال الله بقاءك، وتم نعمتك، ولا أفقديها منك وبك. ثم قال: لكنك لم تقض حق جليستك الأعراي ولا سألتني معونته على أمره، وقد سبقت مسألتك وكتبت بخبره إلى صاحب الحجاز وأمرته بإحضاره، وخطبت المرأة له وحمل صداقها إلى قومها عنه من مالي. فقبلت يديه وقلت: السبق إلى المكارم لك، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني: منها الصوتان اللذان في الأخبار المتقدمة.

صوت

وغابت الجوزاء والمرزم

حتى إذا الليل خبا ضوءه

ينساب من مكنمه الأرقم

أقبلت والوطء خفي كما

ذكر يحيى المكي أن اللحن لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البصر، وذكر الهشامي أنه منحولٌ. طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه في الفرات. فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وإسماعيل بن يونس وغيرهما قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كناسة قال: اصطحب شيخٌ مع شباب في سفينة في الفرات ومعه مغنية. فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جاريةٌ لبعضنا وهي مغنية، فأحببنا أن نسمع غناءها فهيناك، فإن أذنت لنا فعلنا. قال: أنا أصعد إلى طلل السفينة، فاصنعوا أنتم ما شئتم فصعد، وأخذت الجارية عودها فغنت:

وغابت الجوزاء والمرزم

حتى إذا الصبح بدا ضوءه

ينساب من مكنمه الأرقم

أقبلت والوطء خفي كما

فطرب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفرات، وجعل يغوص في الفرات ويطفو ويقول: أنا الأرقم! أنا الأرقم! فألقوا أنفسهم خلفه، فبعد لأيٍ ما استخرجوه، وقالوا له: يا شيخ، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إليكم عني! فإني والله أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون. وقال إسماعيل في خبره فقلت له: ما أصابك؟ فقال: دب شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل ونزل في رأسي مثله، فلما وردا على قلبي لم أعقل ما عملت. وأما ما في الخبر من الصنعة في: "قالت إذا الليل دجا" فإن لحن الواثق هو المشهور، وما وجدت في كتب الأغاني "غيره، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقريظ وذكاء وجه الرزة يغنيان فيه لحناً من الثقيل الأول المذموم فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه، وذكرنا جميعاً أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء. علمه بالغناء وعدد أصواته وذكر المشهور منها: وأخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حماد بن

إسحاق قال: كان الواصل أعلم الخلفاء بالغناء، وبلغت صنعته مائة صوت، وكان أحذق من غنى بضرب العود، قال: ثم ذكرها فعد منها:

يفرح الناس بالسماع وأبكي
أنا حزناً إذا سمعت السماع
ولها في الفؤاد صدعٌ مقيمٌ
مثل صدع الزجاج أعيا الصناعات

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء للواصل خفيف ثقيل. وفيه لأبي دلف خفيف رمل.
ومنها:

ألا أيها النفس التي كادها الهوى
أفأنت إذا رمت السلو غريمي
أفيقي فقد أفنيت صبري أو اصبري
لما قد لقيتيه علي ودومي

الشعر والغناء للواصل خفيف رمل ومنها:

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله
غزالان مكحولان مؤتلفان
أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما
ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

الغناء للواصل ثقيل أول. وفيه لإسحاق رمل وهو من غريب صنعته، يقال إنه صنعه بالركة.
ومنها:

كل يوم قطيعةٌ وعتاب
ينقضي دهرنا ونحن غضاب
ليت شعري أنا خصصت بهذا
دون ذا الخلق أم كذا الأحباب
فاصبر النفس لا تكونن جزوعاً
إنما الحب حسرةٌ وعذاب

فيه للواصل رمل، ولزرزور ثقيل أول، ولعريب هزج.
ومنها:

ولم أر ليلي بعد موقف ساعةٍ
بخيف منى ترمي جمار المحصبِ
ويبدي الحصى منها إذا قذفت به
من البرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليلي الغداة كناظرٍ
مع الصبح في أعقاب نجم مغرب
ألا إنما غادرت يا أم مالكٍ
صدى أينما تذهب به الريح يذهب

الصنعة في هذا الشعر ثقيل أول وهو لحن الواصل فيما أرى. ونسبه حبش، وهو قليل التحصيل، إلى ابن محرز في موضع، وإلى سليم في موضع آخر، وإلى معبد في موضع ثالث.
ومنها:

أمست وشاتك قد دبّت عقاربها
وقد رموك بعين الغش وابتدروا

تريك أعينهم ما في صدورهم إن الصدور يؤدي غيبها النظر
الشعر للمحنون. والغناء للوائق ثاني ثقيل. وفيه لمتيم ثقيل أول. وقد نسب لحن كل واحد منهما إلى الآخر.
ومنها:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فيا هجر ليلي قد بلغت بي المدى وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر
الغناء للوائق رمل. وفيه لمبعد ثاني ثقيل بالوسطى، ولابن سريج ثقيل أول بالبنصر، ولعريب ثقيل أول آخر.
ومنها:

كأن شخصي وشخصه حكيا نظام نسرينتين في غصن
فليت ليلي وليله أبداً دام ودمنا به فلم نب
الشعر أظنه لعلي بن هشام أو لمراد. ولحن الواثق فيه ثقيل أول. وفيه لعريب ثقيل أول آخر. وفيه لأبي عيسى بن
الرشيد ولتيم لحنان لم يقع إلي جنسهما.
ومنها:

أهابك إجلالاً وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها
وما فارقتك النفس يا ليل أنها قللتك ولكن قل منك نصيبها
لحن الواثق فيه ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى. وفيه لغيره لحن.
ومنها:

في فمي ماء وهل ين طق من في فيه ماء!
أنا مملوك لمملو ك عليه الرقباء
كنت حراً هاشمياً فاسترقتني الإماء
وسباني من له كا ن على الكره السباء
أحمد الله على ما ساقه نحوي القضاء
ما بعيني دموع أنفد الدمع البكاء
الغناء للوائق رمل.
ومنها:

أي عون على الهموم ثلاث مترعات من بعدهن ثلاث

لا بطاءً لكنهن حثاث

بعدها أربع تنمة عشر

فيه رمل ينسب إلى الواصل وإلى متمم.

ومنها :

فما لكما من أن تلتما به بد

أيا عبرة العينين قد ظمى الحد

كأن لم يكن من قبل بينهما ود

ويا مقلة قد صار يبغضها الكرى

فمعد بين العين والعبرة الوجد

لئن كان طول العهد أحدث سلوة

على أن قلبي من قلوبهم فرد

وما أنا إلا كالذين تخرموا

الشعر والغناء للواصل رمل. وفيه لأبي حشيشة هزج، ذكر ذلك الهشامي الملقب بالمسك، وأخبرني لحظة أنه للمسود. وأخبرني لحظة أن من صنعة أبي حشيشة في شعر الواصل خفيف رمل وهو:

وعلق القلب به ومرضا

سألته حويجة فأعرضا

فكان ما كان وكابرنا القضا

فاستل مني سيف عزم منتضى

قال: وفي هذا الشعر أيضاً للواصل رمل، ولقلم الصالحية فيه هزج. وقد غلط لحظة في هذا الشعر، وهو لسعيد بن حميد مشهور، وله فيه خبر قد ذكرناه في موضعه .

غاضبه خادم له فقال فيه شعراً غني فيه: أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جده ابن حمدون عن أبيه حمدون بن إسماعيل قال: كان الواصل يحب خادماً له كان أهدي إليه من مصر، فغاضبه يوماً وهجره، فسمع الخادم يحدث صباحاً له بحديث أغضبه عليه، إلى أن قال له: والله إنه ليجهد منذ أمس على أن أصالحه فما أفعل. فقال الواصل في ذلك:

هل أنت إلا مليك جار إذ قدرا

يا ذا الذي بعذابي ظل مفتخراً

وإن أفق مرة منه فسوف ترى

لولا الهوى لتجازينا على قدر

قال: وغنى الواصل وعلويه فيه لحنين، ذكر الهشامي أن لحن الواصل خفيف ثقيل، وفي أغانيه علويه: لحنه في هذا الشعر خفيف رمل.

غنى في شعر لعلي بن الجهم: حدثني الصولي قال حدثني بن أبي العيلاء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سهل قال: كنا وقوفاً على رأس الواصل في أول مجالسه التي جلسها لما ولي الخلافة، فقال: من ينشدنا شعراً قصيراً مليحاً؟ فحرصت على أن أعمل شيئاً فلم يجئني، فأنشدته لعلي بن الجهم:

لو هبنا لك ذنبك

لو اتصلت إلينا

مثلما تملك قلبك

لينتي أملك قلبي

أيها الواصل بالليل

ه لقد ناصحت ربك

سيدي ما أبغض العي

ش إذا فارقت قريبك

أصبحت حجتك العلي

ا وحزب الله حزبك

فاستحسنها وقال: لمن هذه؟ فقلت: لعبدك علي بن الجهم. فقال: خذ ألف دينار لك وله؛ وصنع فيه لحناً كنا نغني به بعد ذلك.

يوم له مع المغنين بسر من رأى: أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال: لما خرج المعتصم إلى عمورية استخلف الواصل بسر من رأى، فكانت أموره كلها كأمر أبيه. فوجه إلى المجلساء والمغنين أن يكرؤا إليه يوماً حدد لهم، ووجه إلى إسحاق، فحضر الجميع. فقال لهم الواصل: إني عزمت على الصبح، ولست أجلس على سرير حتى أختلط بكم ونكون كالشيء الواحد، فاجلسوا معي حلقةً، وليكن كل جليس إلى جانبه مغنٍ، فجلسوا كذلك. فقال الواصل: أنا أبدأ؛ فأخذ عوداً فغنى وشربوا وغنى من بعده، حتى انتهى إلى إسحاق فأعطي العود فلم يأخذه. فقل: دعوه. ثم غنوا دوراً آخر. فلما بلغ الغناء إلى إسحاق لم يغن، وفعل هذا ثلاث مرات. فوثب الواصل فجلس على سريره وأمر الناس فأدخلوا، فما قال لأحد منهم: اجلس. ثم قال: علي بإسحاق! فلما رآه قال: يا خوزي يا كلب! أتزل لك وأغني و ترتفع عني! أتري لو أتي قتلتك كان المعتصم يقيدني بك! ابطحوه! فبطح فضرب ثلاثين مقرةً ضرباً خفيفاً، وحلف ألا يغني سائر يومه سواه. فاعتذر وتكلمت الجماعة فيه، فأخذ العود وما زال يغني حتى انقضى ذلك اليوم، وعاد الواصل إلى مجلسه. شعره في خادم يهواه: وجدت في بعض الكتب عن ابن المعتز قال: كان الواصل يهوى خادماً له فقال فيه:

سأمنع قلبي من مودة غادر

تعبدني خبتاً بمكر مكاشر

خطبت إليه الوصل خطبة راغب

فلاحظني زهواً بطرف مهاجر

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز: وللواصل في هذا الشعر لحن من الثقيل الأول.

ألقى على غلمانته صوتاً فأخذه عنه: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال حدثني عبد أم غلام الواصل قال: دعى بنا الواصل مع صلاة الغداة وهو يستاك فقال: خذوا هذا الصوت، ونحن عشرون غلاماً كلنا يغني ويضرب، ثم ألقى علينا:

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد

حسبي بربي فلا أشكو إلى أحدٍ

فما زال يردده حتى أخذناه عنه.

نسبة هذا الصوت:

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد

حسبي بربي فلا أشكو إلى أحدٍ

أين الزمان الذي قد كنت ناعمةً

مهلةً بدنوي منك يا سندي

فقد كحلت جفون العين بالسهد

وأسأل الله يوماً منك يفرحني

نفسي عليك وما بالقلب من كمد

شوقاً إليك وما تدرين ما لقيت

الغناء للوائق ثقيلٌ أول بالبنصر. وفيه لعريب أيضاً ثقيلٌ أول بالوسطى.

كان إسحاق يصحح له غناءه: أخبرني أحمد بن جعفر لحظة قال حدثني محمد بن أحمد المكي قال حدثني أبي قال: كان الواثق يعرض صنعته على إسحاق، فيصلح الشيء بعد الشيء مما يخفى على الواثق؛ فإذا صححه أخرج به إلينا وسمعناه.

أمر مخارقاً وعلويه وعريب أن يعارضوا لحناً له: حدثنا لحظة قال حدثني حماد بن إسحاق قال حدثني مخارق قال: لما صنع الواثق لحنه في:

كأنما شف وجهها نرف

حوراء ممكورة منعمة

وصنع لحنه في " سأذكر سرباً طال ما كنت فيهم " أمرني وعلويه وعريب أن نعارض صنعته فيهما، ففعلنا واجتهدنا ثم غنينا. فضحك فقال: أمنا معكم أن نجد من ييغض إلينا صنعتنا كما بغض إسحاق إلينا " أيا منشر الموتى ". قال حماد: هذا آخر لحن صنعه أبي. يعني الذي عارض به لحن الواثق في " أيا منشر الموتى ". غناه إسحاق صوتاً فتطير به: أخبرني لحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلت يوماً إلى الواثق وهو مصطبغ، فقال لي: غني يا إسحاق بحياتك عليك صوتاً غريباً لم أسمعته منك حتى أسربه بقية يومي. فكان الله أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت:

فإنه يعجبني أن أراك

يا دار إن كان البلى قد محاك

فيك فأتى الدار من أجل ذاك

أبكي الذي قد كان لي مألفاً

-والغناء في هذا اللحن للأبجر رملٌ بالوسطى عن ابن المكي وهو الصواب، وذكر عمرو بن بانه أنه لسليم - قال فتبينت الكراهية في وجهه، وندمت على ما فرط مني. وتجلد فشراب رطلاً كان في يده، وعدلت عن الصوت إلى غيره. فكان والله ذلك اليوم آخر جلوسي معه.

وممن حكى عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصر

غناء المنتصر

فإني ذكرت ما روي عنه أنه غنى فيه على سوء العهدة في ذلك وضعف الصنعة، لئلا يشذ عن الكتاب شيء قد روي وقد تداوله الناس. فمما ذكر عنه أنه غنى فيه: صوت

عن ناظرية الخمر

سقيت كأساً كشفت

فنشطتني ولقد

كنت حزيناً خائراً

الشعر للمتتصر؁ وهو شعرٌ ضعيفٌ ركيكٌ إلا أنه يغني فيه. كان متحلفاً في قول الشعر ومتققدماً في غيره وكان يغني قبل الخلافة: وحدثني الصولي عن أحمد بن يزيد المهلي عن أبيه قال: كان طبع المتتصر متحلفاً في قول الشعر وكان متقدماً في كل شيء غيره؛ فكان إذا قال شعراً صنع فيه وأمر المغنين بإظهاره؁ وكان حسن العلم بالغناء. فلما ولي الخلافة قطع ذلك وأمر بستر ما تقدم منه. من ذلك صنعه في شعره وهو من الثقل الأول المذموم:

سقيت كأساً كشفت

عن ناظريه الخمر

قال: ومن شعره الذي غني فيه ولحنه ثاني ثقيل: صوت

متى ترفع الأيام من وضعه

وينقاد لي دهرٌ علي جموح

أعل نفسي بالرجاء وإنني

لأغدو على ما ساعني وأروح

قال: وكان أبي يستجيد هذين البيتين ويستحسنهما. ونذكرها هنا شيئاً من أخبار المتتصر في هذا المعنى دون غيره أسوة ما فعلناه في نظرائه. أراد الشرب علانية فجاء الناس ليروه فقال شعراً فتفرقوا: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال: أراد المتتصر أن يشرب في الزقاق؁ فوافي الناس من كل وجه ليروه ويخدموه؛ فوقف على شاطئ دجلة وأقبل على الناس فقال:

لعمرى لقد أسحرت خيلنا

بأكناف دجلة للملعب

والشعر "بأكناف دجلة للمصعب" ولكنه غيره لأنه تطير من ذكر المصعب -

فمن يك منا بيت آمناً

ومن يك من غيرنا يهرب

قال: فعلم أنه يريد الخلوة بالندماء والمغنين؁ فانصرفوا؁ فلم يبق معه إلا من يصلح للأنس والخدمة. جفا يزيد المهلي لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه وأكرمه: حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلي قال: كان أبي أخص الناس بالمتتصر؁ وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكل. فدخل المتوكل يوماً على المتتصر على غفلة؁ فسمع كلامه فاستحسنه؁ فأخذه إليه وجعله في جلسائه. وكان المتتصر يريد منه أن يلازمه كما كان؁ فلم يقدر على ذلك للملازمة أباه؛ فعتب عليه لتأخره عنه على ثقة بمودة وأنس به. فلما أفضت إليه الخلافة استأذن عليه؛ فحجبه وأمر بأن يعتقل في الدار فحبس أكثر يومه. ثم أذن له فدخل وسلم وقبل الأرض بين يديه ثم قبل يده؁ فأمره بالجلوس؛ ثم التفت إلى بنان بن عمرو وقال: غن؁ وكان العود في يده:

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن

ورمت بدلاً بي ولم أتبدل

- قال: والشعر للمنتصر - فغناه بنانٌ. وعلم أبي أنه أراد به بذلك فقام فقال: والله ما اخترت خدمة غيرك ولا صرت إليها إلا بعد إذنك. فقال: صدقت؛ إنما قلت هذا مازحاً؛ أتراني أتجاوز بك حكم الله عز وجل إذ يقول: "وليس عليكم جناحٌ فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً". ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فأنشده:

ألا يا قوم قد برح الخفاء	وبان الصبر مني والعزاء
تعجب صاحبي لضياح مثلي	وليس لداء محروم دواء
جفاني سيدٌ قد كان براً	ولم أذنب فما هذا الجفاء
حللت بداره وعلمت أنني	بدار لا يخيب بها الرجاء
فلما شاب رأسي في ذراه	حجبت بعقب ما بعد اللقاء
فإن تتأى ستور الإذن عنا	فما نأت المحبة والثناء
وإن يك كادني ظلماً عدوٌ	فعند البحث ينكشف الغطاء
ألم تر أن بالآفاق منا	جماجم حشو أقبرها الوفاء
وقد وصف الزمان لنا زيادٌ	وقال مقالةً فيها شفاء
ألا يا رب مغمومٍ سيحظى	بدولتنا ومسروورٍ يساء
أمنتصر الخلائف جدت فينا	كما جادت على الأرض السماء
وسعت الناس عدلاً فاستقاموا	بأحكامٍ عليهن الضياء
وليس يفوتنا ما عشت خيرٌ	كفانا أن يطول لك البقاء

قال: فقال له المنتصر: والله إنك لمن ذوي ثقتي وموضع اختياري، ولك عندي الزلفى، فطب نفسك. قال ووصلني بثلاثة آلاف دينار.

شعر الحسين بن الضحاك فيه: حدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال: لما ولي المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهناه بالخلافة وأنشده:

تجددت الدنيا بملك محمد	فأهلاً وسهلاً بالزمان المجدد
هي الدولة الغراء راحت وبكرت	مشهرةً بالرشد في كل مشهد
لعمري لقد شدت عرا الدين ببيعة	أعز بها الرحمن كل موحد

هنتك أمير المؤمنين خلافة

جمعت بها أهواء أمة محمد

قال: فأظهر إكرامه والسرور به، وقال له: إن في بقائك بهاءً بالملك، وقد ضعفت عن الحركة، فكاتبني بحاجاتك ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة. ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضي بها ديناً بلغه أنه عليه.
قال: وقال الحسين بن الضحاك فيه وقد ركب الظهور وراءه الناس، وهو آخر شعر قاله:

ألا ليت شعري أبدراً بدا

نهاراً أم الملك المنتصر

إمامٌ تضمن أثوابه

على سرجه قمراً من بشر

حمى الله دولة سلطانه

بجند القضاء وجند القدر

فلا زال ما بقيت مدة

يروح بها الدهر أو يبتكر

قال: وغنى فيه بنانٌ وعريب.

شعر يزيد المهلي فيه: حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلي قال: أول قصيدة أنشدها أبي في المنتصر بعد أن ولي الخلافة:

ليهنك ملكٌ بالسعادة طائره

موارده محمودةٌ ومصادره

فأنت الذي كنا مرجي فلم نخب

كما يرتجى من واقع الغيب باكره

بمنتصرٍ بالله تمت أمورنا

ومن ينتصر بالله فأن الله ناصره

فأمر المنتصر عريب أن تغني نشيداً في أول الأبيات وتجعل البسيط في البيت الأخير؛ فعملته وغنته به.
حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد قال: صلى المنتصر بالناس في الأضحى سنة سبع وأربعين ومائتين؛ فأنشده أبي لما انصرف:

ما استشرف الناس عيداً مثل عيدهم

مع الإمام الذي بالله ينتصر

غدا بجمع كجنح الليل يقدمه

وجهٌ أغر كما يجلو الدجى القمر

يأهمهم صادقٌ بالحق أحكمه

حزمٌ وعلمٌ بما يأتي وما يذر

لو خير الناس فاختاروا لأنفسهم

أحظ منك لما نالوه ما قدروا

قال: فأمر لهم بألف دينار، وتقدم إلى ابن المكي أن يغني في الأبيات.

غناه بنان بن عمرو بشعر مروان فأمره ألا يغني في شعر آل أبي حفصة:

حدثني الصولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني بنان بن عمرو المغني قال: غنيت يوماً بين يدي المنتصر:

هل تطمسون من السماء نجومها

بأكفكم أو تسترون هلالها

فقال لي: إياك وأن تغني بحضرتي هذا الصوت وأشباهه، فما أحب أن أغني إلا في أشعار آل أبي حفصة خاصة.

غناء المعتز بالله

ومن هذه سبيله في صنعة الغناء المعتز بالله: فإني لم أجد له منها شيئاً إلا ما ذكره الصولي في أخباره؛ فأتيت بما حكاه لليلة التي قدمتها من أي كرهت أن يخل الكتاب بشيء قد دونه الناس وتعارفوه. فمما ذكر أنه غنى فيه: صوت

بأكناف دجلة للمصعب

لعمرى لقد أصحرت خيلنا

ومن يك من غيرنا يهرب

فمن يك منا بيت آمناً

الشعر لعدي بن الرقاع. والغناء للمعتز خفيف رمل. وهذه الأبيات من قصيدة لعدي يقولها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير بطسوج مسكن، فقتل فيها مصعب بقرية من مسكن يقال لها دير الجاثليق، وذكرته الشعراء في هذه الأبيات:

بأكناف دجلة للمصعب

لعمرى لقد أصحرت خيلنا

ة لدن ومعتدل الثعلب

يهزون كل طويل القنا

وإن شئت زدت عليها أبي

فداؤك أمني وأبناؤها

يحل العقاب على المذنب

وما قلتها رهبة إنما

أزاحم كالجمال الأجرب

إذا شئت نازلت مستقتلاً

ومن يك من غيرنا يهرب

فمن يك منا بيت آمناً

أخبار عدي بن الرقاع ونسبه نسبه: هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصر بن عك بن شعل بن معاوية بن الحارث وهو عاملة بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد. وأم معاوية بن الحارث عاملة بنت وديعة من قضاة، وبها سموا عاملة. ونسبه الناس إلى الرقاع، وهو جد جده، لشهرته؛ أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام.

شاعر أموي اختص بالوليد بن عبد الملك جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة: وكان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك. وله بنت شاعرة يقال لها سلمى، ذكر ذلك ابن النطاح. وجعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام. وكان منزله بدمشق. وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم. وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك، ثم لم تتم بينهما مهاجاة، إلا أن جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته:

حي الهدملة من ذات المواعيس

ولم يصرح لأن الوليد حلف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره، فلم يصرح بهجائه. ما جرى بينه وبين جرير في حضرة الوليد بن عبد الملك: أخبرني أبو خليفة إجازةً قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني أبو الغراف قال: دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عدي بن الرقاع العاملي. فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. فقال الوليد: هذا عدي بن الرقاع. فقال جرير: فشر الثياب الرقاع، قال: ممن هو؟ قال: العاملي. فقال جرير: هي التي يقول "فيها" الله عز وجل "عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية". ثم قال:

ولكن أير العاملي طويل

يقصر باع العاملي عن الندى

فقال له عدي بن الرقاع:

أم انت امرؤ لم تدر كيف تقول

ألمك كانت أخبرتك بطوله

فقال لا! بل أدري كيف أقول. فوثب العاملي إلى رجل الوليد فقبلها وقال: أجري منه. فقال الوليد لجرير: لئن شتمته لأسرجنك ولألجمنك حتى يركبك فيعيرك الشعراء بذلك. فكفى جرير عن اسمه فقال:

جار لقبر على مران مرموس

إني إذا الشاعر المغرور حربني

شغباً على الناس في أبنائه الشوس

قد كان أشوث آباء فورثنا

فرع لئيم وأصل غير مغروس

أقصر فإن نزاراً لن يفاضلها

لم يستطع صولة البزل القناعيس

وابن اللبون إذا ما لز في قرن

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة: دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي. فقال له الوليد: أتعرف هذا؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا ابن الرقاع. قال فشر الثياب الرقاع، فممن هو؟ قال: من عاملة. قال: أمن التي قال الله تعالى فيها: "عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية"! فقال الوليد: والله ليركبنك لشاعرنا ومادحنا والرائي لأمواتنا تقول هذه المقالة!! يا غلام يأكاف ولجام. فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يعفيه فأعفاه. فقال: والله لئن هجوته لأفعلن ولأفعلن. فلم يصرح بهجائه وعرض، فقال قصيدته التي أولها:

حي الهدملة من ذات المواعيس

وقال فيها يعرض به:

غلب الأسود فما بال الضغابيس

قد جربت عركتي في كل معترك

فضل جرير عليه كثيراً في مجلس بعض الخلفاء: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني سليمان بن عياش السعدي قال: ذكر كثير وعدي بن الرقاع العاملي في مجلس بعض خلفاء بني أمية،

فامتروا فيهما أيهما أشعر وفي المجلس جرير. فقال جرير: لقد قال كثير بيتاً هو أشهر وأعرف في الناس من عدي بن الرقاع نفسه؛ ثم أنشد قول كثير:

أَنْ زَمَ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيرَةٌ وصاح غراب البين أنت حزين

قال: فحلف الخليفة لئن كان عدي بن الرقاع أعرف في الناس من بيت كثير ليسرجن جريراً وليلجمنه وليركبن عدي بن الرقاع على ظهره. فكتب إلى واليه في المدينة: إذا فرغت من خطبتك فسل الناس من الذي يقول:

أَنْ زَمَ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيرَةٌ وصاح غراب البين أنت حزين

وعن نسب ابن الرقاع. فلما فرغ الوالي من خطبته قال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أسألكم من الذي يقول:

أَنْ زَمَ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيرَةٌ

قال: فابتدروا من كل وجه يقولون: كثير كثير. ثم قال: وأمرني أن أسأل عن نسب ابن الرقاع؛ فقالوا: لا ندري؛ حتى قام أعرابي من مؤخر المسجد فقال: هو من عاملة.

نقد محمد بن المنجم بيتاً من شعره: أحبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجم: ما أحدٌ ذكر لي فأحببت أن أراه فإذا رأيته أمرت بصفعه إلا عدي بن الرقاع. قلت: ولم ذلك؟ قال: لقوله:

وعلمت حتى ما أسائل عالماً عن علم واحدةٍ لكي أزدادها

فكنت أعرض عليه أصناف العلوم، فكلما مر به شيء لا يحسنه أمرت بصفعه. جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم: حدثني إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال: كان عدي بن الرقاع يتزل بالشام، وكانت له بنت تقول الشعر. فأتاه ناس من الشعراء ليماتنوه وكان غائباً؛ فسمعت بنته وهي صغيرة لم تبلغ دور وعيدهم، فخرجت إليهم وأنشأت تقول:

تجمعتم من كل أوبٍ وبلدةٍ على واحدٍ لا زلتم قرن واحد

فأفحمتهم.

كان من أوصف الشعراء للمطية: وقال عبد الله بن مسلم: وما ينفرد به ويقدم فيه وصف المطية؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها.

استحسن أبو عمرو شعره: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال: كنت عند أبي عمرو أعرض أو يعرض عليه رجلاً بحضرتي من شعر عدي بن الرقاع، وقرأت أو قرأ هذه الأبيات:

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكانها وسط النساء أعارها عينيه أحور من جاذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنةٌ وليس بنائم

فقال أبو عمرو: أحسن والله!. فقال رجل كان يحضر مجلسه أعرابي كأنه مدني: أما والله لو رأيته مشبوحاً بين أربعة وقضبان الدفلى تأخذه لكنت أشد له استحساناً. يعني إذا كان يغني به على العود.
استحسن أبو عبيدة بيتاً له: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن علي بن المغيرة قال: كان أبو عبيدة يستحسن بيت عدي بن الرقاع:

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنةٌ وليس بنائم

جداً ويقول: ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر. وفي هذا الشعر غناء، نسبته: صوت

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم
وكأنها وسط النساء أعارها عينيه أحر من جاذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنةٌ وليس بنائم

ألم على طلل عفا متقادماً بين الذؤيب وبين غيب الناعم

عروضه من الكامل. الجاذر: جمع جؤذر وهي أولاد البقر الوحشية. وجاسم: موضع. ويروى في هذا الشعر "عاسم" مكان "جاسم". والوسنان: النائم، والوسن النوم، الواحدة منه سنة. والترنيق: الدنو من الشيء يريد أن يفعل، يقال: رنقت العقاب لصيدها إذا دنت منه، وترنيقها أيضاً أن تقصر عن الخفقان بجناحيها. ويقال: طيرٌ مرنقة إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوع ومدت أجنحتها فلم تخفق وترجحت. ويقال للقوم إذا قصروا في سيرهم، وللسابح إذا قصر في الخفق بيديه ورجليه: قد رنقوا ترنيقاً. الشعر لعدي بن الرقاع. والغناء لابن مسجح خفيف ثقل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه ثقل أول بالبنصر ينسب إليه أيضاً وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى بن المكي إليه.

استحسن أبو عمرو شعره واستحسن مدني الغناء به: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله المعروف بالحنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال: كنت عند أبي ورجل يقرأ عليه شعر عدي بن الرقاع. فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها:

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا فيه المشيب لزرت أم القاسم

قال أبي: أحسن والله عدي بن الرقاع!. قال: وعنده شيخٌ مدني جالس، فقال الشيخ: والله لئن كان عدي أحسن لما أساء أبو عباد. قال أبي: ومن هو أبو عباد؟ قال: معبد. والله لو سمعت لحنه في هذا الشعر لكان طربك أشد واستحسانك له أكثر. فجعل أبي يضحك.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن جرير عن محمد بن سلام قال: عزل الوليد بن عبد الملك

عبيدة بن عبد الرحمن عن الأردن وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكلين به: من أتاه متوجعاً وأثنى عليه فأتوني به. فأتى عدي بن الرقاع، وكان عبيدة إليه محسناً فوقف عليه وأنشأ يقول:

فما عزلوك مسبوقاً ولكن
وكننت أخي وما ولدتك أُمي
إلى الخيرات سباقاً جواداً
وقد هيضت لنكبتك القدامى
وصولاً باذلاً لي مستراداً
كذلك الله يفعل ما أراداً

فوثب المتوكلون به إليه، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جرى. فتغيظ عليه الوليد وقال له: أتمدح رجلاً قد فعلت به ما فعلت! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إلي محسناً ولي مؤثراً، وبني برّاً، ففي أي وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم! فقال: صدقت وكرمت! فقد عفوت عنك وعنه لك! فحذه وانصرف. فانصرف به إلى منزله. عده جرير أنسب الشعراء لشعر له: أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أحمد بن يحيى ثعلب قال: قال نوح بن جرير لأبيه: يا أبت، من أنسب الشعراء؟ قال له: أتعني ما قلت؟ قال: إني لست أريد من شعرك إنما أريد من شعر غيرك. قال: ابن الرقاع في قوله:

لولا الحياء وأن رأسي قد عسا
فيه المشيب لزرت أم القاسم

الثلاثة الأبيات. ثم قال لي: ما كان يبالي أن لم يقل بعدها شيئاً. عجب جرير من توفيقه في تشبيهه دقيق: أخبرني الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: قال جرير: سمعت عدي بن الرقاع ينشد:

ترجي أغن كأن إبرة روقه

فرحمته من هذا التشبيه فقلت: بأي شيء يشبهه ترى! فلما قال:

قلم أصاب من الدواة مدادها

رحمت نفسي منه.

تابع روح بن زنباع ثم خالفه وتابع نائل بن قيس في نسبهم: أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي عبید الله عن ابن حبيب عن أبي عبيدة قال: مال روح بن زنباع الجذامي إلى يزيد بن معاوية لما فصل بين الخطبتين فقال: يا أمير المؤمنين، ألحقنا بإخوتنا من معدٍ فإننا معديون، والله ما نحن من قصب الشام ولا من زعاف اليمن. فقال يزيد: إن أجمع قومك على ذلك جعلناك حيث شئت. فبلغ ذلك عدي بن الرقاع فقال:

إنارضيना وإن غابت جماعتنا
يرعى ثمانين ألفاً كان مثلهم
ما قال سيدنا روح بن زنباع
مما يخالف أحياناً على الراعي

قال: فبلغ ذلك نائل بن قيس الجذامي، فجاء يركض فرسه حتى دخل المقصورة في الجمعة الثانية، فلما قام يزيد

على المنبر، وثب فقال: أين الغادر الكاذب روح بن زنباع؟! فأشاروا إلى مجلسه. فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال: يا أمير المؤمنين، قد بلغني ما قال لك هذا، وما نعرف شيئاً منه ولا نقر به، ولكننا قوم من قحطان يسعنا ما يسعهم ويعجز عنا ما يعجز عنهم. فأمسك روح ورجع حن رأيه. فقال عدي بن الرقاع في ذلك:

أضلال ليلٍ ساقطٍ أكنافه في الناس أعذر أم ضلال نهار

قحطان والدنا الذي ندعى له وأبو خزيمة خندف بن نزار

أنبيع والدنا الذي ندعى له بأبي معاشر غائب متواري

تلك التجارة لا زكاء لمتلها ذهبٌ يباع بآنك وإبار

فقال له يزيد: غيرت يابن الرقاع. قال: إن ناثلاً والله علي أعزهما سخطاً، وأنصحهما لي ولعشيرتي. قال أبو عبيدة: الإبار: جمع إبرة.

ما كان بينه وبين ابن سريج في حضرة الوليد بن عبد الملك: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم: أن الأحوص و ابن سريج قدما المدينة ، فتزلا في بعض الخانات ليصلحا من شأنهما، وقد قدم عدي بن الرقاع وكانت هذه حاله، فتزل عليهما. فلما كان في بعض الليل أفاضوا في الأحادث؛ فقال عدي بن الرقاع لابن سريج: والله لخروجنا كان لأمر المؤمنين أجدى علينا من المقام معك يا مولى بني نوفل. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك توشك أن تلهينا فتشغلنا عما قصدنا له. فقال له ابن سريج: أو قلة شكر أيضاً! فغضب عدي وقال: أنك لتمن علينا أن نزلنا عليك؛ وإني أعاهد الله ألا يظلي وإياك سقفٌ إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين. وخرج من عندهما. وقدم الوليد من باديته فأذن لهما فدخلا. وبلغه خبر ابن الرقاع وما جرى بينه وبين ابن سريج؛ فأمر بآبن سريج فأخفي في بيت ودعا بعدي فأدخله؛ فأنشد قصيدةً امتدحه بها. فلما فرغ، أوماً إلى بعض الخدم فأمر ابن سريج فغنى في شعر عدي بن الرقاع بمدح الوليد:

عرف الديار توهماً فاعتادها من بعدها شمل البلى أبلادها

فطرب عدي وقال: لا والله ما سمعت يا أمير المؤمنين بمثل هذا قط ولا ظننت أن يكون مثله طيباً وحسناً. ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت طائفٌ من الجن. أيأذن لي أمير المؤمنين أن أقول؟ قال: قل. قال: مثل هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ابن سريج يتخطى به قبائل العرب فيقال: ابن سريج المغني مولى بني نوفل بعث أمير المؤمنين إليه!. فضحك ثم قال للخدام: أخرجه فخرج. فلما رآه عدي أطرق خجلاً ثم قال: المعذرة إلى الله وإليك يا أخي، فما ظننت أنك بهذه المتزلة، وإنك لحقيقٌ أن تحتمل على كل هفوة وخطيئة. فأمر لهم الوليد بمال سوى بينهم فيه، ونادهم يومئذٍ إلى الليل.

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائر ما مضى في أخبار عدي قبله من الأشعار التي فيها غناء: صوت

عرف الدار توهماً فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها

الإرواكد كلهن قد اصطلى

حمراء أشعل أهلها إيقادا

عروضه من الكامل. الشعر لعدي بن الرقاع. والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق.

أفحمه كثير في حضرة الوليد بن عبد الملك: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: أنشد عدي بن الرقاع الوليد بن عبد الملك قصيدته التي أولها:

عرف الديار توهماً فاعتادها

وعنده كثير وقد كان يبلغه عن عدي أنه يطعن على شعره ويقول: هذا شعر حجازي مقروء إذا أصابه قر الشأم جمد وهلك. فأنشده إياها حتى أتى على قوله:

وقصيدة قد بت أجمع بينها

حتى أقوم ميلها وسنادها

فقال له كثير: لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تات فيها بميل ولا سناد فتحتاج إلى أن تقومها. ثم أنشد:

نظر المتقف في كعوب قناته

حتى يقيم ثقافه منأدا

فقال له كثير: لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها. ثم أنشد:

وعلمت حتى ما أسائل واحداً

عن علم واحدة لكي أزدادها

فقال كثير: كذبت ورب البيت الحرام! فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك. وما كنت قط أحق منك الآن حين تظن هذا بنفسك. فضحك الوليد ومن حضر، وقطع بعدي بن الرقاع حتى ما نطق.

أخبار المعتز في الأغاني ومع المغنين وما جرى هذا الجرى شعره في جارية يهواها: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني جدي حمدون بن إسماعيل قال: اصطبح المعتز في يوم ثلاثاء ونحن بين يديه ثم وثب فدخل، واعترضته جارية كان يحبها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبلها وخرج؛ فحدثني بما كان وأنشدني لنفسه في ذلك: صوت

إني قمرتك يا سؤلي ويا أملِي

أمرأ مطاعاً بلا مطلٍ ولا علل

حتى متى يا حبيب النفس تمطلني

وقد قمرتك مرات فلم تف لي

يوم الثلاثاء يومٌ سوف أشكره

إذ زارني فيه من أهوي على عجل

فلم أنل منه شيئاً غير قبلته

وكان ذلك عند أعظم النفل

قال: وعمل فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائر يومنا. الغناء في هذه الأبيات لعريب رملٌ عن الهشامي. ولأبي العبيس في الثالث والرابع هزجٌ.

طارحه بنان المغني في بيت من الشعر وتغنى فيه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلي قال حدثني أبي قال: كان المعتز يشرب على بستان مملوء من النمام وبين النمام شقائق النعمان، فدخل إليه يونس بن بغا وعليه قباءٌ أحضر؛ فقال المعتز: صوت

شبهت حمرة خده في ثوبه بشقائق النعمان في النمام

ثم قال: أحيروا. فابتدر بنان المغني، وكان ربما عبث بالبيت بعد البيت، فقال:

والقد منه إذا بدا في قرطقي كالغصن في لينٍ وحسن قوام

فقال له المعتز: فغن فيه الآن، فعمل فيه لحنًا. لحن بنان في هذين البتتين من خفيف الثقيل الثاني وهو الماخوري. أخبر بوفاة أم يونس بن بغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال: شرب المعتز ويونس بن بغا بين يديه يسقيه والجلساء والمغنون بين يديه وقد أعد الخلع والجوائز، إذ دخل بغا فقال: يا أمير المؤمنين، والدة عبدك يونس في الموت وهي تحب أن تراه؛ فأذن له فخرج. وفتر المعتز ونعس بعده، وقام الجلسةاء وتفرق المغنون، إلى أن صليت المغرب، وعاد المعتز إلى مجلسه، ودخل يونس وبين يديه الشموع. فلما رآه المعتز دعا برطلٍ فشربه وسقى يونس رطلًا وغناه المغنون، وعاد المجلس أحسن ما كان؛ فقال المعتز: صوت

تغيب فلا أفرح فليتك ما تبرح

وإن جنّت عذبتني بأنك لا تسمح

فأصبحت ما بين ذي ن لي كبد تجرح

على ذاك يا سيدي دنوك لي أصلح

ثم قال: غنوا فيه، فجعلوا يفكرون. فقال المعتز لسليمان بن القصار الطنبوري: ويلك! ألحان الطنبور أملح وأحف فغن فيه أنت؛ فغنى فيه لحنًا؛ فدفع إليه دنانير الخريطة وهي مائة دينار مكية ومائتان مكتوبٌ على كل دينار منها "ضرب هذا الدينار بالجوسق بخريطة أمير المؤمنين المعتز بالله" ثم دعا بالخلع والجوائز لسائر الناس، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس.

لحن سليمان بن القصار في هذه الأبيات رملٌ مطلق.

لما قتل بغا هنأه الناس بالظفر: حدثني الصولي قال حدثني محمد بن عبد السميع الهاشمي قال حدثني أبي قال: لما قتل بغا دخلنا فهنأنا المعتز بالظفر، فاصطحب ومعه يونس بن بغا، وما رأينا قط وجهين اجتماعاً أحسن من وجهيهما. فما مضت ثلاث ساعات حتى سكر، ثم خرج علينا المعتز فقال:

إلا صريعاً يهادى بين سكرين

ما إن ترى منظراً إن شئتة حسناً

تخاله والذي يهواه غصنين

سكر الشراب وسكر من هوى رشاً

ثم أمر فتغنى فيه بعض المغنين.

قصة المعتز ويونس بن بغا مع ديراني: حدثني الصولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخراساني قال حدثني الفضل بن العباس بن المأمون قال:

كنت مع المعتز في الصيد، فانقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بغا معه، ونحن بقرب قنطرة وصيف، وكان هناك ديرٌ فيه ديرانيٌ يعرفني وأعرفه، نظيفٌ ظريفٌ مليح الأدب واللفظ. فشكا المعتز العطش. فقلت: يا أمير المؤمنين، في هذا الدير ديرانيٌ أعرفه خفيف الروح لا يخلو من ماء بارد، أفترى أن نميل إليه؟ قال نعم. فجنناه فأخرج لنا ماءً بارداً وسألني عن المعتز ويونس فقلت: فتيان من أبناء الجند؛ فقال: بل مفلتان من حور الجنة. فقلت له: هذا ليس في دينك. فقال: هو الآن في ديني. فضحك المعتز. فقال لي الديراني: أتأكلون شيئاً؟ قلت نعم. فأخرج شطيراتٍ وخبزاً وإداماً نظيفاً، فأكلنا أطيب أكل، وجاءنا بأطراف أشنان. فاستظرفه المعتز وقال لي: قل له فيما بينك وبينه: من تحب أن يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلت له، فقال: " كلاهما وتمرا ". فضحك المعتز حتى مال على حائط الدير. فقلت للديراني: لا بد من أن تختار. فقال: الاختيار والله في هذا دمار، وما خلق الله عقلاً يميز بين هذين. ولحقهما الموكب، فارتاع الديراني. فقال له المعتز: بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه، فإني لمن ثم مولى ولمن ها هنا صديق. فمزحنا ساعة؛ ثم أمر له بخمسمائة ألف درهم. فقال: والله ما أقبلها إلا على شرط. قال: وما هو؟ قال: يجب أمير المؤمنين دعوتي مع من أراد. قال: ذلك لك. فأتعدنا ليوم جنناه فيه، فلم يبق غاية، وأقام للموكب كله ما احتاج إليه، وجاءنا بأولاد النصارى يخدموننا. ووصله المعتز يومئذٍ صلاةً سنيةً؛ ولم يزل يعتاده ويقيم عنده.

ولي الخلافة وله سبع عشرة سنة، وشعره في ذلك: حدثني الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال: بويع للمعتز بالخلافة وله سبع عشرة سنةً كاملة وأشهر. فلما انقضت البيعة قال:

فأصبحت فوق العالمين أميراً

توحدني الرحمن بالعز والعلا

هكذا ذكر الصولي في قافية الشعر. ووجدته في أغاني بنانٍ مرفوع القافية، وله فيه صنعة. ولعل المعتز قال البيت، فأضاف بنانٌ إليه آخر وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتز فقال: صوت

فأنت على كل الأنام أمير

توحدك الرحمن بالعز والعلا

كأنهم أسدٌ لهن زئير

تقاتل عنك الترك والخزر كلها

الغناء لبنانٍ لحنان خفيف ثقيلٍ وخفيف رملٍ. ومما قاله المعتز وغنى فيه قوله - ذكر الصولي أن عبد الله بن المعتز أنشده إياه لأبيه -: صوت

ألا حي الحبيب فدته نفسي

بكأسٍ من مدامة خانقينا

فإني قد بقيت مع الليالي

أقاسي الهم في يده سنينا

الغناء فيه لعريب خفيف رملٍ، ولبنانٍ هزجٌ.

وممن ذكر أن له صنعةً من الخلفاء المعتمد.

غناء المعتمد

قال محمد بن يحيى الصولي ذكر عبد الله بن المعتز عن القاسم بن زرور أن المعتمد ألقى عليه لحناً صنعه في هذا الشعر وهو:

ليس الشفيح الذي يأتيك مؤتزرًا

مثل الشفيح الذي يأتيك عرياناً

الشعر للفرزدق. والغناء للمعتمد، ولحنه فيه خفيف ثقيل. هذه حكاية الصولي. وفي غناء عريب: لها في هذا البيت خفيف ثقيل. ولا أعلم لمن هو منهما على صحة، إلا أن المشهور في أيدي الناس أنه لعريب. ولم أسمع للمعتمد غناءً إلا من هذه الجهة التي ذكرتها.

ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة

دون غيره

لأن أخباره كثيرة جداً، فكرهت أن أثبتها هنا في غناء مشكوك فيه، فذكرت نسبه وخبره في هذا الشعر خاصة، وأخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه نسبه: الفرزدق لقبٌ غلب عليه. واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم.

هو وجريرو والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين: وهو وجريرو والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين والمقدم في الطبقة الأولى منهم. وأخباره تذكر مفردة في موضع آخر يتسع لها، ونذكرها هنا في هذا المعنى. فأخبرني خبره في ذلك جماعة. فممن أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني به أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، وأخبرني به محمد بن العباس اليزيدي عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وابن الأعرابي، قال عمر بن شبة خاصة في خبره حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبي:

حديث الفرزدق والنوار وذمه بني قيس وزهيراً وبني أم النسير لمعاونتهم إياها: أن عبد الله بن الزبير تزوج تماضر بنت منظور بن زبان، وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان بن أبي حارثة، فخاصم الفرزدق امرأته النوار إلى ابن الزبير. هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السبب في الخصومة، وذكرها عمر بن شبة ولم يروها عن أحد، وذكرها ابن حبيب عن أصحابه، وذكرها أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة: أن رجلاً من بني أمية خطب النوار

بنت أعين المجاشعية، فرضيته وجعلت أمرها إلى الفرزدق. فقال: أشهدي لي بذلك على نفسك شهوداً ففعلت، واجتمع الناس لذلك. فتكلم الفرزدق ثم قال: اشهدوا أي قد تزوجتها وأصدقته كذا وكذا، فأنا ابن عمها وأحق بها. فبلغ ذلك النوار فأبته واستترت من الفرزدق وحزعت ولجأت إلى بني قيس بن عاصم المنقري. فقال فيها:

ملاجئ للسوءات دسم العمائم

بني عاصم لا تلجئوها فإنكم

للام بنيه اليوم قيس بن عاصم

بني عاصم لولا كان حياً أبوكم

فقالوا: والله لئن زدت على هذين البيتين لتقتلنك غيلةً. فنافرته إلى عبد الله بن الزبير وأرادت الخروج إليه؛ فتحامى الناس كراءها. ثم إن رجلاً من بني عدي يقال له زهير بن ثعلبة وقوماً يعرفون ببني أم النسير أكروها؛ فقال الفرزدق:

أليست أم حنظلة النوار

ولولا أن تقول بني عدي

قواف لا تقسمها التجار

أنتكم يابني ملكان عني

يعني بالنوار ها هنا بنت جل بن عدي بن عبد مناة وهي أم حنظلة بن مالك بن زيد مناة وهي إحدى جداته. وقال فيها أيضاً:

عبيد قصير الشبر نائي الأقارب

سرى بالنوار عوهجي يسوقه

إلى خير وال من لؤي بن غالب

تؤم بلاد الأمن دائبة السرى

وإبطال حقي باليمين الكواذب

فدونك عرسي تبتغي نقض عقدتي

وقال أيضاً:

وأنى كاره سخط الرباب

ولولا أن أمني من عدي

جزاء غير منصرف العقاب

إذا لأتى الدواهي من قريب

بجيش غير منتظر الإياب

وصلت على بني ملكان مني

وقال لزهير أيضاً:

على أعجاز صرمته نوار

لبئس العبء يحمله زهير

عوائر لا تقسمها التجار

لقد أهدت ولیدتنا إليكم

وقال لبني أم النسير:

إلى الغور أحلام خفاف عقولها

لعمري لقد أردى النوار وساقها

على قتب يعلو الفلاة دليلها

أطاعت بني أم النسير فأصبحت

وقد سخطت مني النوار الذي ارتضى
وإن امرأ أسمى تحبب زوجتي
ومن دون أوال الأسود بسالة
وإن أمير المؤمنين لعالم
فدونكها يابن الزبير فإنها
مولعة يوهي الحجارة قبلها
به قبلها الأزواج خاب رحيلها
كماش إلى أسد الشرى يستبيلها
وبسطة أيدٍ يمنع الضيم طولها
بتأويل ما أوصى العباد رسولها

استشفعت النوار إلى ابن الزبير امرأته فاستشفع هو بابنه حمزة: فلما قدمت مكة نزلت على بنت منظور بن زبآن، واستشفعت بها إلى زوجها عبد الله. وانضم الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزبير وأمه بنت منظور هذه، ومدحه فقال:

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتي
الأيات. وقال فيه أيضاً:

يا حمز هل لك في ذي حاجة غرضت
فأنت أحرى قریش أن تكون لها
بين الحواري والصديق في شعب
أنضاؤه بمكانٍ غير ممطور
وأنت بين أبي بكر ومنظور
نبتتا في طيب الإسلام والخير

هذه الأبيات كلها من رواية أبي زيد خاصة. قالوا جميعاً: وقال في النوار:

هلمي لابن عمك لا تكوني
كمختارٍ على الفرس الحمارا
وقال فيها أيضاً:

تخاصمني النوار وغاب فيها
قال أبو زيد في خبره خاصة: فجعل أمر الفرزدق يضعف وأمر النوار يقوى. وقال الفرزدق:
كرأس الضب يلتبس الجرادا
أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم
وشفعت بنت منظور بن زبانا

صوت

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرأ
مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

- غنت في هذا البيت عريب خفيف ثقیل أول بالبنصر - فبلغ ابن الزبير هذا فدعا النوار فقال: إن شئت فرقت بينكما وقتلته فلا يهجونا أبداً، وإن شئت سيرته إلى بلاد العدو. فقالت: ما أريد واحدةً منهما. قال: فإنه ابن عمك وهو فيك راغب، أفأزوجه إياك؟ قالت نعم. فزوجه إياها. فكان الفرزدق يقول: خرجنا متباغضين فرجعنا متحابين.

هدده ابن الزبير وعيره جلاء قومه تميم عن البيت فقال في ذلك شعراً: أخبرني أحمد قال حدثني عمرو بن شبة قال

قال عثمان بن سليمان: شهدت الفرزدق يوم نازع النوار فتوجه القضاء عليه، فأشفق من ذلك وتعرض لابن الزبير بكلام أغضبه، وكان ابن الزبير حديداً. فقال له ابن الزبير: أيا ألام الناس! وهل أنت وقومك إلا جالية العرب! وأمر به فأقيم. وأقبل علينا فقال: إن بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه؛ وأجمعت العرب عليها لما انتهكت ما لم ينتهكه أحد قط فأجلتها من أرض تهامة. فلما كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال: هيه! أيعيرنا ابن الزبير جلاءنا عن البيت! اسمع! ثم قال:

فإن تغضب قريشٌ ثم تغضب فإن الأرض ترعاها تميم

هم عدد النجوم وكل حي سواهم لا تعد لهم نجوم

فلولا بنت مرٍ من نزارٍ لما صح المنابت والأديم

بها كثر العديد وطاب منكم وغيركم أخذ الريش هيم

فمهلاً عن تذلل من عززتم بخولته وعز به الحميم

أعبد الله مهلاً عن أذاتي فأني لا الضعيف ولا السؤوم

ولكني صفاةٌ لم تؤبس تزل الطير عنها والعصوم

أنا ابن العاقر الخور الصفايا بصوءٍ حيث فتحت العكوم

وذكر الزبير بن بكار عن عمه أن عبد الله بن الزبير لما حكم على الفرزدق قال: إنما حكمت علي بهذا لأفارقها فتب عليها؛ وأمر به فأقيم، وقال له ما قال في بني تميم. قال: ثم خرج عبد الله بن الزبير إلى المسجد فرأى الفرزدق في بعض طرق مكة وقد بلغته أبياته التي قالها، فقبض ابن الزبير على عنقه فكاد يدهقها، ثم قال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً ولو رضيت رمح استه لاستقرت

قال الزبير: وهذا الشعر لجعفر بن الزبير.

ما كان بينه وبين ابن الزبير بعد ما قال له ما حاجتك بالنوار وقد كرهتك: أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا ابن سلام قال أخبرنا إبراهيم بن حبيب الشهيد قال: قال ابن الزبير للفرزدق: ما حاجتك بما وقد كرهتك! كن لها أكره وخل سبيلها. فخرج وهو يقول: ما أمرني بطلاقها إلا ليشب عليها. فبلغ ذلك ابن الزبير فخرج وقد استهل هلال ذي الحجة ولبس ثياب الإحرام يريد البيت الحرام، فألفى الفرزدق بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسه بين ركبتيه وقال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً ولو رضيت رمح استه لاستقرت

قال الزبير: وهذا البيت لجعفر بن الزبير.

هجاه جعفر بن الزبير فنهاه أخوه عن ذلك: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال: لما قال الفرزدق في ابن الزبير:

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم
وشفعت بنت منظور بن زبانا

قال جعفر بن الزبير:

ألا تلکم عرس الفرزدق جامحاً
ولو رضيت رمح استه لاستقرت

فقال عبد الله بن الزبير: أتجزرنا كلباً من كلاب بني تميم! لئن عدت لم أكلمك أبداً.
قال: وتماضر التي عنها الفرزدق أم حبيب وثابت ابني عبد الله بن الزبير. وماتت عند عبد الله، فتزوج أختها أم هاشم فولدت له هاشماً وحزمة وعباداً.
قال: وفي أم هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ابن الزبير ويشكو طول مقامه:

تروحت الركبان يا أم هاشم
وخيسن حتى ليس فيهن نافق
وهن مناخات لهن حنين
لبيع ولا مركوبهن سمين

قال: وهذا يدل على أن النوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتماضر.
فلما أذنت النوار في تزويجها منه استعان في مهرها سلم بن زيد فأعانه:
فما أذنت النوار لعبد الله في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرة آلاف درهم. فسأل: هل بمكة أحد يعينه؟ فدل على سلم بن زياد، وكان ابن الزبير حبسه، فقال فيه:

دعي مغلقي الأبواب دون فعالهم
إلى من يرى المعروف سهلاً سبيله
ومري تمشي بي هبلت إلى سلم
ويفعل أفعال الكرام التي تنمي

ثم دخل على سلم فأنشده. فقال له: هي لك ومثلها نفقتك، ثم أمر له بعشرين ألفاً فقبضها. فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله بن عثمان بن أبي العاصي الثقفية: أعطي عشرين ألفاً وأنت محبوس! فقال:

ألا بكرت عرسي تلوم سفاهة
فقلت لها و الجود مني سجية
على ما مضى مني وتأمر بالبخل
وهل يمنع المعروف سؤاله مثلي
ذريني فإني غير تارك شيمتي
ولا طاردٍ ضيفي إذا جاء طارقاً
أبخل! إن البخل ليس بمخلد
ولا الجود يدنيني إلى الموت والقتل
وما ذاك عند الله في البيع بالعدل
أبيع بني حرب بآل خويلد

وأشري ابن مروان الخليفة طائعا
بنجل بني العوام ! قبح من نجل
فإن تظهروا لي البخل آل خويلد
فما دلكم دلي ولا شكلكم شكلي
وإن تقهروني حيث غابت عشيرتي
فمن عجب الأيام أن تقهروا مثلي

لم تحسن النوار عشرته فتزوج عليها حدراء بنت زيق ومدحها واذم النوار: قال دماذ في خبره: ثم اصطلحا ورضيت به، وساق إليها مهرها ودخل بها وأحبها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عديلان في محمل. فكانت لا تزال تشاوره وتخالفه، لأنها كانت صالحة حسنة الدين وكانت تكره كثيراً من أمره. فتزوج عليها حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، فتزوجها على مائة من الإبل. فقالت له النوار: ويلك ! تزوجت أعرابية دقيقة الساقين بواله على عقبها على مائة بعير !. فقال الفرزدق يفضلها عليها ويعيرها إنما كانت تربيتها أمة:

لجارية بين السليل عروقتها
وبين أبي الصهباء من آل خالد
أحق بإغلاء المهور من التي
ربت وهي تنزو في حجور الولائد
ومدحها أيضاً فقال:

عقيلة من بني شيبان ترفعها
من آل مرة بين المستضاء بهم
بين الأحاوص من كلب مركبها
دعائم للعلا من آل همام
من رهط صيد مصاليت وحكام
وبين قيس بن مسعود وبسطام
وقال أيضاً بمدحها ويعرض بالنوار:

لعمري لأعرابية في مظلمة
كأم غزال أو كدرة غائص
أحب إلينا من ضناك ضفنة
تظل بأعلى بيتها الريح تخفق
إذا ما أنت مثل الغمامة تشرق
إذا وضعت عنها المراوح تعرق
فقال بعض باهلة يجيبه:

أعوذ بالله من غول مغولة
تستروح الشاة من ميل إذا ذبحت
كأن حافرها في الحد ظنوب
حب اللحم كما يستروح الذيب

هاجاه جرير بإغراء النوار: وأغضب الفرزدق النوار بمدحه إياها، فقالت: والله لأحزينك يا فاسق ! وبعثت إلى جرير فجاءها؛ فقالت: ألا ترى ما قال لي الفاسق ! وشكت إليه. فقال:

فلا أنا معطي الحكم عن شف منصب
ولا عن بنات الحنظليين راغب

وهن كماء المزن يشفى به الصدى
لقد كنت أهلاً أن تسوق دياتكم
وما عدلت ذات الصليب طعينةً
ألا ربما لم نعط زيقاً بحكمه
حويناً أبا زيق وزيقاً وعمه
فأجابه الفرزدق بقصيدة منها:

ألسنت إذ القعساء أنسل ظهرها
فلن مثلها من مثلهم ثم لمهم
إلى آل بسطام بن قيس بخاطب
بملكك من مالٍ مراحٍ وعازب

فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم
وإني لأخشى إن خطبت إليهم
على دارمي بين ليلي وغالب
عليك التي لاقى يسار الكواعب

- يسارٌ كان عبداً لبني غدانة، فأراد مولاته على نفسها، فنهته مرةً بعد مرة، وألح فوعدته، فجاء فقالت له: إني أريد أن أبجرك فإن رائحتك متغيرة، فوضعت تحته مجمرَةً وقد أعدت له حديدة حادة، فأدخلت يدها فقبضت على ذكره وهو يرى أن ذلك لشيء، فقطعته بالموسى؛ فقال: "صبراً على مجامر الكرام" فذهبت مثلاً - عاد الشعر:

ولو قبلوا مني عطية سفته
هم زوجوا قبلي ضراراً وأنكحوا
إلى آل زيق من وصيف مقارب
لقيطاً وهم أكفاؤنا في المناسب
ولو تتكح الشمس النجوم بناتها
إذا لنكحناهن قبل الكواكب
وقال جرير:

يا زيق أنكحت قيناً باسته حممٌ
غاب المثنى فلم يشهد نجيكما
يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق
والحوفزان ولم يشهدك مفروق
أين الألى أنزلوا النعمان مقتسراً
يارب قائلة بعد البناء بها
وقال الفرزدق لجرير في هذا:

إن كان أنفك قد أعياك محمله
فأركب أتانك ثم اخطب إلى زيق

قال: ولامه الحجاج وقال: أتزوجت ابنة نصراني على مائة ناقة؟! قال: وما هي في جود الأمير! قال: فاشترى الإبل وساقها.

رأى في طريقه إلى حدراء كبشاً مذبوحاً فتشأ بموتها وشعره حين أخبر بوفاتها: فلما كان في بعض الطريق ومعه أوفى بن خنزير أحد بني التيم بن شيبان بن ثعلبة دليله رأى كبشاً مذبوحاً، فقال: يا أوفى، هلكت والله حدراء!. قال: ما لك بذلك من علم!. فلما بلغ قال له بعض قومها: هذا البيت فانزل، وأما حدراء فهلكت. وقد عرفنا الذي يصيبكم في دينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا. فقال: لا والله لا أرزأ منه قطميراً، وهذه صدقتها فاقبضوها. فقال: يا بني دارم! والله ما صاهرنا أكرم منكم. قال: وفي هذه القصة يقول الفرزدق:

بنا موجفات من كلال وظلعا

عجبت لحادينا المقحم سيره

حبيب ومن دار أردنا لتجمعا

ليدنيننا ممن إلينا لقاءه

لكر بنا حادي المطي فأسرعا

ولو يعلم الغيب الذي من أماننا

وكيف بشيء وصله قد تقطعا

يقولون زر حدراء والترب دونها

ولا تبعته ظاعناً حيث ودعا

وما مات عند ابن المراغة مثلها

على امرأة عينا أخيك لتدمعا

يقول ابن خنزير بكيت ولم تكن

رزية مرتج الروادف أفرعا

وأهون رزء لأمري غير جازع

استعان الحجاج في مهر حدراء فعذله فشفع له عنيسة بن سعيد: وقال ابن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغراف قالا: تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان على حكم أبيها فاحتكم مائة من الإبل. فدخل على الحجاج فعذله فقال: أتزوجتها على حكمها وحكم أبيها مائة بغير وهو نصرانية وجئتنا متعرضاً أن نسوقها عنك! أخرج ما لك عندنا شيء!. فقال عنيسة بن سعيد بن العاصي وأراد نفعه: أيهل الأمير، إنما من حواشي إبل الصدقة؛ فأمر له بها. فوثب عليه جرير فقال:

يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق

يا زيق قد كنت من شيبان في حسب

يا زيق ويحك هل بارت بك السوق

أنكحت ويحك قيناً باسته حمم

ثم ذكر باقي القصيدة بمثل رواية دماذ.

أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها وشعر لجرير في ذلك: قال ابن سلام: وأراد الفرزدق أن تحمل؛ فاعتلوا عليه وقالوا: ماتت، كراهة أن يهتك جرير أعراضهم. فقال جرير:

بحدراء قوم لم يروك لها أهلاً

وأقسم ما ماتت ولكنه التوى

وأن لبسطام على غالب فضلاً

رأوا أن صهر القين عارٌ عليهم

بشيبان لاقى القوم من دونها شغلاً

إذا هي حلت مسحلان وحاربت

وحدراء هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره. ومن ذلك قوله:

صوت

وأنكرت من حدراء ما كانت تعرف

عزفت بأعشاشٍ وما كدت تعزف

ترى الموت في البيت الذي كنت تألف

ولج بك الهجران حتى كأنما

عروضه من الطويل. عزفت عن الشيء انصرفت عنه، عزف يعزف عزوفاً. الشعر للفرزدق. والغناء لسلسل، ثاني ثقليل بالوسطى. وفيه لحن للغريض من الثقيل الأول بالبنصر من رواية حبش. قصة ما كان بينه وبين ابن أبي بكر بن حزم حين أنشده من شعر حسان في المسجد: أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب وأبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال اليربوعي: قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري: قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان. قال: فإني والفرزدق وكثيراً لجلوس في المسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلامٌ شخت آدم في ثوبين مصريين "أي مصبوغين بصفرة غير شديدة" ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم، فقال: أيكم الفرزدق؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها! فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا له. فقال له الفرزدق: ومن أنت لا أم لك؟! قال: رجل من بني الأنصار ثم من بني النجار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم. بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب وترغم مضر ذلك لك، وقد قال صاحبنا حسان شعراً فأردت أن أعرضه عليك وأؤجلك سنة؛ فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنت كذاب متحل. ثم أنشده قول حسان:

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحي

وغسان نمنع حوضنا أن يهدما

متى ما تزرنا من معدٍ عصابة

- قيل إن قوله: "وغسان" ها هنا قسمٌ أقسم به، لأن غسان لم تكن تغزوهم مع معد -

وقائلنا بالعرف إلا تكلمنا

أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا

فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق

فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له: إني قد أجلاتك فيها حولاً، ثم انصرف. وانصرف الفرزدق مغضباً يسحب رداءه ما يدري أي طريق يسلك، حتى خرج من المسجد. قال: فأقبل كثير علي فقال: قاتل الله الأنصاري! ما

أفصح لهجته، وأوضح حجته، وأجود شعره !. قال فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقية يومنا. حتى إذا كان الغد خرجت من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس؛ وأتاني كثير فجلس معي. فإنا لتذاكر الفرزدق ونقول: ليت شعري ما فعل، إذ طلع علينا في حلة أفواف يمانية موشاة، له غدירתان، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاري؟ قال: فلنا منه وشتمناه. فقال: قاتله الله ! ما رميت بمثله ولا سمعت بمثل شعره ! فارتكما فأتيت منزلي فأقبلت أصد وأصوب في كل فن من الشعر، فلكأني مفحم أو لم أقل قط شعراً حتى نادى المنادي بالفجر، فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدمتها حتى أتيت ذباباً، ثم ناديت بأعلى صوتي: أحاكم أبا لبني - وقال سعدان: أبا ليلي ! - فجاش صدري كما يجيش الرجل، ثم عقلت ناقتي وتوسدت ذراعها؛ فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتاً. فبينما هو ينشدنا، إذ طلع علينا الأنصاري حتى انتهى إلينا فسلم ثم قال: أما إني لم آتك لأعجلك عن الأجل الذي وقته لك، ولكنني أحببت ألا أراك إلا سألتك عما صنعت. فقال: اجلس، ثم أنشده:

عزفت بأعشاشٍ وما كدت تعزف

فلما فرغ الفرزدق من إنشاده قام الأنصاري كتيباً. فلما توارى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في مشيخة من الأنصار، فسلموا علينا وقالوا: يا أبا فراس، قد عرفت حللنا ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيته بنا. وقد بلغنا أن سفيهاً من سفهائنا تعرض لك، فنسألك بالله لما حفظت فينا وصية النبي صلى الله عليه وسلم ووهبتنا له ولم تفضحنا. قال إبراهيم بن محمد: فأقبلت أكلمه أنا وكثير؛ فلما أكثرنا عليه قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي. قال: وقد كان جرير قال:

ألا أيها القلب الطروب المكلف أفق ربما ينأى هواك ويسعف

ظللت وقد خبرت أن لست جازعاً لربع بسلمانين عينك تذرف

فجعل الفرزدق هذه القصيدة نقيدة لها نسبة ما في الخبر من الأصوات منها: صوت

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي وأسيفنا يقطرن من نحدة دما

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

عروضه من الطويل. الشعر لحسان بن ثابت. والغناء لمعبد خفيف ثقیل أول بالنصر عن عمرو بن بانة. ما كان بين النابغة وحسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء: أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثني محمد بن سعد الكراخي عن أبي عبد الرحمن الثقفي، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب الصائغ عن ابن قتيبة: أن نابغة بني ذبيان كان تضرب له قبة من آدم بسوق

عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها:

قذى بعينك أما بالعين عوار

حتى انتهت إلى قولها:

كأنه علم في رأسه ثار

وإن صخراً لتأتم الهداة به

وإن صخراً إذا نشئوا لنحار

وإن صخراً لمولانا وسيدنا

فقال: لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس! أنت والله أشعر من كل ذات مثانة. قالت: والله ومن كل ذي خصيتين. فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي

فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً

ولدنا بني العنقاء وابني محرق

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت "الجففات" فقللت العدد ولو قلت "الجفان" لكان أكثر. وقلت "يلمعن في الضحي" ولو قلت "يرقن بالدحي". لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً. وقلت: "يقطرن من نجدة دماً" فدللت على قلت القتل ولو قلت "يجرين" لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسراً منقطعاً.

مما يغني فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قوله: صوت

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ترى الناس ما سرنا يسировون خلفنا

فيه رملٌ بالوسطى، يقال: إنه لابن سريج، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المكي. انتحل بيتاً لجميل: أخبرنا الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد الكلابي قال: وقف الفرزدق على جميل والناس مجتمعون عليه وهو ينشد:

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

ترى الناس ما سرنا يسировون خلفنا

فأشعر إليه رأسه من وراء الناس وقال: أنا أحق بهذا البيت منك. قال: أنشدك الله يا أبا فراس!. فمضى الفرزدق وانتحله.

عرض هو وكثير كل منهما للآخر أنه سرق بيتاً من جميل: أخبرني الحرمي ابن أبي العلاء قال حدثني الزبير قال حدثني أبي عن جدي: أن الفرزدق لقي كثيراً فقال له: ما أشعرك يا كثير في قولك:

تمثل لي ليلي بكل سبيل

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

فعرض له بسرقة إياه من جميل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل لي ليلى على كل مرقب

فقال له كثير: أنت يا فرزدق أشعر مني في قولك:

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

- قال: وهذا البيت لجميل سرقة الفرزدق - فقال الفرزدق لكثير: هل كانت أمك ترد البصرة؟ قال: لا ! ولكن نزيلاً لأمك.

أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: لقي الفرزدق كثيراً بقارعة البلاط وأنا وهو نمشي؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صخر ! أنت أنسب العرب حيث تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل لي ليلى بكل سبيل

قال: وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

-قال عبد العزيز: وهذان البيتان جميعاً لجميل، سرق أحدهما الفرزدق، وسرق الآخر كثير - فقال له الفرزدق: يا أبا صخر، هل كانت أمك ترد البصرة؟ قال: لا ! ولكن أبي كان كثيراً يردّها. قال طلحة: فوالذي نفسي بيده لقد تعجبت من كثير وجوابه، وما رأيت أحداً قط أحق منه؛ لقد دخلت عليه يوماً في نفر من قریش، وكنا كثيراً نمرأ به، وكان يتشيع تشيعاً قبيحاً، فقلنا له: كيف تجحدك يا أبا صخر ! فقال: بخير. هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلت: نعم ! يتحدثون أنك الدجال. قال: والله إن قلت ذلك إني لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام !.

ولجرير قصيدة يناقض بها هذه القصيدة في أولها غناء نسبته:

ألا أيها القلب الطروب المكلف

أفق ربما ينأى هواك ويسعف

ظللت وقد خبرت أن لست جازعاً

لربع بسلمانين عينك تذرف

الشعر لجرير. والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي ثاني ثقيل بالبصرة، عن عمرو بن بانة. وقال حبش: فيه ثقل أول بالوسطى. وليس ذلك بصحيح.

رجع الحديث إلى سياقه حديث الفرزدق والنوار: تزوج رهيمة بنت غنيم اليربوعية: قال دماذ: وتزوج الفرزدق على النوار امرأة من اليرابيع، وهم بطن من النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد القيني، وقد انتسبوا فيه. فقالت له النوار: وما عسى أنت تكون القينية؟ ! فقال:

أرترك نجوم الليل والشمس حية

زحام بنات الحارث بن عباد

نساءً أبوهن الأغر ولم تكن من الحت في أجبالها وهداد

ولم يكن الجوف الغموض محلها ولا في الهجاريين رهط زياد

أبوها الذي أدنى النعمة بعدما أبت وائل في الحرب غير تمار

-يعني بأبيها الذي أدنى النعمة الحارث بن عباد، وأراد قوله:

قرباً مربوط النعمة مني

عدلت بها ميل النوار فأصبحت مقاربة لي بعد طول بعداد

وليسـت وإن أنبأت أني أحبها إلى دارميات النجار جيات

وقال أبو عبيدة حدثني أعين بن لبطة قال: تزوج الفرزدق، مضارةً للنوار، امرأة يقال لها رهيمة بنت غنيم بن درهم من اليرابيع، قوم من النمر بن قاسط في بني الحارث بن عباد. وأمها الحميضة من بني الحارث. فنافرتة الحميضة فاستعدت عليه. فأنكرها الفرزدق وقال: أنا بريء منها، وطلق ابنتها وقال:

إن الحميضة كانت لي ولابنتها مثل الهراسة بين النعل والقدم

إذا أتت أهلها مني مطلقةً فلن أرد عليها زفرة الندم

مضى الحديث. ولم أجد لأحد من الخلفاء الذين ذكركم والذين لم أذكركم، بعد الوثائق، صنعة يعتد بها إلى المعتضد، فإنه صنع صنعةً متقنةً عجيبية، أبرت على صنعة سائر الخلفاء سوى الوثائق، وفضل فيها أكثر أهل الزمان الذي نشأ فيه. وإنما ذكرت صنعة من بينهما، لأنها قد رويت، فأما حقيقة الغناء الجيد فليس بينهما مثلهما. وذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر صنعة المعتضد فقرظها، وقال: لم أجد لحناً قديماً قد جمع من النغم ما جمعه لحن ابن محرز في شعر مسافر بن أبي عمرو وهو:

يا من لقلبٍ مقصرٍ ترك المنى لفواتها

فإنه جمع من النغم العشر ثمانية، ولحن ابن محرز أيضاً في شعر كثير:

توهمت بالخيف رسماً محيلاً لعزة تعرف منه الطلولا

وهو أيضاً يجمع ثمانية من النغم. وقد تلطّف بعض من له دربةٌ وحذقةٌ بهذه الصناعة حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت الأخير متوالية، وجمعها في صوت آخر غير متوالية، وهو في شعر ابن هرمة:

فإنك إذ أطمعتني منك بالرضا وأياستني من بعد ذلك بالغضب

وأعجب من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله؛ فإنه صنع في رجز دريد بن الصمة "يا ليتني فيها جذع" لحناً من الثقيل الأول يجمع النغم العشر، فأتى به مستوفى الصنعة محكم البناء، صحيح الأجزاء والقسم، مشبع

المفاصل، كثير الأدوار، لاحقاً بجيد صنعة الأوائل، وإنما زاد فضله على من تقدمه لأنه عمله في ضرب من الرجز قصيراً جداً، واستوفى فيه الصنعة كلها على ضيق الوزن، فصار أعجب مما تقدمه؛ إذ تلك عملت في أوزان تامة وأعاريض طوال يتمكن الصانع فيها من الصنعة ويقتدر على كثرة التصرف؛ وليس هذا الوزن في تمكنه من ذلك فيه مثل تلك.

نسبة هذا اللحن صوت

أخب فيها وأضع

يا ليتني فيها جذع

كأنها شاة صدع

أقود وطفاء الزمع

الشعر لدريد بن الصمة. والغناء للمعتضد، ولحنه ثقیلٌ أول يجمع النغم العشر.

الجزء العاشر

أخبار دريد بن الصمة ونسبه

نسبه

هو دريد بن الصمة. واسم الصمة، في ما ذكر أبو عمرو، معاوية الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن علقمة وقيل علقمة، بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن. وأما أبو عبيدة فقال: هو دريد بن الصمة، واسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن علقمة ولم يذكر معاوية. وقال ابن سلام: الحارث بن معاوية بن بكر بن علقمة.

صفاته

ودريد بن الصمة فارسٌ شجاع شاعر فحل، وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان. وقد كان أطول الفرسان الشعراء غزواً، وأبعدهم أثراً، وأكثرهم ظفراً، وأمينهم نقيّةً عند العرب، وأشعرهم دريد بن الصمة.

قتل يوم حنين

وقال أبو عبيدة: كان دريد بن الصمة سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم وكان مظفراً ميمون النقيبة، وغزا نحو مائة غزاة ما أخفق في واحدة منها، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وخرج مع قومه في يوم حنينٍ مظاهراً للمشركين، ولا فضل فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمناً به وليقتبسوا من رأيه، فمنعهم مالك بن عوف من قبول مشورته، وخالفه لئلا يكون له ذكر، فقتل دريد يومئذٍ على شركه. وخبره يأتي بعد هذا.

إخوته

وكان لدريد أخوة وهم عبد الله الذي قتله غطفان، وعبد يغوث قتله بنو مرة، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كلاب، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب، أمهم جميعاً ریحانة بنت معد يكرب الزبيدي أخت عمرو بن معد يكرب كان الصمة سبها ثم تزوجها فأولدها بنيه. وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره:

يؤرقني وأصحابي هجوع

أمن ریحانة الداعي السميع

وجاوزه إلى ما تستطيع

إذا لم تستطع شيئاً فدعه

ابنه وبنته شاعران: وكان لدريد ابنٌ يقال له سلمة، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وارتجز فقال:

ابن سماردير لمن توسمه

إن تسألوا عني فإني سلمه

أضرب بالسيف رؤوس المسلمين

وكانت لدريد أيضاً بنتٌ يقال لها عمرة وكانت شاعرة، ولها فيه مرثية كثيرة.

شعره في الصبر على النوائب

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة، وأخبرني بأخبار له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكركم في مواضعهم، وأخبرني أيضاً بخبره محمد بن خلف بن المرزبان عن صالح بن محمد بن أبي عمرو الشيباني وقد بينت رواية كل واحد منهم في موضعها، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة حيث يقول:

مكان البكا لكن بنيت على الصبر

تقول ألا تبكي أخاك ! وقد أرى

على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر

لمقتل عبد الله والهالك الذي

وعز مصاباً حثو قبر على قبر

وعبد يغوث أو خليلي خالد

أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر

أبى القتل إلا آل الصمة إنهم

لدى واطر يشقى بها آخر الدهر

فإما ترين ما تزال دماؤنا

ونلحمه حيناً وليس بذي نكر

فإن اللحم السيف غير نكيرة

بنا إن أصبنا، أو نغير على وتر

يغار علينا واطرين فيشتقى

فما ينقضي إلا ونحن على شطر

بذاك قسمنا الدهر شطرين قسمة

وأخبرني ابن عمار قال: حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأسدي عن صاعد مولى الكميث بن يزيد يقول: أحسن شعره قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة، وذكر هذه الأبيات.

يوم اللوى ومقتل أخيه وما رثاه به

قال أبو عبيدة: فأما عبد الله بن الصمة فإن السبب في مقتله أنه كان غزا غطفان ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية فظفر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللوى ومضى بها. ولما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا، فقال له أخوه دريد: يا أبا فرعان - وكانت لعبد الله ثلاث كنى: أبو فرعان، وأبو ذفافة، وأبو أوفى، وكلها قد ذكرها دريد في شعره - : نشدتك الله ألا تنزل فإن غطفان ليست بغافلة عن أموالها، فأقسم لا يريم حتى يأخذ

مرباعه وينقع نقيعه ، فيأكل ويطعم ويقسم البقية بين أصحابه، فبينما هم في ذلك وقد سطعت الدواخن، إذا بغبارٍ
قد ارتفع أشد من دخانهم، وإذا عبسٌ وفزارةٌ وأشجعٌ قد أقبلت فقالوا لربيئتهم : انظر ماذا ترى؟ فقال: أرى
قوماً جعاداً كأن سراييلهم قد غمست في الجادي قال: تلك أشجع، ليست بشيء. ثم نظر فقال: أرى قوماً
كأنهم الصبيان، أسنتهم عند آذان خيولهم. قال: تلك فزارة. ثم نظر فقال: أرى قوماً آدمناً كأنما يحملون الجبل
بسوادهم، يخذون الأرض بأقدامهم خدأً، ويجرون رماحهم جراً، قال: تلك عبسٌ والموت معهم ! فتلاحقوا
بالمنعرج من رميلة اللوى فاقتتلوا فقتل رجلٌ من بني قاربٍ وهم من بني عبس عبد الله بن الصمة فتنادوا: قتل أبو
ذفافة فعطف دريد فذب عنه فلم يغن شيئاً وجرح دريد فسقط فكفوا عنه وهم يرون أنه قيل، واستنقذوا المال
ونجا من هرب. فمر الزهدمان وهما من بني عبس، وهما زهدمٌ وقيسٌ ابنا حزن أنه بن وهب بن رواحة وإنما فقيل
لهم الزهدمان تغليياً لأشهر الاسمين عليهما، كما قيل العمران لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والقمران
للشمس والقمر. قال دريد: فسمعت زهدماً العبسي يقول لكردم الفزاري إني لأحسب دريداً حياً فانزل فأجهز
عليه، قال: قد مات، قال: انزل فانظر إلى سبته هل ترمز؟ قال دريد: فسددت من حتارها أي من شرجه، قال
فنظر فقال: هيهات، أي قد مات، فولى عني، قال: ومال بالزج في شرج دريد فطعنه فيه فطعنه فيه فسال دمٌ
كان قد احتقن في جوفه، قال دريد فعرفت الحفة حينئذٍ فأمهلت، حتى إذا كان الليل مشيت وأنا ضعيف قد
نزفني الدم حتى ما أكاد أبصر، فجرت بجماعة تسير فدخلت فيهم، فوقعت بين عرقوبي بعير طعينة، فنفر البعير
فنادت: نعوز بالله منك، فانتسبت لها فاعلمت الحي بمكاني، فغسل عني الدم وزودت زاداً وسقاء فنجوت، وزعم
بعض الغطفانيين أن المرأة كانت فزارية وأن الحي كان علموا بمكانه فتركوه فداوته المرأة حتى برأ ولحق بقومه،
قال: ثم حج كردم بعد ذلك في نفرٍ من بني عبس فلما قاربوا ديار دريد تنكروا خوفاً ، ومر بهم فأنكرهم، فجعل
يمشي فيهم ويسألهم من هم؟ فقال له كردم: عمن تسأل؟ فدفعه دريد، وقال: أما عنك وعمن معك فلا أسأل
أبدأً، وعانقه، وأهدي إليه فرساً وسلاحاً، وقال له: هذا بما فعلت بي يوم اللوى.
وقال دريد يرثي أخاه عبد الله:

بعاقبةٍ وأخلفت كل موعد

ولم ترج منا ردة اليوم أو غد

أرث جديد الحبل من أم معبد

وبانت ولم أحمد إليك جوارها

وهي طويلة وفيها يقول:

متاغٌ كزاد الراكب المتزود

ولا رزء مما أهلك المرء عن يد

ورھط بني السوداء والقوم شهدي

سراتهم في الفارسي المسرد

أعاذلتي كل امرئ وابن أمه

أعاذل إن الرزء أمثال خالد

نصحت لعارضي وأصحاب عارض

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرجد إلى ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى
غوايتهم وأنني غير مهتد
وهل أنا إلى من غزية إن غوت
غويت، وإن ترشد غزية أرشد
دعاني أخي والخيل بيني وبينه
فلما دعاني لم يجدني بقعد

تتادوا فقالوا أردت الخيل فارساً
فقلت أعبد الله ذلكم الردي
فإن يك عبد الله خلى مكانه
فلم يك وقافاً ولا طائش اليد
ولا برماً إذا الرياح تتاوجت
برطب العضاه والهشيم المعضد
نظرت إليه والرماح تتوشه
كوفع الصياصي في النسيج المدد
فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت
وحتى علاني أشقر اللون مزبد
فما رمت حتى خرقتني رماحهم
وغودرت أكبو في القنا المتقصد
قتال امرئٍ واسبى أخاه بنفسه
وأيقن أن المرء غير مخلد
صبورٌ على وقع المصائب حافظ
من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

في بعض هذه الأبيات غناء وهو: صوت

تمثل علي عليه السلام بشعره:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرجد إلى ضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى
غوايتهم وأنني غير مهتد
وهل أنا إلى من غزية إن غوت
غويت، وإن ترشد غزية أرشد

الغناء ليحيى المكي ثاني ثقلٍ بالسبابة في مجرى البصر من رواية ابنه أحمد، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحمد. وهذه الأبيات تمثل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند منصرفه من صفين. حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي قال حدثنا حسين بن نصر بن مزاحم قال حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مخنف عن رجالة أن علياً عليه السلام لما اختلفت كلمة أصحابه في أمر الحكمين وتفرقت الخوارج وقالوا له ارجع عن أمر الحكمين وتب واعترف بأنك كفرت إذ حكمت، ولم يقبل ذلك منهم، وخالفوه وفارقوه تمثل بقول دريد:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرجد إلى ضحى الغد

الآبيات: أخوه عبد الله وأسماءه وكناه: قال أبو عبيدة: كانت لعبد الله بن الصمة ثلاثة أسماء وثلاث كنى: عبد الله ومعبد وخالد. ويكنى أبا ذفافة وأبا فرعان وأبا أوفى. وقال دريد:

أبا ذفافة من للخيل إذ طردت فاضطرها الطعن في وعثٍ وإيجاف

يا فارس الخيل في الهيجاء إذ شغلت كلتا اليدين دروراً غير وقاف

له أفضل بيت في الصبر على النوائب: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس أنه كان يقول: أفضل بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة:

قليل التشكي للمصيبات حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد

عاتبته زوجته أم معبد على بكائه أخاه فطلقها وقال شعراً: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن أبي المهاجر، وذكر مثله أبو عمرو الشيباني، أن أم معبد التي ذكرها دريد في شعره هذا كانت امرأته فطلقها، لأنها رآته شديد الجزع على أخيه، فعاتبته على ذلك وصغرت شأن أخيه وسبته، فطلقها وقال فيها:

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبةٍ وأخلفت كل موعد

وبانت ولم أحمد إليك جوارها ولم ترج منا ردة اليوم أو غد

فقالت له أم معبد: بس والله ما أثنت علي يا أبا قرة! لقد أطعمتك مأدومي، وبثنتك مكثومي، وأثنتك باهلاً غير ذات صرار وما استفرمت قبلك إلا من حيض.

وقال أبو عبيدة في خبره: بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سبت أخاه فطلقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك:

أعبد الله إن سبتك عرسي تقدم بعض لحمي قبل بعض

إذا عرس امرئ شتمت أخاه فليس فؤاد شأنه بحمض

معاذ الله أن يشتمن رهطي وأن يملكن إبرامي ونقضي

حارب غطفان يوم الغدير طلباً بثأر أخيه وقال شعراً: أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

أغار دريد بن الصمة بعد مقتل أخيه عبد الله على غطفان يطالبهم بدمه، فاستقراهم حياً حياً، وقتل من بني عبس ساعدة بن مر، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب، أسره مرة بن عوف الجشمي. فقالت بنو جشم: لو فاديناه! فأبى ذلك دريد عليهم، وقتله بأخيه عبد الله وقتل من بني فزارة رجلاً يقال له حزام وأخوه له، وأصاب جماعة من بني مرة ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان، وذلك في يوم الغدير. وفي هذا اليوم وفي من قتل فيه منهم يقول:

تأبّد من أهله معشر
فجزع الحليف إلى واسطٍ
فأبلغ سليمى وألفافها
بأنّي ثارت بأخوانكم
صبحنا فزارة سمر القنا
وأبلغ لديك بني مازنٍ
فإن تقتلوا فتيةً أفردوا
فإن حزاماً لدى معركٍ
ويوم يزيد بني ناشبٍ
أثرنا صريخ بني ناشبٍ
تجر الضباع بأوصالهم
فجرو سويقة فالأصفر
فذلك مبدئى وذا محضر
وقد يعطف النسب الأكبر
وكننت كأني بهم مخفر
فمهلاً فزارة لا تضجروا
فكيف الوعيد ولم تقرروا
أصابهم الحين أو تظفروا
وأخوته حولهم أنسر
وقبل يزيدكم الأكبر
ورھط لقيط فلا تفخروا
ويلحقن منهم ولم يقبروا

ويقول قي ذلك أيضاً دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى:

جزينا بني عبس جزاءً موفراً
و لولا سواد الليل أدرك ركضنا
قتلنا بعبد الله خير لداته
بمقتل عبد الله يوم الذئاب
بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب
ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

قال أبو عبيدة: أنشد عبد الملك بن مروان شعر دريد بن صمة هذا فقال: كاد دريد أن ينسب ذؤاب بن أسماء إلى آدم. فلما بلغ المنشد قوله:

و لولا سواد الليل أدرك ركضنا
بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب

قال عبد الله: ليت الشمس كانت بقيت له قليلاً حتى يدركه.

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضاً في هذه الواقعة:

قتلنا بعبد الله خير لداته
وخير شباب الناس لو ضم أجمعا

ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب
منيته أجرى إليها وأوضعا

فتى مثل متن السيف يهتز للندى
كعالية الرمح الرديني أروعا

أغرته أمه بالاستعانة بأحواله في ثأر أخيه فأبى وقتل ذؤاب بن أسماء: وقال ابن الكلبي: قالت ريحانة بنت معد يكره لدريد بن الصمة بعد حول من مقتل أخيه: يا بني إن كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك فاستعن بخالك

وعشيرته من زبيد، فأنف من ذلك وحلف لا يكتحل ولا يدهن ولا يمس طيباً ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره، فغزا هذه الغزاة وجاءها بذؤاب بن أسماء فقتله بفنائها، وقال: هل بلغت ما في نفسك؟ ! قالت: نعم متعت بك ! وروي عن ابن الكلبي لريحانة في هذا المعنى أبياتٌ لم تحضرنِي وقد كتبت خبرها.

أخوه قيس بن الصمة ومقتله: وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دريد فإنه أخوه قيس بن الصمة، قتله بنو أبي بكر بن كلاب. وكان السبب في ذلك، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دماذ عن أبي عبيدة، أنه غزا في قومه بني خزاعة من بني جشم، فأغاروا على إبل لبني كعب بن أبي بكر بن كلاب، فانطلقوا بها. وخرج بنو أبي بكر بن كلاب في طلبها حتى إذا دنوا منهم قال عمرو بن سفيان الكلبي، وكان حازماً عاقلاً، امكثوا، ومضى هو متنكراً حتى لقي رجلاً من بني خزاعة فسلم عليه واستسقاء فسقاه وانتسب له هلالياً، فسأله عن قومه وأين مرعى إبلهم، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورتهم، فخبره الرجل بكل ما أراد، فرجع إلى قومه وقد عرف بغيته، فصبح القوم فظفرت بهم بنو كلاب وقتلوا قيس بن الصمة، وذهبوا بإبل بني خزاعة وارتجعوا إبلهم .

وكان يقال لعمرو بن سفيان ذو السيفين، لأنه كان يلقي الحرب ومعه سيفان خوفاً من أن يخونه أحدهما. وإياه عني دريد بن الصمة بقوله:

إن امرءاً بات عمروً بين صرمته عمرو بن سفيان ذو السيفين مغرور

يا آل سفيان ما بالي وبالكمو هل تنتهون وباقي القول مأثور؟

يا آل سفيان ما بالي وبالكمو أنتم كبيرٌ وفي الأحلام عصفور

هلا نهيتم أخاكم عن سفاهته إذ تشربون وغاوي الخمر مدحور ؟

لا أعرفن لمةً سوداء داجيةً تدعوا كلاباً وفيها الرمح مكسور

لن تسبقوني ولو أمهلتكم شرفاً عقبى إذا أبطأ الفحج المخاصير

خبر الحرب بين بني عامر وبني جشم وبين أسد وغطفان: وأخبرنا بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال: أغارت بنو عامر بن صعصعة وبنو جشم بن معاوية على أسد وغطفان، وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذي اللحية متساندين ، فدريد على بني جشم بن معاوية، وعمرو بن سفيان على بني عامر. فقال عبد الله بن الصمة لأخيه: إني غير معطيك الرياسة، ولكن لي في هذا اليوم شأنًا. ثم اشترك عبد الله وشراحيل بن سفيان، فلما أغار القوم أخذ عبد الله من نعم بني أسد ستين وأصاب القوم ما شاءوا. وأدرك رجل من بني جذيمة عبد الله بن الصمة فقال له عبد الله بن الصمة: ارجع فإني كنت شاركت شراحيل بن سفيان، فإن استطاع دريد فليأته وليأخذ مالي منه. وأقام دريدٌ في أواخر الحي فقال له عمرو: ارتحل بالناس قبل أن يأتيك الصراخ ، فقال: إني أنتظر أخي عبد الله. حتى إذا أطال عليه قال له: إن

أخاك قد أدرك فوارس من الخلفيين يسوقون بطعنهم فقتلوه. فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشراحيل: إن عبد الله أنبأني ولم يكذبي قط إن له شركةً مع شراحيل فأدوا إلينا شركته. فقالوا له: ما شاركناه قط. فقال دريد: ما أنا بتارككم حتى أستحلفكم عند ذي الخلصة "وثن من أوثانهم". فأجابوه إلى ذلك وحلفوا، ثم جاء عبد الله بغنيمة عظيمة فجاءوه ينشدونه الشرك. فقال لهم دريد: ألم أحلفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قتل. فقالوا: ما حلفنا وجعلوا يناشدون عبد الله أن يعطيهم، فقال: لا، حتى يرضى دريداً، فأبى أن يرضى فتوعده أن يسرقوا إبله. فقال دريد في ذلك:

هل مثل قلبك في الأهواء معذور والحب بعد مشيب المرء مغرور

وذكر الأبيات التي تقدمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها:

إذا غلبتم صديقاً تبطشون به كما تهدم في الماء الجماهير
وأنتم معشر في عرقكم شنج بزخ الظهور وفي الأستاذ تأخير
قد علم القوم أنني من سراتهم إذا تقبض في البطن المذاكير
وقد أروع سوام القوم ضاحيةً بالجرد يركضها الشعث المغاوير
يحملن كل هجان صارم ذكر وتحتم شرب قب مضامير
أو عدتمو إيلي كلا سمينعها بنو غزية لا ميل ولا صور

أخوه عبد يغوث ومقتله وما رثاه به: وأما عبد يغوث بن الصمة وخبر مقتله فإنه كان يتزل بين أظهر بني الصادر فقتلوه. قال أبو عبيدة في خبره: قتله مجمع بن مزاحم أخو شحنة بن مزاحم وهو من بني يربوع بن غيظ بن مرة. فقال دريد بن الصمة:

أبلغ نعيماً وأوفى إن لقيتهما إن لم يكن كان في سمعيهما صمم
فما أخي بأخي سوء فينقصه إذا تقارب بابن الصادر القسم
ولن يزال شهاباً يستضاء به يهدي المقانب ما لم تهلك الصمم
عاري الأشجاع معصوب بلمته أمر الزعامة، في عرنيته شمم

خالد بن الصمة ومقتله: قال أبو عبيدة: أما قوله "أو ندبني خالد"، فإنه يعني خالد بن الصمة؛ فإن بني الحارث بن كعب غرت بني جشم بن معاوية، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت بنو الحارث خالد بن الصمة، وإياه عني. وقال غير أبي عبيدة: خالد بن الحارث الذي عناه دريد هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمة بن الحارث قتلتة أحس "بطناً من شنوءة"، وكان دريد بن الصمة أغار عليهم في قومه فظفر بهم واستاق إبلهم وأموالهم وسي

نساءهم وملاً يديه وأيدي أصحابه، ولم يصب أحد ممن كان معه إلا خالد بن الحارث عمه، رماه رجل منهم بسهم فقتله؛ فقال دريد بن الصمة يرثيه:

يا خالداً خالد الأيسار والنادي وخالد الريح إذ هبت بصراد

وخالد القول والفعل المعيش به و خالد الحرب إذ عضت بأزراد
وخالد الركب إذ جد السفار بهم و خالد الحي لما ضن بالزاد
وقال أبو عبيدة: قال دريد يرثي أخاه خالداً:

أميم أجدي عافي الرزء واجشمي وشدي على رزء ضلوعك وإبأسي
حرامٌ عليها أن ترى في حياتها كمثل أبي جعدٍ فعودي أو اجلسي
أعف وأجدي نائلاً لعشيرة وأكرم مخلود لدى كل مجلس
وألين منه صفحةً لعشيرة وخيراً أبا ضيفٍ وخيراً لمجلس
تقول هلالٌ خارجٌ من غمامة إذا جاء يجري في شليلٍ وقونس
يشد متون الأقربين بهاؤه ويخبث نفس الشانئ المتعبس
وليس بمكبابٍ إذا الليل جنه نؤوم إذا ما أدلجوا في المعرس
ولكنه مدلاجٍ ليلٍ إذا سرى يند سراه كل هادٍ مملس

هذه رواية أبي عبيدة.

يوم ثيل: وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه العباس بن هشام عن أبيه أن خالد بن الصمة قتل في غارةٍ أغارها بنو الحارث بن كعب على بني نصر بن معاوية في يومٍ يقال له يوم ثيل ، فأصابوا ناساً من بني نصر. وبلغ الخبر بني جشم فلحقوهم، ورئيس بني جشم يومئذٍ مالك بن حزن، فاستنقذوا ما كان في أيديهم من غنائم بني نصر، فأصابوا ذا القرن الحارثي أسيراً وفتقوا عين شهاب بن أبان الحارثي بسهم، وقتل يومئذٍ خالد بن الصمة وكان مع مالك بن حزن، وأصابت بنو جشم منهم ناساً، وكان رئيس بني الحارث بن كعب يومئذٍ شهاب بن أبان، ولم يشهد دريد بن الصمة ذلك اليوم؛ فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة، ولما قدم لتضرب عنقه، صاح بأوس بن الصمة، وكان له صديقاً، ولم يكن أوس حاضراً، فلم ينفعه ذلك وقتل. فلما قدم أوس غضب وقال: أقتلتم رجلاً استجار باسمي! فقال عوف بن معاوية في ذلك:

نبئت أوساً بكى ذا القرن إذ شربا على عكاظ بكاءً غال مجهودي
إني حلفت بما جمعت من نشبٍ وما ذبحت على أنصابك السود

لتبكين قتيلاً منك مقترباً

إنني رأيتك تبكي للأباعد

قصة زواجه بامرأة وجدها ثيباً: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني عبد الله بن مالك النحوي الضرير قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: تزوج دريد بن الصمة امرأه فوجده ثيباً، وكانوا قالوا له إنما بكر، فقام عنها قبل أن يصل إليها، وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضر بها، فتلقته أمها لتدفعه عنها، فوقف يديها "أي حزهما ولم يقطعهما"، فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال:

أقر العين أن عصبت يديها

وما إن تعصبان على خضاب

فأبقاهن أن لهن جداً

وواقية كواقية الكلاب

قالوا: يريد أن الكلب يصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ. ما جرى بينه وبين عياض الثعلبي: قال أبو عبيدة وابن الأعرابي جميعاً في هذه الرواية: أسر دريد بن الصمة عياضاً الثعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه. ثم إن دريداً أتاه بعد ذلك يستثيبه. فقال له: إيت رحلك حتى أبعث إليك بثوابك؛ فأنصرف دريد. فبعث إليه بوطب نصفه لبن ونصفه بول. فغضب دريد ولم يلبث إلا قليلاً حتى أغار على بني ثعلبة، واستاق إبل عياض، وافلت عياض منه جريحاً؛ فقال دريد في ذلك من قصيدة:

فإن تتج يدمى عارضاك فإننا

تركنا بنيك للضباع وللرخم

جزيت عياضاً كفره وعقوقه

وأخرجته من المدفأة الدهم

ألا هل أتاه ما ركبنا سراتهم

وما قد عقرنا من صفى ومن قرم

هجا عبد الله بن جدعان ثم مدحه: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جدعان التيمي تيم قريش فقال:

هل بالحوادث والأيام من عجب

أم بابن جدعان عبد الله من كلب

إست حميت وهي في عكم ربته

في يوم حرٍ شديد الشر والهرب

إذا لقيت بني حرب وأخوتهم

لا يأكلون عطين الجلد والأهـب

لا ينكلون ولا تشوي رماحهم

من الكماء ذوي الأبدان والجـبـب

فاقعد بطيناً مع الأقوام ما قعدوا

وإن غزوت فلا تبعد من النصب

فلو ثقفتك وسط القوم ترصدني

إذا تلبس منك العرض بالحقب

وما سمعت بصقرٍ ظل يرصده

من قبل هذا بجنب المرج من خرب

قال: فلقية عبد الله بن جدعان بعكاظ فحياه وقال له: هل تعرفني يا دريد؟ قال لا. قال: فلم هجوتني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا عبد الله بن جدعان. قال: هجوتك لأنك كنت امرأ كريماً، فأحببت أن أضع شعري موضعه. فقال له عبد الله: لئن كنت هجوت لقد مدحت؛ وكساه وحمله على ناقة برحله. فقال دريد بمدحه:

إليك ابن جدعان أعملتها	مخففة للسرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقي امرأ	جواد الرضا وحليم الغضب
وجلداً إذا الحرب مرت به	يعين عليها بجزل الحطب
رحلت البلاد فما إن أرى	شبيه ابن جدعان وسط العرب
سوى ملكٍ شامخٍ ملكه	له البحر يجري وعين الذهب

تغزل في الخنساء وخطبها فامتعت وتهاجيا: أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام موقوفاً عليه لم يتجاوز به إلى غيره، وحدثني حبيب بن نصر المهلي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالاً حدثنا عمر بن شبة عن الأصمعي وأبي عبيدة، وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن المغيرة عن أبي عبيدة، وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني ابن نوبة عن أبي عمرو الشيباني، وأخبرني عمي قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي، وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم في هذا الموضع، أن دريد بن الصمة مر بالخنساء بنت عمرو بن الشريد، وهي ثناءً بعيداً لها وقد تبدلت حتى فرغت منه، ثم نضت عنها ثيابها فاغتسلت ودريد بن الصمة يراها وهي لا تشعر به فأعجبته؛ فانصرف إلى رحله وأنشأ يقول:

حيوا تماضر واربعوا صحبي	وقفوا فإن وقوفكم حسبي
أخناس قد هام الفؤاد بكم	وأصابه تيلٌ من الحب
ما إن رأيت ولا سمعت به	كالיום طالي أينقٍ جرب
متبذلاً تبدو محاسنه	يضع الهناء مواضع النقب
متحسراً نضح الهناء به	نضح العبير بريطة العصب
فسليهم عني خناس إذا	عض الجميع الخطب ما خطبي

- قالوا: وتماضر اسمها. والخنساء لقبٌ غلب عليها - فلما أصبح غداً على أبيها فخطبها إليه. فقال له أبوها: مرحباً بك أبا قرة! إنك للكريم لا يطعن في حسبه، والسيد لا يرد عن حاجته، والفحل لا يقرع أنفه. - وقال أبو عبيدة خاصة مكان "لا يطعن في حسبه" لا يطعن في عييه " - ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذاكرك لها وهي فاعلة. ثم دخل إليها وقال لها: يا خنساء، أتاك فارس هوزان وسيد بني جشم دريد بن

الصمة يخطبك وهو من تعلمين، ودريد يسمع قولهما. فقالت: يا أبت، أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جشم هامة اليوم أو غدٍ! فخرج إليه أبوها فقال: يا أبا قرّة قد امتنعت، ولعلها أن تحيب فيما بعد. فقال: قد سمعت قولكما، وانصرف. هذه رواية من ذكرت. وقال ابن الكلبي: قالت لأبيها: أنظري حتى أشاور نفسي، ثم بعثت خلف دريد وليدةً فقالت لها: انظري دريداً إذا بال، فإن وجدت بوله قد حرق الأرض ففيه بقية، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضل فيه. فاتبعته وليدتها ثم عادت إليها فقالت: وجدت بوله قد ساح على وجه الأرض، فأمسكت. وعاود دريد أباهما فعاودها فقالت له هذه المقالة المذكورة؛ ثم أنشأت تقول:

وقد أطردت سيد آل بدر!

يقال أبوه من جشم بن بكر

لقد أمسيت في دنسٍ وفقر

من الفتيان أمثالي ونفسي

إذا ما ليلةً طرقت بنحس

إذا استعجلن عن حزٍ بنهس

وأبدأ بالأرامل حين أمسي

ولا جاري يبيت خبيث نفس

تحت حلائل الأبرام عرسي

خفي الوسم في ضررسٍ ولمس

على الركبات مطلع كل شمس

وإن أربى فإنني غير نكس

وهل خبرتها أني ابن أمس

يبادر بالجوائر كل كرس

أهم به ولا سهمي بنكس

عظيم في الأمور ولا بوهس

أتخطبني، هبلت، على دريدٍ

معاذ الله ينكحني حبركي

ولو أمسيت في جشمٍ هدياً

فغضب دريد من قولها وقال يهجوها:

وقاك الله يابنة آل عمرو

فلا تلدي ولا ينكحك مثلي

لقد علم المراضع في جمادى

بأنني لا أبيت بغير لحم

وأنني لا ينال الحي ضيفي

إذا عقب القدور تكن مالا

وأصفر من قداح النبع صلب

دفعت إلى المفيض إذا استلقوا

فإن أكدى فتامكة تؤدى

وتزعم أنني شيخٌ كبيرٌ

تريد شرنبث القدمين شتاً

وما قصرت يدي عن عظم أمر

وما أنا بالمزجي حين يسمو

قال: فقيل للخنساء: ألا تحيينه؟ فقالت: لا أجمع عليه أن أردّه وأهجوّه.

آخر أيامه وشعره بعد أن أسن وضعف جسمه: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: لما

أسن دريد جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت، ووكّلوا به أمةً تخدمه، فكانت إذا أرادت أن تبعد في حاجة قيده بقيد الفرس. فدخل إليه رجل من قومه فقال له: كيف أنت يا دريد؟ فأنشأ يقول:

أصبحت أقذف أهداف المنون كما	يرمي الدريئة أدنى فوقه الوئر
في منصفٍ من مدى تسعين من	كرمية الكاعب العذراء بالحجر
مائة	
في منزلٍ نازحٍ ممن الحي منتبذٍ	كمربط العير لا أدعى إلى خبر
كأنني خربٌ قصت قوادمه	أو جثّةٌ من بغاثٍ في يدي خصر
يمضون أمرهم دوني وما فقدوا	مني عزيمة أمرٍ ما خلا كبري
ونومةٌ لست أقضيها وإن متعت	وما مضى قبل من شأوي ومن عمري
وأنني رايني قيئٌ حبست به	وقد أكون وما يمشى على أثري
إن السنين إذا قربن من مائة	لوين مرة أحوالٍ على مرر

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال: قالت امرأة دريد له: قد أسننت وضعف جسمك وقتل أهلك وفي شبابك، ولا مال لك ولا عدة، فعلى أي شيء تعول إن طال بك العمر أو على أي شيء تخلف أهلك إن قتلت؟ فقال دريد: صوت

أعاذل إنما أفنى شبابي	ركوبي في الصريخ إلى المنادي
مع الفتيان حتى كل جسمي	وأقرح عاتقي حمل النجاد
أعاذل إنه مالٌ طريفٌ	أحب إلي من مالٍ تلاد
أعاذل عدتي بدني ورمحي	وكل مقلص شكس القياد
ويبقى بعد حلم القوم حلمي	ويبقى قبل زاد القوم زادي

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد، وغيره يرويه لعمر بن معد يكرب، وقول أبي عبيدة أصح. لابن محرز في هذه الأبيات ثاني ثقلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أن لابن سريج فيها ثاني ثقلٍ بالبنصر. وخلط المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معد يكرب في هذين اللحين:

أريد حياته ويريد قتلي	عذيرك من خليلك من مراد
ولو لا قيتني ومعي سلاحي	تكشف شحم قلبك عن سواد

قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم: وقال أبو عبيدة فيما رويناه عن دماذ عنه: قتلت بنو يربوع الصمة أبا دريد غدرًا، وأسروا ابن عم له؛ فغزاهم دريد ببني نصر فأوقع ببني يربوع وبني سعد جميعًا، فقتل فيهم. وكان فيمن قتل عمار بن كعب؛ وقال فيهم:

دعوت الحي نصرًا فاستهلوا
على جرد كأمثال السعالي
فما جبنوا ولكننا نصبنا
فكم غادرن من كاب صريع
بشبان ذوي كرم وشيب
ورجل مثل أهمية الكثيب
صدور الشرعية للقلوب
يمج نجيع جائفة ذنوب

وتلكم عادة لبني رباب
فأجلوا والسوام لنا مباح
وقد ترك ابن كعب في مكر
كان أبوه شاعرًا: قال أبو عبيدة: وكان الصمة أبو دريد شاعرًا، وهو الذي يقول في حرب الفجار التي كانت بينهم وبين قريش:

لاقت قريش غداة العقي
وجئنا إليهم كموج الأتي
وأعددت للحرب خيفانة
ومحكمة من دروع القيو
ق أمراً لها وجدته وبيلاً
يعلو النجاد ويملا المسيل
ورمحا طويلاً وسيفاً صقيلاً
ن تسمع للسيف فيها صليلاً

وكان أخوه مالك شاعرًا

قال: وكان أخوه مالك بن الصمة شاعرًا؛ وهو القائل يرثي أخاه خالدًا:

أبني غزية إن شلوا ماجداً
لاتسقني بيديك إن لم ألتمس
وسط البيوت السود مدفع كركر
بالخيل بين هبولة فالقرقر

تحالف مع معاوية بن عمرو بن الشريد ورثاه: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن عمرو بن الشريد وتوثقا إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده، وإن قتل أن يطلب بئاره. فقتل معاوية بن عمرو بن الشريد، قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المري. فرثاه دريد بقصيدته التي أولها:

ألا هبت تلوم بغير قدر
وقد أحفظتني ودخلت سترتي
وإلا تتركي لومي سفاهاً
تلمك عليه نفسك غير عصر
وفيها يقول:

فإن الرزء يوم وقفت أدعو
ولو أسمعته لأتاك يسعى
بشكة حازم لا غمز فيه
عرفت مكانه فعطفت زوراً
على إرم وأحجار ثقال
وبنيان القبور أتى عليها
فلم أسمع معاوية بن عمرو
حديث السعي أو لأتاك يجري
إذا لبس الكماة جلود نمر
وأين مكان زور يابن بكر
وأغصان من السلماط سمر
طوال الدهر شهراً بعد شهر

حديث عارض الجشمي عنه وقد خرف: أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: وقف عارض الجشمي على دريد وقد خرف وهو عريان وهو يكوم كوم بطحاء بين رجله يلعب بذلك؛ فجعل عارض يتعجب مما صار إليه دريد. فرفع رأسه دريد إليه وقال:

كأنني رأس حصن
يا ليتني عهد زمن
كأنني فحل حصن
أرسل كالظبي الأرنب
في يوم غيم ودجن
أنفض رأسي وذقن
أرسل في حبل عنن
ألصق أذنًا بأذن

قال: ثم سقط؛ فقال له عارض: انهض دريد! فقال:

لا نهض في مثل زمني الأول
ضخم الكراديس خميص الأشكل
محبب الساق شديد الأعصل
ذي حنجر رحب وصلب أعدل

خرج في حرب حنين وهو شيخ ونصح مالك بن عوف فخالفه: حدثنا محمد بن جرير الطبري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقام بها خمس عشرة ليلة يقصر، وكان فتحها في عشر ليالٍ بقين من شهر رمضان. قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما سمعت به هوزان جمعها مالك بن عوف النصري، فاجتمعت إليه ثقيف مع هوزان، ولم يجتمع إليه من قيس إلا هوزان وناس قليل من بني هلال، وغابت عنها كعب وكلاب، فجمعت نصر وجشم وسعد وبنو بكر وثقيف واحتشدت، وفي بني جشم دريد بن الصمة شيخ كبير فان ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرباً، وفي ثقيف في

الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف. فلما أجمع مالك المسير حط مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم. فلما نزلوا بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة في شجارٍ له يقاد به. فقال لهم دريد: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس. قال: نعم مجال الخيل، ليس بالحزن الضرس ولا السهل الدهس. ما لي أسمع رغاء الإبل ونهيق الحمير وبكاء الصغير وثغاء النساء؟! قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم. فقال: أين مالك؟ فدعي له به. فقال له: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام! ما لي أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء الصبيان وثغاء النساء؟! قال: سقت مع الناس نساءهم وأبناءهم وأموالهم. قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل مع كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. قال: فانقض به ووبخه ولامه، ثم قال: راعي ضأنٍ والله "أي أحق"! وهل يرد المنهزم شيء! إنما إن كانت لك لم ينفعلك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك. ثم قال: ما فعلت كعبٌ وكلاب؟ قال: لم يشهدا أحداً منهما. قال: غاب الحد والحد! لو كان يوم علاءٍ ورفعة لم تغب عنه كعبٌ وكلاب! ولوددت أنكم فعلتم مثل ما فعلوا. فمن شهدا منهم؟ قالوا: بنو عمرو بن عامر وبنو عوف بن عامر قال: ذاك الجذعان من عامرٍ لا ينفعان ولا يضران. ثم قال: يا مالك إنك لم تصنع بتقدم البيضة بيضة هوزان إلى نحر الخيل شيئاً. ارفعهم إلى أعلى بلادهم وعلياء قومهم ثم الق القوم بالرجال على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك ولم تفضح في حريمك. قال: لا والله ما أفعل ذلك أبداً! إنك قد خرفت وخرف رأيك وعلمك. والله لتطيعني يا معشر هوزان أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من وراء ظهري - فنفس على دريد أن يكون له في ذلك اليوم ذكرٌ ورأيٌ - فقالوا له: أطعنك وخالفنا دريداً. فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه. ثم قال:

أخب فيها وأضع

كأنها شاةٌ صدع

يا ليتني فيها جذع

أقود وطفاء الزمع

قال: فلما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهزم المشركون فأتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة، وتبعته خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك نخلة، فأدرك ربيعة بن ربيع السلمي أحد بني يربوع بن سمال بن عوف دريد بن الصمة فأخذ بخطام جملة وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه كان في شجارٍ له، فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخ كبير ولم يعرفه الغلام. فقال له دريد: ماذا تريد؟ قال: أقتلك. قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن ربيع السلمي. فأنشأ دريد يقول:

من المرعش الذاهب الأدرد

لولت فرائصه ترعد

ويح ابن أكمة ماذا يريد

فأقسم لو أن بي قوة

ويا لهف نفسي ألا تكون

معي قوة الشارخ الأمر

ثم ضربه السلمي بسيفه فلم يغن شيئاً. فقال له: بئس ما سلحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القراب فاضرب به وارفع عن العظام واخلض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أفعل بالرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب يومٍ قد منعت فيه نساءك!. فرغمت بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته بالسيف سقط فانكشف، فإذا عجانه وبطن فخذه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعرأ. فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه؛ فقالت له: لقد أعتق قتيك ثلاثاً من أمهاتك. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري، فهزمهم الله عز وجل وفتح عليه. فيزعمون أن سلمة بن دريد بن الصمة رماه بسهم فأصاب ركبتة فقتله "يعني أبا عامر". فقالت عمرة بنت دريد ترثيه:

وأعقبهم بما فعلوا عقاق

دماء خيارهم يوم التلاقي

أجيب وقد دعاك بلا رماق

وأخرى قد فككت من الوثاق

جزى عنا الإله بني سليم

وأسقانا إذا سرنا إليهم

فرب منوه بك من سليم

ورب كريمة أعتقت منهم

وقالت عمرة ترثيه أيضاً:

وظل دمعي على الخدين يبتدر

رأت سليم وكعب كيف تأتمر

حيث استقر نواهم جحفل ذفر

قالوا قتلنا دريداً قلت قد صدقوا

لولا الذي قهر الأقوام كلهم

إذا أصبحهم غباً وظاهرة

استحثه قومه على الأخذ بئار أخيه خالد من بني الحارث فقال شعراً وأجابه عبد الله بن عبد المدان: ونسخت من كتاب مترجم بأنه نسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يآثره عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي: كان دريد بن الصمة يوماً يشرب مع نفرٍ من قومه، فقالوا له: يا أبا ذفافة - وكان يكنى بأبي ذفافة وبأبي قرة - أينجو بنو الحارث بن كعب منك وقد قتلوا أخاك خالداً؟! فقال لهم: إن القوم جمة مذحج، وهم أكفاء جشم، ولا يحمل بي هجاؤهم. فأحفظوه بكثرة القول وأغضبوه، فقال:

زندكم وار في الحرب بهم

كأسود الغاب يحمين الأجم

حين يرفض العدا غير جشم

يابني الحارث أنتم معشر

ولكم خيل عليها فتية

ليس في الأرض قبيل مثلكم

لست للصمة إن لم آتكم
ففتقر العين منكم مرةً
وترى نجران منكم بلقعاً
فانظروها كالسعالِي شزباً
بالخناذِيز تبارى في اللجم
بانبعاث الحر نوحاً تلتدم
غير شمطاء وطفلٍ قد يتم
قبل رأس الحول إن لم أخترم

قال: فمني قوله إلى عبد الله بن عبد المدان، فقال يجيبه:

نبئت أن دريداً ظل معترضاً
كالكلب يعوي إلى بيدااء مقفرةٍ
إن تلق حي بني الديان تلقهم
ما كان في الناس للديان من شبه
أغمض جفونك عما لست نائله
نحن الذين تركنا خالداً عطباً
إن تهجنا تهج أنجاداً شرامحةً
أورى زياداً لنا زنداً ووالدنا
يهدى الوعيد إلى نجران من حضن
من ذا يواعدنا بالحرب لم يحن
شم الأنوف إليهم عزة اليمن
إلا رعين وإلا آل ذي يزن
نحن الذين سبقنا الناس بالدمن
وسط العجاج كأن المرء لم يكن
بيض الوجوه مرافيداً على الزمن
عبد المدان وأورى زنده قطن

رده أسماء بن زنباع عن طعنته زينب وطعنه فأصاب عينه: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال: أغار دريد بن الصمة في نفر من أصحابه، فمروا بأسماء بن زنباع الحارثي ومعه طعنته زينب، فأحاطوا به لينتزعوها في يده، فقاتلهم دونها فقتل منهم وجرح، ثم اختلف هو ودريد طعنتين: فطعنه دريد فأخطأه، وطعنه أسماء فأصاب عينه، واهزم دريدٌ ولحق بأصحابه؛ فقال دريدٌ في ذلك:

شلت يميني ولا أشرب معتقةً
إذ أخطأ الموت أسماء بن زنباع

قصته مع أنس بن مدركة الخثعمي ويزيد بن عبد المدان وشعره في ذلك: ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني الذي ذكرته يأثره عن محمد بن السائب الكلبي قال: جاور رجلٌ من ثمالة عبد الله بن الصمة، فهلك عبد الله وأقام الرجل في حوار دريد. وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جشم، فأصاب مال الثمالي وأصاب ناساً من ثمالة كانوا جيراناً لدريد؛ فكف دريد عن طلب القوم وشغل بحرب من يليه، وقال لجاره ذلك: أمهلني عامي هذا. فقال الثمالي: قد أمهلتك عامين. وخرج دريد ليلةً لحاجته وقد أبطأ في أمر الثمالي، فسمعه يقول:

كساك دريد الدهر ثوب خزايةٍ
دع الخيل والسمر الطوال لختعمٍ
وجدعك الحامي حقيقته أنس
فما أنت والرمح الطويل وما الفرس

وما أنت والغزو المتابع للعدا
فلو كان عبد الله حياً لردها
وهمك سوق العود والدلو والمرس
ولا أصبحت عرسي بأشقى معيشة
وما أصبحت مهزوماً حزيناً لفقده
وما أصبحت إيلي بنجران تحتبس
وإني أصبحت عرسي بأشقى معيشة
وإني أصبحت مهزوماً حزيناً لفقده
وإني أصبحت عرسي بأشقى معيشة
وإني أصبحت مهزوماً حزيناً لفقده

قال: فضاقت دريد ذرعاً بقوله، وشاور أولي الرأي من قومه؛ فقالوا له: ارحل إلى يزيد بن عبد المدان؛ فإن أنساً قد خلف المال والعيال بنجران للحرب التي وقعت بين خثعم، وإن يزيد يردها عليك. فقال دريد: بل أقدم إليه قبل ذلك مدحةً ثم أنظر ما موقعي من الرجل، فقال هذه القصيدة وبعث بها إلى يزيد:

بني الديان ردوا مال جاري
وردوا السبي إن شئتم بمن
وأسرى في كبولهم النقال
فأنتم أهل عائدة وفضل
وإن شئتم مفاداةً بمال
متى ما تمنعوا شيئاً فليست
وأيد في مواهبكم طوال
وحر بكم بني الديان حرباً
حبائل أخذه غير السؤال
وجار بكم بني الديان بسل
يغص المرء منها بالزلال
وجار بكم بني الديان بسل
محصرة الصدور على مثال
هم أهل التكرم والفعال
أقر لكم به أخرى الليالي
فأولوني بني الديان خيراً

قال: فلما بلغ يزيد شعره قال: وجب حق الرجل! فبعث إليه أن أقدم علينا. فلما قدم عليه أكرمه وأحسن مثواه. فقال: له دريد يوماً: يا أبا النضر، إني رأيت منكم خصالاً لم أرها من أحد من قومكم: إني رأيت أبنيتم متفرقة، ونتاج خيلكم قليلاً، وسرحكم يجيء معتماً، وصبيانكم يتضاغون من غير جوع. قال: أجل! أما قلة نتاجنا فتناج هوازن يكفيننا وأما تفرق أبنتنا فللغيرة على النساء. وأما بكاء صبياننا فإننا نبدأ بالخيل قبل العيال. وأما تمسينا بالنعم فإن فينا الغرائب والأرامل، تخرج المرأة إلى ما لها حيث لا يراها أحد. قال: وأقبلت طلائعهم على يزيد، فقال شيخ منهم:

أنتك السلامة فارع النعم
ولا تقل الدهر إلا نعم

وسرح دريداً بنعمى جشم

وإن سالك المرء إحدى القحم

فقال له دريد: من أين جاء هؤلاء؟ فقال: هذه طلائعنا لا نسرح ولا نصطبح حتى يرجعوا إلينا. فقال له: ما ظلمكم من جعلكم جمرة مذبح. ورد يريد عليه الأسارى من قومه وجيرانه، ثم قال له: سلمي ما شئت؛ فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه. فقال دريد في ذلك:

مدحت يزيد بن عبد المدان

فأكرم به من فتى ممتدح

إذا المدح زان فتى معشر

فإن يزيد يزين المدح

حللت به دون أصحابه

فأورى زنادي لما قدح

ورد النساء بأطهارها

ولو كان غير يزيد فضح

وفك الرجال وكل امرئ

إذا أصلح الله يوماً صلح

وقلت له بعد عتق النساء

وفك الرجال ورد اللقح

أجر لي فوارس من عامر

فأكرم بنفحته إذا نفح

وما زلت أعرف في وجهه

بكري السؤال ظهور الفرح

رأيت أبا النضر في مذبح

بمنزلة الفجر حين اتضح

إذا قارعوا عنه لم يقرعوا

وإن قدموه لكبشٍ نطح

وإن حضر الناس لم يخزهم

وإن وازنوه بقرنٍ رجح

فذاك فتاها وذو فضلها

وإن نابحٌ بفخارٍ نبج

قصته مع مسهر بن يزيد الحارثي وشعره: قال وقال ابن الكلبي: خرج دريد بن الصمة في فوارس من قومه في غزاة له، فلقبه مسهر بن يزيد الحارثي، الذي فقأعين عامر بن الطفيل، يقود بامرأته أسماء بنت حزن الحارثية. فلما رآه القوم قالوا: الغنيمة، هذا فارسٌ واحد يقود طعينةً، وخليقٌ أن يكون الرجل قرشياً. فقال دريد: هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا به وبالطعينة؟ فانتدب إليه رجلٌ من القوم فحمل عليه، فلقبه مسهر فاختلغا طعنتين بينهما، فقتله مسهر بن الحارث. ثم حمل عليه آخر فكانت سبيله سبيل صاحبه؛ حتى قتل منهم أربعة نفر. وبقي دريد وحده فأقبل إليه؛ فلما رآه ألقى الخطام من يده إلى المرأة وقال: خذي خطامك؛ فقد أقبل إلي فارس ليس كالفرسان الذين تقدموه؛ ثم قصد إليه وهو يقول:

أما ترى الفارس بعد الفارس

أرداهم عامل رمح يابس

فقال له دريد: من أنت لله أبوك؟ قال: رجلٌ من بني الحارث بن كعب. قال: أنت الحصين؟ قال لا. قال: فالحجل هودة؟ قال لا. قال: فمن أنت؟ قال: أنا مسهر بن يزيد. قال: فانصرف دريد وهو يقول:

أمن ذكر سلمى ماء عينك يهمل كما انهل خزرٌ من شعيبٍ مثلشمل
وماذا ترجي بالسلامة بعدما نأتِ حقْبٌ وابيض منك المرجل
وحالت عوادي الحرب بيني وبينها وحربٌ تعل الموت صرفاً وتتهل
قراها إذا باتت لدي مفاضةً وذو خصلٍ نهد المراكل هيكل
كميشٌ كتيس الرمل أخلص متته ضريب الخاليا والنقيع المعجل
عتيدٌ لأيام الحروب كأنه إذا انجاب ريعان العجاجة أجدل
يجاب جرداً كالسراحين ضمراً ترود بأبواب البيوت وتسهل
على كل حيٍ قد أطلت بغارةٍ ولا مثل ما لاقى الحماس وزعل

- الحماس وزعل: قبيلتان من بني الحارث بن كعب -

غداة رأونا بالغريف كأننا حبي أدرته الصبا متهلل
بمشعلة تدعو هوازن، فوقها نسيجٌ من الماذي لأم مرفل
لدى معركٍ فيها تركنا سراتهم ينادون، منهم موثقٌ ومجلد
نجد جهاراً بالسيوف رؤوسهم وأرامحنا منهم تعل وتتهل
ترى كل مسود العذارين فارسٍ يطيف به نسرٌ وعرفاء جبال

قال مؤلف هذا الكتاب: هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعةٌ كلها، والتوليد بين فيها وفي أشعارها، وما رأيت شيئاً منها في ديوان دريد بن الصمة على سائر الروايات. وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير؛ فإنه ذكر فيه ما لحق دريداً من المهجنة والفضيحة في أصحابه وقتل من قتل معه وانصرافه منفرداً، وشعر دريد هذا يفخر فيه بأنه ظفر ببني الحارث وقتل أمثالهم؛ وهذا من أكاذيب ابن الكلبي. وإنما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه.

أخبار المعتضد في صنعة هذا اللحن

وغيره من الأغاني - دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب - وشيء من أخباره مع المغنين وغيرهم يصلح لما هنا: راسل عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أمر النعم العشر حتى فهمها وجمعها في صوت: حدثني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه - لما صنعت

جاريته شاجي اللحن الذي يجمع النغم العشر - بظي وحبیب جاريتي أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذنا اللحن عنه ونقلناه إليه وألقناه على جواريه. قال: ولم يزل يراسلني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر النغم العشر ويسألني عنها وأشرحها له، حتى فهمها جيداً وجمعها في صوتٍ صنعه في شعر دريد بن الصمة:

يا لبتني فيها جذع

أخب فيها وأضع

وألقاه عليهما حتى أدتاه إلي مستعلماً بذلك هل هو صحيح القسمة والأجزاء أم لا، فعرفته صحته ودلته على ذلك حتى تيقنه فسر بذلك؛ وهو لعمرى من جيد الصنعة ونادرها. وقد صنع المعتضد ألحناً في عدة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والحديثين وعارضهم بصنعتهم فأحسن وشاكل وضاهى، فلم يعجز ولا قصر ولا أتى بشيء يعتذر منه. فمن ذلك أنه صنع في:

أما القطاة فإني سوف أنعتها

نعتاً يوافق نعتي بعض ما فيها

لحناً في الثقيل الأول بالبنصر في نهاية الجودة، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زرور يغنيه، فكان من أحسن ما صنع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشتراك القدماء والحديثين في صنعته مثل معبد ونشيط ومالك وابن محرز وسانن وعمر الوادي وابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وعلويه. وأظرف من ذلك أنه صنع في:

تشكى الكميت الجري لما جهده

وبين لو يستطيع أن يتكلما

لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، وقد صنع قبله ابن سريج لحناً هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كله، فما قصر في صنعته ولا عجز عن بلوغ الغاية فيها؛ هذا بعد أن صنع إسحاق فيها لحناً من الثقيل الثاني عارض ابن سريج به في لحنه؛ فما امتنع من أن يتلو مثل هذين ولا نظير لهما في القدماء والحديثين، ثم جود غاية التجويد فيما اتبعهما به وعارضهما فيه. هذا مع أصوات لها صنعتها تزاوي المائة صوت، ما فيها ساقطٌ ولا مردول، وسأذكر منها ما يصلح ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى. ومن نادر صنعة المعتضد: صوت

أناةً فإن تغن عقب بعدها

وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمه

الشعر لإبراهيم بن العباس، والغناء للمعتضد ثقيلٌ أول. هذا بيتٌ قاله إبراهيم وهو لا يعلم أنه شعر، وإنما كتب به في رسالة عن المعتصم إلى بعض أصحاب الأطراف فقال في فصل منه: "وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أناةً، فإن لم تغن عقب بعدها وعيداً، فإن لم يغن أغنت عزائمه". فلما تأمله أنه شعر وأنه بيتٌ نادر فأخرجه في شعره.

أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه

نسبه، وشيء عن آبائه: إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، وكان صولُ رجلاً من الأتراك، ففتح يزيد بن المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالي يزيد. ولما دعا يزيد إلى نفسه لحق به صولُ لينصره فصادفه قد قتل. وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه: صولُ يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه. فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك، فاغتاظ وجعل يقول: ويلي على ابن الغلفاء! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه! ولعله لا يفقه صلاته!. وكان ابنه محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعائها، وقد كان بعض أهلهم ادعوا أنه عربٌ وأن العباس بن الأحنف خالهم. وأما صول فإن خالد بن خدّاش ذكر عن أهله قالوا: كان صولُ وفيروز أخوين ملكا على جرجان، وكانا تركيين تمجسا وتشبها بالفرس. فلما حضر يزيد بن المهلب جرجان أمنهما، فأسلم صولُ على يديه ولم يزل معه حتى قتل يوم العقر. وكان محمد بن صول يكنى أبا عمارة، أحد الدعاة، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مقاتل بن حكيم العكي وعدة آخرين. كان يقول الشعر ثم يختاره: وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكتاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدّهما تقدماً، وكان إبراهيم أدبهما وأحسنهما شعراً، وكان يقول الشعر ثم يختاره، ويسقط رذله، ثم يسقط الوسط، ثم يسقط ما يسبق إليه، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير، وربما لم يدع منها إلا بيتاً أو بيتين؛ فمن ذلك قوله:

وفي العهد مأمون المغيّب

ولكن الجواد أبا هشام

وهذا ابتداء يدل على أن قبله غيره؛ وقوله في أخيه:

وصار له من بين إخوته مال

ولكن عبد الله لما حوى الغنى

وهذا أيضاً ابتداء يدل على أن قبله غيره. وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذي الرياستين، اتصلا به فرفع منهما. وتنقل إبراهيم في الأعمال الجليّة والدواوين إلى أن مات وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات بسر من رأى في سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان.

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم قال سمعت دعبلراً يقول: لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء. قال: ثم أنشدنا له، وكان يستحسن ذلك من قوله:

عني لمبذولٌ له عذري

إن امرأً ضن بمعروفه

إن كان لا يرغب في شكري

ما أنا بالراغب في عرفه

هجاؤه محمد بن عبد الملك الزيات وتشفيه بموته: وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شحنة عظيمة لم يمكن تلافيتها، فكان إبراهيم يهجو؛ فمن قوله فيه:

وقصر قليلاً من مدى غلوائكا

أبا جعفرٍ خف خفضةً بعد رفعةٍ

فإن رجائي في غدٍ كرجائكا

لئن كان هذا اليوم يومَ حويته

وله فيه أيضاً:

دعوتك في بلوى أَلمت صروفها فأوقدت من ضغنٍ علي سعيها
فإني إذا أدعوك عند ملمةٍ كداعيةٍ عند القبور نصيرها

وقال فيه لما مات:

لما أتاني خبر الزيات وإنه قد صار في الأموات
أيقنت أن موته حياتي

هجره صديقه الحارث بن بسخنر مرضاةً لمحمد بن عبد الملك الزيات فقال في ذلك شعراً: أخبرني لحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال: لما انخرق محمد بن عبد الملك الزيات عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقوه، وكان الحارث بن بسخنر صديقاً له مصافياً، فهجره فيمن هجره من إخوانه؛ فكتب إليه:

تغير لي فيمن تغير حارث وكم من أخ قد غيرته الحوادث
أحارث إن شورك فيك فطالما غنيا وما بيني وبينك ثالث

وقد قيل: إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي.
ومن جيد قوله إبراهيم بن العباس وفيه غناء: صوت

خل النفاق لإهله وعليك فالتمس الطريقا
واذهب بنفسك إن ترى إلا عدواً أو صديقاً

الغناء لأبي العبيس بن حمدون ثقیل أول قصة عشقه لقينة وانكماشه لتأخرها وشعره فيها: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال: كان إبراهيم بن العباس يهوى قينة بسر من رأى، فكان لا يكاد يفارقها. فجلس يوماً للشرب ومعه إخوان له، ودعا جماعةً من جواري القيان، ودعاها فأبطأت، فتغص عليهم يومهم لما رأوا من شغل قلبه بتأخرها، ثم وافت فسري عنه وطابت نفسه وشرب وطرب، ثم دعا بدواة فكتب:

ألم ترنا يومنا إذ نأت فلم تأت من بين أترابها
وقد غمرتنا دواعي السرور بإشعالها وبإلهابها
ومدت علينا سماء النعيم وكل المنى تحت أطنابها
ونحن فتورٌ إلى أن بدت وبدر الدجى بين أثوابها
فلما نأت كيف كنا لها ولما دنت كيف صرنا بها

وأمر من حضر فقرأ عليها الأبيات؛ فتجنت وقالت: ما القصة كما وصفت، وقد كنتم في قصفكم مع من حضر. وإنما تحملتم لي لما حضرت. فأنشأ يقول:

ومن فؤادي لديه

نهم أسفت عليه

هم من أصبو إليه

فأمره في يديه

يا من حنيني إليه

ومن إذا غاب من بي

إذا حضرت فما من

من غاب غيرك منهم

قال: فرضيت عنه، وأتمننا يوماً على أحسن حال.

أجازه دعبل في شعر: وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني إبراهيم بن العباس - قال حدثني به دعبل أيضاً فكانا متفيقين في الرواية - قال: كنا نطلب جميعاً بالشعر، فخرجنا وكنا في محمل، فابتدأت أقول في المطلب بن عبد الله بن مالك:

أطلب أنت مستعذب

فقال دعبل:

لسم الأفاعي ومستقتل

فقلت:

فإن أشف منك تكن سبة

فقال دعبل:

وإن أعف عنك فما تفعل

روى له الأخفش أبياتاً كان يفضلها ويستجيدها: أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يفضلها ويستجيدها:

وأخذ للصديق من الشقيق

فإنك واجدي عبد الصديق

وأجمع بين مالي والحقوق

أميل مع الذمام على ابن أمي

وإن ألفيتني حراً مطاعاً

أفرق بين معروفني ومني

جوابه لأبي أيوب: أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البغل قال حدثني عمي قال: اجتاز محمد بن علي برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولي ديار مضر فلم يتلقه، ونزل الرقة فلم يصل إليه ولم يره، وخرج عنها فلم يشيعه. فلامه إخوانه وقالوا: يشكوك إلى إبراهيم بن العباس فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعله.

فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه:

وركوبٌ للتي لا تغفر

أبدأ معتذراً لا يعذر

وملقى بمساوٍ كلها

منه تبدو وإليه تصدر

هي من كل الورى منكراً

وهي منه وحده لا تتكر

كان يهوى جارية اسمها " سامر " أهدت له جارتين: أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال: كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنين بسر من رأى يقال لها سامر، وشهر بها، فكان منزله لا يخلو منها. ثم دعيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه أياماً ثم جاءته ومعها جارتان لمولاتها. وقالت له: قد أهديت صاحبتي إليك عوضاً من مغيبك عنك؛ فأنشأ يقول: صوت

أقبلنا يحففن مثل الشمس طالعة

قد حسن الله أولاهها وأخراها

ما كنت فيهن إلا كنت واسطة

وكن دونك يمانها ويسراها

الغناء لسلسل مولى بني هاشم، ثاني ثقل بالوسطى مطلقاً. وليس لسلسل خبر يدون ولا هو من المشهورين ولا ممن خدم الخلفاء أو دون له حديث. وذكر حبش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهلالي. وسلسل هذه كانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً، وكانت لبعض المغنين بالبصرة، وكان محمد بن حرب هذا يتعشقها ولم تكن مولاته. فأخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النخعي قال حدثني حماد بن إسحاق قال: أتى أبان بن عبد الحميد الشاعر رجلاً بالبصرة وله قينة يقال لها سلسل، فصادف عندها محمد بن قطن الهلالي وعثمان بن الحكم بن صخر الثقفي فقال:

فتنت سلسل قلب ابن قطن

ثم تثنت بآبن صخر فافتنت

فأتيت اليوم كي أنقذهم

فإذا نحن جميع في قرن

فأظن الغلط وقع على حبش من ها هنا أو سمع هذا الخبر فتوهم أنها مولاة محمد بن حرب. ذهابه مع دعبل ورزين وركوبهم حمير أهل الشوك وشعرهم في ذلك: أخبرني عمي وو كيع قالا حدثنا الحسن بن عليل العتري قال حدثني محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال: خرج إبراهيم بن العباس ودعبل بن علي وأخوه رزين في نظرائهم من أهل الأدب رجالة إلى بعض البساتين في خلافة المأمون، فلقيهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشوك، فأعطوهم شيئاً وركبوا تلك الحمير فأنشأ إبراهيم يقول:

أعيضت بعد حمل الشو

ك أحمالاً من الحرف

نشأوى لا من الصهبا

ء بل من شدة الضعف

فقال رزين:

فلو كنتم على ذاك

تؤولون إلى قصف

تساوت حالكم فيه

ولم تبقوا على خسف

فقال دعبل:

فكونوا من بني الظرف

وإذا فات الذي فات

فإني بائعٌ خفي

ومروا نقصف اليوم

فانصرفوا معه فباع خفه وأنفقه عليهم.

رثاؤه لابنه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهروية قال قال لي علي بن الحسين الإسكافي: كان لإبراهيم ابنٌ قد يقع وترعرع، وكان معجباً به فأعتل علة لم تطل ومات؛ فرثاه بمراتٍ كثيرة، وجزع عليه جزعاً شديداً فمما رثاه به قوله:

فبكى عليك الناظر

كنت السواد لمقلتي

فعليك كنت أحاذر

من شاء بعدك فليمت

فيه رملٌ لابن القصار. ومن مرثيه إياه قوله:

أدافع عنه حمام الأحل

وما زلت منذ أعطيته

أرمي بطرفي إلى حيث حل

أعوذه دائماً بالقران

إلى حيث حل فلم يرتحل

فأضحت يدي قصدها واحداً

عاتبه أبو وائلة في لهُوه فقال شعراً: وقال أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو وائلة قال: قلت لإبراهيم بن العباس: قد أحملت نفسك ورضيت أن تكون تابعاً أبداً لاقتصارك على القصص واللعب؛ فأنشأ يقول:

حيث حلت تناهت

إنما المرء صورة

رف لي حال ساعتي

أنا مذ كنت في النص

وهبه أخوه عبد الله ثلث ماله وأخته الثلث الآخر وشعره في ذلك: أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابن السخي قال:

وهب عبد الله بن العباس لأخيه إبراهيم ثلث ماله، ووهب لأخته الثلث الآخر، فسار مساوياً لهما في الحال؛ فقال إبراهيم:

وصار له من بين إخوته مال

ولكن عبد الله لما حوى الغنى

فساهمهم حتى استوت بهم الحال

رأى خلةً منهم تسد بماله

وهذا مما عيب على إبراهيم قوله ابتداءً "ولكن عبد الله" وقد كرره في شعره فقال:

وفي العهد مأمون المغيب

ولكن الجواد أبا هشام

وطلاغٌ عليك مع الخطوب

بطيءٌ عنك ما استغنيت عنه

والسبب في ذلك اختياره شعره وإسقاطه ما لم يرضه منه.

عزله عن الأهواز: وقرأت في بعض الكتب: لما عزل إبراهيم بن العباس عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيات اعتقل بها وأوذى، وكان محمد قبل الوزارة صديقه، وكان يؤمل منه يسامحه ويطلقه، فكتب إليه:

فلو إذ نبا دهرٌ وأنكر صاحبٌ
وسلط أعداءٌ وغاب نصير
تكون عن الأهواز داري بنجوة
ولكن مقاديرٌ جرت وأمر
وإني لأرجو بعد هذا محمداً
لأفضل ما يرجى أخٌ ووزير

فأقام محمد على قصده وتكشفه والإساءة إليه حتى بلغ منه كل مكروه. وانفرجت الحال بينهما على ذلك، وهجاه إبراهيم هجاءً كثيراً.

أرسل ابن الزيات أبا الجهم للكنايه به: واخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو عبد الله الباقطاني أو الطالقاني قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال: وجه محمد بن عبد الملك بأبي الجهم أحمد بن سيف إلى الأهواز ليكشف إبراهيم بن العباس، فتحامل عليه تحاملاً شديداً. فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يعرفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له: أبو الجهم كافرٌ لا يبالي ما عمل، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت:

وأقبلت تسعى إلى واحدي
ضارراً كأني قتلت الرسولاً
تركت عبيد بني طاهر
وقد ملئوا الأرض عرضاً وطولاً
فسوف أدن بترك الصلاة
وأصطبج الخمر صرفاً شمولاً

فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول: ليس هذا الشعر لأبي الجهم، إنما إبراهيم قاله ونسب إليه. مدح المتوكل ببيتين وغنى بهما جعفر بن ربيعة: أخبرني أحمد بن جعفر بن ربيعة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال: قد مدحت أمير المؤمنين المتوكل ببيتين، فغن فيهما وأشعهما، ودع لي بطيب كثير فأعطانيه، وخلع علي خلعة سرية، فغنيت فيهما. والبيتان:

صوت

ما واحدٌ من واحدٍ
أولى بفضل أو مروه
ممن أبوه وجده
بين الخلافة والنبوه

واشعتها وغنى فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صلةً سنية. لحن جعفر بن ربيعة في هذين البيتين رمل بالنصر.

مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد فأجازه: أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي: أن إبراهيم بن العباس الصولي دخل على الرضا لما عقد له المأمون وولاه العهد، فأنشده قوله:

أزالت عزاء القلب بعد التجلد

مصارع أولاد النبي محمد

- صلى الله عليه وسلم - فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه، فلم تنزل عند إبراهيم، وجعل منها مهور نسائه، وخلف بعضها لكفنه وجهازه إلى قبره.

آذى إسحاق ابن أخي زيدان فهده فكف عنه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العباس بن الفرات والباقراني قالا: كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقاً لإبراهيم بن العباس، فأنسخه شعره في مدح الرضا، ثم ولي إبراهيم بن العباس في أيام المتوكل ديوان الضياع، فعزله عن ضيع كانت بيده بجلوان، وطالبه بمال وجب عليه، وتباعد بينهما. فقال إسحاق لبعض من يثق به: قل لإبراهيم بن العباس: والله لئن لم يكف عما يفعله في لأخرجن قصيدته في الرضا بخطه إلى المتوكل. فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه، ووجه من ارتجع القصيدة منه وجعله على ثقة من أنه لا يظهرها، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به.

نادرته في ثقل: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال: راكبت إبراهيم بن العباس، فلقينا رجلاً كان إبراهيم يستثقله، فسلم عليه، فلما مضى قال: يا أبا إسحاق إنه جرمي. فقلت: ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد. فضحك وقال: إنما أردت قول الشاعر:

تسائل عن أخي جرم

ثقل والذي خلقه

كتابه في شفاعاة لرجل

إلى بعض إخوانه:

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن السخي قال حدثني الحسن بن عبد الله الصولي قال: كتب عمي إبراهيم بن العباس شفاعاة لرجل إلى بعض إخوانه: فلان ممن يزكو شكره، ويحسن ذكره، ويعني أمره، والصنيعة عنده واقعة موقعها وسالكة طريقها.

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجا

إصابة شكر لم يضع معه أجر

مدحه عبيد الله بن يحيى عند المتوكل: أخبرني عمي عن أبي العيناء قال: كان عبيد الله بن يحيى يقول للمتوكل: يا أمير المؤمنين، إن إبراهيم بن العباس فضيلةٌ حبأها الله لك، وذخيرةٌ ذخرها لدولتك.

طلب إليه المتوكل وصف القدور الإبراهيمية ومجوعتهما في ذلك: وذكر عن علي بن يحيى: أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القدور الإبراهيمية، وكان ابتدعها؛ فكتب له صفتها، وكتب في آخرها في ذكر الأباير: "ووزن دائق" ونسي أن يكتب من أي شيء. فلما وصلت إليه الصفة اغتاظ ثم قال لعلي بن يحيى: احلف بجيايتي أن تقول له ما أمرك به، ففعل. فقال له: قل وزن دائق من أي شيء؟ أمن بظر أمك! قال علي بن يحيى: فدخلت إليه فقلت: إني جئتك في رسالة عزيز علي أن أوذيها؛ فقال: هاها، فأديتها. قال: فارجع

إليه وقل له عني: يا سيدي، أن علي بن يحيى أخي وصديقي وقد أدى الرسالة؛ فإن رأيت أن تجعل وزن الدانق من بظر أمي وبظر أمه جمعاً تفضلت بذلك. فقلت: قبحك الله! وأنا أيش ذني! قال: قد أدت الرسالة وهذا جوابها. فدخلت إلى المتوكل فقال: إيه ما قال لك؟ فقلت: قبح الله ما جئت بك به! وأخبرته بالجواب؛ فضحك حتى فحص برجله وجعل يشرب عليه بقية يومه. وإذا لقيته قال لي: يا علي، وزن دانق أيش! فأقول: لعنة الله على إبراهيم.

داعب الحسن بن وهب وشعره في ذلك: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: دعا الحسن بن وهب إبراهيم بن العباس؛ فقال له: أركب وأحيئك عشيّاً فلا تنتظري بالغداة. فأبطأ عليه، وأسرع الحسن في شربه فسكر ونام، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحالة، فدعا بدواة وكتب:

رحنا إليك وقد راحت بك الراح وأسرت فيك أوتاراً وأقداح

قال: وحدثني محمد بن موسى قال: نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له:

عيناك قد حكنا مبي

ولرب عين قد أرت

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثلها؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتاً. وأبيات إبراهيم:

أبا علي خير قولك ما

ما عندنا في البيع من غبن

أنا أهل ذلك غير محتشم

ها نحن وفيناك أربعة

أخبرني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال: سمعت إبراهيم بن العباس وقد لبس سواده يوماً يقول: يا غلام هات ذلك السيف الذي ما ضر الله به أحداً قط غيري.

كان يستقل ابن أخيه وحكايات عنه في ذلك: قال: وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العباس فقيل له: هو مشغول بطبيب ومنجم عنده، وكان يستقله، فقال قل له يا غلام: والله مالكا في الناس طبع؛ ولا في السماء نجم، فما لك تكلف هذا التكلف.

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن السخي قال: أمر إبراهيم بن العباس أن يجمع كل أعور يمر في الطريق، فجمعوهم ووقفوهم وخرج ومعه طماس، فلم رأى العور مجتمعين قال لطماس: كلهم مثلك، فترك هذا الصلف فإنه داعية إلى التلف.

أخبرني الصولي قال حدثني ميمون بن موسى قال: قال الحسن بن وهب لإبراهيم بن العباس: تعال حتى نعد البغضاء؛ قال: ابدأ بي أولاً من أجل ابن أخي طماس ثم ثن بمن شئت.

أمر الحسن بن مخلد بأمر فأبطأ فيه فقال شعراً: أخبرني الصولي قال قال جعفر بن محمود:
ركبت بين يدي إبراهيم بن العباس. فأمر الحسن بن مخلد بأمر فاستبطأه فيه فنظر إليه فقال:

معجبٌ عند نفسه	وهو لي غير معجب
إن أقل لا يقل نعم	عائبٌ غير معتب
مولعٌ بالخلاف لي	عامداً والتجنب
قلت فيه بضد ما	قليل في أم جندب

يريد قول امرئ القيس:

خليلي مرا بي على أم جندب

أي فأنا لا أريد أن أمر بك.

تنادر بابن الكلبي عند المتوكل لما جاء كتابه: قال وأخبرني الصولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلي عن أبيه قال: كان المتوكل قد ولي ابن الكلبي البريد، وأحلفه بالطلاق ألا يكتمه شيئاً من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه. فكتب إليه يوماً أن امرأته خرجت مع حبتها في نزهة، وأن حبتها عربدت عليها فجرحتها في صدغها. فقرأه إبراهيم بن العباس على المتوكل ثم قال له: يا أمير المؤمنين، قد صحف ابن الكلبي، إنما هو: "جرحتها في سرمها"، فضحك المتوكل وقال: صدقت. ما أظن القصة إلى هكذا. قال: ولم يكن ابن الكلبي هذا من العرب، إنما كان أبوه يلقب "كلب الرحل" فقليل له الكلبي.

استعطافه محمد بن عبد الملك الزيات: أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون قال: كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه: كتبت إليك وقد بلغت المدية الحز، وعدت الأيام بك علي، بعد عدوي بك عليها، وكان أسوأ ظني وأكثر خوفي، أن تسكن في وقت حركتها، وتكف عند أذاها، فصرت علي أضر منها، وكف الصديق عن نصرتي خوفاً منك، وبادر إلي العدو تقرباً إليك. وكتب تحت ذلك:

أخ بين وبين الده	ر صاحب أيننا غلبا
صديقي ما استقام فإن	نبا دهرٌ علي نبا
وثبت على الزمان به	فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا	لعاد به أخاً حذبا

قال وكتب إليه: أما والله لو أمنت ودك لقلت؛ ولكني أخاف منك عتب لا تنصفي فيه، وأخشى من نفسي لائمةً لا تختملها لي. وما قد قدر فهو كائن، وعن كل حادثة أحوثة. وما استبدلت بحالة كنت فيها مغتبطاً حالة أنا في مكروهاها وألمها أشد علي من أني فزعت إلي ناصري عند ظلمي لحقي، فوجدت من يظلمني أخف نية في ظلمي منه، وأحمد الله كثيراً. ثم كتب في أسفلها:

وكننت أخي بإخاء الزمان

فلما نبا صرت حرباً عواناً

وكننت أدم إليك الزمان

فأصبحت فيك أدم الزمانا

وكننت أعدك للنائبات

فأصبحت أطلب منك الأمانا

هجا محمد بن عبد الملك وكان قد أغرى به الواصل: أخبرني الصولي قال أخبرني الحسين بن فهم قال: كان محمد بن عبد الملك قد أغرى الواصل بإبراهيم بن العباس، وكان إبراهيم يعاتبه على ذلك ويداربه، ثم وقف الواصل على تحامله عليه فرفع يده عنه وأمر أن يقبل منه ما رفعه، وورده إلى الحضرة مصوناً، فلما أحس إبراهيم بذلك بسط لسانه في محمد، وحس ما بينه وبين ابن أبي داود. وهجا محمد بن عبد الملك هجاء كثيراً؛ منه قوله:

قدرت فم تضرر عدواً بقدرة

وسمت بها أخوانك الذل والرغما

وكننت مليناً بالتّي قد يعافها

من الناس من يابى الدنيئة والذما

تمادح هو وأبي تمام: أخبرني الصولي قال حدثنا ابن السخي قال حدثني الحسين بن عبد الله: قال: سمعت إبراهيم بن العباس حدثنا يقول لأبي تمام الطائي وقد أنشده شعراً له في المعتصم: يا أبا تمام، أمراء الكلام رعية لإحسانك. فقال له أبو تمام: ذلك لأني أستضيء بك وأرد شريعتك.

اعتذر له إبراهيم بن المدبر عن أخيه فقال شعراً: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال سمعت إبراهيم بن المدبر يقول: جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أخي أحمد بن المدبر شيء وكان يودني دون أخي؛ فلقيتة فاعتذرت إليه عنه؛ فقال لي: يا أبا إسحاق: صوت

خل النفاق لإهله

وعليك فالتمس الطريقا

واذهب بنفسك إن ترى

إلا عدواً أو صديقاً

الغناء لأبي العبيس.

احتال على المتوكل لينجي بعض عماله من العقوبة:

أخبرني الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال: انصرف إبراهيم بن العباس يوماً من دار المتوكل وقال لنا: أنا والله مسرورٌ بشيء مغمومٍ منه. فقلنا له: وما ذاك أعزك الله؟ قال: كان أحمد بن المدبر رفع إلى أمير المؤمنين أن بعض عمالي اقتطع مالاً، وصدق في الذي قاله، وكننت قد رأيت هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهه فدعوت له، وضحك إلي فقال لي: إن أحمد قد رفع على عاملك كذا وكذا فاصدقني عنه؛ فضاقت علي الحجة، وخفت أن أحقق قوله إن اعترفت، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود علي الغرم، فعدلت عن الحجة إلى الحيلة فقلت: أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك: صوت

رد قولي وصدق الأقوال

وأطاع الوشالة والعزالا

أتراه يكون شهر صدودٍ

وعلى وجهه رأيت الهللا

قال: والله لا يكون ذلك بحياتي يا إبراهيم! رو هذا الشعر بنائاً حتى يغنيني به. فقلت: نعم يا سيدي على ألا يطالب صاحبي بقول أحمد. فقال للوزير: تقبل قول صاحبه في هذا المال. فسررت بالظفر، واغتممت ببطلان هذا المال وزهابه بمثل هذه الحيلة، ولعله قد جمع في زمن طويل وتعبٍ شديد. سرق ابن دريد وابن الرومي شعره: أنشدت عمي رحمه الله أبياتاً لأبن دريد يمدح رجلاً من أهل البصرة:

يا من يقبل كف كل مخرق
هذا ابن يحيى ليس بالمخراق
قبل أنامله فلسنا أناملاً
لكنهن مقاتح الأرزاق

فقال: يا بني هذا سرقه هو وابن الرومي جميعاً من إبراهيم بن العباس؛ قال إبراهيم بن العباس يمدح الفضل بن سهل:

لفضل بن سهل يدُ
تقاصر عنها الأمل
فباطنها للندی
وظاهرها للقبل
وبستطها للغنى
وسطوتها للأجل

وسرقه ابن الرومي فقال:

أصبحت بين خصاصة ومذلة
والحر بينهما يموت هزبلاً
فأمدد إلي يداً تعود بطنها
بذل الندم وظهورها التقبيل

قال ثعلب إنه كان أشعر المحدثين: أخبرني الصولي قال سمعت أحمد بن يحيى ثعلباً يقول: كان إبراهيم بن العباس أشعر المحدثين. قال: وما روى ثعلب شعر كاتب قط قال: وكنت يستحسن كثيراً قوله:

لنا إبلٌ كومٌ يضيق بها الفضاء
ويفتر عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا
ومن دوننا أن تستباح دماؤها
حنى وقرى فالموت دون مرامها
وأيسر خطبٍ يوم حق فناؤها

ثم قال: والله لو كان هذا لبعض الأوائل لا ستجيد له.

مدح الحسن بن سهل: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعت الحسن بن رجاء يقول: كنا بفهم الصلح أيام بني المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل؛ فقدم إبراهيم بن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سهل فأنشده:

ليهنئك أصهارٌ أذلت بعزها
خدوداً وجدعت الأنوف الرواغما
جمعت بها الشمليين من آل هاشم
وحزت بها للأكرمين الأكارما
بنوك غدوا آل النبي ووارثو ال
خلافة والحاون كسرى وهاشماً

فقال له الحسن: " شنشنة أعرفها من أكرم " أي إنك لم تزل تمدحنا، ثم قال له: أحسن الله عنا جزاءك يا أبا إسحاق؛ فما الكثير من فعلنا بك بجزاء ليسير من حقك.
قال شعراً في قينة اسمها " سامر " كان يهواها فغضبت عليه: أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قينة اسمها سامر كان يهواها فغضبت عليه:

وعلمتني كيف الهوى وجهلته وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي

وأعلم ما لي عندكم فيردني هوائي إلى حهل فأقصر عن علمي

شعره في قصر الليل: أخبرني الصولي قال: سمعت عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول: لا يعلم لقديم ولا لحدث في قصر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العباس:

وليلة من الليالي الزهر قابلت فيها بدرها ببدر

لم تك غير شفق وفجر حتى تولت وهي بكر الدهر

تكر له ابن الزيات لصلته بابن أبي دواد فاعتذر له بشعر:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدثني أحمد بن بشر المرثدي قال: كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دواد، فلما خرج من عنده لقيه محمد بن عبد الملك الزيات وهو خارج من داره؛ فتبين إبراهيم في وجه محمد الغضب فلم يخاطبه في العاجل بشيء. فلما انصرف إلى منزله كتب إليه.

دعني أوصل من قطع ت يراك بي إذ لا يراكا

إني متى أهجر لهج رك لا أضربه سواك

وإذا قطعتك في أخي ك قطعت فيك غداً أخاكا

حتى أرى متقسماً يومي لذا وغدي لذاكا

مسح المداد بكم ثوبه وشعره في ذلك: أخبرني الصولي قال حدثني أبو العيناء قال: كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقط من القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه؛ فتعجبت من ذلك؛ فقال: لا تعجب، المال فرع والقلم أصل، ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراجعة من الفرع. ثم فكر قليلاً وقال:

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ وأسلمه الوجود إلى العيان

وهو شاه فنمنه مسد فصيح في المقال بلا لسان

تري حلل البيان منتشرات تجلى بينها صور المعاني

أقمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل ثم عفى عنه بشفاعة هشام الخطيب: أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطاح قال: لما عزم المأمون على الفتك بالفضل بن سهل، وندب له عبد العزيز بن عمران

الطائي، ومؤنساً البصري، وخلفاً المصري، وعلي بن أبي سعد ذا القلمين، وسراجاً الخادم، نمي الخبر إلى الفضل، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه. فلما قتل الفضل وقتل المأمون قتلته، سأل من أين سقط الخبر إلى الفضل؟ فعرف أنه من جهة إبراهيم بن العباس، فطلبه قاستتر. وكان إبراهيم عرف هذا الخبر من جهة عبد العزيز بن عمران، وكان الفضل استكتب إبراهيم لعبد العزيز بن عمران، فأحبر به الفضل. قال: وتحمل إبراهيم بالناس على المأمون، وجرد في أمره هشاماً الخطيب المعروف بالعباسي وكان جريئاً على المأمون لأنه رباه، وشخص إليه إلى خراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي، فلم يجبه المأمون إلى ما سأل. فلقية إبراهيم مستتراً وسأله عما عمل في حاجته. فقال له هشام: قد وعدني في أمرك بما تحب. فقال له إبراهيم: أظن أن الأمر على غير هذا! قال: وما تظن؟ قال: محلك عند أمير المؤمنين أجل من أن يعدك شيئاً فترضى بتأخيرته، وهو أكرم من أن يعد مثلك شيئاً فيؤخره، ولكنك سمعت ما لا تحب في فكرهت أن تغمني به فقلت لي هذا القول، وأحسن الله على كل الأحوال جزاءك، فمضى هشام إلى المأمون فعرفه خبر إبراهيم، فعجب من فطنته وعفا عنه. قال: وفي هشام يقول إبراهيم بن العباس:

من كانت الأموال ذخراً له فإن ذخري أمني في هشام
فتى يقي اللامة عن عرضه وأنهب المال قضاء الزمام

مدح الفضل بن سهل: أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال: دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد، فقال هات، فأنشده:

يمضي الأمور على بديهته وتريه فكرته عواقبها
فيظل يصدرها ويوردها فيعم حاضرها وغائبها
وإذا ألمت صعبة عظمت فيها الرزية كان صاحبها
المستقل بها وقد رسبت ولوت على الأيام جانبها
وعدلتها بالحق فاعتدلت ووسعت راغبها وراهبها
وإذا الحروب غلت بعثت لها رأياً تقل به كتائبها
رأياً إذا نبت السيوف مضى عزمٌ بها فشفى مضاربها
أجرى إلى فئة بدولتها وأقام في أخرى نواذبها
وإذا الخطوب تأثلت ورست هدت فواصله نواذبها
وإذا جرت بضميره يده أبدت به الدنيا مناقبها

وأنشدني عمي إبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل وفيه غناء: صوت

فلو كان للشكر شخصٌ يبين

إذا ما تأملته الناظر

لمثله لك حتى تراه

فتعلم أني امرؤ شاكر

الغناء لأبي العيس ثقیل أول. وفيه لرذاذ ثاني ثقیل. حدثني أبو يعقوب النوبختي قال حدثني جماعة من عمومتي وأهلنا أن رذاذاً صنع في هذين البيتين لحناً أعجب به الناس فاستحسنوه، فلما كثر ذلك صنع فيه أبو العيس لحناً آخر، فسقط لحن رذاذ واختار الناس لحن أبي العيس.

مدح المتوكل وولاة العهود فأجازوه: أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال: لما عقد المتوكل لولاة العهود من ولده ركب بسر من رأى ركبةً لم ير أحسن منها، وركب ولادة العهود بين يديه، والأترار بين أيديهم أولادهم يمشون بين يدي المتوكل بمناطق الذهب، في أيديهم الطبريزينات المحلاة بالذهب، ثم نزل بالماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات وسائر السفن، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس، وأذن للناس فدخلوا إليه فلما تكاملوا بين يديه، مثل إبراهيم بن العباس بين الصفيين، فاستأذن في الإنشاد فأذن له، فقال:

ولما بدا جعفرٌ في الخمي

س بين المطل وبين العروس

بدا لابساً بهما حلةً

أزيلت بها طالعات النحوس

ولما بدا بين أحبابه

ولادة العهود وعز النفوس

غدا قمرأ بين أقماره

وشمساً مككلة بالشموس

لإيقاد نارٍ وإطفائها

ويوم أنيقٍ ويوم عبوس

ثم أقبل على ولادة العهود فقال:

أضحت عرى الإسلام وهي منوطةٌ

بالنصر والإعزاز والتأييد

بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ

كنف الخلافة من ولادة عهود

قمرٌ توافقت حوله أقماره

فحففن مطلع سعه بسعود

رفعتهم الأيام وارتفعوا به

فسعوا فأكرم أنفسٍ وجدود

قال: فأمر له المتوكل بمائة ألف درهم، وأمر له ولادة العهود بمثلها.

فضل ابن برد الخيار شعره على شعر محمد بن عبد الملك الزيات: أخبرني عمي قال: اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وابن برد الخيار في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته، فجعل هارون ينشد من أشعار أبيه محاسنها، ويفضلها ويقدمها. فقال له ابن برد الخيار: إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم بن العباس:

أسدٌ ضارٍ إذا هيجته
وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا
يعرف الأبعد إن أثرى ولا
يعرف الأدنى إذا افتقرا
أو مثل قوله:

تلج السنون بيوتهم وترى لهم
عن جار بيتهم ازورار مناكب
وتراهم بسيوفهم وشفارهم
مستشرفين لراغبٍ أو راهب
حامين أو قارين حيث لقيتهم
نهب العفاة ونهزةً للراغب

فأذكره وافخر به، وإلا فأقلل من الافخار والتطاول بما لا طائل فيه؛ فحجل هارون. وقال عبيد الله بن سليمان:
لعمري ما في الكتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي، " يعني عمه الحسن بن وهب " ثم أمر بعض كتابه بكتب
المقطوعتين اللتين أنشدتهما ابن برد الخيار.
هنا الحسن بن سهل بصهر المأمون: أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يهنأ الحسن بن سهل
بصهر المأمون:

هنتك أكرومةٌ جللت نعمتها
أعلت وليك واجتثت أعاديكا
ما كان يحيا بها إلا الإمام وما
كانت إذا قرنت بالحق تعدوكا

هجا محمد بن عبد الملك الزيات: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن داود بن الجراح قال حدثني أبو محمد الحسن
بن مخلد قال: أودع محمد بن عبد الملك الزيات مالا عظيماً وجوهرًا نفيساً، وقد رأى تغيراً من الوثائق فخافه
وفرق ذلك في ثقافته من أهل الكرخ ومعامله من التجار. وكان إبراهيم بن العباس يعاديه ويرصد له بالمكارة
لإساءته إليه، فقال أبياتاً وأشاعها حتى بلغت الوثائق يغريه به:

نصيحةٌ شأنها وزير
مستحفظٌ سارقٌ مغير
ودائعٌ جمّةٌ عظام
قد أسبلت دونها الستور
تسعة آلاف ألفٍ
خلالها جوهرٌ خطير
بجانب الكرخ عند قومٍ
أنت بما عندهم خبير
والملك اليوم في أمور
تحدث من بعدها أمور
قد شغلته محقراتٌ
وصاحب الكارة الوزير

مدح المعتز بشعره:

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء: صوت

سحور محاجر الحدقه
مليحٌ والذي خلقه

مجانبه ومن عشقه
رياض محاسن أنقه
وطوراً في دم غرقه

يلألئ نوره أفقه
ذو مقة إذا رمقه
ن أمر عباده عنقه
وطهر في الوري خلقه

سواء في رعايته
لعيني في محاسنه
فأحياناً أنزهها
يقول فيها في مدح المعتز بالله:

فيا قمراً أضاء لنا
يشبهه سنا المعتز
أميرٌ قلد الرحم
وفضله وطيبه

في الأربعة الأبيات الأول رملٌ ذكر الهشامي أنه لابن القصار، ووجدته في بعض الكتب لعريب.
هنأه أحمد بن المدبر وكان يحرض عليه فقال شعراً: أنشدني الأحفش لإبراهيم بن العباس يقولها لأحمد بن المدبر
وقد جاءه بعد خلاصة من النكبة مهنتاً، وكان استعان به في أمر نكبته فقعد عنه، وبلغه أنه كان يحرض عليه ابن
الزيات:

نبوت فلما عاد عدت مع الدهر
ولا يوم إدبارٍ عددتك في وتر
كلا حالتك من وفاءٍ ومن غدر

الشأن في الخلان
رأى الزمان رمانى
فصار زخر الزمان
من أعظم الحدثان
إلا من الإخوان

وكننت أخي بالدهر حتى إذا نبا
فلا يوم إقبالٍ عددتك طائلاً
وما كنت إلا مثل أحلامنا نائم

وأنشدني الصولي له في أحمد بن المدبر أيضاً وقد عاتبه أحمد بن المدبر على شيء بلغه فقال:

هب الزمان رمانى
فيمن رمانى لما
ومن ذخرت لنفسى
لو قيل لي خذ أماناً
لما أخذت أماناً

ومن أخبار الجارية مجرى هذا الكتاب.

المعتضد وغلामه بدر: حدثني عمي عن جدي رحمهما الله قال قال لي عبيد الله بن سليمان، وكان يأنس بي أنساً
شديداً لقدِم الصلبة وائتلاف المنشأ: دعاني المعتضد يوماً فقال: ألا تعاتب بدرأ على ما لا يزال يستعمله من
التخرق في النفقات والإثابات والزيادات والصلوات! وجعل يؤكد القول علي في ذلك؛ فلم أخرج عن حضرته

حتى دخل إليه بدر فجعل يستأمره في إطلاقات مسرفة ونفقات واسعة وصلات سنية وهو يأذن له في ذلك كله. فلما خرج رأى في وجهي إنكاراً لما فعله بعدما جرى بيني وبينه؛ فقال لي: يا عبيد الله قد عرفت ما في نفسك، وأنا وإياه كما قال الشاعر:

صوت

من القلوب مطاعٌ حيثما شفعا

في وجهه شافعٌ يمحو إساءته

منه الإساءة منفورٌ لما صنعا

مستقبلٌ الذي يهوى وإن كثرت

وفي هذين البيتين خفيف رمل.

كان المعتضد يطرب لغناء ابن العلاء في شعر الوليد بن يزيد: حدثني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني أحمد بن العلاء قال: غنيت المعتضد:

وبشعري غنياني

كللاني توجاني

واشدداني بعناني

أطلقاني من وثاقي

فاستحسنه جداً، ثم قال لي: ويحك يا أحمد! أما ترى زهو الملك في شعره وقوله:

وبشعري غنياني

كللاني توجاني

واستعاده مراراً، ثم وصلني كل مرة استعاده بعشرة آلاف درهم، وما وصل بها مغنياً قبلي ولا بعدي. قال: واستعاده مني ست مراتٍ ووهب لي ستين ألفاً، وقال النوشجاني: بل وصله بعشرة آلاف درهم مرةً واحدة.

صناعة أولاد الخلفاء الذكور منهم والإناث

فأولهم وأتقنهم صناعةٌ وأشهرهم ذكراً في الغناء إبراهيم بن المهدي؛ فإنه كان يتحقق به تحققاً شديداً ويتبدل نفسه ولا يستتر منه ولا يحاشي أحداً. وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء ستر وعلى حال تصون عنه وترفع، إلا أن يدعوه إليه الرشيد في خلوة والأمين بعده. فلما أئمنه المأمون تهتك بالغناء وشرب النبيذ بحضرته والخروج من عنده ثملاً ومع المغنين، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع ربقة الخلافة من عنقه وهتك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها. وكان من اعلم الناس بالنغم والوتر والإيقاعات وأطبعهم في الغناء وأحسنهم صوتاً. وهو من المعدودين في طيب الصوت خاصة؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية: ابن جامع وعمرو بن أبي الكنت وإبراهيم ابن المهدي ومخارق. وهؤلاء من الطبقة الأولى، وإن كان بعضهم يتقدم. وكان إبراهيم مع علمه وطبعه مقصراً عن أداء الغناء القديم وعن أن ينحوه في صناعته، فكان يحذف نغم الأغاني الكثيرة العمل حذفاً شديداً

ويخففها على قدر ما يصلح له وفي بآدائه. فإذا عيب ذلك عليه قال: أنا ملكٌ وابن ملك، أغني كما أشتهي وعلى ما ألتذ. فهو أول من أفسد الغناء القديم، وجعل للناس طريقاً إلى الجسارة على تغييره. فالناس إلى الآن صنفان: من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن ينكر تغيير الغناء القديم ويعظم الإقدام عليه ويعيب من فعله، فهو يغني الغناء القديم على جهته أو قريباً منها. ومن أخذ بمذهب إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مخارق وشارية وريق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغني الغناء القديم كما يشتهي هؤلاء لا كما غناه من ينسب إليه، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهي أن يقرب عليه مأخذ الغناء ويكره ما ثقل وثقلت أدواره، ويستطيل الزمان في أخذ الغناء الجيد على جهته بقصر معرفته. وهذا إذا طرد فإنما الصنعة لمن غنى في هذا الوقت لا للمتقدمين؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرون وقد غيره من أخذوه عنه وأخذ ذلك أيضاً ممن غيره، حتى يمضي على هذا خمس طبقات أو نحوها. لم يتأد إلى الناس في عصرنا هذا من جهة الطبقة غناء قديم على الحقيقة البتة. ومن أفسد هذا الجنس خاصة بنو حمدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مخارق، وما نفع الله أحداً قط بما أخذ عنه، وزرياب الواقفية فإنها كانت بهذه الصورة تغير الغناء كما تريد، وجواري شارية وريق. فهذه الطبقة على ما ذكرت. ومن عداهم من الدور بمثل دور غريب ودور جواربها والقاسم بن زررور وولده ودور بذل الكبرى ومن أخذ عنها، وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن معاذ ودور آل الربيع ومن جرى مجراهم ممن تمسك بالغناء القديم وحمله كما سمعه، فعسى أن يكون قد بقي من أخذ بذلك المذهب قليلٌ من كثير، وعلى أن الجميع من الصحيح والمغير قد انقضى في عصرنا هذا.

فمن مشهور غناء إبراهيم بن المهدي

صوت

هل تطمسون من السماء نجومها
بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تدفعون مقالةً من ربكم
جبريل بلغها النبي فقالها
طرقتك زائرةً فحي خيالها
زهراء تخطط بالدلال جمالها

الشعر لمروان بن أبي حفصة. والغناء لإبراهيم بن المهدي، ثقيلٌ أول بالبنصر، وذكر حبش أن فيه لابن جامع لحناً ماخورياً.

أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه

نسبه وشيء من أخبار آبائه:

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة. ويكنى أبا الصمت. واسم أبي حفصة يزيد. وذكر النوفلي عن أبيه أنه كان يهودياً، فأسلم على يدي مروان بن الحكم. وأهله ينكرون ذلك ويذكرون أنه من سبي إصطخر، وإن

عثمان اشتراه فوهبه لمروان بن الحكم. وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة بمثل ذلك. قال: وشهد أبو حفصة الدار مع مولاة مروان بن الحكم، وقاتل قتالاً شديداً وقتل رجلاً من أسلم يقال له بنان. وجرح مروان يومئذ، أصابته ضربة قطعت علباءه فسقط، فوثب عليه أبو حفصة واحتمله، فجعل يحمله مرة على عنقه ومرة يجره، فيتأوه؛ فيقول له: اسكت واصبر؛ فإنه إن علموا أنك حي قتلت. فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عترة فداواه فيها حتى برىء؛ فأعتقه مروان ونزل له عن أم ولد له يقال لها سكر كانت له منها بنت يقال لها حفصة؛ فحضرها، فكني أبا حفصة؛ فحفصة بنت مروان. قال: وكان مروان إذا ولي المدينة وجه أبا حفصة إلى اليمامة - وكانت مضافةً إلى المدينة - ليجمع ما فيها من المال ويحمله إليه. قال: فمر أبو حفص بقرية من قرى اليمامة يقال لها العرض، فوقف على باب فاستسقى ماء فخرجت إليه جارية معصرة فسقته فأعجبته؛ فسأل عنها ليشترىها؛ فقليل له: هي حرة، وهي مولاة لبني عامر بن حنيفة. فمضى حتى قدم حجر، ثم تبعها نفسه فتزوجها، فلم يخرج من اليمامة حتى حملت بيحيى بن أبي حفصة، ثم حملت بمحمد ثم بعده الله ثم بعده العزيز. فلما وقعت فتنة ابن الزبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام.

قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجنوب يقول: أم يحيى بن أبي حفصة لحناء بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي، وإن الشعر أتى آل أبي حفصة بذلك السبب. قال: وشهد أبو حفصة مع مروان يوم الحمل وقاتل قتالاً شديداً فلما ظفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لجأ مروان إلى مالك بن مسمع فدخل داره ومعه أبو حفصة، فقال لمالك: أغلق بابك. فقال له مالك: إن لم أمنعك والباب مفتوح لم أمنعك والباب مغلق. فطلب علي رضي الله عنه مروان منه، فلم يدفعه إليه إلا برهينة، فدفع مالك الرهينة إلى أبي حفصة، ومضى مروان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال لأبي حفصة: إن حدث حدثٌ بصاحبك فعليك بالرهينة. فلما أتى مروان علياً كساه كسوةً، فكساها مروان أبا حفصة، فغدا فيها أبو حفصة. وبلغ علياً رضي الله عنه ذلك فغضب وقال: كسوته كسوةً فكساها عبداً!. وشهد أبو حفصة مع مروان مرج راهط، وكان له بلاء. وكان أبو حفصة شاعراً.

قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا الصمت مروان بن أبي الجنوب أنشده لأبي حفصة يوم الدار:

وما قلت يوم الدار للقوم صالحوا أجل لا، ولا اخترت الحياة على القتل

ولكنني قد قلت للقوم جالدوا بأسيا فكم لا يخلصن إلى الكهل

قال: وأنشدني لأبي حفصة أيضاً:

لست على الزحام بالأصر إنني لوراء حياض الشر

معاودٌ للكر بعد الكر

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال:

عكلٌ تدعي أن أبا حفصة منهم، يقولون: هو من كنانة بن عوف بن عبد مناة بن طابخة بن إلياس بن مضر، وقد كانوا استعدوا عليه مروان بن الحكم، وقالوا: إنما باعته عمته لمجاعة؛ فأبى هو أن يقر لهم بذلك. ثم استعدوا عليه عبد الملك بن مروان أيضاً؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سبي فارس، نشأ في عكل وهو صغير. قال محمد بن إدريس: وولد السموءل بن عاديا يدعونه والسموءل من غسان. قال محمد: وزعم أهل اليمامة وعكلٌ وغيرهم أن ثلاثة نفر أتوا مروان بن الحكم وهم أبو حفصة ورجل من تميم ورجلٌ من سليم، فباعوا أنفسهم منه في مجاعة نالتهم؛ فاستعدى أهل بيوتهم عليهم، فأقر أحدهم وهو السليمي أنه إنما أتى مروان فباعه نفسه وأنه من العرب؛ ففسد إليه مروان من قتله. فلما رأى ذلك الآحران ثبتا على أنهما موليان لمروان. فأخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال: زعم المدائني أنه كان لأبي حفصة ابن يقال له مروان سماه مروان بن الحكم باسمه، وليس بالشاعر، وإنه كان شجاعاً مجرباً، وأمد به عبد الملك بن مروان الحجاج وقال له: قد بعثنا إليك مولاي ابن أبي حفصة وهو يعدل ألف رجل. فشهد معه ومحاربة ابن الأشعث، فأبلى بلاءً حسناً وعقرت تحته عدة خيول، فأحتسب بها الحجاج عليه من عطائه. فشكاه إلى عبد الملك وذم الحجاج عنده؛ فعوضه مكان ما أغرمه الحجاج. وكان يحيى جد مروان بن سليمان جواداً ممدحاً.

جرير يودع ابنه يحيى بن أبي حفصة: أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال: أراد جرير أن يوجه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره، فأتى يحيى بن أبي حفصة فأودعه إياه، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج، فقال لأبيه: لو كلفت هذا القرشي أمري! فقال له جرير:

ألا إن يحيى نعم زاد المسافرين

أزاداً سوى يحيى تريد وصاحباً

إذا انفضوا أو قل ما في الغرائر

وما تأمن الوجناء وقعة سيفه

يحيى بن أبي حفصة يتزوج بنت زياد بن هوزة: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عليل العتري قال: تزوج يحيى بن أبي حفصة بنت زياد بن هوزة بن شماس بن لأي بن أنف الناقة؛ فاستعدى عليه عماها عبد الملك بن مروان وقال: أينكح إبراهيم بن عدي وهو من كنانة منك وإليك بنتها، وينكح هذا العبد هذه!. فقال عبد الملك: بل العبد ابن العبد والله إبراهيم بن عدي - وكان مغمور النسب في الإسلام - والله لهذا أشرف منه، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكها، وما أحب أن لي يحيى ألفاً منكما. والله لو تزوج بنت قيس بن عاصم ما نزعته مني. ومن زوجه فقد زوج ابني هذا، وأشار إلى ابنه سليمان. فخرجا وتحلف يحيى بعدهما، فقال: يا أمير المؤمنين، إنهما قد أنضيا ركايبهما وأخلقا ثيابهما والتزما مؤونة في سفرهما، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعوضهما عوضاً! فقال: أبعد ما قالا فيك!! قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: بل أعطيك أنت ما سألت لهما وتعطيتهما ما شئت. فكساه ووصله وحمله. فخرج يحيى إليهما ففرق ذلك عليهما، وزوج ابنه

سليمان بنت أحدهما، وولدت بنت زياد منه أولاداً.

يهنئ الوليد بن عبد الملك ويعزيه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال: ودخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما يبيع له بالخلافة بعد أبيه، فهنأه وعزاه وأنشده:

إن المنايا لا تغادر واحداً	يمشي ببزته ولا ذا جنة
لو كان خلق للمنايا مفلتاً	كان الخليفة مفلتاً منه
بكت المنابر يوم مات وإنما	بكت المنابر فقد فارسه
لما علاهن الوليد خليفةً	قلن ابنه ونظيره فسكنه
لو غيره قرع المنابر بعده	لنكرنه فطرحنه عنهنه

زوج بنيه من بنات مقاتل المنقري فهجاه القلاح فرد عليه: أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا العتري قال: خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقري ابنته وأختيه، فأنعم له بذلك. فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل، فأتوه بالجفر فزوجهن بنيه ثلاثتهم، ودخلوا هن ثم حملوهن إلى حجر. فقال القلاح بن حزن المنقري في ذلك:

سلامٌ على أوصال قيس بن عاصمٍ	وإن كن رمساً في التراب بواليا
أضيعتموا خيلاً عرباً فأصبحت	كواسد لا ينكحن إلا المواليا
فلم أرى أبراداً أجر لخزيةٍ	والأم مكسواً والأم كاسيا
من الخز واللاتي بحجرٍ عليكم	نشرنا فكن المخزيات البواقيا

فقال يحيى يرد عليه:

ألا قبح الله الفلاح و نسوةٍ	على البئر يعطشن الكلاب من النتن
نكحنا بنات القرم قيس بن عاصم	وعمداً رغبتنا عن بنات بني حزن
أبا كان خيراً من أبيك أرومةً	وأوسط في سعدٍ وأرجح في الوزن
لبيت بني حزن من الذل وهنةٌ	كوهنة بيت العنكبوت التي تبني
ولم تر حزنياء، ولو ضم أربعاً	وأبرز ، في فرج يعف ولا بطن
وضيف بني حزن يجوع وجارهم	إذا أمن الجيران ناء من الأمن

يذكر خروج ابن المهلب: أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروج يزيد بن المهلب ويتأسف على الحجاج:

لا يصلح الناس إلا السيف إذا فتنوا
لو كان حياً غداة الأزدي نكثوا
لم تأتبه الأزدي عند الباب تربصه
من كل أفحج ذي حنفٍ مخالفةٍ
لهفي عليك ولا حجاج للدين
لم يحص قتالهم حساباً دبرين
مثل الجراد تنزى في التباين
أرفت به السفن علجاً غير مجنون

قال أبو أحمد: وأنشدني لليحيى في سفيان بن عمرو وإلى اليمامة:

لقد عصاني ابن عمرو إذ نصحت له
لو كنت أفحج في فحمٍ لقد وقدت
ولو أطعت لما زلت به القدم
ناري ولكن رمادٍ ما له حمم

بخل مروان بن أبي حفصة ونوادير له في ذلك: وليحيى أشعار كثيرة؛ وإنما ذكرنا ها هنا منها ما ذكرنا لنعرف أعراق مروان في الشعر. وكان مروان أبخل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء، لا سيما من بني العباس، فإنه كان رسمهم أن يعطوه بكل بيت يمدحهم به ألف درهم. أخبرنا أحمد بن عمار وقال حدثنا علي بن محمد النوفلي قال سمعت أبي يقول: كان المهدي يعطي مروان وسلماً الخاسر عطية واحدة، وكان سلمٌ يأتي باب المهدي على البرذون قيمته عشرة آلاف درهم، والسرّج واللحام المقدوذين؛ ولباسه الخبز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان، ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه، ويحيى مروان وعليه فرو كيش، وقميص كرايس وعمامة كرايس، وخفّاً كبل وكساءً غليظ متين الرائحة، وكان لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه، فإذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله. فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرؤوس في الصيف والشتاء، فلم تختار ذلك؟ قال: نعم! الرأس أعرف سعره، ولا يستطيع الغلام أن يغيبني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مس عيناً أو أذنّاً أو خدّاً وقفت عليه، فأكل منه ألواناً، أكل عينيّه لوناً، وأذنيه لوناً، وغلصمته لوناً، وأكفى مؤنة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق. أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العلاء المنقري قال حدثني موسى بن يحيى قال: أوصلنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم، وجمع إليها مالا حتى تمت مائة وخمسين ألف درهم، وأودها يزيد بن مزيد.

قال: فبين نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مزيد، وكانت فيه دعاية، فقال: يا أبا علي أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقال. قال فغضب يحيى ثم قال: علي بمروان، فأني به. فقال له: أخبرني أبو خالد لما أودعته من المال وما تبتاعه من البقال، والله لما يرى من أثر البخل عليك أضمر من الفقر لو كان بك.

أخبرنا يحيى قال وحدثني عمر بن شبة عن أبي العلاء المنقري عن موسى بهذا الخبر، إلا أنه قال: فقال له يحيى: يا

مروان، والله لا بالبخل أسوأ عليك أثراً من الفقر لو صرت إلي، فلا تبخل.
أخبرنا يحيى قال حدثني عمر بن شبة قال: بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فرحت بشيء قط فرحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي، فوزنتها فزاد درهماً فاشتريت به لحماً.
أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جهم بن خلف قال: أتينا اليمامة فترلنا على مروان بن أبي حفصة، فأطعمنا تمراً، وأرسل غلامه بفلس وسكرجة ليشتري له زيتاً. فلما جاء بالزيت قال لغلامه: ختني!
قال: من فلس كيف أخونك! قال: أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت.
أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التوزي عنه قال: مر مروان بن أبي حفصة في بعض سفرائه وهو يريد منى بامرأة من العرب فأضافته، فقال: لله علي إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لك درهماً، فأعطاه ستين ألف درهم، فأعطاهم أربعة دنانير.
أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال: اشترى مروان لحماً بنصف درهم، فلما وضعه في القدر وكاد أن ينضج، دعاه صديق له، فردده على القصاب بنقصان دانق. فشكا القصاب وجعل ينادي: هذا لحم مروان، وظن أنه يأنف لذلك. فبلغ الرشيد ذلك فقال: ويلك! ما هذا! قال: أكره الإسراف.
قصة له مع أبي الشمقمق: أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دعامة قال: أنشدت لرجل من بني بكر بن وائل في مروان:

ولكن مرواناً يغار على القدر وليس لمروان على العرس غيره

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هفان قال حدثني يحيى بن الجون العبدى قال: فرق المهدي على الشعراء جوائز، فأعطى مروان ثلاثين ألفاً. فجاءه أبو الشمقمق فقال له: أجزي من الجائزة. فقال له: أنا وأنت نأخذ ولا نعطي.
قال: فاسمع مني بيتين. قال: هات. فقال أبو الشمقمق:

لحية مروان تقي عنبراً خالط مسكاً خالصاً أذفراً

فما يقيمان بها ساعة إلا يعودان جميعاً خراً

فأمر له بدرهمين. وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جحظة عن أبي هفان فذكر مثل الخبر الماضي وزاد فيه.
فأعطاه عشرة دراهم، فقال له خذ هذه ولا تكن رواية الصبيان.
مدح الهادي فداعيه في المعجل والمؤجل ووصله: أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثني الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب قال: دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي، فأنشده قوله فيه:

تشابه يوماً بأسه ونواله فما أجدُ يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي: أيما أحب إليك: أثلاثون ألفاً معجلة أم مائة ألف تدون في الدواوين؟ فقال له: يا أمير المؤمنين أنت تحسن ما هو خير من هذا ولكنك نسيت، أفتأذن لي أن أذكرك؟ قال نعم. قال: تعجل لي الثلاثين ألفاً وتدون المائة الألف في الدواوين. فضحك وقال: بل يعجلان جميعاً؛ فحمل المال إليه أجمع.

مدح المهدي فلحنه البيزدي فاعترض على سوء أدبه: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال: اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو محمد البيزدي عند المهدي؛ فابتدأ مروان ينشد:

طرقتك زائرة فحي خيالها

فقال البيزدي: لحن والله وأنا أبو محمد. فقال له مروان: يا ضعيف الرأي أهذا لي يقال ! ثم قال:

بيضاء تخط بالجمال دلالها

فقال له بعض من حضر: يا أمير المؤمنين أيتكني في مجلسك ! " يعني البيزدي " فقال: اعذروا شيخنا، فإن له حرمة.

سأله الرشيد عن الوليد بن يزيد فأجابه:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد: هل دخلت على الوليد بن يزيد؟ فقلت: نعم دخلت مع عمومي إليه. قال: فأخبرني عنه. قال فذهبت أتزحزح. فقال لي: إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول، فقل ما شئت. فقلت: يا أمير المؤمنين، كان من أجمل الناس وأشدهم وأشعرهم وأجودهم. دخلت عليه مع عمومي ولي لمة فينانة، فجعل يغمز القضيب فيها ويقول: ولدتك سكر؟ - وهي أم ولد لمروان بن الحكم فوهبها لجدي أبي حفصة فولدت منه - فقلت له: نعم. قال لي الرشيد: فهل تحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، سمعته ينشد في خلافته وذكر هشاماً وتحامله عليه وما كان يريد من نقض أمره وولايته:

مكتله الأوفر قد أترعا

ليت هشاماً عاش حتى يرى

كلنا

طرقتك زائرة فحي خيالها

فقال له: أنت أشعر من الأعشى في قوله:

رحلت سمية غدوةً أجمالها

فقال له مروان: أتبلغ بي الأعشى هكذا! ولا كل ذا! قال: ويحك! إن الأعشى قال في قصيدته هذه:

فأصاب حبة قلبها وطحالها

والطحال ما دخل قط في شيء إلا أفسده، وأنت قصيدتك سليمة كلها. فقال له مروان: إني إذا أردت أن أقول القصيدة رفعتها في حول أقولها في أربعة أشهر، وأنتخلها في أربعة أشهر، وأعرضها في أربعة أشهر. عرض شعراً له على يونس فمدحه وفضله على شعر للأعشى: وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال أبو دلف هاشم بن محمد وحدثني به الرياشي عن الأصمعي قال: جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس، فسلم ثم قال لنا: أيكم يونس؟ فأومأنا إليه. فقال له: أصلحك الله! إني أرى قوماً يقولون الشعر، لأن يكشف أحدهم سوءته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر. وقد قلت شعراً أعرضه عليك، فإن كان جيداً أظهرته، وإن كان رديئاً سترته. فأنشده قوله:

طرقتك زائرة فحي خيالها

فقال له يونس: يا هذا اذهب فأظهر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله:

رحلت سمية غدوةً أجمالها

فقال له مروان: سررتني وسؤتني. فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر. وأما الذي ساءني فتقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله. فقال: إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كله لأنه قال فيها:

فأصاب حبة قلبها وطحالها

والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه. قال الأصمعي إنه مولد ولا علم له باللغة: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طالع قال: سمعت الأصمعي ذكر مروان بن أبي حفصة فقال: كان مولداً، لم يكن له علم باللغة. أنشد شعر جماعة من الشعراء فقال عن كل واحد منهم إنه أشعر الناس: أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عبيد الله عن العتيبي قال حدثني بعض أصحابنا قال: أنشدنا مروان بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال: زهير والله أشعر الناس، ثم أنشد للأعشى فقال: الأعشى أشعر الناس، ثم أنشد شعراً لأمريئ القيس فقال: امرؤ القيس أشعر الناس، ثم قال: والناس والله أشعر الناس. أي إن أشعر الناس من أنشدت له فوجدته قد أجاد، حتى ينتقل إلى شعر غيره.

اشترى من أعرابي شعراً مدح به مروان بن محمد فمدح هو به معن بن زائدة فأكرمه: أخبرني أحمد بن عبيد الله

بن عمار قال حدثني علي بن محمد النوفلي قال حدثني أبي قال:
إجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو ينشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به
مروان بن محمد، وإن قتل قبل أن يلقاه وينشده إياه، أوله:

مروان يابن محمد أنت الذي زیدت به شرفاً بنو مروان

فأعجبته القصيدة، فأمهل الباهلي حتى أقام من مجلسه، ثم أتاه في منزله فقال له: إني سمعت قصيدتك وأعجبتي،
ومروان قد مضى ومضى أهله وفاتك ما قد رمته عنده؛ أتبعني القصيدة حتى أنتحلها، فإنه خير لك من أن تبقى
عليك وأنت فقير؟ قال نعم. قال: بكم؟ قال: بثلاثمائة درهم. قال: ابتعتها؛ فأعطاه الدراهم وحلفه بالطلاق ثلاثاً
وبالأيمان المخرجة ألا ينتحلها أبداً ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينشدها، وانصرف بها إلى منزله، فغير منها أبياتاً وزاد
فيها، وجعلها في معن، وقال في ذلك البيت:

معن بن زائدة الذي زیدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبان

ووفد بها إلى معن بن زائدة فملاً يديه، وأقام عنده مدةً حتى أثرى واتسعت حاله. فكان معن أول من رفع ذكره
ونوه به. قال: وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراث حسنة.
نقل قصة فرار معن أن عبداً أسود طلقه تكراً بعد ما عرفه: أخبرني حبيب بن نصر المهلهلي قال حدثنا عبد الله بن
أبي سعد قال حدثني محمد بن نعيم البلخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال:
كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً، وجعل فيه مالا؛ فحدثني معن بن زائدة باليمن أنه اضطر لشدة
الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوححت وجهه، وخفف عارضيه ولحيته، ولبس جبة صوف غليظة، وركب
جمالاً من الجمال النقاله ليمضي إلى البادية فيقيم بها، وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بلاء حسناً
غاظ المنصور وجد في طلبه. قال معن: فلما خرجت من باب حرب تبغي أسود متقلداً سيفاً، حتى إذا غبت عن
الحرس قبض على خطام جملي فأناخه وقبض عليه؛ فقلت له: ما لك؟ قال: أنت طلبة أمير المؤمنين. قلت: ومن
أنا حتى يطالبني أمير المؤمنين! قال: معن بن زائدة. فقلت: يا هذا اتق الله! وأين أنا من معن! قال: دع هذا
عنك فأنا والله أعرف به منك. فقلت له: فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهرٌ حملته معي يفي بأضعاف ما
بذله المنصور لمن جاءه بي، فخذ ولا تسفك دمي. قال: هاته فأخرجته إليه؛ فنظر إليه ساعة وقال: صدقت في
قيمته، ولست قابله حتى أسألك عن شيء، فإن صدقتني أطلقتك. فقلت: قل. قال: إن الناس قد وصفوك
بالجود، فأخبرني هل وهبت قط مالك كله؟ قلت لا. قال: فنصفه؟ قلت لا. قال: فثلثه؟ قلت لا. حتى بلغ العشر
فاستحييت فقلت: أظن أبي قد فعلت هذا. فقال: ما أراك فعلته! أنا والله راجل، ورزقي من أبي جعفر عشرون
درهماً، وهذا الجوهر قيمته آلاف الدنانير، وقد وهبت لك، ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس،
ولتعلم أن في الدنيا أجود منك، فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل شيء تفعله، ولا تتوقف عن مكرمة. ثم
رمى بالعقد في حجري وخلق خطام البعير وانصرف. فقلت: يا هذا قد والله فضحتني، ولسفك دمي أهون علي

مما فعلت، فخذ ما دفعته إليك فإني غني عنه. فضحك ثم قال: أردت أن تكذبي في مقامي هذا، والله لا أخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً أبداً، ومضى. فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً وكان الأرض ابتلعتة.

سبب رضا المنصور عن معن بن زائدة:

قال: وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستتراً حتى كان يوم الهاشمية، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه، وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسناً، وذبح القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد، ثم جاء والمنصور راكب على بغلة ولجأها بيد الربيع؛ فقال لهم: تنح فإني أحق باللجام منك في هذا الوقت وأعظم فيه غناء. فقال له المنصور: صدق فادفعه إليه؛ فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال. فقال له المنصور: من أنت لله أبوك؟ قال: أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة. قال: قد أمنتك الله على نفسك ومالك، ومثلك يصطنع. ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وزينه. ثم دعا به يوماً وقال له: إني قد أملت لك لأمر، فكيف تكون فيه؟ قال: كما يحب أمير المؤمنين - قال: قد وليتك اليمن، فابسط السيف فيهم حتى ينقض حلف ربيعة واليمن - قال: أبلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين. فولاه اليمن وتوجه إليها فابسط السيف فيهم حتى أسرف.

عاتب المنصور معن على إكرامه له فأجابه إنما أكرمه لمدحه هو: قال مروان: وقدم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل: قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء لولا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك. قلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فوالله ما تعرضت لك منك، قال: إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله فيك:

شرفاً إلى شرف بنو شيبان

معن بن زائدة الذي زيدت به

يوماه يوم ندى ويوم طعان

إن عد أيام الفعّال فإنما

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أعطيته ما بلغته لهذا الشعر، وإنما أعطيته لقوله:

بالسيف دون خليفة الرحمن

ما زلت يوم الهاشمية معلماً

من وقع كل مهند وسان

فمنعت حوزته وكنت وقاءه

فاستحيا المنصور وقال: إنما أعطيته ما أعطيته لهذا القول؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! والله لو لا مخافة النعمة عندك لأمكنته من مفاتيح بيوت المال وأبجته إياها، فقال له المنصور: لله درك من أعراي! ما أهون عليك ما يعز على الرجال وأهل الحزم! مدح المهدي فردّه لمدحه معنا ثم مدحه العام المقبل فأحازه مائة ألف درهم: أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الربيع قال: رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة

معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره، فأنشده مديحاً فيه، فقال له: ومن أنت؟ قال: شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة. فقال له المهدي: ألسنت القائل:

أقمنا باليمامة بعد معن مقاماً لا نريد به زوالاً

وقلنا أين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالاً

قد ذهب النوال فيما زعمت، فلم جئت تطلب نوالنا؟ لا شيء لك عندنا، جروا برجله؛ فجروا برجله حتى أخرج. قال: فلما كان من العام المقبل تلتطف حتى دخل مع الشعراء - وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة - فمثل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء:

طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخطط بالجمال دلالتها

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

قال: فأنصت الناس لها حتى بلغ إلى قوله:

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تجحدون مقالةً عن ربكم جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من الأنفال آخر آية بترائهم فأردتم إبطالها

قال: فرأيت المهدي قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع، ثم قال: كم هي؟

قال: مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم. فكانت أول مائة ألف أعطيها شاعرٌ في أيام بني العباس.

مدح الرشيد فردّه لمدحه معنا ثم مدحه بعد أيام فأجازه لكل بيت ألفاً:

قال: ومضت الأيام وولي هارون الرشيد الخلافة، فدخل إليه مروان؛ فرأيته واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدةً امتدحه بها. فقال له: من أنت؟ قال: شاعرك وعبدك يا أمير المؤمنين مروان بن أبي حفصة. قال له: ألسنت القائل في معن بن زائدة! وأنشده البيتين اللذين أنشده إياهما المهدي، ثم قال: خذوا بيده فأخرجوه، لا شيء لك عندنا، فأخرج. فلما كان بعد ذلك بأيام تلتطف حتى دخل؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

لعمرك ما أنسى غداة المحصب إشارة سلمى بالبنان المخضب

وقد صدر الحجاج إلى أقلهم مصادر شتى موكباً بعد موكب

قال: فأعجبته، فقال: كم قصيدتك من بيت؟ فقال: ستون أو سبعون. فأمر له بعدد أبياتها ألفاً. فكان ذلك رسم مروان عندهم حتى مات.

مدح المهدي في الرصافة فأجازه: أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال: دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي في أول سنة قدم عليه. قال: فدخلت عليه في قصره بالرصافة فأنشدته قولي:

أمروا وأحلى ما بلا الناس طعمه
عذاب أمير المؤمنين ونائله
فإن طليق الله من أنت مطلق
وإن قنيل الله من أنت قائله
كأن أمير المؤمنين محمداً
أبو جعفر في كل أمر يحاوله

قال: فأعجب بها، وأمر لي بمال عظيم؛ فكانت تلك الصلة أول صلة سنية وصلت إلي في أيام بني هاشم.
مدح المهدي وذم عنده يعقوب بن داود فأجازه من خالص ماله: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثني
محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي الراوية قال حدثني حسين بن الضحاك قال
حدثني مروان بن أبي حفصة قال: دخلت على المهدي في قصر السلام، فلما سلمت عليه، وذلك بعقب سخطه
على يعقوب بن داود؛ قلت: يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافضي وإنه سمعني أقول في الوراثة:

أنى يكون وليس ذاك بكائن
لبنى البنات وراثة الأعمام
فذلك الذي حملة على عداوتي. ثم أنشدته:
كأن أمير المؤمنين محمداً
على أنه من خالف الحق منهم
ثم أنشدته:

أحيا أمير المؤمنين محمداً
سنن النبي حرامها وحلالها
قال فقال لي المهدي: والله ما أعطيك إلا من صلب مالي فاعذرني، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، وكساني جبةً
ومطرفاً، وفرض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفاً أخرى.
مدح معنا فأعطاه عطايا سنية لم يستكثرها عليه ابن الأعرابي: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا أحمد
بن الحارث الخراز قال حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنه وفد على معن بن زائدة فأنشده
قوله:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم
أسودُّ لها في بطن خفان أشبل
هم يمتنعون الجار حتى كأنما
لجارهم بين السماكين منزل
لهاميم، في الإسلام سادوا ولم يكن
كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا
أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم
وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

قال: فأمر لي بصلة سنية وخلع علي وحملني وزودني. قال ثم قال لنا ابن الأعرابي: لو أعطاه كل ما يملك لما وفاه
حقه. قال: وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراء، وما دون لأحد بعده شعراً.

سئل عن جرير والفرزدق أيهما أشعر فأجاب بشعر: أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال: رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زبيدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير، فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر، فقال لي: قد سئلت عنهما في أيام المهدي وعن الأخطل قبل ذلك، فقلت فيهم قولاً عقدته في شعر ليثبت. فسألته عنه فأنشدني:

ذهب الفرزدق بالهجاء وإنما
ولقد هجا فأمض أخطل تغلب
كل الثلاثة قد أجاد فمدحه
حلوا القريض ومره الجريد
وحوى النها ببيان المشهور
وهجاؤه قد سار كل مسير

ولقد جرئت ففت غير مهلل
إني لأنف أن أحبر مدحة
ما ضرني حسد اللئام ولم يزل
بجرا لا قرف ولا مبهور
أبدأ لغير خليفة ووزير
ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

قال: فلم ير أن يقدم على نفسه غيرها. وكتبت الأبيات عن فيه.
مدح معناً فسأله عن أمله فأعطاه إياه واستقله له: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم السجستاني قال حدثني العنسي قال: لما قدم معن بن زائدة من اليمن، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاص بأهله، فأخذ بعضادي الباب وأنشأ يقول:

وما أحجم الأعداء عنك بقية
له راحتان الجود والحنف فيهما
عليك ولن لم يروا فيك مطمعا
أبى الله إلا أن تضرا وتتفعا

قال فقال له معن: احتكم، قال: عشرة آلاف درهم. فقال معن: ربنا عليك تسعين ألفاً قال: أقلني. قال: لا أقال الله من يقيلك.

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال: لما قدم معن بن زائدة من اليمن استقبله الناس وتلقاه مروان بن أبي حفصة، فأنشده قصيدة يهنئه فيها بقدومه وبرأي المنصور فيه، وتلقاه فيمن تلقاه أبو القاسم محرز فجعل يقول له: سفكت الدماء، وظلمت الناس، وتعديت طورك بذلك. فلما أكثر على معن التفت إلي ثم قال له: يا محرز أخبرني بأي خفيك تضرب اليوم: أبا السباعي أم بالثماني؟ قال: فانقطع وسكت خجلاً.
ودخل معن على المنصور، فلما سلم عليه وسأله قال له: يا معن، أعطيت ابن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك:

معن بن زائدة الذي زيدت به
شرفاً إلى شرف بنو شيبان

فقال له: كلا يا أمير المؤمنين بل أعطيته لقوله:

ما زلت يوم الهاشمية معلماً

بالسيف دون خليفة الرحمن

فاستحيا المنصور من تهجينه إياه فتبسم وقال: أحسنت يا معن في فعلك.

ترك يحيى بن منصور الشعر فلما سمع بكرم معن مدحه وقال مروان في ذلك شعراً: أخبرني الحسن بن علي المصري قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن ثور قال حدثني أبو العباس العدوي قال: لما ولي معن بن زائدة اليمن كان يحيى بن منصور الذهلي قد تنسك وترك الشعر. فلما بلغت أفعال معن وفد إليه ومدحه، فقال مروان بن أبي حفصة:

لا تعدموا راحتي معن فإنهما

بالجود أفتتنا يحيى بن منصور

لما رأى راحتي معن تدفقتا

بنائل من عطاء غير منزور

ألقي المسوح التي كان يلبسها

وظل للشعر ذا رصفٍ وتحبير

تزوجت امرأة من أهله في بني مطر فلم يرضهم وقال شعراً: أخبرني محمد بن يزيد وعيسى بن الحسين قالوا حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: ورد على مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله تزوجت في قوم لم يرض صهرهم يقال لهم بنو مطر؛ فقال في ذلك لأخيها:

لو كنت أشبهت يحيى في مناكحه

لما تنقيت فحلاً جده مطر

لله در جبادٍ كنت سائسها

ضيعتها وبها التحجيل والغرر

نبئت خولة قالت يوم أنكجها

قد طالما كنت منك العار أنتظر

تهكم بالجنى الشاعر فهجاه ولم يعف عنه حتى حقره: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا الحسن بن علي المعروف بحدان عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيهم الحنفي قال: مر مروان بن أبي حفصة برجل من تميم اللات بن ثعلبة يعرف بالجنى، فقال له مروان: زعموا أنك تقول الشعر. فقال له: إن شئت عرفتك ذلك. فقال له مروان: ما أنت والشعر، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله! فقال الجنى: اجلس واسمع فجلس؛ فقال الجنى يهجو:

ثوى اللؤم في العجلان يوماً وليلةً

وفي دار مروان ثوى آخر الدهر

غدا اللؤم يبغي مطرحاً لرحاله

فنقب في بر البلاد وفي البحر

فلما أتى مروان خيم عنده

وقال رضيعنا بالمقام إلى الحشر

وليس لمروان على العرس غير

ولكن مرواناً يغار على القدر

فقال له مروان: ناشدتك الله إلا كففت، فأنت أشعر الناس. فحلف الجنى بالطلاق ثلاثاً أنه لا يكف حتى يصير

إليه بنفرٍ من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم: قاق في اسيتي بيضة. فجلبهم إليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم، وكان فيهم جدي يحيى بن الأيهم، فانصرفوا وهم يضحكون من فعله.

عزى الهادي في المهدي بيتين تناقلهما الناس: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عبد الله بن سليمان بن زيد الدوسي قال حدثني الفضل بن العباس بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي قال حدثنا محمد بن حرب بن قطن بن قبيصة بن مخارق الهلالي قال: لما مات المهدي وفدت العرب على موسى يهنئونه بالخلافة ويعزونه عن المهدي؛ فدخل مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتي الباب ثم قال:

لقد أصبحت تختال في كل بلدة

بقبر أمير المؤمنين المقابر

ولو لم تسكن بابنه في مكانه

لما برحت تبكي عليه المنابر

قال فخرج الناس بالبيتين.

مدح عمرو بن مسعدة في مرضه

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال: مرض عمرو بن مسعدة، فدخل عليه مروان بن أبي حفصة وقد أبل من مرضه فأنشأ يقول:

صح الجسم يا عمرو

لك التمحيص والأجر

والله علينا الحم

د والمنة والشكر

فقد كان شكاً شوقاً

إليك النهي والأمر

قال فنحا نحوه مسلم بن الوليد فقال:

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم

نفسى الفداء له من كل محذور

يا ليت علتة بي غير أن له

أجر العليل وأني غير مأجور

رأى الغول في بعض سفراته ففرع: أخبرني حبيب بن نصر المهلي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثني رجل من بني سليم في مسجد الرصافة قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال: وفدت في ركب إلى الرشيد فصرنا في أرض موحشة قفر، وجن علينا الليل فسرنا لنقطعتها، فلم نشعر إلى بامرأة تسوق بنا إبلنا وتحدو في آثارنا، فإذا هي الغول. فلما لاح الفجر عدلت عنا وأخذت عرضاً وجعلت تقول:

يا كوكب الصبح إليك عني

فلست من صبح وليس مني

قال: فما أذكر أني فرغت من شيء قط فزعي ليلتند.

عارضه التغلي في شعره في وراثة بني العباس: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الكوفي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي مرة التغلي قال: مررت بجعفر بن عفان الطائي

يوماً وهو على باب منزله، فسلمت عليه، فقال لي: مرحباً يا أخا تغلب، اجلس فجلست. فقال لي: أما تعجب من أن ابن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول:

أنى يكن وليس ذاك بكائن
لبني البنات وراثته الأعمام

فقلت بلى والله إنى لأتعجب منه وأكثر اللعن له، فهل قلت في ذلك شيئاً؟ فقال: نعم قلت:

لم لا يكون وإن ذاك بكائن
لبني البنات وراثته الأعمام

للبنات نصف كامل من ماله
والعم متروكٌ بغير سهام

ما للطليق وللتراث وإنما
صلى الطريق مخافة الصمصام

لازمه صالح بن عطية الأضجم أياماً ثم قتله: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني صالح بن عطية الأضجم قال: لما قال مروان:

أنى يكن وليس ذاك بكائن
لبني البنات وراثته الأعمام

لزمته وعهدت الله أن أغتاله فأقتله في أي وقت أمكنتني ذلك، وما زلت لأطفه وأبره وأكتب أشعاره حتى خصصت به، فأنس بي جداً وعرفت ذلك بنو حفصة جميعاً فأنسوا بي، ولم أزل أطلب له غرة حتى مرض من حمة أصابته، فلم أزل أظهر الجزع عليه وألازمه وألطفه، حتى خلا لي البيت يوماً فوثبت عليه فأخذت بحلقه فما فارقه حتى مات، فخرجت وتركته، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً، وارتفعت الصيحة فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن، وما فطن بما فعلت أحد ولا اهتمني به.

عود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي

نشأته ونسب أمه شكلة:

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأمّه شكلة . ويكنى أبا إسحاق . وشكلة أمه مولودة كان أبوها من أصحاب المازيار، يقال له شاه أفرند، فقتل مع المازيار وسييت بنته شكلة، فحملت إلى المنصور، فوهبها لحياة أم ولده فربتها وبعثت بها إلى الطائف فنشأت هناك وتفصحت؛ فلما كبرت ردت إليها. فرآها المهدي عندها فأعجبته، فطلبها من محبة فأعطته إياها، فولدت منه إبراهيم، وكان رجلاً عاقلاً فهماً ديناً أديباً شاعراً راويةً للشعر وأيام العرب خطيباً فصيحاً حسن العارضة.

مدحه إسحاق الموصلي: وكان إسحاق الموصلي يقول: ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس: رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي. فقليل له: مع ما تبذل له من الغناء؟ فقال: وهل تم فضله إلا بذاك !. حدثني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه.

كان ينسب ما يصنع لجاريته

وكان أشد خلق الله إعظاماً للغناء، وأحرصهم عليه، وأشدّهم منافسة فيه. وكانت صنعته لينة، فكان إذا صنع شيئاً نسبته إلى شارية وريق، لئلا يقع عليه في طعن أو تقريع، فقلّت صنعته في أيدي الناس مع كثرتها لذلك. وكان إذا قيل له فيها شيء قال: إنما أصنع تطرباً لا تكسباً، وأغنى لنفسي لا للناس فأعمل ما أشتهي.

كان ينازع إسحاق ويجادله وجرت بينهما مناظرات في الغناء. وكان حسن صوته يستر عوار ذلك كله. وكان الناس يقولون لم ير في جاهلية ولا إسلام أخٌ وأختٌ أحسن غناء من إبراهيم المهدي وأخته عليه. وكان يماظ إسحاق ويجادله، فلا يقوم له ولا يفي به، ولا يزال إسحاق يغلبه ويغصه بريقه ويغص منه بما يظهر عليه من السقطات ويبينه من خطئه في وقته وعجزه من معرفة الخطأ الغامض إذا مر به؛ وقصوره من أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك. وقد ذكرت قطعة من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكرها هنا منها ما لم أذكر هناك.

ومما خالف إبراهيم بن المهدي ومن قال بقوله قال إسحاق فيه: الثقيلان وخفيفهما، فإنه سمي الثقيل الأول وخفيفه الثقيل الثاني وخفيفه الأول وخفيفه؛ وجرت بينهما في ذلك مناظرات ومجادلات ومراسلة ومكاتبة ومشافهة. وحضرهما الناس، فلم يكن فيهم من يفي بفصل ما بينهما والحكم لأحدهما على صاحبه. ووضع لذلك مكاييل لتعرف بها أقدار الطرائق، وأمسك كل واحد منهما إلى آخر أقداره، فلم يصح شيء يعمل عليه، إلا أن قول إبراهيم بن المهدي اضمحل وبطل وترك، وعمل الناس على مذهب إسحاق؛ لأنه كان أعلم الرجلين وأشهرهما. وأوضح إسحاق أيضاً لذلك وجوهاً فقال: إن الثقيل الأول يجيء منه قدران، الثقيل الأول التام، والقدر الأوسط من الثقيل الأول، وجميعاً طريقته واحدة لا تساعه والتمكن منه، والثقل الثاني لا يجيء هذا فيه ولا يقاربه. والثقل الأول يمكن إدراج في ضربه لثقله، والثقل الثاني لا يندرج لنقصه في ذلك. ولهما في هذا الكلام كثير ومخاطبات قد ذكرتها في أخبارهما، وشرحت العلل مبسوطاً في كتاب ألفته في النغم شرحاً ليس موضعه ولا يصلح فيه. وأما التجزئة والقسمة فإنهما أفنيا أعمارهما في تنازعهما فيهما، حتى كان يمضي لهما الزمن الطويل لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمة وتجزئة صوت واحد فيه، وحتى كانا يخرجان إلى كل قبيح، وحتى أتتهما ماتا جميعاً وبينهما منازعة في هذا الصوت وقسمته.

حييا أم يعمر ا

قبل شحط من النوى

لم يفصل بينهما فيها إلى أن افترقا. ولو ذهبت إلى ذكر ذلك وشرح سائر أخبار إبراهيم بن المهدي وقصصه لما ولي الخلافة وغير ذلك من وصفه بفصاحة اللسان، وحسن البيان، وجودة الشعر، ورواية العلم، والمعرفة بالجدل، وجزالة الرأي، والتصرف في الفقه واللغة، وسائر الآداب الشريفة، والعلوم النفسية، والأدوات الرفيعة، لأطلت. وإنما الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى من مجراها، لا سيما لمن كثرت الروايات والحكايات عنه؛ فلذلك اقتصر على ما ذكرته من أخبار دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل.

كلمة لإبراهيم بن المهدي عن نفسه في صنعة الغناء: أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جده حمدون بن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدي: لولا أني أرفع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرت فيها ما

يعلم الناس معه أنهم لم يروا قبلي مثلي.

غنى الرشيد وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي فأطرباه: أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن النهدي عن أبيه قال: دخلت يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فضلة خمار، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي. فقال: بحياي يا إبراهيم غني. فأخذت العود ولم ألتفت إليهما لما رأسي من الفضلة فغنيت:

أسري بخالدة الخيال ولا أرى شيئاً ألد من الخيال الطارق

فسمعت إبراهيم يقول لابن جامع: لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلب لما أكلنا خبراً أبداً. فقال ابن جامع: صدقت. فلما فرغت من غنائي وضعت العود ثم قلت: خذا في حقكما ودعا في باطلنا. نسبة هذا الصوت صوت

أسري بخالدة الخيال ولا أرى شيئاً ألد من الخيال الطارق

إن البلية من تمل حديثه فانقع فؤادك من حديث الوامق

أهواك فوق هوى النفوس ولم يزل مذ بنت بقلبي كالجناح الخافق

طرباً إليك ولم تنالي حاجتي ليس المكاذب كالخليل الصادق

الشعر لجريز. والغناء لابن عائشة رمل بالوسطى عن عمرو.

غنى الرشيد زعنده سليمان بن أبي جعفر وجعفر بن يحيى: أخبرني جحظة قال أخبرني هبة الله بن غبراهيم المهدي قال حدثني أبي، وحدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني هبة الله - ولم يذكر عن أبيه - قال: كان الرشيد يحب أن يسمع أبي. وقال جحظة عن هبة الله عن إبراهيم قال: كان الرشيد يحب أن يسمعي، فخلا بي مرات إلى أن سمعي. ثم حضرته مرةً وعنده سليمان بن أبي جعفر؛ فقال لي: عمك وسيد ولد المنصور بعد أبيك وقد أحب أن يسمعك؛ فلم يتركني حتى غنيت بين يديه:

إذ أنت فينا لم ينهاك عاصيةً وإذ أجز إليك سادراً رسني

فأمر لي بألف ألف درهم، ثم قال لي ليلةً ولم يبق في المجلس إلا جعفر بن يحيى: أنا أحب أن تشرف جعفرأ بأن تغنيه صوتاً. فغنيتها لحناً صنعته في شعر الدارمي:

كأن صورتها في الوصف إذ وصفت دينار عين من المصرية العتق

نسبة هذين الصوتين، منهما صوت

سقياً لربعك من ربع بذي سلم وللزمان به إذ ذاك من زمن

إِذْ أَنْتَ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ وَإِذْ أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسْنِي

الشعر للأحوص. والغناء لآبن سريج ثقیل أول بالوسطى عن عمرو.
أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير عن مصعب قال: أنشد منشد وابن أبي عبيدة عندنا قول
الأحوص:

إِذْ أَنْتَ فِينَا لَمَنْ يَنْهَاكَ عَاصِيَةٌ وَإِذْ أَجْرُ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسْنِي

فوثب قائماً وألقى طرف رداءه وجعل يخطو إلى طرفي المجلس ويجره. ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا. فقلنا له: ما
حملك على ما صنعت؟ فقال: إني سمعت هذا الشعر مرة فأطربني، فجعلت على نفسي ألا أسمع أبداً إلا جررت
رسني.
والآخر من الصوتين: صوت

كَأَنَّ صَوْرَتَهَا فِي الْوَصْفِ إِذْ وَصَفْتَ دِينَارَ عَيْنٍ مِنَ الْمَصْرِيَّةِ الْعَتَقِ

أَوْ دَرَّةَ أَعْيَتْ الْغَوَاصِ فِي صَدْفٍ أَوْ ذَهَبٌ صَاغَهُ الصَّوَاغُ فِي وَرَقٍ

الشعر للدارمي. والغناء لمرزوق الصواف رملٌ بالبصرة عن ابن المكي. وذكر عمرو أن هذا اللحن للدارمي أيضاً.
وذكر الهشامي أنه لابن سريج. وفي هذا الخبر أنه لإبراهيم بن المهدي. وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لحن مرزوق
الصواف، ويقال إنه لمُتيم ثاني ثقیل عن الهشامي وابن المعتز.
غنى صوتاً على أربع طبقات: أخبرني يحيى بن المنجم قال ذكر لي عبيد الله بن طاهر عن إسحاق بن عمر بن زيع
قال: كنت أضرب على إبراهيم بن المهدي صوتاً ذكره فغناه على أربع طبقات. على الطبقة التي كان العود
عليها وعلى ضعفها، وعلى إسجاحتها، وعلى إسجاح الإسجاح. قال أبو أحمد قال عبيد الله: وهذا شيء ما
حكى لنا عن أحد غير إبراهيم، وقد تعاطاه بعض الحداق بهذا الشأن، فوجده صعباً متعذراً لا يبلغ إلا بالصوت
القوي وأشد ما في إسجاح الإسجاح؛ لأن الضعف لا يبلغ إلا بصوت قوي مائل إلى الدقة، ولا يكاد ما أتسع
مخرجه يبلغ ذلك. فإذا دق حتى يبلغ الأضعاف لم يقدر على الإسجاح فضلاً عن إسجاح الإسجاح. فإذا غلظ
حتى يتمكن من هذين لم يقدر على الضعف.
غنى صوتاً لمعبد:

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشيمي قال حدثني
محمد بن سليمان بن موسى الهادي قال: دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً قصرت إليه، وغنى صوتاً لمعبد:

أَفِي الْحَقِّ هَذَا أَنَّنِي بَكَ مَوْلَعٌ وَأَنْ فُؤَادِي نَحْوَكِ الدَّهْرُ نَازِعٌ

فقال لي: لمن هذا الغناء؟ فقلت: يا سيدي يقولون إنه لمعبد، ولا غنى والله مع معبد كذا قط، ولا سمعت أحداً
يقول كذا، لا والله ما في الدنيا كذا. قال: فضحك ثم قال: والله يا بني ما قمت بنصف ما كان يقوم به معبد.

نسبة هذا الصوت أما اللحن فمن الثقيل الثاني، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد، وما وجدته في شيء من الكتب له. وذكر الهشامي أنه لآبن المكي.

عاب مخارقاً عند المأمون: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القحطبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بسختر قال: لما قدم المأمون من خراسان لم يظهر لمغنٍ بالمدينة مدينة السلام غيري، فكنت أناديه سرّاً، ولم يظهر للندماء أربع سنين، حتى ظفر بإبراهيم بن المهدي. فلما ظفر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمعنا؛ ووجه إلى إبراهيم فحضر في ثياب مبتذلة. لما رآه المأمون قال: ألقى عمي رداء الكبر عن منكبيه، ثم أمر له بخلع فاخرة وقال: يا فتح غد عمي؛ فتغدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحول إلينا، وكان مخارق حاضراً، فغنى مخارق:

هذا ورب مسوفين صبحتهم **من خمر بابل لذة للشارب**

فقال له إبراهيم: أسأت فأعد؛ فأعاده، فقال: قاربت ولم تصب. فقال له المأمون: إن كان أساء فأحسن أنت. فغناه إبراهيم ثم قال لمخارق: أعد فأعاده، فقاغل: أحسنت. فقال للمأمون: كم بين الأمرين؟ فقال: كثير. فقال لمخارق: إنما مثلك كمثل الثوب الفاخر إذا غفل عنه أهله وقع عليه الغبار فأحال لونه، فإذا نفض عاد إلى جوهره. ثم غنى إبراهيم:

يا صاح يا ذا الضامر العنس **و الرجل ذي الأفتاد والجلس**

أما النهار فما تقصره **رتكاً يزيذك كلما تمسي**

ضن على مخارق بصوت: قال: وكانت لي جائزة قد خرجت، فقلت: يا أمير المؤمنين، تأمر يا سيدي بإلقاء هذا الصوت علي مكان جائزتي فهو أحب إلي منها. فقال: يا عم ألق هذا الصوت على مخارق، فألقاه علي، حتى إذا كدت أن أخذه قال: اذهب فأنت أحذق الناس به. فقلت: إنه لم يصلح لي بعد. قال: فاغد علي. فغدوت عليه فغناه متلوياً؛ فقلت: أيها الأمير، لك في الخلافة ما ليس لأحد، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة، تجود بالרגائب وتبخل علي بصوت! فقال: ما احمقك! إن المأمون لم يسبقني محبة في ولا صلة لرحمي ولا رباء للمعروف عندي، ولكنه سمع من هذا الجرم ما لم يسمع من غيره. قال: فأعلمت المأمون مقالته؛ فقال: إنا لا نكدر على أبي إسحاق عفونا عنه، فدعه. فلما كانت أيام المعتصم خبر الصوت سرّاً. فقال: يا عم غني: "يا صاح يا ذا الضامر العنس" فغناه؛ فقال: ألقه على مخارق. فقال: قد فعلت، وقد سبق مني قولٌ ألا أعيده عليه. ثم كان يتجانب أن يغنيه حيث أحضره.

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء صوت

هذا ورب مسوفين صبحتهم **من خمر بابل لذة للشارب**

بكروا علي بسحرة فصبحتهم **بإناء ذي كرم كقعب الحالب**

بزجاجة ملء اليمين كأنها

قنديل فصيح في كنيسة راهب

الشعر لعدي بن زيد. والغناء لحنين خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنس

والرحل ذي الأقتاد والحلس

أما النهار فما تقصره

رتكاً يزيدك كلما تمسي

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد.

طلبت إليه أخته أسماء سماع غنائه: وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أثير مولاة منصور بن المهدي عن ذؤابة مولاته أيضاً قالت قالت لي أسماء بنت المهدي: قلت لأخي إبراهيم: يا أخي أشتهي والله أن أسمع من غنائك شيئاً. فقال: إذاً والله يا אחتي لا تسمعين مثله، علي وعلي، وغلظ في اليمين، إن لم يكن إبليس ظهر لي وعلمي النقر والنعيم وصافحني وقال لي: اذهب فأنت مني وأنا منك.

غضب عليه الأمين ثم رضي عنه

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال: غضب علي محمد الأمين في بعض هنائه، فسلمني إلى كوثر، فحبسني في سرداب وأغلقه فمكثت فيه ليلتي. فلما أصبحت إذا أنا في شيخ قد خرج علي من زاوية السرداب، ودفع إلي وسطاً وقال: كل فأكلت، ثم أخرج قنينة شراب فقال: اشرب فشربت، ثم قال لي: غن:

لي مدة لا بد أن أبلغها

معلومة فإذا انقضت مت

لو ساورتني الأسد ضارية

لغلبتها ما لم يجر الوقت

فغنيتها، وسمعتي كوثر فصار إلى محمد وقال: قد جن عمك وهو جالس يغني بكيت وكيت. فأمر بإحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة، فأمر لي بسبعمئة درهم ورضي عني. طارح أخته عليّة فاطربا المأمون وأحمد بن الرشيد: أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت ينشئ يحدث عن أبي أحمد بن الرشيد قال: كنت يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب، فدعا بياسر وأدخله فساره بشيء ومضى وعاد. فقام المأمون وقال لي: قم، فدخل دار الحرم ودخلت معه، فسمعت غناءً أذهل عقلي ولم أقدر أن أتقدم ولا أتأخر. وفطن المأمون لما بي فضحك ثم قال: هذه عمك عليّة تطارح عمك إبراهيم:

ما لي أرى الأبصار بي جافيه

نسبة هذا الصوت

لم تلتفت مني إلى ناحيه

وإنما الناس مع العافيه

فأدمعي منهاء هاميه

فقد دهمتني بعدكم داهيه

مالي أرى الأبصار بي جافيه

لا ينظر الناس إلى المبتلى

وقد جفاني ظالماً سيدي

صحبي سلوا ربكم العافيه

الشعر والغناء لعلية بنت المهدي خفيف رمل. وأخبرني ذكاء وجه الرزة أن لعريب فيه خفيف رمل آخر مزموراً، وأن لحن عليّة مطلق.

كتب إليه إسحاق بجنس صوت فغناه من غير أن يسمعه: أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي عن إبراهيم عن علي بن هشام أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت صنعه واصبعه ومجراه وإجراء لحنه؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأدى ما صنعه. والصوت:

قبل شحط من النوى

ح فقالوا ألا بلى

ففؤادي كذي الأسى

حبيا أم يعمرأ

قلت لا تعجلوا الروا

أجمع الحي رحلة

نسبة هذا الصوت الشعر لعمر بن أبي ربيعة و. والغناء لبن سريج ولحنه من القدر الأوسط من الثقل الأول مطلق في مجرى الوسطى. وذكر عمرو بن بانة أنه لما لك. وفيه للهدلي خفيف ثقيل أول بالبنصر عن ابن المكي، وزعم الهشامي أنه لحن مالك. وفيه لحنان من الثقل الثاني أحدهما لإسحاق وهو الذي كتب به إسحاق إلى إبراهيم بن المهدي والآخر زعم الهشامي أنه لإبراهيم، وزعم عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لابن محرز. أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجمان: أن إسحاق بن إبراهيم لما صنع صوته:

قل لمن صد عاتباً

اتصل خبره بإبراهيم بن المهدي فكتب يسأله عنه؛ فكتب إليه بشعره وإيقاعه وبسيطه ومجراه وإصبعه وتجزئته وأقسامه ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه، فغناه. قال: ثم لقيني فغنيانه، ففضلي فيه بجنس صوته.

نسبة هذا الصوت

ونأى عنك جانباً

ت وإن كنت لاعبا

قل لمن صد عاتباً

قد بلغت الذي أرد

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق، ثاني ثقل بالبنصر في مجراها. وفيه لغيره الحان. سمعه أحمد بن أبي دواد فذهل عن نفسه ورجع عن إنكاره الغناء: أخبرني ابن عمار قال حدثني يعقوب بن نعيم

قال حدثني إسحاق بن محمد عن أبيه قال: سمعت أحمد بن أبي دواد يقول: كنت أعيب الغناء وأطعن على أهله، فخرج المعتصم يوماً إلى الشماسية في حراقة يشرب، ووجه في طلي فصرت إليه؛ فلما قربت منه سمعت غناءً حيرني وشغلني عن كل شيء، فسقط سوطي من يدي؛ فالتقت إلى زنقطة غلامي أطلب منه سوطه، فقال لي: قد والله سقط سوطي. فقلت له: فأني شيء كان سبب سقوطه؟ قال: صوت سمعته شغلني عن كل شيء فسقط سزطي من يدي؛ فإذا قصته قصتي. قال: وكنت أنكر أمر الطرب على الغناء وما يستفز الناس منه ويغلب على عقولهم، وأناظر المعتصم فيه. فلما دخلت عليه يومئذ أخبرته بالخبر؛ فضحك وقال: هذا عمي كان يغني.

إن هذا الطويل من آل حفصٍ نشر المجد بعدما كان ماتا

فإن تبت مما كنت تناظرنا عليه في ذم الغناء سألته أن يعيده. ففعلت وفعل، وبلغ بي الطرب أكثر مما يبلغني عن غيري فأنكره؛ ورجعت عن رأي منذ ذلك اليوم. وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها بزيادة اللفظ ونقصانه، وذكر أن الصوت الذي غناه إبراهيم:

طرقتك زائرةٌ فحي خيالها بيضاء تخط بالحياء دلالها

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

اتخذ لنفسه حراقة بجذاء داره: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عليل قال: سمعت هبة الله بن إبراهيم بن المهدي يقول: اتخذ أبي حراقة فأمر بشدها في الجانب الغربي بجذاء داره، فمضيت إليها ليلة فكان أبي يخاطبنا من داره بأمره ونهيه، فنسمعه وبيننا عرض دجلة وما أجهد نفسه.

ثناء ابن أبي ظبية عليه: أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مسلم بن قتيبة يقول حدثني بن أبي ظبية قال: كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحنح فأطرب.

غنى وعنده عدة من المغنين وغنى بعده مخارق فأعاد هو فأطرب: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد القاسم بن مهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني المغني عن محمد بن جبر عن عبد الله بن العباس الربيعي قال: كنا عند إبراهيم بن المهدي ذات يوم وقد دعا كل مطرب محسن من المغنين يومئذ وهو جالس يلاعب أحدهم بالشطرنج. فترنم بصوت فريدة:

قال لي أحمدٌ ولم يدر ما بي أتحب الغداة عتيةً حقا

وهو متكئ. فلما فرغ منه ترنم به مخارق فأحسن فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم، فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فغنى على غناء مخارق. فلما فرغ رده مخارق وغنى فيه بصوته كله وتحفظ فيه، فكنا نظير سروراً. واستوى إبراهيم جالساً وكان متكئاً فغناه بصوته كله ووفاه نغمة وشذوره، ونظرت إلى كتفيه تهتزان وبدنه أجمع يتحرك حتى فرغ منه، و مخارق شاحصٌ نحوه يردد وقد انتقع لونه وأصابه تحتلج؛ فخيّل لي والله أن الإيوان يسير بنا.

فلما فرغ منه تقدم إليه مخارق فقبل يده وقال: جعلني الله فداك أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقية يومه في غنائه، والله لكنما كان يتحدث.
نسبة هذا الصوت

قال لي أحمدٌ ولم يدر ما بي أتحب الغداة عتبةً حقاً
فتنفست ثم قلت نعم حب أ جرى في العروق عرقاً فعرقاً
ما لدمعي عدمته ليس يرقاً إنما يستهل غسقاً فغسقاً
طرباً نحوه طيبةٍ تركت قل بي من الوجد قرحةً ما تفقا

الشعر لأبي العتاهية. والغناء لفريدة خفيف رملٍ بالوسطى. وفيه لإبراهيم بن المهدي خفيف رملٍ آخر. وفريدة أيضاً لحنٌ من الثقليل الثاني في أبيات من هذه القصيدة وهي:

قد لعمرى مل الطبيب ومل ال أهل مني مما أداوى وأرقى
ليتني مت فاسترحت فإني أبداً ما حبيت منها ملقى

غنى الأمين فأطربه: أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني عمي منصور بن المهدي: أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نوبةٌ لحمد الأمين، فتشاغل أبي بالشرب في بيته ولم يحض، وأرسل إليه عدة رسل فتأخر، قال منصور: فلما كان من غدٍ قال: ينبغي أن تعمل على الرواح إلي لنمضي إلى أمير المؤمنين فنترضاه؛ فما أشك في غضبه علي. ففعلت ومضينا. فسألنا عن خبره فأعلمنا أنه مشرف على حير الوحش وهو مخمور، وكان من عادته ألا يشرب إذا لحقه الخمار. فدخلنا؛ وكان طريقنا على حجرة تصنع فيها الملاهي. فقل لي أخي: اذهب فاختر منها عوداً ترضاه، وأصلحه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى تغييره البتة عند الضرب؛ ففعلت وجعلته في كمي. ودخلنا على الأمين وظهره إلينا. فلما بصرنا به من بعيد قال: أخرج عودك فأخرجته، واندفع يغني:

وكأسٍ شربت على لذة وأخرى تتداويت منها بها
لكي يعلم الناس أنني امرؤ أتيت الفتوة من بابها

وشاهدنا الجل والياسم بين والمسمعات بقصابها
وبربطنا دائماً معملٌ فأبي الثلاثة أزرى بها

فاستوى الأمين جالساً وطرب طرباً شديداً وقال: أحسنت والله يا عم وأحييت لي طرباً، ودعا برطل فشربه على الريق وامتد في شربه. قال منصور: وغنى إبراهيم يومئذٍ على أشد طبقة يتناهى إليها في العود، وما سمعت مثل

غناؤه يومئذٍ قط. ولقد رأيت منه شيئاً عجيباً لو حدثت به ما صدقت، كان إذا ابتدأ يغني أصغت الوحش إليه ومدت أعناقها، ولم ترل تدنو منا حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدكان الذي كنا عليه، فإذا سكنت نفرت وبعدت منا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنا، وجعل الأمين يعجب من ذلك، وانصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قط.

كتب له إسحاق بصوت صنعه فغناه وأجاده: أخبرني عمي والصولي قالاً حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجمان أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بصوت صنعه في شعر له وهو:

ونأى عنك جانباً

قل لمن صد عاتباً

ت وإن كنت لاعباً

قد بلغت الذي أرد

وبين له شعره وإيقاعه وبساطه ومجراه وإصبعه ونجرتته وقسمته ومخارج نغمه ومواضع مقاطعه ومقادير أوزانه، فغناه إبراهيم، ثم لقيه بعد ذلك فغناه إياه فما حرم منه شذرةً ولا نغمةً. قال: وفاقني فيه بحسن صوته.

نسبة هذا الصوت

ونأى عنك جانباً

قل لمن صد عاتباً

ت وإن كنت لاعباً

قد بلغت الذي أرد

ت وإن كنت كاتباً

واعترفنا بما ادعي

ت فقد جئت تائباً

فافعل الآن ما أرد

يقال: إن الشعر لإسحاق، ولم أحده في مجموع شعره. ووجدت فيه لحناً لحكم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري، وهو خفيف من خفيف الثقيل الثاني بالنصر. وكذلك ذكرت دنابير أنه لحكم الوادي؛ ويشبه أن يكون الشعر لغيره. ولحن إسحاق الذي كتب إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالنصر في مجراها. وفيه ثقل أول مطلق في مجرى النصر لم يقع إلي نسبته إلى صانعه، وأظنه لحن حكم.

غنى أبا دلف العجلي وأهداه جارية: أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلي قال: كنا مع المعتصم بالقاطول، وكان إبراهيم بن المهدي في حراقة بالجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصل في حراقتيهما في الجانب الشرقي، فدعاهما يوم جمعة فغيرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعلي أقبية ومنطقة. فلما دنونا من حراقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضت بنهوضه صبية له يقال لها غضة، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس. فلما صعدنا إليه اندفع فغنى:

إن ميتاً كنت وإن حياً

حياً كما الله خليلياً

أو قتلتما غياً فلا غياً

إن قتلتما خيراً فأهل له

ثم ناول كلا منهما كأساً وأخذ هو الكأس التي كانت في يد الجارية وقال: اشربا على ريقكما، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشربوا، ثم أخذوا العيدان فغناهما ساعةً وغنياه؛ وضرب وضربا معه، وغنت الجارية بعدهم. فقال لها أبي: أحسنت مراراً. فقال له: إن كنت أحسنت فخذها إليك، فما أخرجتها إلا إليك. سمع من مخارق لحناً فأطراه: أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العبيس بن حمدون قال: لما صنع مخارق في شعر العتاي.

أخضنى المقام الغمر إن كان غرني سنا خلب أو زلت القدمان

وغناه إبراهيم بن المهدي؛ فقال له: أحسنت وحياتي ما شئت! فسجد مخارق سروراً بقول إبراهيم ذلك له.

غنى عمرو بن بانة لحناً وحديثه حديثه

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطراني عن عمرو بن بانة قال: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً:

أداراً بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقرق

فاستحسنه وسأله إعادته علي حتى آخذه عنه ففعل. ثم قال لي: إن حديث هذا الصوت أحسن منه. قلت: وما حديثه أعزك الله؟ قال: غنانيه ابن جامع والصنعة فيه له، فلما أخذته عنه غنيته إياه ليسمعه مني، فاستحسنه جداً وقال: كأني والله ما سمعته قط إلا منك ثم كان صوته بعد ذلك على نسبة هذا الصوت. قصته مع ابن بسخر وجاريته شارية ومخارق وعلوية:

أخبرني علي بن إبراهيم الكاتب قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال: وجه إلى إبراهيم بن المهدي يوماً يدعوني، وذلك في أول خلافة المعتصم، فصرت إليه وهو جالس وحده وشارية جاريته خلف الستارة، فقال: إن قلت شعراً وغنيت فيه وطرحته على شارية فأخذته وزعمت أنها أحذق به مني، وأنا أقول أي أحذق به منها، وقد تراضينا بك حكماً بيننا لموضعك من هذه الصناعة، فاسمعه مني ومنها واحكم ولا تعجل حتى تسمعه ثلاث مرات. فقلت نعم. فاندفع يغني بهذا الصوت:

أضن بليلي وهي غير سخية وتبخل ليلي بالهوى وأجود

فأحسن وأجاد. ثم قال لها: تغني، فغنته فبرزت فيه حتى كأنه كان معها في أبيجاد، ونظر إلي فعرف أبي قد عرفت فضلها عليه، فقال: على رسلك! وتحدثنا ساعةً وشربنا. ثم اندفع فغناه ثانية فأضعف في الإحسان، ثم قال لها: تغني، فغنت فبرت وزادت أضعاف زيادته، وكدت أشق ثيابي طرباً. فقال لي: تثبت ولا تعجل. ثم غناه ثالثة فلم يبق غاية في الإحكام، ثم أمرها فغنت، فكأنه إنما كان يلعب. ثم قال لي: قل، فقضيت لها؛ فقال: أصبت، فكم تساوي عندك؟ فحملني الحسد له عليها والنفاسة بمثلها أن قلت: تساوي مائة ألف درهم. فقال: أو ما تساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف! قبح الله رأيك! والله ما أجد شيئاً أبلغ في

عقوبتك من أن أصرفك، قم فانصرف إلى منزلك مذموماً. فقلت له: ما لقولك اخرج من منزلي جواب، وقمت وانصرفت، وقد أحفظني كلامه وأرمني. فلما خطوت خطوات التفت إليه فقلت له: يا إبراهيم! أتطردني من منزلك! فوالله ما تحسن أنت ولا جاريتك شيئاً. وضرب الدهر ضربانه، ثم دعانا المعتصم بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل، فدخلت أنا ومخارق وعلويه، وإذا أمير المؤمنين مصطححاً وبين يده ثلاث جامات: جام فضة مملوءة دنائير جددًا، وجام ذهب مملوءة دراهم جددًا، وجام قوارير مملوءة عنبراً، فظننا أنها لنا بل لم نشك في ذلك، فغنيناه وأجهدنا أنفسنا، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا. ودخل الحاجب فقال: إبراهيم بن المهدي. فأذن له فدخل، فغناه أصواتاً أحسن فيها، ثم غناه بصوت من صناعته وهو:

ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت يا صاحبي أظن الساعة اقتربت

فاستحسنه المعتصم وطرب له، وقال: أحسنت والله! فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين فإن كنت أحسنت فهب لي إحدى هذه الجامات؛ فقال: خذ أيتها شئت، فأخذ التي فيها الدنانير؛ فنظر بعضنا إلى بعض. ثم غناه إبراهيم بشعر له وهو:

فما مزّة قهوة قرقف شمول تروق براوقها

فقال: أحسنت والله يا عم وسررت. فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أحسنت فهب لي جاماً أخرى؛ فقال: خذ أيتها شئت، فأخذ الجام التي فيها الدراهم؛ فعند ذلك انقطع رجائنا منها. وغناه بعد ساعة:

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى عشير الذي ألقى فيلتنم الحب

فارتج بنا المجلس الذي كنا فيه، وطرب المعتصم واستخفه الطرب فقام على رجله، ثم جلس فقال: أحسنت والله يا عم ما شئت! قال: فإن كنت قد أحسنت يا أمير المؤمنين فهب لي الجام الثالثة؛ فقال: خذها فأخذها. وقام أمير المؤمنين، ودعا إبراهيم بمندبل فثناه طاقتين ووضع الجامات فيه وشده، ودعا بطين فختمه ودفعه إلى غلامه، ونهضنا إلى الانصراف، وقدمت دوابنا. فلما ركب إبراهيم التفت إلي فقال: يا محمد بن الحارث، زعمت أني لا أحسن أنا وجاريتي شيئاً، وقد رأيت ثمرة الإحسان. فقلت في نفسي: قد رأيت، فخذها لا بارك الله لك فيها! ولم أجبه بشيء.

نسبة هذه الأصوات صوت

ما بال شمس أبي الخطاب قد غربت يا صاحبي أظن الساعة اقتربت

أما لا فما بال ريح كنت آملها غدت علي بصر بعدما خبئت

أشكو إليك أبا الخطاب جارية غريرة بفؤادي اليوم قد لعبت

رأيت قيمها يوماً يحدثها ياليتها قربت مني وما بعدت

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رملٌ بالبنصر. وفيه هزج بالبنصر، ذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصلي، وذكر غيره أنه لإبراهيم بن المهدي.

صوت

ألا ليت ذات الخال تلقى من الهوى عشير الذي ألقى فيلتنم الحب

وصالكم صدّ وقربكم قلّى وعطفكم سخطٌ وسلمكم حرب

الشعر للعباس بن الأحنف. والغناء لإبراهيم.

شعر في باقة نرجس غنى به المعتصم. وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال: سمعت أبي يقول: كانت في يد المعتصم باقة نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي: يا عم قل فيها أبياتاً وغن فيها. فنكت في الأرض بقضيب في يده هنيهة ثم قال: صوت

ثلاث عيون من النرجس على قائم أخضر أملس

يذكرني طيب ريا الحبيب فيمنعني لذة المجلس

وصنع فيه لحناً وغناه به، فأعجبه وأمر له بجائزة. لحن إبراهيم في هذين البيتين خفيف رمل بالبنصر، ذكر لي ذكاء فغيره ذلك.

غضب عليه المأمون وسجنه فاستعطفه حتى عفا عنه: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يموت بن المزرع عن الجاحظ قال: أرسل إلي ثمانية يوم جلس المأمون لإبراهيم بن المهدي وأمر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا فجاء إبراهيم، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عليل قال حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خراسان قال: لما ظفر المأمون لإبراهيم بن المهدي أحب أن يوبخه على رؤوس الناس. قال: فجاء إبراهيم يحجل في قيوده، فوقف على طرف الإيوان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال له المأمون: لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا رعاك ولا كلاك يا إبراهيم. فقال له إبراهيم: على رسلك يا أمير المؤمنين! فلقد أصبحت ولي تأري، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له الاغترار في الأمل هجمت به الأناة على التلف. وقد أصبح ذني فوق كل ذنب، كما أن عفوك فوق كل عفو - وقال الحسن بن عليل في خبره: وقد أصبحت فوق كل ذي ذنب، كما أصبح كل ذي عفو دونك - فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك. قال: فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: إن هذين أشارا علي بقتلك. فالتفت فإذا المعتصم والعباس بن المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، أما حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غشاك إذ كان ما كان مني، ولكن الله عودك من العفو عادةً جريت عليها دافعاً ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله. فتبسم المأمون وأقبل على ثمانية ثم قال: إن من الكلام ما

يفوق الدر ويغلب السحر، وإن كلام عمي منه، أطلقوا عن عمي حديده وردوه إلي مكرماً. فلما رد إليه قال: يا عم صر إلى المنادمة وارجع إلى الأنس، فلن ترى مني أبداً إلا ما تحب. فلما كان من الغد بعث إليه بدرج فيه:

يا خير من ذملت يمانيةً به	بعد الرسول لآيسٍ أو طامع
وأبر من عبد الإله على الهدى	نفساً وأحكمه بحقٍ صادق
عسل الفوراع ما أطعت فإن تهج	فالموت في جرع السمّ الناقع
متيقظاً حذراً وما يخشى العدا	نبهان من وسنات ليل الهاجع
والله يعلم ما أقول فإنها	جهد الألية من حنيفٍ راع
قسماً وما أدلي إليك بحجةٍ	إلا التضرع من محبٍ خاشع
ما إن عصيتك والغواة تمدني	أسبابها إلا بنية طائع
حتى إذا علقت حبال شقوتي	بردىً على حفر المهالك هائع
لم أدر أن لمثل ذنبي غافراً	فأقمت أرقب أي حتفٍ صارعي
رد الحياة إلي بعد ذهابها	ورع الإمام القاهر المتواضع
أحيائك من ولاك أطول مدةٍ	ورمى عدوك في الوتين بقاطع
إن الذي قسم الفضائل حازها	في صلب آدم للإمام السابع
كم من يدٍ لك لا تحدثني بها	نفسي إذا آلت إلي مطامعي
أسديتها عفواً إلي هنيئةً	فشكرت مصطنعاً لأكرم صانع
ورحمت أطفالاً كأفراخ القطا	وعويل عانسةٍ كقوس النازع
وعفوت عن من لم يكن عن مثله	عفوً ولم يشفع إليك بشافع
إلا العلو عن العقوبة بعدما	ظفرت يداك بمستكينٍ خاضع

قال: فبكى المأمون ثم قال: علي به، فأني به فخلع عليه وحمله وأمر له بخمسة آلاف دينار، ودعا بالفراش فقال له: إذا رأيت عمي مقبلاً فاطرح له تكأةً، فكان ينادمه ولا ينكر عليه شيئاً. وروي بعض هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه: لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الأحول وقال: هو صديقك فخذك إليك. فقال: وما تغني صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخطٌ عليه! أما إني وإن كنت له صديقاً لا أمتنع من قول

الحق فيه. فقال له: قل فإنك غير متهم. قال وهو يريد التسلق على العفو عنه: إن قتلته فقد قتلت الملوك قبلك أقل جرماً منه، وإن عفوت عنه عفوت عمن لم يعف قبلك عن مثله. فسكت المأمون ساعة ثم تمثل:

فلئن عفوت لأعفون جلاً
ولئن سطوت لأوهن عظمي

قومي هم قتلوا أميم أخي
فإذا رميت أصابني سهمي

خذه يا أحمد إليك مكرماً، فانصرف به. ثم كتب إلى المأمون قصيدته العينية. فلما قرأها رق له وأمر برده إلى منزله ورد ما قبض منه من أمواله وأملاكه. وفي خبر عمي عن الحسين بن عليل قال: حدثني محمد بن إسحاق الأشعري عن أبي داود: أن المأمون تقدم إلى محمد بن مزداد لما أطلق إبراهيم أن يمنعه داري الخاصة والعامة، ويوكل به رجلاً من قبله يثق به ليعرفه أخباره وما يتكلم به. فكتب إليه الموكل به أن إبراهيم لما بلغه منعه من داري الخاصة والعامة تمثل:

يا سرحة الماء قد سدت موارده
أما إليك طريق غير مسدود

لحائمٍ حام حتى لا حيام له
محلاً عن طريق الماء مطرود

فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرماً وإنزاله في مرتبته؛ فصار إليه محمد فبشره بذلك وأمره بالركوب فركب. فلما دخل على المأمون قبل البساط ثم قال:

البر بي منك وطا العذر عندك لي
دون اعتذاري فلم تعذل ولم تلم

وقام علمك بي فاحتج عندك لي
مقام شاهد عدل غير متهم

رددت مالي ولم تمنن علي به
وقبل ردك مالي قد حققت دمي

تعفو بعدلٍ وتسطو إن سطوت به
فلا عدمناك من عافٍ ومنتم

فبؤت منك وقد كافأتها بب
هي الحياتان من موت ومن عدم

فقال له: اجلس يا عم آمناً مطمئناً، فلن ترى أبداً مني ما تكره، إلا أن تحدث حدثاً أو تتغير عن طاعة؛ وأرجو ألا يكون ذلك منك إن شاء الله.

بذ أحمد بن يوسف الكاتب في حسن المحاضرة: أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن حمدون عن أبيه قال: كنت أحب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدم أحمد وغلبته الناس جميعاً بحفظه وبلاغته وأدبه في كل محضر ومجلس. فدخلت يوماً على إبراهيم بن المهدي وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الخزري، فجعل إبراهيم يحدثنا فيضيف شيئاً إلى شيء، مرةً يضحكننا ومرةً يعظنا ومرةً ينشدنا ومرةً يذكرنا، وأحمد بن يوسف ساكت. فلما طال بنا المجلس أردت أن أحاطب أحمد، فسبقني إليه أبو العالية فقال:

ما لك لا تتبج يا كلب الدوم

قد كنت نباحاً فما لك اليوم

فتبسم إبراهيم ثم قال: لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لرحمتني كما رحمت أحمد مني. أثنى عليه إسحاق: أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق: ليس فيمن يدعي العلم بالغناء مثل إبراهيم بن المهدي وأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي. فقليل له: فأين محمد بن الحسن بن مصعب منهما؟ فقال: لو قيل لك إن محمد بن الحسن يبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول: وكيف يبصر الغناء من نشأ بخراسان لا يسمع من الغناء العربي إلا ما لا يفهمه !.

إقرار ابن بانة له وإسحاق بالعلو في فن الغناء: أخبرني يحيى قال حدثني أبو العبيس بن حمدون عن عمرو بن بانة قال: رأيت إسحاق الموصلي يناظر إبراهيم بن المهدي في الغناء، فتكلما فيه بما فهماه ولم نفهم منه شيئاً. فقلت لهما: لئن كان ما أنتما فيه من الغناء ما نحن منه في قليل ولا كثير.

فضل المأمون غناءه على غناء إسحاق في شعر للأخطل: أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جده حمدون: أن المأمون قال لإسحاق: غني لحنك في شعر الأخطل:

يا قل خير الغواني كيف رغن به

فشربه وشلّ منهن تصريح

فغناه إياه فاستحسنه، ثم قال لإبراهيم بن المهدي: هل صنعت في هذا الشعر شيئاً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهاته؛ فغناه فاستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق ولم يدفع إسحاق ذلك. علمه إسحاق لحناً فطرب له الأمين وقصة ذلك: أخبرني أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى الموصلي قال ذكر أبي عن جدي عن عبد الله بن عيسى الماهاني قال: دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة، فرأيت عليه مطرف خز أسود ما رأيت قط أحسن منه؛ فتحدثنا إلى أن أخذنا في أمر المطرف فقال: لقد كانت لكم أيامٌ حسنة ودولةٌ عجيبةٌ، فكيف ترى هذا؟ فقلت له: ما رأيت مثله. فقال: إن قيمته مائة ألف درهم، وله حديث عجيب. فقلت له: ما أقومه إلا نحواً من مائة دينار. فقال إسحاق: اسمع حديثه: شربنا يوماً من الأيام، فبت وأنا مثخن، فانتبعت لرسول محمد الأمين، فدخل علي فقال لي: يقول لك أمير المؤمنين عجل إلي - وكان بخيلاً على الطعام فكنت آكل قبل أن أذهب إليه - فقم فتسوك وأصلحت أمري، وأعجلني الرسول عن الغداء. فدخلت عليه وإبراهيم بن المهدي جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وعليه جبة خز دكناء. فقال لي محمد: يا إسحاق تغديت؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال: إنك لنهزم، أهذا وقت غداء! فقال: أصبحت يا أمير المؤمنين وبني حمار، فكان ذلك مما حداني على الأكل. فقال لهم: كم شربنا؟ فقالوا: ثلاثة أرتال. فقال: اسقوه مثلهما. فقلت: إن رأيت أن تفرقها علي! فقال: تسقى رطلين ورطلاً. فدفع إلي رطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تسيل معهما، ثم دفع إلي رطل آخر فشربته فكأن شيئاً انجلي عني. فقال غني:

كليبٌ لعمرى كان أكثر ناصراً

وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

فغنيته؛ فقال: أحسنت طرب، ثم قام فدخل. وكان يفعل ذلك كثيراً، يدخل إلى النساء ويدعنا. فقامت في أثر قيامه فدعوت غلاماً لي فقلت: اذهب إلى منزلي وجني بيزماوردتين ولفهما في منديل واذهب ركضاً وعجل. فمضى الغلام فجاءني بهما. فلما وافى الباب ونزل عن الدابة انقطع البرذون فنفق من شدة ما ركضه، فأدخل إلي البزماوردتين فأكلتهما ورجعت إلي نفسي وعدت إلى مجلسي. فقال لي إبراهيم: إن لي إليك حاجة أحب أن تقضيها لي. فقلت: إنما أنا عبدك وابن عبدك، قل ما شئت. قال: ترد علي:

كليبٌ لعمرى كان أكثر ناصراً

وهذا المطرف لك. فقلت: أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا، ولكني أصير إليك إلى منزلك فألقيه على الجواري وأرده عليك مراراً. فقال: أحب أن ترده علي الساعة وأن تأخذ هذا المطرف فإنه من لبسك ومن حاله كذا وكذا. فرددت عليه الصوت مراراً حتى أخذه. ثم سمعنا حركة محمد فقمنا حتى جاء فجلس ثم قعدنا، فشرب وتحدثنا. فغناه إبراهيم:

كليبٌ لعمرى كان أكثر ناصراً

فكأنني والله لم أسمعته قبل ذلك حسناً، وطرب محمد طرباً عجيباً وقال: أحسنت والله يا عم! أعط يا غلام عشر بدرٍ لعمرى الساعة، فجاءوا بها. فقال: يا أمير المؤمنين إن لي فيها شريكاً. قال: ومن هو؟ قال: إسحاق. قال: وكيف؟ قال: إنما أخذته الساعة منه لما قمت. فقلت له: ولم! أضاعت الأموال على أمير المؤمنين حتى يشركك فيما تعطاه! قال: أما أنا فأشركك وأمير المؤمنين أعلم. فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف. فهذا أخذ به مائة ألف درهم وهي قيمته.

حج مع الرشيد وقصته مع جارية رآها: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال لي إبراهيم بن المهدي: حججت مع الرشيد؛ فلما صرنا بالمدينة خرجت أدور في عرصاتها، فانتبهت إلى بئر وقد عطشت وجارية تستقي منها، فقلت: يا جارية، امتحي لي دلواً. فقالت: أنا والله عنك في شغل بضريبة موالي علي. فنقرت بسوطي على سرجي وغنيت: صوت

رام قلبي السلو عن أسماء وتعزى وما به من عزاء

سحنة في الشتاء باردة الصبي ف سراج في الليلة الظلماء

كفناني إن مت في درع أروى وامتحالي من بئر عروة مائي

- الشعر للأحوص. والغناء لمعبد رملٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق - وتما هذه الأبيات:

إنني والذي تحج قريش بيتة سالكين نقب كداء

لملم بها وإن أبت منها صادراً كالذي وردت بداء

ومصيفٌ بالقصر قصر قباء

ولها مربعٌ ببرقة خاخ

قد أطاعت مقالة الأعداء

قلبت لي ظهر المجن فأمست

ولمبعد أيضاً في البيت الأخير من هذه الأبيت ثم الأول والثاني خفيف ثقيلٍ عن الهشامي. ولا بن سريج في:

ولها مربعٌ ببرقة خاخ

وكفناني إن مت في درع أروى

رملٌ عن الهشامي أيضاً. ولإبراهيم في: "رام قلبي" وما بعده ثاني ثقيلٍ عن حبش - قال إبراهيم بن المهدي في الخبر: فرفعت الجارية رأسها إلي فقالت: أتعرف بئر عروة؟ قلت لا. قالت: هذه والله بئر عروة، ثم سقتني حتى رويت، وقالت: إن رأيت أن تعيده ففعلت، فطربت وقالت: والله لأحملن قريةً إلى رحلك! فقلت: افعلي، ففعلت وجاءت معي تحملها. فلما رأت الجيش والخدم فزعت. فقلت لها: لا بأس عليك! وكسوها ووهبت لها دنانير وحبستها عندي، ثم صرت إلى الرشيد فحدثته حديثها؛ فأمر بابتياعها وعتقها؛ فما برحت حتى اشتريت وأعتقت، وأخذت لها منه صلةً وافترقنا.

حواره مع المأمون حين استعطفه بكلام سعيد بن العاص لمعاوية: حدثني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن خلف بن المرزبان قالاً حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا الفضل بن مروان قال: لما أدخل إبراهيم بن المهدي على المأمون وقد ظفر به، كلمه إبراهيم بكلام سعيد بن العاص كلم به معاوية بن أبي سفيان في سخطه سخطها عليه واستعطفه به. وكان المأمون يحفظ الكلام، فقال له المأمون: هيهات يا إبراهيم! هذا كلامٌ سبقك به فحل بن العاص بني أمية وقارحهم سعيد بن العاص وخاطب به معاوية. فقال له إبراهيم: مه يا أمير المؤمنين؟! وأنت أيضاً إن عفوت فقد سبقك فحل بن حرب وقارحهم إلى العفو، فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعد من حال سعيد عند معاوية، فإنك أشرف منه، وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية، وإن أعظم المحنة أن تسبق أمية هاشماً إلى مكرمة. فقال: صدقت يا عم، وقد عفوت عنك.

غضب عليه الأمين فاستعطفه: أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلامٌ على النبذ، فوجد عليه محمد. فلما كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بالطفاف فلم يقبلها؛ فوجه إليه وصيفةً مليحةً مغنيةً معها عود معمول من عود هندي، وقال هذه الأبيات وغنى فيها وألقاها عليها حتى أخذت الصنعة وأحكمتها، ثم وجه بها إليه. فوقفت الجارية بين يديه وقالت له: عمك وعبدك يا أمير المؤمنين يقول لك - واندفعت تغني بالشعر وهو -:

وكشفت هجرك لي فانكشف

هتكت الضمير برد اللطف

فهب للخلافة ما قد سلف

وإن كنت تتكر شيئاً جرى

فبالفضل يأخذ أهل الشرف

وجد لي بصفحك عن زلتي

قال: فسر محمدٌ بها، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار وتم يومه معه. صالح جاريته صدوف: أخبرني محمد بن خلف المربان قال أخبرني سعيد بن صالح الأسدي قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدام إبراهيم بن المهدي قال: كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صدوف، وكان لها من نفسه موضع. فحسدها جواريه على محلها منه، فلم يزلن يبلغنه عنها ما يكره حتى غضب عليها وجفاها أياماً؛ ثم شق ذلك عليه واغتم به، ولم يطب نفساً بمراجعتها وصلحها. فدخل عليه الأعرابي أخو معللة صاحبة الفضل بن الربيع، وكان حسن الشعر حلو اللفظ فصيحاً، وكان إبراهيم يأنس به، فقال له: ما لي أرى الأمير منكسراً منذ أيام؟ فأمسك. فقال: قد عرفت حال الأمير وقلت في أمره أبياتاً إن أذن لي أنشدته إياها. فتبسم وقال: هات؛ فأنشده:

أعتبت أم عتبت عليك صدوف
و عتاب مثلك مثلها تشريف
لا تقعدن تلوم نفسك دائماً
فيها وأنت بحبها مشغوف
إن الصريمة لا ينوء بحملها
إلا القوي بها وأنت ضعيف

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار، وبعث إلى صدوف فخرجت إليه ورضي عنها، وبعثت إليه صدوف بمائة دينار. قيل له تب وأحرق دفاتر الغناء فقال ريق تحفظ كل غنائي: أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني أحمد بن علي بن حميدة قال حدثني ريق قالت: مرض إبراهيم بن المهدي مرضةً أشرف منها على الموت، فجعل يتذكر شغفه بالغناء وما سلف له فيه ويتندم عليه. فقال له بعض من حضر: فتب وأحرق دفاتر الغناء. فحرك رأسه ساعة ثم قال: يا مجانين! فهبني أحرق دفاتر الغناء كلها، ريق أيش أعمل بها؟ أأقتلها وهي تحفظ كل شيء في دفاتر الغناء!! رأى علياً في النوم: أخبرني جعفر بن قدامة والحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني المبرد عن أحمد بن الربيع عن إبراهيم بن المهدي قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم، فقلت له: إن الناس قد أكثروا فيك وفي أبي بكر وعمر، فما عندك في ذلك؟ فقال لي: إحصاً! ولم يزدني على ذلك. وأخبرني الكوكبي بهذا الخبر عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: كان إبراهيم شديد الانحراف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فحدث المأمون يوماً أنه رأى علياً في النوم، فقال له: من أنت؟ فأخبره أنه علي بن أبي طالب. قال: فمشينا حتى جئنا قنطرةً فذهب يتقدمني لعبورها؛ فأمسكته وقلت له: إنما أنا رجلٌ تدعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحق به منك! فما رأيت له في الجواب بلاغةً كما يوصف عنه. فقال: وأي شيء قال لك؟ فقال: ما زادني على أن قال سلاماً سلاماً. فقال له المأمون: قد والله أجابك أبلغ جواب. قال: وكيف؟ قال: عرفك أنك جاهلٌ لا يجاوب مثلك؛ قال الله عز وجل: " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ". فحجل إبراهيم وقال: ليتني لم أحدثك بهذا الحديث. تمنى له الأمين طول العمر: أخبرني الكوكبي قال حدثني الفضل بن سلمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن

أبيه قال: قلت للأمين يوماً: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك! فقال: بل جعلني الله فداك؛ فأعظمت ذلك. فقال: يا عم لا تعظمه فإن لي عمراً لا يزيد ولا ينقص؛ فحياتي مع الأحبة أطيّب من تجرعي فقدهم، وليس يضرني عيش من عاش بعدي منهم.

غنى للأمين لحناً فطرب وطلب إليه أن يلقيه إحدى جواريه، وقصة ذلك: حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال: كنت يوماً بين يدي الأمين أغنيه؛ فغنيت: صوت

من آل هند والرباب

أقوت منازل بالهضاب

وإذا ونت ذلل الركاب

خطارة بزمامها

صم صلازمة صلاب

ترمي الحصاء بمناسم

قال: فاستحسن اللحن وسألني عن صانعه؛ فعرفته أن ابن جامع حدثني عن سباط أنه لابن عائشة؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوز، ثم انصرفنا ليلتنا تلك. ووافاني رسوله حين انتبهت من النوم وأنا أستاك، فقال لي: يقول لك: بحياتي يا عم لا تشتغل بعد الصلاة بشيء غير الركوب إلي. فصليت وتناولت طعاماً خفيفاً وأنا ألبس ثيابي خوفاً من رجوع رسوله، وركبت إليه. فلما رأي من بعيد صاح بي: يا عم بحياتي.

خطارة بزمامها

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنيت؛ فأمر بإحضار صبية كان يتحطاها، فأخرجت إليه صبية كأنها لؤلؤة في يدها العود. فقال: بحياتي يا عم ألقه عليها! فأعدته مراراً وهو يشرب؛ حتى إذا ظننت أنها قد أخذته أمرتها أن تغنيه فغنته، فإذا هو قد استوى لها إلا في موضع كان فيه وكان صعباً جداً فجهدت جهدي أن يقع لها طلباً لمسرتها، وكان حقيقاً مني بذلك، فلم يقع لها البتة. ورأى جهدي في أمرها وتعذره عليها، فأقبل عليها وقد سكر ثم قال: نفيت من الرشيد وكل أمة لي حرة وعلي عهد الله لئن لم تأخذيه في المرة الثالثة لأمرن بإلقائك في دجلة! قال: ودجلة تطفح وبيننا وبينها نحو ذراعين وذلك في الربيع، فتأملت القصة، فإذا هو قد سكر، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله أبداً. فقلت: هذه والله داهية، ويتغص عليه يومه وأشرك في دمها، فعدلت عما كنت أغنيه عليه وتركت ما كنت أقوله، وغنيت كما كانت هي تقوله، وجعلت أردده حتى انقضت ثلاث مرات أعيده فيها على ما كانت هي تقوله، وأريته أنني أجتهد. فلما انقضت الثلاث المرات قلت لها: هاتيه الآن، فغنته على ما كان وقع لها. فقلت: أحسنت يا أمير المؤمنين، ورددته معها ثلاث مرات، فطابت نفسه وسكن، وأمر لي بثلاثين ألف درهم.

حدث لجحظة مع طرخان ما حدث له هو مع الأمين :

قال جحظة: وقد لحقني مثل هذا؛ فإن طرخان بن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتاً غنيت وهو:

أكتب أشكو فلا يجيب

أعياني الشادن الربيب

من أين أبغي شفاء دائي

وإنما دائي الطبيب

- ولحنه رملٌ - فقال: أحب أن تطرحه على زهرة جاري، فمكثت أتردد إليها شهراً وأكثر وأردده عليها وهو يصلي ويخلع علي ويعطيني كل شيء حسن يكون في مجلسه، فلا تأخذه مني ولا يقع لها. فلما كان بعد شهر قلت له: أيها الأمير قد والله استحييت من كثرة ما تعطيني بسبب هذا الصوت، وقد أعياني أن تأخذه زهرة؛ ثم حدثته حديث إبراهيم بن المهدي وقلت له: لولا أي أمنك عليها لقلته أنا كما تقوله هي حتى نتخلص جميعاً. وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه حيلة. فقال لي: فدعه إذاً.

غنى بحضرة المأمون لحناً وأراد ابن بسخر أن يأخذه عنه فضله: حدثني لحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون: صوت

يا صاح يا ذا الضامر العنس

والرحل ذي الأنساع والجلس

أما النهار فأنت تقطعه

رتكاً وتصبح مثل ما تمسي

- في هذين البيتين لحن لمالك خفيف ثقيل عن يونس والمشماسي. قال: ولمعبد فيه ثقيل أول، وقد نسب قومٌ لحن كل واحد منهما إلى الآخر. قال محمد بن الحارث بن بسخر في الخبر: واللحن لمالك بن أبي السمح وهو من قصاره. هكذا في الخبر - قال: فاستحسنه المأمون، وذهبت آخذه، ففطن لي إبراهيم فجعل يزيد فيه مرةً وينقص منه أخرى بزوائد التي كان يعملها في الغناء، وعلمت ما هو يصنع فتركته. فلما قام قلت للمأمون: يا سيدي إن رأيت أن تأمر إبراهيم أن يلقي علي:

يا صاح يا ذا الضامر العنس

قال: أفعل. فلما عاد قال له: يا إبراهيم ألق على محمد:

يا صاح يا ذا الضامر العنس

فألقاه علي كما كان يغنيه مغيراً، ثم انقضى إلى المجلس وسكر المأمون. فقال لي إبراهيم: قم الآن فأنت أحذق الناس به، فخرجت وخرج. ثم جئته إلى منزله فقلت له: ما في الأرض أعجب منك! أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعم الخليفة تبخل علي ولي لك مثلي لا يفاخرك بالغناء ولا يكاثر بك بصوت!! فقال لي: يا محمد ما في الدنيا أضعف عقلاً منك! والله ما سبقاني المأمون محبةً لي ولا صلةً لرحمي، ولكنه سمع من هذا الجرم شيئاً فقده من سواه فاستبقاني لذلك. فغاضني فعله. فلما دخلت على المأمون حدثته بما قال لي. فقال المأمون: يا محمد هذا أكفر الناس لنعمة! وأطرق ملياً ثم قال لي: لا نكدر على أبي إسحاق عفونا عنه ولا نقطع رحمه، فدع هذا الصوت الذي ضن به عليك إلى لعنة الله.

قال بيتاً يؤكد به لدعلج: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن يزيد قال: قلت لدعلج: بالله أسألك أنت القائل:

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة إذا حسبوا يوماً وثامنهم كلب

فقال: لا والله! فقلت: من قاله؟ قال: من حشا الله قبره ناراً إبراهيم بن المهدي، كافأني بذلك عن هجائي إياه ليشيط بدمي.

خطأ مخارقاً في لحن غناه للمأمون ثم لقنه إياه على وجهه: أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني محمد بن الحارث بن بسخر قال: لما رضي المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه، دخل عليه متبذلاً في ثياب المغنين وزيههم. فلما رآه ضحك وقال: نزع عمي ثياب الكبر عن منكبيه. فدخل وجلس، وأمر المأمون بأن يخلع عليه فألبس الخلع. ثم ابتداء مخارق فغنى: صوت

خليلي من كعب ألما هديتما بزيب لا يفقدكما أبداً كعب

من اليوم زوارها فإن مطينا غداة غد عنها وعن أهلها نكب

فقال له إبراهيم: أسأت وأخطأت. فقال له المأمون: يا عم إن كان أساء وأخطأ فأحسن أنت. فغنى إبراهيم الصوت. فلما فرغ منه قال لمخارق: أعدده الآن، فأعاده فأحسن. فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه في أول الأمر؟ قال: ما أبعد ما بينهما! فالتفت إلى مخارق ثم قال: إنما مثلك يا مخارق مثل الثوب الوشي الفاخر، إذا تغافل عنه أهله سقط عليه الغبار فحال لونه، فإذا نفض عاد إلى جوهره. سأله الرشيد عن أحسن الأسماء وأسجمها فأجابه:

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني شارية الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي قالت: سمعت مولاي إبراهيم بن المهدي يحدث قال: كنت بين يدي الرشيد جالساً على طرف حراقة من حراقاته وهو يريد الموصل وقد بلغنا إلى السودقانية، والمدادون بمدون السفن، والشطرنج بيني وبينه، والدست متوجه له، إذا أطرق هنيةً ثم قال لي: يابن أم، ما أحسن الأسماء عندك؟ قلت: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ثم أي شيء بعده؟ قلت: هارون اسم أمير المؤمنين. قال: فما أسمع الأسماء؟ قلت: إبراهيم. فرجني ثم قال: ويحك! أتقول هذا! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن! فقلت له: بشؤم هذا الأسم لقي من غرود ما لقي وطرح في النار. قال: فإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قلت: لا جرم أنه لم يعمر من أجله. قال: فإبراهيم الإمام؟ قلت بحرفة اسمه قتله مروان في حران. وأزيدك يا أمير المؤمنين: إبراهيم بن الوليد خلع، وإبراهيم بن عبد الله بن حسن قتل، وعمه إبراهيم بن حسن سقط السحن عليه فمات، وما رأيت والله أحداً يسمى بهذا الأسم إلا قتل أو نكب أو رأيت مضرراً أو مقذفاً أو مظلوماً. ثم ما انقضى من الكلام حتى سمعت ملاحاً يصيح بآخر: مد إبراهيم يا عاض بظر أمه مد. فقلت له: أبقى لك شيء بعد هذا! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام. فضحك حتى أشفقت عليه.

غنى المأمون لحناً عرض فيه بالحسن بن سهل: حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن أبيه قال: دخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرب؛ فقال له: بجياقي وبحقي عليك يا أبا محمد إلا شربت معي قدحاً،

وصب له من نبيذه قدحاً. فأخذه بيده وقال له: من تحب أن يغنيك؟ فأومأ إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون: غنه يا عم، فغناه:

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت

يعرض به لما كان لحقه من السوداء والاختلاط. فغضب المأمون حتى ظن إبراهيم أنه سيوقع به، ثم قال له: أبيت إلا كفرأ يا أكفر خلق الله لنعمه! والله ما حقن دمك غيره! ولقد أردت قتلك فقال لي: إن عفوت عنه فعلت فعلاً لم يسبقك إليه أحد، فعفوت والله عنك لقوله. أفحقه أن تعرض به ولا تدع كيدك ولا غلك! أو أنفت من إيمائه إليك بالغناء! فوثب إبراهيم قائماً وقال: يا أمير المؤمنين، لم أذهب حيث ظننت، ولست بعائد؛ فأعرض عنه.

غنى للمعتصم لحناً وسمعه أحمد بن أبي دواد فمال للغناء بعد أن كان يتجنبه: أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثني جرير بن أحمد بن أبي دواد قال حدثني أخي عن أبي قال: كنت أتجنب الغناء وأطعن على أهله وأذم لهجهم به؛ فوجه المعتصم إلي عند خروجه من مدينة السلام: الحق بي؛ فلحقته به بباب الشماسية ومعني غلام زنقطة، فوجدته قد ركب الزورق، وسمعت عنده صوتاً أذهلني حتى سقط سوطي من يدي ولم أشعر به، ثم احتجت وقد أعنق بي برذوني أن أكفه بسوطي. فقلت لغلامي: هات سوطك؛ فقال سقط والله من يدي لما سمعت هذا الغناء. فغلبني الضحك حتى بان في وجهي. ودخلت على المعتصم بتلك الحال. فلما رأي قال لي: ما يضحكك يا أبا عبد الله؟ فحدثته، فقال، أتتوب الآن من الطعن علينا في السماع؟ فقلت له: قبل ذلك من كان يغنيك؟ قال: عمي إبراهيم، كان يغنيني:

أنشر المجد بعد ما كان ماتا

إن هذا الطويل من آل حفص

ثم قال: أعده يا عم ليسمعه أبو عبد الله فإني أعلم أنه لا يدع مذهبه. فقلت: بلى والله لأدعنه في هذا ولا لمتك عليه. فقال: أما إذ كانت توبته على يديك يا عم فلقد فرت بفخرها وعدلت برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا. فضله مخارق على نفسه وعلى إبراهيم الموصلي وابن جامع: حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال حدثني الحسين بن إبراهيم قال: كنت أسأل مخارقاً: أي الناس أحسن غناءً؟ فيجيبني جواباً مجملاً حتى حفت عليه يوماً قال: كان إبراهيم الموصلي أحسن غناءً من ابن جامع بعشر طبقات، وأنا أحسن غناءً من إبراهيم الموصلي بعشر طبقات، وإبراهيم بن المهدي أحسن غناءً مني بعشر طبقات. قال ثم قال لي: أحسن الناس غناءً أحسنهم صوتاً، وإبراهيم بن المهدي أحسن الجن والإنس والوحش والطيور صوتاً، وحسبك هذا.

سمع إسحاق صوتاً من لحنه وشعره فطرب له واستعاده عامة يومه وقصة ذلك :

حدثني علي بن هارون المنجم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحيى قال سمعت جدي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجرجاني قال: انتهت يوماً مغلساً، فدخل إلي الغلام فقال لي: إسحاق الموصلي بالبواب

قبل أن أصلي الغداة. فقلت يدخل، في الدنيا إنسان يستأذن لإسحاق! فدخل فقال: حملني الشوق إليك على أن بكرت هذا البكور، وقد حملت معي نبيذي وعملت على المقام عندك. فقلت: مرحباً بك وأهلاً. ودعوت طباحي فسألته عما في المطبخ، فذكر أشياء يسيرة، منها قطعة حدي وطباهج ودراج معلق. فقال: ما أريد غير ذلك، هاته الساعة. فقلت للطباح: عجل بإحضاره، وعملت على الأكل معه وعلى أن نأخذ في شأننا. فدخل حاجي فقال: رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم بالباب، وإذا فرانق يذكر أنه وجه به إلى محمد بن الفضل ليحضره. قال فقال لي إسحاق: قم في حفظ الله واجتهد في أن تتعجل. قال: فتقدمت إلى الخادم بإخراج الجواري إليه ووضع النبيذ بين يديه، ولبست ثيابي وخرجت وركبت. فلما سرت قليلاً قلت في نفسي: أنا أخسر الناس صفقة إن تركت إسحاق بن الموصلي في منزلي ومضيت إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي، ولا أدري ما يريد مني. فقلت لفرانق: هل لك في خير؟ قال: وما هو؟ قلت: تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي فتقول: إنك وجدتي شارب دواء. قال: نعم. فدفعت إليه ثلاثين درهماً، وختمت له حتماً ورجعت. فقال لي إسحاق: أسرع الكرة، فأخبرته بما صنعت؛ فقال وفقت. فجلست وكان يأكل فأكلت معه، فأخذنا في شأننا. وخرج الجواري إليه فغنين حتى مر صوت إبراهيم بن المهدي في شعره وهو:

جدد الحب بلأيا

أمرها ليس يسيرا

- ولحنه من الثقل الثاني - قال: فطرب إسحاق طرباً ما رأيته طرب مثله قط، وعجب من إحسانه في صناعته وجودة قسمته، ولم يزل صوتنا يومنا أجمع لا نغني غيره حتى شرب إسحاق قطرميزة، وفيه من المشمش الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً، وكلما حضرت صلاة قام إسحاق يصلي بنا، فصلى بنا العتمة وقد فني قطرميزه فشرب من نبيذي رطلين على الصوت. قال: وكان محمد بن الفضل يتزل بسوق الثلاثاء وإسحاق يتزل على نهر المهدي. وقد وزر محمد بن الفضل للمتوكل قبل عبيد الله بن يحيى. نسبة هذا الصوت:

جدد الحب بلأيا

أمرها ليس يسيرا

كبر الحب وقدماً

كان إذ حل صغيراً

ذل الحب رقاباً

كان أدناها عسيرا

ليس لي من الحب إلفي

غير حرمانني السرورا

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقل.

أحب جارية عند بعض أهله وقال فيها شعراً: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني عبد الوهاب بن محمد بن عيسى قال: استتر إبراهيم بن المهدي عند بعض أهله من النساء، فوكلت بخدمته جارية جميلة وقالت همساً: إن أراك لشيء فطاوعيه وأعلميه ذلك حتى يتسع له، فكانت توفيه حقه في

الخدمة والإعظام ولا تعلمه بما قالت لها؛ فجعل مقدارها في نفسه إلى أن قبل يوماً يدها، فقبلت الأرض بين يديه.
فقال:

يا غزاًلاً لي إليه
والذي أجللت خد
بأبي وجهك ما أك
أنا ضيفٌ وجزاء الض
شافعٌ من مقلتيه
يه فقبلت يديه
ثر حسادي عليه
يف إحسانٌ إليه

قال: وعمل فيه بعد ذلك لحناً في طريقة الهزج.
غنى للمأمون يشعر له وكان يخشى بطشه فرق له وأمنه: وقال أحمد بن أبي طاهر: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً
والمأمون مصطبغٌ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكره:

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني
هوى الدهر بي عنها وولى بها عني
فرق له المأمون لما سمعه، وقال: والله لا تذهب نفسك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين، فطب نفساً؛ فإن الله قد
أمنك إلا أن تحدث حدثاً يشهد عليك فيه عدلٌ، وأرجو ألا يكون منك حدثٌ إن شاء الله.
نسبة هذا الصوت صوت

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت مني
فإن أبك نفسي أبك نفساً نفيسةً
هوى الدهر بي عنها وولى بها عني
وإن أحتسبها أحتسبها على صن

الشعر والغناء إبراهيم بن المهدي ثاني ثقل بالوسطى. وهذا الشعر قاله إبراهيم بن المهدي لما أخرج الجند عيسى
بن محمد ابن أخي خالد من الحبس، وله في ذلك خبر طويل، وقد شرطنا ألا نذكر من أخباره إلا ما كان من
جنس الغناء.
وفي هذا القصيدة يقول:

وأفلتني عيسى وكانت خديعةً
حللت بها ملكي وفلت بها سني

قال ابن أبي طاهر وحدثني أبو بكر بن الخصيب قال حدثني محمد بن إبراهيم قال: غنى إبراهيم بن المهدي يوماً
عند المأمون فأحسن، وبحضره المأمون كاتبٌ لطاهر يكنى أبا زيد، فطرب حتى وثب فأخذ طرف ثوب إبراهيم
فقبله. فنظر إليه المأمون منكرًا لفعله. فقال ما تنظر! أقبله والله ولو قتلت عليه! فتبسم المأمون وقال: أبيت إلا
ظرفاً.

أراد الحسن بن سهل أن يضع منه فعرض هو به: قال ابن أبي طاهر وحدثني علي بن محمد قال سمعت بعض
أصحابنا يقول: اجتمع إبراهيم بن المهدي والحسن بن سهل عند المأمون؛ فأراد الحسن أن يضع من إبراهيم فقال

له: يا أبا إسحاق أي صوت تغنيه العرب أحسن؟ بيد بذلك أن يشهر إبراهيم بالغناء والعلم به. فقال إبراهيم: بيت الأعشى:

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت

أي إنك موسوس، وكان بالحسن شيء من هذا.

غنت مغنية بحضرته فداعبها: أخبرني عمي عن جدي عن علي بن يحيى المنجم قال: غنت مغنية وإبراهيم بن المهدي حاضر:

من رأى نوقاً غدت سحراً

فقل إبراهيم: أنا رأيت هذا. قيل له: وأين رأيته أيها الأمير؟ قال: رأيت ولد علي بن ربيعة يمشون في السحر إلى الصيد.

سمعت رومية أعجمية فبكت تأثراً من صوته: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عليل العتري قال حدثني بعض الكتاب عن ريق قالت: خرجت يوماً إلى سيدي "عني إبراهيم بن المهدي" وقد صنع لحنه في:

فسواك بائعها وأنت المشتري

وإذا تباع كريمة أو تشتري

بيدين ليس نداهما بمكدر

وإذا صنعت صنعة أتممتها

وجارية لنا رومية أعجمية لا تفصح في أقصى الدار تكنس، وهو يطرح الصوت على شارية، والأعجمية تبكي أحر بكاء سمعته قط، فجعلت أعجب من بكائها وأنظر إليها حتى سكت، فلما سكت قطعت البكاء، فعلمت أن هذا من غلبته بحسن صوته لكل طبع فصيح وأعجمي.

غنى الأمين صوتاً فأجازه: أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكي وابن أبي الأزهري عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال: غنى إبراهيم بن المهدي ليلة محمداً الأمين صوتاً لم أرضه في شعر لأبي نواس وهو:

لا عليها بل على السكن

يا كثير النوح في الدمن

فإذا أحببت فاستكن

سنة العشاق واحد

فهو يجفوني على الظنن

ظن بي من قد كلفت به

خلت الدنيا من الفتن

رشاً لولا ملاحظته

فأمر له بثلاثمائة ألف درهم. قال إسحاق فقال إبراهيم له: يا أمير المؤمنين قد أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف درهم، فقال: هل هي إلا خراج بعض الكور!.. هكذا ذكر إسحاق. وقد روى محمد بن الحارث بن بسختر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال: لما أردت الأنصراف قال: أوقروا زورق عمي دنانير ه فانصرفت بمال جليل.

كان يحسن الإيقاع على الطبل والناي: أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهشامي عن

أهله قال قال إبراهيم بن المهدي - وقد خرج إلى ذكر الطبل والإيقاع به - فقال إبراهيم: هو من الآلات التي لا يجوز أن تبلغ نهايتها. فقليل له: وكيف خص الطبل بذلك؟ فقال: لأن عمل اليدين فيه عمل واحد، ولا بد من أن يلحق اليسار فيه نقص عن اليمين، ودعا بالطبل ليرينا كيف ذلك فأوقع إيقاعاً لم نكن نظن أن مثله يكون، وهو مع ذلك يرينا موضع زيادة اليمين على اليسار. قال وقال له الأمين في بعض خلواته: يا عم أشتهي أن أراك تزمز. فقال: يا أمير المؤمنين، ما وضعت على فمي نايًا قط ولا أضعه، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلاحة - من موالي المهدي - حتى تنفخ في الناي وأمر يدي عليه. فأحضرت ووضعت الناي على فيها وأمسكه إبراهيم، فكلما مر الهواء أمر أصابعه، فأجمع سائر من حضر أن لم يسمع مثله قط.

حسن ترجميه في الحن: وأخبرني أبو الحسن علي بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال حدثني عبيد الله بن عبد الله وأبو عبد الله الهشامي قالا:

كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحنه:

بأكفكم أو تسترون هلالها

هل تطمسون من السماء نجومها

فبلغ إلى قوله:

جبريل بلغها النبي فقالها

هز حلقة فيه ورجعه ترجيعاً تنزلزل منه الأرض.

غنت متيم اليمانية لحناً فاحتلس إيقاعه منها: أخبرني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني الهشامي قال: كانت متيم الهشامية ذات يوم جالسة بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضر، فتغنت متيم في الثقل الأول:

لزينب طيف تعتريني طوارقه

فأشار إليها إبراهيم أن تعيده. فقالت متيم للمعتصم: يا سيدي إن إبراهيم يستعديني الصوت وأظنه يريد أن يأخذه. فقال لها: لا تعيديه. فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً بمجلس المعتصم وكانت متيم غائبة عنه، فانصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومتيم في منزلها في الميدان وطريقه عليها وهي في منظر لها مشرفة على الطريق وهي تطرح هذا الصوت على بعض جواري بني هاشم، فتقدم إلى المنظر على دابته وتناول حتى أخذ الصوت، ثم ضرب باب المنظر بمقرعته وقال: قد أخذناه بلا حمدك.

نسبة هذا الصوت

هدوءاً إذا النجم ارجحت لواحقه

لزينب طيف تعتريني طوارقه

لطيف بنان الكف درم مرافقه

سيبكك مرنان العشي يجيبه

للذاته أنماطه ونمازقه

إذا ما بساط اللهو مد وقربت

الشعر للنميري، والغناء لمعبد، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول في البنصر في مجراها عن إسحاق. وفيه
مالك خفيف ثقيل أول بالبنصر عن يونس والهشامي.

برهان محمد بن موسى المنجم على أنه أحسن الناس غناء: أخبرني علي بن هارون قال حدثني عبيد الله بن عبد
الله بن طاهر قال: كان محمد بن موسى المنجم يقول: حكمت أن إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلهم غناءً
برهان، وذلك أي كنت أراه بمجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغني المغنون ويغني، فإذا ابتداء الصوت لم يبق
من الغلمان والمتصرفين في الخدمة وأصحاب الصناعات والمهن الصغار والكبار أحدٌ إلا ترك ما في يده وقرب من
أقرب موضعٍ يمكنه أن يسمعه، فلا يزال مصغياً إليه لاهياً عما كان فيه مادام يغني، حتى إذا أمسك وتغنى غيره
رجعوا إلى التشاغل بما كانوا فيه ولم يلتفتوا إلى ما كانوا يسمعون. ولا برهان أقوى من هذا في مثل هذا من
شهادة الفطن له واتفاق الطبائع - مع اختلافها وتشعب طرقها - على الميل إليه والانقياد له.

كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها: حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي
قال: قلت للمعتصم: كانت لأبي أشياء لم يكن لأحد مثلها. فقال: وما هي؟ قلت: شارية وزامرها معمة.
فقال: أما شارية فعندنا، فما فعلت الزامرة؟ قلت: ماتت. قال: وماذا؟ قلت: وساقيته مكنونة، ولم ير أحسن
وجهاً ولا ألين ولا أظرف منها. قال: فما فعلت؟ قلت: ماتت. قال: وماذا؟ قلت: نخلة كانت تحمل رطباً طول
الرطوبة منها شبر. قال: فما فعلت؟ قلت: جمرتها بعد وفاته. قال: وماذا؟ قلت: قدحه الضخضاح. قال: وماذا
فعل؟ قلت: الساعة والله حجمني فيه أبو حرملة فسألته أن يهبه لي ففعل، ووجهت به إلى متري فغسل ونظف
وأعيد إلى خزانتي، فرأيت أبي فيما يرى النائم في ليلتي تلك وهو يقول لي:

أيترع ضخضاحي دماً بعدما غدت علي به مكنونةً مترعاً خمرًا

فإن كنت مني أو تحب مسرتي فلا تغفلن قبل الصباح له كسرا

فانتبهت فرعاً وما فرق الصبح حتى كسرتة.

كتب إليه إسحاق الموصلي فأجابه: فأما المماظة التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها
طرفٌ. ونذكرها هنا منها ما جرى محاسن إبراهيم والقيام بحجته إن كانت له، وعذره فيما عيب عليه لأنه
بذلك حقيق. فمن ذلك نسخت من كتاب أعطانيه أبو الفضل العباس بن أحمد بن ثوبة رحمه الله بخط إسحاق
في قرطاس - وأنا أعرف خطه - وجواب لإبراهيم بن المهدي في ظهره بخط ضعيف وأظنه خطه؛ لأنه لو كان
خط كاتبٍ لكان أجود من ذلك الخط، وقد ذهب أول الكتاب فذهب منه أول الابتداء والجواب، ونسخت
بقيته؛ فكان ما وجدته من ابتداء إسحاق:

و كنت - جعلت فداك - كتبت في كتابك إلى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي وسيدي . فمتى دفعت
ذلك ! وهل لي فخرٌ غيره ! أو لأحدٍ علي وعلى أبي رحمه الله من قبلي نعمةٌ سواكم وأحب ذلك أن يكون،
وأرجو أن أموت قبل أن يتليني الله بذلك إن شاء الله. فأما ذكرك - جعلت فداك - الصناعة فقد أجل الله

قدرك عن الحاجة إلى دفعها والاعتذار عنها. وأما أنا المسكين فأنت تعلم أي لم أأخذ ما نحن في صناعة قط، وأي لم أردّها إلا لكم شكراً لنعمتك وحباً للقرب منكم وإليكم. فليس ينبغي أن يعيبي ذلك عندكم، ولا يجوز لأحد أن يعيبي به إذ كان لكم. وقد علمت أنك لم تضعني من علويه ومخارق بحيث وضعتني إلا لغضب أحوك إلى ذلك، وإلا فأنت تعلم أنهما لو كانا مملوكين لي لآثرت تعجيل الراحة منهما بعثتهما أو تخليّة سبيلهما على ثمن أصيبه بيعهما أو حمد أكتسبه بثمانهما، أو أنك تقرني إليهما وتذكرني معهما!. أو تلومني الآن على أن أحرص فلا أنطق بحرف، وإن أفر من الغناء فرارك من الخطأ فيه، وأمتعض منه امتغاضك ممن يخفي عليك شيئاً من علومه!. كيف ترى - جعلت فداك - الآن سبابي وأنت ترى أن أحداً لا يحسن السب غيرك!. قد أحدثت لي - جعلت فداك - أدباً وزدّني بصيرة فيما أحب من تركه وترك الكلام فيه. فإن ظننت أن هذا فراراً من الحجة وتعريد عن المناظرة، كما قلت، فقد ظفرت وصرت إلى ما أحببت؛ وإلا فإنه لا ينبغي للحر أن يتلهى بما لا تقوم لذته بمعرته، ولا العاقل أن يبذل ما عنده لمن لا يحمد، ولعله لا يقلب العين فيه حتى يلحقه ما يكره منه. وأما ما قاله أبي - رحمه الله - من أنه لم يزل يتمنى أن يرى من سادته من يعرف قدره حق معرفته ويبلغ علمه بهذه الصناعة الغاية العظمى حتى رآك، فقد صدق، وما زال يتمنى ذلك وما زلت أتمناه. فهل رأيت - جعلت فداك - حظي منه إلا بانت ساوياً به من لم يكن يساوي شسعه، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضله عليه، لا تنفعه عندك معرفة به، ولا رعاية لطول الصحبة والخدمة، ولا حفظ لآثار محمودة باقية نذكرها ونحتج بها. ثم ها أنا من بعده تضعني بالموضع الذي تضعني به، وتنسبني إلى ما تنسبني إليه؛ لأني توخيت الصواب واجتهدت في البذل والمصحة، لا يدفعك عني حفظ لسلف، ولا صيانة لخلف ولا استدامة لقديم ما نعلم، ولا مصانعة لما تطلب، ولا ولاء مما أكره أن أقوله. فما أرى - جعلت فداك - من معرفتك بما في أيدينا إلا تجرع الحسرات، وتطلبك لنا العثرات، والله المستعان. كيف أصنع جعلت فداك! إن سكت لم تقبل ذلك مني، وإن صدقت كذبتني وإن كذبت ظفرت بي، وإن مزحت لأطربك وأضحكك وأقرب من أنسك وأخذ بنصيبي من كرمك وغضبت وسببت، ولو كنت قريباً منك لضربت! وليتك فعلت، فكان ذلك أيسر من غضبك. ثم من أعظم المصائب عندي أمرك إياي أن أسأل محمد بن واضح عن قول قلته في عند عمرو بن بانه. فوالله - جعلت فداك - إني لأبشع - بذكره فكيف أحب أن أذكره له! وإني لأرثي لك من النظر إليه، وأعجب من صبرك عليه، مع أي - أعوذ بالله من ذلك - لو رغبت في هذا منه ومن مثله لكفيتك ونفسي ذلك بأن أكسوه ثوبين، أو أهب له دينارين، أو أقول له أحسنت في صوتين، حتى نبلي أكثر مما أردت لي أو أريده لنفسي. فالحمد لله الذي جعل حظي منك هذا! ومثله غير مستصغر لشأنك ولا مستقل لقليل حسن رأيك. والله أسأل أن يطيل بقاءك، ويحسن جزاءك ويجعلني فداك. قد طال الكتاب، وكثر العتاب. وجملة ما عندي من الإعظام والإجلال للذين لا أخاف أن أجعلهما عندك، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب تسليمه والإقرار بما أحببت أن أقر به، وسأشهد على ذلك محمد بن واضح وأشهد لك به من أحببت

وأؤدي الخراج. ولكن لا بد من فائدة وإلا انكسر، فهات - جعلت فداءك - وأوف واستوف فإنك واجدٌ صحة واستقامة إن شاء الله. مد الله في عمرك، وصبرني عليك، وقدمني قبلك، وجعلني من كل سوء فداءك.

نسخة جواب إبراهيم بعدما ذهب منه

..وأية سلامة أقدر لك عليها إلا أسوقها إليك، أعطاني الله ما أحب من ذلك لك. فأما أن أتكلم من ورائك بشيء تستثقله متعمداً؛ فما أنا إذاً بحر ولا كريم؛ معاذ الله من ذلك!. ولئن جمعي وإياك وعلى بن هشام مجلساً لاستشهدنه على أشياء لم أذكرها لك، ولم أكتب بها إليك، إجلالاً لقدر حالك عندي من اعتداد بمثل ذلك مني، وأنت عنه غافل، والله به عليم. وأما الرشوة فأرجو أن تحيئك على ما تشتهي آتاك الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً. وأما الفوائد التي وعدت ورودها علينا فإني لوائق أنك لا تفيدني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدتني فيه فطناً أجيد تفتيشه وأعرف كنهه وأفيدك فيه وفيما استنبطت منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه، فأما غيرك فالهباء المنثور. ويا رأس المشنعين تقول إني غيرتك بالصناعة ثم تحتج بحذقك في تحريف الأقوال واكتساب الحجج، لتفحم خصمك، وتعلي حجتك فكيف أعيبك بحاجتي إليك، وما أنا داخل فيه معك! لا! ولكني قلا لك: إني لست كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثقل عليك، إنما أنا رجل من مواليك متوسل إليك بما يسرك، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه، فليكن ذلك بالإنصاف وطلب الصواب أصبته أو أخطأته، لا بالحمية والأنفة والحيلة لترد الحق بالباطل. هذا معنى قولي؛ وقد استشهدت عليك فيه أبا جعفر، وجاءني كتابك وهو عندي يشهد لي. والكتاب الذي هذا فيه بخطي عنده لم يرده علي، فتتبع ما فيه وخذي به. فلعمري لئن كنت قرنتك بمن ذكرت لأعيبك بالتشبيه لك بهم ما عبت غير رأيي، ولا جهلت غير نفسي. ولست أعذر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه، وإنما تريد أن تخصمني بلا حجة، فيكفيني علمك بما عندي، وإلا فأنت إذاً بي أجهل مني بك. وقلت: "تذكرني معهما" فقد ذكر الله النار مع الجنة، وموسى مع فرعون، وإبليس مع آدم، فلم يهن بذلك موسى ولا آدم ولا أكرم فرعون وإبليس، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي، واستمتع بي وأمتعني بالمصادقة. فإن أنت لم تفعل بقيت واحداً مستوحشاً، ولم تجد غيري إن علم ما تعلم لم ينقصك، وإن علم أكثر منك لم يشنك، وإن أفهمته كافك، وإن استفهمته شفاك. لا والله ما أردت إلا ما ذكرته لك، ولا أحسبك ظننت في غير ذلك؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل. وواحدة هي لك دوني، والله ما كنت أبالي ألا أسمع من مخارق وعلويه شيئاً حتى أسمع بنعيمهما، ولا أراهما حتى أراهما ميتين، وما في هذا غيرك والإعظام لك والإكرام. وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيرتهما ندين تقول فيهما ويقولان فيك، وإنما هما صنيعتاك وخريجا تأديبك وإن كانا غير طائل. فلو أعرضت عن انتقاصهما ورفعت ما رفع الله من قدرك عن الإفراط في عيبهما، لكان ذلك أشبه بك وأجمل بمحلك وخطرك ومكانك. وكذلك الذي ترثي له منه وصاحبه محمد بن الحارث، فوالله ما أحب لك في أدبك وفضلك ودينك ومحلك أن تشهر نفسك لهما بهذا ومثله، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك. أقول يعلم الله في ذلك لا لهما. وإن ذلك، لو صرت إليه، لأجمل بك وأجل لقدرك

وإن كنت لتتخولهما به. ولو أردت ذلك، وإن زهدت فيه، لم تضع نفسك ومهلك مع غلمان أحداثٍ يسيطون ألسنتهم فيك. بما بسطته منهم على نفسك، ولو لم تفعل لكنت أعظم في عيونهم من بعض مواليتهم الذين تولوا منهم. هذا رأيي لك. بما هو أكبر لأمرك وأشبه بمهلك. ووالله ما غششتك ولا أوطأتك عشواء، فاحتر لنفسك ما رأيت. ولا والله لا سمعا بهذا أبداً ولا بما قلته في إلا خزيًا حتى يموتا، ولا أردت - يشهد الله - بهذا غيرك. وأما من ذكرت أبي أسويه بأبي إسحاق رحمه الله وهو لا يساوي شسعة فإنك عنيت ابن جامع. وأنت لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضي الله عنه، ولا أظنك والله أشد حباً له مني، ولا كان لك أشد حباً منه لي، فقد تعلم كيف كان لي، ولكن لا أظلم ابن جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر. ولئن ضمنت أن تنصفني لأكلمك فيه بما لا تدفعه، ولكني لا أكلمك في شيء حتى أثق بهذه منك، وإلا وسعي من السكوت ما وسعك. ومن العجب الذي لم أر مثله والمكابرة التي لا يشبهها شيء اعتداؤك علي في التجزئة حيث تقول:

قبل شحط من النوى

حييا أم يعمرأ

يا أخي وحبيب نفسي فانظر كم في هذا من العيوب !! قولك: "يا" ليكون مثل "شحط" في الوزن، أيكون مثل هذا في الكلام! في الجزء الثاني "حي" حتى يكون مثل "قبل"، هل يكون مثل هذا! أو ليس في "يا" المشددة أربع ياءات، وفي "حي" التي عطفت بها ثلاث فتصير سبع ياءات، وإنما هي ثلاث في الأصل: الياء المشددة وياء الإثنين حيث تقول "حييا"! والناس في هذا بيني وبينك بهائم، فمن أستعدي عليك! ولو أنصفت لعلمت أنه لا يمكن في:

حييا أم يعمرأ

غير ما جزأت أنا إلا بهذا الغلط الذي لا يحول من تحريك ساكنٍ يجعله أول الكلام فقد زدت قبله حرفاً، أو تسكين متحرك فتريد بعده حرفاً؛ كقولك "أم يعمرأ قابل شحطن" حيث جعلت قبل الباء ألفاً، وكقولك "أم يعمرن قبلاً" فزدت الألف لتسكت عليها لأن السكوت على متحرك لا يمكن. فأية حجة هذه! أو من يصبر لك على هذا! وإنما أردت أنا ما يجوز فجئني بتجزئة واحدة، لا أريد غير ذلك منك. مالك يا أخي تنفس علي الصواب فيما لا نقيصه عليك فيه ولا عيب، ثم اتخذت تحمدي إليك، بما قلت لك أن تسأل محمداً عن قولي فيك بظهر الغيب. ذنباً بطبعك على الظلم والتحريف، حتى كأني أعلمتك أن أحداً تنقصك فحميت لذلك، ولم يكن غير الرد عليه. والله ما مثلي بمن هذا، ولكني كنت إذا تحدثت مع محمد خالياً كلمته بمثل ما أكلمك به من الرد والجدل، فلما كان عندنا من يحتشم كان كلامي بما يجب أن أتكلم به من الإكرام والتقديم، فقال لي: أي شيء هذا الذي أرى؟ فقلت له: هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأنس. فأردت بإعلامك هذا أن تعلم أي لا أريد بما أنازعك فيه شيئاً يزيع عما تعرف مني، وأني أذكرك بما يشبهك في موضعه. فلو اتقيت الله وأبقيت على الإخاء لما كنت تحرف هذا بشيء، وهو جميل أرضاه من نفسي، فتصيره قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه.

وأما أداء الخراج والإشهاد، فهذا شيء لم أطلبه منك، إنما انت طلبته مني ظالماً لي. وذلك لأني لم أنازعك إلا منازعة مناظرٍ يجب أن يعرف حسن فحصه وثاقب نظره.

وأما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل، ولا رياسة لي عليهم ولا لك علي؛ لأني في العلم مناظر وفي العمل متلذذ. فلا تظلمي ولا نفسك لي.

ومن بعد فلاني أحب أن تخبرني كيف أنت اليوم بعد. والله غممتني، لا غمك الله ولا غمني بك. ولو شئت أرسلت إلى يحيى بن خالد طبيب أخي عبيد الله فإنه رفيقٌ مباركٌ عليم، وهو منك قريب في دار الروم، أخذت برأيه ومن علاجه. وهب الله لك العافية ووهبها لي فيك برحمته.

وإنما ذكرت هذا الابتداء وجوابه على طولهما، وهما قليلٌ من كثير من مكاتباتهما، لتعرف بهما طرفاً من مقدارهما في المنازعة والمجادلة، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التواضع له والخنوع برياسته ويتحامل عليه في بعض الأوقات، وينحو إبراهيم نحو ما فعله به؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه، فيستعمل معه من المباينة مثل ما استعمله، ويكونان في طرفين من الظلم يبعد كل واحد منهما عن إنصاف صاحبه. وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما - فوجدت كلامهما مرصوفاً رصف إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نظم منطق - فيها تحاملٌ على إسحاق شديداً، وحكاياتٌ ينسب من نقلها إلى جهل بصناعته كان إسحاق بعيداً من مثله، فعلمت أن إبراهيم عمل ذلك وألفه وأمر يوسف بنشره في الناس ليدور في أيديهم ذكرٌ له يفضل به. وذلك بعيدٌ وقوعه، ولن تدفع الحقائق بالأكاذيب، ولا يزيل الخطأ الصواب، ولا الخطل السداد. وكفى من نضح عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم بن المهدي لا يكاد يعرف منها صوتٌ ولا يروى منها إلا اليسير، وأن كلامه في تجنيس الطرائق اطرح، وعمل على مذهب إسحاق، وانقضى الصنع لإبراهيم بذلك مع انقضاء مدته، كما يضمحل الباطل مع أهله. فعدلت عن ذكر تلك الأخبار؛ لا لأنها لم تقع إلي، ولكنها أخبار يتبين فيها التحامل والحنق، وتتضمن من السب لإسحاق والشتم والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضي على مثله لأحد ولو خاف القتل، فاستتردت ذلك واطرحته، واعتمدت من أخبار إبراهيم على الصحيح، وما جرى مجرى هذا الكتاب من خيرٍ مستحسنٍ وحكايةٍ ظريفةٍ دون ما يجري مجرى التحامل؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاص إسحاق إياه بريقه وتجريعه أمر من الصبر ما ينبئ عن بطلان غيره.

ومن صنع من أولاد الخلفاء عليية بنت المهدي، ولا أعلم أحداً منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها. وكان يقال: ما اجتمع في الجاهلية أو الإسلام أخٌ وأختٌ أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وعليية أخته. وأخبارها تذكر بعد هذا تالية لما ذكره من غنائها. فمن صنعتها: صوت

من أقحوانٍ بله قطر الندى

حلو بعيني كل كهلٍ وفتى

تضحك عما لو سقت منه شفا

أغر يجلو عن غشا العين العشا

لو كان عنها صاحباً لقد صحا

إن فؤادي لا تسليه الرقي

الشعر لأبي النجم العجلي. والغناء لعلية بنت المهدي رمل بالوسطى.

أخبار أبي النجم ونسبه

أصله ونسبه، وهو من الطبقة الأولى من الرجاز: قال أبو عمرو الشيباني: اسمه المفضل، وقال ابن الأعرابي: اسمه الفضل بن قدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. وهو من رجاز الإسلام الفحول المقدمين وفي الطبقة الأولى منهم. هو أبلغ في النعت من العجاج: أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمحي إجازةً عن محمد بن سلام وذكر ذلك الأصمعي أيضاً قال أبو عمرو بن العلاء: كان أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج. انتصف مع الرجاز من الشعراء: أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثني أبو أيوب المديني قال حدثني الفضل بن العباس الهلشمي عن أبي عبيدة قال: مازالت الشعراء تغلب حتى قال أبو النجم:

الحمد لله الوهوب المجزل

وقال العجاج:

قد حبر الدين الإله فجبر

وقال رؤبة:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

فانتصفوا منهم.

أعظمه رؤبة وقام له عن مكانه: ووجدت في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشيباني قال: قال له فتیان من عجل: هذا رؤبة بالمربد يجلس فيسمع شعره وينشد الناس ويجتمع إليه فتیان من بني تميم، فما يمنعك من ذلك؟ قال: أو تحبون هذا؟ قالوا نعم. قال: فأتوني بعس من نبذ فأتوه به، فشربه ثم نهض وقال:

ثم تجشمت الذي جشمتني

إذا اصطحبت أربعاً عرفتني

فما رآه رؤبة أعظمه وقام له عن مكانه وقال: هذا رجاز العرب. وسألوه أن ينشدهم فأنشدهم:

الحمد لله الوهوب المجزل

وكان إذا أنشد أزيد ووحش بثيابه "أي رمى بها". وكان من أحسن الناس إنشاداً. فلما فرغ منها قال رؤبة: هذه أم الرجز. ثم قال: يا أبا النجم، قد قربت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وابنه. يوهم عليه رؤبة أنه حيث قال:

تبقلت من أول التبقل

بين رماحي مالك ونهشل

أنه يريد نهشل بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم. فقال له أبو النجم: هيهات! الكمر تشابه. أي إني أنما أريد مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعون الصمان وعرض الدهناء. قال أبو عمرو: وكان سبب ذكر هاتين القبيلتين "يعني بني مالك ونهشل" أن دمأ كانت بين بني دارم وبني نهشل وحروباً في بلادهم، فتحامى جميعهم الرعي فيما بين فلج والصمان مخافة أن يعرفوا بشر حتى عفا كلؤه وطال، فذكر أن بني عجل جاءت لعزها إلى ذلك الموضع فرعته ولم تخف من هذين الحيين، ففخر به أبو نجم. قال: ويدل على ذلك قول الفرزدق:

أترتع بالأحياء سعد بن مالك

وقد قتلوا مثني بظنة واحد

فلم يبق بين الحي سعد بن مالك

ولا نهشل إلا دمأ الأساود

ترتيب الرجاز في رأي بعض الرواة: وقال الأصمعي: قيل لبعض رواة العرب: من أرجز الناس؟ قال: بنو عجل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد. "يريد الأغلب ثم العجاج ثم أبا النجم ثم رؤبة".

كان يتسرع إلى رؤبة فيكفه عنه المسمعي: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المسمعي: كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندي فأطلب لهما النبيذ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفه عنه.

ناجز العجاج حتى هرب منه: ونسخت من كتاب أبي عمرو الشيباني قال حدثني بعض البصريين منهم أبو برزة المرثدي - قال وكان عالماً راويةً - قال:

خرج العجاج متحفلاً عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد والناس مجتمعون، فأنشدتهم قول:

قد جبر الدين الإله فجبر

فذكر فيها ربيعة وهجاءهم. فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له: أنت جالسٌ وهذا العجاج يهجونا بالمربد قد اجتمع عليه الناس!! قال: صف لي حاله وزيه الذي هو فيه، فوصف له. فقال: ابغني جملاً طحاناً قد أكثر عليه من الهناء، فجاء بالجمال إليه. فأخذ سراويل له فجعل إحدى رجله فيها واتزر بالأخرى وركب الجمل ودفع خطامه إلى من يقوده، فانطلق حتى مر بد أتى مربد. فلما دنا من العجاج قال: اخلع خطامه فخلعه، وأنشد:

تذكر القلب وجهلاً ما ذكر

فجعل الجمل يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد ثيابه ورحله بالقطران، حتى إذا بلغ إلى قوله:

شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

تعلق الناس هذا البيت وهرب العجاج.

غلب الشعراء عند عبد الملك بن مروان أو سليمان بن عبد الملك وظفر منه بجارية :
ونسخت من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النجم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك
بن مروان - ويقال عند سليمان بن عبد الملك - يوماً وعنده جماعة من الشعراء، وكان أبو النجم فيهم
والفرزدق، وجارية واقفة على رأس سليمان أو عبد الملك تذب عنه، فقال: من صبحني بقصيدة يفتخر فيها
وصدق في فخره فله هذه الجارية. فقاموا على ذلك ثم قالوا: إن أبا النجم يغلبنا بمقطعاته: يعنون بالرجز "، قال:
فإني لا أقول إلا قصيدة. فقال من ليلته قصيدته التي فخر فيها وهي:

علق الهوى بحبائل الشعثاء

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده، حتى إذا بلغ إلى قوله:

عشرون وهو يعد في الأحياء

منا الربع الجيوش لظهره

فقال عبد الملك: قف، إن كنت صدقت في هذا البيت فلا نريد ما وراءه. فقال الفرزدق: وأنا أعرف منه ستة
عشر، ومن ولد ولده أربعة كلهم قد ربع. فقال عبد الملك أو سليمان: ومن ولد ولده هم ولده، إدفع إليه
الجارية يا غلام. فقال: فغلبهم يومئذ.
قال: وبلغني من وجه آخر أنه قال له: فإذا أقررت له بستة عشر فقد وهبت له أربعة، ودفع إليه الجارية، فقدم بها
البادية؛ فكان بينه وبين أهله شرٌّ من أجلها.
وصف جارية لخالد بن عبد الله القسري لساعته فوهبها له: وقال أبو عمرو: بعث الجنيد بن عبد الرحمن المري
إلى خالد بن عبد الله القسري بسبي من الهند بيض، فجعل يهب لأهل البيت كما هو للرجل من قریش ومن
وجوه الناس، حتى بقيت جاريةً منهن جميلةً كان يدخرها وعليها ثياب أرضها فوطتان. فقال لأبي النجم: هل
عندك فيها شيء حاضر و تأخذها الساعة؟ قال: نعم أصلحك الله! فقال العريان بن الهيثم النخعي: كذب والله
ما يقدر على ذلك.
فقال أبو النجم:

ذات جهاز مضغط ملط

علقت خوداً من بنات الزط

كأنما قط على مقط

رابي المجس جيد المحط

كأن تحت ثوبها المنعط

إذا بدا منها الذي تغطي

لم ينز في البطن ولم ينحط

شطاً رميت فوقه بشط

كهامة الشيخ اليماني النط

فيه شفاءً من أذى التمطي

وأوماً بيده إلى هامة العريان بن اليهثم. فضحك خالد وقال للعريان: كيف ترى! أحتاج إلى أن يروي فيها يا عريان؟! قال: والله! ولكنه ملعون ابن ملعون: وقال أبو عمرو في الرواية وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال حدثني محمد بن المغيرة بن محمد عن الزبير بن بكار عن فليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير قال: غضب عليه هشام ثم سمر معه ليلة فرضي عنه: ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك في الشعراء. فقال لهم هشام: صفوا لي إبلاً فقطروها وأوردوها وأصدروها حتى كأني أنظر إليها. فأنشدوه وأنشده أبو النجم:

الحمد لله الوهوب المجزل

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال " وهي على الأفق كعين. .. " وأراد أن يقول " الأحول " ثم ذكر حوله هشام فلم يتم البيت وأرتج إليه. فقال هشام: أجز البيت. فقال " كعين الأحول " وأتم القصيدة. فأمر هشام فوجيء عنقه وأخرج من الرصافة، وقال لصاحب شرطته: يا ربيع إياك وأن أرى هذا!، فكلّم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل، فكان يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوي إلى المساجد. وقال الزبير في خبره قال أبو النجم: ولم يكن أحدٌ بالرصافة يضيف إلا سليم بن كيسان الكلبي وعمرو بن بسطام التغلبي، فكنت آتي سليماً فأتغدى عنه، وآتي عمراً فأتعشى عنده، وآتي المسجد فأبيت فيه. قال: فاهتم هشام ليلة وأمسى لقس النفس وأراد محدثاً يحدّثه، فقال لخدام له: ابغني محدثاً أعرابياً أهوج شاعراً يروي الشعر. فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم، فضربه برجله وقال له: قم أجب أمير المؤمنين. قال: إني رجل أعرابي غريب. قال: إياك أبغي، فهل تروي الشعر؟ قال: نعم وأقوله. فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب، قال: فأيقن بالشر ثم مضى فادخله على هشام في بيت صغير، بينه وبين نسائه سترٌ رقيقٌ والشمع بين يديه تزهّر. فلما دخل قال له هشام: أبو النجم؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين طريديك. قال: اجلس. فسأله وقال له: أين كنت تأوي ومن كان يترك؟ فأخبره الخبر. قال: وكيف اجتمعاً لك؟ قال: كنت أتغدى عند هذا وأتعشى عند هذا. قال: وأين كنت تبيت؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك. قال: ومالك من الولد والمال؟ قال: أما المال فلا مال لي، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبنيّ يقال له شيبان. فقال: هل زوجت من بناتك أحداً؟ قال: نعم زوجت اثنتين، وبقيت واحدة تجمر في أبياتنا كأنها نعامة. قال: وما وصيت به الأولى؟ - وكانت تسمى " برة " بالراء - فقال:

بالكلب خيراً والحماة سرا

أوصيت من برة قلباً حرا

حتى ترى حلو الحياة مرا

لا تسأمي ضرباً لها وجرا

والحي عميهم بشرّاً طرا

وإن كستك ذهباً ودرا

فضحك هشام وقال: فما قلت للأخرى؟ قال قلت:

سبي الحماة وابهتي عليها
وأوجعي بالفهر ركبتها
وظاهري النذر لها عليها
وإن دنت فازدلفي إليها
ومرفقيها واضربي جنبها
لا تخبري الدهر به ابنتها

قال: فضحك هشام حتى بدت نواجمه وسقط على قفاه. فقال: ويحك! ماهذه وصية يعقوب ولده! فقال: وما أن كيعقوب يا أمير المؤمنين. قال فما قلت للثالثة؟ قال قلت:

أوصيك يا بنتي فإني ذاهب
والجار والضيف الكريم الساغب
ولا تنني أظفارك السلاهب
أوصيك أن تحمدي القرائب
لا يرجع المسكين وهو خائب
منهن في وجه الحماة كاتب
والزوج إن الزوج بئس الصاحب

قال: فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج؟ وأي شيء قلت في تأخير تزويجها؟ قال قلت فيها:

كأن ظلامه أخت شيبان
الرأس قمل كله وصئبان
تلك التي يفرع منها الشيطان
يتيمة والد لها حيان
وليس في الساقين إلا خيطان

قال: فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكها، وقال للخصي: كم بقي من نفقتك؟ قال: ثلثمائة دينار. قال: أعطه إياها ليجعلها في رجل ظلامه مكان الخيطين. كان أسرع الناس بديهة: وقال الأصمعي أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابن بنت أبي النجم أن أبا النجم قال:

الحمد لله الوهوب المجزل

في قدر ما يمشي الإنسان من مسجد الأشياخ إلى حاتم الجزار. ومقدار ما بينهما غلوة أو نحوها. قال: وكان أسرع الناس بديهة.

سئل الأصمعي أي الرجز أحسن وأجود فقال رجز أبي النجم: أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو أيوب المدني قال حدثنا أبو الأسود النوحشاني قال: مر أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له: يا أبا سعيد أي الرجز أحسن وأجود؟ قال: رجز أبي النجم.

سأله هشام بن عبد الملك عن رأيه في النساء فأجابه: نسخت من كتاب أحمد بن الحارث الخراز قال حدثنا المدائني قال:

دخل أبو النجم على هشام بن عبد الملك وقد آتت له سبعون سنة. فقال له هشام: ما رأيك في النساء؟ قال: إني

لأنظر إليهن شزراً وينظرن إلي خزرراً. فوهب له جارية وقال له: اغد علي فأعلمني ما كان منك. فلما أصبح غدا عليه. فقال له: ما صنعت؟ فقال: ما صنعت شيئاً ولا قدرت عليه، وقد قلت في ذلك أبياتاً. ثم أنشده:

نظرت فأعجبها الذي في درعها	من حسنه ونظرت في سرباليا
فرأت لها كفلاً يميل بخصرها	وعثاً روادفه وأجثم جاثيا
ورأيت منتشر العجان مقلصاً	رخواً مفاصله وجلداً باليا
أدني له الركب الحليق كأنما	أدني إليه عقارباً وأفاعيا
إن الندامة والسدامة فاعلمن	لو قد صبرتك للمواسي خاليا
ما بال رأسك من ورائي طالعاً	أظننت أن حر الفتاة ورائيا
فاذهب فإنك ميتٌ لا ترتجى	أبد الأبيد لو عمرت لياليا
أنت الغرور إذا خبرت وربما	كان الغرور لمن رجاء شافيا
لكن أيري لا يرجي نفعه	حتى أعود أخاً فتاءً ناشياً

فضحك هشام وأمر له بجائزة أخرى.

حدث هشام بن عبد الملك عن نفسه فأضحكه: قال أبو عمرو الشيباني قال ابن كناسة: قال هشام بن عبد الملك لأبي النجم: يا أبا النجم حدثني. قال: عني أو عن غيري؟ قال: لا بل عنك. قال: إني لما كبرت عرض لي البول، فوضعت عند رجلي شيئاً أبول فيه. فقممت من الليل أبول، فخرج مني صوتٌ فتشددت، ثم عدت فخرج مني صوتٌ آخر، فأويت إلى فراشي، فقلت: يا أم الخيار هل سمعت شيئاً؟ فقالت: لا والله ولا واحدةً منهما! فضحك. قال: وأم الخيار التي يعني بقوله:

قد أصبحت أم الخيار تدعي علي ذنباً كله لم أصنع

وهي أرجوزة طويلة.

ذكر فتاة في شعره فتزوجت: وقال أبو عمرو الشيباني: أتت مولاة لبني قيس بن ثعلبة أبا النجم فذكرت له أن بنتاً لها أدركت منذ سنتين، وهي من أجمل النساء وأمدهن قامَةً ولم يخطبها أحدٌ، فلو ذكرتها في الشعر! فقال: أفعل، فما اسمها؟ قالت: نفيسة. فقال:

نفيس يا قتالة الأقبام	أقصدت قلبي منك بالسهام
وما يصيب القلب إلا رام	لو يعلم العلم أبو هشام
ساق إليها حاصل الشأم	وجزية الأهواز كل عام
وما سقى النيل من الطعام	إذ ضاق منها موضع الإدغام

أجثم جاثٍ مستديرٌ حام

يعض في كينٍ له تَوَام

عض النجاري على اللجام

فقلت: حسبك حسبك ! ووفد إلى الشام، فلما رجع سمع الزمر والجلبة، فقال: ماهذا؟ فقالوا: نفيسة تزوجت. وصف فهود عبد الملك بن بشر بن مروان: قال أبو عمرو وذكر علي بن المسور بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعض الرواة وحدثني ابن أخت أبي النجم: أن عبد الملك بن بشر بن مروان قال لأبي النجم: صف لي فهودي هذه. فقال:

إننا نزلنا خير منزلات

بين الحميرات المباركات

في لحم وحشٍ وحباريات

وإن أردنا الصيد ذا اللذات

جاء مطيعاً لمطاوعات

علمن أو قد كن عالِمات

فسكن الطرف بمطرفات

تريك أماً مخططات

مدح الحجاج برجز وطلب إليه واديا في بلاده: ونسخت من كتاب الخراز عن المدائني عن عثمان بن حفص أن أبا النجم مدح الحجاج برجزٍ يقول فيه:

ويل أم دور عزةٍ ومجد

دور ثقيفٍ بسواء نجد

أهل الحصون والخيول الجرد

فأعجب الحجاج رجزه وقال: ما حاجتك؟ قال تقطعني ذا الجبين. فوجم لها وسكت، ثم دعا كاتبه فقال: انظر ذا الجبين ما هو ! فإن ذا الأعرابي سألتني لعله نمر من أنهار العراق. فسألوا عنه فقليل: واد في بلاد بني عجل أعلاه حشفةٌ وأسفله سبخةٌ يخاصمه فيه بنو عم له. فقال: اكتبوا له به. قال: فأهله به إلى اليوم. أخطأ في أشياء أخذت عليه: أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المديني قال قال الأصمعي: أخطأ أبو النجم في أشياء أخذت عليه، منها قوله:

وهي على عذبٍ روي المنهل

دحل أبي المرقال خير الأدحل

من نحت عادٍ في الزمان الأول

قال الأصمعي: الدحل لا تورده الإبل إنما تورده الركايا . وقد عيب بهذا وعيب بقوله في البيت الذي يليه: إن هذا الدحل من نحت عاد. قال: والدحلان لا تحفر ولا تنحت، إنما هي حروق وشعاب في الأرض والجبال لا تصيبها الشمس، فتبقى فيها المياه؛ وهي هوة في الأرض يضيق فمها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء. قال الأصمعي: وقال يصف فرسه وقد أجراه في حلبة:

تسبح أخراه ويطفو أوله

قال الأصمعي: أخطأ في هذا؛ لأنه إذا سبح أخراه كان حمار الكساح أسرع منه. قال الأصمعي: وحدثني أبي أنه رأى فرسه هذا فقومه بسبعين درهماً. وإنما يوصف الجواد بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه. قال: وخير عدو الذكور أن تشرف، وخير عدو الإناث أن تنبسط وتصغى كعدو الذئب.

أخبار عليّة بنت المهدي

ونسبها ونتف من أحاديثها

أمها مكنونة أم ولد اشترت للمهدي في حياة أبيه: عليّة بنت المهدي أمها أم ولد مغنية يقال لها مكنونة، كانت من جوارى مروانية المغنية.

نسخت من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القداح حدثه قال: كانت مكنونة جارية مروانية - وليست من آل مروان بن الحكم، هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس - مغنية، وكانت أحسن جارية بالمدينة وجهاً، وكانت رسحاء، وكان بعض من يمازحها يعبث بها فيصيح: طست طست. وكانت حسنة الصدر والبطن، فكانت توضح بهما وتقول: ولكن هذا! فاشترت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم، فغلبت عليه، حتى كانت الخيزران تقول: ما ملك امرأة أغلظ علي منها. واستتر أمرها عن المنصور حتى مات، فولدت له عليّة بنت المهدي.

بعض صفاها: أخبرني عمي قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن عمه قال: كانت عليّة بنت المهدي من أحسن الناس وأظرفهم تقول الشعر الجيد وتصوغ فيه الألحان الحسنة، وكان بها عيب، كان في جبينها فضل سعة حتى تمسح، فاتخذت العصائب المكلفة بالجواهر لتستر بها جبينها، فأحدثت والله شيئاً ما رأيت فيما ابتدعته النساء وأحدثته أحسن منه.

كانت حسنة الدين ولا تشرب ولا تغني إلا أيام حيضها: أخبرني الحسين بن يحيى وو كيع قال حدثنا حماد بن إسحاق قال سمعت إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول: كانت عليّة حسنة الدين، وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ إلا إذا كانت معتزلة الصلاة، فإذا طهرت أقبلت على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب، فلا تلد بشيء غير قول الشعر في الأحيان، إلا أن يدعوها الخليفة إلى شيء فلا تقدر على خلافه. وكانت تقول: ما حرم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حلل منه عوضاً، فبأي شيء يحتج عاصيه والمتهك لحرماته!. وكانت تقول: لا غفر الله لي فناحشةً ارتكبتها قط، ولا أقول في شعري إلا عبثاً.

لم يجتمع في الإسلام أخ وأخت أحسن غناء منها ومن أخيها: أخبرني أحمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكندي قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يقول: ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناءً من إبراهيم بن المهدي وأخته عليّة، وكانت تقدم عليه.

كانت تحب المكاتبة بالشعر وكاتبت طلاً فمنعها الرشيد: أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال: كانت عليّة تحب أن تراسل بالأشعار من تختصه، فاختصت خادماً يقال له "طل" من خدم الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، فلم تره أياماً، فمشت على ميزابٍ وحدثته وقالت في ذلك:

قد كان ما كلفته زمناً يا طل من جدٍ بكم يكفي

حتى أتيتك زائراً عاجلاً أمشي على حنْفٍ إلى حنْفٍ

فحلف عليها الرشيد ألا تكلم طلاً ولا تسميه باسمه، فضمنت له ذلك. واستمع عليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت إلى قوله عز وجل: "فإن لم يصبها زابل فطل" وأرادت أن تقول: "فطل" فقالت: فالذي ثمانا عنه أمير المؤمنين. فدخل فقبل رأسها وقال: وهبت لك طلاً، ولا أمنعك بعد هذا من شيء تريدته. ولها في طلٍ هذا عدة أشعارٍ فيها لها صنعة. منها: صوت

يا رب إنني قد غرضت بهجرها فأليك أشكو ذاك يا رباه

مولاة سوءٍ تستهين بعبدِها نعم الغلام وبئست المولاه

"طل" ولكني حرمت نعيمه ووصاله إن لم يغثني الله

يا رب إن كانت حياتي هكذا ضراً علي فما أريد حياه

الشعر والغناء لها خفيف ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وقد ذكر ابن خرداذبه أن الشعر والغناء لنبيه الكوفي، وأنه هوي جارية تغني، فتعلم الغناء من أجلها وقال الشعر، ولم يزل يتوصل إليها بذلك حتى صار مقدماً في المغنين، وأن هذا الشعر له فيها والصنعة أيضاً. حجب عنها طل فقالت فيه شعراً وصحفت اسمه: أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأسدي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ بن عمير عن أبيه قال: حجب طلٌ عن عليّة فقالت وصحفت اسمه في أول بيت:

أيا سروة البستان طال تشوقي فهل لي إلى ظلٍ لديك سبيل

متى يلتقي من ليس يقضى خروجه وليس لمن يهوى إليه دخول

عسى الله أن نرتاح من كربة لنا فيلقى اغتباطاً خلةً وخليل

عروضه من الطويل. الشعر والغناء لعليّة خفيف رملٍ. كذا ذكر ميمون بن هارون، وذكر عمرو بن بانه أنه لسلسل خفيف رملٍ بالوسطى. وأول الصوت:

متى يلتقي من ليس يقضى خروجه

وذكر حبش* أنه للهدلي خفيف رملٍ بالبنصر.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطالقاني قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامي قال: قالت عليّة في طلٍ وصحفت اسمه في هذا الشعر وغنت فيه: صوت

سلم على ذاك الغزال	الأغيد الحسن الدلال
سلم عليه وقل له	يا غل ألباب الرجال
خليت جسمي صاحياً	وسكنت في ظل الحجال
وبلغت مني غايةً	لم أدر فيها ما احتيالي

الشعر والغناء لعلية خفيف رملٍ. وذكر غير هذا أن الغناء لأحمد بن المكي في هذه الطريقة.

أنت تقول الشعر في خادمها رشأوتكني عنه بزنب: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن علي بن عثمان الشطرنجي: أن عليّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له: " رشأ " وتكني عنه. فمن شعرها فيه وكنت عنه بزنب: صوت

وجد الفؤاد بزنباً	وجداً شديداً متعباً
أصبحت من كلفى بها	أدعى سقيماً منصباً
ولقد كنيت عن اسمها	عمداً لكي لا تغضبا
وجعلت زينب سترةً	وكتمت أمراً معجباً
قالت وقد عز الوصا	ل ولم أجد لي مذهباً
والله نلت المودة	أو تنال الكوكبا

هكذا ذكر ميمون بن هارون، وروايته فيه عن المعروف بالشطرنجي ولم يحصل ما رواه. وهذا الصوت شعره لابن رهيمة المدني. والغناء ليونس الكاتب، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، وهو من زيانب يونس المشهورات وقد ذكرته معها . والصحيح أن عليّة غنت فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى، حكى ذلك ابن المكي عن أبيه، وأخبرني به ذكاء عن القاسم بن زرور.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أو الجمار قال حدثني عبيد الله بن العباس الربيعي قال: لما علم من عليّة أنها تكني عن رشأ بزنب قالت: صوت

القلب مشتاقٌ إلى ريب	يا رب ما هذا من العيب
قد تيمت قلبي فلم أستطع	إلا البكا يا عالم الغيب
خبأت في شعري اسم الذي	أرادته كالخبء في الجيب

قال: وغنت فيه لحناً من طريقة خفيف رملٍ فصحفت اسمها في ريب.
هجت طغيان حين وشت بها إلى رشاً: قال: وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طغيان، فوشت بعلية إلى رشاً
وحكت عنها ما لم تقل، فقالت عليه:

لطغيان خفٌ مذ ثلاثين حجةً
جديّ فلا يبلى ولا يتخرق
وكيف بلى خفٍ هو الدهر كله
على قدميها في الهواء معلق
فما خرقت خفاً ولم تبل جورباً
وأما سراويلاتها فتمزق

شعرها حين امتنع رشاً عن شرب النبيذ: قال: وحلف رشاً ألا يشرب النبيذ سنةً، فقالت: صوت
قد ثبت الخاتم في خنصري
إذ جاعني منك تجنيك
حرمت شرب الراح إذ عفتها
فلست في شيء أعاصيك
فلو تطوعت لعوضتني
منه رضاب الريق من فيك
فيا لها عندي من نعمةٍ
لست بها ما عشت أجزيك

يا زينباً قد أرقّت مقلتي
أمتعني الله بحبيك
غنت فيه عليه هزجاً.

غنى عقيد للمعتصم بشعر فسأل عنه فقال محمد بن إسماعيل إنه لها فغضب وأعرض عنه: أخبرني لحظةً ومحمد
بن يحيى قالاً حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني الحسن بن إبراهيم بن رباح قال: قال لي محمد بن إسماعيل بن
موسى الهادي: كنت عند المعتصم وعنده مخارق وعلويه ومحمد بن الحارث وعقيد، فتغنى عقيد وكنت أضرب
عليه: صوت

نام عذالي ولم أنم
واشتقى الواشون من سقمي
وإذا ما قلت بي ألمٌ
شك من أهواء في ألمي

فطرب المعتصم وقال: لمن هذا الشعر والغناء؟ فقلت: لعلية، فأعرض عني، فعرفت غلطي وأن القوم أمسكوا
عمداً، فقطع بي. وتبين جهلي، فقال: لا ترع يا محمد؛ فإن نصيبك فيها مثل نصيبي. الغناء لعلية خفيف رملٍ.
وقد قال قوم: إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطنبوري مولى خزاعة، وإن الشعر لخالد الكاتب.
غنى بنان للمتصّر بلحن لها في شعر الرشيد: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال:
كنا عند المتصّر، فغناه بنانٌ لحناً من الرمل وهو خفيف الرمل: صوت

يا ربة المنزل بالبرك
وربة السلطان والملك

تخرجي بالله من قتلنا

لسنا من الديلم والترك

فضحكت. فقال لي: مم ضحكت؟ قلت: من شرف قائل هذا الشعر، وشرف عمل اللحن فيه، وشرف مستمعه. قال: وما ذاك؟ قلت: الشعر فيه للرشيد، والغناء لعلية بنت المهدي. وأمير المؤمنين مستمعه. فأعجبه ذلك وما زال يستعيده.

أخذت من إسحاق لحناً وغنته الرشيد ثم غناه هو للمأمون فعنفه: حدثني إبراهيم بن محمد بن بركشة قال سمعت شيخاً يحدث أبي وأنا غلام فحفظت عنه ما حدثه به ولم أعرف اسمه، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: عملت في أيام الرشيد لحناً وهو: صوت

سقياً لأرضٍ إذا ما نمت نبهني

بعد الهدو بها قرع النواقيس

كأن سوسنها في كل شارقة

على الميادين أذئاب الطواويس

قال: فأعجبني وعملت على أن أباكر فيه الرشيد. فلقيني في طريقي خادماً لعلية بنت المهدي، فقال: مولاي تأمرك بدخول الدهليز لتسمع من بعض حواربها غناءً أخذته عن أبيك وشكت فيه الآن. فدخلت معه إلى حجرة قد أفردت لي كأنها كانت معدة فجلست، وقدم لي طعاماً وشراباً فنلت حاجتي منهما، ثم خرج إلي خادم فقال لي: تقول لك مولاي: أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعدده له محدث، فأسمعني ولك جائزة سنوية تتعجلها، ثم ما يأمر به لك بين يديك، ولعله لا يأمر لك بشيء أو لا يقع الصوت منه بحيث توخيت، فيذهب سعيك باطلاً. فاندفعت فغيتها إياه، ولم تزل تستعيده مراراً، ثم أخرجت إلي عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً، وقالت: هذه جائزتك، ولم تزل تستعيده مراراً. ثم قالت: اسمعه مني الآن؛ فغنته غناءً ما حرق سمعي مثله. ثم قالت: كيف تراه؟ قلت: أرى والله وما لم أر مثله. قالت: يا فلانة أعيدي له مثل ما أخذ؛ فأحضرت لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً. فقالت: هذا ثمنه، وأنا الآن داخلَةٌ إلى أمير المؤمنين، أبدأ أغني به، وأخبر أنه من صنعتي. وأعطني الله عهداً لئن نطقت أن لك فيه صنعة لأقتلنك! هذا إن نجوت منه إن علم بمصيرك إلي. فخرجت من عندها ووالله إني لك الموقن بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت، فما جسرت والله بعد ذلك أن أتغنم به في نفسي فضلاً عن أن أظهره حتى ماتت. فدخلت على المأمون في أول مجلس جلس له للهو بعدها، فبدأت به أول ما غنيت. فتغير لون المأمون وقال: من أين لك وملك هذا؟! قلت: ولي الأمان على الصدق؟ قال: ذلك لك. فحدثته الحديث. فقال: يا بغيض! فما كان في هذا من النفاسة حتى شهرته وذكرت هذا منه مع ما قد أخذته من العوض! وهجني فيه هجنةً وددت معها أني لم أذكره. فأليت ألا أغنيه بعدها أبداً. الشعر في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النسائي، وقيل: إنه لإسحاق. ولحنه من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى. وذكر حبش أنه للهندي، ولم يحصل ما قاله.

طارحت أخاها إبراهيم الغناء وسمعها من في مجلس المأمون:

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عليل العتري قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال قال لي ينشو المغني حدثني

أبو أحمد بن الرشيد قال: كنت يوماً عند المأمون وإلى جاني منصور وإبراهيم عملي، فجاء ياسر دخلة فसार المأمون. فقال المأمون لإبراهيم: إن شئت يا إبراهيم: إن شئت يا إبراهيم فانهض، فنهض. فنظرت إلى ستر قد رفع مما يلي دار الحرم، فما كان بأسرع من أن سمعت شيئاً أقلقني. فنظر إلي المأمون وأنا أميل فقال لي: يا أبا أحمد ما لك تميل؟ فقلت: إني سمعت شيئاً ما سمعت بمثله. فقال: هذه عمتك عليّة تطارح عمتك إبراهيم:

ما لي أرى الأبصار بي جافيه

نسبة هذا الصوت: صوت

لم تلتفت مني إلى ناحيه

وإنما الناس مع العافيه

فقد دهنتي بعدكم داهيه

فالعين من هجرانه باكيه

ما لي أرى الأبصار بي جافيه

لا ينظر الناس إلى المبتلى

صحبني سلوا ربكم العافيه

صارمني بعدكم سيدي

الشعر لأبي العتاهية، وذكر ابن المعتز أنه لعلية وأن اللحن لها خفيف رمل. وذكر أنه لغيرها خفيف رمل مطلق، ولحن عليّة مزموّم.

أرسلت إلى الرشيد ومنصور شرباً مع خلوب وغنمتها بلحن لها: أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بشراً المرتدي قال قالت له ريق: كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان، فدخلت إليه خلوب "جارية لعلية" ومعها كأسان مملوءتان وتحتان، ومع خادم يتبعها عودٌ، فغننتها قائمة والكأسان في أيديهما والتحتان بين أيديهما: صوت

إن ميتاً كنت وإن حيا

أو قلتما غياً فلا غيا

حيا كما الله خليليا

إن قلتما خيراً فخير لكم

فشربا. ثم دفعت إليهما رقعةً فإذا فيها: "صنعت يا سيدي أحتكما هذا اللحن اليوم، وألقته على الجواري، واصطبحت فبعثت لكما به، وبعثت من شرابي إليكما ومن تحياتي وأحذق جواري لتغنيكما. هنأكما الله وسركما وأطاب عيشكما وعيشي بكما".

دعا إبراهيم بن المهدي إسحاق وأبا دلف وغننتهم جاريته لحناً لها: أخبرني عمي قال حدثني بنحو من هذا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلف العجلي قال: كنا مع المعتصم بالقاطول، وكان إبراهيم بن المهدي في حراقة الجانب الغربي، وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي في حراقتيهما بالجانب الشرقي. فدعاهما في يوم جمعة، فعبرا إليه من زلال وأنا معهما وأنا صغير، علي أقبية ومنطقة فلما دنونا من حراقة إبراهيم فرأنا نخض ونهضت بنهوضه صبية له يقال لها "غضة" وإذا في يديها كأسان وفي يده كأس. فلما صعد إليه اندفع فغنى:

إن ميتاً كنت وإن حيا

حيا كما الله خليليا

إن قلتما خيراً فأهلاً به

أو قلتما غياً فلا غياً

ثم ناول كل واحد منهما كأساً، وأخذ هو الكأس الثالث الذي في يد الجارية وقال: هلم نشرب على ريقنا قدحاً ثم دعا بالطعام فأكلنا، ووضع النبيذ فشربنا، وغنايه وغناها وضربا معه وضرب معهما، وغنت الصبية، فطرب أبي وقال لها: أحسنت أحسنت!. فقال له إبراهيم: إن كانت أحسنت فخذها، فما أخرجتها إلا لك. شكت إليها أم جعفر انقطاع الرشيد فقالت شعراً وغنت به فرجع إليها: أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالوا حدثنا أبو هفان قال: أهديت إلى الرشيد جاريةً في غاية الجمال والكمال، فخلا معها يوماً وأخرج كل قينة في داره واصطبح، فكان جميع من حضره من جواريه المغنيات والخدمة في الشراب زهاء ألفي جارية في أحسن زي من كل نوع من أنواع الثياب والجوهر. واتصل الخبر بأم جعفر فغلط عليها ذلك، فأرسلت إلى عليّة تشكو إليها. فأرسلت إليها عليّة: لا يهولنك هذا، فوالله لأردنه إليك، قد عزم أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جوارى، فلا تبقى عندك جاريةٌ إلا بعثت بها إلي وألبسيهن ألوان الثياب ليأخذن الصوت مع جوارى، ففعلت أم جعفر ما أمرتها به عليّة. فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعليّة قد خرجت عليه من حجرتها، وأم جعفر من حجرتها معها زهاء ألفي جاريةٍ من جواريتها وسائر جوارى القصر، عليهن غرائب اللباس، وكلهن في لحنٍ واحد هزج صنعته عليّة: صوت

منفصلٌ عني وما

قلبي عنه منفصل

يا قاطعي اليوم لمن

نويت بعدي أن تصل

فطرب الرشيد وقام على رجله حتى استقبل أم جعفر وعليّة هو على غاية السرور، وقال: لم أر كالיום قط. يا مسرور لا تبقي في بيت المال درهماً إلا نثرته. فكان مبلغ ما نثره يومئذ ستة آلاف ألف درهم، وما سمع بمثل ذلك اليوم قط.

كانت تحب لحن الرمل: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال: كانت عليّة تقول: من لم يطربه الرمل لم يطربه شيء. وكانت تقول: من أصبح وعنده طباهجةٌ باردةٌ ولم يصطبّح فعليه لعنة الله.

غنت هي وأخوها إبراهيم وزمر عليهما أخوهما يعقوب: حدثني عمي قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عريب: أحسن يوم رأيته وأطيبه يومٌ اجتمعت فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته عليّة وعندهم أخوهم يعقوب، وكان أحذق الناس بالزمر. فبدأت عليّة فغنتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمر عليها: صوت

تحبب فإن الحب داعية الحب

وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

وغنى إبراهيم في صناعته وزمر عليه يعقوب: صوت

نفسى بحبك إلا الهم والحزن

يا واحد الحب ما لي منك إذ كلفت

وكيف لا ! كيف ينسى وجهك الحسن

لم ينسنيك سرور لا ولا حزن

كلي بكلك مشغول ومرتهن

ولا خلا منك قلبي لا ولا جسدي

حتى تكامل منه الروح والبدن

نور تولد من شمس ومن قمر

فما سمعت مثل ما سمعته منهما قط، وأعلم أني لا أسمع مثله أبداً.

تمارت خشف وعريب في عدد أصواتها بحضرة المتوكل: قال ميمون بن هارون قلت لعريب: رأيت في النوم كأنني سألت عليّة بنت المهدي عن أغانيها فقالت لي: هي نيف وخمسون صوتاً. فقالت لي عريب: هي كذلك. وقد أخبرني بنحو هذا الخبر عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثني وسوسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثني خشف الواضحية أنها تمارت هي وعريب في غناء عليّة بحضرة المتوكل أو غيره من الخلفاء، فقالت هي: هي ثلاثة وسبعون صوتاً. فقالت عريب: هي اثنان وسبعون صوتاً. فقال المتوكل: غنيا غناءها، فلم تزالا تغنيان غناءها حتى مضى اثنان وسبعون صوتاً، ولم تذكر خشف الثالث والسبعين فقطع بها واستولت عريب عليها وانكسرت. قالت: فلما كان الليل رأيت عليّة فيما يرى النائم فقالت: يا خشف خالفتك عريب في غنائي ! قلت: نعم يا سيدي. قالت: الصواب معك، أفتردين ما الصوت الذي أنسيته؟ قلت: لا والله ! ولوددت أني فديت ما جرى بكل ما أملك. قالت هو: صوت

أنصف المعشوق فيه لسمح

بني الحب على الجور فلو

عاشق يحسن تأليف الحجج

ليس يستحسن في حكم الهوى

ذلة العاشق مفتاح الفرج

لا تعيين من محب ذلة

لك خير من كثير قد مزج

وقليل الحب صرفاً خالصاً

وكأنها قد اندفعت تغني به، فما سمعت أحسن مما غنته، ولقد زادت لي فيه أشياء في نومي لم أكن أعرفها. فانتبهت وأنا لا أعقل فرحاً به. فباكرت الخليفة وذكرت له القصة. فقالت عريب: هذا شيء صنعته أنت لما جرى بالأمس، وأما الصوت فصحيح. فخلعت للخليفة بما رضي به أن القصة كما حكيت. فقال: رؤياك والله أعجب، ورحم الله عليّة ! فما تركت طرفها حية وميتة، وأجازني جائزة سنية. ولعليّة في هذا الصوت أعني:

بني الحب على الجور فلو

لحنان: خفيف ثقيل وهزج. وقيل إن المزج لغيرها.

سمع الرشيد لحنين لها من جاريتها عند إبراهيم الموصلي فرجع إليها وسمعها منها ومدحهما: ونسخت من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني أحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني بعض خدام السلطان عن مسرور

الكبير، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان، وفيهما خلاف يذكر في موضعه، قال:

اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً، فركب حماراً يقرب من الأرض، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعي بين يديه، وخرج من داره، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم. فلما أحس به استقبله وقبل رجله. وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مضوا، ورأى عيداناً كثيرة، فقال: يا إبراهيم ما هذا؟ فجعل يدافع. فقال: ويلك ! اصدقني. فقال: نعم يا أمير المؤمنين، جاريتان أطرح عليهما. قال: هاتهما. فأحضر جاريتين ظريفتين، وكانت الجاريتان لعلية بنت المهدي بعثت بهما يطرح عليهما. فقال الرشيد لإحدهما: غني، فغنت - وهذا كله من رواية محمد بن طاهر -:

أنصف المعشوق فيه لسمح

بني الحب على الجور فلو

عاشقٌ يحسن تأليف الحجج

ليس يستحسن في حكم الهوى

ذلة العاشق مفتاح الفرج

لا تعيين من محب ذلة

لك خيرٌ من كثيرٍ قد مزج

وقليل الحب صرفاً خالصاً

فأحسنت جداً. فقال الرشيد: يا إبراهيم لمن الشعر؟ ما أملحه ! ولمن اللحن؟ ما أظرفه ! فقال: لا علم لي. فقال للجارية، فقالت: لسي. قال: ومن ستك؟ قالت: عليّة أخت أمير المؤمنين. قال: الشعر واللحن؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسه إلى الأخرى فقال: غني؛ فغنت: صوت

وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

تحبب فإن الحب داعية الحب

نجا سالمًا فارج النجاة من الحب

تبصر فإن حدثت أن أبا هوى

فأين حلاوات الرسائل والكتب

إذا لم يكن في الحب سخطٌ ولا رضا

- الغناء لعلية خفيف ثقيل. وفي كتاب علويه: الغناء له - فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر؛ فقال: لا علم لي يا أمير المؤمنين. فقال للجارية: لمن الشعر واللحن؟ فقالت لسي. قال: ومن ستك؟ فقالت: عليّة أخت أمير المؤمنين. فوثب الرشيد وقال: يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين. ومضى فركب حماره وانصرف إلى عليّة. هذا كله في رواية محمد بن طاهر، ولم يذكره محمد بن الحسن، ولكنه قال في خبره: إن الرشيد زار الموصلي هذه الزيارة ليلاً، وكان سببها أنه انتبه في نصف الليل فقال: هاتوا حماري فأتي بحمار كان له أسود يركبه في القصر قريب من الأرض، فركبه وخرج في دراعة وشيءٍ مثلثاً بعمامة وشيءٍ ملتحفاً برداء وشيءٍ، وخرج بين يديه مائة خادم أبيض سوى الفراشين. وكان مسرور الفرغاني جريئاً عليه لمكانته عنده، فلما خرج على باب القصر قال: أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردت منزل الموصلي. قال مسرور: فمضى ونحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم، فتلقاه وقبل حافر حماره وقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، أفي مثل هذه الساعة تظهر !!

قال: نعم! شوقاً طرق بي. ثم نزل فجلس في طرف الإيوان وأجلس إبراهيم. فقال له إبراهيم: يا سيدي أنتشط لشيءٍ تأكله؟ قال: نعم، وما هو؟ قال: خاميز طيب. فأتي به كأنما كان معداً له فأصاب منه شيئاً يسيراً، ثم دعا بشرابٍ كان حمل معه. فقال له إبراهيم الموصلي: أو غنيك يا سيدي أم يغنيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري. فخرج جواري إبراهيم فأخذن صدر الإيوان وجانبيه. فقال: أياضربن كلهن أم واحدةً واحدةً؟ فقال: بل تضرب اثنتان اثنتان وتغني واحدةً فواحدةً. ففعلن ذلك حتى مر صدر الإيوان وأحد جانبيه والرشيدي يسمع ولا ينشط لشيءٍ من غنائهن، إلى أن غنت صبيةً من حاشية الصف.

صوت

أقبس إذا شئت من قلبي بمقباس

يا موري الزند قد أعيت قوادحه

إذا نظرت فلم أبصر في الناس

ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم

فطرب لغنائها واستعاد الصوت مراراً وشرب أرتالاً، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت، فاستدناها فتقاعست، فأمر بها فأقيمت إليه، فأخبرته بشيءٍ أسرته إليه. فدعا بحماره فانصرف والتفت إلى إبراهيم فقال: ما عليك ألا تكون خليفةً! فكادت نفسه تخرج، حتى دعا به بعد وأدناه. هذا نظم رواية محمد بن الحسن في خبره. وقال محمد بن طاهر في خبره. فقال للموصلي: احتفظ بالجاريتين، وركب من ساعته إلى عليه فقال: قد أحبيت أن أشرب عندك اليوم. فتقدمت فيما تصلحه، وأخذت في شأهما. فلما أن كان في آخر الوقت حمل عليها بالنبيذ، ثم أخذ العود من حجر جارية فدفعه إليها، فأكبرت ذلك. فقال: وتربة المهدي لتغنن!. قالت: وما أغني؟ قال: غني:

بني الحب على الجور فلو

فعلمت أنه قد وقف على القصة فغنته. فلما أتت عليه قال لها غني:

تحبب فإن الحب داعية الحب

فلجلجت ثم غنته. فقام وقبل رأسها وقال: يا سيدي هذا عندك ولا أعلم! وتم يومه معها. عاذاها أخوها إبراهيم وكرر السؤال عنها فحجل من جوابها: حدثني لحظة قال حدثني أبو العبيس بن حمدون قال قال إبراهيم بن المهدي: ما خجلت قط خجلتي من عليه أختي. دخلت عليها يوماً عائداً فقلت: كيف أنت يا أختي جعلت فداءك وكيف حالك وجسمك؟ فقالت: بخير والحمد لله. ووقعت عيني على جارية تذب عنها فتشاغلت بالنظر إليها فأعجبني وطال جلوسي، ثم استحييت من عليه فأقبلت عليها فقلت: وكيف أنت يا أختي جعلت فداءك وكيف حالك وجسمك؟ فرفعت رأسها إلى حاضنة لها وقالت: أليس هذا قد مضى مرة وأجبنا عنه! فحجلت خجلاً ما خجلت مثله قط، وقمت وانصرفت.

أمرها الرشيد بالغناء فغنته من وراء ستار وكان معه جعفر فعرفه بها: أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثني أحمد بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال: شهدت أبي جعفراً وأنا صغيرٌ وهو يحدث يحيى بن خالد جدي في بعض ما كان يخبره به من خلواته مع الرشيد، قال: يا أبت، أخذ بيدي أمير المؤمنين ثم أقبل على حجرة يخترقها حتى انتهى إلى حجرة مغلقة ففتحت له، ثم رجع من كان معنا من الخدم، ثم صرنا إلى حجرة مغلقة ففتحتها بيده ودخلنا جميعاً وأغلقها من داخل بيده، ثم صرنا إلى رواقٍ ففتحه وفي صدره مجلس مغلق فقعده على باب المجلس، فنقر هارون الباب بيده نقراتٍ فسمعنا حساً، ثم أعاد النقر فسمعنا صوت عود، ثم أعاد النقر ثالثةً فغنت جاريةً ما ظننت والله أن الله خلق مثلها في حسن الغناء وجودة الضرب. فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنت أصواتاً: غني صوتي، فغنت صوته، وهو: صوت

غنى الجواري حاسراً ومنقبا

ومخنثٍ شهد الزفاف وقبله

نقرأ أقر به العيون وأطربا

لبس الدلال وقام ينقر دفه

فشكون شدة ما بهن فأكذبا

إن النساء رأينه فعشقنه

- في هذا اللحن خفيف رملٍ نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج ولم يصح له، وفيه خفيف ثقیل في كتاب عليّة أنه لها، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنه لريق. واللعن مأخوذٌ من:

إن الرجال لهم إليك وسيلة

وهو خفيف ثقیلٍ للهذلي، ويقال إنه لابن سريج، وهو يأتي في موضع آخر - قال: فطربت والله طرباً هممت معه أن أنطح برأسي الحائط. ثم قال غني:

طال تكذبي وتصديقي

فغنت: صوت

لم أجد عهداً لمخلوق

طال تكذبي وتصديقي

أحدثوا نقض الموائيق

إن ناساً في الهوى غدروا

أشتكي عشقاً لمعشوق

لا تراني بعدهم أبداً

- لحن عليّة في هذا الصوت هزج. والشعر لأبي جعفر محمد بن حميد الطوسي وله فيه لحنٌ خفيف ثقیل. ولعريب فيه ثقیلٌ أول وخفيف ثقیلٌ آخر - قال: فرقص الرشيد ورقصت معه، ثم قال: امض بنا فإني أخاف أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا، فمضينا. فلما صرنا إلى الدهليز قال وهو قابض على يدي: أعرفت هذه المرأة؟ قال قلت: لا يا أمير المؤمنين. قال: فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتم ذلك، وأنا أخبرك أنها عليّة بنت المهدي. ووالله لئن لفظت به بين يدي أحدٍ وبلغني لأقتلنك. قال: فسمعت جدي يقول له: فقد والله لفظت به، ووالله

ليقتلنك ! فاصنع ما أنت صانع.

نسبة الصوت الذي أخذ منه:

ومحنتُ شهد الزفاف وقبله

صوت

إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

إن الرجال لهم إليك وسيلة

أقرن إلى سير الركاب وأجنب

وأنا امرؤٌ إن يأخذوني عنوةً

وابن النعامة يوم ذلك مركبي

ويكون مركبك القعود وحدجه

الناس يروون هذه الأبيات لعنترة بن شداد العبسي، وذكر الجاحظ أنها لخزر بن لوزان، وهو الصحيح. وخزر شاعرٌ قديم يقال إنه قبل امرئ القيس. وقد اختلف في معنى قوله "ابن النعامة" فقال أبو عبيدة والأصمعي: النعامة فرسه وابنها ظلها. يقول: أقاد في الهجرة إلى جنبها فيكون ظلي كالراكب لظلها. وقال أبو عمرو الشيباني: ابن النعامة مقدم رجله مما يلي الأصابع. يقول: فلا يكون لي مركبٌ إلا رجلي. وقال خالد بن كلثوم: ابن النعامة الخشبة التي يصلب عليها. يقول: أقتل وأصلب فتكون الخشبة مركبي. واحتج من ذكر أنه يعني ظل فرسه وأنه يكون كالراكب له بقول الشاعر:

ويرى نعامة ظلّه فيحول

إذ ظل يحسب كل شيءٍ فارساً

قال: وابن نعامة: ظل كل شيء. وقد مضى هذا الصوت مفرداً مع خبره في موضع آخر. أمرها الرشيد بالغناء فنظمت فيه شعراً وغنته به فطرب: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال: زار الرشيد عليّة فقال لها: بالله يا أختي غنيني. فقالت: وحياتك لأعملن فيك شعراً ولأعملن فيه لحناً فقالت من وقتها: صوت

لسنا نعد لها الزمان عديلاً

تفديك أختك قد حبوت بنعمة

لا زال قربك والبقاء طويلاً

إلا الخلود، وذاك قربك سيدي

ورأيت حمدي عند ذاك قليلاً

وحمدت ربي في إجابة دعوتي

وعملت فيه لحناً من وقتها في طريقة خفيف الرمل، فأطرب الرشيد وشرب عليه بقية يومه. طلب الرشيد أختها ولم يطلبها فقالت شعراً وبعثت من غناه له فأحضرها: قال: وقالت للرشيد أيضاً وقد طلب أختها ولم يطلبها.

صوت

وكننت والذكر عندي رائحٌ غادي

ما لي نسيت وقد نوذي بأصحابي

أنا التي لا أطيق الدهر فرقتكم فرق لي يا أخي من طول إبعاد

قال: وغنت فيه لحناً من الثقيل الثاني، وبعثت من غناه للرشيد، فبعث فأحضرها.
حجت وتأخرت فتكدر الرشيد فنظمت شعراً وغنته فرضي عنها: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني زرزور الكبير غلام جعفر بن موسى الهادي: أن علياً حجت في أيام الرشيد، فلما انصرفت أقامت بطيز ناباذ أياماً، فانتهى ذلك إلى الرشيد فغضب. فقالت علياً: صوت

أي ذنب أذنبته أي ذنب أي ذنب لولا رجائي لربي
بمقامي بطيز ناباذ يوماً بعده ليلة على غير شرب
ثم باكرتها عقاراً شمولاً تفتن الناسك الحليم وتصبي
قرقفاً قهوة تراها جهولاً ذات حلم فراجة كل كرب

قال: وصنعت في البيتين الأولين لحناً خفيف الثقيل، وفي البيتين الآخرين لحناً من الرمل. فلما جاءت وسمع الشعر والالحنين رضي عنا.

اشتاقتها الرشيد وهو بالرقعة فطلبها فجاءت وقالت شعراً وعملت فيه لحناً: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال: اشتاق الرشيد إلى عمي علياً بالرقعة، فكتب إلى خالها يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها. فقالت في طريقها: صوت

اشرب وغن على صوت النواخير ما كنت أعرفها لولا ابن منصور
لولا الرجاء لمن أملت رؤيته ما جزت بغداد في خوف وتغريب

وعملت فيه لحناً في طريقة الثقيل الأول.

كانت مع الرشيد في الري فحنت إلى العراق بشعر فردها: أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حدثنا الهشامي أبو عبد الله قال: لما خرج الرشيد إلى الري أخذ أخته علياً معه. فلما صار بالمرج عملت شعراً وصاغت فيه لحناً في طريقة الرمل وغنت به، وهو: صوت

ومغترب بالمرج يبكي لشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تتشوق يستشفي برائحة الركب

فلما سمع الصوت علم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلها به فردها.

غنت الرشيد في يوم فطر:

ونسخت من كتاب هارون بن محمد الزيات حدثني بعض موالي أبي عيسى بن الرشيد عن أبي عيسى: أن علياً غنت الرشيد في يوم فطر: صوت

طالت علي ليالي الصوم واتصلت
حتى لقد خلتها زادت على الأبد
شوقاً إلى مجلس يزهي بصاحبه
أعيذه بجلال الواحد الصمد

الغناء لعلية ثاني ثقیل لا يشك فيه، وذكر بعض الناس أنه للواثق، وذكر آخرون أنه لعبد الله بن العباس الربيعي. والصحيح أنه لعلية. وفيه لعريب ثقیل أول غنته المعتمد يوم فطر فأمر لها بثلاثين ألف درهم. ضربت وكيلها سباعاً وحبسته لخيانته فشفع فيه جيرانه فقالت شعراً: وقال ميمون بن هارون حدثني أحمد بن يوسف أبو الجهم قال: كان لعلية وكيل يقال له سباع، فوقفت على خيانته فضربته وحبسته، فاجتمع جيرانه إليها فعرفوها جميل مذهبه وكثرة صدقه، وكتبوا بذلك رقعة، ف وقعت فيها:

ألا أيهذا الراكب العيس بلغن
سباعاً وقل انضم داركم السفر
أتسلبني مالي وإن جاء سائل
رققت له إن حطه نحوك الفقر
كشافيه المرضي بعائدة الزنا
تؤمل أجراً حيث ليس لها أجر

تركت الغناء لموت الرشيد فألح عليها الأمين فغنته: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثني علم السمراء جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شهدت علية غنت الأمين في شعر لها، وهو آخر شعر قالته فيه، وطريقته من الثقیل الثاني. وكانت لما مات الرشيد جزعاً شديداً وتركت النبيذ والغناء. فلم يزل بها الأمين حتى عادت فيهما على كره. والشعر: صوت

أطلت عاذلتي لومي وتفنيدني
وأنت جاهلة شوقي وتسهيدي
لا تشرب الراح بين المسمعات وزر
ظلياً غريباً نقي الخد والجيد
قد رنحته شمولاً فهو منجدل
يحكي بوجنته ماء العناقيد
قام الأمين فأغنى الناس كلهم
فما فقير ولا حال بموجود

لحن علية في هذا الشعر ثاني ثقیل. ولعريب فيه هزج، وقيل إن الهزج لإبراهيم بن المهدي. وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثني عريب أن علية قالت في لبانة بنت أخيها علي بن المهدي شعراً وغنت فيه من الثقیل الأول: صوت

وحدثني عن مجلس كنت زينه
رسول أمين والنساء شهود
فقلت له كر الحديث الذي مضى
وذكرك من ذاك الحديث أريد

وقد ذكر المشامي أن هذا اللحن لإسحاق غناه بالرقعة. وليس ذلك بصحيح. سمعها إسماعيل بن الهادي تغني مستترعة عند المأمون فأذهله غناؤها: أخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد. ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد

واللفظ له قال: دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون، فسمع غناءً أذهله. فقال له المأمون: ما لك؟ قال: قد سمعت ما أذهلني، وكنت أكذب بأن الأرغن الرومي يقتل طرباً، وقد صدقت الآن بذلك. قال: أو لا تدري ما هذا؟ قال: لا والله! قال: هذه عمتك عليّة تلقي على عمك إبراهيم صوتاً من غنائها. إلى ها هنا رواية محمد بن يحيى. وفي رواية محمد بن الحسن قال: هذه عمتك تلقي على عمك إبراهيم صوتاً استحسنه من غنائها. فأصغيت إليه فإذا هي تلقي عليه: صوت

ليس ينبيك عنه مثل حبير

ليس خطب الهوى بخطب يسير

ي ولا بالقياس والتفكير

ليس أمر الهوى يدبر بالراً

الحن في هذا لعليه ثقیلٌ أول. وفيه لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقیلٌ عن الهشامي. توفيت ولها خمسون سنة، وسبب وفاتها: أخبرني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه: أن عليّة بنت المهدي ولدت سنة ستين ومائة، وتوفيت سنة عشر ومائتين ولها خمسون سنة. وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. وأخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد قال حدثني محمد بن علي بن عثمان قال: ماتت عليّة سنة تسع ومائتين، وصلى عليها المأمون. وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمها إليه وجعل يقبل رأسها، وكان وجهها مغطى، فشرقت من ذلك وسعلت ثم حمت بعقب هذا أياماً يسيرة وماتت.

ومن صنع أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد فمن صنعتته: صوت

ظبيّ نفى عني الجلد

قام بقلبي وقعد

أهيم في كل بلد

خلفني مدلهأ

وما رثي لي من كمد

أسهرني ثم رقد

تذلاًّ تاه وصد

ظبيّ إذا ازددت له

يمج خمرأ من برد

واعطشا إلى فم

عروضه من مجزوء الرجز. والشعر والغناء لأبي عيسى بن الرشيد، ولحنه فيه ثقیل أول مطلق في مجرى الوسطى من روايتي عبد الله بن المعتز والهشامي. وذكر الهشامي أن له أيضاً فيه لحناً من ثقیل الرمل، وذكر حبش أن الرمل لحسين بن محرز. وفيه لأبي العيبس بن حمدون خفيف ثقیل.

أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

شيء من أوصافه: اسمه أحمد، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد. وهذا النسب أشهر من أن يشرح. وأمّه أم ولد بربرية. وكان من أحسن الناس وجهاً ومجالسةً وعشرةً، وأجمنهم وأحدهم نادرةً وأشدّهم عبثاً. وكان يقول شعراً

ليناً طيباً من مثله.

كان جميل الوجه: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول: سمعت أبي "يعني طاهر بن الحسين" يحدث أنه سمع الرشيد يقول للمأمون: أنت تعلم أنك أحب الناس إلي، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت. كان إذا ركب جلس له الناس لرؤية حسنه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيح بن حاتم العكلي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال: كان يقال: انتهى جمال ولد الخلافة إلى أولاد الرشيد، ومن أولاد الرشيد إلى أولاد محمد وأبي عيسى. وكان أبو عيسى إذا عزم على الركوب جلس الناس له حتى يروه أكثر مما يجلسون للخلفاء.

مدحت عريب حسنه وغناه: حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بنان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال: كنت عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل وعنده عريب، فسمعتها تقول: انتهى جمال الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى، ما رأى الناس مثلهما، وكان المعتز في طرازهما. قال: وسمعتها تقول لأبي العباس بن حمدون: ما غناؤك من غناء أبي عيسى بن الرشيد! وما سمعت قط غناء أحسن من غنائه، ولا رأيت وجهاً أحسن من وجهه.

عجب الرشيد من جواب له في صباه وقبله: أخبرني محمد قال حدثني الغلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال: قال الرشيد لأبي عيسى ابنه وهو صبي: ليت جمالك لعبد الله "يعني المأمون". فقال له: على أن حظه منك لي. فعجب من جوابه على صباه وضمه إليه وقبله.

سخط من رؤية هلال شهر رمضان: وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال: حدثني من شهد المأمون ليلة وهم يتراءون هلال شهر رمضان وأبو عيسى أخوه معه وهو مستقل على قفاه، فرأوه وجعلوا يدعون. فقال أبو عيسى قولاً أنكر عليه في ذلك المعنى. كأنه كان متسخطاً لورود الشهر، فما صام بعده.

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فهم قال: قال: أبو عيسى بن الرشيد:

دهاني شهر الصوم لا كان من شهر وما صمت شهراً بعده آخر الدهر

فلو كان يعيدني الإمام بقدرة على الشهر لاستعديت جهدي على الشهر

فناله بعقب قوله هذا الشعر صرغ، فكان يصرع في اليوم مراتٍ إلى أن مات، ولم يبلغ شهراً آخر. مدح إبراهيم بن المهدي غناه: وذكر علي بن الهشامي عن جده ابن حمدون قال: قلت لإبراهيم بن المهدي: من أحسن الناس غناء؟ قال: أنا. قلت: ثم من؟ قال: أبو عيسى بن الرشيد. قلت: ثم من؟ قال: مخارق. عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون فغضب فترضاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصعدي قال: كان أبو عيسى بن الرشيد

وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون، فأخذ أبو عيسى هندباءً فغمسها في الخل وضرب بها عين طاهر الصحيحة. فغضب طاهرٌ وشق ذلك عليه وقال: يا أمير المؤمنين إحدى عيني ذاهبةً، والأخرى على يدي عدل، يفعل هذا بي بين يديك !! فقال له المأمون: يا أبا الطيب إنه والله ليعبث بي أكثر من هذا العبث.

عرض يعقوب بن المهدي فضحك المأمون فنهاه:

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبو عيسى بن علي بن عيسى بن ماهان قال: بينا المأمون يخطب يوم الجمعة على المنبر بالرصافة وأخوه أبو عيسى تلقاء وجهه في المقصورة، إذ أقبل يعقوب بن المهدي وكان أفسى الناس، معروفاً بذلك. فلما أقبل وضع أبي عيسى كفه على أنفه، وفهم المأمون ما أراد فكاد أن يضحك. فلما انصرف بعث إلى أبي عيسى فأحضره وقال له: والله لهُممت أن أبطحك فأضربك مائة درة ! ويلك ! أردت أن تفضحني بين أيدي الناس يوم الجمعة وأنا على المنبر ! إياك ان تعود لمثل هذه !. قال: وكان يعقوب بن المهدي لا يقدر أن يمسك الفساء إذا جاءه. فالتذت له دايةً مثلثةً

وطيبتها وتنوقت فيها. فلما وضعتها تحته فسا، فقال: هذه ليست بطيبة. فقالت له الداية: فديتك ! هذه كانت طيبة وهي مثلثة، فلما ربعتها فسدت. قال: وكان يعقوب هذا محمقاً، كان يخطر بباله الشيء فيشتهيه فيثبته في إحصاء خزائنه. فضج خازنه من ذلك، فكان يثبت الشيء ثم يثبت تحته أنه ليس عنده، وإنما أثبتته ليكون ذكره عنده إلى أن يملكه. فوجد في دفتر له فيه ثبت ثياب: " ثبت ما في الخزانة من الثياب المثقلة الإسكندرانية والهشامية، لا شيء - أستغفر الله - بل عندنا منها زرجية كانت للمهدي. الفصوص الباقوت الأحمر التي من حالها كذا وكذا لا شيء - أستغفر الله - بل عندنا منها درجٌ كان فيه للمهدي خاتمٌ هذه صفته ". فحمل ذلك الدفتر إلى المأمون، فضحك لما قرأه حتى فحص برجله. وقال: ما سمعت بمثل هذا قط !.

كان المأمون يحبه ويتمنى أن يلي الأمر بعده. أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلي قال حدثني الهيثم بن محمد بن عباد عن أبيه قال: كان المأمون أشد الناس حباً لأبي عيسى أخيه، كان يعده للأمر بعده، وتذاكرنا ذلك كثيراً، وسمعته يقول يوماً: إنه ليسهل عليه أمر الموت وفقد الملك، وما يسهل شيء منهما على أحد، وذلك لحبتي أن يلي أبو عيسى الأمر من بعدي لشدة حبي إياه.

كان يحب صيد الخنازير فوقع عن دابته، وكان ذلك سبب موته. أخبرني محمد بن علي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال: كان سبب موت أبي عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير، فوقع عن دابته فلم يسلم دماغه، فكان يتخبط في اليوم مراتٍ إلى أن مات.

عزاء محمد بن عباد المأمون فيه: حدثني محمد قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا محمد بن عباد المهلي قال: لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلت إلى المأمون وعمامي علي، فخلعت عمامي ونبدتها وراء ظهري - والخلفاء لا تعزى في العمام - ودنوت. فقال لي: يا محمد، حال القدر دون الوطر. فقلت: يا أمير المؤمنين، كل مصيبةٍ أخطأتك تمون، فجعل الله الحزن لك لا عليك.

مات سنة تسع ومائتين: أخبرنا محمد قال حدثنا عون بن محمد قال سمعت هبة الله بن إبراهيم يقول: مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين، وصلى عليه المأمون ونزل في قبره، وامتنع من الطعام أياماً حتى خاف أن يضر ذلك به.

وجد عليه المأمون وجداً شديداً: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو العبناء قال سمعت محمد بن عباد يقول: لما توفي أبو عيسى بن الرشيد وجد المأمون عليه وجداً شديداً، وكان له محباً وإليه مائلاً. فركب إلى داره حتى حضر أمره وصلى عليه، وحضره الناس، وكنت فيمن حضر، فما رأيت مصاباً حزيناً قط أجمل أمراً في مصيبة ولا أحرق وجداً منه من رجل صامت تجري دموعه على خديه من غير كبح ولا استئثار. بكاه المأمون وتمثل شعراً وعزاه فيه ابن أبي دواد وعمرو بن مسعدة وناحت عليه عريب: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبي قال قال أحمد بن أبي دواد: دخلت على المأمون في أول صبحتي آياه وقد توفي أخوه أبو عيسى وكان له محباً وهو يبكي ويمسح عينيه بمنديل، فقعدت إلى جنب عمرو بن مسعدة وتمثلت قول الشاعر:

نقص من الدنيا وأسبابها نقص المنايا من بني هاشم

ولم يزل على تلك الحال ساعة يبكي، ثم مسح عينيه وتمثل:

سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض فحسبك مني ما تجن الجوانح
كأن لم يمض حي سواك ولم تنح على أحدٍ إلا عليك النوائح

ثم التفت إلي فقال: هيه يا أحمد! فتمثلت قول عبدة بن الطبيب:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من أوليته منك نعمة إذا زار عن شحط بلادك سلما
وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فبكي ساعة ثم التفت إلى عمرو بن مسعدة فقال: هيه يا عمرو! قال: نعم يا أمير المؤمنين

بكوا حذيفة لم تبكوا مثله حتى تعود قبائل لم تخلق
فإذا عريب وجوارٍ معها يسمعن ما يدور بيننا، فقلن: اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً. فقال لها المأمون: قولي، فرب صوابٍ منك كثير. فقالت:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعينٍ لم يفيض ماؤها عذر
كأن بني العباس يوم وفاته نجوم سماءٍ خر من بينها البدر

فبكى وبكىنا. ثم قال لها المأمون: نوحى، فناحت ورد عليها الجوارى. فبكى المأمون حتى قلت: قد خرجت نفسه، وبكىنا معه أحر بكاء، ثم أمسكت. فقال لها المأمون: اصنعي فيه لحناً وغني به. فصنعت به لحناً على مذهب النوح وغنته إياه على العود. فوالذي لا يحلف بأجل منه لقد بكينا عليه غناءً أكثر مما بكينا عليه نوحاً. طلب المأمون من أبي العتاهية أن يسليه عنه: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الطبيب بن محمد الباهلي قال حدثني موسى بن سعيد عن أخيه عمرو قال: لما مات أبو عيسى بن الرشيد وجد عليه المأمون وجداً شديداً حتى امتنع من النوم ولم لم يطعم شيئاً. فدخل عليه أبو العتاهية، فقال له المأمون: حدثني يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان في مثل حالنا وفارقها. فقال: يا أمير المؤمنين، لبس سليمان بن عبد الملك أوفر ثيابه ومس أطيب طيبه وركب أفره خيله وتقدم إلى جميع من معه أن يركب في مثل زيه وأكمل سلاحه، ونظر في مرآته فأعجبته هيئته وحسنه، فقال: أنا الملك الشاب، ثم قال لجارية له: كيف ترين؟ فقالت:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان

أنت خلوت من العيوب ومما يكره الناس غير أنك فاني

فأعرض بوجهه، فلم تدر عليه الجمعة إلا وهو في قبره. قال فبكى المأمون والناس، فما رأيت باكياً أكثر من ذلك اليوم. قال: وهذان البيتان لموسى شهوات.

بعض أصواته: ومن غناء أبي عيسى وجيد صنعته، والشعر له، وطريقته من الثقل الثاني مطلق في مجرى البنصر. وذكر حبش أن فيه لحسين بن محرز أيضاً صنعة من خفيف الرمل: صوت

رقدت عنك سلوتي والهوى ليس يرقد

وأطار السهاد نو مي فنومي مشرد

أنت بالحسن منك يا حسن الوجه تشهد

وفؤادي بحسن وج هك يشقى ويكمد

ومن غنائه أيضاً وهو من صدور صنعته في شعر الأخطل - ولحنه من الثقل الأول -: صوت

إذا ما زيادٌ علني ثم علني ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير

خرجت أجر الذيل حتى كأنني عليك أمير المؤمنين أمير

ولإسحاق في هذا الشعر رملٌ بالبنصر عن عمرو.

وممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء

عبد الله بن موسى الهادي

صوته في شعر له: فمن صنعته: صوت

وكر عيشك بعد الصفا

رهين بتشتيت ما ألفا

كثير الهوى ناعماً مترفا

واقبل يرميك مستهدفا

تقاضك دهر ك ما أسلفا

فلا تجزعن فإن الزمان

وما زال قلبك مأوى السرور

ألح عليك بروعاته

الشعر والغناء لعبد الله بن موسى. ولحنه ماحوري وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى. اختلف مع ثقيف الخادم في صوت فضرب ثقيف رأسه بالعود فحلم عليه، وكان معربداً: أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو حشيشة قال:

كان عبد الله بن موسى الهادي أضرب الناس بالعود وأحسنهم غناءً. وكان له غلام أسود يقال له قلم، فعلمه الصوت وحذقه. فاشترته منه أم جعفر بثلاثمائة ألف درهم. قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال: كنت أنا وثقيف الخادم الأسود مولى الفضل بن الربيع نضارب مولاي عبد الله بن موسى وقد أخذ النبيذ من الجماعة. فضرب عبد الله وثقيف صوتاً فاختلغا فيه وتشاجرا. فقال عبد الله: كذا أخذته من منصور زلزل. وقال ثقيف: كذا أخذته منه، وطال تشاجرهما فيه. وكان ثقيف معربداً يذهب عقله من أدنى شيء يشربه، وكان عبد الله أيضاً معربداً. فغضب ثقيف ورفع العود وهو لا يعقل، فضرب به رأس عبد الله بن موسى فطوقه إياه. وابتدر خدم عبد الله؛ فقال لهم عبد الله بن موسى: لا تمسوه وأخرجوا العود من عنقي أخرجوه. وكان عبد الله بن موسى أشد خلق الله عربدةً أيضاً، فرزق في ذلك اليوم حلماً لم يرى مثله، وقال لخدمته: إن قتلته قتلت كلباً وتحدث الناس بذلك، ولكن اخلعوا عليه وهبوا له ولا يدخل منزلي أبداً.

دعا الحفصي فأثر عليه أخاه إسماعيل: قال جحظة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصي المعزفي قال: دعاني عبد الله بن موسى يوماً ودعاني أخوه إسماعيل؛ فأثرت إسماعيل لما كان في عبد الله من العربدة. فلم نشعر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على برذونٍ أشهب متقلداً سيفاً وهو سكران. فلما رأيناه تطايرنا في الحجر، فنزل عن دابته وجلس. وجثا إسماعيل بين يديه إجلالاً له، وقال له: يا سيدي قد سررتني بتفضلك ومصيرك إلي. قال: دعني من هذا، من عندك؟ قال: فلان وفلان، فعد جماعة من كان عنده. قال له: هاتهم. فدعا بنا فخرجنا وقد متنا فرعاً. فأقبل علي منهم فقال لي: يا حفصي! أبعث إليك ثلاثة أيام تبعاً فتدعني وتجيء إلى إسماعيل! وضرب يده على سيفه، فقام إسماعيل بيني وبينه وقال: نعم! يجيئي ويدعك؛ لأنه لا ينصرف من عندك إلا بشجة أو عربدة مع حرمان، ولا ينصرف من عندي إلا ببرٍ مع خلعةٍ ووعدٍ محصلٍ أفتلومه على ذلك!. فكف عبد الله وكان شديد العربدة فقام وانصرف.

قال شعراً في خادم لصالح بن الرشيد: أخبرني الصولي حدثني عون بن محمد الكندي قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود وكان يكتب لإبي جعفر - قال: كنت جالساً مع عبد الله بن موسى الهادي، فمر به

خادمٌ لصالح بن الرشيد. فقال له: ما اسمك؟ فقال له: اسمي " لا تسَل " فأعجبه حسنه وحسن منطقه فقال لي: قم بنا حتى نسر اليوم بذكر هذا البدر، فقممت معه. فأنشدني في ذلك اليوم:

وشادنٍ مر بنا	بجرح باللحظ المقل
مظلوم خصرِ ظالمٍ	منه إذا يمشي الكفل
اعتدلت قامته	واللحظ منه ما عدل
بدرٌ تراه أبداً	طالع سعدٍ ما أقل
سألته عن اسمه	فقال لي اسمي " لا تسَل "
وأطلعت في وجنتي	ه وردتان من خجل
فقلت ما أخطأ من	سماك بل قال المثل
لا تسألن عن شادنٍ	فاق جمالاً وكمل

قال: وقال فيه - وقد قيل إنه من هذه الأبيات - :

عز الذي نهوى وذل	صب الفؤاد مختبل
لج به الهجر وذا ال	هجر إذا لج قتل
من شادنٍ منطقٍ	فاق جمالاً وكمل
تتاصف الحسن به	فلا تسَل عن " لا تسَل "

كان له ابن جيد الضرب وطلب إلى المكي أن يقومه موهماً أنه مملوك. وقال حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال: دعاني عبد الله بن موسى يوماً فقال لي: أتقوم غلاماً ضارباً مغنياً قيمة عدلٍ لا حيف فيه على اليائع ولا على المشتري؟ فقلت: نعم. فأخرج لي ابنه القاسم وكنت أعرفه، وهو أحسن من القمر ليلة البدر، فأخذ عوداً فضرب، فأكبت على يديه أقبلها. فقال لي عبد الله: أتقبل يد غلام مملوك؟ قلت: بأبي وأمي هو من مملوك! وقبّلت رجله أيضاً. فقال: أما إذا عرفته فأحب أن تضاربه، ففعلت. فلما رأى الغلام زيادتي عليه في الضرب اغتم وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من ذنبه: أنا متلذذٌ وهذا مكتسبٌ. فضحكت وقلت: هو ذاك يا سيدي. وعجبت من حدة جوابه معتذراً على صغر سنه.

كان كريماً ممدحاً: أخبرني الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال: كان عبد الله بن موسى جواداً كريماً ممدحاً، وكان يقول الشعر - وفيه لعلويه لحن من خفيف الثقليل الأول بالبنصر - : صوت

أعبد الله أنت لنا أمير وأنت من الزمان لنا مجيز

حكيت أباك موسى في العطايا

إمام الناس والملك الكبير

غنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة: قال محمد بن يحيى والعتابي: ولعبد الله بن موسى غناءً في قول عمر بن أبي ربيعة: صوت

إن أسماء أرسلت

وأخو الشوق مرسل

أرسلت تستزيرني

وتقدي وتعدل

ولحنه فيه رمل. قال: وفيه لابن سريج والغريض ومالك ألحان.

عربد على المأمون فحبسه ثم سمه فمات: أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال: كان عبد الله بن موسى الهادي معربداً، وكان قد أحفظ المأمون مما يعربد عليه إذا شرب معه. فأمر بأن يجبس في منزله فلا يخرج منه؛ وأقعد على بابه حرساً. ثم تدمم من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابه، ثم نادمه فعربد عليه أيضاً وكلمه بكلام أحفظه. وكان عبد الله مغرمًا بالصيد، فأمر المأمون خادماً من خواص خدمه يقال له "حسين" فسمه في دراج وهو بمرسی أباد، فدعا بعبد الله بالعشاء، فأناه حسين بذلك الدراج فأكله. فلما أحس بالسهم ركب في الليل وقال لأصحابه: هو آخر ما تروني. قال: وأكل معه من الدراج خادمان، فأما أحدهما فمات من وقته، وأما الآخر فبقي مدة ثم مات، ومات عبد الله بعد أيام.

وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن محمد

الأمين

فمن مشهور صنعته:

ألا يا دير حنظلة المفدى

لقد أورتنتي سقماً وكدا

أزف من العقار إليك دناً

وأجعل تحته الورق المندى

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين، وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصولي عن عبد الله بن المعتز وله فيه لحنان خفيف رملٍ وخفيف ثقيل وفيه لعبد الله بن موسى الهادي رمل. وفيه ثاني ثقيل، وذكر حبش - وهو ممن لا يحصل قوله - أنه لحنين، ولم يصح عندنا من صناعه.

أخبار عبد الله بن محمد ونسبه: نسبته: عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وأم عبد الله بن محمد أم ولد. وكان ظريفاً غزلاً يقول شعراً ليناً ويصنع صنعةً صالحةً. وأم محمد الأمين زبيدة بنت جعفر بن المنصور. وزبيدة لقبٌ غلب عليها، واسمها أمة العزيز، وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة - وكانت سمينة حسنة البدن - فيقول لها: يا

زبيدة يا زبيدة، فغلب عليها ذلك.

كان صديقاً لأبي نهشل فأحب جارية اشتراها أخوه فكتب له شعراً فأخذها له منه: أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكندي قال: كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حميد مودة. فاعترض عبد الله جاريةً مغنيةً لبعض نساء بني هاشم وأعطى بها مالاً عظيماً. فعرفت منه رغبةً فيها فزدات عليه في السوم. فتركها ليكسرها. فجاء أخ لأبي نهشل بن حميد فاشتراها وزاد. فتبعته نفس عبد الله، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عنها، فسأله ذلك فوعده ودافعه. فكتب عبد الله إلى أبي نهشل:

يا بن حميد يا أبا نهشل	مفتاح باب الحدث المقفل
يا أكرم الناس وداداً وأر	عاهم لحق ضائع مهمل
أحسننت في ودي وأجملت بل	جزت فعال المحسن المجمل
بيتك في ذي يمنٍ شامخٌ	تقصر عنه قننا يدبل
خلفت فينا حاتماً ذا الندى	وجدت جود العارض المسبل
أي أخ أنت لذي وحدة	تركته بالعز في جحفل
نجوم حظي منك مسعودة	فيما أرجي لسن بالأقل
فصدق الظن بما قلته	وسهل الأمر به يسهل
لا تحرمني ولديك المنى	بالله صيد الرشأ الأكل
رميت منه بسهام الهوى	وما درى بالرمي في مقلتي
أدنيتهني بالوعد في صيده	إدناه عطشان من المنهل

ثم تناسيت وأسلمتني	إلى مطالٍ موحش المنزل
تركتني في لحةٍ عائماً	لا أعرف المدبر من مقبل
صرح بأمر واضحٍ بين	لا خير في ذي لبسٍ مشكل

قال: فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نزل له عنها.

خرج إلى ضيعته وتكاتب هو ونديمه أبو نهشل بشعر: وأخبرني الصولي أيضاً بغير إسناد، ووجدت هذا الخبر في كتاب لمحمد بن الحسن الكاتب يرويه عن أبي حسان الفزاري قال: كان أبو نهشل بن حميد صديقاً لعبد الله بن محمد الأمين ونديماً. وكانت لعبد الله ضيعة بالسواد تعرف بالعمرية، فخرج إليها وأقام بها أياماً. فكتب إليه أبو نهشل:

حللت به يا مؤنسي وأميري
وأنت أخي حقاً وأنت سروري

سقى الله بالعمرية الغيث منزلاً
فأنت الذي لا يخلق الدهر ذكره

فأجابه عبد الله:

فإن هواكم حيث كنت ضميري
وكن شوقي من سخطكم ومجير

لئن كنت بالعمرية اليوم لا هيأ
فلا تحسبني في هواكم مقصراً

قال محمد بن الحسن في خبره: وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحناً، وصنع فيها سليماً بن سلام لحناً آخر. نادى الوائق والخلفاء من بعده إلى المعتمد، وشعر له فيه: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال: كان عبد الله بن محمد الأمين ينادم الوائق ثم نادى بعده سائر الخلفاء إلى المعتمد. قال: وأنشدني له في المعتمد:

فما زلت أدعو إلهي لكا
وآمنني الله من فقدكما

رأيت الهلال على وجهكا
فلا زلت تحيا وأحيا معاً

قال: ومن شعره - وله فيه لحن من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل - : صوت

تراه صباً متيم
فما تراه يكلم
ممن يراك فيسلم

يا من به كل خلق
ومن تجالل تيهاً
لا شيء أعجب عندي

فأما دير حنظلة الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صناعته متقدماً، فإنه ديرٌ بالجزيرة. أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني أبو المحكم لحنظلة بن أبي عفراء أحد بني حبة الطائيين وهو رهط أبي زبيد ورهط إياس بن قبيصة:

أرى قمر الليل المغرب كالفتى
وصورته حتى إذا ما هو استوى
ويمصح حتى يستسر فلا يرى
وتكراره في دهره بعد ما مضى
وتأتي الجبال من شماريخها العلا
وإن قال أخرنى وخذ رشوةً أبى
فتنفعه الشكوى إليهن إن شكا

ومهما يكن الزمان فإنني
يهل صغيراً ثم يعظم ضوؤه
تقارب يخبو ضوؤه وشعاعه
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه
تصبح أهل الدار والدار زينةً
فلا ذا غنى يرجئن عن فضل ماله
ولا عن فقيرٍ يأتخرن لفقره

قال: وكان حنظلة هذا قد تعبد الجاهلية وتفكر في أمر الآخرة وتنصر وبني ديراً بالجزيرة؛ فهو الآن يعرف به يقال دير حنظلة. وفيه يقول الشاعر:

يا دير حنظلة المهيج لي الهوى قد تستطيع دواء عشق العاشق

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن

المتوكل

كان عبد الله بن المتوكل جمع له صنعة مقدارها أكثر من ثلثمائة صوت، منها الجيد الصنعة و منها المتوسط، قد سمعنا كثيراً منها؛ إلا أني أذكر من ذلك ما عرفت شاعره وكان له خبرٌ يتصل به حسب ما شرطناه في هذا الكتاب وضمنناه إياه من الأخبار، ثم أذكر أخبار أبي عيسى بعد ذلك: قال ابن المعتز حدثني النميري قال سمعت أبا عيسى بن المتوكل يقول: إذا أتممت صنعة ثلثمائة صوت وستين صوتاً عدد أيام السنة تركت الصنعة، فلما صنعها ترك الصنعة. فمنها - وهو لعمرى من جيد الغناء وفاخر الصنعة، ولو لم يصنع غيره لكفاه - في شعر العتاهية: صوت

يضطرب الخوف والرجاء إذا حرك موسى القضيبي أو فكر

ولحنه من الثقيل الأول. والشعر لأبي العتاهية، وقد مضت أخباره؛ وإنما قدمت ذكره بجودة صنعته وأنه شبه فيه بصنعة الفحول ومحكم أغاني الأوائل. ومنها:

هي النفس ما حملتها تتحمل وللدهر أيامٌ تجور وتعدل

وعاقبة الصبر الجميل جميلةً وأفضل أخلاق الرجال التجمل

الشعر لعلي بن الجهم. والغناء لأبي عيسى بن المتوكل، ثاني ثقلٍ بالوسطى.

أخبار علي بن الجهم ونسبه

نسبه ونسب قبيلته بني سامة: هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز بن كعب بن مالك بن عيينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن بن لؤي بن غالب. هكذا يدعون، وقريش تدفعهم عن النسب وتسميهم بني ناجية، ينسبون إلى أمهم ناجية. وهي امرأة سامة بن لؤي. وكان سامة، فيما يقال، خرج إلى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب بن لؤي في مفاظة كانت بينهما، فطأطأت

ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب، فعلق بمشفرها أفعى فعطفته على قتبها فحكته به، فدب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامة فقتله. فقال أخوه يرثيه :

عين جودي لسامة بن لؤي

علفت ساق ساقه العلاقه

رب كأس هرقنها ابن لؤي

حذر الموت لم تكن مهراقه

وقال من يدفع بني سامة من نساي قريش: وكانت معه امراته ناجية. فلما مات تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولدت منه الحارث، ومات أبوه وهو صغير. فلما ترعرع طمعت أمه في أن تلحقه بقريش، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي. فرحل من البحرين إلى عمه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة. فعرف كعب أمه وظنه صادقاً في دعواه. ومكث عنده مدة، حتى قدم مكة ركب من أهل البحرين، فرأوا الحارث فسلموا عليه وحادثوه ساعة. فسألهم عن كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه، فقالوا له: هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان، وشرحوا له خبره. فنفاه كعب ونفى أمه، فرجعا إلى البحرين فكانا هناك، وتزوج الحارث وأعقب هذا العقب. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " عمي سامة لم يعقب ". وكان بنوا ناجية ارتدوا عن الإسلام. ولما ولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام؛ فأسلم بعضهم وأقام الباقون على الردة فسيبهم واسترقهم؛ فأشتراهم مصقلة بن هبيرة منه وأدى ثلث ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه، ثم أعتقهم وهرب من تحت ليله إلى معاوية، فصاروا أحراراً، ولزمه الثمن، فشعث علي بن أبي طالب شيئاً من داره، وقيل بل هدمها. فلم يدخل مصقلة الكوفة حتى قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وزعم ابن الكلبي: أن سامة بن لؤي ولد غالب بن سامة وأمّه ناجية، ثم هلك سامة فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة، ثم هلك ابن سامة ولم يعقبا، وأن قوماً من بني ناجية بنت جرم بن ربان علاف ادعوا أنهم بنو سامة بن لؤي، وأن أمهم ناجية هذه ونسبوا هذا النسب، وانتموا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مصقلة. قال: ودليل ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جرم قول علقمة الخصي التميمي أحد بني ربيعة بن مالك:

زعمتم أن ناجي بنت جرم

عجوزٌ بعد ما بلي السنم

فإن كانت كذاك فألبسوها

فإن الحلّى للأنثى تمام

وهذا أيضاً قول الهيثم بن عدي. فأما الزبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال: هم قريش العازبة. وإنما سموا العازبة لأنهم عزبوا عن قومهم فنسبوا إلى أمهم ناجية بنت جرم بن ربان وهو علاف، وهو أول من اتخذ الرجال العلافية فنسبت إليه. واسم ناجية ليلي؛ وإنما سميت ناجية لأنها سارت في مفازة معه فعطشت فاستسقت ماء، فقال لها: الماء بين يديك، وهو يريها السراب، حتى جاءت الماء فشربت وسميت ناجية. وللزبير في إدخاها في قريش مذهبٌ وهو مخالفة فعل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وميله إليهم لإجماعهم على بغضه رضي الله عنه،

حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير في ذلك.

كان شاعراً فصيحاً اختص بالمتوكل وهجاء عليا وشيعته: وكان علي بن الجهم شاعراً فصيحاً مطبوعاً؛ وخص بالمتوكل حتى صار من جلسائه، ثم أبغضه لأنه كان كثير السعاية إليه بندمائه والذكر لهم بالقبيح عنده، وإذا خلا به عرفه أنهم يعيبونه ويثلبونه ويتنقصونه، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة، فنفاه بعد أن حبسه مدة. وأخباره تذكر على شرح بعد هذا. وكان ينحو نحو مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة، وهو القائل:

ورافضة تقول بشعب رضوى إمامٌ خاب ذلك من إمام

إمامٌ من له عشرون ألفاً من الأتراك مشرعة السهام
وفيه يقول البحتري:

إذا ما حصلت عليا قريش
وما رغنأوك الجهم بن بدر
ولو أعطاك ربك ما تمنى
علام هجوت مجتهداً علياً
أما لك في استك الوجعاء شغل
من الأتراك مشرعة السهام
فلا في العير أنت ولا النفير
من الأقمار ثم ولا البدور
لزد الخلق في عظم الأيور
بما لفقت من كذب وزور
يكفك عن أذى أهل القبور

وسمعه أبو العيلاء يوماً يطعن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: أنا أدري لما تطعن على علي أمير المؤمنين. فقال له: أتعني قصة بيعة أهلي من مصقلة بن هبيرة؟ قال: لا! أنت أوضع من ذلك، ولكن لأنه قتل الفاعل فعل قوم لوط والمفعول به، وأنت أسفلهما.

هجا بختيشوع فسبه عند المتوكل فحبسه سنة ثم نفاه وقال في ذلك شعراً: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الهشامي قال: كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع، فسبه عند المتوكل فحبسه المتوكل. فقال علي بن الجهم في حبسه عدة قصائد كتب بها إلى المتوكل فأطلقه بعد سنة، ثم نفاه بعد ذلك إلى خراسان. فقال أول ما حبس قصيدة كتب بها إلى أخيه، أولها قوله:

توكلنا على رب السماء
ووطننا على غير الليالي
وأفنية الملوك محجبات
هي الأيام تكلمنا وتأسو
وسلمنا لأسباب القضاء
نفوساً سامحت بعد الإباء
وباب الله مبذول الفناء
وتأتني بالسعادة والشقاء

وما يجدي الثراء على غني
 حلبنا الدهر أشطره ومررت
 وجربنا وجرب أولونا
 ولم ندع الحياء لمس ضر
 ولم نحزن على دنيا تولت
 توق الناس يابن أبي وأمي
 ولا يغرك من وغد إحاء
 ألم تر مظهرين علي عيباً
 فلما أن بليت غدوا وراحوا
 أبت أخطارهم أن ينصروني
 وخافوا أن يقال لهم خذلتهم
 تضافرت الروافض والنصارى
 إذا ما كان محذور العطاء
 بنا عقب الشدائد والرخاء
 فلا شيء أعز من الوفاء
 وبعض الضر يذهب بالحياء
 ولم نسبق إلى حسن العزاء
 فهم تبع المخافة والرجاء
 لأمر ما غدا حسن الإخاء
 وهم بالأمس إخوان الصفاء
 علي أشد أسباب البلاء
 بمال أو بجاه أو ثراء
 صديقاً فادعوا قدم الجفاء
 وأهل الاعتزال على هجائي

- يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى بن المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له: -

وعابوني وما ذنبي إليهم
 فبختيشوع يشهد لابن عمرو
 وما الجذماء بنت أبي سمير
 إذا ما عد مثلكم رجالاً
 عليكم لعنة الله ابتداءً
 إذا سميت للناس قالوا
 أنا المتوكلي هوى ورأياً
 وما حبس الخليفة لي بعار
 سوى علمي بأولاد الزناء
 وعزون لهارون المرائي
 بجذماء اللسان عن الخناء
 فما فضل الرجال على النساء
 وعوداً في الصباح وفي المساء
 أولئك شر من تحت السماء
 وما بالوائقية من خفاء
 وليس بمؤيسي منه التنائى

قال أبو الشبل شعره في الحبس كشعر عدي بن زيد: أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشبل
 البرجمي: ما شعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عدي بن زيد .
 حبسه المتوكل بسعاية جلسائه ونفاه إلى خراسان فعذبه طاهر بن عبد الله فقال شعراً: أخبرني عمي قال حدثنا
 محمد قال:

كان سبب حبس المتوكل علي بن الجهم أن جماعة من الجلساء سعوا به إليه وقالوا له: إنه يجمش الخدم ويغمزهم، وأنه كثير الطعن عليك والعيب لك والإزراء على أخلاقك؛ ولم يزالوا به يوغرون صدره عليه حتى حبسه؛ ثم أبلغوه عنه أنه هجاه. فنفاه إلى خراسان وكتب بأن يصلب إذا وردها يوماً إلى الليل. فلما وصل إلى الشاذياخ حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها، ثم أخرج فصلب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أنزل. فقال في ذلك:

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية	الإثنين مسبقاً ولا مجهولاً
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم	شرفاً وملء صدورهم تبجيلاً
ما ازداد إلا رفعةً بنكوله	وازدادت الأعداء عنه نكولا
هل كان إلا الليث فارق غيله	فرأيته في محمل محمولا
لا يأمن الأعداء من شداته	شداً يفصل هامهم تفصيلاً
ما عابه أن بز عنه لباسه	فالسيف أهول ما يرى مسلولا
إن يبتذل فالبدر لا يزري به	أن كان ليلة تمه مبدولا
أو يسلبوه المال يحرن فقده	ضيافاً ألم وطارقاً ونزيراً
أو يحبسوه فليس يحبس سائر	من شعره يدع العزيز ذليلاً
إن المصائب ما تعدت دينه	نعم وإن صعبت عليه قليلاً
والله ليس بغافل عن أمره	وكفى بربك ناصرًا ووكيلاً
ولتعلمن إذا القلوب تكشفت	عنها الأكنة من أضل سبيلاً

كتب المتوكل لطاهر بإطلاقه فأطلقه فقال شعراً: أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كتب المتوكل إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجهم. فلما أطلقه قال:

أطاهر إني عن خراسان راحل	ومستخبرٌ عنها فما أنا قائل
أصدق أم أكني عن الصدق أيما	تخيرت أدته إليك المحافل
وسارت به الركبان واصطفقت به	أكف قيان واجتبتته القبائل
وإني بغالي الحمد والذم عالم	بما فيهما نامي الرمية ناضل
وحقاً أقول الصدق إني لمائل	إليك وإن لم يحظ بالود مائل
ألا حرمةً ترعى ألا عقد ذمة	لجارٍ ألا فعلٌ لقولٍ مشاكل
ألا منصفٌ إن لم نجد متفضلاً	علينا ألا قاضٍ من الناس عادل

فلا تقطعن غيظاً علي أناملاً
أطاهر إن تحسن فإنني محسنٌ
فقبلك ما عضت علي الأنامل
إليك وإن تبخل فإنني باخل

فقال له طاهر: لا تقل إلا خيراً فإنني لا أفعل بك إلا ما تحب؛ فوصله وحمله وكساه.
جمش جارية فباعده فباعده فقال شعراً فأجابته: أخبرني عمي قال حدثني محمد قال: كان علي بن الجهم في مجلس فيه
قينة، فعابثها وجهشها، فباعده وأعرضت عنه، فقال فيها:

خفي الله فيمن قد تبلت فؤاده
دعي البخل لأسمع به منك إنما
وغادرت نضوا كأن به وقرا
سألتك أمراً ليس يعري لكم ظهرا

فقلت له: صدقت يا أبا الحسن، ليس يعري لنا ظهراً، ولكنه يملأ بطناً!! كان يتشاءم من الحارثي فرآه فقال
شعراً: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدير قال حدثنا علي
بن الجهم قال: كان الحارثي يجيء إلى حلوان وأنا أتولاهما - وكان علي بن الجهم على مظلها - فإذا وردها
وقع الإرجاف ، فلم يزل متصلاً حتى يخرج، فإذا خرج سكن الإرجاف. فأتاني مرة وظهر كوكب الذنب في
تلك الليلة، فقلت:

لما بدا أيقنت بالعطب
لم يطلعا إلا لأبدية
فسألت ربي خير منقلب
الحارثي وكوكب الذنب

قال ابن المدير: وكان الحارثي أعور مقبح الوجه، وفيه يقول أبو علي البصير:

يا معشر البصراء لا تتطرفوا
ردوا علي الحارثي فإنه
جيشي ولا تتعرضوا لنكيري
أعمى يدلس نفسه في العور

انتحل شعراً لإبراهيم بن العباس: أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدير لعلي بن
الجهم وذكر أن علياً أنشده إياه لنفسه:

أميل مع الزمام على ابن أمي
وإن ألفيتني حراً مطاعاً
وأخذ للصديق من الشقيق
فإنك واجدي عبد الصديق
أفرق بين معروفني ومني
وأجمع بين مالي والحقوق

فقال إبراهيم: كذب والله علي بن الجهم وأثم. والله لهذا الشعر أشهر بإبراهيم بن العباس من إبراهيم بالعباس أبيه.
قال المتوكل إنه كذاب وأثبت كذبه بكلامه له: أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن
المدير قال قال المتوكل: علي بن الجهم أكذب خلق الله. حفظت عليه أنه أخبرني أنه أقام بخراسان ثلاثين سنة، ثم
مضت مدة أخرى وأنسي ما أخبرني به، فأخبرني أنه أقام بالثغور ثلاثين سنة، ثم مضت مدة أخرى وأنسي

الحكايتين جميعاً، فأخبرني أنه أقام بالجليل ثلاثين سنة، ثم مضت مدةً أخرى فأخبرني أنه أقام بمصر والشَّام ثلاثين سنة، فيجب أن يكون عمره على هذا وعلى التقليل مائةً وخمسين سنة ، وإنما يزاهي سنه الخمسين سنةً. فليت شعري أي فائدة له في هذا الكذب وما معناه فيه !! عرِبِد عليه بعض ولد علي بن هشام فهجاهم: أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن المعتز، وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: إجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس، فعربِد عليه بعضهم، فغضب وخرج من المجلس، واتصل الشر حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه. فقال يهجوهم:

وكيف يستر أمر ليس يستتر	بني متيم هل تدرون ما الخبر
شتى ولكنما للعاهر الحجر	حاجبتكم :من أبوكم يابني عصبٍ
لكن أمكم في أمرها نظر	قد كان شيخكم شيخاً له خطرٌ
دونها الحراس والستر	ولم تكن أمكم والله يكلؤها محجوبةً
وغير ممنوعةٍ منهم إذا سكروا	كانت مغنية الفتيان إن شربوا
لا يمكن الشيخ أن يعصي إذا أمروا	وكان إخوانه غراً غطارفةً
فإن في مثلها قد تخلع العذر	قومٌ أعفاء إلا في بيوتكم
من كل لاقحةٍ في بطنها درر	فأصبحت كمراح الشول حافلةً
نوعا مخانيث في أعناقها الكبر	فجئتم عصباً من كل ناحية
وآخرٌ قرشي حين يتبخر	فواحدٌ كسروي في قراطقه
ومن رماها بكم يأبها القدر	ما علم أمكم من حل منزرها
والله أعلم بالآباء إذ كثروا	قوم إذا نسبوا فالأم واحدةٌ
وأنتم في المخازي فتيةٌ صبر	لم تعرفوا الطعن إلا في أسافلكم
وأمر غيركم من أهلكم خبر	أحببت إعلامكم إني بأمركم
أنتم وذكركم السادات يا عرر	تفكّهون بأعراض الكرام و ما
على جباهكم ما أ ورق الشجر	هذا الهجاء الذي تبقى مياسمه

سعى عند المتوكل بندمائه وبلغه أنه هجاه فحبسه، وأحسن شعره في الحبس: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهيويه قال حدثني بن المدبر قال: كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات. فقال علي بن الجهم: قد بلغني أن العامل قتله وصانع صاحب الخبر حتى كتب بهذا. وكان يسعى

بالجلساء إلى المتوكل فأبغضه وأمره بأن يلزم بيته، ثم بلغه أنه هجاه فحبسه. وأحسن شعر قاله في الحبس بقصيدته التي أولها:

قالت حبست فقلت ليس بضائري	حبسي وأي مهندٍ لا يغمد
أو ما رأيت الليث يألف غيله	كبراً وأوباش السباع تردد
والشمس لو لا أنها محجوبةٌ	عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والبدر يدركه السرار فتتجلي	أيامه وكأنه متجدد
والغيث يحصره الغمام فما يرى	إلا وريقه يروع ويرعد
والزاعبية لا يقيم كعوبها	إلا الثقاف وجذوةٌ تتوقد
والنار في أحجارها مخبوءةٌ	لا تصطلي إن لم تثرها الأزند
والحبس ما لم تغشه لدنيةٌ	شنعاء نعم المنزل المتورد

بيتٌ يجدد للكريم كرامةٌ	ويزار فيه ولا يزور و يحمد
لو لم يكن في الحبس إلا أنه	لا يستذلّك بالحجاب الأعبد
كم من عليل قد تخطاه الردى	فنجا ومات طبيبه والعود
يا أحمد بن أبي دوادٍ إنما	تدعى لكل عزيمة يا أحمد
أبلغ أمير المؤمنين فدونه	خوض الردى ومخاوفٌ لا تنفد
أنتم بنو عم النبي محمدٍ	أولى بما شرع النبي محمد
ما كان من كرمٍ فأنتم أهله	كرمت مغارسكم وطاب المحتد
أمن السوية يا بن عم محمدٍ	خصمٌ تقربه وآخر تبعد
إن الذين سعوا إليك بباطل	حساد نعمتك التي لا تجدد
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا	فيما وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصماء عندك مجلسٌ	يوماً لبان لك الطريق الأqvصد
فبأي جرمٍ أصبحت أعراضنا	نهياً تقسمها اللئيم الأوغد

دخل على المتوكل والطبيب يفحص عله وكانت جاريته قبيحة أغضبه فضر بها ثم اغتم لذلك فقال هو في ذلك شعراً: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل الربيعي قال قال لي علي بن

الجهم: دخلت على المتوكل وقد بلغني أنه كلم قبيحة جاريته بشيء أغضبه، فرماها بمخدة فأصابت عينها فأثرت فيها، فتأوهت وبكت وبكى المعتز لبكائها؛ فخرج المتوكل وقد حم من الغم والغضب. فلما بصري دعاني وإذا الفتح يري بختيشوع القارورة ويشاوره فيها. فقال لي: قل يا علي في علي هذه شيئاً وصف أن الطبيب ليس يدري ما بي؛ فقلت:

تتكر حال علتي الطبيب	وقال أرى بجسمك ما يريب
جسست العرق منك فدل جسي	على ألم له خبرٌ عجيبٌ
فما هذا الذي بك هات قل لي	فكان جوابه مني النحيب
وقلت أيا طبيب الهجر دائي	وقلبي يا طبيب هو الكئيب
فحرك رأسه عجباً لقولي	وقال الحب ليس له طبيب
فأعجبني الذي قد قال جداً	وقلت بلى إذا رضي الحبيب
فقال هو الشفاء فلا تقصر	فقلت أجل ولكن لا يجيب
ألا هل مسعدٌ يبكي لشجوي	فإني هائم فردٌ غريب

فقال: أحسنت وحياتي! يا غلام اسقني قدحاً؛ فجاءه بقدر من مشرب وسقيت الجماعة مثله. وخرجت إليه فضل الشاعرة بأبيات أمرتها قبيحة أن تقولها عنها: فقرأها فإذا هي:

أكتمن الذي في القلب من حرق	حتى أموت ولم يعلم به الناس
ولا يقال شكا من كان يعشقه	إن الشكا لمن تهوى هي اليباس
ولا أبوح بشيء كنت أكتمه	عند الجلوس إذا ما دارت الكاس

فقال المتوكل: أحسنت يا فضل. وأمر لي ولها بعشرين ألف درهم، ودخل إلى قبيحة فترضاها. خرج مع جماعة إلى الشام فقطع عليهم الأعراب الطريق ففر أصحابه وثبت هو وقال شعراً: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال: خرج علي بن الجهم إلى الشام في قافلة، فخرجت عليهم الأعراب في خساف فهرب من كان في القافلة من المقاتلة، وثبت علي بن الجهم فقاتلهم قتالاً شديداً، وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يخطوا بشيء. فقال في ذلك:

صبرت ومثلي صبره ليس ينكر	وليس على ترك التقم يعذر
غريزة حر لا اختلاق تكلف	إذا خام في يوم الوغى المتصبر
ولما رأيت الموت تهفو بنوده	وبانت علامات له ليس تتكر
وأقبلت الأعراب من كل جانب	وثار عجاج أسود اللون أكر

بكل مشيحٍ مستميتٍ مشمرٍ
يجول به طرفٌ أقب مشمر
بأرض خسافٍ حين لم يك دافعٌ
ولا مانعٌ إلا الصفيح المذكر
فقلل في عيني عظم جموعهم
عزيمة قلبٍ فيه ما جل يصغر
بمعتركٍ فيه المنايا جواسرٌ
ونار الوغى بالمشرفية تسعر

فما صنت وجهي عن ظبات سيوفهم
ولا انحزت عنهم والقنا تتكسر
ولم أك في حر الكريهة محجماً
إذا لم يكن في الحرب للورد مصدر
إذا ساعد الطرف الفتى وجنانه
وأسمر خطي وأبيض مبتتر
فذاك، وإن كان الكريم بنفسه ،
إذا اصطكت الأبطال في النقع عسكر
منعتهم من أن ينالوا قلاماً
وكننت شجاهم والأسنة تقطر
وتلك سجايانا قديماً وحادثاً
بها عرف الماضي وعز المؤخر
أبت لي قرومٌ أنجبتني أن أرى
وإن جل خطبٌ خاشعاً أتضجر
أولئك آل الله فهر بن مالكٍ
بهم يجبر العظم الكسير ويكسر
هم المنكب العالي على كل منكبٍ
سيوفهم تفني وتغني وتفقر

قال إن أباه حبسه في الكتاب وهو صبي فكتب إلى أمه شعراً فكذبه إبراهيم بن المدبر: أخبرني عيسى بن الحسين
الوراق والحسن بن علي قالا جميعاً حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عيسى بن أبي حرب قال
حدثني علي بن الجهم قال: حبسني أبي في الكتاب، فكتبت إلى أمي:

يا أمتا أفديك من أم
أشكو إليك فظاظة الجهم
قد سرح الصبيان كلهم
وبقيت محصوراً بلا جرم

قال: وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أمي؛ فأرسلت إلى أبي: والله لئن لم تطلقه لأخرجن حاسرةً حتى أطلقه.
قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال: علي بن الجهم كذاب، وما يمنعه من أن يكون ولد هذا
الحديث وقال هذا الشعر وله ستون سنة، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير، ليرفع من شأن نفسه!
مدح أحمد بن أبي داود وكان منحرفاً عنه ليشفع له في حبسه فقعد عنه فهجاه وشمته به بعد أن نفاه المتوكل:
أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كان أحمد بن أبي داود منحرفاً عن علي بن الجهم لاعتقاده مذهب
الحشوية . فلما حبس علي بن الجهم مدح أحمد بن أبي داود عدة مدائح، وسأله أن يقوم بأمره ويشفع فيه، فلم
يفعل وقعد عنه. فمنها قوله:

تدعى لكل عزيمة يا أحمد
خوض الردى ومخاوف لا تنفد
أولى بما شرع النبي محمد

يا أحمد بن أبي داود إنما
أبلغ أمير المؤمنين ودونه
أنتم بنو عم النبي محمد
وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها:

قالت حبست فقلت ليس بضائري

فلما نفى المتوكل أحمد بن أبي داود شمت به علي بن الجهم وهجاه فقال:

بعثت إليك جناداً وحديداً
بالجهل منك العدل والتوحيداً
ورميته بأبي الوليد وليداً
كهلاً، ولا مستحدثاً معموداً
ذكر القلايا مبدئاً ومعيداً
وبنو إياد صحفةً وثريداً
ضبعاً وختت بني أبيه قروداً
شرقاً تعجل شربه مردوداً
تلك المناخر والثنايا السودا

يا أحمد بن أبي داود دعوة
ما هذه البدع التي سميتها
أفسدت أمر الدين حين وليته
لا محكماً جزلاً ، ولا مستطرفاً
شرهاً، إذا ذكر المكارم والعلا
ويود لو مسخت ربيعة كلها
وإذا تربع في المجالس خلته
وإذا تبسم ضاحكاً شبهته
لا أصبحت بالخير عيناً أبصرت

كتب من حسبه شعراً لطاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين: أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال: كتب علي بن الجهم إلى طاهر من الحبس:

والحق لا يدفعه الباطل
لو نالني من عدلكم نائل
يعرفها العاقل والجاهل
وأهل ما يفعله الفاعل
لا جائرٌ يخفى ولا عادل
منك ولم يأت الذي آمل

إن كان لي ذنبٌ فلي حرمةٌ
وحرمتي أعظم من زلتي
ولي حقوقٌ غير مجهولةٍ
وكل إنسانٍ له مذهبٌ
وسيرةُ الأملاك منقولةٌ
وقد تعجلت الذي خفته

شعره في مقين كان يتزل عنده في جماعة بالكرخ: حدثني عمي قال حدثنا محمد قال:
كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد من النفي، وكانوا يتقانون ببغداد،
ويلزمون منزل مقين بالكرخ يقال له المفضل. فقال فيه علي بن الجهم:

نزلنا بباب الكرخ أطيب منزل	على محسناتٍ من قيان المفضل
فلاّبن سريج والغريض ومعبدٍ	بدائع في أسماعنا لم تبدل
أوانس ما للضيف منهن حشمةٌ	ولا ربهن بالجليل المبجل
يسر إذا ما للضيف قل حياؤه	ويغفل عنه وهو غير مغفل
ويكثر من ذم الوقار وأهله	إذا الضيف لم يأنس ولم يتبدل
ولا يدفع الأيدي المريبة غيراً	إذا نال حظاً من لبوسٍ ومأكل
ويطرق إطراق الشجاع مهابةً	ليطلق طرف الناظر المتأمل
أشربيدٍ واغمز بطرفٍ ولا تخف	رقيباً إذا ما كنت غير مبخل
وأعرض عن المصباح والهج بمثله	فإن خمد المصباح فادن وقبل
وسل غير ممنوعٍ وقل غير مسكتٍ	ونم غير مذعورٍ وقم غير معجل
لك البيت ما دامت هداياك جمّةً	وكنت ملياً بالنبذ المعسل
فبادر بأيام الشباب فإنها	تقضى وتقنى والغواية تتجلى
ودع عنك قول الناس أتلف ماله	فلانٌ فأضحى مدبراً غير مقبل
هل الدهر إلا ليلةً طرحت بنا	أواخرها في يومٍ لهوٍ معجل
سقى الله باب الكرخ من منتزهٍ	إلى قصر وضاحٍ فبركة زلزل
مساحب أذيال القيان ومسرح ال	حسان ومثوى كل خرقٍ معذل
لو أن امرأ القيس بن حجرٍ يحلها	لأقصر عن ذكر الدخول وحومل
إذا لراى أن يمنح الود شادناً	مقصر أذيال القبا غير مسبل
إذا الليل أدنى مضجعي منه لم يقل	عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

أنشد إبراهيم بن المدبر شعراً لنفسه فكذبه وقال إن الشعر لإبراهيم بن العباس: حدثني الحسن بن علي قال حدثنا
ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال أنشدني علي بن الجهم لنفسه:

وإذا جرى الله أمراً بفعاله
فجزى أحاً لي ماجداً سمحا

ناديته عن كربة فكأنما

أطلعت عن ليل به صباحا

فقلت له: ويلك! هذا لإبراهيم بن العباس يقوله في محمد بن عبد الملك الزيات! فجحدني وكابر. فدخل يوماً علي بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده. فلما رأي قال: اجتمع الإبراهيمان. فتركته ساعة ثم أنشدت البيتين، وقلت لإبراهيم بن العباس: إن هذا يزعم أن هذين البيتين له. فقال: كذب، هذان لي في محمد ابن عبد الملك بن الزيات. فقال له علي بن الجهم بقحة: ألم أهلك أن تتحل شعري! فغضب إبراهيم وجعل يقول له بيده: سوءة عليك سوءة لك! ما أوقفك! وهو لا ينكر في ذلك ولا يحجل. ثم التقينا بعد مدة فقال: رأيت كيف أخزيت إبراهيم بن العباس!! فجعلت أعجب من صلابة وجهه. شعر له في الفراق: حدثني عمي قال أنشدنا محمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء:

اعلمي يا أحب شيء إليا

أن شوقي إليك قاضٍ عليا

إن قضى الله لي رجوعاً إليكم

لا ذكرت الفراق ما دمت حيا

إن حر الفراق أنحل جسمي

وكوى القلب منك بالشوق كيا

كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عنه ويسبعه عند الخليفة فهجاه: حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عن علي بن الجهم وكان يسبعه عند الخليفة ويعيبه ويذكره بكل قبيح. فقال فيه علي بن الجهم:

لعائن الله متابعات

مصباحاتٍ ومهجرات

على ابن عبد الملك الزيات

عرض شمل الملك للشئات

وأنفذ الأحكام جائرات

على كتاب الله ذاريات

وعن عقول الناس خارجات

يرمي الدواوين بتوقيعات

معقدات كرقى الحيات

سبحان من جل عن الصفات

بعد ركوب الطوف في الفرات

وبعد بيع الزيت بالحبات

صرت وزيراً شامخ الثبات

هارون يا ابن سيد السادات

أما ترى الأمور مهملات

تشكو إليك عدم الكفاة

فعاجل العالج بمرهفات

من بعد ألف صخب الأصوات

بمثمرات غير مورقات

ترى بمتتيه مرصقات

ترصف الأسنان في اللثات

استترفد عمر بن الفرّج فلم يرفده ثم قبض على عمر فشمت وقال شعراً: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال: كان علي بن الجهم سأل عمر بن الفرّج الرخجي معاونته، واسترفده في نكبته فلم يعاونه ولم يرفده، ثم قبض على عمر بن الفرّج وأسلم إلى نجاح ليصادره. فقال علي بن الجهم له:

أبلغ نجاحاً فتى الفتیان مألکةً تمضي بها الريح إصداراً وإيراداً

لن يخرج المال عفواً من يدي عمرٍ أو يغمد السيف في فوديه إغماداً

الرخجيون لا يوفون ما وعدوا والرخجيات لا يخلفن ميعاداً

قال وقال في عمر بن الفرّج أيضاً:

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما تيه الملوك وأفعال المماليك

أردت شكراً بلا برٍ ومرزئةٍ لقد سلكت طريقاً غير مسلوك

ظننت عرضك لا يرمى بقارعةٍ وما أراك على حالٍ بمتروك

تمثل بشعره نديم لسليمان بن وهب وكان عربد عليه وأغضبه فرضي عنه: أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال: كان لسليمان بن وهب نديمٌ يأنس به ويألفه، فعربد عليه ليلةً من الليالي عربدةً قبيحةً، فاطرحه وجفاه مدة. فوقف له على الطريق. فلما مر به وثب إليه فقال له: أيها الوزير، ألا تكون في أمري كما قال علي بن الجهم:

القوم إخوان صدقٍ بينهم نسب من المودة لم يعدل بها نسب

تراضعوا درة الصهباء بينهم فأوجبوا لرضيع الكأس ما يجب

لا تحفظن على السكران زلته ولا تربيينك من أخلاقه ريب

فقال له سليمان: قد رضيت عنك رضاً صحيحاً، فعد إلى ما كنت عليه من ملازمتي.

وأول هذه الأبيات:

الورد يضحك والأوتار تصطخب والنأي يندب أشجاناً وينتخب

والراح تعرض في نور الربيع كما تجلى العروس عليها الدر والذهب

واللهو يلحق مغبوقاً بمصطبحٍ والدور سيات محثوثٌ ومنتخب

وكلما انسكبت في الكأس آونةً أقسمت أن شعاع الشمس ينسكب

أنشد عبد الله بن طاهر شعراً وكان مغتماً فسرى عنه: أخبرني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أسلم مولى عبد الله بن طاهر قال: دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غدوة من غدوات الربيع وفي السماء غيم رقيق والمطر يجيء قليلاً ويسكن قليلاً، وقد كان عبد الله عزم على الصبح. فغاضبته حظية له،

فتنغص عليه عزمه وفتر. فخير علي بن الجهم بالخير وقيل له: قل في هذا المعنى شيئاً، لعله ينشط للصباح. فدخل عليه فأنشده: صوت

أما ترى اليوم ما أحلى شمائله
صحوٌ وغيمٌ وإبراقٌ وإرعاد
كأنه أنت يا من لا شبيه له
وصلٌ وهجرٌ وتقريبٌ وإبعاد
فباكر الراح واشربها معتقّةً
لم يدخر مثلها كسرى ولا عاد
واشرب على الروض إذ لاحت
زهراً ونوراً وأوراقٌ وأوراد
زخارفه
كأنما يومنا فعل الحبيب بنا
وليس يذهب عني كل فعلكم
بذلٌ وبخلٌ وإبعادٌ وميعاد
غيٌّ ورشدٌ وإصلاحٌ وإفساد

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلاثمائة دينار؛ وحمله وخلع عليه، وأمر بأن يغنى في الأبيات. الغناء لبذل الطاهرية، خفيف رمل. وفيه لغيرها هزج.

جلس في المقابر بعد خروجه من السجن

حدثني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني رجلٌ من أهل خراسان قال: رأيت علي بن الجهم بعدما أطلق من حبسه جالساً في المقابر؛ فقلت له: ويحك! ما يجلسك ها هنا؟! فقال:

يشتاق كل غريب عند غربته
ويذكر الأهل والجيران والوطنا

وليس لي وطنٌ أمسيت أذكره
إلا المقابر إذ صارت لهم وطنا

شعر له وفيه غناء: حدثني عمي قال أنشدنا أحمد بن عبيد ومحمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء: صوت

لو تتصلت إلينا
لو هبنا لك ذنبك
بأبي ما أبغض العي
ش إذا فارقت قربك
ليتني أملك قلبي
مثل ما تملك قلبك
أيها الواصل بالله
لقد ناصحت ربك
ما رأى الناس إماماً
أنهب الأموال نهبك
أصبحت حجتك العل
يا وحزب الله حزبك

الغناء لعريب رملٌ. وفيه لغيرها هزجٌ.
مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئاً فهجاه: حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كان علي بن الجهم
قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يعطه شيئاً، فقال يهجوهُ:

يا أبا أحمد لا ين	جي من الشعر الفرار
لبني العباس أحلا	مّ عظامٌ ووقار
ولهم في الحرب إقدا	مّ ورأيٍ واصطبار
ولهم ألسنةٌ تب	ري كما تبري الشفار
ووجوهٌ كنجوم اللي	ل تهدي من يحار
ونسيمٌ كنسيم الرو	ض جادته القطار
ولعطفيك عن المج	د شماسٌ وازورار
إن تكن منهم بلا ش	ك فللعود قتار

رثى عبد الله بن طاهر بشعر وأنشده ابنه يعزیه: حدثني جحظة وعمي قالاً حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
قال: دخل إلينا علي بن الجهم بعقب موت أبي والمجلس حافلٌ بالمعزين، فمثل قائماً وأنشدنا يرثیه:

أي ركن وهى من الإسلام	أي يومٍ أخنى على الأيام
جل رزء الأمير عن كل رزءٍ	أدركته خواطر الأوهام
سلبتنا	

المعتز وهو مصطبغٌ على صوتٍ اختاره واقترحه على عريب، وأظن الصنعة لها، فلم يزل يشرب عليه بقية يومه، فلما سكر أمر لها بثلاثين ألف درهم، وفرق على الجلساء كلهم الجوائز والطيب والخلع. والصوت:

العين بعدك لم تنتظر إلى حسنٍ والنفس بعدك لم تسكن إلى سكن
كأن نفسي إذا ما غبت غائبةً حتى إذا عدت لي عادت إلى بدني

والشعر لعلي بن الجهم.

خرج مع عبد الله بن طاهر للصيد وشربوا فقال شعراً يصف ذلك: حدثني جحظة ومحمد بن خلف ووكيعة وعمي قالوا جميعاً حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: لما أطلق أبي طاهر علي بن الجهم من الحبس أقام معه بالشاذياخ مدةً. فخرجوا يوماً إلى الصيد، واتفق لهم مرجٌ كثير الطير والوحش، وكانت أيام الزعفران، فاصطادوا صيداً كثيراً حسناً، وأقاموا يشربون على الزعفران. فقال علي بن الجهم يصف ذلك:

وطئنا رياض الزعفران وأمسكت علينا البزاة البيض حمر الدراج
ولم تحمها الأدغال منا وإنما أبحنا حماها بالكلاب النواج
بمستروحاتٍ سابحاتٍ بطونها على الأرض أمثال السهام الزوالج
ومستشرفاتٍ بالهوادي كأنها وما عقلت منها رؤوس الصوالج

ومن دالعاتٍ ألسناً فكأنها لحى من رجالٍ خاضعين كواسج
فلينا بها الغيطان فلياً كأنها أنامل إحدى الغانيات الحوالج
فقل لبغاة الصيد هل من مفاخرٍ بصيدٍ وهل من واصفٍ أو مخرج
قرنا بزاةً بالصقور وحومت شواهيننا من بعد صيد الزمامج

كتب من حبسه إلى المتوكل شعراً: حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: كتب علي بن الجهم إلى المتوكل وهو محبوس: صوت

أقلني أقالك من لم يزل يقيق ويصرف عنك الردى
ويغذوك بالنعم السابغات وليداً وذا ميعهٍ أمردا
وتجري مقاديره بالذي تحب إلى أن بلغت المدى
ويليك حتى لو ان السماء تنال لجاوزتها مصعدا
فما بين ربك جل اسمه وبينك إلا نبي الهدى

فشكراً لأنعمه إنه
و عفوك من مذنبٍ خاضعٍ
إذا ادرع الليل أفضى به
عفا الله عنك ألا حرمة
لئن جل ذنبٌ ولم أعتمد
ألم تر عبداً عدا طوره
ومفسد أمرٍ تلافيته
فلا عدت أعصيك فيما أمر
وإلا فخالفت رب السماء
وكننت كعزرون أو كابن عمرو
يكثُر في البيت صبيانه

إذا شكرت نعمةً جددا
قرنت المقيم به المقعدا
إلى الصبح من قبل أن يرقدا
تعوذ بفضلك أن أبعدا
لأنت أجل وأعلى يدا
ومولى عفا ورشيداً هدى
فعاد فأصلح ما أفسدا
ت حتى أزور الثرى ملحدا
وخنت الصديق وعفت الندى
مبيح العيال لمن أولدا
يغيظ بهم معشراً جسدا

شمت بأحمد بن أبي داود حين فلج وقال شعراً يهجوهُ: حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال: لما فلج ابن أبي داود شمت به علي بن الجهم وأظهر ذلك له وقال فيه:

لم يبق منك سوى خيالك لامعاً
فرحت بمصرعك البرية كلها
كم مجلسٍ لله قد عطلته
ولكم مصابيحٍ لنا أطفأتها
ولكم كريمةٍ معشرٍ أرملتها
إن الأسارى في السجون تفرجوا
وغدا لمصرعك الطبيب فلم يجد
فدق الهوان معجلاً ومؤجلاً
لا زال فالجك الذي بك دائماً

فوق الفراش ممهداً بوساد
من كان منهم موقناً بمعاد
كي لا يحدث فيه بالإسناد
حتى يزول عن الطريق الهادي
ومحدثٍ أوثقت في الأقياد
لما أتتك مواكب العواد
شيئاً لدائك حيلة المرتاد
والله رب العرش بالمرصاد
وفجعت قبل الموت بالأولاد

شعر له غنت فيه عريب: أنشدني عمي لابن الجهم وفيه غناء لعريب:

نطق الهوى بجوى هو الحق
وملكتني فليهنك الرق

رفقاً بقلبي يا معذبه

رفقاً وليس لظالم رفق

وإذا رأيته لا تكلمني

وأنشدني له وفيه غناء أيضاً، ويقال إنه آخر شعر قاله:

يا رحمةً للغريب بالبلد الن

ازح ماذا بنفسه صنعا

فارق أحبابه فما انتفعوا

بالعيش بعده وما انتفعا

هجا مغنياً بشعر: وقال لمغنٍ حضر معه مجلساً وكان غير طيب:

كنت في مجلس فقال مغني ال

قوم كم بيننا وبين الشتاء

فذرعت البساط مني إليه

قلت هذا المقدار قبل الغناء

فإذا ما عزمت أن تتغنى

أذن الحر كله بانقضاء

استشفع بقبيحة إلى المتوكل وهو في حبسه فأرسلت إليه ابنها المعتز: أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال: لما حبس أمير المؤمنين المتوكل علي بن الجهم، وأجمع المجلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كل مكروه ووصفهم مساويه، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكره حقوقه عليه، وهي:

عفا الله عنك ألا حرمة

تعوذ بعفوك أن أبعدا

ووجه بها إلى بيدون الخادم، فدخل بها إلى قبيحة وقال لها: إن علي بن الجهم قد لاذ بك وليس له ناصرٌ سواك، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل من أهل السنة وهم روافض، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله. فدعت المعتز وقالت له: اذهب بهذه الرقعة يا بني إلى سيدك وأوصلها إليه، فجاء بها ووقف بين يدي أبيه. فقال له: ما معك فديتك؟ فدنا منه وقال: هذه رقعة دفعتها إلي أُمِّي. فقرأها المتوكل وضحك. ثم أقبل عليهم فقال: أصبح أبو عبد الله - فديته - خصمكم. هذه رقعة علي بن الجهم يستقبل، وأبو عبد الله شفيعه، وهو ممن لا يرد، وقرأها عليهم. فلما بلغ إلى قوله:

فلا عدت أعصيك فيما أمرت

إلى أن أحل الثرى ملحدا

وإلا فخالفت رب السماء

وخنت الصديق وعفت الندى

وكنت كعزّون أو كابن عمرو

مبيح العيال لمن أولدا

وثب ابن حمدون وقال للمعتز: يا سيدي فمن دفع هذه الرقعة إلى السيدة؟ قال بيدون الخادم: أنا. فقالوا له: أحسنت. تعادينا وتوصل رقعة عدونا في هجائنا!! فانصرف بيدون وقام المعتز فانصرف. واستلب ابن حمدون قوله:

وكننت كعزون أو كابن عمرو

مبيح العيال لمن أولدا

فجعل ينشدهم إياه وهم يشتمون ابن حمدون ويضحون والمتوكل يضحك ويصفق ويشرب حتى سكر ونام، وسرقوا قصيدته من بين يدي المتوكل وانصرفوا، ولم يوقع بإطلاقه ونسيه. فقالوا لابن حمدون: ويلك! تعيد هجاءنا وشتمنا!! فقال: يا حمقى والله لو لم أفعل ذلك فيضحك ويشرب حتى يسكر وينام لوقع في إطلاقه ووقعنا معه في كل ما نكره.

هنا المتوكل بفتح أرمينية: أخبرني علي بن الحسين قال حدثني جعفر بن هارون بن زياد قال حدثني أحمد بن حمدون قال: لما افتتحت أرمينية وقتل إسحاق بن إسماعيل دخل علي بن الجهم فأنشد المتوكل قصيدته التي يهنيه فيها بالفتح ويمدحه، فقال فيها وأوماً بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاق بن إسماعيل:

أهلاً وسهلاً بك من رسول

جئت بما يشفي من الغليل

بجملة تغني عن التفصيل

برأس إسحاق بن إسماعيل

قهرأ بلا ختل ولا تطويل

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتداه، وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم، وتم القصيدة. وفيها يقول:

جاوز نهر الكر بالخيول

تردي بفتيان كأسد الغيل

معودات طلب الذحول

خزر العيون طيبي النصول

شعث على شعث من الفحول

جيش يلف الحزن بالسهول

كأنه معتلج السيول

يسوسه كهل من الكهول

لا ينثني للصعب والذلول

على أغر واضح الحبول

حتى إذا أصحر للمخدول

ناجزه بصارم صقيل

ضرباً طلعاً ليس بالقليل

ومنجنيق مثل حلق الفيل

ترفض عن خرطومه الطويل

صواعق من حجر السجيل

تترك كيد القوم في تضليل

ما كان إلا مثل رجع القيل

حتى انحلت عن حزبه المفلول

وعن نساء حسر ذهول

صوارخ يعثرون في الذبول

ثواكل الأولاد والبعول

لا والذي يعرف العقول

من غير تحديد ولا تمثيل

ما قام لله ولا للرسول

بالدين والدنيا وبالتزويل

خليفة كجعفر المأمول

مدح المتوكل بقصيدة وأرسلها من حبسه مع علي بن يحيى: أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال: رأيت مع علي بن يحيى المنجم قصيدة علي بن الجهم بمدح المتوكل ويصف الهاروني ، فقلت له: يا أبا الحسن، ما هذه القصيدة معك؟ فضحك وقال: قصيدة لعلي بن الجهم سألني عرضها على أمير المؤمنين فعرضتها. فلما سمع قوله:

وقبة ملك كأن النجو م تصغي إليها بأسرارها

تخر الوفود لها سجداً إذا ما تجلت لأبصارها

وفوارة ثأرها في السماء فليست تقصر عن ثأرها

ترد على المزن ما أنزلت إلى الأرض من صوب مدرارها

تمل وجهه واستحسنها. فلما انتهيت إلى قوله:

تبوأ بعدك قعر السجون وقد كنت أرثي لزوارها

غضب وتربد وجهه وقال: هذا بما كسبت يداه، ولم يسمع تمام القصيدة. شاع مذهبه وشره فسافر حلب فقتل في الطريق وقال شعراً قبل موته: أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال: لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشره وذكره كل أحد بسوء من صديقه وعدوه تحاماه الناس، فخرج عن بغداد إلى الشام، فاتفقنا إلى قافلة إلى حلب. وخرج علينا نفرٌ من الأعراب، فتسرع إليهم قومٌ من المقاتلة، وخرج فيهم فقاتل قتالاً شديداً وهزم الأعراب. فلما كان من غدٍ خرج علينا منهم خلقٌ كثير، فتسرع إليهم المقاتلة وخرج فيهم فأصابته طعنةٌ قتلتها، فجئنا به واحتملناه وهو يتزف دمه. فلما رأي بكى وجعل يوصيني بما يريد. فقلت له: ليس عليك بأس. فلما أمسينا قلق قلقاً شديداً وأحس بالموت، فجعل يقول:

أزيد في الليل ليل أم سال بالصبح سيل

ذكرت أهل دجيل وأين مني دجيل

فأبكى كل من كان في القافلة، ومات مع السحر، فدفن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب. ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل صوت

إن الناس غطوني تغطيت عنهم وإن حثوا عني ففيهم مباحث

وإن حفروا بئري حفرت بئارهم فسوف ترى ماذا تنثر النبائث

الشعر لأبي دلالة. والغناء لأبي عيسى بن المتوكل، ولحنه ثقیلٌ أول عن المعتز.

أخبار أبي دلالة ونسبه

نسبه وهو مولى لبني أسد وكان فاسد الدين متهتكاً: أبو دلامة زند بن الجون. وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول " زيد " بالياء، وذلك خطأ، وهو زند بالنون، وهو كوفي أسود، مولى لبني أسد. كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال لع فضافض فأعتقه. وأدرك آخر أيام بني أمية، ولم يكن له في أيامهم نباهة، ونبغ في أيام بني العباس، وانقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور والمهدي، فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيون مجالسته ونوادره. وقد كان انقطع إلى روح بن حاتم المهلي أيضاً في بعض أيامه. ولم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إلى أبي دلامة من المنصور خاصة. وكان فاسد الدين، رديء المذهب، مرتكباً للمحارم، مضيعاً للفروض، مجاهراً بذلك، وكان يعلم هذا منه ويعرف به، فيتجافى عنه للطف محله.

أول شعر عرف به: وكان أول ما حفظ من شعره وأسنيت الجوائز له به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم. فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن داود بن الجراح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حبيب قال: لما قال أبو دلامة قصيدته في قتل أبي مسلم التي يقول فيها:

عليك بما خوفتني الأسد الورد

أبا مسلم خوفتني القتل فاتتحي

على عبده حتى يغيرها العبد

أبا مسلم ما غير الله نعمة

أنشدها المنصور في محفل من الناس، فقال له: احتكم. قال: عشرة آلاف درهم. فأمر له بها. فلما خلا به قال له: إيه !! أما والله لو تعديتها لقتلتك.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن مسلم عن أبيه: سمى لي أبو دلامة نفسه زنداً " بالنون " ابن الجون. وأسلم مولاه فضافض. وله أيضاً شعر، وكان في الصحابة.

أعفاه المنصور من لبس السواد والقلانس دون الناس: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين المهلي قال: كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها، وأن يعقلوا السيوف في المناطق، ويكتبوا على ظهورهم " فسيكفيكم الله وهو السميع العليم " فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي. فقال له أبو جعفر: ما حالك؟ قال: شر حال، وجهي في نصفي، وسيفي في استي، وكتاب الله في وراء ظهري، وقد صبغت بالسواد ثيابي، فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك، وقال له: إياك أن يسمع هذا منك أحد .

ونسخت من كتاب لابن النطاح فذكر مثل هذه القصة سواءً وزاد فيها:

فجاد بطول زاده في القلانس

وكنا نرجي من إمام زيادة

دنان يهود جللت بالبرانس

تراها على هام الرجال كأنها

فضحك منه وأعفاه.

طلب من المنصور أو السفاح، كلب صيد ثم تدرج في الطلب إلى أشياء كثيرة:

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني الجاحظ قال: كان أبو دلامة بين يدي المنصور واقفاً - وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة أنه كان واقفاً بين يدي السفاح - فقال له: سلمي حاجتك. قال أبو دلامة: كلبٌ أتصيد به. قال له: أعطوه إياه. قال: ودابة أتصيد عليها. قال: أعطوه. قال: وغلامٌ يصيد بالكلب ويقوده. قال: أعطوه غلاماً. قال: وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه. قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها. فقال: أعطوه داراً تجمعهم. قال: فإن لم تكن ضيعةً فمن أين يعيشون! قال: قد أعطيتك مائة جريب عامرةً ومائة جريب غامرة. قال: وما الغامرة. قال: ما لا نبات فيه. قال: قد أقطعك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرةً من فيافي بني لأسد. فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة. قال: فأذن لي أن أقبل يدك. قال: أما هذه فدعها. قال: والله ما منعت عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها. قال الجاحظ: فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها: إبتدأ بكلب فسهل القصة به، وجعل يأتي بما يليه على ترتيبٍ وفكاهةٍ، حتى نال ما لو سأله بديهةً لما وصل إليه.

كنى باسم جبل بمكة: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثني السكري عن محمد بن حبيب قال: اسم أبي دلامة زندٌ بالنون، ومن الناس من يرويه بالياء، وكنى أبو دلامة باسم جبل بمكة يقال له أبو دلامة، كانت قريش تمد فيه البنات في الجاهلية؛ وهو بأعلى مكة.

أنشد المنصور شعراً فأجازه: وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني عمي قال حدثني الكراني عن العمري عن الهيثم قال: دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

إن الخليط أجد البين فانتجعوا	وزودوك خبالاً بنس ما صنعوا
والله يعلم أن كادت لبينهم	يوم الفراق حصاة القلب تتصدع
عجبت من صبيتي يوماً وأهم	أم الدلامة لما هاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منبهة	هبت تلوم عيالي بعد ما هجعوا
ونحن مشتهو الألوان أوجهنا	سودّ قباحٍ وفي أسمائنا شنع
إذا تشكت إلي الجوع قلت لها	ما هاج جوعك إلا الري والشبع

- ويروى وهو الجيد:

أذابك الجوع مذ صارت عيالتنا	على الخليفة منه الري والشبع
لا والذي يا أمير المؤمنين قضى	لك الخلافة في أسبابها الرفع
مازلت أخلصها كسبي فتأكله	دونى ودون عيالي ثم تضطجع
شوءاء مشاة في بطنها ثجل	وفي المفاصل من أوصالها فدع

ذكرتها بكتاب الله حرمتنا
فاخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة
لم تكن بكتاب الله تنتفع
أأنت تتلو كتاب الله يا لكع
اخرج لتبغ لنا مالاً ومزرعة
كما لجيراننا مالاً ومزدرع
واخذع خليفتنا عنها بمسألة
إن الخليفة للسؤال ينخدع

فضحك أبو جعفر وقال: أرضوها عني واكتبوا له بمائتي حريب عامرة ومائتي حريب غامرة - وقال الهيثم: بستمائة حريب عامرة وغامرة - فقال له: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف حريب غامرة فيما بين الحيرة والنجف، وإن شئت زدتك. فضحك وقال: اجعلوها كلها عامرة. شهد عند ابن أبي ليلى لجارة له وقال شعراً فأمضى ابن أبي ليلى شهادته: حدثني محمد بن أحمد بن الطلاس قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: شهد أبو دلامة بشهادة لجارة له عند ابن أبي ليلى على أتان نازعها فيها رجل. فلما فرغ من الشهادة. قال: اسمع ما قلت فيك قبل أن آتيك ثم اقض ما شئت. قال: هات؛ فأنشده:

إن الناس غطوني تغطيت عنهم
وإن حفروا بئري حفرت بئارهم
وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
ليعلم يوماً كيف تلك النبائث

ثم أقبل على المرأة فقال: أتبيعينني الأتان؟ قالت نعم. قال: بكم؟ قالت: بمائة درهم. قال ادفعوها إليها ففعلوا. وأقبل على الرجل فقال: قد وهبتها لك، وقال لأبي دلامة: قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك، وابتعت ممن شهدت له، ووهبت ملكي لمن رأيت. أرضيت؟ قال نعم، وانصرف. شرب مع السيد الحميري أو أبي عطاء السندي فذم ابنته وأخبر المنصور فأكرمه: أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة قال حدثنا محمد بن سلام عن علي بن إسماعيل قال: كنت أسقي أبا دلامة والسيد، إذ خرجت بنت لأبي دلامة ، فقال فيها أبو دلامة:

فما ولدتك مريم أم عيسى
ولا ربك لقمان الحكيم
أجزيا أبا هاشم. فقال السيد :

ولكن قد تضمك أم سوء
إلى لبائتها وأب لنئيم

فضحك لذلك. ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فألفاه في الرحبة يصلح فيها شيئاً يريده، فأخبره بقصة بنته وأنشده البيت، ثم اندفع فأنشده بعدهما:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قومٌ لقليل أقعدوا يا آل عباس

ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم
إلى السماء فأنتم أظهر الناس
وقدموا القائم المنصور رأسكم
فالعين والأنف والأذنان في الرأس

فاستحسنها وقال له: بأي شيء تحب أن أعينك على قبح ابتك هذه؟ فأخرج خريطة قد كان خاطها من الليل فقال: تملأ لي هذه دراهم، فملئت فوسعت أربعة آلاف درهم. وقد أخبرني بهذا الخبر عمي قال حدثنا الكراي قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: دخل أبو عطاء السندي يوماً إلى أبي دلامة فاحتبسه عنده، ودعا بطعام فأكلوا وشبعا، وخرجت إلى أبي دلامة صبيّة له فحملها على كتفه، فبالت عليه فنبذها عن كتفه، ثم قال:

بللت علي لا حييت ثوبيفبال عليك شيطانٌ رجيم

فما ولدتك مريم أم عيسى
ولا ربك لقمان الحكيم

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له: أجز. فقال:

صدقت أبا دلامة لم تلدها
مطهرة ولا فحل كريم

ولكن قد حوتها أم سوء
إلى لباتها وأب لئيم

فقال له أبو دلامة: عليك لعنة الله! ما حملك على أن بلغت بي هذا كله! والله لا أنزعك بيت شعر أبداً. فقال أبو عطاء: لأن يكون الهرب من جهتك أحب إلي.

رثى السفاح عند المنصور فغضب وأراد إخراجه إلى الحرب فاسترضاه: أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال حدثني أبي قال: لما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه؛ فأنشأ أبو دلامة يقول:

أمسيت بالأنبار يابن محمد
لم تستطع عن عقرها تحويلا

ويلي عليك أهلي كلهم
ويلاً وعولاً في الحياة طويلا

فلتبكين لك النساء بعبرة
وليبيكين لك الرجال عويلا

مات الندى إذ مت يابن محمد
فجعلته لك في الثراء عديلا

إني سألت الناس بعدك كلهم
فوجدت أسمح من سألت بخيلا

ألشقتني أخرجت بعدك للتي
تدع العزيز من الرجال ذليلا

فلأحلفن يمين حق برة
بالله ما أعطيت بعدك سولا

قال فأبكى الناس قوله: فغضب المنصور غضباً شديداً وقال: لئن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك.

فقال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين، إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكراً وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه، فقل كما قال يوسف لإخوته: " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ". فسري عن المنصور وقال: قد أفلنك يا أبا دلامة، فسل حاجتك. فقال: يا أمير المؤمنين، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقبضها. فقال المنصور: ومن يعرف هذا؟ فقال: هؤلاء، وأشار إلى جماعة ممن حضر. فوثب سليمان بن مجالد وأبو الجهم فقالا: صدق أبو دلامة، نحن نعلم ذلك. فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ: يا سليمان ادفعها إليه وسيره إلى هذا الطاغية " يعني عبد الله بن علي، وقد كان خرج بناحية الشام، وأظهر الخلاف ". فوثب أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين، إني أعيزك بالله أن أخرج معهم، فوالله إني لمشووم. فقال المنصور: امض فإن يمني يغلب شؤمك فاخرج. فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك مني على مثل هذا العسكر؛ فإني لا أدري أيهما يغلب: أيمنك أم شؤمي، إلا أني بنفسني أوثق وأعرف وأطول تجربة. قال: دعني من هذا فمالك من الخروج بد. فقال: إني أصدقك الآن، شهدت والله تسع عشر عسكراً كلها هزمت؛ وكنت سببها. فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل. فاستغرب أبو جعفر ضحكاً، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة. أغضب المنصور لكثرة مدحه السفاح: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال: لما مات أبو العباس السفاح وولي المنصور، دخل عليه أبو دلامة، فقال له أبو جعفر: ألسنت القاتل لأبي العباس:

وكنا بالخليفة قد عقدنا لواء الأمر فانتقض اللواء

فنحن رعيةً هلكت ضياعاً تسوق بنا إلى الفتن الرعاء

قال: ما قلت هذا يا أمير المؤمنين. قال: كذبت والله! أفلست القاتل:

هلك الندى إذ بنت يابن محمد فجعلته لك في التراب عديلاً

ولقد سألت الناس بعدك كلهم فوجدت أكرم من سألت بخيلاً

ولقد حلفت على يمينٍ برّة بالله ما أعطيت بعدك سولا

فقال أبو دلامة: إن أذاك صلى الله عليه غلبني على صبري، وسلبني عزيمتي، وعزني بإحسانه إلي وجزعي عليه، فقلت ما لم أتأمله، وإني أرغب في الثمن فاستفرد السلعة حياً وميتاً. فإن أعطيت ما أعطى، أخذت ما أخذ. فأمر به فحبس ثلاثاً ثم خلى سبيله ودعاه إليه فوصله، ثم عاد له إلى ما كان عليه.

أمره روح بن حاتم بمبارزة خارجي فخدعه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أبو أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثني دلامة قال: أتى بي المنصور أو المهدي وأنا سكران، فحلف ليخرجني في بعث حرب، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلي لقتال الشراة. فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أن تحتي فرسك ومعني سلاحك

لأثرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه. فضحك وقال: والله العظيم لأدفعن ذلك إليك، ولأخذنك بالوفاء بشرطك. ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلي، ودعا بغيرهما فاستبدل به. فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع، قلت له: أيها الأمير، هذا مقام العائذ بك، وقد قلت بيتين فاسمعهما. قال: هات. فأنشده:

إني استجرتك أن أقدم في الوغى
لنتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة
فتركتها ومضيت في الهرب
ماذا تقول لما يجيء وما يرى
من واردات الموت في النشاب

فقال: دع عنك هذا وستعلم. وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة، فقال: اخرج إليه يا أبا دلامة. فقلت: أنشدك الله أيها الأمير في دمي. قال: والله لتخرجن. فقلت: أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما شبع مني جارحة من الجوع، فمر لي بشيء أكله ثم أخرج. فأمر لي برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف، فلما رأني الشاري أقبل نحوي عليه فروؤ وقد أصابه المطر فابتل، وأصابته الشمس فاقفعل وعيناه تقدان، فأسرع إلي. فقلت له: على رسلك يا هذا كما أنت فوقف. فقلت: أقتل من لا يقاتلك؟ قال: لا. قلت: أقتل رجلاً على دينك؟ قال: لا. قلت: أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك؟ قال: لا، فاذهب عني إلى لعنة الله. قلت: لا أفعل أو تسمع مني. قال: قل. قلت: هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة، أو تعرفني بحال تحفظك علي، أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً؟ قال: لا والله. قلت: ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي، وإني لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أراداه لك. قال: يا هذا جزاك الله خيراً فانصرف. قلت: إن معي زاداً أحب أن أكله معك، وأحب مواكلتك لتؤكد المودة بيننا، ويرى أهل العسكر هواهم علينا. فقال: فافعل. فتقدمت إليه حتى اختلف أعناق دوابنا وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا ضحكاً. فلما استوفينا ودعني. ثم قلت له: إن هذا الجاهل إن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتبعني وتتعب. فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل. قال: قد فعلت. ثم انصرف وانصرفت. فقلت لروح: أما أنا فقد كفيتك قرني فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك، فأمسك. وخرج آخر يدعو إلى البراز، فقال لي: اخرج إليه. فقلت:

إني أعود بروح أن يقدمني
إلى البراز فتخزي بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه
مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها
وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
إن المهلب حب الموت أورتكم
وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها
لكنها خلقت فرداً فلم أجد

فضحك وأعفاني.

أمره مروان بن محمد بمبارزة خارجي ففر منه: أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلامة: كنت في عسكر مروان أيام زحف إلى سنان الخارجي. فلما التقى الزحفان خرج منهم رجلٌ فنادى: من يبارز! فلم يخرج إليه أحدٌ إلا أعجله ولم ينهه. فغاظ ذلك مروان وجعل يندب الناس على خمسمائة، فقتل أصحاب الخمسمائة، فزاد مروان وندبهم على ألف، ولم يزل يزيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم. وكان تحتي فرس لا أخاف خونه؛ فلما سمعت بالخمسة آلاف ترقبته واقتحمت الصف. فلما نظرتي الخارجي علم أني خرجت للطمع؛ فأقبل إلي متهيناً وإذا عليه فروٌ قد أصابه المطر فابتل، ثم أصابته الشمس فأقفعل، وإذا عيناه تقدان كأنهما من غورهما في وقين. فلما دنا مني أنشأ يقول:

وخرج أخرجه حب الطمع فر من الموت وفي الموت وقع

من كان ينوي أهله فلا رجع

فلما وقرت في أذني انصرفت عنه هارباً. وجعل مروان يقول: من هذا الفاضح؟ إيتوني به، فدخلت في غمار الناس فنحوت.

أعطاه موسى بن داود مالاً ليحج معه فهرب إلى السواد وسكر بالمال: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن السعيد قال حدثنا الزبير قال حدثنا جعفر بن الحسين اللهي قال: عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج. فقال لأبي دلامة: احجج معي ولك عشرة آلاف درهم. فقال: هاكما؛ فدفعت إليه، فأخذها وهرب إلى السواد، فجعل ينفقها هناك ويشرب بها الخمر. فطلبه موسى فلم يقدر عليه، وخشي فوت الحج فخرج. فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلى أخرى وهو سكران، فأمر بأخذه وتقييده وطرحه في محمل بين يديه ففعل ذلك به. فلما سار غير بعيد أقبل على موسى وناداه:

يأيها الناس قولوا أجمعون معاً صلى الإله على موسى بن داود

كأن ديباجتي خديه من ذهبٍ إذا بدا لك في أثوابه السود

إني أعوذ بدأود وأعظمه من أن أكلف حجاباً بن داود

خبرت أن طريق الحج معطشةٌ من الشراب وما شربي بتصريد

والله ما في من أجرٍ فتطلبه ولا التناء على ديني بمحمود

فقال موسى: ألقوه لعنة الله على الحمل ودعوه ينصرف، فألقي وعاد إلى قصفه بالسواد، حتى نفذت العشرة آلاف درهم.

أمره المنصور بملازمة الجماعة في مسجد القصر فقال شعراً يستعفيه: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا

الزبير عن الجعفر بن الحسين اللهي، وأخبرني عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: قال أبو أيوب المورياني لأبي جعفر وكان يشنأ أبا دلامة،: إن أبا دلامة معتكفٌ على الخمر فما يحضر صلاةً ولا مسجداً، وقد أفسد فتیان العسكر. فلو أمرته بالصلاة معك لأجرت فيه وفي غيره من فتیان عسكرك بقطعه عنهم. فلما دخل عليه أبو دلامة قال له: بآبن اللخناء، ما هذا الجحون الذي يبلغني عنك! قال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين ما أنا والجحون وقد شارفت باب قبري!. قال: دعني من استكانتك وتضرعك، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي. فلئن فاتتاك لأحسن أدبك ولأطيلن حبسك. فوقع في شرٍ ولزم المسجد أياماً، ثم كتب قصته ودفعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه، وكان فيها:

ألم تعلم أن الخليفة لزني	بمسجده والقصر مالي وللقصر!
أصلي به الأولى جميعاً وعصرها	فويلي من الأول وويلي من العصر
أصليهما بالكره في غير مسجدي	فمالي في الأولى ولا العصر من أجر
لقد كان في قومي مساجد جمّة	سواء ولكن كان قدراً من القدر
يكلفني من بعد ما شبت خطّة	يحط بها عني الثقيل من الوزر
وما ضره والله يغفر ذنبه	لو أن ذنوب العالمين على ظهري

قال: فلما قرأ المنصور قصته ضحك وأعفاه من الحضور معه، وأحلفه أن يصلي الصلاة في مسجد قبيلته. أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزبير عن عمه، ونسخت من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخراز عن أبيه عن الهيثم بن عدي وروانيه بعض من روى عن الزبير. أن أبا جعفر كان يحب العبث بأبي دلامة - وقال الآخر: إن أبا العباس السفاح كان يحب ذلك - فكان يسأل عنه فيوجد في بيوت الخمارين لا فضل فيه. فعاتبه على انقطاعه عنه؛ فقال: إنما أفعل ذلك خوفاً أن تملني. فعلم أنه يحاجزه، فأمر الربيع أن يوكل به من يحضره الصلوات معه في جماعة في الدار. فلما طال ذلك عليه قال:

ألم تريا أن الخليفة لزني	بمسجده والقصر مالي وللقصر!
فقد صدني عن مسجدٍ أستلذه	أعلل فيه بالسماع وبالخمر
وكلفني الأولى جميعاً وعصرها	فويلي من الأول وعولي من العصر
أصليهما بالكره في غير مسجدي	فمالي من الأولى ولا العصر من أجر
يكلفني من بعد ما شبت توبة	يحط بها عني المثاقيل من وزري
لقد كان في قومي مساجد جمّة	ولم ينشرح يوماً لغشيانها صدري
ووالله ما لي نية في صلاته	ولا البر والإحسان والخير من أمري

وما ضرره والله يغفر ذنبه

لو ان ذنوب العالمين على ظهري

ألزمه المنصور بالقيام شهر رمضان فكتب إلى ربيعة شعراً يستشفع بها للمهدي : فبلغته الأبيات فقال: صدق ! ما يضرني ذلك، والله لا يصلح هذا أبداً، فدعوه يعمل ما يشاء. وقال الهيثم في خبره: فقال له أبو جعفر: قد أعفيناك من هذه الحال، ولكن على أن لا تدع القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظلم . فقال: أفعل. قال: إنك إن تأخرت لشرب الخمر علمت ذلك. ووالله لئن فعلت لأحدنك. فقال أبو دلامة: البلية في شهر أصلح منها في طول الدهر، وسمعاً وطاعة. فلما حضر شهر رمضان لزم المسجد. وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حرسياً يجيء به؛ فشق ذلك عليه، وفزع إلى الخيزران وأبي عبيد الله وكل من كان يلوذ بالمهدي ليشفعوا له في الإعفاء من القيام، فلم يجبهم. فقال له أبو عبيدة: الدال على الخير كفاعله، فكيف شكرك؟ قال: أتم شكر. قال: عليك بريطة فإنه لا يخالفها. قال: صدقت والله، ثم رفع إليها رقعة يقول فيها:

أبلغا ربيعة أني

كنت عبداً لأبيها

فمضى يرحمه الله

ه وأوصى بي إليها

وأراها نسيتني

مثل نسيان أخيها

جاء شهر الصوم يمشي

مشية ما أشتبهها

قائداً لي ليلة القدر

ر كأنني أبتغيها

تتطح القبله شهراً

جبهتي لا تأتليها

ولقد عشت زماناً

في فيافي وجبها

في ليالٍ من شتاء

كنت شيخاً أصطليها

قاعداً أوقد ناراً

لضباب أشتويها

وصبوح وغبوق

في علاب أحتسيها

ما أبالي ليلة القدر

ر ولا تسمعيها

فاطلبي لي فرجاً من

ها وأجري لك فيها

فلما قرأت الرقعة ضحكت وأرسلت إليه: إصطبر حتى تمضي ليلة القدر. فكتب إليها: إني لم أسألك أن تكلميه في إعفائي عاماً قابلاً؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد فني الشهر. وكتب تحتها أبياتاً:

خافي إلهك في نفسٍ قد احتضرت

قامت قيامتها بين المصلينا

ماليلة القدر من همي فأطلبها

إني أخاف المنايا قبل عشرينا

يا ليلة القدر قد كسرت أرجلنا

يا ليلة القدر حقاً ما تمنينا !؟

لا بارك اله في خير أوْمله

في ليلة بعدما قمنا ثلاثينا

فلما قرأت الأبيات ضحكت، ودخلت إلى المهدي فشفعت له إليه، وأنشدته الشعرين، فضحك حتى استلقى، ودعا به وريطة معه في الحجلة فدخل؛ فأخرج رأسه إليه وقال: قد شفّعنا ريطه فيك، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم. فقال: أما شفاعه سيدي في حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار. وأما السبعة الآلاف فما أعجيني ما فعلته؛ إما أن تتمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف، فإني لا أحسن حساب السبعة. فقال قد جعلتها خمسة. قال: أعيدك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنت. فعبث به المهدي ساعة ثم تكلمت فيه ريطه فأتمها له عشرة آلاف درهم.

أنشد المهدي شعره في نخاس فضحك منه: أخبرني الحسين بن علي عن حماد عن أبيه قال: مر أبو دلامة بنخاس يبيع الرقيق، فرأى عنده منهن من كل شيء حسن، فانصرف مهموماً، فدخل إلى المهدي فأنشده:

إن كنت تبغي العيش حلواً صافياً

فالشعر أعزبه وكن نخاساً

تتل الطرائف من ظراف نهدي

يحدثن كل عشية أعراسا

والربح فيما بين ذلك راهن

سمحاً ببيعك كنت أو مكاسا

دارت على الشعراء حرفة نوبة

فتجرعوا من بعد كأس كاسا

وتسربلوا قمص الكساد فحاولوا

بالنخس كسباً يذهب الإفلاسا

فجعل المهدي يضحك منه.

لفق رؤيا للمنصور وأخذ منه ثيابا: نسخت من كتب ابن النطاح قال: دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده:

رايتك في المنام كسوت جلدي

ثياباً جمّة وقضيت ديني

فكان بنفسجي الخز فيها

وساج ناعم فأتّم زيني

فصدق بافتك النفس رؤيا

رأتها في المنام كذاك عيني

فأمر له بذلك وقال له: لا تعد أن تتحلّم علي ثانية، فأجعل حلمك أضغاثاً ولا أحققه.

حبسه المنصور لسكره فبعث له من الحبس شعراً فعفا عنه: ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكر وانصرف وهو يميل. فلقبه العسس فأخذوه، وقيل له: من أنت وما دينك؟ فقال:

ديني على دين بني العباس

ما ختم الطين على القرطاس

إني اصطحبت أربعاً بالكاس

فقد أدار شربها براسي

فهل بما قلت لك من باس

فأخذوه ومضوا، وخرقوا ثيابه وساحه وأتي به أبو جعفر - وكان يؤتى بكل من أخذه العسس - فحبسه مع الدجاج في بيت. فلما أفاق جعل ينادي غلامه مرةً وجاريته أخرى فلا يجيبه أحد، وهو في ذلك يسمع صوت الدجاج وزقاع الديوك. فلما أكثر قال له السجان: ما شأنك؟ قال: ويلك من أنت وأين أنا؟ قال: في الحبس، وأنا فلان السجان. قال: ومن حبسني؟ قال: أمير المؤمنين. قال: ومن خرق طيلساني؟ قال: الحرس. فطلب منه أن يأتيه بدواةٍ وقرطاس ففعل، فكتب إلى أبي جعفر:

أمير المؤمنين فدتك نفسي	علام حبستني وخرقت ساجي
أمن صفراء صافية المزاج	كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى	لقد صارت من النطف النضاج
تهش لها القلوب وتشتبهها	إذا برزت ترقرق في الزجاج
أقاد إلى السجون بغير جرمٍ	كأنني بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان سهلاً	ولكني حبست مع الدجاج
وقد كانت تخبرني ذنوبي	بأنني من عقابك غير ناجي
على أنني وإن لاقيت شراً	لخيرك بعد ذاك الشر راجي

فدعا به وقال: أين حبست يا أبا دلامة؟ قال: مع الدجاج. قال: فما كنت تصنع؟ قال: أقوي معهم حتى أصبحت. فضحك وخلي سبيله وأمر له بجائزة. فلما خرج قال له الربيع: إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين. أما سمعت قوله "وقد طبخت بنار الله" "يعني الشمس". فأمر برده ثم قال: يا خبيث شربت الخمر؟ قال لا. قال: أفلم تقل "طبخت بنار الله" "تعني الشمس. قال: لا والله ما عنيت إلا نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد الربيع. فضحك وقال: خذها يا ربيع ولا تعاود التعرض. لفق رؤيا لثمار وأخذ منه تمرًا": قال ابن النطاح: ومر أبو دلامة بثمار بالكوفة فقال له:

رأيتك أطعمتني في المنام	قواصر من تمرك البارحة
فأم العيال وصبيانها	إلى الباب أعينهم طامحة

فأعطاه جلتي تمر وقال له: إن رأيت هذه الرؤيا ثانيةً لم يصح تفسيرها. فأخذها وانصرف. هنا المهدي بقدمه من الري فملاً حجره دراهم: وقال ابن النطاح: لما قدم المهدي من الري دخل عليه أبو دلامة فأنشأ يقول:

إني نذرت لئن رأيتك سالماً	بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبي محمدٍ	ولتملأن دراهماً حجري

فقال: صلى الله عليه وسلم، وأما الدراهم فلا. فقال له: أنت أكرم من أن تفرق بينهما وتختار أسهلها. فأمر بأن يملأ حجره دراهم.

ومثل هذا وإن لم يكن منه ما حدثني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال: قدم المهلب من بعض غزواته، فلقيته عجوزاً من الأزد فقالت: أيها الأمير، أسألك بالله والرحم إلا وقفت فوقف، فذنت وقبلت يده وقالت: هذا نذرٌ كان علي، إني نذرت علي لله أن أقبل يدك إن قدمت سالماً وتعب لي أربعمئة درهم وجارية صغديةٌ تخدمني. فضحك وقال: أما نحن فقد وفينا بنذرك؛ ادفعوا إليها ذلك، وإياك يا أماء وهذه النذور؛ فليس كل أحد يفني لك بها وينشط لتحليلك منها.

ضجر من الصوم والحر فكتب للمهدي شعراً فعجل جائزته: قال ابن النطاح: وصام الناس في سنة شديدة الحر على عهد المهدي، وكان أبو دلامة ينتجز جائزةً أمر له المهدي بها. فكتب إليه أبو دلامة رقعةً يشكو فيها أذى الحر والصوم وهي:

أدعوك بالرحم التي هي جمعت	في القرب بين قريبتنا والأبعد
إلا سمعت وأنت أكرم من مشى	من منشدٍ يرجو جزاء المنشد
جاء الصيام فصمته متعبداً	أرجو رجاء الصائم المتعبد
ولقيت من أمر الصيام وحره	أمرين قيساً بالعذاب المؤصد
وسجدت حتى جبهتي مشجوجةٌ	مما يناطحني الحصى في المسجد
فامنن بتسريحتي بمطلك بالذي	أسلفتنه من البلاء المرصد

فلما قرأ المهدي رقعته غضب وقال: يا عاض كذا من أمه أي قرابة بيني وبينك؟! قال: رحم آدم وحواء، أنسيتهما يا أمير المؤمنين! فضحك وقال: لا والله ما نسيتهما؛ وأمر بتعجيل ما أحازه به وزاد فيه. وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا الخزاعي عن المدائني وزاد فيه قال: وأنشده أيضاً في ذم الصوم:

هل في البلاد لرزق الله مفترش	أم لا ففي جلده من خشنةٍ برش
- يعني أن جلد الرزق خشن الملمس فهو يحترش كما يحترش الضب - الشعر:	

أضحى الصيام منيخاً وسط عرصتنا	ليت الصيام بأرض دونها حرش
إن صمت أوجعني بطني وأقلقني	بين الجوانح مس الجوع والعطش
وإن خرجت بليلٍ نحو مسجدهم	أضرني بصرٌ قد خاناه العمش

عزى أم سلمة بنت يعقوب في السفاح فأضحكها: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير

عن عمه، ونسخت من كتاب ابن النطاح قال اليزيدي في خبره: دخل أبو دلامة على ريطة بعد وفاة المهدي، وقال ابن النطاح: دخل على أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بعد وفاة أبي العباس، وهو الصحيح، فعزاها به وبكى وبكت معه، ثم أنشدها:

من مجمل في الصبر عنك فلم يكن صبري عليك غداة بنت جميلا
يجدون أبدالاً به وأنا امرؤ لو مت وجداً ما وجدت بديلا
إنني سألت الناس بعدك كلهم فوجدت أجود من سألت بخيلا

فقالت أم سلمة: لم أر أحداً أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة. فقال: ولا سواء يرحمك الله، لك منه ولد وما ولدت أنا منه. فضحكت - ولم تكن منذ مات أبو العباس ضحكت إلا ذلك الوقت - وقالت له: لو حدث الشيطان لأضحكته.

خدع المهدي بموت زوجته وخدعت زوجته الخيزران بموته كذلك فضحكا منهما: أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا الغلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك قال: دخل أبو دلامة على المهدي وهو يبكي. فقال له: ما لك؟ قال: ماتت أم دلامة، وأنشده لنفسه فيها:

وكنا كزوج من قطاً مفازة لدى خفض عيش ناعم مؤنقٍ رغد
فأفردني ريب الزمان بصرفه ولم أر شيئاً قط أوحش من فرد

فأمر له بثياب وطيب ودنانير، وخرج. فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات، فأعطتها مثل ذلك، وخرجت. فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه. فرض له المنصور على كل هاشمي عطاء فنقصه العباس بن محمد دينارين فذمه: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة، ونسخت أنا من كتاب ابن النطاح قال: دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده:

أما ورب العاديات ضبحا حقاً ورب الموريات قدحا
إن المغيرات علي صباحا والناكثات من فؤادي قرحا
عشر ليالٍ بينهن صباحا يجلفن مالي كل عام صباحا

فقال أبو جعفر: وكم تذيب يا أبا دلامة؟ قال: اربعاً وعشرين شاة. ففرض له على كل هاشمي أربعةً وعشرين ديناراً، فكان يأخذهم منهم. فأتى العباس بن محمد في عشر الأضحى يتنجزها. فقال: يا أبا دلامة أليس قد مات أبنك؟ قال بلى. قال أنقصوه دينارين.

قال: أصلح الله الأمير لا تفعل فإنه ترك عليّ ولدين. فأبى إلا أن ينقصه، فخرج وهو يقول:

أخطاك ما كنت ترجوه وتأمله فاغسل يديك من العباس بالياس

مما تؤل من معرف عباس

واغسل يديك بأشنان فأنقهما

جنات عدن وعني جرزتي آس

جزاك ربك يا عباس عن فرج

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحك، واغتاض على العباس، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أخرى. هذه رواية يزيد.

قيل أن هذه القصة مع علي بن صالح: وأما ابن النطاح فإنه ذكر أن الذي نقصه الدينارين علي بن صالح وقال له: إنما نقصتك دينارين لموت ابنك دلامة. فحلف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً، ثم قام مغضباً؛ فأتبعه الرسول فأعطاه إياها. فقال له: أولى له. أما ما سبق فلا حيلة فيه، والمستأنف فقد أمنه. وقد كان قال فيه:

نسب لو يعينه بسماح

لعلي بن صالح بن علي

ما لنا في بقائهم من فلاح

وبنو مالك كثير ولكن

مستبيناً على قريش البطاح

غير فضل فإن للفضل فضلاً

تخاصم إلى عافية القاضي وداعبه: أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال: خاصم رجل أبا دلامة في داره، فارتفعوا إلى عافية القاضي؛ فأنشأ أبو دلامة يقول:

وخاصمتها سنة وأفيه

لقد خاصمتني دهاة الرجال

ولا خيب الله لي قافيه

فما أدحض الله لي حجة

فلست أخافك يا عافية

ومن خفت من جوره في القضاء

فقال له عافية: أما والله لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنه أنك هجوتني. قال: إذا يعز لك. قال: ولم؟ قال: لأنك لا تعرف المديح من الهجاء. فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر لأبي دلامة بجائزة.

أمره المهدي بهجاء أحد الحضور فهجا نفسه: أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال: دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم. فقال له: أنا أعطي الله عهداً لئن لم تهج واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك - ويقال إنه قال: لأضربن عنقك - فنظر إليه القوم، فكلما نظر واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه. قال أبو دلامة: فعلمت أي قد وقعت وأها عزمة من عزماته لا بد منها، فلم أرى أحداً أحق بالهجاء مني، ولا أدعى إلى السلامة من هجاء نفسي، فقلت:

فليس من الكرام ولا كرامه

ألا أبلغ إليك أبا دلامة

وخنزيراً إذا نزع العمامه

إذا لبس العمامة كان قرداً

جمعت دمامةً وجمعت لؤماً

كذاك اللؤم تتبعه الدمامه

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا

فلا تفرح فقد دنت القيامة

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلا أجازه.

قال شعراً في المهدي وعلي بن سليمان وقد خرجا للصيد فأصاب الأول وأخطأ الثاني: أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير عن عمه قال: خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد، فسنح لهما قطيعاً من طباء، فأرسلت الكلاب وأجريت الخيل، فرمى المهدي ظيباً بسهم فصرعه، ورمى علي بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله. فقال أبو دلامة:

قد رمى المهدي ظيباً

شك بالسهم فؤاده

وعلي بن سليما

ن رمى كلباً فصاده

فهنيئاً لهما كل

امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد أن يسقط عن سرجه، وقال: صدق والله أبو دلامة، وأمر له بجائزة سنية. أخبرني بهذا الخبر عمي عن الكرائي عن العمري عن الهيثم بن عدي فذكر مثل ما ذكره وقال فيه: فلقب علي بن سليمان "صائد الكلب" وعلق به.

أنشد المنصور شعراً فأعطاه داراً وكسوة ثم احتاج إلى الدار وعوضه بدلها: قال ابن النطاح: وأنشد أبو دلامة المنصور يوماً:

هاتيك والدتي عجوزٌ همةٌ

مثل البلية درعها في المشجب

مهزولة اللحيين من يرها يقل

أبصرت غولاً أو خيال القطرب

ما إن تركت لها ولا لآبن لها

مالاً يؤمل غير بكرٍ أجرب

ودجائجاً خمساً يرحن إليهم

لما يبضن وغير عيرٍ مغرب

كتبوا إلي صحيفةً مطبوعةً

جعلوا عليها طينةً كالعقرب

فعلمت أن الشر عند فكاكها

ففككتها عن مثل ريح الجورب

وإذا شبيهةً بالأفاعي رقشت

يوعدنني بتلمظٍ وتثؤب

يشكون أن الجوع أهلك بعضهم

لزباً فهل لك في عيالٍ لزب

لا يسألونك غير ظل سحابةٍ

تغشاهم من سيلك المتحلب

يا باذل الخيرات يابن بذولها

وابن الكرام وكل قرمٍ منجب

أنتم بنو العباس يعلم أنكم
أحلاس خيل الله وهي مغيرةٌ
قدماً فوارس كل يومٍ أشهب
يخرجن من خلل الغبار الأكهب

قال: فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودراهم. وكانت الدار قريبةً من قصره، فأمر بأن تزداد في قصره بعد ذلك
لحاجة دعوته إليها. فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله:

يابن عم النبي دعوة شيخٍ
فهو كالمأخض التي اعتادها الطل
قد دنا هدم داره ودماره
ق فقرت وما يقر قراره
إن تحز عسره بكفيك يوماً
أو تدعه فلبوار، وأنى
هل يخاف الهلاك شاعر قومٍ
لكم الأرض كلها فأعبروا
فكان قد مضى وخلف فيكم
ما أعرتم وأقفرتم منه داره

فاستعير المنصور، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله.

عابه عند المهدي محرز ومقاتل ابنا ذؤال فهجاهما بحضرته: قال ابن النطاح: ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده
محرز ومقاتل ابنا ذؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويعيبانه عنده.
فقال أبو دلامة:

ألا أيها المهدي هل أنت مخبري
ألم ترحم اللحيين من لحيتيهما
وإن أنت لم تفعل فهل أنت مكرمي
فإن يأذن المهدي لي فيهما أقل
وإلا تدعني والهموم تنوبني
وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي
وكلتاها في طولها غير طائل
بحلقهما من محرز ومقاتل
مقالاً كوقع السيف بين المفاصل
وقلبي من العجلين جم البلابل

فقال: أو آخذ لك منهما عشرة آلاف يفديان بها أعراضهما منك؟ قال: ذلك إلى أمير المؤمنين. فأخذها له منهما
وأمسك عنهما.

مدح سعيد بن دعلج فأجازه: قال ابن النطاح: ودخل أبو دلامة على سعيد بن دعلج مولى بني تميم فقال:

إذا جنّت الأمير فقل سلامٌ
عليك ورحمة الله الرحيم

وأما بعد ذاك فلي غريم
غريمٌ لازمٌ بفناء بيتي
له مائةٌ علي ونصف أخرى
دراهم ما انتفعت بها ولكن
أتوني بالعشيرة يسألوني
ولم أك في العشيرة باللثيم

فضحك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهماً وقال: ما أساء من أنصف، وقد كافأتك عن قومك وزدتك مائةً. داعب المنصور في جنازة بنت عمه حتى ضحك: أخبرني الحرمي قال حدثنا الزبير عن جعفر بن الحسين اللهي عن عمه مصعب: أن حمادة بنت عيسى توفيت وحضر المنصور جنازتها. فلما وقف على حفرتها قال لأبي دلامة: ما أعددت لهذه الحفرة؟ قال: بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى يجاء بها الساعة فتدفن فيها. فضحك المنصور حتى غلب فستر وجهه.

سأل الخيزران جارية فوعده بها وأبطأت فاستنجزها بشعر، وقصة زوجته وابنه مع هذه الجارية: أخبرني عمي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكرائي قال قال أبو عمر حفص بن عمر العمري حدثنا الهيثم قال: حجت الخيزران، فلما خرجت صاح بها أبو دلامة. قالت: سلوه ما أمره. قالوا له: ما أمر؟ فقال: أدنوني من محملها. قالت: أدنوه، فأدني. فقال: أيتها السيدة، إني شيخ كبير وأجرك في عظيم. قالت: فمه. قال: تهبين لي جاريةً من جواريك تونسي وترفق بي وتريجني من عجوز عندي، قد أكلت رفدي، وأطالت كدي، وقد عاف جلدي جلدتها، وتمنيت بعدها، وتشوقت فقدها. فضحكت الخيزران وقالت: سوف آمر لك بما سألت. فلما رجعت تلقاها وذكرها، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غرض. ثم دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون، فدفع إليها رقعةً قد كتبها إلى الخيزران فيها:

أبلغني سيدتي بالل
أنها أرشدها الله
وعدنتي قبل أن تخ
فتأنيت وأرسل
كلما أخلقن أخلف
ليس في بيتي لتمهي
غير عجفاء عجوز
وجهها أقبح من حو

ه يا أم عبيدة
وإن كانت رشيدة
رج للحج وليده
ت بعشرين قصيده
ت لها أخرى جديده
د فراشي من قعيده
ساقها مثل القديده
ت طري في عصيده

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت واستعادتها منه لقوله " حوت طري في عصيده " وجعلت تضحك، ودعت بحارية من جواربها فائقة فقالت لها: خذي كل ما لك في قصري ففعلت، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له: سلمها إلى أبي دلامة. فانطلق الخادم بها فلم يصادفه في منزله. فقال لامرأته: إذا رجع فادفعيها إليه، وقولي له: تقول لك السيدة: أحسن صحبة هذه الجارية فقد آثرتك بها؛ فقالت له نعم. فلما خرج دخل ابنها دلامة فوجد أمه تبكي. فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت: إن أردت أن تبرني يوماً من الدهر فاليوم. فقال: قولي ما شئت فلاني أفعله. قالت: تدخل عليها فتعلمها أنك مالكةا وتطوؤها فتحرم عليه، وإلا ذهبت بعقله وجفاني وجفك. ففعل ودخل إلى الجارية فوطئها ووافقها ذلك منه. وخرج. ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته: أين الجارية؟ قالت: في ذلك البيت. فدخل إليها شيخٌ محطّمٌ ذاهبٌ، فمد يده إليها وذهب يقبلها. فقالت له: مالك ويلك! تنح وإلا لطمتك لطمَةً دققت بها أنفك. فقال لها: أهبذا أوصتك السيدة!. فقالت: إنما بعثت بي إلى فتى من حاله وهيبته كيت وكيت، وقد كان عندي أنفًا، ونال مني حاجته. فعلم أنه قد دهى من أم دلامة وابنها.

فخرج إليه أبو دلامة فلطمه ولبيه وحلف ألا يفارقه إلا عند المهدي. فمضى به ملبياً حتى وقف على باب المهدي. فعرف خبره وأنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله. فلما دخل قال له: مالك ويلك؟! قال: عمل بي هذا ابن الخبيثة ما لم يعمل ولدٌ بأبيه، ولا ترضيني إلا أن تقتله. فقال له: ويلك ما فعل؟ فأخبره الخبر. فضحك حتى استلقى ثم جلس. فقال أبو دلامة: أعجبك فعله فتضحك منه؟ فقال: علي بالسيف والنطع. فقال دلامة: قد سمعت حجته يا أمير المؤمنين فاسمع حجتي. قال: هات. قال: هذا الشيخ أصفق الناس وجهاً، ينيك أمني منذ أربعين سنة ما غضبت، ونكت جاريته مرة واحدة فغضب وصنع بي ما ترى! فضحك المهدي أكثر من ضحكه الأول، ثم قال: دعها له يا أبا دلامة وأنا أعطيك خيراً منها. قال: على أن تحبها لي بين السماء والأرض، وإلا ناكها والله كما ناك هذه. فتقدم إلى دلامة ألا يعاود بمثل فعله. وحلف إنه إن عاود قتله، ووهب له جارية أخرى كما وعده.

سأله المهدي عن شاعر فأطراه فأجازه لحسن محضره. وقال ابن النطاح: دخل أبو دلامة على المهدي وعنده شاعرٌ ينشده. فقال له: ما ترى فيه؟ قال: إنه قد جهد نفسه لك فاجهد نفسك له. فقال المهدي: وأبيك إنما لكلمة عذراء منك، أحسبك تعرفه! قال: لا والله ما عرفته ولا قلت أنا حقاً. فأمر للشاعر بجائزة، ولأبي دلامة بمثلها لحسن محضره.

خلع عليه العقيلي من ثيابه التي عليه: قال ابن النطاح وحدثني أبو عبد الله العقيلي قال: رأيت على أبي دلامة فروةً في الصيف، فقلت له: ألا تمل هذه الفروة! قال: بلى، ورب مملولٍ لا يستطاع فراقه. فترعت فاضل ثيابي في

موضعي ودفعتها إليه.

فزع من رؤية الفيل وقال فيه شعراً: قال: أهدي للمهدي فيلٌ، فرآه أبو دلامة فولى هارباً وقال:

يا قوم إني رأيت الفيل بعدكم لا بارك الله لي في رؤية الفيل

أبصرت قصراً له عينٌ يقلبها فكدت أرمي بسلحي في سراويلي

أنشد المهدي شعراً في بغلته واستوهبه أخرى غيرها: قال ابن النطاح: ودخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدته في بغلته المشهورة:

أتاني بغلةٌ يستام مني عريقٌ في الخسارة والضلال

فقال تبيعها؟ قلت ارتبطها بحكمك إن بيعي غير غالي

فأقبل ضاحكاً نحوي سروراً وقال أراك سمحاً ذا جمال

هلم إلي يخلو بي خداعاً وما يدري الشقي بمن يخالي

فقلت بأربعين فقال أحسن إلي فإن مثلك ذو سجال

فاترك خمسةً منها لعلمي بما فيه يصير من الخبال

فقال المهدي: لقد أفلت من بلاءٍ عظيم. قال: والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت شهراً أتوقع صاحبها أن يردها. قال: ثم أنشده:

فأبدلني بها يا رب طرفاً يكون جمال مركبه جمالي

فقال لصاحب دوابه: خيره من الإصطبل مركبين . قال: يا أمير المؤمنين إن كان الاختيار لي وقعت في شرٍ من البغلة، ولكن مره أن يختار لي، فقال: اختر له. وأخبرني به عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي، وخبره أتم.

احتال على العباس بن محمد بشعر وأخذ منه ألفي درهم وكان راهن المهدي على ذلك فأخذ منه ستة آلاف: وأخبرني محمد بن خلف عن أحمد بن الهيثم عن العمري عن الهيثم بن عدي قال: دخل أبو دلامة يوماً على المهدي، فحادثه ساعةً وهو يضحك وقال له: هل بقي أحدٌ من أهلي لم يصلك؟ قال: إن أمتني أخبرتك، وإن أعفيتني فهو أحب إلي. قال: بل تخبرني وأنت آمن. قال كلهم قد وصلني إلا حاتم بني العباس. قال: ومن هو؟ قال: عمك العباس بن محمد. فالتفت إلى خادم على رأسه وقال: جأ عنق العاض بظر أمه. فلما دنا منه صاح به أبو دلامة: تنح يا عبد السوء لا تخنث مولاك وتنكث عهده وأمانه. فضحك المهدي وأمر الخادم فتنحى عنه، ثم قال لأبي دلامة: ويلك ! والله عمي أبخل الناس. فقال أبو دلامة: بل هو أسخى الناس. فقال له المهدي: والله لو

مت ما أعطاك شيئاً. قال: فإن أنا أتيتك فأجازني؟ قال: لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم. فانصرف أبو
دلامة فحبر للعباس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده:

قف بالديار وأي الدهر لم تقف	على المنازل بين الظهر والنصف
وما وقوفك في أطلال منزلة	لولا الذي استدرجت من قلبك الكلف
إن كنت أصبحت مشغوباً بساكنها	فال وربك لا تشفيك من شغف
دع ذا وقل في الذي قد فاز من مضر	بالمكرمات وعز غير مقترف
هذي رسالة شيخ من بني أسد	يهدي السلام إلى العباس في الصحف
تخطها من جواري المصر كاتبة	قد طالما ضربت في اللام والألف
وطالما اختلفت صيفاً وشتية	إلى معلمها باللوح والكتف
حتى إذا نهد الثديان وامتلاً	منها وخيفت على الإسراف والقرف
صينت ثلاث سنين ما ترى أحداً	كما يصون تجاراً درة الصدف
فبينما الشيخ يهوي نحو مجلسه	مبادراً لصلاة الصبح بالسدف
حانت له لمحة منها فأبصرها	مطلةً بين سجفها من الغرف
فخر والله ما يدري غدا تنذ	آخر منكشفاً أم غير منكشف
وجاءه الناس أفواجاً بمائهم	ليغفلوا الرجل المغشي بالنطف
ووسوسوا بقران في مسامعه	مخافة الجن والإنسان لم يخف
شيئاً ولكنه من حب جارية	أمسى وأصبح موقوفاً على التلف
قالوا: تلك الويل ما أبصرت؟ قلت لهم	تطلعت من أعالي القصر ذي الشرف
فقلت أياكم والله يأجره	يعين قوته فيها على ضعف
فقام شيخ بهي من رجالهم	قد طالما خدع الأقوام بالحلف
فابتاعها لي بألفي درهم فأتى	بها إلي فألقاها على كتفي
فبت ألثمها طوراً وألزمها	طوراً وأصنع بعض الشيء في اللحف
فبين ذاك كذا إذ جاء صاحبها	يبغي الدراهم في الميزان ذي الكفف
وذكر حق على زندي وصاحبه	والحق في طرف والطين في طرف

أكنت معترفاً أم غير معترف

وبين ذاك شهود لا يضرهم

أو لا فإني مدفوعٌ إلى التلّف

فإن يكن منك شيءٌ ففهم

قال: فضحك العباس وقال: ويحك أصادقٌ أنت؟ قال: نعم والله. قال: يا غلام ادفع إليه ألفي درهم ثمناها. قال: فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما احتال له به. فأمر له المهدي بستة آلاف درهم.

وقال له المهدي: كيف لا يضرهم ذلك؟ قال: لأني معدم لا شيء عندي. وقال عمي في خبره: فقال له العباس بن محمد شاركني في هذه الجارية. قال: أفعل ولكن على شريطة. قال: وما هي؟ قال: الشركة لا تكون إلا مفاوضةً، فاشتر معها أخرى، لبيع كل واحدٍ منا إلى صاحبه ما عنده ويأخذ الأخرى مكانها ليلةً وليلة. فقال له العباس: قبحك الله وقبح ما جئت به! خذ الدراهم لا بارك الله لك فيها وانصرف.

أمره أبو مسلم بمبارزة رجل فقال شعراً أضحكه فأعفاه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني العباسي قال: كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية. فدعا رجلاً إلى البراز؛ فقال له أبو مسلم: أبرز إليه. فأنشأ يقول:

أخاف على فخارتي أن تحطما

ألا لا تلمني إن فررت فإنني

وجدك ما باليت أن أتقدما

فلو أنني في السوق أبتاع مثلها

ضحك وأعفاه.

وعدته ربيعة جارية فاستنجزها بشعر

ونسخت من كتاب ابن النطاح: أن ربيعة وعدت أبا دلامة جاريةً فمطلته حتى امتدحها بعدة قصائد، كل ذلك لا تفي له، ثم خرجت إلى مكة ورجعت. وكانت لها جاريةٌ يقال لها أم عبيدة تخرج وتكلم الرجال وتبلغ عنها الرسائل. فقال أبو دلامة لأم عبيدة حين عيل صبره:

شئت يا أم عبيده

أبلغني سيدتي إن

ه وإن كانت رشيدة

أنها أرشدها لل

رج للحج وليده

وعدتني قبل أن تخ

ت بعشرين قصيده

فتتظرت وأرسل

بدلت أخرى جديدة

كلما تخلق أولى

ليس في بيتي قعيده

إنني شيخٌ كبيرٌ

ذات أوصالٍ مديده

غير مثل الغول عندي

تِ طري في عصيده

وجهها أسمح من حو

تاها مثل القديده

ذات رجلٍ ويدٍ كل

فدخلت على ربطة فأنشدتها الشعر، فأمرت له بجمارية ومائتي دينار للنفقة عليها.

اشترى لأضيافه نبيذاً من نباله

ولم يعطها الثمن وقال فيها شعراً: أخبرني الحسين بن يحيى نسخت من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدي: أن أبا دلامة نزل بالكوفة، فأتاه أضيافٌ فغداهم، ثم بعث إلى سندية نباله يقال لها دومة، فبعثت إليهم جرةً من نبيذ فشربوها، ثم أعاد فبعثت إليهم بأخرى، ثم جاءت تتقاضى الثمن. فقال: ليس عندي الثمن، ولكني أمدحك بما هو خيرٌ من نبيذك. فقال:

وأحمر ملء كفك مستقيم

ألا يا دوم دام لك النعيم

يئن كأنه رجلٌ سقيم

شديد الأصل ينبذ حالباه

وهذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضاً.

قال شعراً في الجنيد النحاس يذمه ويمدح جارية له: قال إسحاق وحدثني أبي: أن أبا دلامة كان كثير الزيارة للجنيد النحاس، وكان يتعشق جاريةً له ويغضه. فجاءه يوماً فقال: أخرج لي فلانة. فقال: إلى متى تخرج إليك ولست بمشترٍ!! قال: فإن لم أكن مشترياً فلاني أخٌ يمدح ويطرى. قال: ما أنا بمخرجها إليك أو تقول فيها شعراً. قال: فاحلف بعقها أن ترويها إياه وتأمرها بإنشاده من أتك يعترضها ولا تحجبها. فحلف لا يحجبها. فقال أبو دلامة:

أو سوف أصبح ثم لا أمسي

إنني لأحسب أن سأمسي مينا

وكلاهما قاضٍ على نفسي

من حب جارية الجنيد وبغضه

فإذا تكلم عاد لي نكسي

فكلامها يشفى به سقمي

عاد إسحاق الأزرق وعنده طبيبه فقال شعراً ينصحه فيه بمجانبة الطبيب: أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال: دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعوده، وكان إسحاق قد مرض مرضاً شديداً، ثم تعافى منه وأفاق، فكان من ذلك ضعيفاً، وعند إسحاق طبيبٌ يصف له أدويةً تقوي بدنه. فقال أبو دلامة للطبيب: يابن الكافرة! أتصف هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض! ما أردت والله إلا قتله. ثم التفت إلى إسحاق فقال: اسمع أيها الأمير مني. قال: هات ما عندك يا أبا دلامة. فأنشأ يقول:

إنني ناصحٌ من النصاح

نح عنك الطبيب واسمع لنعتي

ذو تجاريب قد تقلبت في الصبح

ة دهرأ وفي السقام المتاح

غاد هذا الكباب كل صباح

من متون الفتنية السحاح

فإذا ما عطشت فاشرب ثلاثاً

من عتيق في الشم كالنفاح

ثم عند المساء فاعكف على ذا

وعلى ذا بأعظم الأقداح

فتقوي ذا الضعف منك وتلفى

عن ليالٍ أصح هذي الصحاح

ذا شفاءً ودع مقالة هذا

ناك ذا أمه بأير رباح

فضحك إسحاق وعواده، وأمر لأبي دلامة بخمسمائة درهم. وكان الطبيب نصرانياً فقال: أعوذ بالله من شرك يا ركل "يريد يا رجل". وقال الطبيب: اقبل مني أصلحك الله ولا تسألني عن شيء قدامه. فقال أبو دلامة: أما وقد أخذت أجرة صفقتي وقضيت الحق في نصح صديقي، فانعت له الآن أنت ما أحببت.

تنادر بسلمة الوصيف في حضرة المهدي: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشبل عاصم بن وهب البرجمي قال: دخل أبو دلامة على المهدي وبين يديه سلمة الوصيف واقفاً، فقال: إني أهديت إليك يا أمير المؤمنين مهراً ليس لأحد مثله. فإن رأيت أن تشرفني بقبوله. فأمره بإدخاله إليه. فخرج وأدخل إليه دابته التي كانت تحته، فإذا به برزونٌ محطّمٌ أعجف هرّم. فقال له المهدي: أي شيء هذا ويلك! ألم تزعم أنه مهر! فقال له: أو ليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائماً تسميه الوصيف وله ثمانون سنة، وهو عندك وصيف! فإذا كان سلمة وصيفاً فهذا مهرٌ. فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك. ثم قال لسلمة: ويلك، إن لهذه منه أخوات، وإن أتى بها في محفل فضحك. فقال أبو دلامة: والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين؛ فليس من مواليك أحدٌ إلا وقد وصلني غيره، فإني ما شربت له الماء قط. قال: فقد حكمت عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك. قال: قد فعلت على أن لا يعاود. فقال له: ما ترى؟ قال: أفعل، فلولا أني ما أخذت منه شيئاً قط ما فعلت معه مثل هذه. فمضى سلمة فحملها إليه.

عبث به ابنه فأراد أن يخصيه فحكم زوجته: أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال حدثني الخليل بن أسد عن عبد الرحمن بن صالح قال: جاء ابن أبي دلامة يوماً إلى أبيه وهو في محفلٍ من جيرانه وعشيرته جالس، فجلس بين يديه، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم: إن شيعي، كما ترون، قد كبرت سنه، ورق جلده، ودق عظمه، وبنا إلى حياته حاجة شديدة، فلا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رmqه ويبقي قوته، فيخالفي فيه. وأنا أسألكم أن تسألوه قضاء حاجة لي أذكرها بحضرتكم، فيها صلاحٌ لجسمه، وبقاءٌ لحياته، فأسعفوني بمسألته. فقالوا: نفعل حباً وكرامةً. ثم أقبلوا على أبي دلامة بالستهم وتناولوه بالعتاب حتى رضي وهو ساكت، فقال قولوا للخبيث فليقل ما يريد، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية. فقالوا له: قل. فقال: إن أبي إنما يقتله كثرة

الجماع، فتعاونوني عليه حتى أحصيه، فلن يقطعه عن ذلك غير الخصاء، فيكون أصح لجسمه وأطول لعمره. فعجبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعث بأبيه ويحجله حتى يشيع ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكر، فضحكوا منه. ثم قالوا لأبي دلامة: قد سمعت فأجب. قال: قد سمعتم أنتم وعرفتكم أنه لن يأتي بخير. قالوا: فما عندك في هذا؟ قال: قد جعلت أمه حكماً بيني وبينه فقوموا بنا إليها. فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها، وقص أبو دلامة القصة عليها، وقال لها: قد حكمتك. فأقبلت على الجماعة فقالت: إن ابني - أصلحه الله - قد نصح أباه وبره ولم يأل جهداً، وما أنا إلى بقاء أبيه بأحوج مني إلى بقاءه، وهذا أمر لم تقع به تجربة منا، ولا جرت بمثله عادة لنا، وما أشك في معرفته بذلك. فليبدأ بنفسه فليخصها؛ فإذا عوفي ورأيناه ذلك قد أثر عليه أثراً محموداً استعمله أبوه. فنعر أبوه وجعل يضحك به، وحجل ابنه، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خبتهم جميعاً واتفاقهم في ذلك المذهب.

أمر المهدي مرواناً بقتل خارجي فنبأ السيف في يده فقال هو في ذلك شعراً: أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال:

كان عند المهدي رجل من بني مروان، فدخل إليه وسلم عليه. فأتى المهدي بعلج فأمر المرواني بضرب عنقه، فأخذ السيف وقام فضربه فنبأ السيف عنه، فرمى به المرواني وقال: لو كان من سيوفنا ما نبا. فسمع المهدي الكلام فغاضه حتى تغير لونه وبان فيه. فقام يقطين فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العليج فرمى برأسه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن هذه السيوف الطاعة لا تعمل إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية. ثم قام أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين، قد حضري بيتان أفأقولهما؟ قال: قل. فأنشده:

وبكف الولي غير كهام

أيهذا الإمام سيفك ماضٍ

أنها كف مبغضٍ للإمام

فإذا ما نبا بكفٍ علمنا

قال: فسري عن المهدي وقام من مجلسه، وأمر حجابه بقتل الرجل المرواني فقتل.

أخبار عبد الله بن المعتز

ومن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبرع وتقدم جميع أهل عصره فضلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله. أدبه وشعره ودفاع أبي الفرج عن مذهبه في الأدب: وأمره، مع قرب عهده بعصرنا هذا، مشهور في فضائله وآدابه شهرةً تشرك في أكثر فضائله الخاص والعام. وشعره وإن كان فيه رقة الملوكية وغزل الظرفاء وهلهلة المحدثين، فإن فيه أشياء كثيرةً تجري في أسلوب المجيدين ولا تقصر عن مدى السابقين، وأشياء ظريفةً من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية. فليس يمكن واصفاً لصبوح، في مجلس شكلٍ ظريف، بين ندامى وقيان، وعلى ميادين من النور والبنفسج والترحس ومنضودٍ من أمثال ذلك، إلى غير ما

ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفرش ومختار الآلات، ورقة الخدم، أن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السبب الرقيق الذي يفهمه كل من حضر، إلى جعد الكلام ووحشيه، وإلى وصف البید والمهامه والظبي والظليم والناقاة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة؛ ولا إذا عدل عن ذلك وأحسن قيل له مسيء، ولا أن يغمط حقه كله إذا أحسن الكثير وتوسط في البعض وقصر في اليسير، وينسب إلى التقصير في الجميع، لنشر المقابح وطي المحاسن. فلو شاء أن يفعل هذا كل أحد بمن تقدم لوجد مساعاً. ولو أن قائلاً أراد الطعن على صدور الشعراء، لقد رأى أن يطعن على الأعشى - وهو أحد من يقدمه الأوائل على سائر الشعراء - بقوله: " فأصاب حبة قلبه وطحاله ". وبقوله:

ويأمر لليحموم كل عشية بقت وتعليق فقد كاد يسبق

وأمثال لهذا كثيرة. وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه، ويلغي ما لم يستحسنه، فليس مأخوذاً به. ولكن أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة، ويشيدوا بذكرهم الخامل، ويعلوا أقدارهم الساقطة بالطعن على أهل الفضل والقدح فيهم، فلا يزدادون بذلك إلا ضعةً، ولا يزداد الآخر إلا ارتفاعاً. ألا ترى إلى ابن المعتز قد قتل أسوأ قتلة، ودرج فلم يبق له خلف يقرظه ولا عقب يرفع منه، وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه في كل فن من العلوم إلا رفعةً وعلواً. ولا نظر إلى أضداده كلما ازدادوا في طعنه وتقريظ أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مثلهم في ثلثه والطعن عليه، زادوها سقوطاً وضعةً، وكلما وصفوا أشعارهم وقرظوا آدابهم، زادوا بها ثقلاً ومقتاً. فإذا وقع عليهم المحصل الموافق، عدلوا عن ثلثه في الآداب، إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب، وهم أول من فعل ذلك وشنع به على آل أبي طالب عند المكتفي حتى نهام عنه، فعدلوا عن عيب أنفسهم بذلك إلى عيبه، وارتكبوا أكثر منه. وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبد الله، مصرحاً به على شرح إن شاء الله تعالى.

علمه بصناعة الموسيقى: وكان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى، والكلام على النغم وعللها. وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتب مشهورة، ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون، وغيرهم، تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه.

كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر له وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون: ولقد قرأت بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر رقعةً إليه بخطه، وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون في أنه يجوز ولا ينكر أن يغير الإنسان بعض نغم الغناء القديم، ويعدل بها إلى ما يحسن في حلقه ومذهبه. وهي رسالة طويلة، وشاوره فيها. فكتب إليه عبيد الله: " قرأت - أيدك الله - الرسالة الفاضلة البارعة الموفقة. فأنا والله أقرؤها إلى آخرها، ثم أعود إلى أولها مبتهجاً، وأتأمل وأدعو مبتهلاً، وعين الله التي لا تنام عليك وعلى نعمه عندك. فإنها - علم الله - النعمة المعدومة المثل. ولقد تمثلت وأنا أكرر نظري فيها قول القائل في سيدنا وابن سيدنا عبد الله بن العباس:

كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع لذي إربة في القول جداً ولا هزلاً

ولا والله ما رأيت جداً في هزل، ولا هزلاً في جد يشبه هذا الكلام في بلاغته وفصاحته وبيانه وإنارة برهانه وجزالة ألفاظه. ولقد خيل إلي أن لسان جدك العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء، فلك - أعزك الله - نصفها، والنصف الآخر مقسوم بين أبي جعفر المنصور والمأمون رحمة الله عليهما. ولو أن هذه الرسالة جبهت الإبراهيمين إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وهم مجتمعون لبهت منهم الناظر، وأخرس الناطق، ولأقروا لك بالفضل في السبق، وظهور حجة الصدق، ثم كان قولك لهم فرقاً بين الحق والباطل، والخطأ والصواب. ووالله ما تأخذ في فن من الفنون، إلا برزت فيه تبريز الجواد الرائع، المغبر في وجه كل حصان تابع. عضد الله الشرف ببقائك، وأحيا الأدب بحياتك، وجمل الدنيا وأهلها بطول عمرك".

هذا كلام العقلاء وذوي الفضل في مثله، لا كلام الثقلاء وذوي الجهل. والإطالة في هذا المعنى مستغنى عنها. والمشهور عنه وعن أصداده وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففي معنى ما شرطته من جنس ما هو المقصد في كتابي هذا.

أصوات له في أشعار مختلفة: فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أن أكثرها هذه سبيله فيها: صوت

هل ترجعن ليالٍ قد مضين لنا والدار جامعةً أزمان أزمانا

صنعته في بيت واحد، ولحنه ثقيلٌ أول.
ومن صنعته في الثقليل الأول أيضاً - وفيه لعلويه رملٌ قديم، وما لحنه بدون لحن علويه -: صوت

سقى جانب القصرين فالدير فالحمى إلى الشجر المحفوف بالطين والمدر

ومن صنعته الظريفة الشكل مع جودتها: صوت

وإبلائي من محضرٍ ومغيب وحبيبٍ مني بعيدٍ قريب

لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ريهما برقيب

زارته زرياب في يوم السعانيين وغناها: خفيف ثقيل، ابتداءً نشيد.

ومن صنعته، وله خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنجم عن زرياب قالت: زرت عبد الله بن المعتز في يوم السعانيين، فسر بورودي وصنع من وقته لحناً في شعر عبد الله بن العباس الربيعي الذي له فيه هزجٌ وهو: صوت

أنا في قلبي من الطيبي كلوم فدع اللوم فإن اللوم لوم

حبذا يوم السعانيين وما نلت فيه من سرورٍ لو يدوم

الشعر لعبد الله بن العباس، ولحنه فيه هزجٌ - قالت: فصنع عبد الله بن المعتز في البيت الثاني، وبعده بيتٌ أضافه إليه، هزجاً وهو:

زارني مولاي فيه ساعةً ليته والله ما عشت يقيم

ولحن ابن المعتز في " حبذا يوم السعائين " هذا البيت خفيف رمل، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها.
ومن صنعه التي تظارف فيها وملح:

وافق قلبي قلبه فاستويا

زاحم كمي كمة فالتويا

يا قرّة العين يا همي ويا

وطالما ذاقا الهوى فاكتويا

أراد هنا بقوله " ويا " ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح، فيقولون:
قلت له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا، وكذلك ضده ليستغنى بالإشارة بهذا النداء عن الشرح. ولحن ابن المعتز في
هذا هزج.

خرجت عليه نشر في صورة جميلة فقال فيها شعراً على البديهة: حدثني جعفر بن قدامة قال: كنا عند ابن المعتز
يوماً وعنده نشر وكان يحبها ويهيم بها، فخرجت علينا من صدر البستان في زمن الربيع، وعليها غلالة معصفرة
وفي يديها جناي باكورة باقلاً . فقالت له: يا سيدي تلعب معي جناي؟ فالتفت إلينا وقال على بديهته غير
متوقف ولا مفكر:

عشبة فسقاني ثم حيانني

فديت من مر يمشي في معصفرة

من جاد بالوصل لم يلعب بهجران

وقال تلعب جنابي فقلت له

وأمر فغني فيه. غنت فيما أرى فيه هزار لحناً، وهو رمل مطلق.

جدر خادمه نشوان فجزع عليه

ثم عوفي فسر وقال شعراً:

حدثني جعفر قال: كان لعبد الله بن المعتز غلامٌ يحبه، وكان يغني غناءً صالحاً، يقال له " نشوان ". فجدر وجزع
عبد الله لذلك جزعاً شديداً، ثم عوفي ولم يؤثر الجدري في وجهه أثراً قبيحاً. فدخلت إليه ذات يوم فقال لي: يا
أبا القاسم، قد عوفي فلانٌ بعدك، وخرج أحسن مما كان، وقلت فيه بيتين وغنت زرياب فيهما رملاً طريفاً،
فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناءً. فقلت: يتفضل الأمير، أيده الله تعالى، بإنشادي إياهما. فأنشدني:

فزاده حسناً فزادت هموم

لي قمرٌ جدر لما استوى

فنقطته طرباً بالنجوم

أظنه غنى لشمس الضحى

فقلت: أحسنت والله أيها الأمير. فقال لي: لو سمعته من زرياب كنت أشد استحساناً له. وخرجت زرياب فغنته
لنا في طريقة الرمل في أحسن غناء، فشربنا عليه عامة يومنا.
غضب عليه غلامه نشوان فقال شعراً يترضاه به: حدثني جعفر قال: غضب هذا الغلام على عبد الله بن المعتز؛
فجهد في أن يترضاه، فلم تكن له فيه حيلة. فدخلت إليه فأنشدني فيه:

ديت في الهجر والغضب

دك يوماً من العجب

هك في العيش من أرب

ن الصلح واحتسب

بأبي أنت قد تما

واصطباري على صدو

ليس لي إن فقدت وج

رحم الله من أعا

قال: فمضيت إلى الغلام؛ ولم أزل أداريه وأرفق به حتى ترضيته وجنته به، فمر لنا يومئذٍ أطيب يومٍ وأحسنه، وغنتنا هزار في هذا الشعر رملاً عجيباً.

زار في حديثه أبا عيسى بن المتوكل وأنشده من شعره في كره البنات فمدحه: أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال: دخلت يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل، فوجدت عبد الله بن المعتز وقد جاءه مسلماً، وسنه يومئذٍ دون عشرين سنة، إذ دخل علي بن محمد بن أبي الشوارب القاضي، فأكرمه أبو عيسى ونهض إليه. فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى: قد احتجت إلى معونتك في أمر دفعت إليه لم أستغن فيه عن تكليفك المعاونة. قال: وما هو؟ قال: زوجت بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا، فخرج عن مذهبنا، وأساء عشرة أهله، وجعل مثل عيسى بن هارون أكثر مظانه وأوطانه، ويهددنا ويوعدنا بشره، حتى لقد نالنا من عيسى بسطاً ليده ولسانه فينا بالقبيح والقول السيء، وكثرة معاونته له على ما يزري بدينه ونسبه. وقد توعدنا بأنه يكشف وجهه لنا في معاونة صهرنا هذا الغاوي علينا. ولولا نسبه الذي فخره لنا وعاره علينا، لانتصفنا منه بالحق دون التعدي، إلا أني أستعيذك منه. فقال له أبو عيسى: أنا أوجهه إليه بعد انصرافك، وأراسله بما أنا المتكفل بعده بالألأ يعود إلى عشرته، والضامن أن أرد هذا الصهر إلى حيث تحب ويقع بموافقتك. فشكره ودعا له وانصرف. فقال أبو عيسى: ألا ترون إلى هذا الرجل النبيه الفاضل السري الشريف يدفع إلى مثل هذا! طوبى لمن لم تكن له بنت. فقال عبد الله بن المعتز: أيها الأمير إن لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله واستحسنه جماعة ممن يعلم ويقول الشعر. فقال: هاته فذاك عمك. فأنشده لنفسه:

وإن أثرى وعد من الصميم

فما عذري إلى النسب الكريم

وبكرٍ قلت موتي قبل بعلٍ

أأمزج باللئام دمي ولحمي

فقال له أبو عيسى: أمتع الله أهلك ببقائك، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك، وجملهم بكمال محاسنك، ولا أرانا شراً فيك.

كان يعمر داره ويبيضها وقال شعراً في ذلك: أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبد الله بن موسى الكاتب قال: دخلت على عبد الله بن المعتز وفي داره طبقاتٌ من الصناعات، وهو بيني داره ويبيضها. فقلت: ما هذه الغرامة الحادثة؟ فقال: ذلك السيل الذي جاء مذ ليالٍ أحدث في داري ما أحوج إلى الغرامة والكلفة، وقال:

ودارٍ تداعى بحيطانها

الأمن لنفسٍ وأحزانها

أظل نهاري في شمسها

شقياً معنىً ببنيانها

أسود وجهي بتببيضها

وأهدم كيسي بعمرانها

خفف النميري صلاته وأطال السجود بعدها فقال هو شعراً: حدثني جعفر بن قدامة قال: كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النميري، وحضرت الصلاة، فقام النميري فصلى صلاةً خفيفةً جداً، ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدةً طويلةً جداً، حتى استثقله جميع من حضر بسببها، وعبد الله ينظر إليه متعجباً ثم قال:

صلاتك بين الورى نقرةٌ

كما اختلس الجرعة الوالغ

وتسجد من بعدها سجدةً

كما ختم المزود الفارغ

انقطعت عنه بنت الكراعة وكان يحبها فقال شعراً: أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبيد الله بن موسى الكاتب قال: كانت بنت الكراعة تألف عبد الله بن المعتز، وكان يحب غنائها ويستظرفها ويحبها ويواصل إحضارها، ثم انقطعت عنه فقال:

ليت شعري بمن تشاغلتي بعدي

وهو لا شك جاهلٌ مغرور

هكذا كنت مثله في سرورٍ

وغداً في الهموم مثلي يصير

كان يحب جارية قبيحة الصورة فاعترض عليه النميري فأجابه بشعر: حدثني جعفر بن قدامة قال: كنا عند ابن المعتز يوماً ومعنا النميري، وعنده جاريةٌ لبعض بنات المغنين تغنيه، وكانت محسنةً إلا أنها كانت في غايةٍ من القبح، فجعل عبد الله يجمشها ويتعلق بها. فلما قامت قال له النميري: أيها الأمير، سألتك بالله أتعشق هذه التي ما رأيت قط أقبح منها؟ فقال عبد الله وهو يضحك:

قلبي وثابٌ إلى ذا وذا

ليس يرى شيئاً فيأباه

يهيم بالحسن كما ينبغي

ويرحم القبح فيهواه

راسل خزامي فتأخرت عنه فقال شعراً فأجابته: أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدثني أبو الحسن الأموي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال: كانت خزامي جارية الضبط المغني تنادمني، وأنا حدثٌ ثم تركت النبذ. وكانت مغنية محسنة شاعرةً ظريفةً. فراسلتها مراراً فتأخرت عني، فكتبت إليها:

رأيتك قد أظهرت زهداً وتوبةً

فقد سمجت من بعد توبتك الخمر

فأهديت ورداً كي يذكر عيشةً

لمن لم يمتعنا ببهجتها الدهر

فأجابت:

أتاني قريضٌ يا أميري محبرٌ

حكى لي نظم الدر فصل بالشذر

أُنكرت يابن الأكرمين إنابتي

وقد أفصحت لي ألسن الدهر بالزجر

وآذنتني شرخ الثياب ببينه

فيا ليت شعري بعد ذلك ما عذري

شعره في موسم الربيع: حدثني جعفر بن قدامة قال: كنت أسرح مع عبد الله بن المعتز في يومٍ من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المزخرفة. فقال عبد الله:

حبذا آذار شهراً

فيه للنور انتشار

ينقص الليل إذا جا

عويمتد النهار

وعلى الأرض اخضرار

واصفاراً واحمرار

فكأن الروض وشي

بالغت فيه التجار

نقشه آس ونسري

ن وورد وبهار

هنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولاية ابنه محمد شرطة بغداد: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلف مؤنس ابنه محمد بن عبيد الله على الشرطة ببغداد:

فرحت بما أضعافه دون قدركم

وقلت عسى قد هب من نومه الدهر

فترجع فينا دولة طاهرية

كما بدأت، والأرض من بعده الأمر

عسى الله، إن الله ليس بغافل

ولا بد من يسر إذا ما انتهى العسر

فكتب إليه عبيد الله قصيدة منها:

ونحن إذا ما نلنا مس جفوة

فمنا على لأوائها الصبر والعذر

وإن رجعت من نعمة الله دولة

إلينا فمنا عندها الحمد والشكر

انقطع عنه محمد هذا مدة طويلة فكتب له شعراً يعاتبه: قال: وجاءه محمد بن عبيد الله بعقب هذا شاكرًا لتهنئته، ثم لم يعد إليه مدة طويلة. فكتب إليه عبد الله بن المعتز:

قد جئتنا مرة ولم تعد

ولم تزر بعدها ولم تعد

لست أرى واجداً بنا عوضاً

فاطلب وجرب واستقص واجتهد

ناولني حبل وصله بيد

وهجره جاذباً له بيد

فلم يكن بين ذا وذا أمد

إلا كما بين ليلة وغد

أبيات من معلقة زهير وشرحها

صوت

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلّم
بها العين والآرام يمشين خلفاً
وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأياً عرفت الدار بعد توهم
فلما عرفت الدار قلت لربعها
ألا عم صباحاً أيها الربع واسلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه
يطيع العوالي ركبت كل لهزم
ومن هاب أسباب المنية يلقيها
ولو رام أسباب السماء بسلم

عروضه من الطويل. الحومانة، فيما ذكر الأصمعي، الأرض الغليظة، وجمعها حوامين. وقال غيره: الحومانة: ما كان دون الرمل. والدراج والمتثلّم: موضعان. وروى أبو عمرو عن بعض ولد زهير "الدراج" مضمومة الدال. والعين: البقر. والآرام تسكن الجبال. خلفاً: يذهب فوجٌ ويحيى فوجٌ يخلفه مكانه. ويروى: مجثمٌ ومجثم. فمن قال مجثم قال: جثمٌ يجثم جثوماً، ومن قال مجثم قال: جثمٌ يجثم جثماً، والأئي: البط. الزجاج: جمع زج. قال: وأصله أن القوم كانوا إذا أرادوا صلحاً قلبوا زجاج الرماح إلى فوق، فإن أبوا إلا الحرب قلبوا الأسنة. واللهدم: السنان المحدد؛ يقال رمح لهدمٌ وسانٌ لهدمٌ: حاد. وأم أوفى: امرأة كانت لزهير فطلقها. وله في ذلك خبرٌ يذكر بعد هذا.

الشعر لزهير بن أبي سلمى. والغناء للغريض، ثاني ثقليل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات. وفيها لبذل الكبيرة ثقليلٌ أول بالبنصر. ولعلويه في الثالث والرابع ثقليل أول. ولإبراهيم ثاني ثقليل بالوسطى في الخامس والسادس. وفيهما ثقليل أول يقال إنه ليزيد حوراء.

نسب زهير وأخباره

نسبه: هو زهير بن أبي سلمى . واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار. ومزينة أم عمرو بن أد هي بنت كلب بن وبرة.

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء: وهو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء، وإنما اختلف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه. فأما الثلاثة فلا اختلاف فيهم، وهم امرؤ قيس وزهير والنابعة الذبياني.

قال جرير هو شاعر الجاهلية: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام عن أبي قيس عن عكرمة بن جرير عن أبيه قال: شاعر أهل الجاهلية زهير.

قال عمر لابن عباس إنه شاعر الشعراء: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا

هارون بن عمر قال حدثنا أيوب بن سويد قال حدثنا يحيى بن يزيد عن عمر بن عبد الله الليثي " عن ابن عباس " قال: قال عمر بن الخطاب ليلة مسيره إلى الجابية : أين ابن عباس؟ فأتيته ؛ فشكا تخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فقلت : أو لم يعتذر إليك؟ قال بلى. قلت: فهو ما اعتذر به. ثم قال: أول من ريثكم عن هذا الأمر أبو بكر. إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة - ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب فتركها أنا - ثم قال: هل تروي لشاعر الشعراء؟ قلت: ومن هو؟ قال: الذي يقول:

ولو أن حمداً يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد

قلت: ذاك زهير. قال: فذاك شاعر الشعراء. قلت: وبم كان شاعر الشعراء؟ قال: لأنه لا يعاظم في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه. قال الأصمعي: يعاظم بين الكلام: يداخل فيه . ويقال: يتبع حوشي الكلام، ووحشي الكلام، والمعنى واحد.

كان قدامة بن موسى يقدمه على سائر الشعراء: أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سلام وأخبرني عمر بن موسى الجمحي عن أخيه قدامة بن موسى - وكان من أهل العلم - : أنه كان يقدم زهيراً. قلت: فأى شيء كان أعجب إليه؟ قال: الذي يقول فيه:

قد جعل المبتغون الخير من هرم والسائلون إلى أبوابه طرقا

قال جرير هو أشعر أهل الجاهلية

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري - ولم أر بدوياً يفني به - عن عكرمة بن جرير قال: قلت لأبي: يا أبت من أشعر الناس؟ قال: أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام؟ قلت: ما أردت إلا الإسلام. فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها. قال: زهيرٌ أشعر أهلها. قلت: فالإسلام؟ قال: الفرزدق نبعة الشعر. قلت: فالأخطل؟ فقال: يجيد مدح الملوك ويصيب وصف الخمر. قلت: فما تركت لنفسك؟ قال: نخرت الشعر نحرًا. قال عنه الأحنف بن قيس هو أشعر الشعراء: أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عيسى بن يزيد قال: سأل معاوية الأحنف بن قيس عن أشعر الشعراء، فقال: زهير. قال: وكيف؟ قال: ألقى عن المادحين فضول الكلام. قال: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله:

فما يك من خيرٍ أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

مدح عمر بن الخطاب شعره وروى منه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الله بن عمرو القيسي قال حدثنا خارجة بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس، قال: وحدثني غيره وهو أتم من حديثه، قال قال ابن عباس: خرجت مع عمر في أول غزاة غزاها. فقال لي ذات ليلة: يا بن عباس أنشدني لشاعر الشعراء. قلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: ابن أبي

سلمى. قلت: وبم صار كذلك؟ قال: لأنه لا يتبع حوشي الكلام. ، ولا يعاقل من المنطق، ولا يقول إلا ما يعرف، ولا يمتدح الرجل إلا بما يكون فيه. أليس الذي يقول:

إذا ابتدرت قيس بن عيلان غايةً
من المجد من يسبق إليها يسود
سبقت إليها كل طلقٍ مبرز
سبوقٍ إلى الغايات غير مزند
كفعل جوادٍ يسبق الخيل عفوه ال
سراع وإن يجهد ويجهدن يبعد
ولو كان حمدٌ يخلد الناس لم تمت
ولكن حمد الناس ليس بمخلد

أنشدني له، فأنشدته حتى برق الفجر. قال: حسبك الآن، اقرأ القرآن. قلت: وما أقرأ؟ قال: اقرأ الواقعة، فقرأها ونزل فأذن وصلى.

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس: خرجت مع عمر، ثم ذكر الحديث نحو هذا. استعاذ منه النبي "صلى الله عليه وسلم" فما قال شعراً حتى مات: وجدت في بعض الكتب عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكار عن حميد بن محمد بن عبد العزيز الزهري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفعه: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نظر إلى زهير بن أبي سلمى وله مائة سنة فقال: "اللهم أعذني من شيطانه" فما لك بيتاً حتى مات.

خرج أبوه أبو سلمى مع خاله وابن خاله لغزو طيء فمنعاه حقه في المغنم، وشعره في ذلك: قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني: كان من حديث زهير وأهل بيته أنهم كانوا من مزينة، وكان بنو عبد الله بن غطفان جيرانهم، وقدماً ولدتهم بنو مرة. وكان من أمر أبي سلمى أنه خرج وخاله أسعد بن العدير بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وابنه كعب بن أسعد في ناسٍ من بني مرة يغيرون على طيء، فأصابوا نعماً كثيرةً وأموالاً فرجعوا حتى انتهوا إلى أرضهم. فقال أبو سلمى لخاله أسعد وابن خاله كعب: أفردا لي سهمي، فأبيا عليه ومنعاه حقه، فكف عنهما؛ حتى إذا الليل أتى أمه فقال: والذي أحلف به لتقومن إلى بعيرٍ من هذه الإبل فلتقعدن عليه أو لأضربن بسيفي تحت قرطيك. فقامت أمه إلى بعيرٍ منها فاعتنقت سنامه، وساق بها أبو سلمى وهو يرتجز ويقول:

ويلٌ لأجمال العجوز مني
إذا دنوت وددون مني

كأنني سمعتم من جن

- سمعتم: لطيف الجسم قليل اللحم - وساق الإبل وأمّه حتى انتهى إلى قومه مزينة.
فذلك حيث يقول:

ولتغدون إبلٌ مجنبه
من عند أسعد وابنه كعب

- مجنبه: مجنبه -

أكل الحبارى برعم الرطب

الآكلين صريح قومهما

البرعم: شجرة ولها نور - قال: فلبث فيهم حيناً، ثم أقبل بمزينة مغيراً على بني ذبيان. حتى إذا مزينة أسهلت وخلفت بلادها ونظروا إلى أرض غطفان، تطايروا عنه راجعين، وتركوه وحده. فذلك حيث يقول:

وأبت عشيرة ربها أن تسهلا

من يشتري فرساً لخير غزوها

يعني أن تنزل السهل. قال: وأقبل حين رأى ذلك من مزينة حتى دخل في أخواله بني مرة. قلم يزل هو وولده في بني عبد الله بن غطفان إلى اليوم.

قال معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف وقد حملا دية هرم بن ضمضم في مالهما: أمن أم أوفى دمنة لم تكلم قالها زهير في قتل ورد بن حابس العبسي هرم بن ضمضم المري الذي يقول فيه عنترة وفي أخيه:

للحرب دائرة على ابني ضمضم

ولقد خشيت بأن الموت ولم تدر

ويمدح بها هرم بن سنان والحارث بن عوف بن سعد بن ذبيان المريين لأنهما احتملا ديته في مالهما؛ وذلك قول زهير:

تنزل ما بين العشيرة بالدم

سعى ساعياً غيظ بن مرة بعدما

يعني بني غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان.

قال الأثرم أبو الحسن حدثني أبو عبيدة قال: كان ورد بن حابس العبسي قتل الهرم بن ضمضم المري، فتشاجر عبس وذبيان قبل الصلح، وحلف حصين بن ضمضم ألا يغسل رأسه حتى يقتل ورد بن حابس أو رجلاً من بني عبس ثم من بني غالب، ولم يطلع على ذلك أحداً، وقد حمل الحمالة الحارث بن عوف بن أبي حارثة، وقيل بل أخوه حارثة بن سنان.

فأقبل رجل من بني عبس ثم أحد بني مخزوم، حتى نزل بحصين بن ضمضم. فقال له الحصين: من أنت أيها الرجل؟ قال: عبسي. قال: من أي عبس؟ فلم يزل ينتسب حتى انتسب إلى بني غالب، فقتله حصين. وبلغ ذلك الحارث بن عوف وهرم بن سنان فاشتد عليهما، وبلغ بني عبس فركبوا نحو الحارث. فلما بلغه ركوهم إليه وما قد اشتد عليهم من قتل صاحبهم وأنهم يريدون قتل الحارث. بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنه. وقال للرسول: قل لهم: الإبل أحب إليكم أم أنفسكم؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك. فقال لهم الربيع بن زياد: يا قوم إن أحاكم قد أرسل إليكم: "الإبل أحب إليكم أم ابني تقتلونه مكان قتيلكم" فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومنا، ونتم الصلح. فذلك حين يقول زهير بمدح الحارث وهرماً:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

وهي أول قصيدة مدح بها هرماً. ثم تابع ذلك بعد.

قصة زواج الحارث بن عوف ببهيسة بنت أوس وتحمله الدية في ماله بين عبس وذبيان: وقد أخبرني الحسن بن علي بهذه القصة، وروايته أتم من هذه، قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال:

قال الحارث بن عوف بن أبي حارثة: أتراني أخطب إلى أحد فيردني؟ قال نعم. قال: ومن ذاك. قال: أوس بن حارثة بن لأم الطائي. فقال الحارث لغلّامه: ارحل بنا، ففعل. فركبا حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده فوجداه في منزله. فلما رأى الحارث بن عوف قال: مرحباً بك يا حار. قال: وبك. قال: ما جاء بك يا حار؟ قال: جئتك خاطباً. قال: لست هناك. فأنصرف ولم يكلمه. ودخل أوس على امرأته مغضباً وكانت من عبس فقالت: من رجل وقف عليك فلم يطل ولم تكلمه؟ قال: ذاك سيد العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري. قالت: فما لك لم تستزله؟ قال: إنه استحق. قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطباً. قالت: أفتريد أن تزوجك بناتك؟ قال: نعم. قالت: فإذا لم تزوج سيد العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فتدرك ما كان منك. قال: بماذا؟ قالت: تلحقه فترده. قال: وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه؟ قالت: تقول له: إنك لقيتني مغضباً بأمر لم تقدم فيه قولاً، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت، فأنصرف ولك عندي كل ما أحببت فإنه سيفعل. فركب في أثرهما. قال خارجة بن سنان: فوالله إني لأسير إذ حانت مني التفاتة فرأيت، فأقبلت على الحارث وما يكلمني غماً فقلت له: هذا أوس بن حارثة في أثرنا. قال: وما نصنع به! امض!. فلما رأنا لا نقف عليه صاح: يا حار اربع علي ساعة. فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً. فبلغني أن أوساً لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة "لأكبر بناته" فأتته، فقال: يا بنية، هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب، قد جاءني طالباً خاطباً، وقد أردت أن أزوجه منه فما تقولين؟ قالت: لا تفعل. قال: ولم؟ قالت: لأني امرأة في وجهي ردة، وفي خلقي بعض العهدة، ولست بابنة عمه فيرعى رحمي، وليس بجارك في البلد فيستحي منك، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما فيه. قال: قومي بارك الله عليك. ادعي لي فلانة "لابنته الوسطى" فدعتها، ثم قال لها مثل قوله لأختها؛ فأجابته بمثل جوابها وقالت: إني خرقاء وليست بيدي صناعة، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني فيكون علي في ذلك ما تعلم، وليس بابن عمي فيرعى حقي، ولا جارك في بلدك فيستحيك. قال: قومي بارك الله عليك. ادعي لي بهيسة "يعني الصغرى"، فأتي بها فقال لها كما قال لهما.

فقلت: أنت وذاك. فقال لها: إني قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه. فقالت - ولم يذكر لها مقالتيهما - لكني والله الجميلة وجهاً، الصانع يداً، الرفيعة خلقاً، الحسبية أبا، فإن طلقني فلا أخلف الله عليه بخير. فقال: بارك الله عليك. ثم خرج إلينا فقال: قد زوجتك يا حارث بهيسة بنت أوس. قال: قد قبلت. فأمر أمها أن تهئها وتصلح من شأنها، ثم أمر بيوت فضرب له، وأنزله إياه. فلما هيئت بعث بها إليه. فلما أدخلت إليه لبث هنيهة ثم خرج

إلي. فقلت: أفرغت من شأنك؟ قال: لا والله. قلت: وكيف ذاك؟ قال: لما مددت يدي إليها قالت: مه ! أعند أبي وإخوتي !! هذا والله ما لا يكون. قال: فأمر بالرحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا، فسرنا ما شاء الله. ثم قال لي: تقدم فتقدمت، وعدل بها عن الطريق، فلما لبث أن لحق بي. فقلت: أفرغت؟ قال: لا والله. قلت: ولم؟ قال: قالت لي: أكما يفعل بالأمه الجليية أو السبية الأخيذة ! لا والله حتى تنحر الجزر، وتذبح الغنم، وتدعو العرب، وتعمل ما يعمل لمثلي. قلت: والله إني لأرى همةً وعقلاً، وأرجو أن تكون المرأة منجبةً إن شاء الله. فرحلنا حتى جئنا بلادنا، فأحضر الإبل والغنم، ثم دخل عليها وخرج إلي. فقلت: أفرغت؟ قال: لا. قلت: ولم؟ قال: دخلت عليها أريدها، وقلت لها قد أحضرنا من المال ما قد ترين، فقالت: والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك. قلت: وكيف؟ قالت: أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها ! " وذلك في أيام حرب عبس وذبيان ". قلت: فيكون ماذا؟ قالت: اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك فلن يفوتك. فقلت: والله إني لأرى همةً وعقلاً، ولقد قالت قولاً. قال: فاخرج بنا. فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى؛ فيؤخذ الفضل ممن هو عليه، فحملنا عنهم الديات، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين، فانصرفنا بأجمل الذكر. قال محمد بن عبد العزيز: فمدحوا بذلك، وقال فيه زهير بن أبي سلمى قصيدته:

أمن أم أوفى دمنةً لم تكلم

فذكرهما فيها فقال:

تقانونا ودقوا بينهم عطر منشم

مغانم شتى من إفال المرئم

ولم يهريقوا بينهم ملء محجم

تداركتما عبساً وذبيان بعدما

فأصبح يجري فيهم من تلادكم

ينجمها قومٌ لقومٍ غرامةً

وذكر قيامهم في ذلك فقال:

"صحا القلب وقد كاد لا يسلو "

وهي قصيدة يقول فيها:

وذبيان قد زلت بأقدامها النعل

تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها

وهذه لهم شرفٌ إلى الآن، ورجع فدخل بها، فولدت له بنين وبنات.

مدح بقصيدته القافية هرمًا وأباه وإخواته: ومما مدح به هرمًا وأباه وإخواته وغني فيه قوله: صوت

وعلق القلب من أسماء ما علقا

فأصبح الحبل منها واهناً خلقا

إن الخليط أجد البين فانفرقا

وأخفتك ابنة البكري وما وعدت

ولا محالة أن يشتاقي من عشقا

قامت تبدى بذى ضال لتحزنني

من الأطباء تراعي شادناً خرقا

بجيد مغزلة أدماء خاذلة

انفرك: انفعل، من الفرقة. وأجد وجد بمعنى واحد، من الجد خلاف اللعب. والواهن والواهي واحد. والحبل: السبب في المودة. والضال: الصدر الصغار، واحدها ضالة. والجيد: العنق. والمغزلة: الطيبة التي لها غزال. والأدماء: البيضاء. والخاذلة: المقيمة على ولدها ولا تتبع الأطباء. والشادن: الذي قد شذن أي تحرك ولم يقو بعد. والخرق: الدهش.

غنى مالك في الأول والثاني من الأبيات خفيف رمل بالوسطى، وقيل إنه لابن جامع، وقيل بل لحن ابن جامع بالبنصر. وفي الثالث والرابع لابن المكي رمل صحيح من رواية بذل والمشماسي. وفي هذه القصيدة يقول يمدح هرمًا:

والسائلون إلى أبوابه طرقا

قد جعل المبتغون الخير من هرم

يلق السماحة منه والندى خلقا

من يلق يوماً على علاته هرمًا

ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

ليثٌ بعثر يصطاد الليوث إذا

ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتقا

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا

حرف سنان بن أبي حارثة ثم مات فرثاه: ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هرم سنان بن أبي حارثة. وذكر ابن الكلبي أنه هوي امرأة فاستهيم بها؛ وتفاقم به ذلك حتى فقد فلم يعرف له خبر. فتزعم بنو مرة أن الجن استطارته فأدخلته بلادها، واستعجلته لكرمه. وذكر أبو عبيدة أنه قد كان هرم حتى بلغ مائة وخمسين سنة؛ فهام على وجهه خرقاً ففقد. قال: فرغم لي شيخ من علماء بني مرة أنه خرج لحاجته بالليل فأبعد، فلما رجع ضل فهام طول ليلته حتى سقط فمات، وتبع قومه أثره فوجدوه ميتاً فرثاه زهير بقوله:

ما تبتغي غطفان يوم أضلت

إن الرزية لا رزية مثلاً

بجنوب نجد إذا الشهور أحلت

إن الركاب لتبتغي ذا مرة

عظمت مصيبتك هناك وجلت

ينعين خير الناس عند شديدة

راخيت عقدة حبله فأنحلت

ومدفع ذاق الهوان ملعن

نهلت من العلق الرماح وعلت

ولنعم حشو الدرع كان إذا سطا

أشعار له غنى فيها: والذي فيه غناء من مدائح زهير قوله: صوت

بذي حرض ما ثلاث مثولا

أمن أم سلمى عرفت الطلولا

على فرط حولين رقاً محيلاً

بليين وتحسب آياتهن

المائل ها هنا: اللاطيء بالأرض، وفي موضع آخر: المنتصب القائم. وذو حرصٍ موضعٌ. والحرص: الأشنان. وآياقهن: علامتهن. وفرط حولين: تقدم حولين، والفرط: المتقدم. غنى في هذين البيتين إسحاق، وله فيهما لحنان: أحدهما ثاني ثقیلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر، من كتابه. والآخر ما خوري من مجموع غنائه، وروايته عن الهشامي. وفيهما للزبير بن دحمان خفيف ثقیلٍ أول بالبنصر عن عمرو. يقول فيها:

ل أعصي النهاية وأمضي الفؤولا

إليك سنان الغداة الرحي

جمع فأل، أي لا أتطير.

بني وائل واحذريه جديلا

فلا تأمني غزو أفراسه

ب بالقوم في الغزو حتى يطبلا

وكيف اتقاء امرئ لا يؤو

ومن الغناء في مدائح هرم قوله: صوت

بلى وغيرها الأرواح والديم

قف بالديار التي لم يعفها القدم

وعبرة ما هم لو أنهم أمم

كأن عيني وقد سال السليل بهم

في السلك خان به رباته النظم

غرب على بكرة أو لؤلؤ قلق

الدم: جمع ديمة وهو المطر الذي يدوم يوماً أو يومين مع سكون. سال السليل بهم: أي ساروا فيه سيراً سريعاً. والسليل: وادٍ. وقوله وعبرة ما هم أي هم عبرة، وما ها هنا صلة. لو أنهم أمم أي قصدت أزوهم. والأمم: بين القريب والبعيد. والقلق: الذي لم يستقر لما انقطع الخيط. والنظم: جمع واحدها نظام، شبه دموعه بلؤلؤ انقطع سلكه، وبماء سال من الغرب.

الغناء في هذه الأبيات رمل لابن المكي بالوسطى عن عمرو. وذكر عمرو أن لإسحاق فيها لحناً أيضاً. وذكر يونس أن فيها لحناً للمالك.

صوت

أقوين مذحج ومذهر

لمن الديار بقنة الحجر

بعدي سوافي الريح والقطر

لعب الرياح بها وغيرها

خير الكهول وسيد الحضر

دع ذا وعد القول في هرم

كنت المنور ليلة البدر

لو كنت من شيء سوى بشر

القنة: الجبل الذي ليس بمنتشر. أقوين: خلون. والسواقي: ما تسفي الرياح. قال: والقطر مخفوضةً بنسقه على الريح، والقطر لا سواقي له. وهذا تفعله العرب في المجاورة، وهو في مثل قولهم: حجر ضبٍ حرب. غنى في هذه الأبيات سائب خاثر من رواية حماد عن أبيه، ولم يحنسه. وفيه ثقلٌ أول بالبنصر نسبة عمرو بن بانة إلى معبد، ونسبه غيره إلى سائب، وإلى الأوسية مما ذكر حبش. قال: وهي من قيان الحجاز القدائم مولاةً للأوس.

ومنها قوله يمدح سنان بن أبي حارثة: صوت

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو	وأقفر من سلمى التعانيق فالتقل
وقد كنت من سلمى سنين ثمانياً	على صير أمرٍ ما يمر وما يحلو
وكنت إذا ما جئت يوماً لحاجة	مضت وأجمت حاجة الغد ما تخلو
وكل محبٍ أحدث النأي عنده	سلو فؤادٍ غير حبك ما يسلو
تأوئني ذكر الأحبة بعدما	هجعت ودوني قلة الحزن فالرمل
فأقسمت جهداً بالمنازل من منى	وما سحفت فيه المقادير والقمل
لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن	إلى الليل إلا أن يعرجني طفل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه	وتغرس إلا منابتها النخل

التعانيق والثقل: موضعان. ويروى: فالنخل. وقوله على صير أمرٍ: أي على شرف أمر. وأجمت: دنت. وتأوئني: أتاني ليلاً. والتأوئ: سير يوم إلى الليل. سحفت: حلقت، يقال سحف رأسه وسبته وجلطه: حلقه. وقوله "يعرجني طفل" قال يقال الطفل: الليل، ويقال الطفل: مغيب الشمس، وقال أبو عبيدة: الطفل: الحزن، وإيقاده نار التحير. والخطي: رماحٌ نسبها إلى الخط وهي من جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح. والوشيح: القنا واحدها وشيحة. والوشوج: دخول الشيء بعضه في بعض.

غنى إبراهيم الموصلي في الأول والثاني ثقيلاً أول بالبنصر من رواية الهشامي وعمرو. وغنى إبراهيم أيضاً في السادس والسابع والثامن خفيف ثقیل. وفي الثالث لمعبد خفيف ثقیل. ولعلويه في السابع والثامن خفيف رمل. وذكر حبش أن لإبراهيم في الثامن لحناً ماخورياً. ومن الغناء في مدائحه هرماً قوله: صوت

لمن طللٌ برامة لا يريم	عفا وأحاله عهدٌ قديم
تطالعني خيالاتٌ لسلمى	كما يتطالع الدين الغريم

غناه دحمان ثاني ثَقِيلٌ بالبِئِصْر عن عمرو. وعفا: درس ها هنا، وفي موضع آخر: كثر، وهو من الأضداد. وخيالات: جمع خيال.

أنشد عمر رضي الله عنه شعراً له في هرم بن سنان فمدحه: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المهلي قالا حدثنا عمر بن شبة، وقال المهلي في خير له عن الأصمعي قال: أنشد عمر بن الخطاب قول زهير في هرم بن سنان يمدحه:

خير الكهول وسيد الحضر

دع ذا وعد القول في هرم

كنت المنور ليلة البدر

لو كنت من شيء سوى بشر

لشوابك الأرحام والصهر

ولأنت أوصل منح سمعت به

دعيت نزال ولج في الذعر

ولنعم حشو الدرع أنت إذا

ض القوم يخلق ثم لا يفري

وأراك تفري ما خلقت وبع

أسلفت في النجداث من ذكر

أثني عليك بما علمت وما

يلقاك دون الخير من ستر

والستر دون الفاحشات ولا

فقال عمر: ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قال عمر لبعض ولد هرم قد خلد ذكره لكم: قال وقال عمر لبعض ولد هرم: أنشدني بعض مدح زهير أباك، فأنشده. فقال عمر: إن كان ليحسن فيكم القول. قال: ونحن والله إن كنا لنحسن له العطاء. فقال: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم.

حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه: قال: وبلغني أن هرم كان قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه، ولا يسلم عليه إلا أعطاه: عبداً أو وليدة أو فرساً. فاستحيا زهيرٌ مما كان يقبل منه، فكان إذا رآه في ملاء قال: عموا صباحاً غير هرم، وخيركم استثنيت. وروى المهلي: وخيركم تركت.

سأل عمر ابنه عن الحلل التي كساه إياها هرم فأجابه: أخبرني الجوهري والمهلي قالا حدثنا عمر بن شبة قال: قال عمر لابن زهير: ما فعلت الحلل التي كساهها هرم أباك؟ قال: أبلاها الدهر. قال: لكن الحلل التي كساهها أبوك هرماً لم يلبها الدهر. وقد ذكر الميثم بن عدي أن عائشة خاطبت بهذه المقالة بعض بنات زهير.

شعر له مدح به هرماً ولم يسبقه إليه أحد: وقال أبو زيد عمر بن شبة: ومما سبق فيه زهير في مدح هرم ولم يسبقه إليه أحد قوله:

والسائلون إلى أبوابه طرقاً

قد جعل المبتغون الخير من هرم

يلق السماحة منه والندى خلقاً

من يلق يوماً على علاته هرماً

يطلب شأو امرأين قدما حسباً

بذا الملوك وبذا هذه السوقاً

هو الجواد فإن يلحق بشأوهما

على تكاليفه فمثله لحقا

أو يسبقاه على ما كان من مهل

فمثل ما قدما من صالح سبقا

مدح عبد الملك بن مروان شعره في مدح آل أبي حارثة: أخبرني الجوهري والمهلي قالاً حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني: قال عبد الملك بن مروان: ما يضر من مدح بما مدح به زهير آل أبي حارثة من قوله:

على مكثريهم رزق من يعترهم

وعند المقلين السماحة والبذل

ألا يملك أمور الناس " يعني الخلافة ". قال ثم قال: ما ترك منهم زهير غنياً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه. مدح عثمان بن عفان شعراً له: وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلاي: أنشد عثمان بن عفان قول زهير:

ومنها تكن عند امرئ من خليفة

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فقال: أحسن زهيراً وصدق، لو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس. قال وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " لا تعمل عملاً تكره أن يتحدث عنك به ".

تمثل عروة بن الزبير ببيت له وقد استخلف به عبد الملك بن مروان: قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جعدويه: أن عروة بن الزبير لحق بعبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله بن الزبير. فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه، وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخف به. فقال له يوماً: يا أمير المؤمنين، بئس المزور أنت، تكرم ضيفك في الخلا، وتمينه في الملا، وقال: لله در زهير حيث يقول:

فقري في بلادك إن قوماً

متى يدعوا بلادهم يهونوا

ثم استأذنه في الرجوع إلى المدينة، ففضى حوائجه وأذن له. وهذا البيت من قصيدة لزهير قالها في بني تميم، وقد بلغه أنها حشدت لغزو غطفان؛ أولها:

ألا أبلغ لديك بني تميم

وقد يأتيتك بالخبر الظنون

الظنون: الذي لست منه على ثقة. والظنين: المتهم.

شعره في الحارث بن ورقاء وقد أخذ إبله وغلاً: كان الحارث بن ورقاء الصيدوي من بني أسد أغار على بني عبد الله بن غطفان فغنم فاستاق إبل زهير وراعيه يساراً. فقال زهير:

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا

وزودوك اشتياقاً أيةً سلکوا

وهي طويلة يقول فيها:

لئن حللت بجو في بني أسد

في دين عمرو وحالت بيننا فدك

ليأتينك مني منطقاً قدغ

باقٍ كما دنس القبطية الودك

فاردد يساراً ولا تعنف عليه ولا
تمعك بعرضك إن الغادر المعك
ولا تكونن كأقوام علمتهم
يلوون ما عندهم حتى إذا نهكوا
طابت نفوسهم عن حق خصمهم
مخافة الشر وارتدوا لما تركوا

وفي هذه القصيدة مما يغنى فيه: صوت

أهوى لها أسفع الخدين مطرقاً
ريش القوادم لم ينصب له شرك
وقد أكون أمام الحي تحملني
جرداء لا فحجّ فيها ولا صكك

أهوى لها - يعني القطة تقدم وصفه إياها - صقرٌ. ورواه الأصمعي: "هوى لها" وقال: هوى: انقض، وأهوى: أوفى. ومطرقٌ: ريشه بعضه على بعض ليس بمنتشر، وهو أعتق له. وقوله لم ينصب له شركٌ: أي لم يصطد ولم يذل. والقوادم: العشر المتقدّمات. والفحج: تباعد ما بين الفخذين. والصكك: اصطكاك العرقوبين في الدواب، وفي الناس الركبتيين. قال: فلما أنشد الحارث هذا الشعر بعث بالغلام إلى زهير. وقيل: بل أنشد قول زهير:

تعلم أن شر الناس حيّ
ينادى في شعارهم يسار
ولولا عبسه لرددتموه
وشر منيحة أير معار
إذا جمحت نسائكم إليه
أشظ كأنه مسد مغار
يبربر حين يعدو من بعيدٍ
إليها وهو قبقاب قطار

فرده عليه. فلامه قومه وقالوا له: اقلته ولا ترسل به إليه، فأبى عليهم. فقال زهير عند ذلك:

أبلغ لديك بني الصيذاء كلهم
أن يساراً أتنا غير مغلول
ولا مهان ولكن عند ذي كرم
وفي حبال وفي العهد مأمول

وهي قصيدة. فقال الحارث لقومه: أيما أصلح. ما فعلت أو ما أردتم؟ قالوا: بل ما فعلت.

كان يذكر في شعره بنو غطفان وأحوال بني مرة ويمدحهم: قال ابن الأعرابي وحدثني أبو زياد الكلابي: إن زهيراً وأباه وولده كانوا في بني عبد الله بن غطفان، ومزلهم اليوم بالحاجر، وكانوا فيه في الجاهلية. وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من بني فهر بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان يقال له الغدير - والغدير هو أبو بشامة الشاعر - فولدت له زهيراً وأوساً، وولد لزهير من امرأة من بني سحيم. وكان زهير يذكر في شعره بني مرة وغطفان ويمدحهم. وكان زهير في الجاهلية سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع.

شكا إليه رجل من غطفان بني عليم بن جناب فهجاهم: قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد: أنه بلغه أن زهيراً هجا آل بيت من كلب من بني عليم بن جناب، وكان بلغه عنهم شيء من وراء وراء، وكان رجل من بني عبد الله بن غطفان أتى بني عليم، وأكرموا له لما نزل بهم وأحسنوا جواره،

وكان رجلاً مولعاً بالقمار فنهوه عنه، فأبى إلا المقامرة. قمر مرةً فردوا عليه، ثم قمر أخرى فردوا عليه، ثم قمر الثالثة فلم يردوا عليه، فترحل عنهم وشكا ما صنع به إلى زهير، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاءً شديداً. فقال: ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خفت أن يصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم. قال: والذي هجاهم به قوله:

فيمنّ فالقوام فالحساء

عفتها الريح بعدك والسماء

نوى مشمولةً فمتى اللقاء

هجائن في مغابنها الطلاء

وإن طالت لجاجته انتهاء

نشاوى واجدين لما نشاء

تعل به جلودهم وماء

عفا من آل فاطمة الجواء

فدو هاش فميث عريتنا

جرت سنحاً فقلت لها أجزى

كأن أوابد الثيران فيها

لقد طالبتها ولكل شيء

وقد أغدو على شرب كرام

لهم طاس وراووق ومسك

الجواء: أرض. ويمنّ والقوام: في بلاد غطفان. والميث: جمع ميثاء. قال أبو عمرو: إذا كان مسيل الماء مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهي ميثاء. والسماء ها هنا: المطر. والسانح: ما أقبل من شمالك يريد بيمينك. والبارح: ضده. وقال أبو عبيدة: سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح فقال: السانح: ما ولاك ميامنه. والبارح: ما ولاك مشائمه. وأجزى: انفذي. قال الأصمعي: يقال أحزت الوادي إذ قطعته وخلفته، وحزته: إذا سرت فيه فتجاوزته. والأوابد: الوحشية. والهجائن: إبل بيض. والمغابن: الأرفاغ، واحدها مغبن. ومشمولة: سريعة الانكشاف. أخذه من الريح الشمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب. وجعل مشمولة ها هنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة، فأحرى ذلك مجرى الدم، فهذه السنج.

غنى في الأول والثاني والسابع معبداً ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر علي بن يحيى أن للغريض فيها خفيف ثقيل. وذكر حبش أن فيه للهدلي ثاني ثقيل بالوسطى. وفي الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو:

أعالجه ومطلبه عناء

بنفسي من تذكره سقام

في هذه الأبيات الثلاثة خفيف ثقيل أول بالوسطى في مجراها، ذكر إسحاق أنه للغريض، وغيره ينسبه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة. وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يشك فيه من غنائه. طلب من خاله بشامة وهو يحتضر أن يقسم له من ماله فقال له أورثتك الشعر. وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زياد، وذكر بعض هذا الخبر إسحاق الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال: وكان بشامة بن

الغدير خال زهير بن أبي سلمى، وكان زهير منقطعاً إليه وكان معجباً بشعره. وكان بشامة رجلاً مقعداً ولم يكن له ولد، وكان مكثراً من المال، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غطفان لحنولتهم. وكان بشامة أحزم الناس رأياً، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يغزوا أتوه فاستشاروه وصدروا عن رأيه، فإذا رجعوا قسموا له مثل ما يقسمون لأفضلهم، فمن أجل ذلك كثر ماله. وكان أسعد غطفان في زمانه. فلما حضره الموت جعل يقسم ماله في أهل بيته وبين بني إخوانه. فأتاه زهير فقال: يا خاله لو قسمت لي من مالك !! فقال: والله يابن أخي لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله. قال: وما هو. قال: شعري ورثتيه، وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر، وقد كان أول ما قال. فقال له زهير: الشعر شيء ما قلته فكيف تعدد به علي؟ فقال له بشامة: ومن أين جئت بهذا الشعر ! لعلك ترى أنك جئت به من مزينة، وقد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها في الشعر لهذا الحي من غطفان ثم لي منهم، وقد رويته عني. وأحذاه نصيباً من ماله ومات.

بشامة خاله شاعر مجيد وشيء من شعره: وبشامة شاعر مجيد وهو الذي يقول: صوت

الأترين وقد قطعتني قطعاً

للاباطين فإني لين العود

الغناء لإسحاق ثقیل أول بالنصر، وقيل: إنه لإبراهيم.

طلق زوجته أم أوفى ثم ندم فقال شعراً: قال ابن الأعرابي: أم أوفى التي ذكرها زهير في شعره كانت امرأته، فولدت منه أولاداً ماتوا، ثم تزوج بعد ذلك امرأة أخرى، وهي أم ابنه كعب وبجير؛ فغارت من ذلك وآذته، فطلقها ثم ندم فقال فيها:

لعمرك والخطوب مغيرات

لقد بالبيت مظعن أم أوفى

فأما إذ نأيت فلا تقولي

أصبت بني منك ونلت مني

عانت امرأة ابنه سالماً فمات فرثاه: وقال ابن الأعرابي: كان لزهير ابن يقال له سالم، جميل الوجه حسن الشعر. فأهدى رجل إلى زهير بردين، فلبسهما الفتى وركب فرساً له، فمر بامرأة من العرب بماء يقال له التناءة، فقالت: ما رأيت كالיום قط رجلاً ولا بردين ولا فرساً. فعثر به الفرس فاندقت عنقه وعنق الفرس وأنشق البردان. فقال زهير يرثيه:

رأت رجلاً لاقى من العيش غبطة

وشب له فيها بنون وتوبعت

وأخطأه فيها الأمور العظام

سلامة أعوام له وغنائم

فأصبح محبوراً ينظر حوله بغبطته لو أن ذلك دائم

وعندي من الأيام ما ليس عنده فقلت تعلم إنما أنت حالم

لعلك يوماً أن تراعى بفاجعٍ كما راعني يوم النتاء سالم

قال ابن الأعرابي: هو وقومه شعراء: كان لزهير في الشعر ما لم يكن لغيره، وكان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرةً، وابناه كعبٌ وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرةً، وهي القائلة ترثيه:

وما يغني توفي الموت شيئاً ولا عقد التميم ولا الغضار

- والغضار: كان أحدهم إذا خشى على نفسه يعلق في عنقه خزفاً أخضر -

إذا لاقى منيته فأمسى يساق به وقد حق الحذار

ولاقاه من الأيام يومٌ كما من قبل لم يخلد قدار

وابن ابنه المضرب بن كعب بن زهير شاعرٌ، وهو القائل:

إني لأحبس نفسي وهي صاديةٌ عن مصعبٍ ولقد باننت لي الطرق

رعى عليه كما أرعى على هرمٍ جدي زهيرٌ وفينا ذلك الخلق

مدح الملوك وسعي في مسرتهم ثم الغنى ويد الممدوح تنطلق

ما امتاز به شعره وكان سبب تقديمه: أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: من قدم زهيراً احتج بأنه كان أحسنهم شعراً، وأبعدهم من سخفٍ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليلٍ من الألفاظ، وأشدّهم مبالغةً في المدح، وأكثرهم أمثالاً في شعره.

مرثية ابنه سالم: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال: كان لزهير ابنٌ يقال له سالم، وكان من أم كعب بن زهير؛ فمات أو قتل، فجزع عليه كعب جزعاً شديداً، فلامته امرأته وقالت: كأنه لم يصب غيرك من الناس! فقال:

رأت رجلاً لاقى من العيش غبطةً وأخطأه فيها الأمور العظام

وشب له فيها بنون وتوبعت سلامة أعوامٍ له وغنائم

فأصبح محبوراً ينظر حوله بغبطته لو أن ذلك دائم

وعندي من الأيام ما ليس عنده فقلت له مهلاً فإنك حالم

لعلك يوماً أن تراعى بفاجعٍ كما راعني يوم النتاء سالم

صوت

وكيف تصابي من يقال حلیم

عزفت ولم تصرم وأنت صروم

وصالاً على طول الصدود يدوم

صددت فأطولت الصدود ولا أرى

عروضه من الطويل. عزفت عن الشيء: إذا تركته وأبته نفسك. قال ابن الأعرابي: يقول لم تصرم صرم بتات. ولكن صرمت صرم دلال. وأطولت الصدود أي أطلته. وإنما قال هذا ضرورة. الشعر للمرار بن سعيد الفقعسي. والغناء لإسحاق رمل.

ذكر المرار وخبره ونسبه

نسبه وكان قصيراً ضئيل الجسم: هو المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة بن الأشيم بن جحوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار. وأم المرار بنت مروان بن منقذ الذي أغار على بني عامر بتهلان فقتل منهم مائة بحبيب بن منقذ عمه ، وكانوا قتلوه.

وكان المرار قصيراً مفرط القصر ضئيل الجسم. وفي ذلك يقول:

حتى استشاروا بي إحدى الإحد

عدوني الثعلب عند العدد

يرمي بطرف كالحريق الموقد

ليثاً هزبراً ذا سلاح معتدي

كان يهاجي المساور بن هند: وكان يهاجي المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي. وفيه يقول المرار:

إن الشقي بكل حبل يخنق

شقيت بنو سعدٍ بشعرٍ مساورٍ

والمساور القائل فيه:

وإن ربي ينجيني من النار

ما سرني أن أُمي من بني أسدٍ

وأن لي كل يوم ألف دينار

أو أنهم زوجوني من بناتهم

من مخضرمي الدولتين أغار هو وأخوه بدر على بني عبس ونهب إبلهم فحبسهما الوالي: والمرار من مخضرمي الدولتين. وقد قيل: إنه لم يدرك الدولة العباسية.

وقال هذه القصيدة وهو محبوس. ذكر محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل والكوفيين:

أن المرار بن سعيد كان أتى حصين بن براق من بني عبس، فوقف على بيوتهم فجعل يحدث نساءهم وينشدهن الشعر. فنظروا إليه وهو مجتمعون على الماء فظنوا أنه يعظهن. ثم انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال. فقال له بعضهم: أنت يا مرار تقف على أبياتنا وتشد النساء الشعر! فقال: إنما كنت أسألهن. فجرى بينه وبينهم كلامٌ غليظ، فوثبوا عليه وضربوه وعقروا بعيره؛ فانصرف من عندهم إلى بني فقعس فأخبرهم الخبر،

فركبوا معه حتى أتوا بني عبس فقاتلوهم فهزموهم، وفقأت بنو فقعس من بني عبس عيناً وقتلوا رجلاً ثم انصرفوا. فحمل أبو شداد النصري لبني عبس مائتي بعير وغلظوا عليهم في الدية. ثم أن بدر بن سعيد أخا المزار قال: قد استوفت عبسٌ حقها، فعلام أترك ضرب أخي وعقر جملة! فخرج حتى أتى جملاً لبني عبس في المرعى فرمى بعضها فعقرها ثم انصرف. فقال للمزار: إنه والله ما يقنع بهذا ولكن أخرج بنا. فخرجوا حتى أغارا على إبل لبني عبس فطردوها وتوجهوا نحو تيماء. فلما كانا في بعض الطريق انقطع بطان راحلة بدر فندر عن رحله. فقال له المزار: يا أخي أطعني وانصرف ودع هذه الإبل في النار، فأبى عليه. ثم سارا، فلما كانا في بعض الطريق عرض لهما ظيٌّ أعضب أحد القرنين. فقال المزار لبدر: قد تطيرت من هذا السفر، ولا والله ما نرجع من هذا السفر أبداً، فأبى عليه بدرٌ. فتفرقت عبسٌ فرقتين في طلب الإبل، فعمدت فرقةٌ إلى وادي القرى، وفرقةٌ إلى تيماء؛ فصادفوا الإبل بتيماء تباع، فأخذوا المزار وبدرًا فرفعوهما إلى الوالي. وعرفت سمات عبس على الإبل فدفعتهما إليهم، ورفع المزار وأخوه إلى المدينة فضربا وحبساً، فمات بدرٌ في الحبس. فكلمت عدةً من قریش زياد بن عبد الله النصري في المزار فخلاه. وقال في حبسه:

صرمت ولم تصرم وأنت صروم

وهي طويلة.

مات أخوه بدر في الحبس فرثاه: وقال يرثي أخاه بدرًا:

ألا يا لقومي للتجلد والصبر	وللقدر الساري إليك وما تدري
وللشيء تنساه وتذكر غيره	وللشيء لا تنساه إلا على ذكر
وما لكما بالغيب علمٌ فتخبرا	وما لكما في أمر عثمان من أمر

وهي طويلة، يقول فيها:

ألا قاتل الله المقادير والمنى	وطيراً جرت بين السعافات والحبر
وقاتل تكذبي العيافة بعدما	زجرت فما أغنى اعتيافي ولا زجري
تروح فقد طال الثواء وقضيت	مشاريط كانت نحو غايتها تجري

- المشاريط: العلامات والأمارات -

وما لفقول بعد بدرٍ بشاشةٌ	ولا الحي آتيهم ولا أوبة السفر
تذكرني بدرًا زعازع حجرةٍ	إذا عصفت إحدى عشياتها الغبر

- الزعازع: الشديدة المبوب. والحجرة: السنة الشديدة -

إذا شولنا لم نؤت منها بمحلبٍ	قرى الضيف منها بالمهند ذي الأثر
------------------------------	---------------------------------

وأضيا فإنا إن نبهونا ذكرته
 إذا سلم الساري تهلل وجهه
 تذكرت بدرأ بعدما قيل عارف
 لما نابيه يا لهف نفسي على بدر
 إذا خطرت منه على النفس خطرة
 مرت دمع عيني فاستهل على نحري
 وما كنت بكاءً ولكن يهيج لي
 أعيني إني شاكر ما فعلتما
 سألتكما أن تسعداني فجدتما
 فلما شفاني اليأس عنه بسلوة
 نهيتكما أن تسهراني فكنتما
 يقول: طويتما أغيار دمعكما. والأغبار: البقايا كأغبار اللبن.

خرج حاجاً وأضافه قرشي بالأبطح: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن واصل بن زكريا بن المرار أن المرار قال: خرجت حاجاً فأنخت بناحية الأبطح، فجاء قوم فنحوني عن موضعي وضربوا فيه قبةً لرجل من قریش. فلما جاء وجلس أتيتته فقلت:

هذا قعودي باركاً بالأبطح عليه عكما أكرم لم تفتح

فقال: وما قصتك؟ فأخبرته. فقال: والله لا تفتح منهما شيئاً حتى تنصرف، فأقم معنا، يدك مع أيدينا، وقعودك مع أباعرنا. فوالله ما فتحت العدلين حتى انصرفت بهما إلى أهلي. فما هجاني أحد قط هجاءه. حبس هو وأخوه بدر، وشعره في الحبس: أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال أخبرني أبو موهب رتل الزبيري أحد بني زبير بن عمرو بن قعين قال: كان المرار بن سعيد وأخوه بدر لصين، وكان بدر أشهر منه بالسرقة وأكثر غارات على الناس. فأغار بدر على ذود لبعض بني غنم بن ذودان فطردها، فأخذ ورفع إلى عثمان بن حيان المري، وهو يومئذ على المدينة فحبسه. وطرده المرار طريداً فأخذ معها وهو يبيعها بوادي القرى أو بريمة، فرفع إلى عثمان بن حيان فحبسه. قال: فاجتمعا ومكثا في السجن مدة؛ ثم أفلت المرار وبقي بدر في السجن حتى مات محبوساً مقيداً. فقال المرار وهو في الحبس:

أنار بدت من كوة السجن ضوءها
 عشية حل الحي بالجرع العفر
 يطيب بها مس الجنائب والقطر
 عشية حل الحي أرضاً خصيبة

فيا ويلتا سجن اليمامة أطلقا أسيركما ينظر إلى البرق ما يفري
فإن تفعلأ أحمدكما ولقد أرى بأنكما لا ينبغي لكما شكري
ولو فارقت رجلي القيود وجدنتي رفيقاً بنص العيس في البلد القفر
جديراً إذا أمسى بأرضٍ مضلة بتقويمها حتى يرى وضح الفجر

خاصم رجلاً من قومه وسابه، وقال في ذلك شعراً: وقال أبو عمرو الشيباني: كان بين المرار بن سعيد وبين رجل من قومه لحاءً، فتقاذفا وتسابا، ثم صارا إلى الضرب بالعصا؛ فقال في ذلك: صوت

ألم تربع فتخبرك المغاني فكيف وهن مذ حجج ثمان
برئت من المنازل غير شوق إلى الدار التي بلوى أبان

لإسحاق في هذين البيتين هزجٌ بالخنصر في مجرى البنصر من كتاب ابن المكي.
كان أخوه بدرأ شاعراً، وشيء من شعره: وكان بدر بن سعيد أخو المرار شاعراً وهو الذي يقول: صوت

يا حبذا حين تمسي الريح باردة وادي أشي وفتيانٌ به هضم
مخدمون كرامٌ في مجالسهم وفي الرحال إذا لاقيتهم خدم
وما أصحاب من قوم فأذكرهم إلا يزيدهم حباً إلي هم

الغناء لابن محرز ثاني ثقل بالخنصر والبنصر عن ابن المكي. وفيه لمّيم خفيف رمل. وذكر حبش، أن الثقل للهندي. وفيه لمحمد بن الحارث بن بسخر ثقل أول عن الهشامي.
صوت صوت ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة:

خطاطيف حجنٌ في حبالٍ متينة تمد بها أيدٍ إليك نوازع
فإن كنت لا ذا الضغن عني مكذباً ولا حلقي عند البراءة نافع
فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

عروضه من الطويل. يقول: أنا في قبضتك متى شئت قدرت علي كأي في خطاطيف تجذبني إليك ولا أقدر على الهرب منك. ويروى "وإن خلت أن المنتوى" أي الموضع الذي أنتوي قصده. والمنتأى: المفتعل من النائي والحجن: الموجعة. والنوازع: الجواذب. والضغن: الحقد.
الشعر للنابغة الذبياني. والغناء لابن صاحب الوضوء من رواية إسحاق وعمرو ماحوري بالبنصر.

الجزء الحادي عشر

أخبار النابغة ونسبه

نسب النابغة: النابغة اسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع بن غيظ بن مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. ويكنى أبا أمامة . وذكر أهل الرواية أنه إنما لقب النابغة لقوله:

فقد نبغت لهم منا شؤون

وهو أحد الأشراف الذين غض الشعر منهم. وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء .
سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المهلي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو نعيم قال حدثنا شريك عن مجاهد عن الشعبي عن ربعي بن حراش قال: قال عمر: يا معشر غطفان، من الذي يقول:

على خوفٍ تظن بي الظنون

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي

قلنا: النابغة. قال: ذاك أشعر شعرائكم .
أخبرني أحمد وحبیب قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبيد بن جناد قال حدثنا معن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن جده عن الشعبي قال: قال عمر: من أشعر الناس؟ قالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين. قال: من الذي يقول:

قم في البرية فاحدها عن الفند

إلا سليمان إذ قال الإله له

يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وخبِر الجن أني قد أذنت لهم

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

على خوفٍ تظن بي الظنون

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي

قالوا: النابغة. قال: فمن الذي يقول:

وليس وراء الله للمرء مذهب

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً

لمبلغك الواشي أغش وأكذب

لئن كنت قد بلغت عني خيانةً

على شعثٍ أي الرجال المهذب

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه

قالوا: النابغة. قال: فهو أشعر العرب .

أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا عمر بن أبي زائدة عن الشعبي قال: ذكر الشعر عند عمر؛ ثم ذكر مثله .

سئل ابن عباس عن أشعر الناس فأمر أبا الأسود بالجواب فذكره: أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثني علي بن محمد عن المدائني عن عبد الله بن الحسن عن عمر بن الحباب عن أبي المؤمل قال: قام رجل إلى ابن عباس فقال: أي الناس أشعر؟ فقال ابن عباس: أخبره يا أبا الأسود الدؤلي: قال الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

حوار في شعر له في مجلس الجنيد بن عبد الرحمن: أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي جرير بن شريك بن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه من الناس، فتذكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

فقال شيخ من بني مرة: ما الذي رأى في النعمان حيث يقول له هذا! وهل كان النعمان إلا على منظرٍ من مناظر الحيرة! وقالت ذلك القيسية فأكثروا. فنظر إلي الجنيد وقال: يا أبا خالد! لا يهولنك قول هؤلاء الأعراب! أقسم بالله أن لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال، ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون .

كان يجلس للشعراء بعكاظ فمدح شعر الخنساء وحواره مع حسان: أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو بكر العليمي قال حدثني عبد الملك بن قريب قال: كان يضرب للنابغة قبة من آدم بسوق عكاظ، فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها. قال: وأول من أنشدته الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم أنشدته الشعراء، ثم أنشدته الخنساء بنت عمرو ابن الشريد:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقال: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت إنك أشعر الجن والإنس. فقام حسان فقال: والله لأنا أشعر منك ومن أيك! فقال له النابغة: يا بن أخي، أنت لا تحسن أن تقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطاطيف حجن في جبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع

قال: فحسن حسان لقوله .

تذاكر قوم الشعر وهم في الصحراء فإذا هم بجني يقول إنه أشعر الناس:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبیب بن نصر المهلبی قالاً حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال قال فلان لرجل سماه فانسيتہ: بينا نحن نسیر بين أنقاء من الأرض تذاكرنا الشعر، فإذا راكب أطلّس يقول أشعر الناس زياد ابن معاوية؛ ثم تملّس فلم نره . فضحك أبو عمرو على زهير: أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول: ما كان ينبغي للنابعة إلا أن يكون زهير أجيراً له . سأل عبد الملك عن شعر له في اعتذاره للنعمان وقال إنه أشعر العرب: أخبرني أحمد قال حدثنا عمر قال عمرو بن المنتشر المرادي:

وفدنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه، فقام رجل فاعتذر من أمرٍ وحلف عليه. فقال له عبد الملك: ما كنت حرياً أن تفعل ولا تعتذر. ثم أقبل على أهل الشام فقال: أيكم يروي من اعتذار النابعة إلى النعمان:

حلفت فلم أترك لنفسك ربيّةً وليس وراء الله للمرء مذهب

فلم يجد فيهم من يرويه؛ فأقبل علي فقال: أترويه؟ قلت: نعم! فأنشدته القصيدة كلها؛ فقال: هذا أشعر العرب . سئل حماد بن محمد النابعة فأجاب: أخبرنا بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالاً حدثنا عمر بن شبة قال: قال معاوية بن بكر الباهلي قلت لحماة الراوية: بم تقدم النابعة؟ قال: باكتفائك بالبيت الواحد من شعره، لا بل بنصف بيت، لا بل بربع بيت مثل قوله:

حلفت فلم أترك لنفسك ربيّةً وليس وراء الله للمرء مذاهب

كل نصف يغنيك عن صاحبه، وقوله: أي الرجال المهذب، ربع بيت يغنيك عن غيره . وهذه القصيدة العينية يقولها في النعمان بن المنذر يعتذر إليه بها وبعده قصائد قالها فيه تذكر في مواضعها . ولقد اختلفت الرواة في السبب الذي دعاه إلى ذلك . كان أثيراً عند النعمان فدخل على زوجته المتجردة فوصفها: فأخبرني حبیب بن نصر المهلبی وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالاً حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة وغيره من علمائهم: إن النابعة كان كبيراً عند النعمان خاصاً به وكان من ندمائه وأهل أنسه؛ فرأى زوجته المتجردة يوماً وغشيها تشبيهاً بالفجاءة، فسقط نصفها واستترت بيدها وذراعها، فكادت ذراعها تستر وجهها لعلها تغلظها؛ فقال قصيدته التي أولها:

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زادٍ وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك تتعاب الغراب الأسود

لا مرحباً بغدٍ ولا غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

في إثر غانيةٍ رمتك بسهمها فأصاب قلبك غير أن لم تقصد

بالدر والياقوت زين نحرها ومفضلٍ من لؤلؤ وزبرجد

عروضه من الكامل. وغناه أبو كاملٍ من رواية حبشٍ ثقيلاً أول بالبنصر. وغناه الغريض من روايته ثاني ثقيلاً بالوسطى. وغناه ابن سريج من رواية إسحاق ثقيلاً في مجرى الوسطى .
قوله: أمن آل مية: يخاطب نفسه كالمستثبت. وعجلان: من العجلة، نصبه على الحال. والزاد في هذا الموضع: ما كان من تسليم ورد نحية. والبوارح: ما جاء من ميامنك إلى مياسرك فولاك مياسره. والسانح ما جاء من مياسرك فولاك ميامنه؛ حكى ذلك أبو عبيدة عن رؤية وقد سأله يونس عنه. وأهل نجد يتشاءمون بالبوارح، وغيرهم من العرب تتشاءم بالسانح وتتيمن بالبارح؛ ومنهم من لا يرى ذلك شيئاً قال بعضهم:

أغدو على واقٍ وحاتم

ولقد غدوت وكنت لا

من والأيامن كالأشائم

فإذا الأشائم كالأيا

وتنعب الغراب: صياحه؛ يقال: نعب الغراب ينعب نعيماً ونعباناً، والتنعب تفعال من هذا. وكان النابغة قال في هذا البيت: وبذاك خبرنا الغراب الأسود، ثم ورد يثرب فسمعه يغنى فيه، فبان له الإقواء، فغيره في مواضع من شعره .

كان يقوى فلما ذهب إلى يثرب تبين له هذا العيب فأصلحه: وأخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأت على أبي: قال أبو عبيدة: كان فحلان من الشعراء يقويان: النابغة وبشر بن أبي حازم. فأما النابغة فدخل يثرب فهابوه أن يقولوا له لحت وأكفأت ، فدعوا قينةً وأمروها أن تغني في شعره ففعلت. فلما سمع الغناء وغير مزود، و الغراب الأسود، وبان له ذلك في اللحن فطن لموضع الخطأ فلم يعد. وأما بشر بن أبي حازم فقال له أخوه سواده: إنك تقوي. قال وما ذاك؟ قال: قولك:

وينسي مثل ما نسيت جذام

ثم قلت بعده: إلى البلد الشام. ففطن فلم يعد .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا خلاد الأرقط وغيره من علمائنا قالوا: كان النابغة يقول: إن في شعري لعاهةً ما أقف عليها. فلما قدم المدينة غني في شعره؛ فلما سمع قوله: واتقتنا باليد، و يكاد من اللطافة يعقد، تبين له لما مدت، باليد، فصارت الكسرة ياء ومدت، يعقد، فصارت الضمة كالواو؛ ففطن فغيره وجعله:

غنم على أغصانه لم يعقد

وكان يقول: وردت يثرب وفي شعري بعض العاهة، فصدرت عنها وأنا أشعر الناس. وقوله لا مرحباً: لا سعة؛ ونصبه ها هنا شبيه بالمصدر؛ كأنه قال لا رحب رحباً ولا أهل أهلاً. وأزف: قرب .
قال: وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجردة وسترها وجهها بذراعها: صوت:

فتناولته وانتقتنا باليد

سقط النصف ولم ترد إسقاطه

عنم على أغصانه لم يعقد

بمخضب رخص كأن بنانه

كالكرم مال على الدعام المسند

ويفاحم رجل أثيث نبتة

نظر السقيم إلى وجوه العود

نظرت إليك بحاجة لم تقضها

غناه ابن سريح، ولحنه من خفيف الثقل الأول بالوسطى عن عمرو. والنصف: الخمار، والجمع أنصبة ونصف. والعنم: فيما ذكر أبو عبيدة، يساريع حمر تكون في البقل في الربيع. وقال الأصمعي: العنم: شجر يحمر وينعم نبتة. والفاحم: الشديد السواد. والرجل: الذي ليس بجعد. والأثيث: المتكاثف؛ قال امرؤ القيس:

أثيث كقنو النخلة المتعثل

ويقال: شعر رجل ورجل. ويروى:

ورنت إلي بمقلتي مكحولة

والمكحولة: البقرة. وقوله لم تقضها: يعني المرأة أي لم تقدر على الكلام من مخافة أهلها، فهي كالسقيم الذي ينظر إلى من يعود .

غناه ابن سريح خفيف ثقل أول بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه . قال صالح بن حسان إنه كان مخنثاً. وأخبرنا محمد بن العباس البيهقي قال حدثنا الخليل بن أسد قال حدثنا العمري قال: قال الهيثم بن عدي قال لي صالح بن حسان: كان والله النابغة مخنثاً. قلت: وما علمك به؟ رأيته قط؟ قال: لا والله! . قلت: أفأخبرت عنه؟ قال: لا. قلت: فما علمك به؟ قال: أما سمعت قوله:

فتناولته وانتقتنا باليد

سقط النصف ولم ترد إسقاطه

لا والله ما أحسن هذه الإشارة ولا هذا القول إلا من مخنث .

هروبه من النعمان إلى ملوك غسان واختلاف الرواة في سببه: قال: فأنشدها النابغة مرة بن سعد القريري، فأنشدها مرة النعمان، فامتلاً غضباً فأوعد النابغة وتهده؛ فهرب منه فأتى قومه، ثم شخص إلى ملوك غسان بالشام فامتدحهم. وقيل: إن عصام بن شهير الجرمي حاجب النعمان أنذره وعرفه ما يريده النعمان، وكان صديقه، فهرب. وعصام الذي يقول فيه الراجز:

وعلمته الكر والإقداما

نفس عصام سودت عصاما

وجعلته ملكاً هماما

وقال من رويت عنه خبر النابغة: إن السبب في هربه من النعمان أن عبد القيس بن خفاف التميمي ومرة بن سعد بن قريع السعدي عملاً هجاء في النعمان على لسانه، وأنشدا النعمان منه أبياتاً يقال فيها:

ملك يلاعب أمه وقطينه

رخو المفاصل أيره كالمروود

ومنه:

قبح الله ثم نثى بلعن

وارث الصائغ الجبان الجهولا

من يضر الأدنى ويعجز عن

ضر الأقاصي ومن يخون الخليلا

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو

ثم لا يرزأ العدو فتبلا

يعني بواعث الصائغ النعمان؛ وكان جده لأمه صائغاً بفدك يقال له عطية. وأم النعمان سلمى بنت عطية .
فأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل: أن مرة
بن سعد القريري الذي وشى بالنابعة كان له سيف قاطع يقال له ذو الريقة من كثرة فرنده وجوهره، فذكر
النابعة للنعمان، فأخذه. فاضطغن ذلك حتى وشى به إلى النعمان وحرصه عليه .
وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام عن يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء،
وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة، قالوا جميعاً:
إن الذي من أجله هرب النابعة من النعمان أنه كان والمنخل بن عبيد بن عامر اليشكري جالساً عنده، وكان
النعمان دميماً أبرش قبيح المنظر، وكان المنخل بن عبيد من أجمل العرب، وكان يرمى بالمتجردة زوجة النعمان،
ويتحدث العرب أن ابني النعمان منها كانا من المنخل. فقال النعمان للنابعة: يا أبا أمامة، صف المتجردة في
شعرك؛ فقال قصيدته التي وصفها فيها ووصف بطنها وروادفها وفرجها. فلحقت المنخل من ذلك غيرة، فقال
للنعمان: ما يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جربه. فوقر ذلك في نفس النعمان. وبلغ النابعة فخافه فهرب
فصار في غسان .
كان المنخل اليشكري يهوى هنداً بنت عمرو بن هند فتغزل فيها فقتله: قالوا: وكان المنخل يهوى هنداً بنت
عمرو بن هند، وفيها يقول: صوت:

ولقد دخلت على الفتا

ة الخدر في اليوم المطير

الكاعب الحسناء تر

فل في الدمقس وفي الحرير

فدفعتها فتدافعت

مشي القطاة إلى الغدير

ولثمتها فتتفست

كتتفس الظبي البهير

غناه الموصلي من رواية عمرو بن بانه ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق .

وبدت وقالت يا منخل ما بجسمك من فتور ؟

ما مس جسمي غير حب

بك فاهدئي عني وسيري

مة بالكبير وبالصغير

رب الخورنق والسدير

رب الشويهة والبعير

يا هند للعاني الأسير

وتحب ناقتها بعيري

ولقد شربت من المدا

فإذا سكرت فإنني

وإذا صحوت فإنني

يا هند هل من نائل

وأحبها وتحبني

وقال حماد بن إسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مسحج: في هذا الصوت لمالك ومعبد وابن سريج وابن محرز والغريض وابن مسحج لكلهم فيه ألحان قال: فبلغ عمراً خبر المنخل فأخذه فقتله. وقال المنخل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يحض قومه على طلب الثأر به:

م وقومي ينتجون السخالا

ظل وسط العراق قتلي بلا جر

رجع الخبر إلى سياقه. قالوا جميعاً: فلما صار النابغة إلى غسان نزل بعمر بن الحارث الأصغر بن الحارث بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي ثمر وأم الحارث الأعرج مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندية وهي ذات القرطين اللذين يضرب بهما المثل فيقال لما يغلى به الثمن: خذه ولو بقرطي مارية. وأختها هند الهنود امرأة حجرٍ آكل المرار. وإياها عني حسان بقوله في جيلة بن الأيهم:

قبر ابن مارية الجواد المفضل

أولاد جفنة حول قبر أبيهم

مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغساني وأخاه النعمان: ولذلك خبر يأتي في موضعه فمدحه النابغة ومدح أخاه النعمان. ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات، وملك أخوه النعمان؛ فصار معه إلى أن استطلعه النعمان فعاد إليه. فمما مدح به عمراً قوله: صوت:

وليل أقاسيه بطيء الكواكب

كليني لهم يا أميمة ناصب

تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وصدر أراح الليل عازب همه

وليس الذي يهدي النجوم بآئب

تقاعس حتى قلت لي بمنقض

لوالده ليست بذات عقارب

علي لعمر نعمة بعد نعمة

عروضه من الطويل. غنى في البيتين الولين ابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو. وغنى فيه الأبحر من رواية حبش ثاني ثقيل بالوسطى. وغنى مالك في البيت الرابع ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات. وغنى في الأربعة الأبيات عبد الله ابن العباس الربيعي ماحورياً عن حبش، وغنى فيها طويس رماً بالوسطى بحكايتين عن حبش. هكذا روي قوله: يا أميمة، مفتوح الهاء. قال الخليل: من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخيم يا أميم ويا عز ويا سلم؛ فلما لم يرخم

لحاجته إلى الترخيم أجراها على لفظها مرخمةً وأتى بها بالفتح. وكليني أي دعيني. ووكلته إلى كذا أكله وكالة .

وناصب : متعب. وبطيء الكواكب أي قد طال حتى إن كواكبه لا تجري ولا تغور. أراح: رد. يقال أراح الرجل إبله أي ردها. فيقول: رد هذا الليل إلي ما عزب من همي بالنهار؛ لأنه يتعلل نهاراً بمحادثة الناس والتشاغل بغير الفكر، فإذا خلا بالليل راح إليه همه. وتقاعس تأخر؛ وأصل التقاعس الرجوع إلى خلف القهقري، فشبه الليل في طوله بالمتقاعس. والذي يهدي النجوم أولها، شبهها بهواديها . وقوله: ليست بذات عقارب، أي لا يكدرها ولا يمنها .
ومما يغني فيه هذه القصيدة:

حلفت يميناً غير ذي مثوية ولا علم إلا حسن ظني بصاحب
لئن كان للقبرين قبر بجلق وقبر بصيداء الذي عن حارب
وللحارث الجفني سيد قومه ليلتمسن بالجيش دار المحارب

غناه إسحاق خفيف ثقیل أول بالنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانة عنه ومن رواية حبش. وغناه ابن سريج ثاني ثقیل بالنصر. يقول: ليس لي علم بما يكون من صاحبي إلا أني أحسن الظن به. وقوله: لئن كان للقبرين، يعني لئن كان عمرو ابناً للمدفونين في هذين القبرين، يعني قبر أبيه وجده وهما الحارث الكبير والحارث الأعرج، ليلتمسن جيشه دار المحارب له؛ يحرضه بذلك وروي: أرض المحارب

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
إذا استنزّلوا عنهن للطعن أرقّلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب
لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الناس والأحلام غير عواذب
على عارفات للطعان عوابس بهن كلوم بين دام وجالب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
إذا استنزّلوا عنهن للطعن أرقّلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقاً بقومي وإذ أعيت علي مذهبني

وجدت في كتاب لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في البيتین والثالث والرابع لحناً منسوباً إلى معبد من خفيف الرمل بالوسطى. وأحسبه من لحن يحيى المكي. الشيمة: الطبيعة، وجمعها شيم. غير عواذب أي لا تعذب أحلامهم فتنفذ عنهم. وعارفات للطعان أي صابرات عليه عودت أن يحارب عليها. وعوابس كوالج. وجالب أي عليه جلبة وهي قشرة تكون على الجرح؛ يقال جلب الجرح يجلب جلباً وأجلب إجلاباً. والإرقال: مشي

يشبه الخبب سريع. والمصاعب واحدها مصعب وهو الفحل الذي لم يمسسه الحبل وإنما يقتنى للفحلة، ويقال له قرم ومقرم. وقوله: حبوت بها، يعني بالقصيدة. وروى أبو عبيدة إذ كنت لاحقاً بقوم، وقال: يعني إذ كنت لاحقاً بغيركم أي بقوم آخرين، فكنتم أحق بالمدح منهم. قالوا: فنظر إلى النعمان بن الحارث أخى عمرو وهو يومئذ غلام فقال:

هذا غلام حسن وجهه
مقتبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث ال
أصغر والأعرج خير الأنام
ثم لهند ولهند فقد
أسرع في الخيرات منه إمام
خمسة آباء وهم ما هم
هم خير من يشرب صوب الغمام

غناه حنين خفيف رملٍ بالبنصر عن حبش .

فضله الشعبي على الأخطل في مواجهته في مجلس عبد الملك: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن عبد الله الزبيري قال حدثنا شيخ يكنى أبا داود عن الشعبي قال: دخلت على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه. فقلت حين دخلت: عامر بن شراحيل الشعبي. فقال: على علمٍ ما أذنا لك. فقلت في نفسي: خذ واحدةً على وافد أهل العراق. فسأل عبد الملك الأخطل: من أشعر الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. فقلت لعبد الملك: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فتبسم وقال: هذا الأخطل. فقلت في نفسي: خذها ثنتين على وافد أهل العراق، فقلت: أشعر منك الذي يقول:

هذا غلام حسن وجهه
مستقبل الخير سريع التمام
للحارث الأكبر والحارث ال
أصغر والأعرج خير الأنام
خمسة آباء وهم ما هم
هم خير من يشرب ماء الغمام

والشعر للنابعة فقال الأخطل: إن أمير المؤمنين إنما سألني عن أشعر أهل زمانه، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول كما قلت أو شبيهاً به. فقلت في نفسي: خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق. يعني أنه أخطأ ثلاث مرات . ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخراز ولم أسمع من أحد، ووجدته أتم مما رأيت في كل موضع، فأتيت به في هذا الموضع وإن لم يكن من خاص خبر النابعة لأنه أليق به. قال أحمد بن الحارث الخراز حدثني المدائني عن عبد الملك بن مسلم قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج: إنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه، ولم يكن عندي شيء ألهه إلا مناقلة الأخوان للحديث. وقبلك عامر الشعبي، فابعث به إلي يحدثني. فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به إليه وقرظه وأطراه في كتابه. فخرج الشعبي حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذن لي. قال: من أنت؟ قال: أنا عامر الشعبي. قال: حياك الله! ثم نهض فأجلسني

على كرسية. فلم يلبث أن خرج إلي فقال: ادخل يرحمك الله. فدخلت، فإذا عبد الملك جالس على كرسى وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسى، فسلمت فرد علي السلام، ثم أومأ إلي بقضيبه فقعدت عن يساره، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال: ويحك! من أشعر الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. قال الشعبي: فأظلم علي ما بيني وبين عبد الملك، فلم أصبر أن قلت: ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس؟! قال: فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي قال: هذا الأخطل. فقلت: يا أخطل! أشعر والله منك الذي يقول:

هذا غلام حسن وجهه
للهارث الأكبر والهارث ال
ثم لهندٍ ولهندٍ فقد
أسرع في الخيرات منهم إمام
مستقبل الخير سريع التمام
أصغر والأعرج خير الأنام
خمسة آباءٍ وهم ما هم
هم خير من يشرب صوب الغمام

فرددتها حتى حفظها عبد الملك. فقال الأخطل: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبي. قال فقال: صدق والله يا أمير المؤمنين، النابغة والله أشعر مني. فقال الشعبي: ثم أقبل علي فقال: كيف أنت يا شعبي؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين فلا زلت به. ثم ذهبت لأضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث؛ فقال: مه! إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا. ثم أقبل علي فقال: ما تقول في النابغة؟ قال قلت: يا أمير المؤمنين، قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على الشعراء أجمعين، وببابه وفد غطفان فقال: يا معشر غطفان، أي شعرائكم الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً
لئن كنت قد بلغت عني خيانةً
ولست بمستبقٍ أخاً لا تلمه
وليس وراء الله للمرء مذهب
لمبلغك الواشي أغش وأكذب
على شعثٍ أي الرجال المهذب

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: فأيكم الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي
خطاطيف جحش في حبالٍ متينةٍ
وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
تمد بها أيدٍ إليك نوازع

قالوا: النابغة. قال: فأيكم الذي يقول:

إلى ابن محرقٍ أعملت نفسي
أتيتك عارياً خلقاً ثيابي
وراحلتي وقد هدت العيون
على خوفٍ تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها
كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: هذا أشعر شعرائكم. قال: ثم أقبل على الأخطل فقال: أتحب أن لك قياضاً بشعرك شعر أحد من العرب أو تحب أنك قلته؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، إلا أي وددت أن كنت قلت أبياتاً قالها رجل منا، كان والله ما علمت مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع. قال: وما قال؟ فأنشد قصيدته:

إن محيوك فأسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيل
ليس الجديد به تبقى بشاشته إلا قليلاً ولا ذو خلة يصل
والعيش لا عيش إلا ما تقر به عين ولا حال إلا سوف تنتقل
إن ترجعي من أبي عثمان منجحة فقد يهون على المستنجد العمل

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل
قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المتسجل الزلل
حتى أتى على آخرها. قال الشعبي: فقلت: قد قال القطامي أفضل من هذا. قال: وما قال؟ قلت قال:

طرقت جنوب رحالنا من مطرق ما كنت أحسبها قريب المعنق
قطعت إليك بمنل جيد جدية حسن معلق تومتيه مطوق
ومصرعين من الكلال كأنما شربوا الغبوق من الرحيق المعرق
متوسدين ذراع كل نجبية ومفرج عرق المقذ منوق
وجثت على ركب تهد بها الصفا وعلى كلال كالنقل المطرق
وإذا سمعن إلى هماهم رفقة ومن النجوم غواير لم تخفق
جعلت تميل خدودها آذانها طرباً بهن إلى حذاء السوق
كالمنصات إلى الغناء سمعنه من رائع لقلوبهن مشوق
وإذا نظرن إلى الطريق رأينه لهقاً كشاكلة الحصان الأبلق
وإذا تخلف بعدهن لحاجة حاد يشسع نعله لم يلحق
وإذا يصيبك والحوادث جمة حدث حداك إلى أخيك الأوثق
لئن الهموم عن الفؤاد تفرقت وخلا التكلم للسان المطلق

قال: فقال عبد الملك: هذا والله أشعر، ثكلت القطامي أمه! قال: فالتفت إلي الأخطل فقال: يا شعبي، إن لك فنوناً في الأحاديث، وإنما لنا فن واحد؛ فإن رأيت ألا تحملني على أكتاف قومك فأدعهم حرصاً!. فقلت: لا

أعرض لك في شيء من الشعر أبداً، فأقلمي في هذه المرة. قال: من يتكفل بك؟ قلت: أمير المؤمنين، فقال عبد الملك: هو علي ألا يعرض لك أبداً؛ ثم قال: يا شعبي، أي نساء الجاهلية أشعر؟ قلت: حنساء. قال: ولم فضلتها على غيرها؟ قلت: لقولها:

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر

ألا تكلت أم الذين غدوا به إلى القبر! ماذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك: أشعر منها والله التي تقول :

مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محترق

لا يأمن الناس ممساة ومصبحه في كل فجٍ وإن لم يغزٍ ينتظر

ثم قال: يا شعبي، لعلك شق عليك ما سمعت. قلت: إي والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة. إني أحدثك منذ شهرين أفدك إلا أبيات النابغة في الغلام. قال: يا شعبي، إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أن أهل العراق يتناولون على أهل الشام، يقولون: إن كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية؛ وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق؛ ثم رد علي الأبيات أبيات ليلى حتى حفظتها، ولم أزل عنده؛ فكنت أول داخل وآخر خارج. قال: فمكثت كذلك سنين ، وجعلني في ألفين من العطاء وعشرين رجلاً من ولدي وأهل بيتي في ألفين ألفين، فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر وكتب إليه: يا أخي، إني قد بعثت إليك الشعبي، فانظر هل رأيت مثله قط؟! ثم أذن فانصرفت .

حديث حسان عنه حين وفد على النعمان: أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني، وأخبرني ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة عن أبي بكر الهذلي قال: قال حسان بن ثابت: قدمت على النعمان بن المنذر وقد امتدحته، فأتيته حاجبه عصام بن شهير فجلست إليه، فقال: إني لأرى عربياً، أضمن الحجاز أنت؟ قلت نعم. قال: فكن قحطانياً. فقلت: فأنا قحطاني. قال: يثريباً. قلت فأنا يثربي. قال: فكن خزرجياً. قلت: فأنا خزرجي. قال: فكن حسان بن ثابت. قلت: فأنا هو. قال: أجتت بمدحة الملك؟ قلت نعم. قال: فإني أرشدك: إذا دخلت إليه فإنه يسألك عن جيلة بن الأيهم ويسبه، فإياك أن تساعد على ذلك، ولكن أمر ذكره إمراراً لا توافق فيه ولا تخالف، وقل: ما دخول مثلي أيها الملك بينك وبين جيلة وهو منك وانت منه!. وإن دعاك إلى الطعام فلا تواكله، فإن أقسم عليك فأصعب منه اليسير إصابة بارٍ قسمه متشرفٍ بمواكلته لا أكل جائعٍ سغبٍ، ولا تطل محادثته، ولا تبدأه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك، ولا تطل الإقامة في مجلسه. فقلت: أحسن الله رفدك! قد أوصيت واعياً. ودخل ثم خرج إلي فقال لي: ادخل. فدخلت فسلمت وحييت تحية الملوك. فجارني من أمر جيلة ما قاله عصام كأنه كان حاضراً، وأجبت بما أمرني، ثم استأذنته في الإنشاد فأذن لي فأنشدته. ثم دعا بالطعام، ففعلت ما أمرني عصام به، وبالشراب ففعلت

مثل ذلك. فأمر لي بجائزة سنوية وخرجت. فقال لي عصام: بقيت علي واحدة لم أوصك بها، قد بلغني أن النابغة الذبياني قدم عليه، وإذا قدم فليس لأحد منه حظ سواه، فاستأذن حينئذٍ وانصرف مكرماً خيراً من أن تنصرف مجفواً، فأقمت ببابه شهراً. ثم قدم عليه الفزاريان وكان بينهما وبين النعمان دخلل أي خاصة وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النعمان أن يرضى عنه. فضرب عليهما قبة من آدم، ولم يشعر بأن النابغة معهما. ودس النابغة قينةً تغنيه بشعره:

يا دار مية بالعلياء فالسند

قلما سمع الشعر قال: أقسم بالله إنه لشعر النابغة! وسأل عنه فأخبر أنه مع الفزاريين، فكلماه فيه فأمنه . وقال أبو زيد عمر بن شبة في خبره: لما صار معهما إلى النعمان كان يرسل إليهما بطيبٍ وألطف مع قينة من إماءه، فكانا يأمرانها أن تبدأ بالنابغة قبلهما. فذكرت ذلك للنعمان، فعلم أنه النابغة. ثم ألقى عليها شعره هذا وسألها أن تغنيه به إذا أخذت فيه الخمر، ففعلت فأطربته، فقال: هذا شعر علوي ، هذا شعر النابغة !. قال: ثم خرج في غب سماء، فعارضه الفزاريان والنابغة بينهما قد خضبيحناء فقناً خضابه. فلما رآه النعمان قال: هي بدمٍ كانت أخرى أن تخضب. فقال الفزاريان: أبيت اللعن! لا تثريب ، قد أجرناه، والعفو أجمل. فأمنه واستنشد أشعاره. فعند ذلك قال حسان بن ثابت: فحسدته على ثلاث لا أدري أيتها كنت له أشد حسداً: على إنداء النعمان له بعد المباحدة ومسامرته له وإصغائه إليه، أم على جودة شعره، أم على مائة بغيرٍ من عصافيره أمر له بها .

قال أبو عبيدة: قيل لأبي عمرو: أضمن مخافته امتدحه وأتاه بعد هربه منه أم لغير ذلك؟ فقال: لا لعمر الله ما لمخافته فعل، إن كان لامناً من أن يوجه النعمان له جيشاً، وما كانت عشيرته لتسلمه لأول وهلة، ولكنه رغب في عطاياه وعصافيره. وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجده، لا يستعمل غير ذلك. وقيل: إن السبب في رجوعه إلى النعمان بعد هربه منه أنه بلغه عليل لا يرجي، فأقلقه ذلك ولم يملك الصبر على البعد عنه مع علته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره ينقل ما بين الغمر وقصور الحيرة. فقال لعصام بن شهرٍ حاجبه فيما أخبرنا به يزيد عن عمه عبيد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابي عن الفضل: صوت:

أحمول على النعش الهمام

ولكن ما وراءك يا عصام

ربيع الناس والشهر الحرام

أجب الظهر ليس له سنام

ألم أقسم عليك لتخبرني

فإني لا ألومك في دخولي

فإن يهلك أبو قابوس يهلك

ونمسك بعده بذناب عيش

غناه حنين ثقيلاً أول بالبنصر عن حبش .
قال أبو عبيدة: كانت ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبونه، فيكون كذلك على أكتاف الرجال، لأنه عندهم أوطأ من الأرض .
وقوله:

فإنني لا ألومك في دخولي

أي لا ألومك في ترك الإذن لي في الدخول، ولكن أخبرني بكنه أمره. وقوله:

ربيع الناس والشهر الحرام

يريد أنه كالربيع في الخصب لجنّديه، وكالشهر الحرام لجاره، لا يوصل إلى من أحاره كما لا يوصل في الشهر الحرام إلى أحد.
مما يغني فيه من شعره:

وأنتك ترعاني بعينٍ بصيرةٍ	وتبعث حراساً علي وناظرا
فأليت لا آتيك إن كنت مجرمًا	و لا أبتغي جاراً سواك مجاورا
وأهلي فداء لأمري إن أتيت	تقبل معروفٍ وسد المفارقا
ألا أبلغ النعمان حيث لقيت	وأهدي له الله الغيوث البواكرا

غناه خليل الوادي رملاً بالبنصر من رواية حبش .
ومما يغني فيه من قصائد النابغة التي يعتذر إلى النعمان: صوت:

يا دار مية بالعلياء فالسند	أقوت وطال عليها سالف الأمد
وقفت فيها أصيلاً أسائلها	أعيت جواباً وما بالربيع من أحدر
إلا الأواري لأياً ما أبينها	والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد
ردت عليه أقاصيه ولبدته	ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد
خلت سبيل أتّي كان يحبسه	ورفعته إلى السجفين فالنضد
أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا	أخنى عليها الذي أخنى على لبد

الغناء لمعبد ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لجميلة ثاني ثقيلاً بالبنصر عن عمرو وحبش .
قال الأصمعي: قوله: يا دار مية، كما قال امرؤ القيس:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

يريد أهل الطلل. وقال الفراء: إنما نادى الدار لا أهلها أسفاً عليها وتشوقاً إلى أهلها وتمنيه أن تكون أهلاً. والعلياء: المكان المرتفع بناؤه، يقال من ذلك علا يعلو وعلي يعلو، مثل حلا يحلو وحلي، وسلا يسلو وسلي يسلي. والسند: سند الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند فيه أي يصعد. أقوت: أقفرت وخلت من أهلها. وقال أبو عبيدة في قوله يا دار مية ثم قال أقوت ولم يقل أقويت: إن من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكفوا عنه .

وروى الأصمعي أصيلاً وهو تصغير أصلان . ويروى عيت جواباً، أي عييت بالجواب. والأواري: جمع آري . ولأياً: بطناً. والمظلومة: التي لم يكن فيها أثر فحفر أهلها فيها حوضاً، وظلمهم إياها إحداثهم فيها ما لم يكن فيها. شبه النوى بذلك الحوض لاستدارته. والجلد: الرض الصلبة الغليظة من غير حجارة. وإنما جعلها جلدًا لأن الحفر فيها لا يسهل. وقوله: ردت عليه أقاصيه، يعني أمةً فعلت ذلك، أضمرها ولم يكن جرى لها ذكر. وأقاصيه: يعني أقاصي النوى على أدناه ليرتفع. ولبده: طأمه . والوليدة: الأمة الشابة. والثأد: الندى. والسبيل: الطريق. والآتي: النهر المحفور، والآتي: السيل من حيث كان. يقول: لما أفسدت طريق الآتي سهلت له طريقاً حتى جرى. ورفعته أي قدمت الحفر إلى موضع السجفين، وليس رفعته ها هنا من ارتفاع العلو . والسحفان: ستران رقيقان يكونان في مقدم البيت. والنضد: ما نضد من المتاع. وأخني: أفسد . ولبد: آخر نسور لقمان التي اختار أن يعمر مثل أعمارها، وله حديث ليس هذا موضعه . صوت:

أسرت عليه من الجوزاء سارية	ترجي الشمال عليه جامد البرد
فارتاع من صوت كلاب فبات له	طوع الشوامت من خوفٍ ومن صرد
فبثهن عليه واستمر به	صمع الكعوب برياتٍ من الحرد
وكان ضميران منه حيث يوزعه	طعن المعارك عند المحجر النجد
شك الفريضة بالمدرى فأنفذه	طعن المبيطر إذ يشفى من العضد

غنى فيه إبراهيم الموصلي هزجاً بالبنصر من رواية عمرو بن بانه. وفيه لحن مالمالك. يعني أن سحابة مرت عليه ليلاً وأن أنواء الجوزاء أسرت عليه بها. وترجي: تسوق وتدفع. عليه أي على الثور . والكلاب: صاحب الكلاب. وقوله: بات له طوع الشوامت، أي بات له ما يسر الشوامت اللواتي شتمن به. وصمع الكعوب: يعني قوائمه أنها لازقة محددة الأطراف ليست برهلات. وأصل الصمع رقة الشيء ولطافته. والحرد: داء يعيبه، يقال بعير أحرد، وناقاة حرداء. والحجر: الملجأ. والنجد: الشجاع. والفريضة: مرجع الكتف إلى الخاصرة والمدرى: القرن. والمبيطر: البيطار. والعضد: داء يأخذ في العضد .

وفي لحن إبراهيم الموصللي بعد: فارتاع من صوت كلاب:

يوم الجليل على مستأنسٍ وحد

كأن رحلي وقد زال النهار بنا

طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

من وحش وجرة موشي أكارعه

قال الأصمعي: زال النهار بنا أي انتصف. و بنا ها هنا في موضع علينا. ومن روى مستوحس فإنه يعني أنه قد أوجس شيئاً خافه فهو يستوحس. والجليل: الثمام، واحدته جليلة. ووجرة: طرف السي وهي فلاة بين مران وذات عرق وهي ستون ميلاً يجتمع فيها الوحش. وموشي أكارعه أي إنه أبيض في قوائمه نقط سود وفي وجهه سفعة. وطاوي المصير: ضامر. والمصير المعى، وجمعه المصران. والفرد: المنقطع القرين، يقال: فَرَدَ وفَرَدَ وفُرْدَ. أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصللي قال: غنى مخارق بين يدي الرشيد:

سرت عليه من الجوزاء سارية

فلما بلغ إلى قوله:

فارتاع من صوت كلاب فبات له

قال: فارتاع بضم العين، فأردت أن أرد عليه خطأه، ثم خفت أن يغضب الرشيد ويظن أني حسدته على مترلته منه وأردت إسقاطه. فالتفت إليه بعض من حضر أظنه قال محمد بن عمر الرومي فقال له: ويلك يا مخارق! أتغني بمثل هذا الخطأ القبيح لسوقه فضلاً عن الملوك! ويلك! لو قلت: فارتاع، كان أخف على اللسان وأسهل من قولك: فارتاع. فحجل مخارق، وكفيت ما أردته بغيري. قال: وكان مخارق لحناً. ومنها: صوت:

إلى حمامتنا ونصفه فقد

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا

مثل الزجاجة لم تكحل من الرمذ

يحفه جانباً نيقٍ وتتبعه

تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد

فحسبوه فالفوه كما حسبت

وأسرعت حسبةً في ذلك العدد

فكملت مائةً فيها حمامتها

غناه ابن سريج خفيف ثقیل عن الهشامي. هذا خبر روي عن زرقاء اليمامة، ويروى عن بنت الحسن. أخذ معنى لزرقاء اليمامة: حدثني محمد بن العباس اليزيدي قال سمعت أبا العباس محمد بن الحسن الأحول يقول: هذا أحذه النابغة من زرقاء اليمامة، وقالت:

ونصفه قديه

ليت الحمام ليه

إلى حماميته

فسلخه النابغة. وقال الأصمعي: سمعت أناساً من أهل البادية يتحدثون أن بنت الخس كانت قاعدةً في جوارٍ، فمر بها قطعاً وارد في مضيقٍ من الجبل، فقالت:

ومثل نصف معيه

إذا لنا قطعاً معيه

يا ليت ذا القطا ليه

إلى قطاة أهليه

وأبتعت فعدت على الماء فإذا هي ست وستون. وقوله: فقد، أي فحسب. ويحفه أي يكون من ناحية هذا الثمد، يقال: حف القوم بالرجل أي اكتنفوه. والنيق: الجبل. ومثل الزجاجه: يريد عيناً صافية كصفاء الزجاجه. الحسبة: الهيئة التي تحسب، ويقال: ما أحسن حسبته، مثل الجلسة واللبسة والركبة. ومنها: صوت:

ولا قرار على زارٍ من الأسد

وما أثمر من مالٍ ومن ولد

إذا فلا رفعت سوطي إلي يدي

فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد

نبئت أن أبا قابوس أو عدني

مهلاً فداء لك الأقوام كلهم

إن كنت قلت الذي بلغت معتمدا

هذا التثاء فإن تسمع به حسناً

غناه الهذلي، ولحنه من الثقيل الأول عن الهشامي. أثمر: أصلح وأجمع. والزار: صياح الأسد، يقال: زار زئيراً وهو الزار. والصفد: العطية، يقال: أصفده بصفده إصفاداً إذا أعطاه، وصفده يصفده صفداً إذا أوثقه. رواية أخرى في حديث حسان عنه حين وفد على النعمان:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني الصلت بن مسعود قال حدثنا أحمد بن شبيب عن سليمان بن صالح عن عبد الله بن المبارك عن فليح بن سليمان عن رجل قد سماه عن حسان بن ثابت، ونسخت من كتاب ابن أبي خيثمة عن أبيه عن مصعب الزبيري قال قال حسان بن ثابت، وأخبرنا محمد بن العباس الزبيدي قال حدثني عمي يوسف بن محمد عن عمه إسماعيل بن أبي محمد قال قال أبو عمرو الشيباني قال حسان بن ثابت وقد جمعت رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها، وأكثر اللفظ للجوهري قال: خرجت إلى النعمان بن المنذر، فلقيت رجلاً وقال الزبيدي في خبره: فلقيت صائغاً من أهل فدك فلما رأي قال: كن يثريباً، فقلت: الأمر كذلك. قال: كن خزرجياً، قلت: أنا خزرجي. قال: كن نجاريّاً، قلت أنا نجاري. قال: كن حسان بن ثابت، قلت: أنا هو. فقال: أين تريد؟ قلت: إلى هذا الملك. قال: تريد أن أسدّدك إلى أين تذهب ومن تريد؟ قلت: نعم. قال: إن لي به علماً وخبراً. قلت: فأعلمني ذلك. قال: فإنك إذا جئته متروك شهراً قبل أن يرسل إليك عسى أن يسأل عنك رأس الشهر، ثم إنك متروك آخر بعد المسألة ثم عسى أن يؤذن لك. فإن أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه خيراً، فأقم ما أقمت، فإن رأيت أبا أمامة فاطعن، فلا شيء لك عنده. قال:

فقدمت ففعل بي ما قال الرجل ثم أذن لي وأصبت منه مالا كثيراً ونادمته وأكلت معه. فبينما أنا على ذلك وأنا معه في قبة له إذا رجل يرتجز حولها:

يا أوهب الناس لعنسٍ صلبه

أصم أم يسمع رب القبه

ذات هبابٍ في يديها جلبه

ضاربةٍ بالمشفر الأذبه

في لاحبٍ كأنه الأطبه

وفي رواية اليزيدي: في يديها خدبة ، أي طول واضطراب. والأطبة: جمع طباب وهو الشراك يجمع بين الأديمين في الخرز. وقال عمر بن شبة في خبره: قال فليح بن سليمان: أخذت هذا الرجز عن ابن دأب قال فقال: أليس بأبي أمامة؟ قالوا بلى. قال: فأذنوا له. ودخل فحياه وشرب معه. ثم وردت النعم السود، ولم يكن لأحد من العرب يعبر أسود يعرف مكانه ولا يفتحل أحد بعيداً أسود غير النعمان. فاستأذنه في أن ينشده كلمته على الباء، فأذن له أن ينشد قصيدته التي يقول فيها:

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فإنك شمس والملوك كواكب

ووردت عليه مائة من الإبل السود الكلبية فيها رعاؤها وبيتها وكلبها، فقال: شأنك بما يا أبا أمامة، فهي لك بما فيها. قال حسان. فما أصابني حسد في موضع ما أصابني يومئذٍ، وما أدري أبما كنت أحسد له عليه: ألما أسمع من فضل شعره، أم ما أرى من جزيل عطائه، فجمعت جراميزي وركبت إلى بلادي. وقد روى الواقدي عن محمد بن صالح الخبر فذكر أن حسان قدم على جيلة بن أبي ثمر، ولعله غلط. أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي قال حدثني عمي يوسف قال حدثني عمي إسماعيل عن الواقدي عن محمد بن صالح قال: كان حسان بن ثابت يقدم على جيلة بن الأيهم سنةً ويقيم سنةً في أهله. فقال: لو وفدت على الحارث، فإن له قرابةً ورحمةً بصاحبي، وهو أبذل الناس لمعروف، وقد يئس مني أن أقدم عليه لما يعرف من انقطاعي إلى جيلة. فخرجت في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة حتى قدمت على الحارث وقد هيأت مديحاً. فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً: إن الملك قد سر بقدمك عليه، وهو لا يدعك حتى تذكر جيلة فإياك أن تقع فيه فإنه يختبرك، فإنك إن وقعت فيه زهد فيك وإن ذكرت محاسنه ثقل عليه، فلا تبتدئ بذكره فإن سألك عنه فلا تطنب في الثناء عليه ولا تعب، امسح ذكره مسحاً وجاوزه. وإنه سوف يدعوك إلى الطعام وهو يثقل عليه أن يؤكل طعامه أو يشرب شرابه، فلا تضع يدك في شيء حتى يدعوك إليه. فشكرت له ذلك. ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس وعن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب، وكل ذلك أخبره، حتى انتهى إلى ذكر جيلة فقال: كيف تجد جيلة، فقد انقطعت إليه وتركتنا؟ فقلت له: إنما جيلة منك وأنت منه، فلم أجر معه في مدح ولا ذم، وفعلت في الطعام والشراب كما قال لي الحاجب. قال: ثم قال لي الحاجب: قد بلغني قدوم النابغة وهو صديقه وأنس به، وهو قبيح أن يجفوك بعد البر، فاستأذنه من الآن فهو أحسن. فاستأذنته فأذن لي وأمر لي بخمسمائة دينار وكساء وحملان ،

فقبضتها وانصرفت إلى أهلي .

صوت:

أحكم في أموالهم وأقرب

ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم

من الأرض فيه مستراد ومطلب

ولكنني كنت امرأة لي جانب

الغناء لإبراهيم ثقیل أول. الجانب هنا: المتسع من الأرض. والمستراد: المختلف يذهب فيه ويحيى، ويقال: راد الرجل لأهله إذا خرج رائداً لهم في طلب الكلاء ونحوه. ثم ذكر مستراده فقال: ملوك وإخوان . ومن القصيدة العينية: صوت:

فجنبا أريك فالتلاع الدوافع

عفا ذو حساً من قرتنا فالقوارع

مصايف مرت بعدنا ومرايع

فمجتمع الأشراج غير رسمها

لستة أعوام وذا العام سابع

توهمت آيات لها فعرفتھا

ونؤي كجذم الحوض أثلم خاشع

رماد ككحل العين ما إن أبينه

غناه معبد من رواية حبش رملاً بالبنصر .

صوت:

رب ثاو يمل منه الثواء

آذنتنا ببينها أسماء

ء فأدنى ديارها الخلاء

بعد عهد لها ببرقة شما

عروضه من الخفيف. آذنتنا: أعلمتنا. والين: الفرقة. والثاوي: المقيم، يقال ثوى ثواءً. والبرقة: أرض ذات رمل وطین. وثناء والخلاء: موضعان. الشعر للحارث بن حلزة الإشكري. والغناء لمعبد، ثقیل أول بالوسطى عن عمرو، ومن الناس من ينسبه إلى حنين .

أخبار الحارث بن حلزة ونسبه

نسب الحارث بن حلزة: هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد بن سعد بن جشم بن عاصم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

السبب في قول قصيدته المعلقة: قال أبو عمرو الشيباني: كان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارث إلى قولها أن عمرو بن هند الملك، وكان جباراً عظيم الشأن والملك، لما جمع بكراً وتغلب ابني وائل وأصلح بينهم، أخذ من الحيين رهناً من كل حي مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض، فكان أولئك الرهن يكونون معه في مسيره ويغزون معه، فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبين وسلم البكريون. فقالت تغلب

لبكر: أعطونا ديات أبنائنا، فإن ذلك لكم لازم، فأبت بكر بن وائل. فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم وأخبروه بالقصة. فقال عمرو بن كلثوم لتغلب: بمن ترون بكرًا تعصب أمرها اليوم؟ قالوا: بمن عسى إلا برجل من أولاد ثعلبة. قال عمرو: أرى والله الأمر سينجلي عن أحمر أصلح أصم من بني يشكر. فجاءت بكر بالنعمان بن هرم أحد بني ثعلبة بن غنم بن يشكر، وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم. فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم: يا أصم! جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وهم يفخرون عليك!. فقال النعمان: وعلى من أظلت السماء كلها يفخرون ثم لا ينكر ذلك. فقال عمرو بن كلثوم له: أما والله لو لطمتك لطمَةً ما أخذوا لك بها. فقال له النعمان: والله لو فعلت ما أفلت بها قيس أير أبيك. فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر، فقال: يا جارية أعطيه لحيًا بلسان أنثى أي سبيه بلسانك. فقال: أيها الملك أعط ذلك أحب أهلك إليك. فقال: يا نعمان أيسرك أني أبوك؟ قال: لا! ولكن وددت أنك أُمي فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى هم بالنعمان. وقام الحارث بن حلزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً، توكأ على قوسه وأنشدها وانتظم كفه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها. قال ابن الكلبي: أنشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به وضوح، فقبل لعمرو بن هند: إن به وضحاً، فأمر أن يجعل بينه وبينه ستر. فلما تكلم أعجب بمنطقه، فلم يزل عمرو يقول: أدنوه أدنوه حتى أمر بطرح الستر وأقعده قريباً منه لإعجابه به. هذه رواية أبي عمرو. وذكر الأصمعي نحوه من ذلك وقال: أخذ منهم ثمانين غلاماً من كل حي وأصلح بينهم بذي الحجاز، وذكر أن الغلمان من بني تغلب كانوا معه في حرب فأصيبوا. وقال في خبره: إن الحارث بن حلزة لما ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته:

قفى قبل التفرق يا طعينا

وغير الأصمعي ينكر ذلك وينكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم .

وذكر ابن الكلبي عن أبيه أن الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء، وكان قد شرط: أي رجل وجد قتيلًا في دار قوم فهم ضامنون لدمه، وإن وجد بين محلتين قيس ما بينهما فينظر أقربهما إليه فتضمن ذلك القتيل. وكان الذي ولي ذلك واحتمى لبني تغلب قيس ابن شراحيل بن مرة بن همام. ثم إن المنذر أخذ من الحيين أشrafهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكة، فشرط بعضهم على بعض وتواثقوا على ألا يبقى على ألا يبقى واحد منهم لصاحبه غائلة ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء. وبعث المنذر معهم رجلاً من بني تميم يقال له الغلاق. وفي ذلك يقول الحارث بن حلزة:

كصلح ابن مارية الأقصم

وتغلب من شرها الأعظم

مكان الثريا من الأنجم

فهلا سعيت لصلح الصديق

وقيس تدارك بكر العراق

وببيت شراحيل في وائل

فأصلح ما أفسدوا بينهم

كذلك فعل الفتى الأكرم

ابن مارية هو قيس بن شراحيل. ومارية أمه بنت الصباح بن شيبان من بني هند فلبثوا كذلك ما شاء الله، وقد أخذ المنذر من الفريقين رهناً بأحداثهم، فمضى التوى أحد منهم بحق صاحبه أقاد من الرهن. فسرّح النعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب إلى جبل طيئ في أمر من أمره، فترلوا بالطرفة وهي لبني شيبان وتيم اللات. فذكروا أنهم أجلوهم عن الماء وحملوهم على المفازة، فمات القوم عطشاً. فلما بلغ ذلك بني تغلب غضبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدوه على بكر، وقالوا: غدرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحرمة وسفكتم الدماء وقالت بكر: أنتم الذين فعلتم ذلك، قدفتموننا بالعصية وسمعتم الناس بما، وهتكتم الحجاب والستر بادعائكم الباطل علينا قد سقيناهم إذ وردوا، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا، فهل علينا إذ حار القوم وضلوا!. ويصدق ذلك قول الحارث بن حلزة:

لم يغروكم غروراً ولكن

يرفع الآل جرمهم والضحاء

كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد، وشرح أبيات منها: وقال يعقوب بن السكيت: كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول: لو قالها في حول لم يلم. قال: وقد جمع فيها ذكر عدة من أيام العرب غير بيعضها بني تغلب تصريحاً، وعرض بيعضها لعمرو بن هند، فمن ذلك قوله:

أعلينا جناح كندة أن يغ

نم غازيها ومنا الجزاء

قال: وكانت كندة قد كسرت الخراج على الملك، فبعث إليهم رجالاً من بني تغلب يطالبوهم بذلك، فقتلوا ولم يدرك ثأرهم، فغيرهم بذلك. هكذا ذكر الأصمعي. وذكر غيره أن كندة غزتهم فقتلت وسبت واستاقت، فلم يكن في ذلك منهم شيء ولا أدركوا ثأراً. قال: وهكذا البيت الذي يليه وهو:

أم علينا جرى قضاة أم لي

س علينا فيما جنوا أنداء

فإن غيره بأن قضاة كانت غزت تغلب ففعلت بهم فعل كندة، ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأراً. قال: وقوله:

أم علينا جرى حنيفة أم ما

جمعت من محارب غبراء

قال: وكانت حنيفة مخالفةً لتغلب على بكر، فأذكر الحارث عمرو بن هند بهذا البيت قتل شمر بن عمرو الحنفي أحد بني سحيم المنذر بن ماء السماء غيلةً لما حارب الحارث بن جبلة الغساني، وبعث الحارث إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شمر هذا يسأله الأمان على أن يخرج له عن ملكه ويكون من قبله، فركن المنذر إلى ذلك وأقام الغلمان معه، فاغتاله شمر بن عمرو الحنفي فقتله غيلةً، وتفرق من كان مع المنذر، وانتهبوا عسكره. فحرضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حنيفة. قال وقوله:

وثمانون من تميم بأيدي

هم رماح صدورهن القضاء

يعني عمراً أحد بني سعد بن زيد مناة، خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على قوم من بني قطن من تغلب يقال لهم بنو رزاح كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنطاع قريبة من البحرين، فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة، فلم يدرك منه بثأر. قال: وقوله:

ثم خيل من بعد ذاك مع

الغلاق ولا رافة ولا إبقاء

قال: الغلاق صاحب هجائن النعمان بن المنذر، وكان من بني حنظلة بن زيد مناة تميمياً .

وكان عمرو بن هند دعا بني تغلب بعد قتل المنذر إلى الطلب بثأره من غسان، فامتنعوا وقالوا: لا نطيع أحداً من بني المنذر أبداً! أظن ابن هند أنا له رعاء!. فغضب عمرو بن هند وجمع جمعاً كثيراً من العرب، فلما اجتمعت آلى ألا يغزو قبل تغلب أحداً، فغزاهم فقتل منهم قوماً، ثم استعطفه من معه لهم واستوهبوه جريرتهم، فأمسك عن بقيتهم، وطلت دماء القتلى. فذلك قول الحارث:

من أصابوا من تغلبي فمطلو

ل عليه إذا تولى العفاء

ثم اعتد على عمرو بحسن بلاء بكرٍ عنده فقال:

من لنا عنده من الخير آيا

ت ثلاث في كلهن القضاء

آية شارق الشقيقة إذ جا

عوا جميعاً لكل حي لواء

حول قيسٍ مستلثمين بكبشٍ

قرظي كأنه عبلاء

فرددناهم بضرب كما يخ

رج من خربة المزاد الماء

ثم حجراً أعني ابن أم قطامٍ

وله فارسية خضراء

أسد في اللقاء ذو أشبالٍ

وربيع إن شنعت غبراء

فرددناهم بطعن كما تن

هز في جمرة الطوي الدلاء

وفككنا غل امرئ القيس عنه

بعدما طال حبسه والعناء

وأقدناه رب غسان بالمن

ذر كرهاً وما تكال الدماء

وفديناهم بتسعة أملا

لك كرام أسلابهم أغلاء

ومع الجون جون آل بني الأؤ

س عنود كأنها دفواء

يعني بهذه الأيام أياماً كانت كلها لبكر مع المنذر، فمنها يوم الشقيقة وهم قوم شيبان جاءوا مع قيس بن معد يكرب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يغيرون على إبل لعمرو بن هند، فردتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم، ولم

يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند. ومنها يوم غزا حجر الكندي، وهو حجر بن أم قطام، امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر، لقيه ومع حجر جمع كثير من كندة، وكانت بكر مع امرئ القيس، فخرجت إلى حجر فردته وقتلت جنوده. وقوله:

ففككنا غل امرئ القيس عنه

وكانت غسان أسرته يوم قتل المنذر أبيه، فأغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكاً من ملوك غسان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها ميسون. وقوله: وفديناهم بتسعة...، يعني بني حجر آكل المرار. وكان المنذر وجه خيلاً من بكر في طلب بني حجر، فظفرت بهم بكر بن وائل فأتوا المنذر بهم وهم تسعة، فأمر بذبحهم في ظاهر الحيرة فذبحوا. يمكن يقال له جفر الأملاك. قال: والجون جون آل بني الأوس: ملك من ملوك كندة وهو ابن عم قيس بن معد يكرب. وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المرار ومعه كتيبة خشناء، فحاربتهم بكر فهزموه، وأخذوا بني الجون إلى المنذر فقتلهم.

قال: فلما فرغ الحارث من هذه القصيدة حكم عمرو بن هند أنه لا يلزم بكر بن وائل ما حدث على رهائن تغلب، فتفرقوا على هذه الحال. ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتى هم باستخدام أم عمرو بن كلثوم تعرضاً لهم وإذلاً، فقتله عمرو بن كلثوم. وخبره يذكر هناك.

قصيدة له دالية: قال يعقوب بن السكيت أنشدني النضر بن شميل للحارث بن حلزة وكان يستحسنها ويستجدها ويقول: لله درة ما أشعره: صوت:

من حاكم بيني وبني ن الدهر مال علي عمدا

أودى بسادتنا وقد تركوا لنا حلقاً وجردا

خيلي وفارسها وربّ أبيك كان أعز فقدا

فلو أن ما يأوي إلي أصاب من ثهلان هذا

فضعي قناعك إن ري ب الدهر قد أفنى معدا

فلکم رأيت معاشرأ قد جمعوا مالاً وولدا

وهم زباب حائر لا تسمع الآذان رعدا

فعش بجد لا يضر ك النوك ما لاقيت جدا

والعيش خير قي ظلا ل النوك ممن عاش كذا

في البيت الأول من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيف ثقيل أول بالوسطى لعبد الله بن العباس الربيعي، ومن الناس من ينسبه إلى بابويه .
صوت:

ألا هبي بصحنك فأصبحينا
ولا تبقي خمور الأندرينا
مشعشة كأن الحص فيها
إذا ما الماء خالطها سخينا

عروضه من الوافر. الشعر لعمر بن كلثوم التغلبي. والغناء لإسحاق ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته. وفيه لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو .

نسب عمر بن كلثوم وخبره

نسب عمر بن كلثوم من قبل أبويه: هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار بن معد بن عدنان. وأم عمرو بن كلثوم ليلى بنت مهلهل أخي كليب، وأمها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زهير .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني العكلي عن العباس بن هشام عن أبيه عن خراش بن إسماعيل عن رجل من بني تغلب ثم من بني عتاب قال: سمعت الأخضر وكان نسابة يقول: لما تزوج مهلهل بنت بعج بن عتبة أهديت إليه، فولدت له ليلى بنت مهلهل. فقال مهلهل لامراته هند: اقتليها. فأمرت خادماً لها أن تغيبها عنها. فلما نام هتف هاتف يقول:

كم من فتى يؤمل
وسيد شمردل
وعدة لا تجهل
في بطن بنت مهلهل

واستيقظ فقال: يا هند أين بنتي؟ قالت: قتلتها. قال: كلا وإله ربيعة! فكان أول من حلف بها فاصدقني، فأخبرته. فقال: أحسني غداءها. فتزوجها كلثوم بن مالك بن عتاب. فلما حملت بعمرو بم كلثوم قالت: إنه أتان آت في المنام فقال:

يا لك ليلى من ولد
يقدم إقدام الأسد
من جشم فيه العدد
أقول قياً لا قند

فولدت غلاماً فسمته عمراً. فلما أتت عليه سنة قالت أتان ذلك الآتي في الليل أعرفه، فأشار إلى الصبي وقال:

إني زعيم لك أم عمرو
بماجد الجد كريم النجر

وقاص أقرانٍ شديد الأسر

أشجع من ذي لبدٍ هزبر

يسودهم في خمسة عشر

قال الأخذر: فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر، ومات وله مائة وخمسون سنة .
قصة قتله لعمر بن هند: قال أبو عمرو حدثني أسد بن عمرو الحنفي وكرد بن السمعي وغيرهما، وقال ابن الكلبي حدثني أبي وشرقي بن القطامي، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة: أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أمه من خدمة أُمي؟ فقالوا: نعم! أم عمرو بن كلثوم. قال: ولم؟ قالوا: لأن أباه مهلهل بن ربيعة، وعمها كليب وائل أعز العرب، وبعلمها كلثوم بن مالك أفرس العرب، وابنها عمرو وهو سيد قومه. فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله أن يزير أمه أمه. فأقبل عمرو من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة من بني تغلب. وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب فيما بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب؟. فدخل عمرو بن كلثوم على عمر بن هند في رواقه، ودخلت ليلي وهند في قبة من جانب الرواق. وكانت هند عمة امرئ القيس بن حجر الشاعر، وكانت أم ليلي بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أم امرئ القيس، وبينهما هذا النسب. وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطرف وتستخدم ليلي. فدعا عمرو بمائدة ثم دعا بالطرف. فقالت هند: ناوليني يا ليلي ذلك الطبق. فقالت ليلي: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فأعادت عليها وألحت. فصاحت ليلي: واذا له! يا لتغلب! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه، ونظر إلى عمر بن هند فعرف الشر في وجهه، فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيفٍ لعمر بن هند معلقٍ بالرواق ليس هناك سيف غيره، فضرب به رأس عمرو بن هند، ونادى في بني تغلب، فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه، وساروا نحو الجزيرة. ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا

تعظيم تغلب بقصيدته المعلقة: وكان قام بها خطيباً بسوق عكاظ وقام بها في موسم مكة. وبنو تغلب تعظمها جداً ويروونها صغارهم وكبارهم، حتى هجوا بذلك؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل:

قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

ألهم بني تغلب عن كل مكرمة

يا للرجال لشعرٍ غير مسؤوم

يروونها أبداً مذ كان أولهم

فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند: وقال الفرزدق يرد على جرير في هجائه الأخطل:

أم بلت حيث تناطح البحران

ما ضر تغلب وائل أهجوتها

عمراً وهم قسطوا على النعمان

قوم هم قتلوا ابن هند عنوةً

وقال أفنون صريم التغلي يفخر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدة له:

لعمرك ما عمرو بن هندٍ وقد دعا
لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتاً
فأمسك من ندمائه بالمخنق
وجلله عمرو على الرأس ضربةً
بذي شطبٍ صافي الحديد رونق

قال: وكان لعمرو أخ له مرة بن كلثوم، فقتل المنذر بن النعمان وأحاه. وإياه عني الأخطل بقوله لجرير:

أبني كليب إن عمي اللذا
قتلا الملوك وفككا الأغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عباد، وهو قاتل بشر بن عمرو بن عدس. ولعمرو بن كلثوم عقب باق، ومنهم كلثوم بن عمرو العتاي الشاعر صاحب الرسائل .

أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابي قال: أغار عمرو بن كلثوم التغلبي على بني تميم ثم مر من غزوه ذلك على حي من بني قيس بن ثعلبة، فملاً يديه منهم وأصاب أسارى وسبائاً؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جندل السعدي، ثم انتهى إلى بني حنيفة باليمامة وفيهم أناس من عجل، فسمع به أهل حجر؛ فكان أول من أتاها من بني حنيفة بنو سحيم عليهم يزيد بن عمرو بن ثمر. فلما رأهم عمرو بن كلثوم ارتجز فقال:

من عاذ مني بعدها فلا اجتبر
ولا سقى الماء ولا أرى الشجر

بنو لجيم وجعاسيس مضر
بجانب الدو يدهدون العكر

فانتهى إليه يزيد بن عمرو فطعنه فصرعه عن فرسه وأسره. وكان يزيد شديداً جسيماً، فشده في القد وقال له: أنت الذي تقول:

متى تعقد قرينتنا بحبلٍ
تجد الحبل أو نقص القرينا

أما إني سأقرنك إلى ناقتي هذه فأطردكما جميعاً. فنادى عمرو بن كلثوم: يل لربيعة! أمثلة!. قال: فاجتمعت بنو لجيم فنهوه ولم يكن يريد ذلك به. فسار به حتى أتى قصرًا بحجرٍ من قصورهم، وضرب عليه قبة ونحر له وكساه وحمله على نجييه وسقاه الخمر. فلما أخذت برأسه تغنى:

أجمع صحبتي السحر ارتحالاً
ولم أشعر ببينٍ منك هالا

ولم أر مثل هالة في معدٍ
أشبه حسنها إلا الهلالا

ألا أبلغ بني جشم بن بكرٍ
وتغلب كلما أتيا حلالا

بأن الماجد القرم ابن عمرو
غداة نطاع قد صدق القتالا

كتيبته ململمة رداح
إذا يرمونها تفني النبلا

جزى الله الأغر يزيد خيراً
ولقاه المسرة والجمالا
بمأخذه ابن كلثوم بن عمرو
يزيد يقدم السفراء حتى
يجمع من بني قران صيد
يروى صدرها الأسل النها لا

حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مر ببني تغلب فلم يكرموه: أخبرني علي بن سليمان قال أخبرنا الأحول عن ابن الأعرابي قال: زعموا أن بني تغلب حاربوا المنذر بن ماء السماء فلحقوا بالشام خوفاً منه. فمر بهم عمرو بن أبي حجر الغساني، فتلقاه عمرو بن كلثوم. فقال له: يا عمرو، ما منع قومك أن يتلقوني؟! فقال له: يا عمرو يا خير الفتیان، فإن قومي لم يستيقظوا لحربٍ قط إلا علا فيها أمرهم واشتد شأنهم ومنعوا ما وراء ظهورهم. فقال له: أيقاظ نومةٍ ليس فيها حلم، أجتث فيها أصولهم، وأنفى فلهم إلى اليباس الجرد، والنازح الشمد. فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول:

ألا فاعلم أبيت اللعن أنا
على عمد سناتي ما نريد
تعلم لأن محملنا ثقيل
وأن زناد كبتنا شديد
وأنا ليس حي من معدٍ
يوازينا إذا لبس الحديد

هجاؤه للنعمان بن المنذر: قال: وقال ابن الأعرابي: بلغ عمرو بن كلثوم أن النعمان بن المنذر يتوعده، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه:

ألا أبلغ النعمان عني رسالةً
فمدحك حولي وذمك قارح
متى تلقني في تغلب ابنة وائل
وأشياءها ترقى إليك المسالحي

وهجا النعمان بن المنذر هجاءً كثيراً، منه قوله يعيره بأمه سليمي:

حلت سليمي بخبتٍ بعد فرتاج
وقد تكون قديماً في بني ناج
إذ لا ترجي سليمي أن يكون لها
من بالخورنق من قينٍ ونساج
ولا يكون على أبوابها حرس
كما تلفف قبطي بدبياج
تمشي بعدلين من لؤمٍ ومنقصةٍ
مشي المقيد في الينبوت والحاج

قال وقال في النعمان:

لحا الله أدنانا إلى اللؤم زلفة
وألما خالاً وأعجزنا أبا

وأجدرنا أن ينفخ الكير خاله

يصوغ القروط والشنوف بيثربا

وفاته ونصيحته لبنيه: أخبرني الحسين بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني علي بن المغيرة عن ابن الكلبي عن رجل من النمر بن قاسط قال: لما حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائة سنة، جمع بنيه فقال: يا بني، قد بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي، ولا بد أن يتزل بي ما نزل بهم من الموت. وإني والله ما عيرت أحداً بشيء إلا عيرت بمثله، إن كان حقاً فحقاً، وإن كان باطلاً فباطلاً. ومن سب سب؛ فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لكم، وأحسنوا جواركم يحسن ثناؤكم، وامنعوا من ضيم الغريب؛ فرب رجل خير من ألف، ورد خير من خلف. وإذا حدثتم فعوا، وإذا حدثتم فأوجزوا؛ فإن مع الإكثار تكون الأهدار. وأشجع القوم العطوف بعد الكر، كما أن أكرم المنايا القتل. ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب، ولا من إذا عوتب لم يعتب. ومن الناس من لا يرجى خيره، ولا يخاف شره؛ فبكؤه خير من دره، وعقوفه خير من بره. ولا تتزوجوا في حيكم فإنه يؤدي إلى قبيح البغض.

صوت:

لمن الديار ببرقة الروحان

إذ لا نبيع زماننا بزمان

صدع الغواني إذ رمين فؤاده

صدع الزجاجة ما لذاك تداني

إن زرت أهلك لم أنول حاجة

وإذا هجرتك شفني هجراني

الشعر لجرير يهجو الأخطل ويرد عليه حكومته التي حكم بها للفرزدق عليه. والغناء، فيما ذكره علي بن يحيى المنجم في كتابه الذي لقبه بالحدث، لمبعدٍ ثقيل أول بالوسطى، وذكر الهشامي أنه لحنين، قال ويقال: إنه لمبعد. وفيه ليزيد حوراء لحن ذكره عبد الملك بن موسى عنه، وقال: لا أدري أهو الثقيل الأول أم خفيف الرمل. وذكر حبش أن الثقيل الأول للغريض وأن خفيف الرمل بالبصرة للدلال.

ذكر سبب اتصال الهجاء بين جرير والأخطل

سبب التهاجي بين جرير والأخطل: أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وعن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة، وأخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل قال حدثنا أبو غسان عن أبي عبيدة، وأخبرنا الصولي عن إبراهيم بن المعلی الباهلي عن الطوسي عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني، وقد جمعت رواياتهم. قال أبو عبيدة حدثني عامر بن مالك المسمعي قال: كان الذي هاج التهاجي بين جرير والأخطل أنه لما بلغ الأخطل تهاجي جرير والفرزدق قال لابنه مالك وهو أكبر ولده وبه كان يكنى: انحدر إلى العراق حتى تسمع منهما وتأيتني بخبرهما. فانحدر مالك حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه. فقال له: كيف وجدتهما؟ قال: وجدت جريراً يغرف من بحر،

ووجدت الفرزدق ينحت من صخر. فقال الأخطل: الذي يغرف من بحرٍ أشعرهما؛ وقال يفضل جرير على الفرزدق:

إني قضيت قضاءً غير ذي جنفٍ لما سمعت ولما جاعني الخبر
أن الفرزدق قد شالت نعامته وعضه حية من قومه ذكر

وفي رواية ابن الأعرابي: قد سال الفرات به. قال أبو عبيدة: ثم إن بشر بن مروان دخل الكوفة، فقدم عليه الأخطل، فبعث إليه محمد بن عمير بن عطار بن حاجب بن زرارة بألف درهم وكسوة وبغلة وخمر، وقال له: لا تعن على شاعرنا، واهج هذا الكلب الذي يهجو بني دارم؛ فإنك قد قضيت على صاحبنا، فقل أبياتاً واقض لصاحبنا عليه. فقال الأخطل:

أجرير إنك والذي تسمو له كأسيمةٍ فخرت بحدج حصان
عملت لربتها فلما عوليت نسلت تعارضها مع الركبان

أتعد مأثرةً لغيرك فخرها وتثاؤها في سالف الأزمان
تاج الملوك وفخرهم في دارمٍ أيام يربوع مع الرعيان
وهي طويلة يقول فيها:

فاخسأ إليك كليب إن مجاشعاً وابا الفوارس نهشلاً أخوان
سبقوا أباك بكل أعلى تلعةٍ في المجد عند مواقف الركبان
قوم إذا خطرت عليك فرومهم ألقتك بين كلاكلٍ وجران
وإذا وضعت أباك في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزان

وقال جرير يرد حكومة الأخطل:

لمن الديار ببرقة الروحان إذ لا نبيع زماننا بزمان
وهي طويلة يقول فيها:

يا ذا الغباوة إن بشراً قد قضى ألا تجوز حكومة النشوان
فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بني شيبان
قتلوا كليبكم بلقحة جارهم يا خزر تغلب لستم بهجان

قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها: ومما غني فيه من نقائص جرير والأخطل: صوت:

أناخوا فجروا شاصيات كأنها
فقلت أصبحوني لا أبا لأبيكم
تمر بها الأيدي سنيحاً وبارحاً
وترفع باللهم حي وتنزل
رجال من السودان لم يتسربلوا
وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا

الشاصيات: الشائلات القوائم من امتلائها. وعنى بالشاصيات ها هنا الزقاق، لأنها إذا امتلأت شالت أكارعها؛ يقال شصا برجله إذا رفعها، وشصا ببصره إذا شخص؛ قال الراجز يصف الشاخص:

وبقرٍ خماص
بأعين شواصي
ينظرن من خصاص
كفلق الرصاص

والسانح والسنيح: ما جاء عن يمينك يريد شمالك. والبارح: ما جاء عن شمالك يريد يمينك. والجابه ما جاء من أمامك مواجهاً لك. والقعيد والخفيف: ما جاء من ورائك. شبه دور الكأس واختلافها بينهم بالسوانح والبوارح.

الشعر للأخطل. والغناء لمالك، فيه لحنان كلاهما له، أحدهما رمل بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الولاء من رواية إسحاق، والآخر خفيف رمل بالوسطى في الثالث ثم الأول والثاني عن عمرو. وذكر عمرو أن الرمل أيضاً لابن سريج وأنه بالوسطى. وفيه لإبراهيم رمل بالبنصر في الأول والثاني عن الهشامي وعمرو. وفيه لابن محرز خفيف ثقيل أول بالبنصر عن عمرو والهشامي. ومنها: صوت:

خف القطين فراحوا منك أو بكروا
كأنني شارب يوم استبد بهم
من قرقفٍ ضمننتها حمص أو جدر
كلفاء ينحت من خرطومها المدر
يا قاتل الله وصل الغانيات إذا
أيقن أنك ممن قد زها الكبر
أعرضن لما حنى قوسي موترها
وابيض بعد سواد اللمة الشعر

استبد بهم أي علي عليهم. والقرقف: التي تأخذ شارها رعدة لشدتها. والكلفاء: الخابية في لوها كلف وقوله: زها الكبر، يعني استخفه وأضعفه؛ يقال: زهاه وازدهاه. وقال أبو عبيدة: الأصل في زهاه رفعه؛ فكأنه أراد أنه رفعه في علو سنه عما يردن منه. واللمة: الشعر المجتمع.

الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو قيساً وبني كليب ويقول فيها:

أما كليب بن يربوع فليس لها
مخلفون ويقضي الناس أمرهم
عند التفاخر إيراد ولا صدر
وهم بغيب وفي عمياء ما شعروا
ينفك من دارمي فيهم أثر
ملطمون بأعقار الحياض فما

بئس الصحة وبئس الشراب شربهم إذا جرى فيهم المزاء والسكر
قوم تناهت إليهم كل مخزية وكل فاحشة سبت بها مضر
الآكلون خبيث الزاد وحدهم والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدمه ومما غلب فيه على جرير. وقد احتاج جرير إلى سلخ بيته هذا الأخير فردّه عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة، وضمنه بيتين من شعره فقال:

الآكلون خبيث الزاد وحدهم والنازلون إذا وارا هم الخمر
والظاعنون على العمياء إن رحلوا والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

وفي هذه القصيدة يقول الأخطل يمدح عبد الملك:

إلى امرئ لا تعرينا نوافله أظفره الله فليهنئ له الظفر
الخائض الغمر والميمون طائره خليفة الله يستسقى به المطر
والهم بعد نجي النفس يبعثه بالحزم والأصمعان القلب والحر
وما الفرات إذا جاشت غواربه في حافتيه وفي أوساطه العشر
وزعزعته رياح الصيف واضطربت فوق الجأجيء من آذيه غدر
مسحفر من جبال الروم يستره منها أكافيف فيها دونه زور
يوماً بأجود منه حين تسأله ولا بأجهر منه حين يجتهر
في نبعة من قریش يعصبون بها ما إن يوازي بأعلى نبتها الشجر
حشد على الخبر عيافو الخنا أنف إذا ألمت بهم مكروهة صبروا
لا يستقل ذوو الأضغان حربهم ولا يبين في عيدانهم خور
شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

مدح الرشيد بيتاً للأخطل: أخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصباح عن أبيه: أن الرشيد قال لجماعة من أهله وجلسائه: أي بيت مدح به الحلفاء منا ومن بني أمية أفخر؟ فقالوا وأكثروا. فقال الرشيد: أمدح بيت وأفخره قول ابن النصرانية في عبد الملك:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

مدح آدم بن عمر بن عبد العزيز بيتاً للأخطل في مجلس المهدي فأغضبه: أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني أحمد بن الحارث عن المدائني قال: قال المهدي يوماً وبين يديه مروان بن أبي حفصة: أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور:

له لحظات عن حفاقي سريره إذا كرها فيها عقاب وناثل

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال: هيهات والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابن هرمة كما قال الأخطل:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

قال: فغضب المهدي حتى استشاط وقال: كذب والله ابن النصرانية العاض بظر أمه وكذبت يا عاض بظر أمك! والله لولا أن يقال: إني خفرت بك لعرفتك من أكثر شعراً! خذوا برجل ابن الفاعلة فأخرجوه عني! فأخرجوه على تلك الحال، وجعل يشتمه وهو يجر ويقول: يابن الفاعلة! أراها في رؤوسكم وأنفسكم . صوت:

إني

وقد اختلف في نسبه، فقال الأصمعي؛ فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدي عن الرياشي عنه، هو أوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير. وقال ابن حبيب، فيما ذكره السكري عنه: هو أوس بن حجر من شعراء الجاهلية وفحولها .

وذكر أبو عبيدة أنه من الطبقة الثالثة، وقرنه بالحطيئة نابغة بني جعدة .
في الشعر: فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة حدثنا يونس عن أبي عمرو قال: كان أوس شاعر مضر حتى أسقطه النابغة وزهير، فهو شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع .
أخبرنا أحمد قال حدثنا عمر قال حدثنا الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول: كان أوس بن حجر فحل الشعراء؛ فلما نشأ النابغة طأطأ منه. وأما الكلبي فإنه زعم أن من هذه الطبقة لبید ابن ربيعة والشمخ بن ضرار. قال: وتيمم إلى الآن مقيمة على تقدم أوس. قال: ومنهم من يقول بتقدم عدي؛ وأنشد لحرثة بن بدر الغداني:

والشعراء كان مبيته ومظله عند العبادي الذي لا يجهل

وقال يعقوب بن سليمان قال حماد: أدركت رجلاً من بني تميم لا يفضلون على عدي في الشعر أحداً .
أخبرني اليزيدي عن الرياشي عن الأصمعي قال: تميم تروى هذه القصيدة الحاثية لعبيد، وذلك غلط؛ ومن الناس من يخطئها بقصيدته التي على وزنها ورويها لتشاهما .

غنت فتاة أعرابية له في السحاب: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري قال حدثنا علي بن الصباح قال حدثني عبيد الله بن الحسين بن المسود بن وردان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خرج أعرابي مكفوف ومعه ابنة عم له لرعي غنم لهما. فقال الشيخ: أجد ريح النسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظري. فقالت: أراها كأنها ربرب معزى هزلي. قال: ارعي واحذري. ثم قال لها بعد ساعة: إني أجد ريح النسيم قد دنا، فارفعي رأسك فانظري. فقالت: أراها كأنها بغال دهم تجر جلاها. قال: ارعي واحذري. ثم مكث ساعة ثم قال: إني لأجد ريح النسيم قد دنا، فانظري. قالت: أراها كأنها بطن حمار أصحر. فقال: ارعي واحذري. ثم مكث ساعة فقال: إني لأجد ريح النسيم، فما ترين؟ قالت: أراها كما قال الشاعر:

دان مسف فوق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قال بالراح

كأنما بين أعلاه وأسفله ربط متشرة أو ضوء مصباح

فمن بمحفله كمن بنجوته والمستكن كمن يمشي بقرواح

فقال: انجي لا أبا لك! فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما .
البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعي .
معنى قول الجارية: كأنها بطن حمار أصحر، تعني أنه أبيض فيه حمرة. والصحرة لون كذلك. وقوله: فمن بمحفله

كمن بنجوته، يعني من هو بحيث احتفل السيل واحتفال كل شيء معظمه كمن في نجوته. وقد روي: بمحفشه ،
وهما واحد، ومعناها مجرى معظم السيل. يقول: فمن هو في هذا الموضع منه كمن بنجوته أي ناحية عنه سواءً
لكثرة المطر. والقراح: الفضاء؛ يقال قرواح وقرياح. ويقال في معنى المحفش: حفشت الأودية إذا سالت،
وتحشفت المرأة على ولدها إذا قامت عليه .

كان يسير ليلاً فصرعته ناقته، فأكرمه فضالة بن كعدة، فمدحه: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثني
علي بن أبي عامر السهمي المصري قال حدثني أبو يوسف الأصبهاني قال حدثني أبو محمد الباهلي عن الأصمعي،
وذكر هذا الخبر أيضاً التوزي عن أبي عبيدة، فجمعت روايتيهما، قالاً: كان أوس بن حجر عزلاً مغرمًا بالنساء؛
فخرج في سفر، حتى إذا كان بأرض بني أسد بين شرج وناظرة ، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فصرعته
فاندقت فخذه فبات مكانه؛ حتى إذا أصبح غدا جوارى الحي يجتنب الكمأة وغيرها من نبات الرض والناس في
ربيع. فبينا هن كذلك إذ بصرن بناقته تجول وقد علق زمامها في شجرة وأبصرنه ملقى، ففزعن فهربن. فدعا
بجارية منهن فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا حليلة بنت فضالة بن كعدة، وكانت أصغرهن؛ فأعطاهما حجراً وقال
لها: اذهبي إلى أبيك فقولي له: ابن هذا يقرئك السلام. فأخبرته فقال: يا بنية، لقد أتيت أباك بمدح طويل أو
هجاء طويل. ثم احتمل هو وأهله حتى بنى عليه بيته حيث صرع وقال: والله لا أتحول أبداً حتى تبرأ؛ وكانت
حليلة تقوم عليه حتى استقل. فقال أوس بن حجر في ذلك:

بصحراء شرجٍ إلى ناظره

فليست بطلقٍ ولا ساكره

وأعيت بها أختها الغابرة

جدلت على ليلةٍ ساهره

تزداد ليالي في طولها

أنوء برجل بها ذهنها

وقال في حليلة:

حليلة إذ ألقى مراسي مقعد

وحل بشرجٍ م القبائل عودي

كما شئت من أكرومةٍ وتخرد

وقصرك أن يثنى عليك وتحمدي

لعمرك ما ملت ثواء ثويها

ولكن تلقى باليدين ضمانتي

ولم تلها تلك التكاليف إنها

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب

رثى فضالة بن كعدة حين مات: قالاً: ثم مات فضالة بن كعدة، وكان يكنى أبا دليجة، فقال فيه أوس بن حجرٍ
يرثيه:

على فضالة جل الرزء العالي

يا عين لا بد من سكب وتهمال

ويروى: عيني. العالي: الأمر العظيم الغالب. وهي طويلة جداً. وفيها مما يغني فيه: صوت:

أم من لأشعث ذي طمرين محال

أبا دليجة من توصي بأرملةٍ

أمسوا من الأمر في لبسٍ وبلبال

أبادليجة من يكفي العشيرة إذ

على صدك بصافي اللون سلسال

لا زال مسك وريحان له أرج

غنى فيه دحمان خفيف رمل بالوسطى عن عمرو. وذكر حبش أن فيه رملاً بالوسطى عن عمرو. وذكر حبش أن فيه لابن عائشة رملاً بالبصرة، ولداود بن العباس ثاني ثقل، ولابن جامع خفيف ثقل. ومن فاضل مراثيه إياه ونادرها قوله:

إن الذي تكرهين قد وقعا

أيتها النفس أجملني جزعا

نجدة والحزم والقوى جمعا

إن الذي جمع السماحة وال

يمتع بضعفٍ ولم يمت طبعاً

المخلف المتلف المرزأ لم

شيء لمن قد يحاول البدعا

أودى وهل تتفع الإشاحة من

وهي قصيدة أيضاً يمدحها بها في حياته ويرثيه بعد وفاته. وله فيه قصائد غير هذه .
صوت:

فأقبلت أسعى كالعجزل أبادر

رأيت زهيراً كلكل خالد

ويمنعه مني الحديد المظاهر

فشلت يميني يوم أضرب خالداً

عروضه من الطويل. الشعر لورقاء بن زهير. والغناء لكردم، خفيف ثقل أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد، وذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم، وروى عن أبيه سباط عن يونس أنه أخذه من كردم وأعلمه أن الصنعة فيه له .

خير ورقاء بن زهير

ونسبه وقصة شعره هذا:

هو ورقاء بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، يقول لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ، أباه زهير بن جذيمة ؟! وكان السبب في ذلك فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر قالوا حدثنا عمر بن شبة، ونسخت بعض هذا الخبر عن الأثرم ورواية ابن الكلبي، وأضفت بعض الروايات إلى بعض إلا ما أفردته وجلبته عن راويه. قال أبو عبيدة حدثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عبد بن جلهمة ابن حذاق بن يربوع بن سعد بن تغلب بن سعد بن عوف بن جلال بن غنم بن أعصر، قال حدثني أبي عبد الواحد وعمي صفوان ابنا عاصم عن أبيهما

عاصم بن عبد الله عن أدرك شأس بن زهير. قال: كان مولد عاصم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عاصم جاهلياً. قال: وقال عبد الحميد حدثني سيار بن عمرو أحد بني عبيد بن سعد بن عوف بن جلال بن غنم قال أبو عبيدة: وكان أعلم غني عن شيوخهم: مقتل شأس بن زهير أخيه والبحث عن قاتله ثم محاولة الثأر منه:

أن شأس بن زهير بن جذيمة أقبل من عند ملك قال أبو عبيدة: أراه النعمان وكان بينه وبين زهير صهر قال أبو عبيدة: ثم حدثني مرة أخرى قال: كانت ابنة زهير عنده فأقبل شأس بن زهير من عنده وقد حباه أفضل الحبوة مسكاً وكساً وقطفاً وطنافس، فأناخ ناقته في يوم شمالٍ وقرع على ردهة في جبل ورياح بن الأسك أحد بني رباح بن عبيد بن سعد بن عوف بن جلال على الردهة ليس غير بيته بالجبل؛ فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت؛ فاستدبره رياح فأوى بسهم فبتر به صلبه. قال أبو عبيدة وحدثني رجل يخيل إلي أنه أبو يحيى الغنوي قال: ورد شأس وقد حباه الملك بحبوة فيها قطيفة حمراء ذات هذب وطيب، فورد منعجاً وعليه خباء ملقى لرياح بن الأسك فيه أهله في الظهيرة؛ فألقى ثيابه بفنائهم ثم قعد يهرقي عليه الماء، والمرأة قريبة منه يعني امرأة رياح فإذا هو مثل الثور البيض. فقال رياح لامرأته: أنطيني قوسي؛ فمدت إليه قوسه وسهماً، وانتزعت المرأة نصله لئلا يقتله؛ فأهوى عجلان إليه فوضع السهم في مستدق الصلب بين فقارتين ففصلهما، وخر ساقطاً وحفر له حفراً فهدمه عليه، ونحر جملة وأكله. قال: وقال عبد الحميد: أكل ركوبته وأولج متاعه بيته. وقال عبد الحميد: وفقد شأس وقص أثره ونشد، وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله. فقال لهم الملك: حبوته وسرخته. فقالوا: وما متعته به؟ قال: مسك وكساً ونطوع وقطف. فأقبلوا يقصون أثره فلم تتضح لهم سبيله. فمكثوا كذلك ما شاء الله، لا أدري كم، حتى رأوا امرأة رياح باعت بعكاظ قطيفة حمراء أو بعض ما كان من حباء الملك. فعرفت وتيقنوا أن رياحاً ثأرهم. قال أبو عبيدة: وزعم الآخر قال: نشد زهير بن جذيمة الناس، فانقطع ذكره على منعج وسط غني، ثم أصابت الناس جراحة وجوع، فنحر زهير ناقة، فأعطى امرأة شطيها فقال: اشترى لي الهدب والطيب. فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعه حتى دفعت إلى امرأة رياح، فقالت: إن معي شحماً أبيعه في الهدب والطيب؛ فاشتريت المرأة منها. فأنت المرأة زهيراً بذلك، فعرف الهدب، فأتى زهير غنياً، فقالوا: نعم! قتله رياح بن الأسك، ونحن براء منه. وقد لحق بخاله من بني الطماح وبني أسد بن خزيمة، فكان يكون الليل عنده ويظهر في أبان يريم الأروى؛ إلى أن أصبح ذات يوم وهو عنده وعبس تريغه. فركب خاله جملاً وجعله على كفل وراءه. فبينما هو كذلك إذ دنت، فقالوا: هذه خيل عبس تطلبك. فطمر في قاع شجر فحفر في أصل سوقه. ولقيت الخيل خاله فقالوا: هل كان معك أحد؟ قال: لا. فقالوا: ما هذا المركب زراءك؟ لتخبرنا أو لنقتلنك! قال: لا كذب، هو رياح في ذلك القاع. فلما دنوا منه قال الحصينان: يا بني عبس دعونا وثأرنا، فخنسوا عنهما. فأخذ رياح نعلين من سبت فصيرهما على صدره حيال كبده، ونادى: هذا غزالكما الذي تبغيان. فحمل عليه أحدهما فطعنه، فأزالت النعل الرمح إلى حيث شاكلته، ورماه رياح مولياً فجذم صلبه. قال: ثم جاء الآخر

فطعنه فلم يغن شيئاً، ورماه مولياً فصرعه. فقالت عبس: أين تذهبون إلى هذا! والله ليقتلن منكم عدد مراميه، وقد جرحاه فسيموت. قال: وأخذ رياح رجليهما وسلبيهما وخرج حتى سند إلى أبان. فأنته عجزوز وهو يستدمي على الحوض ليشرّب منه وقالت: استأسر تحي، فقال: جنبيني حتى أشرب. قال فأبت ولم تنته. فلما غلبته أخذ مشقصاً وكنع به كرسوعي يديها. قال فقال عبد الحميد: فلما استبان لزهير بن جذيمة أن رياحاً ثأره قال يرثي شأساً: رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس:

بكيت لشأس حين خبرت أنه	بماء غني آخر الليل يسلب
لقد كان مأتاه الرداه لحتفه	وما كان لولا غرة الليل يغلب
فتيل غني ليس شكل كشكله	كذاك لعمرى الحين للمرء يجلب
سأبكي عليه إن بكيت بعبرة	وحق لشأس عبرة حين تسكب
وحزن عليه ما حييت وعولة	على مثل ضوء البدر أو هو أعجب
إذا سيم ضيماً كان للضيم منكرأ	وكان لدي الهيجاء يخشى ويرهب
وإن صوت الداعي إلى الخير مرة	أجاب لما يدعو له حين يكرب
ففرج عنه ثم كان وليه	فقلبي عليه لو بدا القلب ملهب

وقال زهير بن جذيمة حين قتل شأس: شأس وما شأس! والبأس وما البأس! لولا مقتل شأس، لم يكن بيننا بأس. قال: ثم انصرف إلى قومه، فكان لا يقدر على غنوي إلا قتله . قال عبد الحميد: فغزت بنوعبس غنياً قبل أن يطلبوا قوداً أو ديةً مع أخي شأس الحصين بن زهير بن جذيمة والحصين بن أسيد بن جذيمة ابن أخي زهير. فقيل ذلك لغني؛ فقالت لرياح: انج، لعلنا نصلح على شيء أو نرضيهم بدية أو فداء. فخرج رياح رديفاً لرجل من بني كلاب وزعم أبو حية النميري أنه من بني جعد وكان معهما صفيحة فيها آراب لحم، لا يريان إلا أنهما قد خالفا وجهه القوم، فأرجفا أيديهما في الصفيحة فأخذ كل واحد منهما وذرةً ليأكلها، مترادفين لا يقدران على التزول. قال: فمر فوق رؤوسهما صرد فصرصر، فألقيا اللحم وأمسكا بأيديهما وقالوا: ما هذا! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظماً، ومر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر؛ فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالوا: ما هذا! ثم عادا الثالثة فأخذ كل واحد منهما قطعة، فمر الصرد فوق رؤوسهما فصرصر، فألقيا القطعتين؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات، فإذا هما بالقوم أدنى ظلم وأدنى ظلم أي أدنى شيء، وقد كانا يظنان أنهما قد خالفا وجهه القوم. فقال صاحبه لرياح: اذهب فإني آتي القوم أشاغلهم عنك وأحدثهم حتى تعجزهم ثم ماض إن تركوني. فانحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ أدراجه وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضفة فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فوج فيه، ثم أخذ نعليه فجعل إحداهما على

سرتة والأخرى على صفته ثم شد عليهما العمامة، ومضى صاحبه حتى لقي القوم، فسألوه فحدثهم وقال: هذه غني كاملة وقد دنوت منهم، فصدقوه وخلوا سربه . فلما ولى رأوا مركب الرجل خلفه، فقالوا: من الذي كان خلفك؟ فقال: لا مكذبة! ذلك رياح في الأوائل من السمرات. فقال الحصينان لمن معهما: قفوا علينا حتى نعلم علمه فقد أمكننا الله من ثأرنا، ولم يريد أن يشركهما فيه أحد، فمضيا ووقف القوم عنهما. قالوا قال رياح: فإذا هما ينقلان فرسيهما، فما زالا يريغاني، فابتدراني فرميت الأول فبترت صلبه، وطعني الآخر قبل أن أرميه وأراد السرة فأصاب الريلة ، وممر الفرس يهوي به، فاستدبرته بسهم فرشقت به صلبه فانفقر منحني الأوصال، وقد بترت صلبيهما. قال أبو عبيدة قال أبو حية: بل قال رياح: استدبرته بسهم وقد خرجت قدمه فقطعتها، فكأنما نشرت بمنشار. قال عبد الحميد: وند فرسهما فلاحقا بالقوم. قال رياح: فأخذت رجليهما فخرجت بهما حتى أتيت رملةً فسندت فغرزت الرمحين فيها ثم انحدرت. قال: وطلبه القوم، حتى إذا رفع لهم الرمحان لم يقربوهما علم الله حتى وجدوا أثر رياح خارجاً قد فات. وانطلق رياح خارجاً حتى ورد ردهةً عليها بيت أنمار بن بغيض وفيه امرأة ولها ابنان قريبان منها وجمال راتع في الجبل، وقد مات رياح عطشاً. فلما رآته يستدمي طمعت فيه ورجت أن يأتيها ابناها، فقالت له: استأسر. فقال لها: دعيني ويحك أشرب، فأبت. فأخذ حديدة إما سكيناً وإما مشقصاً فجذم به رواهشها فماتت، وعب في الماء حتى هُل ثم توجه إلى قومه. فقال رياح فيها وفي الحصينين:

حيناً ويعلو قولها قولي

قالت لي استأسر لتكتفني

مني غداة وقفت للخيل

ولأنت أجراً من أسامة أو

عدل الرجاجة جانب الميل

إذ الحصين لدى الحصين كما

قال الأثرم: الرجاجة شيء يكون مع المرأة في هودجها، فإذا هو مال أحد الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل. قال أبو عبيدة: يعني حصين بن زهير بن جذيمة، وحصين بن أسيد بن جذيمة وهو ابن عمه . قال أبو عبيدة قال عبد الحميد: والله لقد سمعت هذا الحديث على ما حدثتك به منذ ستين سنة قال عبد الحميد: وما سمعت أن بني عبس أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أنذروا، ولا سمعت فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر مما أنشدتك. وإلى هذا انتهى حديثنا وحديثه، ولا والله ما قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة في حربنا، غير أن الكميت بن زيد الأسدي، وكانت له أمان من غني، ذكر من مقتل أخواله من غني في بني عبس ومن قتلوا من بني غنم بن عامر في كلمة له واحدة؛ فلعله لهذا الحديث قالها وذكر إدراكهم وذكر قتل شبيب بن سالم النميري، فقال في ذلك:

لأمين فيهم في الفروع وفي الأصل

أنا ابن غني والداي كلاهما

وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل

هم استودعوا هوى شبيب بن سالم

أباه زهيراً بالمذلة والثكل

وهم قتلوا شأس الملوك ورغموا

بما قود يوماً لديها ولا عقل

فما أدركت فيهم جذيمة وترها

قال أبو عبيدة: فذكر عبد الحميد أنه أتى عليهم هيئة من الدهر لا أدري كم وقت ذلك بعد انصرام أمر شأس. قال: فما زادوا على هذا فهو باطل. قال الأثرم: هيئة من الدهر وهيئة وبرهة وحقة بمعنى الدهر .

مقتل زهير بن جذيمة العبسي

قتله خالد بن جعفر وتعظيم هوازن له: قتله خالد بن جعفر بن كلاب. قال أبو عبيدة قال أبو حية النميري: كان بين انصراف حديث شأس وحديث قتل خالد بن جعفر زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنة إلى الثلاثين سنة. قال أبو عبيدة: وهوازن بن منصور لا ترى زهير بن جذيمة إلا رباً . قال: وهوازن يومئذ لا خير فيها؛ ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد، فهم أذل من يد في رحم، وإنما هم رعاء الشاء في الجبال. قال: وكان زهير يعشرهم ، وكان إذا كان أيام عكاظ أتاها زهير ويأتيها الناس من كل وجه، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسمن والأقط والغنم؛ وذلك بعد ما خلع ذلك من أبي الجناد أخي بني أسيد بن عمرو بن تميم. ثم إذا تفرق الناس عن عكاظ نزل زهير بالنفريات .

حلف خالد أن يقتله وشعره في ذلك: قال أبو عبيدة عن عبد الحميد وأبي حية النميري قالوا: فأنته عجزوز رهيش من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وقال أبو حية: بل أنته عجزوز من هوازن بسمن في نحي، واعتذرت إليه وشكت السنين التي تتابعن على الناس. فذاقه فلم يرض طعمه، فدعها بقوس في يده عطل في صدرها، فاستلقت لحلاوة القفا فبدت عورتها؛ فغضب من ذلك هوازن وحقدت عليه إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدمن وأوحرها من الحسك . قال: وقد أمرت عامر بن صعصعة يومئذ؛ فألى خالد بن جعفر فقال: والله لأجعلن ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل. قال: وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب:

وحذفة كالشجا تحت الوريد

أديروني إدارتكم فإني

والحفها ردائي في الجليد

مقربة أسويها بجزء

لها لبن الخلية والصعود

وأوصي الراعيين ليؤثراها

كقلب العاج في الرسغ الجديد

تراها في الغزاة هن شعث

على عود الحشيش وغير عود

يببت رباطها بالليل كفي

جهاراً من زهير أو أسيد

لعل الله يمكنني عليها

فمن أثقف فليس إلى الخلود

فإما نتقفوني فاقتلوني

قناتي في فوارس كالأسود

وقيس في المعارك غادرته

تركناهم كجارية وبيد

ويربوع بن غيظ يوم ساق

أرامل ما تحن إلى وليد
يقلن لحارث لولا تسود
تبيد المخزيات ولا تبيد
وقد أجروا إليها من بعيد
ونصراً قد تركت لها شهودي

تركت بها نساء بني عصيم
يلذن بحارث جزعاً عليه
ومني بالظويلم قارعات
وحكت بركها ببني جحاش
تركنت ابني جذيمة في مكر

وصف مقتله وما كان قبله من حوادث:

قال أبو عبيدة وحدثني أبو سرار الغنوي قال: كان زهير رجلاً عدوساً ، فانتقل من قومه بينه وبني أخويه زنباغ وأسيد بركة يريغ الغيث في عشروات له وشول. قال: وبنو عامر قريب منهم ولا يشعر بهم. قال عبد الحميد وأبو حية: بل بنو عامر بدمخ وزهير بالنفراة وبينهم ليلتان أو ثلاث. قال فقال أبو سرار: فأتى الحارث بني عامر، والله ما تغير طعم اللبن الذي زوده الحارث بن عمرو بن الشريد السلمي حتى أتى بني عامر فأخبرهم. قال أبو عبيدة أخبرني سليمان بن المزاحم المازني عن أبيه قال: بل كانت بنو عامر بالجرينة وزهير بالنفراة، وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف السلمي امرأة زهير بن جذيمة وهي أم ولده. فمر بها أخوها الحارث بن عمرو. فقال زهير لبنيه: إن هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه. فقالت أخته لبنيتها: أيزوركم خالكم فتوثقوه وتحرموه! فخلوه. فقالت تماضر لأخيها الحارث: إنه ليريني اكبتنالك وقروبك، فلا يأخذن فيك ما قال زهير؛ فإنه رجل ببذارة غيذارة شنوءة. قال: ثم حلبوا له وطباً وأخذوا منه يميناً ألا يخبر عنهم ولا يندر به أحداً. قال أبو عبيدة: وزعم أبو حية النميري أنه لما أتوه بقراهم أراهم أنه يشربه في الظلمة وجعل يهوي به إلى جيبه فيصبه بين سرياله وصدره أسفاً وغيظاً. قال: وكان الذي حلب له الوطب وقراره الحارث بن زهير، وبه سمى. قال: فخرج يطير حتى أتى عامراً عند ناديمهم، فأتى حاذةً أو شجرةً غيرها فألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون، ثم قال: أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه. فقال أهل المجلس: هذا رجل مأخوذ عليه عهد وهو يخبركم خيراً، فأتوه فإذا هو الحارث بن عمرو، وذاقوا اللبن فإذا هو حلو لم يقرص بعد، فقالوا: إنه ليخبرنا أن طلبنا قريب. فركب معه ستة فوارس لينظروا ما الخبر، وهم خالد بن جعفر بن كلاب على حذفة، وحنديج بن البكاء، ومعاوية بن عبادة بن عقيل فارس المهرار وهو الأخيل جد ليلي الأخيلية قال: والأخيل هو معاوية، قال: وهو يومئذ غلام له ذؤابتان، وكان أصغر من ركب ثلاثة فوارس من سائر بني عامر؛ فاقتصوا أثر السير، حتى إذا رأوا إبل بني جذيمة نزلوا عن الخيل. فقالت النساء: إنا لنرى حرجة من عضاه أو غابة رماح بمكان لم نكن نرى به شيئاً، ثم راحت الرعاء فأخبروا بمثل ما للنساء. قال: وأخبرت راعية أسيد بن جذيمة أسيداً بمثل ذلك؛ فأتى أسيد أخاه زهيراً فأخبره بما أخبرت به الراعية وقال: إنما رأيت الخيل بني عامر ورماحها. فقال زهير: كل أذب نفور فذهبت مثلاً؛ وكان أسيد كثير الشعر خناسياً وأين بنو عامر! أما

بنو كلاب فكالحية إن تركتها تركتك، وإن وطئتها عضتك. وأما بنو كعب فإنهم يصيدون اللأي يريد الثور الوحشي . وأما بنو نمير فإنهم يرعون إبلهم في رؤوس الجبال. وأما بنو هلال فيبيعون العطر. قال: فتحمل عامة بني رواحة، وآلي زهير لا يبرح مكانه حتى يصبح. وتحمل من كان معه غير ابنه ورقاء والحارث .

قال: وكان لزهير ربيثة من الجن فحدثه ببعض أمرهم حتى أصبح، وكانت له مظلة حتى أصبح، وكانت له مظلة دوج يربط فيها أفراسه لا تريمه حذراً من الحوادث. قال: فلما أصبح صهلت فرس منها حين أحست بالخييل وهي القعساء. فقال زهير: ما لها؟ فقال ربيته: أحست الخييل فصهلت إلهن. فلم تؤذهم بهم إلا والخييل دوائس محاضير بالقوم غدية. فقال أنهم أهل اليمن: يا أسيد ما هؤلاء الذين تعمي حديثهم منذ الليلة. قال: وركب أسيد فمضى ناجياً. قال: ووثب زهير وكان شيخاً نبيلاً فتدثر القعساء فرسه، وهو يومئذ شيخ قد بدن وهو يومئذ عقوق متهم، واعرورى ورقاء والحارث ابناه فرسيهما، ثم خالفوا جهة ما لهم ليعموا على بني عامر مكان ما لهم فلا يأخذوه. فهتف هاتف من بني عامر: يا ليحامر يريد يحامر وهو شعار لأهل اليمن لأن يعمي على الجذمين من القوم. فقال زهير: هذه اليمن، قد علمت أنها أهل اليمن! وقال لابنه ورقاء: انظر يا ورقاء ما ترى؟ قال ورقاء: أرى فارساً على شقراء يجهدا ويكدها بالسوط قد ألح عليها يعني خالداً . فقال زهير: شيئاً ما يريد السوط إلى الشقراء، فذهبت مثلاً، وقال في المرة الثانية: شيئاً ما يطلب السوط على الشقراء، وهي حذفة فرس خالد بن جعفر، والفارس خالد بن جعفر. قال: وكانت الشقراء من خيل غني. قال: وتمردت القعساء بزهير؛ وجعل خالد يقول: لا نجوت إن نجا مجدع يعني زهيراً . فلما تمعطت القعساء بزهير ولم تتلعق بها حذفة، قال خالد لمعاوية الأخيل بن عبادة وكان على الهرار حصان أعوج : أدرك معاوي، فأدرك معاوية زهيراً، وجعل ابنه ورقاء والحارث يوطشان عنه أي عن أبيهما . قال فقال خالد: اطعن يا معاوية في نساها، فطعن إحدى رجليها فانخذلت القعساء بعض الانخذال وهي في ذلك تمعط. فقال زهير: اطعن الأخرى، يكيده بذلك لكي تستوي رجلاها فتحامل . فناده خالد: يا معاوية أفد طعنك أي اطعن مكاناً واحداً فشعشع الرمح في رجلها فانخذلت. قال: ولحقه خالد على حذفة فجعل يده وراء عنق زهير، فاستخف به عن الفرس حتى قلبه، وخر خالد فوقه فوقه، ورفع المغفر عن رأس زهير وقال: يا لعامر اقتلونا معاً! فعرفوا أنهم بنو عامر. فقال ورقاء: وا انقطاع ظهرا! إنما لبنو عامر! سائر اليوم. وقال غيره: فقال بعض بني جذيمة: وا انقطاع ظهري!. قال: ولحق حندج بن البكاء وقد حسر خالد المغفر عن رأس زهير فقال: نح رأسك يا أبا جزء، لم يحن يومك فنحنى خالد رأسه وضرب حندج رأس زهير، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد بالسيف وعليه درعان، وكان أسجر العينين، ازب أقر، مثل الفالج، فلم يغن شيئاً. قال: وأجهض ابنا زهير القوم عن زهير فانترعاه مرتناً. فقال خالد حين استنقذ زهيراً ابنه. والهفتاه! قد كنت أظن أن هذا المخرج سيسعكم! ولام حندجاً. فقال حندج وكان لجلالته غصة إذا تكلم. السيف حديد، والساعة شديد، وقد ضربته ورجلاي متمكنتان في الركابين وسمعت السيف قال قب

حين وقع برأسه، ورأيت على ظبته مثل ثمر المزار، وذقته فكان حلوًا. فقال خالد: قتلته بأبي أنت!. ونظر بنو زهير فإذا الضربة قد بلغت الدماغ. ونهي بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء، فاستسقاهاهم فمنعوه حتى نكس عطشاً. قال: وذلك أن المأموم يخاف عليه الماء، حتى بلغ منه العطش، فجعل يهتف: أميت أنا عطشاً. وينادي: يا ورقاء قال أبو حية: فجعل ينادي يا شأس فلما رأوا ذلك سقوه فمات لثالثة. فقال ورقاء بن زهير:

رأيت زهيراً تحت كل كل خالدٍ فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

إلى بطلين ينهضان كلاهما يريغان نصل السيف والسيف نادر

فشلت يميني إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه مني الحديد المظاهر

قال أبو عبيدة: وسمعت أبا عمرو بن العلاء ينشد هذا البيت فيها:

وشلت يميني يوم أضرب خالدًا وشل بناناها وشل الخناصر

قال أبو عبيدة: وأنشدني أبو سرار أيضاً فيها:

فيا ليتني من قبل أيام خالدٍ ويوم زهيرٍ لم تلدني تماضر

تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف السلمي امرأة زهير بن جذيمة. قال أبو عبيدة: أنشدني أبو سرار فيها:

لعمري لقد بشرت بي إذ ولدتني فماذا الذي ردت عليك البشائر

شعر لخالد بن جعفر بن علي هوازن بقتله زهير:

وقال خالد بن جعفر بن علي هوازن بقتله زهيراً ويصدق الحديث قال أبو عبيدة أنشدني مالك بن عامر بن عبد الله بن بشر بن عامر ملاعب الأسنة:

بل كيف تكفرني هوازن بعدما أعققتهم فتوالدوا أحرارا

وقتل ربهم زهيراً بعدما جدع الأنوف وأكثر الأوتارا

وجعلت حزن بلادهم وجبالهم أرضاً فضاءً سهلةً وعشارا

وجعلت مهر بناتهم ودمائهم عقل الملوك هجائناً أبكارا

قال أبو عبيدة: ألا ترى أنه ذكر في شعره أن زهيراً كان ربههم وقد كان جدعهم، وأنه قتله من أجلهم لا من أجل غني، وأن غنياً ليسوا من ذلك في ذكر ولا لهم فيه معنى .

شعر لورقاء بن زهير: قال: وقال ورقاء بن زهير:

أما كلاب فإننا نسالها حتى يسالم ذئب النلة الراعي

بنو جذيمة حاموا حول سيدهم إلا أسيداً نجا إذ ثوب الداعي

شعر للفرزدق ينعي فيه على بني عبس ضربة ورقاء خالداً: قال: ثم نعى الفرزدق على بني عبس ضربة ورقاء خالداً، واعتذر بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال:

إن يك سيف خان أو قدر أبي
فسياف بني عبس وقد ضربوا به
كذلك سيوف الهند تنبو ظباتها
ولو شئت قد السيف ما بين عنقه
لأخبر نفس حنقها غير شاهد
نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
وتقطع أحياناً مناط القلائد
إلى علق تحت الشراسيف جامد

قال: وكان ضلع بني عبس مع جرير، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات. هذه رواية أبي عبيدة .
وأما الأصمعي فإنه ذكر، فيما رواه الأثرم عنه، قال حدثني غير واحد من الأعراب أن سبب مقتل زهير العبسي أن ابنه شأس بن زهير وفد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حباء قد حي به، فمر بأبيات من بني عامر بن صعصعة وأبيات من بني غني على ماء لبني عامر أو غيرهم الشك من الأصمعي . قال: فاغتسل، فناداه الغنوي: استتر فلم يحفل بما قال. فقال: استتر ويحك! البيوت بين يديك؛ فلم يحفل. فرماه الغنوي رياح بن الأسك بسهم أو فقتله والحى خلوف ، فاتبعه أصحاب شأس وهم في عدة، فركب الفلاة واتبعوه فرهقوه ، فقتل حصيناً وأخاه حصيناً، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطش، فلجأ إلى منزل عجوز من بني إنسان وبنو إنسان حي من بني جشم .
ف قالت له العجوز: لا تبرح حتى يأتي بني فيأسروك. قال الأصمعي: فأخبرني مخبران اختلافًا؛ فقال أحدهما: إنه أخذ سكيناً فقطع عصبي يديها، وقال الآخر: أخذ حجراً فشدخ به رأسها، ثم أنشأ يقول:

ولأنت أشجع من أسامة أو
إذ الحصين لدى الحصين كما
مني غداة وقفت للخيـل
عدل الرجـازة جانب الميل
وإذا أنهنـها لأفـتلها
جاشت ليغلب قولها على قولي

قال: فضرب للزمان ضربانه ، فالتقى خالد بن جعفر بن كلاب وزهير بن جذيمة العبسي. فقال خالد لزهير: أما أن لك أن تشتفي وتكف؟ قال الأصمعي: يعني مما قتل بشأس قال: فأغلظ له زهير وحقره. قال الأصمعي:
وأخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب أن ذلك الكلام بينهما كان بعكاظ عند قريش. فلما حقره زهير وسبه قال خالد: عسى إن كان! يتهدده ثم قال: اللهم أمكن يدي هذه الشقراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه. فقال زهير: اللهم أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم حل بيننا. فقال قريش: هلك والله يا زهير!. فقال: إنكم والله الذين لا علم لكم .

قال الأصمعي: ثم نرجع إلى حديث العباسيين والعامريين، وبعضه من حديث أبي عمرو بن العلاء. قال: فجاء أخو امرأته فاطمة بنت الشريد السلمية، وهي أم قيس بن زهير، وكان زهير قد أساء إليهم في شيء فجاء أخوها

إلى بني عامر فقال: هل لكم في زهير بن جذيمة ينتج إبله ليس معه أحد غير أخيه أسيد بن جذيمة وعبد راع لإبله! وجئتكم من عنده، وهذا لبن حلبوه لي. فذاقوه فإذا هو ليس بحارز، فعلموا أنه قريب. فخرج حندج بن البكاء وخالد ابن جعفر ومعاوية بن عبادة بن عقيل، ليس على أحدهم درع غير خالد كانت عليه درع أعاره إياها عمرو بن يربوع الغنوي، وكانت درع ابن الأجلح المرادي كان قتله فأخذها منه، وكان يقال لها ذات الأزيمة. وإنما سميت بذلك لأنها كانت لها عرى تعلق فضولها بها إذا أراد أن يشمرها. قال: فطلعوا. فقال أسيد بن جذيمة قال الأصمعي: وكان أسيد شيخاً كبيراً، وكان كثير شعر الوجه والجسد أتيت ورب الكعبة. فقال زهير: كل أرب نفور، فذهبت مثلاً. فلم يشعر بهم زهير إلا في سواد الليل، فركب فرسه ثم وجهها فلحقه قوم أحدهم حندج أو العقيلي واختلفوا فيهما فطعن فخذ الفرس طعنة خفيفة، ثم أراد أن يطعن الرجل الصحيحة، فناده خالد: يا فلان لا تفعل فيستويا، أقبل على السقيمة. قال: فطعنهما فانخذلت الفرس فأدركوه. فلما أدركوه رمى بنفسه، وعانقه خالد فقال: اقتلوني ومجدعاً! فجاء حندج وكان أعجم اللسان فقال لخالد وهو فوق زهير: نح رأسك يا أبا جزء، فنحى رأسه فضرب حندج زهيراً ضربة على دهش، ثم ركبوا وتركوه. قال فقال خالد: ويحك يا حندج ما صنعت؟ فقال ساعدي شديد، وسيفي حديد، وضربته ضربة فقال السيف قب، وخرج عليه مثل ثمرة المزار، فطعمته فوجدته حلواً يعني دماغه. قال: إن كنت صدقت فقد قتلتته. قال: فجاء قوم زهير فاحتملوه ومنعوه الماء كراهة أن يتل دماغه فيموت. فقال: يا آل غطفان أموت عطشاً! فسقي فمات، وذلك بعد أيام. ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير وكان قد ضرب خالداً ضربة فلم يصنع شيئاً، فقال:

رأيت زهيراً تحت كل كل خالد فأقبلت أسعى كالعجول أبادر

إلى بطلين ينهضان كلاهما يريدان نصل السيف والسيف نادر

قال الأصمعي: فضرب الدهر من ضربانه إلى أن التقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم.

ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كلاب

مقتل خالد بن جعفر وسببه: قتله الحارث بن ظالم المري. قال أبو عبيدة: كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أن خالد بن جعفر أغار على رهط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غيظ ابن مرة وهم في وادٍ يقال له حراض، فقتل الرجال حتى أسرع، والحارث يومئذ غلام، وبقيت النساء. وزعموا أن ظالماً هلك في تلك الواقعة من جراحة أصابته يومئذ. وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم، فلما بقين بغير رجال طفق يدعون الحارث، فيشد عصاب الناقة ثم يحلبنها، ويكيّن رجالهن ويكيي الحارث معهن، فنشأ على بغض خالد. وأردف ذلك قتل خالد زهير بن جذيمة؛ فاستحق العداوة في غطفان. فقال خالد بن جعفر في تلك الواقعة:

تركت نساء يربوع بن غيظ أرامل يشتكين إلى وليد

يقلن لحارث جزعاً عليه
تركنت بني جذيمة في مكرٍ
ومني سوف تأتي قارعات
وقيس ابن المearك غادرته
وحلت بركهها ببني جحاشٍ
وحي بني سبيع يوم ساقٍ
لك الخيرات مالك لا تسود
ونصراً قد تركت لدى الشهود
تبيد المخزيات ولا تبيد
قناتي في فوارس كالأسود
وقد مدوا إليها من بعيد
تركناهم كجارية وبيد

قال أبو عبيدة: فمكث خالد بن جعفر برهة من دهره، حتى كان من أمره وأمر زهير بن جذيمة ما كان، وخالد يومئذ رأس هوازن. فلما استحق عداوة عبيس وذبيان أتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لينظر ما قدره عنده، وأتاه بفرس؛ فألقى عنده الحارث بن ظالم قد أهدى له فرساً فقال: أبيت اللعن، نعم صباحك، وأهلي فداؤك! هذا فرس من خيل بني مرة، فلن تؤتى بفرس يشق غباره، إن لم تنسبه انتسب، كنت ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة؛ فلما أكرمت خالداً أهديته إليك. وقام الربيع بن زياد العبيسي فقال: أبيت اللعن! نعم صباحك، وأهلي فداؤك! هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت أباه عشرين سنة لم يخفق في غزوة ولم يعتلك في سفر، وفضله على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم. قال: فغضب النعمان عند ذلك وقال: يا معشر قيس، أرى خيلكم أشباهاً! أين اللواتي كأن أذنابها شقاق أعلام وكان مناخرها وجار الضباع، وكان عيونها بغايا النساء، رفاق المستطعم تعالك اللحم في أشداقها، تدور على مذاودها كأنما يقضمن حصى. قال خالد: زعم الحارث أبيت اللعن أن تلك الخيل خيله وخيل آبائه. فغضب النعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم. فلما أمسوا اجتمعوا عند قينة من أهل الحيرة يقال لها بنت عفرز يشربون. فقال خالد: تغني:

دار لهندي والرباب وفرتني ولميس قبل حوادث الأيام

وهن حالات الحارث بن ظالم، فغضب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً، وقال: ما تزال تتبع أولى بآخره. قال أبو عبيدة: ثم إن النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدم لهم تمرأ؛ فطفق خالد بن جعفر يأكل ويلقي نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحارث. فلما فرغ القوم قال خالد بن جعفر: أبيت اللعن! انظر إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النوى! ما ترك لنا تمرأ إلا أكله. فقال الحارث: أما أنا فأكلت التمر وألقيت النوى، وأما أنت فأكلته بنواه. فغضب خالد وكان لا يناع، فقال: أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك وتركتك يتيماً في حجور النساء! فقال الحارث: ذلك يوم لم أشهده، وأنا مغني اليوم بمكاني. قال خالد: فهلا تشكر لي إذ قتلت زهير بن جذيمة وجعلتك سيد غطفان!. قال: بلى أشكرك على ذلك. فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عفرز، فشرب عندها وقال لها تغني:

تعلم أبييت اللعن أني فأتك
من اليوم أو من بعده بابن جعفر
أخالد قد نبهتني غير نائم
فلا تأمن فتكي يد الدهر واحذر
أعيرتني أن نلت منا فوارساً
غداة حراضٍ مثل جنان عبقر
أصابهم الدهر الختور بختره
ومن لا يق الله الحوادث يعثر
فعلك يوماً أن تتوء بضربة
بكف فتى من قومه غير جيدر
يغص بها عليا هوازن، والمنى
لقاء أبي جزءٍ بأبيض مبتر

قال: فبلغ خالد بن جعفر قوله فلم يحفل به. فقال عبد الله بن جعدة وهو ابن أخت خالد، وكان رجل قيس رايًا لابنه: يا بني انت أبا جزء فأخبره أن الحارث بن ظالم سفيه موتور، فأخف مبيتك الليلة؛ فإنه قد غلبه الشراب. فإن أبيت فاجعل بينك وبينه رجلاً ليحرسك. فوضعوا رجلاً بإزائه، ونام ابن جعدة دون الرجل، وخالد من خلف الرجل. وعرف أن ابن عتبة وابن جعدة يحرسان خالداً. فأقبل الحارث فانتهى إلى ابن جعدة فتعدها، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالداً فعجنه بكلكله حتى كسره وجعل يكدمه لا يعقل، فخلى عنه والرجل تحته، ومضى إلى خالد وهو نائم، فضربه بالسيف حتى قتله. فقال لعروة: أخبر الناس أني قتلت خالداً. وقال في ذلك:

ألا سائل النعمان إن كنت سائلاً
وحي كلاب هل فتكت بخالد
عشوت عليه وابن جعدة دونه
وعروة يكلأ عمه غير راقد
وقد نصبا رجلاً فباشرت جوزه
بكلكل مخشي العدواة حارد
فأضربه بالسيف يافوخ رأسه
فصمم حتى نال نوط القلائد
وأقلت عبد الله مني بذعره
وعروة من بعد ابن جعدة شاهدي

فلما أبت غطفان أن تحيره غضبت لذلك بنو عيس. وبعث إليه قيس بن زهير بن جذيمة بهذه الأبيات: شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالداً وإجابته له:

جزاك الله خيراً من خليل
شفي من ذوي تبولته الخليل
أزحت بها جوى ودخيل حزن
تمخخ أعظمي زمناً طويلاً
كسوت الجعفري أبا جزيء
ولم تحفل به سيفاً صقيلاً
أبأت به زهير بني بغيص
وكننت لمثلها ولها حمولا
كشفت له القناع وكننت ممن
يجلي العار والأمر الجليلاً

فأجابه الحارث بن ظالم:

مقالة كاذب ذكر التبول

لقاتل ثأركم حرزاً أصيلاً

فقد جاللتنا حدثاً جليلاً

لما طردوا الذي قتل القتيل

أتاني عن قبيس بني زهير

فلو كنتم كما قلتم لكنتم

ولكن قلتم جاور سوانا

ولو كانوا هم قتلوا أخاكم

إباء غطفان جوار الحارث ولحوقه ببني تميم وطلب بني عامر له: قال أبو عبيدة: فلما منعه غطفان لحق بحاجب بن زرارة، فأجاره ووعدته أن يمنعه من بني عامر. وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم، فساروا في عليا هوازن. فلما كانوا قريباً من القوم في أول وادٍ من أوديتهم، خرج رجل من بني غني ببعض البوادي، فإذا هو بامرأة من بني تميم ثم من بني حنظلة تجتني الكمأة، فأخذها فسألها عن الخبر، فأخبرته. بمكان الحارث ابن ظالم عند حاجب بن زرارة وما وعده من نصر ومنعه. فانطلق بها الغنوي إلى رحله؛ فانسلت في وسط من الليل، فأتى الغنوي الأحوص بن جعفر، فأخبره أن المرأة قد ذهبت وقال: هي منذرة عليك. فقال له الأحوص: ومتى عهدك بها؟ قال: عهدي بها والمني يقطر من فرجها. قال: وأبيك إن عهدك بها لقريب. وتبع المرأة عامر بن مالك يقص أثرها حتى انتهى إلى بني زرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها: أخبريني أي قوم أخذوك؟ قالت: أخذني قوم يقبلون بوجوه الأطباء، ويدبرون بأعجاز النساء. قال: أولئك بنو عامر. قال: فحدثيني من في القوم؟ قالت: رأيتهم يغدون على شيخ كبير لا ينظر بماقيه حتى يرفعوا له من حاجبيه. قال: ذلك الأحوص بن جعفر. قالت: ورأيت شاباً شديد الخلق، كأن شعر ساعديه حلق الدرع يعذب القوم بلسانه عذم الفرس العضوض. قال: ذلك عتبة بن بشير بن خالد. قالت: ورأيت كهلاً إذا أقبل معه فتیان . يشرف القوم إليه، فإذا نطق أنصتوا. قال: ذلك عمرو بن حويلد، والفتيان ابناه زرعة ويزيد. قالت: ورأيت شاباً طويلاً حسناً، إذا تكلم بكلمة أنصتوا لها ثم يؤلون إليه كما تؤل الشول إلى فحلها. قال: ذلك عامر ابن مالك. قال أبو عبيدة: فدعا حاجب الحارث بن ظالم فأخبره برأيه وخبر القوم وقال: يا ابن ظالم، هؤلاء بنو عامر قد أتوك، فما أنت صانع؟ قال الحارث: ذلك إليك، إن شئت أقمت فقاتلت القوم، وإن شئت تنحيت. قال حاجب: تنح عني غير ملوم. فغضب الحارث من ذلك وقال: شعر الحارث حين أمره حاجب بالتنحي ورد حاجب عليه:

ومن وائل جاورت في حي تغلب

لي القوم يا حار بن ظالم اذهب

بني عدس ظني بأصحاب يثرب

فلم يسلموا المرين من حي يحصب

تخاف ففيكم حد نابٍ ومحب

لعمري لقد جاورت في حي وائل

فأصبحت في حي الأراقم لم يقل

وقد كان ظني إذ عقلت إليكم

غداة أتاهم تبع في جنوده

فإن تك في عليا هوازن شوكة

فأعجب بها من حاجبٍ ثم أعجب

وإن يمنع المرء الزراري جاره

فغضب حاجب فقال:

لأمنع جاراً من كليب بن وائل
على ذاك كنا في الخطوب الأوائل
لبسنا له ثوبي وفاءٍ ونائل
من الناس إلا أولعت بالكواهل
لعضت علينا عامر بالأنامل
سنوطئها في دارها بالقنابل
ولو هجتها لم ألف شحمة آكل

لعمر أبيك الخير يا حار إنني
وقد علم الحي المعدي أننا
وأنا إذا ما خاف جار ظلامه
وأن تميماً لم تحارب قبيلة
ولو حار بتنا عامر يا بن ظالم
ولاستيقنت عليا هوأزن أننا
ولكنني لا أبعث الحرب ظالماً

قال: فتنحى الحارث بن ظالم عن بني زرارة فلقق بعروض الإمامة. ودعا معبداً ولقيطاً ابني زرارة فقال: سيرا في الظعن، فموعدكما رحرحان؛ فإننا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر. وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر. فقالوا: ما ترى؟ قال: أن ندعهم بمكانهم ونسبهم إلى الظعن. قال: فلقوها برحرحان، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأصابوها، وأسر معبد وجرح لقيط. فبعثوا بمعبد إلى رجلٍ بالطائف كان يعذب الأسرى. فقطعه إرباً إرباً حتى قتله. وقال عامر بن مالك يرد على حاجب: شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب:

رئيس تميمٍ في الخطوب الأوائل
وخير تميم بين حافٍ وناعل
شأبيب من حربٍ تلقح حائل
وأجدر خوار العنان مناقل
بقوم فلا تعدل بأبناء وائل
لسرنا إليهم بالقنا والقنابل
هناك أموراً غيها غير طائل
وعضت تميم كلها بالأنامل
ينادون جهراً ليتنا لم نقاتل

ألكني إلى المرء الزراري حاجبٍ
وفارسها في كل يوم كريهة
لعمري لقد دافعت عن حي مالكٍ
على كل جرداء السراة طمرة
نصحت له إن كنت لاحقاً
ولو ألجأته عصبة تغلبية
ولو رمت أن تمنعوه رأيتم
لشباب وليد الحي قبل مشيبه
وقامت رجال منكم خندقية

قتل الحارث لابن النعمان: قال: فخرج الحارث بن ظالم من فوره ذلك حتى أتى سلمى بنت ظالم وفي حجرها ابن النعمان، فقال لها: إنه لن يجيرني من النعمان إلا تحرمي بابه، فادفعيه إلي. وقد كان النعمان بعث إلى جارات للحارث بن ظالم فسباهن؛ فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله .
أخذ النعمان عم الحارث فاعتذر إليه فخلى عنه، وقال شعراً: فوثب النعمان على عم الحارث بن ظالم فقال له: لأقتلنك أو لتأتيني بابن أخيك. فاعتذر إليه فخلى عنه. فأقبل ينطلق فقال:

يا حار إني أحيا من مخبأة	وانت أجزأ من ذي لبدة ضاري
قد كان بيتي فيكم بالعلاء فقد	أحللت بيتي بين السيل والنار
مهما أخفك على شيءٍ تجيء به	فلم أخفك على أمثالها حار
ولم أخفك على ليثٍ لن تخاتله	عبل الذراعين للأقران هصار
وقد علمت بأنني لن ينجيني	مما فعلت سوى الإقرار بالعار
فقد عدوت على النعمان ظالمةً	في قتل طفلٍ كمثّل البدر ومعطار
فاعلم بأنك منه غير منفلت	وقد عدوت على ضرغامه شاري

شعر للحارث في قتله ابن النعمان: وقال الحارث بن ظالم في ذلك:

قفا فاسمعا أخبركما إذ سألتما	محارب مولاه، وثكلان نادم
حسبت أبا قابوس أنك سابقني	ولما تذق فتكي وأنفك راغم
أخصي حمارٍ بات يكدم نحمةً	أتؤكل جاراتي وجارك سالم
تمنيته جهراً على غير ريبةٍ	أحاديث طسم، إنما أنت حالم
فإن تك أذواداً أصبت ونسوةً	فهذا ابن سلمى أمره متفاقم
علوت بذي الحيات مفرق رأسه	وكان سلاحي تجتويه الجماجم
فتكت به فتكاً كفتكي بخالدٍ	وهل يركب المكروه إلا الأكارم
بدأت بهذي ثم أثني بمثلها	وثالثة تبيض منها المقادم
شفيت غليل الصدر منه بضربةٍ	كذلك يأبى المغضبون القمام

فقال النعمان بن المنذر: ما يعني بالثالثة غيري. قال سنان بن أبي حارثة المري وهو يومئذٍ رأس غطفان: أبيت اللعن! والله ما ذمة الحارث لنا بذمة، ولا جاره لنا بجار، ولو أمنت ما أمناه. فبلغ ابن ظالم قول سنان بن أبي حارثة، فقال في ذلك: شعر للحارث يخاطب به النعمان:

ألا أبلغ النعمان عني رسالةً
وأنت طويل البغي أبلغ معور
فما غره والمرء يدرك وتره
أخي ثقةٍ ماضي الجنان مشيع
فكيف بخطاب الحطوب الأعظم
فزوع إذا ما خيف إحدى العظام
بأروع ماضي الهم من آل ظالم
كميش التوالي عند صدق العرائم

فأقسم لولا من تعرض دونه
فأقتل أقواماً لثاماً أدلةً
تمنى سنان ضلة أن يخيفني
تمنيت جهداً أن تضيع ظلامتي
لعولي بهندي الحديد صارم
يعضون من غيظٍ أصول الأباهم
ويأمن، ما هذا بفعل المسالم
كذبت ورب الراقصات الرواسم
يمين امرئ لم يرضع اللؤم ثديه
ولم تتكفنه عروق الألائم

أخذ مصدق للنعمان إبلاً لديث فاستجارت بالحارث فردها إليها: قال: فأمنه النعمان، وأقام حيناً. ثم إن مصدقاً للنعمان أخذ إبلاً لامرأة من بني مرة يقال لها ديهث؛ فأتت الحارث فعلقت دلوها بدلوه ومعها بني لها، فقالت: أبا ليلي! إني أتيتك مضافةً. فقال الحارث: إذا أورد القوم النعم فنادي بأعلى صوتك:

دعوت بالله ولم تراعي
وتلك ذود الحارث الكساع
يشفي به مجامع الصداع
وخرج الحارث في أثرها يقول:

أنا أبو ليلي وسيفي المعلوم
وكم رددنا من سليبٍ مسلوب
ذاك جهيز الموت عند المكروب
كم قد أجرنا من حريبٍ محروب
وطعنة طعنتها بالمنسوب

ثم قال لها: لا تردن عليك ناقة ولا بعير تعرفينه إلا أخذتبه ففعلت؛ فأتت على لقوح لها يحلبها حبشي، فقالت: يا أبا ليلي! هذه لي. فقال الحبشي: كذبت. فقال الحارث: أرسلها لا أم لك! فضرط الحبشي. فقال الحارث: است الحالب أعلم، فسارت مثلاً. قال أبو عبيدة: ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدق:

كما كان أوفى إذ ينادي ابن ديهثٍ
فقام أبو ليلي إليه ابن ظالمٍ
وصرمته كالمغنم المتنهب
وكان متى ما يسلل السيف يضرب

وما كان جاراً غير دلوٍ تعلقت

بحبلين في مستحصد القد مكرب

خروج الحارث إلى صديق من كندة: قال أبو عبيدة حدثني أبو محمد عصام العجلي قال: فلما قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر في جوار الملك خرج هارباً حتى أتى صديقاً له من كندة يحل شعبي قال: شعبي غير ممدود فلما ألح الأسود في طلب الحارث قال له الكندي: ما أرى لك نجاة إلا أن ألحقك بحضرموت ببلاد اليمن فلا يوصل إليك. فسار معه يوماً وليلة، فلما غربه قال: إنني أنقطع ببلاد اليمن فاعترب بها، وقد برئت منك خفاري .

لجوءه إلى بني عجل بن لجيم: فرجع حتى أتى أرض بكر بن وائل، فلجأ إلى بني عجل بن لجيم، فترل على زبان فأجاره وضرب عليه قبة. وفي ذلك يقول العجلي:

ونحن منعنا بالرماح ابن ظالمٍ

فظل يغني آناً في خبائنا

قال أبو عبيدة: فجاءته بنو ذهل بن ثعلبة وبنو عمرو بن شيبان فقالوا: أخرج هذا المشؤوم من بين أظهرنا، لا يعرنا بشر، فإننا لا طاقة بالملحاء والملحاء كتيبة الأسود فأبت عجل أن تخفره ، فقاتلوه فامتنت بنو عجل. فقال الحارث بن ظالم في الكندي وفيهم:

يكلفني الكندي سير تتوفةٍ

أكابد فيها كل ذي صبةٍ مثري

الصبة: قطعة من الغنم أو بقية منها

وأقبل دوني جمع ذهلٍ كأنني

خلالة لذهلٍ والزعانف من عمرو

ودوني ركب من لجيم مصمم

وزبان جاري والخفير على بكر

لعمري لا أخشى ظلامه ظالمٍ

وسعد بن عجلٍ مجمعون على نصري

لحوقه بطيء: قال أبو عبيدة: ثم قال لهم الحارث: إني قد اشتهر أمري فيكم ومكاني، وأنا راحل عنكم. فارتحل فلحق بطيء. فقال الحارث في ذلك:

لعمري لقد حلت بي اليوم ناقتي

إلى ناصرٍ من طيءٍ غير خاذلٍ

فأصبحت جاراً للمجرة منهم

على باذخٍ يعلو على المتناول

أخذ الأسود أموال جارات له فردها هو إليهن:

قال أبو عبيدة وحدثني أبو حية أن الأسود حين قتل الحارث خالداً سأل عن أمرٍ يبلغ منه. فقال له عروة بن عتبة: إن له جارات من بلي بن عمرو، ولا أراك تنال منه شيئاً أغيظ له من أخذهن وأخذ أموالهن، فبعث الأسود فأخذهن واستاق أموالهن. فبلغ ذلك الحارث، فخرج من الحين فأنساب في غمار الناس حتى عرف موضع جاراته ومرعى إبلهن، فأتى الإبل فوجد حالبين يحلبان ناقة يقال لها اللفاع، وكانت لبونا كأغزر الإبل، إذا

حلبت اجترت، ودمعت عيناها، وأصغت برأسها ، وتفاجت تفاج البائل، وهجمت في المخلب هجماً حتى تسنمه ، وتجاوبت أحاليها بالشخب هثاً وهثيماً حتى تصف بين ثلاثة محالب . فصاح الحارث بهما ورجز فقال:

فادعابا ليلي ولا تراعي

إذا سمعت حنة اللفاع

يجبك رحب الباع والذراع

ذلك راعيك فنعم الراعي

منطقاً بصارمٍ قطاع

خليا عنها! فعرفاه فضرط البائن. فقال الحارث: است الضارط أعلم، فذهبت مثلاً قال الأثرم: البائن الحالب الأيمن، والمستعلي الحالب الأيسر ثم عمد إلى أموال جاراته وإلى جاراته فجمعهن ورد أموالهن وسار معهن حتى اشتلهن أي أنقذهن .

رواية أخرى في قتله ابن الملك: قال أبو عبيدة ولحق الحارث ببلاد قومه مختفياً. وكانت أخته سلمى بنت ظالم عند سنان بن أبي حارثة المري. قال أبو عبيدة: وكان الأسود بن المنذر قد تبني سنان بن أبي حارثة المري ابنه شرحبيل، فكانت سلمى بنت كثير بن ربيعة من بني غنم بن دودان امرأة سنان ابن أبي حارثة المري ترضعه وهي أم هرم، وكان هرم غنياً يقدر على ما يعطي سائليه. فجاء الحارث، وقد كان اندس في بلاد غطفان، فاستعار سرج سنان، ولا يعلم سنان، وهم نزول بالشرية، فأتى به سلمى ابنة ظالم فقال: يقول لك بعلك: ابعني بابن الملك مع الحارث حتى أستأمن له ويتخفر به، وهذا سرجه آية إليك. فزيته ثم دفعته إلى الحارث، فأتى بالغلام، ناحية من الشربة فقتله، ثم أنشأ يقول:

محارب مولاه، وتكلان نادم

قفا فاسمعا أخبركما إذ سألتما

تكلان نادم: يعني الأسود لأنه قتل ابنه شرحبيل. محارب مولاه: يعني الحارث نفسه. مولاه: سنان

أتؤكل جاراتي وجارك سالم

أخصيي حمارٍ بات يكدم نجمةً

ولما تذق تكلأ وأنفك راغم

حسبت أبيت اللعن أنك فائت

فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم

فإن تك أذواداً أصبت ونسوةً

وكان سلاحي تجتويه الجماجم

علوت بذى الحيات مفرق رأسه

ولا يركب المكروه إلا الأكارم

فتكت به كما فتكت بخالدٍ

وثالثة تبيض منها المقادم

بدأت بتلك واثنتيت بهذه

قال: ففي ذلك يقول عقيل بن علفة في الإسلام وهو من بني يربوع بن غيظ بن مرة لما هاجى شبيب بن البرصاء، وأبوه يزيد، وهو من بني نشبة بن غيظ بن مرة ابن عم سنان بن أبي حارثة، فعيره بقتل الحارث بن ظالم شرحبيل لأنه ربيب بني حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ رهط شبيب، ففي ذلك يقول عقيل:

قتلنا شرحبيلاً ربيباً لأبيكم

بناصية المملوب ضاحية غصبا

فلم تتكروا أن يغمز القوم جاركم

بإحدى الدواهي ثم لم تطلعوا نقبا

قال أبو عبيدة: وهرب الحارث، فغزا الأسود بني ذبيان إذ نقضوا العهد وبني أسدٍ بشطٍ أريك. قال أبو عبيدة: وسألته عنه فقال: هما أريكان الأسود والأبيض، ولا أدري بأيهما كانت الوقعة. قال أبو عبيدة وقال آخرون: إن سلمى امرأة سنان التي أخذ الحارث شرحبيل من عندها من بني أسد. قال: فإنما غزا الأسود بني أسدٍ لدفع الأسدية سلمى ابنه إلى الحارث، فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسى واستاق أموالهم. وفي ذلك يقول الأعشى ميمون:

وشيوخ صرعى بشطي أريك

ونساء كأنهن السعالى

من نواصي دودان إذ نقضوا العه

د وذبيان والهجان الغوالى

رب رفد هرقته ذلك اليو

م وأسرى من معشر أقتال

هؤلاء هم كلا احذي

ت نعالاً محدوة بمثال

ورأى من عصاك أصبح مخذو

لاً وكعب الذي يطيعك عالي

وجود نعل شرحبيل بن الأسود في بني محارب وتعذيب الأسود لهم: قال: ووجد نعل شرحبيل عند أضاخ. وهو من الشربة في بني محارب بن خصفة بن قيس عيلان. قال: فاحمي لهم الأسود الصفا التي بصحراء أضاخ وقال لهم: إني أحذيكم نعالاً، فأمشاهم على الصفا المحمى فتساقط لحم أقدامهم. فلما كان الإسلام قتل جوشن الكندي رجلاً من بني محارب فأقيد به جوشن بالمدينة. وكان الكندي من رهط عباس بن يزيد الكندي فهجا بني محارب فغيرهم بتحريق الأسود أقدامهم فقال:

على عهد كسرى نعلتكم ملوكنا

صفاً من أضاخ حامياً يثلهب

قال أبو عبيدة: وصار ذلك مثلاً يتوعد به الشعراء من هجوه ويحذرونهم مثل ذلك. ومن ذلك أن ابن عتاب الكلبى ورد على بني النوس من جديلة طي، فسرقوا سهماً له؛ فقال يحذرهم:

بني النوس ردوا أسهمي إن أسهمي

كنعل شرحبيل التي في محارب

وقال في الجاهلية ابن أم كهف الطائي في مدحه للملك بن حمار الشمخي، فذكر نعل شرحبيل فقال:

ومولاك الذي قتل ابن سلمى

علانية شرحبيل ابن نعل

لأنه لولا النعل لم يعرف، وإنما عرف بما صنع أبو بيني محارب من أجل نعله التي وجدت في بني محارب. أخذ الأسود لسنان بن أبي حارثة الذي قتل ابنه عنده واعتذار الحارث بن سفيان عنه: قال أبو عبيدة: وأخذ الأسود سنان بن أبي حارثة؛ فأتاه الحارث بن سفيان أحد بني الصارد، وهو الحارث بن سفيان بن مرة بن عوف

بن الحارث بن سفيان أخو سيار بن عمرو بن جابر الفزاري لأمه، فاعتذر إلى الأسود أن يكون سنان بن أبي حارثة أو اطلع، ولقد كان أطرده الحارث من بلاد غطفان، وقال: علي دية ابنك ألف بغير دية الملوك، فحملها إياه وخلي عن سنان، فأدى إلى الأسود منها ثمانمائة بغير ثم مات. فقال سيار بن عمرو أخوه لأمه: أنا أقوم فيما بقي مقام الحارث بن سفيان. فلم يرض به الأسود. فرهنه سيار قوسه، فأدى البقية. فلما مدح فراد بن حنش الصاردي بني فزارة جعل الحمالة كلها لسيار بن عمرو فقال:

ونحن رهنا القوس تمت فوديت بألف على ظهر الفزاري أقرعا
بعشر مئين للملوك سعى بها ليوفي سيار بن عمرو فأسرعا
رمينا صفاه بالمئين فأصبحت ثناياه للساعين في المجد مهيعا

قال ويقال: بل قالها ربيع بن قعب، فرد عليه فراد فقال:

ما كان ثعلب ذي عاج ليحملها ولا الفزاري جوفان بن جوفان
ولكن تضمنها ألفاً فأخرجها على تكاليفها حار بن سفيان

وقال عوف القوافي بن عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في الإسلام يفخر على أبي منظور الوبري حين هاجاه أحد بني وبر بن كلاب:

فهل وجدتم حاملاً كحامي إذ رهن القوس بألف كامل
بدية ابن الملك الحلال فافتكها من قبل عام قابل
سيار الموفي بها ذو السائل

لحوق الحارث ببني دارم: قال أبو عبيدة: فلما قتل الحارث شرحبيل لحق ببني دارم فلجأ إلى بني ضمرة. قال: وبنو عبد الله بن دارم يقولون: بل جاور معبد بن زرارة فأجاره، فجر جواره يوم رحران، وجر يوم رحران يوم جبلة. وطلبه الأسود بن المنذر بخفرته .

فلما بلغه نزوله ببني دارم أرسل فيه إليهم أن يسلموه فأبوا. فقال يمن على بني قطن بن هشل بن دارم بما كان النعمان بن المنذر في أمر بني رشية وهي رميلة حين طلبهم من لقيط ابن زرارة حتى استنقذهم. ورشية أمة كانت لزرارة بن عدس بن زيد الجاشعي، فوطئها رجل من بني هشل فأولدها؛ وكان زرارة يأتي بني هشل يطلب الغلطة التي ولدت، وولدت الأشهب بن رميلة والرباب بن رميلة وغيرهما، وكانوا يسمعون ما يكره، فيرجع إلى ولده فيقول: أسمعني بنو عمي خيراً وقالوا: سنبعث بهم إليك عاجلاً، حتى مات زرارة. فقام لقيط ابنه بأمرهم؛ فلما أتاهم أسمعوه ما كره، ووقع بينهم شر. فذهب النهشلي إلى الملك فقال: أبيت اللعن! لا تصلني وتصل قومي بأفضل من طلبتك إلى لقيط الغلطة ليكف عني. فدعاه فشرب معه، ثم استوهبهم منه فوهبهم له. فقال الأسود بن المنذر في ذلك:

كأين لنا من نعمة في رقابكم

بني قطن فضلاً عليكم وأنعما

وكم منة كانت لنا في بيوتكم

وقتل كريم لم تعدوه مغرماً

فإنكم لا تمنعون ابن ظالمٍ

ولم يمس بالأيدي الوشيح المقوما

فأجابه ضمرة بن ضمرة فقال:

سنمنع جاراً عائداً في بيوتكم

بأسيافنا حتى يؤوب مسلماً

إذا ما دعونا دارماً ما حال دونه

عوايس يعلكن الشكيم المعجماً

ولو كنت حرباً ما وردت طويلعاً

ولا حوفه إلا خميساً عرمرماً

تركت بني ماء السماء وفعلهم

وأشبهت تيساً بالحجاز مزنماً

ولن أذكر النعمان إلا بصالحٍ

فإن له فضلاً علينا وأنعما

قال: وبلغ ذلك بني عامر، فخرج الأصوص عازياً لبني دارم طالباً بدم أخيه خالد بن جعفر حين انطووا على الحارث وقاموا دونه، فغزاهم فالتقوا برحرحان، فهزمت بنو دارم، وأسر معبد بن زرارة، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم، وحديثه في يوم رحرحان يأتي بعد .

أسر بني قيس وبني هزان للحارث وحديثه معهم: ثم أسر بنو هزان الحارث بن ظالم. وقال أبو عبيدة: خرج الحارث من عندهم، فجعل يطوف في البلاد حتى سقط في ناحية من بلاد ربيعة، ووضع سلاحه وهو في فلاة ليس فيها أثر ونام، فمر به نفر من بني قيس بن ثعلبة ومعهم قوم من بني هزان من عترة وهو نائم، فأخذوا فرسه وسلاحه ثم أوثقوه، فانتبه وقد شدوه فلا يملك من نفسه شيئاً. فسألوه من أنت؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر، فضربوه ليقتلوه على تأن يخبرهم من هو فلم يفعل. فاشتراه القيسيون من الهزانيين بزرق خمر وشاة ويقال: اشتراه رجل من بني سعد بإغلاق بكرة وعشرين من الشاء ثم انطلقوا به إلى بلادهم. فقالوا له: من أنت؟ وما حالك؟ فلم يخبرهم. فضربوه ليموت فأبى. قال: وهو قريب من اليمامة. قال: فبينما هم على تلك الحال وهم يريغونه ضرباً مرةً وتهتداً أخرى وليناً مرةً ليخبرهم بحاله وهو أبى، حتى ملوه، فتركوه في قيد حتى انفلت ليلاً، فتوجه نحو اليمامة وهي قريب منه، فلقي غلمةً يلعبون، فنظر إلى غلامٍ منهم أحلقهم للخير عنده فقال: من أنت؟ قال: أنا بجير بن أبحر العجلي، وله ذؤابة يومئذٍ وأمه امرأة قتادة بن مسلمة الحنفي. فأتاه وأخذ بحقيقه والتزمه وقال: أنا لك جار. فيقال: إن عجلاً أجارته في هذا اليوم لا في اليوم الأول الذي ذكرناه في أول الحديث. فأتى الغلام أباه فأخبره وأجاره وقال: ائت عمك قتادة بن مسلمة الحنفي فأخبره؛ فأتى قتادة فأخبره فأجاره .

قال أبو عبيدة: وأما فراس فزعم أنه أفلت من بني قيس فأقبل شداً حتى أتى اليمامة، واتبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حنيفة وفيه قتادة بن مسلمة. فلما رأوه يهوي نحوهم قال: إن هذا الخائف، وبصر بالقوم خلفه فصاح به:

الحصن الحصن! فأقبل حتى ولى الحصن. وجاءت بنو قيس، فحال دونه وقال: لو أخذتموه قبل دخوله الحصن لأسلمته إليكم، فأما إذ تحرم بي فلا سبيل إليه. قال فقالوا: أسيرنا اشتريناه بأموالنا، وما هو لك بجارٍ ولا تعرفه، وإنما أذاك هارباً من أيدينا، ونحن قومك وحيرانك. قال: أما أن أسلمه أبداً فلا يكون ذلك، ولكن اختاروا مني: إن شئتم فانظروا ما اشتريتموه به فخذوه مني، وإن شئتم أعطيته سلاحاً كاملاً وحملته على فرس ودعوه حتى يقطع الوادي بينكم وبينه ثم دونكموه. فقالوا: رضينا. فقال ذلك للحارث فقال نعم. فألبسه سلاحاً كاملاً وحمله على فرسه وقال له: إن أفلتكم فرد إلي الفرس والسلاح لك. قال: فخرج، وتركوه حتى حاز الوادي، ثم اتبعوه ليأخذوه، فلم يزل يقاتلهم ويطاردهم حتى ورد بلاد بني قشير، وهو قريب من اليمامة أيضاً بينهما أقل من يوم، فلما صار إلى بلاد بني قشير يئسوا منه فرجعوا عنه. وعرفه بنو قشير فانطوا عليه وأكرموه. ورد إلى قتادة بن مسلمة فرسه وأرسل إليه بمائة من الإبل، لا أدري أعطاه إياها بنو قشير من أموالهم ليكافئ بها قتادة أم كانت له، لم يفسر أبو عبيدة أمرها ولا سألتها عنها. فقال الحارث بن ظالم في ابني حلاكة وهما من الذين باعوه من القيسيين وفيما كان من أمره قال أبو عبيدة: ويقال أسره راعيان من بني هزان يقال لهما ابنا حلاكة:

أبلغ لديك بني قيس مغلغةً أني أقسم في هزان أرباعاً

ابنا حلاكة باعاني بلا ثمن وباع ذو آل هزان بما باعا
يا بني حلاكة لما تأخذا ثمني حتى أقسم أفراساً وأدراعا
قتادة الخير نالتني حذيتي وكان قدماً إلى الخيرات طلاعا
وقال في ذلك أيضاً:

همت عكابة أن تضيم لجيما فأبنت لجيم ما تقول عكابة
فأسقي بجيراً من رحيق مدامة وأسقي الخفير وطهري أثوابه
جاءت حنيفة قبل جيئة يشكر كلاً وجدنا أوفياء ذوابه

مروره برجل من بني أسد: وزعم أبو عبيدة أن الحارث لما هزمت بنو تميم يوم رحرحان مر برجل من بني أسد بن خزيمه؛ فقال: يا حار إنك مشؤوم وقد فعلت ما فعلت، فانظر إذا كنت بمكان كذا وكذا من برقة رحرحان فإن لي به جملاً أحمر فلا تعرض له. وإنما يعرض له ويكره أن يصرح فيبلغ الأسود فيأخذه. فلما كان الحارث بذلك المكان أخذ الحمل فنجا عليه، وإذا هو لا يساير من أمامه ولا يسبق من ورائه. فبلغ ذلك الأسود، فأخذ الأسود الأسدي وناساً من قومه. وبلغ ذلك الحارث بن ظالم فقال كأنه يهجوهم لئلا يتهمهم الأسود:

أراني الله بالنعم المندى ببرقة رحرحان وقد أراني
لحي الأنكدين وحي عبس وحي نعامة وبني غدان

لحوقه بمكة وانتماؤه إلى قريش: قال: فلما بلغ قوله الأسود خلى عنهم. ولحق الحارث بمكة وانتفى إلى قريش؛ وذلك قوله:

وما قومي بثعلبة بن سعد
وقومي إن سألت بنو لؤي
ولا بفزارة الشعر الرقابا
بمكة علموا مضر الضرابا

قال: فزوده وحمله رواحة الجمحي على ناقة؛ فذلك قوله:

وهش رواحة الجمحي رحلي
كأن الرجل والأنساع منها
بناجية ولم يطلب ثوابا
وميثرتي كسين أقب جابا

لحوقه بالشام عند ملك من غسان ومقتله: يروى: حش، وهش، وهما لغتان. وحش سوى قال: فلحق الحارث بالشام. بملك من ملوك غسان يقال هو النعمان، ويقال بل هو يزيد بن عمرو الغساني فأجاره. وكانت للملك ناقة محماة في عنقها مدية وزناد وصرة ملح، وإنما يختبر بذلك رعيته هل يجترئ عليه أحد منهم. ومع الحارث امرأتان، فوحمت إحدى امرأتيه قال أبو عبيدة: وأصاب الناس سنة شديدة فطلبت الشحم إليه. قال: ويحك! وأنى لي بالشحم والوداء! فألحت عليه، فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن وادٍ فلب في سبلتها أي طعن. فأكلت امرأته ورفعت ما بقي من الشحم في عكتها. قال: وفقدت الناقة فوجدت نحيراً لم يؤخذ منها إلا السنم، فأعلموا ذلك الملك، وخفي عليهم من فعله. فأرسل إلى الخمس التغلي وكان كاهناً فقال: من نحر الناقة؟ فذكر أن الحارث نحرها. فتذم الملك وكذب عنه. فقال: إن أردت أن تعلم علم ذلك فدى امرأة تطلب إلى امرأته شحماً، ففعل. فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته إليها شحماً، فعرف الداء فقتلها ودفنها في بيته. فلما فقدت المرأة قال الخمس: غالها ما غال الناقة، فإن كره الملك أن يفتشه عن ذلك فليأمر بالرحيل، فإذا ارتحل بحث بيته، ففعل. واستثار الخمس مكان بيته؛ فوثب عليه الحارث فقتله؛ فأخذ الحارث فحبس. فاستسقى ماء فأتاه رجل بماء فقال: أتشرب؟ فأنشأ الحارث يقول:

لقد قال لي عند المجاهد صاحبي
وددت باطراف البنان لو أنني
وقد حيل دون العيش هل أنت شارب
بدى أروني ترمي ورائي الثعالب

الثعالب: من مرة وهم رماة. أروني: مكان. وقال مرة أخرى: الثعالب بنو ثعلبة. يقول: كانوا يرمون عني ويقومون بأمرى قال: فأمر الملك بقتله. فقال: إنك قد أجزتني فلا تغدري. فقال: لا ضير! إن غدرت بك مرة فقد غدرت بي مراراً. فأمر مالك بن الخمس التغلي أن يقتله بأبيه. فقال: يا بن شر الأظماء أنت تقتلني! فقتله. وقال ابن الكلبي: لما قام ابن الخمس إلى الحارث ليقتله قال: من أنت؟ قال: ابن الخمس. قال: أنت ابن شر الأسماء؛ فقتله فقال رجل من ضري وهم حي من جرهم يرثي الحارث بن ظالم:

يا حار حنيا
حراً قطاميا

ما كنت ترعيا

في البيت ضجعيا

أدعى لباخيا

مملأ عيا

وأخذ ابن الخمس سيف الحارث بن ظالم المعلوم، فأتى به سوق عكاظ في الحرم، فجعل يعرضه على البيع ويقول: هذا سيف الحارث بن ظالم. فاستراه إياه قيس بن زهير بن جذيمة فأراه إياه، فعلاه به حتى قتله في الحرم. فقال قيس بن زهير يرثي الحارث بن ظالم:

ما قصرت من حاضنٍ ستر بيتها

أبر وأوفى منك حار بن ظالم

أعز وأحمى عند جارٍ وذمة

وأضرب في كاب من النقع قائم

هذه رواية أبي عبيدة والبصريين. وأما الكوفيين فإنهم يذكرون أن النعمان بن المنذر هو الذي قتله. أخبرني بذلك علي بن سليمان الأحفش قال حدثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال: لما هرب الحارث إلى مكة أسف النعمان بن المنذر على فوته إياه، فلطف له وراسله وأعطاه الأمان، وأشهد على نفسه وجوه العرب من ربيعة ومضر واليمن أنه لا يطلبه بذحل ولا يسوءه في حال، وأرسل به مع جماعة ليسكن الحارث إليهم، وأمرهم أن يتكلفوا له بالوفاء ويضمنوا له عنه أنه لا يهجه، ففعلوا ذلك. وسكن إليه الحارث، فأتى النعمان وهو في قصر بني مقاتل، فقال للحاجب: استأذن لي، والناس يومئذ عند النعمان متوافرون، فاستأذن له، فقال النعمان: أذن له وخذ سيفه. فقال له: ضع سيفك وادخل. فقال الحارث: ولم أضعه؟ قال: ضعه، فلا بأس عليك. فلما ألح عليه وضعه ودخل ومعه الأمان. فلما دخل قال: أنعم صباحاً أبيت اللعن. قال: لا أنعم الله صباحك!. فقال الحارث: هذا كتابك!. قال النعمان: كتابي والله ما أنكره، أنا كتبت لك، وقد غدرت وفتكت مراراً، فلا ضير أن غدرت بك مرة. ثم نادى: من يقتل هذا؟ فقام ابن الخمس التغلبي وكان الحارث فتك بأبيه فقال: أنا أقتله. وذكر باقي الخبر في قصته مع ابن الخمس مثل ما ذكر أبو عبيدة.

خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة

وإنما ذكر هنا لاتصاله بمقتل خالد بن جعفر، ولأن فيما تناقضاه من الأشعار أغاني صالح ذكرها في هذا الموضع. غضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالداً وشعره في ذلك: قال أبو عبيدة: كان عمرو بن الإطنابة الخزرجي ملك الحجاز، ولما بلغه قتل الحارث بن ظالم خالد بن جعفر، وكان خالداً مضافاً له، غضب لذلك غضباً شديداً، وقال: والله لو لقي الحارث خالداً وهو يقظان لما نظر إليه، ولكنه قتله نائماً ولو أتاني لعرف قدره؛ ثم دعا بشرايه ووضع التاج على رأسه ودعا بقيانه، فتغنين له:

عللاني وعللا صاحبيا

وأسقاني من المروق ريا

لَفْتِيَانِنَا وَعِيشَا رَحِيَا	إِن فِينَا الْقِيَانِ يَعْزَفْنَ بِالْدَفِ
نَ خِلَالِ الْقُرُونِ مَسْكَا ذَكِيَا	يَتَبَارِيزْنَ فِي النِّعَمِ وَيَصِيبُ
نَ سَمُوطَا وَسَنْبِلَا فَارِسِيَا	إِنَّمَا هَمَّهُنَّ أَنْ يَتَحَلِي
رَ فَأَحْسَنَ بَجْلِيهِنَّ حَلِيَا	مَنْ سَمُوطُ الْمَرْجَانِ فَضْلُ بِالْشَذِ
فَ إِذَا كَانَتْ السِّيُوفُ عَصِيَا	وَفَتًى يَضْرِبُ الْكَتْنِيَّةَ بِالسِّي
إِن فِينَا بِهَا فَتًى خَزْرَجِيَا	إِنَّمَا لَا نَسْرَ فِي غَيْرِ نَجْدِ
فَتَجَافِي عَنْهُ لَنَا يَا مَنِيَا	يُدْفَعُ الضَّيْمُ وَالظَّلَامَةُ عَنْهَا
دِيدُ وَالنَّاذِرِ النَّذُورِ عَلِيَا	أَبْلَغُ الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمِ الرَّعِ
تَلْ يَقْضَانِ ذَا سِلَاحٍ كَمِيَا	أَنَّمَا يَقْتُلُ النَّيَامَ وَلَا يَقِ
رَ وَأَعْدَدْتُ صَارِمًا مُشْرِفِيَا	وَمَعِيَ شَكْتِي مُعَابِلِ كَالْجَمِ
لَ كَمَا يَنْسِي النِّسْيَاءَ النَّسِيَا	لَوْ هَبَطَتْ الْبِلَادُ أَنْسِيَتَكَ الْقَتِ

مسير الحارث إلى عمرو وانخدا ل عمرو عنه وشعر الحارث في ذلك:
قال: فلما بلغ الحارث شعره هذا ازداد حنقاً وغيظاً، فسار حتى أتى ديار بني الخزرج، ثم دنا من قبة عمرو بن
الإطنابة، ثم نادى أيها الملك أغثني فيني جار مكثور وخذ سلاحك، فأجابه وخرج معه. حتى برز له عطف عليه
الحارث وقال: أنا أبو ليلى! فاعتركا مليا من الليل. وخشي عمرو أن يقتله الحارث فقال له: يا حار، إني شيخ
كبير وإني تعتريني سنة، فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غد؟ فقال: هيهات! ومن لي به في غد! فتجاوزا ساعة،
ثم ألقى عمرو الرمح من يده وقال: يا حار ألم أخبرك أن النعاس قد يغلبني! قد سقط رمحي فاكفف، فكف. قال:
أنظري إلى غد. قال: لا أفعل. قال: فدعني آخذ رمحي. قال: خذه قال: أخشى أن تعجلني عنه أو تفتك بي إذا
أردت أخذه. قال: وذمة ظالم لا أعجلتك ولا قاتلتك ولا فتكت بك حتى تأخذه. قال: وذمة الإطنابة لا أخذه
ولا أقاتلك. فانصرف الحارث إلا قومه وقال مجيباً له:

عِزْ فَا لِي بِلَذَّةِ قَيْنَتِيَا	قَبْلَ أَنْ يَبْكِرَ الْمُنُونُ عَلِيَا
قَبْلَ أَنْ يَبْكِرَ الْعَوَازِلُ إِنِّي	كُنْتُ قَدَمًا لِأَمْرَهِنَّ عَصِيَا
مَا أَبَالِي أَرَأَشْدُ فَاصْبِحَانِي	حَسِبْتَنِي عَوَاذِلِي أُمَ غَوِيَا
بَعْدَ أَلَا أُصِرَ لِّلَّهِ إِثْمًا	فِي حَيَاتِي وَلَا أَخُونِ صَفِيَا
مَنْ سَلَفَ كَأَنَّهَا دَمَ ظَبِي	فِي زَجَاجٍ تَخَالَهُ رَازِقِيَا

قد بلغتنا مقالة المرء عمرو
فأنفنا وكان ذاك بديا
قد هممنا بقتله إذ برزنا
ولقيناها ذا سلاح كميأ
غير ما نائم تعلل بالحل
م معداً بكفه مشرفيا
فمننا عليه بعد علو
بوفاء وكنت قدماً وفيأ
ورجعنا بالصفح عنه وكان ال
من منا عليه بعد تليا

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني: منها في شعر عمرو بن الإطابة: صوت: الغناء في شعر عمرو والحارث:

عللاني وعللا صاحبيا
واسقياني من المروق ريا
إن فينا القيان يعزفن
بالدف لفتياننا وعيشاً رخيا

غنته عزة الميلاء من رواية حماد عن أبيه خفيف رملٍ بالوسطى. قال حماد أخبرني أبي قال بلغني أن معبداً قال: دخلت على جميلة وعندها عزة الميلاء تغنيها في شعر عمرو بن الإطابة الخزرجي:

عللاني وعللا صاحبيا

على معزفةٍ لها وقد أسنت، فما سمعت قط مثلها وذهبت بعقلي وفتنتني، فقلت: هذا وهي كبيرة مسنة! فكيف لو أدركتها وهي شابة! وجعلت أعجب منها. ومنها في شعر الحارث بن ظالم: صوت:

ما أبالي إذا اصطحبت ثلاثاً
أرشيذاً حسبتيني أم غويا
من سلاف كأنها دم ظبي
في زجاج تخاله رازقيا

غناه فليح بن أبي العوراء رملًا بالبنصر عن عمرو بن بانة. وغناه ابن محرزٍ خفيف ثقيلٍ أول بالخنصر من رواية حبش. ومنها: صوت:

بلغتنا مقالة المرء عمرو
فأنفنا وكان ذاك بديا
قد هممنا بقتله إذ برزنا
ولقيناها ذا سلاح كميأ

غناه مالك خفيف رملٍ بالبنصر من رواية حبش، وذكر إسحاق في مجرده أن الغناء في هذين البيتين ليونس الكاتب، ولم ينسب الطريقة ولا جنسها.

ونذكر ها هنا خبر رحران ويوم قتله إذ كان مقتل الحارث وخبره خبرهما: يوم رحران الثاني والسبب فيه: أخبرني علي بن سليمان ومحمد بن العباس اليزيدي في كتاب النقائص قالوا قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة قال: كان من خبر رحران الثاني أن الحارث بن ظالم المري لما قتل

خالد بن جعفر بن كلابٍ غدرًا عند النعمان بن المنذر بالحيرة هرب فأتى زرارة بن عدسٍ فكان عنده، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه، وكره أن يكون لقومه زعم عليه و الزعم المنة فلم يزل في بني تميمٍ عند زرارة حتى لحق بقريش. وكان يقال : إن مرة بن عوفٍ من لؤي بن غالبٍ، وهو قول الحارث بن ظالمٍ ينتمي إلى قريش:

وبينت الشمائل والقبابا

رفعت السيف إذ قالوا قريش

ولا بفزارة الشعر الرقابا

فما قومي بثعلبة بن سعدٍ

وأناهم لذلك النسب، فكان عند عبد الله بن جدعان. فخرجت بنو عامر إلى الحارث بن ظالمٍ حيث لجأ إلى زرارة وعليهم الأحوص بن جعفر، فأصابوا امرأة من بني تميمٍ وجدوها تحتطب، وكان في رأس الخيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالمٍ شريح بن الأحوص، وأصابوا غلماناً يجتنون الكمأة. وكان الذي أصاب تلك المرأة رجلاً من غني، فأرادت بنو عامر أخذها منه، فقال الأحوص: لا تأخذوا أخيدة خالي. وكانت أم جعفر يعني أبا الأحوص خبية بنت رياح الغنوي وهي إحدى المنجبات. ويقال: أتى شريح بن الأحوص بتلك المرأة إليه ، فسألها عن بني تميم، فأخبرتهم أنهم لحقوا بقومهم حين بلغهم مجيئكم ففجعها الأحوص إلى الغنوي فقال: اعفجها الليلة واحذر أن تنفلت. فوطئها الغنوي ثم نام، فذهبت على وجهها. فلما أصبح دعوا بها فوجدوها قد ذهبت. فسألوه عنها فقال هذا حري رطباً من زها. وكانت المرأة يقال لها حنظلة ، وهي بنت أخي زرارة بن عدس. فأتت قومها، فسألها عمها زرارة عما رأت، فلم تستطع أن تنطق. فقال بعضهم: اسقوها ماءً حاراً فإن قلبها قد برد من الفرق، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنت. فقالت: يا عم! أخذني القوم أمس وهم فيما أرى يريدونكم، فاحذر أنت وقومك. فقال: لا بأس عليك يا بنت أخي، فلا تدعري قومك ولا تروعيهم، وأخبريني ما هيئة القوم وما نعتهم. قالت: أخذني قوم يقبلون بوجوه الأطباء، ويدبرون بأعجاز النساء. قال زرارة: أولئك بنو عامر، فمن رأيت فيهم؟ قالت: رأيت رجلاً قد سقط حاجباه على عينيه فهو يرفع حاجبيه، صغير العينين، عن أمره يصدرون. قال: ذاك الأحوص بن جعفر. قلت: ورأيت رجلاً قليل المنطق، إذا تكلم اجتمع القوم لمنطقه كما تجتمع الإبل لفحلها، وهو من أحسن الناس وجهاً، ومعه ابنان له لا يدبر أبداً إلا وهما يتبعانه، ولا يقبل إلا وهما بين يديه. قال: ذلك مالك بن جعفر، وابناه عامر وطفيل. قالت: ورأيت رجلاً أبيض هلقامةً جسيماً والهلقامة الأفوه وقال: ذلك ربيعة ابن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب. قالت: ورأيت رجلاً أسود أخنس قصيراً، إذا تكلم عذم القوم عذم المنخوس. قال: ذلك ربيعة بن قرط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب. قالت: ورأيت رجلاً صغير العينين، أقرن الحاجبين، كثير شعر السبله، يسيل لعابه على لحيته إذا تكلم. قال: ذلك حندج بن البكاء. قالت: ورأيت رجلاً صغير العينين، ضيق الجبهة طويلاً يقود فرساً له، معه جفير لا يجاوز يده. قال: ذلك ربيعة بن عقيل. قالت: ورأيت رجلاً آدم، معه ابنان له حسنا الوجه أصهبان، إذا أقبلنا نظر القوم إليهما حتى ينتهيا، وإذا أدبرا نظروا إليهما. قال: ذلك عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب، وابناه يزيد وزرعة.

ويقال قالت: ورأيت فيهم رجلين أحمرين جسيمين ذوي غدائر لا يفترقان في ممشي ولا مجلس، فإذا أدبرا اتبعهما القوم بأبصارهم، وإذا أقبلوا لم يزلوا ينظرون إليهما حتى يجلسا. قال: ذاك خويلد وخالد ابنا نفيل. قالت: ورأيت رجلاً آدم جسيماً كأن رأسه مجز غصورة والغصورة: حشيش دقاق خشن قائم يكون بمكة. تريد أن شعره قائم خشن كأنه حشيش قد جز. قال: ذلك عوف بن الأحوص. قالت: ورأيت رجلاً كأن شعره فخذه حلق الدروع. قال: ذلك شريح بن الأحوص. قالت: ورأيت رجلاً أسمر طويلاً يجول في القوم كأنه غريب. قال: ذلك عبد الله بن جعدة، ويقال قالت: ورأيت رجلاً كثير شعر الرأس، صخاباً لا يدع طائفةً من القوم إلا أصحبها. قال: ذلك عبد الله بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. أسر معبد بن زرارة ومقتله:

فسارت بنو عامر نحوهم، والتقوا برحرحان، وأسر يومئذ معبد بن زرارة، أسره عامر بن مالك، واشترك في أسره طفيل بن مالك ورجل من غني يقال له أبو عميلة وهو عصمة بن وهب وكان أخا طفيل بن مالك من الرضاعة. وكان معبد بن زرارة رجلاً كثير المال. فوفد لقيط بن زرارة على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رجب، وكانت مضر تدعوه الأصم؛ لأنهم كانوا لا يتنادون فيه يا لفلان ويا لفلان، ولا يتغازون ولا يتنادون فيه بالشعارات، وهو أيضاً منصل الأمل. والأل: الأسنة؛ وكانوا إذا دخل رجب أنصلوا، الأسنة من الرماح حتى يخرج الشهر. وسأل لقيط عامراً أن يطلق أخاه. فقال: أما حصتي فقد وهبتها لك، ولكن أرض أخي وحليفي اللذين اشتركا فيه. فجعل لقيط لكل واحد مائة من الإبل، فرضيا وأتيا عامراً فأخبراه. فقال عامر للقيط: دونك أخاك، فأطلق عنه. فلما أطلق فكر لقيط في نفسه فقال: أعطيتهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة علي بعد ذلك! لا والله لا أفعل ذلك! ورجع إلى عامر فقال: إن أبي زرارة ثماني أن أزيد على مائة دية مضر، فإن أنتم رضيتم أعطيتكم مائة من الإبل. فقالوا: لا حاجة لنا في ذلك؛ فانصرف لقيط. فقال له معبد: مالي يخرجني من أيديهم. فأبى ذلك عليه فقال: إذا يقتسم العرب بني زرارة. فقال معبد لعامر بن مالك: يا عامر! أنشدك الله لما خليت سبيلي، فإنما يريد ابن الحمراء أن يأكل كل مالي ولم تكن أمه أم لقيط. فقال له عامر: أبعذك الله! إن لم يشفق عليك أخوك فأنا أحق ألا أشفق عليك. فعمدوا إلى معبد فشدوا عليه القد وبعثوا به إلى الطائف، فلم يزل به حتى مات. فذلك قول شريح بن الأحوص:

لقيط وأنت امرؤ ماجد ولكن حلمك لا يهتدي

ولما أمنت وساغ الشرا ب واحتل بيتك في ثهد

رفعت برجلبك فوق الفرا ش تهدي القصائد في معبد

وأسلمته عند جد القتال وتبخل بالمال أن تفندي

شعر لعوف بن عطية يعير لقيطاً: وقال في ذلك عوف بن عطية بن الخرع التيمي يعير لقيط بن زرارة:

هلا فوارس رحرحان هجوتهم
عشراً تناوح في سرارة واد
لا تأكل الإبل الغراث نباته
ما إن يقوم عماده بعماد
هلا كررت على أخيك معبد
والعامري يقوده بصفاد
وذكرت من لبن المحلق شربة
والخيل تعدو بالصفاح بداد
بداد : متفرقة. والصفاح: موضع. والمحلّق: موسومة بحلقٍ على وجوهها، يقول ذكرت لبنها، يعني إبله
لو كنت إذ لا تستطيع فديته
بهجان آدم طارف وتلاد
لكن تركته في عميقٍ قعرها
جزراً للخامعة وطير عواد
لو كنت مستحياً لعرضك مرة
قاتلت أو لفديت بالأذواد
وفيها يقول نابغة بني جعدة:

هلا سألت بيومي رحرحان وقد
ظننت هوازن أن العز قد زالا
مما قاله الشعراء في وقعة رحرحان: وفيها يقول مقدم أخو بني عدس بن زيد في الإسلام، وقتلت بنو طهية ابناً
للقعقاع بن معبد، فتوادوا فأخذت بنو طهية منهم الفضل:
وأنتم بنو ماء السماء زعمتم
ومات أبوكم يا بني معبدٍ هزلا
وقال المخبل السعدي يذكر معبدًا:
فإت تك نالتنا كليب بقره
فيومك فيهم بالمصيفة أبرد
هم قتلوا يوم المصيفة مالكا
وشاط بأيديهم لقيط ومعبد
وفيها يقول عياض بن مرثد بن أسيد بن قريط بن لبيد في الإسلام:

نحن أسرنا معبدًا يوم معبدٍ
فما افتك حتى مات من شدة الأسر
ونحن قتلنا بالصفاء بعد معبدٍ
أخاه بأطراف الردينية السمر
وهذا يوم شعب جبلة: السبب في يوم جبلة:

قال أبو عبيدة: وأما يوم جبلة، وكان من عظام أيام العرب؛ وكان عظام أيام العرب ثلاثة: يوم كلاب ربيعة،
ويوم جبلة، ويوم ذي قار. وكان الذي هاج ويوم جبلة أن بني عبس بن بغيض حين خرجوا هارين من بني
ذبيان بن بغيض وحاربوا قومهم خرجوا متلددين. فقال الربيع بن زياد العبسي: أما والله لأرمن العرب
بحجرها، أقصدوا لبني عامر؛ فخرج حتى نزل مضيقاً من وادي بني عامر ثم قال: امكثوا، فخرج ربيع وعامر ابنا
زياد والحارث بن خليف حتى نزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب بن الحريش، وكان العقد من بني عامر إلى
بني كعب بن ربيعة وكانت الرئاسة في بني كلاب بن ربيعة. فقال ربيعة بن شكل: يا بني عبس، شأنكم جليل،

وذحلکم الذي يطلب منکم عظیم، وأنا أعلم والله أن هذه الحرب أعز حربٍ حاربتها العرب قط. ولا والله ما بد من بني كلاب، فأمهلوني حتى أستطلع طلع قومي. فخرج في قومٍ من بني كعبٍ حتى جاؤوا بني كلاب، فلقبهم عوف بن الأحوص فقال: يا قوم، أطيعوني في هذا الطرف من غطفان، فاقتلوهم، واغنموهم لا تفلح غطفان بعده أبداً. والله إن تزيدون على أن تسمنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداء. فأبوا عليه، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم. فقال لربيعة بن شكل: أظللتهم ظلك وأطعمتهم طعامك؟ قال نعم، قال: قد والله أجرت القوم! فأنزلوا القوم وسطهم بجوحة دارهم.

وذكر بشر بن عبد الله بن حيان الكلابي أن عبساً لما حاربت قومها أتوا بني عامر وأرادوا عبد الله بن جعدة وابن الحريش ليصيروا حلفاءهم دون كلاب؛ فأتى قيس بن زهير وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زياد حتى انتهيا إلى الأحوص جالسا قدام بيته. فقال قيس للربيع: إنه لا حلف ولا ثقة دون أن أنتهي إلى هذا الشيخ. فتقدم إليه قيس فأخذ بمجامع ثوبه من وراء فقال: هذا مقام العائد بك! قتلتم أبي فما أخذت له عقلاً ولا قتلت به أحداً، وقد أتيتك لتجيرنا. نعم! أنا لك جار مما أجير منه نفسي، وعوف بن الأحوص عن ذلك غائب. فلما سمع عوف بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفر فقال: يا معشر بني جعفر، أطيعوني اليوم واعصوني أبداً، وإن كنت والله فيكم معصياً. إنهم والله لو لقوا بني ذبيان لولوكم أطراف الأسنة إذا نكهوا في أفواههم بكلام! فابدأوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثل البرغوث دماغه في دمه. فأبوا عليه وحالفوهم. فقال: والله لا أدخل في هذا الحلف! قال: وسمعت بهم حيث قر قرارهم بنو ذبيان، فحشدوا واستعدوا وخرجوا وعليهم حصن بن حذيفة بن بدر ومعه الحليفان أسد وذبيان يطلبون بدم حذيفة، وأقبل معهم شرحبيل بن أخضر بن الجون والجون هو معاوية؛ سمي بذلك لشدة سواده ابن أكل المزار الكندي في جمع من كندة، وأقبلت بنو حنظلة بن مالك والرباب عليهم لقيط بن زرارة يطلبون بدم معبد بن زرارة ويثربي بن عدس، وأقبل معهم حسان بن عمرو بن الجون في جمع عظيم من كندة وغيرهم، فأقبلوا إليهم بوضائع كانت تكون بالخير مع الملوك وهم الرابطة. وكان في الرباب رجل من أشrafهم يقال له النعمان بن قهوس التيمي، وكان معه لواء من سار إلى جبلة، وكان من فرسان العرب. وله تقول دختنوس بنت لقيط بن زرارة يومئذ: شعر لدختنوس بنت لقيط تعير ابن قهوس:

ع بكفه رمح مثل

قر ابن قهوس الشجا

ع كأنه سمع أزل

يعدو به حاضي البضي

غطفان إن ساروا ورحلوا

إنك من تميم فدع

مثل: مستقيم، يتل به كل شيء. الخاطي: الشيء المكتنز. والسمع: ولد الضبع من الذئب والعسبار: ولد الذئب من الكلبة.

آباك إن هلكوا وذلوا

لا منك عدهم ولا

تھا إذا الناس استقلوا

لرغال فيه مستظل

ط القوم يربق أو يجل

ر كأنه في الجيد غل

فخر البغي بحدج رب

لا حدجها ركبت ولا

ولقد رأيت أباك وس

متقلداً ربق الفرا

تشاور بني عامر في أمرهم: يجل: يلقط البعر. والفرار: أولاد الغنم، واحدها فرارة .

قال: وكان معهم رؤساء بني تميم: حاجب بن زرارة ولقيط بن زرارة وعمرو بن عمرو وعتيبة بن الحارث بن شهاب، وتبعهم غناء من غناء الناس يريدون الغنيمة، فجمعوا جمعاً لم يكن الجاهلية قط مثله أكثر كثرة، فلم تشك العرب في هلاك بني عامر. فجاءوا حتى مروا ببني سعد بن زيد مناة، فقالوا لهم: سيروا معنا إلى بني عامر. فقالت لهم بنو سعد: ما كنا لنسير معكم ونحن نزع أن عامر بن صعصعة ابن سعد بن زيد مناة . فقالوا: أما إذا أبيتم أن تسيروا معنا فآكتموا علينا. فقالوا: أما هذا فنعم. فلما سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفر، وهو يومئذ شيخ كبير قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغزو غير أنه يدبر أمر الناس، وكان مجرباً حازماً ميمون النقيبة، فأخبروه الخبر، فقال لهم الأحوص: قد كبرت، فما أستطيع أن أجيء بالحزم وقد ذهب الرأي مني. ولكني إذا سمعت عرفت، فأجمعوا آراءكم ثم يبتوا ليلتكم هذه ثم اغدوا علي فاعرضوا علي آراءكم، ففعلوا. فلما أصبح غدوا عليه، فوضعت له عباءة بفتنائه فجلس عليها. ورفع حاجبيه عن عينيه بعصابة ثم قال: هاتوا ما عندكم. فقال قبس بن زهير العبسي: بات في كنانتي الليلة مائة رأي. فقال له الأحوص يكفيننا منها رأي واحد حازم صليب مصيب، هات فانثر كنانتك. فجعل يعرض كل رأي رآه حتى أنفذ. فقال له الأحوص: ما أرى بات في كنانتك الليلة رأي واحد! وعرض الناس آرائهم حتى أنفذوا. فقال: ما أسمع شيئاً وقد صرتم إلي، احملوا أثقالكم وضعفاءكم ففعلوا، ثم قال: احملوا ظعنكم فحملوها، ثم قال: اركبوا فركبوا، وجعلوه في محفة وقال: انطلقوا حتى تلوا في اليمين، فإن أدر ككم أحد كررتم عليه، وإن أعجزتموهم مضيتهم. فسار الناس حتى أتوا وادي بحار ضحوة، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض. فقال الأحوص: ما هذا؟ قيل هذا عمرو بن عبد الله بن جعدة في فتیان من بني عامر يعقرون. من أجاز بهم ويقطعون بالنساء حواياهن .

فقال الأحوص قدموني، فقدموه حتى وقف عليهم فقال: ما هذا الذي تصنعون؟! قال عمرو: أردت أن تفضحنا وتخرجنا هارين من بلادنا ونحن أعز العرب، وأكثرهم عدداً وجلداً وأحدهم شوكة! تريد أن تجعلنا موالى في العرب إذ خرجت بنا هارباً! قال: فكيف أفعل وقد جاءنا ما لا طاقة لنا به! فما الرأي؟ قال: نرجع إلى شعب جبلة فنحز النساء والضعفة والذراري والأموال في رأسه ونكون في وسطه ففيه ثمل أي خصب وماء . فإن أقام من جاءك أسفل أقاموا على غير ماء ولا مقام لهم، وإن صعدوا عليك قاتلتهم من فوق رؤوسهم بالحجارة، فكنت في حرز وكانوا في غير حرز، وكنت على قتالهم أقوى منهم على قتالك. قال: هذا والله الرأي، فأين كان

هذا عنك حين استشرت الناس؟ قال: إنما جائي الآن. قال الأصوص للناس: ارجعوا فرجعوا. ففي ذلك يقول نابعة لبني جعدة:

ونحن حبسنا الحي عبساً وعامراً
لحسان وابن الجون إذ قيل أقبلا
وقد صعدت وادي بحارٍ نساؤهم
كإصعاد نسرٍ لا يرومون منزلاً
عطفنا لهم عطف الضروس فصادفوا
من الهضبة الحمراء عزاً ومعقلاً

الضروس: الناقة العضوض فدخلوا شعب جبلة. وجبلة: هضبة حمراء بين الشريف والشرف. والشريف: ماء لبني نمير. والشرف ماء لبني كلاب. وجبلة: جبل عظيم له شعب عظيم واسع، لا يؤتى الجبل إلا من قبل الشعب، والشعب متقارب المدخل وداخله متسع، وبه اليوم عريضة من بجيلة. دخولهم شعب جبلة: فدخلت بنوعامر شعباً منه يقال له مسلح، فحصنوا النساء والذراري والأموال في رأس الجبل، وحلوا الإبل عن الماء، واقتسموا الشعب بالقдах فأقرع بين القبائل في شظاياه، فخرجت بنو تميم ومعهم بارق حي من الأزد حلفاء يومئذ لبني نمير. وبارق هو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء. وسمي مزيقياء لأنه كان يمزق عليه كل يوم حلة فوجأوا الخليف والخليف: الطريق بين الشعبين شبه الزقاق لأن سهمهم تخلف. وفيه يقول معقر بن أوس بن حمار البارقي:

ونحن الأيمنون بنو نمير
يسيل بنا أمامهم الخليف

قال: وكان معقر يومئذ شيخاً كبيراً ومعه هؤلاء ابنة له تقود به جملة. فجعل يقول لها: من أسهل من الناس؟ فتخبره وتقول هؤلاء بنو فلان، وهؤلاء بنو فلان، حتى إذ تنهى الناس قال: اهبطي، لا يزال الشعب منيعاً سائر هذا اليوم، وهبط. وكانت كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب يومئذ حاملاً بعامر بن الطفيل. فقالت: ويلكم يا بني عامر ارفعوني! فوالله إن في بطني لعز بني عامر. فصفاوا القسي على عواتقهم ثم حملوها حتى أثووها بالقنة يقال قنة وقنان. فزعموا أنها ولدت عامراً يوم فرغ الناس من القتال. من شهد الواقعة من القبائل: فشهدت بنو عامر كلها جبلة إلا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر، وشهدها مع بني عامر من العرب بنو عبس بن رفاعه بن الحارث بن بهثة بن سليم وكان لهم بأس وحزم وعليهم مرداس بن أبي عامر، وهو أبو العباس بن مرداس. وكانت بنو عبس بن رفاعه حلفاء بني عمرو بن كلاب. تفرق بجيلة في بطون بني عامر: وزعم بعض بني عامر أن مرداساً كان مع أخواله غني، وكانت أمه فاطمة بنت جلهمة الغنوية. وشهدتها غني وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بجيلة كلها إلا قسراً لحرب كانت بين قسراً وقومها، فارتحلت بجيلة فتفرقت في بطون بني عامر، فكانت عادية بن عامر ابن قداد من بجيلة في بني عامر بن ربيعة، وكانت سحمة من بجيلة في بني جعفر بن كلاب ويقال: عمرو بن كلاب وكانت عريضة من بجيلة في

عمرو بن كلابٍ وكانت بنو قيس كبة لفرسٍ يقال لها كبة من بجيلة في بني عامر بن ربيعة وكانت فتيان في بني عامر بن ربيعة، وبنو قطيعة من بجيلة في بني أبي بكر بن كلاب، ونصيب بن عبد الله من بجيلة في بني نغير، وكانت ثعلبة والخطام من بجيلة، في بني عامر بن ربيعة، وبنو عامر بن معاوية بن زيد من بجيلة في بني أبي بكر بن كلابٍ معهم يومئذٍ نغير من عكلٍ، فبلغ جمعهم ثلاثين ألفاً. وعمي على بني عامر الخير. فجعلوا لا يدرون ما قرب القوم من بعدهم .

ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد: وأقبلت تميم وأسد ولفهم نحو جبلة، فلقوا كرب بن صفوان بن شحنة بن عطارذ بن عوف بن كعب بن سعيد بن زيد مناة، فقالوا له: أين تذهب؟ أتريد أن تنذر بنار بني عامر؟ قال لا. قالوا: فأعطنا عهداً وموثقاً ألا تفعل؛ فأعطاهم فخلوا سبيله. فمضى مسرعاً على فرسٍ له عري، حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر وفيهم الأحوص نزل تحت شجرةٍ حيث يرونها؛ فأرسلوا إليه يدعونه، قال: لست فاعلاً، ولكن إذا رحلت فأتوا منزلي فإن الخير فيه. فلما جاؤوا منزله إذا فيه تراب في صرةٍ وشوك قد كسر رؤوسه وفرق جهته، وإذا حنظلة موضوعة، وإذا وطب معلق فيه لبن. فقال الأحوص: هذا رجل قد أخذ عليه المواثيق ألا يتكلم، وهو يخبركم أن القوم مثل التراب كثرةً، وإن شوكتهم قليلة وهم متفرقون، وجاءتكم بنو حنظلة. أنظروا ما في الوطب، فاصطوبوه فإذا فيه لبن حزر قرص. فقال القوم منكم على قدر حلاب اللبن إلى أن يحزر. فقال رجل من بني يربوعٍ ويقال قائلته دختنوس بنت لقيط بن زرارة

من دارم أحداً ولا من نهشل

كرب بن صفوان بن شحنة لم يدع

ولتحلفن بالله أن لم تفعل

أجعلت يربوعاً كقورة دائرٍ

وذلك قول عامر بن الطفيل بعد جبلة بجين:

فبيتوا لن نهيجكم نياما

ألا أبلغ لديك جموع سعدٍ

علينا إنكم كنتم كراما

نصحتم بالمغيب ولم تعينوا

كمن أودى وأصبح قد ألاما

ولو كنتم مع ابن الجون كنتم

صعود بني عامر الشعب وتشاور أعدائهم في الصعود إليهم: فلما استيقنت بنو عامر بإقبالهم صعدوا الشعب، وأمر الأحوص بالإبل التي ظمئت قبل ذلك فقال: اعقلوها كل بعيرٍ بعقالين في يديه جميعاً. وأصبح لقيط والناس نزول به، وكانت مشورتهم إلى لقيط؛ فاستقبلهم حمل عود أجرب أخذ أعصل كاشر عن أنيابه؛ فقال الحزاة من بني أسد والحازي العائف اعقروه. فقال لقيط: والله لا يعقر حتى يكون فحل إبلي غداً. وكان البعير من عصافير المنذر التي أخذها قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير. والعصافير: إبل كانت للملوك نجائب ثم استقبلهم معاوية بن عباد بن عقيل وكان أعسر فقال:

الخير في الشر

أنا الغلام الأعسر

والشر في أكثر

فتشاءمت بنو أسد وقالوا: ارجعوا عنهم وأطيعونا. فرجعت بنو أسد فلم تشهد جبلة مع لقيط إلا نفيراً يسيراً، منهم شأس بن أبي بلي عمرو بن شأس الشاعر، ومعقل بن عامر بن موعة المالكي. وقال الناس للقيط: ما ترى؟ فقال: أرى أن تصعدوا إليهم. فقال شأس: لا تدخلوا على بني عامر؛ فإنني أعلم الناس بهم، قد قاتلتهم وقاتلوني وهزمتهم وهزموني، فما رأيت قوماً قط أقلق بمزل من بني عامر! والله ما وجدت لهم مثلاً إلا الشجاع؛ فإنه لا يقر في حجره قلقاً، وسيخرجون إليكم. والله لئن بتم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم. فقال لقيط: والله لندخلن عليهم. فأتوهم وقد أخذوا حذرهم. وجعل الأحوص ابنه شريحاً على تعبئة الناس. فأقبل لقيط وأصحابه مدلين فأسندوا إلى الجبل حتى ذرت الشمس. فصعد لقيط في الناس وأخذ بحافتي الشجن. فقالت بنو عامر للأحوص: قد أتوك. فقال: دعوهم. حتى إذا نصفوا الجبل وانتشروا فيه، قال الأحوص: حلة عقل الإبل ثم احذروها واتبعوا آثارها، وليتبع كل رجلٍ منكم بغيره حجرين أو ثلاثة، ففعلوا ثم صاحوا بها، فلم يفجأ الناس إلا الإبل تريد الماء والمرعى، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنبل؛ وأقبلت الإبل تحطم كل شيء مرت به، وجعل البعير يدهدي بيديه كذا وكذا حجراً. وقد كان لقيط وأصحابه سخرؤا منهم حين صنعوا بالإبل ما صنعوا. فقال رجل من بني أسد:

زعمت أن العير لا تقاتل

بلى إذا تقعقع الرحائل

واختلف الهندي والذوايل

وقالت الأبطال من ينازل

بلى وفيها حسب ونائل

شعر لبعض بني عامر في الوقعة: فانخط الناس منهزمين من الجبل حتى السهل. فلما بلغ الناس السهل لم يكن لأحد منهم همة إلا أن يذهب على وجهه، فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم، فانهزموا شر هزيمة. فجعل رجل من بني عامر يومئذ يرتجز ويقول:

لم أر يوماً مثل يوم جبلة

يوم أتتنا أسد وحنظله

وغطفان والملوك أزفله

لم تعد أن أفرش عنها الصقله

وجعل معقل بن عامر يرتجز ويقول:

يوم حماة الشعب يوم جبلة

بكل عضب صارم ومعبله

وهيكل نهدي معاً وهيكله

بكل عضب صارم ومعبله

وهيكل نهدي معاً وهيكله

المعبله: السهم إذا كان نصله عريضاً فهو معبله، والرقيق: القطبة .
قتال بني تميم ضد بني عامر: وخرجت بنو تميم من الخليل فكركروا الناس يعني ردوهم وانقطع شريح
بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجرف فقاتل الناس قتالاً شديداً هناك، وجعل لقيط يومئذٍ وهو على برذونٍ له
محففٍ بدياجٍ أعطاه إياه كسرى وكان أول عربي جفف يقول:

عرفتكم والدمع م العين يكف
إن النشيل والشواء والرغف
وصفوة القدر وتعجيل اللقف
لفارسٍ أتلّفتموه ما خلف
والقينة الحسناء والكأس الأنف
للطاعنين الخيل والخيل قطف

وجعل لا يمر به أحد من الجيش إلا قال له : أنت والله قتلنا وشتمتنا . فجعل يقول:

يا قوم قد أحرقتموني باللؤم
فاليوم إذ قاتلتهم فلا لوم
شتان هذا والعناق والنوم
وقال شأس بن أبي بلي يجييه:
ولم أقاتل عامراً قبل اليوم
تقدموا وقدموني للقوم
والمضجع البارد في ظل الدوم

لكن أنا قاتلتها قبل اليوم
وجعل لقيط يقول: من كر فله خمسون ناقةً، وجعل يقول:

أكلكم يزجركم أرحب هلا
يحمل زغفاً ورئيساً حجفلا
وجعل يقول أيضاً:

أشقر إن لم تتقدم تنحر
وإن تأخر عن هياجٍ تعقر
ثم عاد يقول:

إن الشواء والنشيل والرغف
فأجابه شريح بن الأحوص:

إن كنت ذا صدقٍ فأقحمه الجرف
وجوهنا إنا بنو البيض العطف

سقوط لقيط في الموقعة:

وبينه وبينه جرف منكر، فضرب لقيط فرسه وأقحمه عليه الجرف؛ فطعنه شريح فسقط . وقد اختلفوا في ذلك،

فذكروا أن الذي طعنه جزء بن خالد بن جعفر، وبنو عقيل تزعم أن عوف بن المنتفق العقيلي قتله يومئذ وأنشأ يقول:

ظلت تلوم لما بها عرسي جهلاً وأنت حليلة أمس
إن تقتلوا بكري وصاحبه فلقد شفيت بسيفه نفسي
فقتلته في الشعب أول فارس في الشرق قبل أن ترحل الشمس

فزعموا أن عوفاً هذا قتل يومئذ ستة نفر، وقتل ابن له وابن أخ له. وأم العلماء فلا يشكون أن شريحاً قتله، وارث وبه طعنات والارتث أن يحمل وهو مجروح، فإن حمل ميتاً فليس بمترث فبقي يوماً ثم مات. فجعل لقيط يقول عند موته:

يا ليت شعري عنك دختنوس إذا اتاك الخبر المرسوس
أتخلق القرون أم تميس لا بل تميس إنها عروس

دختنوس بنت لقيط بن زرارة، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس. وجعلت بنو عبس يضربونه وهو ميت، فقالت دختنوس: شعر لدختنوس في أبيها:

ألا يا لها الوليات ويلات من بكى لضرب بني عبس لقيطاً وقد قضى
لقد ضربوا وجهاً عليه مهابة وما تحفل الصم الجنادل من ردى
فلو أنكم كنتم غداة لقيتم لقيطاً صبرتم للأسنة والقنا
غدرتم ولكن كنتم مثل خضب أصاب لها القناص من جانب الشرى
فما ثأره فيكم ولكن ثأره شريح وأردته الأسنة إذ هوى
فإن تعقب الأيام من عامر يكن عليهم حريقاً لا يرام إذا سما
ليجزئهم بالقتل قتلاً مضعفاً وما في دماء الحمس يا مال من بوا
ولو قتلنا غالب كان قتلها علينا من العار المجدع للعلا
لقد صبرت كعب وحافظت كلاب وما أنتم هناك لمن رأى

وقالت دختنوس أيضاً:

لعمري لئن لاقت من الشر دارم عناء لقد آبت حميداً ضرابها
فما جيئوا بالشعب إذ صبرت لهم ربعة يدعى كعبها وكلاتها
عصوا بسيوف الهند واعتكرت لهم براكاء موت لا يطير غرابها

براكاء: مباركة القتال وهو الجد في القتال. يقال للرجل إذا وقع خطب لا يطير غرابه . وقالت دختنوس:

د ف كهله وشبابها

بكر النعي بخير خن

عدت إلى أنسابها

وبخيرها نسباً إذا

د الطير عن أربابها

فرت بنو أسد خرو

يلووا فيء عقابها

لم يحفلوا نسباً ولم

من قتل في الموقعة ومن نجا وأخبارهم: وقتل يومئذ قريظ بن معبد بن زرارة، وزيد بن عمرو بن عدس قتله الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عقيل، وقتل الفلتان بن المنذر بن سلمى بن جندل بن نھشل، وقتل أبو إياس بن حرملة بن جعدة بن العجلان بن حشورة بن عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان وهو يقول:

المعشر الحلة في القوم الحمس

أقدم قطين إنهم بنو عبس

الحلة : لم يكونوا يتشددون في دينهم. قال: واستلحم عمرو بن حسحاس بن وهب بن أعياء ابن طريف الأسدي، فاستنقذه معقل بن عامر بن موعة فداواه وكساه. فقال معقل في ذلك:

بأسفل ذي الجذاة يد الكريم

يديت على ابن حسحاس بن وهب

شهدت وغاب من له من حميم

قصرت له من الدهماء لما

مكان الفرقدين من النجوم

ولو أني أشاء لكنت منه

وأنتك فوق عجلزة جموم

أخبره بأن الجرح يشوي

يقول: إن الجرح الذي بك شوى لم يصب منك مقتلاً

والحاق الملامة بالمليم

ذكرت تعة الفتیان يوماً

قال: وحمل معاوية بن يزيد الفزاري فأخذ كبشة بنت الحجاج بن معاوية بن قشير، وكانت عند مالك بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالك على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة، وقال: يا بني عامر، إنهم يموتون، وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون. ونزل حسان بن عامر بن الجون وصاح: يا آل كندة! فحمل عليه شريح بن الأحوص؛ فاعترض دون ابن الجون رجل من كندة يقال له حوشب، فضربه شريح بن الأحوص في رأسه فانكسر السيف فيه، فخرج يعدو بنصف السيف وكان مما رعب الناس مكانه. وشد طفيل بن مالك بن جعفر فأسر حسان بن الجون، وشد عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسره وجز ناصيته وأعتقه على الشواب. فلقيته بنو عبس، فأخذه قيس بن زهير فقتله. فأتاهم عوف فقال: قتلتم طليقي فأحيوه أو اتوني بملك مثله. فتحوفت بنو عبس شره وكان مهيباً، فقالوا: أمهلنا. فانطلقوا حتى أتوا أبا براء عامر بن مالك

بن جعفر يستغيثونه على عوف، فقال: دونكم سلمى بن مالك فإنه نديمه وصديقه وكانا مشتبهيين أحمرين أشقرين ضخمة أنوفهما، وكان في سلمى حياء فأتوه فقال: سأكلم لكم طفيلاً حتى يأخذ أخاه فإنه لا ينجيكم من عوف إلا ذلك، وإيم الله ليأتين شحيحاً. فانطلقوا إليه، فقال طفيل: قد أتوني بك، ما أعرفني بما جئتم له! أتيتموني تريدون مني ابن الجون تقيدون به من عوف، خذوه فأعطاهم إياه؛ فأتوا به عوفاً فجز ناصيته وأعتقه؛ فسمي الجزاز. فذلك قول نافع بن الخنجر بن الحكم بن عقييل بن طفيل بن مالك في الإسلام:

منية معبد فينا هزالا

قضيينا الجون عن عبس وكانت

قال: وشهدها لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو ابن تسع سنين، ويقال: كان ابن بضع عشرة سنة، وعامر بن مالك يقول له: اليوم يتمت من أبيك إن قتل أعمامك. وقتل يومئذ زهير بن عمرو بن معاوية، وجد مقتولاً بين ظهري صفوف بني عامر حيث لم يبلغ القتال؛ وهو معاوية الضباب بن كلاب. فقال أخوه حصين للذي قتله:

تلتقم الهبر من السقب الرذي

يا ضبعاً عثواء لا تستأنسي

وما على العزى تعزه غني

أقسم بالله وما حجت بلي

أعطيك غير صدور المشرفي

وقد حلفت عند منحر الهدي

هو الشجاع والخطيب اللوذعي

فليس مثلي عن زهير بغنى

والحامل النثل إذا ينزل بي

والفارس الحازم والشهم الأبى

وذكروا أن طفيل بن مالك لما رأى القتال يوم جبلة قال: ويلكم! وأين نعم هؤلاء! فأغار على نعم عمرو وإخوته وهم من بني عبد الله بن غطفان ثم من بني الثرماء، فاستاق ألف بعير. فلقبه عبيدة بن مالك فاستجدها، فأعطاه مائة بعير، وقال: كأني بك قد لقيت ظبيان بن مرة بن خالد فقال لك: أعطاك من ألفه مائة! فجيئت مغضباً. فلقني عبيدة ظبيان، فقال له: كم أعطاك؟ قال: مائة. فقال: أمانة من ألف! فغضب عبيدة. قال: وذكر أن عبيدة تسرع يومئذ إلى القتال، فنهاه أخواه عامر وطفيل أن يفعل حتى يرى مقاتلاً، فعصاهما وتقدم، فطعنه رجل في كتفه حتى خرج السنان من فوق ثديه فاستمسك فيه السنان، فأتى طفيلاً فقال له: دونك السنان فانزعه، فأبى أن يفعل ذلك غضباً، فأتى عامراً فلم يترعه منه غضباً، فأتى سلمى بن مالك فانتزعه منه، وألقى جريحاً مع النساء حتى فرغ القوم من القتال. وقتلت بنو عامر يومئذ من تميم ثلاثين غلاماً أغرل. وخرج حاجب بن زرارة منهزماً، وتبعه الزهدمان زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب بن عويمر بن رواحة العبسيان، فجعلوا يطردان حاجباً ويقولان له: استأسر وقد قدرا عليه، فيقول: من أنتما؟ فيقولان: الزهدمان، فيقول: لا أستأسر اليوم لمولين. فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالك ذو الرقية بن سلمة بن قشير، فقال لحاجب: استأسر. قال: ومن أنت؟ قال: أنا مالك ذو الرقية. فقال: أفعل، فلعمري ما أدركتني حتى كدت أن أكون عبداً. فألقى إليه رمحه؛

واعتنته زهدم فألقاه عن فرسه. فصاح حاجب: يا غوثاه. وندر السيف، وجعل زهدم يريغ قائم السيف. فتزل مالك فاقتلع زهدماً عن حاجب. فمضى زهدم وأخوه فمضى زهدم وأخوه حتى أتيا قيس ابن زهير ابن جذيمة فقالا: أخذ مالك أسيرنا من أيدينا. قال: ومن أسيركما؟ قالا: حاجب بن زرارة. فخرج قيس يتمثل قول حنظلة بن الشرقي القيني أبي الطمحان رافعاً صوته يقول:

أجد بني الشرقي أولع أنني متى أستجر جاراً وإن عز يغدر
إذا قلت أوفى أدركته دروكة فيا موزع الجيران بالغي أقصر

حتى وقف على بني عامر فقال: إن صاحبكم أخذ أسيرنا. قالوا: من صاحبنا؟ قال: مالك ذو الرقية أخذ حاجباً من الزهدين. فجاءهم مالك فقال: لم آخذه منهما، ولكنه استأسر لي وتركهما. فلم يبرحوا حتى حكموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرقية، فقالوا: من أسرك يا حاجب؟ فقال: أما من ردي عن قصدي ومنعني أن أنجو ورأى مني عورة فتركها فالزهديمان. وأما الذي استأسرت له فمالك؛ فحكموني في نفسي. قال له القوم: قد جعلنا إليك الحكم في نفسك. فقال: أما مالك فله ألف ناقة، وللزهدين مائة. فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدين مغاضبة بعد ذلك؛ فقال قيس:

جزاني الزهديمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامه
وقد دافعت قد علمت معد بني قرط وعمهم قدامه
ركبت بهم طريق الحق حتى أثبتهم بها مائة ظلامه

وقال جرير في ذلك:

ويوم الشعب قد تركوا لقيطاً كأن عليه حلة أرجوان
وكبل حاجب بشمام حولاً فحكم ذا الرقية وهو عاني

وأما عمرو بن عمرو بن عدس فأقلت يومئذ. فزعمت بنو سليم أن الخيل عرضت على مرداس بن أبي عامر يوم جبلة، وكان أبصر الناس بالخييل، فعرضت عليه فرس لغلام من بني كلاب، فقال: والله لا أعجزها ولا أدركها ذكر ولا أنثى؛ فهذا ردائي بها خمس وعشرون ناقةً. فلما انهمز الناس يوم جبلة خرج الكلابي على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو. قال الكلابي: فراكضته نهاراً على السواء، والله ما علمت أنه سبقي بمقدار أعرفه، ثم زاد مكانه ونقصت. فقلت: قمر والله مرداس. وهوى عمرو إلى فرسه فضرها بالسوط فانكشفت، فإذا هي خنثى، لا ذكر ولا أنثى، فأخبرتهم أي سبقت، فقال: قمر السلمي. فقلت لا، ثم أخبرتهم الخبر. فقال مرداس:

تمطت كميث كالهراوة ضامر لعمر بن عمرو بعدما مس باليد
فلولا مدى الخنثى وبعد جرائها لقاظ ضعيف النهض حق مقيد

تذكر ربطاً بالعراق وراحة

وقد خفق الأسياف فوق المقلد

وزعم علماء بني عامر أنه لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم في آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون، فلحق قيس بن المنتفق بن عامر بن طفيل بن عقيل عمرو بن عمرو فأسره. فأقبل الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عقيل في سرعان الخيل ، فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس: إن أدركني الحارث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي، فهل أنت محسن إلي وإلى نفسك! تجز ناصيتي فتجعلها في كنانتك، ولك العهد لأفين لك، ففعل. وأدركهما الحارث وهو ينادي قيساً ويقول: اقتل اقتل. فلحق عمرو بقومه. فلما كان الشهر الحرام خرج قيس إلى عمرو ويستثيه، وتبعه الحارث بن الأبرص حتى قدما على عمرو بن عمرو؛ فأمر عمرو بن عمرو ابنة أخيه أمنة بنت زيد بن عمرو فقال: اضربي على قيس الذي أنعم على عمك هذه القبة. وكان الحارث قتل أباهما يوماً جبلة. فجاءت بالقبة فرأت الحارث أهياًهما وأجملهما، فظنته قيساً فضربت القبة على رأسه وهي تقول: هذا والله رجل لم يطلع الدهر عليه بما اطلع به علي. فلما رجعت إلى عمها عمرو قال: يابنة أخي، على من ضربت القبة؟ فنعنت له نعت الحارث. فقال: ضربتها والله على رجل قتل أباك وأمر بقتل عمك. فجزعت مما قال لها عمها. فقال الحارث بن الأبرص:

أمين بما أجن اليوم صدري

أما تدرين يابنة آل زيد

فتى الفتيان في عيص وقصر

فكم من فارس لم ترزئيه

فأعيا أمره وشددت أزمري

رأيت مكانه فصددت عنه

بأم عزيمة في جنب عمرو

لقد أمرته فعصى إماري

فضييع أمره قيس وأمري

أمرت به لتخمش حنتاه

الحنة الزوجة. يقال حنته، وطلته . ثم إن عمراً قال: يا حار، ما الذي جاء بك! فوالله ما لك عندي نعمة، ولقد كنت سيء الرأي فيّ، قتلت أخي وأمرت بقتلي. فقال: بل كففت عنك ، ولو شئت إذا أدركتك لقتلتك. قال: ما لك عندي من يد، ثم تدمم منه فأعطاه مائة من الإبل، ثم انطلق فذهب الحارث فلما جاء عمراً قيس أعطاه إبلاً كثيرة، فخرج قيس بها، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارث بن الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه عرض لقيس فأخذ ما كان معه. فلما أتى قيس بني أبيه بني المنتفق اجتمعوا إليه وأرادوا الخروج. فقال: مهلاً! لا تقاتلوا إخوتكم؛ فإنه يوشك أن يرجع وأن يؤول إلى الحق فإنه رجل حسود. فلما رأى الحارث أن قيساً قد كف عنه رد إليه ما أخذ منه .

وأما عتبية بن الحارث بن شهاب فإنه أسر يومئذ فقيده في القد، وكان يبول على قداه حتى عف. فلما دخل الشهر الحرام هرب فأفلت منهم بغير فداء .

وغنم مرداس بن أبي عامر عنائم وأخذ رجلاً فأخذ منه مائة ناقة، فانتزعها منه بنو أبي بكر ابن كلاب؛ فخرج مرداس إلى يزيد بن الصعق، وكان له خليلاً، فأنتهى إليه مرداس وهو يقول:

لعمرك ما ترجو معد ربيعها رجائي يزيداً بل رجائي أكثر

يزيد بن عمرو خير من شد ناقةً بأقتادها إذا الرياح تصرصر

تداعت بنو بكر علي كأنما تداعت علي بالأحزة بربر

تداعوا علي أن رأوني بخلوة وأنتم بأحدان الفوارس أبصر

ويروى بوحدان. فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردها إليه. فطرقه البكريون فسقوه الخمر حتى سكر، ثم سأله الإبل فأعطاهم إياها. فلما أصبح ندم، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه. فقال له يزيد: أصاح أنت أم سكران؟! فانصرف فاطرد إبلاً من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول:

أجن بليلي قلبه أن تذكرنا منازل منها حول قرى ومحضرا

تخر الهدال فوق خيمات أهلها ويرسون حساً بالعقال مؤطرا

الحس: الفرس الخفيفة. والمؤطر: العطوف

سأبى وأستغني كما قد أمرتني وأصرف عنك العسر لست بأفقرنا

وإن سليماً والحجاز مكانها متى اتهم أجد لبني مهجرا

المهجر: الموضع الصالح؛ يقال: هذا أهرج من هذا إذا كان أجود منه وأصلح

يفرج عني حدهم وعديدهم وأسرج لبدي خارجياً مصدرا

قصرت عليه الحالين فجوده إذا ما عدا بل الحزام وأمطرا

الحالين: الراعيين. يقول احتبستهما

فخذ إبلاً إن العتاب كما ترى على خذم ثم ارم للنصر جعفرا

فإن بأكناف البحار إلى الملا وذئ النخل مصحى إن صحوت ومسكرا

وأرعى من الأظلاف أثلاً وحمضة وترعى من الأطواء أثلاً وعرعرا

وانصرف يومئذ سنان بن أبي حارثة المري في بني ذبيان على حاميته، فلحق بهم معاوية بن الصموت بن الكامل الكلبي، وكان يسمى الأسد المجذع، ومعه حرملة العكلي ونفر من الناس، فلحق بسنان بن أبي حارثة ومالك بن حمار الفزاري في سبعين فارساً من بني ذبيان. فقال سنان: يا مالك كر واحمنا ولك خولة بنت سنان ابنتي أزوجهما. فكر مالك فقتل معاوية، ثم اتبعه حرملة العكلي وهو يقول:

لأي يوم يخبأ المرء السعه مودع ولا ترى فيه الدعه

فكر عليه مالك فقتله، ثم اتبعه رجل من بني كلاب، فكر عليه مالك فقتله، ثم اتبعه رجلان من قيس كبة من بحيلة، فكر عليهما فقتلتهما، ومضى مالك وأصحابه. فقال مالك في ذلك:

ولقد صددت عن الغنيمة حرماً
أقبلته صدر الأغر وصارماً
وابن الصموت تركت حين لقينته
وابنا ربيعة في الغبار كلاهما
حتى تنفس بعد نكظٍ مجحراً
أذهبت عنه والفرائص تترعد

النكظ الجهد. قال:

يعدو ببزي سابح ذو مبيعة
نهد المراكل ذو تلليل أقود
فخطب إليه مالك حولة فأبى أن يزوجه .

وأما بنو جعفر فيزعمون أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر وجد سنان بن أبي حارثة وابنيه هرمياً ويزيد على غديرٍ قد كاد العطش أن يهلكهم، فجز نواصيهم وأعتقهم. ثم إن عروة أتى سناناً بعد ذلك يستثيه ثواباً يرضاه فلم يثبه شيئاً . فقال عروة في ذلك:

ألا من مبلغ عني سناناً
أفي الخضراء تقسم هجمتيكم
فلو كان الجعافر طاوعوني
أتجزّي القين نعمتها عليكم
ألو كاً لا أريد بها عتاباً
وعروة لم يثب إلا التراباً
غداة الشعب لم تنق الشراباً
ولا تجزي بنعمتها كلاباً

وأما بنو عامر فيزعمون أن سناناً انصرف ذات يوم هو وناس من طيئٍ وغيرهم قبل الوقعة، فبلغه أن بني عامر يقولون: مننا عليه، فأنشأ يقول:

والله ما منوا ولكن شكنتي
بخرير شول يوم يدعى عامر
منت وحادرة المناكب صلدم
لا عاجز ورع ولا مستسلم

وأما بارق فتدعي أسر سنانٍ يومئذٍ على الثواب، ثم أتوه فلم يصنع بهم خيراً. فقال معقر بن أوس بن حمار البارق:

متى تك في ذبيان منك صنيعه
فلا تحمدنها الدهر بعد سنان

يظل يميننا بحسن ثوابه
مخاض أوديتها وجل لقائح
فجئناه للنعمى فكان ثوابه
وظل ثلاثاً يسأل الحي ما يرى
فإن كنت هذا الدهر لا بد شاكراً
فلا تتقن بالشكر في غطفان
لکم مائة يحدو بها فرسان
وأكرم مثوى منكم من أثنائي
رغوث ووطبا حازرٍ مذقان
يؤامرهم فينا له أملان
فلا تتقن بالشكر في غطفان

تاريخ يوم جيلة: قال: وكان جيلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة. وولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل، ثم أوحى إليه بعد أربعين سنة، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقدم عليه عامر بن الطفيل في السنة التي قبض فيها صلى الله عليه وسلم، قال: وهو ابن ثمانين سنة.

ما قيل في هذا اليوم من شعر: وقال المعقر بن اوس بن حمارٍ البارقى حليف بني نمير بن عامر:

أمن آل شعطاء الحمول البواكر
وحلت سليمى في هضابٍ وأيكةٍ
وألقت عصاها واستقرت بها النوى
وصبحها أملكها بكنيةٍ
معاوية بن الجون ذبيان حوله
فمروا بأطناب البيوت فردهم
وقد جمعوا جمعاً كأن زهاءه
فباتوا لنا ضعفاً وبتنا بنعمةٍ
ولم نقرهم شيئاً ولكن قصدهم
صبحناهم عند الشروق كتائباً
كان نعام الدو باض عليهم
الحبيك في البيض إحكام عملها وطرائقها
من الضاربين الكيش يمشون قدماً
وظن سراة القوم ألا يقتلوا
ضربنا حبيك البيض في غمر لجةٍ
مع الليل أم زالت قبيل الأباعر
فليس عليها يوم ذلك قادر
كما قر عيناً بالإياب المسافر
عليها إذا أمست من الله ناظر
وحسان في جمع الرباب مكائر
رجال بأطراف الرماح مساعر
جراد هوى في هبوةٍ متطاير
لنا مسمعات بالدفوف وسامر
صباح لدينا مطلع الشمس حازر
كأركان سلمى شبرها متواتر
وأعينهم تحت الحبيك جواهر
إذا غص بالريق القليل الحناجر
إذا دعيت بالسفح عبس وعامر
فلم يبق في الناجين منهم مفاخر

ولم ينج إلا من يكون طمره
هو زهدم تحت الغبار لحاجب
هما بطلان يعثران كلاهما
ولا فضل إلا أن يكون جراءة
ينوء وكفا زهدم من ورئه
يفرج عنا كل ثغر نخافه
القصيمة من الرمل: ما أنبتت الغضى والرمث
وكل طموح في العنان كأنها
يوائل أو نهذ ملح مثابر
كما انقض أفنى ذو جناحين ماهر
أراد رئاس السيف والسيف نادر
وذبيان تسمو والرؤوس حواسر
وقد علقت ما بينهن الأظافر
مسح كسرحان القصيمة ضامر
إذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر

لها ناهض في المهد قد مهدت له
وهذا البيت سمي معقراً واسمه سفيان بن أوس. وإنما خص العاقر لأنها أقل دلاً على الزوج من الولود فهي تصنع
له وتداريه

تخاف نساءً بيتدرن حليلها
وقال عامر بن الطفيل بعد ذلك بدهر:
ويوم الجمع لاقينا لقيطاً
أسرنا حاجباً فتوى بقد
وجمع الجون إذ دلفوا إلينا
وقال لبيد بن ربيعة في ذلك:

وهم حماة الشعب يوم تواكلت
فارتث كلماهم عشية هزمهم
تم اليوم والحمد لله .
صوت:

أجمل ما يؤتى إلى فتيانكم
فلو أننا كنا رجالاً وكنتم
وأنتم رجال فيكم عدد النمل
نساء حجال لم نقر بذا الفعل

الشعير لعفيرة بنت عفار الجديسية التي يقال لها الشموس. والغناء لعريب خفيف ثقیل أول مطلق في مجرى
النصر، وفيه لحن من الثقیل الأول قدم .

عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله: أخبرني بهذا الشعر والسبب الذي من أجله قيل علي بن سليمان
الأخفش عن السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضل أن عمليقاً ملك طسم بن لاوذ بن إرم
بن سام ابن نوح عليه السلام، وجديس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت منازلهم في موضع
اليمامة، كان في أول مملكته قد تمادى في الظلم والغشم والسيره بغير الحق، وأن امرأة من جديس كان يقال لها
هزيلة، وكان لها زوج يقال له قرقس، فطلقها وأراد أخذ ولدها منها، فخاصمته إلى عمليق، فقال: أيها الملك
إني حملته تسعاً، ووضعتة دفعاً، وأرضعته شفعا، حتى إذا تمت أوصاله، ودنا فصاله، أراد أن يأخذه مني كرهاً،
ويتركني من بعده ورهاً. فقال لزوجها: ما حجتك؟ قال: حجتني أي قد أعطيتها المهر كاملاً، ولم أصب منها
طائلاً، إلا وليداً خاملاً، فافعل ما كنت فاعلاً. فأمر بالغلام أن يتزع منهما جميعاً ويجعل في غلمانه، وقال لهزيلة:
ابغيه ولداً، ولا تنكحي أحداً، وأجزيه صفداً. فقالت هزيلة: أما النكاح فإنما يكون بالمهر، وأما السفاح فإنما
يكون بالقهر، ومالي فيهما من أمر. فلما سمع ذلك عمليق أمر بأن تباع هي وزوجها، فيعطى زوجها خمس
مئنتها، وتعطى هزيلة عشر مئنت زوجها. فأنشأت تقول:

أتينا أبا طسم ليحكم بيننا
فأنفذ حكماً في هزيلة ظالماً
لعمري لقد حكمت لا متورعاً
ولا كنت فيما تبرم الحكم عالماً
ندمت ولم أندم وأنى بعثرتي
وأصبح بعلي في الحكومة نادماً

أمر ألا تزوج بكر من جديس حتى يفتريها: فلما سمع عمليق قولها أمر ألا تزوج بكر من جديس وتهدى إلى
زوجها حتى يفتريها هو قبل زوجها فلقوا من ذلك بلاءً وجهداً وذلاً. فلم يزل يفعل هذا حتى زوجت الشموس
وهي عفيرة بنت عباد أخت الأسود الذي وقع إلى جبل طيئ فقتلته طيئ وسكنوا الجبل من بعده. فلما أرادوا
حملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عمليق لينالها قبله، ومعها القيان يتغنين:

ابدي بعمليق وقومي فاركبي
وبادري الصبح لأمرٍ معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي
وما لبكرٍ عنده من مهر

تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه: فلما أن دخلت عليه افتريها وخلي سبيلها. فخرجت إلى قومها في دماها
شاقة درعها من قبل ومن دبرٍ والدم يسيل وهي في أقبح منظرٍ، وهي تقول:

لا أحد أذل من جديس
أهكذا يفعل بالعروس
يرضى بهذا يا لقومي حر
أهدى وقد أعطى وسيق المهر
لأخذة الموت كذا لنفسه
خير من أن يفعل ذا بعمره

وقالت تحرض قومها فيما أتى إليها:

أجمل ما يؤتى إلى فتيانكم
وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة
جهاراً وزفت في النساء إلى بعل
ولو أننا كنا رجالاً وكنتم
نساءً لكننا لا نقر بذا الفعل

فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم
ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
وإلا فخلوا بطنها وتحملوا
إلى بلدٍ قفرٍ وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقامٍ على أذى
وللموت خير من مقامٍ على الذل
وإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه
فكونوا نساءً لا تعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فإنما
خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبعداً وسحقاً للذي ليس دافعاً
ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

ائتMAR جديس للغدر به وبقومه: فلما سمع الأسود أخوها ذلك وكان سيداً مطاعاً قال لقومه: يا معشر جديس! إن هؤلاء القوم ليسوا بأعز منكم في داركم إلا بما كان من ملك صاحبهم علينا وعليهم، ولولا عجزنا وإدهاننا ما كان له فضل علينا. ولو امتنعنا لكان لنا منه النصف. فأطيعوني فيما أمركم به، فإنه عز الدهر، وذهاب ذل العمر، وأقبلوا رأيي. قال: وقد أحمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا: نطيعك، ولكن القوم أكثر وأحمى وأقوى. قال فإني أصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً. فإذا جاءوا يرفلون في الحلل ثرنا إلى سيوفنا وهم عارون فأهدناهم بها. قالوا: نفعل. فصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل بيته، فأجابه إلى ذلك وخرج مع أهله يرفلون في الحللي والحلل، حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم إلى الطعام، أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم، فشد الأسود على عمليق فقتله، وكل رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم. فلما فرغوا من الأشراف شدوا على السفلة فلم يدعوا منهم أحداً. فقال الأسود في ذلك:

ذوقي ببغيك يا طسم مجللةً
فقد أتيت لعمرى أعجب العجب
إنا أبينا فلم ننفك نقتلهم
والبغي هيج منا سورة الغضب
ولن يعود علينا بغيتهم أبداً
ولن يكونوا كذى أنف ولا ذنب
وإن رعيتم لنا قربى مؤكدةً
كنا الأقارب في الأرحام والنسب

غزوة حسان بن تبع لجديس وهروب الأسود وقتل طيئ له: ثم إن بقية طسم لجؤوا إلى حسان بن تبع، فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها. فهرب الأسود قاتل عمليق، فأقام بجبلي طيئ قبل نزول طيئ إياهما. وكانت طيئ

تسكن الجرف من أرض اليمن، وهو اليوم محلة مراد وهمدان، وكان سيدهم يومئذ أسامة بن لؤي بن الغوث بن طيء، وكان الوادي مسبعة، وهم قليل عددهم، وقد كان ينتابهم بغير في أزمان الخريف ولم يدر أين يذهب ولم يروه إلى قابل، وكانت الأزد قد خرجت من اليمن أيام العرم، فاستوحشت طيء لذلك وقالت: قد ظعن إخواننا فصاروا إلى الأرياف. فلما هموا بالظعن قالوا لأسامة: إن هذا البعير يأتينا من بلد ريف وخصب، وإنا لنرى في بعره النوى. فلو أننا نتعهده عند انصرافه فشخصنا معه لكننا نصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا. فأجمعوا أمرهم على ذلك. فلما كان الخريف جاء البعير فضرب في إبلهم، فلما انصرف احتملوا واتبعوه يسرون ويبيتون حيث يبيت حتى هبط على الجبلين. فقال أسامة بن لؤي:

للكل قوم مصبح وممسي

اجعل طريقاً كحبيب ينسى

قال: وطريب اسم الموضع الذي كانوا يتزلون به. فهجمت طيء على النخل في الشعاب وعلى مواش كثيرة، وإذا هم برجل في شعب من تلك الشعاب وهو الأسود بن عباد، فهالهم ما رأوا من عظم خلقه وتخوفوه، وقد نزلوا ناحية من الأرض واستبروها هل يرون بها أحداً غيره فلم يروا. فقال أسامة بن لؤي لابن له يقال له الغوث: أي بني! إن قومك قد عرفوا فضلك عليهم في الجلد والبأس والرمي، فإن كفيتنا هذا الرجل سدت قومك آخر الدهر، وكنت الذي أنزلتنا هذا البلد. فانطلق الغوث حتى أتى الرجل فكلمه وساءله. فعجب الأسود من صغر خلق الغوث فقال له: من أين أقبلتم؟ قال: من اليمن، وأخبره خبر البعير ومجيئهم معه، وأنهم رهبوا ما رأوا من عظم خلقه وصغرهم عنه، وشغلوه بالكلام، فرماه الغوث بسهم فقتله، وأقامت طيء بالجبلين بعده، فهم هنالك إلى اليوم .
صوت:

ثناياه لم يخرج وكان له أجرا

إذا أقبل الإنسان آخر يشتهي

مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرا

فإن زاد زاد الله في حسناته

الشعر لرجل من عذرة. والغناء لعريب ثقيف أول بالوسطى .

حديث عمرو بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري: نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حماد قال ذكر الرياشي قال قال حماد الراوية: أتيت مكة فجلست في حلقة فيها عمرو بن أبي ربيعة، فتذاكروا من العذرين، فقال عمر بن أبي ربيعة: كان لي صديق من عذرة يقال له الجعد بن مهجع، وكان أحد سلامان، وكان يلقي مثل الذي ألقى من الصباية بالنساء والوجد بمن، على أنه كان لا عاهر الخلوة ولا سريع السلوة، وكان يوافي الموسم في كل سنة؛ فإذا راث عن وقته ترجمت عنه الأخبار، وتوكت له الأسفار حتى يقدم. فغمي ذات سنة إبطاؤه حتى قدم حجاج عذرة، فأتيت القوم أنشد صاحبي، وإذا غلام قد تنفس الصعداء

ثم قال: أعن أي المسهر تسأل؟ قلت: عنه أسأل وإياه أردت. قال: هيهات هيهات! أصبح والله أبو المسهر لا مؤيساً فيهملاً ولا مرجواً فيعلل، أصبح والله كما قال القائل:

لعمرك ما حبي لأسماء تاركي **أعيش ولا أقضي به فأموت**

قال قلت: وما الذي به؟ قال: مثل الذي بك من تهوركما في الضلال، وجركما أذيال الخسار، فكأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار. قلت: من أنت منه يابن أخي؟ قال: أخوه. قلت: والله يابن أخي ما يمنعك أن تسلك مسلك أخيك من الأدب وأن تركب إلا أنك وأخاك كالبرد والبجاد لا ترقعه ولا يرقعك، ثم صرفت وجه ناقتي وأنا أقول:

أرائحة حجاج عذرة وجهة **ولما يرح في القوم جعد بن مهجع**

خليلان نشكو ما نلاقي من الهوى **متى ما يقل أسمع وإن قلت يسمع**

ألا ليت شعري أي شيء أصابه **فلى زفرات هجن ما بين أضلعي**

فلا يبعدنك الله خلاً فإنني **سألقى كما لاقيت في كل مصرع**

ثم انطلقت حتى وقفت موقفني من عرفات. فبينما أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغير لونه وساءت هيئته، فأدنى ناقتي من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما، ثم عانقتي وبكى حتى اشتد بكأؤه. فقلت: ما وراءك؟ فقال: برح العذل، وطول المطل، ثم أنشأ يقول:

لئن كانت عدية ذات لب **لقد علمت بأن الحب داء**

ألم تنظر إلى تغيير جسمي **وإني لا يفارقني البكاء**

ولو أني تفرقت الذي بي **لقف الكلم وانكشف الغطاء**

فإن معاشري ورجال قومي **حتوفهم الصبابة واللقاء**

إذا العذري مات خلي ذرع **فذاك العبد يبكيه الرشاء**

فقلت: يا أبا المسهر إنما ساعة تضرب إليها أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها، فلو دعوت الله كنت قمناً أن تظفر بحاجتك وأن تنصر على عدوك. قال: فتركني وأقبل على الدعاء. فلما نزلت الشمس للغروب وهم الناس أن يفيضوا سمعته يتكلم بشيء، فأصغيت إليه، فإذا هو يقول:

يا رب كل غدوة وروحه **من محرم يشكو الضحى ولوحه**

أنت حسيب الخلق يوم الدوحة

الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه ومسعى عمر في زواجه من عشقها: فقلت له: وما يوم الدوحة؟ قال: والله لأخبرنك ولو لم تسألني. فيممننا نحو مزدلفة، فأقبل علي وقال: إني رجل ذو مال كثير من نعم وشاء، وذو

المال لا يصدره ولا يرويه الثماد . وقطر الغيث أرض كلب، فانتجعت أخوالي منهم، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني جهة الماء، وكنت فيهم في خير أحوال. ثم إني عزمت على موافقة إبلي لهم يقال له الخوذان، فركبت فرسي وسمطت خلفي شرباً كان أهدها إلي بعضهم ثم مضيت، حتى إذا كنت بين الحي ومرعى النعم رفعت لي دوحة عظيمة، فترلت عن فرسي وشدته بغصن من أغصانها وجلست في ظلها. فبينما أنا كذلك إذ سطع غبار من ناحية الحي ورفعت لي شحوص ثلاثة، ثم تبينت فإذا فارس يطرد مسحلاً وأتانا، فتأملته فإذا عليه درع أصفر وعمامة خبز سوداء، وإذا فروع شعره تضرب خصريه، فقلت: غلام حديث عهد بعرس أعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته. فما جاز علي إلا يسيراً حتى طعن المسحل وثني طعنةً للأتان فصرعهما، وأقبل راجعاً نحوي وهو يقول:

نطعنهم سلكى ومخلوكةً كرك لأمين على نابل

فقلت: إنك قد تعبت وأتعبت، فلو نزلت! فثنى رجله فترل فشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رحمه وأقبل حتى جلس، فجعل يحدثني حديثاً ذكرت به قول أبي ذؤيب:

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل

فقمتم إلى فرسي فأصلحت من أمره ثم رجعت، وقد حسر العمامة عن رأسه، فإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش. فقلت: سبحانك اللهم! ما أعظم قدرتك وأحسن صنعتك!. فقال: مم ذاك؟ قلت: مما راعني من جمالك وبهرني من نورك. قال: وما الذي يروعك من حبيس التراب، وأكيل الدواب، ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم يبأس. قلت: لا يصنع الله بك إلا خيراً. ثم تحدثنا ساعة، فأقبل علي وقال: ما هذا الذي أرى قد سمطت في سرجك؟ قلت: شراب أهدها إلي بعض أهللك، فهل لك فيه من أرب؟ قال: أنت وذاك. فأتيته به، فشرب منه وجعل ينكت أحياناً بالسوط على ثناياه، فجعل والله يتبين لي ظل السوط فيهن. فقلت: مهلاً فإني خائف أن تكسرهن، فقال: ولم؟ قلت: لأنهن رفاق وهن عذاب. قال: رفع عقيرته يتغنى:

إذا قبل الإنسان آخر يشتهي ثنياه لم يأثم وكان له أجرا

فإن زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع. قال: فبرقت لي بارقة تحت الدرع. فإذا ثدي كأنه حق عاج. فقلت: نشدتك الله امرأة؟ قالت: إي والله إلا أنا أكره العشير وأحب الغزل. ثم جلست فجعلت تشرب معي ما أفقد من أنسها شيئاً حتى نظرت إلى عينيها كأنهما عينا مهابة مذعورة. فوالله ما راعني إلا ميلها على الدوحة سكرى. فزين لي والله الغدر وحسن في عيني، ثم إن الله عصمني منه، فجلست حجرةً منها. فما لبثت إلا يسيراً حتى انتهت فرعةً، فلائت عمامتها برأسها، وجالت في متن فرسها، وقالت: جزاك الله عن الصحبة خيراً. قلت: أو ما تزوديني منك زاداً؟ فناولتني يدها، فقبلتها فشمت والله منها ريح المسك المفتوت، فذكرت قول الشاعر:

كأنها إذ تقضى النوم وانتبهت

سحابة مالها عين ولا أثر

قلت: وأين الموعد؟ قالت: إن لي أخوة شرساً وأباً غيوراً. ووالله لأن أسرك أحب إلي من أضررك، ثم انصرفت. فجعلت أتبعها بصري حتى غابت، فهي والله يابن ربيعة أحلطني هذا المحل وأبلغتني. فقلت له: يا أبا المسهر إن الغدر بك مع ما تذكر لمليح. فبكى واشتد بكاءه. فقلت: لا تبك؛ فما قلت إلا مازحاً، ولو لم أبلغ في حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتى أقدر عليه، فقال لي: خيراً. فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشدت على ناقته، ودعوت غلامي فشد على بعير له، وحملت عليه قبة حمراء من أدم كانت لأبي ربيعة المخزومي، وحملت معي ألف دينار ومطرف خز، وانطلقنا حتى أتينا بلاد كلب، فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه، وإذا هو سيد الحي وإذا الناس حوله. فوقفت على القوم فسلمت، فرد الشيخ السلام، ثم قال: من الرجل؟ قلت: عمرو بن أبي ربيعة بن المغيرة. فقال: المعروف غير المنكر، فما الذي جاء بك؟ قلت: خاطباً. قال: الكف، والرغبة. قلت: إني لم آت ذلك لنفسي عن غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك، ولكني أتيت في حاجة ابن أختكم العذري، وما هو ذاك. فقال: والله إنه لكفيء الحسب رفيع البيت، غير أن بناتي لم يقعن إلا في هذا الحي من قریش. فوجمت لذلك، وعرف التغير في وجهي فقال: أما إني صانع بك ما لم أصنعه بغيرك. قلت: وما ذاك فمثلي من شكر؟ قال: أخيرها فهي وما اختارت. قلت: ما أنصفتني إذ تختار لغيري وتولي الخيار غيرك. فأشار إلي العذري أن دعه يخيرها. فأرسل إليها: إن في الأمر كذا وكذا. فأرسلت إليه: ما كنت لأستبد برأي دون القرشي، فالخيار في قوله، حكمه. فقال لي: إنما قد ولتكم أمرها فاقض ما أنت قاض. فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه وقلت: اشهدوا أني قد زوجتها من الجعد ابن مهجع وأصدقتهما هذا الألف الدينار، وجعلت تكرمتهما العبد والبعير والقبة، وكسوت الشيخ المطرف، وسألته أن يبيي بها عليه في ليلته. فأرسل إلى أمها، فقالت: أخرج ابنتي كما تخرج الأمة!. فقال الشيخ: هجري في جهازها، فما برحت حتى ضربت القبة في وسط الحرم، ثم أهديت إليه ليلاً، وبت أنا عند الشيخ. فلما أصبحت أتيت القبة فصحت بصاحي، فخرج إلي وقد أثر السرور فيه، فقلت: كيف كنت بعدي وكيف هي بعدك؟ فقال لي: أبدت لي والله كثيراً مما كانت أخفته عني يوم لقيتها. فسألته عن ذلك فأنشأت تقول: صوت:

كتمت الهوى لما رأيتك جازعاً

وقلت فتى بعض الصديق يريد

وأن تطرحني أو تقول فيته

يضر بها برح الهوى فتعود

فوريت عما بي وفي داخل الحشى

من الوجد برح فاعلمن شديد

فقلت: أقم على أهلك، بارك الله لك فيهم، وانطلقت وأنا أقول:

كفيت أخي العذري ما كان نابه

وإني لأعباء النوائب حمال

أما استحسننت مني المكارم والعلال

إذا طرحت! إني لمالي بذال

وقال العذري:

إذا ما الخطاب خلى مكانه
فأف لدنيا ليس من أهلها عمر
فلا حي فتيان الحجازين بعده
ولا سقيت أرض الحجازين بالمطر

صوت:

إن الخليط قد أزمعوا تركي
فوقفت في عرصاتهم أبكي
جنية برزت لتقتلني
مطلية الأصداع بالمسك
عجاً لمتلك لا يكون له
خرج العراق ومنبر الملك

الشعر لابن قيس الرقيات يقوله في عائشة بنت طلحة. والغناء لمعبد، ثقل أول السبابة في مجرى البصر. والسبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يذكر في أخبارها إن شاء الله تعالى .

أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

نسب عائشة بنت طلحة: عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم. وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق. أخبرني الحسن بن يحيى قال قال حماد قال أبي قال مصعب: كانت لا تستر وجهها وعتاب مصعب لها في ذلك: كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها من أحد. فعاتبها مصعب في ذلك، فقالت: إن الله تبارك وتعالى وسمي بميسم جمال أحببت أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم، فما كنت لأستره، ووالله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد. وطالت مرادة مصعب إياها في ذلك، وكانت شرسة الخلق. قال: وكذلك نساء بني تميم هن أشرس خلق الله وأحظاه عند أزواجهن. وكانت عند الحسين بن علي صلوات الله عليهما أم إسحاق بنت طلحة، فكان يقول: والله لربما حملت ووضعت وهي مصارمة لي لا تكلمني .

غضبت على مصعب فبعث إليها ابن قيس الرقيات: قال: نالت عائشة من مصعب وقالت: علي كظهر أمي، وقعدت في غرفة وهيأت فيها ما يصلحها. فجهد مصعب أن تكلمه فأبت. فبعث إليها ابن قيس الرقيات، فسألها كلامه، فقالت: كيف يميني؟ فقال: ها هنا الشعبي فقيه أهل العراق فاستفتيه. فدخل عليها فأخبرته، فقال: ليس هذا بشيء. فقالت: أتخلي وتخرج خائباً! فأمرت له بأربعة آلاف درهم. وقال ابن قيس الرقيات لما رآها:

جنية برزت لتقتلنا
مطلية الأقراب بالمسك

وذكر باقي الأبيات .

غضبت على مصعب فاسترضاهما أشعب فرضيت: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن إسحاق يعقوبي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم قال: كان أشعب يألف مصعباً، فغضبت عليه

عائشة بنت طلحة يوماً، وكانت من أحب الناس إليه، فشكا ذلك إلى أشعب فقال: ما لي إن رضيت؟ قال: حكمك. قال: عشرة آلاف درهم. قال: هي لك. فانطلق حتى أتى عائشة فقال: جعلت فداك! قد علمت حي لك وميلي قديماً وحديثاً إليك من غير منالة ولا فائدة. وهذه حاجة قد عرضت تقضين بها حقي وترهنين لها شكري. قالت: وما عنك؟ قال: قد جعل لي الأمير عشرة آلاف درهم إن رضيت عنه. قالت: وبك! لا يمكنني ذلك. قال: بأي أنت فارضي عنه حتى يعطيني ثم عودي إلى ما عودك الله من سوء الخلق. فضحكت منه ورضيت عن مصعب. وقد ذكر المدائني أن هذه القصة كانت لها مع عمرو بن عبيد الله بن معمر، وأن الرسول إليها والمخاطب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عتيق .

وصفت عزة الميلاء لها ولعائشة بنت عثمان وأم القاسم بنت زكريا. وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حماد قال أبي حدثت عن صالح بن حسان قال: كان بالمدينة امرأة حسناء تسمى عزة الميلاء يألّفها الأشراف وغيرهم من أهل المروءات، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء. فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص، فقالوا: إنا خطبنا فانظري لنا. فقالت لمصعب: يابن أبي عبد الله ومن خطبت؟ فقال: عائشة بنت طلحة. فقالت: فأنت يابن أبي أحيجة؟ قال: عائشة بنت عثمان. قالت: فأنت يابن الصديق؟ قال: أم القاسم بنت زكريا بن طلحة .

قالت: يا جارية هاتي منقلي تعني خفيها فلبستهما وخرجت ومعها خادم لها، فإذا هي بجماعة يزحم بعضهم بعضاً، فقالت: يا جارية انظري ما هذا. فنظرت ثم رجعت فقالت: امرأة أخذت مع رجل. فقالت: داء قدم، امض ويلك. فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت: فديتك! كنا في مأدبة أو مأتم لقريش، فتذاكروا جمال النساء وخلقهن فذكروك، فلم أدر كيف أصفك فديتك. فألقي ثيابك ففعلت فأقبلت وأدبرت فارتج كل شيء منها. فقالت لها عزة: خذي ثوبك فديتك. فقال عائشة: قد قضيت حاجتك وبقيت حاجتي. قالت عزة: وما هي بنفسي أنت؟ قالت: تغنيني صوتاً. فاندفعت تغني لحنها: صوت:

خليلي عوجاً بالمحلة من جمل	وأترابها بين الأصيفر والخبيل
نقف بمغانٍ قد محا رسمها البلى	تعاقبها الأيام بالريح والوبل
فلو درج النمل الصغار بجلدها	لأندب أعلى جلدها مدرج النمل
وأحسن خلق الله جيداً ومقلّة	تشبه في النسوان بالشادن الطفل

الشعر لحميل بن عبد الله بن معمر العذري. والغناء لعزة الميلاء ثقيف أول بالوسطى فقامت عائشة فقبلت ما بين عينيها ودعت لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضة وغير ذلك، فدفعته إلى مولاتها فحملته. وأتت النسوة على مثل ذلك تقول لهن، حتى أتت القوم في السقيفة. فقالوا: ما صنعت؟ فقالت: يابن أبي عبد الله، أما عائشة فلا والله إن رأيت مثلها مقبلةً ومدبرةً، محطوطة المتنين، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب، نقية الثغر وصفحة

الوجه، فرعاء الشعر، لفاء الفخذين، ممتلئة الصدر، خميصة البطن، ذات عكنٍ، ضخمة السرة، مسرولة الساق. يرتج ما بين أعلاها إلى قدميها. وفيها عيبان، أما أحدهما فيواريه الخمار، وأما الآخر فيواريه الخف: عظم القدم والأذن. وكانت عائشة كذلك. ثم قالت عزة: وأما أنت يا بن أبي أحيحة فإني والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنت عثمان لمرأة قط، ليس فيها عيب. والله لكأنما أفرغت إفراغاً، ولكن في الوجه ردة، وإن استشرتني أشرت عليك بوجه تستأنس به. وأما أنت يا بن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم، كأنها خوط بانة تشني، وكأنها جدل عنان، أو كأنها جان يتثنى على رمل، لو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت. ولكنها شخطة الصدر وأنت عريض الصدر؛ فإذا كان ذلك كان قبيحاً، لا والله حتى يملأ كل شيء مثله. قال: فوصلها الرجال والنساء وتزوجوهن.

أمها وخالتها، وزواجها من ابن خالها وأولادها منه: أخبرني الطوسي وحرمي عن الزبير عن عمه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الزبيري والمدائني، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائني وجمعت ذلك، قالوا جميعاً: إن أم عائشة بنت طلحة أم كلثوم بنت أبو بكر الصديق، وأمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الخزرج بن الحارث. قالوا: وكانت عائشة بنت طلحة تشبه بعائشة أم المؤمنين خالتها. فزوجتها عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وهو ابن أخيها وابن خال عائشة بنت طلحة، وهو أبو عذرها، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه؛ ولدت له عمران وبه كانت تكنى، وعبد الرحمن، وأبا بكر، وطلحة، ونفيسة وتزوجها الوليد بن عبد الملك، ولكل هؤلاء عقب. وكان ابنها طلحة من أحواد قريش، وله يقول الخزرج الديلي:

فإن تك يا طلع أعطيتني
عذافرةً تستخف الضفارا
فما كان نفحك لي مرةً
ولا مرتين ولكن مرارا
أبوك الذي صدق المصطفى
وسار مع المصطفى حيث سارا
وأمك ببيضاء تميمية
إذا نسب الناس كانوا نضارا

مصارمتها لزوجها وإيلاؤه منها: قال: فصارمت عائشة بنت طلحة زوجها، وخرجت من دارها غضبي، فمرت في المسجد وعليها ملحفة تريد عائشة أم المؤمنين، فرآها أبو هريرة فقال: سبحان الله! كأنها من الحور العين. فمكثت عند عائشة أربعة أشهر. وكان زوجها قد آلى منها، فأرسلت عائشة: إني أخاف عليك الإيلاء، فضمها إليه وكان مولياً منها فقبل له: طلقها، فقال:

يقولون طلقها لأصبح ثاوباً
مقيماً علي الهمة، أحلام نائم
وإن فراقني أهل بيت أحبهم
لهم زلفة عندي لإحدى العظام

زواجها من مصعب بن الزبير:

فتوفي عبد الله بعد ذلك وهي عنده، فما فتحت فاتها عليه، وكانت عائشة أم المؤمنين تعدد عليها هذا في ذنوبها التي تعددها. ثم تزوجها بعده مصعب بن الزبير، فأ مهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك. فبلغ ذلك أخاه فقال: إن مصعباً قدم أيره، وآخر خيرته. فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مروان فقال: لكنه آخر أيره وخيرته، وكتب ابن الزبير إلى مصعب يؤنبه على ذلك ويقسم عليه ألا يلحق به بمكة ولا يتزل المدينة ولا يتزل إلا بالبيداء، وقال له: إني لأرجو أن تكون الذي يحسف به البيداء، فما أمرتك بتزولها إلا لهذا. وصار إليه وأرضاه عن نفسه، فأمسك عنه .

كانت تعاسر مصعباً فاحتال له كاتبه ابن أبي فروة حتى يأسرته: قال وحدثني المدائني عن سحيم بن حفص قال: كان مصعب بن الزبير لا يقدر عليها إلا بتلاح ينالها منه وبضربها. فشكا ذلك إلى ابن أبي فروة كاتبه. فقال له: أنا أكفيك هذا إن أذنت لي. قال: نعم! افعل ما شئت فإنها أفضل شيء نلت من الدنيا. فأتاها ليلاً ومعه أسودان فاستأذن عليها. فقالت له: أفي مثل هذه الساعة! قال نعم. فأدهلته. فقال للأسودين: احفرا هنا بئراً. فقالت له جاريتها: وما تصنع بالبئر؟ قال: شؤم ملاتك، أمرني هذا الفاجر أن أدفنها حية وهو أسفك خلق الله لدم حرام. فقالت عائشة: فانظري أذهب إليه. قال: هيهات! لا سبيل إلى ذلك، وقال للأسودين: احفرا. فلما رأته الجدة منه بكت ثم قالت: يابن فروة إنك لقاتلي ما منه بد؟ قال: نعم، وإني لأعلم أن الله سيجزيه بعدك، ولكنه قد غضب وهو كافر الغضب. قالت: وفي أي شيء غضبه. قال: في امتناعك عنه، وقد ظن أنك تبغضينه وتطلعين إلى غيره فقد جن. فقالت: أنشدك الله إلا عاودته. قال: إني أخاف أن يقتلني. فبكت وبكى جواريتها. فقال: قد رقت لك، وحلف أنه يغمر بنفسه، ثم قال لها: فما أقول؟ قالت: تضمن عني ألا أعود أبداً. قال: فما لي عندك؟ قالت: قيام بحقك ما عشت. قال: فأعطيني المواريث، فأعطته. فقال للأسودين: مكانكما، وأتى مصعباً فأخبره. فقال له: استوثق منها بالأيمان، ففعلت وصلحت بعد ذلك لمصعب .

أخبار لها مع مصعب: قال: ودخل عليها مصعب يوماً وهي نائمة متصبحة ومعه ثمانى لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار، فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها. فقالت له: نومي كانت أحب إلي من هذا اللؤلؤ . قال: وصارمت مصعباً مرة، فطالت له وشق ذلك عليها وعليه، وكانت لمصعب حرب فخرج إليها ثم عاد وقد ظفر، فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها. فقالت: الآن يصلح أن تخرجي إليه. فخرجت فهنأته بالفتح وجعلت تمسح التراب عن وجهه. فقال لها مصعب: إني أشفق عليك من رائحة الحديد. فقالت: هو والله عندي أطيب من ريح المسك الأذفر .

أخبرني ابن يحيى عن حماد عن أبيه عن المسعر قال: كان مصعب من أشد الناس إعجاباً بعائشة بنت طلحة، ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودمائةً وجمالاً وهيئةً ومتانةً وعفةً، وإنها دعت يوماً نسوةً من قريش فلما جئنها أجلستهن في مجلس قد نضد فيه الريحان والفواكه والطيب و الجمر، وخلعت على كل امرأةٍ منهن، خلعةً تامةً من

الوشى والخز ونحوهما، ودعت عزة الميلاء ففعلت بها مثل ذلك وأضعفت، ثم قال لعزة: هاتي يا عزة فغنينا، فغننتهن في شعر امرئ القيس:

وثغر أغر شتيت البنات

لذيذ المقبل والمبتسم

وما ذقته غير ظن به

وبالظن يقضي عليك الحكم

وكان مصعب قريباً منهن ومعه إخوان له، فقام فانتقل حتى دنن منهن والستور مسبلة، فصاح: يا هذه إنا قد ذقناه فوجدناه على ما وصفت، فبارك الله فيك يا عزة! ثم أرسل إلى عائشة: أما أنت فلا سبيل لنا إليك مع من عندك، وأما عزة فتأذنين لها أن تغنينا هذا الصوت ثم تعود إليك، ففعلت. وخرجت عزة إليه فغننته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً. ثم قال لها: يا عزة إنك لتحسنين القول والوصف، وأمرها بالعود إلى مجلسها، وتحدث ساعة مع القوم ثم تفرقوا.

خطبها بشر بن مروان فتزوجت عمر بن عبيد الله:

وقال المدائني، وذكر القحذمي أيضاً في خبره: فلما قتل مصعب عن عائشة خطبها بشر بن مروان، وقدم عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي من الشام فتزل الكوفة، فبلغه أن بشر بن مروان خطبها، فأرسل إليها جارية لها وقال: قولي لابنة عمي يقرؤك السلام ابن عمك ويقول لك أنا خير من هذا المبسور المطحول، وأنا ابن عمك وأحق بك، وإن تزوجت بك ملأت بيتك خيراً، وحرك أيراً. فتزجته فبني لها بالحيرة ومهدت له سبعة أفرشة عرضها أربع أذرع، فأصبح ليلة بني بها عن تسع. قال: فلقيته مولاة لها فقالت: أبا حفص فديتك! قد كملت في كل شيء حتى في هذا.

وقال مصعب في خبره إن بشراً بعث إليها عمر بن عبيد الله بن معمر يخطبها عليه، فقالت له: يا مصارع قلة! أما وجد بشر رسولاً إلى ابنة عمك غيرك! فأين بك عن نفسك؟! قال: أو تفعلين؟ قالت نعم، فتزوجها. وقال مصعب الزبيري في خبره: لما بني بها عمر قال لها: لأقتلنك الليلة، فلم يصنع إلا واحدة. فقالت له لما أصبح: قم يا قتال. قال: وقالت له حينئذ:

قد رأيناك فلم تحل لنا

وبلوناك فلم نرض الخبر

وهذه الحكاية تحامل من مصعب الزبيري وعصبية. والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غير ما حكاه وهو ما سبق.

ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبد الله: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القحذمي أن عمر بن عبيد الله لما قدم الكوفة وتزوج عائشة بنت طلحة، فحمل إليها ألف ألف درهم: خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف هدية، وقال لمولاتها: لك علي ألف دينار إن دخلت بها الليلة. وأمر بالمال فحمل فألقي في الدار وغطي بالثياب. وخرجت عائشة فقالت لمولاتها: أهذا فرش أم ثياب؟ قالت: انظري إليه، فنظرت فإذا مال، فتبسمت. فقالت: أجزاء من حمل هذا أن يبيت عزباً! قالت: لا والله، ولكن لا يجوز دخوله إلا بعد أن

أترين له وأستعد. قالت: فيم ذا! فوجهك والله أحسن من كل زينة، وما تمدين يدك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك. وقد عزمت عليك أن تأذني له. قالت: افعلي. فذهبت إليه فقالت له: بت بنا الليلة. فجاءهم عند العشاء الآخرة، فأدني إليه طعام فأكل الطعام كله حتى أعرى الخوان، وغسل يده، وسأل عن المتوضأ فأخبرته فتوضأ، وقام يصلي حتى ضاق صدره ونمت، ثم قال: أعليكم إذن؟ قلت: نعم، فادخل، فأدخلته وأسبلت الستر عليهما. فعددت له في بقية الليل على قتلها سبع عشرة مرة دخل المتوضأ فيها. فلما أصبحنا وقفت على رأسه فقال: أتقولين شيئاً؟ قلت: نعم! والله ما رأيت، أكلت أكل سبعة، وصليت صلاة سبعة، ونكت نيك سبعة. فضحك وضرب بيده على منكب عائشة، فضحكت وغطت وجهها وقالت:

وبلوناك فلم نرض الخبر

قد رأيناك فلم تحل لنا

ويدل أيضاً على بطلان خبره أنه لما مات ندبته قائمة، ولم تندب أحداً من أزواجها إلا جالسةً فقيل لها في ذلك، فقالت: إنه كان أكرمهم علي وأمسهم رحماً بي، وأردت ألا أتزوج بعده وكانت ندبة المرأة زوجها قائمة مما تفعله من لا تريد أن تتزوج بعد زوجها أخبرني بذلك الحسن بن علي عن أحمد بن زهير بن حرب عن محمد بن سلام. وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب .

ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها: حديث امرأة عنها وقد اختلى بها عمر: قال المدائني في خبره: قالت امرأة: كنت عند عائشة بنت طلحة، فقيل لها: قد جاء الأمير، فتنحيت، ودخل عمر بن عبد الله، وكنت بحيث أسمع كلامهما، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج، فقلت لها: أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا! فقالت: إنا نتشهى هذه الفحول بكل ما حركها وكل ما قدرنا عليه .

طلبت ضربها من مولاة لها أن تراها متجردة ثم ندمت أن رأتها: قال المدائني: وحدثني مسلمة بن محارب قال: قالت رملة بنت عبد الله بن خلف وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر، وقد ولدت منه ابنة طلحة الجود لمولاة عائشة بنت طلحة: أريني عائشة متجردة ولك ألفا درهم. فأخبرت عائشة بذلك. قالت: فإني أتجرد، فأعلميها ولا تعرفيها أني أعلم. فقامت عائشة كأنها تغتسل، وأعلمتها فأشرفت عليها مقبلة ومدبرة، فأعطت رملة مولاتها ألفي درهم، وقالت: لوددت أني أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها. قال: وكانت رملة قد أسنت، وكانت حسنة الجسم قبيحة الوجه عظيمة النفس. وفيها وفي عائشة يقول الشاعر:

وانبذ برملة نبذ الجورب الخلق

انعم بعائش عيشاً غير ذي رنق

ويقال: إن رملة قد أسنت عند عمر بن عبيد الله، فكانت تحتنبه أيام أقرائها ثم تغتسل، تريه أنها تبيض، وذلك بعد انقطاع حيضها. فقال في ذلك بعض الشعراء:

قطرت منك في حماليق عين

جعل الله كل قطرة حيض

أخبرنا بذلك الجوهري عن عمر بن شبة .

أخبار لها مع عمر بن عبيد الله: وذكر هارون بن الزيات عن أبي بكر بن عياش قال: قال عمر بن عبيد الله

لعائشة بنت طلحة وقد أصاب منها طيب نفس: ما مر بي مثل يوم أبي فديك . فقالت له: اعدد أيامك واذكر أفضلها، فعد يوم سجستان ويوم قطري بفارس ونحو ذلك. فقالت عائشة: قد تركت يوماً لم تكن في أيامك أشجع منك فيه. قال: وأي يوم؟ قالت: يوم أرخت عليها وعليك رملة الستر، تريد قبح وجهها . قال: فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثمانين سنين، ثم مات عنها في سنة اثنتين وثمانين، فتأملت بعده، فخطبها جماعة فردقهم، ولم تتزوج بعده أحداً .

قال المدائني: كان عمر بن عبيد الله من أشد الناس غيرةً، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حر شديد وغبار، فقال لها: انفضي التراب عني. فأخذت منديلاً تنفض به عنه التراب، ثم قالت له: ما رأيت الغبار على وجه أحد قط كان أحسن منه على وجه مصعب، قال: فكاد عمر يموت غيظاً .

وقال أحمد بن حماد بن جميل حدثني القحذمي قال: كانت عائشة بنت طلحة من أشد الناس مغايظةً لأزواجها، وكانت تكون لمن يجيء يحدثها في رقيق الثياب، فإذا قالوا: قد جاء الأمير ضمت عليها مطرفها وقطبت. وكانت كثيراً ما تصف لعمر بن عبيد الله مصعباً وجماله، تغيظه بذلك فيكاد يموت .

طلبت من الوليد بن عبد الملك أعواناً حين حجت: وقال المدائني حدثني مسلمة بن محارب وعبيد الله بن فائد، وأخبرنا به حرمي عن الزبير عن عمه ومحمد بن الضحاك، قالوا: دخلت عائشة بنت طلحة على الوليد بن عبد الملك وهو بمكة، فقالت: يا أمير المؤمنين، مر لي بأعوان فضم إليها قوماً يكونون معها، فحجت ومعهما ستون بغلاً عليها الموائد والرحائل. فعرض لها عروة بن الزبير فقال:

عائش يا ذات البغال الستين

أكل عام هكذا تحجين

فأرسلت إليه: نعم يا عرية، فتقدم إن شئت، فكف عنها. ولم تتزوج حتى ماتت .

حجت مع سكينه بنت الحسين وكانت أحسن آلة وثقلاً: وقال غير المدائني: إن عائشة بنت طلحة حجت وسكينه بنت الحسين عليهما السلام معاً، وكانت عائشة أحسن آلة وثقلاً . فقال حاديها:

عائش يا ذات البغال الستين

أكل عام هكذا تحجين

فشق ذلك على سكينه، ونزل حاديها فقال:

عائش هذي ضرة تشكوك

لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فأمرت عائشة حاديها أن يكف فكف .

بهر موكب عاتكة بنت يزيد في الحج: وقال: إسحاق بن إبراهيم في خبره حدثني محمد بن سلام عن يزيد بن عياض قال: استأذنت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحج، فأذن لها وقال: ارفعي حوائجك واستظهري؛ فإن عائشة بنت طلحة تحج، ففعلت فجاءت بهيئته جهدت فيها. فلما كانت بين مكة والمدينة إذا بموكب قد جاء فضغطها وفرق جماعتها. فقالت: أرى عائشة بنت طلحة، فسألت عنها فقالوا: هذه خازنتها. ثم جاء موكب آخر أعظم من ذلك فقالوا: عائشة عائشة، فضغطهم، فسألت عنه، فقالوا: هذه ماشطتها. ثم

جاءت مواكب على هذا إلى سننها . ثم أقبلت كوكبة فيها ثلثمائة راحلة عليها القباب والهوارج. فقالت عاتكة:
ما عند الله خير وأبقى .

وقال هارون بن الزيات حدثني قبيصة عن ابن عائشة عن أمه عن سلامة مولاة جدته أثيلة بنت المغيرة بن عبد الله بن معمر قالت: كان كبير عجيزتها مثار العجب: زرت مع مولاتي خالتها عائشة بنت طلحة وأنا يومئذ وصيفة ، فرأيت عجيزتها من خلفها وهي جالسة كأنها غيرها، فوضعت أصبعي عليها لأعلم ما هي، فلما وجدت مس أصبعي قالت: ما هذا؟ قلت: جعلت فداك! لم أدر ما هو، فجئت لأنظر. فضحكت وقالت: ما أكثر من يعجب مما عجبت منه .

إعجاب أبي هريرة بجمالها: وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عرينة عن أبيه عن جده: أن عائشة نازعت زوجها إلى أبي هريرة، فوقع خمارها عن وجهها، فقال أبو هريرة: سبحان الله! ما أحسن ما غذاك أهلك! لكأنما خرجت من الجنة .

وفدت على هشام فأعجب سامروه بعلمها: قال ابن عائشة وحدثني أبي أن عائشة بنت طلحة وفدت على هشام، فقال لها: ما أوفدك؟ قالت: حبست السماء المطر، ومنع السلطان الحق. قال: فإني أبل رحمك وأعرف حقك، ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال: إن عائشة عندي، فاسمروا عندي الليلة فحضروا، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيامها إلا أفاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا غار إلا سمت. فقال لها هشام: أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم فمن أين لك؟ قالت: أخذتها عن خالتي عائشة. فأمر لها بمائة ألف درهم وردها إلى المدينة .

مر بها النميري الشاعر فاستنشدته وخره معها: أخبرني عمي عن الكراخي عن المغيرة بن محمد المهلب عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثني ابن عمران البزازي قال: لما تأيمت عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة، وبالمدينة سنة، تخرج إلى مال لها بالطائف عظيم وقصر لها فتزده وتجلس فيه بالعشيات، فتناضل بين الرماة. فمر بها النميري الشاعر، فسألت عنه فنسب لها، فقالت: اتنوني به. فقالت له لما أتوها به: أنشدني مما قلت في زينب . فامتنع وقال: ابنة عمي وقد صارت عظاماً بالية. قالت: أقسمت لما فعلت. فأندشها قوله:

نزلن بفخٍ ثم رحن عشيّةً

يلبين للرحمن معتمرات

يخبئن أطراف الأكف من التقى

ويخرجن شطر الليل معجرات

ولما رأت ركب النميري أعرضت

وكن من أن يلقينه حذرات

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت

به زينب في نسوة خفرات

فقلت: والله ما قلت إلا جميلاً، ولا وصفت إلا كرمًا وطيباً وتقياً ودينًا، أعطوه ألف درهم. فلما كانت الجمعة الأخرى تعرض لها، فقلت: علي به فجاء. فقلت: أنشدني من شعرك في زينب. فقال: أو أنشدك من قول الحارث فيك؟ فوثب مواليها، فقلت: دعوه؛ فإنه أراد أن يستقيد لابنة عمه، هات. فأنشدها:

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدوا بلبك مطلع الشوق
وتنوء تنقلها عجيزتها نهض الضعيف ينوء بالوسق
ما صبحت زوجاً بطلعتها إلا غدا بكواكب الطلق
قرشية عقب العبير بها عقب الدهان بجانب الحق
بيضاء من تيم كلفت بها هذا الجنون وليس بالعشق

قالت: والله ما ذكر إلا جميلاً، ذكر أي إذا أصبحت زوجاً بوجهي غدا بكواكب الطلق، وأني غدوت مع أمير تزوجني إلى الشرق. أعطوه ألف درهم واكسوه حلتين، ولا تعد لإتياننا يا غيري .
آخر الحارث بن خالد الصلاة لتتم طوافها: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن أبي خيثمة عن محمد بن سلام: أن عبد الملك ولى الحارث بن خالد على مكة. فأذن المؤذن، وخرج للصلاة، فأرسلت إليه عائشة بنت طلحة: قد بقي من طوافي شيء لم آته، وكان يتعشقها، فأمر المؤذن فكف عن الإقامة، ففرغت من طوافها. وبلغ ذلك عبد الملك فعزله. فقال: ما أهون والله غضبه وعزله إياي علي عند رضاها عني .

كانت معناة بعجيزتها: أخبرني أحمد بن عبد العزيز حدثني عمر بن شبة قال: قال سلم بن قتيبة: رأيت عائشة بنت طلحة بمعنى أو مسجد الخيف، فسألني من أنت؟ قلت: سلم بن قتيبة. فقلت: رحم الله مصعباً! ثم ذهبت تقوم ومعها امرأتان تنهضانهما، فأعجزتهما أليتهما من عظمهما، فقلت: إني بكما لمعناة. فذكرت قول الحارث:

وتنوء تنقلها عجيزتها نهض الضعيف ينوء بالوسق

وروى هذا الخبر بن الزيات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أبو عمرو بن خلاد عن المدائني قال: قال أبو هريرة لعائشة بنت طلحة: ما رأيت شيئاً أحسن منك إلا معاوية أول يوم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: والله لأننا أحسن من النار في الليلة القرة في عين المقرور .

خطبها أبان بن سعيد على يد أخيه فأبت: أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عوانة قال: كتب أبان بن سعيد إلى أخيه يحيى يخطب عليه عائشة بنت طلحة، ففعل. فقلت ليحيى: ما أنزل أخاك أيلة؟ قال: أراد العزلة. قالت: اكتب إلى أخيك:

حللت محل الضب لا أنت ضائر عدواً ولا مستتقع بك نافع

صوت:

صنيعة تقوى أو صديق توامقه

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه

فلم يفتلتك المال إلا حقائقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة

عروضه من الطويل. توامقه: تفاعله من المواقة، أي توده ويودك؛ يقال: ومقته أمقه أي أحببته. ويفتلتك أي يخرجك من يدك وقبضتك. الشعر لكثير. والغناء للمالك بن أبي السمح، إنه للهذلي، خفيف ثقیل أول بالبنصر. سئل ابن عمران الطلحي أن يعاون صيرفياً أفلس فتمثل بييتين لكثير: أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثنا طلحة بن عبد الله قال حدثني أبو معمر عافية بن شيبه قال حدثني العتي قال: أفلس صيرفي بالمدينة، فخرج قوم يسألون له، فمروا بابن عمران الطلحي وقد فتح بابه واجتمع له أصحابه، فسألوه فقرع بمخصرته ثم رفع رأسه إليهم فقال:

صنيعة تقوى أو صديق توامقه

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه

فلم يفتلتك المال إلا حقائقه

بخلت وبعض البخل حزم وقوة

إنا والله ما نحيد عن الحق، ولا نتدفق في الباطل، وإن لنا لحقوقاً تشغل فضول أموالنا، وما كل من أفلس من صيارفة المدينة قدرنا أن نجبره، فوموا. قال: فقمنا نستبق الباب. أن يفرض له فأبى فتمثل الأبرش بييتين لكثير: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو مسلمة المديني قال أخبرني أبي قال: كان رجل من الأنصار من بني حارثة مملقاً ليس في ديوان ولا عطاء، وكان صديقاً لإبراهيم ابن هشام بن إسماعيل. فقال له يوماً: إن أمير المؤمنين مسابق عدداً بين الخيل، وقد أمرت الحرس ألا يعرضوا لك حتى تكلمه. قال: فسبق هشاماً يومئذ ابن له، وكان السبق يشتد عليه. فعرض له النصاري فقال: يا أمير المؤمنين، أنا امرؤ من الأنصار، وقد بلغت هذه السن ولست في ديوان، فإن رأى أمير المؤمنين أن يفرض لي فعل. قال: فأقبل عليه هشام فقال: والله لا أفرض لك حتى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة، ثم أقبل على الأبرش فقال: يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألة. فقال: يا أمير المؤمنين، ابن أبي جمعة يقول:

صنيعة تقوى أو خليل توامقه

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه

فلم يفتلتك المال إلا حقائقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة

من شعر عمرو بن شأس: صوت:

ندمت وبأن اليوم مني بغير ذم

فواندمي على الشباب و وانددم

وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم

وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخ

عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد

فإن كنت مني أو تريدني صحبتي
فكوني له كالسمن ربت له الأدم
وإلا فبيني مثل ما بان راكب
تيمم خمساً ليس في ورده يتم
فإن عراراً إن يكن ذا شكيمة
تعافيتها منه فما أملك الشيم
وإن عراراً إن يكن غير واضح
فإنني أحب الجون ذا المكنب العمم
وإنني لعطي غنثا وسمينها
وأسري إذا ما الليل ذو الظلم ادلهم
حذاراً على ما كان قدم والدي
إذا روحته محرّجف تطرد الصرم

عروضه من الطويل. الشعر لعمر بن شأس الأسدي. والغناء في الأول والثاني من الأبيات لمعبد. ثاني ثقليل
بالسبابة في مجرى الوسطى، عن إسحاق. وذكر عمرو أن فيهما لملك خفيف رمل بالنصر. وفي الثامن والتاسع
لابن جامع هزج بالوسطى عن الهشامي وعلي بن يحيى، وفيهما لإبراهيم ماحوري بالنصر من نسخة عمرو
الثانية، ولابن سريج ثاني ثقليل بالنصر عن حبش، وفيهما رمل مجهول وقيل: إنه لسليم. الشامخ: الذي يشمخ
بأنفه زهواً وكبراً. وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه. و الشيمة: الطبيعة. ربت له: يعني للسمن فلا
تفسده. والأدم جمع واحدها أديم وجمعها أدم، كما يقال أفيق وأفق. واليتم: الغفلة والضيعة؛ واليتم مأخوذ من
هذا. واليتم من البهائم: ما اختلج عن أمه. والعرب تقول: لا تخلج الفصيل عن أمه، فإن الذئب عالم بمكان
الفصيل اليتيم. ويقال: فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان؛ ومنه شكيمة اللجام، وجمعها
شكائم. قال عوف القوافي:

أقول لفتيان كرام تروحوا
على الجرد في أفواه الشكائم

والواضح: الأبيض. والجون: الأسود والأبيض أيضاً، وهو من الأضداد. والعمم: الطويل؛ يقال رجل عمم،
وامرأة عمم، ورجل عميم، وامرأة عميمة، ونخل عميم، ونبت عميم. والسرى: السير ليلاً. وادلهم: اشتد سواده.
والحرّجف: الريح الشديدة الباردة. والصرم: جمع صرمة وهي القطعة من الإبل. يعني أن هذه الريح إذا هبت
طرد الرعاء الإبل مراحها وأعطائها فتسكنها فيها.

نسب عمرو بن شأس وأخباره

في هذا الشعر وغيره:

نسب عمرو بن شأس: هو عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة بن ذؤيبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن
دودان بن أسد بن خزيمة. وهذا الشعر يقوله في امرأته أم حسان وابنه عرار بن عمرو، وكانت تؤذيه وتعيره
بسواده.

كانت امرأته تؤذي عراراً وتشتمه ويشتمها، فقال هو شعراً يخاطبها به: وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال

حدثنا محمد بن الحسن الأحول قال قال ابن الأعرابي: كانت امرأة عمرو بن شأس من رهطه، ويقال لها أم حسان، واسمها حية بنت الحارث بن سعد، وكان له ابن يقال له عرار من أمة له سوداء وكانت تعيره وتؤذي عراراً وتشتمه ويشتمها. فلما أعيت عمراً قال فيها:

ديار ابنة السعدي هيه تكلمي	بدافقة الحومان فالسفح من رمم
لعمر ابنة السعدي إني لأتقي	خلائق تؤبى في الثراء وفي العدم
وقفت بها ولم أكن قبل أرتجي	إذا الحبل من إحدى حباثي انصرم
وإني لمزرت بالمطي تنقلي	عليه وإيقاعي المهند بالعصم
وإني لأعطي غثها وسمينها	وأسرى إذا ما الليل ذو الظلم ادلهم
إذا الثلج أضحى في الديار كأنه	مناثر ملح في السهول وفي الأكم
حذاراً على ما كان قدم والدي	إذا روجتهم حرجف تطرد الصرم
وأترك ندماني يجر ثيابه	وأوصاله من غير جرح ولا سقم
ولكنها من رية بعد رية	معتقة صهباء راووقها رزم
من العانيات من مدام كأنها	مذابح غزلان يطيب بها الشمم
وإذ أخوتي حولي وإذ أنا شامخ	وإذ لا أجيب العاذلات من الصمم
ألم يأتها أني صحوت وأنني	تحالمت حتى ما أعارم من عرم
وأطرقت إطراق الشجاع ولو يرى	مساغاً لنابيه الشجاع لقد أزم
وقد علمت سعد بأنني عميدها	قديماً وأنني لست أهضم من هضم

يقول: لا أظلم أحداً من قومي وأهضمه فيطلبني بمثل ذلك، أي أرفع نفسي عن هذا

خزيمة رداني الفعال ومعشر	قديماً بنوا لي سورة المجد والكرم
إذا ما وردنا الماء كانت حماته	بنو أسد يوماً على رغم من رغم
أرادت عراراً بالهوان ومن يرد	عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

لما يئس من الصلح بين امرأته وابنه طلقها ثم ندم وقال شعراً: وذكر باقي الأبيات. قال ابن الأعرابي وأبو بكر الشيباني: فجهد عمرو بن شأس أن يصلح بين ابنه وامرأته أم حسان فلم يمكنه ذلك، وجعل الشر يزيد بينهما. فلما رأى ذلك طلقها، ثم ندم ولام نفسه؛ فقال في ذلك:

تذكر ذكرى أم حسان فاقشعر	على دبر لما تبين ما انتمر
--------------------------	---------------------------

فكدت أدوق الموت لو أن عاشقاً
أمر بموساه الشوارب فانتحر
تذكرتها وهناً وقد حال دونها
رعان وقيعان بها الدهر الزهر والشجر
فكنت كذاب البو لما تذكرت
لها ربعاً حنت لمعهده سحر
حفاظاً ولم تنزع هراي أثيمة
كذلك شأو المرء يخلجه القدر

قال ابن الأعرابي: الأثيمة الفعيلة من الإثم، وهي مرفوعة بفعلها، كأنه قال: لم تنزع الأثيمة هواي. تخلصه: تصرفه. شأوه: همه ونيته. قال وقال فيها أيضاً:

ألم تعلمي يا أم حسان أنني
إذا عبرة نهنتها فتخلت

رجعت إلى صدر كجرة حنتم
إذا قرعت صفراً من الماء صلت

خبر ابنه عرار مع عبد الملك حين جاءه رسولاً من قبل الحجاج: أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة عن إسحاق بن محمد بن سلام، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال ابن سلام: لما قتل الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بعث برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس الأسدي، فلما ورد به وأوصل كتاب الحجاج، جعل عبد الملك يعجب من بيانه وفصاحته مع سواده، فقال متمثلاً:

وإن عمراراً إن يكن غير واضح
فإنني أحب الجون ذا المنكب العمم

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك؛ فقال له: مم ضحكت ويحك قال: أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر؟! قال لا. قال: أنا والله هو. فضحك عبد الملك ثم قال: حظ وافق كلمة، وأحسن جائزته وسرحه.

قال شعراً في قتل ملك من غسان يقال له عدي: وقال الطوسي: أغار ملك من ملوك غسان يقال له عدي وهو ابن أخت الحارث بن أبي شمر الغساني علي بن أسد، فلقيته بنو سعد بن ثعلبة بن دودان بالفرات ورئيسهم ربيعة بن حذار، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتلت بنو سعد عدياً، اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حذار أخوا ربيعة، وأمهما امرأة من كنانة يقال لها تماضر إحدى بني فراس بن غنم وهي التي يقال لها مقيدة الحمار. فقالت فاخنة بنت عدي:

لعمرك ما خشيت على عدي
رماح بني مقيدة الحمار

ولكني خشيت على عدي
رماح الجن أو إياك حار

تعني الحارث بن أبي شمر حاله

قتيل ما قتيل ابني حذار
بعيد الهم طلاع النجار

ويروى: جواب الصحارى. فقال عمرو بن شأس في ذلك: صوت:

متى تعرف العينان أطلال دمنة
للىلى بأعلى ذي معارك تدمعا
على النحر والسربال حتى تبلة
سجوم ولم تجزع على الدار مجزعا
خليلي عوجا اليوم نقض لبانة
وإلا تعوجا اليوم لا ننطلق معا
وإن تنظراني اليوم أتبعكما غداً
قياد الجنيب أو أذل وأطوعا

وهي قصيدة. غنى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلاً أول بالوسطى عن الهشامي. والدمنة في هذا الموضع: آثار الناس وما سودوا، وهي في غير هذا الموضع الحقد؛ يقال: في صدره علي إحنة، وتره، وضب، وحسيكة، ودمنة. وعوجا: احبسا وتلبثا، عاج يعوج عياجاً. وما أعيج بكلامك أي ما ألفت إليه. واللبانة: الحاجة؛ يقال: لي في كذا لبانة ولبونة ولماسة، ووطر، وحوجاء ممدودة. وقوله: لا ننطلق معاً، يقول إن لم تقف تأخرت عنكما ففرقنا. وتنظراني تنظراني؛ يقال نظرته أنظره، وأنظرته أنظره إنظاراً ونظرة أيضاً إذا أخرته؛ قال الله عز وجل: "فنظرة إلى ميسرة". والجنيب: الجنوب من فرس وغيره، والجنيب أيضاً الذي يشتكي رثته من شدة العطش. خطب بنت رجل كان مجاوراً له فلما أحس منه امتناعاً أراد أن يصيبها سبية ثم تدمم وقال شعراً: وقال الطوسي قال الأصمعي: جاور رجل من بني عامر بن صعصعة عمرو بن شأس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم، فخطبها عمرو إلى أبيها. فقال أبوها: أما دمت جاراً لكم فلا، لأنني أكره أن يقول الناس غصبه أمره، ولكن إذا أتيت قومي فاطخطبها إلي أزوجكها. فوجد عمرو من ذلك في نفسه واعتقد ألا يتزوجها أبداً إلا أن يصيبها مسبية. فلما ارتحل أبوها همّ عمرو بغزو قومها، فسار في أثر أبيها. فلما وقعت عينيه عليه وظفر به استحيا من جواره وما كان بينهما من العهد والميثاق، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجت رأسها من الهودج تنظر إليه. فلما رآها رجع مستحيماً متذمماً منها. وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير؛ فقال في ذلك: صوت:

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا
كفى لمطايانا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيس خفة أذرع
وإن كن حسرى أن تكوني أماميا
ولولا اتقاء الله والعهد قد رأى
منيته مني أبوك اللياليا
ونحن بنو خير السباع أكيلة
وأحربه إذا تنفس عاديا
بنو أسد وزد يشق بنابه
عظام الرجال لا يجيب الرواقيا

متى تدع قيساً أدع خندف إنهم
إذا ما دعوا أسمعت ثم الدواعيا
لنا حاضر لم يحضر الناس مثله
وبادٍ إذا عدوا علينا البواديا

الغناء لإسحاق الموصلي ثاني ثقيل في الأول والثاني من الأبيات، وفيه لحن قديم .

سئل ابن سيرين فأنشد بيتين في شعره دلالة على جوازه: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مبرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا الحزامي قال حدثنا معن بن عيسى عن رجل عن سويد بن أبي رهم قال: قلت لابن سيرين: ما تقول في الشعر؟ قال: هو كلام، حسنه حسن، وقبيحه قبيح،. قلت: فما تقول في النسب؟ قال: لعلك تريد مثل قول الشاعر:

إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا كفى لمطايانا بوجهك هاديا

أليس يزيد العيس خفة أذرع وإن كن حسرى أن تكوني أماميا

قال: وأراد بإنشاده إياهما أنك قد رأيتني أحفظ هذا الجنس وأرويه وأنشدتك إياه، فلو كان به بأس ما أنشدته . صوت:

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

فتى كان أحيا من فتاة حبيبة وأشجع من ليث بخفان خادر

عروضه من الطويل. البواء بالباء: التكافؤ؛ يقال ما فلان لفلان ببواء، أي ما هو له بكفاء أن يقتل به. وما في قولها فتى ما قتلتم صلة. وآل عوف نداء. وخفان: موضع مشهور. وخادر: مقيم في مكمنه وغيله، وهو مأخوذ من الخدر .

الشعر لليلى الأخيلية ترثي توبة بن الحمير. والغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، رمل بإطلاق الوتر في مجرى البصر. وفيه لإبراهيم ثقیل بالوسطى عن حبش. وفي هذه القصيدة عدة أغانٍ تذكر مع سائر ما قاله توبة في ليلى وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر في مقتله إن شاء الله تعالى .

ذكر ليلى وخبر توبة بن الحمير معها

وخبر مقتله:

نسب ليلى الأخيلية: هي ليلى بنت عبد الله بن الرحال وقيل ابن الرحالة بن شداد بن كعب بن معاوية، وهو الأخيل وهو فارسها المزارع، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وهي من النساء المتقدمات في الشعر من شعراء الإسلام .

كان توبة بن الحمير يهواها ونسبه: وكان توبة بن الحمير يهواها. وهو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل .

جاءها توبة يوماً فسفرت له لتحذره: أخبرني ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهري ومحمد بن حبيب بن نصر المهلب قالوا حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثنا محمد بن علي أبو المغيرة قال حدثنا أبي عن أبي

عبيدة قال حدثني أنيس بن عمرو العامري قال: كان توبة بن الحمير أحد بني الأسدية، وهي عامرة بنت والبة بن الحارث، وكان يتعشق ليلي بنت عبد الله بن الرحالة ويقول فيها الشعر، فخطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه إياها وزوجها في بني الأدلع. فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها، فإذا هي سافرة ولم ير منها إليه إلا بشاشة، فعلم أن ذلك لأمر ما كان، فرجع إلى راحلته فركبها ومضى، وبلغ بني الأدلع أنه أتاهم فتبعوه ففأثمهم. فقال توبة في ذلك:

نأتك بليلي دارها ولا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها

وهي طويلة، يقول فيها:

وكننت إذا ما جئت ليلي تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال: كان توبة بن الحمير إذا أتى ليلي الأخيلى خرجت إليه في برقع. فلما شهر أمره شكوه إلى السلطان، فأباحهم دمه إن أتاهم. فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقيها فيه. فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد، وأنها أسفرت لذلك تحذره، فركض فرسه ففجأ. وذلك قوله:

وكننت إذا ما جئت ليلي تبرقعت فقد رابني منها الغداة سفورها

قال أبو عبيدة وحدثني غير أنيس أنه كان يكثر زيارتها، فعاتبه أخوها وقومها فلم يعتب، وشكوه إلى قومه فلم يقلع، فتظلموا منه إلى السلطان فأهدر دمه إلى أن أتاهم. وعلمت ليلي بذلك، وجاءها زوجها وكان غيوراً فحلف لئن لم تعلمه بمجيئه ليقتلنها، ولئن أنذرت به بذلك ليقتلنها. قالت ليلي: وكننت أعرف الوجه الذي يجيئني منه، فرصدوه بموضع ورصدته بآخر، فلما أقبل لم أقدر على كلامه لليمين، فسفرت وألقيت البرقع عن رأسي. فلما رأى ذلك أنكره فركب راحلته ومضى ففأثمهم.

عرفها رجل من بني كلاب وخبره معها ومع زوجها: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال حدثني أبو زياد الكلابي قال: خرج رجل من بني كلاب ثم من بني الصحمة يتغني إبلاً له حتى أوحش وأرمل، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بوادٍ، فأقبل حيث يتزل الضيف، فأبصر امرأة وصبياناً يدورون بالخباء فلم يكلمه أحد. فلما كان بعد هدأة من الليل سمع جرجرة إبلاً رائحة، وسمع فيها صوت رجل حتى جاء بها فأناخها على البيت، ثم تقدم فسمع الرجل يناجي المرأة ويقول: ما هذا السواد حذاءك؟ قالت: راكب أناخ بنا حين غابت الشمس ولم أكلمه. فقال لها: كذبت، ما هو إلا بعض خلانك، ونهض فضر بها وهي تناشده، قال الرجل: فسمعتة يقول: والله لا أترك ضربك حتى ياتي ضيفك هذا فيغيثك. فلما عيل صبرها قالت: يا صاحب البعير يا رجل! وأخذ الصحامي هرواته ثم أقبل يحضر حتى أتاه وهو يضرها، فضره ثلاث ضربات أو أربعاً، ثم أدركته المرأة فقالت: يا عبد الله، ما لك ولنا! نح عنا نفسك، فانصرف فجلس على راحلته وأدلى ليلته كلها وقد ظن أنه قتل الرجل وهو لا يدري من الحي بعد، حتى أصبح في أخبية

من الناس، ورأى غنماً فيها أمة مولدة، فسألها عن أشياء حتى بلغ به الذكر ، فقال: أخبريني عن أناس وجدتهم بشعب كذا . فضحكت وقالت: إنك لتسألني عن شيء وأنت به عالم. فقال: وما ذاك لله بلادك؟ فوالله ما أنا به عالم. قالت: ذاك خباء ليلي الأخيلية، وهي أحسن الناس وجهاً، وزوجها رجل غيور فهو يعزب بها عن الناس فلا يحل بها معهم، والله ما يقربها أحد ولا يضيفها، فكيف نزلت أنت بها؟ قال: إنما مررت فنظرت إلى الخباء ولم أقربه، وكتمتها الأمر. وتحدثت الناس عن رجل نزل بها فضر بها زوجها فضربه الرجل ولم يدر من هو. فلما أخبر باسم المرأة وأقر على نفسه تغني بشعر دل فيه على نفسه وقال:

ألا يا ليل أخت بني عقيل
دعنتي دعوة فحجزت عنها
أنا الصحامي إن لم تعرفيني
بصكات رفعت بها يميني
فإن تك غيرة أبرئك منها
وإن تك قد جننت فذا جنوني

سألها الحجاج هل كان بينها وبين توبة ريبة وجواها له: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا رشد بن خنتم الهلالي قال حدثني أيوب بن عمرو عن رجل يقال له ورقاء قال: سمعت الحجاج يقول لليلي الأخيلية: إن شبابك قد ذهب، واضمحل أمرك وأمر توبة؛ فأقسم عليك إلا صدقتني، هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك قط؟ فقالت: لا والله أيها الأمير إلا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر، فقلت له:

وذي حاجة قلنا له لا تبج بها
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه
فليس إليها ما حبيت سبيل
وأنت لأخرى فارغ وحليل

فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا الموت. قال لها الحجاج: فما كان منه بعد ذلك؟ قالت: وجه صاحباً له إلى حاضرنا فقال: إذا أتيت الحاضر من بني عبادة بن عقيل فاعل شرفاً ثم اهتف بهذا البيت:

عفا الله عنها هل أبينتن ليلة
من الدهر لا يسري إلي خيالها

فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقلت له:

وعنه عفا ربي وأحسن حفظه
عزيز علينا حاجة لا ينالها

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء، وهو أجمع في قصيدة توبة .

نأتك بليلي دارها لا تزورها

صوت:

حمامة بطن الواديين ترنمي
سقاك من الغر الغواذي مطيرها

أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً
ولا زلت في خضراء دانٍ بريرها

وأشرف بالقوز اليفاع لعلي

أرى نار ليلي أو يراني بصيرها

وكننت إذا ما جئت ليلي تبرقت

فقد رابني منها الغداة سفورها

علي دماء البدن إن كان بعلها

يرى لي ذنباً غير أنني أزورها

وأنني إذا ما زرتها قلت يا اسلمي

وما كان في قلبي اسلمي ما يضيرها

وغيرني إن كنت لما تغيري

هواجر تكتنيتها وأسيرها

وأدماء من سر المهاري كأنها

مهاة صوارٍ غير ما مس كورها

قطعت بها أجواز كل تنوفةٍ

مخوفٍ رداها كلما استن مورها

ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم

دعاميص ماءٍ نش عنها غدورها

غنى في الأربعة الأبيات فليح بن أبي العوراء ثاني ثقل بالبنصر عن عمرو. وغنى في الثالث والرابع ابن سريح رملاً بالوسطى عن الهشامي وعلي بن يحيى المنجم، وذكر غيرهما أنه لحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيح. وغنى فيها الهذلي ثقيلاً أول بالبنصر عن حبش. وغنى ابن محرز في، علي دماء البدن، والذي بعده خفيف رمل بالبنصر عن عمرو. وعن ابن مسجح في:

وغيرني إن كنت لما تغيري

وما بعده لحن ذكر أن عبد الله بن جعفر رواه الأبيات وأمره أن يغني بها، أخبرني بذلك إسماعيل بن يونس الشيعي عن عمرو بن شبة عن إسحاق الموصلي عن ابن الكلبي في خبرٍ قد ذكرته في أخبار ابن مسجح، وذكر الهشامي أن اللحن ثقل أول بالوسطى. رأي الأصمعي فيما تضمنه شعر لتوبة: حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدثنا من أنشد الأصمعي:

علي دماء البدن إن كان زوجها

يرى لي ذنباً غير أنني أزورها

وأنني إذا ما زرتها قلت يا اسلمي

فهل كان من قلبي اسلمي ما يضيرها

فقال الأصمعي: شكوى مظلوم، وفعل ظالم.

مقتل توبة وسببه وكيف كان: أخبرني بالسبب في مقتل توبة محمد بن الحسن بن دريد إجازةً عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة، والحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن علي ابن المغيرة عن أبيه عن أبي عبيدة، وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي، ورواية أبي عبيدة أتم واللفظ له. قال أبو عبيدة:

كان الذي هاج مقتل توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة أنه كان بينه وبين بني عامر بن عوف بن عقيل لحاء ، ثم إن توبة شهد بني خفاجة وبني عوف وهم يختصمون عند همام بن مطرف العقيلي في بعض أمورهم. قال: وكان مروان بن الحكم يومئذ أميراً على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، فاستعمله على صدقات بني عامر. قال: فوثب ثور بن أبي سمعان بن كعب بن عامر بن عوف بن عقيل على توبة بن الحمير فضربه بجرزٍ وعلى توبة الدرع والبيضة، فجرح أنف البيضة وجه توبة. فأمر همام بثور بن أبي سمعان فأقعد بين يدي توبة، فقال: خذ بحقك يا توبة. فقال له توبة: ما كان هذا إلا عن أمرك، وما كان لي جترئ علي عند غيرك. وأم همام صوبانة بنت جون بن عامر بن عوف بن عقيل فاتهمه توبة لذلك، فانصرف ولم يقتص منه. فمكثوا غير كثير، وإن توبة بلغه أن ثور بن أبي سمعان خرج في نفرٍ من رهطه إلى ماء من مياه قومه يقال له قوباء يريدون ما لهم بموضع يقال له جرير بتثليث قال: وبينهما فلاة فاتبعه توبة في ناس من أصحابه، فسأل عنه وبحث حتى ذكر له أنه عند رجلٍ من بني عامر بن عقيل يقال له سارية بن عمير بن أبي عدي وكان صديقاً لتوبة. فقال توبة: والله لا نطرقهم عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنه. فأرادوا أن يخرجوا حين يصبحون. فقال لهم سارية. ادرعوا الليل؛ فإني لا آمن توبة عليكم الليلة فإنه لا ينام عن طلبكم. قال: فلما تعشوا ادرعوا الليل في الفلاة. وأقعد له توبة رجلين فغفل صاحباً توبة. فلما ذهب الليل فزع توبة وقال: لقد اغتررت إلى رجلين ما صنعا شيئاً، وإني لأعلم أنهم لم يصبحوا بهذه البلاد، فاقصص آثارهم، فإذا بآثر القوم قد خرجوا، فبعث إلى صاحبيه فأتياه، فقال: دونكما هذا الجمل فأوقراه من الماء في مزادتيه ثم اتبعا أثرى، فإن خفي عليكما أن تدركاني فإني سأنور لكما إن أمسيتما دوني. وخرج توبة في أثر القوم مسرعاً، حتى إذ انتصف النهار جاوز علماً يقال له أفيح في الغائط. فقال لأصحابه: هل ترون سمراً إلى جنب قرون بقر؟ وقرون بقر مكان هنالك فإن ذلك مقييل القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظل. فنظروا فقال قائل: أرى رجلاً يقود بعيراً كأنه يقوده لصيد. قال توبة: ذلك ابن الحبترية، وذلك من أرمى من رمى. فمن له يختلجه دون القوم فلا يندرون بنا؟ قال: فقال عبد الله أخو توبة: أنا له. قال: فاحذر لا يضربنك، وإن استطعت أن تحول بينه وبين أصحابه فافعل. فخلى طريق فرسه في غمضٍ من الأرض، ثم دنا منه فحمل عليه، فرماه لابن الحبترية قال: وبنو الحبتر ناس من مذحج في بني عقيل فعقر فرس عبد الله أخي توبة واختل السهم ساق عبد الله، فأنحاز الرجل حتى أتى أصحابه فأنذروهم، فجمعوا ركاهم وكانت متفرقة. قال: وغشيه توبة ومن معه، فلما رأوا ذلك صفوا رحالهم وجعلوا السمرات في نحورهم وأخذوا سلاحهم ودرقهم، وزحف إليهم توبة، فارتقى القوم لا يغني أحداً منهم شيئاً في أحد. ثم إن توبة وكان يترس له أخوه عبد الله، قال: يا أخي لا تترس لي؛ فإني رأيت ثوراً كثيراً ما يرفع الترس، عسى أن أوافق منه عند رفعه مرمى فأرميه. قال: ففعل، فرماه توبة على حلمة ثديه فصرعه. وجال القوم فغشيه توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صرعى وهم سبعة نفر. ثم إن ثوراً قال انتزعوا هذا السهم عني. قال توبة: ما وضعناه لنتزعه. فقال أصحاب توبة: انج بنا نأخذ آثارنا ونلحق راويتنا، فقد

أخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد متنا عطشاً . قال توبة: كيف هؤلاء القوم الذي لا يمنعون ولا يمتنعون !. فقالوا: أبعدهم الله. قال توبة: ما أنا بفاعل وما هم إلا عشيرتكم، ولكن تحيء الراوية فأضع لهم ماءً وأغسل عنهم دماءهم وأخيل عليهم من السباع والطير لا تأكلهم حتى أؤذن قومهم بهم بعمق . فأقام توبة حتى أثنى الراوية قبل الليل، فسقاهم من الماء وغسل عنهم الدماء، وجعل في أساقبيهم ماءً، ثم خيل لهم بالثياب على الشجر، ثم مضى حتى طرق من الليل سارية بن عويمر بن أبي عدي العقيلي فقال: إنا قد تركنا رهطاً من قومكم بسمرات من قرون بقر، فأدركوهم، فمن كان حياً فداووه، ومن كان ميتاً فادفنه، ثم انصرف فلحق بقومه. وصبح سارية القوم فاحتملهم وقد مات ثور بن أبي سمعان ولم يمت غيره. فلم يزل توبة خائفاً. وكان السليل بن ثور المقتول رامياً كثير البغي والشر، فأخبر بغرة من توبة وهو بقنة من قنان الشرف يقال لها قنة بني الحمير، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقه؛ فترقى توبة ورجل من إخوته في الجبل، فأحاطوا بالبيوت، فناداهم وهو في الجبل: هأنذا من تبغون فاحتبنوا البيوت. فقالوا: إنكم لن تستطيعوه وهو في الجبل، ولكن خذوا ما استدف لكم من ماله، فأخذوا أفراساً له ولإخوته وانصرفوا. ثم إن توبة غزاها، فمر على أفلت بن حزن بن معاوية بن خفاجة بطن بيشة . فقال: يا توبة أين تريد؟ قال: أريد الصبيان من بني عوف بن عقيل. قال: لا تفعل فإن القوم قاتلوك، فمهلاً. قال: لا أقلع عنهم ما عشت، ثم ضرب بطن فرسه فاستمر به يحضر وهو يرتجز ويقول:

تتجو بهم من خلل الأمشاط

تتجو إذا قيل لها يعاط

حتى انتهى إلى مكان، يقال له حجر الراشدة، ظليل، أسفله كالعمود، وأعلاه منتشر، فاستظل فيه هو وأصحابه. حتى إذا كان بالهاجرة مرت عليه إبل هبيرة بن السمين أخي بني عوف بن عقيل واردة ماءً لهم يقال له طلوب، فأخذها وخلقى طريق راعيها، وقال له: إذا أتيت صدغ البقرة مولاك فأخبره أن توبة أخذ الإبل، ثم انصرف توبة يطرد الإبل . قال: فلما ورد العبد على مولاه فأخبره نادى في بني عوف وقال: حتام هذا! فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتبعوه. ونهضت امرأة من بني خثعم من بني الهرة كانت في بني عوف وكانت تؤخذ لهم، فقالت: أروني أثره، فخرجوا بها فأروها أثره، فأخذت من ترابه فسافته فقالت: اطلبوه فإنه سيحبس عليكم. فطلبوه فسبقهم، فتلاوموا بينهم وقالوا: ما نرى له أثراً، وما نراه إلا وقد سبقكم. قال: وخرج توبة حتى إذا كان بالمضجع من أرض بني كلاب جعل نذارته وحبس أصحابه. حتى إذا كان بشعب من هضبة يقال لها هند من كبد المضجع جعل ابن عم له يقال له قابض بن عبد الله ربيبةً له على رأس الهضبة فقال: انظر فإن شخص لك شيء فأعلمنا. فقال عبد الله بن الحمير: يا توبة إنك حائن، أذكرك الله، فوالله ما رأيت يوماً أشبه بسمرات بني عوف يوم أدركناهم في ساعتهم التي أتيناها فيها منه، فانح إن كان بك نجاة. قال: دعني، فقد جعلت ربيبةً ينظر لنا. قال: ويرجع بنو عوف بن عقيل حين لم يجدوا أثر توبة فيلقون رجلاً من غني، فقالوا له: هل أحسست في مجيئك أثر خيل أو أثر إبل؟ قال: لا والله. قالوا: كذبت وضر به. فقال: يا قوم لا تضربوني؛ فإني لم أجد أثراً،

ولقد رأيت زهاء كذا وكذا إبلاً شخوصاً في هاتيك الهضبة، وما أدري ما هو. فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيد بن روية لينظر حتى ما في الهضبة. فأشرف على القوم، فلما رآهم ألقى بثوبه لأصحابه حتى جاءوا، فحمل أولهم على القوم حتى غشي توبة، وفزع توبة وأخوه إلى خيلهما، فقام توبة إلى فرسه فغلبته لا يقدر على أن يلجمها ولا وقفت له، فخلى طريقها، وغشيه الرجل فاعتنقه، فصرعه توبة وهو مدهوش وقد لبس الدرع على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن روية فاتقاه بيده فقطع منها، وجعل يزيد يناشده رحم صفية، وصفية أم له من بني خفاجة. وغشي القوم توبة من ورائه فضربوه فقتلوه، وعلقهم عبد الله بن الحمير يطعنهم بالرمح حتى انكسر. قال: فلما فرغوا من توبة لووا على عبد الله بن الحمير فضربوا رجله فقطعوها. فلما وقع بالأرض أشرع سيفه وحده ثم جثا على ركبتيه وجعل يقول: هلموا، ولم يشعر القوم بما أصابه. وانصرف بنو عوف بن عقيل، وولى قابض منهزماً حتى لحق بعبد العزيز بن زرارة الكلابي فأخبره الخبر. قال: فركب عبد العزيز حتى أتى توبة فدفعه وضم أخاه. ثم ترفع القوم إلى مروان ابن الحكم، فكافأ بين الدمين وحملت الجراحات. ونزل بنو عوف بن عقيل البادية ولحقوا بالجزيرة والشام. رواية لأبي عبيدة في مقتله وسببه:

قال أبو عبيدة: وقد كان توبة أيضاً يغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قضاة وحثم ومهرة وبني الحارث بن كعب. وكانت بينهم وبين بني عقيل مغاورات، فكان توبة إذا أراد الغارة عليهم حمل الماء معه في الروايا ثم دفنه في بعض المغارة على مسيرة يومٍ منها، فيصيب ما قدر عليه من إبلهم فيدخلها المغارة فيطلبه القوم، فإن دخل المغارة أعجزهم فلم يقدروا عليه فانصرفوا عنه. قال: فمكث كذلك حيناً. ثم إنه أغار في المرة الأولى التي قتل فيها هو وأخوه عبد الله بن الحمير ورجل يقال له قابض بن أبي عقيل، فوجد القوم قد حذروا فانصرف توبة مخفياً لم يصب شيئاً. فمر برجل من بني عوف بن عامر بن عقيل متنجساً عن قومه، فقتله توبة وقتل رجلاً كان معه من رهطه واطرد إبلهما، ثم خرج عامداً يريد عبد العزيز بن زرارة بن جزء بن سفيان بن عوف بن كلاب، وخرج ابن عم لثور بن أبي سمعان المقتول، فقال له خزيمة: صر إلى بني عوف بن عامر بن عقيل فأخبرهم الخبر. فركبوا في طلب توبة فأدركوه في أرض بني خفاجة، وقد أمن في نفسه فتزل، وقد كان أسرى يومه وليلته، فاستظل ببرديه وألقى عنه درعه وخلى عن فرسه الخوصاء تتردد قريباً منه، وجعل قابضاً ربيته له ونام، فأقبل بنو عوف بن عامر متقاطرين لثلاً يفتن لهم أحد، فنظر قابض فأبصر رجلاً منهم إلى توبة فأنبهه. فقال توبة: ما رأيت؟ قال: رأيت شخص رجل واحد، فنام ولم يكثر له، وعاد قابض إلى مكانه فغلبته عيناه فنام. قال: فأقبل القوم على تلك الحال فلم يشعر بهم قابض حتى غشوه، فلما رآهم طار على فرسه. وأقبل القوم إلى توبة، وكان أول من تقدم غلام أمرد على فرس عري يقال له يزيد بن روية ابن سالم بن كعب بن عوف بن عامر بن عقيل؛ ثم تلاه ابن عمه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا. فلما سمع توبة وقع الخيل نخس وهو وسان فلبس درعه على سيفه ثم صوت بفرسه الخوصاء فأنته، فلما أراد أن يركبها أهوت ترحمه، ثلاث مرات، فلما رأى ذلك لطم وجهها

فأدبرت، وحال القوم بينه وبينها. فأخذ رحمه وشد على يزيد بن روية فطعنه فأنفذ فحذيه جميعاً . وشد على توبة ابن عم الغلام عبد الله بن سالم فطعنه فقتله، وقطعوا رجل عبد الله. فلما رجع عبد الله بعد ذلك إلى قومه لاموه وقالوا له: فررت عن أخيك، فقال عبد الله بن الحمير في ذلك . قال أبو عبيدة وحدثني أيضاً مزرع بن عبد الله بن همام بن مطرف بن الأعم قال: كان أهل دارٍ من بني جشم بن بكر بن هوازن يقال لهم بنو الشريد حلفاء لبني عداد بن خفاجة في الإسلام، فكان بينهم وبين خميس بن ربيعة رهط قومه قتال على ماءٍ تدعى الحليفة وعامتها لجد بن همام. قال وشهد عبد الله بن الحمير ذلك وهو أعرج، عرج يوم قتل توبة فلم يغن كثير غناء. فقالت بنو عقيل: لو توبة تلقاهم لبلوا منه بغير أفوق ناصل . فقال عبد الله بن الحمير يعتذر إليهم: قصيدة لعبد الله بن الحمير يعتذر فيها إلى قومه بعد قتل أخيه:

تأوبني بعارمة الهموم	كما يعتاد ذا الدين الغريم
كأن الهم ليس يريد غيري	ولو أمسى له نبط وروم
علام تقوم عاذلتي تلوم	تؤرقني وما إنجاب الصريم
فقلت لها رويداً كي تجلى	غواشي النوم والليل البهيم
ألما تعلمي أنني قديماً	إذا ما شئت أعصي من يلوم
وأن المرء لا يدري إذا ما	يهم علام تحمله الهموم
وقد تعدي على الحاجات حرف	كركن الرعن ذعلبة عقيم
مداخلة الفقار وذات لوثٍ	على الحزان مقحمة غشوم
كأن الرجل منها فوق جأبٍ	بذات الحاذ معقله الصريم
طباه برجلة البقار برق	فبات الليل منتصباً يشيم
فبيننا ذاك إذ هبطت عليه	دلوح المزن واهية هزيم
تهب لها الشمال فتمترى	ويعقبها بنافحة نسيم
يكب إذا الرذاذ جرى عليه	كما يصغي إلى الآسي الأميم
إذا ما قال أقشع جانباه	نشئت من كل ناحية غيوم
فاشعر ليلة أرقاً وقرأ	يسهره كما أرق السليم
ألا من يشتري رجلاً برجلٍ	تخونها السلاح فما تسوم

وكيف قتال أعرج لا يقوم

لقاتل لا ألف ولا سئوم

ولا ضرع إذا يمسي جثوم

تلومك في القتال بنو عقيل

ولو كنت القاتل وكان حياً

ولا جثامة ورع هبوب

قال: ثم إن خفاجة رهط توبة جمعوا لبني عوف بن عامر عقيل الذين قتلوا توبة، فلما بلغهم الخبر لحقوا ببني الحارث بن كعب، ثم افترقت بنو خفاجة. فلما بلغ ذلك بني عوف رجعوا، فجمعت لهم بنو خفاجة أيضاً قبائل عقيل. فلما رأت ذلك بنو عوف بن عامر بن عقيل لحقوا بالجزيرة فزلوها؛ وهم رهط إسحاق بن مسافر بن ربيعة بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عقيل. ثم إن بني عامر بن صعصعة صاروا في أمرهم إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فقالوا: نشدك الله أن تفرق جماعتنا، فعقل توبة وعقل الآخرين معاقل العرب مائة من الإبل، فأدتها بنو عامر. قال: فخرجت بنو عوف بن عامر قتلة توبة فلحقوا بالجزيرة، فلم يبق بالعالية منهم أحد، وأقامت بنو ربيعة بن عقيل وعروة ابن عقيل وعبادة بن عقيل بمكانهم بالبادية .

رواية أبي عبيدة عن مزرع في مقتله وسببه:

قال أبو عبيدة وحدثنا مزرع بن عمرو بن همام قال أبو عبيدة: وكان معي أبو الخطاب وغيره قال: توبة بن حمير بن ربيعة بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، وأمه زبيدة. فهاج بينه وبين السليل بن ثور بن أبي سمعان بن عامر بن عوف بن عقيل كلام، وكان شريراً ونظير توبة في القوة والبأس، فبلغ الحور وهو الكلام إلى أن أوجد كل واحد منهما صاحبه، فالتقى بعد ذلك توبة والليل على غدير من ماء السماء، فرمى توبة السليل فقتله. ثم إن توبة أغار ثانية على إبل بني السمين بن كعب بن عوف بن عقيل واردة ماءهم فاطردها. واتبعوه وهم سبعة نفر: يزيد بن ربيعة، وعبد الله بن سالم، ومعاوية بن عبد الله قال أبو عبيدة: ولم يذكر غير هؤلاء فانصرفوا يجنبون الخيل يحملون المزداد، فقصوا أثر توبة وأصحابه فوجدوهم وقد أخذوا في المضجع من أرض بني كلاب في أرض دمثية تربة، فضلت فرس توبة الخوصاء من الليل، فأقام واضطجع حتى أصبح، وساق أصحابه الإبل، وهم ثلاثة نفر سوى توبة: الحرز أحد بني عمرو بن كلاب، وقابض بن أبي عقيل أحد بني خفاجة، وعبد الله بن حمير أخو توبة لأمه وأبيه. فلما أصبح توبة إذا فرسه الخوصاء راتعة أدنى ظلم قرية منه ليس دونها وجاح فأشلاها حتى أته، ثم خرج يعدو حتى لحق بأصحابه، فانتهاوا إلى هضبة بكبد المضجع، فارتقى توبة فوقها ينظر الطلب، فرآه القوم ولم يرههم عند طلوع الشمس، وبالت الخوصاء حين انتهت إلى الهضبة، فقال القوم: إنه لطائر أو إنسان.

فركب يزيد بن ربيعة وكان أحدث القوم سناً، وأمه بنت عم توبة، فأغار ركضاً حتى انتهى إلى الهضبة فإذا بول الفرس وعليه بقية من رغوته، وإذا أثر توبة يعرفونه، فرجع فخبى أصحابه. واندفع توبة وأصحابه حتى نزلوا إلى طرف هضبة يقال لها الشجر من أرض بني كلاب، فقالوا بالظهير، فلم يشعر شعره إلا والإبل قد نفرت، وكانت بركاً بالهاجرة، من وثيد الخيل. فوثب توبة، وكان لا يضع السيف، فصب الدرع على السيف متقلده وهلاً، وداجت القوم، فطلب قائم السيف فلم يقدر عليه تحت الدرع فلم يستطع سله، فطار إلى الرمح فأخذه،

فأهوى به طعناً إلى يزيد بن ربيعة، وقد كان يزيد عاهد الله ليقتلنه أو ليأخذنه، فأنفذ فخذ يزيد، واعتنقه يزيد بعض بوجنتيه، واستدبره عبد الله بالسيف ففلق رأس توبة، وهيت توبة حين اعتوره الرجلان بقابضٍ: يا قابض فلم يلو عليه، وفر قابض والكلابي، وذب عبد الله بن حمير عن أخيه، فأهوى له معاوية بن عبد الله بالسيف فأصاب ركبتة فاختلعت أي سقطت. فأتى قابض من فوره ذلك عبد العزيز بن زرارة أحد بني أبي بكر بن كلاب فقال: قتل توبة. فنادى في قومه، فجاءه أبوه زرارة فقال: أين تريد؟ فقال: قتل توبة. فقل أبوه طوط سحراً لك! أتطلب بدم توبة أن تقتله بنو عقيل ظالماً لها باغياً عادياً عليها! قال: لكني أجنه إذاً. قال أبوه: أما هذه فنعم. فألقى السلاح وانطلق حتى أجنه، وحمل أخاه عبد الله بن حمير. قال: فأهل البادية يزعمون أن محرراً سحر فأخذ عن سيفه. فقالت ليلي الأخيلية بنت عبد الله بن الرحالة بن شداد بن كعب ابن معاوية فارس المهرار ابن عبادة بن عقيل: رثت ليلي توبة بعدة قصائد:

نظرت وركن من ذقانين دونه مفاوز حوضي أي نظرة ناظر
لأونس إن لم يقصر الطرف عنهم فلم تقصر الأخبار والطرف قاصري
فوارس أجلي شأوها عن عقيرة لعاقرها فيها عقيرة عاقر

شأوها: سرعتها وهو الطلق وجريها، وقال غيره: غايتها. عقيرة: تعني توبة. لعاقرها: تعني لعاقر توبة، تريد يزيد بن ربيعة. ووجه آخر: في عقيرة عاقرٍ معنى مدح أي عقيرة كريمة لعاقرها. ووجه آخر: عقيرة لعاقرها: فيها الهلاك بعقرها

فأنست خيلاً بالرقى مغيرةً سوابقها مثل القطا المتواتر
قتيل بني عوف وأبصر دونه قتيل بني عوف قتيل يحابر
توارده أسيافهم فكأنما تصادرن عن أقطاع أبيض باتر
من الهندوانيات في كل قطعة دم زل عن أثر من السيف ظاهر
أنته المنايا دون زغف حصينة وأسمر خطي وخصاء ضامر
على كل حرداء السراة وسابح درأن بشباك الحديد زوافر

عوابس تعدو الثعلبية ضمراً وهن شواح بالشكيم الشواجر
فلا يبعدنك الله يا توب إنما لقاء المنايا دارعاً مثل حاسر
فإلا تك القتل بواء فإنكم ستلقون يوماً ورده غير صادر
وإن السليل إذ يباوي قتيلكم كمرحومة من عركها غير طاهر

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم
فتى لا تخطاه الرفاق ولا يرى
ولا تأخذ الكوم الجلاذ رماحها
إذا ما رآته قائماً بسلاحه
إذا لم يجد منها برسلٍ فقصره
قرى سيفه منها مشاشاً وضيغه
وتوبة أحيا من فتاةٍ حبيبةٍ
ونعم الفتى إن كان توبة فاجراً
فتى ينهل الحاجات ثم يعلها

صوت:

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ
ولم بين أبراداً عتاقاً لفتيةٍ
قلائص يفحصن الحصا بالكرار
كرام ويرحل قبل فيء الهواجر

في هذين البيتين لحن من الثقيل الأول لحمد بن إبراهيم قريض وهو من خاص صنعته وغنائه

ولم يتجل الصبح عنه وبطنه
فتى كان للمولى سناءً ورفعة
ولم يدع يوماً للحفاظ وللندا
وللبازل الكوماء يرغو حوارها
كأنك لم تقطع فلاةً ولم تتخ
وتصبح بمومةٍ كأن صريفها
طوت نفعها عنا كلاب وآسدت
وقد كان حقاً أن تقول سراتهم
ودويةٍ قفرٍ يحار بها القطا
فتالله تبني بيتها أم عاصمٍ
فليس شهاب الحرب توبة بعدها
لطيف كطي السب ليس بحادر
وللطارق الساري قرىً غير باسر
وللحرب يرمي نارها بالشرائر
ولللخيل تعدو بالكمأة المساعر
فلاصاً لدى فأوٍ من الأرض غائر
صريف خطاطيف الصرى في المحاور
بنا أجهليها بين غاوٍ وشاعر
لعاً لأخيها عالياً غير عائر
تخطيتها بالناعجات الضوامر
على مثله أخرى الليالي الغواير
بغازٍ ولا غادٍ بركبٍ مسافر

وقد كان طلاع النجاد وبين الل
وقد كان قبل الحادثات إذا انتحى
وكننت إذا مولاك خاف ظلامه
فإن يك عبد الله آسى ابن أمه
وكان كذات البو تضرب عنده
فإنك قد فارقتك لك عاذراً
فأقسمت أبكي بعد توبة هالكا
على مثل همام ولابن مطرف
غلامان كانا استوردا كل سورة
ربيحي حياً كانا يفيض نداهما
كأن سنا ناريهما كل شتوة

وقالت أيضاً ترثي توبة عن أم حمير، وأمها ابنة أخي توبة، عن أمها. قال أبو عبيدة: أم حمير أخت أبي الجراح العقيلي. قال: وأمها بنت توبة بن حمير. قال: وكان الأصمعي يعجب بها:

أيا عين بكى توبة ابن حمير
لتبك عليه من خفاجة نسوة
سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه
بسح كفيض الجدول المتفجر
بماء شؤون الغبرة المتحدر
ولا يبعث الأحزان مثل التذكر

كأن فتى الفتیان توبة لم يسر
ولم يرد الماء السدام إذا بدا
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملاً ال
ولم يعل بالجرد الجياد يقودها
وصحراء مومة يحار القطا
يقودون قبا كالسراحين لاحها
فلما بدت أرض العدو سقيتها

بنجد ولم يطلع مع المتغور
سنا الصبح في بادي الحواشي منور
جفان سديفاً يوم نكباء صرصر
بسرة بين الأشمسات فايصر
قطعت على هول الجنان بمنسر
سراهم وسير الراكب المتهجر
مجاج بقيات المزاد المقيـر

ولما أهابوا بالنهاب حويتها
ممرٍ ككر الأندري مثابرٍ
فألوت بأعناقٍ طوالٍ وراعها
ألم تر أن العبد يقتل ربه
قتلتهم فتى لا يسقط الروح رمحه
فيا توب للهيجا ويا توب للندى
ألا رب مكروبٍ أجبت ونائلٍ

وقالت ترثيه:

أقسمت أرثي بعد توبة هالكاً
لعمرك ما بالموت عار على الفتى
وما أحد حي وإن عاش سالماً
ومن كان مما يحدث الدهر جازعاً
وليس لذي عيشٍ عن الموت مقصر
ولا الحي مما يحدث الدهر معتب
وكل شبابٍ أو جديدٍ إلى بلى
وكل قريني ألفةٍ لتفرق
فلا يبعدنك الله حياً وميتاً

ويروى:

فلا يبعدنك الله يا توب هالكاً
فأليت لا أنفك أبكيك ما دعت
قتيل بني عوفٍ فيا لهفتا له
ولكنما أخشى عليه قبيلةً

وقالت ترثيه:

كم هاتف بك من باكٍ وباكيةٍ

بخاظي البضيع كره غير أعسر
إذا ما ونين مهلب الشد محضر
صلاصل بيضٍ سابغٍ وسنور
فيظهر جد العبد من غير مظهر
إذا الخيل جالت في قناً متكسر
ويا توب للمستنجح المنتور
بذلت ومعروفٍ لديك ومنكر

وأحفل من دارت عليه الدوائر
إذا لم تصبه في الحياة المعابر
بأخلد ممن غيبته المقابر
فلا بد يوماً أن يرى وهو صابر
وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر
وكل امرئ يوماً إلى الله تعالى صائر
شتاتاً وإن ضنا وطال التعاشر
أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر

أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر
على فننٍ ورقاءٍ أو طار طائر
وما كنت أياهم عليه أحاذر
لها بدروب الروم بادٍ وحاضر

يا توب للضيف إذ تدعى وللجار

وتوب للخصم إن جاوروا وإن عدلوا
وبدلوا الأمر نقضاً بعد إمرار
إن يصدروا المر تطلعه موارده
أو يوردوا الأمر تحلله بإصدار

وقالت ترثيه:

هراقت بنو عوف دماً غير واحد
له نأ نجديه سيغور
تداعت له أفناء عوف ولم يكن
له يوم هضب الردهتين نصير

وقالت ترثيه:

يا عين بكى بدمع دائم السجم
وابكى لتوبة عند الروع والبهيم
على فتى من بني سعد فجعت به
ماذا أجن به في الحفرة الرجم
من كل صافية صرف وقافية
مثل السنان وأمر غير مقتسم
ومصدر حين يعيي القوم مصدرهم
وجفنة عند نحس الكوكب الشبم

وقالت تعير قابضاً:

جزى الله شراً قابضاً بصنيعه
وكل امرئ يجزى بما كان ساعياً
دعا قابضاً والمرهقات يردنه
فقبحت مدعواً ولبيك داعياً

وقالت لقابض وتعذر عبد الله أخا توبة:

دعى قابضاً والموت يخفق ظله
وما قابض إذ لم يجب بنجيب
وآسى عبيد الله ثم ابن أمه
ولو شاء نجى يوم ذاك حبيبي

خرج توبة إلى الشام فلقية زنجي وخبره معه:

أخبرني الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن معاوية بن بكر قال حدثني أبو الجراح العقيلي عن أمه دينار بنت خير بن الحمير عن توبة بن الحمير قال: خرجت إلى الشام، فبينما أنا أسير ليلة في بلاد لا أنيس بها ذات شجر نزلت لأريح، وأخذت ترسي فألقيته فوق، وألقيت نفسي بين المضطجع والبارك. فلما وجدت طعم النوم إذا شيء قد تجللي عظيم ثقيل قد تجللي عظيم ثقيل قد برك علي، ونشزت عنه ثم قمصت منه قمصاً فرميت به على وجهه، وجلست إلى راحلي فانتضيت السيف، ونهض نحوي فضربته ضربة انخزل منها، وعدت إلى موضعي وأنا لا أدري ما هو الإنسان أم سبع، فلما أصبحت إذا هو أسود زنجي يضرب برجليه وقد قطعت وسطه حتى كدت أبريه، وانتهيت إلى ناقة مناة موقرة ثياباً من سلبه، وإذا جارية شابة ناهد وقد أوثقها وقرنها بناقته. فسألته عن خبرها، فأخبرتني أنه قتل مولاها وأخذها منه. فأخذت الجميع وعدت إلى أهلي. قال أبو الجراح قالت أُمي: وأنا أدركتها في الحي تخدم أهلنا.

حديث معاوية مع ليلى في توبة: أخبرنا الزبيدي عن ثعلب عن ابن الأعرابي قال أخبرنا عطاء بن مصعب القرشي عن عاصم الليثي عن يونس بن حبيب الضبي عن أبي عمرو بن العلاء قال: سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الخيلية عن توبة بن الحمير فقال: ويحك يا ليلى! أكما يقول الناس كان توبة؟ قالت: يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقاً، والناس شجرة بغية يحسدون أهل النعم حيث كانوا وعلى من كانت. ولقد كان يا أمير المؤمنين المؤمنين سبط البنان، حديد اللسان، شجاً للأقران، كريم المخبر، عفيف المئزر، جميل المنظر. وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له. قال: وما قلت له؟ قالت قلت ولم أتعد الحق وعلمي فيه:

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره ألد ملد يغلب الحق باطله

إذا حل ركب في ذراه وظله ليمنعهم مما تخاف نوازله

حماهم بنصل السيف من كل فادح يخافونه حتى تموت خصائله

فقال لها معاوية: ويحك! يزعم الناس أنه كان عاهراً خارباً. فقالت من ساعتها:

معاذ إلهي كان والله سيذا جواداً على العلات جماً نوافله

أغر خفاجياً يرى البخل سبةً تحلب كفاه الندى وأنامله

عفيفاً بعيد الهم صلباً قناته جميلاً محياه قليلاً غوائله

وقد علم الجوع الذي بات سارياً على الضيف والجبران أنك قاتله

وأنتك رحب الباع يا توب بالقرى إذا ما لنائم القوم ضاقت منازل

يببت قرير العين من بات جاره ويضحي بخير ضيفه ومنازل

فقال لها معاوية: ويحك يا ليلى! لقد جزت بتوبة قدره. فقالت: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أني مقصرة في نعته وأني لا أبلغ كنه ما هو أهله. فقال لها معاوية: من أي الرجال كان؟ قالت:

أنته المنايا حين تم تمامه وأقصر عنه كل قرن يطاوله

وكان كليث الغاب يحمي عرينه وترضى به أشباله وحلائله

غصوب حلیم حين يطلب حلمه وسم زعاف لا تصاب مقاتله

قال: فأمر لها بجائزة عظيمة وقال لها: خبريني بأجود ما قلت فيه من الشعر. قالت: يا أمير المؤمنين، ما قلت فيه شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر منه. ولقد أجدت حين قلت:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه فتى من عقيل ساد غير مكلف

فتى كانت الدنيا تهون بأسرها عليه ولا ينفك جم التصرف

ينال عليات الأمور بهونة إذا هي أعيت كل خرق مشرف

هو الذوب بل أري الخلايا شبيهه
بدرياقة من خمر بيسان قرقف
فيا توب ما في العيش خير ولا ندى
يعد وقد أمست في ترب نفنف
وما نلت منك النصف حتى ارتميت بك ال
منايا بسهم صائب الوقع أعجف
فيا ألف كنت حياً مسلماً
لألقاك مثل القصور المتطرف

كما كنت إذ كنت المنحى من الردى
إذا الخيل جالت بالقنا المتقصف
وكم من لهيف محجر قد أجبته
بأبيض قطاع الضريبة مرهف
فأنقذته والموت يحرق نابه
عليه ولم يطعن ولم يتتسف

ما كان بين توبة وجميل أمام بثينة: أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهوريه عن ابن سعد عن القحذمي عن محارب بن غصين العقيلي قال: كان توبة قد خرج إلى الشام، فمر ببني عذرة، فرأته بثينة فجعلت تنظر إليه، فشق ذلك على جميل، وذلك قبل أن يظهر حبه لها. فقال له جميل: من أنت؟ قال: أنا توبة بن الحمير. قال: هل لك في الصراع؟ قال: ذلك إليك، فشدت عليه بثينة ملحفةً مורسةً فأترز بها، ثم صارعه فصرعه جميل. ثم قال: هل لك في النضال؟ قال: نعم، فناضله فنضله جميل. ثم قال له: هل لك في السباق؟ فقال: نعم، فسابقه فسبقه جميل. فقال له توبة: يا هذا إنما تفعل بريح هذه الجلاسة، ولكن اهبط بنا الوادي، فصرعه توبة ونضله وسبقه. سأل عبد الملك بن مروان ليلى عما رآه توبة فيها فأجابته: أخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال: بلغني أن ليلى الأخيلية دخلت على عبد الملك بن مروان وقد أسنت وعجزت، فقال لها: ما رأى توبة فيك حين هويك؟ قالت: ما رآه الناس فيك حين ولوك. فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها. وفود ليلى على الحجاج وحديثه معها: وأخبرني الحسن بن علي عن ابن أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهلالي عن أيوب بن عمرو عن رجل من بني عامر يقال له ورقاء قال: كنت عند الحجاج بن يوسف، فدخل عليه الآذن فقال: أ صلح الله الأمير، بالباب امرأة تندر كما يهدر البعير الناد. قال: أدخلها. فلما دخلت نسبها فانتسبت له. فقال: ما أتى بك يا ليلى؟ قالت: إخالف النجوم، وقلة الغيوم، وكلب البرد، وشدة الجهد، وكنت لنا بعد الله الرد. قال: فأخبريني عن الأرض. قالت: الأرض مقشعة، والفجاج مغيرة، وذو الغنى مختل، وذو الحد منفل. قال: وما سبب ذلك؟ قالت: أصابتنا سنون مجحفة مظلمة، لم تدع لنا فصيلاً ولا ربعاً، ولم تبق عافطة ولا ناقطة؛ فقد أهلك الرجال، ومزقت العيال، وأفسدت الأموال، ثم أنشدته الأبيات التي ذكرناه متقدماً. وقال في الخبر: قال الحجاج: هذه التي تقول:

نحن الأخاييل لا يزال غلامنا
حتى يدب على العصا مشهوراً
تبكي الرماح إذا فقدن أكفنا
جزعاً وتعرفنا الرفاق بحوراً

ثم قال لها: يا ليلي، أنشدنا بعض شعرك في توبة، فأنشدته قولها:

لعمرك ما بالموت عار على الفتى
وما أحد حي وإن عاش سالماً
إذا لم تصبه في الحياة المعابر
فلا الحي مما أحدث الدهر معتب
بأخذ ممن غيبته المقابر
وكل جديد أو شباب إلى بلَى
ولا الميت إن لم يصبر الحي ناشر
وكل جديد أو شباب إلى بلَى
وقتل بني عوف فيا لهفتا له
وما كنت إياهم عليه أحاذر
ولكنني أخشى عليه قبيلةً
لها بدروب الشام بادٍ وحاضر

فقال الحجاج لحاجبه: اذهب فاقطع لسانها. فدعا لها بالحجام ليقطع لسانها، فقالت: ويلك! إنما قال لك الأمير اقطع لسانها بالصلة والعطاء، فارجع إليه واستأذنه. فرجع إليه فاستأمره، فاستشاط عليه وهم بقطع لسانه، ثم أمر بها فأدخلت عليه، فقالت: كاد وعهد الله يقطع مقولي، وأنشدته:

حجاج أنت الذي لا فوقه أحد
حجاج أنت سنان الحرب إن نهجت
إلا الخليفة والمستغفر الصمد
وأنت للناس في الدواجي لنا تقدر

أخبرنا الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبو الحسن ميمون الموصلي عن سلمة بن أيوب بن مسلمة الحمداني قال: كان جدي عند الحجاج، فدخلت عليه امرأة برزة، فانتسبت له فإذا هي ليلي الأخيلية. وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيدي، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: كنت عند الحجاج. وأخبرني وكيع عن عن إسماعيل بن محمد عن المدائني عن جويرية عن بشر بن عبد الله بن أبي بكر: أن ليلي دخلت على الحجاج، ثم ذكر مثل الخبر الأول، وزاد فيه: فلما قالت:

غلام إذا هز القناة سقاها

قال لها: لا تقولي غلام، قولي همام. وقال فيه: فأمر لها بمائتين. فقالت: زدي، فقال: اجعلوها ثلاثمائة. فقال بعض جلسائه: إنما غنم. فقالت: الأمير أكرم من ذلك وأعظم قدراً من أن يأمر لي إلا بالإبل. قال: فاستحيا وأمر لها بثلاثمائة بعير، وإنما كان أمر لها بغنم لا إبل. وأخبرنا به وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالح عن عمر بن شبة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه، وقال فيه: ألا قلت مكان غلام همام! وذكر باقي الخبر الذي ذكره من تقدم، وقال فيه: فقال لها: أنشدنا ما قلت في توبة، فأنشدتها قولها:

فإن تكن القتلى بواءً فإنكم
فتى ما قلتم آل عوف بن عامر

فتى كان أحيا من فتاة حبيبة
أنته المنايا دون درع حصينة
فنعم الفتى إن كان توبة فاجراً
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ
وأشجع من ليث بخفان خادر
وأسمر خطي وجرءاء ضامر
وفوق الفتى إن كان ليس بفاجر
قلأئص يفحصن الحصا بالكرأكر

فقال لها أسماء بن خارجة: أيتها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه العرب فيه. فقالت: أيها الرجل هل رأيت توبة قط؟ قال: لا. فقالت: أما والله ولو رأيته لوددت أن كل عاتق في بيتك حامل منه؛ فكأنما فقيء في وجه أسماء حب الرمان. فقال له الحجاج: وما كان لك ولها! .
وفاتها وكيف كانت: أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد عن محمد بن علي بن المغيرة قال سمعت أبي يقول سمعت الأصمعي يذكر أن الحجاج أمر لها بعشرة آلاف درهم، وقال لها: هل لك من حاجة؟ قالت: نعم أصلح الله الأمير، تحملني إلى ابن عمي قتيبة بن مسلم، وهو على خراسان يومئذ فحملها إليه، فأجازها وأقبلت راجعة تريد البادية، فلما كانت بالري ماتت، فقبرها هناك. هكذا ذكر الأصمعي في وفاتها وهو غلط. وقد أخبرني عمي عن الحزنبل الأصبهاني عمن أخبره عن المدائني، وأخبرني الحسن بن علي عن ابن مهدي عن ابن أبي

كان توبة شريراً كثير الغارات: قال أبو عبيدة: كان توبة شريراً كثير الغارة على بني الحارث بن كعب وخنثم وهمدان، فكان يزور نساءً منهم يتحدث إليهن، وقال:

أيذهب ريعان الشباب ولم أزر غرائر من همدان بيضاً نحورها

قال أبو عبيدة: وكان توبة ربما ارتفع إلى بلاد مهرة فيغير عليهم، وبين بلاد مهرة وبلاد عقيل مفازة منكرا لا يقطعها الطير، وكان يحمل مزاد الماء فيدفن منه على يوم مزادة ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المفازة، وإنما كان يتعمد حمارة القيظ وشدة الحر، فإذا ركب المفازة رجعوا عنه .

خبر ليلى مع عبد الملك بن مروان حين رآها عند زوجته عاتكة: أخبرني حرمي عن الزبير عن يحيى بن المقدم الربيعي عن عمه موسى بن يعقوب قال:

دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فرأى عندها امرأة بدوية أنكرها، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا الواهة الحري ليلي الأخيلية. قال: أنت التي تقولين:

أريقنت جفان ابن الخليج فأصبحت حياض الندى زالت بهن المراتب

فعافته لهفى يطوفون حوله كما أنقض عرش البئر والورد عاصب

قالت: أنا التي أقول ذلك. قال: فما أبقيت لنا؟ قالت: الذي أبقاه الله لك. قال: وما ذاك؟ قالت: نسباً قرشياً، وعيشاً رخياً، وامرأة مطاعة. قال: أفردته بالكرم! قالت: أفردته بما أفرده الله به. فقالت عاتكة: إنما قد جاءت تستعين بنا عليك في عين تسقيها وتحميها لها. ولست ليزيد إن شفعتها في شيء من حاجاتها، لتقدمها أعراياً جلفاً على أمير المؤمنين. قال: فوثبت ليلى فقامت على رجلها واندفعت تقول:

ستحملني ورحلي ذات وخذ عليها بنت آباء كرم

إذا جعلت سواد الشأم جنباً وغلق دونها باب اللثام

فليس بعائد أبداً إليهم ذوو الحاجات في غلس الظلام

أعائك لو رأيت غداة بنا عزاء النفس عنكم واعتزامي

إذا علمت واستيقنت أني مشيعة ولم ترعي ذمامي

أجعل مثل توبة في نداه أبا الذبان فوه الدهر دامي

معاذ الله ما عسفت برحلي تغذ السير للبلد التهامي

أقلت خليفة فسواه أحجى بإمرته وأولى باللثام

لثام الملك حين تعد كعب ذوو الأخطار والخطط الجسام

فقيل لها: أي الكعبين عنيت؟ قالت: ما أخال كعباً ككعبي .

رواية أخرى في وفودها على الحجاج: أخبرنا اليزيدي عن الخليل بن أسدٍ عن العمري عن الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير عن محمد بن الحجاج بن يوسف قال: بينا الأمير جالس إذ استؤذن لليلي. فقال الحجاج: ومن ليلى؟ قيل: الأخيلية صاحبة توبة. قال: أدخلوها. فدخلت امرأة طويلة دعجاء العينين حسنة المشية إلى الفوه ما هي، حسنة الثغر، فسلمت فرد الحجاج عليها ورحب بها فدنت، فقال الحجاج: دراك ضع لها وسادةً يا غلام، فجلست. فقال: ما أعملك إلينا؟ قالت: السلام على الأمير، والقضاء لحقه، والتعرض لمعروفه. قال: وكيف خلفت قومك؟ قالت: تركتهم في حال خصبٍ وأمنٍ ودعة. أما الخصب ففي الأموال والكلأ. وأما الأمن فقد أمنهم الله عز وجل بك. وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم. ثم قالت: ألا أنشدك؟ فقال: إذا شئت. فقالت:

أحجاج إن الله أعطاك غايةً	يقصر عنها من أراد مداها
أحجاج لا يفلل سلاحك إنما ال	منايا بكف الله حيث تراها
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً	تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها	غلام إذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلها	إذا حجت يوماً وخيف أذاها
إذا سمع الحجاج رز كتيبة	أعد لها قبل النزول قراها
أعد لها مصقولةً فارسيةً	بأيدي رجالٍ يحلبون صراها
أحجاج لا تعط العصاة مناهم	ولا الله يعطي للعصاة مناهم
ولا كل حلافٍ تقلد بيعةً	فأعظم عهد الله ثم شرها

فقال الحجاج ليحيى بن منقذ: لله بلادها ما أشعرها! فقال: ما لي بشعرها علم. فقال: علي بعبدة بن موهب وكان حاجبه، فقال: أنشدنيه فأنشدته، فقال عبدة: هذه الشاعرة الكريمة، قد وجب حقها. قال: ما أغناها عن شفاعتك! يا غلام مر لها بخمسمائة درهم؛ وأكسها خمسة أثواب أحدها كساء حر، وأدخلها على ابنة عمها هند بنت أسماء فقل لها: حليها. فقالت: أصلح الله الأمير. أضر بنا العريف في الصدقة، وقد خربت بلادنا، وانكسرت قلوبنا، فأخذ خيار المال. قال اكتبوا لها إلى الحكم بن أيوب فليبتع لها خمسة أجمال وليجعل أحدها نجيباً، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعزل العريف الذي شكته. فقال ابن موهب: أصلح الله الأمير، أأصلها؟ قال نعم، فوصلها بأربعمائة درهم، ووصلتها هند بثلاثمائة درهم، ووصلها محمد بن الحجاج بوصيفتين .

قال الهيثم: فذكرت هذا الحديث لإسحاق بن الجصاص فكتبه عني، ثم حدثني عن حماد الراوية قال: لما فرغت

ليلي من شعرها أقبل الحجاج على جلسائه فقال لهم: أتدرون من هذه؟ قالوا: لا! والله ما رأينا امرأة أفصح ولا أبلغ منها ولا أحسن إنشاداً. قال: هذه ليلي صاحبة توبة. ثم أقبل عليها فقال لها: بالله يا ليلي أرايت من توبة أمراً تكرهينه أو سألك شيئاً أو سألك شيئاً يعاب؟ قالت: لا والله الذي أسأله المغفرة ما كان ذلك منه قط. فقال: إذا لم يكن فيرحمنا الله وإياه.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة عن عبد الله بن محمد بن حكيم الطائي عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: كنت عند الحجاج فدخلت عليه ليلي الأخيلية، ثم ذكر مثل الخبر الأول، وزاد فيه: فلما قالت:

غلام إذا هز القناة سقاها

قال: لا تقولي غلام، قولي همام .

صوت:

قلت آتي في الدار قرماً سرياً

سألني الناس أين يعمد هذا

مت إلا إياك يا زكريا

ما قطعت البلاد أسري ولا يم

كان لي منكم هنياً مرياً

كم عطاء ونائل وجزيل

عروضه من الخفيف، الشعر للأقيشر الأسيدي. والغناء لدحمان، وله فيه لحنان، أحدهما خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه عن إسحاق، والآخر ثقيل أول بالبنصر في الثالث والثاني عن عمرو، وذكر يونس أنه للأبجر ولم يجنسه، وذكر الهشامي أن لحن الأبجر خفيف ثقيل، وأن لحن ابن بلوع في الثالث ثاني ثقيل. وليحيى بن واصل ثقيل أول بالوسطى .

ذكر الأقيشر وأخباره

نسب الأقيشر واسمه ولقبه وكنيته: الأقيشر: لقب غلب عليه ، لأنه كان أحمر الوجه أقشر، واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار. وكان يكنى أبا معرض، وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عدة، منها قوله:

من الراح كأساً على المنبر

فإن أبا معرض إذا حسا

فإن ليم في الخمر لم يصبر

خطيب لبيب أبو معرض

وعمر عمراً طويلاً، فكان أقعد بني أسد نسباً، وما أخلفه بأن يكون ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام؛ لأن سماك بن مخزومة الأسيدي صاحب مسجد سماك بالكوفة بناه في أيام عمر، وكان عثمانياً، وأهل تلك المحلة إلى اليوم كذلك. فيروي أهل الكوفة أن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه لم يصل فيه، وأهل الكوفة إلى اليوم يجتنبونه. وسماك الذي بناه هو سماك بن مخزومة بن حمين بن بلث بن عمرو بن عمرو بن أسد، والأقيشر

أقعد نسباً منه. وقال الأقيشر في ذكر مسجد سماك شعراً .
أخبرني محمد بن الحسن الكندي الكوفي قال أخبرني الحسن بن عليل العتري عن محمد بن معاوية وكنيته أبو عبد
الله محمد بن معاوية قال: الأقيشر من رهط خريم بن فاتك الأسدي. وخريم إنما نسب إلى جد أبيه فاتك، وهو
خريم بن الحرم بن شداد بن عمر بن فاتك الأسدي، وفاتك بن قليب بن عمرو بن أسد. والأقيشر هو المغيرة بن
عبد الله بن معرض بن عمرو بن أسد .
قال في مسجد سماك بالكوفة شعراً ذم فيه بني دودان ثم ترضاهم بيت: قال: وهو القائل لما بنى سماك بن مخزومة
مسجده الذي بالكوفة، وهو أكبر مسجد لبني أسد، وهو في خطة بني نصر بن قعين:

غضبت دودان من مسجدا
لو هدمنا غدوة بنيانه
وبه يعرفهم كل أحد
لانمحت أسماؤهم طول الأبد

اسمهم فيه وهم جيرانه
كلما صلوا قسمنا أجره
واسمه الدهر لعمرو بن أسد
فلنا النصف على كل جسد

فحلف بنو دودان ليضربنه. فأتاهم فقال: قد قلت بيتاً محوت به كل ما قلت. قالوا: وما هو يا فاسق؟ قال قلت:

وبنو دودان حي سادة
حل بيت المجد فيهم والعدد

فتركوه .

كان خليعاً ماجناً مدمناً لشرب الخمر: أخبرني وكيع عن إسماعيل بن مجمع عن المدائني قال، وأخبرني أبو أيوب
المديني عن محمد بن سلام قال: كان الأقيشر كوفياً خليعاً ماجناً مدمناً لشرب الخمر، وهو الذي يقول لنفسه:

فإن أبا معرضٍ إذ حسا
خطيب لبيب أبو معرضٍ
من الراح كأساً على المنبر
فصار خليعاً على المكبر
فإن ليم في الخمر لم يصبر
وإن أقصروا عنه لم يقصر
أحل الحرام أبو معرضٍ
يجل اللثام ويلحى الكرام

اجتاز على مجلس لبني عبس فناده أحدهم بلقبه وكان يغضب منه فهجاه: أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن
إسحاق عن أبيه عن المدائني، وأخبرني عبد الوهاب ابن عبيد الصحاف الكوفي عن قنعب بن محرز الباهلي عن
المدائني: أن القيشر مر يريد الخيرة ، فاجتاز على مجلس لبني عبس، فناده أحدهم: يا أقيشر، وكان يغضب منها،
فزجره الأشياخ، ومضى الأقيشر ثم عاد إليه معه رجل وقال له: قف معي، فإذا أنشدت بيتاً فقل لي: ولم ذلك،
ثم انصرف، وخذ هذين الدرهمين. فقال له: أنا أصير معك إلى حيث شئت يا أبا معرض ولا أرزؤك شيئاً، قال:
فأقبل به حتى أتى مجلس القوم، فوقف عليهم ثم تأملهم وقد عرف الشاب، فأقبل عليه وقال:

أُتدعونني الأقيشر ذلك اسمي

وأدعوك ابن مطفئة السراج

فقال له الرجل: ولم ذاك؟ فقال:

تتاجي خذنها بالليل سراً

ورب الناس يعلم ما تتاجي

قال قعنب في خبره. فلقب ذلك الرجل ابن مطفئة السراج .

كتب أبو الضحاك التميمي شعراً يذمه فرد عليه وتكرر ذلك: وقال قعنب في خبره عن المدائني أخبرنا به اليزيدي عن الخزار عن المدائني في كتاب الجوابات، ولم يروه الباقر: كان الأقيشر يكتري بغلة أبي المضاء المكارى فيركبها إلى الخمارين بالحيرة. فركبها يوماً ومضى لحاجته، وعند أبي المضاء رجل من تميم يكنى أبا الضحاك، فقال له: من هذا؟ قال: الأقيشر. فأخذ طبق الميزان وكتب فيه:

عجبت لشاعرٍ من حيٍ سوءٍ

ضئيل الجسم مبطانٍ هجين

وقال لأبي المضاء: إذا جاء فأقرئه هذا. فلما جاء أقرأه. فقال له الأقيشر: ممن هو؟ قال: من بني تميم. فكتب الأقيشر تحت كتابه:

فلا أسداً أسب ولا تميماً

وكيف يجوز سب الأكرمين

ولكن التميمي حال بيني

وبينك يا ابن مضرطة العجين

فهرب إلى الكوفة فلم يزد على هذا .

وقال قعنب في خبره عن المدائني: فجاء التميمي فقرأ ما كتب، فكتب تحته:

يأيها المبتغي حشاً لحاجته

وجه الأقيشر حش غير ممنوع

فلما قرأه قال: اللهم أني أستعديك عليه، وكتب تحته:

إني أتاني مقال كنت آمنة

فجاء من فاحشٍ في الناس خلوع

عبد العزيز أبو الضحاك كنيته

فيه من اللؤم وهي غير ممنوع

ولم تبت أمه إلا مطاحنةً

وأن تؤاجر في سوق المراضيع

ينساب ماء البرايا في استها سرباً

كأنما انساب في بعض البلاليع

من ثم جاءت به والبظر حنكه

كأنه في استها تمثال يسروع

فلما جاءه جزع ومشى إليه بقوم من بني تميم، فطلبوا أن يكف ففعل. وأما عبد الله بن خلف فذكر عن أبي عمرو الشيباني أن الأقيشر قال هذا في مسكين .

والشعر الذي فيه الغناء يقوله الأقيشر في زكريا بن طلحة الذي يقال له الفياض، وكان مداحاً له .

سمع عبد الملك بن مروان شعراً له في طلحة الفياض فمدحه: أخبرني الحسن بن علي عن العتري عن محمد بن معاوية قال: غنت جارية عند عبد الملك ابن مروان بشعر الأقيشر:

قرب الله بالسلام وحيا زكريا بن طلحة الفياض
معدن الضيف إن أناخوا إليه بعد أين الطلائح الأنقاض

ساهمات العيون خوص رذايا قد براها الكلال بعد إياض
زاده خالد ابن عم أبيه منصباً كان في العلا ذا انتفاض
فرع تيم من تيم مرة حقاً قد قضى ذاك لابن طلحة قاض

فقال عبد الملك للجارية: ويحك! لمن هذا؟ قالت: للأقيشر. قال: هذا المدح لا على طمع ولا فرق، وأشعر الناس الأقيشر .

لقيه الكميت فسمع من شعره وأثنى عليه: وذكر عبد الله بن خلف أن أبا عمرو الشيباني أخبره الكميت بن زيد لقي الأقيشر في سفرة ، فقال له: أين تقصد يا أبا معرض؟ فقال:

سألني الناس أين يقصد هذا قلت آتى في الدار قرماً سرياً

وذكر باقي الأبيات التي فيها الغناء، فلم يزل الكميت يستعيده إياها مراراً، ثم قال: ما كذب من قال إنك أشعر الناس .

كان عنيماً فقال شعراً في ضد ذلك داعب به رجلاً من قيس: أخبرني عمي عن الكراني عن ابن سلام قال: كان الأقيشر عنيماً، وكان لا يأتي النساء، وكان كثيراً ما كان يصف ضد ذلك من نفسه. فجلس إليه يوماً رجل من قيس، فأنشده الأقيشر:

ولقد أروح بمشرف ذي شعرة عسر المكرة مأؤه يتقصده
مرح يطير من المراح لعبه وتكاد جلدته به تتقدد

ثم قال للرجل: أتبصر الشعر؟ قال نعم. قال: فما وصفت؟ قال: فرساً قال: أفكنت لو رأيته ركبته؟ قال: إي والله وأثنى عطفه. فكشف عن أيره وقال: هذا وصفت، فقم فاركبه. فوثب الرجل من مجلسه وجعل يقول له: قبحك الله من جليس! سائر اليوم .

دعاه عابس وهو في جنازة بنت زياد العصفري لغداء وشراب فقال شعراً: ونسخت من كتاب عبد الله بن خلف: حدثني أبو عمرو الشيباني قال: ماتت بنت زياد العصفري، فخرج الأقيشر في جنازتها، فلما دفنوها انصرف، فلقاه عابس مولى عائذ الله، فقال له: هل لك في غداء وطلاء أتيت به من طيز ناباذ قال نعم. فذهب به إلى منزله فغداه وسقاه، فلما شرب قال:

يمتن وألقى كلما عشت عابساً

فليت زياداً لا يزلن بناته

وأنجحت فيه بعد ما كنت آيساً

فذلك يوم غاب عني شره

أخذه الشرط من حانة فتخلص منهم برشوة وقال شعراً: ونسخت من كتابه: حدثني أبو عمرو قال: شرب الأقيشر في بيت حمارة بالحيرة، فجاءه الشرط ليأخذه، فتحرز منهم وأغلق بابه وقال: لست أشرب، فما سبيلكم علي! قالوا: قد رأينا العس في كفك وأنت تشرب. قال: إنما شربت من لبن لقحة لصاحب الدار، فلم يرحوا حتى أخذوا منه درهمين. فقال:

فإذا ما مزجت كانت عجب

إنما لقحتنا باطية

ينزع الباسور من عجب الذنب

لبن أصفر صافٍ لونه

فسلوا الشرطي ما هذا الغضب

إنما نشرب من أموالنا

سأل عبد الملك وقد بنى أسد عنه وقال إنه شاعرهم: أخبرني الحسن بن علي عن العتري عن محمد بن معاوية قال: دخل وفد بني أسد على عبد الملك بن مروان، فقال: من شاعركم يا بني أسد؟ قالوا: إن فينا لشعراء ما يرضى قومهم أن يفضلوا عليهم أحداً. قال فما فعل الأقيشر؟ قالوا: مات. قال: لم يمِت، ولكنه مشغل بعشقه، وما أبعد أن يكون شاعركم إلا أنه يضيع نفسه. أليس هو القائل:

من علم هذا الزمن الذاهب

يأيها السائل عما مضى

أو شاهداً يخبر عن غائب

إن كنت تبغي العلم أو أهله

واعتبر الصاحب بالصاحب

فاعتبر الأرض بأسمائها

سأل جاراً له طحاناً كان يقرض الناس فلم يعطه فقال فيه شعراً: وذكر عبد الله بن خلف عن أبي عمرو الشيباني أن جاراً للأقيشر طحاناً كان ينسئ الناس يكنى أبا عائشة. فأتاه الأقيشر فلم يعطه، فقال له:

فما لي وما لأبي عائشه

يريد النساء ويأبى الرجال

وأأكله ابنته عائشه

أدام له الله كد الرجال

فأعطاه ما أراد واستغفاه من أن يزيد شيئاً .

تعرض له رجل من هجيم فهجاهم فاستكفوه فكف: سحت من كتاب عبيد الله بن محمد اليزيدي بخطه: قال الهيثم بن عدي حدثني عطا بن عاصم بن الحدثان قال: مر أعرابي من بني تميم كان يهزأ بالأقيشر، فقال له:

إلى جنب قبرٍ فيه شلو المضلل

أبا معرضٍ كن أنت إن مت دافني

تضرم للعبد اللئيم المبخل

فعلي أن أنجو من النار إنها

تحش بأوصالٍ وتربٍ وجندل

بذلك أوصاها الإله ولم تنزل

وأنت بحمد الله إن شئت مفلتي بحزمك فاحزم يا أقيشر واعجل

فقال له: ممن أنت؟ قال: من بني تميم ثم أحد بني المهجم بن عمرو بن تميم، فقال الأقيشر:

تميم بن مر كفكفوا عن تعمدي بذل فإني لست بالمتذلل

أيهزأ بي العبد الهجيمي ضلةً ومثلي رمي ذا التدرأ المتضلل

بداهية دهياء لا يستطيعها شماريخ من أركان سلمى ويدبل

وبالله لولا أن حلمي زاجري تركت تميماً ضحكة كل محفل

فكفوا رماكم ذو الجلال بخزية تصبحكم في كل مجمعٍ ومنزل

فأنتم لنأمن الناس لا تنكرونه والألمكم طراً حريث بن جندل

فصار إليه شيوخ من بني المهجم واعتدروا إليه واستكفوه فكف.

شرب مع مقعد وأعمى وغناهم مغن فطربوا فقال هو شعراً: أخبرني الأحفش قال حدثني أبو الفياض بن أبي
شراعة عن أبيه قال: شرب الأقيشر بالحيرة في بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى، وعندهم مغن مطرب، فطرب
الأقيشر، فسقامهم من شربه، فلما انتشوا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم، وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعة
ويجهد في ذلك كل جهد. فقال الأقيشر:

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثاً فأبصرا

شراباً كريخ العنبر الورد ريحه ومسحوق هندي من المسك أذفرا

من الفتيات الغر من أرض بابل إذا شفاها الحاني من الدن كبرا

لها من زجاج الشام عنق غريبة تأنق فيها صانع وتخيرا

ذخائر فرعون التي جبيت له وكل يسمى بالعتيق مشهرا

إذا ما رآها بعد إنقاء غسلها تدور علينا صائم القوم أفطرا

كان صاحب سراب وندامى تفرق أصحابه فقال شعراً: أخبرنا علي بن سليمان قال حدثني أبي قال: كان
الأقيشر صاحب شرابٍ وندامى، فأشخص الحجاج بعض ندمائه إلى بعض النواحي، ومات بعضهم، ونسك
بعضهم، وهرب بعضهم؛ فقال في ذلك:

غلب الصبر فاعترتني هموم لفراق الثقات من إخواني

مات هذا وغاب هذا وهذا دائب في تلاوة القرآن

ولقد كان قبل إظهاره النس لك قديماً من أظرف الفتيان

شعر له في بغل أبي المضاء وكان يكثره فيركبه إلى الحيرة: وأخبرني أبو الحسن الأسدي قال قال ابن الكلبي حدثني سلمة بن عبد سواع عن أبيه قال: كان الأقيشر لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم، يجعل درهمين في كراء بغل إلى الحيرة، ودرهمين للشراب، ودرهماً للطعام. وكان له جار يكنى أبا المضاء له بغل يكرهه، وكان يعطيه درهمين ويأخذ بغله فيركبه إلى الحيرة، حتى يأتي بيت الخمار فيتزل عنده ويربطه بلجامه وسرجه فيقال إنه أعطى ثمنه في الكراء ثم يجلس فيشرب حتى يمسي، ثم يركبه وينصرف. فقال في ذلك:

يا بغل بغل أبي المضاء تعلمن
لتعسفن وإن كرهت مهامها
بالرغم يا ولد الحمار قطعتها
حتى تزور مسمعاً في داره
أنى حلفت ولليمين نذور
فيما أحب وكل ذاك يسير
عمداً وأنت مذلل مصبور
وترى المدامة بالأكف تدور
وإذا سخطت فخطب ذاك صغير

خدعته امرأة بأنها أم حنين الخمار وأخذت منه درهمين، فأخذ يهجو أم حنين حتى استرضاه حنين: قال: فأتى يوماً من الأيام بيت الخمار الذي كان يأتيه فلم يصادفه فجعل ينتظره، ودخلت الدار امرأة عبادية، فقال لها: ما فعل فلان؟ قالت: مضى في حاجة وأنا امرأته، فما تريد؟ قال: نبیذاً. قالت: بكم؟ قال: بدرهمين. قالت: هلم درهميك وانتظري. قال لا. قالت: فذلك إليك، ومضت وتبعها، فدخلت داراً لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته. فلما طال جلوسه خرج إليه بعض أهل الدار، قالوا: ما يجلسك؟ فأخبرهم. فقالوا له: تلك امرأة محتالة يقال لها؟ أم حنين من العباديين. فعلم أنه قد خدع، فانصرف إلى خماره فأخبره بالقصة وقال له: أنسني اليوم فاسقني ففعل. وأنشأ الأقيشر يقول:

لم يغرر بذات خف سوانا
وعدتنا بدرهمين نبیذاً
ثم ألوت بالدرهمين جميعاً
يا لقومي لضیعة الدرهمين
بعد أخت العباد أم حنين
أو طلاءً معجلاً غير دين

وذكر هذا الخير عبد الله بن خلف عن أبي عمرو الشيباني وزاد فيه: أن الخمار كان يسمى بحنين، وأن المرأة المحتالة قالت له: إنها أم حنين الخمار الذي كان يعامله حتى أخذت الدرهمين ثم هربت منه، وذكر الأبيات الثلاثة التي تقدمت، وبعدها:

عاهدت زوجها وقد قال إنني
فدعت كالحصان أبيض جلدأ
قال ما أجرذا هديت فقالت
سوف أغدو لحاجتي ولديني
وافر الأير مرسل الخصيتين
سوف أعطيك أجره مرتين

سافحته أرضته بالأخريين

عالم الأير أفحج الحالين

ظهره بالبنان والمعصمين

ذا انتصابٍ موثقٍ الأخدعين

لحنينٍ من عارٍ أم حنين

فأبدأ الآن بالسفاح فلما

تلها للجبين ثم امتطاهما

بينما ذاك منهما وهي تحوي

جاءها زوجها وقد شام فيها

فتأسى وقال ويل طويل

قال: فجاء حنين الخمار فقال له: يا هذا ما أردت بهجائي وهجاء أمي؟! قال: أخذت مني درهمين ولم تعطيني شراباً. قال: والله ما تعرف أمي ولا أخذت منك شيئاً قط، فانظر إلى أمي فإن كانت هي صاحبتك غرمت لك الدرهمين. قال: لا والله ما أعرف غير أم حنين، ما قالت لي إلا ذلك، ولا أهجو إلا أم حنين وابنها، فإن كانت أمك إياها أعني. وإن كانت أم حنين أخرى إياها أعني. فقال: إذا لا يفرق الناس بينهما. قال: فما علي إذاً أترى درهمي يضيعان! فقال له: هلم إذاً أغرمهما لك وأقم ما تحتاج إليه، لا بارك الله لك! ففعل . استكتبته العريان بن الهيثم من ملحه ثم أرسل له خمسين درهماً فاستقلها وهجاه، ثم استرضاه أبوه الهيثم: قال عبد الله وحدثني أبو عمرو قال: كان العريان بن الهيثم النخعي صديقاً للأقيشر، فقال له: يا أقيشر إني أريد أن أمتد إلى الشام فأكتبني من ملحك فأكتبه. فخرج إلى الشام فأصاب مالا، فبعث إلى الأقيشر بخمسين درهماً، ففعل وقال: هات. قال المولى: على أن تهجوه إذ وضع منك؟ قال نعم، فأعطاه خمسين درهماً، وقال الأقيشر:

فملأتهن قصائدًا وكتابا

وكذبتي فوجدتني كذابا

لما فتحت من الخيانة بابا

وسألتي يوم الرحيل قصائدًا

إني صدقتك إذ وجدتكَ صادقاً

وفتحت باباً للخيانة عامداً

وكان أبو العريان على الشرطة، فخافه الأقيشر من هجاء ابنه، وبلغ الهيثم هذه الأبيات فبعث إليه بخمسمائة درهم وسأله الكف عن ابنه وألا يشهره ، فأخذها وفعل . خطب رجل من حضرموت امرأة من بني أسد وسأله عنها فهجاه: قال أبو عمرو: وخطب رجل من حضرموت امرأة من بني أسد، فأقبل يسأل عنها وعن حسبها وأمهاها، حتى جاء الأقيشر فسأله عنها. فقال له: من أين أنت؟ قال: من حضرموت. فأنشأ يقول:

وإلينا حضرموت تنتسب

برئت منكم إلى الله العرب

حضرموت فتشت أحسابنا

إخوة القرد وهم أعمامه

طلبت إليه عمته أن يصلي فقال اختاري إما الصلاة أو الوضوء: أخبرني الحسن بن علي عن أبي أيوب المدني قال قال أبو طالب الشاعر حدثني رجل من بني أسد قال:

سمعت عمة الأقيشر تقول له يوماً: اتق الله وقم فصل، فقال: لا أصلي. فأكثرته عليه، فقال: قد أبرمتني، فاختاري خصلةً من خصلتين: إما أن أصلي ولا أتطهر، وإما أن أتطهر ولا أصلي. قالت: قبحك الله! فإن لم يكن غير هذا فصل بلا وضوء .

جاءه شرطي وهو يشرب فخافه وسقاه بأنبوب من ثقب الباب: قال أبو أيوب: وحدثت أنه شرب يوماً في بيت حمار بالحيرة، فجاء شرطي من شرط الأمير ليدخل عليه، فغلق الباب دونه. فناداه الشرطي اسقني نبیذاً وأنت آمن. فقال: والله ما آمنك، ولكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه، ثم وضع له أنبوباً من قصب في الثقب وصب فيه نبیذاً من داخل والشرطي يشرب من خارج الباب حتى سكر. فقال الأقيشر:

فسقيناہ بأنبوب القصب

سأل الشرطي أن نسقيه

فسلوا الشرطي ما هذا الغضب

إنما نشرب من أموالنا

أعطاه قيس بن محمد مالا ونجمه له فكرر ذلك مراراً فردّه فهجاه: أخبرني عمي عن الكراني عن قعنب بن المحرز، وحدثنا محمد بن خلف عن أبي أيوب المديني عن قعنب بن الهيثم بن عدي قال: كان قيس بن محمد بن الأشعث ضرير البصر، فأتاه الأقيشر فسأله، فأمر قهرمانه فأعطاه ثلاثمائة درهم، فقال: لا أريدها جملةً، ولكن مر القهرمان أن يعطيني في كل يوم ثلاثة دراهم حتى تنفذ. فكان يأخذها منه، فيجعل درهماً لطعامه، ودرهماً لشرايه، ودرهماً لدابة تحمله إلى بيوت الخمارين. فلما نفذت الدراهم أتاه الثانية فسأله فأعطاه وفعل مثل ذلك، وأتاه الثالثة فأعطاه وفعل مثل ذلك، وأتاه الرابعة فسأله. فقال له قيس: لا أبا لك! كأنك قد جعلت هذا خراجاً علينا. فأنصرف وهو يقول:

يقول ولا تلقاه للخير يفعل

ألم تر قيس الأكمه ابن محمد

وما خير أعمى العين والقلب يبخل

رأيتك أعمى العين والقلب ممسكاً

عليه وما فيه من الشر أفضل

فلو صم تمت لعنة الله كلها

فقال قيس: لو نجا أحد من الأقيشر لنجوت منه .

كان سكران فحكموه في الصحابة فقال شعراً: أخبرني أبو الحسن الأسدي عن العتري عن محمد بن معاوية قال: اختصم قوم بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فقالوا: نجعل بيننا أول من يطلع علينا. فطلع الأقيشر عليهم وهو سكران. فقال بعضهم لبعض: انظروا من حكمنا. فقالوا: يا أبا معرضٍ قد حكمناك. قال: فيماذا؟ فأخبروه. فمكث ساعة ثم أنشأ يقول:

فإن الله يغفر لي فسوقي

إذا صليت خمساً كل يوم

فقد أمسكت بالحبل الوثيق

ولم أشرك برب الناس شيئاً

ودعني من بنيات الطريق

وهذا الحق ليس به خفاء

أعطاه ابن رأس البغل مهر ابنة عم له فمدحه فاعترض عليه فأجابه: قال محمد بن معاوية: وتزوج الأقيشر ابنة عم له يقال لها الرباب، على أربعة آلاف درهم، ويقال على عشرة آلاف درهم، فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً؛ فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين وكان مجوسياً، فسأله فأعطاه الصداق. فقال الأقيشر:

كفاني المجوسي مهر الرباب
شهدت بأنك رطب المشاش
وأنك سيد أهل الجحيم
تجاور قارون في قعرها
فدى للمجوسي خالي وعم
وأن أباك الجواد الخصم
إذا ما ترديت فيمن ظلم
وفرعون والمكتنى بالحكم

ذهب إلى عكرمة بن ربيعي فلم يعطه فهجاه: فقال له المجوسي: ويحك! سألت قومك فلم يعطوك وجئتني فأعطيتك، فجزيتني هذا القول ولم أفلت من شعرك وشرك! قال: أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبي جهل! ثم جاء إلى عكرمة بن ربيعي التميمي فلم يعطه، فقال فيه:

سألت ربيعة من شرها
فقلت لأعلم من شركم
فقالوا لعكرمة المخزيات
فإن يك عبداً زكا ماله
أباً ثم أما فقالوا لمة
وأجعل بالسب فيه سمه
وماذا يرى الناس في عكرمه
فما غيرذا فيه من مكرمه

شرب بما معه وبثيابه ثم جلس في تبن وحديث الخمار معه: قال ابن الكلبي: وشرب الأقيشر في حانة خمار حتى أنفد ما معه، ثم شرب بثيابه حتى غلقت فلم يبق عليه شيء، وجلس في تبن إلى جانب البيت وإلى حلقه مستدفناً به. فمر رجل به ينشد ضالّةً، فقال: اللهم اردد عليه واحفظ علينا. فقال له الخمار: نخت عيناك! أي شيء يحفظ عليك ربك؟ قال: هذا التبن لا تأخذه فأموت من البرد. فضحك الخمار ورد عليه ثيابه وقال: اذهب فاطلب ما تشرب به، ولا تجني بثيابك فإنني لا أشتريها بعد ذلك. لقيه هشام الشرطي وهو سكران فحاوره في سكره: قال ابن الكلبي: واحتاز الأقيشر برجلٍ يقال له هشام وكان على شرطة عمرو بن حريث وهو سكران، فدعا به فقال له: أنت سكران؟ قال لا. قال: فما هذه الرائحة؟ قال: أكلت سفرجلاً، ثم قال:

يقولون لي انكه شربت مدامةً
فقلت كذبتم بل أكلت سفرجلاً

فضحك منه ثم قال: فإن لم تكن سكران أخبرني كم تصلي في كل يوم. فقال:

يسألني هشام عن صلاتي
صلاة العصر والأولى ثمان
صلاة المسلمين فقلت خمس
مواترة فما فيهن لبس

وعند مغيب قرن الشمس وتر
وغدوة اثنتان معاً جميعاً
وبعدها لوقتتهما صلاةً
أُحصيت الصلاة أياً هشاماً
تعود أن يلام فليس يوماً
بحامده من الأقوام إنس
وشفع بعدها فيهن حبس
ولما تبد للرائين شمس
لنسك بالضحاء إذا نبس
فذاك الخلاق جبس

قال: فضحك هشام وقال: بلى أخبرتنا يا أبا معرض، فانصرف راشداً .

استنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة: أخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي عبيدة قال: قدم رجل من بني سلول على قتيبة بن مسلم بكتاب عامله على الري وهو المولى بن عمرو المحاربي، فرآه على الباب قدامة بن جعدة بن هبيرة المخزومي وكان صديقاً لقتيبة، فدخل عليه فقال له: بيا بك ألام العرب، سلولي رسول محاربي إلى باهلي. فتبسم قتيبة تبسماً فيه غيظ. وكان قدامة بن جعدة يتهم بشرب الخمر، وكان الأقيشر ينادمه. فقال قتيبة: ادعوا لي مرداس بن جذام الأسدي فدعي. فقال له: أنشدني ما قال الأقيشر في قدامة بن جعدة وهو بالحيرة. فأنشده قوله :

رب ندمان كريم ماجد
قد سقيت الكأس حتى هرها
قلت قم صل فصلى قاعداً
قرن الظهر مع العصر كما
ترك الفجر فما يقرؤها
سيد الجدين من فرعي مضر
لم يخالط صفوها منه كدر
تتغشاها سمارير السكر
تقرن الحق بالحق الذكر
وقرأ الكوثر من بين السور

قال: فتغير لون القرشي وخجل. فقال له قتيبة: هذه بتلك، والبادئ أظلم .

استنشد عبد الملك أبياته في الخمر وحاوره فيها: أخبرني الاخفش عن محمد بن الحسن بن الحرون قال حدثنا الكسروي عن الأصمعي قال: قال عبد الملك للأقيشر: أنشدني أبياتك في الخمر، فأنشده قوله:

تريك القذى من دونها وهي دونه
كميت إذا فضت وفي الكأس وردة
لوجه أخيها في الإناء قطوب
لها في عظام الشاربين دبب

فقال له: أحسنت يا أبا معرض! ولقد أجدت وصفها، وأظنك قد شربتها. فقال: والله يا أمير المؤمنين إنه ليريني منك معرفتك بهذا .

قصة له مع بعض ندمائه في حانة: أخبرني الحسن بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن ابن الكلبي عن رجل من الأزدي قال: كان الأقيشر يأتي إخواناً له يسألهم فيعطونه، فأتى رجلاً منهم فأمر له بخمسمائة درهم، فأخذها وتوجه إلى

الحانة ودفعها إلى صاحبها وقال له: أقم لي ما أحتاج إليه ففعل ذلك، وانضم إليه رفقاء له، فلم يزل معهم حتى نفدت الدراهم، فأتاهم بعد إنفاقها بيومٍ ثم أتاهم من غدٍ فاحتملوه، فلما أتاهم في اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيدٍ فقالوا لصاحب الحانة: أضعدنا إلى غرفتك هذه وأعلم الأقيشر أنا لم نأت اليوم. فلما جاء الأقيشر أعلمه ما قالوه له. فعلم الأقيشر أنه لا فرج له عند صاحب الحانة إلا برهن، فطرح إليه ثيابه وقال له: أقم لي ما أحتاج إليه ففعل. فلما أخذ فيه الشراب أنشأ يقول:

يا خليلي اسقياني كأساً ثم كأساً حتى آخر نعاسا

إن في الغرفة التي فوق رأسي لأناساً يخادعون أناسا

يشربون المعتقد الراح صرفاً ثم لا يرفعون بالزور راسا

فلما سمع أصحابه هذا الشعر فدوه بآبائهم وأمهاتهم ثم قالوا له: إما أن تصعد إلينا أو نترل إليك، فصعد إليهم. قصته مع عمه وبشر بن مروان حين مدح بشراً فوصله: أخبرني الحسن بن علي عن ابن مهيوية قال حدثني أبو مسلم المستملي عن المدائني قال: مدح الأقيشر بشر بن مروان ودخل إليه فأنشده القصيدة وعنده أيمن بن خزيم بن فاتك الأسدي، فقال أيمن: هذا والله كلام حسن من جوفٍ خرب. فأجابه بالبيت المذكور. وقال أبو عمرو أيضاً في خبره: فلما صار الأقيشر إلى منزله بعث عمه فأخذ منه الألف درهم وقال: والله لا أحليك تفسدها وتشرب بها الخمر. قال: فتصنع بها ماذا؟ قال: أكسوك وأكسو عيالك وأعد لك قوت عامك. فتركه ودخل على بشر فقال له:

أبلغ أبا مروان أن عطاءه أزاع به من ليس لي بعيال

قال: ومن ذلك؟ فأخبره الخبر. فأمر صاحب شرطته أن يحضر عمه وينتزع منه الألف درهم ويسلمها إليه، وقال: خذها ونحن نقوم لعيالك بما يصلحهم .

مدح خمارة بشعر داعر فسرت به: أخبرني هاشم بن محمد عن أبي غسان دماذ عن أبي عبيدة قال: مر الأقيشر بخمارة بالحيرة يقال لها دومة، فترل عندها فاشترى منها نبيذاً، ثم قال لها جودي لي الشراب حتى أجد لك المدح ففعلت. فأنشأ يقول:

ألا يا دوم دام لك النعيم وأسمر ملء كفك مستقيم

شديد الأسر ينبض حالباه يحم كأنه رجل سقيم

يرويه الشراب فيزدهيه وينفخ فيه شيطان رجيم

قال: فسرت به الخمارة وقالت: ما قيل في أحسن من هذا ولا أسر لي منه .

مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك: أخبرني أبو الحسن الأسدي عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن

أيوب بن عباية قال: كان فاتك ابن فضالة بن شريك الأسدي كريماً على بني أمية، وهو الوافد على عبد الملك بن مروان قبل أن ينهض إلى حرب ابن الزبير، فضمن له على أهل العراق طاعتهم وتسليم بلادهم إليه، وأن يسلموا مصعباً إذا لقيه ويتفرقوا عنه. وله يقول الأقيشر في هذه الوفادة:

وفد الوفود فكنت أفضل وافد
يا فاتك بن فضالة بن شريك

تولى الكوفة رجل من بني تميم فانكسر المنبر من تحته فهجاهم: أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن السكري قال حدثني ابن حبيب قال: ولي الكوفة رجل من بني تميم يقال له مطر؛ فلما علا المنبر انكسرت الدرجة من تحته فسقط عنها؛ فقال الأقيشر:

أبني تميم ما لمنبر ملككم
ما يستقر قراره يتمرمر

إن المنابر أنكرت أستاذكم
فادعوا خزيمة يستقر المنبر

سئل عن قريظة بن قرظة فتكاسل عن ذكر اسمه فهجاه فرد عليه: أخبرني محمد بن مزيد عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال: مر رجل من محارب يقال له قريظة بن يقظة بالأقيشر الأسدي وهو مجلس من مجالس بني أسد، فسلم على الأقيشر وكان به عارفاً. فقال له القوم: من هذا يا أبا معرض؟ وكان مخموراً، فقال:

ومن لي بأن أستطيع أن أذكر اسمه
وأعيا عقلاً أن يطيق له ذكرا

قال فضحك القوم وقالوا: سبحان الله! أي شيء تقول؟ فقال: اسمه ونسبه أعظم من أن أقدر على ذكرهما في يوم، فإن شئتم سميته اليوم ونسبته غداً، وإن شئتم نسبته اليوم وسميته غداً. قالوا: هات اسمه اليوم. فقال: قريظة. فقال رجل منهم: ينبغي أن يكون ابن يقظة. فقال الأقيشر: صدقت والله وأصبت، ولقد أثقلت اسمه حين ذكرته أن أقول نعم. فبلغ قريظة قوله وكان شاعراً فقال:

لسانك من سكرٍ ثقيل عن النقي
ولكنه بالمخزيات طليق

وأنت حقيق يا أقيشر أن ترى
كذاك إذا ما كنت غير مفيق

تسف من الصهباء صرفاً تخالها
جنى النحل يهديه إليك صديق

فبلغ الأقيشر قول المحاري وكان يكنى أبا الذيال، فأجابه فقال:

عدمت أبا الذيال من ذي نواله
له في بيوت العاهرات طريق

أبالخمر عيرت امرأ ليس مقلعاً
وذلك رأي لو علمت وثيق

سأشربها ما دمت حياً وإن أمت
ففي النفس منها زفرة وشهيق

سمع الرشيد من يتغنى بشعر له في توبته من الخمر فأعجب به: أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال: بلغني أن الرشيد سمع ليلة رجلاً يغني:

إن كانت الخمر قد عزت وقد منعت
وكانت الخمر قد عزت وقد منعت
فقد أبكرها صرفاً وأشربها
أشفي بها غلتي صرفاً وأمتزج
وقد تقوم على رأسي مغنية
لها إذا رجعت في صوتها غنج
وترفع الصوت أحياناً وتخفضه
كما يطن ذباب الروضة الهزج

قال: فوجه في أثر الصوت من جاءه بالرجل وهو يردد، فقال: لا ترع فإنما أعجيني حسن صوتك. فقال: والله يا أمير المؤمنين ما تغنين بهذا الشعر إلا وأنا قد تبت من شرب النبيذ، وهذا شعر يقوله الأقيشر في توبته من النبيذ. فقال له الرشيد: وما حملك على تركه؟ قال: خشية الله. وإني فيه يا أمير المؤمنين كما قال زيد بن طبيان:

جاءوا بقاقزة صفراء مترعة
هل بين ذي كبرة والخمر من نسب
بئس الشراب شراباً حين تشربه
يوهي العظام وطوراً مفتر العصب
إني أخاف مليكي أن يعذبني
وفي العشيرة أن يزري على حسبي

فقال له الرشيد: أنت وما اخترت أعلم، فأعد الصوت، فأعاده. وأمر بإحضار المغنين واستعاده، وأمرهم بأخذه عنه فأخذوه، ووصله وانصرف، وكان صوت الرشيد أياماً. هكذا ذكر إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة في هذا الخبر أن الأبيات للأقيشر، ووجدتها في شعر أبي محجن الثففي له لما تاب من الشراب .
خرج لغزو الشام فباع حماره وأنفق ثمنه في الفجور ثم رجع مع الغازين: أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا أبو سعيد عن محمد بن حبيب قال: كان القباع ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، قد أخرج الأقيشر مع قومه لقتال أهل الشام، ولم يكن عند الأقيشر فرس فخرج على حمار، فلما عبر جسر سورا فوصل لقرية يقال لها قنين توارى عند حمار نبطي يبرز زوجته للفجور، فباع حماره وجعل ينفقه هناك ويشرب بثمانه ويفجر إلى أن قفل الجيش، وقال في ذلك:

خرجت من المصر الحواري أهله
بلا ندبة فيها احتساب ولا جعل
إلى جيش أهل الشام أغزيت كارهاً
سفاهاً بلا سيف حديد ولا نبل
ولكن بترس ليس فيه حمالة
ورمح ضعيف الزج متصدع النصل
حباني به ظلم القباع ولم أجد
سوى أمره والسير شيئاً من الفعل
فأزمعت أمري ثم أصبحت غازياً
وسلمت تسليم الغزاة على أهلي
وقلت لعلي أن أرى ثم ركباً
على فرس أو ذا متاع على بغل

جوادي حمار كان حيناً لظهره
وقد خان عينيه بياض وخانه
إذا ما انتحى في الماء والوحل لم ترم
أنادي الرفاق بارك الله فيكم
فسرنا إلى قنين يوماً وليلة
إذا ما نزلنا لم نجد ظل ساحة
مررنا على سوراء نسمع جسرهما
فلما بدا جسر السراة وأعرضت
نزلنا إلى ظل ظليل وباءة
يشارطه من شاء كان بدرهم
فأتبعت رمح السوء سمية نصله
تقول ظبايا قل قليلاً ألا ليا
مهت لها جريقة فتركتهما

مما يغني فيه من شعره:

ومما يغني فيه من شعر الأقيشر: صوت:

لا أشربن أبداً راحاً مسارقةً
أفنى تلاميذ وما جمعت من نشب
إلا مع الغر أبناء البطاريق
قرع القواقيز أفواه الأباريق

الغناء لحنين هزج بالبنصر عن عمرو. وفيه لعمر الوادي رمل بالبنصر عن الهشامي. وفيه ثقل أول ينسب إلى حنين وعمر وحكم جميعاً. وهذا الغناء المذكور من قصيدة للأقيشر طويلة، أولها:

إني يذكرني هنداً وجارتها
بالطف صوت حمامات على نيق

صوت:

دعاني دعوة والخيل تردي
وكان إجابتي إياه أني
فلا أدري أباسمي أم كناني
عطفت عليه خوار العنان

الشعر لابن الغريزة النهشلي. والغناء ليحيى المكي رمل بالوسطى عن الهشامي. وقد جعل المغنون معه هذا البيت ولم أجده في قصيدته، ولا أدري أهو له أم لغيره:

أخبار ابن الغريزة ونسبه

نسب ابن الغريزة: كثير بن الغريزة التميمي أحد بني فُهشَلٍ. والغريزة أمه. وهو مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وقال الشعر فيهما. وهذا الشعر يقوله ابن الغريزة في غزاة غزاها الأقرع بن حابس وأخوه بالطالقان وجوزجان وتلك البلاد، فأصيب من أصحابه قوم بالطالقان فرثاهم ابن الغريزة .

قصيدته التي يذكر فيها يوم الطالقان ويرثي من قتل فيه: أخبرني الصولي عن الحزنبل عن ابن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: بعث عمر بن الخطاب الأقرع بن حابس وأخاه على جيشٍ إلى الطالقان وجوزجان وتلك البلاد، فأصيب من أصحابه قوم بالطالقان، فقال ابن الغريزة النهشلي وقد شهد تلك الوقعة يرثيهم ويذكر ذلك اليوم:

سقى مزن السحاب إذا استهلّت

إلى القصرين من رستاق خوطٍ

وما بي أن أكون جزعت إلا

ومحبور برويتنا يرجي ال

ورب أخ أصاب الموت قبلي

دعاني دعوةً والخيل تردي

فكان إجابتي إياه أني

وأي فتى دعوت وقد تولت

وأي فتى إذا ما مت تدعو

فإن أهلك فلم أك ذا صدوفٍ

ولم أدلج لأطرق عرس جاري

ولكني إذا ما هايجوني

ويكرهني إذا استبسلت قرني

فلا تستبعدا يومي فإني

ويدركني الذي لا بد منه

وتبكييني نوائح معولات

مصارع فتيةٍ بالجوزجان

أبادهم هناك الأقرعان

حنين القلب للبرق اليماني

لقاء ولن أراه ولم يراني

بكيت ولو نعت له بكاني

فما أدري أباسمي أم كناني

عطفت عليه خوار العنان

بهن الخيل ذات العنظوان

يطرف عنك غاشية السنان

عن الأقران في الحرب العوان

ولم أجعل على قومي لساني

منيع الجار مرتفع البنان

وأقضي واحداً ما قد قضاني

سأوشك مرةً أن تفقداني

وإن أشفقت من خوف الجنان

تركن بدار معترك الزمان

سواحي الطرف كالبقر الهجان

وللرشد المبين فاهدياني

ونفعمكما بعيد الخير واني

ولا أبیکما لا تفعلان

حبائس بالعراق منههات

أعاذلتي من لؤمٍ دعاني

وعاذلتي صوتكما قريب

فردا الموت عني إن أتاني

صوت:

غير الوحوش خلت له وخلا لها

وهي التي فعلت به أفعالها

دار لقائلة الغرائق ما بها

ظلت تسائل بالميتيم ما به

الشعر لأعشى بني تغلب من قصيدة يمدح بها مسلمة بن عبد الملك ويهجو جريراً ويعين الأخطل عليه. ويروى ربع لقانصة الغرائق وهو الصحيح هكذا، ويغنى دار لقائلة، لأنه يقول في آخر البيت: خلت له وخلا لها . والغناء لعبد الله بن العباس ثاني ثقیل بالبصرة عن عمرو بن بانة وابن المكي. وفيه لمخارق رمل من جميع أغانيه .

أخبار أعشى بني تغلب ونسبه

نسب أعشى تغلب وكان نصرانياً:

قال أبو عمرو الشيباني: اسمه ربيعة. وقال ابن حبيب: اسمه النعمان بن يحيى بن معاوية، أحد بني معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، شاعر من شعراء الدولة الأموية، وساكني الشام إذا حضر، وإذا بدا نزل في بلاد قومه بنواحي الموصل وديار ربيعة. وكان نصرانياً، وعلى ذلك مات .

قصته مع الحر بن يوسف: أخبرني علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن أبي عمرو الشيباني قال: كان أعشى بني تغلب ينادم الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم. فشربا يوماً في بستان له بالموصل، فسكر الأعشى فنام في البستان. ودعا الحر بجواريه فدخلن عليه قبتة. واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخل القبة، فمانعه الخدم، ودافعهم حتى كاد أن يهجم على الحر مع جواريه، فلطمه خصي منهم؛ فخرج إلى قومه فقال لهم: لطمني الحر. فوثب معه رجل من بني تغلب يقال له ابن أدعج وهو شهاب بن همام بن ثعلبة بن أبي سعد، فاقتحما الحائط وهجما على الحر حتى لطمه الأعشى ثم رجعا. فقال الأعشى:

على قرشيك الورع الجبان

فضلاً حوله يتناهشان

عشية رعت طرفك بالبنان

كأنني وابن أدعج إذ دخلنا

هزيراً غابة وقصاً حماراً

أنا الجشمي من جشم بن بكر

أي لطمتك. وقوله أنا الجشمي أي مثلي يفعل ذلك. بمثلك

فما يستطيع ذو ملك عقابي
إذا اجترمت يدي وجنى لساني
عشية غاب عنك بنو هشام
وعثمان استها وبنو أبان
تروح إلى منازلها قریش
وأنت مخيم بالزرقان

والزرقان: قرية كانت للحر بسنجار .

مدح مدركاً الكناني فأساء ثوابه فهجاه: قال ابن حبيب: مدح أعشى بني تغلب مدرك بن عبد الله الكناني أحد بني أقيشر بن جذيمة ابن كعب فأساء ثوابه؛ فقال الأعشى:

لعمرك إني يوم أمدح مدركاً
لكالمبتني حوضاً على غير منهل
أمر الهوى دوني وفيل مدحتي
ولو لكریم قلتها لم تقيل

شعره في شملة بن عامر حين قطع الخليفة بضعة من فخذه: قال ابن حبيب: كان شملة بن عامر بن عمرو بن بكر أخو بني فائد وهم رهط الفرس نصرانياً وكان ظريفاً، فدخل على بعض خلفاء بني أمية، فقال: أسلم يا شملة. قال: لا والله أسلم كارهاً أبداً، ولا أسلم إلا طائعاً إذا شئت. فغضب فأمر به فقطعت بضعة من فخذه وشويت بالنار وأطعمها. فقال أعشى بني تغلب في ذلك:

أمن حذة بالفخذ منك تباشرت
عداك فلا عار عليك ولا وزر
وإن أمير المؤمنين وجرحه
لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وفد على عمر بن عبد العزيز فلم يعطه فقال شعراً: وقال ابن حبيب قال أبو عمرو: كان الوليد عبد الملك محسناً إلى أعشى بني تغلب، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وفد إليه ومدحه فلم يعطه شيئاً، وقال: ما أرى للشعراء في بيت المال حقاً، ولو كان لهم فيه حق لما كان لك؛ لأنك امرؤ نصراني. فانصرف الأعشى وهو يقول:

لعمري لقد عاش الوليد حياته
كأن بني مروان بعد وفاته
إمام هدى لا مستزاد ولا نزر
جلاميد لا تندى وإن بلها القطر

شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بني شيان: وقال ابن حبيب عن أبي عمرو: كانت بين بني شيان وبين تغلب حروب، فعاون مالك بن مسمع بن شيان في بعضها ثم قعد عنهم. فقال أعشى بني تغلب في ذلك:

بني أمنا مهلاً فإن نفوسنا
وترعى بلا جهل قرابة بيننا
تميت عليكم عتبتها ومصالها
وبينكم لما قطعتم وصالها
جزى الله شيباناً وتيماً ملاماً
جزاء المسيء سعيها وفعالها
أبا مسمع من تتكر الحق نفسه
وتعجز عن المعروف يعرف ضلالها

أوقدت نار الحرب حتى إذا بدا
لنفسك ما تجني الحروب فهالها
نزعت وقد جردتها ذات منظر
قبيح مهين حيث ألفت حلالها
ألسنا إذا ما الحرب شب سعيها
وكان صفيح المشرقي صلالها
أجارتنا حل لكم إن تناولوا
محارمها وأن تميزوا خلالها

كذبتم يمين الله حتى تعاوروا
صدر العوالي بيننا ونصالها
وحتى ترى عين الذي كان شامتاً
مزاحف عقرى بيننا ومجالها

صوت:

ويفرح بالمولود من آل برمك
بغاة الندى والرمح والسيف والنصل
وتتبسط الآمال فيه لفضله
ولا سيما إن كان من ولد الفضل

الشعر لأبي النضير. والغناء لإسحاق، ثقل أول بالنصر عن عمرو بن بانة من مجموع إسحاق. وقال حبش: فيه إبراهيم الموصلي ثقل أول بالنصر عن عمرو بن بانة من مجموع إسحاق. وقال حبش: فيه إبراهيم الموصلي ثقل آخر بالوسطى. ولقضيبي وبراقي جاريي يحيى بن خالد فيه لحنان .

أخبار أبي النضير ونسبه

اسم أبي النضير ونسبه: أبو النضير اسمه عمر بن عبد الملك، بصري، مولى لبني جهم .
أخبرنا بذلك عمي عن ابن مهوريه عن إسحاق بن محمد النخعي عن إسحاق بن خلف الشاعر قال: قلت لأبي النضير بن أبي الياس: لمن أنت ؟ فقال: لبني جهم .
هو شاعر بصري انقطع إلى البرامكة فأغنوه: وذكر أبو يحيى اللاهقي أن اسمه الفضل بن عبد الملك. شاعر من شعراء البصريين، صالح المذهب، ليس من المعدودين المتقدمين ولا من المولدين الساقطين. وكان يغني بالبصرة على جوار له مولدات، ويظهر الخلاعة والمجون والفسق، ويعاشر جماعة ممن يعرف بذلك الشأن. وكان أبان اللاهقي يعاشره ثم تصارما، وهجاه وهجا جواريه وافترقا على قلى، ثم انقطع إلى البرامكة فأغنوه إلى أن مات .
قال إسحاق الموصلي إنه أظرف الناس: أخبرنا ابن أبي الأزر عن حماد بن إسحاق قال سمعت أبي يقول: لو قيل لي من أظرف من رأيته قط أو عاشرته، لقلت: أبو النضير .
دخل على الفضل بن يحيى فهناه بمولود ارتجالاً: أخبرني عيسى الوراق عن الفضل اليزيدي عن إسحاق، وأخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه قال: ولد للفضل بن يحيى مولود، فوفد عليه أبو النضير ولم يكن عرف الخبر فيعد له تهنة، فلما مثل بين يديه ورأى الناس يهنتونه نثراً ونظماً قال ارتجالاً:

ويفرح بالمولود من آل برمك
بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتتبسط الآمال فيه لفضله
.....

ثم ارتج عليه فلم يدر ما يقول. فقال الفضل يلقنه:

ولا سيما إن كان من ولد الفضل

فاستحسن الناس بديهة الفضل في هذا، وأمر لأبي النضير بصلة .

نقد الفضل بن يحيى شعراً له في مدحهم فأجابه: وأخبرني حبيب بن نصر عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني بعض الموالي قال: حضرت الفضل بن يحيى وقد قال لأبي النضير: يا أبا النضير أنت القاتل فيا:

إذا كنت من بغداد في رأس فرسخ وجدت نسيم الجود من آل برمك

لقد ضيقت علينا جداً. قال: أفلاجل ذلك أيها الأمير ضاقت علي صلتك وضاقت عني مكافأتك وأنا الذي أقول:

تشاغل الناس ببنيانهم والفضل في بنيانه جاهد

كل ذوي الفضل وأهل النهى للفضل في تدبيره حامد

وعلى ذلك فما قلت البيت الأول كما بلغ الأمير، وإنما قلت:

إذا كنت من بغداد منقطع الثرى وجدت نسيم الجود من آل برمك

فقال الفضل: إنما أخرت عنك لأمازحك، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

كتب إلى عنان وكان يهواها فأجابته: أخبرني ابن عمار عن أبي إسحاق الطلحي عن أبي سهيل قال: كان أبو النضير يهوى عنان جارية الناطقي، وكتب إليها:

إن لي حاجةً فرأيك فيها لك نفسي الفدا من الأوصاب

وهي ليست مما يبلغه غي ري ولا أستطيعه بكتاب

غير أنني أقولها حين ألقا ك رويداً أسرها من ثيابي

فأجابته وقالت:

أنا مشغولة بمن لست أهوا ه وقلبي من دونه في حجاب

فإذا فيها ما أردت أمراً فأسرر ه ولا تجعله في كتاب

قال: قال أبو النضير فيها: شعر له في عنان: صوت:

أنا والله أهواك وأهواك وأهواك

على برد ثنائك
لنفسي وكفى ذاك

وأهوى قبلةً منك
وأهوى لك ما أهوى

ك يوماً حين ألقاك
وما يشعر مولاك
م إياك وإياك

فهل ينفعني ذل
أنا والله أهواك
فإياك بأن يعمل

فيه لعل بن المارقي رمل بالبنصر عن الهشامي .

طلبت منه مكتومة المغنية صوتاً كان يغنيه فمازحها: حدثنا ابن عمار عن الطلحي عن أبي سهيل قال: كان أبو النضير يغني غناءً صالحاً، فغنى ذات يوم صوتاً كان استفاده ببغداد. فقالت له قينة كانت ببغداد يقال لها مكتومة: اطرح علي هذا الصوت يا أبا النضير. فقال: لا تطيب نفسي به محايياً، ولكني أبيعك إياه. قالت: بكم؟ قال: برأس ماله. قالت: وما رأس ماله؟ قال: ناكبي فيه الذي أخذته منه. فغطت وجهها وقالت: عليك وعلى هذا الصوت الدمار .

شعر له في مدح أبي جعفر عبد الله بن هشام: أخبرني ابن عمار الطلحي عن أبي سهيل قال: قال أبو النضير، وفيه غناء لإبراهيم: صوت:

وكيف وقد شحطت زينب
زماناً فلم يدر من غلبوا
بنو تغلب سبقت تغلب

أيصحو فؤادك أم يطرب
جرى الناس قبل أبي جعفر
فلما جرى بأبي جعفر

قال أبو سهيل: وأبو جعفر الذي عناه أبو النضير هو عبد الله بن هشام بن عمرو التغلبي الذي يذكره العتابي في شعره ورسائله، وكان جواداً سخياً. وكان ابن هشام ولي السند، وفيه يقول أبو النضير:

كأنك تحكي راحة ابن هشام
يدوم وقد تأتي بغير دوام
وراحته تغدو بغير جهام

ألا أيها الغيث الذي سح وبله
كأنك تحكيها لكن جوده
وفيك جهام ربما كان مخلفاً

كان يرى أن الغناء على تقطيع العروض: أخبرني ابن عمار عن الطلحي وعن أبي سهيل قال: كان أبو النضير يزعم أن الغناء على تقطيع العروض، ويقول: هكذا كان الذين مضوا يقولون، وكان مستهزئاً بالغناء حتى تعاطى أن يغني، وكان إبراهيم الموصلي يخالفه في ذلك ويقول: العروض محدث، والغناء قبله بزمان. فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه:

سكت عن الغناء فلا أماري

بصيراً لا ولا غير البصير

مخافةً أن أجنن فيه نفسي

كما قد جن فيه أبو النضير

قاطعهُ أبان اللاحقي وقال شعراً يهجوهُ: أخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهروية قال حدثني أبو طلحة الخزاعي عن اللاحقي قال: كان جدي أبان يشرب مع إخوانٍ له على شاطئ دجلة بعد مصارمته أبا النضير، وكان القوم أصدقاء له ولأبي النضير، فذكروه. فقال جدي: إن حضر انصرفت. فقال جدي فيه:

رب يومٍ بشط دجلة لذٍ

وليالٍ نعمت فيها لذاذ

غيبية لم تطل علي وماذا

خير قرب المطرمد الملاذ

ترك الأشربات ليس بعاطٍ

لرساطونها ولا الراقياذ

وحكى الأحمق الذي ليس يدري

أن خير الشراب هذا اللذاذ

ضل رأي أراه ذاك كما ضل غواة لاذوا بشر ملاذ

أنت أعمى فيما ادعيت كما لس

ت لصوغ اللحان بالأستاذ

كان ذنباً أتوب منه إلى الل

ه اختياريك صاحباً واتخاذي

إن لله صوم شهرين شكراً

أن قضى منك عاجلاً إنقاذي

لا لدين ولا لدنيا ولا يص

لح في علم ما ادعى بنفاذ

كتب إلى حماد عجرد يسأله عن حاله في الشراب فأجابه: حدثني ابن عمار عن الطلحي عن أبي سهيل قال: كتب أبو النضير إلى حماد عجرد يسأل عن حاله في الشراب وشربه إياه ومن يعاشر عليه. فكتب إليه حماد:

أبا النضير اسمع كلامي ولا

تجعل سوى الإنصاف من بالكا

سألت عن حالي، وما حال من

لم يلق إلا عابداً ناسكا

يظهر لي ذا فمتى يفترض

شيئاً تجده عادياً فاتكا

يعني حريث بن عمرو. وكان حماد نزل عليه، وكان حريث هذا مشهوراً بالزندقة، وكذلك حماد هذا كان مشهوراً به، فتزل عليه لذلك .

كتب إلى حمدان اللاحقي يشكو إليه عمر بن يحيى ويهجوهُ: أخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهروية عن أبي طلحة الخزاعي عن أبي يحيى اللاحقي قال:

كتب أبو النضير إلى عمي حمدان بن أبان، وكان له صديقاً، يشكو إليه عمر بن يحيى الزياتي وكان عريده عليه وشتمه:

أقر حمدان سلام ال

له من فضلٍ وقل له

يا فتى لست بحمد ال
 ذاك أن الله قد أن
 وذرا بيت رقاش
 إن شتم السفلة الكش
 ولو أن القلب هاجى
 ذاك أن الله قد أخ
 من يهاجي رجلاً يس
 ما يسيل الأير إلا
 وإذا عاين أيراً
 هذه قصة من قد
 له أخشى أن أمله
 هله الظرف وعله
 وعلاها قد أحله
 خان ذي القرنين ضله
 عمراً يوماً لخله
 زى ابن يحيى وأذله
 توعب الجردان كله
 أدخل الأير وبله
 وافي الفيشة غله
 جعل المردان شغله

أنشد الفضل بن الربيع شعراً في امرأة تزوجها وطلقها: حدثني عمي عن أبي العيناء عن أبي النضير قال: دخلت على الفضل بن الربيع فقال: هل أحدثت بعدي شيئاً؟ قلت: نعم، قلت أبياتاً في امرأة تزوجتها وطلقتها لغير علة إلا بغضي لها، وإنما لبيضاء بضه، كأنها سبيكة فضة. فقال لي: وما قلت فيها؟ فقلت قلت:

رحلت سكينه بالطلاق
 رحلت فلم تألم لها
 لو لم تبني بطلاقها
 وشفاء ما لا تشتتهي
 فأرحت من غل الوثاق
 نفسي ولم تدمع مآقي
 لأبنت نفسي بالإباق
 ه تالنفس تعجيل الفراق

فقال: يا غلام، الدواة والقرطاس، فأني بهما، فأمرني فكتبت له الأبيات، ثم قلت له: أنت والله تبغض بنت أبي العباس الطوسي. فقال: اسكت أخزأك الله! ثم ما لبث أن طلقها . صوت:

ما بال عينك جائلاً أقذاؤها
 ذكرت عشيرتها وفرقة بينها
 شرقت بعبرتها وطال بكاؤها
 فطوت لذلك غلة أحشاؤها

الشعر لعبد الله بن عمر العبلي. والغناء لأبي سعيد مولى فائد، رمل مطلق في مجرى الوسطى عن ابن المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبه إلى أحد، وقيل: إنه من منحول يحيى إلى أبي سعيد .

أخبار العبلي ونسبه

نسبه، وهو من مخضرمي الدولتين: اسمه عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد مناف، ويكنى أبا عدي، شاعر مجيد من شعراء قريش، ومن مخضرمي الدولتين، وله أخبار مع بني أمية وبني هاشم تذكر في غير هذا الموضع .

سبب نسبه إلى العبلات: ويقال له عبد الله بن عمر العبلي، وليس منهم؛ لأن العبلات من ولد أمية الأصغر بن عبد شمس. سمو بذلك لأن أمهم عبلة بنت عبيد بن حارك بن قيس بن مالك بن حنظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم، وهؤلاء يقال لهم براحم بني تميم، ولدت لعبد شمس بن عبد مناف أمية الأصغر، وعبد أمية ونوفلاً، وأمه من بني عبد شمس، فهؤلاء يقال لهم العبلات، ولهم جميعاً عقب. أما أمية الأصغر فإنهم بالحجاز، وهم بنو الحارث بن أمية، منهم علي بن عبد الله بن الحارث، ومنهم الثريا صاحبة ابن أبي ربيعة .

وأما بنو نوفل وعبد أمية فإنهم بالشام كثير. وعبد العزى بن عبد شمس كان يقال له أسد البطحاء. وإنما أدخلهم الناس في العبلات لما صار الأمر لبني أمية الأكبر وسادوا وعظم شأنهم في الجاهلية والإسلام وكثر أشrafهم، فجعل سائر بني عبد شمس من لا يعلم قبيلة واحدة، فسموهم أمية الصغرى، ثم قيل لهم العبلات لشهرة الاسم. وعلي بن عدي جد هذا الشاعر شهد مع عائشة يوم الجمل. وله يقول شاعر بني ضبة لعنة الله عليه:

ولا تبارك في بعير حملة

يارب أكذب بعلي جملة

إلا علي بن عدي ليس له

كان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشم ثم خرج على المنصور مع محمد بن عبد الله بن الحسن: فأما عبد الله بن عمر هذا الشاعر فكان في أيام بني أمية يميل إلى بني هاشم ويذم بني أمية، ولم يكن منهم إليه صنع جميل، فسلم بذلك في أيام بني العباس، ثم خرج على المنصور في أيامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن .

فرق هشام بن عبد الملك أموالاً ولم يعطه فقال شعراً: أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيري قال:

العبلي عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس، ويكنى أبا عدي، وله أخبار كثيرة مع بني هاشم وبني أمية. وقسم هشام بن عبد الملك أموالاً وأجاز بجوائز، فلم يعطه شيئاً. فقال:

لييتني كنت من بني مخزوم

خس حظي أن كنت من عبد شمس

وأبيع الأب الشريف بلوم

فأفوز الغداة منهم بسهم

استقدمه المنصور واستنشدته فغضب عليه فذهب إلى المدينة: فلما استخلف المنصور كتب إلى السري بن عبد الله أن يوجه به إليه ففعل. فلما قدم عليه قال له: أنشدني ما قلت في قومك، فاستغفاه. فقال: لا أعفيك. فقال: أعطني الأمان فأعطاه، فأنشده:

شرقت بعبرتها فطال بكاؤها

ما بال عينك جائلاً أقداؤها

حتى انتهى إلى قوله:

فبنو أمية خير من وطىء الحصى شرفاً وأفضل ساسة أمرائها

فقال له: اخرج عني لا قرب الله دارك! فخرج حتى قدم المدينة، فألقى محمد بن عبد الله ابن حسن قد خرج فبايعه .

أخذت حرمه وأمواله فمدح السفاح فأكرمه ورد إليه ما أخذ منه: أخبرني عمي عن الكرابي عن العمري عن العتي عن أبيه قال: كان أبو عدي الذي يقال له العبلي مجفواً في أيام بني مروان وكان منقطعاً إلى بني هاشم، فلما أفضت الدولة إليهم لم يبقوا على أحد من بني أمية، وكان الأمر في قتلهم جداً إلا من هرب وطار على وجهه. فخاف أبو عدي أن يقع به مكروه في تلك الفورة فتواري؛ وأخذ داود بن علي حرمه وماله؛ فهرب حتى أتى أبا العباس السفاح، فدخل عليه في غمار الناس متنكراً وجلس حجرة حتى تقوض القوم وتفرقوا، وبقي أبو العباس مع خاصته. فوثب إليه أبو عدي فوقف بين يديه وقال:

ألا قل للمنازل بالسفار سقيت الغيث من دمن قفار

فهل لك بعدنا علم بسلمى وأتراب لها شبه الصوار

أوانس لا عوابس جافيات عن الخلق الجميل ولا عواري

وفيهن ابنة القصوي سلمى كهم النفس مفعمة الإزار

تلوث خمارها بأحم جعد تضل الفاليات به المداري

برهرهة منعمة نمتها أبوتها إلى الحسب النضار

فدع ذكر الشباب وعهد سلمى فما لك منهما غير ادكار

وأهد لهاشم غرر القوافي تتخلها بعلم واختيار

لعمرك إنني ولزوم نجد ولا ألقى حباء بني الخيار

لكالبادي لأبرد مستهل بحوباء كبطن العير عار

سأرحل رحلة فيها اعتزام وجد في رواح وابتكار

إلى أهل الرسول غدت برحلي عذافرة ترامي بالصحاري

تؤم المعشر الأبرار تبغي فكاكاً للنساء من الإسار

أيا أهل الرسول وصيد فهر وخير الواقفين على الجمار

أتؤخذ نسوتي ويحاز مالي وقد جاهرت لو أغنى جهاري

واذعر أن دعيت لعبد شمس
بنصرة هاشمٍ شهرت نفسي
بقربى هاشمٍ وبحق صهرٍ
ومنزل هاشم من عبد شمسٍ
وقد أمسكت بالحرم الصواري
بداري للعدا وبغير داري
لأحمد لفه طيب النجار
مكان الجيد من عليا الفقار

فقال له السفاح: من أنت؟ فانتسب له؟ فقال له: حق لعمرى أعرفه قديماً ومودة لا أجحدها، وكتب له إلى داود بن علي بإطلاق من حبسه من أهله ورد أمواله عليه وإكرامه، وأمر له بنفقة تبلغه المدينة .
وفد على عبد الله بن حسن وأجاره هو وابناه وزوجه: أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العلوي عن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدثني أبي قال: قال سعيد بن عقبة الجهني: إني لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له: هذا رجل يدعوك، فخرجت فإذا أنا بأبي عدي الأموي الشاعر، فقال: أعلم أبا محمد. فخرج إليه عبد الله بن حسن وابناه وقد ظهرت المسودة وهم خائفون، فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار، فخرج من عندهم بألف دينار .
استنشد عبد الله بن حسن مما رثى به قومه ثم أكرمه هو وأهله:

وأخبرني حرمي عن الزبير، وأخبرني الأخفش عن المبرد عن المغيرة بن محمد المهلي عن الزبير عن سليمان بن عياش السعدي قال: جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العجلي إلى سويقة وهو طريد بني العباس، وذلك بعقب أيام بني أمية وابتداء خروج ملكهم إلى بني العباس، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسويقة، فاستنشد عبد الله شيئاً من شعره فأنشده. فقال له: أريد أن تنشدي شيئاً مما رثيت به قومك، فأنشده:

تقول أمانة لما رأيت
وقلة نومي على مضجعي
أبي ما عراك؟ فقلت الهموم
عرون أباك فحبسناه
نشوزي عن المضجع النفس
لدى هجعة العين النعس
عرون أباك فلا تبلسي
من الذل في شر ما محبس
لقد العشرة إذ نالها
رمتها المنون بلا نصلٍ
بأسهمهما الخالسات النفوس
فصرعاهم في نواحي البلا
كريم أصيب وأثوابه
وآخر قد طار خوف الردى
وكان الهمام فلم يحسس

فكم غادروا من بواكي العيو
ن مرضى ومن صبية بؤس
إذا ما ذكرنهم لم تتم
لحر الهموم ولم تجلس
يرجعن مثل بكاء الحما
م في مآتم قلق المجلس
فذاك الذي غالني فاعلمي
ولا تسأليني فتستحسي
وأشياء قد ضففني بالبلاد
ولست لهن بمستحلس
أفاض المدامع قتلى كدّى
وقتلى بوج وباللابتي
وبالزايين نفوس ثوت
وقتلى بوج وباللابتي
أولئك قوم تداعت بهم
وألزقت الرغم بالمعطس
أذلت قيادي لمن رامني
ولا عاش بعدهم من نسي

قال: فلما أتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن. فقال له عمه الحسن بن حسن بن علي عليهم السلام: أتبكي على بني أمية وأنت تريد بني العباس ما تريد! فقال: والله يا عم لقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا، فما بنو العباس إلا أقل خوفاً لله منهم، وإن الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم. ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر. فوثب حس وقال: أعوذ بالله من شرك، وبعث إلى أبي عدي بخمسين ديناراً، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها، وأمر له كل واحد من محمد وإبراهيم ابنيه بخمسين خمسين، وبعث إليه أمهما هند بخمسين ديناراً، وكانت منفعة بها كثيرة. فقال أبو عدي في ذلك:

أقام ثوي بيت أبي عدي
بخير منازل الجيران جارا
تقوض بيته وجلا طريداً
فصادف خير دور الناس دارا
وإني إن نزلت بدار قوم
ذكرتهم ولم أذمم جوارا

فقال هند لعبد الله وابنيها منه: أقسمت عليكم إلا أعطيتموه خمسين ديناراً أخرى فقد أشركني معكم في المدح، فأعطوه خمسين ديناراً أخرى عن هند .

ولى الطائف محمد بن عبد الله بن حسن ثم فر إلى اليمن وشعره في ذلك: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق عن أبي أيوب المديني قال ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال: قدم أبو عدي العجلي الطائف والياً من قبل محمد بن عبد الله بن حسن أيام خروجه على أبي جعفر ومعه أعراب من مزينة وجهينة وأسلم فأخذ الطائف وأتى محمد بن أبي بكر العمري حتى بايع، وكان مع أبي عدي أحد عشر رجلاً من ولد أبي بكر الصديق، فقدمها بين

أذان الصبح والإقامة، فأقام بها ثلاثاً، ثم بلغه خروج الحسن بن معاوية من مكة، فاستخلف على الطائف عبد الملك بن أبي زهير وخرج ليتلقى الحسن بالعرج، فركب الحسن البحر، ومضى أبو عدي هارباً على وجهه إلى اليمن. فذلك حين يقول:

هيجت للأجزاء حول عراب	واعتاد قلبك عائد الأطراب
وذكرت عهد معالم بلوي الثرى	هيهات تلك معالم الأحباب
هيهات تلك معالم من ذاهب	أمسى بحوضي أو بحقل قباب
قد حل بين أبارق ما إن له	فيها من أخوان ولا أصحاب
شطت نواه عن الأليف وساقه	لقرى يمانية حمام كتاب
يا أخت آل أبي عدي أقصري	وذري الخضاب فما أوان خضاب
أتخضبين وقد تخرم غالباً	دهر أضرب بها حديد الناب
والحرب تعرك غالباً بجرانها	وتعض وهي حديدة الأنياب
أم كيف نفسك تستلد معيشة	أو تتقعين لها ألد شراب

أنشد عبد الله بن حسن من شعره فبكى: وذكر العباس بن عيسى العقيلي عن هارون بن موسى الفروي عن سعيد بن عقبة الجهني قال: حضرت عبد الله بن عمر المكنى أبا عدي الأموي ينشد عبد الله بن حسن قوله:

أفاض المدامع قتلى كدى **وقتلى بكثرة لم ترمس**

قال: فرأيت عبد الله بن حسن وإن دموعه لتجري على خده .
قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاهم قتل بني أمية: وقد أخبرني محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن أبي سعيد مولى فائد قال: لما أتانا قتل عبد الله بن علي من قتل من بني أمية كنت أنا وفتى من ولد عثمان وأبو عدي العبلي متوارين في موضع واحد، فلحقني من الجزع ما يلحق الرجل على عشيرته، ولحق صاحبي كما لحقني، فبكينا طويلاً، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا، فقال كل واحد منا بعضها غير محصل ما لكل واحد منا فيها، قال: ثم أنشدنيها، فأخذتها من فيه:

تقول أمامة لما رأت **نشوزي عن المضجع الأنفس**

كان يكره ما يجري عليه بنو أمية من سب علي وشعره في ذلك: أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن ابن عائشة قال: كان أبو عدي الأموي يكره ما يجري عليه بنو أمية من ذكر علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبه على المنابر، ويظهر الإنكار لذلك، فشهد عليه قوم من بني أمية بمكة بذلك ونهوه عنه، فانتقل إلى المدينة وقال في ذلك:

شردوا بي عند امتداحي عليا
 فوربي لا أبرح الدهر حتى
 وبنيه لحب أحمد إني
 حب دين لا حب دنيا وشر ال
 صاغني الله في الذؤابة منهم
 عدوياً خالي صريحاً وجدي
 فسواء علي لست أبالي
 وراؤا ذاك في داء دويا
 تختلى مهجتي بحبي عليا
 كنت أحببتهم بحبي النبيا
 حب حب يكون دنياويا
 لا زنياً ولا سنيذاً دعيا
 عبد شمس وهاشم أبويا
 عبشماً دعيت أم هاشميا

دخل مع وفود قريش على هشام بن عبد الملك ومدحه ففضل هشام بني مخزوم فقال هو شعراً: أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثنا العمري عن العتي عن أبيه قال: وفد أبو عدي الأموي إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها:

عبد شمس أبوك وهو أبونا
 والقرابات بيننا واشجات
 لا نناديك من مكان بعيد
 محكمات القوى بحبل شديد

فأنشده إياها، وأقام ببابه مدةً حتى حضر بابه وفود قريش فدخل فيهم، وأمر لهم بمال فضل فيه بني مخزوم أخواله، وأعطى أبا عدي عطيةً لم يرضاها، فانصرف وقال:

خس حظي أن كنت من عبد شمس
 فأفوز الغداة فيهم بسهم
 ليتني كنت من بني مخزوم
 وأبيع الأب الكريم بلوم

غنى في البيتين المذكورين في هذا الخبر اللذين أولهما:

عبد شمس أبوك وهو أبونا

ابن جامع، ولحنه ثاني ثقلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وأول هذه القصيدة التي قالها في هشام:

ليتني من كنود بالغور عودي
 ما سمعنا ذاك الهوى ونسينا
 بصفاء الهوى من أم أسيد
 عهدته فارجعي به ثم زيدي
 قد تولى عصر الشباب فقيداً
 رب جارٍ يبين غير فقيد

خلق الثوب من شبابٍ ولبس
 فاسر عنك الهموم حين تداعت
 وجديد الشباب غير جديد
 بعلاةٍ مثل الفنيق وخود

عنتر يس توفى الزمام بفعم
وارم جوز الفلا بها ثم سمها
وهشاماً خليفة الله فاعمد
تلقه محكم القوى أريحياً
ملكاً يشمل الرعية منه
أخضر الربع والجناب خصيب
ذكرت ناقتي البطاخ فحنت
قلت بعض الحنين يا ناق سيري
فأغذت في السير حتى أتنكم
قد براها السرى إليك وسيري
وطوى طائد العرائك منها
وأتنكم حذب الظهور وكانت
واطمأنت أرض الرصافة بالخص
نزلت بامرئ يرى الحمد غنماً
بذل العدل في القصاص فأضحى
من بنى النضر من ذرا منبت النض
فهو كالقلب في الجوانح منها
بين مروان والوليد فبخ بخ
لو جرى الناس نحو غاية مجد
لعلامهم بسابغين من المج
إنكم معشر أبي الله إلا
لم ير الله معشراً من بني مر
قادة سادة ملوك بحار
أريحيون ماجدون خضمو

مثل جذع الأشاء المجرود
عجرفي النجاء بالتوخيد
واصر من مرة القوي الجليد
ذا قرى عاجل وسيب عتيد
بأياد ليت بذات خمود
أفيح المسترد للمستريد
حين أن وركت قبور ثمود
نحو برق دعا لغيث عميد
وهي قوداء في سواهم قود
تحت حر الظهيرة الصيخود
غول بيد تجتابها بعد بيد
مسنمات ممرها بالكديد
ب ولم تلق رحلها بالصعيد
بازل متلف مفيد معيد
لا يخاف الضعيف ظلم شديد
ر بوري زند وأكرم عود
واسط سر جذمها والعديد
للكريم المجيد غير الزهيد
لرهان في المحفل المشهود
د على الناس طارف وتليد
أن تفوزوا بدرها المحشود
وإن أولى بالملك والتسويد
وبها ليل للقروم الصيد
ن حماة عند اربداد الجلود

يقطعون النهار بالرأي والحز
أهل رقدٍ وسؤددٍ وحياءٍ
ويرون الجوار من حرم الل
لو بمجدٍ نال الخلود قبيل
يابن خير الأخيار من عبد شمسٍ
عبد شمسٍ أبوك وهو أبونا
ثم جدي الأدنى وعمك شيخي
فالقربات بيننا واشجات
فأثبني ثواب مثلك مثلي
إن ذا الجد من حبوت بود
وبحسب امرئٍ من الخير يرجى

قصيدة له يندب فيها فرقة بني أمية: وأما قصيدته التي أولها:

ما بال عينك جائلاً أقذاؤها

وهي التي فيها الغناء المذكور، فإنه قالها في دولة بني أمية عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم، يندب بينهم ، وفيها يقول:

واعتاذاها ذكر العشيرة بالأسى
شركوا العدا في أمرهم فتفاقت
ظلت هناك وما يعاتب بعضها
إلا بمرهفة الطببات كأنها
فصباحها ناب بها ومساؤها
منها الفتون وفرقت أهواؤها
بعضاً فينفع ذا الرجاء رجاؤها
شهب تقل إذا هوت أخطاؤها

وبعسلٍ زرقٍ يكون خضابها
فبذاكم أمست تعاتب بينها
ما ذا أومل إن أمية ودعت
أهل الرياسة والسياسة والندى
علق النحور إذا تفيض دماؤها
فلقد خشيت بأن يحم فناؤها
وبقاء سكان البلاد بقاؤها
وأسود حربٍ لا يخيم لقاؤها
سرج يضيء دجى الظلام ضياؤها
غيث البلاد هم وهم أمراؤها

فلئن أمية ودعت وتتايغت
ليودعن من البرية غزها
ومن البلية أن بقيت خلافهم
لهفي على حرب العشيرة بينها
هلا نهى تنهى الغوي عن التي
وتقى وأحلام لها مضرية
لما رأيت الحرب توقد بينها
نوهت بالملك المهيمن دعوة
ليرد ألقتها ويجمع أمرها
فأجاب ربي في أمية دعوتي
وحبا أمية بالخلافة إنهم
فبنو أمية خير من وطئ الثرى

وهي قصيدة طويلة اقتصرت منها على ما ذكرته .
صوت:

مهلاً ذريني فإنني غالني خلقي
وما عطني الدهر إلا زادني كرماً
وقد أرى في بلاد الله متسعا
ولا استكنت له إن خان أو خدعا

الشعر لأبي جلدَةَ اليشكري من قصيدة يمدح بها مسمع بن مالك بن مسمع، والغناء لعلويه رمل بالوسطى عن عمرو .

أخبار أبي جلدَةَ ونسبه

نسب أبي جلدَةَ: أبو جلدَةَ بن عبيد بن منقذ بن حجر بن عبيد الله بن مسلمة بن حبيب بن عدي بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر بن بكر بن وائل، شاعر إسلامي، من شعراء الدولة الأموية، ومن ساكني الكوفة. وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .
كان أخص الناس بالحجاج ثم صار من أشدهم تحريضاً عليه حين خرج مع ابن الأشعث وقتل: أخبرني بخبره في جملة ديوان شعره محمد بن العباس اليزيدي وقرأته عليه قال حدثني عمي عبد الله قال حدثني محمد بن حبيب، وأخبرني به علي بن سليمان الأخفش أيضاً عن الحسن ابن الحسن اليشكري عن ابن الأعرابي قال: كان أبو جلدَةَ

البشكري من أخص الناس بالحجاج، حتى إنه بعث معه عبد الله بن شداد ابن الهادي الليثي إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، فخطب الحجاج منه ابنته أم كلثوم. ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث، وكان من أشد الناس تحريضاً على الحجاج. فلما أتى الحجاج برأسه ووضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال: كم من سرٍ أودعته في هذا الرأس فلم يخرج حتى أتيت به مقطوعاً. فلما كان يوم الزاوية خرج خرج أبو جلدة بين الصفين، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

فقل للحواريات يبكين غيرنا	ولا تبكنا إلا الكلاب النواج
بكين إلينا خشيةً أن تبيحها	رماح النصارى والسيوف الجوارح
بكين لكيما يمنعوهن منهم	وتأبى قلوب أضمرت الجوانح
وناديننا أين الفرار وكنتم	تغارون أن تبدو البرى والوشائح
أسلمتمونا للعدو على القنا	إذا انتزعت منها القرون النواطح
فما غار منكم غائر لحليلة	ولا عزب عزت عليه المناكح

قال: فلما أنشدتهم هذه الأبيات أنفوا وثاروا فشدوا شدة تضعضع لهم عسكر الحجاج، وثبت لهم الحجاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا، فكانت الدائرة له، فجعل يقتل الناس بقية يومه، حتى صاح به رجل: والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا في الذنب لما أحسنت في العفو، ولقد خالفت الله فينا وما أطعته. فقال له: وكيف ويلك؟ قال: لأن الله تعالى يقول " فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها " وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد، فأسر ولا تقتل، ثم قال: أو امنن. فقال أولى لك! ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت! ثم نادى برفع السيف وأمن الناس جميعاً، قال ابن حبيب قال ابن الأعرابي: فبلغني أن الحجاج قال يوماً لجلسائه ما حرض على أحد أبو جلدة؛ فإنه نزل على سرحة في وسط عسكر لابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه وسلح فوقه والناس ينظرون إليه. فقالوا له: ما لك ويلك أجننت! ما هذا الفعل! قال: كلكم قد فعلتم هذا إلا أنكم سترتموه وأظهرته. فشتموه وحملوا علي، فما أنساهم وهو يقدمهم ويرتجز:

نحن جلبنا الخيل من زرنجا	ما لك يا حجاج منا منجى
لتبعجن بالسيوف بعجا	أو لتقرن فذاك أحجى

فوالله لقد كاد أهل الشام يومئذ يتضعضعون لولا أن الله تعالى أيد بنصره .
قال وقال أبو جلدة يومئذ:

أيا لهفي ويا حزني جميعاً	ويا غم الفؤاد لما لقينا
--------------------------	-------------------------

تركنا الدين والدنيا جميعاً

وخلينا الحلائل والبنينا

فما كنا أناساً أهل دينٍ

فنصبر للبلاء إذا بلينا

ولا كنا أناساً أهل دنيا

فنمنعها وإن لم نرج دينا

تركنا دورنا لطغام عك

وأنباط القرى والأشعرينا

ذم القعقاع بن سويد بعض ما عامله به فقال فيه شعراً: قال ابن حبيب: وكان أبو جلدة مع القعقاع بن سويد المنقري بسجستان، فذم منه بعض ما عامله به، فقال فيه:

ستعلم أن رأيك رأي سوءٍ

إذا ظل الإمارة عنك زالا

وراح بنو أبيك ولست فيهم

بذي ذكرٍ يزيدهم جمالا

هناك تذكر الأسلاف منهم

إذا الليل القصير عليك طالا

فقال له القعقاع: ومتى يطول علي الليل القصير؟ قال: إذا نظرت إلى السماء مربعةً. فلما عزل وحبس أخرج رأسه ليلةً فنظر، فإذا هو لا يرى السماء إلا بقدر ترييع السجن، فقال: هذا والله الذي حذرنيه أبو جلدة. مدح مسمع بن مالك حين ولي سجستان ورثاه حين توفي: قال: وولي مسمع بن مالك سجستان، وكان مكث أبي جلدة بها، فخرج إليه فتلقيه ومدحه بقصيدته التي أولها:

بانئت سعاد وأمسى حبلاً انقطعا

وليت وصلاً لها من حبلاً رجعا

شطت بها غربة زوراء نازحة

فطارت النفس من وجدٍ بها قطعاً

ما قرت العين إذ زالت فينفعها

طعم الرقاد إذا ما هاجع هجعا

منعت نفسي من روحٍ تعيش به

وقد أكون صحيح الصدر فانصدعا

غدت تلوم على ما فات عاذلتي

وقبل لومك ما أغنيت من منعا

مهلاً ذريني فأني غالني خلقي

وقد أرى في بلاد الله متسعا

فخري تلبد وما أنفقت أخلفه

سيب الإله وخير المال ما نفعا

ما عضني الدهر إلا زادني كرمًا

ولا استكنت له إن خان أو خدعا

ولا تلين على العلات معجمتي

في النائبات إذا ما مسني طبعاً

ولا تلين من عودي غمائزه

إذا المغمز منها لان أو خضعا

ولا أخاثل رب البيت غفلته

ولا أقول لشيءٍ فات ما صنعا

إني لأمدح أقواماً ذوي حسبٍ

لم يجعل الله في أقوالهم قذعا

الطبيين على العلات معجماً
بنو شهاب بها أعني وإنهم
لو يعصر المسك من أطرافهم نبعاً
لأكرم الناس أخلاقاً ومصطنعاً

قال: فوصله مسمع بن مالك وحمله وكساه وولاه ناشيتكين وكان مكتبه . قال: ثم توفي مسمع بن مالك سجستان، فقال أبو جلدة يرثيه:

أقول للنفس تأسأً وتعزياً
يا مسمع الخير من ندعو إذا نزلت
قد كان من مسمع في مالك خلف
يا مسمعاً لعراق لا زعيم لها
إحدى النوائب بالأقوام واختلفوا
تلك العيون بحيث المصر سادمة
بمن ترى يؤمن المستشرف النطف
تلك العيون بحيث المصر سادمة
وبذل جود لما أودي بك إلى التلف
قد وسدوك يميناً غير موسدة
والبحر منه سجال الجود تغترف
كنت الشهاب الذي يرمى العدو به

كان ينادم شقيق بن سليط واستثقل أخاه ثعلبة فهجاه: قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان أبو جلدة ينادم شقيق بن سليط بن بديل السدوسي أحياناً بسطام بن سليط، وكان لهما أخ يقال له ثعلبة بن سليط، وكان ثقيلاً بخيلاً مبغضاً، وكان يطفل عليهم ويؤذيهم. فقال فيه أبو جلدة:

أحب على لذاذتنا شقيقاً
له غم على الجلساء مؤذ
وأبغض مثل ثعلبة الثقيل
نوافله إذا شربوا قليل

أعطى مسمع مالا لعشيرته وجفا بكر فقال هو شعراً فأكرمه وأرضاه: قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي: وفرق مسمع بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثعلبة عطايا كثيرةً وقرهم وجفا سائر بطون بكر بن وائل. فقال أبو جلدة:

إذا نلت مالا قلت قيس عشيرتي
وإن كانت الأخرى فبكر بن وائل
تجور علينا عامداً في قضائكا
بزعمك يخشى داؤها بدوائكا
هنالك لا نمشي الضراء إليكم
بنو مسمع إنا هناك أولئكا
عسى دولة الدهلين يوماً ويشكر
تكر علينا سبغةً من عطائكا

قال: فبعث إليه مسمع فترضاه ووصله وفرق في سائر بطون بكر بن وائل على جذمين، جذم يقال له الدهلان، وجذم يقال له اللهازم. فالدهلان: بنو شيان بن ثعلبة بن يشكر بن وائل، وبنو ضبيعة بن ربيعة . واللهازم: قيس بن ثعلبة، وتيم اللات بن ثعلبة، وعجل بن لجيم، وعزة بن أسد بن ربيعة. قال الفرزدق:

وأرضى بحكم الحي بكر بن وائل إذا كان في الذهبين أو في اللهازم

قال: وقد دخل بنو قيس بن عكابة مع إخوانهم بني قيس بن ثعلبة بن عكابة. وأما حنيفة فلم تدخل في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وسط دار مضر، وكانوا لا ينصرون بكراً ولا يستنصرونهم. فلما جاء الإسلام ونزل الناس مع بني حنيفة ومع بني عجل بن لجيم فتلهزموا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازن بن جدي بن مالك بن صعب بن علي، فصاروا جميعاً في اللهازم. وقال موسى بن جابر الحنفي السحيمي بعد ذلك في الإسلام:

وجدنا أبانا كان حل ببلدة سوّى بين قيس قيس عيلان والفزر

فلما نأت عنا العشيرة كلها أقمنا وحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا بعد في يوم وقعة ولا نحن أغمدنا السيوف على وتر

كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه: وقال ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال: كان لأبي جلدة بسجستان جار يقال له سيف من بني سعد، وكان يشرب الخمر ويعربد على أبي جلدة، فقال يهجو:

قل لذوي سيف وسيف أستم أقل بني سعد حصاداً ومزرعا

كأنكم جعلان دار مقامة على عذرات الحي أصبحن وقعا

لقد نال سيف في سجستان نهزة تطاول منها فوق ما كان إصبعا

أصاب الزنا والخمر حتى لقد نمت له سرّة تسقى الشراب المشعشعا

فلولا هوان الخمر ما ذقت طعمها ولا سقت إبريقاً بكفك مترعاً

كما لم يذقها أن تكون عزيزة أبوك ولم يعرض عليها فيطمعا

وكان مكان الكلب أو من ورائه إذا ما المغني للذاذة أسمعا

خبره مع القعقاع حين أرجف به فتهده بالعلز: قال ابن حبيب: وكان أبو جلدة قد استعمله القعقاع بن سويد حين تولى سجستان على بست والرخج، فأرجف الناس بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة معهم، وكتب القعقاع إليه يتهده: فكتب إليه أبو جلدة:

يهددني القعقاع في غير كنهه فقلت له بكر إذا رمتني ترسي

كأنا وأياكم إذا الحرب بيننا أسود عليها الزعفران مع الورس

ترى كمصاييح الدياجي وجوهنا إذا ما لقينا والهرقلية الملس

هناك السعود السانحات جرت لنا
وما أنت يا قعقاع إلا كمن مضى
أظن بغال البرد تسري إليكم
وإلا فبالبسال يا لك إن سرت
فعمالنا أوفى وخير بقية
وما لبني عمرو علي هوادة
ولا للرباب غير تعس من التعس
وتجري لكم طير البوارح بالبحس
كأنك يوماً قد نقلت إلى الرسم
به غطفانياً وإلا فمن عبس
به غير مغموز القناة ولا نكس
وعمالكم أهل الخيانة واللبس

قال: فلما انتهت هذه القصيدة إلى القعقاع وجه برسول إلى أبي جلدة، وقال: انظر، فإن كان كتب هذا الكتاب بالعادة فاعزله، وإن كان كتبه بالليل فأقرره على عمله ولا تعزله ولا تضربه. وكان أبو جلدة صاحب شراب، فقال للرسول: والله ما كتبه إلا بالعشي. فسأله البينة على ذلك فأتاه بأقوام شهدوا له بما قال، فأقره على عمله وانصرف عنه .
شبيب بنت دهقان فأهدى له ليترك ذكرها: قال ابن حبيب: ومر أبو جلدة بقصر من قصور بست يتزله رجل من الدهاقين، فرأى ابنته تشرف من أعلى القصر، فأنشأ يقول:

إن في القصر ذي الخبا بدر تم
ولعاباً بالخلق يأرج منه
يلبس الخز والمطارف والق
ورأيت الحبيب يبرز كفاً
حسن الدل للفؤاد مصيبا
ريح رند إذا استقل منيبا
ز وعصباً من اليماني قشيبا
ما رآه المحب إلا خضيبا

فبلغ ذلك من قوله الدهقان، فأهدى له وبره وسأله ألا يذكر ابنته في شعر بعد ذلك .
لحقه ضيم فلم يمنعه قومه فهتف بمسمع بن مالك وآخرين فسعى له قومه: قال ابن حبيب: ولحق أبا جلدة ضيم من بعض الولاة، فهتف بقومه فلم يقدرُوا على منعه منه ولا معونته رهبةً للسلطان، فهتف بأعلى صوته: يا مسمع بن مالك، يا أمير بن أحمر، ثم أنشأ يقول:

ولما أن رأيت سراة قومي
هتفت بمسمع وصدى أمير
سكوتاً لا يثوب لهم زعيم
وقبر معمر تلك القروم

قال: فأبكى جميع من حضر، وقاموا جميعاً إلى الوالي فسألوه في أمره حتى كف عنه. قال: وأمير بن أحمر رجل من بني يشكر، وكان سيداً جواداً، وفيه يقول زياد الأعجم:

لولا أمير هلكت يشكر
ويشكر هلكى على كل حال

قال ابن الأعرابي: كان أمير بن أحمر والياً على خراسان في أيام معاوية .
ومعمر الذي عناه أبو جلدة معمر بن شمير بن عامر بن جبلة بن ناعب بن صريم، وكان أمير سجستان، وكان سيداً شريفاً.
خطب خليعة بنت صعب فأبت وتزوجت غيره فقال شعراً: وقال: خطب أبو جلدة امرأة من بني عجل يقال لها خليعة بنت صعب، فأبت أن تتزوجه وقالت: أنت صعلوك فقير لا تحفظ مالك ولا تلفي شيئاً إلا أنفقته في الخمر، وتزوجت غيره. فقال أبو جلدة في ذلك: صوت:

لما خطبت إلى خليعة نفسها	قالت خليعة ما أرى لك مالا
أودى بمالي يا خليع تكرمي	وتخرقي وتحلمي الأثقالا
إني وجدك لو شهدت موافقي	بالسفرح يوم أجل الأبطال
سيفي، لسرك أن تكوني خادماً	عندي إذا كره الكماة نزالا

الغناء لإبراهيم الموصلي ثاني ثقل بالوسطى عن الهشامي من كتاب علي بن يحيى .
ضرب بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضربوا: قال أبو سعيد السكري وعمر بن سعيد صاحب الواقدي:
إن أبا جلدة كان في قرية من قرى بست يقال لها الخيزران ومعهم عمرو بن صوحان أخو صعصعة في جماعة يتحدثون ويشربون، إذ قام أبو جلدة ليبول فضرط، وكان عظيم البطن، فتضاحك القوم منه، فسل سيفه وقال: لأضرب من لا يضرب في مجلسه هذا ضربةً بسيفي، أمني تضحكون لا أم لكم! فما زال حتى ضربوا جميعاً غير عمر بن صوحان. فقال له: قد علمت أن عبد القيس لا تضرب ولك بدنها عشر فسوات. قال: لا والله أو تفصح بها! فجعل عمر يجثي وينحني فلا يقدر عليها، فتركه. وقال أبو جلدة في ذلك:

أمن ضرطة بالخيزران ضرطتها	تشدد مني دارة وتلين
---------------------------	---------------------

فما هو إلا السيف أو ضرطة لها	يثور دخان ساطع وطنين
------------------------------	----------------------

قال: ولعمرو بن صوحان يقول أبو جلدة الإشكري وطالت صحبته إياه فلم يظفر منه بشيء:

صاحبت عمراً زماناً ثم قلت له	الحق بقومك يا عمرو بن صوحانا
فإن صبرت فإن الصبر مكرمة	وإن جزعت فقد كان الذي كانا

هجا زياداً الأعجم لهجوه بني يشكر: قال ابن سعيد وحدثني أبو صالح قال: بلغ أبا جلدة أن زياداً الأعجم هجا بني يشكر، فقال فيه:

لا تهج يشكر يا زياد ولا تكن	غرضاً وأنت عن الأذى في معزل
-----------------------------	-----------------------------

واعلم بأنهم إذا ما حصلوا
خبر وأكرم من أبيك الأعزل
لولا زعيم بني المعلى لم نبت
حتى نصبحكم بجيش جحفل
تمشي الضراء رجالهم وكأنهم
أسد العرين بكل غضب منصل
فاحذر زياد ولا تكن تدرأ
عند الرجال ونهزة للختل

مدح سليمان بن عمرو بن مرثد كان صديقاً له: وقال ابن حبيب: كان سليمان بن عمرو بن مرثد البكري صديقاً لأبي جلد، وكان فارساً شجاعاً، وقتله ابن خازم لشيء بلغه فأنكره؛ وفيه يقول أبو جلد:

إذا كنت مرتاداً نديماً مكرراً
نماه سراة من سراة بني بكر
فلا تعد ذا العليا سليمان عامداً
تجد ماجداً بالجود منشرح الصدر
كريماً على علته يبذل الندى
ويشربها صهباء طيبة النشر
معتقاً كالمسك يذهب ريحها الزكام
وتدعو المرء للجود بالوفر
وتترك حاسي الكأس منها مرناً
يميد كما ماد الأثيم من السكر
تلوح كعين الديك ينزو حبابها
إذا مزجت بالماء مثل لظى الجمر
فتلك إذا نادمت من آل مرثد
عليها نديماً ظل يهرف بالشعر
يغنيك تارات وطوراً يكرها
عليك بحياك الإله ولا يدري
تعود ألا يجهل الدهر عندها
وإن سليمان بن عمرو بن مرثد
فهمته بذل الندى وابتنا العلا
وفي الأمن لا ينفك يحسو مدامةً
وأن يبذل المعروف في العسر واليسر
تألى يميناً أن يريش ولا يبيري
وضرب طلى الأبطال في الحرب بالبتير
إذا ما دجا ليل إلى وضح الفجر

قال: فلما بلغت سليمان هذه الأبيات قال: هجاني أخي وما تعمد، لكنه يرى أن الناس جميعاً يؤثرون الصهباء كما يؤثرها هو، ويشربونها كما يشربها. وبلغ قوله أبا جلد فأتاه فاعتذر إليه، وحلف أنه لم يتعمد بذلك ما يكرهه وينكره. قال: قد علمت بذلك وشهدت لك به قبل أن تعتذر، وقبل عذره .
سأل الحضيض بن المنذر شيئاً فلم يعطه إياه فهجاه: وقال ابن حبيب: سأل أبو جلد الحضيض بن المنذر الرقاشي فلم يعطه إياه، وقال: لا أعطيه ما يشرب به الخمر. فقال أبو جلد يهجو:

يا يوم بؤس طلعت شمسه
بالنحس لا فارقت رأس الحضيض
إن حضيضاً لم يزل باخلاً
مذ كان بالمعروف كز اليدين

فبلغ الحضين قول أبي جلدة، فقال يهجو:

عض أبو جلدة من أمه
بظراً طويلاً غاشياً رأسه
وقال أبو جلدة في حضين أيضاً:

لعمرك إني يوم أسند حاجتي
فلا عالم بالغيب من أين ضره
فليت المنايا حلقت بي صروفها
فلو كنت حراً يا حضين بن منذرٍ
تجهمتني خوف القرى واطرحتني
ولم تعد ما قد كنت أهلاً لمثله
إليك أبا ساسان غير مسدد
ولا خائف بث الأحاديث في غد
فلم أطلب المعروف عند المصرد
لقمت بحاجاتي ولم تتبلد
وكنت قصير الباع غير المقلد
من اللؤم يابن المستذل المعبد

تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعراً: قال: فبلغ أبا جلدة أن بني رقاش تهددوه بالقتل لهجائه الحضين بن منذر، فقال:

تهددني جهلاً رقاش وليتني
وكل رقاشي على الأرض في الحبل

فباست حضين واست أم رمت به
وإن أنا لم أترك رقاش وجمعهم
فشلت يداي واتبعت سوى الهدى
عظام الخصى نط اللحى معدن الخنا
إذا أمنوا ضراء دهرٍ تعاظلوا
وإن عضهم دهر بنكبةٍ حادثٍ
أسود شرى وسط الندي ثعالب
فبئس محل الضيف في الزمن المحل
أذل على وطء الهوان من النعل
سبيلاً وقفت للخير والفضل
مباخيل بالأزواد في الخصب والأزل
عظال الكلاب في الدجنة والوبل
فأخور عيداناً من المرخ والأثل
إذا خطرت حرب مراجلها تغلي

شعره في دهقانة كان يختلف إليها: أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال: عشق أبو جلدة دهقانة بيست وكان إليها ويكون عندها دائماً، وقال فيها:

وكأسٍ كأن المسك فيها حسوتها
ونازعها صاحب لي ملوم

أغر كأن البدر سنة وجهه
له كفل واف وفرع ومبسم
يضيء دجى الظلماء رونق خده
وينجذب عنه الليل والليل مظلم
وثديان كالحقين والمتن مدمج
وجيد عليه نسق درٍ منظم
وبطن طواه الله طياً ومنطق
رخيم وردف نيظ بالحقو مفأم
به تبلتتي واستبتتي وغادرت
لظى في فوادي نارها تتضرم
أبيت بها أهذي إذا الليل جنني
فمن مبلغ قومي الدنا أن مهجتي
وعهدي بها والله يصلح بالها
فما بالها ضنت علي بودها
وقلبي لها يا قوم عانٍ متيم

قال: فلما بلغها الشعر سألت عن تفسيره ففسر لها. فلما انتهى المفسر إلى هذين البيتين الأخيرين غضبت فقالت: أنا زانية كما زعم! إن كلمته كلمةٌ أبداً. أو كلما اشتهاني إنسان بذلت له نفسي وأنعمت من روعي إذا! أي أنا إذا زانية. فصبرته، فلم يقدر عليها وعذب بها زماناً، ثم قال فيها لما يئس منها:

صحا قلبي وأقصر بعد غي
طويلٍ كان فيه من الغواني
بأن قصد السبيل فباع جهلاً
برشدٍ وارتجى عقبي الزمان
وخاف الموت واعتصم ابن حجرٍ
من الحب المبرح بالجنان
وقدماً كان معترماً جموحاً
إلى لذاته سلس العنان
وأقلع بعد صبوته وأضحى
طويل الليل يهرف بالقران
ويدعو الله مجتهداً لكيما
ينال افوز من غرف الجنان

قال شعراً في يزيد بن المهلب ثم اتصل منه: قال ابن حبيب قال أبو عبيدة: كان يزيد بن المهلب يتهم بالنساء. فقال فيه أبو جلدة:

إذا اعتكرت ظلماء ليلٍ ونومت
عيون رجالٍ واستلذوا المضاجعا
سما نحو جار البيت يستام عرسه
يزيد دبيباً للمعانة قابعا
وإن أمكنته جارة البيت أو رنت
إليه أتاها بعد ذلك طائعا

فشاعت الأبيات ورواها الناس لقتادة بن معرب . فقال أبو جلدة:

أبا خالدٍ ركني ومن أنا عبده
لقد غالني الأعداء عمداً لتغضبنا

فإن كنت قلت اللذ أتاك به العدا فشلت يدي اليمنى وأصبحت أعضبا
ولا زلت محمولا علي بلية وأمست شلوا للسباع متربا
فلا تسمعن قول العدا وتبينن أبا خالد عذرا وإن كنت مغضبا
سئل عنه البعيث فذكر شعرا لقتادة بن معرب يهجو به: وقال ابن حبيب: قال رجل للبعيث: أي رجل هو أبو
جلدة؟ فقال: قتادة بن معرب أعرف به حيث يقول:

إن أبا جلدة من سكره لا يعرف الحق من الباطل
يزداد غيا وانهماكا ولا يسمع قول الناصح العاذل
أعيا أبوه وبنو عمه وكان في الذروة من وائل
فليته لم يك من يشكر فبئس خدن الرجل العاقل

أعمى عن الحق بصير بما يعرفه كل فتى جاهل
يصبح سكران ويمسي كما أصبح، لا أسقي من الوابل
شد ركاب الغي ثم اغتدى إلى التي تجلب من بابل
فالسجن إن عاش له منزل والسجن دار العاجز الخامل

شعر له يناقض به قتادة بن معرب: وقال أبو جلدة يجيبه:

قبحت لو كنت أمرا صالحا تعرف ما الحق من الباطل
كففت عن شتمي بلا إحنة ولم تورط كفة الحابل
لكن أبت نفسك فعل النهي والحزم والنجدة والنائل
فتحت لي بالشتم حتى بدا مكنون غش في الحشا داخل
فاجهد وقل لا تترك جاهدا شتم امرئ ذي نجدة عاقل
تعذلي في قهوة مزة درياقة تجلب من بابل
ولو رآها خر من حبها يسجد للشيطان بالباطل
يا شر بكر كلها محتدا ونهزة المختلس الأكل
عرضك وفره ودعني وما أهواه يا أحمق من باقل

عربد عليه ابن عم له فاحتمله وقال شعراً: قال ابن حبيب: كان أبو جلدة يشرب مع ابن عم له من بكر بن وائل، فسكر نديمه فعربد عليه وشتمه، فاحتمله أبو جلدة وسقاه حتى نام، وقال في ذلك:

أبى لي أن ألحى نديمي إذا انتشى وقال كلاماً سيئاً لي على السكر
وقاري وعلمي بالشراب وأهله وما ندم القوم الكرام كذي الحجر
فلست بلاح لي نديماً بزلّة ولا هفوةٍ كانت ونحن على الخمر
عركت بجنبتي قول خدني وصاحبي ونحن على صهباء طيبة النشر
فلما تمادى قلت خذها عريقةً فإنك من قومٍ جاحجةٍ زهر
فما زلت أسقيه وأشرب مثل ما سقيت أخي حتى بدا وضح الفجر
وأيقنت أن السكر طار بلبه فأغرق في شتمي وقال وما يدري
ولاك لساناً كان إذ كان صاحياً يقلبه في كل فنٍ من الشعر

شعر له وقد دعا رجلاً من قومه للشراب فأبى: أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحذثان قال: كان أبو جلدة اليشكري قد خرج إلى تستر في بعث، فشرب بها في حانةٍ مع رجلٍ من قومه كان ساكناً بها. ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بست والرخج وكان مكتبه هناك، فأقام بها مدة، ثم لقي بها ذلك الرجل الذي نادمه بتستر ذات يوم، فسلم عليه ودعاه إلى منزل، فأكلا، ثم دعا بالشراب ليشربا، فامتنع الرجل وقال: إني قد تركتها لله. فقال أبو جلدة وهو يشرب:

ألا رب يومٍ لي ببستٍ وليلةٍ ولا مثل أيامي المواضي بتستر
غنيت بها أسقي سلاف مدامةٍ كريم المحيا من عرانيين يشكر
نبادر شرب الراح حتى نهرها وتتركنا مثل الصريع المعفر
فذلك دهر قد تولى نعيمه فأصبحت قد بدلت طول التوفر
فراجعني حلمي وأصبحت منهج ال شراب وقدماً كنت كالمتحير
وكل أوان الحق أبصرت قصده فلست وإن نبهت عنه بمقصر
سأركض في التقوى وفي العلم بعدما ركضت إلى أمر الغوي المشهر
وبالله حولي واحتيالي وقوتي ومن عنده عرفي الكثير ومنكري

مر به مسمع بن مالك فوثب إليه وقال فيه شعراً: أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا محمد بن الحارث المدائني قال: مر مسمع بن مالك بأبي جلدة، فوثب إليه وأنشأ يقول:

أنت الجواد والخطيب المصقع

يا مسمع بن مالك يا مسمع

فاصنع كما كان أبوك يصنع

فقال له رجل كان جالساً هناك: إن قبل منك والله يا أبا جلدة ناك أمه، فقال له: وكيف ذلك ويحك؟ قال:

لأنك أمرته أن يصنع كما كان أبوه يصنع!.

مدح مقاتل بن مسمع طمعاً في مثل ما كان مسمع يعطيه فلما رده هجاه: وقال أبو عمرو الشيباني: كان مسمع بن مالك يعطي أبا جلدة، فقال فيه :

خاضوا بحارك أو ضحضاحها غرقوا

يسعى أناس لكيما يدركوك ولو

عند اللقاء ولا رعديدة فرق

وأنت في الحرب لا رث القوى برم

إن يمدحوك بها يوماً فقد صدقوا

كل الحلال التي يسعى الكرام لها

وسادهم وزمان الناس منخرق

ساد العراق فحال الناس صالحة

بل مجد آل شهاب كان مذ خلقوا

لا خارجي ولا مستحدث شرفاً

قال: ثم مدح مقاتل بن مسمع طمعاً في مثل ما كان مسمع يعطيه، فلم يلتفت إليه وأمر أن يحجب عنه. فقيل له:

تعرضت للسان أبي جلدة وخبثه. فقال: ومن هو الكلب! وما عسى أن يقول قبحه الله وقبح من كان منه!

فليجهد جهده. فبلغ ذلك من قوله أبا جلدة فقال يهجو:

وكان لثيماً جاره يتذلل

قرى ضيفه الماء القراح ابن مسمع

لديه تولى هارباً يتعلل

فلما رأى الضيف القرى غير راهن

ألا كل من يرجو قراكم مضلل

ينادي بأعلى الصوت بكر بن وائل

ربيعة أمسى ضيفكم يتحول

عميدكم هر الضيوف فما لكم

زماناً بكم يحيا الضريك المعيل

وخفتكم بأن تقروا الضيوف وكنتم

وقصرتم والضيف يقرى وينزل

فما بالكم بالله أنتم بخلتم

يقول إذا ولى جميلاً فيجمل

ويكرم حتى يقتري حين يقتري

ورأيهم لا يسبق الخيل محتل

فمهلاً بني بكر دعوا آل مسمع

عليهم وواسوهم فذلك أجمل

ودونكم أضيفكم فتحدبوا

به يضرب الأمثال من يتمثل

ولا تصبخوا أحوثةً مثل قائل

بني مسمع حتى يحموا ويتقلو

إذا ما التقى الركبان يوماً تذاكروا

فلا تقربوا أبياتهم إن جارهم
وضيفهم سيان أتى توسلوا
هم القوم غر الضيف منهم رواؤهم
وما فيهم إلا لئيم مبخل
فلو ببني شيبان حلت ركائبي
لكان قراهم راهناً حين أنزل
أولئك بالمكارم كلها
وأجدر يوماً أن يواسوا ويفضلوا
بني مسمع لا قرب الله داركم
ولا زال واديكم من الماء يحمل
فلم تردعوا الأبطال بالبليض والقنا
إذا جعلت نار الحروب تأكل

أخبار علويه ونسبه

نسب علويه وأصله: هو علي بن عبد الله بن سيف . وكان جده من السعد الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عفان واسترق منهم جماعة اختصهم بخدمته، وأعتق بعضهم، ولم يعتق الباقي فقتلوه. وذكر ابن خردادبه، وهم ممن لا يحصل قوله ولا يعتمد عليه، أنه من أهل يثرب مولى بني أمية، والقول الأول أصح .
مهارته في الغناء والضرب وبعض أخلاقه ونشأته وسبب وفاته: ويكنى علويه أبا الحسن. وكان مغنياً حاذقاً، ومؤدباً محسناً، وصانعاً متفنناً، وضارباً متقدماً، مع خفة روح، وطيب مجالسة، وملاحة نواذر. وكان إبراهيم الموصلي علمه وخرجه وعني به جداً، فبرع وغنى لحمد الأمين، وعاش أيام المتوكل، ومات بعد إسحاق الموصلي بمديدة يسيرة. وكان سبب وفاته أنه خرج به جرب، فشكاه إلى يحيى بن ماسويه، فبعث إليه بدواء مسهل وطلاء، فشرب الطلاء واطلى بالدواء المستهل، فقتله ذلك. وكان إسحاق يتعصب له في أكثر أوقاته على مخارق. فأما التقديم والوصف فلم يكن إسحاق يرى أحداً من جماعته لهما أهلاً، فكانوا يتعصبون عليه لإبراهيم بن المهدي، فلا يضره ذلك مع تقدمه وفضله .
رأي إسحاق الموصلي فيه وفي مخارق:

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق قال: قلت لأبي: أيما أفضل عندك مخارق أو علويه؟ فقال: يا بني علويه أعرفهما فهماً بما يخرج من رأسه وأعلمهما بما يغنيه ويؤديه، ولو خيرت بينهما من يطارح حوارياً أو شاورني من يستنصحنني لما أشرت إلا بعلويه؛ لأنه كان يؤدي الغناء، وصنع صنعة محكمة. ومخارق يتمكن من حلقة وكثرة نعمه لا يقنع بالأخذ منه؛ لأنه لا يؤدي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغنيه مرتين غناءً واحداً لكثرة زوائده فيه. ولكنهما إذا اجتمعا عند خليفة أو سوقة غلب مخارق على المجلس لطيب صوته وكثرة نغمه .
حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدثني أبي قال: اجتمعت مع إسحاق يوماً في بعض دور بني هاشم، وحضر علويه فغنى أصواتاً ثم غنى من صنعتة: صوت:

ونبتت ليلي أرسلت بشفاعتي
إلي فهلا نفس ليلي شفيعتها

ولحنه ثاني ثقيل فقال له إسحاق: أحسنت والله يا أبا الحسن! أحسنت ما شئت!. فقام علوية من مجلسه فقبل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسر بقوله سروراً شديداً، ثم قال: أنت سيدي وابن سيدي، وأستاذي وابن أستاذي، ولي إليك حاجة. قال: قل، فوالله إني أبلغ فيها ما تحب. قال: أما أفضل عندك أنا أو مخارق؟ فإني أحب أن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يؤثر ويحكيه عنك من حضر، فتشرفني به. فقال إسحاق: ما منكم إلا محسن مجمل، فلا ترد أن ترى في هذا شيئاً. قال: سألتك بحقي عليك وبترية أبيك وبكل حق تعظمه إلا حكمت. فقال: ويحك! والله لو كنت أستجيز أن أقول غير الحق لقلته فيما تحب، فأما إذ أبيت إلا ما ذكرت فهالك ما عندي: فلو خيرت أنا من يطارح جوارى أو يغنيني لما اخترت غيرك، ولكنما إذا غنيتما بين يدي خليفة أو أمير غلبك على إطرابه واستبد عليك بجائزته. فغضب علويه وقام وقال: أف من رضاك وغضبك!.
شاع له صوت كان الناس يظنونهم لإسحاق: حدثني جعفر بن قدامة قال علي بن يحيى المنجم قال: قدمت من سر من رأى قدمة إلى بغداد، فلقيت أبا محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي، فجعل يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتى انتهى إلى ذكر الغناء، فقال: أي شيء رأيت الناس يستحسنونه في هذه الأيام من الأغاني، فإن الناس ربما لهجوا بالصوت بعد الصوت؟ فقلت: صوتاً من صنعتك. فقال: أي شيء هو؟ فقلت: صوت:

ألا يا حمامي قصر دوران هجتما بقلبي الهوى لما تغنيتما ليا

وأبكيتماني وسط صحبتي ولم أكن أبالي دموع العين لو كنت خاليا

فضحك وقال: ليس هذا لي، هذا لعلويه، ولقد لعمرى أحسن فيه وجود ما شاء.

لحن علويه في هذين البيتين ثاني ثقيل بالوسطى.

أتاه بعض أصحابه فأطعمهم وغناهم ألحاناً لهم: حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن عمرو قال حدثني أحمد بن محمد بن عبد الله الأبراري قال: أتيت علويه يوماً بالعشي، فوجدت عنده خاقان بن حامد وعبد الله بن صالح صاحب المصلى، وكنت حملت معي قفص فراريج كسكرية مسمنة وجراي دقيق سميد، فسلمته إلى غلامه، وبعث إلى بشر بن حارثة: أطعمنا ما عندك، فلم يزل يطعمنا فضلات حتى أدرك طعامه، ثم بعث إلى عبد الوهاب بن الخصيب بن عمرو فحضر، وقدم الطعام فأكل وأكلنا أكل معذرين، ثم قال: إني صنعت البارحة لحناً أعجبني فأسمعوه وقولوا فيه ما عندكم، وغنانا فقال: صوت:

هزئت عميرة أن رأت ظهري انحنى وذؤابتي علت بماء خضاب

لا تهزئي مني عمير فإنني محض كريم شيبتي وشبابي

لحن علويه في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطى فقلنا له: حسن والله جميل يا أبا الحسن، وشربنا عليه أقداحاً. ثم استؤذن لعنث غلام أحمد بن يحيى بن معاذ، فأذن له، ومع عنث كتاب من مولاه أحمد بن يحيى:

سمعت يا سيدي منك صوتاً عند أمير المؤمنين يعني المعتصم ، فأحب أن تتفضل وتطرحه على عبدك عثث .
وهو: صوت:

فوا حسرتنا لم أقض منك لبانةً ولم أتمتع بالجوار وبالقرب

يقولون هذا آخر العهد منهم فقلت وهذا آخر العهد من قلبي

لحن علويه في هذا الشعر ثقیل أول، وهو من مقدم أغانيه وصدورها. وأول هذا الصوت:

ألا يا حمام الشعب شعب موري سقتك الغواصي من حمام ومن شعب

قال: وإذا مع حسين رقعة من مولاه: سمعتك يا سيدي تغني عند الأمير أبي إسحاق إبراهيم ابن المهدي:

ألا يا حمامي قصر دوران هجمتما بقلبي الهوى لما تغنيتما ليا

أحب أن تطرحه على عبدك حسين. قال: فدعا بسلام له يسمى عبد آل فطحه عليه حتى أحكماه ثم عرضاه عليه حتى صح لهما. فلما أعلم أنه مر لنا يوم يقارب طيب ذلك اليوم وحسنه .

وصف الواصل له: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: سمعت أبي يقول سمعت الواصل يقول: علويه أصح الناس صنعة بعد إسحاق، وأطيب الناس صوتاً بعد مخارق، وأضرب الناس بعد ريرب وملاحظ، فهو مصلي كل سابق قادر، وثاني كل أول واصل متقدم. قال: وكان الواصل يقول: غناء علويه مثل نقر الطست يبقى ساعة في السمع بعد سكوته .

خطأً إسحاق لحناً غناه المعتصم فرد هو عليه: نسخت من كتاب أبي العباس بن ثوبة بخطه: حدثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدثني عبد الله بن العباس الربيعي قال: اجتمعت يوماً بين يدي المعتصم وحضر إسحاق الموصلي، فغنى علويه:

لعبة دار ما تكلمنا الدار تلوح مغانيها كما لاح أسطار

فقال إسحاق: أخطأت فيه، ليس هو كذلك. فغضب علويه وقال: أم من أخذنا عنه هكذا زانية. فقال إسحاق: وشتما قبحه الله، وسكت وبان ذلك فيه. قال: وكان علويه أخذه من أبيه .

كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار: حدثني عمي قال حدثنا هارون بن مخارق قال: كان علويه أعسر وكان عوده مقلوب الأوتار: البم أسفل الأوتار كلها، ثم المثلث فوقه، ثم المثني، ثم الزير، وكان عوده إذا كان في يد غيره على هذه الصفة، وإذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى، فيكون مستوياً في يده ومقلوباً في يد غيره .

كان بينه وبين ابن أخته الخلعجي القاضي منازعة فغنى بشعره للمأمون فعزله عن القضاء: أخبرنا محمد بن خلف وكيع قال كان الخلعجي القاضي، واسمه عبد الله بن محمد، ابن أخت علويه المغني، وكان تياهاً صلفاً، فتقلد في خلافة الأمين قضاء الشرقية، فكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جسده ولا

يتحرك، فإذا تقدم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يفصل بينهما ثم يعود لحاله. فعمد بعض الجحان إلى رقعة من الرقاع التي يكتب فيها الدعاوى فألصقها في موضع ذنبته بالدبق ويمكن منها الدبق. فلما تقدم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل انكشفت رأسه وبقيت الذنبه موضعها مصلوبة ملتصقة، فقام الخلنجي مغضباً وعلم أنها حيلة وقعت عليه، فغطى رأسه بطيلسانه وقام وانصرف وتركها مكانها، حتى جاء بعض أعوانه فأخذها. وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات:

إن الخلنجي من تتايهه
أثقل باد لنا بطلعته
ما إن لذي نخوة مناسبة
بين أخاوينه وقصعته
يصالح الخصم من يخاصمه
خوفاً من الجور في قضيته
لو لم تدبقه كف قانصه
لطار تيتهاً على رعيته

قال وشهرت الأبيات والقصة ببغداد، وعمل له علويه حكايةً أعطاهما للزفانين والمخنثين فأحرجوه فيها، وكان علويه يعاديه لمنازعة كانت بينهما ففضحه، واستغفى الخلنجي من القضاء ببغداد وسأل أن يولى بعض الكور البعيدة، فولي جند دمشق أو حمص. فلما ولي المأمون الخلافة غناه علويه بشعر الخلنجي فقال:

برئت من الإسلام إن كان ذا الذي
أتاك به الواشون عني كما قالوا
ولكنهم لما رأوك غرية
بهجري تواصلوا بالنميمة واحتالوا
فقد صرت أذنًا للوشاة سميعاً
ينالون من عرضي وإن شئت ما نالوا

فقال له المأمون: من يقول هذا الشعر؟ فقال: قاضي دمشق. فأمر المأمون بإحضاره، فكتب إلى صاحب دمشق بإشخاصه فأشخص، وجلس المأمون للشرب وأحضر علويه، ودعا بالقاضي فقال له: أنشدني قولك:

برئت من الإسلام إن كان ذا الذي
أتاك به الواشون عني كما قالوا

فقال له: يا أمير المؤمنين هذه أبيات قتلها منذ أربعين سنة وأنا صبي، والذي أكرمك بالخلافة وورثك ميراث النبوة ما قلت شعراً منذ أكثر من عشرين سنة إلا في زهد أو عتاب صديق. فقال له: اجلس فجلس، فناوله قدح نبذ التمر أو الزبيب. فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئاً منها. فأخذ القدح من يده وقال: أما والله لو شربت شيئاً من هذا لضربت عنقك، وقد ظننت أنك صادق في قولك كله، ولكن لا يتولى لي القضاء رجل بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام، انصرف إلى منزلك. وأمر علويه بغير الكلمة وجعل مكانها: حرمت مناي منك. ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع ثم تقرب بذلك إلى المأمون فلم ير منه ما يجب: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: كان علويه بين يدي الأمين، فغنى في بعض غنائه:

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما تجد

وكان الفضل بن الربيع يطعن عليه، فقال للأمين: إنما يعرض بك ويستيطئ المأمون في محاربتة، فأمر به فضرب خمسين سوطاً وجر برجله، وجفاه مدةً، حتى ألقى نفسه على كوثرٍ فترضاه له ورد إلى خدمته، وأمر له بخمسة آلاف دينار. فلما قدم المأمون تقرب إليه بذلك، فلم يقع له بحيث يحب، وقال له: إن الملك بمثلة الأسد أو النار، فلا تتعرض لما يغضبه، فإنه ربما جرى منه ما يتلفك ثم لا تقدر بعد ذلك على تلافي ما فرط منه، ولم يعطه شيئاً.

غضب الأمين على إبراهيم الموصلي بعد موته لتقدم اسم المأمون عليه في شعره وترضاه ابنه إسحاق. ومثل هذا من فعل الأمين، ما حدثني به محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال: دخلت على الأمين فرأيت مغيضاً كالحاء، فقلت له: ما لأمر المؤمنين تم الله سروره ولا نغصه أراه كالحائر؟ قال: غاظني أبوك الساعة لا رحمه الله! والله لو كان حياً لضربته خمسمائة سوط، ولولاك لنبشت الساعة قبره وأحرقت عظامه. فقممت على رجلي وقلت: أعوذ بالله من سخطك يا أمير المؤمنين! ومن أبي وما مقداره حتى تغتاض منه! وما الذي غاظك فلعل له فيه عذراً؟ فقال: شدة محبته للمأمون وتقديمه إياه حتى قال في الرشيد شعراً يقدمه فيه علي وغناه فيه، وغنيته الساعة فأورثني هذا الغيظ. فقلت: والله ما سمعت بهذا قط ولا لأبي غناء إلا وأنا أرويه، ما هو؟ فقال قوله:

له كنفان من كرم ولين

أبو المأمون فينا والأمين

فقلت له: يا أمير المؤمنين لم يقدم المأمون في الشعر لتقديمه إياه في الموالة، ولكن الشعر لم يصح وزنه إلا هكذا. فقال: كان ينبغي له إذا لم يصح الشعر إلا هكذا أن يدعه إلى لعنة الله. فلم أزل أداريه وأرفق به حتى سكن. فلما قدم المأمون سألني عن هذا الحديث فحدثته به، فجعل يضحك ويعجب منه.

مدحه عبد الله بن طاهر: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: سمعت أبي يقول: لو خيرت لونا من الطعام لا أزيد عليه غيره لاخترت الدراجة؛ لأنني إن زدت في خلها صارت سكباجة، وإن زدت في مائها صارت إسفيد باجة، وإن زدت في تصبيرها بل في تشييطها صارت مطحنة، ولو اقتصرت على رجل واحد لما اخترت سوى علويه؛ لأنه إن حدثني ألهاني، وإن غناني أشجاني، وإن رجعت إلى رأيه كفاي.

حضر عند سعيد بن عفيف فأكرمه ثم طلبه عفيف: حدثني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الأبراري قال: كنت عند سعيد بن عفيف أنا وعبد الوهاب بن الخصيب وعبد الله بن صالح صاحب المصلى، إذ دخل عليه حاجبه فقال له: علويه بالباب، فأذن له فدخل. فقال له: لا تحمدي فيني لم يجئني رسول رجل اليوم، فعرضت إخواني جميعاً على قلبي فلم يقع عليه غيرك. فدعا له ببردونٍ أدهم بسرجه ولجامه فأهداه إليه، وجلسنا نشرب وعلويه يغني. فلما توسطنا أمرنا جاء رسول عفيف يطلبه في منزله، فقالوا له: هو

عند ابنه سعيد. فأتاه الرسول فقال له: أجب الأمير. فقلنا: هذا شيء ليس فيه حيلة. وقد جاء الرسول وهو يغني: صوت:

ألم تر أنني يوم جو سويقة
بكيت فنادتني هنيذة ما ليا
فقلت لها إن البكاء لراحة
به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا

لحن علويه في هذا رمل. والشعر للفرزدق قال: فقام علويه ثم قال: هو ذا، أمضي إلى الأمير فأحدثه بحدثنا وأستأذنه في الانصراف بوقت يكون فيه فضل لكم. فانصرف بعد المغرب ومعه جام، فيه مسك وعشرة آلاف درهم ومينان فيهما رماطون، فقال: جئت أشرب عندكم، وأخذه وأنصرف إلى إنسان له عندي أياد يعني علي بن معاذ أخا يحيى ابن معاذ فلم يزل عندنا حتى هم بالانصراف. فلما رأيت ذلك فيه قمت قبله فأتيت منزل علي ابن معاذ، فقبل له: ابن الأبراري بالباب. فبعث إلي: إن أردت مضاء فخذني يعني غلاماً كان يغني، فقلت له: لست أريده، إنما أريدك أنت، فأذن لي فدخلت. فقال: ألك حاجة في هذا الوقت؟ فقلت: الساعة يجيئك علويه. فقال: وما يدريك؟ فحدثته بالحديث. ودخل علويه، فقال لي: ما جاء بك إلى هنا فقلت: ما كنت لأدع بقية ليلتي هذه تضيق، فما زال يغنينا ونشرب حتى نام الناس ثم انصرفنا. فضله عمرو بن بانة على نفسه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثنا هارون بن مخارق قال حدثني أبي قال: قلت لعمرو بن بانة: أيما أجود صنعتك أم صنعة علويه؟ فقال: صنعة علويه، لأنه ضارب وأنا مرتجل. ثم أطرق ساعة وقال: لا أكذبك يا أبا المهنا والله ما أحسن أن أصنع مثل صنعة علويه:

فوا حسرتا لم أقض منك لبانة
ولم أتمتع بالجوار وبالقرب

ولا مثل صنعته:

هزئت أميمة أن رأيت ظهري انحنى
وذؤابتني علت بماء خضاب

ولا مثل صنعته:

ألا يا حمامي قصر دوران هجتما
لقلبي الهوى لما تغنيتما ليا

وقد مضت نسبة هذه الأصوات .

غنى في شعر هجى به علي بن الهيثم فأغرى الفضل بن الربيع به الأمين حتى ضربه ثم رضي عنه: حدثني جحظة قال حدثني أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدثني أحمد بن الخليل ابن هشام قال: كان بين علويه وبين علي بن الهيثم جوقاً شر في عريضة وقعت بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتماذى الشر بينهما، فغنى علويه في شعر هجاء به أبو يعقوب في حاجة، فهجاه وذكر أنه دعي. وكان جوقاً يدعي أنه من بني تغلب، فقال فيه أبو يعقوب:

أنت عندي من الأراقم حقا

فدبتنا لذا الحديث دبنا

فاستنارت لشهبها الفلك برقا

فانتهزه وقل له أنت شققا

يا علي بن هيثم يا جونقا

عربي وجده نبطي!

قد أصابتك في التقرب عين

وإذا قال إنني عربي

وللخرمي فيه أهاج كثيرة نبطية فغنى علويه لحناً صنعه في هذه الأبيات بحضرة الأمين وكان الفضل بن الربيع حاضراً فقال: يا أمير المؤمنين علي بن الهيثم كابي، وإذا استخف به فإنما استخف بي. فقال الأمين: خذوه، فأخذوه وضرب ثلاثين درةً، وأمر بإخراجه. فطرح علويه نفسه على كوثٍ فاستصلح له الفضل بن الربيع، وترضى له المين حتى رضى عنه ووهب له خمسة آلاف دينار.

ادعى أنه لو شاء جعل الغناء كالجوز فرد عليه إسحاق بما أحججه: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدثني مخارق قال: غنى علويه يوماً بحضرة الواثق هذا الصوت: صوت:

عناً وللدهر إحلاء وإمرار

من صاحب الدهر لم يحمد تصرفه

ولحنه ثقيل أول فاستحسنه الواثق وطرب عليه. فقال علويه: والله لو شئت لجعلت الغناء في أيدي الناس أكثر من الجوز، وإسحاق حاضر بين يدي الواثق، فتضاحك ثم قال: يا أبا الحسن، إذا تكون قيمته مثل قيمة الجوز، ليتك إذ قللته صنعت شيئاً، فكيف إذا كثرته! فتعجل علويه حتى كأنما ألقمه إسحاق حجراً، ما انتفع بنفسه يومئذ. ترك موعد المأمون ليذهب إلى عريب ثم غناه بما صنعه فاستظرفه: حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله الهشامي قال:

قال لي علويه: أمرنا المأمون أن نباكره لنصطحب، فلقيني عبد الله بن إسماعيل المراكبي مولى عريب، فقال: أيها الظالم المعتدي أما ترحم ولا ترق، عريب هائمة من الشوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلم بك في نومها كل ليلة ثلاث مرات. قال علويه: فقلت أم الخلافة زانية، ومضيت معه. فحين دخلت قلت: استوثق من الباب، فأنا أعرف الناس بفضول الحجاب، فإذا عريب جالسة على كرسي تطبخ ثلاث قدور من دجاج. فلما رأني قامت فعانقتني وقبلتني وقالت: أي شيء تشتهي؟ فقلت: قدراً من هذه القدور، فأفرغت قدراً بيّني وبينها فأكلنا، ودعت بالنيذ فصبت رطلاً فشربت نصفه وسقتني نصفه، فما زلت أشرب حتى كدت أن أسكر. ثم قالت: يا أبا الحسن، غنيت البارحة في شعرٍ لأبي العتاهية أعجبني، أفتسمعه مني وتصلحه؟ فغنت: صوت:

صفا لي ولا إن صرت طوع يدي

عذيري من الإنسان لا إن جفوته

يروق ويصفو إن كدرت عليه

وإني لمشتاق إلى ظل صاحب

فصيرناه مجلساً. وقالت: قد بقي فيه شيء، فلم أزل أنا وهي حتى أصلحناه. ثم قالت: وأحب تغني أنت فيه أيضاً لحناً، ففعلت. وجعلنا نشرب على اللحنين ملياً. ثم جاء الحجاب فكسروا الباب واستخرجوني، فدخلت إلى

المأمون فأقبلت أرقص من أقصى الإيوان وأصفق وأغني بالصوت، فسمع المأمون والمغنون ما لم يعرفوه فاستظرفوه، وقال المأمون: ادن يا علويه ورده ، فرددته عليه سبع مرات. فقال لي في آخرها عند قولي:

يروق ويصفو إن كدرت عليه

يا علويه خذ الخلافة وأعطني هذا صاحب .

لحن عريب في هذا الشعر رمل. وفيه لعلويه لحنان: ثاني ثقيل، وماخوري .

سمع منه إبراهيم بن المهدي صوتين فحسده: وقال العتابي حدثني أحمد بن حمدون قال: غاب عنا علويه مدة ثم صار إلينا. فقال له إبراهيم بن المهدي: ما الذي أحدثت بعدي من الصنعة يا أبا الحسن؟ قال: صنعت صوتين. قال: فهاتهما إذاً؛ فغناه: صوت:

تمتع بليلى ما بدا لك لينها

ألا إن لي نفسين نفساً تقول لي

ونفسك لا تطرح على من يهينها

ونفساً تقول استبق ودك وانتد

لحن علويه في هذين البيتين خفيف ثقيل قال: فرأيت إبراهيم بن المهدي قد كاد يموت من حسده وتغير لونه ولم يدر ما يقول له؛ لأنه لم يجد في الصوت مطعناً، فعدل عن الكلام في هذا المعنى وقال: هذا يدل على أن ليلي هذه كانت من لينها مثل الموم بالبنفسج، فسكت علويه. ثم سأله عن الصوت الآخر فغناه . صوت:

فإن لجاري منهما ما تخيرا

إذا كان لي شيئان يا أم مالك

أراه له أهلاً إذا كان مقتررا

وفي واحدٍ إن لم يكن غير واحدٍ

والشعر لحاتم الطائي. لحن علويه في هذين البيتين أيضاً خفيف ثقيل. وقد روي أن إبراهيم الموصلي صنعه ونحله إياه، وأنا أذكر خبره بعقب هذا الخبر قال أحمد بن حمدون: فأتى والله بما برز على الأول وأوفى عليه؛ وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسداً لمنافسته في الصنعة وعجزه عنها. فقال له: وإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوت جارك منهما واحدة؟ فحجل علويه وما نطق بصوت بقية يومه .

نحله إبراهيم الموصلي صوتاً فلم يظهره إلا أمام المأمون: وحدثني عمي عن علي بن محمد عن جده حمدون هذا الخبر، ولفظه أقل من هذا .

فأما الخبر الذي ذكرته عن علويه أن إبراهيم الموصلي نحله هذا الصوت. فحدثني لحظة قال حدثني ابن المكي المرتجل وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدثني علويه قال: قال إبراهيم الموصلي يوماً: إني قد صنعت صوتاً وما سمعه مني أحد بعد، وقد أحببت أن أنفعلك وأرفع منك بأن ألقيه عليك وأهبه لك، ووالله ما فعلت هذا بإسحاق قط وقد خصصتك به، فانتحله وادعه، فلست أنسبه إلى نفسي وستكسب به مالاً. فألقى علي قوله:

فإن لجاري منهما ما تخيرا

إذا كان لي شيئان يا أم مالك

فأخذته وادعيته وسترته طول أيام الرشيد خوفاً من أنهم فيه وطول أيام الأمين حتى حدث عليه ما حدث. وقدم المأمون من خراسان وكان يخرج إلى الشماسية دائماً يتنزه، فركبت في زلالٍ وجئت أتبعه، فرأيت حراقة علي بن هشام، فقلت للملاح: اطرح زلالي على الحراقة ففعل، واستؤذن لي فدخلت وهو يشرب مع الجواري وما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدن فإذا بين يديه مقيم وبذل من جواريه، فغنيته الصوت فاستحسنه جداً وطرب عليه وقال: لمن هذا؟ فقلت: هذا صوت صنعته وأهديته لك، ولم يسمعه أحد قبلك، فزاد به عجباً وطرباً وقال لها: خذيه عنه، فألقيته عليها حتى أخذته، فسر بذلك وطرب، وقال لي: ما أجد لك مكافأةً على هذه الهدية إلا إن أتحوّل عن هذه الحراقة بما فيها وأسلمه إليك أجمع. فتحول إلى أخرى، وسلمت الحراقة بخزانتها وجميع آلتها إلي وكل شيء فيها، فبعث ذلك بمائة وخمسين ألف درهم واشترت بها ضيعتي الصالحية. غنى المأمون لحناً في بيت لم يعرفه أحد ثم عرف بعد: حدثني جحظة قال ابن المكي المرتجل عن أبيه قال قال إسحاق بن حميد كاتب أبي الرازي، وحدثني به عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني حسان بن محمد الحارثي عن إسحاق بن حميد كاتب أبي الرازي قال: غنى علويه الأعسر يوماً بين يدي المأمون:

تخيرت من نعمان عود أراكة لهند فمن هذا يبلغه هنداً

فقال المأمون: اطلبوا لهذا البيت ثانياً فلم يعرف، وسأل كل من بحضرته من أهل الأدب والرواة والجلساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحد. فقال إسحاق بن حميد: لما رأيت ذلك عنيت بهذا الشعر وجهدت في المسألة وطلبت به ببغداد عند كل متأدب وذو معرفة فلم يعرفه. وقد المأمون أبا الرازي كور دجلة وأنا أكتب له، ثم نقله إلى اليمامة والبحرين. قال إسحاق ابن حميد: فلما خرجنا ركبنا مع أبي الرازي في بعض الليالي على حمارة، فابتدأ الحادي يحدو بقصيدة طويلة، وإذا البيت الذي كنت أطلبه، فسألته عنها فذكر أنها للمرقش الأكبر، فحفظت منها هذه الأبيات:

خليلي عوجا بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا

وقولا لها ليس الضلال أجازنا ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا

تخيرت من نعمان عود أراكة لهند فمن هذا يبلغه هنداً

وأنطيته سيفي لكيما أقيمه فلا أوداً فيه استنبت ولا خضدا

ستبلغ هنداً إن سلمنا قلائص مهاري يقطعن الفلاة بنا وخدا

فلما أنحنا العيس قد طار سيرها إليهم وجدناهم لنا بالقرى حشدا

فناولتها المسواك والقلب خائف وقلت لها يا هند أهلكتنا وجدا

فمدت يداً في حسن دل تتاولاً إليه وقالت ما أرى مثل ذا يهدى

وقامت تجر الميسانى والبردا

وأقبلت كالمجتاز أدى رسالة

وما التمسيت إلا لتقتلني عمدا

تعرض للحي الذين أريدهم

من الوحش مرتاع طلاً فردا

فما شبه هند غير أدماء خاذل

قال: فكتب بها إلى المأمون فاستحسنه ورويت، وأمر علويه فصنع في البيتين الأولين منها غناء يشبه . أغاني
علويه في هذه الأبيات: اللحن الأول في قوله:

تخيرت من نعمان عود أراكة

غناه علويه وليس اللحن له، اللحن لإبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر. ولحنه الثاني الذي أمره أن يصنعه في:

خليلي عوجا بارك الله فيكما

رمل .

دفع إلى المعتصم رقعة في أمر رزقه ثم غناه بشعر لابن هرمة: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله
بن مالك قال: عرض علويه على المعتصم رقعة في أمر رقعة في أمر رزقه وإقطاعه وهو يشرب دفعها إليه من يده،
فلما أخذها اندفع علويه يعني: صوت:

فإذا قرأت صحيفتي فتقهم

إني أستحييتك أن أفوه بحاجتي

أحداً ولا أظهرته بتكلم

وعليك عهد الله إن خبرته

فقرأ المعتصم الرقعة وهو يضحك، ثم وقع له فيها بما أراد .

الشعر لابن هرمة كتب به إلى بعض آل أبي طالب وهو إبراهيم بن الحسن يطلب منه نبياً وقد خرج هو
وأصحابه إلى السبالة ، فكتب إليه البيت الأول على ما رويناه، والثاني غيره المغنون، وهو:

أهل السبالة إن فعلت وإن لم

وعليك عهد الله إن أعلمته

فلما قرأ الرقعة قال: علي عهد الله إن لم أعلم به عامل السبالة. وكتب إلى عامل السبالة: إن ابن هرمة وأصحاباً
له سفهاء يشربون بالسبالة، فاركب إليهم ونذروا به، فهرب، وقال يهجو إبراهيم:

وأدلي بالمودة والحقوق

كتبت إليك أستهدي نبياً

وكننت أخا مفاضحة وموق

فخبرت الأمير بذاك جهلاً

حدثني بذلك الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير. وقد ذكرته في أخبار ابن هرمة . والغناء لعبادل .

غنى هو ومخارق معترضين بفرس كميته للمعتصم فأعطاهما غيره: حدثني جعفر بن قدامة قال حدثني موسى بن
هارون الهاشمي قال حدثني أبي قال: كنت واقفاً بين يدي المعتصم وهو جالس على حير الوحش والخيول تعرض

عليه وهو يشرب وبين يديه علويه ومخارق يغنيان، فعرض عليه فرس كमित أحمر ما رأيت مثله قط، فتغامز
علويه ومخارق، وغناه علويه:

وهبوا كل جوادٍ وطمر

وإذا ما شربوها وانتشوا

فتغافل عنه. وغناه مخارق:

تحت أجلالها وعيس الركاب

يهب البيض كالظباء وجرداً

فضحك ثم قال: اسكتا يا ابني الزانيتين، فليس يملكه والله واحد منكما. قال: ثم دار الدور، فغنى علويه:

وهبوا كل بغالٍ وحمز

وإذا ما شربوها وانتشوا

فضحك وقال: أما هذا فنعم، وأمر لأحدهما ببغلي وللآخر بحمار .

اجتمع مع أصحاب له عند زليهة ومعه هاشمي حصلوا منه بحيلة على مال: حدثني عمي قال حدثنا عبد الله بن
أبي سعد قال حدثني محمد بن محمد الأبراري قال: كنا عند زليهة النحاس، وكانت عنده جارية يقال لها خشف
ابتاعها من علويه، وذلك في شهر رمضان، ومعنا رجل هاشمي من ولد عبد الصمد بن علي يقال له عبد الصمد،
وإبراهيم بن عمرو بن هبون وكان يحبها، فأعطى بها زليهة أربعة آلاف دينار فلم يبيعها منه، وبقيت معه حتى
توفيت، فغنتنا أصواتاً كان فيها:

إشارة محزونٍ ولم تتكلم

أشارت بطرف العين خيفة أهلها

وأهلاً وسهلاً بالحبيب المسلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً

وقلت لها قول امرئ غير معجم

وأبرزت طرفي نحوها لأجيبها

وقد سيط في لحمي هواك وفي دمي

هنيئاً لكم قتلي وصفو مودتي

الغناء لابن عائشة ثقيل أول عن الهشامي قال: فلما وثبنا للانصراف قال لنا وقد اشتد الحر: أقيموا عندي.
فوجهت غلاماً معي وأعطيته ديناراً وقلت له ابتع فرايج بعشرة دراهم وثلجاً بخمسة دراهم وعجل، فجاء بذلك
فدفعه إلى زليهة وأمره بإصلاح الفرايج ألواناً، وكتب إلى علويه فعرفته خبرنا، فجاءنا وأقام، وأمطرنا عند
زليهة، وشرب منا من كان يستحيز الشراب، وغنى علويه لحناً ذكر أنه لابن سريج ثقيل أول، فاستغربه
الجماعة، وهو: صوت:

ودك حتى عزني المطلب

يا هند إن الناس قد أفسدوا

عاش مهاناً في أذى يتعب

يا ليت من يسعى بنا كاذباً

قد يغفر الله لمن يذنب

هبيه ذنباً كنت أذنبته

أن أرسلت هند وهي تعتب

وقد شجاني وجرت دمعتي

ما أنت إلا ساحر تخلب

غيرك ما عشت ولا نطلب

ما هكذا عاهدتنا في منى

حلفت لي بالله لا تبتغي

قال: وقام عبد الصمد الهاشمي ليبول. فقال علويه: كل شيء قد عرفت معناه: أما أنت فصديق الجماعة، وهذا يتعشق هذه، وهذا مولاهما، وأنا ربيتها وعلمتها، وهذا الهاشمي أيش معناه! فقلت لهم: دعوني أحكه وأخذ زلبهزة منه شيئاً. فقال: لا والله ما أريد. فقلت له: أنت أحق، أنا أخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أخذه. فقال: إن كان هكذا فنعم. فقلت له إذا جاء عبد الصمد فقل لي: ما فعل الآجر الذي وعدتني به، فإن حائطي قد مال وأخاف أن يقع، ودعني والقصة. فلما جاء الهاشمي قال لي زلبهزة ما أمرته به، فقلت: ليس عندي آجر، ولكن اصبر حتى أطلب لك من بعض أصدقائي، وجعلت أنظر إلى الهاشمي نظر متعرض به. قال الهاشمي: يا غلام دواة ورقعة، فأحضر ذلك. فكتب له بعشرة آلاف آجرة إلى عامل له، وشربنا حتى السحر وانصرفنا. فجئت برقعته إلى الآجري ثم قلت: بكم تبيعه الآجر؟ فقال: بسبعة وعشرين درهماً الألف. قلت فبكم تشتريه مني؟ قال: بنقصان ثلاثة دراهم في الألف. فقلت: فهات، فأخذت منه مائتين وأربعين درهماً، واشترت منها نبيذاً وفاكهةً وثلجاً ودجاجاً بأربعين درهماً، وأعطيت زلبهزة مائتي درهم وعرفته الخبر، ودعونا علويه والهاشمي وأقمنا عند زلبهزة ليلتنا الثانية. فقال علويه: نعم! الآن صار للهاشمي عندكم موضع ومعنى .

هو مصلي كل سابق في الصنعة والضرب وطيب الصوت: أخبرني لحظة قال حدثني أحمد بن حمدون قال حدثني أبي قال: قال لنا الواثق يوماً: من أحذق الناس بالصنعة؟ قلنا إسحاق؟ قال: ثم من؟ قلنا: علويه. قال: فمن أضرب الناس؟ قلنا: ثقيف . قال: ثم من؟ قلنا: علويه؟ قال: فمن أطيب الناس صوتاً؟ قلنا: مخارق. قال: ثم من؟ قلنا: علويه. قال: اعترفتم بأنه مصلي كل سابق، وقد جمع الفضائل كلها وهي متفرقة فيهم، فما ثم ثانٍ لهذا الثالث .

غنى المأمون في دمشق بما أسره فغضب عليه وشتمه: وحدثني لحظة قال حدثني محمد بن أحمد المكي المرتجل قال حدثني أبي قال: دخلت إلى علويه أعود من علة اعتلها ثم عوفي منها، فجرى حديث المأمون، فقال لي: كدت علم الله أذهب دفعةً ذات يوم وأنا معه لولا أن الله تعالى سلمني ووهب لي حلمه. فقلت: كيف كان السبب في ذلك؟ فقال: كنت معه لما خرج إلى الشام، فدخلنا دمشق فطفنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أمية ويتبع آثارهم، فدخل صحناً من صحونهم، فإذا هو مفروش بالرخام الأخضر كله وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصب إليها، وفي البركة سمك، وبين يديها بستان على أربع زواياه أربع سروات كأنها قصت بمقراض من التفافها أحسن ما رأيت من السرو قط قدأً وقدرأً. فاستحسن ذلك، وعزم على الصبح، وقال: هاتوا لي الساعة طعاماً خفيفاً، فأتي بيزماورد فأكل، ودعا بشراب، وأقبل علي وقال: غني ونشطني، فكأن الله عز وجل أنساني الغناء كله إلا هذا الصوت:

لو كان حولي بنو أمية لم

تتطق رجال أراهم نطقوا

فنظر إلي مغضباً وقال: عليك وعلى بني أمية لعنة الله! ويلك! أقلت لك سؤني أو سري! ألم يكن لك وقت تذكر فيه بني أمية إلا هذا الوقت تعرض بي!. فتحيلت عليه وعلمت أي قد أخطأت ، فقلت: أتولمني على أن أذكر بني أمية! هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائي غلام مملوك له، ويملك ثلاثمائة ألف دينار وهبوا له سوى الخيل والضياع والرقيق، وأنا عندكم أموت جوعاً. فقال أو لم يكن لك شيء تذكرني به نفسك غير هذا! فقلت: هكذا حضري حين ذكرهم فقال: اعدل عن هذا وتنبه على إرادتي. فأنسائي الله كل شيء أحسنه إلا هذا الصوت:

الحين ساق إلى دمشق ولم أكن

أرضى دمشق لأهلنا بلدا

فرماني بالقدح فأخطأني فانكسر القدح، وقال: قم عني إلى لعنة الله وحر سقر، وقام فركب. فكانت والله تلك الحال آخر عهدي به، حتى مرض ومات . قال: ثم قال لي: يا أبا جعفر كم تراني أحسن! أغني ثلاثة آلاف صوت، أربعة آلاف صوت، خمسة آلاف صوت، أنا والله أغني أكثر من ذلك، ذهب علم الله كله حتى كأني لم أعرف غير ما غنيت. ولقد ظننت أنه لو كانت لي ألف روح ما نجت منه واحدة منها، ولكنه كان رجلاً حليماً، وكان في العمر بقية .

نسبة هذين الصوتين المذكورين

في الخبر:

صوت:

لو كان حولي بنو أمية لم

تتطق رجال أراهم نطقوا

من كل قرم محضٍ ضرائبه

عن منكبيه القميص ينخرق

الشعر لعبد الله بن قيس الرقيات. والغناء لمعبد، ثقیل أول بالوسطى عن عمرو، وذكر الهاشمي أنه لابن سريج. وذكر ابن خرداذبه أن فيه لدكين بن عبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي لحناً من الثقیل الأول، وأن دكينا مدي كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان .

صوت:

الحين ساق إلى دمشق وما

كانت دمشق لأهلنا بلدا

قادتك نفسك فاستقدت لها

وأريت أمر غواية رشدا

لعمر الوادي في هذا الشعر ثقیل أول بالوسطی عن ابن المكي. قال: وفيه ليعقوب الوادي رمل بالنصر .
اعترض علي خضابه فأجاب: حدثني عمي قال حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال سمعت الحسن بن وهب الكاتب يحدث: أن علويه كان يصطحب في يوم خضابه مع جواريه وحرمة، ويقول: أجعل صبحي في أحسن ما يكون عند جوارِي. فقیل له: إن ابن سيرین كان يقول: لا بأس بالخضاب ما لم تغرر به امرأة مسلمة. فقال: إنما كره لئلا يتصنع به لمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوجها على أنه شاب وهو شيخ، فأما الإمام فهن ملكي، وما أريد أن أغرهن .

قال الحسن: فتعال علويه على المعتصم ثلاثة أيام متوالية واصطحب فيها، فدعاني، وكان صوته على جواريه في شعر الأخطل:

كأن عطارةً باتت تطيف به حتى تسربل مثل الورس وانتعلا

فقال لي: كيف رويته؟ فقلت له: قرأت شعر الأخطل وكان أعلم الناس به، كان يختار، تسرول، ويقول: إنما وصف ثوراً دخل روضة فيها نوار أصفر فأثر في قوائمه وبطنه فكان كالسراويل، لا أنه صار له سربل. ولو قال: تسربل أيضاً لم يكن فاسداً، ولكن الوجه تسرول .

مدح إسحاق لحناً له: خبرني جعفر بن قدامة قال حدثني علي بن يحيى المنجم قال: قدمت من سر من رأى قدمةً بعد طول غيبة، فدخلت إلى إسحاق الموصلي، فسلم علي وسألني خبري وخبر الناس حتى انتهيا إلى ذكر الغناء، فسألني عما يتشاغل الناس من الأصوات المستجادة . فقلت له: تركت الناس كلهم مغرمين بصوت لك. قال: وما هو؟ فقلت:

ألا يا حمامي قصر دوران هجتما

فقال: ليس ذلك لي، ذاك لعلويه. وقد لعمرى أحسن فيه وجود ما شاء .
قال المأمون أبيتاً فغناه فيها فوصله: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال حدثني علويه قال: خرج المأمون يوماً ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رقعة بخطه، وهي: صوت:

خرجنا إلى صيد الطباء فصادني هناك غزال أدعج العين أخور

غزال كأن البدر حل جبينه وفي خده الشعري المنيرة تزهر

فصاد فؤادي إذا رمانى بسهمه وسهم غزال الإنس طرف ومحجر

فيا من رأى ظيباً يصيد ومن رأى أخا قنصٍ يصطاد قهراً ويقسر

قال: فغنيته فيها ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

قال أبو القاسم جعفر بن قدامة: لحن في هذا الشعر ثقیل أول ابتداءً نشيد .

غنى في مجلس الرشيد بما أغضبه عليه: أخبرني محمد بن يزيد قال حدثني حماد عن أبيه قال: غنيت الرشيد يوماً:

هما فتاتان لما يعرفا خلقي

وبالشباب على شيبتي يدلان

فطرب وأمر لي بألف دينار. فقال له ابن مجامع وكان أحسد الناس: اسمع غناء العقلاء ودع غناء المجانين وكنت أخذت هذا الصوت من مجنون بالمدينة كان يجيده ثم غنى قوله:

ولقد قالت لأتراب لها

كالمها يلعبن في حجرتها

خذن عني الظل لا يتبعني

وغدت تسعى إلى قببتها

فطرب وأمر له بألف وخمسمائة دينار. ثم تغنى وجه القرعة:

يمشون فيها بكل سابغة

أحكم فيها القتير والحلق

فاستحسنه وشرب عليه وأمر له بخمسمائة دينار. ثم تغنى علويه:

وأرى الغواني لا يواصلن أمراً

فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فدعاه الرشيد وقال له: يا عاض بظر أمه! تغني في مدح المرد وذم الشيب وستارتي منصوبة وقد شبت! كأنك إنما عرضت بي! ثم دعا بمسروور فأمره أن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين درةً ولا يرده إلى مجلسه ففعل ذلك، ولم ينتفع الرشيد يومئذ بنفسه ولا انتفعنا به بقية يومنا، وجفا علويه شهراً فلم يأذن له حتى سألناه فأذن له .
نسبة هذه الأصوات التي تقدمت: صوت:

هما فتاتان لما يعرفا خلقي

وبالشباب على شيبتي يدلان

كل الفعال الذي يفعلنه حسن

يضني فؤادي وييدي سر أشجاني

بل احذرا صولةً من صول شيخكما

مهلاً عن الشيخ مهلاً يا فتاتان

لم يقع إلي شاعره. فيه لابن سريج ثاني ثقليل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن سريج رمل بالبنصر عن عمرو. وفيه لسليمان المصاب رمل كان يغنيه، فدرس الرشيد إليه إسحاق حتى أخذه منه، وقيل: بل دس عليه ابن جامع .

خبر أخذ إسحاق صوتاً من سليمان المصاب: أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال: دعاني الرشيد لما حج، فقال: صر إلى موضع كذا وكذا من المدينة؛ فإن هناك غلاماً مجنوناً يغني صوتاً حسناً، وهو:

هما فتاتان لما يعرفا خلقي

وبالشباب على شيبتي يدلان

وله أم، فصر إليها وأقم عندها واحتل حتى تأخذه. فجئت أستدل حتى وقفت على بيتها، فخرجت إلي فوهبت لها مائتي درهم، وقلت لها: أريد أن تحتالي على ابنك حتى آخذ منه الصوت الفلاني. فقالت: نعم، وأدخلتني

دارها، وأمرتني فصعدت إلى عليه لها، فما لبثت أن جاء ابنها فدخل. فقالت له: يا سليمان فدتك نفسي! أمك قد أصبحت اليوم خائرة مغرمةً ، فأحب أن تغني ذلك الصوت:

هما فتاتان لما يعرفا خلقي

فقال لها: ومتى حدث لك هذا الطرب؟ قالت: ما طربت ولكنني أحبت أن أتفرج من هم قد لحقني. فاندفع فغناه، فما سمعت أحسن من غنائه، فقالت له أمه: أحسنت! فديتك! فقد والله كشفت عني قطعةً من همي، فأسألك أن تعيده. قال: والله ما لي نشاط، ولا أشتري غمي بفرحك. فقالت: أعده مرتين ولك درهم صحيح تشتري به ناطفاً . قال: ومن أين لك درهم؟ ومتى حدث لك هذا السخاء؟ فقالت: هذا فضول لا تحتاج إليه وأخرجت إليه درهماً فأعطته إياه، فأخذه وغناه مرتين، فدار لي وكان يستوي، فأومأت إليها من فوق أن تستزيده. فقالت: يا بني بحقي عليك إلا أعدته. فقال: أظن أنك تريدين أن تأخذه فتصيري مغنية. فقالت: نعم! كذا هو. قال لا! وحق القبر لا أعدته إلا بدرهم آخر. فأخرجت له درهماً آخر. فأخذه وقال: أظنك والله قد ترندقت وعبدت الكباش فهو ينقد لك هذه الدراهم، أو قد وجدت كترًا. فغناه مرتين، وأخذته واستوى لي. ثم قام فخرج يعدو على وجهه. فجئت إلى الرشيد فغنيت به وأخبرته بالقصة، فطرب وضحك وأمر لي بألف دينار، وقال لي: هذه بدل مائتي الدرهم .

صوت:

كالمها يلعبن في حجرتها

ولقد قالت لأتراب لها

وعدت سعيًا إلى قببتها

خذن عني الظل لا يتبعني

ظبية تختال في مشيتها

لم يصبها نكر فيما مضى

في هذه الأبيات رمل بالبصرة ذكر الهشامي أنه لابن جامع المكي، وذكر ابن المكي أنه لابن سريج. وهو في أخبار ابن سريج وأغانيه غير مجنس .

صوت:

أحكم فيها القتير والحلق

يمشون فيها بكل سابغةٍ

وصبرهم حين تشخص الحلق

تعرف إنصافهم إذا شهدوا

الغناء لابن محرز، خفيف ثقیل بالوسطى عن الهشامي وحبس .

صوت:

ديني إذا وقذ النعاس الرقدا

يجحدنني ديني النهار وأقتضي

فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

وأرى الغواني لا يواصلن أمراً

الشعر للأعشى. والغناء لمعبد، خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو .
صوت:

أية حال يابن رامين حال المحبين المساكين
تركتهم موتى وما موتوا قد جر عوا منك الأمرين
وسرت في ركب على طيبة ركب تهام ويمانين
يا راعي الذود لقد رعتهم ويلك من روع المحبين

الشعر لإسماعيل بن عمار الأسدي. والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الزهري الكوفي، ولحنه خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى، عن الهشامي وأحمد بن المكي .

نسب إسماعيل بن عمار وأخباره

نسب إسماعيل بن عمار: هو إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل بن جذيمة بن عمرو بن خلف بن زبان بن كعب ابن مالك بن ثعلبة بن دوزان بن أسد بن خزيمه. أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن السكري عن ابن حبيب .

من مخضرمي الدولتين وكان يتزل الكوفة:

وإسماعيل بن عمار شاعر، مقل، مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والهاشمية. وكان يتزل الكوفة . كان ممن يختلف إلى ابن رامين وجواريه: قال ابن حبيب: كان في الكوفة صاحب قيان يقال له ابن رامين، قدمها من الحجاز؛ فكان من يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده: مثل يحيى بن زياد الحارثي، وشراعة ابن الزندبوذ، ومطيع بن إياس، وعبد الله بن العباس المفتون، وعون العبادي الحيري، ومحمد بن الأشعث الزهري المغني. وكان نازلاً في بني أسد في جيران إسماعيل بن عمار، فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده. ثم انتقل من جواره إلى بني عائد الله ، فكان إسماعيل يزوره هناك على مشقة لبعدهما بينهما. وكان لابن رامين جوار يقال لهن سلامة الزرقاء، وسعدة، وربيحة وكن من أحسن الناس غناء، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلامة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث:

أمسى لسلامة الزرقاء في كبدي صدع مقيم طوال الدهر والأبد
لا يستطيع صناع القوم يشعبه وكيف يشعب صدع الحب في كبد

قصيدة له في جوارى ابن رامين: وفي جواريه يقول إسماعيل بن عمار:

هل من شفاء لقلب لج محزون صبا وصب إلى رئم ابن رامين
إلى ربيعة إن الله فضلها بحسنها وسماع دي أفانين

وهاج قلبي منها مضحك حسن
نفسي تأبى لكم إلا طواعيةً
وتلك قسمة ضيزى قد سمعت بها
إن تسعفيني بذاك الشيء أرض به
أنت الطبيب لداء قد تلبس بي
نعم شفاؤك منها أن تقول لها
يا رب إن ابن رامين له بقر
لو شئت أعطيته مالاً على قدرٍ
لا أنس سعدة الزرقاء يوم هما
يغنين ابن رامين على طربٍ
أذاك أنعم أم يوم ظللت به
يشوي لنا الشيخ شورين دواجنه
نسقى طلاءً لعمرانٍ يعتقه
يزل أقدامنا من بعد صحتها
نمشي وأرجلنا مطوية شلاً
أو مشي عميان دبرٍ لا دليل لهم
وفي فنية من بني تميم لهوت بهم
خمر الوجوه كأننا من تحشمننا
ما عائد الله لولا أنت من شجني
في عائد الله بيت ما مررت به
ياسعدة القينة الخضراء أنت لنا
ما كنت أحسب أن الأسد تؤنسني
لولا ربيحة ما استأنست ما عمدت

ولثغة بعد في زاي وفي سين
وأنت تأبين لؤماً أن تطيعيني
وأنت تتلينها ما ذاك في الدين
وإن ضننت به عني فزني
من الجوى فانفثي في فيّ وارقيني
أصنيتني يوم دير اللج فاشفيني
عين وليس لنا غير البرادين
يرضى به منك غير الربرب العين
باللج شرقيه فوق الدكاكين
بالمسجحي وتشبيب المحبين
فراشي الورد في بستان شورين
بالجردناج وسحاج الشقابين
يمشي الأصحاء ممه كالمجانين
كأنها ثقلاً يقلعن من طين
مشي الإوز التي تأتي من الصين
سوى العصي إلى يوم السعانيين
تيم بن مرة لا تيم العديين
حسناء شمطاء وافت من فلسطين
ولا ابن رامين لولا ما يميني
إلا وجئت على قلبي بسكين
أنس لأنك في دار ابن رامين
حتى رأيت إليك القلب يدعوني
نفسي إليك ولو مثلت من طين

باع ابن رامين سلامة في حجه فقال هو شعراً: قال: وحج ابن رامين وحج بجواريه معه، وكان محمد بن سليمان
إذ ذاك على الحجاز، فاشترى منه سلامة الزرقاء بمائة ألف درهم. فقال إسماعيل بن عمار:

أية حال يا ابن رامين حال المحبين المساكين
تركتهم موتى وما موتوا قد جرعوا منك الأمرين
وسرت في ركب على طية ركب تهام ويمانين
حجبت بيت الله تبغي به البر ولم ترث لمحرون

يا راعي الذود لقد زعتهم ويلك من روع المحبين
فرقت قوماً لا يرى مثلهم ما بين كوفان إلى الصين
مات له ابن فرثاه: أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثنا السكري عن محمد قال: كان لإسماعيل بن عمار
ابن يقال له معن فمات، فقال يرثيه:

يا موت مالك مولعاً بضراري إنني عليك وإن صبرت لزارى
تعدو علي كأنني لك واطر وأوول منك كما يؤول فرارى
نفس البعيد إذا أردت قريبة ليست بناجية مع الأقدار
والمرء سوف وإن تطاول عمره يوماً بصير لحفرة الجفار
لما غلا عظم به فكأنه من حسن بنيته قضيب نضار
فجعتني بأعز أهلي كلهم تعدو عليه عدوة الجبار
هلا بنفسى أو ببيعض قرابتي أوقعت أم ما كنت للمختار
وتركت ربتي التي من أجلها عفت الجهاد وصرت في الأمصار

رفض أن يكون عاملاً لما رأى العمال يعذبون وشعره في ذلك: أخبرني علي بن سليمان قال حدثني السكري عن
محمد بن حبيب قال: قال رجل من بني أسد كان وجهاً، لإسماعيل بن عمار: هلم أركب معك إلى يوسف بن
عمر، فإنه صديق، حتى أكلمه فيك يستعملك على عملٍ تنتفع به. فقال له إسماعيل: دعي حتى يقول الحول.
فنظر إسماعيل إلى عمال يوسف يعذبون، فقال في ذلك:

رأيت صبيحة النيروز أمراً فظيعة عن إمارتهم نهائي
فررت من العمالة بعد يحيى وبعد النهشلي أبي أبان

وبعد الزور ابن أبي كثير
فحاب بها أبا عثمان غيري
أحاذر أن أقصر في خراجي
أعجل إن أتى أجلي بوقت
فما عذري إذا عرضت ظهري
تعد ليوسف عدداً صحيحاً
وأسحب في سراويلي بقبدي
فمنهم قائل بعداً وسحقاً
كفاني من إمارتهم عطائي
كفاني ذاك منهم ما بقينا
وفقيد أشجع وأبي بطلان
فما شأن الإمارة لي بشأن
إلى النيزوز أو في المهرجان
وحسبي بالمجرحة المتان
لألف من سياط الشاهجان
ويحفظها عليه الجالدان
إلى حسان معتقل اللسان
ومنهم آخران يفديان
وما أخذيت من سبق الرهان
كما فيما مضى لي قد كفاني

شعره في بوبة وصيفة عبد الرحمن بن عنبسة: وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه: إنه كانت لعبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وصيفة مغنية يؤدبها ويصنعها ليهديها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بوبة. فقال فيها إسماعيل بن عمار:

بوب حبيب عن جليتك بوبا
ما رأينا قتيل حي حبا ألقا
غير ما قد رزقت يا بوب مني
غير من به غليك وإن كن
بنت عشر أديبة في قريش
أدبت في بني أمية حتى
مخطئاً في تحيتي أو مصيباً
تل بالوتر أن يكون حبيباً
فهنيئاً وإن أتيت عجيباً
ت بقدر القيان طباً طيباً
بخ فأكرم بهم أبا ونسيباً
كملت في حجورهم تأديباً

قال: ثم أهداها ابن عنبسة إلى هشام. فقال إسماعيل بن عمار:

ألا حبيب عنا ث
وأكرم بك مهداة
وواهاً لك من بكر
وواهاً لك ملقاة
لقد عاين من يلقا
م سقياً لك يا بوبه
وأحب بك مطلوبه
وواهاً لك متقوبه
وواهاً لك مكبوبه
ك من حسنك أعجوبه

ويا ويلي ويا عولي
على هيفاء حوراء
إذا ضاجعها المولى
فنفسي الدهر مكروبه
على جيداء رعبوبه
فقد أدرك محبوبه

هجاؤه لجارية له كان ييغضها: قال ابن حبيب في هذه الرواية: كان لإسماعيل بن عمار جارية قد ولدت منه، وكانت سيئة الخلق قبيحة المنظر، وكان ييغضها وتبغضه، فقال فيها:

بليت بزمردة كالعصا
ألص وأخبث من كندش

تحب النساء وتأبى الرجال
لها وجه قرد إذا ازينت
ومن فوقه لمة جتلة
وبطن خواصره كالوطا
وإن نكهت كدت من ننتها
وثدي تدلى على بطنها
وفخذان بينهما بسطة
وسلق يخلخلها خاتم
وفي كل ضرس لها أكلة
ولما رأيت خوا أنفها
إلى ضامرٍ مثل ظلف الغزال
فررت من البيت من أجلها
وأبرد من تلج ساتيدما
وأرسح من ضفدع عثة
وأوسع من باب جسر الأمير
فهذي صفاتي فلا تأتها
وتمشي مع الأسفه الأطيش
ولون كبيض القطا الأبرش
كمثل الخوافي من المرعش
ب زاد على كرش الأكرش
آخر على جانب المفرش
كقربة ذي التلة المعطش
إذا مشت مشية المنتشي
كساق الدجاجة أو أحمش
أصل من القبر ذي المنبش
وفيهما وإصلال ما تحتشي
أشد اصفراراً من المشمش
فرار الهجين من الأعمش
إذا راح كالعطب المنفش
تنق على الشط من مرعش
تمر المحامل لم تخذش
فقد قلت طرداً لها كشكشي

هجا جارا له بنى مسجداً قرب داره: وقال ابن حبيب: كان في جوار إسماعيل بن عمار رجل من قومه ينهاه عن السكر وهجاء الناس ويعذله، وكان إسماعيل له مغضباً. فبنى ذلك الرجل مسجداً يلاصق دار إسماعيل وحسنه

وشيده، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستر والصلاح منهم عامة فزارهم، فلا يقدر إسماعيل أن يشرب في داره ولا يدخل إليه أحد ممن كان يألفه من مغن أو مغنية أو غيرهما من أهل الريبة. فقال إسماعيل يهجوّه وكان الرجل يتولى شيئاً من الوقوف للقاضي بالكوفة:

بنى مسجداً بنيانه من خيانةٍ
لعمرى لقدماً كنت غير موفق
كصاحبة الرمان لما تصدقت
جرت مثلاً للخائن المتصدق
يقول لها أهل الصلاح نصيحةً
لك الويل لا ترني ولا تتصدي

استعدى على غاضري كلف رهطه الطواف: وقال ابن حبيب: ولي العسس رجل غاضري، فأخذ من بني مالك وهم رهط إسماعيل بن عمار بأن كانوا معه، فطافوا إلى الغداة. فلما أصبح غدا على الوالي مستعدياً على الغاضري. فقال له الوالي وكان رجلاً من همدان: ماذا صنع بك؟ فأنشأ يقول:

عس بنا ليلته كلها
ما نحن في دنيا ولا آخره
يأمر أشياخ بني مالك
أن يحرسوا دون بني غاضره
والله لا يرضى بذا كائناً
من حكم همدان إلى الساهره

قال فقال له الوالي: قد لعمرى صدقت، ووظف على سائر البطون أن يطوفوا مع صاحب العسس في عشائهم ولا يتجاوزوا قبيلةً إلى قبيلة، ويكون ذلك بنوائب بينهم .

كان منقطعاً إلى خالد بن خالد بن وليد فلما مات رثاه: وقال ابن حبيب: كان إسماعيل بن عمار منقطعاً إلى خالد بن الوليد بن عقبة بن معيط، وكان إليه محسناً، وكان ينادمه. فولي خالد بن خالد عملاً للوليد بن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه، وكان إسماعيل عليلاً فتأخر عنه، ثم لم يلبث خالد أن مات في عمله، فورد نعيه الكوفة في يوم فطر. فقال إسماعيل بن عمار يرثيه:

ما لعيني تفيض غير جمود
ليس ترقا ولا لها من هجود
فإذا قرت العيون استهلّت
فإذا نمن أولعت بالسهود
ألنعي ابن خالد خالد الخي
رات في يوم زينة مشهود
سنحت لي يوم الخميس غداة ال
فطر طير بالنحس لا بالسعود
فتعيفت أنهن لأمرٍ
مفطع ما جرين في يوم عيد
فنعت خالد بن أروى وجل ال
خطب فقدان خالد بن الوليد

سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه: وقال ابن حبيب: كان لإسماعيل بن عمار جار يقال له عثمان بن درباس، فكان يؤذيه ويسعى به إلى السلطان في كل حال، ثم سعى به أنه يذهب مذهب الشراة ، فأخذ وحبس. فقال يهجو:

من كان يحسدني جاري ويغبطني من الأنام بعثمان بن درباس

فقرب الله منه مثله أبداً جاراً وأبعد منه صالح الناس
جار له باب ساج مغلق أبداً عليه من داخل حراس أكراس
عبد وعبد وبناته وخادمه يدعون مثلهم ما ليس من ناس
صفر الوجوه كأن السل خامرهم وما بهم غير جهد الجوع من باس
له بنون كأطباء معلقة في بطن خنزيرة في دار كناس
إن يفتح الباب عنهم بعد عشرة تظنهم خرجوا من قعر أكراس
فليت دار ابن درباس معلقة بالنجم بين سلاليم وأمراس
فكان آخر عهدي منهم أبداً وابتعت داراً بغلماني وأفراسي

وقال: قال فيه أيضاً:

ليت بردوني وبغلي وجوادي وحماري
كن في الناس وأبدل ت غداً جاراً بجار
جار صدق بابت دربا س وإلا بعت داري
فتبدلت به من يمن أو من نزار
بدلاً يعرف ما الل ه وما حق الجوار
لو تبدلت سواه طاب ليلي ونهاري
واسترحنا من بلایا ه صغار أو كبار
لو جزيناه بها كنا جميعاً في فجار داخلاً تحت الشعار
أو سكتنا كان ذلاً

كتب إلى ابن أخيه شعراً من الحبس فأجابه: قال: فلما قال فيه الشعر استعدى عليه السلطان، وذكر أنه من الشراة، وأنهم مجتمعون عنده، وأنه من دعاة عبد الله بن يحيى وأبي حمزة المختار. فكتب من السجن إلى ابن أخ له يقال له معان:

أبلغ معاناً عني وأخوته	قولاً وما عالم كمن جهلاً
بأنني والمصباحات مني	يعدون طوراً وتارة رملاً
لخائف أن يكون ودكم	إياي بعد الصفا قد أفلاً
أئن عراني دهري بنائبة	أصبح منها الفؤاد مشتعلاً
حاولتم الصرم أو لعلكم	ظننتم ما أصابني جلاً
لا تغفلونا بني أخي فالقد	أصبحت لا أبتغي بكم بدلاً
تمسكوا بالذي امتسكت به	فإن خير الإخوان من وصلاً

قال: فكتب إليه ابن أخيه:

يا عم عوفيت من عذابهم الن	كر وفارقت سجنهم عجلاً
كتبت تشكو بني أخيك وقد	أرسل من كان قبلنا مثلاً
أبدأهم بالصراخ ينهزموا	فأنت يا عم تبتغي العللاً
زعمت أنا نرى بلاءك في	دار بلاء مكبلاً جلاً
يا عم بنس الفتیان نحن إذاً	أما وفي رجلك الكبول فلا
علي إن كنت صادقاً حجج	للبيت عامين حافياً رجلاً
بعد عنك الهموم فارح من ال	له خلاصاً وأحسن الأملأ

أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل: قال: ثم ولي الحكم بن الصلت فأطلقه وأحسن إليه، فلم يزل يشكره ويمدحه. ثم عزل الحكم بعد ذلك، فقال إسماعيل فيه:

تبارك كيف أوحشت ال	كوفة أن لم يكن بها الحكم
الحكم العذل في رعيته ال	كامل فيه العفاف والفهم
فأصبح القصر والسريران وال	منبر كالكل من أب يتم
يذري عليه السرير عبرته	والمبتر المشرفي يلتدم
والناس من حسن سيرة الحكم ب	ن الصلت ييكون كلما ظلّموا

مثل السكارى في فرط وجدهم
 ينزع منه القرطاس والقلم
 أرغم هود القروذ إذ رغموا
 والله ممن عصاه ينتقم
 للناس عهد يوفى ولا ذمم
 من لذة العيش، بئسما حكموا
 يقضي لضيرائها التي قسموا
 إن كان من شأنها الذي زعموا

ذم ولاية خالد القسري:

وقال ابن حبيب: سمع إسماعيل بن عمار رجلاً ينشد أبياتاً للفرزدق يهجو بها عمر بن هبيرة الفزاري لما ولي العراق ويعجب من ولايته إياها، وكان خالد القسري في تلك الأيام العراق، فقال إسماعيل: أعجب والله مما عجب منه الفرزدق من ولاية ابن هبيرة، وهو ما لست أراه يعجب منه، ولاية خالد القسري وهو مخنث دعيّ ابن دعيّ، ثم قال:

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى
 فلقد رأى عجباً وأحدث بعده
 بكت المنابر من فزارة شجوها
 فملوك خندف أضرعونا للعدا
 كانوا كقاذفة بينهما ضلة
 عنها أمية بالمشارك تنزع
 أمر تطير له القلوب وتفرع
 فالآن من قسرٍ تضج وتجزع
 الله در ملوكنا ما تصنع
 سفهاً وغيرهم ترب وترضع

شعر له في عينه وقلبه: أخبرني حبيب بن نصر المهلب قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا عبد الله بن سعيد ابن أسيد العامري قال حدثني محمد بن أنس الأسدي قال: شعر له في عينه وقلبه: جلست إلى إسماعيل بن عمار، وإذا هو يقتل أصابعه متأسفاً، فقلت: علام هذا التأسف والتلهف؟ فقال:

عيناى مشؤمتان ويحهما
 عرفناه الهوى لظلمهما
 هما إلى الحين دلتا وهما
 سأعذر القلب في هواه وما
 والقلب حران مبتلى بهما
 ياليتني قبل ذا عدمتهما
 ذل على من أحب دمعهما
 سبب كل البلاء غيرهما

شعر للأعشى وشرحه: صوت:

ك حتى تنأخي بأبوابها فكعبة نجران حتم علي
وقيساً هم خير أربابها نزور يزيد وعبد المسيح
ن والمسمعات بقصابها وشاهدنا الجل والياسمي
فأبي الثلاثة أزرى بها وبربطنا دائم معمل
وجرو أسافل هداها إذا الحبرات فلت بهم
ومدت إلي بأسبابها فلما التقينا على آية

عروضه من المتقارب. الشعر للأعشى يمدح بني عبد المدان الحارثيين من بني الحارث بن كعب. والغناء لحنين، خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق. وذكر يونس أن فيه لحناً مالمالك، وزعم عمرو بن بانة أنه خفيف ثقيل. وزعم أبو عبد الله الهشامي أن فيه لابن المكي خفيف رمل بالوسطى أوله:

تتازعني إذ خلت بردها

ومعه باقي الأبيات مخلطة مقدمة ومؤخرة. والكعبة التي عنها الأعشى ها هنا يقال إنها بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة، وعظموها مضاهاة للكعبة، وسموها كعبة نجران، وكان فيها أساقفة يقيمون، وهم الذين جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى المباهلة، وقيل: بل هي قبة من آدم سموها الكعبة. وكان إذا نزل بها مستجير أو أجير، أو خائف آمن، أو طالب حاجة قضيت، أو مسترقد أعطي ما يريد. والمسمعات: القيان. والقصاب: أوتار العيdan. وقال الأصمعي: قلت لبعض الأعراب: أنشدني شيئاً من شعرك. قال: كنت أقول الشعر وتركته. فقلت: ولم ذاك؟ قال: لأنني قلت شعراً وغنى فيه حكم الوادي وسمعتة فكاد يذهل عقلي، فأليت ألا أقول شعراً، وما حرك حكم قصابه إلا توهمت أن الله عز وجل مخلدي بها في النار.